مجلة الأزهر

٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٨٨

المجلد السادس والستون ـ القسم الثاني
السنة ١٤١٤هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25907497 / 25899823
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail: info@saqifat-alsafa.org

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير .. ادارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

أشق البلاء

إن من أشق البلاء على « الخبير بشيء » أن يختلف - في الرأى - مع آخر ، وقد فقدا معاً « نقطة لقاء » ، فإذا « الخبير » المتمكن من « الصواب » في « أسًى » ، وإذا المخالف على « عناد » يخفى الكراهية للخبير ، ويرضى لنفسه بسوء المصير .

كَفَر الوليدُ بنُ المغيرة ، ورَضِىَ - عَنْ عمىً - بالجحود ، إذْ آلمهُ أن يكون سيدنا محمدُ ﷺ رسولاً يتلقى - وحده من بين عظماء قريش والطائف - رسالة السماء ، وصَرَّح بذلك فقال :

« أيُنزَّل على محمد وأُترَكُ وأنا كبير قريش وسيدها ، ويُتْرَكُ أبو مسعود عمرو بن عمرو الثقفى سيدُ ثقيف ، فنحن عظيما القريتين[١] » أى : مكة والطائف ، ويسجل القرآن الكريم هذا الموقف في « سورة الزخرف » (٣١) فيقول - تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

---

(١) ابن كثير السيرة النبوية ٢/٥٤ ط عيسى الحلبى ١٣٨٤

ومن وحى الآية الكريمة يتبين للقارىء إيمانهم بمنزلة القرآن ، وأنه لايكون إلا من عند الله ، ولكن الضيق أن يكون لسيدنا محمد ـ عليه الصلاة السلام ـ دونهم ! ؛ لذلك أَبَوْا الإيمان ، ويسترسل الكتاب العزيز فى الكشف عن هذه الطوية الخبيثة ، فيقول ـ تعالى : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢﴾ (المدثر)

أى : مايريدون أن يؤمنوا حتى يتساوَوْا مع الرسول ﷺ فيتلقى كل واحد منهم كتابا من السماء .

وهكذا التحم الكفر بالعناد ؛ فأضاع الحق بين الجاحدين .

وليس العناد من صفات المؤمنين ؛ إذ المؤمن يلتمس الحق عن طواعية ، ويسعى إليه عن رغبة ، ولا يتنكر له وإن كان مُرًّا ـ فى بعض أحواله ـ فمرارته هى الشفاء الحكيم لأمر عضال .

ليس العناد من صفات المؤمنين ، ولايوجد مؤمن يُوَلِّى وجهه شطر القِبْلة ، ويضع جبهته فى الأرض خشوعاً لله ، يرضى لنفسه أن يَسْعَى بين غضب الله ـ تعالى ـ ولعنته .

ولا عذر ـ إطلاقاً ـ يسمح لإنسان أن تُورِدَ نفسه مورد الهلاك ؛ فيزهق روحاً بريئة مَامَسَّتْهُ بسوء ، ولا آلمته بأذى ، بل لعلها لم تبلغ بعد حَدَّ (التكليف) الذى يحاسب الله ـ سبحانه ـ عباده ابتداء منه .

إن المؤمن يفر من غضب الله ـ تعالى ـ إلى رحمته ... ومن سَخَطِهِ إلى رضوانه .

إن المؤمن سلام فى سلام :

وذاك مما دعا الكتاب العزيز إلى بيان وضع (المجتمع المسلم) الذى لايقع القتل فيه ـ إذا هو وقع ـ إلا عن خطأ ، خَلْفَهُ براءةُ القصد وطهارةُ الضمير فيقول ـ تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ **النساء ـ ٩٢**

هذا هو المجتمع المسلم .. وهو نفس المجتمع الذى ينفى من صفوفه قَاتِلَ البرىء ـ وحسابه على الله تعالى ـ حيث يقول : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ **النساء ٩٣**

ذلك ؛ لأنه رضى ـ لنفسه ـ أن يُطرد من رحمة الله الرحمن الرحيم ، مستبدلا بها لعنة الله وغضبه ـ سبحانه ـ يقول المصطفى الخاتم ﷺ :

« لن يزال المرء فى فسحةٍ[2] من دينه مالم يُصِبْ دما حراما » رواه البخارى وأحمد .

ولنعد إلى آية المجتمع المسلم .. فنراها تقرر حماية المواطن ، والمعاهد ، وكل من دخل أرضه بإذن صريح ، غير عابث بأعرافها ، وتقاليدها ، وتقاليدها ، فلا يمسها بسوء

اللهم .. هل بلغت .. اللهم فاشهد

د. علي أحمد الخطيب

(٢) الفسحة : السعة

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

فى ذكرى الإسراء والمعراج الشريف

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـر

كان الأسراء بالنبى محمد ﷺ من مكة إلى القدس ثم العروج به إلى السموات حدثا هاما فى تاريخ رسالته وفى منهجها .

ولقد سجل القرآن الكريم هذا الحدث فى افتتاح سورة الإسراء . قال الله سبحانه :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ .

جاء الحدث وعتاة مكة وكبراؤها قد ضيقوا الخناق على المسلمين بعد أن رأوا أن أمر الإسلام ينمو ويعلو ، وأن سيرته تجتاز حدود مكة وهواءها إلى آفاق أخرى بجزيرة العرب ، واعتقدت قريش أن وسائل الإيذاء والتضييق والتعذيب لمن تبع محمدا ﷺ ، لم تفلح ولم تُنَفِّر أنصاره كما لم تمنع انتشاره ، ففكرت وقدرت وأدبرت ثم أقبلت ليرسم قادتها خطة أقسى وأحكم وأدق ، فكانت المعاهدة التى عقدوها فيما بينهم وحرروا صكها والتى اعتبروا فيها المسلمين ومن يرضى بدينهم أو يتعاطف معهم أو يحمى أحدا منهم حزبا دون سائر أهل مكة .

وأضافوا : أنهم لا يبيعونهم أو يبتاعون منهم شيئا ، ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم ، وكتبوا بهذا التعاقد صحيفة علقوها فى جوف الكعبة استيثاقا لما تعاهدوا عليه .

وتنفيذا لهذا العهد الآثم تجمع أولئك العتاة القساة الذين تبرأت منهم فطرة الإنسان ففرضوا رأيهم على أهل مكة حتى اضطر الرسول ﷺ ومن معه إلى الالتجاء إلى شعْب بنى هاشم واحتبسوا أنفسهم فيه ، وانحاز إليهم بنو عبدالمطلب جميعا سواء من آمن بالله وبرسالة محمد ﷺ ومن لم يؤمن بها منهم وانشق عن هذا الجمع أبو لهب حيث آزر قريشا فى خصومتها لقومه بنى هاشم ..

ولقد ضيق الحصار على المسلمين ومن تبعهم وانقطع عنهم العون وقل الغذاء حتى بلغ منهم الجهد

أقصاه ، وهم مع هذا صابرون ، يترقبون النصر من الله الذى وعد به عباده المجاهدين ..

ولقد انبعثت الرحمة فى قلوب نفر من القريشيين فكانوا يمدون هؤلاء المحاصرين ــ خفية ــ بما يستطيعون من الزاد ..

واستمرت هذه الضائقة الخانقة ثلاث سنين كان رباط الإيمان بالله وبصدق رسالته محمد ﷺ هو الذى يمسك أفئدة المحاصرين ، ويربط على قلوبهم ، فيصبرون على هذا البلاء ، بل كانوا يتسابقون الى الوافدين فى موسم الحج يبلغون دعوة الإسلام ، ويتسابقون إلى رفع ذكر الله فلم تشغلهم آلامهم عن عرض الإسلام على كل وافد ، وكسب الإسلام بهذا أنصارا ، وبدأ العتاة يتفرق جمعهم ويتشتت ، فانقسموا على أنفسهم وتساءلوا عن صواب ما فعلوا بالمسلمين وبنى هاشم ، وتجمع فريق من أهل مكة ممن لم يصبروا على التمادى فى هذا الحصار وذهبوا يتعاتبون وقام أحدهم إلى صحيفة المعاهدة التى كانت سند هذا الحصار يشقها ليمزقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا كلمة « باسمك اللهم » التى دأبت العرب على أن تفتتح بها كتبها . وانفض بهذا الحصار الذى فرض على المسلمين .

لقد تواكبت الحوادث على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين حتى كان حدث الإسراء والمعراج وهما رحلتان جاء حديث القرآن الكريم عنهما فى سورتين : سورة الإسراء وفى أول آية منها ذكر حدث الإسراء ، حيث أراد الله سبحانه أن يرى عبده محمدا ﷺ بعض آياته رحمة منه وفضلا وتسرية عما لاقاه من لأواء .

وكان الحديث عن المعراج وعن ثمرته فى سورة النجم فى قول الله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ .. « ولقد رآه » يعنى جبريل عليه السلام .

وهذه الآيات شاهد صدق على أن الرسول ﷺ شهد ــ فعلا ــ بعض آيات ربه الكبرى ..

فالإسراء حق وصدق يقظة لامناما ، وبجسد النبى ﷺ وروحه كما يدل على هذا قول الله سبحانه « أسرى بعبده .. » ذلك أن الحدود بين القوى الروحية والقوى المادية أخذت ــ فى هذه الرحلة ــ تضمحل وتزول ، وأن ما يراه الناس ميسورا فى عالم الروح ليس بمستعص فى عوالم المادة ..

وبعد أن كشف العلم فى هذا العصر ــ كثيرا ــ من أسرار هذا الوجود ، فإن أمر المادة وكنهها أضحى كأمر الروح فى غموض كنهها ، فلا يعرف مدى كل هذا إلا الله قيوم السموات والأرض .

ونحن ــ المسلمين ــ نؤمن بأن الرسول ﷺ أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث أمتطى البراق ــ وهو كائن يضع خطوه عند أقصى مد بصره ــ وكلمة براق تشير إلى اشتقاقها من « البرق » أى تلك القوة الكهربية التى استخدمت فى هذه الرحلة ، أى أن الرسول ــ ﷺ ــ ركب أداة تسير بأقصى من سرعة الضوء التى اكتشفها العلم فى عصرنا ، إنه صنع الله الذى أتقن كل شىء ..

ولأن رسالات الله إلى الناس يصدق بعضها بعضا ويمهد السابق منها للاحق جاء تقرير هذا فى القرآن الكريم ..

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾

آل عمران ٨١

وفى صحيح السنة الشريفة أن النبى ﷺ صلى

بأخوته الأنبياء ركعتين فى المسجد الأقصى فكانت هذه الإمامة إقراراً عملياً من هؤلاء الأنبياء بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى الناس أخذت تمامها برسالة محمد ﷺ بعد أن مهد لها رسل الله الأولون واستعدت الإنسانية وتأهلت لحملها .

إن الاسراء والمعراج وقعا كحدث هام فى فترة الرسالة قريبا من منتصفها التى استمرت نحو ثلاث وعشرين سنة وكانت علاجا مسح متاعب ما انقضى ، ووضع بذور نجاح الرسالة فى المستقبل فرؤيا ﷺ طرفا من آيات الله الكبرى فى ملكوت السموات والأرض له أثره فى إزالة كيد الكافرين ، وتصغير جمعهم ، وكانت إيذانا بأن تلك الأودية والبلاد التى مر بها فى رحلة الاسراء سيكون أهلها من حملة هذا الدين ومعالمه .

وفى هذه الرحلة التكريمية من الله سبحانه وتعالى للرسول محمد ﷺ وأمته كانت الصلاة ، تلقى فرضها فى أعلى عليين فى مقام صدق .

ومن هنا كان رسول الله ﷺ يقول « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وكان إذا حزبه أمر أى أهمه قام إلى الصلاة ويقول : « أرحنا بها يا بلال » .

وحقيقة العبادة والخضوع والتسليم لله فهو سبحانه مفرج الكروب ، ومالك النفوس ، يهديها ويرشدها ويطمئنها إذا اعتراها القلق والاضطراب وأثقلتها الهموم وشواغل الحياة ، وانغلقت فى وجهها كل الفرج ولم يعد لها من دون الله كاشفة فتوضأ المسلم واستعاذ بالله ووقف على بابه مستفتحا : الله أكبر ، كان الفرج رحمة من الله فالله قريب من المحسنين .

هذه واحدة من ثمرات ليلة الاسراء والمعراج نذكرها بالمزيد من الطاعة لله الخالق الرازق ذى الفضل العظيم وله المنة ونتلو كتابه ففيه العظات والحكمة والصراط المستقيم .

إنها رحلة تكريم وتثبيت واعانة على المصاعب رأى فيها رسول الله ﷺ من آيات ربه الكبرى نذكرها لنستديم ذكره ﷺ والصلاة والسلام عليه امتثالا لأمر الله واعتزازا بالاسلام دينا نلتقى عليه ونعمل به حتى يجتمع أمر هذه الأمة وتقوى فيها الأواصر وتتوثق العرى ، وحتى يعود إليها خلق التناصر والتعاون على البر والتقوى ، فتعود إليها وحدتها قلبا وقالبا وتكون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر صلى الله وسلم على سيدنا محمد بن عبدالله ورسوله وخاتم الرسل والرسالات .

*

فتوى
بشأن العمل بشركات الطيران الأجنبية التى تقدم الخمور

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاباً من الطيار/ طلعت أحمد سليمان بمؤسسة مصر للطيران وفيه يعرض السؤال التالى بعد المقدمة :

هل يجوز السعى للعمل بشركات الطيران الأجنبية العالمية لما يتوفر لديها من الجدية ، والدقة ، والالتزام ، والأجور المجزية التى تفوق كثيراً ما يتقاضاه الطيار فى مصر؟ علماً بأنها تقوم بالتعامل فى الخمور على طائراتها تقديماً وبيعاً حيث إنها لا تعترف بهذه المسألة الشرعية ولها قوانينها الخاصة بها .

الرجاء التفضل بتوضيح الإجابة تفصيلًا ، وهل هناك معصية فى ذلك وعلى من تقع ؟ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والجواب :

إنه لما كان صاحب هذا السؤال قد انتهى فى كتابه هذا إلى أنه : هل يجوز السعى للعمل بهذه الشركات العالمية علماً بأنها تقوم بالتعامل فى الخمور على طائراتها ــ تقديماً وبيعاً ــ لركابها أثناء الطيران حيث إنها لا تعترف بالطبع بهذه المسألة الشرعية ولها عقائدها وقوانينها المختلفة الخاصة بها .

وكان المستفاد من هذا أنه يستوضح حكم حل العمل والكسب على هذا الوجه وعلى من يقع الإثم :

ونسوق إليه فى هذا حديث رسول الله ﷺ الذى أخرجه أبو داود وابن ماجه والترمذى وروى عن أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ ولفظ الترمذى عن أنس بن مالك مرفوعاً :

(لعن رسول الله ﷺ فى الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لها والمشتراة له)(1) .

---

(1) قال الترمذى هذا حديث غريب من حديث أنس ، قال الحافظ ابن حجر والمنذرى : رجاله ثقات ــ الجامع الصحيح (سنن الترمذى) جـ٣ ص٥٨٩ ، ٥٩٠ ط دار الحديث لبنان والترغيب والترهيب للمنذرى جـ٣ ص٢٥٠ ط قطر ، عون المعبود جـ٣ ص٣٦٦ ط الهند ، سنن ابن ماجه بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقى جـ٢ ص١١٢١ ، ١١٢٢ ط الحلبى ، التلخيص الحبير جـ٤ ص٧٣ ط شركة الطباعة الفنية .

ولما كان العاملون على الطائرات التى تباع وتقدم عليها للركاب الخمور وغيرها من المحرمات داخلين ضمن هؤلاء العشرة الملعونين بسبب عملهم فيها على هذا الوجه كان كسبهم أى مرتباتهم وكل ما يعود عليهم من مال بسبب هذا العمل محرماً بوصفهم من المعاونين على ارتكاب هذا المحرم وفى نطاق قول الرسول ﷺ السالف نصه .

هـذا :

ومن الأصول التشريعية فى تحريم بعض الأموال قول الله سبحانه فى سورة النساء :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾[٢] .

ومعناه ـ والله أعلم ـ لا يحل لأحدكم أخذ وتناول مال الغير بوجه باطل ، كما لا يحل لأحدكم كسب المال من طريق باطل ، أى محرم ، وأخذ المال أو كسبه بالباطل يأتى على وجهين :

أحدهما : أخذه على وجه غير مشروع كالسرقة والغصب والغلول والخيانة .

والوجه الآخر : أخذ المال وكسبه بطريق حظره الشرع : كالقمار أو العقود المحرمة كما فى الربا ، وبيع ما حرم الله الانتفاع به كالميتة ، والدم المسفوح ، والخمر .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن ابن عباس ، أن النبى ﷺ قال : (لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شىء حرم ثمنه)[٣] .

فدل هذا الحديث على أن كل ما حرمه الله على العباد فبيعه حرام ، وكذلك كل الوسائل المؤدية إليه ، مثل حامل الخمر بأجرة تكون هذه الأجرة حراماً ، وكذلك المعاون على حملها كقائد السيارة والطيارة .

وفى تفسير القرطبى لسورة المائدة فى قول الله تعالى :

« .. فَٱجْتَنِبُوهُ ... »[٤] .

قال :يقتضى الاجتناب المطلق الذى ينتفع معه بأى كسب بسببها .

وهذا ـ أيضاً ـ هو مقتضى قول الله سبحانه فى سورة المائدة .

﴿ .. وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[٥] .

حيث جاء النهى موجهاً إلى مطلق الإثم فشمل شارب الخمر ، والبائع ، والحامل ، وباقى العشرة الذين عدهم الحديث سالف الذكر .

لما كان ذلك :

كان السعى إلى العمل لدى شركات الطيران التى تبيع الخمر للمتعاملين معها محرماً ؛ لأنه عمل فى وسيلة إلى رواج الخمر المحرمة ، ومشاركة ومعاونة لروادها والمتعاملين فيها ، وكان إثم المعصية شاملًا لأولئك العشرة ومنهم حاملها أو المعاونون فى حملها وتقديمها للشاربين واللعن الطرد من رحمة الله ، واستحقاق عقابه .

ومن ثم ننصح السائل بأن الرزق الحلال والقليل مبارك فيه بإذن الله .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

(٢) من الآية رقم ٢٩ .

(٣) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٥ ص ١٤٢ ط دار الحديث .

(٤) من الآية رقم ٩٠ التى حرمت فيها الخمر نهائياً .

(٥) من الآية رقم ٢ .

احتجاج الإمام الأكبر رضي الله عنه

على فيلم هندي يسيء إلى الإسلام

عرض المركز الثقافى الهندى « فيلم » سينمائيا نوقش تحت عنوان « المسلمون فى الهند وهويتهم الثقافية » .

تضمن الفيلم إساءة بالغة للإسلام والمسلمين حتى صَوَّرَ أنه لا يوجد إسلام حقيقى فى الهند ، وأن الشعائر الإسلامية عبارة عن شعوذة وتأدية طقوس ، وقد عبَّر الحاضرون عن استيائهم الشديد لما تضمنه « الفيلم » من آراء ومعتقدات خاطئة عن الإسلام والمسلمين ، فضلًا عن منافاته للهدف الذى أنشىء المركز من أجله ، وهو نشر الثقافة الرفيعة .

وقد احتج فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على هذا المسلك السيء ، وكتب إلى الجهات المسئولة قائلًا : « إن عرض فيلم سينمائى فى المركز الثقافى الهندى بعنوان « المسلمون فى الهند وهويتهم الثقافية » يمس الإسلام وهوية المسلمين فى الهند ، ويمس العبادات الإسلامية على وجه يزرى بهذه الهوية ، وينم عن ازدراء الإسلام وكأن هذا المركز – كما لاحظ المشاهدون – يعرض هذا الفيلم ليقول : أنه لا إسلام ولا مسلمين فى الهند ، والأمر بهذا خطير ، إذ قد استباح هذا المركز توجيه الإهانة والتحقير والازدراء للمسلمين فى الهند فى جرأة وتزوير للواقع ، الأمر الذى يرفضه الأزهر الشريف ، وهو يعرف مدى ثقافة المسلمين فى الهند ، وتعرفهم على الإسلام ، وعلى تعليم عقيدته وشريعته لأجيالهم .

وازدادت الجرأة بعرضه فى مصر ، والأمل معقود على الجهات المسئولة لاتخاذ ما يتعين من إجراءات ، حتى لا يتكرر مثل هذا العمل ؛ بل والاعتذار الرسمى عما حدث ، ومصادرة مثل هذه الأفلام التى يشوبها التزوير للواقع .

* * *

وجاء الرد سريعاً إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، أنه تم استدعاء سفيرة الهند فى القاهرة ، فأعربت عن أسفها واعتذارها لما قد يكون الفيلم قد سببه من إيذاء لمشاعر من شاهدوه ، وأنها لاحظت بالفعل : أن الفيلم قد جانبه التوفيق فى عدم التركيز على إسهامات المسلمين الهنود عبر العصور فى تشكيل الثقافة الهندية . مع التزام المراكز الثقافية الأجنبية بالقوانين المصرية ، واحترام قيم المجتمع المصرى .

ماذا يجرى فى كشمير ؟

إيماناً من « مجلة الأزهر » بأن المسلمين جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، نقدم هذا المقال الذى يكشف بشاعة الجرائم التى ارتكبتها قوات الهندوس ضد المسلمين فى (كشمير) ، ولاسيما الاعتداءات الوحشية الجماعية على مسلمات (كشمير) ، ويبين كيف مارست هذه القوات فى كشمير نفس المخططات والأساليب الدنيئة التى سبق للاستعمار استخدامها فى الأندلس ثم فى روسيا وتايلاند والفلبين ثم - أخيراً - فى البوسنة للقضاء على الإسلام وحضارته .

والحق أنك إذا تحدثتَ عن « كشمير » فكأنما تتحدث عن « البوسنه »

إن الشَّبَهَ بينهما يجمع أكثر من وجه ، وهما - معا - صورة مفعمة بمأساة المسلمين المطروحة فى « الفلبين » و« بورما » و« وتايلاند » و« سريلانكا » .

لقد « سبقت » كشميرُ « البوسنةَ » فى اكتساب قرارات لصالحها من هيئة الأمم ، و« لحقت » البوسنه كشمير فى ضياع نفس الحقوق التى أقرتها تلك الهيئة التعسة ، ثم لِمَ نعيب الغاصب - هنا وهناك والمسلمون يرون كل الحقائق وهم صامتون !

لقد تجد أساليب « الصرب والكروات » مع المسلمين مطورة على أيدى الهندوس مع « مواطنى كشمير » .

تجاوزُ قتلَ الشيوخ والأطفال لِتَرَ :

هتك أعراض النساء مصحوبا فى « كشمير » بقطع أثدائهن ، ثم إلقائهن فى نهر (جهلم) فيغصن فيه موتى ؛ ليظهرن جثثا طافية بنفس النهر فى جريه غربا بكشمير الحرة .

ويجبر المسلم « البوسنوى » على شرب بَوْلِهِ ، لكنه فى كشمير (يُخْصَى) لكيلا يكون هناك إنجاب .

تلك مأساة كشمير التى مازالت تذوق العذاب .

فما كشمير ..؟ وما تاريخها ..؟ وما حال صراعها ... وإلى أين المصير..؟!

وإلى القارىء عرضاً لقضية (جامو - كشمير) أسهم فيه - مع محررى المجلة - ع. ا. القادرى الكاشميرى .

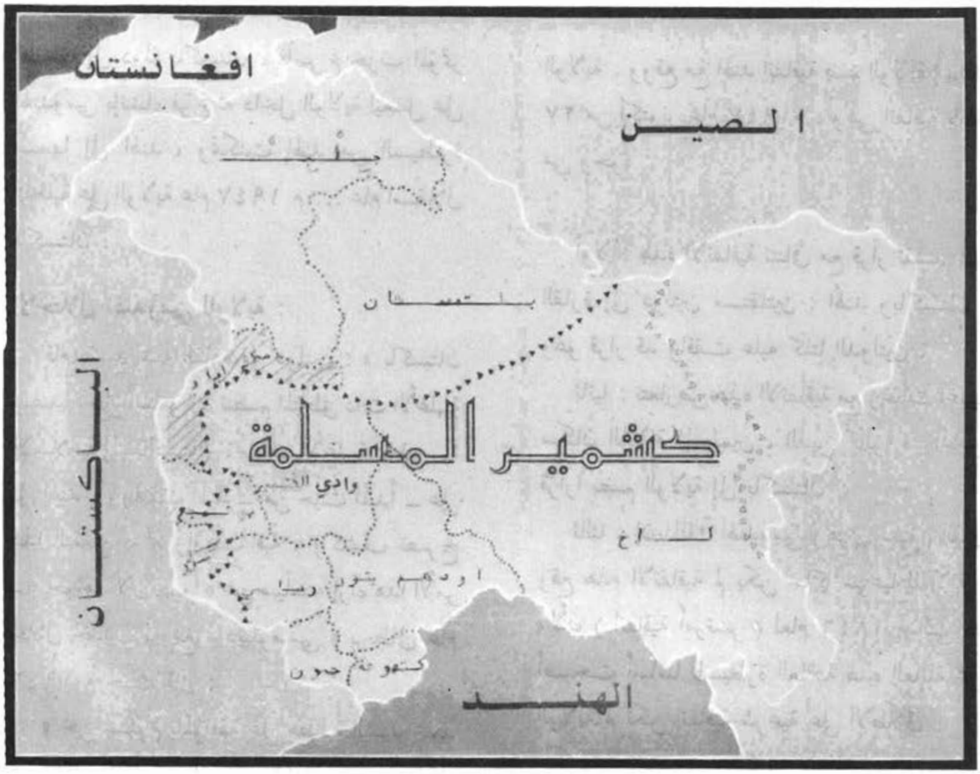

كشمير ... نظرة تاريخية :

أشرق الإسلام ــ بنوره ــ على تلك البقاع بافتتاح « المهلب بن أبى صفرة » لها فى القرن الأول الهجرى . ويمكن القول بأن العهد الإسلامى بدأ ــ بها ــ فعلا ــ أواخر القرن الرابع عشر الميلادى بإسلام (رينجن شاه) الملك البوذى الذى تَسَمى بـ « صدر الدين » فأسلم معه عدد كبير من رجال دولته فى شتى المجالات، وذلك بجهود العلماء الربانيين ، وعلى رأسهم « سيد على همدانى » ، وبذلك أصبحت ولاية « كشمير » ولاية إسلامية .

استمر الحكم الإسلامى فى كشمير إلى عام ١٨١٩ م ، ثم استولى عليها « السيخ » وتلاهم الاستعمار البريطانى عام ١٨٤٦ م ، ثم تخلص منها . ببيعها ــ بمن فيها من آدميين إلى طائفة (الدوجرة) وهى إحدى القبائل الهندوسية الوثنية ، نظير سبعة ملايين ونصف مليون روبية[1] . وتم ذلك باتفاقية عرفت باسم (اتفاقية أمر تسر) لم يعرف لها تاريخ الإنسانية مثيلا .

ويعتبر حكم « السيخ » ثم « الدوجرة » للولاية من أسوأ أدوار التاريخ الذى مرت به « جامو وكشمير » .

فى ظل هذه الأوضاع نشأت حركة تحرير الولاية بقيادة (مؤتمر مسلمى جامو وكشمير) واستهدفت ــ أول ما استهدفت ــ تخليص الولاية من حكم الملك الهندوسى (هرى سنغ) توطئة

لضمها إلى دولة باكستان ، فأسرع حزب المؤتمر الهندوسى بإنشاء فرع له داخل الولاية ليعمل على ضمها إلى الهند ، وتمكنت الهند من السيطرة الفعلية على الولاية عام ١٩٤٧ م ... عام استقلال باكستان .

الاحتلال الهندوسى للولاية :

قام تقسيم شبه القارة إلى دولتين : « باكستان والهند » على أساس أن تنضم المناطق ذات الأغلبية الإسلامية إلى باكستان ، وذات الأغلبية الهندوسية إلى الهند ، ووافقت الهند ـ من حيث المبدأ ـ على هذا التقسيم ، ثم راوغت فيه ، وكشف تصريح لـ« جواهر لال نهرو » عن سياسته إزاء هذا الأمر خلال حديث له مع « ديبلوماسى » بريطانى عام ١٩٤٦ م حيث قال :

« نحن سنقوم بالموافقة على مطالبة السيد محمد على جناح لإقامة دولة باكستان المستقلة ، ولكن سنقوم فيما بعد بإيجاد السبل التى ستجعل قادة هذه الدولة يأتون إلينا ، ويطالبون بالانضمام إلى الهند » .

ومن ثَمَّ عملت الهند بالتعاون مع الاستعمار الإنجليزى والملك الهندوسى للسيطرة على الولاية .

وهنا قرر « مؤتمر مسلمى ولاية جامو وكشمير » (JAMMU & KASHMIR MUSLLIM CONFRENCE) اتخاذ قرار بضم الولاية إلى دولة باكستان الإسلامية . وتم ذلك فى ١٩ من يوليو عام ١٩٤٧ الميلادى . ونادى الشباب بالجهاد لتحرير الولاية ، وضمها إلى باكستان الإسلامية ، ـ وكانت باكستان قد أنشئت فى ١٤ من أغسطس عام ١٩٤٧ م . واشتد الجهاد ففر الملك الهندوسى من عاصمة الولاية . ووقع مع الهند اتفاقية ضم الولاية إليها فى ٢٧ من أكتوبر عام ١٩٤٧م ، وهى اتفاقية باطلة من وجوه :

أولا : هذه الاتفاقية تتنافى مع قرار تقسيم شبه القارة إلى دولتين مستقلتين : الهند وباكستان ، وهو قرار قد وافقت عليه كلتا الدولتين .

ثانيا : تتعارض هذه الاتفاقية مع رغبات أغلبية سكان الولاية المسلمين ، الذين كانوا قد اتخذوا قرارا بضم الولاية إلى باكستان .

ثالثا : إن الملك الهندوسى (هرى سنغ) الذى وقع هذه الاتفاقية لم يكن حاكما شرعيا للولاية ، ولأن (اتفاقية أمرتسر) لعام ١٨٤٦ م التى قد أصبحت أساسا للسيطرة الغاشمة لهذه العائلة على الولاية لم تكن اتفاقية شرعية على الإطلاق .

رابعا : أنه قبل تلك الاتفاقية وقع هذا الملك اتفاقية لإبقاء الوضع كما كان (STAND STILL AGREEMENT) مع باكستان ، فلهذا لم يكن له أن يوقع أية اتفاقية مع أية دولة أخرى فى هذا الصدد قبل إعلان إلغاء تلك الاتفاقية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى وقع الملك هذه الاتفاقية بعد أن كان قد فقد السلطة على الولاية ، لفراره من العاصمة فلم تكن لديه أية صلاحية شرعية لتوقيع هذه الاتفاقية . فهى اتفاقية باطلة ، وكان الاستعمار الهندوسى نفسه يعرف هذه الحقيقة جيدا . فلهذا نراه قد وعد الشعب الكشميرى المسلم بأنه يقوم بإجراء استفتاء لتقرير مصير الولاية . وهذا نص ما كتبه الحاكم العام للهند إلى الملك الهندوسى للولاية حين توقيع اتفاقية الانضمام فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٤٧ م .

(وفقا لسياستنا ـ إذ أصبحت مسألة انضمام ولاية ما من المسائل الخلافية يرجع فيها إلى رأى الشعب ـ فإن حكومتنا بشأن انضمام (ولاية جامو وكشمير) إلى إحدى الدولتين ، سوف يكون بالرجوع إلى الرأى العام فور إعادة الأمن والاستقرار فى الولاية) .

ثم أكد « جواهر لال نهرو » رئيس وزراء الهند ذلك الوعد فى برقيته إلى رئيس وزراء باكستان السيد/ لياقت على خان فى ٣١ من أكتوبر عام ١٩٤٧ م قائلا :

(إننا تعهدنا أن نسحب قواتنا العسكرية من كشمير بعد عودة السلام إليها على الفور ، وأن نترك مواطنيها ليمارسوا حقهم فى تقرير مصيرهم بأنفسهم ، وهذا التعهد لا نعلنه أمام حكومتكم فحسب ؛ بل نعلنه أمام أهالى كشمير وأمام العالم كله) .

ومع كل هذا الإقرار فإن هذه الاتفاقية الفاسدة قانونيا ودوليا اتخذها الاستعمار الهندوسى وسيلة لإرسال جيشه للسيطرة على الولاية ، وانضم هذا الجيش إلى جيش الملك الهندوسى فى الولايـة ، ليشترك معه فى مهمـة قتـل المسلـمين وهـتك أعراضهم .

كذلك أعلنت الحكومة الهندوسية بأن : الذين يرغبون فى الهجرة إلى باكستان ، ستقوم الحكومة بمساعـدتهم بتسهيـل سفرهــم إلى باكستـــان وتزويدهم بالسيارات الحكومية ، فعلى الراغبين أن يجتمعوا فى مكان معين ، فلما اجتمعوا حصرهم رصاص الجنـود فاستشهـد نحو نصف مليـون مسلم . وتمكن من الوصول إلى باكستان نحو نصف مليون آخر . وجدير بالذكر بأنه قبل بداية إطلاق النار تم القـبض على آلاف من الـنساء المسلمات الشابات وهتكت أعراضهن . وبعد وصول الجيش الاستعمـارى إلى الولايـة بدأت الحرب المباشرة بين مجاهدى كشمير وبين هذا الجيش المسلح تسليحا حديثا ، ومع ذلك فإنه بفضل الله ـ سبحانه وتعـالى ـ تعـرض لهزيمة منكرة على أيدى المجاهدين .

كشمير فى الأمم المتحدة

أمام هذه الأوضاع اضطرت « الهند » فى الأمم المتحدة إلى رفع قضية كشمير إلى (جمعية الأمم المتحدة) التى أصدرت بعـد المنـاقشة الطويلـة للموضوع قرارا بوقف إطلاق النار فى الولاية ، وذلك فى ٥ من يناير عام ١٩٤٩ م . وإجراء استفتاء فى جو من الحرية وعدم الانحياز لتقرير مصير الولاية كى تنضم إلى باكستان أو الهند . وقد وافقت الهند على هذا القرار .

ثم قامت جمعية الأمم المتحدة بإعادة نفس القرار فى ٢٣ من ديسمبر عام ١٩٥٢ م . وفى هذه المرة أكدت الهند موافقتها على تطبيق قرار الاستفتاء لتقرير مصير الولاية . وفى ٤ يوليو عام ١٩٥٢ م أعلن « جواهر لال نهرو » رئيس وزراء الهنـد ـ آنذاك ـ التزام بلاده بذلك القرار للمرة الثانية حيث قال :

(مهما يكن من الأمر ، فإن حكومة الهنـد قررت منذ البداية ، التزامها بالمبدأ الذى يفيد بأن القرار النهائى عن انضمام « ولاية جامو وكشمير » إلى إحدى الدولتين لن يتم أبدا إلا بحسب رغبة الرأى العام لشعب الولاية ، وهذا العهد لن ننقضه مهما كانت الأوضاع ، ونظرا لهذه الحقيقة ؛ فإن حكومة الهند قد وافقت على انضمام الولاية مع الهند بصورة مؤقتة عام ١٩٤٧ ، وأن القرار النهائى

لمصير الولاية سيتم حسب رغبة الرأى العام للشعب الكشميرى) .

وهكذا استمر قادة الهند يعلنـون التزامهـم بقرارات جمعية الأمم المتحدة لإجراء الاستفتـاء لتقرير مصير الولاية إلى عام ١٩٥٧ ، ثم بدأوا يرفضون تطبيقها تدريجيا ، ثم انتهى الأمر إلى رفض وجود القضية نفسها . مما أشعل الثورة فى الولاية من جديد ، فلجأت الهند إلى الأمم المتحـدة ، وحظيت هذه المرة باحتضان الاتحاد السوفيتى القضية لصالح الهند .

التفكير فى القضاء على الإسلام :

بعد جهاد عام ١٩٦٥ م فى كشمير اقتنعت الهند بأنه مهما تبذل من جهود لا يمكن لها أن تستمر فى سيطرتها الغاشمة على الولايـة إلا إذا تمكنـت من الـــقضاء على الإسلام والحضارة الإسلاميـة فيها ، وذلك بتحويـل الشخصيـــة الإسلامية للولايـة إلى الشخصيـة الهندوسيـة . ولتحقيق ذلك الهدف قررت الهند أن تبعث وفدا من الخبراء السياسيين إلى أسبانيا حيث (الأندلس سابقاً) ليـدرس المخططـات التـى استخدمهـا الاستعمـار هنـاك للـقضاء التـــام على الإسلام والمسلمين ، وهذا الوفد رأسه سياسى كبير من هنـدوسى الولايـــة اسمه (دى . بى . دهـــر D.P.Dhar) . وبعد عودته قدم تقريرا مفصلاً عن المخططات التى استخدمها الاستعمار للقضاء التام على الإسلام والمسلمين ، ثم عُين هذا الخبير السيـاسى الهنـدوسى سفيرا للهنـــد فى الاتحاد السوفيتى ، فتقدم بتقرير آخر عن المخططات التى اختارها الاستعمار السوفيتى للقضاء على الإسلام والمسلـمين فى الولايـات الإسلاميـة فى آسيـــا الوسطى .

وعملا بهذين التقريرين قامت الهند باختيار استراتيجيـة للـــقضاء على الإسلام والحضارة الإسلامية فى الولاية بهذا الأسلوب :

أولا : إلغاء المنهج التعليمى الأصلى ووضع المنهج التعليمى الهندوسى محله بما يحوى من المعتقدات الهندوسية الوثنية وأساطير التاريخ الهندوسى الوثنى القديم ، إلى جانب فلسفة وحدة الأديان الضالة ونظرية القومية الهندية المتحدة .

ثانيا : تحويل المعاهد التعليمية إلى أوكار لنشر الإباحية والفساد الخلقى ، وذلك بترويج التعليم المختلط من ناحية ، وإنشاء النوادى المسرحية المختلة لتعليم الرقص والموسيقى فى المعاهد التعليمية من الناحية الثانية .

ثالثا : تشجيع الزواج بين المسلمين والهندوس لإيجاد جيل مختلط العقيدة هش الإيمان .

رابعا : إباحة الخمـر وتـرويجه على حساب الدولة فى أنحاء الولاية ، وذلك للقضاء على الشباب المسلم عقيدة وخلقا وسلوكا .

خامسا : تجريد اللغة الأردية واللغة الكشميرية من الألفاظ العربية للقضاء على الصلة بين الجيل الناشيء وبين الكتب الإسلامية الموجودة باللغتين .

سادسا : بث الخلافات الطائفيـة واللسانيـة والقبلية فيما بين المسلمين ، واستخدام أساليب لتشتيت كلمتهم ، وجعلهم لقمة سائغة لمخططات الاستعمار العدوانية .

سابعا : استخدام وسائل الإعلام المختلفـة ، لنشر الإباحة والفاحشة من جانب ، والدعوة إلى فلسفة وحدة الأديان والقومية الهندية من جانب آخر .

ثامنا : ترويج حركة تحديد النسل فيما بين

المسلمين باختيار أساليب الترغيب والإقناع أحيانا ، وأساليب الترهيب والتعذيب أحيانا أخرى .

تاسعا : طمس معالم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية فى الولاية .

عاشرا : إنشاء قيادات لتنفيذ هذه المخططات فى الولاية من جهة ، وللقضاء على الجهود فى سبيل الدعوة والجهاد لتحرير الولاية من براثن الاستعمار من جهة ثانية .

ثم لم يكتف الاستعمار الهندى بذلك ؛ بل قام باختيار العديد من الأساليب الإجرامية الأخرى ضد المسلمين ، كالقبض على الأبرياء والتنكيل بهم وسفك دمائهم وهتك أعراضهم ، وما إلى ذلك من أعمال الهمجية .

المقاومة :

لم يستسلم المسلمون بكشمير لهذه المخططات ، بل عمدوا إلى المقاومة التى اتخذت أساليب عدة :

أولا : إنشاء المدارس والمعاهد والكليات الإسلامية النموذجية فى أنحاء الولاية لمواجهة الغزو الفكرى الهندوسى.فأنشأوا أكثر من ألف مدرسة وكلية إسلامية فى أنحاء الولاية ، وهذه المدارس والمعاهد قد تخرج فيها جيل جديد على وعى بدينه وأحكامه .

ثانيا : الاهتمام بنشر الدعوة بكل الوسائل الممكنة والأساليب الميسرة .

كإصدار كتب الدعوة والمجلات .

وإنشاء المكتبات الإسلامية ودور القراءة .

وإلقاء الدروس القرآنية وخطب الجمعة .... الخ .

ثالثا : العمل على توحيد كلمة المسلمين للمحافظة على الشخصية الإسلامية للولاية من ناحية ، ولمواجهة المخططات الاستعمارية العدوانية من ناحية ثانية ، وللمطالبة بإجراء الاستفتاء لتقرير مصير الشعب الكشميرى المسلم من ناحية ثالثة .

رابعا : إنشاء القرى الإسلامية النموذجية لتكون نموذجا حيا للمجتمع الإسلامى .

خامسا : توعية الشعب الكشميرى المسلم بأساليب الاستعمار الهندوسى للقضاء على الإسلام والمسلمين فى الولاية .

سادسا : المطالبة بإجراء الاستفتاء لتقرير مصير الشعب الكشميرى المسلم حسب قرارات جمعية الأمم المتحدة .

وهكذا ظلت الروح الدينية حية فى كشمير ولم يتمكن الاستعمار من تحقيق أهدافه فيها .

رد الفعل :

أمام هذه المقاومة الباسلة لاسترداد حق اعترف به المجتمع الدولى ، ـ وإن تلكأ إزاءه ـ ثار الاستعمار الهندى بكشمير ، وفقد الحكمة والبصيرة إزاء شعبها ، فقام :

بتنفيذ حظر التجول فى أكثر من (٢٠) مدينة بالولاية ، وتسليم هذه المدن إلى الجيش ، وطرد مندوبى الصحف والمجلات العالمية من الولاية ، وإيقاف الجرائد والمجلات المحلية ، ثم قتل الأبرياء من الرجال والنساء والولدان ، مع السماح للجيش الهندوسى الغاشم الموجود فى الولاية بدخول بيوت المسلمين وهتك أعراض المسلمات جماعيا ، ومما يذوب له القلب كمدا وألما أن الجنود الهندوس بعد ذلك يقطعون أثداءهن وأيديهن ويرمون جثثهن فى الأنهار حتى لقد تجمعت خلال أشهر جثث مئات المسلمات اللاتى

طفت بسطح نهر (جهلم) الذى يمر من كشمير المحتلة إلى كشمير الحرة ، ثم إلى باكستان .

وإذا كان هذا ما يحدث بداخل كشمير فللهند موقفها السياسى منها :

أولا : تعتبرها حاليا أرضا هندية ، وما يجرى - بداخلها - قضية داخلية لا ينبغى لأية دولة - أو للمجتمع الدولى - التدخل فى شئونها .

ثانيا : إن موافقة الهند على الاستفتاء سيعنى مزيدا من الانقسام داخل الهند ، ومطالبة ولايات أخرى بالاستقلال .

ثالثا : إن موافقة الجمعية التأسيسية للولاية عام ١٩٥٧ م على ضم كشمير إلى الهند يعتبر تقرير مصير للولاية .

رابعا : الهند دولة علمانية يسكنها بشر يدينون بأديان مختلفة ، فموافقتها على الاستفتاء تسبب مشاكل لأكثر من (٢٠٠) مليون مسلم داخل الهند .

والحقيقة أن أى شعب عانى من الاستعمار يعلم تفاهة هذه الدعاوى للأسباب التالية :

أولا : قضية كشمير ليست داخلية فلا تزال ملفاتها قابعة فى الأمم المتحدة مع قرارات هذه الجمعية التى أكدت حق كشمير فى تقرير المصير .

ثانيا : ادعاء الهند بأن استجابتها لتقرير المصير بكشمير يؤدى إلى مطالبة أجزاء أخرى بالاستقلال باطل ؛ ذلك لأن أمر ولاية (جامو كشمير) مطابق لأحكام تقسيم شبه القارة إلى دولتين مستقلتين . هما « باكستان والهند » الذى يفيد ضم البلاد ذات الأغلبية الدينية إلى نظيرتها من كل من الهند أو باكستان .

ثالثا : ما تدعيه الهند من موافقة الجمعية التأسيسية للولاية على الضم لم يكن قرارا شرعيا ، كما سبق أن بينا ؛ كما أن وجود الأغلبية لدين معين كاف فى الرد على مزاعم الهند .

ثم بعد ؛ فإلى أين تتجه مطامع الهند ، إنها لا تقف عند كشمير وحدها فقد كتب « جواهر لال نهرو » فى كتابه الشهير « اكتشاف الهند » (DISCOVERY OF INDIA) يقول :

« إن الهند كما صنعتها الطبيعة لا يمكن لها أن تلعب فى شئون العالم دورا فى الدرجة الثانية ، فهى إما أن تعتبر من القوى الكبرى ذات الأهمية والعظمة ، وإما أن لا يكون لها أى وجود .

ويقول الدكتور « ايس ، آر ، باتيل » أحد خبراء الخارجية الهندية فى كتابه (السياسة الخارجية للهند) :

« إن المؤثرات الجغرافية لها الحكم النهائى فى الموضوع ، ومن أجل ذلك فإن مصالح الهند الخارجية تتركز على المناطق القريبة منها . ولهذا فإن « نيبال ، باكستان ، أفغانستان ، بورما ، ملايو وأندونيسيا » مهمة جدا لتحقيق مصالح الهند » .

« ومن الضرورى جدا بالنسبة للهند أن تسيطر على « سنغافوره والسويس » اللذين هما للهند بمثابة الباب الرئيسى . وإذا تغلبت عليها قوة معادية أخرى فستعرض الهند واستقلالها للتهديد والاهتزاز » .

ويختم هذا الخبير السياسى حديثه عن مطامع الهند السياسية قائلا :

« يسود فراغ سياسى هائل فى المنطقة بعد مغادرة الإنجليز ويجب ملء هذا الفراغ ؛ كما أنه من الضرورى للهند - لكونها قوة بحرية عظمه - أن يتحول المحيط الهندى من « سنغافورة » الى « السويس » ليكون « خليجا تملكه الهند » .

مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
الَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم
مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن
قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ

تكرر آية : «كدأب آل فرعون ... » ما ذكر فى الآية قبل السابقة لتثبيت عقوبتهم فى الأذهان ولتشديد الإنذار بها ، واختلف التعبير فى بعض الألفاظ فذكر فى الآية الأولى كفروا وهنا قال كذبوا ، وقد ذكرنا قبل معنى الدأب ، والكفر بمعنى الجحد فهو غير بعيد من التكذيب ، ولكن كلمة ربهم تذكر بما لله – تعالى – من واجب الربوبية ، فهو – سبحانه – رباهم على نعمه فلم

يشكروه ، ولكـن كذبـوا بما أنعـم به عليهم ، والأخذ بالذنب قد يكون : هلاكا وقد يكون غيره ، والله ــ سبحانه ــ لا يبادر الناس بالعقوبة على غير ذنب ، ولكنهم ينحرفون ويخرجون على شريعة الله ، كأنما يحاربونه والله ــ سبحانه ــ لا يغلب ، فينزل عليهم عقوبة ، فهو لا يظلم الناس ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

وصرحت الآيتان بآل فرعون ، وهم أعوانه ومشايعوه على عدوانه وافترائه ، وظلم فرعون من أشهر أنواع الظلم ، ومجادلاته مع موسى من أوضح الدلالات على إصراره على نكران الإله الخالق وادعائه الألوهية لنفسه ، وقد صاح فى قومه : ما علمت لكم من إله غيرى ، ثم هو حارب قوما لا نبيا واحدا .

أما « الذين من قبلهم » فتشمل المكذبين من عهد نوح ، وذكروا تفصيلا فى غير آية من القرآن وجاء إجمالهم فى الآية الكريمة :

« فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ »
سورة العنكبوت

والذين أغرقوا قوم نوح وقوم فرعون ، وفى الآية التى نحن بصددها « فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون » والإغراق بإهلاك ، ولكنه أفرد بالذكر لشناعته فهذا من ذكر الخاص بعد العام ، كذكر جبريل بعد الملائكة وهو منهم .

«وكل كانوا ظالمين »

كل الأقوام الذين كذبوا رسل الله وحاربوهم كانوا ظالمين لأنفسهـم بحيدهـم عن الصراط ، وحديثهم عظة وعبرة لمن يأتى بعدهم .

والآية تتحدث عن مشركى مكة الذين درجوا على إنكار ما يأتيهم به النبى ﷺ من الآيات ، حتى بعد هجرته من مكة ، وعن اليهود الذين يكذبون كل ما ينزل من القرآن على النبى ، وقد أصيب السابقون بما ذكرناه ، وأصيب القرشيون يوم بدر « وكل كانوا ظالمين » أى كل من الأمم السابقة ومن هؤلاء ، أو كل من آل فرعون وكفار قريش ، وهم ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصى ، أو بوضع التكذيب مكان الإيمان ، وكان أحرى بهم أن يستعملوا عقولهم وأن يفكروا ، وإهمال العقل والتفكير ظلم بيّن للنفس . لأن العقل نعمة تميز بها الإنسان عن سائر الحيوانات فمن أهمل عقله فهو ظالم لنفسه . وقد ناسب بعد هذا أن يوصف المصرون على الكفر بأنهم دواب أو من شرار الدواب .

« إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون » .

هذا حديث عن الكفرة الباقين المصرين على الكفر بعد حديث الذين أهلكوا ولم تقل الآية إنهم شر الناس أو شر الآدميين . وإنما قالت شر الدواب كأنهم ليسوا من جنس الآدميين ، وأيضا ليسوا من عامة الدواب بل هم من شرارها ، كما قال تعالى :

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

سورة الفرقان

والمراد بالذين كفروا الذين أصروا على الكفر ورسخوا فيه . فهم لهذه الصفة لا يؤمنون أصلًا فلا تشق على نفسك فى دعوتهم ولا تذهب نفسك عليهم حسرات .

﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ ﴾

هذا بدل من الذين كفروا ، وهم لإصرارهم على الكفر لا يوفون بالعهود ، وهؤلاء هم بنو قريظة من خونة اليهود ، عاهدهم رسول الله ﷺ أول ما هاجر ألّا يمالئوا عليه أى لا يعينوا عليه عدوا ، ولكنهم ما لبثوا أن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، فمالؤا مشركى مكة وأمدوهم بالسلاح . ثم قالوا نسينا وأخطأنا ، ولم يؤاخذهم نبى الرحمة ﷺ ولم يثبتوا على عهدهم ، بل انضموا ثانيا إلى القرشيين . وذهب كعب بن الأشرف إلى مكة فعقد معهم حلفا على أن يكونوا معهم على المسلمين ، فهم هكذا ينقضون العهود ولا يوفون – ولذا تقول الآية : « ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » أى لا تصل التقوى إلى قلوبهم ، ولا يخشون عاقبة غدرهم ولا معرته عليهم ، والتقوى من الوقاية ، فكأنهم لا يعنيهم أن يحفظوا أنفسهم لا من عقاب الله ولا من سوء المقالة عليهم . هؤلاء حقاهم شر الدواب ، قال الزمخشرى : شر الناس الكفار ، وشر الكفار المصرون منهم على الكفر ، وشر المصرين على الكفر الناكثون للعهود – وجملة الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا ! وعطف بيان ، ونكث العهد نقضه كما ينكث الحبل فيحل إلى قطع وأجزاء لا تصلح أن يربط بها شىء، فهؤلاء لم يبقوا على عهد عاهدوه . ومعنى عاهدت منهم أخذت العهد منهم ، فالمراد بهم إذن يهود المدينة ، وقيل : إن منهم للتبعيض أى : عاهدت بعضا منهم ، فالحديث إذن عن اليهود عامة .

وعن سعيد بن جبير أن الآية نزلت فى ستة رهط منهم ، ولعله يعنى كبارهم وأشرافهم الذين تولوا إبرام العهد مع رسول الله ﷺ

﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧ ﴾

أى : إذا ظفرت بهم فى الحرب ، فافعل بهم ذلك ، والثقف يطلق على المصادفة وعلى الظفر ، وكلاهما يصلح فى هذا المقام . وفى مفردات الراغب : الثقف : الحذق فى إدراك الشيء وفعله .. ثم يتجوز به فيستعمل فى الادراك وإن لم تكن معه ثقافة ، وقيل : هو يدل على إدراكهم مع التمكن منهم والظهور عليهم ، ومعنى فشرد بهم من خلفهم: نكل بهم تنكيلًا يخيف من وراءهم من الكفرة الأعداء ، فتقتيل هؤلاء الذين نقضوا العهود وأعانوا الأعداء على المسلمين يخيف الآخرين الذين يتربصون للسطو على المسلمين من أهل مكة وغيرهم . فالتنكيل بهم مما يتعظ به من سواهم .

وقيل : إن معنى شرد بهم سَمِّعْ بهم ، ومنه قول الشاعر :

أطوّف بالأباطح كل يوم مخافة أن يشرد بى حكيم

أى يسمع بى .

وقرأ ابن مسعود والأعمش . شرذ بهم – بالذال المعجمة ، فقيل هى بمعنى التنكيل ، ويكون المعنى إذا ظفرت بهم فنكل بهم تنكيلا يخيف غيرهم .

قال الزمخشرى ، هى بمعنى فرق ، وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه

الشذر الملتقط من المعادن لتفرقه . وأنكر بعض النحويين وجود « شرذ » فى اللغة العربية ، ولا يعنينا أن تذهب وراء القراءات العديدة والأعاريب ويكفينا ما يتضح به المعنى المناسب .

وأما جملة : « لعلهم يَذَّكرون » فهى تعنى لعل من خلف هؤلاء الناكثين من الأعداء يتعظون ويعتبرون فلا يجرءُون على الإقدام على حرب المسلمين ، ولا يجرؤ من يعقد منهم عهدا على نقضه .

والآية على أى حال تشير إلى أن حربا ستكون ، وهى إرشاد لما ينبغى أن يعمل مع ناقضى العهود والمتجرئين على الحرب ، فهؤلاء لا يعاملون بالرفق والتسامح بل يؤخذون بالقسوة والشدة لينزجر من وراءهم .

والإسلام بوجه عام لا يميل إلى الحرب ولا يؤيدها إلا للأسباب الحاملة عليها . والسلم يجب أن يكون مسلحا دائما مستعدا لدفع العدوان عليه ، حاملا سيفه كلما سمع هيعة طار إليها ، ودعا النبى ﷺ ربه أن يجعل رزقه تحت ظل سيفه ، لأن الظلم من شيم النفوس .

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه
يهدم . ومن لا يظلم الناس يظلم

وهذا مغزى الجهاد فى الإسلام . ومن خطب رسول الله ﷺ .

« يأيها الناس ، لا تمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف » ومن دعائه ﷺ :

« اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب ، وهازم الأحزاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » .. ودعاؤه يوم بدر يوضح مدى إشفاقه على الدعوة الإسلامية ثم نجده بعد الحرب وهزيمة أعدائه يشير إلى البيت :

نفلق هاما من رجال أعزة
علينا . وهم كانوا أعق وأظلما

فهو يعلن أنهم هم الذين بدأوا وسعوا لحربه

ومن تمام التوجيه والإرشاد فى مواقف الحرب قول الله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين .

والخوف هنا مستعار للعلم ، والمعنى إذا رأيت قوما ممن بينك وبينهم عهد يستشرفون لنقض العهد والخيانة ، فانبذ إليهم عهدهم واطرحه إليهم ثم حاربهم بعد ذلك . ولا تحاربهم وهم يتوهمون أنهم باقون على عهدهم فيكون ذلك من الخيانة ، أو هم رغم ما يبدر منهم يتخذونه وسيلة للطعن والتشهير بالمسلمين .

والآية بيان لما ينبغى أن يعمل مع المشرفين على نقض العهود ، والذين يتسترون بمظاهر النفاق ، وبينت الآية السابقة حكم ناقضى العهد والمتلاعبين بالمواثيق .

و« انبذ » تعنى اطرح وتتضمن مفعولا محذوفا ، أى ارم إليهم عهدهم ، وأعلمهم بأنهم ليسوا أوفياء فلا عهد لهم ، فيكونون على علم بالحرب ، والخيانة ليست من شيم المسلمين ولا من مبادىء الإسلام .

وكلمة « على سواء » إما بمعنى على طريق مستقيم واضح ، وإما بمعنى على استواء بينك وبينهم ، أى العهد منقوض من قبلك كما هو منقوض من قبلهم ، إن الله لا يحب الخائنين .. وطرح العهد أبعد من الخيانة ، وأوضح فى إعلان الحرب .

تصحيح

تبينت إدارة التحرير ـ آسفة ـ أن ترجمة النص الإنجليزى الذى نشر بعدد جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ ص (٨٤٥) وقعت فيه استنتاجات المترجم التى استوحاها من النص داخل الترجمة .

وهى استنتاجات ـ وإن كانت صحيحة إجمالا ـ فقد كان ينبغى إلحاقها بالترجمة كدراسة عنها ، وليس كجزء منها ، وزاد الأمر لبسا فَقْدُ الكلمة لعلامات الترقيم .

ولما كانت الأمانة تدعونا إلى إعادة نص الترجمة الصحيحة أوردناها فيما يلى :

أوروبا عام ٢٠٠٠ : حروب جديدة ومخاطر جديدة

قد تكون قمة باريس بداية لعهد جديد فى الشئون الأوروبية ، لكن ليس هناك من يعلم الشكل المحدد الذى سيكون عليه هذا العهد . فالقارة يمكن أن تبدو فى عام (٢٠٠٠) مختلفة اختلافاً جذرياً عما هى عليه الآن . وقد تتكون أمم جديدة ، وقد يعاد رسم بعض الحدود . وستتدهور روابط قديمة ، وتقوى أخرى جديدة . وستندمج أقاليم مع أقاليم لتتكون مراكز محورية جديدة للنشاط الاقتصادى والثقافى . وقد يكون بعض هذه التغيرات عنيفاً ، ويمكن أن يطلق الصراع والكرب الاقتصادى العنان لموجات عارمة من الهجرة . لكن هذه الأزمات يمكن ، بدورها ، أن ترغم الحكومات على أن تتعاون . فعندما **تبدأ الكيانات السياسية الجديدة استيعاب الجغرافيا العرقية لأوروبا ، تصبح الأمم أكثر استقراراً ـ إذا سمح لها بالسير على الدروب التى تختارها شعوبها ، وإذا قدم الغرب التولية المناسبة من المساعدة المالية والإرشاد السياسى** . ومن الأماكن التى ستتجه إليها الأنظار :

يوغوسلافيا : يمكن أن تندلع الحرب الأهلية فى يوغوسلافيا فى أى وقت ، فالثُّمْنُ من جمهورية الصرب ، أكبر الجمهوريات الستة التى تتكون منها يوغوسلافيا ، واقع الآن ضمن إقليم كوسوفو الذى يسيطر عليه الألبانيون هؤلاء الذين يشكلون جماعة عرقية ويريدون الاستقلال عن بلجراد . كما أن العداوة مشتعلة بين الصربيين والكرواتيين . ومن المحتمل أن تطالب سلوفانيا فى العام المقبل بالسيادة الكاملة ، وتدعو إلى أن تتحول يوغوسلافيا إلى اتحاد كونفدرالى من جمهوريات مستقلة ؛ وإذا رفضت الحكومة المركزية فإن سلوفانيا قد تنفصل عن يوغوسلافيا ، وسوف يشكل ذلك ضغطاً على كرواتيا كى تترك الاتحاد الفيدرالى اليوغوسلافى .

القرآن الكريم والبحر

أ.د. محمد محمد زيتون(*)

- ١ -

فى البداية نحدد المقصود من القــرآن ، والبحر ، واليم .

فالقرآن : كلام الله المنزل على رسوله محمد ﷺ المكتوب فى المصاحف ، المتعبد بتلاوته ، وعنه يقول التنزيل العزيز : « فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ »(١) أى قراءته .

والبحر : من الماء : الواسع الكثير ، ويغلب فى الملح ، ومن الرجال : الواسع المعروف والواسع العلم ، ومن الخيل : الواسع الجرى ، الشديد العدو .

ويجمع على أبحر وبحور وبحار .

والبَحْرَة من الأرض : الواسعة والمنخفضة ، ومستنقع الماء ، والقرية على نهر ، والروضة المتسعة : وتجمع على بحار ، وبِحَر ، والبحرية : عدة الدولة فى البحر من سفن وغواصات وطائرات وجنود ونحو ذلك(٢) .

واليم : البحر ، والحَمَامُ الوحشى . يجمع على يُمومٍ(٣) .

وقد ورد ذكر البحر فى القرآن الكريم فى (واحد وأربعين) موضعاً بلفظ (البحر) وفى ثمانية مواضع بلفظ (اليم) فيصير عدد آياته ٤٩ آية . وذكرت هذه الآيات فى خمس وعشرين سورة من القرآن الكريم بلفظ (البحر) وفى أربع سور بلفظ (اليم) فيصير عدد سور القرآن المشتملة على هذه الآيات (٢٩) سورة .

وهذا العدد الكثير من الآيات ، وعدد السور التى ذكر فيها البحر واليم تعادل ربع سور القرآن الكريم تقريباً بما يبين مدى الأهمية الكبيرة التى يوجهها الإسلام وكتابه المكنون ـ القرآن

(*) الباحث : رئيس قسم التاريخ والحضارة ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ القاهرة . قدم هذا البحث إلى « ندوة اتحاد المؤرخين العرب » ـ محور « الحضارة الإسلامية وعالم البحار » عقدت الندوة بمقر الاتحاد بمدينة نصر ـ القاهرة ـ فى نوفمبر ١٩٩٣ .

(١) سورة القيامة آية ١٨ ، ١٩ .

(٢) المعجم الوسيط جـ٢ ص ٧٢٢ .

(٣) المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٠ .

الكريم ـ إلى البحر وأهميته ، وتوجيه أنظار المسلمين إلى الاهتمام والاستفادة منه ، واستقصاء كل ما يتعلق به من أمور تفيد المسلمين والإنسانية فى نمو الحياة وازدهارها وتقدمها وإدراك أسرارها التى تدل على موجدها ومانحها ـ سبحانه وتعالى .

ويتجلى ذلك الاهتمام عندما تمعن النظر فى الآيات الكثيرة ، والمجالات المتعددة التى تتحدث عنها ، والتى تدفع المسلمين إلى استقصائها ، والبحث عنها ، حيث نجد تلك المجالات تتمثل فى أمور قد يبدو من عرض بعضها أنها خاصة ، ولكن الهدف منها عام وشامل لكل زمان ومكان بما يفيد الإنسانية على المدى الطويل .

وسوف أحاول ـ جاهداً ـ فى هذا البحث تحديد الأطر التى وردت متعلقة بالبحر ، ثم أذكر الآيات التى تتعلق بكل موضوع ، وأحاول بيانها وشرح الهدف منها ، وذلك على النحو التالى :

(أ) آيات تتحدث عن البحر اقتصاديا .

(ب) آيات تتحدث عن استكشاف أسرار البحر وما فيه بما يفيد الإنسان ، وتوجيهه إلى البحث فى علم الفلك وغيره من العلوم المختلفة (كالصيد واستخراج اللؤلؤ ..وغيره) .

(جـ) آيات تذكر البحر بالنسبة لنبى الله موسى (عليه السلام) وأم موسى ، وبنى إسرائيل ، وفرعون وأهل مصر ، فهى تبين أحداثاً تاريخية .

(د) آيات وعظية سلوكية تربوية ، توجه الإنسان إلى توثيق صلته بالله ـ تعالى ـ ، وتشير إلى نعم الله على الإنسان وتكريمه .

وسوف أتتبع هذه الموضوعات مع الآيات القرآنية الواردة بشأنها قدر ـ الطاقة والجهد ـ بما يدل على اهتمام القرآن الكريم بتوجيه قارئه إلى البحر وأهميته :

(أ) الآيات التى تتحدث عن البحر اقتصاديا ، وهى تسع آيات :

١ ـ فى سورة البقرة (آية ١٦٤) يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾

فهو هنا وسيلة مواصلات ـ أى وسيلة للنقل البحرى ـ سواء لنقل الإنسان أو التجارة أو غيرها . وتوجيه إلى إدراك فائدة الأسطول ـ سواء كان أسطولًا حربياً أو تجارياً ـ يستخدم فيما يعود على الإنسان بالنفع ، والنفع هنا عام يتوجه إلى أى نفع يعود على الإنسان بالخير . يقول القرطبى : وهذه الآية دليل على ركوب البحر مطلقاً لتجارة كان أو عبادة كالحج والجهاد ، وفى حديث أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان أنها قالت : « نام رسول الله ﷺ قريبا منى ، ثم استيقظ يبتسم ، فقلت : يارسول الله ماأضحكك ؟ قال : « ناس من أمتى عرضوا على يركبون ظهر هذا البحر كالملوك على الأسرة » قالت : فادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : فدعا لها ثم نام الثانية ففعل مثلها ، ثم قالت مثل قولها ، فأجابها مثل جوابه الأول قالت : فادع الله أن يجعلنى منهم ، قال : فأنت من الأولين » .

قال فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازية أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ فلما انصرفوا من غزاتهم قافلين ، فنزلوا الشام ، فَقَرِّبت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت(٤) .

وهذا دليل واضح ـ كما يرى الإمام القرطبى ـ على ركوب البحر فى الجهاد للرجال والنساء(٥) .

ويرى ـ أيضاً ـ فى قوله تعالى :

﴿بما ينفع الناس﴾ ،

أى بالتجارات وسائر المآرب التى تصلح بها أحوالهم ، فبركوب البحر تكتسب الأرباح ، وينتفع من يحمل إليه المتاع أيضاً .

٢ ـ وفى سورة المائدة آية ٩٦ يقول الله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾

وفيها يوجه القرآن الإنسان إلى الصيد واتخاذه مورداً للغذاء والتمتع به ، يقول الألوسى : « أحِلَّ للمحرمين ما يصاد فى الماء بحراً أو نهراً أو غديراً ، وهو مايكون توالده ومثواه فى الماء مأكولا أو غيره(٦) ، ويعلق أحد المفسرين على ذلك بأن حيوان البحر حلال صيده وحلال أكله ؛ لأنه ليس فيه الحساسية والإدراك كما فى حيوان البر بوجه عام ، وقصد بتحريم الصيد البرى فى الإحرام تأمين الطير والحيوان فى البر إلى جانب تهذيب حس المحرم ، وإشعاره بقرابة الأحياء وحرية أرواحها فى جميع الصور والأشكال .

وصيد البر ليس قتله وحده حراماً على المحرم ، ولكن تناوله كذلك طعاماً محرم عليه .

٣ ـ وفى سورة إبراهيم آية ٣٢ يقول الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾﴾

فالله يمتن على عباده بتسخير الفلك فى البحر كوسيلة للمواصلات . يقول ابن كثير : جعلها طافية على تيار ماء البحر تجرى عليه بأمر الله تعالى ، وسخر البحر لحملها ليقطع المسافرون بها المسافات من إقليم إلى إقليم آخر لجلب المنافع من هنا إلى هناك ، ومن هناك إلى هنا ، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقاً للعباد من شرب وسقى وغير ذلك من أنواع المنافع(٧) ، ويقول الطبرى : سخر لكم الفلك وهى السفن فى البحر تركبونها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد ، وسخر لكم الأنهار ، أى : ماؤها شراب لكم(٨) .

٤ ـ وفى سورة النحل آية ١٤ يقول الله تعالى :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ

(٤) سنن ابن ماجه م ٢ حديث رقم ٢٧٧٦ ص ٩٢٧ .

(٥) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ ١ صفحات ٥٧٥ ، ٥٧٦ ط دار الريان للتراث .

(٦) الألوسى روح المعانى جـ ٧ ص ٣٠ .

(٧) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٥١٩ .

(٨) الطبرى وجامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٣ ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦ » .

وفيها يوجه القرآن الإنسان إلى خيرات البحر المأكولة الشهية ، ومافيه من حلى يتجمل بها الإنسان .

ثم أشار إلى اتخاذ الفلك وسيلة للمواصلات وحث الإنسان على البحث عن خيرات الله وفضله الذى أودعه فى البحر ، لعل ذلك يحمله على شكر نعم الله الكثيرة .

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يخبر عن تسخير البحر المتلاطم الأمواج ، ويمن على عباده بتذليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه ، وجعله السمك والحيتان فيه ، وإحلاله ـ لعباده ـ لحمها : حيها وميتها فى الحل والإحرام ، وما يخلقه فيها من اللآلىء والجواهر النفيسة ، وتسهيله للعباد استخراجها من قراره حلية يلبسونها ، وتسخيره البحر لحمل السفن التى تمخره أى تشقه بجؤجئها وهو صدرها المسنم ، وهو الذى أرشد العباد إلى صنعتها وهداهم إلى ذلك إرثا عن أبيهم نوح ـ عليه السلام ـ فإنه أول من ركب السفن وعلمه صنعتها ، ثم أخذها الناس عنه قرناً بعد قرن وجيلًا بعد جيل يسيرون من قطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم لجلب ما هنا إلى هناك وما هناك إلى هنا ، ولهذا قال : « ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » أى : نعمه وإحسانه (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلًا لعلكم تهتدون) أى جعل فيها أنهاراً تجرى من مكان إلى مكان آخر رزقاً للعباد ، تنبع فى موضع وهى رزق لأهل موضع آخر ، فتقطع البقاع والبرارى والقفار ويخترق الجبال والآكام ، فيصل إلى البلد الذى سخر لأهله وهى سائرة فى الأرض يمنة ويسرة وجنوباً وشمالًا وشرقاً وغرباً ما بين صغار وكبار وأودية تجرى حيناً وتنقطع حيناً ، وما بين نبع وجمع وقوى السير وبُطْئه ، بحسب ما أراد وقدر وسخر ويسر ، فلا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، وكذلك جعل فيها سبلًا أى : طرقاً يسلك فيها من بلاد إلى بلاد ، حتى إنه ـ تعالى ـ ليجعلها تقطع الجبل حتى يكون ما بينهما ممراً ومسلكاً قال تعالى : « وجعلنا فيها فجاجاً سبلًا » وقوله : « وعلامات » أى دلائل من جبال كبار إلى آكام صغار ، ونحو ذلك يستدل بها المسافرون إذا ضلوا الطرق . وقوله (وبالنجم هم يهتدون) أى فى ظلام الليل(٩) .

ويقول القرطبى : إن تسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه ، وتذليله بالركوب والأرقاء وغيره .

وهذه نعمة من نعم الله تعالى علينا فلو شاء سلطه علينا وأغرقنا ، ثم يبين أن اللحوم ثلاثة:لحم ذوات الأربع ، ولحم ذوات الريش ، ولحم ذوات الماء ، ثم يبين أن معنى (تستخرجوا منه حلية تلبسونها) ، هى : اللؤلؤ والمرجان لقوله تعالى : « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان »(١٠) ، وأن معنى

(٩) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٥٦٤ .

(١٠) سورة الرحمن آية ٢٢ .

« وترى الفلك مواخر فيه » أى : جوارى تذهب وتجيء مقبلة ومدبرة بريح واحدة ، والمخر : الجرى مع صوت ؛ لأنها تشق الماء عن يمين وشمال ، ولتبتغوا من فضله : أى لتركبوه للتجارة وطلب الحج[١١] .

٥ ـ وفى سورة الكهف آية ٧٩ يقول الله تعالى :

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

حيث نجد القرآن يوجه الناس إلى أن البحر مجال من مجالات العمل ، ويذكر قصة السفينة والمساكين والملك والخضر وموسى عليهما السلام . وأن الملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً[١٢] .

٦ ـ وفى سورة الحج آية ٦٥ يقول الله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ » .

يوجه القران الناس إلى أن الفلك تجرى فى البحر حسب قانون وضعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأن على الإنسان إدراك هذه القوانين ، وهناك السفن الصغيرة والكبيرة العملاقة التى تسير حسب القانون الذى وضعه الله ؛ فالسفن تجرى فى البحر بقدرة الله وتذليله إياها[١٣] حسب القانون الذى وضعه لها .

٧ ـ وفى سورة الجاثية آية ١٢ يقول الله تعالى :

« ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

حيث يوجه القرآن الإنسان إلى نعمة البحر وأن الفلك تجرى فيه حيث يستطيع الإنسان أن يجد ما يعود عليه بالخير يقول الطبرى : إن الله سخر البحر لتجرى السفن فيه بأمره لمعايشكم وتصرفكم فى البلاد لطلب فضله فيها ، ولتشكروا ربكم فتعبدون وتطيعون[١٤] .

٨ ـ وفى سورة الرحمن آية ٢٤ يقول الله تعالى :

« وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ »

يوجه القرآن الإنسان إلى إمكان كبر وضخامة السفن حتى تكون كالجبال ، والمنشآت الظاهرات السير تقبلن وتدبرن ، وقال مجاهد : المنشآت ما رفع قلعه من السفن ، وإذا لم يرفع قلعه فليس بمنشأة ، والأعلام الجبال ، شبه السفن بالجبال وهذا من إعجاز القرآن حيث شبه السفن بالجبال ، والسفن العملاقة التى توصل الإنسان إلى بنائها الآن تشبه الجبال فسبحان الله العظيم .

٩ ـ وفى سورة فاطر آية ١٢ يقول الله تعالى :

وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ

(١١) القرطبى الجامع لأحكام القرآن جـ ١٠ ص ٨٥ .
(١٢) الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ٣ ص ١٦ .
(١٣) المرجع جـ ١٦ ص ٢ .
(١٤) المرجع جـ ٢٥ ص ٧٨ .

حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

يذكر القران البحرين الملح والعذب ، وصيد السمك من كل منهما ، واستخراج الحلية والزينة التى تلبس وهى اللؤلؤ والمرجان من البحر الملح ، وقيل : منهما ، ثم يشير إلى المواصلات المائية ، وجرى السفن فيهما بما يعود على الإنسان بالنفع والخير . يقول ابن كثير : نبه الله – تعالى – على قدرته العظيمة فى خلقه الأشياء المختلفة ، خلق البحرين العذب الزلال ، وهو : هذه الأنهار السارحة بين الناس بحسب الحاجة إليها فى الأقاليم والأمصار والعمران والبرارى القفار ، وهى عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك ، وهذا ملح أجاج أى : مر ، ومن كل تأكلون لحماً طرياً ، يعنى : السمك وتستخرجون حلية تلبسونها . يعنى : اللؤلؤ والمرجان . وترى الفلك مواخر فيه أى : تمخره وتشقه بحيزومها ، وهو : مقدمها المسنم الذى يشبه جؤجؤ الطير ، وهو : صدره . وذلك لعلكم تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم ، وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم ، وتذهبون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شىء منه ، فبقدرته قد سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعها بفضله ورحمته ، وعلى الإنسان الانتفاع بهذه النعم وأن يشكر الله عليها ، ويجد فى معرفة قوانينها ، والاستفادة منها بما يعود عليه وعلى الحياة والإنسانية بالتقدم والازدهار .

– يتبع –

قبس من أنوار النبوة

الإسلام يجبُّ ما قبله

بقلم فضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

روى الإمام أحمد بسنده عن جرير بن عبدالله البجلى : أن رجلا جاء فدخل الإسلام فكان رسول الله ﷺ يعلمه الإسلام – وهو فى مسيره – فدخل خف بعيره فى جحر[1] يربوع[2] ، فوقصه[3] بعيره فمات ، فأتى عليه رسول الله ﷺ فقال : « عَمِلَ قليلا وأُجِرَ كثيراً » مسند الإمام أحمد ٤/٤٥٧

إن الركن الأول فى بناء الإسلام هو شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وهذه الشهادة هى : حق الله – تبارك وتعالى – كما جاء فى حديث معاذ بن جبل – رضى الله عنه – فيما رواه البخارى ومسلم – فيقول : « كنت رديف النبى ﷺ فقال لى : يامعاذ ، أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟

قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشركوا به شيئاً » .

والتوحيد الخالص الذى يدخل صاحبه الجنة على ما كان من العمل يتمثل فى هذه العقيدة الإيمانية الراسخة كما قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾

فعن عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – فيما رواه البخارى ومسلم – قال : قال رسول الله ﷺ « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل » ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول : أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله » – أخرجه أحمد وغيره وصححه الحاكم .

ويقول ﷺ فيما أخرجه الترمذى « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله باب حتى تخلص إليه » .

وحتى يعرف العباد قيمة شهادة التوحيد ، نسوق – لنا جميعا – هذا الحديث الذى أخرجه النسائى وابن حبان فيما رواه أبو سعيد الخدرى – رضى الله عنه – : (قال موسى يارب علمنى ما أذكرك به وأدعوك به ، فقال : ياموسى قل : لا إله إلا الله ، قال موسى عليه السلام : يارب كل عبادك يقولون هذا . قال : قل : لا إله إلا الله . قال : لا إله إلا أنت . إنما أريد شيئا تخصنى به . قال : يا موسى لو أن السموات السبع ... والأراضين السبع فى كفة ، و » لا إله إلا الله » فى كفة ، لمالت بهن « لا إله إلا الله ») وإنما كان ذلك لأن « لا إله إلا الله » رأس الأمر ، وكل ما يتعلق بالعقيدة يندرج فيها . وأن كل من نطق بها لا يجوز التعرض له ولو كان فى حال القتال .

روى أن أسامة بن زيد – حب رسول الله ﷺ

(١) الجحر : كل شىء تحفره الهوام فى الأرض .
(٢) اليربوع : نوع من الفأر .
(٣) الوقص : كسر العنق .

وابن حب رسول الله ـ ﷺ ـ كان أميراً على إحدى السرايا التى خرجت للقاء المشركين ـ الذين يناوئون الإسلام والمسلمين ـ وأحرز نصراً أدخل الفرح والسرور على رسول الله ﷺ ، ولنستمع لأسامة يروى لنا بقية النبأ ـ كما جاء فى كتاب « رجال حول الرسول »(٤) قال أسامة ـ رضى الله عنه :

« .. فأتيت النبى ﷺ وقد أتاه البشير بالفتح ، وإذا هو متهلل وجهه .. فأدنانى منه ، ثم قال : حدثنى .. فجعلت أحدثه .. وذكرت له أنه لما انهزم القوم أدركت رجلا وأهويت إليه بالرمح ، فقال : لا إله إلا الله ، فطعنته ، فقتلته .

فتغير وجه رسول الله ﷺ وقال : « ويحك يأسامة ! فكيف لك بلا إله إلا الله ؟ فلم يزل يرددها على حتى لوددت أنى انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الإسلام من جديد .. فلا والله لا أقاتل أحداً قال : لا إله إلا الله بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ » .

وعندما أراد أسامة ـ رضى الله عنه ـ أن يدافع عما فعل قال : يارسول الله إنما قال لا إله إلا الله حين أيقن أنى مُنْتَصِرٌ عليه . قال له النبىّ ﷺ : « هل شققت عن قلبه » .

حتى ولو قالها بلسانه يتقى بها الموت .

فكيف بمن هو مؤمن حقاً ، ومسلم حقاً .

ولقد طلب رسول الله ﷺ من عمه أبى طالب أن ينطق بالشهادة حتى يحاجّ له بها يوم القيامة ، فإن الإسلام يجبُّ ما قبله .

وفى حديثنا الذى ابتدأنا به رواية للبخارى عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ قال : أتى النبى ﷺ رجل مقنع بالحديد فقال : يارسول الله : أقاتل أو أسلم ؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ أسلم ثم قاتل ؛ ثم قاتل ، فقتل ، فقال رسول الله ﷺ عمل قليلاً وأجر كثيراً . وفى رواية مسلم : عمل يسيراً وأجر كثيراً .

وأخرج ابن اسحاق فى المغازى ـ بإسناد صحيح ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه كان يقول : أخبرونى عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة ، ثم يقول : هو عمرو بن ثابت بن وَقْش .

وقال الحافظ ابن حجر : لم أعرف هذا الرجل ـ لكنه أنصارى . أو سبى من بنى النبيت .

وحديثنا نأخذ منه : أن النبى ﷺ بشَّرنا بأن هذا الرجل الذى وقع من فوق ناقته فدقت عنقه . بعد أن نطق بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، مخلصاً من قلبه عازماً على تحقيق ما تتطلبه . فكان من أهل الجنة .

وأجر كثيراً : لأن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

جاء فى الصحيحين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قَتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذى تقوله وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ؛ فنزل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ (الفرقان

فإن عاش بعد دخوله فى هذا الدين فهو مطالب بأداء أركان الإسلام ، والتمسك بكل أحكامه وآدابه .

(٤) الأستاذ خالد محمد خالد .

أسرار وأنوار

من آيتى الإسراء والمعراج

بقلم الشيخ : معوض عوض ابراهيم

إن دلالات آيتى الاسراء والمعراج بين آيات صنيع الله تعالى بحبيبه ومصطفاه محمد ﷺ جليلة القدر ، عظيمة الشأن ، موصولة التوكيد لحقيقة رعاية الله وعنايته بالذين يلتزمون أمره ، ويعطون كلماته من اهتمامهم بها ، وتقديمهم لها على كل ما سواها من هدايات وتوجيه ماهى أهله .

والإسراء الذى قارب الله فيه بين جوانب الارض بدءا من المسجد الحرام بمكة وانتهاء بالمسجد الاقصى فى الارض المقدسة من بلاد الشام ، وفى الميقات الزمانى اليسير الذى تفيده كلمة « ليلا » بما يعنيه إفرادهاوتنكيرها وتنوينها فقد اتسع مع كل ذلك للإسراء والمعراج جميعا يقدر ما اتسعت آية صدر سورة الإسراء لكل ما ذكرت من أمر الحدث الكبير والغاية التى أرادها السميع البصير منه فى حيز لا يشغل من مصحفك غير سطرين اثنين حيث يقول تعالى :

سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير .

هذه الآية نص صريح فى إيجاب الإيمان بآية الإسراء التى لو أتت وحدها مجرد خبر عن الله فى كتابه أو فى كلام نبيه ﷺ لأوجبت التصديق كيف وقد بدأ الله ذلك الخبر بلفظ « سبحان » الذى يغلف معانى الكمال والقدرة على إمضاء ما اخبر به واراده لحكم وغايات قدرها « السميع البصير » .

وجلت حكمة الله فى سوق الحدث الكبير الذى طوى له أكناف الأرض ، وأقدم فيه ملائكته لمصطفاه وأركبه البراق على ما يلحظ فى اسمه من سرعة البرق واتصاف هذه الدابة بما صح

فى السنة المطهرة من أمرها بأكثر مما أورد ابن كثير فى « البداية والنهاية » ص ١٣١ عن ابن اسحق من رواية قتادة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ لما أراد ركـــوب البراق شمس به(١) فوضع جبريل يده على معرفته(٢) ثم قال « ألا تستحى يا براق مما تصنع ؟؟! فوا الله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه » قال : فاستحى حتى أرفض عرقا(٣) ثم قر حتى ركبته » ويا عجبا للبراق يندى جبينه ويُسْلِسُ للحق قياده ، وكثيرون يمارون فى محمد ورسالته ، وهما آبين من فلق الصبح ، وأنفع للناس والحياة من الغيث الذى ينزله الله من السماء ماء مباركا .

ولا تنتهى أعاجيب الإسراء الذى عرضه القرآن مرة واحدة فى السورة التى تحمل اسمه ولم يتكرر ذكره بإيجاز او تفصيل الا بما قال الله تعالى « وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ » الإسراء/٦٠ وهى اشارة تؤكد أن الاسراء كان رؤيا عين ، ولم يكن كما يثرثر بعض الفارغين شيئا رآه فى نومه ﷺ قال الإمام القرطبى فى تفسيره « وفى البخارى والترمذى عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا .. الآية قال : هى رؤيا عين أُرِيَها النبى ﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس » ح ١ ص ٢٨٢ « الجامع لأحكام القرآن » طبعة دار الكتب المصرية .

وكان ابن عطية الأندلسى قد روى عن ابن اسحاق أن الصديق ـ رضى الله عنه ـ قيل له صبيحة الإسراء، إن صاحبك يزعم أنه جاء البارحة بيت المقدس وانصرف منه ، فقال : إن كان قال ذلك فقد صدق ، قيل له أتصدقه قبل أن تسمع منه؟ فقال أين عقولكم؟ أنا أصدقه بخبر السماء ، فكيف لا أصدقه بخبر بيت المقدس والسماء أبعد منه بكثير ؟!

والحسن ـ رضى الله عنه ـ يروى ذلك بعد إيراد قول ابن اسحق كان من الحديث ما بلغنى عن مسراه ﷺ عن عبد الله بن مسعود وعائشة ومعاوية بن أبى سفيان والحسن بن أبى الحسن وابن شهاب الزهرى وقتادة وغيرهم من أهل العلم ، وأم هانىء بنت أبى طالب اجتمع فى هذا الحديث كل يحدث عن بعض ما ذكر من أمره حين أسرى به ـ ﷺ ـ .

والعلامة الألوسى يقول فى «روح البيان» ح ٨ ص ١٠٥ طبعة « دار الفكر » والمراد بالرؤيا ما عاينه ـ ﷺ ـ ليلة أسرى به من العجائب السماوية والأرضية كما أخرجه البخارى والترمذى والنسائى حتى قرر ـ رحمه الله ـ أن الصحيح فى « الرؤيا » إنها كانت يقظة وقال مبالغة فيما ردته الآية من زعم « المنامية » قالوا « « إن التعبير بها أى بالرؤيا على ما فيها من معنى التشريك » إن التعبير بها إما مشاكلته لتسميتهم له رؤيا أو جار على زعمهم كتسمية الأصنام آلهة ، فقد روى أن بعضهم قال له ـ ﷺ ـ لما قص عليهم الإسراء : لعله شىء رأيته فى نومك ، أو على التشبيه بالرؤيا لما فيها من العجائب ، أو لوقوعها ليلا ، أو لسرعتها .. أى وما جعلنا الرؤيا التى أريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة وأية آية وقد أقمت البرهان على صحتها إلا فتنة أفتتن الناس بها ، قال حتى ارتد بعض من أسلم منهم ، ذكر هذه الردة القليلة ابن جرير رحمه الله وإنها مع ذلك

---

(١) شمس به : نفر ولم يثبت به .

(٢) معرفته : برقبته ومنبت العرف فيها .

(٣) ارفضَّ عرقاً : جرى عرقه وسال « ابن الأثير جـ ٢٢ ص ٣٢ من النهاية » بتصرف .

كانت للمخلصين زيادة إيمان بعد أن تهتد السبيل لكل ما قال المفسرون وذكر القول الرابع الذى رجح بكل ما قيل غير أنها رؤيا اليقظة ليلة الإسراء والمعراج بتصرف من ح ٢٠ ص ٢٢٨ تفسير الراوى طبعة دار الفكر .

ورحم الله الشيخ محمد الأمين الشنقيطى فقد قال فى كتابه «أضواء البيان» «ح ٣ ص ٥٤٨» والتحقيق فى معنى «وما جعلنا الرؤيا ..» الآية الكريمة ، إن الله تعالى جعل ما أراه نبيه ﷺ من الغرائب والعجائب ليلة الإسراء والمعراج فتنة للناس لأن عقول بعضهم ضاقت عن قبول ذلك ، معتقدة أنه لا يمكن أن يكون حقا ، قالوا : كيف يصلى ببيت المقدس ، ويخترق السبع الطباق ويرى ما رآى فى ليلة واحدة ويصبح فى محله بمكة ؟

ثم قال رحمه الله « وأشار فى موضع آخر الى الرؤيا التى جعلها فتنة للناس وهى قوله تعالى ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ١٨﴾

والايات متممة لآيات ١ ـــ ١١ من صدر سورة النجم إلماح وإشارة لآية المعراج التى تصنع وأختها «الإسراء» من أجل الآيات والوقائع التى تشهد بفضل الله ورعايته لمصطفاه صلوات الله عليه ، على نحو لم يتح لسواه من رسل الله وأنبيائه الأكرمين وتقدم للمسلمين هبة الصلاة وتوجب افتداء بيت المقدس بكل مرتخص وغال ..

وحديث الإسراء والمعراج من القرآن الكريم والسنة المطهرة قد سار فى الناس مسير الشمس بعد ورود الإسراء نصا كما عرفت .

وما يستريب فى أمر المعراج عاقل ، والإشارة إليه فى صدر سورة النجم « ويا له من اسم » وفى الآيات ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣﴾ ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ ١٧ ـ ١٨ ما يجعلنا نقول مطمئنين مع الشيخ الشنقيطى جـ٣ ص٣٥٧ .

« لقد تواترت الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ أنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وأنه عُرِج به من المسجد الأقصى حتى جاوز السموات السبع » .

ولقد أفرد الإمام البخارى لكل من الإسراء والمعراج بابا على حدة فأَوْهَمَ ذلك أن ليلة الأسراء كانت غير ليلة المعراج ، لكن صاحب الفتح حَسَم ذلك الأمر فقال : وحسبك به .. ولا دلالة فى ذلك على التغاير عنده ـ البخارى ـ بل كلامه فى أول الصلاة ظاهر فى اتحادهما وذلك أنه تَرْجِم « باب كيف فرضت الصلاة ليلة الاسراء » والصلاة إنما فرضت فى المعراج ، فدل على اتحادهما عنده ، وإنما أفرد كلاً منهما بترجمة لأن كلا منهما يشتمل على قصة مفردة وإن كانا وقعا معا » فتح البارى جـ٧ ص١٩٦ طبعة السلفية .. ولقد وجدته فى ص ١٩٨ يقول : ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسراء فى ليلة واحدة رواية ثابت عن أنس عند مسلم ، ففى أوله « أتيت بالبراق فركبته حتى أَتَيْتُ بيت المقدس » فذكر القصة إلى ان قال « ثم عُرِج بنا إلى السماء الدنيا .. الحديث . وأورد ابن حجر أحاديث أخرى صحيحة فى السياق كما أورد شواهد من قال غير ذلك ورد عليه بما فيه مقنع ..

وما أنفس ما ذكر ملخصا عن الشيخ أبى محمد عبدالله بن سعد بن أبى جمرة الأزدى « الحكمة فى الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء ، إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده ، لأنه لو

عُرِج به ﷺ من مكة إلى السماء ، لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح ، فلما ذكر النبى أنه أسْرِى به إلى بيت المقدس سألوه عن تعريفات جزيئات من بيت المقدس كانوا رأوها ،

وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك ، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة ، وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ما ذكره ، فكان ذلك زيادة فى إيمان المؤمن ، وزيادة فى شقاء الجاحد المعاند » ص ٢٠٠ – ٢٠١ .

وما أكثر الأسرار ، وأبهر الأنوار وأعظم دلالات الإسراء والمعراج حين يُلقى المسلمون السمع إلى القرآن والسنة المطهرة ، فيزدادون يقينا مما أراد الله بهما لمصطفاه ، وما أراد الله من المسلمين أن يعرفوا قدر نبيهم الــذى قدره المصطفون الأخيار فاختاروه فى ليلة التكريم الالهى إماما يَحُفُّونَه فى بيت المقدس ، ويرحبون به حيث هم فى السموات ، وترى الحياة منذ هذه الليلة إشارة قيادة جديدة ورسالة أطلع الله من أجلها نبيه على أقداس المرسلين .

ومهاجرهم جميعا إلى بيت المقدس ، كما رفعه إليه ، إلى حيث لم يرتفع ملك ولارسول ، وخلع عليه وحباه فريضة الصلاة التى يبقى بها موصولا وأمته بمولاه بالصلاة ثانية الإسلام ومعراج المؤمن ، وحيث يكون أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد . أو كما روى مسلم والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة وغيره .

ووا شوقاه لفرصة نأخذ فيها الصلاة من أسرار الإسراء والمعراج ، وندعو إليها ولاة أمرنا ومن يلينا من أهل وصحب غير مترخصين فى إيجابها والأمر بها والاصطبار على الذين يجهلون أنها على رأس وفى نهاية سُبُل الفلاح فى الدنيا ووراثة الفردوس حيث يقول الله تعالى

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المؤمنون

دراسة موضوعية في محاضرة

الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا عن الإسلام والغرب

بقلم الأستاذ / محمد محمد عتريس ابراهيم (*)

يلفت النظر ويسترعي الانتباه أن محاضرة سمو الأمير عن « الإسلام والغرب » إنما هي بحث علمي جاد ، بُذل في إعداده جهد وعرق ، واتسم بغير قليل من التجرد والموضوعية . وتمت صياغته وفق القواعد الفنية للكتابة النثرية المنضبطة .

المحاضرة مقسمة إلى فقرات ، التسلسل المنطقي والترابط الموضوعي بينها واضح ، واستخدم في بناء الفقرات « التكنيك » المعروف بالبدء بالجملة الأساس (Key Sentence) التي تحمل الفكرة الأساسية ، ويأتي باقي الفقرة شرحاً وبسطا لها ، بالاستناد إلى الحقائق التاريخية والعلمية ، واستشهاداً بالأمثلة من الواقع المعاش .

وهكذا يتداخل الشكل (Form) والمضمون (Content) في المحاضرة ، ويأتلفان في نسيج محكم (Texture) ـ وهو الشأن والحال في الأعمال الفنية الجيدة .

وتحفل المحاضرة بالتوازن الموضوعي : فالأمير لا يتبع الهوى ، ولا يجنح في تحليلاته إلى ناحية واحدة من نواحي الموضوع ؛ وإنما يبذل قصارى الجهد ليغطيه من مختلف جوانبه . فمثلا :

بدأ حديثه عن وضع المرأة في الإسلام بقوله : « يجب أن نفرق بين الإسلام وبين العادات القائمة في بعض البلدان الإسلامية » . وهذه بديهية لا يحيد عنها إلا جهول سيىء النية في استدلاله فساد ، وفي تسببيه زيغ وانحراف ، من قبيل أولئك الذين يدينون الإسلام ـ وحاشا للإسلام أن يدان ـ بجريرة بعض من ينتسبون إليه ، ممن يقوم العيب فيهم ، وليس في الإسلام .

وعندما يتحدث عن الحروب الصليبية يعرض وجهة نظر العالم المسيحي إليها على أنها سلسلة من الأعمال البطولية الجريئة . ويشفع ذلك بوجهة نظر المسلمين إليها على أنها واحدة من أحداث

(*) ألقاها سموه في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية التابع لجامعة أوكسفورد في ١٢ جمادى الأولى ١٤١٤ هـ ــ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٣ . قام بالترجمة الأستاذ محمد محمد عتريس ـ وكيل الوزارة بمجلس الشعب .

القسوة الرهيبة والفظائع الوحشية . وتحدث عن سقوط القسطنطينية فى يد السلطان محمد الثانى عام ١٤٥٣ م ، وعن حروب المسلمين فى « شبه جزيرة البلقان » وحول « فيينا » ، وما ترسب بسببها من مشاعر العداء فى نفوس الغربيين الذين قاموا باحتلال العالم العربى خلال القرن التاسع عشر : « مع سقوط الإمبراطورية العثمانية بدا وكأن انتصار أوروبا على الإسلام قد اكتمل » . وفى قوله هذا دليل على صحة ما ذهبت إليه الصفوف المسلمة التى أحزنها سقوط الخلافة العثمانية ، ودحض لأولئك الذين هللوا لسقوطها .

وعند الإشارة إلى نبينا الكريم ﷺ ، استخدم الأمير عبارة « نبى الإسلام » وهى عبارة مهذبة يتناقض معها تطاول بعض بنى الإسلام عندما يتجاوزون الحد ، ويشيرون فى كتاباتهم إلى رسولنا الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، بعبارة « النبى محمد » أو « محمد » .

ومن النقاط العامة التى أثارها الأمير أن الغرب ينظر إلى الإسلام من زاوية الحرب الأهلية فى لبنان ، وأعمال القتل وتفجير القنابل ، وما يشار إليه « بالأصولية » ـ والأمير يرفض هذه النظرة ويفندها . ونحن نضيف :

ان أهمية المعتقد الدينى بالنسبة لبنى الإنسان ، وقيام الخلافات بين أتباع الأديان المختلفة أمر معروف فى الماضى والحاضر وفى كل الأنحاء . ففى تاريخ نشأة الولايات المتحدة الأمريكية فرَّ التطهريون البروتستنت من إنجلترا إلى أمريكا ليمارسوا العبادة وفق مذهبهم بعيداً عن اضطهاد الكنيسة الإنجليزية . وعندما تولى « جون كنيدى » رئاسة الولايات المتحدة فى عام ١٩٦١ م أبرزت الصحافة العالمية الإشارة إلى أنه أول كاثوليكى يتولى رئاسة أمريكا .

وأعمال القتل العشوائى والإرهاب والتفجيرات التى تهز بريطانيا بصفة مستمرة ، يقف وراءها الجيش الجمهورى الأيرلندى الذى يريد فصل شمال أيرلندا عن بريطانيا وضمها إلى جمهورية أيرلندا . لكن « جون ميجور » رئيس وزراء بريطانيا ، يطمئن الأغلبية البروتستنتية فى شمال أيرلندا بأن لهم الحق المطلق فى رفض أى تغيير يتم بالنسبة لمقاطعتهم[1].

ويُحمد للأمير توخيه الدقة العلمية عندما وصف « الأصولية » عندنا بالإسلامية . ذلك أن الأصولية نشأت بين البروتستنت فى الولايات المتحدة فى أواخر القرن التاسع عشر ، وتمتد جذورها إلى حركة الإحياء الدينى هناك فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وقد استعار صحفيو الغرب المصطلح وصفاً لحركة الإحياء الإسلامى[2].

وينفى الأمير عن قوانين الشريعة الإسلامية أن تكون قاسية وبربرية . وفى هذا الصدد نذكر بالآية الكريمة :

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

البقرة : ١٧٩

والحياة ـ فى القصاص ـ تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء ، فالذى يوقن أنه

(١) صحيفة « فينانشال تايمز » اللندنية (٢٢ نوفمبر ١٩٩٣) .

(2) Funk and Wagnalls New Encyclopedia, Vol. 10 pp 408-409 .

سيدفع حياته ثمناً لحياة من يقتل جدير به أن يتروى وأن يتردد ـ وهذا هو « الردع » . كما أن قتل القاتل يشفى صدور أولياء الدم من الحقد والرغبة فى الثأر .

وتتحدث المحاضرة عن خيبة أمل البشرية تجاه « تكنولوجيا » الغرب ومادياته ، تلك التى لم تغن الإنسانية فتيلًا ، وإنما أضافت إلىّ معاناتها وعذاباتها : تلويثاً للبيئة ، وانتشاراً للأمراض المفزعة ، والجرائم الشاذة ، وتوسيع دائرة البطالة (بسبب إحلال الآلة محل الإنسان) وغيرها ـ لكن السذج من السطحيين عندنا ما برحوا عاكفين على الافتتان الصبيانى ببهرج « التكنولوجيا » وزينتها .

وفى لمسة وفاء وعرفان بالجميل ، يشير الأمير إلى إسهامات العالم الإسلامى فى وضع اللبنات الأولى للحضارة الأوروبية ، وفى كثير من مجالات العمل الإنسانى : « فالإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا ، ولقد ساعد على خلق أوروبا الحديثة » .

ويضع الأمير يده على علة الاضطراب والتمزق الذى تقاسيه البشرية اليوم ، وعلى سبب شقوتها وتعاستها بعد الثورة العلمية وعبادة العقل ، وذلك بسبب الابتعاد عن النظرة الإسلامية المتكاملة للكون :

« فلا فصل فى الإسلام بين الدين والعلم » .

« ولا فصل بين الروح والمادة » .

ويصف هذه النظرة الإسلامية المتكاملة للكون بأنها شىء هام يمكن أن نتعلمه من الإسلام : « فحياتنا لها بُعْدٌ غيبى مثلما أن لها بُعْداً مادياً ، ولابد أن نسترد التوازن بينهما ـ وستثبت الأيام أن غياب هذا التوازن سيؤدى إلى كوارث تنزل ببنى البشر » .

والإنسانية تتخبط بين مختلف الأنظمة التى تبتدعها ؛ فتارة تسود الأفكار الرأسمالية ، وتارة تسود الأفكار الاشتراكية ، وتارة ينادى بالانفتاح ، وأخرى بالانغلاق أو « التقييد » . بينما العمل فى النظام الإسلامى يعنى العمل بمبادىء مستقرة فى القرآن والسنة مما يقى المجتمع الأهواء والنزوات والتقلبات(٤) .

إن الإسلام يشرق فى الغرب وفى الشرق على السواء من أجل صالح البشرية وإنقاذها ، ولاملجأ من الله إلا إليه .

﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾

المجادلة : ٢١

وإنه لأمر مفرح أن تتناهى حقائق الإسلام إلى علم وقناعة رجال الدولة فى الغرب ، ومنهم صاحب السمو الملكى الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا . وقد عبر خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية ، عن إعجابه الشديد بما جاء فى هذه المحاضرة ، وقلب قواعد « البروتوكول » رأسا على عقب عندما قرر أن يقابل الأمير عند وصوله من الرياض إلى جدة ، وعقد معه محادثات مطولة . وقد علق السفير البريطانى فى السعودية على ذلك بقوله : إنه لأمر مدهش، وليست له سابقة ،.ولا أكاد أصدقه(٥) .

---

(٣) القصاص : أن يوقع على الجانى مثل ما جنى : النفس بالنفس ، والجرح بالجرح .

(٤) د. عبدالناصر العطار ، جريدة الجمهورية القاهرية (١٨ نوفمبر ١٩٩٣) .

(٥) صحيفة « فاينانشال تايمز » (٢٢ نوفمبر ١٩٩٣) .

ونورد فيما يلى مقتطفات ضافية من المحاضرة . ولتسهيل الإلمام بها ، قمنا بتقسيمها إلى أقسام بحسب ما تناولت من موضوعات ، ووضعنا لكل قسم عنوانا مناسبا يلخص موضوعه .

١ ـ معلومات عن الإسلام فى بريطانيا :

«أنشىء كرسى اللغة العربية فى جامعة كمبريدج(٦) فى القرن السابع عشر قبل إنشاء نظيره فى « جامعة أوكسفورد » بأربع سنوات كاملة .. وإنه لمما يفرحنى أن أكون راعيا لمركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية ، وأرجو أن يتضح لكم أسباب فرحتى بذلك(٧) . فالمركز لديه من الأسباب مايبشر بأنه سيكون أداة هامة ومثيرة لتنمية وتعزيز فهم الناس فى بريطانيا للعالم الإسلامى ، وهو مركز أرجو أن يحقق لنفسه مكانة ـ جنبا إلى جنب ـ مع مراكز الدراسات الإسلامية الأخرى فى أوكسفورد مثل : معهد الدراسات الشرقية ، ومركز دراسات الشرق الأوسط ، ويصبح مؤسسة تفخر بها الجامعة والعلماء ..

يوجد فى العالم بليون مسلم ، تعيش ملايين كثيرة منهم فى بلدان الكومنولث البريطانى(٨) . ومنهم عشرة ملايين أو أكثر يعيشون فى الغرب ، وحوالى المليون يعيشون فى بريطانيا . وجاليتنا الإسلامية تنمو وتزدهر منذ عشرات السنين ، ويوجد فى بريطانيا قرابة خمسمائة مسجد ـ والاهتمام الشعبى بالثقافة الإسلامية فى بريطانيا ينمو بسرعة ؛ فالإسلام فى كل مكان من حولنا .. وأذكر أنى رجوت الجنرال شوارتسكوف(٩) عندما قابلته فى الرياض فى ديسمبر ١٩٩٠ م قبل أن تبدأ حرب تحرير الكويت ، أن يبذل قصارى جهده لحماية هذه المزارات . (يقصد مزارات النجف وكربلاء)

٢ ـ سوء الفهم القائم بين العالم الإسلامى والعالم الغربى :

قد تتساءلون وبحق : لماذا أتحدث إليكم عن موضوع : الإسلام والغرب ؟

السبب هو أنى أعتقد من كل قلبى أن الروابط بين هذين العالمين تهمنا جميعا اليوم أكثر من أى وقت مضى ؛ لأن الدرجة التى وصل إليها سوء الفهم بينهما لاتزال عالية بشكل خطر ؛ ولأن حاجة الاثنين للعيش معا وللعمل معا فى عالمنا الذى يزداد اعتماد البعض فيه على البعض ، لم تكن شديدة فى أى وقت مثلما هى عليه الآن .. إننا يجب ألا ننزلق إلى عهد جديد من الخطر والانقسام ؛ لأن الحكومات والشعوب والجاليات والديانات لاتستطيع العيش بسلام فى عالم آخذ فى الانكماش .

إنه لشىء غريب وشاذ أن تظل أشكال سوء الفهم بين الإسلام والغرب قائمة ؛ لأن مايربط عالمينا معا أقوى بكثير مما يفرقه . فالمسلمون ، والمسيحيون ـ واليهود ـ هم جميعا «أهل كتاب» ، والإسلام والمسيحية يشتركان فى عقيدة

---

(٦) جامعتا أوكسفورد وكمبريدج أعرق وأقدم جامعتين فى بريطانيا .

(٧) يعنى من خلال المحاضرة ، إذ يبين منها أن هذه الشخصية الهامة تعرف حقيقة الإسلام .

(٨) رابطة حرة للدولة المستقلة التى كانت فى السابق مستعمرات ودومينيونات تابعة لبريطانيا العظمى .

(٩) قائد قوات الحلفاء فى حرب تحرير الكويت من الاحتلال العراقى .

التوحيد : الإيمان بإله واحد تقدست أسماؤه ، وبأن حياتنا الدنيا فانية ، وبأننا محاسبون على أعمالنا ، وأن هناك « آخرة » .

لقد كان تاريخنا مرتبطا بعضه ببعض ارتباطا وثيقا ، لكن فيه أيضا يكمن واحد من جذور المشكلة القائمة بيننا ؛ ذلك أن كثيرا من هذا التاريخ كان تاريخ صراع : أربعة عشر قرنا تميزت فى الأغلب بالعداء المتبادل ، وقد نشأ عن هذا تقليد دائم من الخوف وانعدام الثقة ؛ لأن عالمينا كانا فى الأغلب ينظران إلى هذا الماضى بطريقتين ، كل منهما نقيض الأخرى . فبالنسبة لتلاميذ المدارس فى الغرب جرت العادة إلى النظر إلى سنوات الحروب الصليبية التى امتدت مائتى عام على أنها سلسلة من الأعمال الجريئة البطولية المنطوية على الشهامة، حاول فيها ملوك وفرسان وأمراء ـ وأطفال ـ أوروبا انتزاع القدس من المسلمين الكفرة الأوغاد . وبالنسبة للمسلمين ، كانت الحروب الصليبية واحدة من أحداث القسوة الرهيبة والفظائع الوحشية قام بها جنود الغرب الكفرة لسلب ونهب الأموال . وربما كان أوضح مثال لها المذابح التى ارتكبها الصليبيون فى عام ١٠٩٩ م ، عندما استردوا القدس ثالثة أقدس المدن الإسلامية .

والنسبة لنا فى الغرب ، فإن سنة ١٤٩٢ م تشير إلى جهد الإنسان وإلى آفاق جديدة ، وإلى « كولمبوس » واكتشاف الأمريكتين . أما بالنسبة للمسلمين فإن عام ١٤٩٢ م كان عاما مأساويا ـ ففيه سقطت « غرناطة » فى أيدى فرديناند وإيزابلا وكان ذلك علامة على انتهاء ثمانية قرون من الحضارة الإسلامية فى أوروبا . والمهم ، فى نظرى ، ليس تحديد أى الصورتين أكثر صحة من الأخرى ، أو أيهما الصحيحة دون الأخرى ، وإنما المهم هو أن سوء الفهم ينشأ عندما تغيب عن إدراكنا الطريقة التى ينظر بها غيرنا إلى الدنيا وتاريخها ودور كل منا فيها .

وكانت النتيجة الطبيعية للطريقة التى ننظر بها نحن فى الغرب إلى تاريخنا أن اعتبرنا الإسلام تهديدا لنا ـ [أى] كان غازياً عسكرياً فى القرون الوسطى ـ وفى العصور الحديثة مصدراً للتعصب والتطرف والإرهاب . وبوسع المرء أن يتفهم كيف أدى الاستيلاء على القسطنطينية وسقوطها فى يد السلطان محمد عام ١٤٥٣ هـ والهزائم المتلاحقة للأتراك خارج فيينا فى عام ١٥٢٩م و١٦٨٣م، إلى تسرب الخوف إلى نفوس حكام أوروبا . وتاريخ دول البلقان(١٠) فى ظل الحكم العثمانى ، فيه من الأمثلة على القسوة ما ترسب فى أعماق الغربيين ـ لكن التهديد لم يكن من طرف واحد . فمع غزو نابليون لمصر فى عام ١٧٩٨ م ، وما أعقبه من غزوات وفتوحات فى القرن التاسع عشر ، تبدل الوضع ، وأصبحت كل بلدان العالم العربى تقريبا محتلة بواسطة القوى الغربية . ومع سقوط الإمبراطورية العثمانية بدا وكأن انتصار أوروبا على الإسلام قد اكتمل .. لكن موقفنا من الإسلام حتى اليوم يعانى العجز والقصور ؛ لأن الطريقة التى فهمنا بها الإسلام استبدلناها بما هو متطرف وسطحى . فكثير منا فى الغرب ينظر إلى الإسلام من زاوية الحرب الأهلية فى لبنان ، وأعمال القتل وتفجير القنابل التى

(١٠) تقع شبه جزيرة البلقان فى جنوب شرق أوروبا بين بحر إيجه والبحر الأسود فى الشرق وبحر الأدرياتيك فى الغرب .

ترتكبها الجماعات المتطرفة فى الشرق الأوسط ، وما يشار إليه عادة « بالأصولية الإسلامية » .

لقد تشوه حُكمنا على الإسلام تشوها شديدا عندما اعتبرنا التطرف هو القاعدة ـ وذلك ، أيها السيدات والسادة ، خطأ جسيم . إنه مثل الحكم على نوعية الحياة فى بريطانيا بما هو موجود فيها من قتل واغتصاب واعتداء على الأطفال وإدمان المخدرات . التطرف موجود فى كل مكان ولابد من التعامل معه ، لكن عندما يستخدم كأساس للحكم على مجتمع من المجتمعات فإنه يؤدى إلى الانحراف والإجحاف .

وكمثال على هذا ، فإن الناس فى بلدنا غالبا ما يحاجون بأن قوانين الشريعة الإسلامية قاسية وبربرية وغير عادلة .. لكن الحقيقة مختلفة طبعا ، فالمبدأ الهادى وروح القوانين المستمدة مباشرة من القرآن هى بالتأكيد مبادىء الإنصاف والرحمة والشفقة .

إننا يجب أن نفرق بين أنظمة عدالة تقام وتنفذ بأمانة ، وأخرى يتم تشويهها عند تطبيقها لأسباب سياسية ، وتتحول إلى شىء لاصلة له بالإسلام .

٣ ـ وضع المرأة فى المجتمع الإسلامى :

إننا يجب أن نفرق بين الإسلام وبين العادات القائمة فى بعض البلدان الإسلامية ، فهناك فى العالم الغربى هوى وغرض واضحان ـ ذلك هو الحكم على وضع المرأة فى المجتمع الإسلامى من خلال الحالات المتطرفة ، وأرجو أن تتذكروا أن بُلدانا إسلامية مثل تركية ومصر وسوريا أعطت المرأة حق التصويت فى نفس الوقت الذى أعطته أوروبا لنسائها ـ بل وسبقت سويسرا فى ذلك بوقت طويل . وفى تلك الدول تتمتع المرأة منذ زمن طويل بالمساواة مع الرجل فى الراتب ، وفى الفرصة لأن تلعب دورا كاملا فى مجال العمل(١١) .

وقد فرض القرآن منذ أربعة عشر قرنا حقوق المرأة المسلمة فى الملكية والميراث ، وفى نوع من الحماية إذا طُلِّقَتْ ، وفى إدارة الأعمال(١٢) ... وفى بريطانيا ، وربما فى غيرها ، كان بعض هذه الحقوق شيئا جديدا حتى بالنسبة لجيل جدتى ...

ومن الأمور التى أثارت اهتمامى أنى علمت أن عادة ارتداء « النقاب » ترجع إلى حد كبير إلى « التقاليد البيزنطية والساسانية » ، وليس إلى نبى الإسلام .. وبعض النساء المسلمات ـ وبخاصة جيل الشابات منهن ـ اخترن(١٣) مؤخرا ارتداء النقاب ، أو غطاء الرأس كتعبير شخصى عن هويتهن الإسلامية . لكن يجب علينا ألا نخلط بين الاحتشام فى الملبس كما فرضه القرآن على الرجال والنساء على السواء وبين الأشكال الخارجية

---

(١١) من الحقائق المعروفة أن المرأة العاملة فى الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ نصف راتب الرجل ، وأحيانا الربع . كما أنها محجوبة عن شغل الكثير من الوظائف المقصورة على الرجال .

(١٢) جاء الإسلام يُنسِّمُ على حياة المرأة نسمات رخية ، ويرفع النظرة إليها . فيقرر أنها والرجل من نفس واحدة : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » ١ ـ النساء . ويرتفع الإسلام بالعلاقات الزوجية إلى مرتبة سامية عند الإحسان فيها ، وتتناول آيات القرآن الحفاظ على حقوق المرأة فى الخطبة والزواج والمعاشرة والإيلاء والطلاق والعدة والنفقة والمتعة والرضاعة والحضانة : الآيات ٢٢١ ـ ٢٣٧ من سورة البقرة ـ وهى حقوق لم تطلب المرأة شيئا منها ولا كانت تعرفها .

(١٣) لاحظ الفعل : « اخترن » أى دونما إكراه ، وهن الشابات غلبت النزعة الدينية عندهن على كل ماعداها من نوازع .

لعادة علمانية ، أو منزلة اجتماعية تستمد أصولها من مصادر أخرى غير الإسلام .

٤ ــ نظرة العالم الإسلامي إلى الغرب :

ونحن فى الغرّب يلزمنا كذلك أن نفهم نظرة العالم الإسلامى إلينا . ولن نحقق شيئا سوى الكثير من الأذى إذا رفضنا أن نفهم مدى التخوف الحقيقى لدى الكثير فى العالم الإسلامى من ماديتنا الغربية ، وثقافتنا الشعبية . باعتبارهما تحديا مميتا لثقافتهم الإسلامية وطريقتهم فى الحياة . وقد يرى البعض منا أن الزخارف المادية لمجتمعنا الغربى التى نصدرها إلى العالم الإسلامى ــ مثل : التليفزيون ووجبات الطعام السريعة والأجهزة « الإلكترونية » المستخدمة فى حياتنا اليومية ــ عامل حضارى مؤثر لا يخفى حُسْنهُ .. والحقيقة أن المادية بشكلها الموجود عندنا يمكن أن يكون مثيرا لكراهية وغضب المسلمين الأتقياء ــ ولا أعنى بهذا المتطرفين منهم فقط . إننا يجب أن نفهم رد الفعل هذا (لماديتنا عند المسلمين) . كما يلزم أن يفهم العالم الإسلامى موقف الغرب من بعض الجوانب الصارمة فى الحياة الإسلامية ..

علينا أن نكون حذرين عند استخدام « الأصولية » ، تلك التسمية المثيرة للعواطف ، وأن نفرق ، كما يفعل المسلمون ، بين دعاة حركة الإحياء الدينى الذين يؤدون شعائر دينهم بكل التقى ، وبين المتعصبين أو المتطرفين الذين يستخدمون هذه التقوى لتحقيق أغـــراض سياسية . ومن بين الأسباب الكثيرة الدينية والسياسية والاجتماعية لما يمكن أن نسميه على وجهه الصحيح « حركة الإحياء الإسلامية » شعور قوى بخيبة الأمل تجاه « التكنولوجيا » الغربية ، والوصول إلى الاقتناع بأنها هى والماديات ليستا كافيتين لأن يكون الإنسان إنساناً ــ فهناك معنى أعمق للحياة يكمن فى مكان ما فى جوهر العقيدة الإسلامية[١٤] .

وفى نفس الوقت يجب ألا ننجرف إلى الاعتقاد بأن التطرف هو بعض السمة المميزة للفرد المسلم وجوهره ، فالتطرف ليس حِكْراً على الإسلام[١٥] وإنما هو موجود فى الديانات الأخرى ومنها المسيحية .. أما الخوف من حركة الإحياء الإسلامية الذى صبغ عقد الثمانينيات فإنه بدأ ينهار الآن فى الغرب ليحل محله فهم وتفهم للقوى الروحية الصادقة الكامنة وراء هذه الموجة المتدفقة (من حركة الإحياء الدينى الإسلامية) .

٥ ــ حضارتنا وثقافتنا مدينة للعالم الإسلامى :

هناك أيضاً الكثير من الجهل بما تحمله ثقافتنا وحضارتنا فى عنقها من دَيْنٍ للعالم الإسلامى ...

كان العالم الإسلامى فى العصور الوسطى ، من وسط اسيا إلى شواطئ الأطلنطى ، يموج بالعلماء والفقهاء . ولكن بحكم أننا نميل إلى اعتبار الإسلام عدوا للغرب ، وأنه يمثل ثقافة ونظاما للحياة غريبين علينا ، فإننا نزعنا إلى تجاهل أهميته أو محوها تماما بالنسبة لتاريخنا . وعلى سبيل المثال ، لقد قللنا من أهمية ثمانمائة سنة من الثقافة والمجتمع الإسلاميين فى أسبانيا ما بين القرنين الثامن والخامس عشر . وقد اعترف العالم منذ زمن طويل بما أسهمت به

(١٤) خطوط التوكيد الموضوعة تحت هذه الكلمات وضعها صاحب الدراسة .

(١٥) ليس فى الإسلام تطرف ، وإنما يجنح بعض المسلمين . لأغراض غير إسلامية ــ إلى الغلو فى بعض الممارسات .

أسبانيا المسلمة فى الحفاظ على العلوم والمعارف الكلاسيكية فى عصور الظلام[١٦] ، وبما أسهمت به فى وضع اللبنات الأولى للحضارة الأوروبية ... وقدمت من جهدها الكثير والحيوى فى مختلف مجالات السعى البشرى : فى العلوم والفلك والرياضة والجبر (وهى كلمة عربية) والقانون والتاريخ والطب والصيدلة والبصريات والزراعة والمعمار واللاهوت والموسيقى .

٦ ـ الإسلام دين علم وسماحة وهو ماضينا وحاضرنا :

غذى الإسلام وصان السعى إلى المعرفة والبحث عنها ، وجاء فى الحديث النبوى : « مداد العلماء أكثر قداسة من دماء الشهداء »[١٧]. وفى القرن العاشر الميلادى كانت « قرطبة » إلى حد كبير أكثر مدن أوروبا تحضرا ومدنية ... ويقال : إن الكتب فى مكتبة حاكمها ـ والتى بلغت (٤٠٠٠٠٠) مجلد ـ كانت تزيد على كل ما كان فى جميع مكتبات أوروبا من كتب فى ذلك الوقت . وكان هذا ممكنا ؛ لأن العالم الإسلامى اكتسب من الصين فن صناعة الورق قبل أوروبا غير المسلمة بأكثر من أربعمائة سنة . وكثير من المزايا التى تزهو بها أوروبا الحديثة جاءت إليها من أسبانيا المسلمة . فمن مدينة « المدائن » هذه العظيمة جاءت : الدبلوماسية ، والتجارة الحرة ، والحدود المفتوحة ، والأساليب الفنية للبحث العلمى ، وعلم «الانثروبولوجيا» وآداب السلوك ، و«الموضة» ، وأنواع مختلفة من الدواء والمستشفيات .

وعرف الناس فى العصور الوسطى سماحة الإسلام ، تلك التى كانت شيئا لافتا للنظر ، إذ سمح لليهود والمسيحيين بالحق فى ممارسة عباداتهم ، وضرب فى ذلك مثلا لم يحتذه الغرب ، لسوء الحظ ، طوال قرون من الزمان . والشىء المدهش ، أيها السيدات والسادة ، هو : مدى صيرورة الإسلام جزءا من أوروبا ردحا طويلا من الزمان : فى أسبانيا أولا ، ثم فى دول البلقان ، وإسهاماته البعيدة المدى فى الحضارة التى غالبا ما نظن ، خطأ ، أنها حضارة غربية صرف ـ فالإسلام جزء من ماضينا وحاضرنا فى جميع مجالات السعى الإنسانى ، فلقد ساعد على خلق أوروبا الحديثة ، وهو جزء من تراثنا نحن لا انفصام له .

٧ ـ نظرة الإسلام المتكاملة للكون ، وأهمية أن نتعلمها منه :

وفوق هذا ؛ فإن الإسلام يمكن أن يعلمنا اليوم طريقة لفهم الدنيا والعيش فيها ، وهى طريقة تفتقدها المسيحية التى أصبحت أكثر فقرا بسبب افتقادها . وفى القلب من العقيدة الإسلامية يأتى الحفاظ على تلك النظرة المتكاملة للكون ، فالإسلام يرفض الفصل :

« بين الإنسان والطبيعة » .

و« بين الدين والعلم » .

و« بين العقل والمادة » ..

---

(١٦) عصر الظلام فى الغرب .

(١٧) ورد هذا الأثر بلفظ يوزن حِبر العلماء ودم الشهداء فيرجح ثواب العلماء على دم الشهداء . رفعه الديلمى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ ضمن حديث طويل . مسند الفردوس للديلمى ٤٨٥/٥ برقم ٨٨٣٩ تحقيق د / سعاد .

أما الغرب ففقد بالتدريج هذه النظرة المتكاملة بمجيء «كوبر نيكس وديكارت» والثورة العلمية ... ولا أستطيع مقاومة الإحساس بأننا لو استطعنا الآن إعادة اكتشاف تلك النظرة الشاملة للعالم من حولنا ، وأن نرى وأن نفهم معناها الأعمق ؛ فإننا يمكن أن نبدأ فى التخلص من الاتجاه المتزايد فى الغرب للعيش على سطح بيئتنا حيث ندرس العالم لنسيطر عليه ونتحكم فيه ــ وقَلَبْنَا بذلك تناغم الكون وجماله إلى خلل وفوضى .

إنه لمن الحقائق المؤسفة ــ فى اعتقادى ــ أن العالم الخارجى الذى أنشأناه فى المئات القليلة من السنوات الماضية بدأ يعكس حالتنا الداخلية الممزقة والمضطربة . لقد أصبحت الحضارة الغربية أكثر حرصا على تحقيق المكاسب والاستغلال متحدية مسئولياتنا نحو البيئة . إن هذا الإحساس الحاسم بالتوحد مع الشخصية الروحية للعالم من حولنا ، تلك الشخصية الروحية البالغة الأهمية ، هو بالتأكيد شيء هام يمكن أن نتعلمه من جديد من الإسلام . وإننى متأكد تماما أن البعض سوف يسارع إلى اتهامى ، كما هى عادة هذا البعض ، بأنى أعيش فى الماضى ، وأرفض التعايش مع الواقع والحياة العصرية . والعكس هو الصحيح ، أيها السيدات والسادة ، فالذى أدعو إليه هو أن نفهم العالم بقدر أعمق وأوسع وأكثر اهتماماً من فهمنا الحالى .

إننى أدعو إلى أن حياتنا لها بُعْدٌ غَيْبِى مثلما أن لها بُعْدًا ماديا ، وذلك لكى نسترد التوازن الذى تخلينا عنه ، والذى ستثبت الأيام على المدى البعيد أن غيابه سوف يؤدى ، فى يقينى ، إلى نزول الكوارث بنا .

٨ ــ أهمية التعاون بين العالمين : الإسلامى والغربى :

... إن اقتصاد العالم يعمل ككيان يتوقف بعضه على بعض ، ومشاكل المجتمع ونوعية الحياة والبيئة كلها عالمية فى أسبابها ونتائجها ، ولم يعد بمقدور أحدنا أن يحلها بمفرده ، فذلك ترف لا يتأتى لأى منا . والعالم الإسلامى والعالم الغربى مشاكلهما مشتركة :

كيف نتكيف مع التغير فى مجتمعاتنا ؟

وكيف نساعد الشباب الذين يشعرون بالاغتراب عن أبويهم أو عن قيم المجتمع ؟

وكيف نعالج مشاكل الإيــدز والمخدرات والتفكك الأسرى(١٨) ؟ وبالطبع تتبايــن هذه

---

(١٨) وضع الإسلام دستور الأسرة فجعلها القاعدة الركينة التى يقوم عليها المجتمع ، ونراه فى مواضع شتى فى سور القرآن العظيم فالنظام الاجتماعى فى الإسلام نظام أسرة ، ينبثق من معين الفطرة وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعا : «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» الذاريات ــ ٤٩ و«سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون» ٣٦ ــ يس . وجاذبية الفطرة بين الجنسين ليست من أجل شهوة جسد وحب ، وإنما لإقامة الأسر والبيوت : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» ٢١ ــ الروم و«والله جعل لكم من بيوتكم سكنا» النحل ــ ٨٠ فهى الأسرة تلبى هذه الفطرة العميقة فى أصل الكون وفى بنية الإنسان .

ومبادىء الإسلام تتناهى كل يوم إلى علم وقناعة رجالات الحكم والسياسة باعتبارها الدواء الناجع لمشاكل العالم . فلقد نادى المستر ستيفن هايتمان المشرح لرئاسة الجمهورية فى ألمانيا (رشحه الحزب الحاكم بزعامة المستشار هلموت كول) نادى فى صدر برنامجه الانتخابى بوجوب عودة النساء إلى دورهن الأصلى كأمهات (صحيفة فينانشال تايمز اللندنية ، ٢٦ نوفمبر ٢٩٩٣) .

المشاكل فى طبيعتها وَحِدَّتِها من مجتمع إلى مجتمع ... لكن التشابه بين التجربة الإنسانية فى كل المجتمعات كبير . ومن الأمثلة على ذلك التجارة الدولية فى المخدرات ، ومثال آخر هو التدمير الذى نلحقه مجتمعين بالبيئة . وعلينا أن نبحث عن حل هذه المشكلات التى تهدد مجتمعاتنا وحياتنا معا .

إن مجرد إقدامنا على أن يعرف بعضنا بعضا يمكن أن يحقق العجائب . وأذكر على سبيل المثال : أنى أخذت مجموعة من المسلمين وغير المسلمين منذ عدة سنوات لمشاهدة العمل فى مركز صحى - أنا أرعاه فى لندن - وهو مركز (ماريل بون) ، وكان الحماس والتصميم المشترك اللذان ولدتهما التجربة المشتركة شيئا أدخل على قلوبنا فرحة غامرة . كما لم يعد بوسعنا أن نبعث من جديد المواجهات الإقليمية والسياسية التى كانت تحدث فى الماضى .

إن علينا أن يُطلع كل منا صاحبه على تجاربه ، وأن يشرح له مواقفه ، وأن نتفاهم ونتسامح .. وكل منا يلزمه أن يفهم أهمية التصالح وإمعان الفكر - أو التدبر[١٩] فهذه الكلمة العربية هى التى تعبر بالضبط عن مرادى - كى نفتح عقولنا ونفتح قلوبنا : كل منا للآخر . إننى على قناعة تامة بأن العالمين : الإسلامى والغربى لديهما الكثير الذى يمكن أن يتعلمه كل منهما من صاحبه ، فقد يكون مهندس البترول الذى يعمل فى منطقة الخليج أوروبيا ، ويكون الجراح الذى يقوم بعمليات زرع القلوب فى بريطانيا مصريا.

٩ - الجاليات الإسلامية فى بريطانيا :

بريطانيا مجتمع متعدد الأجناس ومتعدد الثقافات ، وقد بينت لكم من قبل حجم الجاليات الإسلامية فى بلدنا .. وأفرادها ذخر لبريطانيا إذ يسهمون فى ازدهار بلدنا الاقتصادى ويضيفون إلى الثروة الثقافية لأمتنا . والتسامح والفهم لابد وأن يسير بالطبع فى كلا الاتجاهين ، وذلك يعنى أن على غير المسلمين احترام الممارسة اليومية للفرائض الإسلامية ، كما أن على المسلمين احترام تاريخ بلدنا وثقافته وطريقته فى الحياة . و« مركز دراسات الإسلام والعلاقات بين المسيحيين والمسلمين » فى مدينة بيرمينجهام مثال بارز وناجح لأولئك الذين كرسوا أنفسهم لقضية تعزيز التفاهم والعلاقات بين الجانبين .

« إن العالمين الإسلامى والغربى يمران الآن بمرحلة مصيرية ، ولا يجوز أن ندعهما يفترقان ... وأنا فرح أن الحوار قد بدأ فى بريطانيا وفى غيرها ، ولكن يلزمنا أن نبذل جهدا أكبر كى يفهم بعضنا بعضا ، ولكى نصفى أى سموم تشوب علاقاتنا ونقضى على شبح الريبة والخوف ... » .

---

(١٩) جاءت كلمة « تدبُّر » بنطقها العربى فى نص المحاضرة مكتوبة بحروف لاتينية (**TADABBUR**) وفق القواعد الدقيقة لكتابة كلمات لغة بحروف لغة اخرى .

المؤمن بين الخوف والرجاء

بقلم : محمد عبد الغنى عليان

الخوف من الله والرجاء فى رحمته توأمان بالنسبة لسلوك المؤمن الصادق الذى يريد لنفسه خيرى الدنيا والآخرة ؛ فهو يخاف من بارئه وخالقه فيدفعه هذا الخوف إلى المبادرة بالعمل المثمر الطيب ، والعبادة التى خلق من أجلها . وأعنى بالعبادة : كل عمل يقصد به وجه الله ــ عز وجل ــ سواء كان هذا العمل يتعلق بأمور الدنيا أو الآخرة ؛ ذلك لأن الدنيا فى الحقيقة ماهى إلا طريق إلى الآخرة فلا انفصام بينهما . والمؤمن يرجو رحمة ربه بعد أن تسلح بسلاح الخوف من بارئه ، وبعد أن بذل ما فى وسعه من البر والطاعة . فإذا حقق المؤمن خوفاً نائيا عن الرجاء فقد يتملكه اليأس من رحمة الله ، ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، وإذا حقق رجاء منفصلا عن الخوف من من بارئه وخالقه فقد أمن مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

ولهذا كان الخوف والرجاء جناحين يطير بهما المقربون إلى كل مقام محمود ، ومطيتين بهما يجاوز ــ فى طريق الآخرة ــ كل عقبة كؤود .

الخوف والرجاء متناسبان إذ الخائف فى حال خوفه يرجو خلاف مايخافه ويدعو الله ــ عز وجل ــ ويسأله ، والراجى فى حال رجائه خائف خلاف مايرجو ، ويستعيذ بالله منه ويسأله صرفة ؛ فلا خائف إلا وهو راج ، ولا راجى إلا وهو خائف ، ولأجل تناسب الأمرين قرن الله تعالى بهما فى غير آية قال تعالى : ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

[الأعراف : ٥٦]

وقال فى قوم مدحهم : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾

[الإسراء : ٥٧]

وقال : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾

[الأنبياء : ٩٠]

روى أبو هريرة بسند صحيح عن رسول الله ﷺ «لو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة ماقَنَط من رحمته أحد» .

أخرجه الإمامان : البخارى ومسلم

قال أنس : دخل النبى ﷺ على شاب وهو فى الموت . فقال : كيف تجدك ؟ قال : أرجو رحمة الله وأخاف ذنوبى فقال المصطفى ـ عليه السلام : «لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله مايرجو ، وأمنه مما يخاف» .

أخرجه الترمذى وغيره .

«ومما يشير إلى تلك الحقيقة إشارة واضحة أن «وائلة بن الأسقع» عاد «يزيد بن الأسود الحرشى» وقد نزل به الموت فقال ياأخى كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أرجو وأخاف فقال : أيهما فى نفسك أكثر ؟ قال : الرجاء» ، قال وائلة : الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله عز وجل : «أنا عند ظن عبدى بى» .

رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى .

والخوف من الله من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه ونفاذ مشيئته فى خلقه . وورد فى بيان حقيقته أنه عبارة عن : تألم القلب بسبب توقع مكروه .

والرجاء : هو ارتياحٌ لانتظار ماهو محبوب عنده ، ولكن ذلك التوقع لابد له من سبب حاصل ؛ فإن لم يكن السبب معلوم الوجود ولا معلوم الانتفاء سمى تمنيا ؛ لأنه انتظار من غير سبب ، وسوف نتناول كلًا من الخوف والرجاء بشىء من ٱلتفصيل

أولًا ـ الخوف :

قد حث المولى ـ جلت قدرته ـ على الخوف منه فقال :

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران : ١٧٥]

وقال تعالى :

﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾

[المائدة : ٤٤]

وقال تعالى :

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾

[الأعراف : ٢٠٥]

وأثنى ـ جلت قدرته ـ على ملائكته لخوفهم منه فقال :

﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾

[الأنبياء : ٢٨]

ومدح أنبياءه عليهم السلام وأولياءه بمثل ذلك فقال :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾

[الأنبياء : ٩٠]

وعاتب الكفار على غفلتهم فقال :

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾

[نوح : ١٢]

بمعنى مالكم لا تخافون عظمة الله ، وذمهم فى آية أخرى فقال :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾

[الفرقان : ٢١]

أراد به لا يخافون ، فدَلّ جميع ذلك على أن الخوف من الله ـ تعالى ـ من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه ونفاذ مشيئته فى خلقه ، وأن إغفال ذلك إغفال للعبودية ؛ إذ كان من حق كل عبد ومملوك أن يكون راهباً لمولاه لثبوت قدرة المولى عليه وعجز العبد عن مقاومته وترك الانقياد له .

والخوف كما قال الحليمى ـ رحمه الله ـ على وجوه :

أحدها : ما يحدث من معرفة العبد بذلة نفسه ، وهوانها وقصورها وعجزها عن الامتناع من الله تعالى إذ أراده بسوء ، هذا نظير خوف الولد من والديه ، وخوف الناس من سلطانهم وإن كان عادلًا محسناً وهذا ما يقصد به قوله ـ تعالى :
﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾

أى لا تخافون لله عظمة ، وقد خلقكم نطفة ثم علقة ثم مضغة .

والثانى : ما يحدث من المحبة ، وهو أن يكون العبد فى عامة الأوقات وجلًا من أن يَكِلَهُ الله ـ تعالى إلى نفسه ، ويمنعه موارد التوفيق ويقطع دونه الأسباب ؛ أخبر الله ـ عز وجل ـ عن أهل الجنة أنهم يقولون : ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ جاء فى التفسير : أنهم كانوا مشفقين أن يُسْلَبُوا الإسلام بعد أن هداهم الله إليه ؛ فيوردوا يوم القيامة موارد الأشقياء ، وكذلك سائر نعم الله ، وإن كان الإسلام أعلاها وأرفعها مكانة .

والثالث : ما قد يحدث من الوعيد ، وقد نبه الله تعالى إلى ذلك فى غير موضع من كتابه ؛ فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ وقال : ﴿وإياى فاتقون﴾ أى اتقوا عذابى ومؤاخذتى ؛ ولهذا قال النبى ﷺ : ﴿**اتقوا النار ولو بشق تمرة**﴾ أخرجه البخارى ومسلم .

عن ابن عباس قال : « لما أنزل الله ـ عز وجل ـ على نبيه ﷺ :
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾

[التحريم : ٦]

تلاها رسول الله ﷺ على أصحابه ذات ليلة أو ذات يوم ، فخر فتى مغشياً عليه ، فوضع النبى ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك فقال : يا فتى ، قل : « لا إله إلا الله » فقالها ، فبشره بالجنة فقال أصحابه : يا رسول الله ، أمِنْ بيننا ؟ فقال ـ عليه السلام : أما سمعتم قوله ـ تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ شعب الإيمان للبيهقى .

وكان أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ يعرف قيمة الخوف من الله ، فحذر أبناءه من الذين لا يخافون الله ، وأطلق على الذين لا يخافون لقب « السفلة » فقد قال : يابنى إياكم والسفلة قالوا : وما السفلة ؟ قال : الذى لا يخاف الله ـ عز وجل .

وهذا عمر ـ رضى الله عنه ـ يقول : « ياليتنى لم أكن شيئاً ، ليت أمى لم تلدنى ، ليتنى كنت نسياً منسياً » .

إن الصحابة من الرعيل الأول قد وَعَوْا قول المصطفى ـ عليه السلام : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيراً » . كل ذلك يدل على أن من كان بالله أعرف كان منه أخوف .

ثانياً ـ الرجاء :

والرجاء وهو الشق الثانى من صفات المؤمن لا يتأتى من فراغ ؛ فالرجاء بلا عمل افتراء على الله ـ عز وجل ـ ولهذا قال المصطفى ـ عليه السلام : «حسن الظن من حسن العبادة» ولو تأملنا قول المولى عز وجل :

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[1] الحجر

وقوله تعالى :

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ الرعد

أقول : لو تأملنا ذلك لوجدنا أن هناك ربطاً وصلة وثيقة بين الرجاء ، وما يدفع إلى البر والطاعة والعمل الذى ينجى صاحبه من موارد الهلاك .

قرأ مطرف قوله ـ تعالى : ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة** ﴾ . الآية فقال : لو يعلم الناس قدر مغفرة ورحمة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرَّن أعينهم ، ولو يعلم الناس نكال الله ونقمة الله وبأس الله وعذاب الله ما رقأ لهم دمع ، ولا انتفعوا بطعام ولا شراب .

وعلى هذا يحمل ما أخبر به المصطفى ـ عليه السلام ـ عن المولى ـ عز وجل : «ياعبدى ماعبدتنى ورجوتنى فإنى غافر لك مافيك ، وياعبدى إن لقيتنى بقراب الأرض خطيئة لم تشرك بى شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة» . شعب الإيمان للبيهقى .

ويحمل أيضاً ما رواه أبو هريرة ـ رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ بسند صحيح : أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه : إذا أنا مت فاحرقونى ثم اسحقونى ثم ذرونى فى الريح فى البحر ؛ فوالله لئن يقدر على ربى ليعذبنى عذاباً ما عذبه أحداً ، ففعلوا به . فقال الله ـ عز وجل ـ للأرض : أدى ما أخذت ؛ فإذا هو قائم؛ فقال : ما حملك على هذا فقال : خشيتك يارب ـ أو قال مخافتك ـ فغفر له . البخارى : شعب الإيمان للبيهقى .

قال البيهقى ـ رحمه الله تعالى ـ: وكما لا ينبغى ألا يكون الخوف إلا من الله ـ عز وجل ـ كذلك لا ينبغى أن يكون الرجاء إلا منه ؛ لأنه لا يملك أحد من دونه ضراً ولا نفعا فمن رجا ممن لا يملك ما لا يملك فهو من الجاهلين .

ولهذا قال بشر الحارث : لما رفع ابراهيم ـ عليه السلام ـ ليلقى فى النار ، عرض له جبريل ـ عليه السلام ـ فقال : ياإبراهيم ، هل لك من حاجة؟ قال : أما إليك فلا . حسبى من سؤالى علمه بحالى .

وقد أكد نبينا ـ عليه السلام ـ هذا المعنى عندما قال : « من نزلت به حاجة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى ؛ إما أجل عاجل وإما غنى عاجل .

شعب الإيمان للبيهقى .

وما أجمل ما قاله يحيى بن معاذ الرازى : الإيمان ثلاثة : الخوف والرجاء والمحبة ، فى جوف الخوف ترك الذنوب ، وفيه النجاة من الناس .

وفى جوف الرجاء الطاعة وفيه دخول الجنة .

وفى جوف المحبة احتمال المكروهات وبه يجد رضا الله عز وجل .

وسطية الإسلام

أ.د. أحمد عمر هاشم (*)

وسطية الأمة :

قال الله تعالى : « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا »(١) .

والوسط : الخيار والأجود ، ولما أنعم الله على هذه الأمة بنعمة الوسطية فكانت خير الأمم ، خصها سبحانه وتعالى بأكمل الشرائع وأوضح المناهج وأيسر التكاليف وأوضحها ، كما قال سبحانه :

« هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ » . سورة الحج

وفيما رواه الإمام أحمد ـ بسنده ـ عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « يدعى نوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، وما أتانا من أحد ، فيقال نوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ، قال : فذلك قوله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » قال : والوسط : العدل ، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم »(٢) .

وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « يجيء النبى يوم القيامة ومعه الرجلان

(*) الكاتب : نائب رئيس جامعة الأزهر .

(١) سورة البقرة (١٤٣) .

(٢) ورواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه من طريق الأعمش .

وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم هذا ، فيقولون :لا فيقال له هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم ، فيقال : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ؛ فيدعى محمد وأمته ، فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم فيقال : وما علمكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله ــ عز وجل ــ «وكذلك جعلناكم أمة وسطا » . والآية الكريمة تشير إلى أن الله ــ تعالى ــ حين حول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة قبلة إبراهيم ــ عليه السلام ــ واختارها لهم ليجعلهم خيار الأمم ، ليكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم ؛ لأن الجميع معترفون لهذه الأمة بالفضل وواضح أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ، وكان أكثر أهل المدينة اليهود ، فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا ، وكان يحب قبلة إبراهيم ، فكان يتوجه بالدعاء إلى ربه سبحانه وتعالى وينظر إلى السماء فأنزل الله تعالى قوله :

« قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ »(٣) .

وكان عليه ــ الصلاة والسلام ــ قبل هجرته قد أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس فكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس .

وكان الأمر باتجاهه إلى بيت المقدس من الله تعالى ، وكان التحويل إلى الكعبة من الله ، ووافق رغبة رسول الله ﷺ ، فقد شرع الله التوجه إلى بيت المقدس ، ثم شرع التحول إلى الكعبة ، ليظهر من يتبع الرسول ﷺ ممن ينقلب على عقبيه ، قال تعالى :

« وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ »(٤)

عن البراء(٥) ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ صلىّ إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلىّ أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه ، فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله :

« وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ » سورة البقرة

(٣) سورة البقرة (١٤٤) .

(٤) سورة البقرة (١٤٣) .

(٥) رواه البخارى .

وسطية المكان :

والكعبة المشرفة التى هى قبلة المسلمين ، هى فى البقعة المباركة والمكان الوسط ، فهى فى وسط الكوكب الأرضى ، تتوسط دنيا الناس شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ..

وهكذا أختار الله ـ تعالى ـ مكان رسالته ، وموقع قبلة الصلاة ، ومهبط الوحى ، هذا المكان الوسط ، الذى يتسق مع وسطية الدعوة السمحة ، ويتناسب مع الرسالة العامة الخالدة ، لترسل أشعة النور والهداية إلى من حولها من جميع بقاع العالم .

وهكذا اقتضت الحكمة الربانية أن يكون المكان وسطا فى جغرافية الأرض ، لتتمكن الدعوة أن تنتشر فى ربوع الأرض ، وتؤدى أمة الإسلام أمانة التبليغ التى حملها الله ـ تعالى ـ إياها ، حيث نزل الوحى ـ قرآنا وسنة ـ بلسان عربى مبين ، وفى أمة عربية ، وفى مكان وسط من العالم ، كل هذا يؤكد وجوب تبليغ الأمانة التى كلف الله تعالى هذه الأمة بها ، وشرفها بإنزال الوحى على أرضها وإرسال رسول من أنفسهم ، وقيام القبلة ـ الكعبة المشرفة ـ فى هذا المكان الطاهر والحرم الآمن فى قلب العالم ..

وهكذا تتكشف حقيقة نزول الوحى الإلهى فى البلد الحرام ، والقبلة المشرفة داخل المسجد الحرام ، فمكة المكرمة هى مركز الكرة ووسط العالم بأسره .

وإن قوله تعالى : « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ » يحدد لهذه الأمة دورها فى النهوض بالبشرية ورسالتها فى قيادة القافلة الانسانية ، فبذلك تتبوأ مكانتها كخير أمة أخرجت للناس ، شاء الله لها أن تكون أمينة على رسالة السماء ، وشاهدة على الناس .

وحين تتخلى عن هذه الرسالة ، أو تخل بواجبها تكون قد حرمت نفسها من خيريتها ، ومن كونها الأمة الوسط ، وفقدت كيانها المعنوى ودورها الريادى بين الأمم .

ويستوجب القرآن على هذه الأمة عبادة الله ، والجهاد فى سبيل الله حق جهاده ، لأنه اختارهم واصطفاهم على سائر الأمم ، وكلفهم بشريعة لا حرج فيها ولا مشقة ، ولا ضيق ولا عسر ، إنها الحنيفية السمحة ملة ابراهيم عليه السلام ، وقد سماهم الله المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمه ، وفى هذا أى القرآن قال تعالى :

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ »(٦)

أى أن الله تعالى جعل هذه الأمة وسطا عدولا وخيارا ، ليكونوا شهداء على الناس وعلى جميع الأمم ، لأن جميع الأمم معترفة بفضل هذه الأمة على كل أمة سواها ، ولذلك تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة فى أن كل رسول بلغ قومه ، ويشهد

(٦) سورة الحج (٧٧ ، ٧٨) .

رسول الله ﷺ على هذه الأمة أنه بلغها ذلك .

وفى مقابل هذه المنزلة التى بوأها الله ـ تعالى ـ لهذه الأمة ، وفى مقابل النعمة على الأمة أن تقوم بشكر ربها ـ سبحانه وتعالى ـ وما أوجبه الله عليها من عبادة وطاعة ، ومن أهمها الصلاة والزكاة ، وعليهم أن يعتصموا بالله ويتوكلوا عليه

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ سورة الحج

وسطية الزمان :

لم تأت رسالة الإسلام الخاتمة فى أول تاريخ البشرية ولا فى آخره ؛ بل جاءت فى الوسط لتكون مصدقة ومهيمنة وحارسة لما جاءت به الرسالات السماوية السالفة .

وسطية العقيدة :

ووسطية العقيدة تعنى أنها عقيدة عادلة خيرة ، يؤمن العباد فيها بالله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد إيمانا لا تمثيل فيه ولا تعطيل ، لأن الله تعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

ويؤمن العباد بالرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه بأنه رسول الله وأنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وهدى الأمة ، وأخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويؤمنون بأنه ليس فى درجة فوق النبوة والرسالة ، كما يزعم بعض الضالين فى أنبيائهم؛ أنهم وصلوا إلى درجة الألوهية ، وليس فى درجة سائر البشر ، فهو بشر ولكنه يوحى إليه ، ومرسل من ربه ولذا ورد عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ النهى عن الغلو فى إطرائه حيث قال : «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله » ويؤمنون أنه خاتم الأنبياء والمرسلين .

وكما تتجلى وسطية العقيدة فى عدم التمثيل والتعطيل فى الصفات فانها تتجلى أيضا فى الإيمان بالقدر ، فنرى أهل السنة يرفضون رأى الجبرية ، الذين يقولون إن الإنسان مجبور على عمله ، كما يرفضون رأى القدرية الذين يقولون بإنكار القدر ، ووقف أهل السنة والجماعة موقفا وسطا ، فيثبتون أن الله خالق كل شىء ، وأنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ويؤمنون أيضا بأن للعباد قدرة وأختيارا ، أى أنهم يقفون موقفا وسطا بين الذين ينفون اختيار العبد والذين ينفون القدر ، فيؤمنون بأن الله على كل شىء قدير ، وأنه لا يكون فى ملكه إلا ما يريد ، ويؤمنون بأن للعبد قدرة واختيارا .

وسطية العبادة

وجاءت عبادات الإسلام ميسرة ووسطا فلا هى صعبة يشق على العباد أن يأتوا بها ، ولا هى بسيطة جدا بحيث لا تترك فى النفس كبير أثر ، وإنما جاءت وسطا « لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا »(٧) . فما كلّف الله ـ تعالى ـ عباده إلا بما كان فى استطاعتهم أن يفعلوه ، قال تعالى : « فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ »(٨) .

---

(٧) سورة البقرة (٢٨٦) .

(٨) سورة التغابن (١٦) .

فالصلاة لم يفرضها الله فى كل ساعة ، ولم تكن ركعاتها كثيرة وشاقة ولم تكن أيضا قليلة أو فى وقت واحد أو اثنين فحسب ، بل كانت وسطا تجمع بين الليل والنهار وهى خمس صلوات فى اليوم والليلة .

والصوم لم يكن للعام ولا لعدة شهـور ، ولكن فرض الله تعالى صيام شهر واحد فى السنة كلها وهو شهر رمضان ، ولم يكن صوم اليوم شاملا لليلته بل كان الصوم من الفجر إلى غروب الشمس .

ولم تكن الزكاة ضارة بحال الفقير ولا بحال صاحب المال ، بل فاوت الله فى مقادير الزكاة حسب الجهد الذى يبذله صاحب المال ؛ فما كان من جهود كثيرة كالنقد وعروض التجارة قل مقدار ما يخرجه صاحب المال من الزكاة وما كان أقل جهدا كالركاز يزيد مقدار ما يخرجه للزكاة ، ففى زكاة النقدين وعروض التجارة يخرج ربع العشر وفى زكاة الركاز يخرج الخمس .

وأيضا فى زكاة الزروع والثمار : فما كان منها يُسقى بالآلة يخرج منه نصف العشر . وما كان منها يسقى بغير آلة ففيه العشر .. وهكذا كلما كان الجهد المبذول أكثر كان مقدار الزكاة أقل ، وكلما كان الجهد المبذول أقل كان مقدار الزكاة أكثر .

وعبادة الحج لم يفرضها الله ولم يوجبها إلّا على المستطيع ، ولم يفرضهـا مرتين أو أكثر ؛ بل فرضها على المستطيع مرة واحدة فى العمر كله .

وهكذا كانت جميع التكاليف الشرعية ، لا إفراط فيها ولا تفريط ، ولا غلوّ فيها ولا تقصير ، بل جاءت وسطا يستطيع كل مكلف أن يأتى بها .

وسطية الأخلاق :

وإذا نظرنا إلى الأخلاق فى الإسلام وجدنا أنها جاءت وسطا ، فكل فضيلة من الفضائل وسط بين رذيلتين ، ففضيلـــة الكـــرم وسط بين « التبذير » إذا كان هنـــاك إفــراط ، وبين « البخل » إذا كان هناك تفريط .

وفضيلة « الشجاعة » وسط بين « التهور » إذا كان الإفراط ، وبين « الجُبْـن » إذا كان التفريط .. وهكذا .

وسطية الروح والجسد :

لقد عنى الإسلام برعاية الجسد ورعاية الروح ولم تتركز عنايته لجانب دون الآخر ، فدعا الإسلام إلى متطلبات الجسد فى الحلال بعيدا عما حرم الله ، ففـى الحديث : « وإن لجسدك عليك حقا »(٩) .

ولم يحرم الزينـة الحلال ولا الطيبـات من الرزق ، قال تعالى : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »(١٠) . ودعا إلى وسائل القوة كالرماية والسباحة وركوب الخيل والرياضة البدنية .

كما عنى بالجانب الروحى بالعبادات والالتجاء إلى الله والتوجه إليه بالدعاء ، وتوثيق الصلة الدائمة بالله ــ تعالى ــ ومراقبته فى السر والعلانية وتواصل الرعاية بالبدن والروح والتوازن بينهما

(٩) رواه البخارى .

(١٠) سورة الاعراف (٣٢) .

بحيث لا يطغى جانب الجسد والمادة على الروح ، ولا يطغى جانب الروح على الجسد ؛ بل يكون الإنسان فى الوسط وهو : الاعتدال بين متطلبات الجانبين ، ولقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هذه الوسطية والاعتدال بين متطلبات الروح والجسد ، فعندما علم انهماك عبدالله بن عمرو ابن العاص فى العبادة، قال له: «ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال عبدالله : فقلت : بلى يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام : « فلا تفعل ، صم وأفطر وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا ، وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لِزَوْرِكَ عليك حقا »(١١) « زورك » : أى ضيفك .

وسطية المنهج فى الدعوة :

وجاء منهج الدعوة الإسلامية وسطا ، لا إكراه فيه ولا تشديد ، ولا تهاون فيه ولا تفريط ، وإنما هو دعوة تتناسب مع معادن الناس وأحوالهم ، وتقوم على الحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى :

« ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ »(١٢) .

كما يقوم منهج الدعوة على اللين فى القول ، وعدم التشدد أو التزمت فقد قال الله تعالى : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى »(١٣) .

ولقد وعظ أحد الواعظين المأمون فأغلظ له فى القول ، فقال : يارجل (ارفق) فقد بعث الله من خير منك – يريد موسى وهارون عليهما السلام إلى من هو شَرٌّ مِنّى – يريد فرعون – فأمرهما بالرفق واللين فقال – سبحانه :

« فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ » .

وتقتضى وسطية المنهج الدعوة باللين والتدرج والتؤدة ، وعدم التفريط والطفرة والعجلة .

« داويت متئدًا وداووا طفرةً
وأخفُّ من بعض الدواء الداءُه

فالتدرج فى الدعوة وعدم الطفرة هى سمة المنهج الإسلامى فى الدعوة.وقد روى عن عمر بن عبدالعزيز أن ابنه عبدالملك قال له : مالك لا تنفذ الأمور ؟ فوالله ما أبالى لو أن القدور غلت بى وبك فى الحق ، فقال له عمر : « لا تعجل يابنى ، فإن الله ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة ، وإنى أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة ويكون من ذا فتنة » .

---

(١١) رواه البخارى .

(١٢) سورة طه (٤٤) .

(١٣) سورة النحل (١٢٥) .

ألبانيا بين هموم الماضي وتوجهات المستقبل

أ.د. جعفر عبد السلام (*)

أخيراً وصلنا إلى (تيرانا) بعد رحلة سفر طويلة توقفنا خلالها فى (بودابست) لأكثر من ثمان ساعات ، وشتان بين ما كنا فيه فى مطار نظيف وعصرى ومنظم وبه عشرات الممرات والقاعات والتجهيزات ، وما وجدنا أنفسنا فيه فى هذه المدينة الصغيرة ، فهى (دكانة) من الخشب الأصفر بها بعض المقاعد ولا تمت لمطارات العالم بصلة ، الحقائب توضع على الأرصفة وعلينا أن نحملها ونتوكل على الله ، فلا توجد أية خدمات بالمطار ؛ بل إن السيارات نفسها عملة نادرة فى هذه البلاد ، فقبل عامين ، كان هناك ثلاث أو أربع سيارات ، أما الآن فقد زاد عددها إلى حد ما ، ومن ثم عرفنا قيمة ما قدمته لنا السفارة المصرية بـ (تيرانا) حيث أرسلت من يستقبلنا بسيارته : سكرتير السفارة .

وعندما دخلت قاعة المؤتمرات الكبرى فى تيرانا عاصمة ألبانيا وجلست فى تلك المقاعد الوثيرة ، وشاهدت تلك الرسوم التشكيلية المنتشرة فى أماكن عديدة فى هذه القاعة ، وذلك الأثاث الفاخر ، والسجاد والفرش الأنيق ، تذكرت تلك الأسفار العديدة التى يَسَّر الله لى فرصة القيام بها خلال العامين الماضيين ، لبلاد (الكمنولث) أو ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتى .

فرغم الجمال الطبيعى الذى حباه الله لهذه البلاد ، التى شهد بعضها أمجاد الإسلام ، إذا بالخط الشيوعى الذى سيطر عليها لفترات وصلت إلى سبعين عاماً ، يشوه الوجه الطيب لهذه البلاد ويجعل المبانى ذات طابع اقتصادى ، كما يقولون فى مصر : « بلوكات » من الأسمنت المسلح يحتوى على صناديق ضيقة ، يعيش فيها الناس كالفئران وتنتشر فى كل مكان فى تلك البلاد . والمقارنة

(*) الكاتب أستاذ القانون الدولى بكلية الشريعة والقانون ، ونائب رئيس جامعة الأزهر والمشرف على مركز عبدالله صالح كامل للدراسات الإقتصادية . التابع لجامعة الأزهر .

شاسعة بين المنازل والمساجد القديمة ، وتلك (البلوكات) التى أوجدها الحكم الشيوعى فى تلك البلاد .

وهذا ما يتضح فى تيرانا عاصمة ألبانيا ، الدولة الشيوعية التى « أغلق أنور خوجه » حدودها على أهليها لمدة تتجاوز الأربعين عاماً ، ولا زال أثر هذا الرجل واضحاً فى حياة الدولة ، واسمه لدى رجل الشارع « الدكتاتور » .

المدينة قذرة ، برغم بدائية الحياة فيها ، وما تحمله البدائية من بعض المزايا كقلة التلوث مثلاً ، السيارات قليلة . بل ذكر لنا البعض أنه منذ ثلاث سنوات ، كان عدد السيارات يعد على الأصابع ، وكانوا يستخدمون الأنعام فى التنقل ، المياه ـ رغم عذوبتها وانطلاقها من منابع طبيعية ـ إلا أنها لا تأتى البيوت إلا لبعض الوقت ، لذا عانينا بعض الشىء من الحياة فى الفندق ، المحلات قليلة ، والبضائع معظمها مستوردة ، حتى إننى سألت عما إذا كان هناك بعض الصناعات ، فقيل لى : إنها كانت قليلة وقد دمرت فى إطار التحرك الشعبى لتحطيم آثار الانغلاق ، والتسلط الدكتاتورى .

قيل عنهم : إنهم شعب أوربى ـ كما حدثنى بعض من قابلتهم هناك . ولكنهم ليسوا أوربيين على الإطلاق . مُحَدِّثِى يعيش بينهم ، ويعرف العادات السائدة فيهم الآن ؛ فهم يشربون الخمر بنهم شديد ، ويسكرون بعنف ولا يعملون ، ويسهرن الليل الطويل فى « الديسكو » ، وفى طلب المتع ، ولما كانت المصادر محدودة فالفقر شائع فيهم إلى حد كبير . وبالفعل قضيت وقتاً طويلًا أشاهد العاصمة والأماكن السياحية العديدة المنتشرة حولها ، فلم أجد ما يشدنى . هناك صناعات يدوية فقيرة وبدائية ، ولا تغرى أحداً بالإقدام عليها ، والتداول للإنتاج الزراعى أساساً وهو كثير وطيب بلا شك فالنمط الريفى فى الحياة والإنتاج هو السائد فى هذه العاصمة .

ليست دول « الكمنولث » بهذا التأخر ، ولكن الذى ذكرتنى « تيرانا » به ، أنها أدوات الحكم الشيوعى ، والوسائل التى يتذرع بها للسيطرة على الناس فى كل تلك العواصم . هناك شارع رئيسى توجد فيه الحكومة ، ويوجد فيه مبنى واسع للبرلمان وللمؤتمرات ، فضلًا عن مسرح وتمثال أو أكثر للزعيم . والزعيم فيها جميعاً هو «لينين» .

وقد انعقد المؤتمر الذى دعى الأزهر لحضوره فى مبنى قاعة المؤتمرات ، وهو بالفعل مبنى من أفخر وأعظم المبانى ، وإن قيل لنا : إنه استخدم مرة واحدة لاستقبال نواب الحزب الشيوعى الألبانى من مختلف أنحاء البلاد . وكان المؤتمر عن تطوير التعليم فى ألبانيا .

كان يحضر المؤتمر العديد من المنظمات الدولية ؛ بل كان (لمنظمة اليونسيف) الدور التنظيمى الأكبر فيه ، وحضرت (اليونسكو) و (اليونيدو) ، لكن اللافت للنظر وجود العديد من

الجمعيات والمنظمات الأهلية التى لا تخفى الإعلان عن هويتها ، وبعض هذه الهيئات تنتمى إلى الكنيسة الأرثوذكسية ، حيث اليونان فى الجنوب ، وبعضها الآخر ينتمى إلى الكنيسة الكاثولوكية حيث توجد إيطاليا والفاتيكان على حدود ألبانيا . وقد حضر المؤتمر سفراء معظم الدول الأوربية ، على رأسهم سويسرا وفرنسا وألمانيا ، وكان هناك حضور إسلامى محدود ، تمثل فى وجود جمعية الوقف ، والبنك الإسلامى للتنمية بجدة ، فضلًا عن جمعية كويتية قامت بإنشاء مدرسة هناك . حضور كبير رأيت أنه لا يتناسب مع الأهمية المحدودة لدولة صغيرة كألبانيا خاصة إنه لا توجد فيها موارد طبيعية ، ولا تتمتع بمزايا نسبية فى الشعب ، أو الموقع يبرر هذا الحضور ، أو الهجوم إذا شئنا الدقة .

ومن باب تقرير الأمر الواقع أقول : إن هذه الرحلة نظمتها السفارة المصرية ونفذها الأزهر ، فقد ارتآى السفير تزاحماً كبيراً على حضور مؤتمر يبحث مستقبل التعليم فى ألبانيا ، هذا التزاحم الذى كان واضحاً فى المؤتمر ، فقد حضرت هيئات أجنبية عديدة أرثوذكسية ـ وكاثولوكية .

وهنا لنا وقفة : فالواقع أن تنظيم المؤتمر وعمل مختلف ترتيبات الدعوة إليه ، وتجهيز أوراقه وبحوثه ، مسألة اضطلع بها « اليونسيف » كما أن مندوبه فى ألبانيا وهو السفير البسيط جداً « مجلاتى » كان أهم شخصية بذلت دوراً فى هذا المؤتمر ، وهذا السفير إيرانى الجنسية لكنه يمثل فكراً إسلامياً متقدماً ، وقد دعانى إلى كسر الصمت الذى كنت قد اتفقت عليه مع السفير المصرى ، وإلى ضرورة الحديث ، وجاء السفير التركى معه ، وكذلك ممثلى الهيئات الإسلامية التى حضرت المؤتمر ، وهى : الهيئة الخيرية الإسلامية ، وجمعية الوقف ، والبنك الإسلامى للتنمية ، ليطالبنى الجميع بأن أبدأ الحديث باعتبارى ممثل الأزهر ، وفعلًا تحدثت . فقلت :

إننى موفد من قبل الحكومة المصرية لأمثل الأزهر فى هذا المؤتمر الهام ، وذلك لأن العلاقات بين مصر وألبانيا علاقات تاريخية نادرة . لقد جاء ألبانى يدعى (محمد على باشا) إلى مصر فى القرن الماضى ، وأسس مصر الحديثة ، ومصر تعرف الأيادى التى تقدمت إليها ، ولا تنس بحال من يفعل لها الخير .

إن مصر تتطلع إلى هذه الدولة الفتية ، والأزهر على استعداد تام لكى يساهم فى تطوير مناهج التعليم ، وفى تقديم المنح للطلاب للدراسة فى مصر ، كما أنه على استعداد لكى يرسل من يدرس اللغة العربية والعلوم الإسلامية لدولة « ألبانيا » .

إن كل مصرى يعرف ألبانيا ؛ لأن تاريخنا الحديث ارتبط بها وبشخصية إصلاحية جاءت من أراضيها .

وقد كان السفير المصرى على قدر كبير من الذكاء عندما فكر فى الأزهر ؛ فلقد كان

باستطاعته أن يطالب وزارة الخارجية بإرسال وفد من وزارة التعليم ، ولكنه أدرك أهمية أن يكون الوفد من الأزهر ؛ فنحن فى مجال التعليم العام لن يكون لدينا ما نقدمه بالذات فى المناهج والمؤلفات ، فربما تكون المنافسة غير متكافئة بيننا وبين ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا التى كانت موجودة بقوة فى المؤتمر ، إنما تقديم نمط من التعليم الدينى وتعلم اللغة العربية لشعب تُمَثِّلُ هذه الأشياء خلفية فكرِهِ وعقيدته ، هو الشىء الذى يمكن أن تتميز مصر فيه ، ومَنْ سوى الأزهر يستطيع أن يقدم تعليم الدين الإسلامى واللغة لعربية للعالم .

لذا كان تنظيم لقاء فى مكتب وزير التعليم ، ولقاء آخر بهذا الوزير ـ فى منزل السفير ـ أمراً يحمد للسفير . استطعنا أن نتحدث معه واستطاع هو كذلك أن يتحدث معنا ، ويفتح لنا قلبه بعيداً عن المزايدات ، وهذا السباق الذى يستعرض فيه كل مندوب ، وكل سفير ، عضلاته حول ما قدمته بلده ، وما يمكن أن تقدمه لألبانيا .

الغريب أنه عندما أتينا فى اليوم التالى ودخلنا قاعة المؤتمرات ، سلم علينا وزير التعليم بحرارة ، مما جعل العديد من المندوبين يحيطون بى ليعرفوا ماذا حدث ، وما هو البرنامج الذى سوف نقدمه لألبانيا .

لقد تعجبت من هذا الاهتمام الزائد الذى توليه دول أوربا لبلدة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثة ملايين نسمة ، نصفهم يوجدون خارجها ولا يوجد بها مصادر للثروة ، ولا أيَّةُ مظاهر للتقدم .

هل لأنها دولة من دول البلقان ؟

أم لأنها دولة شيوعية نفضت غبار الفكر والنظام الشيوعى ، ويخشى أن ترتمى فى نظام آخر غير غربى ، أو نظام يقود إلى الشيوعية من جديد .

تساؤلات كثيرة تحيط بى ، ولعل بعض ما رأيناه يلقى الضوء على هذه المسألة .

فلقد أقدمت الحكومة الألبانية على طرد قسيس يونانى كان يوجد فى الجنوب على الحدود مع اليونان للتبشير ، ولكنه تجاوز حدوده وأخذ يسىء إلى الناس ، وزعم فيما زعم ، أن أجزاء عديدة من الأراضى الألبانية هى ـ أساساً ـ مملوكة لليونان ، ولكن اليونان ردت بعنف على هذا الإجراء ، فلقد طردت حتى الآن خمسة آلاف ألبانى كانوا يعملون فى اليونان ، وألقت بهم على الحدود بلا مأوى .

كذلك فقد ذهب بابا الفاتيكان فى العام الماضى لزيارة ألبانيا ، ووزع على الشباب جميعاً الصليب ، وقد أرى أن العديد من المسلمين يلبسونه بلا حساسية ، ليس هذا فقط ؛ بل يذكر الجميع أن هذا الرجل عندما ذهب إلى مطار ألبانيا قبّل الأرض هناك ، إشارة إلى فرحه وترحيبه بعودة إحدى الديار إلى المناطق التى ينتشر فيها نفوذه ، وإلى استعداده للعمل ، ولبذل الجهد حتى تنتشر النصرانية فيها .

الأحاديث والكلمات التى ألقيت فى المؤتمر تكشف صعوبة العمل الإسلامى فى هذه الدولة وهذه هى الاتجاهات العامة للمناقشات .

المسئولون الألبان من مساعدى الوزير ، والمسئولون عن الجامعات ـ وهم كثير ـ تحدثوا عن احتياجات ألبانيا إلى المدارس ، وإلى الجامعات بعد أن تحطمت أغلب المدارس نتيجة للثورة على النظام الشيوعى الذى جسم به على ألبانيا ـ أنور خوجه ـ قرابة النصف قرن ، خاصة أنه أغلق كل الأبواب ، وسد كافة المنافذ أمام هذا الشعب ، فلا علاقات ولا اتصالات بل إغلاق الأبواب لبناء النظام الشيوعى المثالى ، كيف لا ؟ وقد اعتبر الاتحاد السوفيتى ألبانيا دولة منحرفة عن المبادىء الشيوعية الأصلية ، وكذلك الصين .

كذلك فقد دمرت كافة المصانع ، ولا يوجد أى شىء ينتج فى ألبانيا الآن ، حتى البسكويت ، ..... حركة تدمير كاملة للمصانع لا أعرف لها سبباً .

وقد تردد ـ كثيراً ـ على لسان المسئولين أن التعليم يجب أن يتطور ويستهدف تكوين « عقلية أوربية » ويستهدف المستوى الأوربى والتنظيم والبرامج ، إلى جانب ذلك .

وبالمقابل لا نسمع كلمة واحدة عن إدخال برامج دينية أو تربوية فى التعليم ، فالهدف هو التعليم المدنى ، العلمانى الذى لا يجعل للدين أى دور فى الحياة . كذلك فإن أحداً لم يتحدث عن شىء بعد قولى للتعليم المستهدف ، يظهر الذات ويحافظ على التراث .

وإلى جانب ذلك كان هناك تركيز على الربط بين التعليم وهدف تكوين نظام اقتصادى حر ، فيجب أن يتم تطوير التعليم والتدريب سريعاً ليواجه حاجات التحول الاقتصادى الذى تمر به البلاد ، والانفتاح على الاقتصاد الحر .

ولاحظت كذلك الإلحاح فى طلب المساعدات بلا حدود . حتى أن رئيس إحدى الجامعات تحدث عن الحاجة إلى الحبر والأقلام والأوراق والطباشير المطلوبة للتعليم !!..

تكاد تتفق العواصم للدول التى كانت تعيش على الشيوعية فى بعض المعالم الرئيسية ، فاختبارات الزعامة الفردية تتجه نحو مكان فسيح يجتمع فيه أفراد الحزب ، ومسرح ليقدم عروضاً ـ من نوع خاص بالطبع ـ إلى جانب تمثال أو أكثر للزعيم ، كل هذا فى أهم الميادين . تذكرت ما شاهدته فى طشقند وفى «ألما» ـ «آتا» ، وفى «كازان» وغيرها من دول المعسكر الشيوعى السابق ، وأنا أصعد فى هذا المبنى الأنيق المتميز بمقاعده الوثيرة ونافورته وحديقته الرائعة والرسوم والصور التى تزين جدرانه ، إنه مبنى المؤتمرات بمدينة «تيرانا» عاصمة الدولة الأسطورة ، ألبانيا ، بلد «أنور خوجه» الذى أغلق أبوابها على أهلها منذ بداية هذا القرن ولفترة طويلة ، والذى لا توجد فيه مبانى لها قيمة على الإطلاق ، فيما عدا هذا القصر ، والمسرح المجاور له ، وبعض المساكن القليلة التى

تحيط به للحكام وللسفارات الأجنبية . وعندما مضى المتحدثون يتكلمون عن برامج التعليم وتطويرها ، أطبق على أذنى أقوال عديدة لمسئولين ألبان كلها تردد «نريد أن تشتمل هنا العقلية الغربية» ونريد أن «نضع المعايير الأوربية فى الدراسات والمناهج ؛ ليكون الأساس الذى تسير عليه مدارسنا وجامعاتنا» ، وتذكرت على الفور ذلك الصراع الفكرى الذى شدنى كثيراً وأنا أقرأ الصحف والمجلات المصرية التى ظهرت فى بلادنا ـ فى بداية هذا القرن ـ ولا زالت فكان من آثارها حتى الآن ، هذا الصراع الذى يدور فى الصحف بين فريقين ، فريق يطالب الأجداد والآباء بخلع ما يعيشون عليه من تراث وفكر لم يعد يلائم متطلبات العصر بما فى ذلك الملبس وحتى غطاء الرأس «الطرابيش» . لقد كان هذا الفريق من المحدثين الذين ذهبوا إلى أوربا فى بعثات علمية وعادوا منبهرين بالحضارة الغربية ، ومقتنعين بمصادر فكرها ، ومن ذا الذى يستطيع أن يعيش فى أوربا ولا ينبهر بنهضتها وتقدمها وحرية الإنسان فيها ، وحرص الأنظمة على رعاية الفرد وجعله محور كافة الأنشطة ، وحجر الزاوية فى كافة الأعمال . لقد قامت الحضارة الأوربية على الحرية ودفعت فى سبيلها الكثير من الدماء ، وضحت أجيال كثيرة فيها بكل شىء فى سبيل تدعيمها ، وجعلها القيمة الرئيسية للحياة فى هذه المجتمعات . لقد عرفوا عيوبها ـ لا شك فى ذلك ـ ولكنهم فاضلوا دائماً بين المزايا والعيوب ، ورجحت عندهم كفة المزايا ، حتى لو كلفهم ذلك تحطيم الأسرة ، وكشف العورات ، وهتك الأعراض .

ولقد وقف فريق السفيين يقاوم بشدة هذا الاتجاه ، ويدعو إلى التمسك بالحاضر ، ورفض الجديد ، إن الآباء قد وضعوا قواعدَ لكل شىء ، وهذه القواعد تأتى من مصادر مقدسة ، فضلا عن أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

لقد كانت مجلات : «السياسة الأسبوعية» و«الثقافة» منابر للفكر فى ذلك الوقت ، وقد جمعت مقالات مصطفى صادق الرافعى ـ زعيم الاتجاه السلفى ـ فى مهاجمة فكر طه حسين الذى وضع معالم نظريات الاتجاه إلى الغرب فى العديد من كتبه مثل «مستقبل الثقافة فى مصر ، وفى الأدب الجاهلى» ، فى مؤلف شهير سمى باسم «المعركة تحت راية القرآن» .

الحديث فى المؤتمر باللغة الألبانية من قبل الألبان حيث قلة منهم من يعرف لغة أجنبية ، ومع ذلك فهناك ترجمة إلى الإنجليزية والفرنسية ، كما أن العديد من الوفود يتحدثون هذه اللغات .

كان مفيداً أن يتحدث معنا السفير عن اهتمامه شخصياً واهتمام بلده بالأصول الإسلامية ، وترحيبه بأى برامج للمساعدات فى التعليم يأتى من الأزهر . وخرجنا متفقين على أن المنح يجب أن تعطى للمتميزين ، ولمن لديهم قدرة أكثر على

التأثير فى المستقبل ، وكان واضحاً أن الوزير يرغب فى أن يتعلم المبعوثون دراسات عملية فى الطب والزراعة والهندسة والعلوم ، وكذلك فى القانون ، مع بناء عقلية إسلامية فى نفس الوقت ، أى أن الصيغة المرغوب فيها ، هى صيغة الأزهر فى تطوره الجديد ، فلا فائدة كبيرة ترجى ممن يدرس الدين فقط ، فلن يحظى بمكان متميز فى الدولة الجديدة . كذلك رحب بشدة بأن يساعد الأزهر فى إدارة مدارس على النمط الأزهرى فى التعليم ، حيث نجح طالب الأزهر فى دراسته الأساسية والثانوية بين الدراسات الحديثة والدراسات الإسلامية . كذلك فهناك إلحاح على وجود أى صيغة سريعة لدراسة اللغة العربية ، ولو عن طريق من يتعلمونها بكثرة فى مقدونيا .

والحمد لله تم الاتفاق على برنامج للمساعدات العلمية يقوم الأزهر بتنفيذه الآن .

وعلى الجانب الآخر ، طلبنا من السفير أن ينظم لنا لقاءاً مع المفتى ، وهو شخصية تاريخية ـ اسمه (صبر كوتش) ، طويل القامة على قدر من النحافة ، وجه أوربى يميل للحمرة ، ويلبس زياً قريباً من الزى الأزهرى مع عمامة مختلفة كبيرة . وهو فى السبعينات من العمر ، تبدو عليه آثار الزمن ، يتحدث العربية ، فرح عندما رأى بعثة الأزهر ، وانطلق فى الكلام . لقد قضى الرجل عمراً فى المعتقل : عشر سنوات ، وقضى عمراً أطول مفتياً للبلاد من أيام (أنور خوجه) ولكنه طولب بألا يفتح فمه ، ولم يفتحه خوفاً من التعذيب والسجن .

وعرفنا أن الإدارة الدينية مسجلة فى ألبانيا كجمعية خاصة ترعى الأنشطة الدينية فى كل ألبانيا ، وتعترف بها الدولة على هذا الأساس ، وأنه يعد المفتى الأكبر هناك ، ويتبعه ستة مفتين منتشرين فى مختلف أقاليم ألبانيا ، وكل مفتى يتبعه عدد من الأئمة .

وذكر أن هناك مدارس دينية تتبعه ، وأن الأطفال يتعلمون فيها القرآن الكريم ومبادىء الدين الإسلامى . وركز على أن الأمور أفضل بكثير عن ذى قبل ، بل حتى عن الفترة التى سبقت الحكم الشيوعى ؛ لأن الحريات مكفولة ، والحماس الدينى لدى الناس ، خاصة فى الغرب شديد حيث ازدهرت حركة بناء المساجد ، وتعلم الدين .

وقال المفتى : إن الأزهر قد أرسل له اثنين من الدعاة ، ولكن الفائدة منهما ليست كبيرة بسبب جهلهما التام بكل اللغات ، وقال : إنهما يجدان صعوبات حتى عند دخولهما المطار ، لذا طلب أن يرسل الأزهر من يتقنون الألبانية ، أو أية لغة أوربية ، وقال : إن البرلمان وافق على أن يتم تعلم اللغة العربية فى المدارس ، وإن شكك السفير المصرى فى هذه المعلومة ، مما دعانى إلى سؤال الوزير الذى قال : إن قانون التعليم لم يمر فى البرلمان بعد ، وأن ما تم الاتفاق عليه إمكان تعليم اللغة العربية فى الجامعات ، وليس فى المدارس .

وطالبنا المفتى بضرورة إرسال كتب بالألبانية لتعليم الدين ، وذكر أن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية طبع مؤلفات بالألبانية ، وأنه يطالب بالمزيد منها للتعريف بأصول الإسلام ، وسيرة نبيه ، وتفسير بعض السور .

وقبل أن نودع ألبانيا جلسنا على إحدى المقاهى الأنيقة : وهى من أحسن الأشياء فى ألبانيا ، وجلس إلينا أحد الأشخاص ، وقد تبين أنه سورى الجنسية ويعيش فى تركيا ، كان من « دير الزور » ، وجاء إلى « تيرانا » مع بداية سياسة التحرر وأجر محلين للملابس ، ولكنه لم يبع شيئاً ، تجربة فاشلة ، لذا أخذ ينحو بالملائمة على كل الناس وكل الدولة ، لا توجد فى رأيه أية قدرات أو دافع على العمل التجارى أو الاقتصادى ، الناس كانوا موظفين لرب الدولة ، ومن الصعب تغيير ذلك على الأقل فى وقت قريب ، وردد الرجل مراراً على هذا الشعب «أنه لا يصلح لأى شىء ، عاشوا يسيرون بدون تفكير ، كانوا عاجزين عن السير فى الطريق ، ولا يغادرون الأرصفة ، فكيف سيتاجرون أو يصنعون أو يزرعون ؟» . وحدثنا عن الشباب الذى لا هم له سوى إطالة الشعر ، وتضفيره كالنساء ، ويعيثون فى الأرض فساداً ، لا هم للشباب سوى الجنس والخمر والرقص ، ولم تكن لديهم سيارات ، لذا لا يحسنون القيادة ، وتكثر الحوادث ، ويقودون السيارات بدون رخص وهم سكارى . لذا ففكرة أنهم أوربيون فكرة فيها كل الشك من هذا الرجل ومن كثير ممن قابلنا . فالأوربيون غاية فى النشاط وإتقان العمل ، وهؤلاء كسالى لا يعملون . وأوربا نظيفة ومزدهرة وهنا قذارة وأوساخ ، والأوربيون لديهم روح المغامرة وهى مقتولة هنا تماماً وهكذا .

ومع ذلك فهناك من يقول : إنه شعب طيب ، دمث الخلق ، يقدر العواطف ، ويحتاج إلى بعث العقيدة فيه ، والمستقبل للإسلام فيه أفضل من أى مكان آخر .

لقد قابلت العديد من الذين يتحدثون الإنجليزية أو الفرنسية من منسوبى الجامعات وسألتهم عن دينهم فهم يعرفون ـ والحمد لله ـ أنهم مسلمون ؛ وأن ٨٥٪ من تعداد السكان يدينون بالإسلام . لكن ما الإسلام عندهم ؟ لا صلاة ، لا زكاة ، لا صوم ، وإن كان هناك احتفال بالأعياد ، الزواج من غير المسلمين ممكن وشائع ، ولقد سألت إحدى المعيدات عما إذا كانت تقبل أن تتزوج غير مسلم ، فأجابتنى بأن ذلك يتوقف على الشخص الذى سيتقدم ؛ لأن القانون لا يمنعها من هذا الزواج .

حول «فوائد البنوك وحكم الدين»
بعيداً عن التعصب والمراء

د . ابراهيم عوضين*

إذا كان التكافل الإسلامى يوجب على المسلم أن لايترك عاثراً لعثرته ، بل يلزمه بأن يأخذ بيده ، حتى ينهضه من عثرته ، على الرغم من أثر العثرة قد لايتجاوز الفرد إلى غيره .. فإذا كانت العثرة عامة ، يمكن أن تنتشر منه إلى أمته ــ فى تشريعها ، أو معتقدها ، أو قيمها ــ أصبح الأخذ بيده ، وتسديد خطاه أوجب وألزم .

ويوم الأحد ١٩٩٣/١١/٢١ طالعتنا مجلة (أكتوبر) القاهرية بمقال الأستاذ صلاح منتصر الأسبوعى تحت عنوان (فوائد البنوك وحكم الدين . هل يظلم المودع البنك ، أم يظلم البنك المقترض ؟) .

والمقال ــ فى حقيقته ــ تقديم لرسالة الأستاذ المستشار أحمد صلاح الدين بدور ، رئيس محكمة أمن الدولة العليا .

ولقد عنَّ لى فى المقال بشقيه ما يجانف الحقيقة والدقة فى فهم القرآن الكريم والحديث الشريف ، ومايدعو إلى المراجعة والتسديد ! .

مع الأستاذ منتصر فى مقدمته

فى المقدمة بدا من بعض عبارات الأستاذ منتصر مايميل به عن الحيدة المنتظرة ــ ولعله فى ذلك لم يكن قاصداً ــ ففى قوله مثلا : (أقرأ لبعض رجال الدين ، فأجدهم يضعونها ــ يعنى فوائد البنوك ــ فى خانة الربا ، وأقرأ لآخرين فضلاء من رجال الدين أيضاً ، فأجدهم يرفعون عنها نسب الربا ..) يصف رجال الدين الذين يرفعون عن فوائد البنوك نسب الربا ، بأنهم فضلاء ، بينما يحرم الآخرين من ذلك الوصف .. على الرغم من أن هؤلاء ، وأولئك فضلاء ، وأنه لا ينقض الفضل أو ينقصه الاختلاف معه فى الرأى ، مادام فى رأيه مجتهداً ، توسل إليه بكل وسائل الاجتهاد الصحيح .. مماقد ينبىء بوجهة الكاتب المنحازة ! .

وفى قوله بعد ذلك : (وأنا من المؤمنين بضرورة تلقى الدين من خبرائه ودارسيه ..) إيماء منه إلى حرصه على الدقة والأمانة التى يجب أن يتسم بها كل صاحب قلم .. وأعتقد أنه لا يخالفه فى ذلك إنسان محايد ؛ لأن لكل ميدان رجاله

* رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة

المتخصصون فيه ، الذين يجب أن لا يؤبه إلا لقولهم ! .

أما قوله بعد ذلك : (وقد كان اعتقادى أنه لا يستطيع أن يفتى فى شئون الدين إلا كل من يضع العمامة) . فهو اعتقاد خاطىء من غير شك ، فالمطلوب فيمن يفتى فى شئون الدين وغير الدين أن يكون خبيراً فيما يفتى فيه ، دون أى تلازم بين فقه المفتى ، وما يلبسه من أزياء .. جزى الله خاله فضيلة الشيخ حسن مأمون ــ رحمه الله ــ خير الجزاء لتصحيحه له هذا المعتقد .

وأما استطراده بعد ذلك بقوله : (بل لعلى لا أبالغ إذا قلت : إن وفرة من لابسى البدلات يتحدثون عن شئون الدين فى أيامنا أكثر من لابسى العمامة) . فقد وددت أن لو أضاف إليه ما يطمئن إلى حياده وأمانته ، فأكمل العبارة بقوله : (لأن الكثرة من دارسى الدين فى الأزهر وفى غير الأزهر ــ هذه الأيام ــ ليسوا من لابسى العمامة) .

حول رسالة المستشار وفقهه

فإذا ما اتجهنا إلى رسالة الأستاذ المستشار ، وجدنا أن سيادته ــ وهو القاضى ــ قد أصدر حكمه فى القضية سلفاً ، ثم قدم فى رسالته حيثيات حكمه ، وكنت أرجو منه ــ فى هذه القضية بذاتها ــ أن يبدأ بالمناقشة والبحث البصير ، والتحرى الدقيق ، والاستعراض الأمين ؛ ليخلص بنا إلى ما يرتاح إليه ضمير القاضى الفقيه النزيه ، من حكم .. إذن لتجاوز تلك السقطات الخطيرة ، التى وصمت الحكم الصادر بالضعف ، ووسمته بالبعد عن الحيدة !

أراد الأستاذ المستشار أن يقصر الربا الذى حرمه القران الكريم على ربا الجاهلية ؛ لأن قصره على ربا الجاهلية يدعم حكمه .. فاستشهد لذلك من القرآن الكريم ، ثم من السنة النبوية ، فقاده الغرض إلى الفهم الخاطىء للنص القرآنى ، وللحديث الشريف .

أما فى المجال القرانى ، فقد استند ــ فى تخصيص الربا المحرم بربا الجاهلية ــ إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . ظناً منه أن كلمة (ما سلف) تعنى ربا الجاهلية .. ولو أن سيادته قرأ الآية الكريمة ــ بعد التجرد من الغرض ــ لوجد أنها تقرر لمن أسلم حكم ما كان صدر عنه من تعامل ربوى قبل إسلامه ، فمن استجاب لأمر ربه ، فانتهى عن هذا اللون من التعامل المنهى عنه ، فله ما سلف ، أى فلا يؤاخذ بما مضى من معاملات ؛ لأنه صنع ذلك قبل أن يسلم ، أو قبل أن تنزل آيات التحريم ، وأمره إلى الله ، يحكم فى شأنه وليس إليكم أنتم ، فلا تطالبوه به .. وهذا يعنى بلغتنا العصرية (الحكم لا ينفذ بأثر رجعى) .

ثم وقع سيادة المستشار على ما ظنه يؤكد هذا الفهم الخاطىء ، فقال : (ويؤكد ذلك ــ أيضاً ــ قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ .. ﴾ ظناً منه أيضاً أن كلمة (بقى) مثل (سلف) ، تعنى أن الربا المنهى عنه هو الربا الباقى من الجاهلية .

ولا ريب فى خطأ هذا الظن ؛ لأن الآية الكريمة تأمر الذين آمنوا بأن يتقوا الله ، ويسقطوا ما هو

قائم من تعامل ربوى ، لم يصبح ماضياً ، فالذى سلف وانتهى يُسكت عنه ، ولا يسرى إليه الحكم ، وأما الربا الباقى القائم فإن الحكم يسرى إليه ، ويُلزم المؤمنون بأن لا يأخذوا ما شرطوه من الربا ، ويكتفوا باسترداد رءوس أموالهم .

وكذلك وقع سيادة المستشار فريسة الفهم الخاطىء لحديث الرسول ﷺ ، الذى جاء فيه : « وربا الجاهلية موضوع » ، إذ فهم المستشار من الحديث (أن الربا المحرم هو ربا الجاهلية) .

ولو أن السيد المستشار استحضر قوانين اللغة العربية ، والتزمها فى فقهه ، لعرف أن الفرق شاسع بين قولــه ﷺ : « وربــا الجاهليــة موضوع » ، وبين قوله هو : (إن الربا المحرم هو ربا الجاهلية) فعبارة المستشار (أسلوب قصر) تقصر الربا المحرم على ربا الجاهلية ، أما عبارة الرسول ﷺ فتعنى أن ربا الجاهلية هو كذلك من المعاملات الربوية الموضوعة .

وأعتقد أن الأستاذ المستشار يدرك الفرق بين مفهوم العبارتين . كما أعتقد أنه لا يرضى لنفسه أن يكون ممن يتزيدون على الله ورسوله ، فهو ــ من غير شك ــ لا يجهل ضرورة إتقان اللغة العربية لكل من يتعرض للقرآن الكريم أو للحديث الشريف بالدراسة ــ فضلًا عمن يتعرض للحكم بين الناس ــ حتى يكون من المجتهدين الذين يعفى عما قد يقعون فيه من خطأ ، وحتى يكون ممن يصح أن تؤخذ عنهم الفتوى فى أمور الدين وأحكامه ، سواء كان لابساً البدلة أم العمامة ! .

علة تحريم الربا

وبالمنهج المتسرع نفسه ــ أو المغرض ــ عرض السيد المستشار لعلة تحريم الربا فى آراء الفقهاء ، ليقول : (والواقع أن العلة من التحريم وردت فى القرآن صراحة فى قوله سبحانه :

﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ وهذا يعنى أن علة تحريم الربا هى منع الظلم) .

هكذا يقول المستشار بأسلوب القصر ، الذى يعنى أن منع الظلم وحده هو علة تحريم الربا فى الرؤية القرآنية ، فوقع فى خطأ تحميل النص القرآنى ما لا يحتمل ، وبالتالى : خطأ الاستنباط ! .

فالنظر المتأنى إلى الآية الكريمة كلها ، يقرر أنها لا تتحدث عن الربا على إطلاقه ، ولكنها تتناول حكم ما بقى قائماً من الربا بعد إسلام من يتعاملون به ، وأنها تفرض على المؤمن ــ بعد إيمانه ــ أن يسقط آثار ما بقى من الربا ، ويكتفى بتحصيل رأس ماله ، دون أن يظلم أحداً ــ بأخذه منه ما ليس حقه ــ ودون أن يظلمه أحد ، بما يقتطعه من رأس ماله .

فالظلم إذا كان واحداً من أضرار الربا ؛ لا يمكن أن يكون وحده هو الضرر الذى ينشأ عن الربا ؛ لأن أضرار الربا كثيرة ، من بينها .. (الظلم) .

فنفى الظلم إذن ليس العلة فى التحريم ، ولكنه واحدة من علل التحريم التى ندرك منها ما ندرك ، ويغيب عنا منها ما قد تكشف عنه الأيام ، مثل احتباس النقود عن التداول ، ومثل القضاء على الدوافع الفردية للاستثمار ، على ما قرره كثير من خبراء الاقتصاد فى الماضى وفى الحاضر ــ فى حدود تصوراتهم ــ مثل آدم سميث ، وماركس ، ومن سبقهما من الفلاسفة .

تغير سعر النقود

ويحاول السيد المستشار أن يدعم حكمه من جهة أخرى ، إذ يرى أن بعض الفقهاء والعلماء يفوتهم تغير سعر النقود ، ولو أنهم – يقول المستشار – نظروا إلى شخص اقترض من البنك فى عام ١٩٨٠ مبلغ ألف جنيه . وقام فى عام ١٩٩٠ بسداد هذا المبلغ ، فهل لا يكون قد وقع ظلم على البنك ، لأن قيمة الألف جنيه فى عام ١٩٩٠ أقل من قيمتها فى عام ١٩٨٠ ؟

وفات السيد المستشار أن حكم الربا حكم عام ، وأن ما هو حادث فى مصر من تضخم ، حالة خاصة طارئة ، لا يصح أن تكون هى أساس الحل والحرمة .

كما فاته أن يفترض أن الشخص الذى اقترض من البنك سنة ١٩٨٠ إنما اقترض ألف دولار ، فإذا سددها ألف دولار سنة ١٩٩٠ ألا يكون الظلم هنا قد وقع على المقترض ، وليس على البنك ، حيث ارتفعت قيمة الدولار من نحو سبعين قرشا إلى أكثر من ثلاثمائة قرش .. فإذا أضيف إلى أصل القرض فوائده التى يفرضها البنك .. أفلا يكون المقترض قد أصيب بالظلم المضاعف ، والذى قد يكون سبباً فى القضاء المبرم عليه ؟!

ويقول السيد المستشار : إن البنوك لا تحتمل الخسائر ، لأن خبراءها يقومون بدراسة المشاريع التى تساهم فيها البنوك دراسة وافية ، فلا يمكن أن تتعرض للخسائر ، غافلا – أو متغافلا – عما مر به كثير من البنوك العالمية من هزات مختلفة الأسباب ، قضت عليها – أو كادت – ولا أظنه نسى ما حدث قريبا لبنك الاعتماد ، وبنك أنترا ، وما أصاب البنوك فى أثناء الحرب العالمية وأعقابها .

التهوين من قيمة الفائدة

ثم يرى السيد المستشار أن لا غبار على البنوك حين تقرض شخصاً ليقيم مشروعاً ، وتحصل منه على نسبة من الربح تضارع حصة ربحها فى مقابل اشتراكه .

غافلا – أو متغافلا – عن حقيقة ما يحصله البنك من المقترض – وهو نسبة من رأس المال المقترض وليس نسبة من الربح كما يقول ، ولا شك أن الفرق واضح بيِّن بَيْن أن يحصل نسبة من الربح ، وأن يحصل نسبة من رأس المال !

وغافلا – أو متغافلا – بالتالى عما يصيب الكثير من هذه النسبة (المسماة ربحاً) ومن تركيبها ، مما يثقل كاهل صاحب المشروع ، ويستنزف أرباحه كلها أو جلها ، إن لم يستنزف الربح ورأس المال معاً !

ولو تلفت السيد المستشار حوله لرأى المئات – بل الآلاف – ممن وقعوا فريسة ذلك النظام الخادع ، ولسمع بكاءهم ، ولشاهد ما آل إليه أمرهم من ضياع وخراب ، ولتذكر ما أصدر هو وزملاؤه من أحكام قضائية لصالح البنوك قد أدت بالكثير منهم إلى الإفلاس ، ثم الجنون أو الانتحار !

ولماذا نذهب بعيداً ، وأمامنا اليوم واقع مصر وما أصابها من جراء تلك القروض الربوية ، التى فاقت فوائدها – أو أرباحها – خمسة أضعاف أصولها ، والتى أمسكت بخناق حكومتنا وشعبنا ، ومكنت من أعناقنا دول أوربا المختلفة ، لتتحكم فينا هذا التحكم !

وأما الارتكان على أن البنك المركزى لسان حال الدولة ، فهذا يفرض سؤالا آخر : أترتكن على البنك المركزى فى تحليل الحرام ، أم فى تحليل الحلال وتحريم الحرام ؟ إن كانت الثانيـــة فلا خلاف ، وإن كانت الأولى فالخلاف قائم ، لأن الدولة – أى دولة – قد تخطىء التقدير ، كما قد تصيبه ، ولا أدل على ذلك مما نراه من تقلب الدول بين الأنظمة المختلفة فما تلتزم به اليوم دولة ما ، قد تلفظه غداً وتتنكر له .. وما الاتحاد السوفيتى عنا ببعيد ..

أما الرسول ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى فهو المعصوم من الخطأ فى كل ما يبلغه عن ربه . فإذا أعلن أن الربا حرام ، وأن ربا الجاهلية من أنواع الربا المحرم ، وأن أول ربا يلغيه ويبطله هو ربا عمه العباس .. فلا كلام لأحد آخر ، إلا أن يقدم إيضاحاً وتبياناً لا يشذ عن ذلك !

وأما ما خلص إليه المستشار بعد ذلك .. من أنه مادامت المعاملة قد خلت من وقوع ظلم على أى من طرفيها ، فهى حلال شرعـاً .. فذلك الكلام الجميل فى ظاهره لايمكن الاستناد عليه وحده فى قبول التشريعات – كما يعلم سيادة المستشار – إلا إذا تأكدنا من أن الظلم وحده هو علة التحريم ، ثم إلا إذا تم الاتفاق على تحديد الظلم وأبعاده ، حتى لا يكون الظلم أمراً نسبياً ، يتغير من شخص إلى شخص ، ويتغير لدى الشخص الواحد ، حسب الموقف والظرف والملابسة .

الشــكل والجوهــر

ثم يأبى السيد المستشار إلا أن ينهى رسالته – أو بحثه – بالإشارة المتهكمة إلى ما جاء على لسان فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى رسالته التى بعث بها فى عام ١٩٩١ إلى مجلس إدارة بنك الاستثمار القومى ، معترضاً فيها على كلمـــة (فائدة) طالباً استبدال كلمة (عائد) بها .. ثم يتساءل السيد المستشار عما إذا كانت العبرة فى الأحكام الشرعية بالأسماء أم المسميات ؟!

وواضح أن السيد المستشار إنما دفعه إلى ذلك ، ظنه أن الأمر أمر شكليات .. ولو أمعن النظر المجرد من الهوى والغرض فى مطلب فضيلة الإمام الأكبر ، لتبين له أنه ما قصد الشكل ، ولكنه قصد أن يلجىء البنك إلى الصواب ، لأن مفهـوم (الفائـدة) يختلـف تمامـاً عن مفهـوم (العائد) .

وإذا كان السيد المستشار لم يتنبه إلى الفرق بين المفهومين ، فإن القائمين على إدارة البنك قد تنبهوا إلى الفـرق ، ولـذلك لم يستجيبـــوا إلى ذلك المطلب .. ولـو كان المطلوب تغيير الشكـل فحسب ، لكان البنك أسرع ما يكون إلى ذلك ، حتى يفض ذلك الاشتباك .

مما تقدم .. يتبين أن سيادة المستشار القاضى أصدر حكمه سلفاً قبـل أن يدرس القضيـة ، ويبحث عن موطن الحق .. كما يتقرر أننى – فيما كتـــــبت – ما تعصبت لرأى عن هوى ، ولا قصدت أكثر من جلاء الحقيقة ، غير راغب فى أن أخوض فى اشتباك من هنا أو من هناك ، ولا مريد أن أسفه رأياً ، أو أن أنتقص من جهد .. إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله . والله من وراء القصد .

قيمة الزهد في الإسلام

بقلم م. محمد زين العابدين الغزازي

عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى ــ رضى الله عنه ــ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله .. دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال : « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة

والزهد لغة : الإعراض عن الشيء احتقاراً له وشرعا : أخذ قدر الضرورة من الحلال .

وقيل : هو العزوف عن الدنيا عدولا إلى الاخرة ، أو العزوف عن غير الله تعالى عدولا إليه ــ سبحانه ــ وهو أبلغ .

والزهد فى الدنيا مقام الصالحين من العباد فقوله ﷺ : « ازهد فى الدنيا » باستصغار جملتها ، واحتقار جميع شأنها ، يدل على تصغيره ﷺ للدنيا وتحقيره إياها ، وتحذيره من غرورها ، وقد فسر العلماء الدنيا بأنها : ما حواه الليل والنهار وأظلته السماء وأقلته الأرض ، واختلفوا فى المزهود فيه منها ، فقيل : الدنيا الدينار والدرهم ، وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن ، وهو أشمل .

على أنه لهذا الحديث منطوق ومفهوم ، فمنطوقه : « إن أردت أن يحبك الله فازهد فى الدنيا » يبين أن الزهد فى الدنيا سبب لمحبة الله ــ تعالى ــ لعبده ، وكفى العبد بهذه المحبة نعمة ، أما مفهومه فيدل على : أن الراغب فى الدنيا ــ المتكالب عليها ــ متعرض لبغض الله تعالى .

وقد نقل الإمام ابن كثير فى تفسيره قول ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قبس عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن مسعود قال : تلا رسول الله ﷺ هذه

الآية: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» فقيل له يا رسول الله ما هذا الشرح ؟ قال : «نور يقذف فى القلب ، قالوا يا رسول الله فهل لذلك من أمارة تعرف ؟ قال نعم . قالوا وما هى ؟ قال : «الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الموت» وقد روى هذا الحديث بطرق مرسلة ومتصلة .

ولما قدم على رسول الله — ﷺ — بعض الوفود قالوا : إنا مؤمنون قال : وما علامة إيمانكم ؟ فذكروا الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بمواقع القضاء ، وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام : «إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون» .. رواه الخطيب وابن عساكر فى تاريخيهما من حديث جابر .

وقد روى مسروق عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك ؟ قالت : وبكيت لما رأيت به من الجوع ، فقال : يا عائشة والذى نفسى بيده لو سألت ربى أن يجرى معى جبال الدنيا ذهبا لأجراها حيث شئت من الأرض ، ولكنى اخترت جوع الدنيا على شبعها ، وفقر الدنيا على غناها ، وحزن الدنيا على فرحها ، يا عائشة : إن الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة : إن الله لم يرض لأولى العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض لى إلا أن يكلفنى ما كلفهم فقال : « فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ »[1] «والله ما لى بدّ من طاعته ، وإنى والله لأصبرن كما صبروا بجهدى ولا قوة إلا بالله» — رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس .

وقال سلمان الفارسى — رضى الله عنه : «ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى ، مؤمل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل وليس يغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ولايدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض ، وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى ، فراق الأحبة محمد وحزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدى الله ، ولا أدرى إلى الجنة يؤمر بى أو إلى النار»[2] .

وروى على كرم الله وجهه أنه — ﷺ — قال : «إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان ، اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق ، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا» ثم قال : ألا إن الله تعالى يعطى الدينا من يحب ويبغض ، وإذا أحب عبداً أعطاه الإيمان ، ألا إن للدين أبناء ، وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية ، ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ألا وإنكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ، ألا وإنكم توشكون للعرض فى يوم حساب ليس فيه عمل» — رواه ابن أبى الدنيا من حديث جابر .

ويجب أن نعلم أن ذم الدنيا الوارد فى الكتاب والسنة ليس راجعاً لزمانها وهو : الليل والنهار ، لأن الله سبحانه وتعالى جعلهما خلفة لمن أراد يذكر أو أراد شكورا ، ولا إلى مكانها وهو

(١) سورة الاحقاف آية ـ ٣٥ .

(٢) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى

الأرض لأن الله تعالى جعلها لنا مهادا ولا إلى ما أودعه الله تعالى فيها من الجمادات والحيوانات لأن ذلك من نعمه على عباده ، قال تعالى : «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا»(٣) ؛ وإنما هو للاشتغال بما فيها عما خلقنا لأجله وهو : عبادته ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ــ الذاريات الآية ﴿٥٦﴾

قال بعض السلف ممن زهد فى الدنيا أن الله سبحانه وتعالى لما جعل على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، بيَّن بعد ذلك مباشرة انقطاع ذلك ونفاذه بقوله : ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ الكهف الآية :٨.

فمن فهم أن هذا هو مآلها جعل همه التزود منها لدار القرار ، واكتفى من الدنيا بما يكتفى به المسافر فى سفره .

وليكن لنا فى رسولنا الكريم ــ عليه أفضل الصلاة والتسليم ــ أسوة حسنة ، فقد كان يركب الحمار ويلبس الصوف ، وينتعل المخصوف ، ويلعق أصابعه ، ويأكل على الأرض ، ويقول : «إنما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد ، وأجلس كما تجلس العبيد» ، وذلك لأنه فَضَّل أن يكون نبياً عبداً .

وأما قوله ــ ﷺ : «وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس» ؛ فذلك لأن قلوب الغالبية من الناس مجبولة على حب الدنيا ، ومن نازع إنسانا فى محبوبه كرهه ، ومن لم يعارضه فيه أحبه ، قال الإمام الشافعى ــ رضى الله عنه :

ومن لم يذق الدنيا فإنى طعمتها
وسيق إلينا عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا
كما لاح فى ظهر الفلاة سرابها
وما هى إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كُنْتَ سلما لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فدع عنك فضلات الأمور فإنها
حرام على نفس التقى ارتكابها

فالواجب على العاقل ألا يغترَّ بمحاسن الدنيا فإنها ساحرة تزين ظاهرها بمحاسنها ، وتخفى قبائحها ومساوئها فى باطنها ليغتر الجاهل بما يرى من ظاهرها ، ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفى وجهها وتلبس أحسن الثياب وتتزين وتتجمل ليفتتن الخلق بها ، فإذا كشفوا عنها غطاءها وخمارها ، وألقوا عنها إزارها كرهوا النظر إلى وجهها ، وندموا على الاغترار بها .

وفى إحياء علوم الدين أن يحيى بن معاذ الرازى قال : الزاهد الصادق ، قوته ما وجد ، ولباسه ما ستر ، وسكنه حيث أدرك ، الدنيا سجنه ، والقبر مضجعه ، والخلوة مجلسه ، والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه ، والذكر رفيقه ، والزهد قرينه ، والحزن شأنه ، والحياء شعاره ، والجوع إدامه ، والحكمة كلامه ، والتراب فراشه ، والتقوى زاده ، والصمت غنيمته ، والصبر معتمده ، والتوكل حسبه ، والعقل دليله ، والعبادة حرفته والجنة مبلغه .

وللزهد درجات لا حصر لها ... ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الزاهدين فى الدنيا والراغبين فيما عند الله ــ تعالى ــ لأنه خير وأبقى .

(٣) سورة البقرة آية ــ ٢٩ .

القيادة الإدارية

الإدارة فى منهج الإسلام

د. محمد عبد الله آل ناجى

رابعاً : القدوة الحسنة :

القائد : ذو القدوة الحسنة ، يجعل أتباعه ومرءوسيه يقتدون به فى نشاطه ، فى تفانيه ، فى عمله ، فى مكارم أخلاقه ، وبذلك يكون العمل الذى يقومون به عملا ناجحاً متميزاً فى كل شىء ، ولقد كان الرسول ﷺ قدوة حسنة لأتباعه والمؤمنين به . وسار ولاته ومن كان يستعين بهم أو يستعملهم فى مجال القيادة على سَنَنِه ﷺ ؛ ولذلك قال الله ــ سبحانه وتعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ﴾

[الأحزاب : ٢١]

ومن القدوة الحسنة ما كان من أمر خالد بن الوليد ــ رضى الله عنه ــ فقد بهرت عبقريته قواد الروم وأمراء جيشهم ، مما حمل أحدهم واسمه (جرجه) على أن يدعو خالد للبروز إليه فى إحدى فترات الراحة بين القتال . وحين يلتقيان يوجه القائد الرومانى حديثه إلى خالد قائلا :

يا خالد : أصدقنى ، ولا تكذبنى ؛ فإن الحر لا يكذب .

هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك إياه فلا تسله على أحد إلا هزمته ؟

قال خالد : لا .

قال الرجل : فم سميت سيف الله ؟

قال خالد : إن الله بعث فينا رسوله ، فمنا من صدقه ، ومنا من كذبه ، وكنت فيمن كذب ، حتى أخذ الله قلوبنا إلى الإسلام ، وهدانا برسوله

(*) الباحث : عميد كلية التربية ــ جامعة الملك فيصل ــ المملكة العربية السعودية .

فبايعناه ، فدعا لى الرسول ﷺ وقال لى : « أنت سيف من سيوف الله فهكذا » سميت سيف الله .

قال القائد الرومانى : وإلام تدعون ؟

قال خالد : إلى توحيد الله وإلى الإسلام .

قال : هل لمن يدخل فى الإسلام اليوم مثل مالكم من المثوبة والأجر ؟

قال خالد : نعم وأفضل .

قال القائد : كيف وقد سبقتموه ؟

قال خالد : لقد عشنا مع رسول الله ﷺ ورأينا آياته ومعجزاته ، وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم فى يسر . أما أنتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ، ثم آمنتم بالغيب ، فإن أجركم أجزل وأكبر إذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم .

وصاح القائد الرومانى ــ وقد دفع جواده إلى ناحية خالد ووقف بجواره : «علمنى الإسلام يا خالد »[1] .

إن هذا القائد لم يبهره الإسلام ؛ لأنه لا يعرف شيئا عنه ، ولم تقنعه تعاليمه ؛ لأنه لم يحدثه أحد عنها . ولكن الذى بهره شخصية خالد التى تشرب كل جزء منها تعاليم الإسلام . فأعجب به هذا القائد ، واتخذه قدوة ، وكان من جراء ذلك أن حقنت الدماء ، وكفى الله المؤمنين القتال ، ودخل هؤلاء الجنود مع قائدهم إلى ساحة الإسلام فكانوا لأهله عضدا وسندا ، وساروا فى أنحاء الأرض يعلنون كلمة التوحيد والإيمان .

خامساً : الشورى :

الشورى : مبدأ أساسى من مبادىء نظام الإدارة فى الإسلام .

أما شكل الشورى والوسيلة التى تتحقق بها فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير ، وفق أوضاع الناس ، وملابسات حياتهم .

إن خير وسيلة لتربية القيادة الرشيدة ، هو مبدأ الشورى ؛ لأنها تدريب على حمل التبعة ، وقد تخطىء المشورة فى تقديراتها ، ولكن عن طريقها تتعرف كيف تصحح الأخطاء ، وكيف تتحمل القيادة تبعات رأيها ومن شاركها فيه ، فهى لا تتعلم الصواب بالكامل إلا إذا زاولت الخطأ .

وقد تكون هناك خسائر نتيجة لذلك ، ولكن لا يهم إذا كانت الحصيلة فى النهاية هى : انشاء جيل من القادة المدركة المدربة ، المقدرة للتبعة . لقد قال الله ــ تعالى ــ لرسوله الكريم ﷺ وهو يوصيه بأصحابه وأتباعه :

﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾

[آل عمران : ١٥٩]

يقرر الله ــ تعالى ــ مبدأ الشورى ويلزم به القيادة الإسلامية ــ ومعها الوحى المتتابع الذى ينزل بكليات وجزئيات الرسالة الخاتمة ؛ لأن تبادل الآراء بين القيادة والمرءوسين فى حرية وإخلاص ، وإظهار ما فى كل منها من مزايا أو مآخذ يعد من أهم دواعى الوصول إلى أفضل الحلول لمواجهة المشاكل ــ ان كان هناك مشاكل ــ أو الوصول إلى الرأى الأمثل فى قيام مؤسسة ، أو إنشاء منظمة ، أو فى إقامة (أكاديمية) لتربية جيل من الأجيال على نمط معين أو وفق قواعد محددة . هذا بالإضافة إلى أن مبدأ الشورى يجلى الإخلاص فى العمل ، ويساهم فى رفع الروح

(١) صادق إبراهيم عرجون ــ خالد بن الوليد ، الطبعة الثانية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٧م .

المعنوية ، ويساعد على تنمية الولاء بالانتماء ويربط العاملين برباط المحبة والوفاء .

وعندما تقدم القيادة على تنفيذ مبدأ الشورى يكون تنفيذها هذا استجابة لله ــ تعالى ــ فى قوله سبحانه :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

[الشورى : ٣٨]

الرسول ــ ﷺ ــ يقول : «ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، ولا عال من اقتصد»(٢) .

فالشورى ألفة للقيادة ومختبر للعقول ، وطريق إلى الصواب .

وقال الحسن : (ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم)(٣) .

وقال أبو هريرة ــ رضى الله عنه ــ ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ . ولذلك عندما علم الرسول ﷺ بقوة القرشيين ، وكثرة عددهم فى غزوة بدر قال لأصحابه : «أشيروا علينا أيها الناس» .

فقال المقداد بن عمرو من المهاجرين : «يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى :

﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾

[المائدة : ٢٤]

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون .

وقال سعد بن معاذ من الأنصار : يا رسول الله كأنك تريدنا معشر الأنصار ؟

فقال رسول الله ﷺ : أجل .

فقال : إنا قد آمنا بك ، واتبعناك ، فامض لما أمرك الله ، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد . عندها قال الرسول ﷺ : «امضوا على بركة الله ، فكأنى أنظر إلى مصارع القوم»(٤) .

ثم ماذا ..؟

كان النصر المؤزر والفتح المبين .

سادساً : الرفق والرحمة بالرعية :

الناس دائماً فى حاجة إلى كنف رحيم ، وإلى رعاية فائقة ، وإلى بشاشة سمحة ، وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم .. الناس دائماً فى حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ، يحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه ، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا .

وهكذا كانت القيادة الإدارية فى صدر الإسلام تعطى ولا تأخذ ، وتسهر ولا تنام ، وتبذل قصارى جهدها فى راحة الرعية .

ومن هنا خاطب الله ــ سبحانه وتعالى ــ رسوله بقوله :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾

[آل عمران : ١٥٩]

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد فى المسند بسنده عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ وذكره ١ : ٤٤٧ (حلبى) .

(٣) الحديث اخرجه الطبرانى فى الكبير عن عبدالله بن مسعود . قال : قال رسول الله ﷺ وذكره .

(٤) الحديث أخرجه الإمام القرطبى فى تفسيره عن حديثه عن غزوة بدر ٧ : ٣٧٤ سورة الأنفال .

وهكذا كان القادة من بعده .

يسمع أبو بكر حيرة أمرأة عجوز وابنتها الصغيرة تقولان لقد كان أبو بكر يحلب لنا شاتنا وقد تولى أمر الخلافة فمن يحلب لنا من بعده ..؟ وكان على مقربة منهما يسمع كلام العجوز ، وحيرة الصغيرة ؛ فيقترب منهما ، ويطيب خاطرهما ويقول : أنا أحلب لكما شاتكما حتى يتوفانى الله(٥) .

وعمر بن الخطاب يسمع بكاء صِبْيَةٍ صغار لا يجدون عشاءهم ؛ فيهرول إلى بيت المال هو وخادمه ، ويحمل على ظهره الدقيق والسمن ، ويجلس ينضج لهما الطعام ، ويضعه لهما حتى يشبعا . ويدخل عليه ابنه عبدالله ، فيجد الدموع الغزار تسيل على خديه ، والرعب والهلع يسيطران على كل جارحة منه ؛ فيقول له ابنه : علام البكاء يا والدى . وقد أمنت الخائف وكسوت العارى ، وأطعمت الجائع وسددت ثغور المسلمين فى وجوه الأعداء ؟!

فيقول القائد المؤمن : «أخشى يابنى أن تعثر بغلة فى طريق العراق فيحاسب الله عليها عمر ؛ لأنه لم يُسَوِّ لها الطريق» .

ويخاطب عمر الرعية ويبصرهم بحقوقهم قبل أن يطلب منهم واجباتهم إزاء الدولة الإسلامية قائلا : « أيها الناس إنى والله ما أبعث عليكم عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم ، فمن فُعِلَ به سوى ذلك فليرفعه إلى ، فو الذى نفسى بيده لأقصنه منه ، وقد رأيت رسول الله ــ ﷺ ــ يقص من نفسه » .

ثم يخاطب الولاة قائلًا : «ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوا بهم الغياض فتضيعوهم»(٦) .

ولما بلغ عمر بن الخطاب أن والى حمص عبدالله ابن قرط قد اتخذ قصراً احتجب فيه عن الناس ، أرسل إليه وزيره المفوض محمد بن سلمة ، وأمره أن يجمع حطبا ويحرق بابه . فلما قدم محمد بن مسلمه إلى حمص ، جمع الحطب وأحرق باب القصر فدخل الناس على الوالى وذكروا له الخبر .

فقال لهم : دعوه فإنه رسول أمير المؤمنين .

ثم إن عمر استدعى والى حمص ، فلما حضر قال عمر : «احبسوه عنى ثلاثة أيام» حتى إذا كان بعد ثلاث استحضره ، وقال له : «يا ابن قرط الحقنى إلى الحرة وفيها إبل الصدقة وغنمها» حتى إذا جاء الحرة ألقى عليه جبة وقال : انزع ثيابك ، واترز بهذه ، ثم ناوله دلوا وقال : اسق هذه الإبل» .

فقام الوالى بالأمر ، وظل يمارس هذا العمل حتى تعب .

فقال له عمر : «يا ابن قرط : متى كان عهدك بهذا؟» .

قال : منذ زمن بعيد يا أمير المؤمنين .

قال له : فلهذا بنيت القصر ، وأشرفت فيه على المسلمين والأرملة واليتيم ؟ ارجع إلى عملك ولا تعد(٧) .

إن أفراد الرعية الكائنون فى الدولة الإسلامية

---

(٥) راجع البداية والنهاية لابن كثير ــ خلافة أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنه .

(٦) الدكتور سليمان الطحاوى ، مرجع سابق .

(٧) محمد كردى على : الإسلام والحضارة العربية ، دار التأليف

والعاملون فيها يجب معاملتهم معاملة حسنة من جانب الرؤساء والقادة ، والآيات الكـــريمة وأحاديث الرسول ﷺ تحض على ذلك كثيرا كلما اجتمع جماعة مسلمة لأداء عمل ما .

يقول الله تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾

[المائدة : ٢]

ويقول الله تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

[التوبة : ٧١]

ويقول الرسول ﷺ : «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[٨] .

ويقول أيضاً : «من أعطى حظه من الرفق فقد أُعطِى حظه من الخير ، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حُرِمَ حظه من الخير»[٩] .

ويحث رسول الله ﷺ الولاة والقادة على التفانى فى خدمة الرعية بقوله : «إن لله عبادا اختصهم الله بقضاء حوائج الناس حببهم إلى الخير وحبب الخير إليهم ، إنهم الآمنون من عذاب يوم القيامة»[١٠] . ويطالبهم ألا يكون فى قلبهم ضيق من كثرة طلبات المرؤوسين والعاملين بقوله عليه الصلاة والسلام : « حاجة الناس إليكم من نعم الله فلا تملوا النعم » . ويدعو القرآن الكريم الرؤساء والقادة إلى استعمال الكلمة الطيبة مع العاملين والناس جميعا بقوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

سورة إبراهيم

إن المسلمين فى عصرنا الراهن ــ وخصوصا رجال الإدارة والقيادة الإدارية ــ لو اتجهوا إلى تلك المبادىء لاستطاعوا أن يوجدوا مؤسسات إدارية ناجحة ، فى مجال الحكم والسياسة ، فى سوق الاقتصاد والتجارة فى الحقل الأكاديمى ودور التربية والتعليم فهل نحن فاعلون ؟!

والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص١١٤ .

(٨) الحديث أخرجه الترمذى فى باب « الزهد » حديث رقم ٢٣٨٢ ، وأخرجه ابن ماجه فى باب الزهد ، حديث رقم (٤٢٠٦) .

(٩) الحديث أخرجه الترمذى فى أبواب « البر والصلة » ٦٧ باب ما جاء فى الرفق حديث رقم (٢٠١٤) بسنده عن أبى الدرداء عن النبى ــ ﷺ ــ قال : وذكره .

(١٠) رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر ــ رضى الله عنه .

(١١) الحديث أخرجه الطبرانى فى الكبير ، والدارقطنى .

الفتاوى

يجيب عليها علماء لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

القرض والقراض

السؤال من ك.أ.و .

سمعنا بوجود بنوك إسلامية تستثمر أموال المسلمين المودعة فيها ، وما تحصل عليه من الأرباح تعطى قسما منه للمستثمرين .

فهل هذه الأرباح التى تضاف على الحساب الأصلى (ربح) حلال أم (ربا) حرام ، وإن كانت حلالا فما هو الوجه الشرعى لتحليلها ، وما هو الفرق بينها وبين الربا ، أو الفائدة ؟

الجـــواب : البنوك الإسلامية تتعامل معاملة إسلامية تسمى « القرض » ، كما تسمى « المضاربة » ، وهى أن يدفع الإنسان جزءا من ماله لمن يتجر فيه بجزء من ربحه ـ إن حصل ربح ـ على أن يتحمل (صاحب المال) فى الخسارة ـ إن حدثت خسارة ـ ، وهذا ما سار عليه الصحابة والتابعون ومَنْ بعدهم إلى يومنا هذا ، وقد عمل عمر مع ابنيه (عبدالله وعبيدالله) بهذا الحكم عندما اقتـرضا من (أبى موسى الأشعرى) بالعراق ، فاشتريا به بضاعة باعاها فى المدينة وربحا فيها ، فأراد عمر أن يأخذ منهما المال وربحه فقالا له : أليس إذا ضاع كان ضمانه علينا قال نعم . وقال له بعض الحاضرين اجعله « قراضا » ياعمر ، فقال قد جلعته « قراضا » وأخذ منهم رأس المال ، واقتسم الربح للمسلمين بينه وبينهما ، كما ثبت فى موطأ الإمام مالك

فما تعطيه البنوك الإسلامية من عائد يسمى ربحا ، فهو حلال ، لأنه : بعض ما حدث من مكاسب فى التجارة ، أما ما تفعله البنوك الأخرى حرام ، لأن المال المعطى لها يعتبر « قرضا » ـ وليس « قراضا » ـ تعطى عليه كل سنة نسبة مئوية ثابتة ، « وكل قرض جر نفعا فهو محرم شرعا » بنص الكتاب والسنة .

فهذا هو الفرق بين البنوك الإسلامية ، وبين غيرها من البنوك التى تعطى فائدة .

والله تعالى أعلم

الزكاة فى مال الصبى

سؤال من : ت.ح.ف : يقول بعض الناس إن الصبى الذى لم يبلغ الحلم لو كان له مال ورثه من ميت ، لاتجب فيه زكاة ، لأنه لم يكلف بعد ، فهل هذا صحيح ؟

الجـــواب :

ينص جمهور الأئمة على وجوب الزكاة على الصبى الذى لم يبلغ حد التكليف ، وبه قال « مالك والشافعى وأحمد » بناء على عموم الأدلة الواردة فى وجوب الزكاة ، ولم يأت نص على استثناء الصبى ، بل ورد مايفيد وجوبها عليه ، وإن كان ضعيفا ، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبدالله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ قال :

« من ولى يتيما له مال فليتجر له ولا يتركه حتى لا تأكله الصدقة » ، يقول الحافظ : لهذا الحديث شاهد مرسل عند الشافعى ، وأكده

الشافعى بعموم الأحاديث الصحيحة فى إيجاب الزكاة مطلقا ، وكانت عائشة رضى الله عنها تخرج زكاة أيتام كانوا فى حجرها .

وقالت طائفة من العلماء بعدم وجوب الزكاة فى مال اليتيم ، واليتيم فى الشرع هو الذى لم يبلغ الحلم حين مات أبوه ، « وأبو حنيفة » قال بهذا الرأى ، بناء على أن الزكاة هى للتطهر ، والصبى لا يحتاج إلى ذلك ، فهو لم يكلف بعد ولا تكتب عليه سيئات ، «المواهب اللدنية ج٢ ص٢٩٩ .

والولى على الصبى يخرج هذه الزكاة من مال الصبى بالشروط المعروفة ، من مثل : النصاب والزيادة عن الحاجة والحول ، ومقدارها يكون بحسب وعاء الزكاة على ما هو مقرر فى الفقه .

حكم الدين فى ١٠٪ عمولة

السؤال من السيد/الدكتور محمد المليجى

تعاقدت إحدى الشركات مع مستشفى خاص على علاج مرضاها ، فترسل لهم من يمرض من هذه الشركة ليعالج فى هذه المستشفى على حساب الشركة .

واشترط موظفو هذه الشركة أن يأخذوا من المستشفى ١٠٪ مكافأة خاصة لهم ، حتى ييسروا تحويل المرضى إلى هذه المستشفى ، فما الحكم فى دفع هذا المبلغ لموظفى هذه الشركة .

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد .. فنفيد بأن هؤلاء الموظفين يأخذون المبلغ الذى يشترطونه « رشوة » لا تحل لهم ، لأنهم موظفون فى الشركة ليقوموا بكل ما تكلفهم به ، ويأخـــذون رواتبهم على هذا العمل ، فلا يحل لهم اشتراط مبلغ يأخذونه من أصحاب الشركة . والذى يقدم لهم هذا المبلغ مشارك لهم فى الإثم لقول النبى ﷺ (لعن الله الراشى والمرتشى) وكـــون هؤلاء الموظـــفين لا يحولون المرضى لهذا المستشفى إذا لم يأخذوا العشرة فى المائة ، فان ذلك لا يبرر الدفع لهم ،

صلاة الشكر

السؤال من الطالبة/أ.م.م من الشرقية :

تسأل عن صلاة الشكر : ما هى أسبابها وما هى أركانها ؟

الجـــواب

« بسم الله الرحمن الرحيم » الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، أما بعد فإن شكر الله يتحقق باستعمال النعمة فيما خلقت له من خير ، وذلك يكون بالقول وبالعمل ، وبكل ما يدل على الإحساس بهذه النعمة ، وحق المنعم بها على الإنسان .

ومن مظاهر الشكر ما يعرف بسجدة الشكر ، عند حدوث نعمة أيا كانت ، فيسُن للإنسان أن يسجد لله كما كان يفعل النبى ﷺ رواه أحمد وأبو داود وأبن ماجه والترمذى وغيرهم .

وهى سجدة واحدة يلزم لها ما يلزم لسجود الصلاة من طهارة واستقبال قبلة وستر عورة ، وقيل : لا يشترط لها ذلك . وتحتاج إلى النية والتكبير فى بعض المذاهب ، وهى لا تكون فى الصلاة أبدا ، بل تكون خارجها .

والمالكية يقولون : إن سجدة الشكـــر مكروهة ، والمستحب هو صلاة ركعتين شكرا لله تعالى ، ويلزمها ما يلزم لكل صلاة .

فى ذكرى الإسراء والمعراج

للشاعر: محمود محمد بكر هلال

الله أكبر لا منٌّ ولا بطـــــــرُ ولا اختــــلاف ولا زور ولا هَذَرُ
الله اكبر ما شعَّت بعالمنـــــــا شمس الحقيقـة يتلـــو آيها القمـــر
ليؤمـن الجاحـد المفتـون معتـــذرا ويهتـدى بضيـاء الحق من كفـــروا
لكنْ، وهـل بعـد عصر المعجزات يرى من ينكـر الرحلة الكبرى ويشتجـر ؟
ويدعـى أنها رؤيــا قد انطلـــقت فى الحلم ما شابها صحــو ولا سفــر
فبين مكــة ـ إذ أسرى ـ ومقدسنــا حيث احتفى الرسل ما تعيا به القُطرُ
فكيــف يقطعــه فى ليلـــة سفــرا وكيـف يصعـد فى الوادى وينحدرُ ؟

وتــلك معجــزة المختـــار كرَّمَـــه بها إلَـــه عظيم الشأن مقتــــدر
فلا الهواء هواءٌ عنــــد من عرفـــوا ولا المكان مكـــانٌ عنـــد من نظـــروا
وإنما الله ـ جلَّ الله ـ نَظَّمَهَـــــا للمصطفــى رحلـــة فى طيّهـــا عبر
أراه من مكــــة للشام طائفـــــة من الخلائـــق للــــواعين مدَّكـــر
ومثــــلت لرسول الله أمتــــــه وواجهتــــه لدى إسرائـــــه صور
حتى أتى القـدس فاصطفت بمسجـدِهِ جماعة الــرسل حين استعلـن القمــر
صلىَّ إماما بهم قبـل[1] العــروج به إلى السمــوات، واحتـــفت به زمــر
هنـــاك حيث رأى مالا يكيفـــه عقــل ولا يحتويــه فى الـــورى بصر
وكـــرم الله طه حيث خاطبـــه من غير وحى وصح الخُبْـرُ والْخَبَـرُ
تبــارك الله لانــــدٌّ يشابهه ولا شريك ولا صحب ولا وزر
يدبــر الأمــر فى عدل ويرسلـــه بالحق ينشره فى خلقــــه قدر

---

(١) يرى الامام ابن كثير أن الصلاة كانت بعد العروج ... مجلة الازهر .

آيات وذكرى

للشاعر: عبد العاطى موسى عبد العاطى

الفجــر ياصاحبــى يدنــو ويقتــرب
مهما يطول الدجى أو تنذر الشهب

والــعسر لابـــد من يسر يتابعـــه
والخير آت وإن غابت به السحب

فكيــف صارت سلامــا بعــد جذوتها
نار «الخليل» وأصغــى ذلك اللـــهب

وحُــوتُ «يونس» ما طالت دياجــره
وبـــرء جسم براه السقــم والعـــطب

ونـــور عينيـــه من للصبر أسلمـــه
قمـــيص يوسف يعلـــوه دم كذب

وذا الكـــليم الـــذى باليم يحرسه
موج حنـــون.فكيـــف الماء يضطـــرب ؟

وحكمـــة الله من بالمهـــد علمهـــا
فقـــرت الـــعين إذ يساقـــط الـــرطب

وذا سراج الهدى طه ورحمتـــــــه
من أدَّبَ اللـــهُ فهـــو الخلـــق والأدب

أسرى به الله إسراء وتسريـــــــة
ففـــاض بشرا على أقرانـــه «رجب»

هذا براق سنـــا المختـــار شرَّفـــه
كم بات يهفولـــه «الأقصى» ويرتـــقب

وذاك معراجـــه للعـــرش وجهتـــه
يطوى السماوات قد زالت له الحجب

تساءل العـــالم العلـــوى فى ولـــه
وسدرة المنتهى أثـــــوابها قشب

فاق الملائك فى قدر ومنزلـــــــة
إذ عاد جبريل بعد الضيـــف ينسحب

ثم دنـــا فتـــدلى تلك مكرمـــة
وفـــيض فضل من الـــرحمن يحتسب

وعـــاد يهدى لنـــا معـــراج نجدتنـــا
هى الصلاة التـــــى فى وقتها تجب

شريعـــة لابـــن عبـــدالله قائمـــة
لسيد الخلـــق من تزهـــو به العـــرب

إن كنت قصرت يومـــا إن لى أمـــلًا
فيمـــن إليـــه هفـــا قلبـــى وأنـــتسب

هو الحبيب الـــذى ترجـــى شفاعتـــه
من بشرتنـــا به الأسفـــار والكـــتب

لابد يا قدس

للشاعر: رشاد محمد يوسف

أصلى وجرحك فى مهجتى ... أنين يغلف تكبيرتى
وأغفو وأنت الجراح الثقال ... تشد الخواطر فى غفوتى
وأغمض جفنىَّ علَّ الظلام ... يهون من قسوة الصورة
وأصحو وملء الجفون الدموع ... تُحَجَّرُ كالصخر فى المقلة
فيا قدس ياروضة الأنبياء ... وأولى المعابد والقبلة
تغشاك ليل ثقيل رهيب ... يَضِجُّ من الظلم والظلمة
ذئاب على الدرب سدوا الطريق ... وعاثوا بَأرجائك الحرة

* * *

وياقدس هذا براق الرسول ... يُيَمِّمُ شطرك فى الرحلة
سرى النور يحدوه من ربه ... أمان إليك من الكعبة
ليرقى على سلم من ضياء ... ويحظى لدى الله بالخطوة
دنا فارتوى فاستبان اليقين ... وفاض الجلال على السدرة
رأى ما ؟ رأى ما يفوق الخيال ... ويعتصر العقل بالدهشة
هو الحق يا أيها المنكرون ... كمن ينطح الرأس بالصخرة
ومن يغمض الجفن عن نوره ... يعش أبد الدهر فى الظلمة
كثير على الله وهو القدير ... تعالى عن الوصف والصورة ؟
كثير على الله أسرى به ... وبارك فى الروح والغدوة ؟
تبارك رب الهدى والجلال ... يغير ما شاء فى لحظة

* * *

ولابد يا قدس من وثبة ... ولابد ياقدس من ثورة
ولابد من رجعة للديار ... نطوّف بالبيت والصخرة
ونجعل من عصبة الغادرين ... طريقا إلى القدس فى العودة
ونغسل عنك جراح السنين ... ونبنى الحياة على الصحة
ويطلع نور الصباح الجديد ... على الكرم والدار والضيعة

على براق النور

للشاعر: عبد الوهاب المرصفى

والله ما كذب الفؤاد وما بغى … فالقول صدق فاض بالأضواء
فعلى رحاب القدس كنت إمامهم … واستقبلوك بفرحة وولاء
ودعاك رب العرش نحو رحابه … لتفوز فى الملكوت بالأشذاء
فعلى «براق النور» طرت مهيئا … للقاء وجه الله فى العلياء
وعرجت فوق طباقِ سَبْعِ بعدما … لبيت للرحمن خير نداء
ورأيت (أشياءً) عظيما شأنها … وصعدت نحو السدرة العصماء
هذا مقامك ياحبيب كرامة … فادخل فهذا مدخل العظماء
حزت الحفاوة والضيافة كلها … ولقيت تحت العرش خير لقاء
فرض الصلاة وقد ظفرت بخيره … فصلاتنا تنهى عن الفحشاء
كل الفرائض قد أتت أرضية … إلا الصلاة فقد أتت بسماء
هذا دليل الناس حتى يعلموا … أن الصلاة عظيمة الإعلاء
لما نزلت إلى مبيتك راضيا … فوجدت فرشك فى سنى الإدفاء
حتى كأنك ما خرجت للحظة … والأمر تم بلحظة الإغفاء
هذى فيوض الذكريات نسوقها … من رحلة المعراج والإسراء
صلى عليك الله ياخير الورى … إن الصلاة عليك خير شفاء
لك ياحبيبى فى القلوب حفاوة … ولك الفيوض تموج بالأنحاء

الطائر الظمآن

شعر: ابراهيم عيسى

الفجر مَشْرُوخُ الضياءِ .. مُهَشَّمٌ مثْـلُ المَرَايَـا
صَرَخاتُهُ بكْماءُ تنزفُ فى العيـونِ وفى الحَنَايـا
لما عشِقْنا الليـلَ .. وانْطلَـقَتْ سرائِرُنـا عَرَايـا

* * *

وتَرهَّـلَتْ أشواقُنـا والليـلُ فوق الليـلِ يَنْـزِلْ
وزمانُنَا يَعْدو بنا .. والعمرُ مثلُ الزهرِ يذبُـلْ
أيامُنا بالموتِ حُبْلَـى .. كالسنابِـلِ تحت مِنْجَـلْ

* * *

وغـداً ستنطفـىءُ المصابيـحُ المغـرِّدةُ الضيـاءْ
وتعُـودُ لِلّاشىءِ لولا رحمةٌ تَلِـدُ البقـاءْ
فالبِسْ لها طوْقَ النجـاةِ .. ودَعْ دياجِيـرَ المساءْ

* * *

مولاىَ .. ياألله .. إنَّ نجومَنَـا أبـدًا غريقـه
نرجو الصباح .. وفى دروبِ الليلِ نَسْتَسْقى بريقه
خضَعَتْ خُطَـى أقدارِنـا لمشيئـةِ الله الطليقـه

* * *

والطائـرُ الظمـآنُ فى نفسى .. يُعانـقُ منْهَـلَكْ
«وَتَتُـوهُ» أيامـى .. فأُبْصِرُ فى الليـالى مِشْعَـلَكْ
وبلهفتـى كَحَّـلْتُ عيْـنَ القـلبِ بالأشواقِ لَكْ

* * *

قد جئتُكُمْ .. وبأفق عمرى كم مَشَى ليلٌ سَجَا
لكنّـه متألّـقُ الآهـاتِ .. توّابُ الدُّجـىَ
نَظَـرَ الظـلامُ بداخلى فرأى السنـا فتَوَهَّجـا

* * *

مولاىَ .. قلبى ساجِدُ الدّقاتِ يجثو عنـد بابِكْ
وأنا يُؤَرِّقُنى الحنينُ .. فذُبْتُ شوقًا فى كتـابِكْ
وأراكَ مِلْءَ خواطرى .. يا ظاهرًا رغْمَ احتجابِكْ

* * *

لفحات من نار البوسنه

شعر: أحمد محمود مبارك

عروبتُنـــا فى ملاهـــى الهوى … تذوبُ عطـــاءً .. تفــيضُ كرمْ
تُوَشّحُ بالـــدُّرِ صَدْرَ الغـــوانى … وتُلْبِسُهُـــنَّ ثيـــابَ النِّعَـــمْ
وفى « مُنْت كَرْلُو » ومُدْنِ الضباب … تضيعُ المكـــارمُ .. تهوِى القِيَـــمْ

★★★

أيا أخْتُ فى « البوسنة » المستباحة … دِيْنـــاً وعِـــرْضاً وحقـــاً ودمْ
بِمِـــنْ تستغيـــثين يا أُخْتَنـــا … وما عاد يحمى الحمى مُعْـــتصمْ
سيرجـــعُ صوتُك ذا المستجيـــرُ … صدىً مُفْعمـــاً بالأسى والألَـــمْ
فأمَّتُنـــا قصعـــةٌ من ثريـــدٍ … تداعت عليها أيـــادى الأمَـــمْ
ريـــاحُ الخلافـــات أودتْ بنـــا … وفَيْلَقُنـــا تائـــهُ مُنْـــقِسِمْ
لكَمْ غُصِبَتْ من يدينـــا حقـــوقُ … ونحن لنَجْـــدَتِها لم نَقُـــمْ
هى القـدسُ فى الأسْرِ منذ سنينَ … وغَيْـــمُ القنـــوط عليها جَثَـــمْ
تنـــادى أيـــا نُصْرَةَ المسلـــمين … ونحن أُسارى الْوَنَـــى والصَّمَـــمْ
لقـــد غربتْ شمسُنـــا وهـــوتْ … بيارقُنـــا من عيـــون القِمَـــمْ
لأنـــا هَجَرْنـــا الكتـــاب الكريـــمَ … ولم نَرْعَ دِيْنـــاً ولم نستِقـــمْ
أيـــا أُخْتُ لا تأملى عَوْنَنـــا … فمـــا عاد فينـــا لحرب هِمَـــمْ
جيـــوشُ الطغاة اسْتباحتْ حِمَانا … يحرِّكُهـــا حِقْدُهـــا المضطـــرمْ
ولكـنْ : « صلاحٌ » مضى عهْدُهُ … وأمجادُنـــا زمـــنُ مُنْصَرِمْ

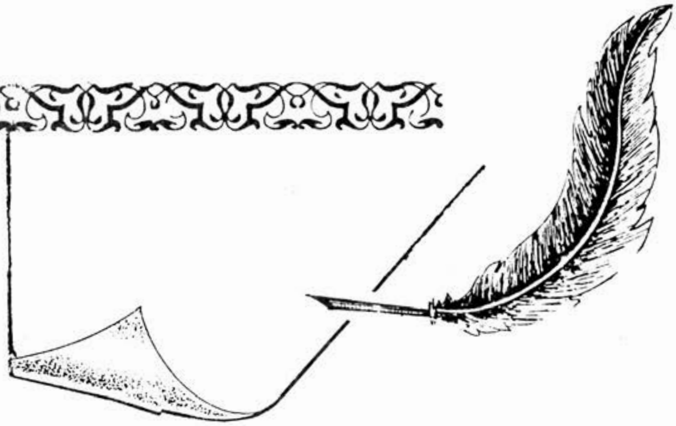

غدونـا نجاهـــدُ بالكلمـــات   فهل يُرْجِعُ الحقَّ يوماً ـ كَلِمْ ؟!
فكيــف نُعيــدُ إلــيك الصبــاحَ   وحاضِرُنــا غائــمٌ مُدْلَهِـــمْ ؟
وكيــف نُجِيْــرُكِ من غاصبيــكِ   وسيــفُ كرامتنــا مُنْثَلِـــمْ ؟

★★★

أيا أختُ فى « البوسنة » المستباحة   دِيْنــاً وعِــرْضاً وحقّــاً وَدَمْ
لكِ اللهُ يا أختُ لا تيــأسى   وإن طالَ بَغْــىٌ وطــالتْ ظُلَـمْ
لكِ اللهُ يا أُختُ لا تقصدى   سوى الله فهْــو المعيــنُ الحكَــمْ
ولا تأملى العــونَ من عَالَـــمٍ   يُهِيْــلُ على المسلميــنَ التُّهَــمْ
« نظامٌ جديد » .. خداع جديدٌ ..   فلا تأملى عونَ هذى النُّظُـــمْ
فعالَمُنــا اليـــومَ للأقويـــاء   ولــيس يُعِيْــنُ ضعيفــاً ظُلِــمْ
سلاحُ العقيـــدة لا تتركيـــهِ   فمــا خابَ مَنْ بالهُــدى يلتــزمْ
فمــا قهــرتْ قوَّة فى الوجــود   شعوبـــاً بإيمانها تَعْـــتَصِمْ
ومهما تَطُلْ صولــةُ الكافريــنَ   فإن مصيــرَ الطُّغــاة العَــدَمْ

★★★

أيــا أمَّــةً حبُّهــا فى دَمِـــى   يفــيضُ عذابــاً .. يَبُثُّ سقَــمْ
عتــابى عتــابُ المحبِّ الـــذى   جَنـــىٰ من هواهُ ثمارَ الألَـــمْ
فلا تَعْذِلينـــى إذا ما قصيـــدى   تأجَّـجَ من حُرْقتــى واضْطَــرَمْ
لئـــن ألْهَبَـــتْكِ حروفى فرُبَّ   لهيبِ الحروفِ يُفِيْــقُ الهِمَـــمْ

أبو العتاهية

بقلم الفريق / يحيى عبد الله المعلمى

أبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، مولى عنزة وكنيته : أبو إسحاق . وأبو العتاهية كنية غلبت عليه . وقد نشأ بالكوفة وكان يبيع الفخار ، ثم قال الشعر ونبغ فيه ، كان غزير البحر ، لطيف المعانى ، سهل الألفاظ ، كثير التفنن ، قليل التكلف . وله فى الزهد شعر كثير .

وكان مُصعب بن عبدالله يقول : أبو العتاهية أشعر الناس ، كلامه سهل ، لا حشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل ويقرُّ به الجاهل ، ويستشهد بقوله :

تعلقـــت بآمـــالِ ... طِـــوالٍ أى أمـــالِ
وأقبلـــت علـــى الدنيـــا ... مُلِحـــا أىَّ إقبـــالِ
أيـــا هـــذا تَجَهَّـــز لِفِـــ ... ـــراقِ الأهـــل والمـــالِ
فـــلا بُـــدَّ مـــن المَـــوتِ ... على حـــالٍ مـــن الحـــالِ

وكان « سلم الخاسر » يقول ـ عن أبى العتاهية : إنه أشعر الجن والإنس ، ويستشهد بقوله :

سَكَـــنٌ يبقَـــى لهُ سَكَـــنُ ... ما بهـــذا يُؤذِنُ الزَّمـــنُ
نحنُ فى دارٍ يُخَبِّرُنـــا ... بِبلاهَـــا نَاطـــقُ لَسِنُ
دارِ سَوءٍ لم يَدُم فَرحٌ ... لامـــرىءٍ فيها ولا حَزَنُ
فى سبيـــل الله أنفُسنـــا ... كلنـــا بالموتِ مُرتَهـــنُ
إن مَالَ المرءِ ليس لهُ ... مِنـــهُ إلا ذكـــرُهُ الحسَنُ

ومن شعره الذى أعجب به نقاد عصره قوله :

قَطَّـعتُ مِنكَ حبائِـــلَ الآمـــالِ ... وحَطـطتُ عن ظَهر المطىِّ رِحـــالى
ووَجـدتُ بَردَ اليـأسِ بيـنَ جَوانِحى ... فأرحتُ من حلّ ومـــن تَرحَـــالِ

حِيَلُ ابنِ آدمَ فى الأمورِ كثيرةٌ
والموت يَقطَعُ حِيلةَ المُحتالِ
فاصبر على غِيَرِ الزمانِ فإنَّما
فرجُ الشدائدِ مثلُ حَلِّ عِقالِ

* * *

وجلس المهدى يوماً للشعراء واستنشدهم فتقدم أبو العتاهية وقال :

ألا ما لسيدتى ما لَها
أَدَلاًّ فأحمِلَ إدْلالَها
وإلا ففيمَ تجَنَّتْ وما
جَنَيتُ . سقَى الله أطلالَها
ألا إن جاريةً للإمامِ
قد أسكِنَ الحُسنُ سِربالَها
مشَتْ بين حُورٍ قصارِ الخُطا
تُجاذِبُ فى المشى أكفالَها
وقد أتعَبَ اللهُ نفسِى بِها
وأتعب باللومِ عُذَّالَها

فسخر الشعراء الجالسون ، وتهامسوا بسخفه ؛ إذ يشبب بجارية الخليفة على مسمع منه ، واستمر أبو العتاهية فى إنشاده فقال :

أتَتهُ الخلافةُ منقَادَةً
إليه تُجررُ أذيالَها
ولم تكُ تصلحُ إلا لَهُ
ولم يَكُ يصلُحُ إلا لَها
ولو رامها أحدٌ غيرهُ
لزُلزِلتِ الأرضُ زِلزالَها
ولو لم تُطِعهُ بَناتُ القُلو
بِ لما قَبِلَ اللهُ أعمالَها
وإن الخليفةَ من بُغْضِ « لا »
إليه لَيُبغِضُ من قَالَها

فقال بشار : انظروا : هل طار الخليفة عن فراشه ؟؟

* * *

ومن شعره الجيد فى صفة الصديق قوله :

إن كنتَ متخذاً خليلًا
فتَنَقَّ وانتَقِدِ الخليلا
من لم يكُن لك منصفاً
فى الوُدِّ فابغِ به بَديلا
ولربما سُئِلَ البخيـ
ـلُ الشيءَ لا يسوى فَتيلا
فيقُولُ : لا أجِدُ السبيـ
ـلَ إليه يكرَهُ أن يُنيلا
فاضرب بطرفِكَ حيثُ شئـ
ـتَ فهل تَرَى إلا بخيلا ؟!

* * *

ومات له صديق فبكاه أحر بكاء وقال فيه :

ألا من لى بأُنسِكَ يا أُخيَّا
ومن لى أن أبُثَّكَ ما لَدَيَّا
بكيتُكَ يا علىُّ بِدمعِ عَينِى
فما أغنى البكاءُ عليك شيَّا
وكانت فى حياتِك لى عِظاتٌ
وأنت اليومَ أوعَظُ منك حَيَّا

* * *

اختلف مع رجل من كنانة فى شىء ففخر عليه الكنانى ، وعيره بوضاعة أصله ، فقال أبو العتاهية :

دَعْنِــــىَ من ذِكْــــر أبٍ وجَــــدّ ... ونَسَبٍ يُعلــــــيكَ سُور المجدِ
ما الفخــرُ إلا فى التقَــى والزهــدِ ... وطاعــةٍ تُعطــى جنَــانَ الخُلــدِ
لابُــدَّ من وِرْدٍ لأهــــل الــــورِدِ ... إمــــا إلى ضَحَـــلٍ وإماعَــــدّ

وقد نظم أبو العتاهية « أرجوزة » تعد من بدائع الشعر لسهولة ألفاظها ، ولما تشتمل عليه من الحكم البليغة والنصائح الثمينة . يقول فيها :

حسبُكَ - مما تبتغيــه - القُــوتُ ... ما أكثَــر القــوتَ لَمــن يَمُــوتُ
الفقــرُ فيمــا جاوز الكفافــا ... مَن اتقــى اللــهَ رَجــا وخافــا
هى المقــــادرُ فلمنــــى أو فَذَرْ ... إن كنتُ أخطأتُ فما أخطأ القَدَرْ
لكـــلِّ ما يُؤذِى وإن قَلَّ أَلَـــمْ ... ما أطــولَ الليــلَ على من لَم يَنَــمْ

ومنها قوله :

من جَعلَ (النَّمَــامَ) عَينــاً هَلكــا ... مُبلــغُكَ الشر كباغِيــــهِ لَكــا
يا للشبـــابِ المرح التَّصابِـــى ... روائـــحُ الجنـــةِ فى الشبَـــابِ
إنَّ الشبــابَ والفَــراغ والجِــدَة ... مَفسدَةٌ للمـــــرءِ أى مَفسَدَة
ما تَطلُـــعُ الشمسُ ولا تغـــيبُ ... إلا لأمـــرٍ شأنُـــهُ عَجيـــبُ

ومنها قوله فيمن يعيب الناس وينسى نفسه :

يا واعـظَ النـاسِ قد أصبحتَ مُتهماً ... إذ عبتَ منهُم أمــوراً أنتَ تأتيهــا
كالمُلبِسِ الثوبَ من عُرىٍ وعورَتُهُ ... للنــــاسِ باديــــةٌ ما إن يُوارِيها
فأعظَمُ الإثمِ بعــدَ الشركِ تَعلَمــهُ ... فى كل نَفسٍ عَماهــا عن مساويهــا
عِرفانُها بعيــوبِ النــاسِ تُبصِرُهَــا ... منهم ولا تُبصِرُ العيــبَ الــذى فيها

★ ★ ★

قال له أحد جلسائه أملِ علىَّ شيئاً من الغزل ، فقال أبو العتاهية : أخشى عليك الفتنة ، فقال الرجل : أرجو من الله العصمة ؛ فأنشده أبو العتاهية قوله :

كأنَّهــــا من حُسنِهـــــا دُرَّةٌ ... أخرجَهــا اليَــــمُّ إلى السَّاحِــلِ
كأنَّ فى فيها وفى طَرفِهــــــــا ... سواحِــــراً أقبلــــنَ مِن بابِــــلِ
لم يُبــــقِ منــــى حُبها مَا خلا ... حُشَاشَةً فى بَدَنٍ ناحِــــــــلِ
يا مَنْ رأى قبلى قتيـــــلًا بَكَــــى ... من شِدَّةِ الوَجْـــدِ على القاتِــــلِ

والبيت الأخير مأخوذ من قول جميل بثينة .

خليليَّ فيمـــا عشتُمـــا هل رأيتُمـــا ... قَتيـلًا بَكَـى من حُبِّ قاتِلــهِ قَبْلِـــى

* * *

ومن جميل شعره فى الزهد والتذكير بالآخره قوله :

إذا المرءُ لم يُعتـــــقِ من المالِ نَفسَهُ ... تَملَّكَـــهُ المالُ الـــذى هو مالكُـــهْ

ألا إنما مالى الـــذى أنـــا مُنفِـــقُ ... وليـس لىَ المالُ الـذى أنـــا تَارِكُـــهْ

إذا كنتَ ذا مالٍ فبـــادر به الـــذى ... يَحِـــقُّ والا استهلكتـــهُ مَهالِكُـــهْ

فقيل له : من أين قضيت بهذا ؟ فقال : من قول رسول ـ ﷺ ـ « ليس لك من مالكَ إلا ما أكلت فأفنيت أو لبستَ فأبليتَ أو تصدقتَ فأمضيتَ »[1] .

* * *

ألا إننــــــا كلُّنــــــا بَائِــــــدُ ... وأى بَنـــــــى آدم خَالِـــــــدُ

وبدؤُهُــــــمُ كان من ربِّهـــــــم ... وكـــــلٌّ إلى رَبِّـــــهِ عَائِـــــدُ

فيـــا عَجَبـــاً كيـــفَ يُعْصَى الالــــ ... ـــهُ أم كيـــفَ يَجحَـــدُه الجَاحِـــدُ

وفى كل شىءٍ له أيـــــــــةٌ ... تَدُلُّ على أنَّـــــــهُ الواحِـــــدُ

* * *

ومن أحسن ما قيل فى تذكر الموت قول أبى العتاهية .

أنسَاكَ مَحيَـــــاكَ المَمَاتَــــــا ... فطلـــــبتَ فى الدنيـــــا الثبَاتَـــــا

أوَثِـــقتَ بالدنيـــا وأنتَ تَـــــ ... ـرى جمَـــــاعتها شَتَاتَـــــا

يا مَنْ رأى أبويــــــهِ فيمـــــــ ... ـن قد رأى (كانَـــــا) فماتَـــــا

هل فيهمـــــا لك عبـــــرَةٌ ... أم خِلتَ أنَّ لكَ انفِلاتَـــــــا

كُلٌّ تُصبحُـــــــه المَنيَـــــــ ... ـــــةُ أو تُبَيِّتُـــــه بَيَاتَـــــا

* * *

ومن شعره الذى يعد رثاءً له فى نفسه :

إلٰهـــى لا تعذبنـــــى فإنِّـــــى ... مُقِـــرٌّ بالـــــذى قد كانَ مِنـــــى

فمــــالى حيلــــةٌ إلا رَجـــــائى ... لعفــوِكَ إن عفــوتَ وحُسنُ ظَنــــى

وكم مِن زلــــةٍ لىَ فى الخطايــــا ... وأنت علـــــىَّ ذُو فضلٍ وَمــــــنّ

إذا فكــــرتُ فى نَدمِــــــى عليها ... عضَضتُ أنـــاملى وقَـــرَعْتُ سنِـــى

يَظُـــــنَّ النـــــاس بِى خَيراً وإنى ... لَشَرُّ النـــاس إن لم تَعـــفُ عَنــــى

---

(١) ابن أبى شيبة ـ كتاب الزهد ١٣/٢٣٠ وأبى نعيم ـ حلية الأولياء ٢/٢٠١ .

من علمائنا المعاصرين

محمد زاهد الكوثرى

٢

أ.د / محمد رجب البيومى

إن اختلاف مناحى التفكير فى القضايا التشريعية والكلامية قد فسح مجال التباعد بين الأستاذ الكوثرى ومخالفيه لأن الإمام المراغى وتلاميذ مدرسة الشيخ محمد عبده جميعا، يرجعون فى الرأى العلمى إلى قضايا علمية يؤكدونها قبل الإدلاء بأحكامهم التشريعية، فتجىء هذه الأحكام متفقة مع ما قرروه من القضايا الكلية، أما الأستاذ الكوثرى وتلاميذه فهم متشبعون بالأحكام الجزئية التى سجلها الفقهاء فى كتبهم المتداولة، وقد يرجعون إلى نصوص متأخرة قال بها من الفقهاء من لايجيز لنفسه أن يجتهد فى الرأى، بل من يُحرم الرأى ويعد باب الاجتهاد الفقهى قد أوصد تتبعا لما قرره أمثال ابن الصلاح، أو مثل هذا الاختلاف فى تناول قضايا العلم لاينتهى بالمتناظرين إلى وفاق، ولكل مشربه ومنحاه !

أضرب المثل لما أقول فأعلن أن الإمام المراغى حينما تقدم ببحثه عن قانون الزواج والطلاق رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩، وقد صار معتمداً لدى المحاكم ومرجعاً للرأى فى شئون الأسرة، قدم له بقواعد ثابتة لايراها مجالا للاعتراض، حيث أوضح خطر الحكم بلكفر على من يخالف آراء الفقهاء المتداولة وأوضح معنى الاجتهاد فارقا بين المجتهد المطلق والمجتهد المقيد، واعتماد الآراء الفقهية مخالفة لائمة المذاهب الأربعة إذا كانت ذات دليل راجح، كما بين تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف، وأفاض فى هذه المسائل إفاضة شافية حتى كادت تكون بحثا مستقلا فى علم الأصول وفى ضوء هذه الكليات أصدر أحكامه عن تعدد

الزوجات ، وطلاق المكره والسكران ، والطلاق غير المنجز ، والطلاق المعلق ، ووقوع الطلاق الثلاث طلقة واحدة ، وشروط عقد الزواج ، وجاء العلامة الكبير أحمد شاكر فاعتمد كثيرا من هذه الأصول فى كتابه عن الطلاق ولكن الأستاذ الكوثرى لم ينح منحى الشيخين الكبيرين وأصدر كتابه (الإتفاق فى أحكام الطلاق) متقيداً بمذهب الإمام أبى حنيفة فى أكثر ما قرر وراجعا إلى أقوال الأئمة الثلاثة فى غير الأكثر ! وما قرره الكوثرى معروف مشتهر وعليه دارت الفتوى الشرعية ، والحكم القضائى قبل صدور القانون سنة ١٩٢٩ م ، وقارىء كتاب الإشفاق مقارنا بكتاب الشيخ شاكر يشعر بأن الجهة منفكة كما يقول المناطقة ، وقد دل كتاب الإنشفاق على علم غزير وغوص بعيد ، ولكن الطريقين متباعدان .

وما يقال فى قانون الأسرة يقال فى مسألة نزول عيسى ـ عليه السلام ـ حيث أصدر الإمام محمود شلتوت فتوى تنتهى إلى أن منكر هذا النزول لايخالف نصا قطعيا مجمعا عليه ، وأبدى من الأدلة الملزمة ما يرجح قوله ، وكان قد تلقى سؤالا عن نزول عيسى من جهة رسمية بالهند فأعمل فكره الدقيق حتى اهتدى إلى حكمه المعلل ، والأستاذ الكوثرى على نقيض هذا الرأى ، ولكل وجهة هو موليها ، فعارض الحكم مستندا إلى مافهمه من نصوص مطلقة تقبل الرأى وسواه ولاتجزم برأى قاطع ، وقد قسا فى مقاله قسوة بالغة ، حيث اتهم المخالف بالهوى وحب الظهور الشخصى ، ومجاراة ذوى الأهواء ، مما دفع الأستاذ شلتوت إلى أن يكيل بالصاع صاعا غير مصرح باسم الكوثرى ولابمن نحا منحاه ، وقد مهد لحديثه بمقال جامع عن العقيدة الدينية ، وطريق ثبوتها مؤكدا اتفاق العلماء عن أن الدليل العقلى الذى سلمت مقدماته ، وانتهت فى أحكامها إلى الحس أو الضرورة يفيد اليقين ، ومبينا أن الاجتهاد فى مالا قاطع فيه يمنع التأثيم ، ومفسرا ما يتعلل به المخالفون من نصوص ليست صريحة فيما يدعون ، وليس المجال هنا مجال استقصاء وتتبع ولكننا نحدد تيارين يختلفان ولا يتفقان .

ومما زاد الوهج هياجا ، والحومة اشتعالا أن الأستاذ الكوثرى يتسرع فى القسوة دون موجب ، فقد صادرت مشيخة الأزهر كتابا يتضمن بعض العقائد المنحرفة ، ولكن الأستاذ شلتوت وهو عضو بجماعة كبار العلماء قد رأى أن المصادرة ليست هى الحل الأمثل ، إنما الحل أن تقوم الجماعة بالرد على الأخطاء التى يتضمنها الكتاب ، وأن ترشد إلى الانحرافات المبثوثة فى بعض كتب التراث ، كى يستضىء القارىء فلا يضل ، إذ أن هذه المصادرة فى مصر ، لاتمنع ذيوع الكتاب فى قطر أخر ، فالأفضل أن يترك الحكم للقارىء بعد أن يجد الرد الشافى من العلماء ، وقال الأستاذ شلتوت : إن من واجبات جماعة كبار العلماء أن تصحح لا أن تصادر ؛ ولكن الأستاذ الكوثرى رأى المصادرة حلا صحيحا وكتب مقالا يتهم فيه الأستاذ بمجاراة أهل البدع والأهواء ، وما كان أحراه أن يجادل بالتى هى أحسن .

والحق أن الكوثرى لم يكن فى اتجاهه المخالف صاحب غرض شخصى ، ولكنه ذو إخلاص وحمية تدفعانه إلى المعارضة ، كما كان معبرا عن مشاعر علماء فضلاء يُشاركونه الـــرأى ، ولايملكون ما يملك من حجج وبراهين ؛ لأن قراءاته الكثيرة قد ساعدته على استيعاب نصوص مختلفة لايتيسر الحصول عليها لسواه ، ومازالت الأفكار تتعارض منذ تمتع الإنسان بعقله المستقل وتفكيره المسئول ، فالجدل اخلص طريق الحق . والحقيقة بنت البحث .

دعوى التعصب

ذاع عن الكوثرى ـ بغيا دون حق ـ أنه شديد التعصب للمذهب الحنفى ، وأنه يراه المذهب الحق ، وأن ما عداه لايرتفع إلى مستواه ، والحق أن الفقيه الكوثرى قد درس الفقه الحنفى دراسة مستوعبة فاحصة ، وآثر اتباعه الالتزام بأحكامه ، وهذا مما لاغضاضة فيه ، ولكن هجوم بعض الأدعياء على الإمام دون دليل ، وحرصهم على نشر كتب منسوبة لبعض الأئمة تتضمن تجريم أبى حنيفة ، خطأ لايجب السكوت عنه ، فتصدى الكوثرى لتنفيذ كل مايروى عن أبى حنيفة من افتراءات وقد تورط الخطيب البغدادى فى ذكر مقابح لاتصدر من مثله ، وكان ذلك تعصبا مقيتا لا يليق بمؤرخ يكتب (تاريخ بغداد) فى عدة مجلدات فيتعرض لمئات العلماء والفضلاء تعرض من لا يهمه أن يلتزم الحيدة الصريحة فيما يقول ، وقد طبع كتاب تاريخ بغداد طبعة مغرية ، وتناقله الدارسون عن ثقة واحتفال ، وفيهم من أخذ يردد أوْهَامَهُ المغرضة عن الإمام أبى حنيفة ـ رضى الله عنه ـ فانبرى الإمام الكوثرى لتزييف هذه الأباطيل فى كتاب « تأنيب الخطيبْ على ما ساقه فى ترجمة أبى حنيفة من الأكاذيب ، وفى بعض هذه الأكاذيب بشاعة شنيعة حملت الكوثرى على أن ينقضها فى انفعال لاسبيل إلى تلاقيه ! ولا يعد كتابه هذا مثلا للتعصب ، بل هو ضرورة ملزمة يفرضها على كتاب التأنيب فتقبل الكوثرى رده بقبول حسن ، وأتبعه بما يراه من تعقيب جاد ، ولو كان الكوثرى متعصبا دون حق لثار فى وجه ناقد التأنيب ، ولكنه يعرف أن النقد سبيل الصواب ، متى خلصت السرائر ، وصحت الأفهام ! والرجل لا يثور إلا حين يرى حقاً يشوه ، وباطلا يزين بدليل أنه كان متزناً كل الاتزان فى رده عن ابن أبى شيبة ، فيما ألفه تحت عنوان (النكت الطريفة فى التحدث عن ردود ابن أبى شيبة على أبى حنيفة) وقد دل هذا الكتاب على عمق فريد ، وتخصص بالغ فى أعقد مشاكل الفقه ومعضلاته ، وقد قاربت صفحاته مائتين وثلاث وسبعين صفحة ، على غير عادة الكوثرى فى الاختصار لأن تشعب لأحكام قد دفع به إلى موج يجيد السباحة فى محيطه الزاخر ، ويصل إلى الشاطىء بسلام ! أما إشتغال الكوثرى بتراجم أئمة الأحناف من أمثال أبى يوسف ومحمد بن الحسن وزفر والطحاوى وابن الهمام وغيرهم ، ففضل كبير يعزى إليه ، فقد درس الرجل الكبير أقوال هؤلاء الأئمة وسرد ما يعرفه من مبتكراتهم الفقهية الرائعة ، ودل على تهافت من قاوموا بعض

هذه الآراء بمنطق حيد لايغلب ، فليت أبناء المذاهب المختلفة يتجردون لكتابة تراجم الأئمة من أعيان المذهب ، فتكون لنا ثروة علمية وسير تاريخية ، تنشيء جوا فكريا نحن فى حاجة إليه فى مضمار التشريع ، ولا أترك هذا المجال دون أن أشير إلى ما كتبه الكوثرى فى كتابه (إحقاق الحق بإبطال الباطل فى مغيث الخلق) ردا على كتاب ظهر تحت عنوان (مغيث الخلق فى ترجيح القول الحق) منسوباً لأبى المعالى الجوينى إمام الحرمي وأستاذ الغزالى ، فقد سلّ الكوثرى سلاحه الباتر فى معارضة ما جاء بهذا الكتاب ، ونحا باللوم على مؤلفه المزعوم ، وقد تعرض المفتى الأكبر الشيخ محمد بخيت المطيعى الحنفى ، وهو شيخ الحنفية فى عصره ، وموضع الثقة من الشيخ الكوثرى إلى القول فيما نشر تحت عنوان (مغيث الخلق) فشكك فى نسبة الكتاب لأبى المعالى الجوينى إمام الحرمين ، ونقل من كتاب البرهان للجوينى ما يخالف ما جاء فى مغيث الخلق مما يدل على أن النسبة إليه فى تأليف هذا الكتاب ذات ريب أكيد . ولو التفت الكوثرى إلى المقارنة بين ما جاء فى البرهان ، وما افترى به مؤلف (مغيث الخلق) على الإمام أبى حنيفة لجاهر بنفى هذا الهراء عن إمام جليل كالجوينى ، ولا أدرى ما حظ الذين يفترون الأكاذيب ويلصقونها بأكابر العلماء زيفا وبهتانا ؟ وماذا يقولون يوم الحساب حين ينتصف منهم من افتروا عليهم ، وهم فقهاء يفترض فيهم أن يحملوا أمانة الخلق قبل أن يحملوا رسالة العلم ! ذلك جرم خطير !

هذا ، وللأستاذ ترجمة رائعة عن الليث بن سعد فقيه مصر وصاحب المذهب المستقل ، وقد سعى سعيا حثيثا لنشر كتاب (أدب الشافعى ومناقبه للإمام عبدالرحمن الرازى وكتب مقدمة حافلة لهذا الكتاب القيم قال فيها :[1] «إن أئمة الهدى المتبوعين رضى الله عنهم أجمعين ، لهم منازل سامية فى قلوب الأمة حتى انحصر تمذهبهم فى مذاهب هؤلاء السادة القادة علما منهم بسعة علومهم وعظم إخلاصهم فى خدمة دين الله ، فبارك الله فى علومهم ، وعلوم من انضووا تحت رايتهم ثم قال :

وكان الحافظ أبو محمد عبدالرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس الرازى أكثر تحريا فيما يسوقه من الأنباء ، ولذا كنت متشوقا إلى الظفر بنسخة من كتابه فى سيرة الإمام الشافعى فعلمت أن فى المكتبة الأحمدية فى حلب الشهباء نسخة منه ، فرجوت صديقنا الأستاذ الألمعى الشيخ عبدالفتاح غدة ــ حفظه الله ورعاه ــ أن يبحث عن ناسخ هناك ، ينقل الكتاب على حسابى ، ففعل ، وتفضل بمقابلته بالأصل مقابلة دقيقة أوجبت مضاعفة شكرى له ، والله سبحانه يكافئه على هذا الجميل ، وبقى الكتاب محفوظا عندى إلى أن رغب الأستاذ الأديب السيد محمد عزة العطار فى نشره ، فنزلت على رغبته رجاء دعوة صالحة تلحقنى من المطلعين على الكتاب» .

فالذى يبحث جاهدا عن كتاب فى مناقب الشافعى ، ثم يُعَجِّلُ بنسخه على حسابه ، ويدعو الناشر لذيعه لا يكون متعصباً لمذهبه وحده ، ولا

(١) آداب الشافعى ومناقبة ، ص ٦ تصدير الكتاب للعلامة الكوثرى .

لرجال المذهب بأعيانهم ، ولكنه محب للفقهاء الأئمة فى كل زمن ومكان ، وهذا ما سمعناه منه ووعيناه ، فكيف يرقى بالتعصب وعلى من ؟ وكل الأئمة الأربعة فى الدرجة العليا من الفقه والإيمان .

وفيما قاله الكوثرى إشارة إلى العالم الفاضل الأستاذ عبدالفتاح غدة ، وهو من أكرم تلاميذ الكوثرى ، وقد بذل جهدا حميدا فى نشر مؤلفاته ، وذيوع آرئه مع دقة بحث ، وعمق تحقيق ، وقد علمت أنه بسبيل أن تجمع مقدمات الكوثرى فى كتاب خاص على نحو ما جمع من مقالات الكوثرى ، وهو عمل نتطلع إليه فى شوق شديد !

مقدمات الكوثرى

عرفنا سعة إحاطة الكوثرى بالتراث الإسلامى ، حتى صار أحد الأعلام المعاصرين فى هذا المجال إن لم يكن أو حدهم ، وقد كان إقبال القراء فى النصف الأول من هذا القرن على اقتناء هذه الذخائر الثمينة دافعا لأرباب المكاتب على نشر هذه المؤلفات ، فتسابقت المطابع إلى نشر الموسوعات وما دونهما من الكتب والمختصرات ، وتطلب هذا النشر الملح تعريفا بالكتاب والمؤلف ، فمهر جماعة فى التحقيق التراثى ، كما مهر آخرون فى التعريف بالكتاب مؤلفا وغرضا وموضوعا ونقدا ، وكان الكوثرى متطلع الأنظار فى هذا المضمار ، لأن تزكيته للكتاب وتعريفه به ، ومحاولة تحديد مكانته العلمية بين نظرائه والإمام بمؤلفاته واتجاهه المذهبى وإخلاصه العلمى ، مما لايتاح لغير بحاثه كثير التنقيب ، ونحن نقرأ مقدمات الكوثرى فنجدها مضرب المثل فى التقديم ، ولقارئها بكثير مما يكتب فى بعض المنشوارت ، فنعرف فضل الله على هذا العلامة الضليع ، إذ أن لفيفا من الهواة حلالهم أن تتصدر أسماؤهم وجوه الكتب دون دراية ، وظنوا الإلمام بفهرس الكتاب وترجمة حياته من المصادر القرينة مما يشفع لهم فى كتابه هذه المقدمات ، فهم يلوكون الذائع المشتهر عن الكاتب ومؤلفه ويحسبون أنهم على شىء ، أما الأستاذ الكوثرى ومن هم فى طبقته من الراسخين الأثبات فيسلطون الأضواء الكاشفة فى بصر نافذ ، وعمق بعيد ، وقد لايذيلون فيما يكتبون ولكن لكل كلمة مكانها ، ولكل حرف موضعه الصحيح ، ومن فضل الله على الكوثرى أنه ملم بنواحى الثقافة الإسلامية إلمام الدارس المتمكن فإذا تحدث عن كتاب فى الفقه أو علم الكلام أو التاريخ أو الحديث أو المنطلق خيل لقارئه أنه تخصص فى موضوعه وحده ، ونضرب المصل بمقدمته الرائعة لكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد الواقدى ، إذ الت إلماما دقيقا بالأهم المهم من حياة الواقدى واتجاهه الفكرى ، وقد أنصفه الكوثرى حين حكم أنه جوزى جزاء سنمار على حسن ما صنع فرماه أغلب الرواه عن وتر واحد حين كانوا يرون كثرة الغرائب فى رواياته ، كما نقل آراء الثقات عنه كابراهيم الحربى ويعقوب بن شيبه وأبى بكر بن العربى وابن سيد الناس ثم أصاب مقطع الحق حين قال : « وليس كل ما فيه من الروايات قويا متينا ، بل بين أسانيد رواياته ما هو مقطوع أو مرسل ،

وبمعرفة أحوال الرجال فى تلك الأسانيد تعرف درجة الروايات ، وأمرهم سهل عند أهل العلم ، وقد امتدت المقدمة إلى تسع صفحات من القطع الكبير ، وتلخيصها بل الاشارة إلى بعض نفائسها مما تضيق به هذه العجالة ! وإنى أقدم هذه التحفة القيمة مثلا دقيقا لمن يتصدرون لكتابة المقدمات ، إذ كانت مصدر توجيه أكيد .

وقد عقد الأستاذ أحمد خيرى رحمه الله فصلا خاصا بمؤلفات الكوثرى ما بين مخطوط ومطبوع وقد بلغت واحدا وخمسين مؤلفا غير حواشيه التى كان يضعها على الكتاب التى يقدمها ، وقد تتبع الأستاذ أحمد خيرى هذه التعليقات فى مظانها وأشار إليها مع مؤلفاته فى سجل حافل ملأ ما بين صفحة ٣٦ ، وص ٥٠ بمعنى أن أسماء المؤلفات مابين مطبوعة ومخطوطة ومعلق عليها قد استغرق أربع عشرة صفحة كاملة هى الفصل الخامس من ترجمة الأستاذ الكبير من بين هذه الكتب مخطوط مفقود فى مجلدين كبيرين تحت عنوان (المدخل العام لعلوم القرآن) وهو فى رأى الباحث أهم مؤلفات الكوثرى لما فيه من الشمول والتقصى والمقارنة والاستنباط ، يقول الأستاذ خيرى[٢] « ولم يكن الشيخ الكوثرى يأسف على شىء أسفه على ضياع هذا الكتاب » ولعل الله يسهل العثور على مخطوطته الوحيدة بإحدى دور الكتب بالأستانة ، لأن هجرته المفاجأة إلى مصر قد أعجلته عن حمل مؤلفاته وكان يأمل أن يجد من تلاميذه فى تركيا من يسعفه ولكن الاتصال به فى مهجره قد كان مصدر خطر لمن يجازفون به فى مبتدىء الثورة الكمالية ، فلم يتيسر شىء من هذه المؤلفات ، ومن يعرف أن بؤلف العالم لديه كولده من صلبه يدرك كم عانى الكوثرى من ألم مرير .

هذه أقباس من سيرة إمام كبير ، نرجو أن تحفز ذوى الفضل إلى جمع مؤلفاته وإعادة نشرها الدقيق .

(٢) الإمام الكوثرى ، ص ٣٨ ط ١٣٧٣ هـ .

العلوم الكونية

العربية لغة العلوم والتقنية

عرض وتحليل : م . أحمد فؤاد باشا

واكبت اللغة العربية الفصحى حركة النهضة العلمية والتقنية فى عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة ، وانتشرت مع انتشار الإسلام حتى أصبحت لغة عالمية بفضل القرآن الكريم الذى ضمن سلامتها وحفظ التفاهم بها ، وكان العلماء من الموالى يفضلون كتابة مؤلفاتهم بها ، حتى أن الريحان البيرونى ـ الذى أتقن عدة لغات أجنبية ـ كتب جل مؤلفاته ـ التى تربو على المائة ـ باللغة العربية ، ويؤثر عنه قوله : إن الهجو بالعربية أحب إليه من المدح بالفارسية ، ووصف البعض أسلوبه العلمى بأنه أسلوب سلس خال من الالتواء ، يخرج منه القارىء بثروتين : أدبية وعلمية . كما امتدح البعض أسلوب الخوارزمى فى كتابه « الجبر والمقابلة » ووصفوه بأنه أسلوب أخاذ ، لا ركاكة فيه ولا تعقيد ، ينم عن أدب رفيع وإحاطة بدقائق اللغة .

كذلك تمتعت اللغة العربية بميزة خاصة عند أهل الغرب الذين نقلوا علوم المسلمين وترجموها ، فأشادوا بسهولة دراستها والتكلم بها وقراءة مؤلفات رجالها ، حتى أن « روجير بيكون » ـ الذى يعتبر من أعظم من درسوا علوم المسلمين وحملوها إلى الأجيال الأوربية التالية ـ كان يعجب ممن يريد أن يبحث فى العلم والفلسفة وهو لا يعرف اللغه العربية ، كما أنه اعترف بأن الكتب الإسلامية العربية كانت مصدر العلوم فى عصره ، وأن كتابات أرسطو لم تفهم ولم تلق رواجا فى الغرب حتى أوضحتها كتابات الكندى وابن سينا وابن رشد وغيرهم .

غير أن لغتنا الجميلة تواجه اليوم ـ فى صراع البقاء ـ معارك محتدمة بينها وبين أعدائها ، وقد يكون من الطبيعى أن تجد العربية خارج حدودها أعداء يكيدون لها ، ولكن المؤلم حقا أن يكون بعض هؤلاء الأعداء من بينها ، ولذلك فهى تقاتل فى جبهتين ، أقربهما أَمَرُّها ، لأنها هنا تقاتل قطعا

(*) د. عبدالصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

من نفسها ، «وظلم ذوى القربى أشد مرارة على النفس» ، فكيف إذن نعيد للعربية مكانتها ، لتصبح ـ كما كانت ـ مقوماً أساسياً لنهضتنا الحضارية المنشودة .

والكتاب الذى نعرض لمناقشته الآن ينتصر لقضية اللغة العربية وقدرتها على تمثيل علوم العصر الحاضر ، كما مثلت علوم العصر القديم ، وفتحت صدرها لتراث الإنسانية .

فالموضوع الذى يدور حوله هو : اللغة العربية المعاصرة ، وكيفية مواكبتها للتيار العلمى الحضارى ، فى مفرداتها ، وفى تراكيبها . فلطالما اتُّهمت العربية بالقصور والعجز عن مواجهة متطلبات العصر العلمية والاصطلاحية ، وقد آن الأوان لتضافر الجهود من أجل أن تكون العربية لغة التدريس فى الجامعات لمختلف فروع العلم والتقنية .

ويحرص المؤلف منذ البداية على إيضاح أسلوبه فى معالجة القضية التى تناولها برؤية وموضوعية ، فيستدرك قائلا : «ليس معنى رجوعنا إلى العربية أن نجهل غيرها ، فمازالت معرفة اللغات المختلفة هى السبيل إلى استيعاب العلم ، واستكناة أسراره ، ولا حرج على من يعشق لغته القومية أن يتعلم إلى جوارها عدة لغات ، ليفيد لغته ، ويزودها بكل مستحدث جديد ، وقد كان الأقدمون من علماء هذه الأمة أساتذة الدنيا ، يؤلفون ، ويدرّسون بالعربية ما ينقلونه عن اللغات القديمة التى أجادوا معرفتها والترجمة عنها» .

ونحن من جانبنا نؤكد أهمية هذا الاستدراك فى العصر الحاضر ، حيث تتعدد اللغات الحضارية التى تتبع مراكز القوة والتأثير فى العالم ، وإن كانت اللغة الإنجليزية لاتزال هى المتقدمة بين هذه اللغات ، فيما يتعلق بتمثيل المقومات الحضارية ، فكل ما يجرى على كوكب الأرض يجد تسجيله فى هذه اللغة العالمية الأولى فى عصرنا ، ومن ثم فإن الإلمام الكافى بها وبغيرها يُعدُّ ـ فى نظرنا ـ شرطا ضروريا لا يقل أهمية عن واجب الترجمة والتعريب لمختلف فروع العلم والتقنية ، ومواصفات المترجم الكفء تستلزم إجادته التامة للغات التى ينقل منها وإليها ، بالإضافة إلى إدراكه الواعى لأبعاد إشكاليات الترجمة العلمية والمعجمة اللغوية التى تكشف عنها الدراسات الأكاديمية المتأنية[1] .

(١) تزخر المكتبة العربية الآن بالعديد من الدراسات الجادة والمنهجية فى مجال الترجمة العلمية والتعريب ، نذكر منها على سبيل المثال لاالحصر .

ـ د. مازن المبارك ، اللغة العربية فى التعليم العالى والبحث العلمى ، دار النفائس بيروت ١٩٧٣

ـ د. أحمد مطلوب ، دعوة إلى تعريب العلوم فى الجامعات ، دار البحوث العلمية بالكويت ، ١٩٧٥

ـ د. محمد المنجى الصيادى ، التعريب وتنسيقه فى الوطن العربى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٤ .

ـ د. خضر القرشى ، صلاحية العربية أداة للتعليم فى العلوم ، رسالة دكتوراة ، جامعة البترول والمعادن بالظهران ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٢ .

ـ د. كارم غنيم ، اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة فى عالمنا الإسلامى ، عالم الفكر ، الكويت ١٩٨٩

ـ قاسم السارة ، تعريب المصلح العلمى « إشكالية المنهج » ، عالم الفكر ، الكويت ، ع(٤) ١٩٨٩

مسيرة المصطلح العلمى فى تاريخ العربية :

فى البابين الأول والثانى يقدم الكتاب دراسة تفصيلية حول « اللغة العلمية » وتحديد مفهومها وخصائصها ، كما يناقش الكثير من الاتجاهات التحليلية والتركيبية ويستعرض مسيرة المصطلح العلمى فى تاريخ العربية موضحا معناه وبداياته وأوجه تصنيفه باعتبار الشكل والمعنى ، ثم يخصص عدة فصول لبيان جهود كل من حنين بن اسحق وأبى بكر الرازى وأبى عبدالله الخوارزمى والشيخ الرئيس ابن سينا فى مسيرة المصطلح العلمى من خلال دراسة بعض أعمالهم العلمية التى اقتحموا بصياغتها العربية علوم الحضارة آنذاك ، مع اختلاف ينابيعها من هندية إلى سريانية إلى يونانية إلى فارسية .

وليس هناك من شك فى أن هذه التجربة الأولى لترجمة العلوم فى العالم الإسلامى تُعدّ نبراسا لقدرة اللغة العربة على التوسع والاغتناء واستيعاب المصطلحات والتعابير العلمية الجديدة ، فاستحقت أن توصف بأنها لغة العالم المتحضر لعدة قرون ، وامتد تأثيرها فى اللغات الحية الأخرى ، حيث يحصى معجم « وبستر » Webster الإنجليزى – على سبيل المثال – أكثر من ٦٠٠ ألف كلمة مأخوذة من اللغة العربية ، منها ٥٠٠ كلمة فقط من الألفاظ المستعملة فى الكتابة والأحاديث العادية ، والباقى فى الشئون الفنية .

ففى علم الرياضيات نجد « الصفر » Cipher ، « والجبر » Algebra .

وفى علم الكيمياء نجد كلمة « الكحول » Alcohol ، وأصلها العربى « الغول » ، وكلمة « القلى » Alkali ، وكلمة « الأمبيق » Alembic ، وهى أداة التقطير .

وفى الفلك نجد مصطلح « فم الحوت » يُذكر بلفظه العربى هكذا Fomalhaut ، والسمت أو السموت « للشمس » Azimuth ، وغير ذلك ومن يتتبع تأثير اللغة العربية فى اللغات الأخرى يجد لها آثارا واضحة فى الإسبانية والبرتغالية والفرنسية والألمانية ، وفى اللغات الجرمانية الأصل كالهولندية والاسكندنافية فى شمال أوروبا ، وفى الروسية والبولندية واللغات الصقلية والإيطالية .

كما أن عثور الباحثين فى جهات البلطيق فى شمال أوروبا على سكة إسلامية عربية من آثار تجار المسلمين الذين وصلوا إلى تلك الأرجاء يوما من الأيام .

وجملة القول فيما يتعلق بهذا الموضوع أن اللغة العربية انتشرت مع الإسلام بطريق المدنية والتنوير لا بطريق الغزو والاستعمار ، وهذا دليل قوتها وأصالتها وقدرتها على استيعاب مصطلحات التقدم المتجددة والمتزايدة(٢)

---

(٢) لمعرفة المزيد من التفصيل عن تأثير العربية فى اللغات الأخرى راجع على سبيل المثال :

– سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب « أثر الحضارة العربية فى أوروبة » ، الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م

– معجم وبستر الدولى الثالث الجديد Webster's Third New International Dictionary وتجدر الإشارة من جانب صاحب العرض والتحليل إلى أن هذا الموضوع – رغم أهميته – لايزال بحاجة إلى المزيد من الدراسات المنهجية فى علم اللغة المقارن لإظهار حقيقة العلاقة بين العربية وسائر اللغات بعامة .

العربية والمصطلح العلمى الحديث :

عندما بدأ نجم الحضارة الإسلامية فى الأفول ، وانتقل مركز التأثير إلى الغرب منذ أربعة قرون خلت ، أصبح الحال غير الحال وانفتحت مجالات إنتاج المعرفة العلمية هناك بصورة هائلة أدت إلى ارتقاء اللغات الحية المعبرة عن الحضارة الغربية ، وأهمها اللغة الإنجليزية .

ومنذ ذلك الحين بدأت محاولات علماء الغرب لإقدار لغاتهم على استيعاب معطيات حضارتهم ، ولابد أنهم واجهوا مآزق صعبة فى معالجة هذه المشكلة ، ولكنهم اعتبروا أن الحضارة قضيتهم الأولى ، وأن عليهم إلباسها ثوبا أوربيا مصنوعا من لغات أوروبا ، فأصبح كل منتج حضارى ، علمى أو تقنى ، مولودا شرعيا للحضارة الأوربية ، ومن حق من أنجبه أن يعين له اسمه الأوروبى ، فالحقيقة الواقعة أن أوربا هى التى نهضت ، لا انجلترا ولا فرنسا ، على وجه الخصوص ، وإذا كانت الإنجليزية قد بدأت نشاطا ومرونة كافيين لتتصدر موكب الحضارة فإنها تتصدره باعتبارها طليعة لغات أوروبا ، لا باعتبارها لسان الجزر البريطانية .

من ناحية أخرى تعرضت اللغة العربية خلال عصور الانحطاط ــ ولا تزال تتعرض ــ لحملات شرسة على أيدى مفكرين أجانب وثلة من ذيولهم العرب روجوا للاعتقاد بأن العربية قاصرة عن التعبير عن القضايا العلمية والتقنية المتجددة التى تفرزها حضارة الغرب بلغات أوروبية ، وأن المصريين ، على سبيل المثال ، لو اتخذوا لهم لغة « إقليمية » ــ كما فعلت بريطانيا باللغة اللاتينية ــ لاستطاعوا أن يتفوقوا ويخترعوا . وكانوا يدعون ــ أيضا ــ هم ومن ينهجون نهجهم حتى الآن ، إلى استخدام العامية فى التعبير نطقا وكتابة ، والاستعانة بالحروف ؛ اللاتينية لمواكبة طوفان المصطلحات الجديدة فى مختلف فروع المعرفة[٣] .

وكان للاستعمار الأجنبى سبب قوى فى تعميق هذا الداء الذى أدى إلى انصراف أبناء العربية عن استخدام لغتهم فى التعليم عامة ، والكليات العلمية خاصة ؛ فتدهورت اللغة العربية فى عقر دارها ، وفقدت الأمة رويدا رويدا أهم عناصر قوتها وعزتها ، ناهيك عن تدهور التعليم باللغة الإنجليزية ، حيث أصبحت معرفة أكثر المشتغلين بالعلوم للغة الإنجليزية لاترقى إلى مستوى معرفة أهلها أنفسهم ، فهم يستخدمون لغة لايجيدونها ، ويهملون لغتهم التى يمكن أن يحققوا بها مستوى أداء أفضل ، فيزدادون ضعفاً على ضعف[٤] .

وهكذا نجد أن محنة اللغة العربية فى عصرنا لاتتمثل فقط فى حشود الألفاظ والمصطلحات الوافدة من عالم الحضارة وإنتاج المعارف والتقنيات الجديدة إلى عالمها الذى يبدو متخلفا ، بل إن محنتها الحقيقية هى فى انهزام أبنائها نفسيا أمام الزحف اللغوى الداهم ، واستسلامهم فى مجال العلوم للغات الأجنبية ، بحيث تكونت فى العالم العربى

(٣) لاتزال تركيا تدور فى فلك التبعية لحضارة التقنية الغربية رغم استبدال الحروف العربية التى تكتب بها اللغة التركية إلى حروف لاتينية . فقد تسببت « الأتاتوركية » فى عزل الفرد التركى وسلخه من دينه الإسلامى بإبعاده عن لغة القرآن الكريم .

(٤) معظم المشتغلين بالعلوم فى الجامعات ومراكز البحث العلمى لايجيدون اللغتين العربية والإنجليزية بسبب الانقطاع عنهما لفترات طويلة أثناء بعثاتهم إلى دول شتى تدرس بلغات أخرى كالفرنسية والروسية والألمانية وغيرها .

جبهة عنيدة تجاهد للإبقاء على العربية بمعزل عن مجال العلم والتقنية ، قناعة منهم بعلاقة هشة مع لغة الحضارة ، فمادامت صفوة المشتغلين بالعلوم يُحسنون « الرطانة » بالإنجليزية ، فلا بأس من عزل العربية ، بل وقتلها .

لكن العربية ، رغم كل هذه التحديات ، لم تستسلم ، فقد وسعت كثيراً من المصطلحات التى جاءتها من اللغات المختلفة ، وأمكن للمترجمين المخلصين أن يجدوا وسائل لاستيعاب كل جديد ، ومن هذه الوسائل « التعريب » الذى يأتى دوره بعد استنفاد كل وسيلة أصيلة فى حل المشكلة المعـــروضة . فحين لايصلـــح القيـــاس ، أو الاشتقاق ، أو النحت لترجمة المصطلح ــ لأن مفهومه لا علاقة له بمادة من المواد العربيـة ــ لايبقى سوى اللجوء إلى المادة الأجنبية التى تؤدى هذا المفهوم فى لغتها ، وذلك بمعالجتها بطريقة التعـريب ، أو تدخيلهـا فى اللغـة بشروطهـــا فالتعريب : « هو إقامة اللفظ الأجنبى على وزن عربى ، بوساطـة النـقص ، أو الزيـــادة ، أو القلب » ، وقد يقتصر التغيير الذى يتعرض له المصطلح الأجنبى عند تعريبه على تغيير فى صوت من أصواته ، كما تتغير V إلى F فى كلمة Volt التى تصبح « فولت » . أما « التدخيل » فهو لفظ من اشتقـاق المؤلـــف ، وضعـــه فى مقابـــل « التعريب » ، فقد وجد أن اللغة تقبل بعض الألفاظ والمصطلحات دون أن تمسها بأدنى تغيير : مثل الأكسجين والتليفون والالكترون وغيرها .

وقد كثر التدخيل فى مجال المصطلحات العلمية حتى لقد نجد ألفاظا دخيلة تشرحها المعاجم بألفاظ دخيلـة أخـــرى ، مثـــل « نكولــــيت » Niccolite وتعنى : خام زرنيخيد النيكل ، غير أن هذا لايخفى على المشتغلين بالعلـوم ، فهـو محصور داخل مجال الاهتمام به ، ولذلك ساغ أن يكون خارج أوزان الكلمة العربية .

وقد أخذ العرب فى الجاهلية ألفاظاً أجنبية كثيرة مثـل : الابريـق والسنـدس والديبـــاج والنرجس من الفارسية ، ومثل : الفلفل والقرنفل والكافـور من الهنديـة ، ومثـل : الفـــردوس والقسطاط والقنطار من اليونانية ، ومثل الكنيسة والكهنوت والناقوس من السريانيـة ، ومثـل : التوراة والأسباط من العبرية ، وأخذ الغرب عن العرب ألفاظاً كثيرة كما أوضحنا من قبل . فهذه سمة من سمات الاتصال الحضارى بالثقافـــات المجاورة فى مرحلة البناء والنهضة .

ولازال للموضوع بقية فى العدد القادم إن شاء الله

الحمل والولادة

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن
طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً
فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ
عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا
ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ المؤمنون

د. أحمد رجائى
عبد الحميد

يولى المجتمع أهمية فائقة (للخصوبة) وتهتم المرأة بقدرتها على الإنجاب أكثر من اهتمامها بمظهرها .

تعريف الخصوبة :

المقدرة على الإنجاب وهى تبدأ بعد اكتمال سن البلوغ عند الأنثى أو الذكر ، وذلك يحدث فى (مصر) بين سن الحادية عشرة إلى سن السادسة عشرة ، وفى بعض الأحيان يتم البلوغ قبل ذلك أو بعد .

تعريف الإخصاب :

هو اندماج مكونات حيوان منوى واحد بالبييضة ، ويحدث الإخصاب (شكل ١) بعد دخول الحيوانات المنوية عن طريق الجماع حول وقت الإباضة[١] (التبييض) حيث تسبح

(*) الكروموسومات : هى الحاملة للجينات التى تحمل الصفات الوراثية وعددها فى الحيوان المنوى أو البييضة ٢٣ وباندماجها تصبح ٤٦ .

(١) هو وقت نضج البييضة ونزولها من قناة فالوب إلى الرحم بعد تمام نضجها .

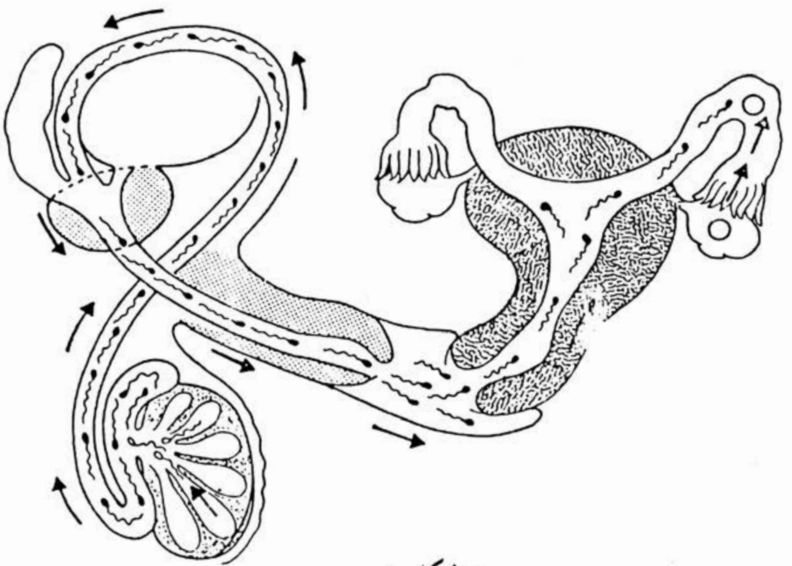

(شكل ١)

الحيوانات المنوية بعد الإنزال مباشرة لتصل عنق الرحم ، ومنه إلى الرحم ، ثم إلى قناة المبيض بفعل حركتها الذاتية بالإضافة إلى التقلصات العضلية لجدران الأعضاء التى تمر منها . ومن الجدير بالذكر أن عَدَداً كبيراً من الحيوانات المنوية تموت خلال رحلتها إلى قناة المبيض (قناة فالوب) .
ويتم الإخصاب فى (قناة فالوب) باندماج مكونات حيوان منوى واحد ببييضة حية ناضجة ، ويتم ذلك فى الثلث الأعلى منها . بأن يصل أول حيوان منوى إلى البييضة ، وتدخل رأسه فى البييضة وينفصل ذيله خارجها ، وبمجرد دخول رأس الحيوان المنوى تنسج البييضة حول ذاتها شبكة متينة بحيث لا ينفذ إليها حيوان منوى آخر . وباندماج مكونات نواة الحيوان المنوى ، ومكونات نواة البييضة فإن ذلك يؤدى إلى تكوين البييضة الملقحة التى تسمى (زيجوت Zygot) .

جنس الجنين :

تحتوى نواة كل من الحيوان المنوى والبييضة على (٢٣) صبغية (كروموسوما) وحين يتم الاندماج تحتوى البييضة الملقحة على (٤٦) صبغية : نصفها من الحيوان المنوى للأب ، والنصف الآخر من بييضة الأم .. ومن المعروف أن الحيوان المنوى هو الحامل لنوع الجنين ذكراً أم أنثى .

بعد أن يتم التلقيح تقوم البييضة الملقحة (الزيجوت) بمتابعة رحلتها فى طريقها إلى الرحم وتستغرق هذا الرحلة حوالى ثلاثة أيام فى أثنائها تبدأ عملية الانقسام الغير مباشر .

الانقسام الغير مباشر :

يبنى كل (كروموسوم ـ صبغية ـ) كروموسوماً آخراً ملاصقاً له ومماثلا له تماماً بما فى

ذلك (الجينات Genes) التى عليه[٢] ، وبتكرار هذا الانقسام غير المباشر تنتج كتلة صغيرة من الخلايا تسمى (الموريلا) (Morula) التى تصل إلى الرحم ، ويكون الرحم فى هذه الحالة مهيئاً لاستقبال الجنين حيث تكثر الأوعية الدموية ويغلظ جداره . وهذه التغييرات تحدث تحت تأثير الهرمونات التى يفرزها (الجسم الأصفر - Corpus Lutem) الناتج عن انفصال البييضة من المبيض (وهذا الجسم الأصفر يبقى مفرزاً للهرمونات التى تساعد على نمو الحمل أثناء مدة الحمل إلى أن تنمو المشيمة التى وتسميها النساء فى مصر (الخلاص Placenta) وهذا ابتداء من الشهر الثالث .

وبمجرد انغماد الجنين بجدار الرحم تبدأ عملية النمو بأن يكون الجنين فى مرحلة تسمى (البلاستوسيست Plastocyst) حيث تتحول خلايا البلاستوسيست إلى طبقتين : الطبقة الخارجية وتسمى طبقة (الاكتودرم) (Ectoderm) وطبقة داخلية وتسمى طبقة (الاندودرم Endoderm) وهى التى يتكون منها فيما بعد الجلد والأعصاب وأعضاء الإحساس .

تكوين المشيمة Placenta :

يتكون غشاء سميك بين الجنين وجدار الرحم يسمى المشيمة التى من خلالها يحصل الجنين على الغذاء اللازم لنموه ، ولها وظيفة أخرى ، وهى وظيفة (إخراجية) ، لإخراج فضلات الجنين ، وتعمل كمرشح بحيث لايدخل إلى الجنين أى ميكروبات ضارة ، أو مواد ضارة من الأم ، وكذلك تعمل المشيمة على إفراز بعض (الهرمونات) التى تساعد فى نمو الجنين . ويصل الجنين بالمشيمة : الحبل السرى .

تكوين الغشاء الواق (Amnion) :

يبدأ تكوين الجنين بغلاف واقٍ مملوء بسائل يدعى السائل الأمنيوسى (السائل الرهلى) (Amniotic Fluid) شكل (٢) .

وفى الأسبوع الثالث من حياة الجنين تظهر الطبقة التى تدعى الميزودرم (Mesoderm) وهى التى تغطى العضلات ، كما يبدأ النتوء الرأسى ، والحبل الظهرى ، والصفيحة العصبية فى التكوين .

الأسبوع الرابع : يصبح الجسم أسطوانياً بعد أن كان مفلطحاً ، وتبدأ نبضات القلب ، وكذلك تبدأ العضلات فى الظهور ، ويبلغ طول الجنين بنهاية هذا الأسبوع حوالى نصف سنتيمتر .

فى الشهر الثانى : يزداد طول الجنين وتتضح معالم أعضائه .

وفى الشهر الثالث : يتميز جنس الجنين (ذكراً أو أنثى) . ويبدأ الجنين فى الحركة .

وفى الشهر الرابع والخامس : يبدأ نمو الشعر المؤقت ، وتزداد معالم الأعضاء وضوحاً .

وفى الشهر السادس : تظهر الرموش والحواجب .

وبعد ذلك فى خلال الشهور التالية يزداد نمو الجنين ، وتظهر الأظافر ، ويسقط الشعر المؤقت ، وينمو بدلا منه شعر جديد .

(٢) الجينات : هى العوامل الوراثية التى تنقل إلى الأولاد الصفات الوراثية عن والديهم .

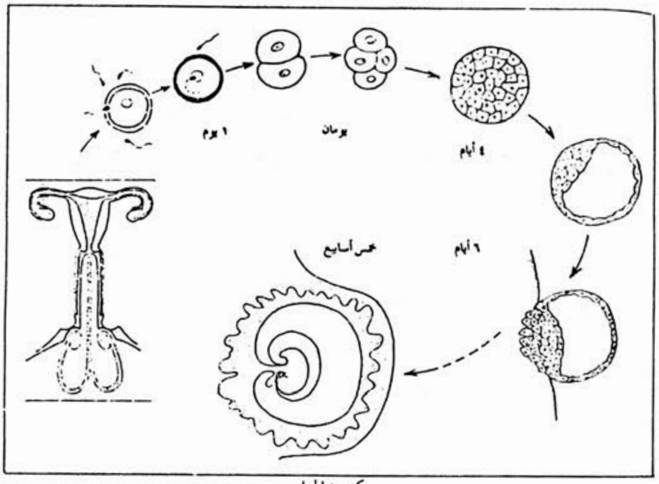

كيف يتم الحمل

شكل (٢ أ)

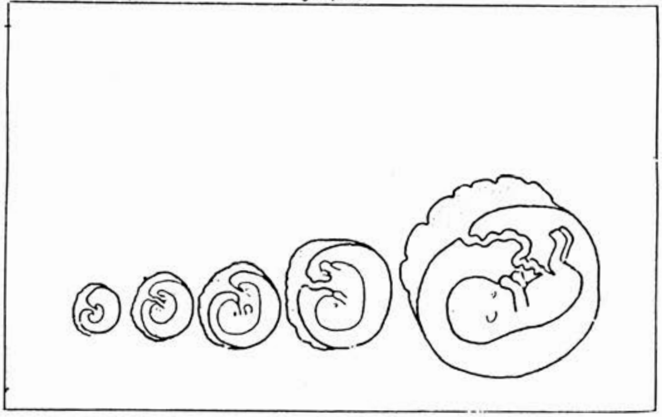

شكل (٢ب)

تغـذية الجنين :

المشيمـة (الخلاص Placenta) تعمـــل كجدار يفصل بين دم الأم ودم الجنين .

ويمر الغذاء من سكريـات و (بروتينـات) ودهون مهضومة وكذلك الأكسجين من الأم إلى الجنين عن طريقها ، كما تتجه الفضلات مثل ثانى أكسيد الكربون وفضلات الجنين من الجنين إلى الأم عن طريق الحبل السرى . وبرغم أن المشيمة تعمل كمرشح (فلتر) للجراثيم والمواد الضارة إلا أن هناك بعض العقاقير قد تنجح فى اختراق هذا الحاجـز مما يسبب تشوهـات وعيـوب خلقيـة بالجنين . هذا بالإضافـة إلى التـدخين وشرب المسكرات (الكحوليات) التى قد تؤدى إلى نقص نمو الجنين والإجهاض والتشوهات .

ويمتد الحمل الطبيعى إلى حوالى ٤٠ أسبوعاً إلى أن يأتى ميعاد الولادة .

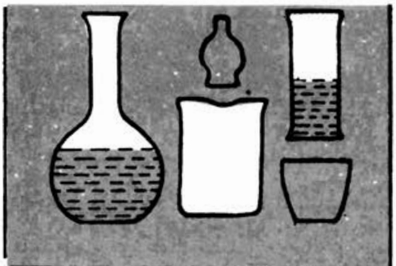

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد / د. نجوى السيد أحمد

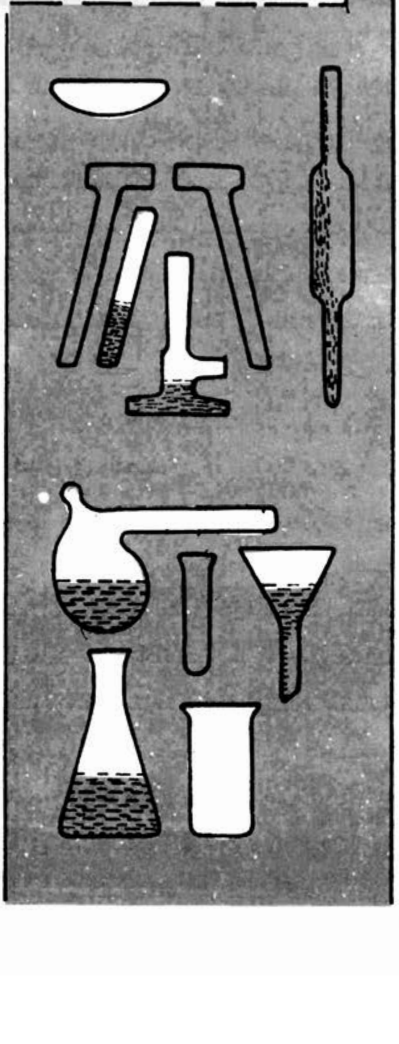

١ ـ جهاز جديد لعلاج المصابين بالصمم :

تم اختراع جهاز جديد ودقيق وحساس جداً ، يستخدم الآن بنجاح فى لوس أنجلوس لعلاج المصابين بالصمم الكلى ، وهو عبارة عن « ميكروفون » دقيق يقوم بالتقاط الأصوات الدقيقة ، وينقلها لجهاز صغير مع المصاب ، ويحولها إلى نبضات كهربائية ، تمر عبر سلك رفيع للغاية لجهاز الاستقبال الداخلى المزروع جراحياً داخل الأذن الداخلية ، حيث يتولى استثارة العصب السمعى ، وبالتالى سماع الصوت ، وهذه العملية تماثل تماماً عملية السمع فى الأشخاص العاديين .

وقد أثبتت الأبحاث العلمية نسبة ٥ ٪ فقط من ألياف عصب السمع كافية للاستفادة من هذا الجهاز .

٢ ـ دبّابة زجاجية ضد القذائف :

يتجه الفرنسيون ـ حالياً ـ إلى إنتاج دبابة من زجاج « البيركس » المقاوم للحرارة ؛ حيث أوضحت الدراسات التى تجرى منذ سنوات أن الزجاج المقاوم للحرارة والمغلف بالصلب قادر على مقاومة ضربات قذائف المدفعية المضادة للدبابات بشكل أفضل من صفائح الصلب التقليدية المستخدمة فى صناعة الدبابات اليوم ، كما أن للزجاج « البيركس » ميزة أخرى وهى أنه أخف وزناً .

٣ ـ أحدث شص لصيد السمك :

ابتكرت إحدى المؤسسات المهتمة بمعدات الصيد شصاً جديداً « صنارةً جديدة » لصيد السمك تجذب أسراباً كاملة من السمك ، وتتكون من أنبوبة رفيعة طولها ٥ سنتيمتر تتصل بالشّص الذى يحتوى على الطعم ، وهذه الأنبوبة تعتمد على تكنولوجيا متقدمة تعرف باسم الإضاءة الكيميائية حيث تطلق شعاعاً لامعاً أخضر اللون يخترق أكثر المياه ظلمة ، وفى بضع ثوان تنجذب أسراب السمك وتتنافس للحصول عليه .

٤ ـ علاج لالتهاب المفاصل من الحيوانات البحرية :

قام العلماء الأمريكيون بحقن مجموعة من الحيوانات المعملية بخلايا سرطانية ، ثم حقنوا هذه الحيوانات فى وقت لاحق بمستخلصات محارات مختلفة ، فوجدوا أن حقن مستخلص أحد أنواع الحيوانات الصدفية البحرية ـ والذى يعرف باسم « بلح البحر » ـ فى مكان الالتهاب الناجم عن وجود خلايا سرطانية يخفف هذا الالتهاب ، وأنه أكثر فاعلية من أى عقار تقليدى : كالأسبرين أو مركبات الكورتيزون فى منع التورم الناتج عن التهاب المفاصل ، كما أنه بديل طبيعى أسلم للعلاج من العقاقير التى لها آثار جانبية .

٥ ـ أصغر جهاز لإنقاذ ضحايا الكوارث :

تمكنت إحدى الشركات اليابانية من ابتكار جهاز صغير لا يزيد حجمه عن الاصبع يمكنه إنقاذ الأشخاص فى حالة الكوارث . والجهاز يمكن لصقه على الحذاء ، أو أى نوع من الملابس التى يرتديها الإنسان ، ويقوم بإخطار فرق الإنقاذ عن موقع الضحايا فى حوادث الطرق غير المأهولة مثل هبوط الطائرات الاضطرارى فى الصحراء .

وهو عبارة عن نظام إليكترونى ويمكنه إرسال إشارة ميكروويف أو إعادة إرسال إشارة أخرى قد تصله من كاشف موجود فى طائرة عمودية ، ودائرة عمله تمسح منطقة دائرتها ٣١ ألف متر مربع بارتفاع ٦٠٠ قدم .

٦ ـ فندق فى الفضاء :

تجرى حالياً فى اليابان دراسة مركزة حول إمكانية بناء فندق فى الفضاء ، لاستقبال السياح الأثرياء ، وسيوضع الفندق فى مدار حول الأرض على ارتفاع ٤٥٠ كيلومترا على وجه التقريب ، ويتم بناؤه وفق مقاييس تنقل بطائرة فضائية ، ويقوم عدد من الأشخاص الآليين بتجميعه فى الفضاء ، وسيقام حول اسطوانة طولها ٢٤٠ متراً ويضم فى قمته دائرة قطرها ١٤٠ متراً تقام فيها ٦٤ غرفة تستقبل مائة شخص كحد أقصى ،

وسيبنى فوق هذه الغرف وحدة كبيرة فى شكل هرمى مقلوب ، وستستخدم كقاعة للاستقبال ومطعم ، وغرف للرياضة ؛ لممارسة تمارين فى حالة جاذبية قليلة .

٧ ـ غازات سامة تنبعث من التليفزيون .

أكدت دراسة أجرتها الجهات المسئولة عن البيئة فى ولاية « هامبورج » بألمانيا الغربية أن هناك غازات سامة تنبعث من أجهزة التليفزيون بسبب وجود مادة « الروم » المقاومة للاشتعال والحريق والتى تدخل فى صناعة الأجهزة وحذرت الدراسة من خطورة هذه الغازات على الإنسان .

٨ ـ قوارب تسير بالطاقة الشمسية :

قامت إحدى الشركات الأمريكية بتصميم قارب يعمل بالطاقة الشمسية ، حيث تقوم مجموعة من أربعة ألواح من الخلايا الكهروضوئية ـ توضع أعلى سطح القارب ـ بتزويد أربع بطاريات ـ قوة كل منها مائة أمبير ـ بالطاقة الكهربائية اللازمة ، وتقوم ثلاث بطاريات من البطاريات الأربع بتشغيل الأجهزة والأدوات المستخدمة على القارب كفرن ميكروويف ، وثلاجة ، وجهاز ستريو وساعة رقمية وأنوار كاشفة ، ومراوح ومضخات . أما البطارية الرابعة فتقوم بتشغيل محرك القارب .

٩ ـ تصوير أشعة إكس اللينة المحيطة بالشمس .

أعلنت إدارة الطيران والفضاء الأمريكية « ناسا » أنه تم إلتقاط أول صورة لأشعة إكس اللينة المحيطة بالشمس عن طريق تلسكوب فضائى معقد أطلقته اليابان بمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية . والتلسكوب أحد أربعة أجهزة موجودة على متن مركبة الفضاء اليابانية « سولار أى » ، وساهمت « ناسا » فى بنائه . وأشعة إكس اللينة تنطلق فى درجات حرارة تفوق ١,١ مليون درجة مئوية ، وتصل درجة حرارة البقع الشمسية إلى ٣٠ مليون درجة مئوية وهى أضعف من أشعة إكس المستخدمة فى المجالات الطبية .

١٠ ـ جهاز إلكترونى للرد على الأسئلة الفنية .

أحدث الأجهزة الإلكترونية التى طرحت مؤخراً فى الأسواق الفرنسية تساعد هواة مشاهدة الأعمال الفنية على رؤيتها والاستفسار عن كل ما يتعلق بها وهم فى المنازل . فقد تمكنت إحدى الشركات الفرنسية من وضع نظام أطلق عليه اسم : « الندوات عن بعد » يعتمد على إجراء حوار من خلال جهاز الكمبيوتر ، حيث تزود الذاكرة الالكترونية ببطاقات تحمل صوراً للأعمال الفنية يصحبها تعليق من أحد المتخصصين الفنيين ، وللجهاز توصيلة للاتصال المباشر مع المعلق يسمح للمشاهد بطرح الاستفسارات اللازمة له وتلقى الإجابات عنها .

المرأة فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى

للأستاذ الدكتورة / إسمت غنيم

عقدت الباحثة فصلاً يعتبر واحداً من أمثلة تضرب فى مقام قوله تعالى :

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾

الحديد : ٢٧

فى هذا الفصل أبرزت الباحثة الأصل فى اختيار الراهبات . هذا الأصل الذى يتمثل فى اختيار الفتاة حياة الرهبنة عن دافع ذاتى ، ثم صار الوالد يقرر حكمه فى بناته من تكون منهن راهبة ، ومن تمارس حياة الزوجية ، وكانت أبواب الأديرة مفتوحة لبنات النبلاء والأغنياء وكبار التجار ، وتقدم الفتاة مبلغاً من المال للدير عند دخولها كما يحدث فى الزواج ، وإن كان الدير أقل جشعاً .

وكان يفترض أن يسود السكون المطلق الدير ، فكان الصمت فرضاً على الراهبات ، فكن يتفاهمن بالإشارة .. وأعدت قوائم خاصة يتعلمن منها الإشارات لكل ضروب الكلام . ولم يكن مسموحاً إطلاقاً باستعمال هذه الإشارات دون مبرر ، أو حاجة نافعة .. على أن هذه الإشارات كانت كفيلة بإحداث جو من المرح فى بعض الأحيان . ثم حدث تساهل فى هذا الأمر باستحداث غرفة للمحادثات Parlaterum لأوقات معينة من النهار .

وألحق بكل دير (منزل الضيعة) ليخزن به حاجة الراهبات من طعام وشراب وجعة[١] ، وفى هذه الأديرة الكبرى عَمِلَ الرجال فى شئون مختلفة .

اتسعت حياة الدير لوحدتين : « دينية » للراهبات ، و« اجتماعية » لضيفات ينزلن الدير ويمارسن فيه الحياة الدنيا بعيداً عن لوائح الرهبنة .

---

(١) البيرة : من نبيذ الشعير المختمر ، أو نقيع نبات الذئب ـ إيطالية معربة .

قالت الباحثة :

وفى أواخر العصور الوسطى بدأت الشابات يدخلن أديرة الرهبنة ، وأخذن ينظرن للرهبنة على أنها حرفة أكثر منها خدمة .. وَيُحِلْن الأنشودة إلى مجموعة متنافرة من الأصوات والكلمات غير المفهومة(٢) .

اتصال الراهبات بالعالم خارج الدير :

وكان يسمح لهن بقضاء بعض الوقت خارج الدير ، وكانت الراهبات بارعات فى اختلاق الأسباب المعقولة التى تدعو إلى مغادرة الدير ، فتارة تزعم الراهبة أن والديها مريضان ، ولابد من زيارتهما ، وتارة أخرى تزعم أنها ذاهبة لتعترف فى دير آخر .. وهكذا ، وبذلك أتيحت لهن الفرص للطواف خارج الدير فى هذا العالم الواسع .

أضف إلى ذلك أن اتصال الراهبات بالعالم الخارجى كان يتحقق بطريق آخر ، ذلك أن النبلاء فى الأرياف والأغنياء بالمدن كانوا يستخدمون الأديرة نُزُلاً تأوى إليه نساؤهم وبناتهم إذا ما ذهبوا للحرب أو للحج ، فتأتى زوجاتهم وبناتهم إلى الدير ، ويَعِشْن فيه على نفقتهن الخاصة .

وقد كان لهذا الأمر مساوئه ؛ إذ كانت أولئك السيدات الدنيويات قدوة سيئة للراهبات فقد كن يرتدين الثياب البهجة الزاهية الألوان والقبعات المرتفعة إلى غير ذلك مما سنعرض له بالتفصيل عند الكلام عن الملابس ، وكذلك كن يعتنين بتربية الكلاب ، ومن هنا حذت الراهبات حذوهن .

محاولات للحد من هذه الظاهرة :

ظهرت عظمى هذه المحاولات عام ١٣٠٠م عندما أعلن (بابا الفاتيكان) بونيفيس الثامن ١٢٩٤ ــ ١٣٠٣ فى نشرة تأمر الراهبات أن يلزمن أديرتهن لا يغادرنها أبدا إلا عند الضرورة القصوى ، وأن يُمنع أى إنسان علمانى من الدخول إلى أديرتهن ، أو زيارتهن بدون ترخيص وبدون سبب معقول يدعو للزيارة .

وحدث أن الأسقف جاء بنفسه إلى أحد أديرة (أبرشيه لنكولن)(٣) وأودع فيها نسخة من النشرة البابوية وطلب من الراهبات إطاعة ما ورد فيها من الأوامر والنواهى ، ولكن الراهبات لحقن به إلى الباب ، ورمين النشرة على رأسه ، وهو يهم بالركوب ، صارخات : أنهن لن يطعن هذه الأوامر ، ولن ينفذن حرفاً واحداً منها(٤) .

وهكذا فشل الأساقفة فى إيجاد حل لهذه المشكلة ، وكثيراً ما كان الأساقفة ورؤساء الأساقفة يهزون رءوسهم ... وهم فى حيرة من أمر دبابيس الشعر الذهبية ، والأحزمة الفضية ، والخواتم المرصعة بالجواهر ، والأحذية المزينة بالشرائط ، والفساتين المفتوحة الصدور ،

---

(2) Power : Medieval Women P.P. 97-98.

هذا ولم يقتصر هذا الفساد على اديرة الراهبات فقط وانما كان موجوداً كذلك فى أديرة الرهبان ، وقد دفع ذلك القائمين بالإشراف على الأديرة إلى إصدار مرسوم فى عام ١٣٣٠م يحرم « الضحك أثناء القداس وتنقيط دهن الشموع الساخن من الأماكن العليا بالكنيسة على رءوس المترنمين الحليقة والموجودين بالأماكن السفلى للكنيسة » .

(٣) الأبرشيه لفظ يطلق على ما كان تحت ولاية أسقف من (مكان) أو (أشخاص) .

(4) Registrum Simonis de Gandavo Episcopi Sarisbiriensis, ed Flower. Canterbury and york socienty, 1914. pp. 10 FF.

وأطواق الفساتين الوطيئة ، وأهدابها الطويلة الفضفاضة ، والألوان الفاتحة ، والملابس المرتفعة الأسعار ، والفراء الثمينة التى ترتديها الراهبات .

ولعـــل فى وصف تشوسر[٥] Chaucer ـ فى مقدمة « قصص كنتربرى » لرئيسة أحد الأديرة وتدعى « مدام إيجلينتاين » ألتى عاشت فى ألقرن الخامس عشر وحجت إلى (كنتربرى) بصحبة جماعة من رفاقها ـ أصدق دليل على ما اعترى الراهبات من تغيير .

قال تشوسر فى وصفه لمدام «إيجلينتايـن» (ما نقتطفه) :

وكان بين تلك الرفقة المختلطة راهبة (رئيسة دير)

تبتسم ، حين تبتسم ، ببساطة وخفر .. وكانت تعرف بمدام إيجلينتاين ..

وكانت تتكلم الفرنسية بطلاوة وأناقة عظيمة

بأسلوب مدرسة ستراتفورد ـ ات ـ باو

فما كانت لتعرف فرنسية الباريسيين .

وزد على ما تقدم أن أسلوبها فى تناول اللحم كان حسن التهذيب .

فما كانت لتدع كسرة واحدة تسقط من بين شفتيها

وما كانت تغمس أصابعها فى المرق عميقاً

لقد كانت تستطيع أن ترفع اللقمة إلى فمها

دون أن تدع قطرة واحدة من المرق تسقط على صدرها .

وكانت لها حماسة خاصة فى مجاملة الناس .

وكانت تحرص على مسح شفتها مسحاً نظيفاً

بحيث لا تترك للشحم أثراً يرى على الكأس .

بعد أن تفرغ من الشراب .

وإذا أكلت مدت إلى اللحم يدها برصانة وهدوء .

وكانت يقينا لطيفة المعشر .

مسلية ، مبهجة ، ودودة .

وكانت تجهد نفسها لتصطنع لطف الندماء الظرفاء .

لقد كانت كلها عواطف ، كلها قلب رقيق رءُوم .

وكانت تضع خمارها على رأسها بشكل جميل لائق .

وكان أنفها دقيقاً ، رشيقاً ، وعيناها فى زرقة الزجاج .

وكان فمها صغيراً ، ناعماً ، أحمر الشفتين أما رأسها فكان بكل تأكيد ، جميل التكوين يفصله عن الحاجبين جبين عرضه شبر

يقينا : إنها لم تكن ناقصة التكوين أبدا .

ومما لاحظته أن ثوبها كان رائع السحر فتانا

وكانت تضع على ساعديها سبحة .

من حبات المرجان الصغيرة طوقت طوقين

وكان يتدلى من هذه السبحة المفصلة بحبات خضر

قرص ذهبى رائع التألق ، شديد اللمعان

خط فى أعلاه حرف «أ» وخطت ـ أسفله ـ هذه الكلمات

« الحب يقهر كل شيء »[٦] .

---

(٥) هو الشاعر الإنجليزى « جوفرى تشوسر » عاش فى انجلترا فى الفترة (١٣٤٠ ـ ١٤٠٠) ومن أهم أعماله وأضخمها « قصص كنتربرى » التى توفى قبل إتمامها .

(٦) بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى ، ص٩٩ ـ ١٠١ .

... كان رجال الدين يعتقدون أن إبليس اللعين قد أرسل ثلاثة أبالسة صغار لهلاك الراهبات هم : « الرقص والملابس والكلاب » .

وربما تطرفت بعض الراهبات فى اللهو كتلك الراهبة « أوستن » فى « نورثمبتن » ورقصت معهم ، وضربت على (الطنبور) وقضت الليلة التالية بصبحة الرهبان الوعاظ فى « نورثمبتن » على الطنبور مغنية راقصة كما فعلت فى الليلة السابقة(٧) .

على أنه كانت هناك هواية مارستها الراهبات ولاشك أنهن أخذتها عن السيدات الدنيويات اللائى كن ينزلن ضيوفا على الأديرة ، تلك هى هواية تربية الكلاب .

تعليم النساء :

لقد كان حظ الفتاة من التعليم فى غرب أوروبا فى العصور الوسطى ضئيلا . وكان للمجتمع الغربى نظرة خاصة فى تعليم الفتيات ، فَمَيَّزُوا فيما يتعلق بالتعليم بين الأميرات وبنات النبلاء ، وبين سائر الفتيات ؛ فمثلا نجد أحد المعاصرين ويدعى فرنسيسكودا بارداريـنو Fransesco da Bardarino **يسمح لطبقة الفتيات النبيلات أن يتعلمن القراءة والكتابة ليتَمكَّنَّ ـ فيما بعد ـ من إدارة ضياعهن .**

أما فيما يتعلق ببنات السادة من رجال البلاط ، وكذلك بنات القضاة والأطباء ومن على شاكلتهن ؛ فإنه تردد لمدة طويلة فى الحكم عليهن **ثم قرر أنه من الخير لهن ألا يتعلمن القراءة والكتابة ، وبالنسبة لبنات التجار والصناع فقد كان الحكم حازماً بألا يتاح لهن أى لون من ألوان التعليم** .

إذن ؛ فقد حبذ المعاصرون تعليم الفتيات من طبقة النبيلات فقط ، ولم يكن المقصود من تعليمهن إفادة الفكر أو حب الثقافة ذاتها ، وإنما الدافع لذلك كان إدارياً بحتاً حتى يتمكّن من إدارة ضياعهن . لذلك كانت الفتاة من هذه الطبقة تقضى بضع ساعات مع مؤدب خاص ، أو ربما التحقت بنوع من المدارس يلتحق به الهواة ليتعلمن القراءة . **وجدير بالذكر أن معظم كتاب العصور الوسطى حبذوا تعليم الفتيات حتى من هذه الطبقة القراءة دون الكتابة حتى لا يستخدمن معرفتهن للكتابة فى تحرير الرسائل الغرامية**(٨) .

وربما عبر فارس « لاتور لاندرى » عن وجهة النظر المعاصرة بقوله :

« أحب أن تكون بناتى قادرات على القراءة ، وفيما عدا ذلك فالبنت يجب أن تتعلم الفضائل من الكتاب المقدس لتعيش فى بيتها عيشة غير شريرة »(٩) .

أما مدبر البيت الباريسى Managier de paris وكريستين دى بيزان فقد تمسكا بضرورة تعليم النساء القراءة والكتابة(١٠) .

●●●

وإلى جانب الدور الذى قامت به الأديرة فى تعليم البنات ؛ فإنه كان من الممكن إرسال الفتيات إلى قصور سيدات الطبقة العليا فى المجتمع ليتعلمن هناك ، ويتدربن على أصول التربية الجيدة(١١)

---

(٧) بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى ص١٣

(8) Painter, History of the Middle Ages, P. 465.
La Tour-Landry : Iiver pour L'education de mes filles, P. 36.

(10) Power : Medieval women, PP. 97-80.

(11) Power : Medieval women : P. 82.

ومن الأهمية بمكان أن نتعرف على المواد الدراسية التى كانت الفتيات يتعلمنها فى هذه الفترة الزمنية ، وهذه المواد كانت عبارة عن اللاهوت ، والترانيم الدينية ، وأعمال التريكو وتربية الأطفال وتضميد بعض الجروح ، وكيفية مداواة بعض الأمراض ، والكتابة والرسم ، وفى منتصف القرن التاسع كن يتعلمن الحساب .

وقامت مدارس ستراتفـــورد Stratford الفرنسية بتدريس فن الزخرفة والموسيقى ، وأيضاً تحضير العطور ، وعمل المربى والمسكـــرات والحلوى بصفة عامة . ويقال : إن إحدى البنات ألحقت بمدرسة بأحد الأديرة **وهناك تعلمت كثيراً لدرجة أنها تعلمت كيفية تحضير الأرواح . وهذا يدل على إضافة مادة السحر الأسود إلى مناهج الدراسة بمدارس الأديرة**(١٢) .

معلمـــات : (teachers)

ولم يقتصر الأمر على تلقى البنات للعلم ؛ بل قامت بعض النساء بالتدريس فى المدارس وفى عام ١٢٩٢ م سجل اسم إحدى المدرسات اللاتى التحقن بالمدارس الصغيرة Little School فى باريس . وفى القرن التالى أى القرن الرابع عشر ذكر أحد رجال التعليم أن « النساء بقين ودرسن فى المدارس فن النحو والصرف » وفى ١٣٨٠ م وجد اسم إحدى وعشرين مُدَرِّسة مسجلا مع أسماء المدرسين بهذه المدارس .

وقد أثمر تعليم البنات وأخرج أديبات يشار إليهن بالبنـــان مثـــل (مارى دى فرانس) Marie de France و(كريستين دى بيزان) Christine de Pisan التى أطلق المعاصرون عليها اسم (المرأة المثقفة) والتى دافعت بقوة وحماس وبلاغة عن تعليم النساء .

وقد ذكرت « كريستين دى بيزان » أن أحد أساتذة الجامعات فى إيطاليا ، قد عمل على تثقيف ابنته ، وكان يرسلها فى بعض الأحيان لتلقى المحاضرات نيابة عنه ، **ولما كانت هذه الابنة رائعة الجمال ، فقد كان والدها يطلب منها أن تضع حجاباً على وجهها حتى لاتصرف انتباه الطلبة عن الدرس .**

وفى نهاية العصور الوسطى زادت نسبة المتعلمات ، وتقول المؤرخة (بور) : « أن معظم الرجال والنساء فى القرن الخامس عشر كانوا يعرفون القراءة ، والكتابة وإن كانت تهجئتهم الكلمات وطريقتهم فى الترقيم غريبة ، ولكن ليس فى هذا بأس كبير ، فقد كانت معانيهم جلية الوضوح »(١٣) .

وفى عام ١٤٠٥ فى عهد الملك « هنرى الرابع » (١٣٩٩ ـ ١٤١٣م) ملك انجلترا صدر المرسوم الشهير الذى نص على أنَّ :

« كل رجل أو امرأة ، مهما تكن حالته ، سوف يكون حراً فى إلحاق ابنه أو ابنته للتعليم فى أى مدرسة داخل المملكة »(١٤) .

الكتب :

وفى خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، أوضحت الوصايا التى تركها أصحابها حيازة النساء لبعض الكتب ، وكانت هذه

---

(12) Power : Medieval women, P. 82.

(١٣) بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى ، ص١٨٥ .

(14) Power : Medieval women, P. 82.

الكتب فى معظمها كتباً دينية مثل : سفر المزامير وترتيل الصلوات ، وفى بعض الأحيان كتب القصائد الشعرية ، وقصص البطولة والمغامرات العاطفية ، وإن كانت إحدى السيدات قد تركت لزوجة ابنها « كل كتبى اللاتينية والإنجليزية والفرنسية » ومعنى ذلك معرفة هذه السيدة لكل هذه اللغات ، كما كانت بعض السيدات يقمن بترجمة بعض الأبحاث الطبية ، وخصوصاً فى أمراض النساء لتستفيد بها السيدات فى علاج بعض أمراضهن دون الحاجة لعرض أنفسهن على طبيب من الرجال .

وأحد هذه الأبحاث يرجع للقرن الرابع عشر ، ترجم إلى الانجليزية ، وكتب فى مقدمة الترجمة مايلى : « من المستحسن للنساء اللاتى يتحدثن بلغتنا ويقرأن ويفهمن هذه اللغة عن أى لغة أخرى ، وعلى كل امرأة متعلمة أن تقرأ لأخريات غير متعلمات ، وتساعدهن وتشير عليهن بالنصح فى أمراضهن دون أن يُطْلِعْنَ على مرضهن الرجل »[١٥] .

ملابس النساء ـ الفساتين :

أما فيما يتعلق بملابس النساء ـ فقد كانت عرضة للتطور من وقت لآخر ، وكانت هذه الملابس فى بادىء الأمر بسيطة للغاية ؛ إذ كانت عبارة عن « فستان » طويل يمتد من أعلى الرقبة حتى الأرض . غير أنه بعد ذلك أدخلت عليه تطورات فأصبحت (الفساتين) ذات ذيول طويلة وبعضها أصبح ذا فتحات من الصدر ، والبعض الآخر كان على جانب من الاحتشام بحيث يكون مقفلا وذا (ياقة) ، وكان ينبغى على السيدة المهذبة أن تولى (ياقة) ثوبها عناية خاصة .

كذلك أصبحت أثواب السيدات مطرزة بالشرائط الحريرية ، ومزينة بالأحزمة الفضية ومرصعة بالدبابيس الفضية والمجوهرات .

وقد كانت السيدات يعنين بثيابهن الثمينة كعنايتهن بمجوهراتهن ، وقد كن يرتدينها سنة بعد سنة على مدى العمر . وكن يوصين بها لغيرهن بعد وفاتهن .

المعاطف وقطع الزينة :

كذلك ارتدين المعاطف واستعملت سيدات الطبقة الراقية الفراء الثمين . وكن يضعن فى رءوسهن دبابيس للشعر ذهبية ، وبعد تصفيف شعورهن كن يضعن فوقها عصائب للرأس ، واستعملن أيضاً القبعات العريضة المبطنة بالفرو ، والتى يبلغ عرضها (عرض الدرقة والترس) . كما استعملن غطاء للرأس ذا قرون ، وعرفن الشعور المستعارة ، وقد كانت الجباه العريضة هى (المودة) الشائعة فى أواخر العصور الوسطى ، لذلك كانت السيدات يحلقن شعر مقدم الرأس لتبدو جباههن أعرض مما هى عليه[١٨] .

ملابس الراهبات وتطورها :

أخذت الأزياء الحديثة تغزو حتى الراهبات ، فأصبحن يرتدين الملابس الغالية الأسعار ، الفاتحة الألوان ، العارية الصدور ، المطرزة بالشرائط الحريرية ، والأحزمة الفضية ، والأحذية المزينة بالشرائط ، واستعملن الفراء الثمين ، ودبابيس

---

(16) Power : Medieval women, P. 84.
(17) Essays in the History of Medicine, Presented to Karl Sudhoff, ed. charles singer and Henry Sigerist, oxford, 1924, P. 129.

الشعـر الذهبيـة ، والقبعـات العـريضة المبطنـة بالفـرو . إلى غير ذلك ، تمامـــا كالسيـــدات الدنيويات .

وقد جاء فى وصف رئيسة أحد الأديرة أنها « تتزين بخواتم ذهبية فادحة الأثمان وأحجار كريمة مختلفة الأشكال والألوان ، وأحزمة مموهة بالفضة والذهب ، وخُمُرٍ حريرية ، وأنها ترفع خمارها فوق جبينها عالياً ، بحيث يصبح جبينها العارى نهباً لأنظار الجميع ، وأنها ترتدى الفرو الثمين ، ثم إنها ترتدى ثياباً مطرزة بالشرائط الحريرية مرصعة بالدبابيس الفضية ، والفضية المموهة بالذهب . وقد جعلت الراهبات يصنعن صنيعها ، ويحتذين مثالها ، وهى ترتدى فوق خمارها قبعة فاخرة بالفرو ، وتتدلى من عنقها قلادة طويلة من الحرير تنتهى أسفل صدرها بحلقة ذهبية وماسة »(١٦)

وهكذا نجد أن الراهبات لم يتركن شيئا لم يأخذنه عن السيدات الدنيويات ، حتى مودة الجباه العريضة انتقلت إليهن سريعاً ، فكن يرفعن خُمُرَهن عالياً حتى تظهر جباههن .

وبالإضافة إلى رئيسة الدير هذه جاء فى وصف تشوسر (لمدام ايجلينتاين) ما يلى :

أما رأسها فكان بكل تأكيد جميل التكوين
يفصله عن الحاجبين جبين عرضه شبر

وبديهى أنه لو لم تكن هذه الراهبة الرئيسة قد خالفت التقاليد التى تحتم عليها أن ترخى خمارها حتى يلامس حواجبها لما استطاع هذا الشاعر الإنجليزى أن يرى هذا الجبين الذى يبلغ عرضه شبر ... فالمرأة هى المرأة دائماً ، والنساء مولعات فى كل الأزمنة بكل ما هو جديد ، وخاصة إذا كان هذا الجديد يتعلق بالأزياء المبتكرة .

(١٦) بور : نماذج بشرية من العصور الوسطى ، ص١٢٨ .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« حقيقة »

قال رجل للحسن : يا أبا سعيد ، أينام الشيطان ؟

فتبسم ، وقال : لو نام لاسترحنا .

« قضاء .. بالحق »

روى أن سعد بن إبراهيم ، وأبا سلمة بن عبدالرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ، ومحمد بن صفوان قالوا لسعيد بن سليمان بن زيد ابن ثابت .

« لقضاء يوم بالحق أفضل عند الله من صلاتك عمرك » .

« حقاً »

فإن الصرح يهدم بعــــد حين
إذا كان البنـــاء على فساد

« لا أذكره .. ياأمير المؤمنين »

دخل هشام بن عروة على المنصور ، فقال له المنصور : ياأبا المنذر ، أتذكر حين دخلت عليك أنا وأخى مع أبى الخلائف ، وأنت تشرب سويقاً بقصبة يراع ، فلما خرجنا من عندك ، قال أبى استوصوا بالشيخ خيراً واعرفوا حقه ، فلا يزال فى قومكم بقية ما بقى ؟

قال : ماأتيت ذلك ياأمير المؤمنين ، فلامه بعض أهله ؛ وقالوا : يذكرك أمير المؤمنين مايمت به إليك ، وتقول له : لا أذكره فقال : لم أذكره ، ولم يعودنى الله فى الصدق إلا خيراً .

« العقلاء ثلاثة »

قال يحيى بن معاذ الرازى ــ رحمه الله : العقلاء ثلاثة : من ترك الدنيا قبل أن تتركه .

وبنى قبره قبل أن يدخله

وأرضى خالقه قبل أن يلقاه .

« ما يقال عند القراءة فى الدرس »
أو الاختبار

اللهم ألهمني علما أفقه به أوامرك ونواهيك .

وارزقنى فهما أعلم به كيف أناجيك ياأرحم الراحمين .

اللهم ارزقنى فهم النبيين ، ومحفظ المرسلين وإلهام الملائكة المقـــربين ، برحمتك ياأرحـــم الراحمين .

اللهم أكرمنى بنـور الفهـم وأخرجنـى من ظلمات الوهم ، وافتح لى أبواب رحمتك وانشر على من خزائن علمك ياأرحم الراحمين .

أول صلاح الأمة وأول فسادها »

أول صلاح هذه الأمة فى الزهد واليقين وأول فسادها : فى البخل والأمل .

من قصيدة
□ لابن النبيه يرثى ولد الناصر
أحمد أمير المؤمنين »

الناس للموت كخيل الطراد
فالسابق السابق منها الجوادْ
والله لايدعـــــو إلى واره
إلا استصلح من ذى العبادْ
والموت نقـــاد على كفـــه
جواهر يختـــار منها الجيـــادْ
والمرء كالظـــل ولابـــد أن
يزول ذاك الظل بعد امتدادْ
لا تصلـــح الأرواح إلا إذا
سرى إلى الأجساد هذا الفساد
أرغمت ياموتُ أنوفَ القَنا
ودست أعناق السيوف الحدادْ

« أول دعوى أهل الجنة »

أول دعوى أهل الجنة : « لا إله إلا الله » وآخر دعوى أهل الجنة : « الحمد لله رب العالمين لما ورد : أن كلمة التوحيد « مفتاح الجنة » وقال تعالى : « وآخر دعواهـم أن الحمـد لله رب العالمين » .

« يشترك الخلائق »

عشرة أشياء يشترك فيها جميع الخلائق : الموت والحشر وقراءة الكـتب والحساب والميـــزان والصراط والسؤال والجزاء والبعث والصعق .

« دعاء »

اللهم ياهادى المضلين ، وياراحم المذنبين ، ومقبل عثرات العاثرين نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

موقف الإسلام من التغيرات التي يمر بها

حديث لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ: عبد الرحمن تاج

شيخ الأزهر الأسبق

إعداد وتقديم: أ. عبد الفتاح حسين الزيات

شرع الله الإسلام ديناً صالحاً لجميع خلقه فى كل زمان ومكان ؛ لأنه دين الإنسانية فلا ينفك عنها فى أى من أطوارها يهديها ويرشدها ، ويرسم لها الطريق المثلى لحياة كريمة .

وقد حفز الإسلام بعضا ممن ليسوا مسلمين ، فجاءوا إلى أهل العلم به يسألونهم عن مبادئه ، وكيف يتعامل مع المتغيرات التى تطرأ على العالم ، وهل الإسلام يستشعرها ويتفاعل معها ، أم أنه بمعزل عنها ؟

فى هذا الحديث إبراز لدور الإسلام على مسرح الحياة وهو دور رائد يشهد له ما تضمنه من سنن وقوانين جاءت أساسا بالدرجة الأولى - لتصنع تلك الحياة .

قال الأستاذ الأكبر - رحمه الله -

حضر إلى إدارة الأزهر لمقابلة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، شيخ الجامع الأزهـر الأساتذة : هانى ألمان . فرنسيس ج . جولدنج . الكـونت جيرارد رنسون ، الهر هانـز جورج جارنز ، من جماعة التسلح الخلقى العالمية .

وطلبوا من فضيلته أن يحدثهم عن مبادىء الإسلام ، وموقف تعاليم الإسلام والمسلمين إزاء التغيرات التى يمر بها العالم اليوم ، وما يلاحظ من التحول عن الناحية المادية إلى الاتجاه الروحـى والخلقى ، وبينـوا أن فى شعـوبهم اتجاهـا لهذه الناحية .

فحدثهم فضيلة الأستاذ الأكبر عن الإسلام حديثاً مستفيضاً ، شرح به مبـادىء الإسلام القويمة ، وتعاليمه السامية ، وبدأ حديثه بقوله :

« أنـا شاكـر لكـم هذه الزيـارة الكـريمة ، ومسرور بها كل السرور ؛ لأنها تدل على أنه لايزال فى الناس من يعنى بتأكيد الروابط بين الأمم وبين مصر ، وعلى الخصوص الأزهر ، كجامعة ثقافية عالمية ، تنشىء أبناء المسلمين على مبادىء الإسلام السليمة والثقافة العلمية الصحيحة .

ومن ناحية واجب الأزهر ودراساته الدينية ومبلغ تأثره بالنواحى الخلقيـة ؛ فالإسلام جاء بأمرين عظيمين :

الأول : الأساس فيه عبادة الله وحده، وتقديسه وحده ، وألا يعترف بكائن من كان بالاشتراك فيما يستحقه من هذا التقديس .

فالمسلم لايعبد إلا الإله الواحد ، ولا يقدس إلا الإله الواحد ، ولا يجوز لإنسان أن يذل لإنسان آخر ؛ لأنه مثله فى الإنسانية ، ولايحق لأحد أن يقـدس أحـداً آخــر ، لا أميراً ولا ملكــاً ، ولا رئـيساً ؛ فإن الله هو الخالـق ، والتقـديس واجب له وحده .

موقف الإسلام

هذا الأساس ـ وهــو أساس التوحيــد الصحيح ـ إلى جانبه جاءت مبادىء تنظم علاقة الإنسان بالله الذى يستحـق ـ وحـده ـ هذه العبادة وهذا التقديس ، وإلى جانبه مبادىء أخرى لاتقبـل التغيير ولا التبديـل ، وهـى المبـادىء الخلقيـة : من الصدق ، ومعاونـة الضعيـف ، والوفاء بالوعد ، وحب العمل النافـع المنتـج ، والحث على النظام والتعاون والمؤاخاة ، والعمل على استتباب الأمن والسلام فى جميع أنحاء العالم . هذه المبادىء فى مجموعها هى الأساس الثانى . والمسلم أخو المسلم فى كل البقاع ، ومصر فيها مسلمون وغير مسلمين ، والكل أمام الإسلام فى الحق وفى الواجب سواء .

والإسلام روحه حب السلام ، والعمل على تمكين روابط المحبة والألفة والتعاون بين الناس ، وهو يرمى ـ دائماً ـ إلى نشر السلام فى بقاع الأرض . والإسلام لايحب العدوان ، وفى جميع الحالات التى اضطر فيها المسلمون فى عهد رسول الإسلام إلى أن يستخدموا القوة لم يكونوا بادئين بعدوان ؛ بل كانوا دائما يعملون على الإقنـاع بالحق ، وبالحجة من طريق السلام .

والمسلمون فى ذلك العهد ، وتحت زعامـة الرسول ﷺ كانوا فى حالات استعمالهم القوة مضطرين كل الاضطرار ، وكان يكرههم الأعداء المحيطون بهم إكراها بالغ الحد على أن يستخدموا هذه القوة التى لابد لهم من استخدامها ، ليردوا عن أنفسهم وعن وطنهم عدوان أولئك المعتدين عليهم .

والإسلام لا يأخذ الناس بادىء الأمر بالشدة والقوة ، فقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى (لا إكراه فى الدين) ﴿ يأأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾ .

كان إكراه أعدائهم لهم فى استعمال القوة على ألوان مختلفة : مرة بحشد الجيوش والقوات لمحاربة المسلمين ، والإحاطة بهم من كل جانب ، وكان مرات كثيرة أخرى بالحيلولة بين الدعاة إلى السلام من أهل دين الإسلام وبين أن يقوموا بواجبهم الدينى فى التعليم والتثقيف ودعوة الناس إلى عبادة الله وحده وعدم تقديس غيره ، والدعوة أيضاً إلى نبذ الأخلاق الفاسدة ، والعادات الذميمة ، والظلم ، وعدوان الناس بعضهم على بعض ، كانوا يحولون بين الدعاة وبين غاياتهم التى لايقصدون من ورائها حربا ولاتسلطا ولااستعماراً ، ولكنهم كانوا يقصدون بها إنقاذ الناس من الجاهلية ومن فوضى الأخلاق ، ومن جميع العادات والتقاليد التى لا يرضاها الدين لعباد الله .

الإسلام حينما يراد بأهله الشر والظلم والغدر والجور ، فإنه لايجيز فى هذه الحالة الضعف والاستكانة والتزام خطة الذلة ، وإنما يأمر أهله بالدفاع القوى ، والاستماتة فى هذا الدفاع ، لايفرق فى هذه الحالة بين معتد ومعتد . وعلى درجات هذا العدوان ، وبحسب تفاوتها يكون كفاح المسلمين وجهادهم وتعاونهم لرد ذلك العدوان .

والإسلام لايحابى ولايمارى . ومبادئه يجب تنفيذها على كل إنسان من أهله . ومن يرتكب مخالفة أو جريمة ، فإنه لايعفيه من المؤاخذة قرابته لصاحب جاه أو نبى أو رسول من رسل الله ، فقد قال فى ذلك رسول الله ﷺ ما معناه : لو أن فاطمة بنته سرقت لأخذها بالعقوبة كما يأخذ غيرها ممن يرتكب هذه الجريمة .

الإسلام يأمر أهله بالعمل للدين وللدنيا معاً ، وليست تعاليمه مقصورة على أوامر الصلاة والزكاة والصيام والحج وما إلى ذلك من أنواع العبادات والطاعات ، وإنما يأمر أهله ويحثهم حثا قويا شديدا على العمل للدنيا ، لتعميرها واستثمار ما فيها من قوى ، والانتفاع بما فى الأرض من ذخائر وكنوز ومعادن ، وما إلى ذلك .

فالاقتصار على النوع الأول وهو العبادة ، يعتبره الإسلام رهبانية . وهو لايجيزها للمسلمين كنظام عام ، فإن من المبادىء المحكمة فى الدين الإسلامى ، أنه لا رهبانية فى الإسلام .

وفى النوع الثانى الذى يطلب به العمل للدنيا يحذر من التهالك على هذه الدنيا إلى درجة تضعف القيام بالواجب الأول ؛ فإن هذا مذموم أيضاً ؛ لأنه يسبب طغيان المادية على المثالية الروحية السامية ، التى لابد للإنسان منها ، والتى لا يستطيع العالم أن يعيش فى سلام بدونها . وقد أخذ الإسلام فى هذه الناحية ـ ناحية العمل الدنيوى ـ بنظام يمكن أن يعبر عنه بأنه نظام اشتراكى ، ولكنه نظام اشتراكى انفرد به الإسلام ، فهو لا يسخر المجموع لمصلحة فرد ، ولا يفنى جهود الفرد لأجل المجموع ، وإنما يحرص على أن يكون للفرد كيانه وقوامه وحريته التى يحافظ معها على حرية غيره ، ثم هو مع ذلك يحتم عليه أن يقوم للمجموع بنصيب عظيم من جهوده . وهذا هو أساس نظام الزكاة فى الإسلام ، فإنه يفرض على أهل الثروة والغنى أن يكون لغيرهم من الفقراء والضعفاء نصيب وحق

فى أموالهم ، ولكن ذلك بنسبة خفيفة لا تؤثر على الغنى فى ماله ، وهى فى الوقت نفسه تقوم بمصالح الفقير الضعيف هذه النسبة قدرها الإسلام بجزء من أربعين جرءاً ، من الثروة فى كل سنة ، فالإسلام لا يذهب مذهب المادية ، ولا مذهب الرأسمالية العنيفة ، ولا مذهب الشيوعية ، ولا مذهب الاشتراكية المتطرفة ، ولكن نظامه فى هذه النواحى هو نظام الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط .

هذه نبذة صغيرة من تعاليم الإسلام وأخلاقه ، ومصر بوجه عام ، والأزهر بوجه خاص يرحب بكل دعوة تدعو إلى نشر الفضائل والأخلاق الجميلة التى انكمشت فى عصرنا الحاضر عند غالب الأمم ؛ لتأثير الناحية المادية وتغلبها وطغيانها على النفوس .

وأنا أكرر لحضرات الزائرين عظيم سرورى وارتياحى لزيارتهم . وفوق ذلك قد سرنى كل السرور أنهم من دعاة هذه الفكرة ، فكرة العمل على نشر مبادىء السلام والمحبة والأخلاق الفاضلة بين جميع الناس ، لا فرق بين أهل قطر وقطر ، وأمة وأمة ، فإن هذه الفكرة التى يقومون بالعمل فى سبيلها ، هى جملة ما يدعو إليه الإسلام وتعبير صادق عن مهمته .

وأرجو أن تتعاون الجهود فى جميع الدول على تحقيق هذه الفكرة الصالحة الرشيدة ، ونحن نستعين فى ذلك بقوة الله وعنايته .

وتأكيداً لسرورى لهذه الزيارة أحب أن أقول : إن لى كتاباً صغيراً يعالج بعض هذه الشئون من وجهة نظر الإسلام ، هو الآن تحت الطبع ، وسيتم طبعه قريباً ، وسأعمل على أن أهدى إلى حضرات الأعضاء فى مركزهم العام بجنيف نسخاً منه ، ورجائى أن يتقبلوه رمز محبة ومودة ومناصرة لهم على عملهم الجميل .

مع ديوان «على أعتاب الرضا»

بقلم: محمد عبد الوهاب

حفل تاريخ الأدب العربى بكوكبة من الشاعرات عبر مراحله المختلفة ، وتُعدّ الشاعرة (جليلة بنت مَرّة) أولى الشاعرات مع طلائع الشعر الجاهلىّ ، وريادة (المهلهل)ـ شقيق زوجها (كليب) ـ لبدايات الشعر .. ولم يحفظ لنا التاريخ سوى قصيدتها الخالدة : (القاتلة المقتولة) ، فى رثاء زوجها ، وهى آية فى البلاغة وروعة الصياغة .. وتُعد (ليلى بنت لكيز) ، وتعرف بليلى العفيفة ــ التى توفيت عام ٤٨٣ م ـ من أقدم الشاعرات ، وكذلك (عفيرة بنت عفّان) التى أورد (الأصفهانى) بعض شعرها بالأغانى (جـ١ ص ١٢٠ ط بيروت) ، و(خرنق بنت بدر بن هفان)ـ وهى أخت (طرفة بن العبد) لأمّه ـ و(زهراء الكلابية) ، و(صفيّة بنت عمرو الباهليّة) ، و(سعدى الجهنيّة) و(السلكة أمّ السليك) ، و(عمرة الخثعميّة) ، و(ليلى بنت وهب) ، و(مريم بنت طارق) ، و(عصماء بنت مروان الأمويّة) ، و(الخنساء) ، و(قتيلة بنت الحارث) التى أسلمت يوم الفتح و(زينب بنت الطثرية) ، و(عاتكة بنت عبدالمطلب) عمّة رسول الله ﷺ وغيرهن .

كل أولئك شاعرات لهن قدم راسخة فى هذا الميدان .

وشهد العصر الأموى (أم حكيم) زوج الشاعر (قطرى بن الفجاءة) ، و(ضاحية الهلالية) و(سورة بنت عمارة) ، و(ليلى الأخيلية) ، التى كانت بينها وبين الشاعر (توبة بن الخمير العقيلى) مطارحات شعرية مشهورة .

كما شهد العصر العبّاسى ، الشاعرات (سلاّمة القس) ، و(فضل) ، و(عريب) المغنيّة الشاعرة و(محبوبة) ، و(الأميرة عليّة بنت المهدى) .

وشهدت الأندلس (حسّانة اليتيمة) ، و(أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح) وجاريتها (غاية المنى) ، و(حفصة بنت حمدون الحجازية) و(العبادية) جارية المعتصم ، و(ولادة

بنت المستكفى) و(اعتماد) جارية (المعتمد بن عبّاد) و(حمدونة بنت زياد) ، وتعرف بخنساء الأندلس ، و(نزهون الغرناطية) . وغيرهن .

حتى إذا صرنا فى مطلع العصر الحاضر ، وجدناه يموج بالعديد من الشاعرات ، منذ مستهل القرن الحالى ، وفى مقدمتهن الشاعرة الرائدة (عائشة التيمورية) ، و(ملك حفنى ناصف) باحثة البادية ، و(أمية نجيب) و(زينب فوّاز) و(منيرة توفيق) و(مريانا المر) و(مارى عجمى) ، ثم فى أيامنا هذه : (جليلة رضا) و(نازك الملائكة) و(فدوى طوقان) و(روحيه القلينى) و(ماجدو ذو الفقار) و(شريفة فتحى) و(نجاة شاور ربيـــع) و(لورا الأسيوطـــى) و .. (عليّة الجعّار) ، التى أخرنا إثبات اسمها لتكون وقفتنا مع شعرها وشخصيتها ، فى ديوانها الجديد : (على أعتاب الرضا) .

نشأتها :

ولدت الشاعرة (عليه الجعار) بمدينة طنطا سنة ١٩٣٥ م . وتلقّت تعليمها الابتدائى والثانوى بمدارسها ، ثم التحقت بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، وتخرجت فيها سنة ١٩٦٠ م . وفازت طوال سنوات الدراسة بلقب : (الجامعية المثالية) ، وكانت تعكف فى هذه الأثناء على استظهار روائع الكتب والدواوين الشعرية بمكتبة والدها ، وبدأت شاعريتها فى التفتّح فى بواكير حياتها .

وعملت بالصحافة والمحاماة لمدة عامين بعد تخرجها ، إلا أنها آثرت العمل بالإذاعة بعد ذلك ، وتدرّجت فى مناصبها حتى شغلت وظيفة (مدير عام الشئون القانونية) .

وقد قامت الشاعرة بأداء فريضة الحج لأوّل مرّة سنة ١٩٦٤ م . ، وأصدرت ديوانها الأول : (إنى أحب) سنة ١٩٦٤ م . وفيه تقول فى مناجاة إلهية صوفية :

خطّاءة أنا ـ يا رباه ـ يدفعنى   إلى الخطيئـة ماحُمِّـلتُ من طين
إنى أحبك ، لا خوفا ولا طمعا   ولا اتخذت حبيبـا عنك يُلْهِينـى
إن كنت أسأل عما قد أتيت به   من الشفاعة .. إنّ الحبّ يكفينى

ثم تقول فى أثناء وقوفها أمام الروضة الشريفة ، بتوسّل ورجاء :

فحبّـى له فى دمـى .. فى فؤا   دى بأعمـق أغـوار أعماقـهْ

ثم تتساءل بفرحة ووجْد :

أحقا أنا فى رحـاب الـرسول   أحقـا ظفـرت بأحلاميـه ؟
أجل : إنّ هذى دمـوع لقـاء   على وجنتـىّ .. هَمَتْ جاريـهْ

● ● ●

وبعد أن نمضى فى هذا الديوان صعدا ، تشدُّنا أبياتها فى وصف (لقيط) ألقت به أمه إلى الطريق العام فى ليلة شتوية ، تزأر فيها الرياح مع البؤس والضياع ، تقول :

فى ليلـــة ظلمـــاء غطَّـــى   بَدْرَهـــا كفُّ الغمـــام
والـــريح تعـــوى كالذئـــا   ب تهزّ أحـــلام النيـــامْ
والبرد كالسوط الحديـــد   مضى يعربـــد فى العظـــام
وإذا به .. ملقـــى وحيـــداً   تحت أقـــدام الأنـــام
طفـــل يذوب طفولـــة   مازال فى سن الفطـــام
جاءت به أمٌّ وَألْـــقتْ :   (قلبَهـــاَ) دون اهتمام
تركتْـــهُ يَلْقَـــى وحـــده   الدنيـــا .. وذابتْ فى الزحـــامْ

ثم تهيب بأمه بصوت فاجع النبرات

يا أُمُّـــــهُ ، عودى لهُ   هل قُدَّ قلـــبك من رخـــام ؟

واستخدام لفظ (قلبها) فى البيت السادس غير مناسب بالنسبة لأم باغية كهذه ، فلا يجوز وصف طفلها بأنّه (قلبها) ، فهى امرأة بلا قلب ، كما بيّنت الشاعرة ، لإقْدامها على إلقاء طفلها فى موطىء الأقدام ، وأصح من استخدام لفظ قلبها ـ فيما أرى ـ : لفظ (طفلها) فقط ، فهو وحده أبلغ فى الدلالة والتأثير كذلك قولها.(سنِّ الفطام) يُناقض الحوادث من هذا القبيل . إذ ـ عادة ـ ما تتخلص الآثمة من طفلها بمجرد ولادته ..

على أن هذه الأبيات قد قد أظهرت توفُر العنصر الدرامى فى شعر (علية الجعار) ولو أنها مضت فى تطوير الحدث ، وعاشت بخيالها وتأملاتها مع ما يمكن أن ينتهى إليه هذا الطفل ، فى مرحلة الصبا والشباب والرجولة ، حيث تتلقفه أجواء الشر والإجرام ، ليعيث فساداً ، لماضيه المُـزْرِى ، وحياتـه الحافلـة بالآلام والأوصاب ، كما اتفـــق (لجان فالجان) فى روايـــة (البؤساء) المشهورة ، لفيكتور هيجو ، على سبيل المثال ..

ومهما يكن من أمر ، فكم نتمنى على الشاعرة أن تتطرّق لمعالجة مثل هذه الموضوعات الإنسانية النبيلة ، التى تُجيد وَصْفها ، وحتى تثرى رُؤاها فى موضوعات قصائدها .. وتجد مجال الكتابة ، والإبداع .

● ● ●

والديوان الجديد يُعرف من عنوانه : (على أعتاب الرضا) بأنّه وَقْفٌ على الشعر الدينى الوجدانى ، من الألف إلى الياء ، وهو مفعم بالتراتيل الرخيمة فى محراب الوجد والحب الإلهى ؛ لأنّه يواكب مرحلة جديدة تمر بها الشاعرة : علية الجعار ، التى جعلت حياتها الوجدانية كلها سلسلة متصلة الحلقات فى حب الله سبحانه ، ورسوله ﷺ وآل البيت رضوان الله عليهم ، كما اتفق لأستاذها ، وأستاذنا الشاعر الراحل : محمود جبر فى معظم نتاجه الشعرى ، ونتبين ذلك بجلاء ووضوح فى قصيدتها : (على أعتاب الحسين) إذ تقول :

أتـــانى الشعـــــر بسّام المحيّــــا وأهـــدانى القـــوافى والرويَّــــا
توضّأ من سنـــا الإيمان حتـــى تَبَـــدَّى فى خيـــالى : لُؤْلؤيّـــا
فرحت أصوغ من أسْمَى المعانى نشيـداً صادق النجــوى شجيّــا
وجئتك سيّدى ، أشدو ، وأشدو ويعلـــو فى المدى صوتى قويّـــا

وليتها قالت فى آخر بيت : (أهفو) وأشدو ليكون التعبير أقوى وأبلغ ..

وفى (السيدة زينب) رضى الله عنها ، وقفت تناجى وتقول :

إنى أحـــــــبّك أنتِ يا بنت أكـــــــرم بِنْت
يا زهـــــــرة قد تسامت فى ظلّ أطهـــــــر بيت
يا بضعـــــة من علـــــىٍّ وللبتـــــول انـــــتسبت
فى نور (طه) نشأت ومـــــن هداه ارتـــــويت
فالنـــــور بالنـــــور يُسْقَـــــى والخير بالخير يأتى
يا بنت بنت حبيبـــــى وسيّـــدى .. يا (ستّـــى)[1]

ومن وحى (السيدة عائشة) أم المؤمنين ، تقول :

نبـــع يفـــيض ، فينهل الفقهـــاء نجم يضىء ، فيقـــبس العلمــــاء
مَنْ مثل عائشة النبـــوّة ، من له فى الدين فقه مثلها ، وعطـــاء
حسناء فى عمـــر الزهـــور يزينها عقــــــل كبير ناضج ، وذكاء
تلميـــذة فى بيت خير معلـــم تقتات منه العلم ، كيف تشاء

ثم تشق الشاعرة طريقها إلى (أصحاب النبى) ﷺ ، لتصفهم بقولها :

حول النبـــى كواكب تتألّـــقُ من فيضه تُسْقَى الضياء وتغدق
ما إن دعـــا لله حتـــى آمنـــوا بالله رب العـــالمين ، وصدقـــوا
السابقـــون الأولـــون إلى العـــلا الفائـــزون بقمـــة ، لا تلحـــق
الزاحفون إلى الجهـــاد إذا دَعَـــا هبّوا له ، وتقدّمـــوا ، وَتَفَوَّقـــوا
العاشقـــون لربِّهـــم سبحانـــه والعبـــد محسوب[2] على من يعشق

ثم تعطينا الشاعرة صورة رائعة لمن تتجافى جنوبهم عن المضاجع بقولها :

الساهـرون ، الساجـــدون تقرّبـــا والدمع فوق خدودهم يترقـــرق
فى حضرة المختار كانـوا صحبـــة فتآلفوا ، وتكاتفـــوا ، وتحلّقـــوا

---

(١) جاءت هذه اللفظة لتفسد بعاميتها تلك الترنيمة العذبة .
(٢) قرأنا فى الأخبار « المرء مع من أحب » فلعل الشاعرة تلمح إلى ذلك .

إلى هنا تمضى الشاعرة فى رحلتها الروحية بوثوق ورسوخ قدم ، إلاّ أنّنا إذا أردنا أن نعطى النقد حقّه ، لاحظنا أنّ الدفقة الشعورية تختلف عند الشاعرة من قوة إلى ضعف ، فهى فى لحظة جيشان العاطفة يجىء تعبيرها قويّا متدفّقا ، أما إذا اقتصرت على شرح بعض الآيات القرآنية ، جاء تعبيرها تقريرياً مباشراً ، خاليا من زخّات الفنّ ، وتطريزه ، كقولها مثلا فى « تفسير » الآية الشريفة : (وممّا رزقناهم ينفقون) :

جاءت بها وبفرضهـــا الآيات   وبها يعـــمّ الخير والبركات

والمال فى ظلّ الــزكاة مطهّـــر   ويزيـــده الإحسان والصدقـــات

والمؤمنـون تسابقـوا ، وتصدّقــوا   لله ، حيث تضاعــف الحسنـــات

فلهـــم جزاء المحسنين وأجرهـــم   فى الخلـــد فوز دائم ، وحيـــاة

فهذا الشعر ــ على قدسيّة معناه ــ هو أقرب إلى النظم الجيّد ، منه إلى الشعر المحلّق .. وقِسْ على ذلك قصائد أخرى مماثلة بالديوان بها زوائد تعبيرية متعدّدة ، وهذا لايمنع من أنّ الحسّ النقدى لدى الشاعرة متوهّج يقظ ، كما يبدو ذلك فى تخيُّرها للألفاظ الأكثر إشعاعا ودلالة .

هذا ، على أن اللهجة الخطابية ذات النبرات العالية فى بعض القصائد تُبْعدنا إلى حد ما عن عمق التذوّق .. وليت الشاعرة تعيد النظر فى (شدّ) أوتار ربابتها التى تعزف عليها ألحانها ، بحيث تستطيع ــ بشفافية واستغراق لازمَيْن ــ أن تلج بنا إلى أجواء أكثر شاعرية وعمقا ، تحفل بالأسرار والرموز ، التى تحقّق الجماليَّة والإشراق ، بتكثيف الرؤى ، وتصوير الأحاسيس الباطنية ، بدقة ورهافة حس ، بعيداً عن المباشرة التى تأتى على حساب المقاييس الفنّيّة ، التى تجنح للتلوين والابتكار ، بمعزل عن التقليد والاجترار ، والتعبير الكلاسيكى المألوف ..

وما من شك فى أن مجال الإبداع مفتوح أمام الشاعرة على مصراعيه ، وطموحنا إلى عطاء شعرى متميز ، ملىء باللوحات والنبضات ، هو الذى يدفعنا إلى مصارحة الشاعرة بوجهة النظر التى تتعاطف ولا تتنابذ ، وتنتظر الخير الكثير من شاعرة ، كعلية الجعّار ، تقف فى صف مع كبريات شاعراتنا المعاصرات .

القصيدة العربية والوحدة الموضوعية

للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ

ما زلنا نجد ـ فى عصر صدر الإسلام ـ من القصائد ، ذات الوحدة الموضوعية ما نرى أنه لابد من إثباته لاسيما ، وهى قصائد ليست ـ جميعاً ـ من لون واحد حتى لا يدعى مدع فيقول : نعم كانت الوحدة الموضوعية موجودة فى الشعر القديم ، لكن كان وجودها قاصراً على (الرثاء) مثلا .!

نقول ـ عن ثقة : لا ؛ فقد وجدنا الوحدة الموضوعية تضرب أطنابها على أكثر من لون فى الشعر العربى فهى فى قصائد الرثاء ... والحماسة ... والغزل ... و...الخ .

وفى ذلك بيان يؤكد خطل الرأى الذى أنكر على هذا الشعر وحدته الموضوعية ؛ بل إنا لنقرر ـ آسفين : أن الذين ادعوا هذه الدعوى ، واحتضنوا هذه الفكرة فرموا الشعر القديم بالتفتت الموضوعى ... هؤلاء لم يقرأوا ... ولم يبحثوا ... ولم يتفرغوا لدراسته فزعموا ما زعموا ، وهم فى غيبوبة من حماس طارىء لغربى جديد زعموه (إماما) فى الفن ؛ فإذا هو (تابع) لا يتمتع بأهلية الوقوف أمام هذا الشعر العتيق .

وجدنا « الوحدة العضوية » على أحسن ما تكون : « مصدرها المبدأ الذى يصبغ جميع عناصرها بلون واحد ، والذى ينساب فى أطرافها جميعاً كما تنساب العصارة الخضراء التى تغذى الشجرة : جذراً وساقاً ... أغصاناً وأوراقاً » .

كما يقول الأستاذ الدكتور مصطفى بدوى الذى يمضى فيقول[1] :

ولهذا فنحن نطلب من القصيدة التى تتحقق فيها الوحدة أن ترتبط عناصرها جميعاً كما يرتبط الجذر والساق .. والأغصان والأوراق ؛ فيؤدى كل عنصر فيها وظيفة حقة ، غير منفصلة عن الوظيفة التى يقوم بأدائها عنصر آخر ، بحيث تسير هذه الوظائف مجتمعة فى اتجاه واحد ، وتؤدى إلى غاية واحدة هى الأثر الكلى الذى تولده القصيدة فى نفس القارىء .

---

(١) انظر للدكتور مصطفى بدوى ـ دراسات فى الشعر والمسرح ص٧ ط ٢ ـ ١٩٧٩ .

ولنقدم نماذج من هذا العصر الكريم :

فهذا « كعب بن مالك الخزرجى ـ رضى الله عنه ـ صحابى أنصارى جليل ، يعتبر أحد شعراء رسول الله ـ ﷺ ـ الذين نافحوا عن الإسلام ، وترصدوا أعداءه فى أكثر من ميدان يقول ـ فى وصف إحدى المعارك :

عجبتُ لأمر الله ـ والله قادرٌ	على ما أرادوا .. ليس لله قاهرُ
قضى يوم بدر أن نلاقى معشراً	بَغَوْا .. وسبيل البغى بالناس جائر
وقد حَشَدُوا واستنفروا مَنْ يليهمُ	من الناس ، حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا ـ لاتحاول غَيْرنا	بأجمعها : كَعْبٌ جميعا وعَامرُ
وفينا رسول الله ـ والأَوْس حَوله	له معقل منهم عزيز وناصر
وجمْعُ بنى النجار تحت لوائه	يمشون فى الماذىِّ[٢] والنقع ثائر
فلما لقيناهم ، وكلٌّ مجاهد	لأصحابه ، مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لارب غيره	وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عَرِيتْ بيضٌ خِفاف كأنها	مقاييس يُزْهِيها لعينيك شاهر
بهن أبَدْنا جمعهم فتبدَّدوا	وكان يُلاقى الحَيْنَ مَنْ هو فَاجر
فَكُبَّ أبو جهل صريعا لوجهه	وعتبة قد غادَرْنَهُ وهو عاثر
وشيبة والتَّيْمى غادَرْنَ فى الوغى	وما منهمو إلا بذى العرش كافر
فَأَمْسَوْا وقود النار فى مستقرها	وكلُّ كفُور فى جهنم صائر
وكان رسول الله قد قال : أَقْبلوا	فولَّوْا وقالوا : إنما أنت ساحر ؟
لأمر أراد الله أن تهلكوا به	وليس لأمر حَمَّه الله زاجر

وهذه الأبيات تدع قارئها مشدوداً إليها ، لتسلسل وصف وقائعها كأنك تشهد المعركة رأى العين .

وكذلك نشهد هذا التلاحم فى أبيات خُبَيْب بن عدى ـ رضى الله عنه ـ الذى اخْتُطِفَ وأحاط به الأعداء ليُعْدِموه ، فقال مستبسلا يصف ما مَرَّ به :

لقد جمع الأحزاب حولى وألَّبوا	قبائلهم ، واستجمعوا كل مَجْمع
وقد قرَّبوا أبناءهم ونساءهم	وقُرِّبْتُ من جذع طويل مُمنَّع
وكلهمو يبدى العداوة جاهداً	علىَّ .. لأنى فى وثاق بِمَضْيع
إلى الله أشكو غُرْبتى بعد كُرْبتى	وَمَا جَمَّعَ الأحزابُ لى عند مَصْرَعى
فذا العرش صَبَّرَنى على ما أصابنى	فقد بَضَعُوا الَحْمِى وقد ضَرَّ مطمعى

---

(٢) الماذى : الدرع .

وذلك فى ذات الإلـه ، وإنْ يشَـأْ يُبـارِكْ على أوْصالَ شِلْـوٍ مُمَـزَّع
وقد عَرَّضُوا بالكفر ، والموت دونه وقـد ذَرِفت عينـاى من غير مدمـع
ومـا بى حَذار الموت ، إنى لميِّتٌ ولكـن حذارِى حَرّ نارٍ تَلَفَّـع
فلستُ بِمُبْـدٍ للعـدوِّ تخشُّعـا ولاجزعـاً .. إنى إلى الله مَرْجِعِـى
ولستُ أُبَالِـى ـ حين أُقتـل مسلمـا على أىِّ جنب .. كان فى الله مصرعى

وهو أول من صُلِبَ فى سبيل الله . أسد الغابة ترجمة رقم (١٤١٧) .

وهذه لوحة رائعة أخرى يقدمها لنا الشاعر الأنصارى قيس بن صِرْمة ـ رضى الله عنه ـ أسلم عند قدوم النبى ـ ﷺ ـ إلى المدينة ، وهو يصف فيها مراحل جهاده ـ ﷺ ـ وموقف أهل المدينة فى حفاوتهم وترحيبهم :

ثَوَى فى قريش بضعَ عشرةَ حجـةً يُذَكِّـرُ لو يَلْقَـى صديقـا مُوَاتيـا
ويعـرض فى أهـل المواسم نفسه فلـم ير مَنْ يُؤْوِى ، ولم ير داعيـاً
فلمـا أتانـا .. أظهـر الله دينـه فأصبـح مسروراً ، بطيبـة راضيـاً
وألْفى صديقاً ، واطمأنتْ به النـوى وكان له عوْنـا من الله باديـا
يقص لنـا ما قال «نوح» لقومـه وما قال «موسى» إذْ أجاب المناديـا
وأصبح لا يخشى من النـاس واجـداً قريبـاً .. ولا يخشى من الناس .. نائياً
بَذَلْنـا له الأمـوال من جُلِّ مالنـا وأنفسنا ، عنـد الوغـى ، والتآسيـا
ونعلـم أن الله لا شىء غيره ونعلـم أن الله أفْضل هاديـا

وبحر وقافية هذه القصيدة يذكرنا بقصيدة أخرى متفردة ، لا نستطيع إغفالها ، لـ« مالك بن الرَّيْب » ، الذى كان صعلوكاً .. يقطع الطريق مع « شظاظ الضبىِّ » الذى يضرب به المثل ، فيقال : ألَصُّ من شظاظ .

كان مالك جميل الصورة ، فصيحاً لبيباً شاعراً .. ورآه « سعيد بن عثمان بن عفان » (رضى الله عنهما) فى أثناء ولايته لإمارة خراسان ، وكان مالك فى نفر من أصحابه .

فقال له سعيد : ويحك يا مالك ! ما الذى يدعوك إلى ما بلغنى عنك من العداء وقَطْع الطريق ؟

قال : أصلح الله الأمير ! العجز عن مكافأة الإخوان(٣) !

قال : فإن أغْنيتك واستَصْحبتك ، أتكف عما تفعل وتصحبنى ؟

قال : نعم . أصلح الله الأمير ، أكف كَفًّا ما كفَّ أحد أحسن منه .

واستصحبه سعيد ، وأجرى عليه خمسمائة دينار فى كل شهر ، وكان معه فى جهاده كأعظم ما يكون المجاهدون فى سبيل الله(٤) ، وحسنتْ توبته ، ثم مات بلدغة أفعى ، وقيل : طُعن فسقط

(٣) أسوة بما كان يفعلهُ عروة بن الورد ، رئيس الصعاليك فى العصر الجاهلى ..

(٤) أنظر كتاب (مع الرعيل الأول) للمرحوم الأستاذ محب الدين الخطيب ص١٨٥ الطبعة السادسة سنة ١٣٩٧هـ .

وهو بآخر رمق أنشد قصيدته اليائية الشهيرة فى رثاء نفسه ، وهى أشبه ما تكون بسيرة ذاتية تصور اغترابه ، ووشك رحيله ، وتُعَدُّ نموذجا للتجول بين موقفين ، متباعدين ، من خلال زمنين جمع بينهما الشاعر ، فكان ممثلا لنهاية عصر ، وبداية آخر هو عصر بني أمية[٥] اقتحم خلالهما «الحدود الفاصلة بين سلوك الصعلوك ، وسلوك المجاهد الإسلامى»[٦] تقرأها فتشعر كأن حروف كل بيت فى هذه القصيدة ، تسعى أبياتها إلى التمازج والاتحاد برغبة جامحة يعانق كل بيت حروف البيت الذى يليه ، ويضمّه إليه كجزء ضرورى من ذاته كما يقول صاحب الديوان الشرقى .

والقصيدة تظهر لنا ـ فى جلاء ـ استهانة مالك بن الريب بالموت ، وامتثاله لقضاء الله ـ عز وجل ـ هذا الامتثال الذى يتبدى فى أكثر من قصيدة نسوق منها ـ قبل أن نعطى القارىء القصيدة اليائية ذات التنويه ـ قال مالك : يناجى بها ابنته ، وكأنها إرهاص بما لَقِيه بعد ذلك :

ولقد قلتُ لابنتى وهْى تبكى ... بدخيل الهموم قلبا كئيبا
عبرات يكدْن يَجْرحْن ماجُزْ ... نَ به ، أو يدعْن فيه نُدُوبا
حَذَرَ الحتْفِ أن يصيب أباها ... ويلاق فى غير أهل شعوبا[٧]
اسْكُتِى !.. قد حزَزْتِ بالدمع قلبى ... طالما حزَّ دَمعُكُنّ القلوبا
أنا فى قبضة الإلٰه إذا كُنْـ ... ـتُ بعيداً ، أو كنت منك قريبا
كم رأينا أمرءا أتى من بعيد ... ومقيما على الفراش .. أُصيبا
فدعينى من انتحابك ، إنى ... لا أُبالى .. متى اعتزمْتِ النحيبا

فأما قصيدته الطويلة فى رثاء نفسه ، فإنا نراه يطلق نفسه فيها على سجيتها ، ويبكيها ما طاب له البكاء ، ولم يلجأ إلى التجلد الذى حدثنا عنه أبو ذؤيب الهذلى فى قصيدته العينية :

وتجلُّدى للشامتين أُريهمُ ... أنى لريْب الدهر لاأتضعضع
حتى كأنى للحوادث مروةٌ[٨] ... بصفا المشقر[٩] كل يوم تقرع
لابد من تلف مقيم ، فانتظره ... أبأرض قومك ، أم بأخرى المضجع
ولقد أرى أن البكاء سفاهةٌ ... ولسوف يُولع بالبُكا .. من يُفجع
وليأتين عليك يومٌ .. مرة ... يُبْكى عليك .. مُقنَّعا لاتسمع
والنفس راغبة إذا رغَّبتها ... وإذا تردُّ إلى قليل تقنع

(٥) أنظر كتاب (أشكال الصراع فى القصيدة العربية) للدكتور عبدالله التطاوى جـ٢ ص٥٨٩ سنة ١٩٩١ .

(٦) المصدر السابق ص٥٩٣ .

(٧) شعوباً : موتا .

(٨) المروة : حجارة بيضاء صلبة .

(٩) صفا المشقر : حجارة بحصن المشقر بالبحرين .

وهذه الأبيات من مقدمة قصيدة طويلة لأبى ذؤيب ، يرثى فيها أبناءه الخمسة الذين احتسبهم عند الله ــ تعالى ــ وهى بدورها تمثل وحدة فنية ، بتسلسل وثيق ، يبدأ بمقدمة ذات ارتباط حميم بموضوع الرثاء ، تليه ثلاث قصص يصف فيها حالات الموت المتباينة ، دون أن يتحدث بأسلوب مباشر تقريرى عن فجيعته فى أبنائه ، بل يعمد إلى الرمز والإيحاء ، وإن أطْلق أحَرَّ الزفرات بين تضاعيف أبياته .

وبعد : فتلك قصيدة مالك بن الرَّيْب لترى مافيها من عمق وترابط ، بوحدة موضوعية متلاحمة ، على الرغم من طولها المفرط ، وهو لم يلجأ فيها إلى المقدمة الطَّلليَّة ، ولم يعمد إلى تصريع البيت الأول منها ، أو الإكثار من المحسنات البديعية ، بل مضى قدما يقدِّم نفسه بنفسه ، فى لحظاته الأخيرة ، وبخطٍّ نفسىٍّ دقيق ، يربط أجزاء القصيدة بإحكام ومواءمة .. يقول (١٠)

ألا ليت شعـرى هل أبيتـنَّ ليلـةً ... بجنب الغضا أُزجى القلاص النواجيا (١١)
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه ... وليت الغضا ماشى الركاب لياليا (١٢)
لقد كان فى أهل الغضا لوْدَنَا الغضا ... مزارٌ .. ولكـن الـغضا ليس دانيا
ألَـمْ يَرنى بِعتُ الضلالـة بالهُـدى ... وأصبحت فى جيش ابن عفان غازياً
وأصبحت فى أرض الأعـادى بعدما ... أرانى عن أرض الأعـادى قاصيا
دعانى الهوى من أهل « أوْدَ » وصحبتى ... بذى الطبسيْـن فالتـفتُّ ورائيا
أجـبتُ الهوى لما دعـانى بزفـرةٍ ... تقنَّـعتُ منها ــ أن أُلاَمَ ــ ردائيا
أقول ــ وقد حالت قرى الكرد بيننا : ... جزى الله عَمْـراً خير ما كان جازيا
إن اللهُ يُرْجعنـى من الغـزو لا أرى ... وإن قلّ مالى طالبـاً ما ورائيا
تقـول ابنتى ــ لما رأت طـول رحلتـى : ... سفـارك هذا تاركـى لاأبَـا لِيَـا
لعمرى لئـن غالَتْ خراسان هامتـى ... لقـد كنتُ عن بَابَـىْ خراسان نائيا
فإن أنـجُ من بابَـىْ خراسان لاأعُـدْ ... إليها وإن منيتمـونى الأمانيا
فَلِلَّـهِ درى يـوم أتْـرُكُ طائعـاً ... بنـىَّ بأعلى الرَّقْمـتين وماليا (١٣)
ودرُّ الظبـاء السانحات عشيـةً ... يخبِّـرن أنى هالِكٌ مَنْ ورائيا (١٤)

---

(١٠) اعتمدنا فى إثبات هذا النص للقصيدة، على كتاب الدكتور عبدالله التطاوى ، الذى أوْردها كاملة بكتابه (أشكال الصراع فى القصيدة العربية ص٥٨٩ ــ ٥٩٢) والغضا : شجر ينبت فى الرمل ، ويبدو أنه يكثر فى بقاع وطن الشاعر وهو يكثر من ترداده بشغف يذكرنا بالشاعر الآخر الذى يردد بلهفة نبات العرار المنتشرة فى نجد بقوله : تزوَّد من شميم عرار نجد فما بعد العشية من غرار .

(١١) القلاص النواجيا : جمع ناجية ، أى الناقة السريعة العدو .

(١٢) الركاب : الرواحل والإبل .

(١٣) لله درى : تعجب من نفسه حين اغترت عن ولده وماله وأهله .

(١٤) السانحات : الظباء المنطلقة فى وجهه يُتشاءم منها .

ودرّ الرجال الشاهدين تفُتكى ... بأمرِىَ ألا يقْصُروا مِنْ وثاقيا(١٥)
ودر الهوى من حيث يدعو صحابتى ... ودرّ لجاجاتى ودرّ انتهائيا(١٦)
تذكرت مَنْ يبكى علىَّ فلم أجد ... سوى السيف والرُّمح الرُّدَيْنىِّ باكيا
وأشقر محبوكٍ يجُرُّ عنانه ... إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا
ولكن بأكناف السمينة نِسْوَةٌ ... عزيز عليهن العشيَّة مابيا
صريعٌ على أيدى الرجال بقَفْرةٍ ... يُسوُّون لحدى حيث حُمَّ قضائيا
ولما تراءت عند مَرْوٍ منيَّتى ... وخلَّ بها جسمى وحانت وفاتيا(١٧)
أقول ـ لأصحابى : ارفعونى فإنه ... يقرُّ بعينى إن سهيلٌ بداليا(١٨)
فيا صاحِبى رحلى دنا الموت فانزلا ... برابية إنى مُقيم لياليا
أقيما علىّ اليوم ، أو بعض ليلة ... ولا تُعْجلانى قد تبيَّن شانيا
وقوماً ـ إذا ما استُلَّ روحى ـ فهَيِّئَا ... لِىَ السِّدر والأكفان عند فنائيا
وَخُطَّا بأطراف الأسنة مُضجعى ... ورُدَّا على عينىَّ فضل ردائيا
ولا تحسدانى ـ بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العرض أنْ تُوسِعَا ليا
خُذانِى فجُرَّانى بثوبى إليكما ... فقد كنتُ قبل اليوم صعباً قِياديا
وقد كنتُ عَطَّافاً إذا الخيل أدبرتْ ... سريعاً لدى الهيجا إلى مَنْ دعانيا(١٩)
وقد كنت صبَّاراً على القِرْن فى الوغى ... وعن شتمِىَ ابن العم والجار دانيا(٢٠)
فطَوْراً ترانى فِى ظلال ونعمةٍ ... وطوراً ترانى والعتاق رِكابيا
ويوماً ترانى فى رَحى مستديرة ... تخرِّقُ أطراف الرماح ثيابيا(٢١)
وقُوما على بئر السَّمينة فاسمعا ... بها الغُرَّ والبيض الحسانَ الروانيا(٢٢)
بأنكما خلَّفْتُمانى بقفرةٍ ... تُهِيلُ علىَّ الريحُ فيها السوافيا(٢٣)
ولا تنسيا عهدى ـ خليلىَّ ـ بعدما ... تقطَّعُ أوصالى وتَبْلى عظاميا
ولن يعدم الوِلْدان بَثَّا يعينهم ... ولن يعدم الميراث منى المواليا(٢٤)

---

(١٥) تفتكى : جُرأتى وتهورى .

(١٦) لجاجاتى : اندفاعاتى .

(١٧) خلَّ : أُثمل واضطرب وهزل .

(١٨) يريد أن سهيلا لا يرى بناحية خراسان ، فقال لأصحابه ارفعونى لعلى أراه فتقر به عينى لأنه لا يراه إلا فى بلده .

(١٩) عطافا : يستدير ناحية العدو : أى يكر ولا يفر .

(٢٠) القرن : الخصم .

(٢١) الرحى : موضوع الحرب مستديرة : حيث يستدير القوم للقتال .

(٢٢) الرَّوانى : النواظر .

(٢٣) تهيل : تثير .

(٢٤) البث : أشد الحزن .

يقولون : لا تبعد ، وهم يدفنوننى ... وأين مكان البعد إلا مكانيا
غداةَ غَدٍ يالهف نفسى على غدٍ ... إذا أدْلجوا عنِّى ، وأصبحتُ ثاويا[٢٥]
وأصبح مالى من طريّف وتالدٍ ... لغيرى ، وكان المال بالأمس ماليا
فياليت شعرى هل تغيَّرت الرَّحَا ... رَحَا المثل أو أمست بفَلْجٍ كما هيا[٢٦]
إذا الحَىُّ حلوها جميعا وأنزلوا ... بها بقراً حُمَّ ... العيون سواجيا[٢٧]
رَمَيْن وقد كاد الظلامُ يُجنُّها ... يسُفْنَ الخزامى مرَّة والأقاحيا
وهل أتركُ العيس العوالىَ بالضُّحى ... بُرْكبانها تعلُو المتانَ الفيافيا[٢٨]
إذا عُصَب الرُّكبانَ بين عُنيزة ... وبَوْلان عاجوا الْمُبْقيات النواجيا[٢٩]
إذا مُت فاعتادى القبورَ وسلِّمى ... على الرَّمْس . أُسْقيتِ السحاب الغواديا
رهينة أحجار وتُرْب تضمنتْ ... قرارتها مِنى العظامَ البواليا[٣٠]
فياصاحباً إما عَرضْتَ فبلغَن ... بنى مازن والرَّيب أن لاتلاقيا
وأبْصَرْتُ نار المازنيات مَوْهناً ... بعلياء يُثنى دُونها الطرف دانيا
بعْودِ النُجوج وقد أضاء وقُودُها ... مَها فى ظلال السِّدْرِ حُوراً جوازيا
غريب بعيدُ الدار ثاوٍ بقفرةٍ ... يَدَ الدهر معروفاً بأنْ لاتدانيا[٣١]
أقُلِّبُ طرفى حول رِحْلِى فلا أرى ... به من عُيون المُؤْنسات مُراعيا
وبالرمل منا نسوة لو شَهْدننى ... بكَيْن وفَدَّيْن الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندى وأَهْلِهِ ... ذميما ولاودَّعْتُ بالرمل قاليا
فمنهنَّ أُمِّى وابنتىَّ وخالتى ... وباكيةٌ أخرى تَهِيجُ البواكيا

---

(٢٥) الإدلاج : السير من أول الليل .
(٢٦) المثل : موضوع يقال له رحى المثل .
(٢٧) البقر : يريد به هنا النساء .
سواج : سواكن .
(٢٨) المتان : ج متن وهو المكان المرتفع .
(٢٩) المبقيات : التى يبقى سيرها .
النواجى : التى تنجو بسيرها أى تسرع .
(٣٠) رهينة أحجار : أى فى القبر على التراب والحجارة .
(٣١) يد الدهر : أَبَدَ الدهر .

أضواء على كتاب

عرض وتقديم :
م. محمد البشير حسين نافع

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد :

فليس من شك أن الإسلام مستهدف ـ دائما ـ من قوى عاتية حاولت ـ ولا تزال تحاول ـ جاهدة تحجيمه والسيطرة عليه ، ولكن الله تعالى ناصر دينه .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ ﴾

سورة الحج / ٤٠

وقد أصبحت أمتنا الإسلامية ـ ولله الحمد ـ فى يقظة من أمر هذه القوى التى تناوىء الاسلام وتناصبه العداء مثل الشيوعية ، والصهيونية ، والصليبية ، والهندوسية ، والقاديانية ، وغيرها من العقائد والنظم الفكرية .

ولقد اهتمت دراسات كثيرة بكشف القناع عن هذه التيارات والوسائل التى تستخدمها وإبراز الأهداف التى ترمى إليها ، بغية تبصير المسلمين بأمرها وتحصينهم من أخطارها ، ولعل من أهم هذه الدراسات ؛ الكتاب الذى بين أيدينا : « عقائد وتيارات معاصرة »[1].

هذا الكتاب الذى قام بتأليفه نخبة من الأساتذة المتخصصين وهم : أ.د. محمد شامة ، أ.د. عدنان زرزور ، أ.د. محمد الجليد ، أ.م. بكر زكى عوض .

والكتاب يقع فى حوالى ٣٩٠ صفحة من القطع المتوسط ، وقد نجح هؤلاء المؤلفون إلى حد كبير فى تحقيق الهدف من إنشاء هذا المؤلف وهو : تشكيل مناعة عند المسلم بأولوية تطبيق نظام الحياة فى الإسلام من جهة « وتشكيل مناعة » ضد ما يخالف هذا النظام أو يناقضه من الفلسفات والعقائد والنظم المخالفة من جهة أخرى ، وقد باتت المترجمات والمؤلفات والدوريات ووسائل الإعلام المختلفة تغزو العالم الإسلامى حتى أصبح من الضرورى تحصين الشباب ـ وطلبة الجامعات بوجه خاص والمسلمين بوجه عام ـ من أخطارها .

استعرض الكتاب فى مباحثه أبرز المبادىء والعقائد والنظم التى شكلت تحديا للثقافة الإسلامية ، أو انطوت على تناقض مع أحكامها ومسلماتها ، أو تلك التى حاول أصحابها تشويه الثقافة الإسلامية ، وتفسيرها على نحو لا يتصف بالحيدة والموضوعية ، والكتاب يشتمل على تسعة مباحث ، ويندرج تحت كل مبحث عدة فصول :

تناول الكتاب ـ فى المبحثين الأول والثانى ـ دراسة حول تاريخ اليهود وعلاقتهم بالرسل والأنبياء والملائكة ، ثم موقفهم من الإسلام منذ عهد النبوة الخاتمة إلى عصرنا الحديث ، كما ركز على أصل (الصهيونية) ونشأتها وما قدمته لخدمة اليهود فى العالم معرِّجاً على توضيح (البروتوكلات) والهدف منها .... الخ .

أما المبحث الثالث : فقد تحدث عن المسيحية وموقفها من الإسلام ، وتعريف بالمسيح والحواريين ؟ فى ضوء العهد الجديد ،ومصادر التشريع عندهم ، ثم ألقى الضوء على عقيدة المسيحية وفكرة الصلب والفداء ، ورسالة المسيح فى ضوء الإسلام ، ومعتقدات النصارى وموقف القرآن الكريم منها ، وموقف المسيحيين من الإسلام .

(*) مدير عام الإدارة العامة لإحياء التراث الإسلامى بالأزهر .

(١) نشرته دار قطرى بن الفجاءة للنشر والتوزيع بالدوحة ـ قطر .

وفى المبحث الرابع : كان الحديث عن الاستشراق والتبشير ، حقيقتهما وأسبابهما والدوافع والأهداف ، وموقف المستشرقين من الفكر الإسلامى ، وموقفهم من القرآن الكريم .

وأما المبحث الخامس : فقد فَنَّد سياسة التنصير فى العالم الإسلامى ، والبعثات والمؤسسات التبشيرية ، وتاريخ أهم البعثات التبشيرية .

والمبحث السادس : ركز على القومية ـ تعريفها وعوامل نشأتها ومقوماتها ـ ثم تجاوزات الفكر الغربى التى بلغت حدا سافرا من التناقض مع الإسلام والثقافة الإسلامية ، ومحاولة تضخيم تاريخ ما قبل الإسلام والاعتداد به ؛ محاولين تحجيم دور الإسلام ، بل والأخطر من ذلك ربط القومية ببعض الأفكار والمذاهب والفلسفات الاجتماعية الغربية على الإسلام .

أما المبحث السابع : فقد بسط القول فى الإلحاد والعلمانية ، وتناول تاريخ التدين ، وَبَيَّنَ أن الإلحاد مناقض للفطرة الإنسانية . موضحا أن الدين ليس مرحلة ، ومبينا نشأة العلمانية فى المجتمع الأوربى من حيث النشأة والمفهوم ، وفصل الدين عن الدولة وموقف العلمانيين من العلم والتقدم العلمى ... الخ .

وأما المبحث الثامن : فهو عن الشيوعية .

وآخر المباحث : عن القاديانية ، وتأثرها بالديانات الأخرى ، والعوامل التى كانت سببا فى ظهورها .

وتعتبر الشيوعية ، من أكبر عوامل الهدم فى العالم الإسلامى ، ثم فشلت وانهارت فى عقر دارها وصارت نذير شؤم على من سار فى ركابها .

وقد كانت خيبة الأمل كبيرة لمن بُهِرَ بشعاراتها ، فصار أول من اكتوى بنارها ، ولقد تنفست مجتمعات الستار الحديدى الصعداء لزوالها ولاستعادتهم فطرتهم السليمة وانهارات الشعارات الفجة من مثل التقدمية ـ الاشتراكية ـ الحرية ـ العدالة الاجتماعية ـ السلام .. الخ . حيث تبين أنها (بالونات) مليئة بالهواء لم تترك تحتها تقدما ولا عدالة ولا سلاماً ، وصدق فى أدعيائها قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾

الحج ـ آية : ١١

لقد جمعت الشيوعية مساوىء الفكر وآثام ما فسد من العقائد كالصهيونية وما شاكلها ، وكان انهيار الشرعية نذيرا بانهيار أمثالها مما انطوى على فكر ضال ينكر الإنسانية ، ويحارب تقدمها وَلْنَمُر بخداع الماركسيين للمسلمين داخل روسيا نفسها :

وجهت الحكومة السوفيتية سنة ١٩٦٧ م نداءها الرسمى الأول إلى المسلمين داخل روسيا جاء فيه « لقد سقطت ممالك المغتصبين والقراصنة الرأسماليين ، وأن الأرض تغلى تحت أقدام المعتدين الاستعماريين ، يا مسلمو روسيا يا من خربت مساجدكم ، وهدمت بيوت عبادتكم ، نعلن

لكـم : أن عقائـدكم الدينيـة ، وشعائـركم ، ومنشآتكم القومية ستعيش فى جو من الحرية دون أن يعوقها عائق فلكم الحق فى ذلك ».

والواضح أن الدافع وراء هذا النداء ، هو محاولة كسب المسلمين إلى جانب الشيوعيين حتى يطمئنوا لهم ، يشهـد بذلك ما تلاه من خطوات ، فقد كونت موسكو فى يناير سنـة ١٩١٨ م لجنة مركزية ـ أطلـق عليها اسم ـ « المجلس الأعلى للشئون الإسلامية » !! وأولتها عناية خاصة ، ومنحتها الحماية الكاملة ، ودعمتها بالأموال اللازمة دون حساب ، وقد حصرت مهمة اللجنة فى بادىء الأمر فى شئون المسلمين داخل الاتحاد السوفيتى ، ثم سمح لها فيما بعد بتوسيع دائرة اختصاصها لتشمل المسلمين فى أرمينيا وغيرها من البلاد المجاورة ، وبهذا تدخلت هيئة سوفيتية لأول مرة ـ دون مواراة أو مداراة ـ فى مسائل تتعلـق بشئـون إقليم خارج الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت .

سقوط الأقنعة :

ولما رفض المسلمون داخل روسيا الأفكـار الشيوعية ، سقطت أقنعة التسامح الدينى الذى تظاهر به أقطاب الشيوعية بادىء الأمر ، فأغلقوا عددا كبيرا من المساجد ، وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم ، ولم يهدموا المساجد بل حولوها إلى دور للسينما والمسارح ومدارس للإلحاد ، ومتاحف ، وقد تستروا على هذه الأخبار داخل ما يسمى « بالستار الحديدى » حتى لا تتسرب إلى البلاد الإسلامية الأخرى فتؤذى مشاعرهم .

علاقة الماركسيين بالمسلمين خارج روسيا :

أما المسلمون خارج روسيا فقد وجهت إليهم الحكومة السوفيتية بيانا جاء فيه : « ... يا مسلموا الشرق يا إيرانيون ، يا أتراك ، يا عرب ، يا من مارس المغتصبون ـ الاستعماريون القادمون من أوربا التجارة قرونا طويلة ، بأرواحكم وأموالكم وحرياتكم وأوطانكم ، يا من قسّم دياركم هؤلاء النهاب الذين أشعلوا الحرب العالمية نعلن لكم :

أن معاهدات القيصر المخلوع السرية ، التى نُصَّ فيها على السماح له بغزو القسطنطينية بالقوة قد مزقت ومحيت من الوجود ، فبعد أن تنتهى العمليات الحربية ، ستسحب القوات الروسية مباشرة من إيران وسنكفـل الحريـة للشعب الإيرانى ، ليقرر مصيره بنفسه عن طريق استفتاء شعبى حر .

أثر هذا النداء على العالم الإسلامى :

حددت هذه الكلمـات أسس الاتجاه السياسى ، الذى تظاهر السوفيت بالالتزام به تجاه العـالم الإسلامـى حيث تنتشر انتفـاضة ضد المستعمرين ، وكان البلشفيون يقصدون من وراء هذه الوعود ـ التى لم يلتزموا بها ـ استغلال هذه الموجـة التحررية ، التـى عمت أرجـاء العـالم الإسلامى لتمهيد الأرض أمام معتقداتهم ، وسرعان ما تجاوبت أصداء البيان الروسى بهذه الموجـة وأحدث رجع الصوت دَوِياً فى أرجاء المنطقة ، فتزايدت الأصوات فى تركيا وفارس ، وهللت للبيان الروسى ، ووصفتـه بأنـه وثيقـة الحريـة الكبرى ، كما أثر النداء فى الفكر الإسلامى تأثيرا

كبيرا ، إذ اختط قنوات وعبَّد طرقا للفكر الماركسى الإلحادى ، وظهرت معالمه فى كثير من أوجه النشاطات الفكرية والسياسية ، ونلمح أثر ذلك فى قيام روابط بين ما يسمون أنفسهم بالثوريين فى البلاد الإسلامية ، وفى وضع الخَطط لقيام اتحاد يعمل على إنشاء رباط ثورى بين التيارات المتطرفة فى الأقاليم الإسلامية ، وهكذا استطاعت روسيا أن تضع السم فى العسل وتتقرب من هذه الحكومات التى أبدت استعدادها وميلها للعمل معها ، ليكون لهم وضع خاص عند تنفيذ مآربهم المشئومة .

هجــوم ســافر :

ولكن سرعان ما كشف النقاب عن حقيقة الشيوعية الصارخة وهى محاربة الإسلام بارتكازها أساسا على إنكار وجود الله ـ عز وجل .

وقد وقع فى هذه المصيدة عدد قليل من المثقفين وبعض المفكرين فى العالم الإسلامى ، فأخذوا يروجون هذه الأفكار ويدعون أن الشعوب السوفيتية تغلبت على التأخر الاقتصادى والثقافى وأحرزوا تقدما اقتصاديا لم يسبق له مثيل . ثم بدأ الهجوم السافر على الإسلام صراحة فكتبوا[1] : « يعتبر القرآن والسنة الشريفة كتب الإسلام المقدسة ، وقد ألفت هذه الكتب فى العصور الوسطى فى زمن سيادة الإقطاع ، وتبرز هذه المؤلفات الجو الطبقى ، وظلم الشعوب المغلوبة ، وليست هذه المؤلفات الدليل الوحيد على الماضى الأليم ، إذ لا تزال مبادؤها تطبق كقوانين فى البلاد التى تتخذ الإسلام دينها الرسمى .

ثم بين الكتيب الموقف الحقيقى للشيوعيين فى بلاد الإسلام حيث يقول : « وقد اختلف التقدميون فى آرائهم كليا مع تعاليم القرآن » كما يُرْمَى بالتأخر كل من يتمسك بالتعاليم الدينية ويقرر الكُتيب أن الإيمان بالله لا قيمة له فى المجتمع ، وأن الدين ما هو إلا سعادة وهمية وإلغاؤه عمل ضرورى لجلب السعادة الحقيقية .

وقد رد المؤلفون فى فصل مستقل على (ترهات الشيوعية) ومبادئها الفاسدة ، وبينوا أن الإسلام لم يتعارض مع مفاهيم التقدم والعدالة ، بل نادى بها فى الكتاب والسنة ، كما نادى بالحرية وضمن لمن اتبع طريق الله حياة طبيعية فى الدنيا والآخرة فهذا هو الإسلام ـ النظام العام ـ الذى ارتضاه الخالق سبحانه لعباده ، من يتبعه لا يخاف ولا يحزن فى الدارين مصداقا لقول الله ـ تعالى ـ لآدم ـ عليه السلام ـ فى سورة البقرة ٣٨ ، ٣٩ .

﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾

المســلمون فى مفتـرق الطـريق :

وبعد أن وضحت الصورة أمام العالم ـ كله ـ شرقه وغربه فقــد آن الأوان لمن خدعتهم ـ الشعارات الزائفة ، أن يعودوا إلى رشدهم ،

(١) فى الكتيب الذى نشرته جمعية نشر العلوم السياسية بموسكو عام (١٩٦٨) « كليموفيتش) .

ويهتدوا إلى صوابهم ويلجأوا إلى ربهم ويعلنوا توبتهم عَلَّ الله يقبلها منهم والله غفور رحيم .

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

الآية ٧٤ من سورة المائدة

نعـم إن المجتمـع الإسلامـى ـ فى مفتـرق الطريق ، يلتقط أنفاسه من هول الشوط الذى قطعه على مدى قرن مضى ، تجاذبته فيه تيارات أقضت مضجعه ، وتهاون الكثير من أبنائه فى عقائدهم وعباداتهم ، حتى أوشكت أن تصبح صورة لا حياة فيها .

وبعد .. كنا نود إلقاء أضواء أشد على الروابط التى تصل بين المذاهب المعادية للإسلام ومدى تعاونها ، وبخاصة فيما بعد الحرب العالمية الثانية ، وكيـف برعت هذه المذاهب فى استقطـــاب تلاميذها من أبنـاء البـلاد الإسلاميـة ليكونـوا بدورهم معالم هدم فوق خشبة مسرح تخفـى كواليسه وجوها قبيحة تحرك هذه الأدوار .

مهما يكن من شيء ، فإن البحث يعطى غزارة فى جانب سيئات هذه المذاهب تفيد الداعية بغير شك .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

البارودى صاحب السيف والقلم

تنعم المجتمعات ــ فى كل عصر ــ بالعديد من النوابغ الفكرية والسياسي. والأدبية التى تبرز فيها وتحمل على كاهلها عبء التثقيف والتنوير والدفاع عن مقدرات الأمة وطموحاتها .

وهؤلاء يكونون ذخراً لأمتهم فى حياتهم ؛ بينما يخلد التاريخ ذكراهم بعد وفاتهم .

ويذخر تاريخ مجتمعنا المصرى وأمتنا العربية بالكثير والكثير من هؤلاء العلماء والأدباء الأفذاذ الذين برعوا فى التاريخ الأدبى والوطنى ، وطارت شهرتهم فى الآفاق ، منهم شاعر وأديب أسهم بدور ملموس فى تأجيج نار الثورة العرابية ، وكان من أبرز المكتوين بنارها .

حول « محمود سامى البارودى » ونبذه عن تاريخه وكفاحه ، كتب إلينا الأستاذ/ عماد الدين عبدالمنعم .. بدار طباعة النقد بالبنك المركزى :

اكتحلت عينه بنور الحياة سنة ١٨٣٨ وتوفى سنة ١٩٠٤م ، وهو فى الأصل من أسرة جركسية لها جاهها ونسبها العريق ، فكان أبوه حسن حسنى البارودى من أمراء المدفعية ، وصار فى عهد « محمد على » مديرا لبربرة ودنقلة ــ فى السودان ــ ولقب بالبارودى نسبة إلى « إيتاى البارود » بمديرة البحيرة .

أتم تعليمه وتخرج فى المدرسة الحربية سنة ١٨٥٤م ، وكان يتمنى أن يحقق فى الجندية آمالا وطموحات وبطولات عظيمة كآبائه ، ولكن لم يجد من يعينه على هذه الطموحات ، فعكف على دراسة التاريخ الأدبى ، وأخذيغذى عقله ويضىء قلبه بنور المعارف ، وكانت ملكة الشعر تُلحّ عليه ، فأخذ يقلد الشعراء فى أروع قصائدهم حتى صار بعد ذلك من أبلغ الشعراء .

ويمثل شعر البارودى إضافة جديدة إلى التراث العربى فى عراقته وأصالته ، وكان يردد أبياته المشهورة زاهيا فخورا بنفسه فيقول :

أنا مصدر الكلم البوادى ... بين المحاضر والنوادى

أنا فارس أنا شاعر ... فى كل ملحمة وناد

وكان يتحدث عن الظلم والظالمين فيقول :

يا أيها الظــالم فى ملكـــه
أغـرك الملك الــذى ينفــد
أصنع بنا ما شئت من قسوتك
فالله عدل والتـــلاق غد

وعندما نفى إلى «سرنـديب» عانى من ألم الوحدة وفراق الوطن ما جعله يقول .

لم اقتــرف ذلــة تقضى على بما
أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعى عن دينى وعن وطنى
ذنب أدان به وأغتــــرب

وهكـذا .. مضت حياته الأدبيـة مشتعلة بالأفكار الوطنية والحس الأدبى المرهف».

شوقا إليك يا مصر

كما ألقى السيد/حسن باوا محمد «الهندى الجنسية» هذه القصيدة فى حفل افتتاح الدورة الثالثة والعشرين بمدينة البعوث الإسلامية بالأزهر الشريف :

لقد أصبحت نفسى تتوق إلى مصر
ومـن دونها أرض المهامــة والقفـــر
بغرتكــم يا غرة الديــن والــورى
وأنت عماد الديـن والعلــم والخير
من المركـز السُنِّــي أزجــى تحيــة
ومن جانب الأستاذ شيخى أبى بكـر
بفضل سماحتــه وعمــق يقينـــه
وصلنـا إلى مصر إلى ساحـة الــبشر
وفضل عَلـّـى شيخنــا وإمامنـــا
فضيلتــه جاد الحق والسادة الغـــر
فياحبـــذا يوم بساحـــة أزهـــر
بأروقــة الإيمان والعلــم والطهـــر
ويا حبـــذا عيش كريم ممجـــد
يضيف إلى الإنسان عمرا على العمـر
أيــا كعبــة العلــم الـعلى تحيــة
من الهند من شيخى الجليل أبى بكـر
حماك إلـه العـرش حصنــا وموئــلا
على الدهر تبقى طيب الاسم والذكر
من المركـز السُنِّــي جئنــا لنــدوة
نسوق تحيــات المحبــة والشكــــر

بأقلام القراء

من أقوال الزعماء والمفكرين

وهـذه قطـوف أعدهــا الأستاذ/محمـــد عبدالوهاب جنيدى :

● العدل جَنّة المظلوم ، وجحيم الظالم .

ترك الفرصة .. غفلة .

«سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه» .

● أمسِ خَبر ، واليوم عَبَر ، وغدا قَدَر ، لا يغنى عن نفس حذر ، هل من أثر ، أو صالح يدّخر وأمان من سقر ؟

ـ الجاهل مقبور فى بدنه ، رافل فى كفنه .

الحكمة منهل عذب : من اغترف منه ، لم ينصرف عنه .

إذا كثر الشعراء ، قلّ الشعر ..

«أمير الشعراء : أحمد شوقى» .

● لا نجاح لأمّة نبذت أحكام دينها ظهريًا ، ولا فلاح لقوم استعبدتهم شهواتهم .

«الزعيم أحمد عرابى» .

● من عرف الحق ، عزّ عليه أن يراه مهضوما .

«الإمام محمد عبده» .

● كل شيء هان إذا ضُرب ، إلّا الذهب .

«شاعر النيل حافظ ابراهيم» .

● الأصدقاء فى هذا الزمان ، يخافون عدوى المرض ، وعدوى الفقر ، فلا يعودون المريض ، ولا يزورون الفقير .

«مصطفى لطفى المنفلوطى» .

التأسّى بالرسول القائد ﷺ

كتب القارىء/خيرى محمد إبراهيم أبو الروس إمام وخطيب .. هذه الكلمة :

«لقد أصبحت حاجتنا ملحة إلى دراسة حياة القائد الأعلى للمسلمين ﷺ بغية التأسى بحكمته فى القيادة وإدارة الصراع فى حالات الحرب والسلم على السّواء ، فقد وفق الله تعالى رسوله ﷺ إلى أن ينشىء أمة ويقيم دينا ويضع تشريعاً ، ويربى جيلا ، ويبنى جيشا ، ويؤسس حضارة إسلامية ازدهرت قرونا عديدة ، وسيظل يسطع نورها إلى يوم تقوم الساعة .

ويكفيه ﷺ فضلا من الله تعالى عليه وعلى أمته ، أننا لا نجد نبيا من الأنبياء ترك أمته على مثل ما ترك المصطفى ﷺ أمته عليه ، ولم يلق (صلوات الله وسلامه عليه) ربَّة ، إلا بعد أن أسس قواعد الإيمان وهدم قواعد الشرك ، وفقا لما جاء به كتاب ربنا ـ عز وجل ـ الذى لا ضلال بعده ما إن تمسكنا به» .

نعم .. ولعل ما يميز هذا الكتاب الكريم أنه المعجزة الباقية للنبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ ، وكما نعلم أن الله ـ تعالى ـ أيّد كل نبى من جنس ما برع فيه قومه ، فكانت معجزة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ فى «العصا واليد» متناسبة مع ما برع فيه قومه من السحر ، وكانت معجزة سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ فى «إبراء الأكمة والأبرص» متناسبة مع ما برع فيه قومه من الطب .

أما قوم سيدنا محمد ﷺ فقد برعوا فى البلاغة والفصاحة ، فكانت معجزة نبيهم لهم هى : القرآن الكريم ، وهو الذى خصه الله ـ تعالى ـ بالحفظ من بين الكتب السماوية السابقة ، وجعله دستور حكم ومنهج حياة صالح لكل زمان ومكان إلى يوم تقوم الساعة .

محرر الباب

ردود وتعليقات

● **تتقدم المجلة بخالص الشكر للدكتور/أبو بكر خليل لمتابعته الأمينة للمجلة وتوجيهاته الطيبة جزاه الله عنا خير الجزاء .**

● **القارىء/يحيى السيد النجار .. الحزاوى دمياط .**

● **القارىء/خيرى محمد إبراهيم .. كفر الجرايدة بلا كفر الشيخ**

● **القارىء/هانى مهنى عبدالعليم طه .. من إدكو محافظة البحيرة .**

تتساءلون عما جناه شعب البوسنة والهرسك

من ذنب حتى يحدث له ما حدث من قتل المسلمين وتدمير المساجد واغتصاب النساء تحت سمع وبصر الشرعية الدولية ؟

ذنبهم أنهم مسلمون ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ ﴾ سورة البروج

ومايحدث فى البوسنة والهرسك على أيدى الصليبيين ، يحدث فى فلسطين على أيدى الصهاينة ، ويحدث فى الهند وكشمير على أيدى الهندوس والبوذيين ، وفى أذربيجان على أيدى الأرمن ، وغيرها .. وغيرها ، بغية ألا ترتفع راية الحق ، ولكن النصر قادم لا محالة فما بعد العسر إلا اليسر ولا بد للصبح أن ينجلى .

• القارىء/محمد أحمد هاشم .. من محافظة قنا .

• القارىء/سيد عبد الرءوف سيد .. من محافظة اسيوط .

أهلا بكما صديقين دائمين للمجلة وقد سعدنا بأحاسيسكما الشعرية الطيبة عن « مصر الحضارة » و« العمامة » وفى انتظار ابداعاتكما .

• القارىء/أكرم جلال .. الحاصل على ليسانس الآداب من جامعة الزقازيق .

يمكنكم الاتصال بأية كلية أزهرية لمعرفة ما تنص عليه اللائحة فى مثل ظروفك ، غير أنه إن عزَّ عليك استكمال دراستك العليا ، فلا يمنعك ذلك من طلب العلم لذاته .

• القارىء/م.ص.م .. من أسوان .

ليس هناك مايستدعى كتابة اسمكم بالحروف ، وقريبا ـ بإذن الله تعالى ـ فى غضون الشهر القادم يصدر الجزء الثانى من « البحوث والفتاوى الإسلامية المعاصرة » لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

• القارىء/محمد عبد الرحمن عوض .. وكيل مدرسة المعادى الثانوية بنين بالقاهرة

• نشكركم على نظرتكم المتعمقة فى معنى التطرف ودواعيه ، غير أننا ونحن بصدد علاج هذه الظاهرة لا نستطيع أن نجعل الفراغ الدينى فى مدارسنا بمعزل عن خطة العلاج ، فهو موجود بالفعل وينبغى تداركه بداية من حضانة اللغات حتى الجامعة .

• القارىء/د. أحمد عبده عوض .. المدرس بكلية التربية جامعة طنطا .

كم كنا نود إحصاء هذه الأخطاء المتعلقة بهدية المجلة لأننا بصدد الإعداد لنشر تصويباتها فى نهاية الأجزاء .

• القارىء/ وسيم عبد العليم عزب . وكيل مدرسة أبو صقل الاعدادية بشمال سيناء ـ العريش .

نحييكم على وقتكم فى تحقيق الحديث المتعلق بإبصار الأعمى وما يفيده من آثار النبوة ، وفى انتظار إبداعاتكم .

• وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

رئيس جمهورية أفغانستان فى الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الرئيس برهان الدين ربانى رئيس جمهورية أفغانستان ظهر الثلاثاء ٢ من جمادى الآخرة ١٤١٤هـ ١٥ نوفمبر ١٩٩٣م بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقات بين الأزهر وأفغانستان، فقد طلب الرئيس الأفغانى زيادة المنح الدراسية للطلاب الأفغان بمعاهد الأزهر وجامعته ، وذلك لإعداد الكوادر العلمية والتعليمية فى العلوم العربية والشرعية والثقافية التى تحتاج إليها أفغانستان .

رافق الضيف الكبير خلال الزيارة الدكتور/محمد على محجوب وزير الأوقاف ورئيس بعثة الشرف المرافقة للرئيس ، وشهد اللقاء فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، الذى كان فى استقبال الضيف لدى وصوله لمبنى إدارة الأزهر .

الإمام الأكبر فى زيارة لقرية تفهنا الأشراف

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لقرية «تفهنا الأشراف» بميت غمر ـ محافظة الدقهلية ، وذلك صباح يوم الإثنين غرة جمادى الآخرة ١٤١٤هـ ١٥ نوفمبر ١٩٩٣م حيث قام فضيلته يرافقه الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر بافتتاح المبنى الجديد لكلية التجارة التابعة لجامعة الأزهر .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الشئون الدينية لدولة بروناى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر صباح الإثنين غرة جمادى الآخرة ١٤١٤هـ ١٥ نوفمبر ١٩٩٣ السيد/وزير الشئون الدينية «لدولة بروناى» والوفد المرافق لسيادته ، تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقات بين الأزهر و«دولة

بروناى » من خلال زيادة المنح الدراسية لطلاب بروناى بمعاهد الأزهر وجامعته .

الإمام الأكبر يستقبل وزير خارجية جزر القمر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/مسلم بن موسى وزير خارجية « جزر القمر » يرافقه السيد/إبراهيم عبدالله سفير جمهورية جزر القمر بالقاهرة ، وذلك صباح الأحد ٧ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ ، ٢١ نوفمبر ١٩٩٣م بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث دعم الأزهر « لدولة جزر القمر » فى مجال التعليم من خلال زيادة عدد المنح الدراسية لطلابها بمعاهد الأزهر وجامعته .

كذلك تم خلال اللقاء بحث طلب « جزر القمر »بقيام الأزهر الشريف بالإشراف على تنفيذ وإدارة معهد دينى أزهرى بها ، وتزويده بالمناهج والكتب الدراسية والمدرسين .

الإمام الأكبر يستقبل سفير دولة جيبوتى بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد/ضيف آدم شيخ حسن ـ سفير « دولة جيبوتى » بالقاهرة صباح الاثنين ١٦ جمادى الأولى ١٤١٤هـ ، ١ نوفمبر ١٩٩٣م .

فى بداية الاجتماع أبلغ السيد/السفير فضيلة الإمام الأكبر قرار حكومته بتخصيص قطعة أرض لبناء معهد أزهرى عليها

ووعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الموضوع فور تلقى الأزهر للمعلومات الخاصة بذلك من السفارة المصرية هناك .

ثم عرض السيد السفير بعض الموضوعات المتعلقة بالمنح المخصصة لطلاب « دولة جيبوتى » للدراسة بمعاهد الأزهر وجامعته ؛ حيث وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة تلك المعلومات من خلال الجهات المعنية .

وفى نهاية اللقاء قدم الضيف شكر بلاده حكومة وشعبا لمجهودات الأزهر فى مجال دعم المسلمين فى جيبوتى .

الإمام الأكبر يستقبل سفير ألبانيا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتب فضيلته بالأزهر السيد/فاروق برونا سفير ألبانيا الجديد بالقاهرة .

وذلك بمناسبة تسلمه لعمله سفيرا لبلاده لدى مصر ، تم خلال اللقاء بحث دعم العلاقات بين الأزهر ودولة ألبانيا ، وقد تمنى فضيلة الإمام الأكبر للسيد السفير طيب الإقامة بمصر ، ووعد فضيلته بمزيد التعاون مع سيادته استمراراً للعلاقات الطيبة القائمة بين الأزهر والمسلمين فى ألبانيا .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

وقف تدريس « الشيخان وكفاح طيبة »

اتخذت لجنة تدريس مناهج اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم قرارا بالغاء تدريس كتاب « الشيخان » للدكتور طه حسين ، ورواية « كفاح طيبة » لنجيب محفوظ فى المدارس المصرية ، استجابة لشكاوى وردت حولهما من أولياء الأمور والمدرسين لما فى الكتاب الأول من تشكيك ، و الثانى من موضوعات عفا عليها الزمان .

وقررت الوزارة بدلا من الكتابين الملغيين تدريس كتاب « شوقى شاعر العصر الحديث » للدكتور شوقى ضيف ورواية « الصقر الجرىء » للكاتب عبد السلام العشرى .

المسابقة العالمية الكبرى فى حفظ القرآن الكريم

استعدت وزارة الأوقاف المصرية لإجراء المسابقة العالمية الكبرى فى حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

وقد رصدت الوزارة عشر جوائز للحج وخمس عشرة جائزة أخرى لأداء العمرة إلى جانب الجوائز المالية للفائزين الآخرين .

دليل المسلم إلى كندا

صدرت طبعة من « دليل المسلم الى كندا » الذى سبق وأن أصدر مكتب رابطة العالم الإسلامى فى كندا الطبعة الأولى منه سنة ١٩٩١ م وتضم الطبعة الثانية من الدليل عناوين وصور المساجد الرئيسية الموجودة فى كندا إضافة إلى عناوين المساجد الجديدة التى أنشئت خلال الأشهر الماضية ، ودعا مكتب الرابطة هناك المسلمين إلى تقديم الدعم للدليل حتى يستمر فى الظهور فى طبعات جديدة .

تيرانـــا

عُقد فى تيرانا عاصمة ألبانيا الشهر الماضى ، ولمدة ثلاثة أيام المؤتمر الأول للاستثمار فى ألبانيا وقام بتنظيم المؤتمر البنك الإسلامى للتنمية ، وشارك فيه عدد من المستثمرين والمؤسسات الاقتصادية ورجال الأعمال من أكثر من عشرين دولة إسلامية وعربية وأوربية ، وافتتحه الرئيس صالح دريشه رئيس ألبانيا فى قصر المؤتمرات بالعاصمة . وجدير بالذكر أن بألبانيا فرصاً كثيرة للاستثمار .

الموسوعة الإسلامية

يجرى العمل على قدم وساق من قبل المنظمة الاسلاميـة للتربيـة والعلـوم والثقافـة لإصدار الموسوعة الإسلامية لتكون مرجعا يعتمد عليه الباحثون والدارسون فيما يتصل بالإسلام عقيدة وشريعة وحضارة ، وذلك بالتنسيق مع هيئات إسلامية أخرى مثـل جمعيـة « إقرأ » وجمعيـة « الدعوة الإسلامية » وهيئة « الموسوعة العربية » ومجمع اللغة العربية فى كل من دمشق والخرطوم والأكاديمية الإسلامية فى بنجلاديش .

وستشمـل الموسوعـة الإسلاميـة معلومـات مسهبة ودقيقة عن القرآن الكريم ، والسنة النبوية والسيرة والعلوم الاجتماعية ، والتوحيد والفلسفة والعلوم الأخرى ، وذلك فى عشرين مجلدا بحجم ألف صفحة لكل مجلد ، كما اعتمدت المنظمة فى مادة الموسوعة على مصادر منها : دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها الأولى والثانية ، والموسوعـة الفقهية ، ودوائر المعارف، والموسوعات الأخرى التى تعنى بالمادة الإسلامية .

ونأمل أن تكون النظرة فيما كتب الغربيون عن الإسلام نظرة موضوعية منصفة .

تركمـانستان

تم بناء مائة مسجد جديد فى تركمانستان فى العامين الماضيين فقط . كما تم بناء ستة مساجد فى العاصمـة وحدهـا بعـد الاستقـلال ، ويـدرس بالمدرسة الرئيسية هناك مائتا طالب ، والبـلاد بحاجة ماسة إلى المعلمين فى العلوم الإسلامية ، والكتب الدراسية الإسلامية .

والجدير بالذكر أن أول قافلة من حجاج هذه البلاد توجهت إلى الأراضى المقدسة منذ سنتين فقط ، وذلك بعد الاستقلال عن الحكم الشيوعى ويطالب أهلها بتوفير المنح الدراسيـة لأبنائهـم للدراسة فى العالم الاسلامى .

وتعتبر مدرسة « قارى – بولوف » – من أهم المدارس – وبها (٤٠٠) طالب كما أن ٦٠٪ من علماء تركمانستان من خريجى هذه المدرسة .

مـراكش

اختتمت فى مراكش بالمغرب الندوة الدولية حول تواصل الفكر بين المغرب والأندلس، التى نظمتها كلية الآداب فى المغرب الإسلامى تحت رعاية العاهل المغربى الملك الحسن الثانى .

وأكد وزير التربية الوطنية بالمغرب، على أن مراكش لم تتخل عن دورها فى استقطاب العلماء وقد نوه عن مجهودات « جمعية الأطلس الكبير » واهتمامها بالعلم والثقافة والمحافظة على التراث .

أثيـوبيا

تقيم رابطة العالم الإسلامى بمنطقة تقْراى بأثيوبيا – مركزاً للتدريب المهنى، يتكلف أكثر من نصف مليون دولار ، كما تقـوم بدفـع أجـور المهندسين الزراعيين فى مجالات استصلاح الغابات وتصريف المياه ؛ وذلك لمساعدة المسلمين هناك .

تركيـــا

تستعد إدارة الشئون الدينية فى تركيا لافتتاح محطة إذاعة وتليفزيون لبث البرامج الدينية فى تركيا وتوعية الشعب التركى بأمور دينـه ، وحمايـة الشباب مما يتعرض له من برامج ملوثة تؤثر على تربية النشء التركى .

مصر ـ اليابان

استجابة للدعوة الموجهة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من هيئة «أوموتو كاميوتاشى كايتوفو» باليابان لحضور مؤتمر «الدعوة من أجل السلام» الذى عقد فى الرابع والخامس من نوفمبر ١٩٩٣ ، أوفد فضيلة الإمام الأكبر فضيلة **الشيخ/سالم صالح سالم موسى** المشرف على لجنة القرآن بمجمع البحوث الإسلامية نيابة عن فضيلته لحضور المؤتمر .

انعقد المؤتمر فى قاعة «شوزيدن» باليابان وكان حدثا دوليا فريدا من نوعه ، حضره العديد من الوفود من شتى أنحاء العالم على اختلاف الأجناس والديانات والانتماءات .

لاقت كلمة فضيلة الشيخ/سالم صالح ، مبعوث الإمام الأكبر ـ فى المؤتمر ـ تقدير جميع المشاركين فيه لما لمسوه فى كلمته من علم غزير وثقافة واسعة جعلته بينهم عضوا مميزا ، تصدرت صورته بالزى الأزهرى بعض الصحف اليابانية المعنية بتغطية المؤتمر .

هذا وقد تلقى الأزهر الشريف رسالة شكر وتقدير من هذه المؤسسة على مشاركته فى أعمال المؤتمر ، الذى سوف يفتح مجالا جديدا لبناء صرح من الصداقة والأخوة الدولية على أساس من النوايا الطيبة والثقة المتبادلة إن إشاء الله ، وقد علق فضيلة الشيخ سالم موسى بعد عودته من اليابان بقوله : «لقد كان لحضورنا الحفل أثره الطيب الكريم فى نفوس اليابانيين أصحاب المؤتمر .. لأملهم فى السلام واجتماع العالم على المحبة .. إن المبشرين باليابان يبلغون الآلاف ، ومن ثم يحتاج الإسلام ـ هناك ـ إلى العشرات من الداعين اليه .

جامبيـــا

نظم الاتحاد الإسلامى الجامبى أول أسبوع ثقافى دعوى فى جامبيا ، وذلك بمقر المعهد الإسلامى التابع للاتحاد فى مدينة (ساراكاندا) الجامبية تحت شعار الآية الكريمة ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** ﴾ ، [**النحل : ١٢٥**] . **وتم تمويل هذا النشاط عن طريق مكتب منظمة الدعوة الإسلامية هناك ، وألقى خلاله العديد من المحاضرات ، من قبل نخبة من العلماء والأساتذة المسلمين .**

شملت توصيات الأسبوع المجالات التربوية ، ومناهج المدارس الإسلامية ، وقضايا الشباب ، والمؤسسات الإسلامية غير الحكومية ، كما تم توجيه الشكر لحكومة جامبيا لقرارها العظيم بجعل اللغة العربية وعلومها والعلوم الإسلامية ضمن المنهج التعليمى لتلاميذ المدارس هناك .

Sourate "la Caverne", le sens du verset 28

Le Messager d'Allah (b.s.) nous conseille de profiter du bon compagnon. Celui-ci peut nous aider, nous conseiller, nous consoler sans aucun interêt personnel, uniquement dans le but d'obtenir l'approbation d'Allah: ou bien il s'attend à ce qu'on lui rende service semblable, en échange: ou enfin il est incapable de nous offrir ses services car il est loin des affaires matérielles; dans ce cas on le visite pour profiter de son bon exemple et de ses bonnes actions; en d'autre termes pour respirer la bonne essence, i.e. l'exemple de sa foi. Selon "Aïcha (A.s.e.), le prophète (b.s.) a dit : "Les êtres sont doués d'âmes dirigées par Allah, celles qui se ressemblent se rapprochent les unes des autres, celles qui s'opposent se repoussent les unes les autres". Hadith rapporté par Al Bokhari. Le Messager d'Allah (b.s.) a dit également : "Parmi ceux qu'Allah abritera à l'ombre de Son trône le jour où il n'y aura d'ombre que la Sienne : deux hommes qui s'aiment pour l'amour d'Allah, se réunissent et se séparent pour une même raison : la soumission à Allah. Hadith rapporté par Abou Horaïra

Dans un autre Hadith, le messager d'Allah (b.s.) a dit : "Allah possède des serviteurs qui ne sont ni des prophètes ni des martyrs. Ils sont admirés par les prophètes et les martyrs. On lui demanda alors ; "qui sont-ils?, peut-être les aimerons nous !" le prophète (b.s.) répondit : "Ce sont des gens qui s'aiment grâce à la lumière divine, sans liens de sang ni de parenté. Leur visage est lumineux, ils sont placés sur des minbars de lumière. Ils ne s'effraient point quand les autres ont peur, ne sont point chagrinés quand les autres sont tristes". Ensuite il récita les versets suivants :

"Non, vraiment, les amis d'Allah n'éprouveront plus aucune crainte, ils ne seront pas affligés, ceux qui croient en Allah et qui le craignent recevront la bonne nouvelle, en cette vie et dans celle de l'au-de là". Sourate "Younes", le sens des verset v.62, 63, 64

Hadith rapporté par Ebn Habban, El Tabarani et Abou Daoud.

Réfléchissons enfin à la parole divine suivante :

'Par l'Instant ! Oui, l'homme est en perdition; de ceux qui accomplissent des oeuvres bonnes; de ceux qui s'encouragent mutuellement à rechercher la vérité; de ceux qui s'encouragent mutuellement à la patience.

Sourate "L'Instant"

Mme Rawya Ahmad Soltan

Le bon compagnon

par
Mme Rawya
Ahmad Soltan

Selon Abou Moussa Al Ach'arï-qu'Allah soit satisfait de lui — le prophète (b.s.) a dit "L'exemple du bon compagnon et du mauvais compagnon est semblable à celui du marchand de musc et du souffleur du feu : Pour ce qui est marchand de musc ou bien il ten offre, ou bien tu achètes de lui ou encore tu respires auprès de lui un bon parfum Quant au souffleur du feu, ou bien il brûle tes vêtements ou bien tu respires auprès de lui une odeur désagréable".

Explication du Hadith

L'homme a besoin de compagnons dont il profitera de l'expériences et avec qu'il partagera les problèmes quotidiens. Or, les gens sont de natures différentes, tout comme les métaux; certains sont beaux et d'autres laids. Le musulman doit choisir l'ami raisonnable, pourvu de bonnes qualités et qui craint Allah. Certains versets coraniques parlent du bon compagnon; nous allons nous y arrêter.

«Le jour où l'injuste se mordra les mains en disant : "Malheur à moi ! si seulement j'aais suivi le chemin avec le prophète ! Malheur à moi !»

«Si seulement je n'avais pas pris "un tel" comme ami !»
«Il m'a égaré loin du Rappel, alors que celui-ci m'était déjà parvenu. Le démon est troître envers l'homme.»

Sourate "La Loi", le sens des versets 27, 28, 29

[Ce jour là, les amis deviendront ennemis les uns des autres, à l'exception de ceux qui craignent Allah]

Sourate "L'Ornement", le sens du verset 67

Le Coran nous conseille donc de nous éloigner de ceux qui désobéissent à Allah, des impies. Observons la parole divine.

"Ecarte-toi donc de celui qui tourne le dos à Notre Rappel et qui ne désire que la vie de ce monde."

Sourate "L'Etoile", le sens du verset 29

Reste en la compagnie de ceux qui, matin et soir, invoquent leur Seigneur dans l'espoir d'être agrées par Allah.
Que tes yeux ne se détachent pas d'eux en convoitant le clinquant de la vie de ce monde].

tie, que le messager d'Allah reçut la Révélation et fut couvert d'une sueur qui perlait sur son visage comme un jour d'hiver.

Lorsque la Révélation prit fin, le prophète-salut et bénédiction sur lui-en souriant me dit : « Remercie Allah qui vient d'affirmer ton innocence Aïcha ». Ce fut le premier mot qu'il prononça. Alors ma mère me dit : « Lèves-toi et remercie le prophète-salut et bénédiction sur lui ». « Je ne me lèverai pas et je ne remercie que « Allah » seul » lui dis-je.

Allah a révelé à mon sujet les versets 11-12-13-14 et suivants de la Sourate « La Lumière ».

Mme Hoda Charaoui

Sanction de la calomnie (Récit du "Ifk" (suite)

par Mme Hoda Cha'raoui

Les deux tribus faillirent en venir aux mains. Le prophète-salut et bénédiction sur lui-était encore en chaire. Il descendit et calma la bagarre. Quand l'ordre fut rétabli, le prophète-salut et bénédiction sur lui-ne remonta pas en chaire.

Je n'ai pas cessé de pleurer ce jour-là. J'ai pleuré les deux nuits suivantes sans goûter le sommeil. Je sentais mon coeur se fendre. Le matin, mon père et ma mère vinrent auprès de moi. Je pleurais toujours. Une femme des Ançars demanda à entrer. Elle s'assit en pleurant près de moi. Nous étions ainsi, quand le prophète-salut et bénédiction sur lui-entra et prit place à côté de moi. Il ne l'avait pas fait depuis qu'il avait entendu les calomnies à mon sujet. Pendant un mois il n'avait pas reçu de Révélation me concernant. Il dit «Aïcha, j'ai appris sur toi telle et telle chose, si tu es innocente, Allah va le prouver. Si par contre, tu as commis un péché, demande pardon à Allah et repens-toi. Quand l'homme reconnaît sa faute et qu'il s'en repent, Allah la lui pardonne». A ce moment mes larmes s'arrêtèrent de couler subitement et, m'adressant à mon père, je lui dis : «Réponds au prophète-salut et bénédiction sur lui-à ma place. Par Allah, dit il, je ne sais que dire-ma mère, dis-je, réponds pour moi au prophète-par Allah dit-elle je ne sais que répondre».

J étais encore jeune, dit Aïcha, je n'avais pas encore appris beaucoup de versets coraniques, mais je répondis : «Par Allah, je suis sûre que vous avez entendu et cru ce que disent les gens. Si je vous déclare que je suis innocente-et Allah le sait bien-vous ne me croirez pas mais si j'avoue autre chose et Allah soit bien qu'il n'en est rien-vous l'accepterez comme vraie. En l'occurence, je ne trouve d'exemple pour nous deux que la réponse de Ya'coub le père de Youssef quand il dit : «je m'en remets à Allah qui m'aidera à supporter vos assertions»

«Sourate Youssef le sens du verset 18»

Ensuite je me recouchai dans mon lit, avec l'espoir que Allah dévoilera mon innocence. J'étais loin de penser que des versets coraniques seraient révélés à mon sujet, moi l'être insignifiant. Tout ce que j'espérais, c'était que le prophète-salut et bénédiction sur lui-vit la vérité en songe.

Je jure par Allah, qu'avant même que le prophète-salut et bénédiction sur lui-n'eut quitté sa place, ni aucune des personnes qui se trouvaient dans la chambre ne fût sor-

dit :" Oh, Il n'y en a point "Et quelle distance sépare les tiens du point d'eau?" reprîmes-nous. Elle dit : un jour et une nuit de marche "Rends-toi auprès du messager d'Allah-paix soit sur lui-ordonnâmes-nous. Elle demanda" : Qu'est ce que c'est le messager d'Allah?" Mais-comme nous ne lui laissâmes point l'occasion de s'échapper elle comparut avec nous devant le prophète-paix soit sur lui. Elle lui répéta ce qu'elle nous avait dit, ajoutant qu'elle avait en charge des orphelins. Il ordonna qu'on lui amène les deux outres de la femme sur les orifices desquelles il passa les mains. Nous bûmes à satiété; nous étions quarante hommes et nous remplîmes toutes les outres, que nous avions avec nous, et tous les récipients sans toutefois donner à boire à nos montures. Après quoi les outres de la femme étaient pleines à craquer. Le prophète—paix soit sur lui-dit alors : "Apportez ce que vous avez (comme provisions). On lui rassemble quelques morceaux de pain et des dattes. Lorsqu'elle rejoignit les siens la femme leur dit : "J'ai rencontré le plus grand des magiciens ou bien c'est un prophète comme ils le prétendent." Grâce à cette femme Allah guida ces gens qui campaient alors autour du point d'eau. Elle se convertit à l'Islam ainsi que les membres de sa tribu.

772-Enâd : Mohammad Ebn Bachar, Ebn Abou "Ady'Sa'ïd, Qatada, Anas (a.s.c.) dit : 'Un récipient d'eau fut amené au prophète-paix soit sur lui-alors qu'il était à Al-Zawra'. Il y plaça sa main et l'eau se mit à sourdre du pot entre ses doigts et tout le monde procéda aux ablutions". Combien étiez-vous demanda Qatada à Anas?" Il répondit : "trois-cents ou presque trois cents".

776-Esnâd : Moussa Ebn Isma'ïl, Abdel Aziz Ebn Moslem, Hossaïn, Salem Abou Djady, Djaber Ebn Abdallah (a.s.c.) dit : "Les gens avaient très soif le jour du traité d'Al Hodaïbiya. Le prophète-paix soit sur lui-qui avait entre les mains un récipient contenant un peu d'eau fit ses ablutions. Les gens se précipitèrent vers lui et il leur demanda "Qu'avez-vous?" Ils répondirent : Nous n'avons point d'autre eau, pour faire nos ablutions et boire à part celle que tu as entre les mains". Il mit alors sa main dans le récipient, et l'eau se mit à jaillir d'entre ses doigts comme d'une source. Nous avons tous bu et tous procédé aux ablutions. Comme je demandai à Djaber : Combien étiez-vous?" Il me répondit : "L'eau aurait suffit à cent-milles, mais nous n'étions que quinze cent".

777 — Esnâd : Malek Ebn Ismaïl, Israïl, Abou Ishaq, Al Barraâ (a.s.c.) dit : "Nous étions quatorze cents au jour du traité d'Al Hodaïbiya. Al Hodaïbija est en puits, et nous avions puisé toute son eau, sans y laisser la moindre goutte. Le prophète s'assit alors sur le parapet et demanda qu'on lui amène un peu d'eau. Il s'en rinça la bouche puis la rejeta dans le puits. Après une brève attente, nous pûmes nous désaltérer et apaiser notre soif ainsi que celle de nos montures. Ou selon une autre variante du hadith-nous avons donné à boire à nos montures (à suivre)

Zeinab Hassan

«QUELQUES MIRACLES DU PROPHETE MOHAMMAD»

— Allah a accordé à Ses messagers le pouvoir d'accomplir des miracles, et cela afin que leur communauté croie à la véracité du message dont ils étaient porteurs.

— Pour mettre en doute le message de Mohammad-paix soit sur lui,-les juifs et les chrétiens ont répandu des soupçons autour de son pouvoir à accomplir des miracles aussi spectaculaires que ceux attachés aux noms de "Ibrahim" de "Moussa" et surtout de "Issa".

— Or, le Coran est sans conteste le plus grand miracle du prophète — paix soit sur lui, un miracle qui témoignera jusqu'à la fin des temps du message de Mohammad-paix soit sur lui.

— Quant aux miracles rattachés aux noms des autres prophètes, ils étaient temporels, parce que destinés à une communauté précise, à une époque déterminée.

— Allah a voulu que Mohammad-paix soit sur lui-soit avant tout à la mesure des humains afin qu'il leur soit un parfait exemple à suivre, comme en témoigne le verset suivant : [Vous avez en la personne du messager d'Allah un modèle parfait] "Sourate Les Factions", (le sens du verset 21).

— En outre, les contemporains du prophète-paix soit sur lui-ont rapporté certains évènements qui témoignent des pouvoirs extraordinaires de Mohammad-paix soit sur lui-et des faits qui relèvent du surnaturel en certaines circonstances précises.

— Nous avons jugé utile de relater ici certains hadiths d'Al-Bokhari et qui rapportent ces miracles.

771 — Esnad : Aboul Walid, Salem (En) Abou Ragaâ; Emran Ebn Hossaïn nous a raconté qu'au cours d'un voyage où ils accompagnaient le prophète-paix soit sur lui-ils marchèrent toute la nuit et campèrent au petit matin. Le sommeil les gagna jusqu'à ce que le soleil fut bien haut dans le ciel. Abou Bakr fut le premier levé; mais on n'interrompait jamais le sommeil du Messager d'Allah. — Paix soit sur lui-tant que celui-ci ne s'éveillait de lui-même. Ensuite Aman se réveilla et Abou-Baker s'assit près de la tête du prophète-paix soit sur lui.

— Il se mit à répéter "Allah ou Akbar" et il haussa tellement la voix qu'il finit par le réveiller. Le prophète-paix soit sur lui-une fois levé, nous emmena un peu plus loin, et présida à notre prière du matin. Toutefois un des hommes resta à l'écart s'abstenant de prier. Le prophète-paix soit sur lui-après avoir accompli la prière l'interrogea ainsi : "Ô, un tel, qu'est-ce qui t'empêche de prier avec nous?" "Je suis en état d'impureté majeure (djanaba) répondit-il. Alors le prophète-paix soit sur lui-lui enjoignit de procéder aux ablutions sèches et il accomplit la prière. Après quoi le messager d'Allah-paix soit sur lui-m'expédia pour aller de l'avant avec un groupe d'hommes. Nous avions très soif et, nous rencontrâmes en cours de route une femme en selle, avec les jambes entre deux outres pleines. Nous lui demandâmes "Où se trouve le point d'eau?" "Elle répon-

REVUE AL-AZHAR

Vol. 66, Part 7
Rajab, 1414 Hijrah

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

Islamic Law. This verse, al-Ghazali, the famous scholar, holds to mean 'seek not a pretext for separation'.

The law gives to the man primarily the right of dissolving the marriage, if the wife, by her indocility or bad character, renders the married life unhappy. However, in the absence of serious reasons, Islamic Law never justifies divorce. If the husband abandons his wife or puts her away from simple caprice, he draws upon himself the divine anger. The Prophet (MPBUH) was reported to have said :

"The curse of Allah (God) rests on him who repudiates his wife capriciously."

No doubt divorce is an evil and must be regarded as such wherever there is the least respect for the law of Allah. The pagans before Islam were absolutely free to repudiate their wives whenvever it suited them., They were not bound to offer any reasons for the exercise of the power of divorce. The mere expression of their will was enough to effect a separation. In this sight, the wife was a mere plaything. Sometimes the husband would revoke the divorce and so on infinitely. Women under such circumstances were in perpetual state of suspense.

At last, the Prophet (MPBUH) the mercy of universe, came carrying the merciful message to mankind. He declared :

"CERTAINLY, divorce is the most disdainful of lawful things in the sight of Allah."

The Prophet (MPBUH) has also declared :

"Allah has not created anything on earth which He loves more than the act of emancipation from slavery; nor has He created anything on earth which he dislikes more than the act of divorce."

On another occasion he said :

"Forbidden is the fragrance of paradise to her who demands divorce from her husband without unavoidable reasons"

FORBEARANCE

Islam enjoins that both the husband and wife to spare no efforts to bring about love and happiness in their family life. It goes even further to ask the couple to forbear each other, to close their eyes on trifling matters and mistakes and to forgive mutually if forgiveness leads to better reunion and harmony. The Quran enjoins the forbearance even with a wife that one does not like :

"Treat your wives with kindness, for even if you do not love them, it may well be that you may dislike a thing which Allah has meant for your good." (Sura 4:19).

The Prophet (MPBUH) used his discretion as well as the Islamic teachings to direct man's attention to the fact that he possesses the strong ability of self-restraint to deal with his family problems and put up with his wife's ill-treatment. Many of the Prophet's (MPBUH) sayings teach love, untiring patience, forgiving disposition, and above all, fear of Allah in the treatment of women :

"The man who puts up with the ill-manners of his wife shall receive from Allah rewards equivalent to what the Lord gave Ayyub (Job) when he suffered his affliction : and to the woman who puts up with the ill-manners of her husband, Allah grants rewards equivalent to what He granted to Assiyah, the Pharaoh's wife."

To be continued.

DIVORCE IN ISLAM

By Mohammed Hijab

It is strange to say tnat divorce is so loose that it can be practised at any time with no cause whatsoever. It is strange to read in some books written by Orientalists that no restiction has been made on divorce and it is a right exclusively confined to men to exercise at any time.

DIVORCE

The meaning of divorce is the repudiation of the marriage contract between husband and wife. Strictly speaking, divorce is a right bestowed on the husband in view of his ability to shoulder the marriage obligations and because of his aptitude for better self-restraint than the wife can display.

It must be understood that Isam has not given the husband the right to divorce in order that he may use the threat of divorce as a sword which he waves in the woman's face. On the contrary, Islam allows divorce as a bitter medicine to be used by a man to cure a situation or get rid of an association that defies remedy. Islam holds that if a man trespasses on a woman's rights by divorcing her without cause, he is abusing his power and is therefore liable to be held responsible for committing a breach of duty. Islamic courts are allowed to censure the man for misusing the right of divorce.

Just as Islam maintains equality between husband and wife in married life, it insists on equality in the termination of the marriage. The law of Islam permits the woman to ask the court of law to look into her case if her husband maintains an unpleasant association with her, or causes real hardship to her unjustifiably or if she finds that he suffers from a disease of the body or mind which prevents him from supporting her or preserving her chastity. We classify these causes as follows :

1. Habitual ill-treatment of the wife.
2. Non-fulfilment of the terms of the marriage contract.
3. Insanity.
4. Incurable incompetency.
5. Quitting the house without provision for the wife.
6. Any other causes which in the opinion of the court justify a divorce, such as the imprisonment of the husband.

The court is authorised to ordr her to be divorced if she is justified in her contentions and her husband refuses to divorce her.

LIMITATIONS :

According to Islamic Law, a Muslim is not free to exercise the right of divorce on the slightest disgust. The law has many limitations upon the exercise of this power. A Muslim is only permitted to have recourse to divorce if there is ample justification for such an extreme measure. The Holy Quran expressly forbids a man to seek pretexts for divorcing his wife, so long as she remains faithful and obedient to him :

"If women obey you, then do not seek a way against them." (Sura 4:34).

Obedience in the verse signifies obedience to man only in matters recommended by

this reason the exegesis plays a major part, for it is extremely important in the careful research into the exact meaning of the source message. Also a comparison between the various translations based on the previous study will be made and an assessment of each will be given.

WRONG SELECTION OF WORDS

(A) There are mismatches of the denotative meaning of ST and TT items due to the translator's complete failure to understand the true meaning of the words. In verse (20)

قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ

Maryam, to the proposed maternity, states her condition of being a virgin whom no mortal has touched and answers back : "How shall I have a son, when no mortal has touched me, nor have I been unchaste?" Arberry failed to understand this meaning and renders this verse as "How shall I have a son whom no mortal has touched, neither have I been unchaste ?" According to translation, the verse means that no mortal has touched "the child" which is wrong for no mortal has touched "Maryam" according to the original and indicated by Tabari and the other exegetes.

A similar case is found in verse (23) : فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ

where Arberry misunderstood the meaning of فَأَجَاءَهَا . According to exegetes, فَأَجَاءَهَا means to drive or press forcibly; Maryam was pressed forcibly by the birth pangs to advance to the trunk of the palm tree. Arberry misunderstood the meaning of the word and erroneously renders it as "surprised" which appropriate is rendering فَأَجَاءَهَا as "forced her" by Khatib or "drove her" by the rest of the translators.

In verse (41) we find another mismatch of the denotative meaning of ST and TT items due to the translator's inability to understand the true meaning of صِدِّيقًا in

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ

According to Tabari and other exegetes, the word صِدِّيقًا means one who used to tell the truth. Pickthall did not understand the true meaning of صِدِّيقًا and inappropriately renders it as "Saint", which, according to Oxford Dictionary, refers to a holy person who is the object of post reverence in non-Christian religions; the equivalence of which in Arabic is. قديسا More appropriate is rendering it as "a man of truth" by Y. Ali and Asad; "veracious" by Khatib, and "true man" used by Arberry.

(B) There are mismatches of the denotative meaning of ST and TT due to the translator's inability to select the most appropriate equivalent to the contextual meaning of the word.

In verse (3) of Surah "Maryam" إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ
Asad inappropriately renders the verb نَادَىٰ as "called out", which means to utter (any thing) in a loud voice, to proclaim, announce. According to exegetes, Zachariah called upon his lord "secretly" either because he was afraid that his people would blame him for asking for a son at such an old age, or he prayed secretly in his heart, or because secret supplications are more favourable, or for the reason that his supplication was away from his people. Hence, "called out" conveys a meaning different from that intended by the original and indicated by the exegesis. Also "called out" does not collocate with " in the secrecy of his heart," which Asad uses in the same sentence : "When he called out to his Sustainer in the secrecy of his heart." The verb نَادَىٰ , however, is appropraitely rendered as "cried to / unto" by Pickthall and Y. Ali; "called upon" by Arberry, or "supplicated" by Khatib.

To be continued.

A COMPARATIVE STUDY OF THE ENGLISH TRANSLATIONS OF THE MEANING OF SURAH MARYAM PART II A

TRANSLATION QUALITY ASSESSMENT

By : Mona Salem Abdul Ghaffar M.A.

Varius views have been suggested by professional translators and philologists on the subject of translation quality. Issues such as faithfulness to the original, retention of the colour and spirit of the original, and the reaction of the reader were studied at greater length.

Peter Newmark in his book Approahces to Translation (1981) has distinguished between "communicative" and "sematic" approaches to translation. He states that these two concepts represent two methods of translation that are appropriate to any text. Newmark defines communicative translation as follows : "it attempts to produce on its readers an effect as close as possible to that produced on the readers of the original," whereas semantic translation "attempts to render, as closely as the semantic and syntactic structures of the second language allows, the exact contextual meaning of the original" (1981 : 39).

In translating the Quran, we find that both the semantic and communicative aspects need to be taken into consideration. There isn't one communicative nor one semantic method of translating a text to be adopted, in fact they widely overlap. The translator of the meaning of the Quran should attempt to render the exact meaning of the text as well as to find some ways and means to retain the communicative effect. No one translation method is recommended, for while literal translation can be more appropriate in some verses, free translation may be more suitable for others.

Hence, in the case of translating the Quran which is a holy book addressed to all people at all times, the objective aimed at, in my opinion, is to render as adequately as the target language allows both the meaning of the context and its communicative effect. The translator's failure in conveying them may well dim the reader's comprehansion in addition to misdirecting his attitude towards reading the Quran. The translaotor should then take into consideration both aspects in order to produce an acceptable and appropriate translation.

In this thesis, the quality assessment of the translations of Surah "Maryam" will deal with those two aspects : I have tried to find out mismatches in meaning and mismatches in the communicative effect between the source text (ST) and the target text (TT). The first step towards the quality assessment will be concerned with semantic mismatches, which mainly result from wrong selection of words. Wrong selection of words could be due to the translator's failure to understand the true meaning of the words as found in the ST, or could result from the translator's inability to select the most appropriate equivalent to the contextual meaning of the word. The second step toward the analytic approach of the translation assessment will be concerned with communicative mismatches. This part will be concerned with the lexical mismatches as well as stylistic mismatches. The former will deal with those instances of lexical mismatches such as substitutions, additions, and ommissions which affect the communicative aspect of the ST. The latter, however, will deal with mismatches of the rhetorical devices which lead also to mismatch of communicative effect of both the ST and TT. In the quality assessment followed in this thesis, the translations are judged against the source text where the original acts as a yard stick for the translation. For

north to south. Muslims would also hope to uproot the roots of conflict from its base and to avoid the cause of sedition from its sources so that the world will cooperate without any racial — discrimination or threat of violence. Our world must be occupied with feeding the hungry, clothing the undressed, helping the uncivilised and underdeveloped to rise up to the higher rank of civilization and development. Islam urges us to feed the hungry, to give the poor, to call for peace, to avoid conflict and strive, to keep away from agreesion and destruction. Islam also urges us to change our world to become a world of peace.

O Servants of Allah, please be brothers; O sons of nations please be friends, work for peace, for security and for love.

"PROPHET AND MESSENGERS"

Ladies and Genglemen : our father Adam is the first prophet on earth. Allah forgave him after he had eaten from the tree and guided him to the straight way God learnt him all names of things. Glory to our God, He Who gave to each created thing its form then gave it guidance, so our God had sent many prophets and messengers to mankind asking to worship and Allah to guide them to the straight way. Quran said "There never was a people without a warner (messenger) lived among them."

Each prophet came to help people to become one nation and Allah said "O messengers, you can eat from good food provided and do what is good; for I know what you do. This is your nation which is one, I Your Allah, you must worship and fear upon this belief, the Muslim believes in Allah, all His messengers, all His Books and all His angels.

BASIS OF FAITH OF MUSLIMS

In brief, bases of Islamic faith is believing in Allah, the most beautiful names belong to Him, to Allah belong all that is in the heavens and on earth, to Him be praise at the first and at the last. He has taken neither a wife, nor a son, He is the first and the last, He is the Evident and the hidden, no vision can grasp Him, but His grasp is over all vision. No mind is able to conceive Him but He only has the conception, the world will find for itself no protector or intercessor except Allah.

"That is Allah your God there is no God but He the creator of all things, then worship Him."

Muslim believes in angels, in the prophets, in the last day, the day of the resurrection, the day of rechanging, the day of the happiness for ever for unhappiness for ever, in paradise home of peace happiness, in hell home of distriess and suffering.

"O Gentlemen your God calls you to paradise to His forgiveness and to His Mercy.

I pray God for peace, for love and human brotherhood.

Salutations from Egypt, and from Al Azhar blessings from his Eminence the Grand Sheikh of Al Azhar for your great conference.

Wassalamu Alaikeum Wa Rahmatu-llahi wa barakatouh.

THE MESSAGE OF HIS EMININCE GRAND IMAM SHEIKH JAD EL HAQ ALI JAD EL HAQ SHEIKH OF AL-AZHAR TO PRAYER OFFERING AND WORLD RELIGIOUS FORUM AYABE, JAPAN

November 4-5, 1993

Translated by :
Sheikh Salem Saleh

In the Name of Allah the most Gracious, the most Merciful

All praise is due to Allah, He is Allah of the East and the West, there is no God but He, It is to Allah, alone that sincere obedience is due. Peace and blessings be upon all prophets and messengers.

O gentlemen, from Egypt the country of peace and Islam, country of noble Al Azhar, in the name of His Eminence Sheikh of Al Azhar who gives me the great honour to be his representative.

I give you the best welcome peace and mercy of Allah be upon you.

O gentlemen, there are many relationships between nations and races, the most important one is human brotherhood (Single Origin).

Surely that all people in the East and the West are brothers, their father is Adam and their mother is Eve "Hawwa", the Quran said "O Mankind fear your guardian God who created you from a single person creats out of it his mate and from them twins scattered countless men and women."

The different colour, multiracial and multi nations mean that you may recognize one another, the Quran said "O Mankind, we created you from single of a male and a female and made you into nations and tribes, that you may know each other, not that you may despise each other." Linking of human brotherhood unites mankind with love and co-operation to remind them that their origin is one and their future is one and tie them together by family relationship gentlemen, all Muslims call mankind to be brothers, to be one unit in safety and peace without fanaticism or partiality.

The Muslim improves and reaches up to such wide horizons of communication and cooperation of people of all nations, in complete equality and within a frame work of love and cordiality among all human beings.

PEACE AND ISLAM

Ladies and gentlemen : Surely, your conference is the best one for it calls for peace which is fine goal desplay weshed for by all Muslims. It is fact that the slogan of Islam is peace, peace is an attribute of Allah, peaace is the demand and hope of Muslims in the present and the future and peace is the salutation of Muslims when passing by each other. When a Muslim enter his home, he salutes his family by saying "May peace be upon you" (assalamu 'alaykum). Therefre, peace is the hope of all Muslims and would look forward to see it spreading all over the world from east to west and from

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part 7
Rajab, 1414 Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

CONTENTS

1. The Message of his Eminince Grand Imam to prayer offering and world religious fourum.
   Translated by : Sheikh Salem Saleh
2. A comparative study of the English Translations of the Meaning of Surah Maryam Part II A.
   By : Mona Salem Abdel Ghaffar.
3. Divorce in Islam.
   By : Mohammad Hijab

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

فهـــرس

● افتتاحية العدد
لفضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ٩٦٩
● مع الإمام الأكبر
- فى ذكرى الإسراء والمعراج ٩٧٢
- فتوى بشأن العمل بشركات الطيران الأجنبية ٩٧٥
- احتجاج الإمام الأكبر على فيلم يسىء إلى الإسلام ٩٧٧
● ماذا يجرى فى كشمير
إعداد : قسم التحرير بالمجلة ٩٧٨
● مع سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى ٩٨٥
● القرآن الكريم والبحر
للأستاذ الدكتور محمد محمد زيتون ٩٩٠
● قبس من أنوار النبوة
لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم ٩٩٦
● أسرار وأنوار من آيتى الإسراء والمعراج
للشيخ / معوض عوض إبراهيم ٩٩٨
● دراسة لمحاضرة الأمير تشارلز
للأستاذ / محمد محمد عتريس ١٠٠٢
● المؤمن بين الخوف والرجاء
للأستاذ / محمد عبدالغنى عليان ١٠١٢
● وسطية الإسلام
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ١٠١٦
● ألبانيا بين هموم الماضى وتوجهات المستقبل
للأستاذ الدكتور / جعفر عبدالسلام ١٠٢٢
● حول فوائد البنوك وحكم الدين
للدكتور إبراهيم عوضين ١٠٣٠
● قيمة الزهد
للأستاذ / محمد زين العابدين العزازى ١٠٣٥
● القيادة الإدارية
للدكتور / محمد عبدالله آل ناجى ١٠٣٨
● الفتاوى إعداد الأستاذ / عبدالمنعم فودة ١٠٤٣
● فى ذكرى الإسراء والمعراج
للشاعر / محمد بكر هلال ١٠٤٥
● آيات وذكرى
للشاعر / عبدالعاطى موسى عبدالعاطى ١٠٤٦
● لابد ياقدس
للشاعر / رشاد محمد يوسف ١٠٤٧
● على براق النور
للشاعر / عبدالوهاب المرصفى ١٠٤٨
● الطائر الظمآن للشاعر : إبراهيم عيسى . ١٠٤٩
● لفحات من نار البوسنه
للشاعر : أحمد محمود مبارك ١٠٥٠
● أبو العتاهية
بقلم الفريق / يحيى عبدالله المعلمى ١٠٥٢
● من علمائنا المعاصرين «محمد زاهد الكوثرى»
أ.د / محمد رجب البيومى ١٠٥٦
● العربية لغة العلوم والتقنية
عرض وتحليل أ.د. أحمد فؤاد باشا ١٠٦٢
● الحمل والولادة
د. أحمد رجائى عبدالحميد ١٠٦٧
● الجديد فى العلم والتقنية
د. نجوى السيد أحمد ١٠٧١
● المرأة فى الغرب الأوربى
أ. د. إسمت غنيم ١٠٧٤
● طرائف ومواقف
أ / عبدالحفيظ محمد عبد الحليم ١٠٨١
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد الأستاذ / عبدالفتاح الزيات ١٠٨٣
● مع ديوان « على أعتاب الرضا »
للأستاذ / محمد عبدالوهاب ١٠٨٧
● القصيدة العربية والوحدة الموضوعية
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ١٠٩٢
● أضواء على كتاب
عرض وتقديم أ. محمد البشير ١٠٩٩
● بين المجلة والقارىء
د. محمد عبدالحكيم محمد ١١٠٥
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
أ. عمر البسطويسى أ. مصطفى عبدالمجيد. ١١٠٩
● أنباء العالم الإسلامى
أ. مجدى عبدالحميد بشير ١١١١
القسم الفرنسى ١١٢٠
القسم الانجليزى ١١٢٧

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
دكتور / علي أحمد الخطيب
مدير التحرير
علي حامد عبد الرحيم
سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة
• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة
ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣
• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

الإسلام والأزهر

والثقافة الجنسية

من حسنات الإسلام التى تمتع بها السابقون « التصحيح » !

التصحيح بِرَدِّ « الواقع المختل » أو « المُعرَّض » للاختلال إلى واقع سليم صحيح ، هذا التصحيح سمة أصيلة فى الإسلام ، لا تهاون فيها ولا تجاوز ، ذلك أن المبادرة إلى حسم المختل تعنى رَدَّ الحقوق إلى أهلها ، وفى ذلك مافيه من القضاء على الضِغْن ومايستتبعه من بلايا تحيل المجتمع إلى جحيم من العداوة والبغضاء .

وكم لهذا « التصحيح » من أمثلة مرت بالمسلمين نكتفى منها بمثالين :

(أ) « التبنى » الذى عرفته الجاهلية ، وقد تطور إلى جعل المتبنى بمنزلة الابن الصريح ، ورتب له على ذلك كل الحقوق من ميراث ونكاح وغيرهما ، فأبطله الإسلام ، ولم يبطل الجانب الإنسانى من الإحسان إلى يتيم وتربيته على واقعه الصحيح دون « نَسَب » باطل ، أو « زور » أثيم .

(ب) «الظِّهار» وفيه يُنزل الرجل زوجه منزلة أُمِّهِ ؛ فيحرمها على نفسه ، ويجعل ذلك طلاقا ، قائلا لزوجِهِ : «أنت عليه كظهر أُمِّهِ» وذلك منكر من القول وزور ، فبدر الإسلام إلى بطلانه ، ولم يجعله طلاقا . وفى الظهار والتبنى جاء قوله ـ تعالى ـ قاطعا : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ سورة الأحزاب

وبهذا التصحيح عاد ما اختل من واقع إلى وضع صحيح .

ومن منطلق التصحيح كان التعليم ، وسأل الرجالُ وسألت النساءُ رسولَ الله ﷺ فى الجنس ، وأجاب رسول الله ﷺ وساهمت زوجاته ـ رضوان الله عليهن ـ تعليما وتصحيحا حتى لقد بات المجتمع الإسلامى أنظف المجتمعات أجسادا وأدْوَمهَا طهارة ، وعرفت هذه الحقيقة منظمة الصحة العالمية ؛ فكتبت تقول : «أنقى الأرحام أرحام المسلمات»(١) .

ثم إليك مثلا ـ من بين أمثلة التصحيح لإحدى زوجاته ﷺ وقد أخبرت أن رجلا أصبح حزينا كئيبا ، فتساءلت عن سبب ذلك ، فقيل لها : تزوج بكراً فلم يجد لها عُذْرة ، فبينت ـ رضى الله عنها ـ أن العُذْرة تَذْهَبُ بالوَثْبة ، أو بشدة حَيْضَةَ . أى أن ذهاب العُذْرة ليس معناه الحكم بفسق المرأة ، وفساد عفتها ، فمثل هذا الحكم ينبغى أن يكون هناك من الأحوال والوقائع ما يبرره ، ولهذا اتخَذَ هذا التصحيح طريقه فى الأحكام الفقهية واعتبِرت المرأة به بكراً(٢) .

وعَلَّم رسول الله ﷺ المسلمين الحيطة للجنس مبكرا ، لينشأ الطفل ـ ذكراً كان أم أنثى ـ بمنجى من كَبْوة فيه ؛ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حديثه عن الصلاة :

مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم فى المضاجع(٣) .

هذا ، ولقد حثت الشريعة على الاستعلاء بالغريزة ؛ وذلك بصرف قواها ـ ماديا ـ إلى ممارسة ألعاب القوى ، من سباحة ورماية وفروسية وغيرها ، و ـ روحيا ـ بممارسة الصوم ، وذلك لتقع الغريزة بين إطارين من الطهر وحفظ القوى الجسدية والنفسية على أحسن مستوى .

ذلك مسلك الإسلام الذى ورثه الأزهر فى تعليم أبناء المسلمين الثقافة الجنسية ، يتعلمها الطفل ـ ذكرا كان أم أنثى ـ فى إطار «العبادات» من طهارة ـ بفروعها المختلفة ـ إلى صلاة وصيام وحج ، فيكتسب هذه الثقافة محفوفة بالصون والعفاف ؛ بعيدا عن الإثارة الحية التى تتبعها المدرسة الحديثة فى الغرب ، تلك المدرسة التى تتخذ الجسد الحىّ وسيلة إيضاح لتحصيل هذه الثقافة .. والنتيجة أصبحت معلومة يشكو منها أهل الأرض جميعا لما نشرته فى الناس من «إيدز» ... وباء القرن العشرين .

---

(١) نشرت ذلك مجلة الأزهر فى حينه .

(٢) المغنى لابن قدامة ٤٦/٧ . نشر مكتبة القاهرة (١٩٦٩) .

(٣) رواه أحمد وأبوداود والحاكم عن عبدالله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ .

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

هدفان من: «الإسراء والمعراج»

كلمة الإمام الأكبر فى الذكرى المباركة

قال الله ـ سبحانه ـ فى القرآن الكريم :

- ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١ ﴾

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

هذا الإسراء : أى السير ليلاً بالنبى ﷺ من المسجد الحرام فى مكة ، إلى المسجد الأقصى فى القدس ؛ تكريم لرسول الله وتسرية عنه وخروج به مما أحاط به من متاعب وآلام فى سبيل تبليغ الرسالة ، وتثبيت لعزيمته وإمضاء لإرادته بعد إذ وقف يناجى ربه ويناديه ، حين تكاثرت من حوله النائبات ، وتحرش به قومه وتربصوا له ، وحين ذهب إلى الطائف يدعو أهلها إلى دين الله ، لكنهم كانوا كجيرانهم قريش ، قست قلوبهم ، ولووا رءوسهم فكانت شكواه إلى ربه وتضرعه ومناجاته .

وسط هذه النوازل كانت رحمة الله وعافيته تحوط رسوله وتكرمه؛ فكان الإسراء إلى بيت المقدس رحلة أرضية تحقق عنها هدفان :

□ الهدف الأول :

تثبيت قلوب المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسالة محمد ﷺ ودعوته ، وليكبت المشركين . إذ أنه ما أن عاد الرسول من رحلته القدسية وأخبر قومه بأنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس حتى كذبوه وسخروا منه ، بالرغم من أن الرسول قد وصف لهم بيت المقدس وصفا دقيقا ، مع علمهم بأنه لم يسبق له رؤية هذا البيت قبل هذه الليلة ؛ بل وأخبرهم بما ضل من رواحلهم الآتية عن طريق القدس ، وأنه قد شرب مما تحمله من ماء ، وأنبأهم بأن هذه القافلة ستصل قبل طلوع الشمس ووصلت فى هذا الموعد ، ومع هذه المؤكدات لصدقه؛ سأل أخبثهم : أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ مستنكرا : «إن صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس» فقال أبو بكر : قد صدقناه فى خبر السماء أفلا نصدقه فى خبر الأرض ؟ فسمى أبو بكر من هنا بالصديق .

معنى جمع الأنبياء

□ اما الهدف الثانى :

لهذه الرحلة الأرضية الإسراء فإن الله ـ سبحانه ـ جمع الأنبياء والرسل فى بيت المقدس وصلى بهم رسول الله محمد ﷺ إماما ، إبرازا لعهد الله وميثاقه على من سبقه من الرسل فى قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (العمران : ٨١)

ذلك لأن الرسول محمدا ﷺ خاتم النبيين وشريعته للناس جميعا وللعوالم جميعها ، ودعوته عامة لاتختص بزمان ولامكان ، أما دعوة من سبقه من الرسل فقد كانت خاصة بأقوامهم ، نجد ذلك واضحاً فى رسالاتهم التى حدثنا عنها القرآن الكريم ، ودعائهم على من لم يؤمن بهم من قومهم وهلاك هؤلاء ليكونوا عبرة لمن يأتون بعدهم .

وكان للمعراج وهو الصعود برسول الله ﷺ إلى السموات مقاصد عالية ومعان سامية ، فقد شرفه الله بهذه الرحلة ورفعه مكانا عليا ، وأراه من آياته الكبرى ، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى بعد أن التقى بالرسل والأنبياء كل فى موقعه من السموات ، وكان له مع كل منهم حوار وثناء وترحيب .

آية ظاهرة للوحدة

وقد فرضت الصلاة فى هذه الرحلة السماوية ، ومن ثم كانت عماد هذا الدين بحق ، كيف لا ؟ وهى آية ظاهرة على وحدة المسلمين إذ يتجهون فيها إلى قبلة واحدة على عبادة موحدة فى أوقات محددة ، وإذ تعود هذه الذكرى بالمسلمين اليوم .. عليهم أن يذكروا المسجد الأقصى الأسير الذى كان أول قبلة للمسلمين ، وكان إليه مسرى الرسول ﷺ وصلى فيه إماماً للأنبياء والمرسلين ، والذى تسلمه عمر بن الخطاب وظل المسلمون سدنة أعتابه وحراسا فى رحابه ، يعمرونه بالصلاة ، وفيه ترتفع نداءات المؤذن فى وقت كل صلاة . وكم من حلقات للعلم قد انعقدت فى جنباته ، وكم من الفقهاء والعلماء والأدباء قد أفاض الله عليهم فى رحابه علوما نافعة فى الدين والدنيا .

يذكر المسلمون القدس وأنها دارهم ، وأن عليهم أن يجمعوا أمرهم ليستردوا أرضهم ، ويكونوا صفاً واحداً ، كما كان أسلافهم الذين حافظوا على البلاد وأقاموا أحكام الإسلام .

لنتخذ من هذه الذكرى مددا وسندا لوحدتنا ، وعضدا لقوتنا ولنثق فى وعد الله الذى لايتخلف .

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ .

سورة الحج

ليلة النصف من شعبان

محمد شريف

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ . جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم وأبو داود : عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم . وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر صياما منه فى شعبان ، وفى رواية لأبى داود قالت : كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان .

وفى الحديث الذى رواه أبو داود والنسائى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لم يكن النبى ﷺ يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان كان يصله برمضان ، وفى هذا دليل على ما كان لشهر شعبان فى الإسلام من مكانة خاصة بين الشهور ، فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

وفى الحديث الذى رواه النسائى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان . قال : « ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم لله .

قال الشوكانى : ولعل الحكمة فى صوم شهر شعبان أن يتعقبه شهر رمضان ، وصومه مفترض فكان رسول الله ﷺ يكثر من الصوم فى شعبان قدر ما يصوم فى شهرين من غيره ؛ لما يفوته من التطوع الذى يعتاده بسبب صوم رمضان ..

ومن الحوادث العظيمة التى وقعت فى هذا الشهر المبارك : تحويل القبلة فى الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة .

ففى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

البقرة : ١٤٤

فتوجه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود :

﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

البقرة : ١٤٢

فصلى مع النبى ﷺ رجل ، ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر يصلون نحو بيت المقدس فقال ـ وهو يشهد ـ أنه صلى مع رسول الله ﷺ وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : (بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها . وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة) .

وفى رواية للنسائى عن سعيد بن المعلى ، أن أول صلاة صليت إلى الكعبة كانت : (صلاة الظهر) .

وقد ضبط أهل الحديث والسير : أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام كان فى شعبان من السنة الثانية للهجرة .

وقد امتن الله على المسلمين باختياره المسجد الحرام قبلة لكل مصل ، فقال تعالى :

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾

البقرة : ١٤٤

ومن مكارم هذا الشهر المبارك ما روى عن ليلة النصف منه وما كان يخصها المصطفى ﷺ بعبادة متميزة تبيانا لفضائلها ، ففى الحديث الذى رواه الطبرانى ، وابن حبان فى صحيحه عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « يطلع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » .

وفى رواية الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا اثنين : مشاحن أو قاتل نفس » .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « قام رسول الله ﷺ من الليل فصلى ؛ فأطال السجود حتى ظننت أنه قبض ، فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت إبهامه فتحرك فرجعت ، فسمعته يقول فى سجوده : « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك إليك ، لا أحصى ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال : « يا عائشة ، أو ياحميراء : أظننت أن النبى ﷺ قد خاس بك[1] ؟ » قلت : لا والله يا رسول الله ، ولكنى ظننت أنك قبضت لطول سجودك ، فقال : أتدرين أى ليلة هذه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « هذه ليلة النصف من شعبان ، إن الله عز وجل يطلع على عباده فى ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم

(١) ومعنى (خاس بك) أى غدر ، وكأنه ﷺ يقول لها : « أظننت أننى قد غدرت بك وذهبت إلى إحدى نسائى فى ليلتك ؟ »

المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم » .. رواه البيهقى وقال أنه مرسل جيد .

هذه الأحاديث وغيرها تعلى من شأن ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم ، وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها ، وصوم يومها ؛ طلبا لرحمة الله ومغفرته واستزادة من مرضاته ، واستقبالا لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه وأناب ، فإنه سبحانه يوفى الطائعين الصابرين الصائمين أجرهم بغير حساب ، وخير ما يعبد الله به فى هذه الليلة المباركة ؛ الصلاة وتلاوة القرآن والدعاء بما يفتح الله به على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ما علمنا الله إياه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله ﷺ فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة ، وبالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير ، وسائر أنواع الذكر ، وعلى صوم يومها كما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

هذا ولم يؤثر عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعاء خاص فى هذه الليلة ، ولعل الأولى : التأدب بأدب القرآن ، والتزام ما جاء فيه من أدعية جرت بها آياته ، وما أثر عن رسول الله ﷺ من جوامع الدعاء ، إذ بها تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتنغلق أبواب الشرور والآفات ، ومن أدب الدعاء : الإخلاص ، والإقبال على الله ، فادعوا الله مخلصين له الدين ، وأقبلوا على الله لا سيما فى مواسم الخير والبر ، يكن الله معكم .. بالحفظ والرعاية والتوفيق .

مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩)
وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ
ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) ﴾

قرىء يحسبن بياء الغيبة ، والفاعل على هذا هو الاسم الموصول وهو الذين كفروا ومفعول يحسبن الأول محذوف ، أى لا يحسب الظالمون أنفسهم أنهم سبقوا ؛ فجملة سبقوا هى المفعول الثانى ، وقرأ ابن مسعود « أنهم سبقوا » فعلى هذه القراءة تكون جملة « أنهم سبقوا » قد سدت مسد المفعولين .

والآية متصلة بالآية السابقة :

وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾ ، فهؤلاء هم الكافرون الخائنون ، والمعنى لا يحسب ولا يظن هؤلاء أنهم أفلتوا من عقوبة الله وفروا بفعلتهم ، فإنهم لا يعجزون الله ولا يستطيعون الفرار منه ، كما قالت الجن : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾ أي : لا نغلبه ولا نستطيع الفرار منه .. هذا فحوى الآية . وفى جميع تقديراتها وتوجيهاتها النحوية لا تخرج عنه .

ومن التقديرات التى قيلت : أن فاعل يحسبن محذوف ، والتقدير لا يحسبن أحد أن الذين كفروا سبقوا ، ولا يخلوا هذا التقدير من إقناط الكفار تيئيسهم من انتفاعهم بخيانتهم ، فسواء كان هذا الظن منهم أو من غيرهم ؛ فقطعه موئس لهم مثبط لعزائمهم على الكيد والخيانة . وهو أيضا تشجيع للنبى ﷺ وللمؤمنين ، وتثبيت لهم على عزيمة الجهاد ورجاء النصر أو تيقنه .

وقرئت الآية : ولا تَحْسبن .. بتاء الخطاب ، فالمخاطب بالحسبان ـ بادىء ذى بدء ـ هو النبى ﷺ نفسه ، وهو واضح جدا فى تثبيته ، وبث الأمل فى نفسه ، ويمكن أن يكون الخطاب لكل من يتأتى له الخطاب ، فيكون التقدير : لا يحسبن حاسب أيا كان .

وجملة : « إنهم لا يعجزون » جملة مستأنفة ، فهى توكيد لمضمون الجملة السابقة أى : لا يظنوا ذمك ، فهم لا يعجزون الله .

وقرئت الآية : « أنهم لا يعجزون » بفتح الهمزة ، فهى جملة تعليلية ، بتقدير : لأنهم لا يعجزون ، وحَذْف الجار مع أنَّ ، وأنَّ ، مطرد مألوف فى اللغة ، ومفعول « يعجـــزون » محذوف ، بمعنى لا يعجزون الله أو لا يعجزونك أو لا يعجزون أحدا .. وقرىء أيضا « يعجزون » بتشديد الجيم .

وفى كل الأوجه تبدو تسلية الرسول ﷺ ظاهرة فيمن فاته وأفلت منه من المشركين أو اليهود الذين خانوه ونقضوا عهده فى كل مرة وهم لا يتقون ، وبعض المفسرين قصر المعنى فى « ولا يحسبن الذين كفروا » على اليهود ؛ لما تكرر من خياناتهم .

وقد كان اليهود حين هجرة النبى ﷺ إلى المدينة : ثلاث طوائف هم : بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وحديثهم جميعا وموقف عبدالله بن أُبَى وحُيَّى بن أخطب لا أرى داعيا لذكره .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ .. ﴾

وهذا خطاب للنبى ﷺ ومن معه من المؤمنين ، أمر بإعداد كل ما يستطيعون من قوى لحرب هؤلاء الخوان الذين نقضوا العهد ، أو هو أمر بالاستعداد لقتال الكفار على الإطلاق .

و « القوة » : كل ما يتقوى به فى الحرب ، أطلق عليه اسم القوة ، من باب المبالغة ، لأنه مظهرها ، وقد خاض المسلمون الحرب يوم بدر بدون استعداد ؛ لأنهم كانوا يريدون الطائفة غير ذات الشوكة ، وهى القافلة العائدة من الشام بمتاجر قريش ، وقد كتب لهم النصر مع عدم استعدادهم وقلة أسلحتهم ، ولكن النصر من غير استعداد لا يتأتى فى كل حين . وما يتقوى به فى الحرب يشمل الأسلحة أيا كانت ، كما يشمل حسن التدبير ، وبث المكايد ، وتثبيط العدو ،

وتفريق جماعته وغير ذلك ، فكل ذلك مما يشمله لفظ القوة ، لأنه قاهر للأعداء ، وفسر بعض الصحابة القوة بما كان مألوفا فى عهدهم . فقال ابن عباس : هو أنواع الأسلحة ، وقال عكرمة :

هى الحصون والمعاقل ، وروى أنه فسرها بأنها ذكور الخيل ، وليس بذى قوة لأن الخيل ذكرت بعد ، وجاء عن رسول الله ﷺ : ألا إن القوة

الرمى ، قالها وهو يخطب فوق المنبر ثلاثا ، وظاهر أن القصر فيها إضافى ـ كما تقول : العبادة التهجد ، والحج عرفة ، وذلك لأن الرمى فى ذلك العهد كان أنجح الوسائل فى الحرب ، وقد حث عليه الرسول ﷺ ، وحث عليه عمر ، وجاء فى الحديث :

« كل شىء من لهو الدنيا باطل إلا ثلاثة : انتضالك بقوسك ، وتأديبك فرسك ، وملاعبتك أهلك ، فإنها من الحق .. » وجاء أيضا : « انتضلوا واركبوا ، وان تنتضلوا أحب إلى .. »

وإذا كانت هذه الأدوات هى البارزة فى آلات الحرب فى ذلك الوقت وقد نبه النبى عليها ، فإن علينا أن نستعد لكل حرب بما يناسبها ، وفى كل زمان بما يهيىء النصر . وفى العصور الحديثة لم يعد الرمى ذا جدوى ، فيوجد من الأسلحة الفتاكة المدمرة ، من القذائف والقنابل بأنواعها العديدة ما لا يغنى معه النبل ولا الرماح والسيوف ... وكلمة قوة تشمل كل ذلك وغيره ، وأمر النبى ﷺ بتعلم الرماية يشمل تعلم كل أداة .

وجاءت كلمة « قوة » منكرة ، فهى تشمل كل أنواع القوى ، وهذا ما يهيب بالمسلمين أن يأخذوا حذرهم ، وأن يعملوا على مجاراة ركب القوى ، حتى لا يصبيروا أذنابا وأتباعا ، ويكون موقفهم موقف الخائف المتهيب الذى لا يجرؤ على الحرب والدفاع .

ولم يكن المسلمون فى موقف ما أضعف مما هم عليه الآن ، وقد تكالبت عليهم الدول وتداعى الأعداء فى كل مكان ، وهم لا يملكون ما يدفعون به عدوا أو يردون به كيداً . وقد فرط المسلمون فى هذا الاستعداد من قبل ، ففرطوا فى تعاليم الإسلام وأوامر القرآن ، ولا بأس بعد ذلك من رحمة الله .

أما « رِبَاطُ الخَيْلِ » ففسره الزمخشرى بأنه الخيل تربط فى سبيل الله استعدادا للقتال ـ فالرباط إذن بمعنى مربوط أو هو مصدر ـ يقال : ربط الشىء رَبْطا ورباطا ، ورابط ربطا ورباطا . ومرابطة ، والرباط التأهب وترقب مجىء العدو وبه فسر قول الله تعالى : ﴿ **اصبروا وصابروا ورابطوا** ﴾ ـ وقيل : إن الرباط لفظ مشترك بين معانى : الخيل وانتظار الصلاة بعد الصلاة . والإقامة على جهاد العدو بالحرب ، ومصدر رابطت بمعنى لازمت .. وجاء فى الحديث الثناء على إسباغ الوضوء على المكاره ، والمشى إلى المساجد فى الظلمات . وانتظار الصلاة بعد الصلاة . وختم الحديث بجملة « فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » قيل : المراد بذلك هو انتظار الصلاة بعد الصلاة ، لأن المصلى المترقب لمجىء الصلاة كى يؤديها ، كالمحارب الذى يترقب هجوم العدو كى يرده . وقيل : المراد بالرباط هذه الأشياء الثلاثة ، وهو بعيد ، ومهما يكن من أمر فالكلام هنا على التشبيه ، أى : ذلكم ما يستحق أن يسمى رباطا ، لأنه نوع من الجهاد ، جهاد النفس وجهاد الشَّيطان ، وهو خليق أن يسمى رباطا .

ومن العباد من يصر على الصلاة فى المسجد ، والسعى إليه فى صلوات الصبح والعتمة . وقد رغب النبى ﷺ فى الصلاة فى المسجد ، ولما أراد بنو سلمة أن ينقلوا بيوتهم إلى مكان قريب من المسجد ـ وكانوا يسكنون بعيدا عنه ـ قال لهم النبى ﷺ : مكانكم بنى سلمة تكتب لكم خطواتكم على الطريق .. فالسعى إلى المسجد وترقب الصلاة بعد الصلاة خليق أن يسمى رباطا ، وأن يشبه ذووه بالمقيمين على الحدود لدفع الأعداء .

ويجوز فى « رباط الخيل » أن تكون جمعا لربيط بمعنى مربوط ـ كما يقال : فصيل وفصال وقيل : مفرده رَبْطٌ . بوزن كعب وكعاب وبحر وبحار ـ وقرأ الحسن : « ومن رُبُـط » بضم البـاء وبسكونها . والمعنى واحد فى الجميع .

و « ترهبون به عدو الله وعدوكم » . أى : تخوفون ، والرهبة هى الخوف الشديد ، وقرئ « تُرَهِّبُونَ » بتشديد عينه ، وهى صيغة تفيد المبالغة ، وقرأ ابن عباس ومجاهد « تخزون به » .. والخزى قد يكون بسبب الهزيمة أو بسبب الخوف والتراجع ، والضمير فى « به » عائـد لما فى « ما استطعتم » .. أو للإعداد المفهم من الأمر بأعدوا أو لما ذكر من القوة ومن رباط الخيل معا .

ومحصل الآية أن كونوا على استعداد لإرهاب أعدائكم حتى لا يطمعوا فيكم أو يتجرأوا عليكم ، وليكن لديكم ما يمكنكم من دفعهم والانتصار عليهم .

و « عدو الله » أعداء الله ، الذين يخرجون عن أوامره ويحاربون دينه ، وعدو كضيف يستعمل للمفرد وللجمع ، وأعداء الله أعداء للمسلمين وللإسلام .

و « عَدُوَّكم » أى الذين يناصبونكم العداء ، ويتربصون بكم دوائر السوء ، وهذا ينطبق على أعداء الإسلام والمسلمين فى كل زمان وكل مكان ، وفى عهد النبوة كان الأعداء هم مشركو مكة ، ومنافقو المدينـة من اليهود ، وكان المشركون يشنون الحرب على المسلمين بين حين وحين ، وعداوتهم سافرة لاخفاء فيها ، وكان اليهود كلما سنحت فرصة لنقض عهدهم مع النبى ﷺ نقضوه .. فهؤلاء جميعاً أعداء ظاهرو العداوة .

« وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ » .

أى : « وأعداء آخرين لا تعلمونهم ، فإذا فسرنا « عدو الله وعدوكم » بكفـار قريش واليهود ، فهؤلاء الآخرون غيرهم . وقد يكونون أعراب البادية من غطفار ومن معهم وقيل : هم أهل فارس والروم ، وكلمة « الله يعلمهم » قد تفيد الاختصاص بمعنى أنه وحده هو الذى يعلمهم .. وقد يكون ذلك شيئا فى هذا الوقت ثم عرفوا بعد ذلك ، والعلم هنا بمعنى المعرفة ، فلا يحتاج إلى مفعولين .

﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ .

حث وترغيب فى الإعداد السابق ، فإعداد آلات الحرب وإعداد الخيل لابد له من إنفاق مال وجهد . فهذا الإنفاق فى سبيل الله ، وسبيل الله يشمل كل أنواع الخير وأبواب البر ، ولكن يندرج فيه الإعداد السابق اندراجا أوليا . وهو إنفاق ليس بضائع ولا منقوص الأجر ، ولكن جزاءه يؤدى إلى أصحابه وافيا ، لا يظلمون فى وفائه شيئا .

والله أعلم .

قبس من أنوار النبوة

أحب الأعمال إلى الله أدومها

بقلم فضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها كانت تقول :

قال رسول الله ﷺ : «سددوا ، وقاربوا ، وأبشروا ، فإنه لن يُدخِل الجنة أحدا عَمَلُه ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدنى الله منه برحمة . واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلّ»

رواه البخارى ومسلم والنسائى

١ ـ سددوا : من التسديد ، وهو طلب القصد والعدل بين الإفراط والتفريط .
٢ ـ قاربوا : من المقاربة ، وهى عدم المبالغة ، فإن إجهاد النفس يؤدى إلى الترك .
٣ ـ وأبشروا : من التبشير ، وهو إدخال السرور .
٤ ـ يتغمده بالرحمة : يعمه بها ، ويلبسه إياها ، أى : بالتوفيق للعمل الصالح .

عندما تحدثنا عن الحديث الذى رواه الإمام أحمد : أن رجلا جاء فدخل الإسلام فكان رسول الله ﷺ يعلمه الإسلام وهو فى مسيره ، فدخل خف بعيره فى حجر يربوع ـ فأر ـ فوقصه بعيره وألقى به فدق عنقه ، فمات .. فقال رسول الله ﷺ عَمِلَ قليلا وأُجِرَ كثيرا .. أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

عندما تكلمنا فى هذا ، قال بعض المسلمين : إن معنى ذلك أن من قال : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مرة واحدة فى عمره دخل الجنة ، ولقد غاب عن المتكلم أن هذا الصحابى مات عقب إسلامه ولو عاش لَعَمِل لكنه الأجل ، ويمكننا القول : بأن الإيمان ما ثبت فى النفس ، وملك عليها حواسها . بل هو تصديق بالقلب يتمكن من جنان صاحبه بأن للعالم إلها واحدا لا شريك له ، يدبر الأمر ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه يعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخلق والأمر وهو على كل شىء قدير ، وأنه متصف بكل كمال .

ثم عمل بالأركان ، وتزود من الصالحات التى تغذى هذا الإيمان ، ويزيد فى نمائه بامتثال الأوامر واجتناب النواهى ، يؤثر مرضاة الله على مرضاة

الناس ، يبغض الذل والاستعباد ؛ لأنه تعلم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، إن كان غنيا بذل من ماله فى سبيل دينه ، وإن كان قويا بذل من قوته دفاعا عن دينه ووطنه ، وإن كان عالما نشر من علمه بين الناس ، وإن كان ذا حرفةٍ سخَّر موهبته لرقى أمته ونفع بلاده والناس أجمعين .

إذا شع نور الإيمان فى القلب أثر على أعضاء الجسم كله ، فالعين لا تنظر إلى حرام ، والرِّجل لا تمشى إلى ما نهى عنه الله ـ سبحانه ، والفرج محفوظ إلا مما أحله الله ، والبطن لا يأكل حراما ، والعقل لا يفكر فى حرام ، فالجوارح كلها لله خاشعة ، ولأمره طائعة . فليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

فالإيمان لابد أن يقترن بالعمل ؛ لأن العمل ثمرته وبرهانه ، ومجالاته متعددة قال ﷺ فى حديث متفق عليه بين البخارى ومسلم : الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة أعلاها قول : « لا إله الا الله » وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان .

وهكذا نرى أن الإيمان يشمل عقائد القلب وأعماله ، وأعمال الجوارح ، وأقوال اللسان . فكل مايقرب إلى الله ، ومايحبه ويرضاه من الواجب والمستحب داخل فى الإيمان ، جميع شعب الإيمان ترجع إلى الإخلاص للمعبود الحق ، وترجع إلى الإحسان إلى الخلق .

وقد وصف الله ـ تبارك وتعالى ـ الإيمان بالشجرة الطيبة فى أصلها وثمراتها التى أصلها ثابت وفروعها باسقة فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون .

وأحب الأعمال إلى الله ـ تعالى ـ ماداوم عليه صاحبه وفرائض الإسلام فرضت على الدوام باستثناء الحج ، فإنه فرض فى العمر مرة ؛ درءا للمشقة عن الأمة ، وتيسيرا عليها كما قال ـ تعالى ـ فى الحديث القدسى : « ... وما تقرب عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه .. » أخرجه البخارى .

وإن من هدى النبى ﷺ المداومة على الأعمال الصالحة ، فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملا أثبته ، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة » رواه مسلم .

« وكان نومه صدقة عليه » أخرجه النسائى .

وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فيما رواه مسلم ، والإمام أحمد يبلغ عن النبى ﷺ أنه قال : « من فاته شىء من ورده أو قال من جزئه من الليل فقرأه ما بين صلاة الفجر إلى الظهر فكأنما قرأ ، من ليلِهِ » .

وللمداومة على عمل الصالحات آثار أهمها : اتصال القلب بخالقه مما يعطيه قوة وثباتا ، كما تروض النفس على لزوم الخيرات حتى تسهل عليها فلا تكاد تنفك عنها رغبة فيها ؛ لأن النفس ـ كما قيل ـ : إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية .

كما قال ـ عز من قائل : ﴿ وَالَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾

العنكبوت ٦٩

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾

سورة ابراهيم ٢٧

ومما يعين على عمل الصالحات القصد وعدم التشديد على النفس ، فإن ذلك أدعى للمداومة وأضمن لها . حتى لا تركن إلى الراحة والدعة ، وحتى لا ينقطع العمل الصالح ـ قال رسول الله ﷺ : « خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا » متفق عليه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ـ فيما رواه البخارى ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الدين يُسْرٌ ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » .. والمؤمن إذا كان كذلك سدد الله خطاه ورعاه ، ووفقه لما يسعده فى دنياه وأُخراه .

من ظن أن الإيمان كلمة التوحيد بدون عمل فقد خانه التوفيق ، وابتعد عن أقوم الطريق .

فـ « ما أقل حياء من يطمع فى جنة الله ـ تعالى ـ بغير عمل ، وكيف يجود الله برحمته على من بخل بطاعته .

اللهم نوِّر قلوبنا بالإيمان ، ووفقنا لطاعتك يا أرحم الراحمين .

القرآن الكريم والبحر

أ. د. محمد محمد زيتون(*)

فى الجزء الأول من هذه الدراسة حاولنا إلقاء الضوء على الآيات القرآنية التى تتحدث عن البحر (اقتصاديا) ، ونستكمل فى هذا الجزء الحديث عن بيان مدى اهتمام القرآن الكريم بتوجيه أنظار المسلمين إلى الاهتمام بالبحر وإدراك أسراره .

(ب) آيات تحث على استكشاف أسرار البحر وما فيه بما يفيد الإنسان ويوجهه إلى البحث فى علوم الفلك وغيرها وهى ست آيات :

١ ـ ففى سورة الأنعام (آية ٥٩) يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾

ويذكر القرطبى : أن الله خص البر والبحر لذكر لأنهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر ، أى : يعلم ما يهلك فى البر والبحر ، فيعلم ما فى البر من النبات والحب والنوى ، وما فى البحر من الدواب ورزق ما فيها ، ويروى ابن عمر أن النبى ـ ﷺ ـ قال : « ما من زرع على الأرض ولا ثمار على الأشجار ولا حبة فى ظلمات الأرض إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان ابن فلان فى قوله تعالى فى محكم كتابه :

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (١)

٢ ـ وفى سورة الأنعام أيضا (آية ٩٧) قول الله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

يوجه القرآن الإنسان إلى البحث فى علم الفلك الذى يتعلق بالأجرام السماوية ؛ لأن ذلك

---

* الباحث : رئيس قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ القاهرة ، وقد حذفت بعض أجزاء هذا المبحث نظراً لضغط المادة المقالية على مساحة المجلة .

(١) القرطبى الجامع لأحكام القرآن ص ١ .

يفيده عندما يكون فى خضم البحر وظلماته ، فيدرك أين مكانه من الكرة الأرضية ، وللنجوم جملة منافع قال ـ عنها بعض السلف : من اعتقد فى هذه النجوم غير ثلاثة فقط أخطأ وكذب على الله سبحانه : ان الله جعلها زينة للسماء ، ورجوما للشياطين ، ويهتدى بها فى ظلمات البر والبحر .

والاهتداء بالنجوم يحتاج إلى علم ، ولذلك فإن التعقيب (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون)[٢] ففيها حث للإنسان على إدراك علم الفلك والتعمق فيه والانتفاع به .

٣ ـ وفى سورة طه (الآيات ٧٧ ـ ٧٩) يقول الله تعالى :

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ لقد ضرب موسى البحر فانفلق ، فكان كل فرق كالطود العظيم أى الجبل العظيم ؛ فأرسل الله الريح على أرض البحر فلفحته حتى صار يابسا كوجه الأرض لا تخاف دركا من فرعون ، ولا تخشى من البحر أن يغرق قومك[٣] .

٤ ـ وفى (سورة الشعراء آية ٦٣) يقول الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

ويذكر الطبرى أن موسى عندما ضرب البحر بعصاه انفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، كالجبل العظيم ، وكانوا اثنى عشر سبطا ، وكانت الطرق بجدران فقال كل سبط قتل اصحابنا فجعلت كوى يرى كل منهم الآخر[٤]

كل هذه الآيات تحث الإنسان على اكتشاف أسرار البحر ، والوصول إلى العلوم ـ فى غير ماهو معجزة ـ التى تساعد على ذلك .

(جـ) آيات تذكر البحر بالنسبة لنبى الله موسى ـ عليه السلام ـ وأم موسى وبنى إسرائيل وفرعون وأهل مصر ، فهى تبين حوادث تاريخية . وهى ثلاث عشرة آية .

١ ـ ففى سورة البقرة (آية ٥٠) يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ .

يذكر الله ـ تعالى ـ بنى إسرائيل بنعمه عندما فرق لهم البحر ، فنجى موسى وقومه ، وأنزل العقاب ، وقد رأى بنو إسرائيل ذلك بعيونهم وشاهدوا فرعون وقومه وهم يغرقون .

ويورد الألوسى أنه اختلف فى البحر الذى فرق لموسى وقومه فقيل : القلزم ، وكان بين طرفيه أربعة فراسخ ، وقيل : النيل . والمشهور فى الانفلاق أنه كان خطياً ، وفى بعض الآثار ما يقتضى كونه قوسيا إذ فيه أن الخروج من الجانب الذى دخلوا منه[٥]

٢ ـ وتأتى آية سورة يونس (رقم ٩٠) فتذكر الإغراق فى البحر أيضا . يقول الله ـ تعالى :

---

(٢) ابن كثير تفسير القرآن العظيم حـ ٢ ص ١٥٨ .
(٣) ابن كثير تفسير القرآن العظيم حـ ٣ ص ٣٣٦ .
(٤) الطبرى جامع البيان حـ ١٦ ص ٤٦ .
(٥) الألوسى روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم حـ ١ ص ٢٥٥ .

﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ .

٣ ــ سورة الأعراف (آية ١٣٦) يقول الله تعالى :

فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ

٤ ــ وفى سورة طه (آية ٧٨) يقول الله تعالى :

﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾

٥ ــ وفى سورة القصص (آية ٤٠) يقول الله ــ تعالى :

فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ

٦ ــ وفى سورة الذاريات (آية ٤٠) يقول الله ــ تعالى :

﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴾ .

٧ ــ وفى سورة طه (آية ٣٨ ، ٣٩) يقول الله ــ تعالى :

إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ

٨ ــ وفى سورة القصص : (آية : ٧) يقول الله ــ تعالى :

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ .

ثم يتحدث القرآن عن تصرف بنى إسرائيل بعد أن اجتازوا البحر ، كيف أنهم لم يعتبروا بمعجزة إنقاذهم .

٩ ــ ففى سورة الأعراف (آية ١٣٨) يقول الله ــ تعالى : وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ

بين الله تعالى ما قاله جهلة بنى إسرائيل لموسى عليه السلام حين جاوزوا البحر ، وقد رأوا من آيات الله وعظيم سلطانه ما رأوا ، فلا يكادون يمرون بقوم مستغرقين فى عبادة أصنام لهم حتى ينسوا الله الواحد الذى قهر عدوهم ، وأنقذهم من الذل والعار ، وكان عدوهم ذاك وثنيا فاستذلهم ثم ينسون ذلك ويطلبون من نبيهم الذى جاءهم من الله الواحد أن يتخذ لهم بنفسه آلهة ،

ولو أنهم اتخذوا بأنفسهم آلهة لكان الأمر أقل غرابة من أن يطلبوا ذلك من الرسول الذى جاءهم من عند الله .

١٠ ـ وفى سورة الأعراف أيضا (آية ١٦٣) يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾

يشير القرآن عما كان يحدث لليهود من صيد البحر ، وما كان يحدث لهم من ابتلاء الله لهم بسبب فسقهم ، أى أن الله يختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء فى اليوم المحرم عليهم صيده ، وإخفائه عنهم فى اليوم الذى أحلَّ الله لهم .

وفى سورة الكهف ثلاث آيات تتحدث عن موسى والحوت والبحر والبحرين .

١١ ـ ففى سورة الكهف (آية ٦٠) يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ .

والمقصود بموسى : موسى بن عمران ، وفتاه : هو يوشع ، ومجمع البحرين بحر فارس وبحر الروم . قال محمد بن كعب : مجمع البحرين طنجة .

١٢ ـ وفى سورة الكهف آية ٦١ يقول الله تعالى :

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا

١٣ ـ وفى سورة الكهف آية ٦٣ يقول الله تعالى :

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ .

(د) آيات وعظية سلوكية وتربوية توجه الإنسان إلى توثيق صلته بالله وتشير إلى نعم الله على الإنسان وتكريمه وهى خمس عشرة آية :

١ ـ فى سورة الأنعام آية (٦٣ ، ٦٤) يقول الله ـ تعالى :

قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ

يوجه القرآن الإنسان إلى توثيق صلته بالله سبحانه وتعالى ـ فمع التقدم العلمى والتكنولوجى هناك المخاطر الكبيرة التى تحدث من البحر ، فلابد أن يكون هناك ارتباط بخالق الكون نفسه .

والمراد بالظلمات : ظلمة البر وظلمة البحر وظلمة الليل وظلمة الغيم . أى إذا أخطأتم الطريق وخفتم الهلاك ودعوتموه . وقيل : ظلمة البر بالخسف فيه وظلمة البحر بالغرق فيه .

٢ ـ وفى سورة يونس آية (٢٢، ٢٣) يقول الله ـ تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

يوجه الله فى القرآن الإنسان إلى آياته المبثوثة فى الكون ، وأنه يحفظه ويكلؤه ويرعاه ، ويبين قدرته التى تتجلى فى كثير من مظاهر الطبيعة .

٣ ـ وفى سورة الإسراء يقول الله تعالى :

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ .

ومما تبينه هذه الآيات أن الإنسان إذا أصابه ضر فى البحر من الشدة والجهد لجأ إلى الله ، وأعرض عن كل ما عدا الله ، ولكنه بعد نجاحه من هذه الشدة يعود إلى غيه وبغيه وكفره .

على أن هذا الإنكار والجحود لفضل الله لا يمنع أن يقدر الله ـ تعالى ـ رجوعهم إلى البحر مرة أخرى فيرسل الله عليهم الريح العاصف فيغرقهم فى البحر بكفرهم ثم لا يجدون لهم ناصرا ولا تابعا ينجيهم مما حل بهم .

٤ ـ وفى سورة الكهف (آية ١٠٩) يقول الله ـ تعالى :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ .

٥ ـ وفى سورة لقمان (آية ٢٧) يقول الله تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

قال ابن كثير : يخبر الله ـ تعالى ـ عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التى لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها ، قال سيد البشر : (ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وجعلت السبعة أبحر على وجه المبالغة لا الحصر[٦] .

٦ ـ وفى سورة النور (آية ٤٠) يقول الله تعالى :

(٦) ابن كثير تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٤٥١ ، ٤٥٢ .

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾

يوجه القرآن الإنسان إلى أن أعمال الكفار السيئة مظلمة شديدة الظلمة مثل البحر العميق يغشاه موج من فوقه موج ، سحاب غائم فهى ظلمات بعضها فوق بعض تجمع : ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثانى وظلمة السحاب إذا أخرج الفرد يده لم يقارب من رؤيتها من شدة الظلام .

ثم تأتى ثلاث آيات تذكرٌ بفضل الله على الإنسان - وهو فى البحر .

٧ - فى سورة النمل (آية ٦٣) يقول الله تعالى :

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

٨ - وفى سورة لقمان (آية ٣١) يقول الله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

٩ - وفى سورة الشورى آيات (٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤) يقول الله - تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ .

١٠ - وفى سورة الروم آية ٤١ يقول الله - تعالى :

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ

ويقول ابن كثير : « المراد بالفساد النقص فى الزروع والثمار بسبب المعاصى وكلما أقيم العدل كثرت البركات والخيرات[٢] .

ثم يتحدث القرآن عن التقاء البحرين العذب والملح فى ثلاث آيات :

١١ - فى سورة الفرقان (آية ٥٣) يقول الله - تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ .

١٢ - وفى سورة النمل (آية ٦١) يقول الله تعالى :

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

١٣ ـ وفى سورة الرحمن (آية ١٩ ، ٢٠) يقول الله ـ تعالى :

﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ .

١٤ ـ وفى سورة التكوير (آية ٦) يقول الله تعالى :

﴿ .وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ، ﴾ .

١٥ ـ وفى سورة الانفطار (آية ٣) يقول الله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ .

الآيتان تتحدثان عن بداية يوم القيامة وما يحدث فيه ، وهما تتحدثان عما يحدث للبحر فى ذلك اليوم سواء كان عذبا أو مالحا .

هذا هو التوجيه القرآنى للمسلمين بالنسبة للبحر ، ومحاولة الاستفادة منه ، والبحث عن خيراته ، وما أودعه الله فيه ، والاستفادة من ذلك لصالح الإنسان فى كل المجالات .

تحويل القبلة

من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة

د / محمد عبد المتجلى خليفة

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ . سورة البقرة

روى البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت ، وكانت أول صلاة صلاها : صلاة العصر ، وصلى معه قوم ؛ فخرج رجل ممن صلى معه ؛ فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة . فداروا كما هم قبل البيت وكان اليهود وأهل الكتاب قد أعجبهم إذ كان يصلى قبل بيت المقدس ، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك .

وكان الذى مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت ؛ رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ وفى بعض روايات البخارى ورود هذا الحديث فى باب قول الله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ .

ورووا عن عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما : بينما الناس يصلون الصبح فى مسجد قباء إذ جاءهم جار : فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، ألا فاستقبلوها ، وكان وجه الناس إلى الشام ، فاستداروا كهيئتهم إلى جهة الكعبة .

وروى مسلم فى صحيحه عن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يصلى نحو بيت المقدس ؛ فنزلت :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ فمر رجل من بنى سلمة وهم ركوع فى صلاة الفجر ؛ فنادى ألا إن القبلة قد حولت . فمالوا كما هم نحو القبلة .

كان النبى ﷺ وهو بمكة يتوجه فى صلاته إلى بيت المقدس ويجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس حيث كان ﷺ يصلى بين الركنين اليمانيين وهما : الركن اليمانى ، وركن الحجر الأسود ، فكان ﷺ لا يستدبر الكعبة بل يجعلها بينه وبين بيت المقدس وقد صحح هذا القول : الحاكم وغيره من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عنه أيضا : كان النبى ﷺ يصلى بمكة والكعبة بين يديه .

وبذلك كان لا يظهر أن النبى ﷺ متوجه لغير الكعبة إذ كان يستقبل القبلتين : الكعبة وبيت المقدس فى وقت واحد .

فلما هاجر إلى المدينة وهى تقع جغرافيا شمال مكة ، وبيت المقدس يقع شمالى المدينة ومكة ، فلما استقر به المقام فى المدينة المنورة جعل يتوجه فى صلاته إلى بيت المقدس ، مثلما كان بمكة ، ولكن الكعبة فى هذه الحالة كانت وراء ظهره ، وبيت المقدس أمامه فظهر الاتجاه لغير الكعبة ، أما نزول النبى ﷺ على أجداده أو أخواله بالمدينة ــ كما جاء فى الحديث ــ فالمراد بهم الأنصار لأنهم أقاربه من جهة الأمومة ؛ لأن أم جده عبدالمطلب منهم ، وهى : سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار « وإنما نزل ﷺ بالمدينة على إخوتهم بنى مالك بن النجار » ففيه مجاز ، ثم إنه لما هاجر عليه الصلاة والسلام ، أمر أن يستمر على الصلاة لبيت المقدس وكان ــ عليه الصلاة والسلام ــ يحب أن يوجه الى الكعبة .

ويؤيد ذلك ما أخرجه محمد بن جرير الطبرى وغيره من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة ــ واليهود أكثر أهلها ــ يستقبلون بيت المقدس أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها سبعة عشر شهراً . وكان رسول الله ﷺ يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم ــ عليه السلام ــ فكان يدعو وينظر إلى السماء فنزلت الآية : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ فارتاب اليهود وقالوا : (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) فأنزل الله وتعالى : ﴿ **ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ . ولكن اليهود دائماً فى عناد وتقلب لا يقرون على حال ولا يثبتون على رأى .

فقد روى الطبرى من طريق مجاهد قال : إنما كان النبى ﷺ يحب أن يتحول إلى الكعبة لأن اليهود قالوا : يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا . فنزلت الآية السابقة .

كما أخرج الطبرى رواية ثالثة من طريق أبى العالية أن النبى ﷺ صلى إلى بيت المقدس يتألف اليهود . وهذا الرأى لا ينفى أن يكون توجه النبى ﷺ إلى بيت المقدس فى المدينة بوحى من الله تعالى .

وكانت المدة التى كانت قبلة الصلاة فيها بيت المقدس بفلسطين : ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، كما جاء فى رواية البراء بن عازب ــ رضى الله تعالى عنه ــ فى الصحيحين وغيرهما ، وذلك ليجمع الله ــ عز وجل ــ لحبيبة بين القبلتين وقد عدّ ذلك من خصوصياته ﷺ دون الأنبياء والمرسلين .

وقد وقع فى حديث تحويل القبلة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وهو شك من أحد الرواة .

وفى صحيح أبى عوانة : أن المدة كانت ستة عشر شهراً من غير شك ، وكذا فى رواية لمسلم فى صحيحه ، كما رواه النسائى ، وأحمد فى مسنده : ستة عشر شهراً بسند صحيح .

وروى الطبرانى والبزار : سبعة عشر شهراً .

والجمع بين الروايات سهل ، كما يتبين فيما بعد .

الآراء فى تحويل القبلة

الرأى الأول : كان قدوم النبى ﷺ المدينة فى شهر ربيع الأول باتفاق المؤرخين ، وكان التحويل فى نصف رجب من السنة الثانية للهجرة على ماقاله الجمهور ، وصححه ابن حجر العسقلانى فى شرحه على البخارى .

كما رواه الحاكم ـ بسند صحيح ـ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

ويؤيده ماروه الإمام مالك ـ رضى الله تعالى ـ عنه فى الموطأ : عن سعيد بن المسيب مرسلا ، ووصله محمد بن خالد بن عتبة عن أبى هريرة كما جاء معناه مسندا من حيث البراء ، وغيره .

صلى رسول الله ﷺ بعد أن قدم المدينة نحو بيت المقدس ثم حولت القبلة قبل غزوة بدر بشهرين ؛ وذلك أن غزوة بدر كانت فى رمضان ، والتحويل وقع فى نصف رجب من السنة الثانية للهجرة ، وعلى قول الجمهور : بأن التحويل كان فى نصف شهر رجب ؛ وأن التوجه كان إلى بيت المقدس استمر ستة عشر شهراً يكون المحسوب توجهاً لبيت المقدس بقية شهر ربيع الأول بعد الهجرة والنصف الأول من شهر رجب قبل التحويل ، فهنا خمسة عشر شهراً كاملة وهى من ربيع الآخر إلى آخر جمادى الآخرة من السنة الثانية ، ثم ضم بقية شهر ربيع الأول إلى الأيام الأولى من شهر رجب مع إلغاء الأيام الزائدة فصار ذلك شهراً كاملا ضم إلى الخمسة عشر شهراً ، فأصبحت ستة عشر شهراً .

أما على رواية الجزم بأن المدة كانت سبعة عشر شهراً ؛ فإن القائل بها عد شهرى الهجرة والتحويل وأضافهما إلى الخمسة عشر فأصبح الجميع سبعة عشر شهراً .

أما على رواية الشك ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ؛ فإن الذى رواها على الشك تردد فى الرأيين السابقين هل يكملن شهرى القدوم والتحويل شهراً واحداً أم يعدهما معاً ؟

ولذلك قال ابن حبان : كانت مدة التوجه إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام ، أى لأن الباقى من شهر الهجرة ثمانية عشر يوماً ، والتحويل فى منتصف شهر رجب .

فإذا أخذنا نصف شهر رجب وماتبقى من شهر ربيع الأول ؛ كان المجموع ثلاثة وثلاثين يوماً فهذه الأيام الثلاثة هى الزيادة .

فقد عدَّ ابن حبان شهرى الهجرة والتحويل وأضاف لهما ثلاثة أيام .

الرأى الثانى : أن تحويل القبلة إلى الكعبة كان فى نصف شهر شعبان ، وهو قول محمد بن حبيب الهاشمى ، وهو الذى ذكره النووى فى كتاب الروضة وأقره .

قال ابن حجر : ولا يستقيم أن يكون ذلك فى شعبان إلا أن ألغى شهرى القدوم والتحويل ، أى

وتقدير ذلك أن تكون هناك سنة كاملة بانتهاء شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة ، وبعده شهور ربيع الآخر وجمادى وجمادى ورجب فهذه أربعة أشهر تضاف إلى الاثنى عشر شهراً ماعدا شهر القدوم يصير المجموع ستة عشر شهراً خلاف شهر التحويل وهو شعبان .

ولعل هذا القول هو مستند غالب المسلمين اليوم فى اهتمامهم بليلة النصف من شعبان ويومها فرحاً بتكريم الله عز وجل لحبيبه ؛ بأن حقق له ما يحبه وهو جعل قبلته إلى المسجد الحرام بمكة .

الرأى الثالث : جزم موسى بن عقبة بأن التحويل كان فى جمادى الآخرة .

كما نقله عنه ابن حجر وغيره .

وعلى هذا القول يكون قد حسب شهرى القدوم والتحويل فقد حسب شهر ربيع الأول من السنة الأولى ومعه ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة وهو الشهر الذى حدث فيه التحويل .

وأغلب هذه الآراء مبنى على رواية ستة عشر شهراً بالجزم ، وهى الرواية التى رجحها الإمام النووى لكونها مجزوماً بها عند مسلم .

فالأقوال الثلاثة : كان التحويل فى جمادى الآخرة ، كان فى رجب ، كان فى شعبان .

الصلاة إلى القبلتين

ثانيا : اختلفت الروايات فى الصلاة التى تحولت القبلة عندها ، وكذا المسجد الذى تحولت عنده .

الرواية الأولى : أن أول صلاة صلاها النبى ﷺ متوجهاً إلى الكعبة صلاة العصر ، وهى رواية البخارى وفيها : أول صلاة صلاها صلاة العصر .

وقال القرطبى مؤيداً ذلك الرأى : وكانت أول صلاة إلى الكعبة العصر ، وأن آية التحويل نزلت فى غير صلاة وهو الأكثر .

الرواية الثانية : أنها صلاة الظهر ، جاء فى تفسير ابن أبى حاتم ، وفى التمهيد لأبى عمر بن عبدالبر من طريق تويلة بنت أسلم ــ وكانت من المبايعات ــ قالت : كنا فى صلاة الظهر فى مسجد بنى حارثة فاستقبلنا مسجد إيليا فصلينا سجدتين ــ أى ركعتين ــ ثم جاءنا من يخبرنا أن النبى ﷺ قد استقبل البيت الحرام . فتحول الرجال مكان النساء ، وتحول النساء مكان الرجال . وتصوير ذلك أن الإمام تحول من مكانه إلى مؤخر المسجد ، لأن من استقبل القبلة استدبر بيت المقدس وهو لو دار كما هو فى مكانه لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف ، ولما تحول الإمام تحولت الرجال .

قال ابن حجر فى الفتح : والتحقيق أن أول صلاة صلاها فى بنى سلمة لما مات بشر بن البراء ابن معرور هى الظهر ، حيث صنعت له ﷺ طعاماً وحانت الظهر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ثم أمر فاستدار إلى الكعبة ، واستقبل الميزاب فسمى مسجد القبلتين قال ابن سعد قال الواقدى هذا أثبت عندنا .

وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر .

وأول صلاة صلاها أهل قباء إلى المسجد الحرام كانت الصبح كما روى ذلك الامام مالك فى ألموطأ ومسلم فى صحيحه عن عبدالله بن عمر أنه قال : بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آن فقال : ان رسول الله ــ ﷺ ــ قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة .

قال ابن حجر وهذا لا يخالف حديث البراء فى الصحيحين أنهم كانوا فى صلاة العصر لأن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة وذلك فى حديث البراء والآتى إليهم بذلك حباء بن بشر كما رواه ابن منده وغيره .

ووصل الخبر وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة وهم بنو عمرو بن هوف أهل قباء وذلك فى حديث ابن عمر فلا منافاة بين الحديثين .

وفى الأحاديث السابقة قبول خبر الواحد ووجوب العمل به لأن الذى أخبر بنى حارثة هو عباد بن بشر وفى صحيح مسلم ما يعتبر أنه هو الذى أخبر أهل قباء لأنه قال فى روايته : فمر رجل من بنى سلمة وهم ركوع .

وذكر شراح الموطأ نقل ابن طاهر وغيره أن الآتى لأهل قباء أيضاً عباد بن بشر .

ثم قالوا : يحتمل أن عباداً آتى بنى حارثة أولا فى صلاة العصر ثم آتى إلى أهل قباء فأعلمهم بذلك فى صلاة الصبح .

هذا ، ولما تحولت القبلة إلى الكعبة كانت مثار فتنة لضعاف الإيمان ، ومدعاة لأقاويل الكفار ، وقد أخبر الله تعالى نبيه ﷺ بذلك قبل وقوعه معجزة لحبيبه ﷺ فقال :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ .

وقد كان ما أخبر الله تعالى به ، فلما حولت القبلة ؛ انقلب بعض ضعاف الإيمان راجعين إلى الكفر ، ــ والعياذ بالله ــ شكاً فى الدين وظناً أن النبى ﷺ فى حيرة من أمره ، فارتدوا لذلك .

ثم جاء دور السفهاء ، والسفهاء : جمع سفيه ، وهو خفيف العقل والمراد بهم ثلاثة طوائف الطائفة الأولى : اليهود .

روى ذلك الطبرى بأسانيد صحيحة عن ابن عباس والبراء بن عازب ومجاهد ــ رضى الله عنهما .

الطائفة الثانية : المنافقون ، روى ذلك من طريق السدى .

الطائفة الثالثة : الكفار من قريش وغيرها .

أما الكفار فقالوا لما حولت القبلة : رجع محمد إلى قبلتنا ، وسيرجع إلى ديننا فإنه علم أنَّا على الحق . وأما أهل النفاق فقالوا : إن كان أولا على الحق فالذى انتقل إليه باطل ، وإن كان الآن على الحق فالذى كان عليه باطل .

وأما اليهود فقالوا : خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبياً لما خالف .

ثم لما شك المسلمون فيمن مات على قبلة بيت المقدس قبل أن تحول إلى الكعبة كما ورد ذلك فى الصحيحين ، حيث قالوا لم ندر ، ما نقول فيهم . فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ أى صلاتكم إلى بيت المقدس .

ولما كان أمر التوجه إلى الكعبة فى الصلاة عظيما ــ وتتوقف صحة الصلاة على ذلك ، وكان أعداء النبى ﷺ ثلاث طوائف ، وهم : اليهود والمنافقون والكفار ــ ذكر الله تعالى الأمر بالتوجه إلى الكعبة ثلاث مرات فى نفس السورة سورة البقرة فى جزء واحد منها .

فكانت الآية الأولى ردا على اليهود لأن فى آخرها ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ .

وكانت الآية الثانية ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ جاءت رداً على المنافقين فى تشكيكهم ، كما أنه تعالى كررها لبيان تساوى حكم السفر وغيره .

وكانت الآية الثالثة : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ رداً على الكفار الذين طمعوا أن يرجع النبى – ﷺ – إلى دينهم ، ولذلك ختمها الله تعالى بقوله :

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أى بالعناء فإنهم يقولون : ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائه .

فائدة فى شأن القبلة : أخرج البيهقى فى سننه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال : البيت قبلة لأهل المسجد ، والمسجد قبلة لأهل الحرم ، والحرم قبلة لأهل الأرض فى مشارقها ومغاربها من أمتى .

السياحة مالها وماعليها

بقلم الشيخ عطية صقر

السياحة .. وكيف تكون !؟

١ ـ وردت مادة السياحة فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع ، قال تعالى فى صفات المؤمنين «الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة «ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ» **سورة التوبة : ١١٢**

وقال : فى المعاهدة مع المشركين ﴿ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾

سورة التوبة : ٢

وقال : فى النساء الصالحات ﴿ سَٰٓئِحَٰتٍ ﴾ سورة التحريم : ٥

وفسرت السياحة فى الآية الأولى والثالثة بالصيام ، لأن فيه ترك اللذات ، والانتقال من حال إلى حال ويؤيده قول عائشة رضى الله عنها : سياحة هذه الأمة الصيام ورواه أبو هريرة مرفوعا إلى النبى ﷺ «سياحة أمتى الصيام» . وفسرها عطاء بن أبى رباح بالجهاد ومنه حديث أبى أمامة أن رجلا استأذن الرسول ﷺ فى السياحة فقال له «إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله» صححه أبو محمد عبدالحق . وفسرها عكرمة بالسفر لطلب الحديث والعلم ، كما فسرت بالجولة بالأفكار فى توحيد الله وملكوته وما فيه من العبر والعلامات الدالة على توحيده وتعظيمه . يقول القرطبى : إن مادة السياحة تدل على صحة هذه الأقوال ، لأن أصلها الذهاب على وجه الأرض كما يسبح الماء .

وفسرت السياحة فى الآية الثانية بالسير فى الأرض آمنين غير خائفين أحدا من المسلمين بحرب أو سلب أو قتل أو أسر . فالسياحة فى اللغة : تعطى معنى السير والانتقال ، سواء كان ذلك حسيا أم معنويا ، يقال : ساح فلان فى الأرض يسبح سياحة وسيوحا وسيحانا . وهى

بالمعنى المتعارف عليه الآن ـ الانتقال من مكان إلى مكان أو من بلد إلى بلد لغرض ثقافى أو ترفيهى ، أو لتحصيل خير أيا كان . وهى بهذا المعنى أمر مشروع لا يمنعه الدين فى حد ذاته ، بل يأمر به ويشجع عليه إذا كان الغرض مشروعا والوسائل مشروعة ، فقد أمرت الآيات الكثيرة بالسير فى الأرض للاعتبار بما حدث للسابقين ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ سورة محمد : ١٠ .

وقال سبحانه : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ، ﴾ سورة النمل : ٦٩

السياحة المشروعة

وفى التشريع الإسلامى سياحات دينية بعضها مفروض وبعضها مندوب إليه مثل الحج والعمرة للمستطيع والجهاد فى سبيل الله لنشر كلمة الله والتمكين للحق فى الأرض ونصرة المستضعفين ، وشد الرحال إلى المساجد الثلاثة فى مكة والمدينة والشام لكثرة الثواب بالصلاة فيها كما ثبت فى الحديث الصحيح ، وكذلك الرحلة لطلب العلم وزيارة الإخوان وصلة الأرحام وإصلاح ذات البين والتجارة المشروعة . كل ذلك من السياحة المشروعة التى شجع الإسلام عليها ، وأرشد إلى توفير الراحة لمن يقومون بما فيه كلفة وتعب منها . كما قال تعالى : فيمن يقومون الليل:

﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾ أى من القرآن سورة المزمل : ٢٠ .

ورحلات الصحابة والتابعين والسلف الصالح للجهاد والتجارة والأغراض العلمية وغيرها معروفة ، وكذلك أخبار الرحالة المسلمين المشهورين كابن بطوطة وابن جبير ، وكذلك رحلة الإمام الشافعى الذى قال : إن فى الأسفار خمس فوائد هى :

تفريج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبه ماجد .

السياحة فى العصر الحديث

٢ ـ والدول فى العصر الحديث تشجع السياحة وتتفنن فى الدعاية لها وعمل المغريات التى تجذب السائحين إليها ، وتوفير وسائل الأمن والراحة لمن يفدون إليها ، وابتكار مايمكن من المغريات والمتع والترفيه الذى لا يكتفى فيه بما يتمتع به البلاد من آثار ومناظر طبيعية وجو بديع . بل يضاف إليها مغريات صناعية كمدينة « ديزنى لاند » فى أمريكا وغيرها ، ومغريات أخرى ربما لا تلتزم فيها الحدود ، وذلك من أجل الكسب المادى والأدبى الذى تدره السياحة على البلد . ومما يشير إلى الكسب الذى تفيده السياحة دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام ربه أن يعمر المكان الذى أودع فيه « هاجر » وولدها « اسماعيل » عليه الصلاة والسلام حيث قال :

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ سورة ابراهيم : ٣٧ .

فاستجاب الله دعاءه وأمره بأن يؤذن فى الناس بالحج فأذن فأتوه من كل فج عميق ، وعمر المكان وازدهر وسيظل كذلك إلى يوم الدين .

التصريح عبرة إقامة السائح

٣ ـ إن الأعراف الدولية تقضى بأن يكون مع السائح أو أى داخل الى بلد تصريح بالدخول يعطى له بعد التحرى والتثبت ضمانا لوجود الفائدة أو على الأقل منعا للضرر من دخوله مع الالتزام بحمايته وعدم التعرض له بأى أذى حتى تنتهى مهمته فى المدة المسموح بها ، ومع التزام السائح أو الزائر بعدم ممارسة أى نشاط فيه ضرر للبلد ، فإن وجد الضرر أو خيف وقوعه طبقت عليه القوانين السارية فى هذا البلد ، طبقا لقاعدة «إقليمية القانون الجنائى» المقررة عالميا ولعموم القاعدة الفقهية المأخوذة من معاهدات المسلمين مع غيرهم وهى «لهم مالنا وعليهم ما علينا» وألغى تصريحه .

ومبدأ التصريح بدخول البلد لأى زائر أجنبى عنها سبق به التشريع الإسلامى وبخاصة مع أعداء الإسلام قال تعالى :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَة : ٦ .

فالاستجارة طلب الجوار والحماية وهو مبدأ معروف عند العرب من قبل الإسلام وله قداسة كبيرة يفخر به المجير ويأمن المستجير وتقوم من أجل الإخلال به حروب . والحوادث فى ذلك كثيرة والإسلام أقر هذا المبدأ وطبقه بوجه خاص فيمن يفدون إلى مكة وضمن لهم الأمن والراحة وتنافس أهلها فى ذلك حتى تقاسمت أُسَرُها شرف هذا العمل الجليل من السقاية والرفادة والسدانة إلى جانب أن الله ـ سبحانه ـ جعل مكة حرما آمنا حتى يكثر الوافدون إليها بما يحملون من خير ، استجابة لدعوة ابراهيم ـ عليه السلام ـ وبلغ من توفير الأمن فيها أن من كان عليه قصاص إذا دخل الحرم لا يقتص منه مادام فيه ، بل ان من الحيوان والنبات ما يتمتع بهذا الأمن ولو فكر أحد مجرد تفكير فى تعكير صفو الأمن فعقابه شديد ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ سورة الحج : ٢٥

وتأكيدا لتأمين الحجاج والمعتمرين حرم الله القتال فى أشهر الحج والعمرة : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فمن نعم الله الكبرى على قريش وهم أهل مكة عمل التسهيلات ليكثر الوافدون فيها كما قال سبحانه :

﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ سورة قريش : ٣ ، ٤ .

٤ ـ ومن الذى يعطى التصريح للسائحين والزائرين ؟ .

يقول القرطبى ـ فى تفسير الآية السابقة الخاصة بإجادة المستجير : لا خلاف بين كافة العلماء أن أمان السلطان جائز لأنه مقدم للنظر والمصلحة نائب من الجميع فى جلب المصالح ودفع المضار » .

ويمثل السلطان الأجهزة المسئولة .

واختلفوا فى أمان غير الخليفة ـ أى ومن يمثلونه ـ فالحر يمضى أَمَانُهُ عند كافة العلماء ، إلا ابن حبيب قال : ينظر الإمام فيه . وأما العبد فله الأمان فى مشهور المذهب ـ أى المالكى ـ وبه قال الشافعى وأصحابه وأحمد وإسحاق والأوزاعى والثورى وأبوثور ، وداود ومحمد بن

الحسن . وقال أبو حنيفة : لا أمان له ، وهو القول الثانى لعلمائنا ـ أى المالكية ـ والأول أصح لقوله ﷺ : «المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم» قالوا : فلما قال «أدناهم» جاز أمان العبد وكانت المرأة الحرة أحرى بذلك ولا اعتبار بعلة «لا يسهم له» وقال عبدالملك بن الماجشون : لا يجوز أمان المرأة إلا أن يجيزه الإمام ، فشذَّ بقوله عن الجمهور ، وأما الصبى فإن أطاق القتال جاز أمانه ، لأنه من جملة المقاتلة ويدخل فى الفئة الحامية .

وإذا كان جمهور العلماء يعطى الحق فى الإذن بدخول المسلمين ، لأى رجل أو امرأة من المسلمين بناء على الحديث الذى رواه أحمد وأبوداود والنسائى والحاكم أن الرسول ﷺ قال : كما قال على ـ رضى الله عنه ـ «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، وهم يد على من سواهم» والحديث الذى رواه البخارى وأبوداود والترمذى عن أم هانىء بنت أبى طالب أنها قالت للنبى ﷺ إن ابن أم على يريد أن يقاتل رجلا أجرته «ابن هبيرة» فقال «قد أجرنا من أجرت أم هانىء» فإنى أختار رأى ابن حبيب وابن الماجشون فى أن إذن أى شخص من رجل أو امرأة بدخول أجنبى إلى البلد ـ وبخاصة إذا كان عدوا ـ لا قيمة له إلا بعد اعتماد الإمام والمسئولين وبخاصة فى الظروف التى تقتضى الحذر والتيقظ .

على أن إعطاء الفرد إذنا لأحد لا يجوز إلا لشخص أو شخصين . أما إعطاؤه لأهل بلد أو جماعة كثيرة فلا يجوز إلا بإذن السلطات المسئولة تحريا للمصلحة يقول صاحب الروضة الندية «ص ٤٠٨» : ولو جعل الإذن لآحاد الناس لصار ذريعة إلى إبطال الجهاد .

الغرض من الإذن ومداه

٥ ـ فى بيان الغرض من الإذن للأجنبى بدخول بلد المسلمين جاء النص بقوله تعالى ﴿**حتى يسمع كلام الله**﴾ أى يفهم كلامه ويعرف أوامره ونواهيه ، فإن قبِلَ فبها ، وإلا رَدَّ إلى مأمنه وهذا أمر لا خلاف فيه ، أما إذا كان دخوله لغير ذلك فيراعى فيه المصلحة وعدم الضرر والمسئولون هم الذين يقدرون ذلك بعد التحرى والمراقبة .

والإذن له موقوت بتحقيق الغرض منه ينتهى مفعوله بعد ذلك وليس لحامل الإذن أن يقيم اقامة دائمة ، وإلا صار من أهل الذمة يلتزم بأحكامهم .

٦ ـ والعقود أو العهود التى يعطيها الإمام المسلم لغير المسلمين إن كانت مؤقتة لدخول البلاد فهى عهد أمان يضمن بها دمه وماله وكل حقوقه مادام ملتزما بالقانون كما مر ذكره ، ويؤكد ذلك حديث أحمد وابن داود عندما جاء رسولان من عند مسيلمة الكذاب يتفاوضان مع الرسول ﷺ ولما شهدا بأن مسيلمة نبى قال «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما» .

بم يلتزم السائح

وإن كانت العهود دائمة فيها إقامة يرضى غير المسلمين أن يعيشوا مستوطنين مستظلين بالحكم الإسلامى فهى عهود ذمة كالتى أخذها النبى ﷺ على من عاشوا مع المسلمين فى المدينة من أهل الكتاب ولهذه العهود أثران أساسيان .

أولهما : الالتزام بأحكام الإسلام فى العقوبات ، فقد ثبت أن النبى ﷺ رجم يهوديين زنيا بعد إحصانهما .

وثانيهما : التزام أحكام الإسلام فى المعاملات المالية حيث لا يجوز لهم أن يتصرفوا تصرفا لا يليق ، وغيره من العقود المحرمة « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

أما ما يتصل بالشعائر الدينية من عقائد وعبادات وما يتصل بالأسر من زواج وطلاق فلهم الحرية المطلقة تبعا للقاعدة الفقهية المقررة « اتركوهم وما يدينون » وإن تحاكموا إلينا فلنا أن نحكم لهم بمقتضى الإسلام أو نرفض ذلك ، قال تعالى :

﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة المائدة

وكما يجوز إعطاء عهد الذمة لمن يقيمون مع المسلمين يجوز إعطاؤه لمن يعيشون مستقلين بعيدا عن المسلمين ، كما عقد الرسول ﷺ لنصارى نجران عقدا بحمايتهم والمحافظة على حريتهم الشخصية والدينية وإقامة العدل بينهم وظلوا كذلك أيام الرسول ﷺ والخلفاء حتى جاء هارون الرشيد فأراد أن ينقض العهد فمنعه محمد ابن الحسن صاحب أبى حنيفة .

فإذا نقض أهل الذمة العهد عوملوا معاملة الحربيين .

وللنقض مظاهر تحدث عنها الفقهاء فى كتبهم فيمكن الرجوع إليها ومعرفة الخلاف فى بعضها .

أما السائحون الزائرون الذين يعطون إذنا مؤقتا بالدخول فيبطل إذنهم إذا فعلوا ما يخل بمصلحة البلد ، كالتجسس وترويج الأفكار المنحرفة وما إلى ذلك . أما سلوكهم الشخصى فهم أحرار فيه فى نطاق عدم الضرر .

ما يحرم على المسلم مع السائح

٧ ـ لا يجوز لأحد من المسلمين أن يتعاون مع السائحين أو الذميين على فعل المنكر كتقدم الخمور لهم ، فمن فعل ذلك فهو شريك فى الإثم للحديث الشريف الذى رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما ـ قال قال رسول الله ﷺ « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه » وفى بعض الروايات زيادة « وآكل ثمنها » وروى ابن ماجه والترمذى مثله عن أنس بن مالك رضى الله عنه وقال عنه الترمذى : حديث غريب ـ أى رواه راو واحد ـ ورواته ثقات .

وكما أن الانحراف بالممارسة والمساعدة عليها حرام مع غير المسلمين هو ـ كذلك ـ حرام مع المسلمين فيما بينهم ومثل ذلك الأخلاق السيئة والتصرفات غير اللائقة قدر مشترك بين الجميع فى الحرمة والواجب حيالها هو الإنكار على ما بينه الحديث الشريف « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم وغيره .

ولهذا التغيير شروط وتحفظات تنتهى إلى الحكمة والموعظة الحسنة بحيث لا يترتب على الإخلال بها ضرر أو منكر أشد ، كما هو مبين فى موضعه .

٨ ـ إن الكسب الذى يأتى من وراء السياحة كسب حلال إذا كانت فى إطار « المشروع » فإذا لم تكن فى هذا الإطار كان الإذن بها أو المعاونة عليها

ممنوعا ، بناء على قاعدة : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

ومن تطبيقات هذه القاعدة قديما إعلان أبى بكر رضى الله عنه ـ بأمر النبى ﷺ وكان أميرا للحج فى السنة التاسعة من الهجرة : ألا يحج بعد هذا العام مشرك وقد كان العرب حريصين على أن يشهد الموسم أكبر عدد ممكن من الناس للعبادة والتجارة وأهل مكة بالذات كانوا يستفيدون من ذلك كثيرا فلما حرم الإسلام على أهل مكة تمكين المشركين من دخول الحرم أحسوا بما سيصيبهم من نقص فى الموارد وركود فى النشاط الاقتصادى ، فطمأنهم الله ـ سبحانه ـ بأنه سيعوضهم خيرا مما فاتهم ، وجاء فى ذلك قوله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة التوبة

قال المفسرون : لما منع المسلمون الكافرين من الموسم وكانوا يجلبون الأطعمة والتجارات قذف الشيطان فى قلوبهم الخوف من الفقر وقالوا : من أين نعيش ؟ فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله قال عكرمة : أغناهم الله بإدرار المطر والنبات وخصب الأرض فأخصبت تَبَالَة وجُرشَ ـ بلدان باليمن فيهما خصيب ـ وحملوا إلى مكة الطعام وكثر الخير وأسلمت العرب ، أهل نجد وصنعاء فكثر حجهم وازدادت تجارتهم وأغنى الله من فضله بالجهاد والظهور على الأمم .

٩ ـ والواجب على البلاد الإسلامية ان تنتهز فرصة النشاط السياحى لإطلاع الأجانب على المحاسن التى تمتاز بها شريعتهم من الحفاظ على القيم والآداب فى التعامل معهم لينقلوا صورة طيبة عن الإسلام من الواقع الذى يعيشه المسلمون ، بدل الصور الشائهة التى أخذوها عنهم وبالتالى عن الإسلام نفسه وفى السلوك الطيب معهم تشجيع لهم ولغيرهم على زيارة بلادهم وتبادل المنافع معهم ، وهذا واجب يؤديه كل مسلم على المستوى الفردى والجماعى وعلى المستوى الشعبى والرسمى فيد الله مع الجماعة وليضعوا أمام أعينهم قول الله سبحانه :

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾

سورة الأنفال

وكما يجب على المسلم أن يراعى ذلك مع الزائر الأجنبى يجب عليه أن يراعيه عند زيارته لبلد أجنبى ، فالالتزام بأحكام الدين وآدابه واجب فى كل مكان ، وهو دعاية طيبة للدين وترغيب للناس فى اعتناقه ، كما تشهد بذلك رحلات المسلمين ونشاط التجار فى نشر الإسلام فى بلاد كثيرة عن طريق السلوك المستقيم .

عناية الإسلام بالأطفال والأمهات

بقلم الشيخ / محمد حافظ سليمان

لم تعرف الدنيا دينا كالإسلام فى بناء البيت على تقوى من الله ورضوان .

ولم تعرف الدنيا كتاباً كالقرآن فى تربية الإنسان ذكراً كان أو أنثى فليس بعد كتاب الله كتاب .

ولم تعرف الدنيا رسولاً مثل رسول الله خاتم أنبياء الله عليه الصلاة والسلام يتمم مكارم الأخلاق فليس بعده رسول .

ولم تعرف الدنيا منهجاً متكاملاً شاملاً يربى الرجال ويصنع الأبطال ويصحح مسار الحياة كمنهج الإسلام .

ولم تعرف الدنيا شريعة تحقق العدل ، وتحمى السلام وتصون النفس ، والعرض والمال كشريعة الله رب العالمين .

ولم تعرف الدنيا نظاماً خالداً ثابتاً يحمى الأطفال ويصون الأمهات ، ويرعى الشباب كنظام دين الله القيم .

رعاية الأطفال فى الإسلام

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾

(الآية ٣٨ من سورة الرعد)

والذرية جعلها الله قرة عين للأبوين ، والله قد جعل الذرية هدية منه للآباء والأمهات ، كما جعل البنين من زينة الحياة الدنيا .

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

الآية ٤٦ من سورة الكهف

والذرية الطيبة تمناها رسل الله عليهم السلام ورجوا ربهم أن يهبهم من لدنه نعمة الذرية الصالحة ويقول :

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾

(الآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة آل عمران)

أطفالنا أكبادنا

من حق الطفل علينا أن نرعاه الرعاية التامة بالحنو والرحمة اقتداء برسول الله ﷺ الذى كان

قلبه المنير مليئا بالرحمة : وقد وصفه ربه بأنه أرسله رحمة للعالمين وبأنه بالمؤمنين رءوف رحيم : فهو الرحمة المهداه للإنسانية والنعمة المزجاة للبشرية ، والله يقول له :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾

وعن أبي قتادة رضوان الله عليه عن النبى ﷺ قال : إنىِّ لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها فاسمع بكاء الصبى فأتجوز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه . (رواه البخارى)

تلك هى الرحمة النبوية مع أن فى الصلاة قرة عينه ﷺ : وكذلك المؤمنون الرحماء يرحمون من فى الأرض ليرحمهم من فى السماء ؛ لأن الرحمة ابتسامة من نور فى سماء الإنسانية ، وكوكب درى يضىء الحياة بضياء التراحم والتـــواد والتعاطف ، ليكون المسلمون رحماء بينهم ، فلا تنزع الرحمة إلا من شقى ، فكم من رجل انسلخ عن إنسانيته فقسا قلبه على ذريته ؛ فكان غليظ الكبد جاف العاطفة شحيحاً جباناً ولم يكن سخياً معطاء وما كان من المحسنين ، فذاق وبال أمر وشؤم بخله وشحه ، فقد أنساه الشيطان نفسه وولده وزوجه فراح يتخبط تقوده نفس أمارة نسيت أن الله قد ائتمنه على أثمن الأمانات وهم أسرته وذريته وويل لمن كان هذا حاله ومآله إن لم يكن من التوابين إلى الله رب العالمين !!!

وفى ظل الإسلام وجدت الطفولة أمنها وسلمها وصونها من عبث العابثين وكيد المعتدين وعدوان الجاهلين ؛ فقد كانوا فى جاهليتهم قد ضلوا الطريق إلى الله وعبدوا الصنم والوثن واتخذ كل إلهه هواه ووأدوا البنات وكان هذا من أقبح العادات وأسوأ الاعتداءات على الروح الإنسانية والنفس البشرية التى خلقها الله ومنحها حق الحياة : فلما جاء الإسلام سوَّى بين الذكر والأنثى فى القيمة الإنسانية وجعل لكل منهما وجوداً آمنا مطمئنا فى ظل حياة طيبة كريمة أعدها الله لمن آمن وعمل صالحاً من ذكر أو أنثى .

ويصور لنا القرآن الكريم حياة أهل الجاهلية فى عدوانهم على الأنثى فيقول :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

(الآيتان ٥٨ ، ٥٩ من سورة النحل)

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ ؟!

(الآية ٨ ــ ٩ من سورة التكوير)

والإسلام هو الذى أنقذ الطفلة الآدمية مما كان يفعله أهل الجاهلية وكرمها كآدمية وأعزها ورفع شأنها وتولاها برعايته وعنايته ؛ لأن عدالة الإسلام تمنع البغى والعدوان . أو ليس الإسلام هو الذى يقول لاتقتلوا فلذات أكبادكم لسبب أو لآخر ، كما جاء القرآن يصور بعض الحالات التى قد يرتكبها ذئاب البشر ممن أصبح وحشاً ضاريا قاتلا يقتل ابنه الطفل الوليد مخافة فقر واقع ، أو إملاق متوقع كما كان يفعل الجاهليون أو بعضهم فنهاهم القرآن المنزل على النبى الأمى العربى المرسل فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم الآيات التى تقول :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (الآية ١٥١ من سورة الأنعام)

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ

وَإِيَّاكُمْ ﴾ (من الآية ٣١ من سورة الإسراء)

وهكذا حرم الله قتل النفس بغير حق سواء كان صاحبها طفلا أم شاباً أم شيخاً كبيراً لأن إزهاق الروح بغيا من أكبر الكبائر ، وإن الله الذى أوجد الطفل وصوره فى الأرحام وأخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا جعل له حقاً مفروضاً مقرراً فى الإسلام وثابتا فى القرآن الكريم ليعيش .

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾

(الآية ٢٣٣ من سورة البقرة)

وذلك لأن الطفل نبت صغير يحتاج للرى وللغذاء والكساء لينمو ويترعرع ؛ فيجب أن يكون العطف عليه نابعاً من القلب كما أودعه الله فى قلوب الآباء الأبرار والأمهات المؤمنات القانتات ، وذلك لكى يستنشق الطفل نسيم الحياة صافيا نقياً فى البيت المسلم بعيداً عن الأجواء القاتمة بسبب الرواسب النفسية أو العقد التى تصنعها المشاكل العائلية فى البيت أمام أطفال برءاء جاءوا إلى الدنيا كصفحة ناصعة تنتظر الرحمة والحنان . فلا شقاق فى البيت بين الزوجين ولامنازعات ولاصخب ولاكدر ولاجفوة ولاغلظة لكن الرحمة بالصبية الصغار دليل العاطفة النبيلة والقلوب الرحيمة والنفوس الطيبة الكريمة ودليل على أمن البيت وسلامه :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾

(الآية ٧٢ من سورة النحل)

والبنون والحفدة يكونون نعمة إن كانوا صالحين يقول سيدنا ابراهيم ـ عليه السلام :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾

(الآيتـان ١٠٠ ـ ١٠١ من سورة الصافات)

البيت السعيد

ويبدأ بناء البيت السعيد « أول ما يبدأ » بحسن اختيار الزوجين لأن العرق دساس ولأن الزواج آية من آيات الله القائل جل شأنه :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم : ٢١]

ومما لا ريب فيه أن الأم قاعدة البيت وأساس بنيانه وعمرانه لأنها هى التى تربى وتعلم وتؤدب وتحاسب وتراقب :

الأم مدرسـة إذا أعـددتها
أعددت شـعبا طيب الأعـراق

والقرآن الكريم يصور لنا الزوجين بصورة يوضح فيها أنهما خلقا من نفس واحدة فيقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

[الآية الأولى من سورة النساء]

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾

[سورة الاعراف : ١٨٩]

والزواج هو الميثاق الغليظ ـ كما سماه الإسلام : كما أسس القرآن الكريم على المودة والرحمة بناء الأسرة وعلى حسن المعاشرة وجميل الملاطفة وكريم المعاملة بين الزوجين لتنشأ فى ظلهما أسرة فاضلة من بنين وبنات يحس فيها كل واحد من أفرادها بأنه جزء من الآخر ليتعاون الجميع فى بيت متماسك قوى الأركان متين البنيان ويؤمنونَ جميعاً بأن التقوى تنفع الذرية وتصلح البال وتعمر الديار ليكون العمل الصالح منهج حياتهم والاعتصام بالله طاعتهم والتعفف سجيتهم وعزة النفس صفتهم ، لأن مظاهر الرحمة من آثارها أن يمتلىء القلب بخشية الله ليسود فى الأسرة الوازع الدينى فلا استهتار ولا تسيب ولا إهمال ولا تقصير ، فى أى عمل دينى أو دنيوى ، وبذلك يكون الأبوان قدوة حسنة لأبنائهما فى البيت المسلم لأن للبيئة أثرها وخطرها . والبيت الذى يحس بالمسئولية يكوِّن المجتمع الفاضل القوى المتين .

ذهب رجل ليشكو ابنه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب قائلًا له : إن ابنى هذا يعقنى فنظر عمر ـ رضى الله عنه ـ إلى الابن وقال له أما تخاف الله فى عقوق أبيك ؟ فقال الإبن يا أمير المؤمنين أليس للإبن حق على أبيه ؟ فقال : نعم حقه على أبيه أن يستنجب له أماً يحْسن اختيارها وأن يسميه اسماً كريماً ، وأن يعلمه كتاب الله ، فقال إن أمى زنجية كانت لمجوسى ولم يحسن اسمى بل سمانى جعلًا أى (جعراناً) ولم يعلمنى حرفاً واحداً من القرآن فالتفت عمر إلى الرجل وقال له ، تقول إن ابنى عقنى ؟!!: لقد عققته قبل أن يعقك ، إليك عنى .

أرأيت كيف كان سوء اختيار الأم وسوء اختيار الاسم وعدم تعلم القرآن كل أولئك كان نكبة على الأسرة ؟ وقد جاء رجل إلى الحسن ـ رضى الله عنه ـ فقال له : جاءنى ناس يريدون الزواج بابنتى فمن أزوجها ؟

قال : زوجها ممن يتقى الله إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها .

والإسلام شديد الحرص على حسن اختيار الزوجين أولًا وقبل كل شىء . كما أنه حريص جداً على تنشئة الذرية فى بيت مؤمن قوى أمين لا تمزق بين أفراده ولا انحلال ولا فوضى .

« تكريم الأمهات فى الإسلام »

ولما جاء الإسلام جاءت معه حقوق الإنسان وكان أولها وأولاها حق الأمهات .

ولا يجهل عاقل أن الأم حملت جنينها فى أحشائها وأرضعته بلبانها وربته بحنانها ولئن كان الوالد يقوم بكسب العيش والإنفاق على البيت فإن الأم ركيزة البيت ومدبرة اقتصاده وأساس بنيانه ومربية أطفاله ، ولا يجهل فضلها إلا من سفه نفسه وأحاطت به خطيئته . لأن المؤمن الوفى يقابل الإحسان بالإحسان ولأن ديْن الأم ضخم على ابنها ذكراً كان أو أنثى ، ولقد أنصفها الإسلام وأكد حقوقها التى جاءت فى القرآن الكريم وفى سنة الرسول الأمين لكن الإنسان قد ينسى فَيَضِلُ أو يجحد فيزل فيتعالى على والديه أحياناً ويصاب بداء العقوق فيجحد الحقوق ويقابل الإحسان

بالإساءة ولكن الله تعالى يذكر عبده الإنسان بالنشأة الأولى لكيلا ينسى فضل الله عليه وآلاءه التي بين جنبيه فيقول عز وجل :

﴿ .. يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾

[سورة الزمر : ٦]

ويقول جل جلاله :

﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ .. ﴾

[سورة النجم : ٣٢]

سأل رجل رسول الله ﷺ قائلا من أحق الناس بحسن صحابتى قال أمك . قال ثم من ؟ قال أمك قال ثم من ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أبوك .

وبهذا أعلن الإسلام حقوقها ، وقرر إنصافها ، رحمة بها وإكراماً لها ، فهى تستحق من ابنها البر والإحسان كما منحته العطف والحنان والله يقول :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾

[سورة الأحقاف : ١٥]

والله يقول :

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[سورة النساء : ٣٦]

والله جل جلاله يعلمنا الأدب المثالى والخلق الإسلامى القرآنى لنعمل به فى التعامل مع الوالدين اللذين فرض الله طاعتهما وجعلها واجباً مقدساً ثابتاً لا يبلى ولا ينسى ولا يفنى ومهما ارتفع شأن ابنهما فإن أبويه يستحقان تنفيذ أوامر ربهم حيث قرن طاعته بطاعة الوالدين فقال تبارك وتعالى .

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[سورة الإسراء : ٢٣ ـ ٢٤]

والوالدان هما سبب وجود ابنهما فى هذه الحياة فعليه ألا يهمل فى الإحسان إليهما . وألا ينهرهما وألا يجرح إحساسهما ولو بكلمة «أف» . وألا يسبب لهما ضيقاً بقول أو فعل وألا يزعجهما . ولكن يفرض عليه فرضاً الكلم الطيب الجميل والقول الكريم المهذب الرقيق الرفيق ، ويدعو لهما بقوله : **﴿رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً﴾** .

« كيف يربى الإسلام أبناءه ؟ »

يربى الإسلام أبناءه على المكارم ليكونوا أطهر نفساً وأنبل قصداً وأشجع قلباً وذلك لأن كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه ، والإسلام يفرض على المسلم أن يكون رحيم العاطفة عطوف القلب لأن البر والإحسان هما بشير الخير للغير والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ولقد كان لقمان حكيماً ومعلماً ومربياً عظيماً يقتدى به الرجال ويتعلم من قوله الأجيال فهو أستاذ التربية الفاضلة على المناهج المتكاملة . فقد

وضع المعالم الصحيحة للتوجيه السليم والسلوك المستقيم لأن دروسه خالدة بخلود القرآن الكريم لتوضع أمام الشباب وكل الرجال من جميع الأجيال ؛ وقد اختار الله نصائح لقمان لابنه وهو يعظه لتكون قرآناً يتلى فى سورة سميت باسمه لأن عظاته البالغات قوية ومؤثرة تصل إلى قلوب الأبرار ليتحقق بها الأمن النفسى فى شتى الأجيال فى كل زمان ومكان ؛ فهى علاج للنفوس وتهذيب للمشاعر فلا تقرأ جسماً بلا روح فلم تكن تربية ابن لقمان تدليلًا له بدون حدود ، ولكن كانت تربية رحمة وعطف ووقاية وقيادة وريادة ونصح وعطاء وعزة وإباء تلك هى عظات لقمان الذى آتاه الله الحكمة فهو يعلم ويربى ويهذب ويؤدب لأنه هو ناصح أمين وقوى أمين . وهذا هو لقمان فى كتاب الله المبين وهو صاحب الدروس النافعة . كما جاءت فى سورة لقمان .

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ .

ثم هو يقول لابنه بعد آيتين ليست من قوله وإنما هاتان الآيتان من قول الله سبحانه : ثم هو يقول لابنه :

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

سورة لقمان

أرأيت كيف كان لقمان يعلم ابنه الاعتدال فى كل شيء فى المشى وفى طريقة الكلام ، وفى تصحيح الاعتقاد ؟ ويمكن شرح هذه العظات فى تلكم الآيات فى حديث قادم إن شاء الله – تعالى – والله الهادى إلى سواء السبيل .

معالجة مشكلة البطالة

من منظور الفكر الإسلامي والفكر الوضعى

إعداد
د/ سهير حسن عبدالعال (*)

تعتبر مشكلة البطالة ظاهرة عالمية تواجهها معظم الدول : المتقدمة منها والنامية ، فعلى سبيل المثال بلغت معدلات البطالة ٦,٦٪ في عام ١٩٩٢ فى أمريكا و٩,٣٪ فى فرنسا و١١,٨٪ فى إنجلترا و٩,٩٪ فى بلجيكا و٩,٨٪ فى إيطاليا(١) وحوالى ٢٠٪ فى مصر حسب إحصائيات ١٩٩٠(٢) .

وتعتبر مشكلة البطالة من أخطر المشاكل التى تواجه الاقتصاد المصرى ، وتكتسب خطورتها من الاعتبارات التالية :

تمثل البطالة إهداراً لموارد المجتمع ، كما أنها مؤشراً لعدم قدرة النظام الاقتصادى على إشباع احتياجات سكانه ، وفى تحقيق مستوى لائق لحياة الفرد .

إن القضاء على البطالة من خلال خلق فرص للعمل وزيادة مدفوعات الأجور يعد من أكثر الوسائل لإعادة توزيع الدخل .

يكون عبء البطالة أثقل على عاتق فئة الشباب ، فإن تفاقم نقص التشغيل يعنى أن طاقة هؤلاء لابد أنها ستنصرف إلى أشكال أخرى من العمل الاجتماعى والسياسى وهذا ما نشهده ونلمسه .

وقد تعددت سبل علاج مشكلة البطالة فى مصر ، ولكنها لم تأت بعلاج فعال للمشكلة ؛ بل زادت حدتها وبذلك ظهرت الحاجة إلى دراسة المنهج الإسلامى فى هذا الصدد ، والبحث عن الحلول الاقتصادية لمشكلة البطالة فى ضوء تعاليم الإسلام ؛ فقد اهتم الإسلام بعدة أمور من شأنها توسيع نطاق فرص العمل يمكن أن تؤخذ كسياسات لمعالجة مشكلة البطالة فى الوقت

(*) الكاتبة : مدرس اقتصاد ــ تجارة جامعة الأزهر ــ فرع البنات

(1) Economic Forecasts: Amonthly Worldwide Survey, Vol. 8, No. 1, Summary Table of Forecasts, P. 24.

(٢) د. صلاح عبدالكريم ، البطالة والطاقات المعطلة فى المجتمع المصرى ، المؤتمر الثانى للنقابات المهنية فى مصر ، نقابة المهندسين ١٩٩١/١/٢ ، ص٣ .

الحالى .

وعلى هذا فإن البحث سيركز على معالجة مشكلة البطالة فى الاقتصاد المصرى (كدراسة حالة) ومقابلة ذلك مع ما يقرره الاقتصاد الإسلامى لمعالجة لمشكلة كلما أمكن ذلك .

وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة مباحث هى :

المبحث الأول : يتناول دراسة وتحليل مشكلة البطالة وأنواعها ، بين الفكر الوضعى والإسلام .

المبحث الثانى : يستعرض أسباب مشكلة البطالة فى مصر وتقييمها من المنظور الإسلامى .

المبحث الثالث : تقويم سياسات معالجة مشكلة البطالة فى مصر ، وفى ضوء المنهج الإسلامى .

هذا ولقد أوردت الباحثة فى نهاية البحث أهم النتائج والتوصيات ، وكذلك قائمة بأهم المراجع التى استعانت بها .

المبحث الأول
دراسة تحليلية لطبيعة مشكلة البطالة وأنواعها
بين الفكر الوضعى والإسلام

أولاً : مفهوم البطالة وأنواعها فى الاقتصاد الوضعى

تعرف البطالة بأنها : « زيادة القوة البشرية التى تبحث عن عمل » ، عن فرص العمل التى يتيحها المجتمع .

وحجم القوى البشرية يتوقف على حجم السكان ، وشكل الهرم السكانى .

أما فرص العمل التى يتيحها المجتمع فتتوقف على مستوى التنمية الحقيقية فيه ، ومستوى التنمية يتحدد بنوعين من العوامل هما :

العوامل الاقتصادية التى تتضمن الموارد الطبيعية ورأس المال والقوى العاملة .

والعوامل غير الاقتصادية وهى التعليم والتدريب وإمكانيات النهوض بالتنمية العلمية والتكنولوجية[(١)] .

ويمكن تقسيم البطالة إلى عدة أنواع هى :

١ ـ البطالة الموسمية : وتحدث نتيجة (موسمية الطلب على العمل) بحيث يتخذ تقلب هذا الطلب طابعاً منتظماً خلال السنة . وتتكرر هذه البطالة سنوياً فى نفس الموسم ، وتختلف شدتها تبعاً لاختلاف المواسم من حيث المناخ والأمطار . مثال ذلك موسمية العمل الزراعى ، ووجود فجوة زمنية بين حصاد محصول قديم وانتظار زراعة محصول جديد ، كذلك تحدث البطالة الموسمية بين عمال السياحة فى غير مواسم الذروة السياحية[(٢)] .

(١) د. عوض مختار هلوده ، المدخل المنظومى لدراسة مشكلة البطالة ، مؤتمر قسم الاقتصاد ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨٩ ، ص٥١ .

(٢) Tony Mallier & Tony Shafto, (Economics of Labour Markets and Management), Hutchinson, 1989, P.189.

٢ ـ **البطالة المقنعة** : تحدث البطالة المقنعة عندما ينخفض مستوى الطلب الكلى وتتجه القوة العاملة التى تم الاستغناء عنها إلى الالتحاق بوظائف ومهن منخفضة الانتاجية . وتظهر البطالة المقنعة بشكل واضح فى المهن التى يكون فيها جزء من قوة العمل فائضة تزيد عن حاجة مستوى الانتاج السائد بحيث تكون الانتاجية الجدية لهذه العمالة الفائضة تساوى صفراً ، كما قد تكون إنتاجية الجدية سالبة إذا زاد عدد العمال عن حاجة الانتاج السائد بحيث تعرقل زيادة العمال عمل الآخرين المنتجين بحيث لو تم سحب هذه الزيادة يحدث زيادة فى الانتاج . وتنتشر البطالة المقنعة فى النشاط الزراعى والخدمات الحكومية[١] .

٣ ـ **البطالة البنيانية** : وهى (البطالة التى تنشأ بسبب تغير الطلب على الانتاج لأسباب متنوعة) كأن تصبح السلعة غير متفقة مع الذوق السائد ، أو قد تحل محلها سلعة بديلة ، أو لتناقص عدد الذين اعتادوا استعمالها .

وقد تحدث البطالة البنيانية بسبب إعادة تنظيم عمليات الإنتاج فى بعض الصناعات بسبب إدخال فنون وأدوات فنية جديدة للإنتاج ، مما يترتب على ذلك الاستغناء عن جزء من القوة العاملة المشتغلة[٢] .

٤ ـ **البطالة الدورية** : تنشأ البطالة الدورية عندما يتناقص الطلب المتصل على سلع الإنتاج وسلع الاستهلاك والخدمات ، كما يحدث أثناء فترات الكساد العام ، ويسوء توقع رجال الأعمال للربح لدرجة تجعلهم لايقدمون على استخدام جزء كبير من موارد الإنتاج المتاحة لهم ، وينعكس أسلوب رجال الأعمال على صناعات سلع الاستثمار ؛ فيقل نشاطها لدرجة أكبر من نقص النشاط فى الصناعات التى تنتج سلع الاستهلاك والخدمات[٣] .

٥ ـ **البطالة الاحتكاكية** : وهى البطالة التى تحدث نتيجة انتقال العمال من وظيفة إلى أخرى ومن عمل لآخر ، وتنشأ بسبب الشعور بعدم تناسب العمل مع إمكانيات العامل وتدريبه ، أو عدم توافق الأفراد المشتغلين معاً فى مكان واحد[٤] .

٦ ـ **البطالة الإجبارية السافرة** : تحدث البطالة السافرة فى كل من الدول الصناعية المتقدمة وفى الدول المتخلفة . ففى الدول الصناعية المتقدمة ترجع إلى انخفاض مستوى الطلب الكلى الفعال إلى مادون مستوى التوظف الكامل .

أما فى الدول المتخلفة فترجع إلى عوامل عرض عناصر الانتاج الأخرى كالأرض ورأس المال التى تتضافر مع عنصر العمل ، فنتيجة لانخفاض مستوى التراكم الرأسمالى ، وندرة رأس المال

(١) د. إسماعيل هاشم « الاقتصاد الاجتماعى » دار الجامعات المصرية ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ ، ص٣٢٦ .

(٢) Tony Mallier, OP. CIT. P., 189

(٣) Ibid., P. 189.

(٤) Ibid., P. 189.

تنخفض قدرة الاقتصاد القومى على استيعاب القوة العاملة خاصة إذا ما أخذنا فى الاعتبار مشكلة الزيادة السكانية ، وعدم قدرة القطاعات الاقتصادية على استيعاب تلك الزيادات السكانية .

ثانيا : أشكال البطالة فى مصر

بعد أن تعرضنا بصورة موجزة لأهم أنواع البطالة فى الاقتصاد الوضعى ، يحسن أن نتعرف على أشكال وأنواع البطالة التى تواجه الاقتصاد المصرى ، وتتمثل فى شكلين أساسيين هما :

١ ـ البطالة السافرة فى مصر

وتتمثل بالشكل الواضح لفائض العرض فى سوق العمل ، مقارنا بالطلب عليه ويرجع تزايد هذا النوع إلى عدم ملاحقة الزيادات فى فرص العمل للتدفقات المستمرة إلى سوق العمل نتيجة للنمو السكانى السريع(١) . وتشير البيانات المتاحة إلى تزايد معدلات البطالة السافرة من ٢,٢٪ عام ١٩٦٠ ، إلى ٧,٧٪ عام ١٩٧٦ ، إلى مابين ١٢ : ١٥٪ فى منتصف الثمانينات(٢) حتى بلغت حوالى ٢٠٪ حسب إحصائيات ١٩٩٠(٣) .

٢ ـ البطالة المقنعة فى مصر(٤) :

هذا النوع من البطالة عرفه الاقتصاد المصرى ـ تقليدياً ـ منتمياً إلى القطاع الزراعى ، حيث تتركز الزيادات السكانية الكبيرة ، وتخلق فائضاً فى عرض العمل يشكل عبئاً على النشاط الزراعى . ومع تتابع مراحل التحضر ، والتحولات فى أنماط السلوك الاقتصادى والاجتماعى ، أخذ موقع البطالة المقنعة فى التحرك إلى المدن ، عبر قنوات الهجرة الداخلية ، استجابة للفروق الجديدة ـ الاجتماعية والمادية ـ بين بيئتى الريف والحضر .

وقد مثل التعليم أحد تلك القنوات ، حيث كان الربط بين سياسةمجانية التعليم فى كافة المراحل ، وسياسة الالتزام الحكومى بتعيين الخريجيين فى أجهزة الدولة ومشروعاتها العامة قائماً ، وهكذا أخذت الزيادات السكانية طريقها إلى مراحل التعليم المجانى ، ومنها إلى الوظائف العامة ، التى تضخم حجمها وأصبحت بطالتها المقنعة عبئاً كبيراً عليها .

وقد قدرت إحدى الدراسات نسبة البطالة المقنعة فى الجهازالحكومى بما تتراوح بين ٢٥٪ ـ ٣٠٪ من عدد العاملين فى عام ١٩٩٢(٥) .

ثالثاً : مفهوم ـ ونظرة ـ الإسلام إلى البطالة

اهتم الإسلام بالعمل ورفعه إلى مرتبة العبادات ، وأمر الناس بالعمل فقال الله ـ تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾(٦)وجعل الإسلام العمل الصالح فى

(١) د. سلوى سليمان ، « البطالة فى مصر وقضية التنمية » مؤتمر قسم الاقتصاد ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص٢ .

(٢) الأهرام الاقتصادى ، العدد ١٢٢٥ ، ١٤ سبتمبر ١٩٩٢ ، ص٢٠

(٣) د. صلاح عبدالكريم ، مرجع سبق ذكره ص ٣

(٤) د. سلوى سليمان ، مرجع سبق ذكره ص٣

(٥) الأهرام الاقتصادى ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٠ .

(٦) سورة التوبة آية : ١٠٥.

المرتبة الثانية بعد الإيمان بالله ــ سبحانه وتعالى ــ فيقول الحق ــ تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾(١) .

وبرغم أن الإسلام حث على العمل واعتبره واجباً على كل قادر عليه ، إلا أننا نجد حالات لا تؤدى ــ فيها ــ هذه الفريضة ، يمكن أن نطلق على أصحابها وَصْفَ « أفراد متعطلين » أى فى حالة بطالة .

وقد نهى الإسلام عن البطالة وحذر منها ، فقال الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى كتابه العزيز :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(٢)

فقد خلق الله الإنسان فى هذه الأرض ليعمرها وينتفع بها ، فقال ــ تعالى :

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(٣)

قال الجصاص فى كتابه « أحكام القران » عند تفسيره هذه الآية « أى أمكنكم من عمارتها بما تحتاجون إليه وفيه دلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية »(٤) .

فالإسلام لم يجعل عمارة الأرض من النوافل أو المندوبات ، بل جعلها من الشعائر التى يثاب فاعلها ويعاقب تاركها . وجعل الله الإنسان خليفة له فى الأرض ليعمل فيها حيث يقول الحق ــ تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٥)

فمنطق الخلافة يحتم على الإنسان أن يحسن القيام على ما استخلف فيه وذلك بأن يعمل ويكد على ظهر الأرض وفى جوفها ليستخرج منها رزقه ويسهم بعمله فى بناء المجتمع .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾(٦) .

وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(٧)

فالإسلام حذر من البطالة ونفر منها ، وتوعد عليها وأنذر ، وكيف توجد البطالة وقد سهل الله لنا الأرض ! ومهدها للسير عليها ، وجعلها كالفراش أو البسط ، كما يسر طرق الانتفاع منها ، فلا عذر بوجب البطالة ، فالبطالة والتقاعد عن العمل مخالفة صريحة لطبيعة الحياة وسنة الوجود .

ويمكن أن نميز بين نوعين من أنواع البطالة فى إطار الإسلام : هما البطالة الاختيارية والبطالة الجبرية ، ولكل منهما حكمه وموقف الإسلام منه .

---

(١) سورة الكهف آية ٣٠ .

(٢) سورة الملك آية ١٥

(٣) سورة هود آية ٦١

(٤) الإمام أبى بكر أحمد الرازى الجصاص ، أحكام القرآن ، دار الفكر ، الجزء الثالث ، ص ١٦٥ .

(٥) سورة البقرة آية ٣٠ .

(٦) سورة يونس آية ١٤ (٧) سورة البقرة آية ١٦٨ .

١ ـ البطالة الاختيارية :

وهى بطالة من يقدرون على العمل ، ولايوجد عائق يحول بينهم وبين السعى والكسب ، ويؤثرون أن يعيشوا دون عمل مع وجود فرص العمل فى المجتمع مثل : دعاة التوكل ، والتفرغ للعبادة ، والمتسولين .

وقد نهى الإسلام عن هذا النوع من البطالة ، فهذا رجل يكثر من الصيام والقيام والذكر فيحسبه القوم أفضل منهم ، فلما حدثوا رسول الله ﷺ فى أمره ، قال لهم : أيكم كان يكفى طعامه وشرابه ؟ فقالوا : كلنا ، فقال : كلكم خير منه[١] .

وهذا رجل ينقطع للعبادة فيراه الرسول ﷺ ويسأله من يقوم بالإنفاق عليك ؟ فيقول : أخى . فيقول ﷺ : أخوك أعبد منك[٢] .

كذلك نهى الرسول ﷺ عن المسألة والتسول فقال : « لاتزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس فى وجهه مزعة[١] لحم »[٢] .

وهذا الحديث معناه : أن من يسأل الناس فى غير حاجة يأتى يوم القيامة ذليلاً ساقطاً لا وجه له عند الله . وهذا تصوير مفزع لمن يتكفف على أعتاب الناس .

وفى حديث آخر لرسول الله ﷺ قال : « من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر »[٣] .

وهذا معناه أن من يسأل الناس يعاقب بالنار ، وأن ما يأخذه يصير جمراً يكوى به .

وفى حديث لرسول الله ﷺ لأن يحتزم أحدكم حزمة من حطب فيحملها على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل رجلاً يعطيه أو يمنعه »[٤] .

وفى هذا الحديث ـ أيضاً ـ يحذر الرسول الكريم ﷺ من الالتجاء إلى المسألة ، ويدعو إلى العمل مهما كان قليل الربح أو شاقاً .

ولعلم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بما للبطالة من أضرار جسيمة على الفرد والمجتمع قال قولته المأثورة : « لايقعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقنى ، فقد علمتم أن السماء لاتمطر ذهباً ولافضة ، بل امشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور »[٥] وقال ـ رضى الله عنه : « مكسب فى دناءة خير من سؤال الناس »[٦] .

وهكذا نجد أن الإسلام يدعو إلى العمل ، وينهى أشد النهى عن البطالة الاختيارية بطالة من يقدرون على العمل ، ولكنهم يجنحون إلى القعود ، ويؤثرون أن يعيشوا عالة على غيرهم ، ويأخذون من الحياة ولايعطون ، ويستهلكون من طاقاته

(١) د. أحمد ماهر البقرى ، « العمل فى الإسلام » ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص٤٦ .

(٢) د. أمين مصطفى عبدالله ، « أصول الاقتصاد الإسلامى ونظرية التوازن الاقتصادى فى الإسلام » ، مطبعة عيسى الباب الحلبى ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ١١٤ .

(١) مزعة : قطعة .

(٢) صحيح مسلم ، بشرح النووى ، المجلد الثالث ، ص ٧٩

(٣) المرجع السابق ذكره ، ص ٧٩

(٤) المرجع السابق ذكره ص٨٠

(٥) د. عيسى عبده ، أحمد إسماعيل ، « العمل فى الإسلام » ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٤٢ .

(٦) المرجع السابق ذكره ، ص ٣٣ .

ولاينتجون ، فالإسلام يقاوم هؤلاء ولايرضى عن مسلكهم .

٢ ــ البطالة الجبرية :

وهى البطالة التى لا اختيار للإنسان فيها ، وإنما تفرض عليه أو يبتلى بها ؛ فقد يكون سببها تعلمه مهنة ثم كسد سوقها لتغير البيئة أو تطور الزمن ، فيحتاج إلى امتهان حرفة أخرى أصلح للحال وأنفع ، وقد يحتاج إلى آلات وأدوات لازمة لمهنته ولايجد مالا يشترى به مايريد ، وقد يعرف التجارة ولكنه يفتقر إلى رأس المال الذى تدور به تجارته ، وقد يكون من أهل الزراعة ولكنه لايجد أدوات الحرث أو آلات الرى ، وربما لايجد الأرض التى يزرعها[1] .

أما عن موقف الإسلام من البطالة الجبرية ، فقد اهتم الإسلام بعدة أمور من شأنها توسيع فرص العمل والتغلب على هذا النوع من البطالة بصفة دائمة . وهذه الأمور يمكن الاستناد إليها كسياسات لمعالجة مشكلة البطالة من المنظور الإسلامى ، والتى سوف نتناولها بالتفصيل فى المبحث الثالث من هذا البحث .

الخلاصـــــــة :

مما سبق نخلص إلى أن البطالة فى الاقتصاد الوضعى لها أنواع عدة : هى البطالة الموسمية ، والبطالة المقنعة ، والبطالة البنيانية ، والبطالة الدورية ، والبطالة الاحتكاكية ، والبطالة السافرة . وتعانى مصر من نوعين أساسيين من أنواع البطالة هما : البطالة السافرة والبطالة المقنعة . أما البطالة من منظور إسلامى فنجدها نوعين فقط هما البطالة الاختيارية والبطالة الجبرية .

---

(١) د. يوسف القرضاوى ، « دور الزكاة فى علاج المشكلات الاقتصادية ، بحوث مختارة من المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الإسلامى ، جامعة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ ، ص٢٢٧ .

زيادة الإنتاج وضبط الاستهلاك فى توجيهات الإسلام

للواء . م . ح .
محمد جمال الدين محفوظ

● إن العمل والإنتاج من العناصر الرئيسية للبنيان الاقتصادى والتنمية الاقتصادية ، وهما ـ فى الوقت نفسه ـ من الدعائم الأساسية لبناء القدرات الدفاعية ، وتزيد أهميتها فى أوقات الشدة والحروب، حيث تصبح زيادة الإنتاج وتحقيق فائض منه من الضرورات الحيوية التى تفرضها تلك الظروف ، حيث تزيد ـ على سبيل المثال ـ متطلبات القوات المسلحة من المؤن والذخائر والأسلحة وإلوقود وغيرها وقت الحرب ، وهذه المتطلبات لا تحتمل التأجيل أو التعرض للأزمات أو الاختناقات ، الأمر الذى يقتضى بالضرورة الاحتفاظ فى المخازن والمستودعات بكميات كبيرة من مختلف السلع والمواد اللازمة للقوات المسلحة وللشعب على حد سواء ، وذلك حتى يمكن مواجهة الأزمات التى تحدث عادة نتيجة لما تتعرض له أدوات الإنتاج كالمصانع والمنشآت الاقتصادية ، والمستودعات ووسائل النقل من أضرار تعطلها عن الإنتاج .

● أضف إلى ذلك أنه بمقتضى إعلان التعبئة العامة ، فإن جانباً من العاملين فى المصانع ، والمزارع وغيرها ، من مصادر الإنتاج يُطلَبون للدفاع ، فيصبح من الضرورى فى تلك الحالة أن تظل هذه المصادر « محتفظة » بطاقاتها الإنتاجية بالرغم من انخفاض الأيدى العاملة وزيادة الطلب على المنتجات .

توجيهات الإسلام :

● ويوجه الإسلام فى هذا المجال إلى زيادة الإنتاج وإلى ضبط الاستهلاك كما يلى :

أولاً ـ زيادة الإنتاج : ويتحقق ذلك من خلال ما يلى :

١ ـ توظيف المال فى الإنتاج :

تؤكد توجيهات الإسلام أن المال يجب أن يكون وسيلة فى أيدى البشر يحققون به حياة كريمة ، ويعمرون أرض الله بمنهج الله ، فيقول الله ـ تعالى ـ مبيناً عذاب الكانزين والممسكين الذين لا ينفقون المال فى أوجه الخير ، ويعطلونه عن أداء وظيفته التى خلقه الله ـ تعالى ـ من أجلها :

وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

(التوبة ٣٤ ـ ٣٥)

٢ ـ إتقان العمل :

● ويوجه الإسلام إلى الإخلاص فى العمل وإتقانه ، فكفاءة العامل وإخلاصه فى عمله « يرفعان مستوى الأداء » بينما ضعف الكفاءة والإهمال يشكلان « خسارة اقتصادية » . من أجل ذلك ، نجد فى القرآن الكريم آيات كثيرة ، نذكر منها قوله تعالى :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾

(الكهف ٧)

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(التوبة ١٠٥)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

(الكهف ٣٠)

وكذلك نجد من أقوال رسول الله ﷺ :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » (رواه البيهقى وأبو يعلى وابن عساكر وغيرهم).

« **إن الله يحب العبد المؤمن المحترف** » (رواه البيهقى والطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما) .

● ومن مقتضيات هذا المبدأ ألا يكتفى المسلم بالمستوى الذى بلغه ، بل عليه أن يجود فيه ويرفع من مستواه بالمزيد من المعرفة والتدريب ، فقد أمر الله تعالى نبيه ـ وهو قدوة المسلمين ـ أن يقول : « **رب زدنى علماً** » **فهى له ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولنا من بعده إلى يوم الدين ، وهذه المسئولية تقع على عاتق الفرد وعلى عاتق رؤسائه على حد سواء ، والله تعالى يقول :**

﴿ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(النحل ٩٣)

٣ ـ التجديد والتطور :

● ومن أهم أسباب زيادة الإنتاج ، الأخذ بأسباب التجديد والتقدم والتطوير ، والإفادة من منجزات العصر العلمية والتقنية ، ذلك لأن أهداف العلم والمعرفة والبحث العلمى لا تتوقف عند حد حل المشكلات ، أو استخلاص النظريات والقوانين ، بل هى تمتد إلى غاية عليا هى التجديد والتطور .

● والحق أن القرآن الكريم لم ينبه عقول المسلمين وقلوبهم إلى شىء بعد التوحيد مثلما نبههم إلى سنة التطور فى الكائنات جميعاً ، وفى الأكوان قاطبة ، فى الإنسان الفرد وفى المجتمعات ، وقد دعاهم إلى كشف آثار هذه

السنة والانتفاع بها ، وحذرهم من تجاهلها أو الوقوف فى وجهها ، ولذلك كانت لعنات الله تترى على الذين يأبون التطور والتغيير ، بحجة أنهم يتمسكون بما ورثوه عن الآباء ، وهو ما يفهم من قوله جل شأنه :

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾

(الزخرف ٢٣)

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ

(البقرة ١٧٠)

ووصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ المقلدين بأنهم يرددون ما تلقنوه كالببغاوات أو العجماوات فقال جل شأنه :

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

(البقرة ١٧١)

● كل ذلك يرشد إلى ضرورة الاهتمام بأجهزة البحوث والتطوير ودعمها بالعلماء والمتخصصين والأموال .

٤ ـ تكريم العاملين الممتازين :

● إن تكريم العاملين الممتازين يحقق دعماً مهما لعملية الإنتاج ، فهو يشعر المجتهد بالتكريم من جهة ، ويحفز غيره على بذل الجهد فى العمل ورفع مستوى أدائه من جهة أخرى ، ففى حديث رواه مسلم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرجل ـ وقد وجد فى يده خشونة من العمل ـ : « ما هذا الذى أراه فى يدك ؟ قال : من أثر المسحاة أضرب وأنفق على عيالى ، فقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده وقال : « هذه يد لا تمسها النار » .

وهناك أمثلة من تكريمه ـ ﷺ ـ للممتازين فى العلوم والفنون :

١ ـ تكريمه لمعاذ بن جبل لامتيازه فى الفقه بقوله : « أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » (رواه ابن ماجة) .

٢ ـ وتكريمه لأبى بن كعب لامتيازه فى قراءة القرآن بقوله : « أقرؤهم لكتاب الله أبى بن كعب » (سنن الترمذى ـ كتاب المناقب) .

٣ ـ وتكريمه لزيد بن ثابت لامتيازه فى علم الميراث بقوله : « أفرضكم زيد بن ثابت » (رواه ابن ماجة ـ والفارض هو العالم بتقسيم المواريث) .

٤ ـ وتكريمه لأبى عبيدة بن الجراح لامتيازه فى علم الشريعة والقضاء بقوله : « أقضاكم أبو عبيدة » .

٥ ـ وتكريمه لسعد بن أبى وقاص لمهارته

الفائقة فى الرمى بأن جمع له أبويه ، يقول الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ : « ما جمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبويه لأحد غير سعد بن مالك (وهو سعد بن أبى وقاص) فإنه جعل يقول له يوم أحد : ارم فداك أبى وأمى » (رواه الشيخان والترمذى) .

ثانياً ـ ضبط الاستهلاك :

● ويوجه الإسلام إلى ضبط الاستهلاك ومحاربة الإسراف لكى يتوفر للأمة « فائض فى الإنتاج » يمكنها من مواجهة الأزمات ، ويجنبها آثار الحصار الاقتصادى أو الاحتكارات العالمية وما يحدث من أضرار وقت الحرب . يقول الله ـ تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾

(الأعراف ٣١)

وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾

(سـورة الإسـراء)

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴾

(الإسراء ٢٦ ـ ٢٧)

وقال تبارك وتعالى فى صفات عباد الرحمن :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾

(الفرقان ٦٧)

● والحق إن الإسلام فى دعوته إلى الإنفاق لا يقصد الإنفاق الاستهلاكى فحسب ، وإنما يقصد « الإنفاق المربح المنتج » ليكون المال أداة تنمية وتقدم للمسلمين ، لا أداة ترفٍ وبذخ وفساد .. ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « **إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً : فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال : وكثرة السؤال ، وإضاعة المال** » (رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « **التبذير إنفاق المال فى غير حقه** » (أخرجه ابن المنذر وغيره من حديث ابن مسعود رضى الله عنه) ويقول : « **القصدَ القصدَ تبلغوا** » . (رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه) ـ والمعنى أى عليكم بالتوسط فى الأمور تصلوا إلى غاياتكم) وقال أيضاً : « الاقتصاد نصف المعيشة » (رواه البيهقى والطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما) .

● ويحرم الإسلام احتكار الأقوات واستغلال

ظروف الأزمات والحروب لتحقيق الأرباح ؛ برفع الأسعار والغش فى المعاملات ، ويصف الله التجار الأمناء الذين يقومون بواجبهم نحو الله والناس ، ولا تشغلهم أعمالهم عن الله فيقول :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

(النور ٣٧ ـ ٣٨)

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : « **التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء** » (رواه الترمذى والحاكم) ويقول : « **الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون** » (رواه ابن ماجة والحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه) . ويقول أيضاً : **من احتكر طعاماً ما أربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء الله منه ، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى** » (رواه أحمد ـ والعرصة : ساحة الدار) .

القيادة الإدارية

بين منهج الإسلام والنظريات المعاصرة

أ. د محمد عبد الله آل ناجى

(خاتمة البحث)

قلنا فى مقدمة البحث : العالم الآن يتخبط فى العديد من النظريات الإدارية ، وتكون نهاية البحث عن نظرية أخرى جديدة ، قد تطمس معالم النظريات القديمة حتى إذا وضعت موضع الاختبار والتجربة والتطبيق أمكن الحكم عليها بالنجاح فى إعطاء نتائج سليمة ، أو بإعلان فشلها فى تحقيق النتائج المرجوة منها ، وغالباً ما تكون الأخيرة .

نقول ذلك بناء على التجارب السابقة التى سلكها أصحاب نظريات الإدارة والقيادة ، والتى تسمى (بالسمات) مرة و (بالموقف) أخرى ، و (بالسلوكية) مرة ثالثة و (بالتوفيقية أو التفاعلية) مرة أخرى .

وكلها لم تحقق الهدف لأصحابها ، ولم تأت بالغاية المرجوة منها ، وكان الفشل فى معظم المواقف نصيبها ، والإحباط طريقها ، حدث هذا فى بيئتها التى خرجت منها ، وبين علمائها الذين قعدوا قواعدها .

والسبب فى ذلك ـ والحق يقال ـ ليس قصوراً من أصحابها ، ولا تهاوناً ممن قاموا بتطبيقها ، ولكن العامل فى ذلك أنها نتاج بشرى ، وفكر إنسانى والبشر دائماً عرضة للخطأ والصواب ، وما يلائم عصراً من العصور لا يتفق مع عصر آخر وما يرضى فئة أو أمة من الناس ، قد لا يتوافق ولا يتلاءم مع فئة أخرى ، ومجموعة تتباين فى بيئتها ومعتقداتها وسلوكيات شعوبها مع الآخرين .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا لا نعود إلى تراثنا نستخرج منه ما يتلاءم مع طبيعتنا وظروف حياتنا ..؟

لماذا لا نعود إلى قواعد الإسلام وتأصيلاته فى شئون الإدارة والقيادة ، ونسعى إلى تطبيقه فى

★ الباحث : عميد كلية التربية ـ جامعة الملك فيصل ـ المملكة العربية السعودية .

١ ـ الأغبش ، محمد رضا : تنظيم العمل الإدارى فى النظام الإسلامى . دار النشر الدولى : الرياض ١٤١٢هـ .

مجال الاجتماع والاقتصاد ، والتربيــة وعلــم النفس ..؟ إلخ .

نقول ذلك وندعو إليه لا تعصباً لدين ، ولا اتباعاً لهوى ، ولا سَدَاً لأبواب المعرفة التى تأتى إلى بلادنا من خلف السهوب والحدود ، ولكن فقط لأنه يوجد فى تراثنا ـ وبين أيدينا ـ نظريات متكاملة فى شئون الإدارة والقيادة وكل العلوم الإسلامية . ولقد أخذت هذه القواعد مباشرة من كتاب الله تعالى . ووضعت موضع التجربة فى كثير من الممالك الإسلامية وكان لها دورها البارز فى ذلك الوقت ، وبهرت العالم بكل ما فيها من أصالة تتلاءم مع الطبيعة البشرية ، وأخص خصائص التقدمية .

والأمة الإسلامية الآن ـ ولله الحمد والمِنة ـ تتمتع بخيرات كثيرة وبنعم لا تحصى ولا تعد . فهى من ناحية المكان لها ـ مركز الدائرة بالنسبة للعالم كله ـ وهذا يهىء لها مركزاً استراتيجياً خطيراً لا يتوفر بأية حال لأمة من الأمم .

ومن ناحية الثروات : فلقد جمع الله ـ تعالى ـ من أنواع الثروات الظاهرة والمخبوءة فى باطن الأرض ما يحقق لها اكتفاء ذاتياً ، ويجعل الكثير من دول العالم فى حاجة إلى معادنها وبترولها ، وخيراتها .

ومن ناحية القوة البشرية : فإن الدراسة المنصفة التى أجرتها (الأكاديميات) العالمية للطبيعة البشرية لهذه الأمة . أثبتت أن لها من الخصائص والمميزات البشرية ما ليس لأمة أخرى ، وبذلك تستطيع عن طريق هذه الخصائص أن تكون الأمة التى أناط الله بها دور الرقابة والشهادة للبشرية بأسرها وللخلق بعامة

قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

(البقرة ـ آية ١٤٣)

وإذا كان الأمر كذلك فعلى رجال الإدارة والقيادة أن يتجهوا إلى هذا النبع الصافى من مبادىء الإسلام ليجدوا فيه كل ما يعن لهم من شئون الإدارة والقيادة .

والقارىء للتراث الإسلامى يرى أنه كان للفكر الإدارى الإسلامى اهتمام كبير من الأمة الإسلامية قادة ومرءوسين ؛ الأمر الذى جعله يتفوق على أحدث النظريات الإدارية فى عالمنا المعاصر ، لأنه كان يهتدى بالكتاب الذى أنزله الله ـ تعالى ـ وهو خالق الإنسان العليم بكل ذرة من ذراته ، وبكل خلجة من خلجاته .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

(سورة الملك آية رقم ١٤)

ويطيب لنا أن نقدم فى هذه العجالة نماذج من هذا الفكر متمثلة فى كتاب الإمام على ـ رضى الله عنه ـ إلى الأشتر النخعى عندما وَلّاهَ مصر وأعمالها . ويعد هذا الكتاب من أهم الوثائق التى جمعت أساسيات القيادة الإدارية وخصائصها إبان الصدر الأول من الإسلام حيث يحدد ـ رضى الله عنه ـ أهم المفاهيم الإدارية والخصائص القيادية الفعالة فى خطابه ، وذلك على النحو التالى :

١ ـ الرحمة والحب :

« وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكون عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم » .

٢ ـ تجنب المحاباة :

« أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خاصمه الله ادحض حجته ، وكان الله له حرباً حتى ينزع أو يتوب » .

٣ ـ ارضاء الجماعة :

« وليكن أحب الأمور إليك أوسطها فى الحق ، وأعمقها فى العدل وأجمعها لرضا الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة » .

٤ ـ اختيار المستشارين :

« ولا تدخلن فى مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً ، يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرصّ غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله » .

٥ ـ توفير الحوافز :

« ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة واحدة ، فإن فى ذلك تزهيداً لأهل الإحسان فى الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة ، والزم كلاً منهم ما ألزم نفسه » .

٦ ـ توظيف ذوى الكفاية :

« ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا توهلم محاباة وأثرة ؛ فإنها جماع من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم أهل التجربة والحياة من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم فى الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً ، وأقل فى المطامع إشرافاً ، وأبلغ فى عواقب الأمور نظراً » .

٧ ـ سياسة الأجور :

« ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغِنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك » .

٨ ـ الرقابة والمساءلة :

« ثم تفقد أعمالهم ، وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ؛ فإن تعاهدك فى السر لأمورهم قدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية . وتحفظ من الأعوان ؛ فَإنْ أحدٌ منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة فى بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة » .

٩ ـ الاتصال بالرعية :

« أما بعد ، فلا تطولن إحجابك عن رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل » .

١٠ ـ تقدير الأمور :

« وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها ، أو التسلط فيها عند إمكانها ، أو اللجاجة فيها إذا

تنكرت ، أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كل أمْر موضعه ، وأوقع كل عمل موقعه » .

هذه المفاهيم الإدارية والخصائص القيادية التى ذكرها الإمام على ـ رضى الله عنه ـ فى خطابه هذا تعد بحق من أهم مقومات السلوك القيادى التى يمكن استخدامها عند تدريب القادة والإداريين ، حيث يتضح فيها البعد الإنسانى المتعلق بالرحمة والرفق ، وإعطاء الناس حقوقهم كاملة ، وتأصيل الديمقراطية فى اتخاذ القرار ، كما يتضح أيضاً البعد التنظيمى المتعلق بالتوجيهات المحددة لإنجاز المهام المختلفة .

وهذه المعانى تعبر عن خصائص السلوكيات القيادية الواجب توافرها فى القائد ؛ فبقدر ما وضحت العموميات الأساسية فى سلوك القائد بينت أيضاً التفصيلات المهمة لتصرفات القائد مع مرءوسيه . من خلال إنجاز الأعمال .

ولقد رأينا العديد من الكتب الحديثة التى كتبها متخصصون فى علوم الإدارة والقيادة ، والتى تحمل العناوين الرنانة ، لتدريب الطموحين للمراكز الإدارية ، والذين يحتلون مناصب قيادية ليكونوا قادة ناجحين فى إداراتهم .

وبالرغم من أن مثل هذه الكتب ألفت لتكون صغيرة الحجم ، سهلة القراءة حتى لا تستهلك الوقت الكثير فى قراءتها واستيعابها ، ولكنها بجوار ما كتبه الإمام على تعد قاصرة إذا قورنت بما كتبه هذا الإمام العادل ؛ لأن كتاب الإمام على ـ والحق يقال ـ شامل للمعالم الإدارية : خصائصها واتجاهاتها ووسائل النجاح فيها .

وهذا ـ إن دل على شىء ـ فإنما يعطى القارىء تصوراً كاملاً على مقدار ما يحويه التراث الإسلامى فى مجال القيادة والإدارة من ملامح مضيئة ، وفوائد أصيلة قائمة على خبرة متكاملة بالشخصية الإنسانية ، وما فيها من خطوط مستقيمة وأخرى معوجة . وما دام القائد لديه خبرة بذلك استطاع أن يكون قائداً ناجحاً وإدارياً متفوقاً .

فمتى يعود رجال الإدارة والقيادة إلى هذا النبع ..؟ إن هذا البحث خطوة على الطريق ونرجو أن تتبعها خطوات فى مجال الإدارة والقيادة .

تحديات المسلمين في جنوب أفريقيا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾

سورة الحجرات

للأستاذ / محمد محمود حسانين

وصل نور العقيدة الإسلامية إلى جنوب أفريقيا مع الهجرات الهندية منذ بداية هذا القرن ، وقد اعتنقه أيضا عدد من أبناء البلاد الأصليين لما رأوا فيه من السماحة والمساواة وعدم التمييز بين الأجناس ..

لكن المسلمين هناك واجهوا كثيرا من المصاعب والمشاكل التى لم يعلم بها إخوانهم نتيجة العزلة والحصار اللذين فرضهما عليهما النظام العنصرى .

فلقد وجد هذا النظام فى الإسلام حجر عثرة ضد سياسته فى الفصل العنصرى RACIAL SEGREGATION وضد سياساته التى يتبعها ضد الملونين ، ففرض قيودا على اتصالات المسلمين بإخوانهم فى الأقطار الاسلامية ، إلا من أفلح فى اختراق الحواجز وذهب للدراسة فى الأزهر – مثلا – ، أو عن طريق استضافة قراء عرب – من مصر – خلال شهر رمضان .

وقد واجه المسلمون الصعوبات التى تواجههم فى جنوب أفريقيا بصبر واحتساب ، وبرز من بينهم قادة محليون ، ودعاة مخلصون ، ومفكرون واجهوا – ولا يزالون يواجهون – أشرس حملات التبشير وأعنفها من أجل تنصير المسلمين .

ومن ذلك الدورات المكثفة التى ينظمها المركز الاسلامى فى « ديربان » وجنوب أفريقيا ، بغية مواجهة النشاط التنصيرى والرد عليه ، وتحصين المسلمين ضده . عندما يطرق المنصَّرون أبوابهم عليهم فى بيوتهم !!

شراسة حملات التنصير

شنت إرساليات التنصير حربا لا هوادة فيها على المسلمين فى كل أنحاء أفريقيا ، وخاصة فى جنوبها وجندت لذلك المستشرقين والمنصرين الذين طرقوا على المسلمين بيوتهم ، وهاجموا معتقداتهم ، وكانوا من العداء لدرجة أن عددا من بين مسلمى جنوب أفريقيا حملوا على عاتقهم دراسة كتب النصارى ، لمواجهة هذه الحملات العدوانية ، والتى اشتركت فيها أكثر من ست وأربعين إذاعة نصرانية ؛ تبث براجها من داخل أفريقيا ومن روما وقبرص وبيروت ، وغيرها .

غفلة العالم الإسلامى
عما يجرى فى جنوب أفريقيا

والحقيقة أن أحدا فى العالم الإسلامى ـ على اتساعه ـ لم يشغل نفسه بقضيتهم أو يهتم بهم ، ولو من قبيل محاربة العنصرية التى يرفضها الإسلام ، أو الاهتمام بهم فى ظل الاهتمام العالمى بمحاربة العنصرية . على أن ذلك يرجع إلى مخطط العزلة ، الذى فرضه النظام العنصرى عليهم ، ومؤامرة الصمت و(التعتيم) المتعمد من قبل الاستعمار .

وترتب على هذه العزلة افتقار المسلمين فى جنوب أفريقيا إلى التفقه فى الدين ، باستثناء بعض الزيارات التى يقوم بها مشاهير قراء القرآن الكريم فى العالم الاسلامى ـ من مصر ـ لإحياء ليالى رمضان فى « دوربان » أو « ديربان » ، كما ينطقونها DURBAN وفى غيرها ، أما الوعاظ فكانت توضع أمامهم العراقيل .

وهكذا نجحت ـ الى حد ما ـ مؤامرة النظام العنصرى فى عزل أخبار إخواننا هناك عن العالم الإسلامــى ، وتصوّر المنصَّرون أنهم سوف يجدونهم ـ أو من بينهم ـ فرائس سهلة تسقط بين أيديهم فى سهولة ويسر ، لكن خاب فألهم !!

دور طليعى للمسلمين الأفارقة

لم يكتف المسلمون من أبناء (جنوب أفريقيا) بموقف الدفاع ، إنما نبغ من بينهم دعاة عالميون جرت بينهم وبين بعض القسيسين من النصارى مناظرات ، كان التوفيق فيها ـ بفضل الله ـ حليف المسلمين ، وأصدروا الكتب والشرائط والصحف والنشرات .

من بين هؤلاء الداعية الإسلامى النابغ «أحمد ديدات» الذى لقى الأذى والعنت على يد المنصرين أثناء طفولته . حدث ذات ليلة أنه كان يتحدث ـ فى الرياض ـ فى لقاء ضم الآلاف ، أسلم عقبه عدد من النصارى ، فسلمته رسالة تحتوى على بعض الملاحظات ، وفوجئت بجرس الهاتف يدق عندى قبل صلاة الفجر ، وألحَّ الطالب حتى قررتُ رفع السماعة ، وكان على الطرف الآخر العجوز الشاب الشيخ «أحمد ديدات» الذى بادرنى بالاعتذار عن الاتصال فى مثل هذا الوقت ، وأنه قد فرغ تواً من قراءة تعليقى ، وعجبت لشيخ فى مثل هذا العمر ، يعمل لمثل هذا الوقت ، ثم كانت سعة اطلاعه على الأوضاع فى عالمنا الاسلامى موضع مفاجأتى الثانية .

وعلمت منه أن هناك مركزا عالميا للدعوة الإسلامية فى (ديربان) وأنه يتصل به ـ لطلب المعونة والنصح ـ مسلمون من جميع أنحاء العالم ، خاصة المسلمون الأمريكان ، ومنهم « محمد على كلاى » بطل العالم السابق فى الملاكمة ، الذى يبذل قصارى جهده هو أيضا فى سبيل الدعوة إلى الله .

وقد فوجئت بسعة اطلاع الشيخ وإلمامه بمشاكل وأحوال المسلمين خارج وطنه ، بينما نجهل مشاكل المسلمين ـ عنده ـ فى جنوب افريقيا .

كان الله معهم فى كفاحهم وجهادهم ضد الاستعمار ، ومؤامراته لتذويبهم ، وضد العنصرية ، وجهادهم المشكور لنشر كلمة الله ، فقد طبعوا ـ على نفقتهم ـ ترجمات معانى القرآن للغات أفريقية عديدة ، ويجاهدون ـ فى حماس ـ للوقوف فى وجه محاولات التنصير بصبر وقوة إيمان ، لكن حاجاتهم ستظل مُلِحَّةَ إلى مؤازرة العالم الإسلامى لهم ماديا ومعنويا وإعلاميا .

الفتاوى

تجيب عنها علماء لجنة الفتوى بالأزهر

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فودة

أرجو إفادتى عن السؤال التالى ولكم خالص التحية .

ـ أودعت مبلغا كبيرا من المال «هو كل ماأملك» فى إحدى شركات الاستثمار . وكنت أحصل على العائد بانتظام ، وعلمت بأحوال الشركة فبادرت إلى شراء سلع من أحد الفروع التابعة للشركة «بكل ما لدى الشركة لى من مال» وعندما طالبنى موظفو الفرع بالنقود قدمت لهم الأوراق التى تفيد بأن هذا المبلغ بالضبط هو حقى لديهم ، ونظرا لنفوذى ورجالى الذين أخذتهم معى لم يستطع أحد أن يتكلم .

ولكن أخى أخبرنى بأن فى هذا المال ـ الذى أخذته ـ حرمة ؛ لأن به حقوق الآخرين .

مع العلم أننى أخذت حقى فقط ، ولم آخذ مليما غير حقى . أرجو الإفادة ولكم خالص الشكر .

من ناجى . أ . ص ـ القاهرة

حيث إن السائل أخذ حقه فقط ولم يتجاوزه . فذلك مباح له ـ ولا علاقة له بالآخرين ؛ لأنه لم يظلمهم ، ولم يأخذ من مالهم شيئا ـ والله أعلم .

السؤال : من السيدة أ . م :

تسلمت هدية من زوجى فى الخارج عبارة عن جاكت حريمى مصنوع من جلد الخنزير وتأكدت من ذلك .

هل يجوز لبسه أم لا ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

نفيد بأن الانتفاع بجلد الخنزير فى أى صناعة حرام ؛ لأنه نجس العين . وذلك بنص الكتاب والسنة . والله أعلم .

السؤال : من السيدة م . و .

ورثنا أنا وأخوتى منزلا وبه عدد من الطوابق للإيجار ، ولم نفكر الآن فى بيعه هل عليه زكاة مال ؟

ثم هل بعد أن نبيعه ـ إن شاء الله ـ يكون المال حال البيع عليه زكاة ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ ـ وبعد .

نفيد بأن العقارات المؤجرة إذا بلغت الأجرة

نصاب الزكاة ، ومقداره ٨٥ جراما من الذهب ، فقد وجبت فيه الزكاة ، ومقدارها ربع العشر « ٢٫٥٪ » أما إذا بيع البيت ، وبلغ ثمنه نصاب الزكاة ، ومر عليه الحول ففيه زكاة ومقدارها ربع العشر . هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال . والله أعلم .

السؤال من السيد : ح . س . غنيم .

١ ـ رجل كان يعمل بشركة أجنبية مقرها القاهرة ، وحدث أن أغلقت الشركة مكتبها ـ بالقاهرة وصُرفت مكافأة كبيرة للرجل فاشترى بها مقرا لمشروع تجارى ـ وأعد بما تبقى معه هذا المقر ـ وكتب المشروع باسم زوجته ـ وقبل أن يفتح المشروع توفى الرجل وترك زوجته وولداً وبنتاً .

٢ ـ تزوجت زوجة المتوفى من رجل آخر وأنجبت منه ولدا وتوفيت ـ رحمها الله ـ أثناء ولادته ، وعاش المولود .

٣ ـ قبل وفاة الزوجة أعلمت زوجها بأصول الأموال التى تخص هذا المشروع .

ـ ما طريقة توزيع حصيلة تصفية هذا المشروع الذى يبدأ من الأصل حتى الآن ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

الحمـــدلله والصلاة والسلام على سيدنـــا رسول الله ﷺ وبعد .

نفيد بأنه بكتابة الزوج لزوجته المشروع الذى أقامه وسجله باسمها أصبح ملكا لها ، وتوفى وهو على هذا الوضع ، وبوفاة الزوجة بعد أن تزوجت من زوج آخر ولها منه أيضا ابن ، فإن التركة توزع على الورثة الشرعيين وهم : الزوج الذى توفيت عنه ، وله الربع فرضا لوجود الفرع الوارث ، والباقى لأولادها من زوجيها تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى . هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال . والله تعالى أعلم .

السؤال : من المهندس م . و .

أنا أعمل بالتجارة فى أكثر من مشروع تجارى يشمل ورشة ومحل قطع غيار سيارات وخلافه .

ـ كيف أقوِّم زكاة مالى .

ـ هل الزكاة على رأس المال ، أو على الأرباح ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجواب :

الحمـــدلله والصلاة والسلام على سيدنـــا رسول الله ﷺ وبعد .

نفيد بأن الآلات التى تستخدم فى الورشة للتصليح وغيره لا زكاة فيها ، ولكن صافى الأرباح الناتج من عمل الورشة إذا بلغ نصاب الزكاة ، ومر عليه الحول فقد وجبت فيه الزكاة ومقدارها ربع العشر « ٢٫٥٪ » .

أما عن محل قطع الغيار ؛ فإن قطع الغيار تقوم فى بداية العام وفى آخره يضاف لها الأرباح فإذا بلغت النصاب فقد وجبت فيه الزكاة « أى وجبت فى رأس المال مضافا إليه الأرباح معا » ومقداره ربع العشر « ٢٫٥٪ » هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

من أعلام الأزهر

الأستاذ الإمام: محمد الخضر حسين

شيخ الأزهر الأسبق

الشيخ الخضر حسين

١٢٩٣ هـ ١٣٧٧ هـ

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

الشيخ محمد الخضر حسين كان فقيها عالما واسع الأفق فصيح العبارة أحرز قصب السبق فى مضمارى العلم والفقه ، وكذا فى مضمار الأدب دون نزاع ، كما تميز بصفاء مورده ودسامة غذائه الفكرى .

يصفه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة بجامعة الأزهر فيقول : (كان رحمه الله يكتب فى الأصول والتشريع والتاريخ كتابة المتعمق الدقيق ، وكان يُدرِّس لطلاب كلية أصول الدين أبوابا من السياسة الشرعية ، يغوص فيها مغاص الأصولى الجدلى المتكلم ، ثم هو صاحب رسائل أدبية ومقالات تحليلية وديوان شعرى يجعله فى طليعة أرباب الفن الرفيع[1]) .

ويقول عنه الأستاذ الدكتور عبد الجليل شلبى الأمين العام الأسبق لمجمع البحوث الإسلامية : إنه كان دؤوبا على القراءة والدرس ، دؤوبا على الكتابة محبا للإصلاح ، معنيا بنهضة الشرق ، ويرى أن إصلاحه لا يكون إلا عن طريق الإسلام ، وبهذه الروح الدؤوب الوثوب تبرز فى حياته جوانب خاصة فهو عالم من علماء الإسلام ، يوضع فى الصف الأول من رجال الزهد ورجال الصراحة والصرامة فى الحق ثم من رجال البر والإحسان والمروءة[2] .

نشأته ومولده :

ولد الشيخ محمد الخضر حسين بمدينة (نفطة) التونسية على حدود الجزائر فى ٢٦ من رجب سنة ١٢٩٣ هـ من أسرة كريمة تنتمى إلى

(١) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الأول تأليف الدكتور محمد رجب البيومى سلسلة البحوث الإسلامية .

أسرة الأشراف الأدارسة تلك الأسرة التـــى حكمت المغرب فتـرة من الزمـن فى العصور الماضية ، وكانت أسرة والده وأسرة والدته من ذوى العلم والأخلاق والدين كما كان لنسبه الهاشمى الكريم والنشأة التى نُشِّىء عليها تعزى صلابته فى الحق وزهده فى الدنيا واستعداده للتضحية .

وفى صغره حفظ القرآن الكريم وألم بمبادىء القراءة والكتابة وطرفا من العلوم العربية والشرعية ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة تونس عاصمة تلك البلاد سنة ١٣٠٥ هـ وفيها التحق بجامع الزيتونة سنة ١٣٠٧ هـ وهو شبيه بالجامع الأزهـر فى القاهرة فواصل دراسته على كبار العلماء به حتى نال شهادة العالمية عن جدارة وتهيأ للإفادة كاتبا ومدرسا وقاضيا .

فعمل أولا مدرسا فى جامع الزيتونة ، وفى سنة ١٣٢٤ هـ ولى قضاء (مدينة بنزرت) وكذلك الخطابة فى مسجدها لكنه بعد فترة استقال وعاد إلى جامع الزيتونة وتطوع للتدريس فيه حتى تم تعيينه به سنة ١٣٢٥ هـ، وفى سنة ١٣٢٦ هـ عين مدرسا (بالصادقية) وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة فى تونس وفيها أخذ يلقى محاضرات عن الحرية فى الإسلام وحياة اللغة العربية(٣) .

البلاد التونسية عصر الإمام :

كان جزء كبير من سكان تلك البلاد من البدو لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادتين : (لا إله إلا الله ـ محمد رسول الله) ولا يصل إليهم شىء من العلم إلا فى بعض الأماكن التى أنشأ فيها رجال الصوفية بعض الزوايا ، إذ كانت تعلم الناس شيئا من علوم الإسلام .

أما الجاليات الأجنبية من فرنسيـة وإيطاليـة وإنجليزية فلها مدارسها التى تعلم أبناءها وقليلا من أبناء البـلاد علـوم الريـاضة من حساب وجبر وهندسة وكذلك اللغـات والتـاريخ والجغرافيـا وهؤلاء الآخرون إذا تخرجوا كانوا أقدر على فهم الحياة هناك فأمسكوا بزمام الأمور فتتحول مالية البلاد إلى أيديهم .

وأما عن إدارة البلاد ففوضى ما بعدها فوضى فالحاكم مستبد بأمره وأحب الناس إليه من يجمع له المال من حرامه ومن حله ، ولا ضبط فى أمور البلاد المالية من دخول أو خروج ، والعدل والظلم متروكان للمصادفات ، فإن تولى بعض الأمور موظف عادل أشاع فى محيطه العدل لكن ذلك كان موقوتا بحياته وشخصه .

أما نظام القضاء والجيش والإدارة والضرائب والجباية والصرف على المرافق والوظائف فكان على النمط البالى العتيق ، والأدهى من ذلك أن كثيرا من الأمور تنفذ بالأوامر الشفوية فلا مرجع لها ولا يمكن الحساب عليها(٤) .

محاولته الإصلاح بإنشاء صحيفـة « السعـادة العظمى » :

عندما رأى الشيخ محمد الخضر حسين أن المحتل الفـرنسى لبـلاده يحاول أن يطـمس نور

(٢) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية مقال بقلم الدكتور عبدالجليل شلبى بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ـ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م .

(٣) مجلة منبر الإسلام العدد التاريخ بمناسبة العيد الألفى للأزهر جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ـ مارس ١٩٨٣ م .

(٤) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الأول المرجع السابق .

الإسلام وشريعته فى تونس بحشد قوته العسكرية لتشويه اللغة العربية والحكم عليها بالجمود والتقهقر حتى ينصرف الناس عنها وبالتالى يبتعدون عن قرآنهم المجيد وأحاديث رسول الله ﷺ فتنقطع الصلة بينهم وبين تراثهم العلمى والدينى العظيم ، عندما رأى الشيخ ذلك أنشأ - رحمه الله (صحيفة السعادة العظمى) على نمط (صحيفة العروة الوثقى) التى كان يصدرها السيد جمال الدين الأفغانى والأستاذ الإمام محمد عبده فى باريس وكان هدف صحيفته نشر محاسن الإسلام وفضح أساليب الاستعمار الفرنسى ، إذ كان يعتقد أن فساد الأمم الإسلامية يرجع فى أصح أسبابه إلى انصراف المسلمين عن هدى شريعة الإسلام ، وأن السيطرة الأوروبية لم تملك زمام الأمور فى الشرق إلا حين اعتصمت بالعلم واستضاءت بالعقل ، وأن الشلل العقلى لم تتمهد وسائله المؤسفة وأسبابه القاتلة فى ربوع الأمم الإسلامية إلا حين استطاع الدخلاء الأجانب أن يلبسوا الحق بالباطل فيصموا الإسلام بما هو براء منه من الجمود والتزمت والاستسلام والأخذ بالخرافات والبدع والغيبيات المزعومة مما لم يأت به وحى سماوى ، أو هدى نبوى لذلك كانت مهمة تلك الصحيفة مهمة شاقة وخطيرة لأنها أخذت تحارب القوة والمال والنفوذ ، كما أخذت تناهض الباطل بالحق وتحارب الكفر بالايمان(٥) .

دعوته لمعاونة الدولة العثمانية فى حربها مع إيطاليا :

لما قامت الحرب الطرابلسية بين إيطاليا ودولة الخلافة العثمانية سخَّر الشيخ محمد الخضر حسين قلمه ولسانه للدعوة إلى تعبئة عامة وشحذ الهمم وبعث الروح الإسلامية والتأكيد على الأخوة الإسلامية من أجل الوقوف صفا واحدا لمعاونة الدولة العثمانية ، وكتب بصحيفة (السعادة العظمى) قصيدة وطنية يدعو فيها للثورة(٦) .

فرنسا تطارده :

لم يسكت المستعمرون الفرنسيون عن صحيفة السعادة العظمى وصاحبها فقد أقض مضاجعهم ما ينادى به من مبادىء الاستقلال وإصلاح حال الشعب التونسى وفيما كتبه من قصيدة يدعو فيها للثورة فآذوه وناوءوه ووجهت إليه الحكومة الفرنسية تهمة بث روح العداء للغرب ، وبخاصة لسلطة الحماية الفرنسية وقد انتهى بهم المطاف إلى الحكم عليه بالإعدام .

ولما لم تكن نوايا المستعمرين خافية عليه فقد أعد للأمر عدته وأسرع بمغادرة تونس إلى (مدينة استامبول) معتقدا أن مجال الإصلاح بها أوسع وأرحب لكن خاب ظنه وانهارت آماله حين وجد عاصمة الخلافة الإسلامية تموج بالدسائس المغرضة والمؤامرات الرخيصة فهاجر منها سريعا إلى سوريا وفى دمشق عاصمتها اشتغل مدرسا للغة العربية فى المدرسة السلطانية .

(٥) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الأول المرجع السابق .

(٦) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٨ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ - ٢٢ يوليو ١٩٨٨ م ملامح شخصية مقال (الشيخ الخضر صبحى المجاهد المهاجر بدينه) بقلم الأستاذ أبو بكر عبدالرازق .

لكن نفسه تاقت إلى الالتقاء بالأحرار المسلمين زعماء الإصلاح أنصار الفكرة الإسلامية بألمانيا أمثال الشيخ عبد العزيز جاويش والزعيم محمد فريد والمجاهد عبد الحميد بك سعيد فسافر إلى ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى ، والتقى بهم وكانوا جميعا يعملون من أجل استقلال الدول الإسلامية ، وقد انتهز وجوده بتلك البلاد فتعلم اللغة الألمانية ثم عاد بعد ذلك إلى دمشق مرة ثانية ليواصل التدريس بالمدرسة السلطانية ، حتى إذا انتهت الحرب العالمية الأولى أسرع الفرنسيون باحتلال سوريا ولبنان وهم الذين حكموا عليه بالإعدام فى تونس فسارع بالهجرة إلى مصر فرارا بحريته(٧) .

استقراره بمصر اعتبارا من سنة ١٩٢٠ م

لما كان رحمه الله قد سئم كثرة الأسفار وعدم الاستقرار لذلك عقد نيته على أن يستوطن القاهرة وتجنس بالجنسية المصرية وجذبته دار الكتب المصرية فعمل محررا بالقسم الأدبى فيها عدة سنوات بأجر زهيد لا يتفق ومنزلته الكبيرة ، لكنه كان بتوفيق الله له صلة حميدة بالأدب وله نبوغ علمى فيه ، ثم له اتصاله بأشباهه من الغيورين على مقدسات الإسلام من أعلام المفكرين كمحب الدين الخطيب وأحمد تيمور باشا وعبد الحميد بك سعيد وعبد الوهاب النجار ومحمد رشيد رضا(٨) .

انتسابه للأزهر وحصوله على شهادة العالمية منه وعمله أستاذا بإحدى كلياته :

تقدم ــ رحمه الله ــ لامتحان العالمية بالأزهر ، وكان الامتحان شفويا وكان الشيخ عبد المجيد اللبان من كبار علماء الازهر وقتئذ رئيسا للجنة الامتحان مع نخبة من زملائه المختارين فأبدى الشيخ محمد الخضر حسين من الرسوخ والتمكن ما أدهشهم حتى إن الشيخ اللبان صاح بملء فيه (هذا بحر لا ساحل له فكيف نقف معه فى حجاج ؟) .

وبجدارة نال الشهادة العالمية الأزهرية وبها صار أستاذا فى الأزهر فمدرسا بكلية أصول الدين(٩) .

نشاطه فى الجمعيات الإسلامية :

اشترك فى عديد من الجمعيات الإسلامية إذ كان يرى فيها عاملا وعنصرا من عوامل وعناصر النهضة .

١ ــ ففى الزيتونة بتونس اشترك فى تأسيس (الجمعية الزيتونية) وكان إذ ذاك يدرس فى (جامع الزيتونة) وخطيبا فى (مسجد الخلدونية) سنة ١٩٠٧ م .

٢ ــ وفى مصر شارك فى تأسيس (جمعية الشبان المسلمين) سنة ١٩٢٧ م وقد وضع لائحتها الأولى مع صديقه الأستاذ محب الدين الخطيب ، وقد قامت هذه الجمعية برسالتها المخلصة فى هداية الشباب الإسلامى ومحاربة الإلحاد العلمى والنزق الخلقى واستطاعت أن تصد

(٧) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الأول المرجع السابق .

(٨) كتاب النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين الجزء الأول المرجع السابق .

(٩) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ــ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م المرجع السابق .

هجوم الحضارة المادية الملحدة بما تقوم به من ندوات ومحاضرات ، وما تنشره من صحف ومؤلفات .

٣ ـ ثم أنشأ فى مصر أيضا (جماعة الهداية الإسلامية) لتساند (جمعية الشبان المسلمين) فى الدعوة إلى الله ـ وقد كان نشاطها علميا أكثر منه اجتماعيا ، وكانت محاضراتها المتابعة قد وجهت الأذهان إلى كنوز الثقافة الإسلامية ، كما أن مجلتها الشهرية كانت تحمل الروائع من التفسير القرآنى وتشريعات الإسلام واللغة والتاريخ والكثير من علمه وآرائه .

أما على مستوى القارة الإفريقية فإنه كان قد أسس سنة ١٩٢٤ م (جمعية تعاون جاليات أفريقيا الشمالية) وهى جمعية حاول بها أن يبث اليقظة والثقة بالنفس فى قلوب الإفريقيين وكان يرى أن هذه الأقاليم فى شمال أفريقيا جديرة بقيادة الشعوب الافريقية الأخرى وإيقاظها ، وأن تلك الشعوب لم تستعمر وتفقد استقلالها إلا لإغراقها فى الجهل ، وأنها لو كانت على حظ من العلم يضاهى ما عليه البلاد الغربية ما وقعت فريسة لاستعمارها ولهذا كان فى محاضراته وكتاباته يحث على الدعوة إلى التقدم العلمى والصناعى(١٠) .

توليه رئاسة تحرير مجلة الأزهر وإشرافه على مجلة لواء الإسلام فى بداية إنشائها :

كان لأسلوبه الجيد ومقدرته على الكتابة الفضل فى تكليفه برئاسة تحرير مجلة الأزهر عند صدورها سنة ١٩٣٠ م وقد كانت تدعى يومئذ بمجلة (نور الإسلام) وقد غُيِّر اسمها بعد سبعة أعوام إلى اسمها الحالى (مجلة الأزهر) .

وفى مجلة الأزهر وفى مجلة لواء الإسلام حارب على صفحاتها ما يَنِدُّ من الأقوال المنحرفة فى الأدب واللغة والدين(١١) .

اختياره عضواً فى مجمع اللغة العربية بمصر :

ثم اختير عضوا بالمجمع اللغوى فأبدى من الآراء السديدة فى الإصلاح اللغوى ما تشهد به مجلة المجمع ومحاضر جلساته ، وهو أول من أعلن بالمجمع صحة الاحتجاج بالحديث النبوى ، وكان واحدا ممن اشتركوا فى معارك النقاش اللغوى حول الوضع الاصطلاحى ، وحق المحدثين فى وضع الكلمات .

وبالإضافة إلى ما تقدم ما خاضه من بحوث تتعلق بالاشتقاق والتعريب والفصيح والدخيل وجموع التكسير قياسية وسماعية مما يشهد له بالتخصص الماهر الفاحص فى فنون اللغة والبيان(١٢) .

موقفه من كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للشيخ على عبد الرازق :

فى سنة ١٩٢٤ ألف على عبد الرازق هذا الكتاب وذكر أمورا لا تتفق مع مفاهيم الإسلام الأصيلة نذكر منها قوله إن الإسلام دين عباده فقط ولا صلة له بالسياسة والحكم ولم يأت اسم الخلافة

(١٠) جريدة الأخبار القاهرية ملامح شخصية بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ـ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م المرجع السابق .

(١١) كتاب النهضة الإسلامية الجزء الأول المرجع السابق .

(١٢) كتاب النهضة الإسلامية الجزء الأول المرجع السابق .

فى القرآن ولم يعين النبى ﷺ خليفة بعده ، وأن القضاء فى زمن النبى ﷺ لا يخلو من غموض أو إبهام مخالفا بذلك ما أجمع عليه المسلمون فغضب الشيخ محمد الخضر حسين غضبا شديدا ، ولم تحل صداقته لآل عبد الرازق بينه وبين أن ينقد الكتاب ويبرز ما فيه من أخطاء ، ويضمن كل ذلك فى كتاب أخرجه وقتئذ سماه (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) .

وفى نقده تناول عبارات المؤلف بسخرية واتهمه بالنقل لأقوال أعداء الإسلام من المستشرقين وجعلها المنبع الأول لفهم الحكم فى الإسلام على ضوء ما يفهم الأوروبيون من المسيحية ولكن الإسلام شىء والمسيحية شىء آخر فالإسلام دين ودولة والرسول - ﷺ - حاكم ومبلغ معا .

وقد أثار كتاب الشيخ على عبد الرازق ضجة كبيرة فانعقدت لجنة من علماء الأزهر لفحص الكتاب ومحاكمة صاحبه ، وانتهت وقتئذ إلى سحب شهادة العالمية منه ، ونتيجة لذلك تم عزله من مناصب القضاء[١٣] .

موقفه من كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين :

لما ظهر كتاب الشعر الجاهلى وزعم فيه مؤلفه أن جل ما قيل منسوبا إلى شعراء الجاهلية اختلاق زائف ، ثم هاجم المقدسات الدينية هجوما شديدا ومن ذلك قوله : إن قصة إبراهيم وإسماعيل قصة خرافية اخترعها اليهود لعقد صلة بينهم وبين العرب من جهة ولربط اليهود المتفرقين بكونهم أبناء يعقوب من جهة أخرى ، وحديث القرآن الكريم عن إبراهيم وإسماعيل لا يكفى لإثبات وجودهما فى التاريخ ، كما أعلن مؤلف ذلك الكتاب أن دعوة الإسلام دعوة محلية فى جماعة خاصة فهى ليست دعوة عامة عالمية للبشرية كما ينطق بذلك القرآن صراحة مع أن هذه كلها قضايا حسمها علماء الإسلام من قديم بالأدلة النقلية والعقلية .

ولئن جادت الساحة العلمية بنقد كتاب الشعر الجاهلى بمعرفة أساتذة اعلام كالأساتذة مصطفى صادق الرافعى ومحمد لطفى جمعه ومحمد فريد وجدى والغمراوى فقد مزقوا الكتاب تمزيقا علميا بما فضحوه من السرقة والتدليس ومجافاة الحق لكن الشيخ محمد الخضر حسين زاد عليهم بشىء تفرد به وهو غوصه على النصوص العربية من أمهات الكتب العربية العلمية التى جهلها الدكتور طه حسين فظن أفكاره فى الشك والانتحال ستكون جديدة على القارىء العربى وأكثرها مدون بنزاهة فى الكتب الأمينة التى حرفها رجال الاستشراق عن قصد ثم سطا عليها المؤلف بعد التحريف فثرثر بها فى كتابه ، كذلك استطاع الشيخ - رحمه الله - أن يجد الأصل الاستشراقى الذى سطا عليه المؤلف سطوا فاحشا فيما كتبه المستشرق مرجليوث فى مجلة الجامعة الأسيوية الملكية سنة ١٩١٦ م وفى كتاب محمد الــذى نشره المستشرقون سنة ١٩٠٥ .

(١٣) جريدة الأخبار القاهرة ملامح شخصية بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ - ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م المرجع السابق .

ومما كشفه نقد الشيخ محمد الخضر أنه يرى عجبا حين يجد المؤلف يضطر للشك فى المتواتر من أخبار القرآن (بحكم منهج ديكارت ، ثم يقبل كل رواية مريضة واهية يذكرها كتاب الأغانى كحكم مُسَلَّم به يستند إليه فى قضية الانتحال[١٤] .

كما استشهد بكتاب نشر بالإنجليزية للمستشرق الإنجليزى العلامة (تشارلس ليال) الذى أقام الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة على أصالة الشعر الجاهلى كما نشر طائفة من دواوين الشعراء الجاهليين .

ونتيجة للنقد العلمى الدقيق لذلك الكتاب حقق مع مؤلفه « طه حسين » مما اضطره إلى حذف هذا الباب من الكتاب المشار إليه[١٥] .

تعيينه شيخا للأزهر :

وفى يوم الثلاثاء ٢٦ من ذى الحجة سنة ١٣٧١ ه الموافق ١٦ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ م ولى مشيخة الأزهر (أثر قيام حركة ضباط الجيش فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م) وكان لديه أمل عريض للنهوض بتلك المؤسسة الإسلامية الكبرى وجعلها وسيلة لبعث النهضة الإسلامية العظمى التى يتطلع إليها العالم الإسلامى فى جميع القارات ، ولقد رأى الأزهر لعهده حلقة ذهبية من حلقات الكمال والجلال والوقار ، وطفق الزائرون من كتاب وعلماء وصحفيين يتقاطرون على مكتبه يسألون عما يعن لهم من أمور الإصلاح الدينى والتشريع الإسلامى والتقدم الحضارى فيجدون منه الإجابة الرصينة السديدة[١٦] .

اعتراضه على بعض الأمور السيئة ومواقفه الجريئة :

لقد كانت مواقفه الجريئة تدل على تقديره للعدل وعدم مبالاته وخضوعه إلا لله وحده .

١ ـ فقد كتبت إليه إحدى الأميرات بعد سقوط أسرة محمد على أن أحد الضباط الكبار يطاردها .

٢ ـ وتلقى فى الوقت نفسه توصية بمدرس من أحد الوزراء .

٣ ـ وكانت محكمة الغدر تحاكم السياسيين السابقين وفى المحكمة تناول المحامى وليم مكرم عبيد وكذا وزير سابق زوجة النحاس باشا بالنقد والسباب فذهب الشيخ محمد الخضر حسين إلى رئيس الجمهورية إذ ذاك محتجا غاضبا وطلب منه .

١ ـ أن يأمر بإجراء تحقيق فى خطاب الأميرة .

٢ ـ وأن يحاسب الوزير الموصى على وصايته وكان الوزير جالسا ولكن الشيخ لا يعرفه .

٣ ـ ويجب محاكمة وليم مكرم عبيد ومن كان معه على سب امرأة عفيفة محصنة ولقد كان بينه وبين الرئيس التونسى الحبيب بورقيبه من قبل صلة وصداقة فلما جاء إلى مصر وهو رئيس للجمهورية

---

(١٤) كتاب النهضة الإسلامية الجزء الأول المرجع السابق .

(١٥) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٨ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ ٢٢ يوليو ١٩٨٨ م ملامح شخصية المرجع السابق .

(١٦) كتاب النهضة الإسلامية الجزء الأول المرجع السابق .

زائرا طلب مقابلة الشيخ محمد الخضر فلما جاءه رسولِهِ قال له : ولماذا لم يحضر إليّ إذا كان يريد مقابلتى ؟ أنا لا أذهب إلى أحد[١٧] .

استقالته من مشيخة الأزهر احتجاجا على بعض الأمور :

ففى الثانى من شهر جمادى الأول سنة ١٣٧٣ هـ الموافق ٧ من يناير سنة ١٩٥٤ م تقدم باستقالته بسبب الافتراءات المتعمدة على رجال القضاء الشرعى والتى كان من نتيجتها إدماج القضاء الشرعى فى القضاء الوطنى وقال قولته المأثورة (ان الأزهر أمانة فى عنقى أسلمها حين أسلمها موفورة كاملة وإذا لم يتأت أن يحصل الأزهر على مزيد من الازدهار على يدى فلا أقل من ألا يحصل على نقص[١٨] .

كتبه ومؤلفاته : نذكر منها :

١ ــ نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم .
٢ ــ نقد كتاب فى الشعر الجاهلى .
٣ ــ آداب الحرب فى الإسلام .
٤ ــ القياس فى اللغة العر بية .
٥ ــ رسائل الإصلاح فى ثلاث مجلدات .
٦ ــ الخيال فى الشعر العربى .
٧ ــ تعليقات على كتاب الموافقات للشاطبى .
٨ ــ ديوان شعر له بعنوان (خواطر الحياة)[١٩] .

وفاته :

لقى الشيخ محمد الخضر حسين ربه فى ١٣ رجب سنة ١٣٧٧ ه الموافق ٢٢ من فبراير سنة ١٩٥٨ م ولم يخلف من حطام الدنيا سوى بقية من آخر أقلام استعملها فى كتاباته فأهداها إلى خزانة صديقه الحميم العلامة أحمد تيمور باشا ومعها أبيات شعر ربطها بها يقول فيها :

سفكت دمى فى الطرس أنمل كاتب
وطوتنـــــــــى المبرأة إلا ما نرى
ناضلت عن حق يحاول ذو هوى
تصويـــره للنـــاس شيئـــا منكـــرا[٢٠]

وكان رحمه الله هو وزوجه وخادمته يعيشون على ثلاثين جنيها ، فلما تولى مشيخة الأزهر اكتفى بهذا المبلغ وأخرج ما زاد للفقراء والمساكين ومات رحمه الله تاركا مثلا عليا ما أحرانا أن نحافظ عليها ونقتدى بها .

---

(١٧) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ــ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م ملامح شخصية المرجع السابق .
(١٨) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٨ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ــ ٢٥ يوليو ١٩٨٨ م ملامح شخصية المرجع السابق .
(١٩) مجلة منبر الإسلام العدد التاريخ جمادى الأولى وجمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ــ مارس ١٩٨٣ م المرجع السابق .
(٢٠) جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ ٩ رمضان ١٤٠٨ هـ ــ ٢٥ ابريل ١٩٨٨ م ملامح شخصية المرجع السابق .

الشعر والشعراء

الشعر والشعراء . إشراف . رشاد محمد يوسف

« تهنئــة »

لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة شفائه

للأستاذ الدكتور عبدالعزيز غنيم

تهلل الوجه بشـراً بعـدما امتقع ... وأذهب الله عنك الضر والوجع

وكان ما كان من هم ومن وصـبٍ ... سحاب صيفٍ رمـاه النور فانقشع

ألا ترى الأزهر المعمور مبتسـماً ... وكان أمس شجياً شـارداً (فَزِع)

يرجو لك البُرءَ من مولاك مبتهـلاً ... حتى استجاب له الرحمنُ واسّمع

وعدت يا (جادُ) للإسلام تحرسه ... وتدفعُ الشر عنه حيثُما وقَعَ

شمس الوجود محمد صلى الله عليه وسلم

للشاعر الدكتور/ عبد الفتاح عمرو شعيب*

نفسى إلى تلك الرُبَا تتشوقُ | فضياءُ أحمدَ فوقها يتألق
تهفو إلى شمس الوجود محمدٍ | ماحى الظلاَمِ من النفوس وتخفق
وتتوق ـ لا متطلع إلا إليه (م) | ولا هدى إلا به .. يتحقق
سُحِقَ الظلامُ فما غدا فى الأرض (م) | بابٌ دون نورِك يا محمدُ مغلقُ
ربَّاهُ هذى أعين فى نوره | نامت ، وأخرى فى الظلام تحدِّقُ
لو أن هذا النور صادف أنفساً | تجياه ما أضحى هناك تفرق
هو منقذ الدنيا وسرّ حياتها | فلها به منذ القديم تعلق
هذا السنا الوضاح عصمةُ ربه | عهد على مر الزمان موثقٌ
إن الحضارة فى الكتاب أساسها | نبعٌ إذا مس الحجارة تورق

• • •

كل الحضارات ازْدَهت ثم انتهت | لكنْ حضارة أحمدٍ لا تخلقُ
يا هذه الأدواح فى التاريخ ردِّى (م) | قول كل مكابر يتشدق ،
رباه أدرك أمة فى لجة (م) | الأهواءوالأطماع كادت تغرق
لعبت بها الأهواء فهى كليلة | تمشى كما يمشى العليل المرهق
ما للإخاء تقطعت أوصاله | بين العروبة والشقاق يطوِّق
عبثت يد الشيطان فى أنحائها | فالأمر فيها للوساوس مطلق
وكأنها لم تَبْنِ ـ قطُّ ـ حضارةً | فغدت تدمِّر نفسها وتحرِّق
لو أنها عادت إلى إسلامها | عاد الشراع مرفرفا يتألق
وسعت إليها الأرض تخطب ودَّها | حق القوى أمانة لا تسرق
حتى إذا كان السباقُ رأيتها | فى كل مضمار السيادة تسبق

* وكيل معهد الفاروق الإعدادى الثانوى الأزهرى بمدينة نصر

أحزان القبلة الأولى

للشاعر: رشاد محمد يوسف

قَلَّبتَ وَجْهَكَ فى السماء طويلا ... تبغى مساراً للهُدَى ودليلا
قلَّبت وجهك والنجومُ تألقتْ ... من نُورِ وَجْهِكَ والبُدُورُ طويلا
قلَّبت وجهك هل تُراها دعوة ... للبيت قد ملكتْ عليك سبيلَا
فانعم فقد جَادَ الكريمُ بفضله ... ولّاك رَبُّكَ قِبْلَةً وقبولا
لا يشغلنّك ما يقولُ سفيههم ... قد سَاءَ قَوْلاً أخرقاً ضلّيلا
فالله أعلمُ بالذين تعثّرُوا ... بين الظنُونِ وبُدِّلُوا تبديلا
والله أعلم بالذين تثبتوا ... خلف الرسول أحبة وعدولا
الأرض محراب الإله مشارق ... ومغارب قد ذللت تذليلا
والمسجد الأقصى يعانق فى الذرا ... بيتا أقيم مثابة ومقيلا
رفع الخليل به القواعد داعيا ... وفدى الإله لديه إسماعيلا
وتوافدت كل الخلائق نحوه ... جيل يتابع فى الهداية جيلا
للكعبة العصماء وَلّوا وَجْهكم ... وترسموها بكرة وأصيلا

• • •

يا مسلمون وما لعينى لا ترى ... إلا كيانا تائها مخذولا
تتقبلون الأمر فى غيبوبة ... والشر يحدق عاصفاً ومهولا ؟
أتظل أولى القبلتين أسيرة ... قد نكلوا بشبابها تنكيلا ؟
أتظل قدس الله تندب حظها ... تنعى شباباً أعزلا وكهولا ؟
أتظل جرحا فى الحنايا غائراً ... وتظل للدمع السخين مسيلا ؟
ما قيمة الكلمات طال حديثنا ... صار الكلام ممزقاً وملولا
آمنت ما غير الجهاد وسيلة ... هو خير قافية وأقوم قيلا
آمنت ما غير الجهاد ضريبة ... تحمى البلاد عراقة وأصولا
وتعيد للقدس الشريف رواءه ... وتعيد كرما أخضرا وسهولا
ويعود تكبير المآذن عاليا ... ويظل رجع ندائها موصولا

أبالموت تذكِّرنى ؟!

للشاعر / محمد عَبد الرحمٰن صَان الدِّين

لا تذكِّـــرنى ، فإنى
قد طرحت اللهو عنـى
كيـف أنسى ماثـلا فى
خاطرى أو نصب عينى
كيـف أنساه ، ومـا فى
الأرض شىء عنه يَثنى ؟
كيـف أنساه ، وفيـــه
اليوم إنشادى ولحنى ؟
لست أنسى بعدمـا قد
ناء بالأيـــام مَتْنــى[١]
إنما الموت خلــــود
فى حيـــاة ذات لون
ما أرى دنيـــاى إلا
طيف حلم مس جفنـى
والـــذى يطفــو عليها
لمع آل ليس يغنـــى[٢]
ليس شيىء لم يَحُل عَمَّا
بدا لى بدءَ سِنِّـــى[٣]
ذاك طين كان زهـــرا
يفتـــن الــرائى بحسن
ذاك روض كان جَدْبـا
موحشاً ، مأوَى لجن
ذاك شيـــخ منهك قد
أنَّ من سقم ووهْـن[٤]
كان هذا الشيـخ قَبـلا
برعمـا يزهـــو بغصن
ناعـم الوجـــدان غضًّا
من حنـان الأم يجنـــى
والذى قد كان مضمونا
بكفـــى ضاع منـــى
والذى ما كنت أدريـه
وعـاه اليـــوم ذهنـــى
إنها الدنيـــا ، وقـــد
راقــبت فيها كل شأن
ما رأت عينـــاى منها
غير أوهـــام دهتنـــى
مايمينـــــى ؟ ما شمالى
ما الذى فى العيش أعنى ؟
هل أنا ما زلت حيـا ؟
أم طوتنى كف حَيْنَى ؟[٥]

المفردات :

(١) متنى = ظهرى . (٢) يطفو = يعلو على السطح ، آل = سراب . (٣) يحل = يتغير . (٤) وهن = ضعف . (٥) حينى = موتى .

والذى يجرى أمامى
واقع ، أم نسج ظن ؟

لا تمنينى بشىء
قد مضى عهد التمنى
لم تعد تسبى فؤادى
لفتة الظبى الأغن

أو يُبُثَّ الشجوَ روحى
ذلك الطير المغنى
أو تنير الشمس نفسا
فى كيان تحت دَجْن (٦)

فى حياة راج فيها
كل بهتان ، ومَيْن (٧)
أينما تمشى تلاق
الشر غشّى كل ركن (٨)
ما لقيت العمرَ فيها
غير إجحاف وغبن

أو سهام مرشقات
صَوَّبتها كف ضِغْن (٩)
من عدو سافر تأتى
ومن صَبْوات خِدْن (١٠)
هكذا الإنسان مجبول
على ختل ، وطعن (١١)
كيف يحيا عاقل
فيها بقلب مطمئن ؟
بئست الدنيا إذا لم
تُلْفِ فيها ظل أمْن (١٢)

★ ★ ★

يا أخا الدنيا اغترف ما
شئته منها ، ودعنى
إنما أبغى حياة
فى رحاب الموت تهنى
إن روحى فى كيانى
طائر يحيا بسجن

(٦) دجن = ظلام . (٧) مين = كذب . (٨) غشى = غطى . (٩) ضغن = حقد . (١٠) خدن = صديق ، صبوات = ميل إلى الجهل . (١١) مجبول = مطبوع ، ختل = خداع . (١٢) تلف = تجد .

نشيج الشوق

شــــعر : إبراهيم عيسى

الشـــــوقُ ثـــــار علىِ مواسِـــــمِ غُرْبَتـــــى
والـــــدرْبُ طـــــال وأجْفَلـــــتْ عصفـــــورتى

والقلـــــبُ فى صـــــدرى يَضِـــــجُّ حنينُـــــهُ
وأكـــــاد أُمْسِـــــكُ فى الحنـــــايـــــا خَفْقتـــــى

والـــــروحُ تَقْـــــرَعُ بـــــابَ فجـــــرى .. والدجـــــى
يقظـــــانُ تَعْبَـــــثُ راحتـــــاه بخُطْـــــوتى

والليـــــلُ مَغْلـــــولُ الضيـــــاءِ مُسَـــــهَّـــــدٌ
يغتـــــالُ فى كَـــــرٍّ الزمـــــانِ سـكينتـــــى

والذنـــــبُ (مشـــــنقـــــةُ) الضـميـــــرِ وجُـرْحُـــــهُ
وبحـــــانـــــةِ الظلمـــــاءِ أَلْعَـــــنُ وِجْهَتـــــى

وسَـــــرَتْ ظنـــــونى فى العيـــــون غمامَـــــةً
عرجـــــاءَ تَحْجُـــــبُ نجمتـــــى عن نظـــــرتى

إنَّ الـــــذى أسْـــــرَى بأشـــــواق إلـــــى

شلَالِ فجرِ الحبِّ يعلم خَيْرتى

ما عاد أُنْسُ الإنْسِ يُؤْنسُ عالمى
ولَمَمْتُ من كفِّ المساءِ بقيَّتى

ونهَرْتُ أحلامى .. وبين جوانحى
شوقٌ إلى غيْبٍ يُضىءُ عشيَّتى

يا حادِىَ الأيامِ عانِقْ لهفتى
فأنا ذبيحُ الشوقِ ليلةَ خلْوتى

وضراعتى يا ربُّ هَالِعَةُ الصَّدَى
و «الآهُ» مؤمنةُ اليقينِ بسجْدتى

وركِبْتُ فى بحرِ الحياةِ سفينةً
ثارتْ على لُجَجٍ تُزُفُّ هزيمتى

لما بَغَتْ نفسى أتيْتُكَ ضارعًا
ورأيتُ مَنْجاتى بخَرْقِ سفينتى

وغُلامُ نفسى حين ضَلَّ قتلْتُهُ
وأقمتُ فى روحى جِدارَ محبَّتى

ورفعْتُ سِتْرَ النفسِ حتى كاشفَتْ
رُوحِى ضياءً سابحًا فى طِينَتى

وعرفْتُ فى «عرَفاتِ» أسْرارَ السَّنا
فوقفْتُ أسْتَسْقِى السنا لعشيَّتى

وأُزِيحُ سِتْرَ العقلِ .. لكن لم أجِدْ
للعقلِ عقْلًا يَشْرَئِبُّ لجَنَّتى

فأذوب فى وَهَجِ السجودِ .. وأرتوِى
من كفِّ فَجْرٍ كامِنٍ فى توبَتى

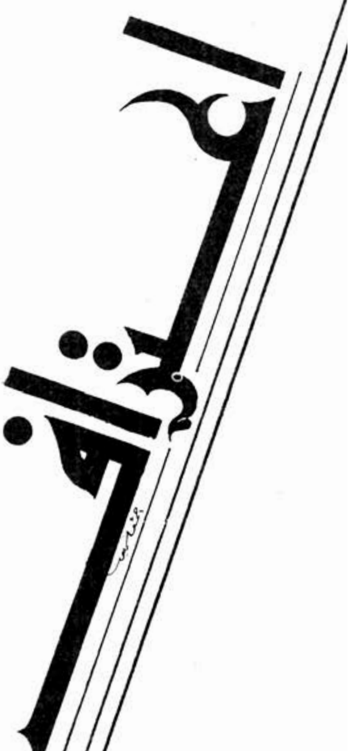

للشاعر
شوقي
محمود
أبوناجي

على رغمـــى بلا وعـــى ودون إرادة منـــى
تَوَسَّدَتِ الحكايـــةُ محجـــر العيـــنين والجفـــن
ووجـــه الشاعـــر المفجـــوع بين غلائـــل الحزن
يردد آهـــة خرساء يشـــقب وخزهـــا أذنى
ويمضغ أحـــرف الحسرات ، والحسرات لا تغنـــى
ويـــرثى شاتـــه المسكينـــة المبقـــورة البطـــن
وعيناهـــا بلـــون الـــرعب ما قالت له : دعنـــى
تعـــتب فى أسىً ذئبـــا غذتـــه بضرعهـــا اللـــدن
صغيرا أخضر الأنيـــاب يرعش زائـــغ الـــعين
لينـــشق دِفْئَهـــا الممـــزوج بالتحنـــان والأمـــن
وظللـــه حنـــان الأم بَدَّدَ مسحـــــة الحزن
فلما اشتـــد فيـــه العـــود واستغنـــى عن الحضن
تعجـــل ردَّ ما للشاة من فضل ومـــن ديـــن
وعـــاوده شعـــور الحبِّ والإعـــزار للضأن
فدنَّس جاحـــدُ الأنيـــاب طهـــر الضرع والبطـــن

★ ★ ★

على رغمـــى .. بلا وعـــى ودون إرادة منـــى
رأيت الـــذئب فى سمت وديـــع كاذب الوهـــن
ينـــادى بالسلام القـــوم يمحـــو همَّـــه المضنـــى
ويعـــزف أغنيـــات الحب همساً هادىء اللحـــن
وفى كفيّـــه للزيتـــون أخضر يانـــع الـــغصن
ويعلن عن وفاء العهد والإخـــلاص فى الكـــون
وفى عينيه يصحو المكـــر أسودَ فاجـــر الضِّغْـــنْ
وتحت مسرحـــــه قلب خبـــيث سيِء الظـــن
طرحت مشاعِـــر الإحْساس بالإخفـــاق والجبـــن
ونـــادى الخنجـــرُ الموتـــورُ ثأراً ليس يستـــأنى
لكـــى يجتث من جنبيـــه لؤمـــا كالح اللـــون
ويمسى العـــزُّ فى أنفـــى شموخـــاً عالى الشأن

ثورة الجبل

جبل المقطم ما دَهَاك ومَنْ أهَاجَ بك الصخور
من قَدْ أثار بك الخواطِرَ أيُّها الشيخُ الوقورْ ؟
ألقيتها كتلًا ثقالًا ... بالمنية والثُّبور
وأحلْتَ إيقاعَ الحياةِ إلى سُكُونٍ أو قُبورْ
أزْهَقْتَ أرْوَاحَ الأنامِ ... كَتَمْتَ أنفاسَ الصُّدُورْ
لم ترحم الشيخَ الضعيفَ ، ولا حَنَوْتَ على الزهورْ ؟
لم ترحم الوَطَنَ الجَريح تَتَابَعتْ فيه الشُّرُورْ
وتعددتْ فيه العَوَادِى والمَمآسِي والثبور
هل ضَاقَ صَدْرُك بالمَفَاسِدِ والمَآثم والفجُورْ ؟
أمْ قَدْ مَلَلْتَ المَارِقينَ ، وَعَيْشُهُمْ إفْكٌ وَزُورْ ؟
رفقاً بقَاهِرَة المُعزِّ وبالقَطائِع والقُصُورْ
رفقًا بِسكانِ المَغاور والحَظَائِر والجُحُورْ
أمِنُوا جِوَارَك وَاطْمَأنُّوا أن يَوْمًا لَنْ تجُورْ
بَاغَتَهُمْ وبلَا نَذِيرٍ - تحمِلُ المَوْتَ الجَسُورْ
رِفْقًا بإنْسَانِ الكِنَانَةِ فهُو إنْسَانٌ صَبُورْ
يَلْقَى مَعَانَاةِ الحَيَاةِ فَلَا يَضِيقُ وَلَا يَثُورْ
ويديرُهُ كَفُّ السّنِين ومِثْلَمَا دَارَتْ يَدُورْ
مُسْتَسْلِمٌ فِى خطْوِهِ ، مُتَقَبِّلٌ كُلَّ الأمُورْ
فَبِحَقِّ من أرْسَاك طَوْدًا شَامِخاً عَبْرَ العُصُورْ
أمْسِكْ صُخُورَك عَنّ جِوَارِك أيّهَا الشيخُ الوَقُورْ

الإمام الشافعي شاعرا

بقلم الفريق / يحيى عبد الله المعلمي

ـ هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الجد الثالث للنبي ﷺ ولقب بالشافعى نسبة إلى جده الثالث شافع .

ولد بغزة سنة ١٥٠ للهجرة ، ونشأ بها ،وحفظ القرآن وموطأ مالك ، ثم تفقه على يد معلم بن خالد مفتى مكة ، ثم لازم الإمام مالك بن أنس ، ثم سافر إلى بغداد ، فمصر ، وأقام بها إلى أن توفى فيها سنة ٢٠٤ هـ .

ـ كان الإمام الشافعى فقيهاً فى الدين ، متمسكاً بالسنة النبوية ، وكان فصيحاً بليغاً ، وشاعراً مجيداً حافظاً لكثير من شعر العرب وطرائف اللغة ، وقد تتلمذ عليه الأصمعى فى معرفة شعر هذيل وآدابها وحكمها ، وكان يعجب بشعر الشَّنْفَرَى الشاعر الجاهلى ، وما فيه من آداب وحكم وقد صهرها فى بُوتَقَةِ الإسلام ، وأعاد نشرها فى شعره .

ـ يتميز شعره بطابع خاص ، هو طابع التدين والتقوى والورع ، ولا غرو فهو إمام من أئمة المسلمين ، وصاحب أحد المذاهب الأربعة المشهورة المتبعة فى ديار الإسلام ، ومذهبه واسع الانتشار فى الحجاز واليمن ومصر والشرق الأقصى ، وهو من أوائل من ألف فى الفقه ، وبخاصة فى « الأصول » .

ـ من شعره فى بيان فضل العلم قوله :

رأيت العلـــم صاحبـــه كريم ... ولـــو ولدتـــه آبـــاء لئـــامُ
ولـــيس يزال يرفعـــه إلى أن ... يعظـم أمـره القـوم الكـــرامُ
وَيَتّبعونـــــــــه فى كل حال ... كراعـــى الضأن تتبعـــه السوامُ
فلـولا العلـم ما سعــدت رجـــال ... ولا عُرف الحلال ولا الحرامُ

ـ ومن شعره السائر فى الصداقة بين الناس ، وضرورة أن تكون المودة متبادلة قوله :

وعين الـرضا عن كل عيب كليلـــة ... لكـن عين السخـط تبـدى المساويا
ولست بهيـــاب لمن لا يهابنـــــى ... ولست أرى للمـرء ما لا يرى ليا
فإن تدن منـــى ، تدن منك مودتى ... وإن تَنْأ عنـى تلقنـــى عنك نائيـــا
كلانـــا غنـــى عن أخيـــه حياتـــه ... ونحن إذا متنـــا أشد تغانيـــــا

ـ وفى هذا المعنى يقول محذرا ممن يتظاهر بالصداقة ، وهو يضمر غير ما يبطن :

إذا المرء لا يرعـــاك إلا تكلفـــاً ... فدعـــه ولا تكثر عليـــه التأسفـــا
ففى الناس أبدال ، وفى الترك راحة ... وفى القلب صبر للحبيب ولـو جفـا
فمـــا كل من تهواه يهواك قلبُـــــهُ ... ولا كل من صافيتـه لك قد صفـــا
إذا لم يكـن صفـو الـوداد طبيعـــة ... فلا خير فى ود يجىء تكلفـــــــا
ولا خير فى خل يخون خليلـــــــه ... ويلقـــاه من بعـــد المودة بالجفـــا
وينكـــر عيشا قد تقـــادم عهـــده ... ويظهـر سرا كان بالأمس قد خفـا
سلام على الدنيـــا إذا لم يكـــن بها ... صديق صدوق صادق الوعد منصفا

ـ وقد كان الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ على فصاحته وجودة شعره ـ لا يريد أن يكون متصفاً بالشعر ؛ بل إنه يرى أن العلم أفضل من الشعر ، وأن منزلة العالم أكبر من منزلة الشاعر فيقول :

ولـــولا الشعـــر بالعلمـــاء يزرى ... لكنت اليوم أشعر من (لبيـــد)

ـ ويعتب الإمام الشافعى على من يلوم الدنيا وينحنى باللائمة على الزمان ، ويرى أن العيب فى الناس لا فى الزمان ويقول :

نعـيب زمانـنـا ، والعـيب فيـنـا ... ومـا لزمانـنـا عيب سوانـا
ونهجـو ذا الزمـان بغير ذنب ... ولـو نطق الزمـان لنـا هجانـا
وديدنـنـا التصنـع والتـرائى ... فنحـن به نخادع من يرانـا
ولـيس الـذئب يأكل لحم ذئب ... ويـأكل بعضنـا بعضا عيانـا
لبسنـا للخـداع مسوح ضأن ... فويـل للمـغير إذا أتانـا

ـ ومن النصائح الثمينة التى وفق إليها الإمام الشافعى ، فجرت على ألسنة الناس فى الحث على صيانة النفس وترفعها يقول :

صن النفس ، واحملها على ما يزينها ... تعش سالما ، والقـول فيك جميـلُ
ولا تولين النـاس إلا تجمـلا ... نبـا بك دهر ، أو جفـاك خليـلُ
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكبات الدهـر عنك تزولُ
ولا خير فى ود امـرئ متلـون ... إذا الـريح مالت مال حيث تميـلُ
ومـا أكثر الإخـوان حين تعدهـم ... ولـكنهم فى النائبـات قليـلُ

ـ ومن روائع حكم الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ قوله :

إذا رمت أن تحيا سليما من الردى ... ودينك موفور وعـرضك صيّـنُ
فلا يَنْطِقَـنْ منك الـلسان بسوأة ... فكـلك سوءات وللنـاس ألسنُ
وعينـاك إن أبدت إلـيك معايبـا ... فدعها ، وقل : يا عينُ للناس أعينُ
وعاشر بمعروف ، وسامح من اعتدى ... ودافـع ، ولكـن بالتـى هى أحسنُ

العلوم الكونية

الأسس المنهجية لتعريب العلوم الكونية

دعوة للحوار

أ.د. أحمد فؤاد باشا

لقد جعل أسلافنا من العربية لغة عالمية تتسع للتعبير عن دقائق العلوم الكونية بشقّيها : الأساسى والتقنى ، وقدّموا لنا تجربة رائدة فى ترجمة المصطلحات العلمية وتعريبها ، ونحن اليوم مطالبون بخوض تجربة مماثلة لتعريب العلوم الكونية المعاصرة على أسس منهجية ، فقد أضحى أمر التعريب ضرورة من ضرورات النهضة العلمية التى تنشدها أمتنا العربية والإسلامية لاستئناف مسيرتها الحضارية بلغة القرآن الكريم .

يقول صاحب « العربية لغة العلوم والتقنية » : « إن مشروع التعريب ، بالمفهوم الشامل ، يحتاج إلى مسح شامل لكل العقبات المنهجية ، ودراسة واعية لمواقف اللغات الحضارية ، لاسيما تلك التى خاضت نفس التجربة ، وانتصرت على صعوباتها ، وذلك لتحديد المتطلبات والإمكانات ، تماما كما يحدث لدى التخطيط لمشروع صناعى أو تجارى ، لضمان الكسب بقدر الإمكان ، وتجنب الخسارة »[1] ومثل هذا المشروع الحضارى أضخم من قدرات الأفراد ووسائلهم المحدودة ، ولابد من الاعتماد على المعالجات الآلية باستخدام التقنيات المعاصرة ، تحقيقا للحصر الشامل ، والاستقراء العلمى الدقيق ، فى جانب العربية ، أو فى جانب غيرها من اللغات الحضارية المتفوقة ، ليمكن تفادى الاحتمالات المعاكسة ، وتحديد المسار العلمى الصحيح . ذلك أن طوفان المصطلحات العلمية والتقنية الذى تواجهه العربية فى تزايد مستمر ، بل إن هذه المصطلحات لتتكاثر كما يتكاثر الأحياء ،

حتى أضحى مجرد حصرها أو تصنيفها مشكلة تؤرق المتخصصين أنفسهم .

(١) د. عبدالصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ، دار الاعتصام ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .

ولقد حاولت المؤسسات اللغوية المختلفة أن تفيد من الخبرة الواسعة التى اكتسبها كثير من العلماء العرب المعاصرين فى مجال نقل العلوم الكونية فى سبيل توحيد صياغة المصطلحات العلمية والإلزام بها . ولعل أكثر هذه المحاولات أهمية تلك الندوة التى نظَّمها مكتب تنسيق التعريب فى ١٨ - ٢٠ فبراير عام ١٩٨١م بمدينة الرباط حول توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة[٢] فبعد أن نظرت الندوة فى البحوث المقدمة من المجامع اللغوية والمؤسسات المتخصصة ومن الباحثين أقرت المبادىء والأسس المنهجية التالية :

١ - ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوى ومدلوله الاصطلاحى ولا يُشترط فى المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمى دائما .

٢ - وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمى الواحد ذى المضمون الواحد فى الحقل الواحد[٣] .

٣ - تجنُّب تعدُّد الدلالات للمصطلح الواحد فى الحقل الواحد ، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك .

٤ - استقرار التراث العربى ، وخاصة ما استعمل منه ، أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث ، وما ورد فيه من ألفاظ معرّبة[٤] .

٥ - مسايرة المنهج الدولى فى اختيار المصطلحات العلمية :

(أ) مراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعالمية لتسهيل المقابلة بينهما للمشتغلين بالعلم والدارسين .

(ب) اعتماد التصنيف العشرى الدولى لتصنيف المصطلحات حسب حقولها وفروعها .

(جـ) تقسيم المفاهيم واستكمالها ، وتحديدها وتعريفها وترتيبها حسب كل حقل .

(د) اشتراك المختصين والمستهلكين فى وضع المصطلحات .

---

(٢) المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى الذى يتبع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .. الألسكو ، وله أهداف محددة تتمثل فى :

تنسيق الجهود الرامية لتطوير العربية - تتبُّع حركات التعريب وإثراء اللغة بالمصطلحات المنسَّقة - الإعداد لمؤتمرات التعريب ، وللندوات - متابعة لنشاط المجامع - التعاون مع المجامع والهيئات العلمية - نشر المعاجم التى توافق عليها مؤتمرات التعريب ، والتى تُعقد كل ثلاث سنوات .

وقد حدد المكتب لعمله منهجية واضحة تتمثل فى : «أن يصنع المصطلح بلغتين أجنبيتين معا هما الإنجليزية والفرنسية ، ويوضع أمامه جميع المصطلحات التى عُرِّب بها ، منسوبا كل منها إلى صاحبه إن كان مجمعا علميا ، أو أستاذا لغويا مشهودا له بالتفوق ، أو معجميا معروفا ، ونشر ذلك على شكل معجم ألفبائى الترتيب . يوضع تحت أنظار العلماء العرب لمدة لا تقل عن ستة أشهر ، ثم يدعو المكتب إلى مؤتمر للعلماء المتخصصين يعقد فى ظل الجامعة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بالعواصم العربية على التوالى فيتدارسون المعجم وينقدونه ويختارون المصطلح الذى يريدون فيصبح شبه إلزامى» راجع فى ذلك :

عبدالعزيز عبدالله ، اللسان العربى ، المجلد ١٩٧٦/١٣ ، ص ١٠ .

(٣) أدى غياب التنسيق بين مؤسسات الترجمة والتعريب إلى اختلاف الترجمة للمصطلح الواحد :

فكلمة PENDULUM ، على سبيل المثال ، ترجمت إلى «بندول» فى مصر وإلى «نوّاس» فى سوريا وإلى «رقّاص» فى العراق ، وإلى «خطّار» فى الأردن .

(٤) نشير هنا - على سبيل المثال - إلى مصطلح «انعطاف الضوء» الذى استخدمه الحسن بن الهيثم ليعنى تحوّل الأشعة الضوئية عن مسارها عند انتقالها خلال الأوساط المختلفة ، وهو أدق من كلمة «انكسار» التى أخذناها من اللفظ الأجنبى REFRACTION .

(هـ) مواصلة البحوث والدراسات لتيسير الاتصال دائماً بين واضعــى المصطلحــات ومستعمليها .

٦ ـ استخدام الوسائل اللغوية فى توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالى : التراث ، فالتوليد (بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحْت) .

٧ ـ تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة(٥) .

٨ ـ تجنّب الكلمات العامية إلا عنــد الاقتضاء ، بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عربية عديدة ، وأن يشار إلى عاميّتها بأن توضع بين قوسين (مثلا)(٦) .

٩ ـ تفضيل الصيغة الجزلة الواضحة ، وتجنب النافر والمحظور من الألفاظ .

١٠ ـ تفضيل الكلمة التى تسمح بالاشتقاق على الكلمة التى لاتسمح به .

١١ ـ تفضيل الكلمة المفردة ، لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع .

١٢ ـ تفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامة أو المبهمة ، ومراعاة اتفاق المصطلح العربى مع المدلول العلمى للمصطلح الأجنبى دون تقيد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبى .

١٣ ـ فى حالة المترادفات أو القريبة من الترادف ،تفضل اللفظة التى يوحى جذرها بالمفهوم الأصلى بصفة أوضح .

١٤ ـ تفضيل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة ، إلا إذا التبس معنى المصطلح العلمى بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة(٧) .

١٥ ـ عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة فى مدلولها ينبغى تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها ، وانتقاء اللفظ العلمى الذى يقابلها ، ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تجمع كل الألفاظ ذات المعانى القريبة أو المشابهة الدلالة ، وتعالج كلها مجموعة واحدة .

---

(٥) يجب التمسك بهذه الفقرة ، خاصة فيما يتعلق بتعريب ألفاظ أجنبية هى فى الأصل عربية مثل كلمة «الغوْل» التى ترجمت إلى ALCOHOL ثم عُرِّبت إلى «الكحول» فجاء اللفظ القرآنى مشوَّها ، وغلب التأثير الأجنبى على الألسنة والاستعمال . وقد كان لمجمع اللغة العربية بالقاهرة قرار صريح فى ضرورة العودة إلى المنطق العربى فى هذا النوع من الكلمات ، ينص على أن «الكلمات العربية التى نقلت إلى اللغات الأجنبية وحرفت تعود إلى أصلها العربى إذا مانقلت إلى العربية مرة أخرى» لكن المجمع استدرك بقرار آخر ينص على أنه «يفضل اللفظ العربى القديم على المعرب ، إلا إذا اشتهر المعرب» ، وفتح بذلك الباب تجاوزا لاعتماد كلمات عربية مستوردة فى ثوبها الأجنبى : مثل كلمة «الكحول» .

(٦) لا نجد مبررا لوجود هذه الفقرة ونرى ضرورة حذفها لأنها تسمح بتسرب الكلمات العامية إلى اللغة العلمية ، وتسهم تدريجيا فى الابتعاد عن الأصل العربى ، والانهزام أمام معطيات الثقافات الأجنبية ، فضلا عن أنها تشكل تعارضا واضحا مع الفقرة (٧) التى تسبقها مباشرة .

(٧) لم تحدد هذه الفقرة مواصفات الكلمة الشائعة ومقياس شيوعها . هل يعتبر الشيوع فى لغة التراث ، أو فى اللغة المعاصرة؟ وهل يكون المقياس بالشيوع بين الدول ، بحيث إذا اجتمعت ست دول من عشر على استعمال مصطلح ماكان ذلك أمــارة الشيوع ؟!!

وما الرأى إذا كان مجموع سكان دولة واحدة يتفوق على مجموع السكان فى عشر دول غيرها ؟ أم يكون الشيوع بين أهل الاختصاص بغض النظر عن جنسيتهم ؟

وما الوسيلة إلى استطلاع آراء هؤلاء المختصين حيثما وجدوا ؟

راجع : د. عبدالصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ، ص ٣٣٣ .

١٦ ـ مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم ، معربة كانت أو مترجمة .

١٧ ـ التعريب عند الحاجة ، وخاصة المصطلحات ذات الصبغة العالمية ، كالألفاظ ذات الأصل اليونانى ، أو اللاتينى ، أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات ، أو العناصر والمركبات الكيماوية .

١٨ ـ عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعى ما يأتى :

(أ) ترجيح ما سهل نطقه فى رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها فى اللغات الأجنبية .

(ب) التغيير فى شكله ، حتى يصبح موافقا للصيغة العربية ومستساغا .

(جـ) اعتبار المصطلح المعرب عربيا ، يخضع لقواعد اللغة ، ويجوز فيه الاشتقاق والنحت ، وتستخدم فيه أدوات البدء والإلحاق ، مع موافقته للصيغة العربية .

(د) تصويب الكلمات العربية التى حرفتها اللغات الأجنبية ، واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح[٨] .

(و) ضبط المصطلحات عامة ، والمعرب منها خاصة ، بالشكل ، حرصا على صحة نطقه ودقة أدائه .

دعوة للحوار :

ونهدف من عرضنا للمبادىء والأسس المنهجية التى أقرتها « ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة » . ومن بعض ملاحظاتنا عليها ، إلى فتح باب الحوار البناء على أساس علمى سليم ، وصولا إلى تحديد تام لمنهجية التعريب ، لا يدع شيئا للغموض الذى يتخذه دعاة التخاذل ذريعة إلى الخلاف ؛ فلقد بلغت أمتنا من الرشد ما يُلزمها بإنجاز هذا المشروع الحضارى كأروع ما يكون الأداء ، ولم يفُت الأوان بعد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .

« رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ[٩] صدق الله العظيم . وصلاة وسلاما على رسوله العربى الأمين المبعوث هدى ورحمة للعالمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(٨) لعل فى هذا تأكيدا على ما ذكرناه بشأن الفقرة (٧) بالنسبة للمصطلحات الأجنبية المأخوذة أصلا من العربية ولم تعد تُنطق كما كانت مثل كلمة « الكحول » التى اعتمدها المجمع تجاوزا كما هى .

(٩) سورة آل عمران : ٨

٢ الولادة الطبيعية

د . أحمد رجائى عبد الحميد

كما أسلفنا فإن الحمل الطبيعى يمتد إلى أربعين أسبوعا ، وهنا سنناقش الولادة الطبيعية ويليها الولادات غير الطبيعية :

الولادة الطبيعية :

فى منتصف الشهر الثامن تبدأ السيدة فى الشعور بتقلصات متباعدة ومتفرقة تشابه التقلصات التى تحدث أثناء الولادة . وفى نهاية الأسبوع الأربعين يبدأ المخاض (عملية دفع المولود) .. وعملية الولادة تنقسم إلى ثلاث مراحل ، وهناك بعض التقسيمات إلى أربع مراحل نوجزها فيما يلى :

المرحلة الأولى : شكل (١) :

وتبدأ هذه المرحلة بنزول ما يسمى : (علامة الولادة) وهى عبارة عن مخاط به بعض الدم ، يليه انقبـاضات فى جدار الرحـم تزداد شدتها ، وتقل الفترة بين انقباضه وأخرى ، كما تطول فترة الانقباض .

ويختلف طول هذه الفترة (المرحلة الاولى) بين السيدات اللائى ينجبن لأول مرة (حيث تطول) وبين السيدات متكررات الولادة . هذه المرحلة تبدأ ببدء فتح عنق الرحم وتنتهى باتساعه الكامل حتى يصير هو و (المهبل) مجرى واحداً يتسع لنزول الجنين .

وينفجر الغشاء الأمينوسى ويخرج منه السائل الأمينوسى مما يسهل عملية الولادة .

(يسمى العامة الغشاء الأمينوسى ــ أثناء الولادة : « القرن » وفى حالة نزول الجنين داخل هذا الغشاء يطلقون عليه « البُرنُس ») .

المرحلة الثانية : شكل (٢) :

وهى تبدأ من نهاية المرحلة الأولى ، أى إتمام اتساع عنق الرحم ــ إلى نهاية خروج الجنين ، وحين إتمام خروجه يكون متصلا بالمشيمة PIACENTA عن طريق الحبل السرى الذى يُربط من الناحيتين ، ويُقطع على بعد حوالى ٥ سم٣ من البطن ، ويسقط فيما بعد ، وتبقى مكانه ما يدعى « السُرّة » .

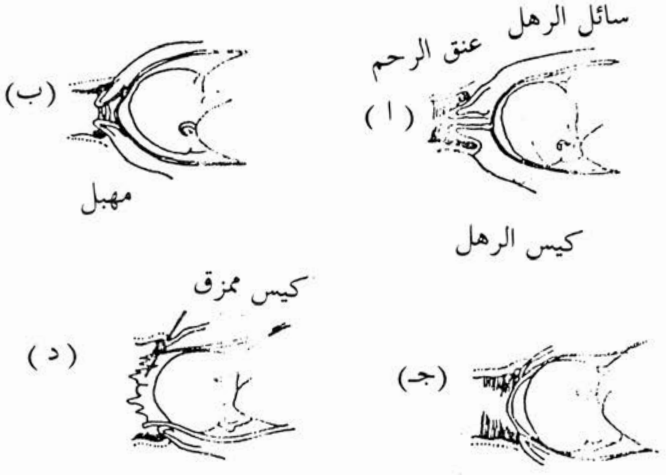

المرحلة الأولى من الولادة

شكل (١)

المرحلة الثالثة :

وهذه المرحلة تبدأ من خروج المولود إلى الحياة وتنتهى باستخراج المشيمة كاملة

المرحلة الرابعة :

وهى مرحلة النفاس التى تبدأ من خروج المشيمة كاملة ، وحتى تمام عودة الرحم إلى وضعه الطبيعى ، ويستغرق حوالى ستة أسابيع .

ولادة التوائم :

هناك نوعان من التوائم : التوائم المتماثلة والتوائم غير المتماثلة . (شكل ٣) .

١ ـ التوائم المتماثلة :

وهذه الحالة تحدث نتيجة تلقيح بُيَيْضة واحدة بواسطة حيوان منوى واحد ، ولكن فى حالة الإنقسام تنقسم إلى قسمين .. وينمو كل قسم مكونا جنينا مستقلا ، وفى هذه الحالة تتصل هذه الأجنة بمشيمة واحدة

شكل (٢)

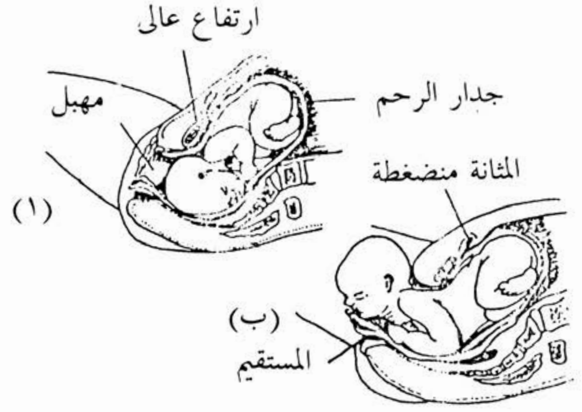

المرحلة الثانية من الولادة

شكل (٣)

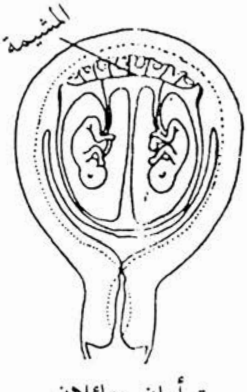

توأمان متماثلان
(مشيمة واحدة)

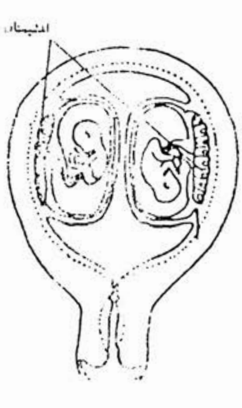

توأمان غير متماثلين
(مشيمتان)

(خلاص واحد) وكذلك يكون التوأمان من نفس الجنس (ذكران أو أنثيان) كما يتشابهان فى كل الصفات الوراثية .

٢ ـ التوائم غير المتماثلة :

وفى هذه الحالة يتم الإخصاب لبُيَيْضتين أو أكثر بحيوان منوى مستقل لكل بُيَيْضة على حدة ، وبذلك ينمو جنينان ، أو أجنة مستقلة عن بعضها تماماً لكل جنين مشيمة خاصة به، وقد تختلف الصفات الوراثية ، كما قد يكونا من جنس واحد أو جنس مختلف .

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد / د. نجوى السيد أحمد *

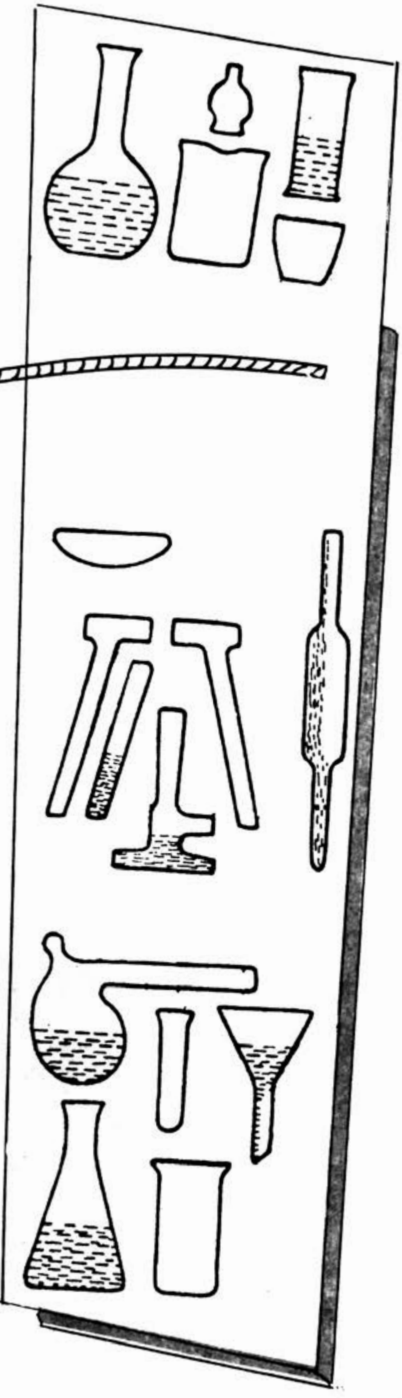

١ ـ جهاز لرسم القلب عن طريق « التليفون » :

تمكنت إحدى الشركات الفرنسية المتخصصة من صنع جهاز « كهربائى » لرسم القلب عن طريق التليفون ، وعند إحساس مريض القلب بأى ألم يقوم بتشغيل الجهاز بعد تثبيته فى مكان معين بجسمه ، ويتولى الجهاز إرسال النبضات لرسام القلب الكهربائى مباشرة خلال التليفون ، حيث تتحول دقات القلب التى يبثها إلى خطوط عادية لنبض القلب لدى الجهة المستقبلة لهذه الدقات ، وبذلك يستطيع الطبيب المختص عمل اللازم للمريض فى وقته .

٢ ـ ساعة الكترونية متعددة الأغراض :

قامت إحدى شركات الولايات المتحدة الأمريكية بتصنيع ساعة حائط الكترونية يمكنها

---

* باحثة بالمركز القومى للبحوث

تنبيه وإيقاظ أفراد الأسرة جميعا فى مواعيد مختلفة ، كما يمكن ضبطها لتشغيل إضاءة المنزل فى الظلام فى مواعيد محددة وإطفائها عند شروق الشمس ، ويتم توصيل الساعة بسماعات مختلفة فى كل غرفة حيث تقوم بعملية التنبيه بالموسيقى الهادئة فى الوقت المطلوب .

٣ ـ الكشف عن تلوث مياه الخزانات باستخدام الأسماك :

تقوم هيئة المياه فى العاصمة البريطانية بالاستعانة بفصائل معينة من الأسماك ، مثل : سمكة الفيل والسمكة الذهبية ، للكشف عن التلوث فى خزانات مياه الشرب ، وتتميز هذه الأسماك بحساسية بالغة للتغييرات فى التركيبة الكيميائية للمياه ، وتقوم بإرسال إشارات واضحة عبر مجسات مثبتة على جوانب الخزانات بمجرد حدوث التغييرات فى نوعية المياه ، حيث يتوقف ضخ المياه إلى المنازل « أتوماتيكيا » حتى يتم إزالة التلوث .

٤ ـ جهاز لقياس درجة حرارة الجسم عن طريق الأذن :

توصلت إحدى الشركات اليابانية إلى اختراع ميزان حرارة الكترونى يعمل فى الأذن ، ويستطيع المريض بواسطته معرفة حرارة جسمه خلال ثلاث ثوان . ويعتبر الجهاز من أكثر أجهزة الحرارة دقة لأنه يعمل بطريق الأذن التى هى من أقرب المناطق للدماغ ، كما يعد من أحدث المبتكرات الطبية ، فضلا عن سهولة استعماله .

٥ ـ أحدث دراجة للمعوقين :

أنتجت شركة «انجليزية» دراجة الكترونية جديدة تعمل بالكهرباء ، وتخدم المعوقين فى تنقلاتهم ، وتتميز بقدرة الصعود على السلالم والسيارات وتخطى الحواجز ، وهى تعمل بطريقة الدفع الثلاثى نظرا لوجود ثلاث عجلات بها . وتعتبر هذه المركبة من أفضل المركبات المستخدمة لخفة وزنها وسرعة أدائها وسهولة قيادتها ، فضلا عن عدم إضرارها بالبيئة ؛ لعدم استخدامها الوقود .

٦ ـ جهاز إنذار جديد :

اخترعت إحدى الشركات الفرنسية جهاز إنذار جديد يتصل بحاسوب المراقبة الرئيسى عن طريق شبكة الهاتف العادية . ويقوم هذا الجهاز بإصدار صوت ليدل على وجود شخص ما ، إضافة إلى التقاط صورته ونقلها إلى شاشة الحاسوب الرئيسى ، الذى يقوم بإعطاء المعلومات المتوفرة لديه لأجهزة الشرطة ؛ مما يساعد فى عملية القبض على المنحرفين .

٨ ـ تنظيف الشوارع والأماكن العامة آليا :

استطاع الخبراء اليابانيون تصنيع جهاز آلى يقوم بعملية تنظيف الشوارع ومحطات المترو والقطارات ، ليحل محل عمال النظافة فى طوكيو ، ويستطيع الجهاز الآلى تنظيف مساحات كبيرة فى زمن أقل ، ويمكن التحكم فيه بواسطة حاسوب مركزى ، كما يمكنه أن يعمل لفترات طويلة دون الحاجة إلى إعادة شحنه ، وهو مزود بلوحة مفاتيح

تستعمل لبرمجة العمل ومراقبة العديد من الأعمال الإصلاحية والمجهدة .

٩ ـ تأثير الرصاص على ذكاء الأطفال :

اكتشف العلماء فى استراليا أن الرصاص فى البيئة يقلل من ذكاء الأطفال ، أجرى الباحثون دراستهم على مجموعة من الأطفال يعيشون قرب مصنع للرصاص ، فوجدوا أن مستوى الذكاء لديهم أقل بما يتراوح بين ٤ و ٥ مرات عن غيرهم من الأطفال الذين يعيشون بعيدا عن مثل هذه المصانع . كما أكد العلماء على ضرورة عدم تعرض الأطفال لعنصر الرصاص ، أو شربهم لمياه فيها قدر منه ، وعدم استخدام طلاء أو وقود أو مواد لحفظ الطعام تحتوى على معدن الرصاص .

١٠ ـ أسلوب جديد لعلاج السرطان :

استطاع الباحثون بكلية « امبريال » بلندن تطوير أسلوب علاج السرطان ، حيث يتم استخدام صبغات خاصة ، وحزم من الضوء لقتل الخلايا السرطانية دون إيذاء المريض . ويتلخص هذا الأسلوب فى حقن المريض بصبغة مثيرة للحساسية وغير ضارة عند الحقن ، وبعد ثلاثة أيام تتلاشى الصبغة من أنسجة الجسم العادية ، ولكن أنسجة الورم والخلايا السرطانية المتفرقة تظل متشبعة بها ، وبعدها يتم إدخال ألياف بصرية تحمل موجات ذات طول معين من الضوء الأحمر إلى محل الورم ، فيؤدى ذلك إلى تنشيط الصبغة المثيرة للحساسية فتطلق عنصرا حراريا يتفاعل مع المواد الدهنية ، والمركبات العضوية على سطح الخلايا السرطانية ؛ مما يؤدى إلى تفتتها والقضاء عليها .

١١ ـ وقود جديد من الفحم بدون دخان :

طرحت الهند نوعا جديدا من الوقود يتم استخراجه من فحم الكوك ولا ينتج عن احتراقه أى دخان ، ومن ثم يناسب الاستخدامات المنزلية والمطاعم والفنادق والمخابز ، وهو يتميز بقلة الشوائب الترابية وارتفاع قيمته الحرارية بالإضافة إلى سهولة إشعاله .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« الصبر نصف الإيمان »

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ

الصبر فى القرآن الكريم فى نحو تسعين موضعا وهو واجب بالإجماع ، وهو نصف الإيمان ، فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر ، وهو مذكور فى القرآن الكريم على ستة عشر نوعا .

« تارك لصلاة الجماعة »

شهد السلطان بايزيد سلطان الدولة العثمانية بشهادة عند القاضى شمس الدين فى خصومه رفعت إليه فرده القاضى ، ولم يقبل شهادته ، ولما سأله عن وجه ردها ، قال بصراحة ودون خوف أو وجل : إنك تارك لصلاة الجماعة ، فدنا السلطان أمام قصره دامعا ، وعين لنفسه موضعا ، ولم يترك الجماعة بعد ذلك .

« رائحة طيبة »

كان الإمام نافع القارىء إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك ، فقيل له : كلما قعدت تتطيبُ فقال : ما أَمَسُّ الطيب ولا أقربه ، ولكن لأيت النبى ﷺ فى المنام ، وهو يقرأ فى فمى ، فمن ذلك الوقت يشم من فى هذه الرائحة .

« أخى »

إذا بغى باغ عليك بجهله
فاقتله بالمعروف لا بالمنكر
لا يلام الذئب فى عدوانه
إنْ يك الراعى عدو الغنم

أصناف ثلاثة

قال ابن السماك فى موعظة له :

أصبحت الخليقة على ثلاثة أنواع :

صنف موطن نفسه على هجران ذنبه لا يريد أن يرجع إلى شىء منه ، وهذا صنف مُبَّرر .

وصنف يذنب ثم يذنب ويذنب ويندم ويبكى ، وهذا صنف يرجى له ويخاف عليه .

وصنف يذنب ولا يندم ، ويذنب ولا يحزن ، ويذنب ولا يبكى ، فهذا الخائن الحائد عن طريق الجنة إلى النار .

« رجاء »

فإما أن تكون أخى بصدق
فأعرف منك غثى من ثمينى
وإلا فاجتنبنى واتخذنى
عدوا أتقيك وتتقينى

« الظلم .. ظلمات »

قيل : إن الرشيد حبس أبا العتاهية ، فكتب على حائط الحبس :

أمـــا والله إن الظلـــم لؤم
ومازال المسيىء هو الظلـــوم
إلى ديـــان يوم الديـــن نمضى
وعنـــد الله تجتمـــع الخصوم
ستعلـم فى المعـــاد إذا التقينـــا
غدا عنـد المليك من الظلـــوم

« ادفعها إليه »

مر الإمام الشافعى – رضى الله عنه – بسوق الحدادين بمصر ، فسقط قوسه من يده ، فقام رجل من محله فأخذها ومسحها بكُمّه وناوله إياها فقال الشافعى لغلامه : كم معك ؟

فقال : سبعة دنانير ، فقال له : إدفعها إليه .

«كلف وخنس»

عرضت جارية على الرشيد ليشتريها ، فتأملها وقال لمولاها : خذ جاريتك ، فلولا كلف بوجهها ، وخنس بأنفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة : ياأمير المؤمنين ، اسمع منى ما أقول ، فقال : قولى ، فأنشدت تقول :

ما سلم الظبـى على حسنـــه
كلا ولا البـدر الـذى يوصف
الظبـى فيـــه خنس بيِّـــن
والبـدر فيـــه كَلَـف يعـرف

فلما سمع ذلك تعجب من فصاحتها وأمر بشرائها .

« حقيقـة »

إذا احتـــاج الكـــريم الى لئيم
فقـد طاب الرحيـل إلى جحيم

صـفو الـــوداد والخـل الصـــدوق

إِذَا المَــرْءُ لَا يَرْعَـــاكَ إِلَّا تَكَلُّفـــاً ... فَدَعْــهُ وَلَا تُكْثِــرْ عَلَيْــهِ التَّأَسُّفَـــا

فَفِـى النَّـاسِ أَبْـدَالٌ وَفى التَّــرْكِ رَاحَـةٌ ... وَفِـى القَـلْبِ صَبْـرٌ لِلْحَبِيبِ وَلَـوْ جَفَـا

فَمَـــا كُلُّ مَنْ تَهْـوَاهُ يَهْـوَاكَ قَلْبُـــهُ ... وَلَا كُلُّ مَنْ صَافَيْتَـــهُ لَلَكَ قَدْ صَفَـــا

إِذَا لَمْ يَكُــنْ صَفْــوُ الــوِدَادِ طَبِيعَـــةً ... فَلَا خَيْــرَ فى خِلٍّ يَجِـــئُ تَكَلُّفَـــا

وَلَا خَيْــرَ فى خِلٍّ يَخُـــونُ خَلِيلَـــهُ ... وَيَلْقَـــاهُ مِنْ بَعْــدِ المَـــوَدَّةِ بِالجَفَـــا

وَيُنْكِـــرُ عَيشاً قَدْ تَقَـــادَمَ عَهْـــدُهُ ... وَيُظهِـــرُ سِرّاً كانَ بِالْأَمسِ قَدْ خَفَـــا

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَـــا إذا لَمْ يَكُـــنْ بهَـــا ... صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقُ الوَعْــدِ مُنْصِفَـــا

«دعـــاء»

اللهم إنك تعلم عيوبنا فاسترها ، وتعلم حاجاتنا فاقضها ، كفى بك وليا ، وكفى بك نصيرا يارب العالمين .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

يارب

لفضيلة الدكتور/ محمد محمد خليفة

إعداد وتقديم: د. عبد الفتاح حسين الزيات

« يارب » نداءُ البشر الدائم كلما حزبها أمر و عصف بها عاصف ، تهتف به ضارعة متوسلة فتجد النجاة والأمان .

نداء لا يُنسى ولا يغيب ، باق أبد الأبد لأنه الضراعة للحى الدائم الصَّمَد ... وكم نحن فى حاجة إليه لنأخذ من أصالتنا العريقة لرسالتنا الحديثة لنستمر خير أمة أُخرجت للناس .

قال فضيلة الدكتور :

يـــارب !

هتاف المظلوم ، ونداء السجين ، وأنة المريض ، ودعاء الحائر ، ونفثة المكروب ، وصيحة الغريق ، وصرخة المكبوت : يارب !

● ● ●

تغفو عيون الظالمين ، وتسكن مهودهم ، وتسبح بين جنات أحلامهم أرواحهم ، مختالة بين أفواف جاهها ، مياسة فى بريق سلطانها . ووراء كل هذا عين يؤرقها الظلم ، ويحرق أهدابها حر الدمع ، وروح يطحنها العدوان ، فتتطاير ذراتها من بين رحاه غبارا يشق أجواز الفضاء ، ويخترق حجب السماء ، وتبله الأنداء فينقلب عارضا واكفا تصطك ثورته .

فإذا الرعد الذى يجلجل فيصم دويه سمع الوجود ، ويهز صداه طغيان العتاة ، ويزلزل هديره عروش الظالمين ، وتتجاوبه الأرض وما فوق الأرض والسماء وما بين السماء ، إنه هتاف المظلوم : يارب !

● ● ●

ويسدل الليل ستاره فينام الوجود وكأن دنيا الناس تحولت الى سجن رهيب ، وبعد ساعات تنطلق هذه الدنيا الهاجعة من سجنها إلى حياة قد يكون فى بعضها معانى الحياة ، إلا ذلك الذى تسميه اللغة سجنا ، وخليق بها أن تسميه قبراً ، لأن ظلمته ووحشته وقسوته تلف أشباه الموتى ممن ضاقت عقول البشر عن تهذيبهم وتربيتهم وإصلاحهم ، فأسلمتهم إلى ما يشبه القبر ، فهم

يسامون من دنياهم أكثر مما تسام البهائم من التعذيب والخسف ، وكلهم جراح تكاد تتفتق فتستشف فيها نداء الدمع ، ونداء الألم ، ونداء الندم ، ونداء التوبة ، ثم تختلط هذه الأصوات جميعا فتنبعث من القيود والأغلال وتخترق ظلمة السجن ، وأسوار السجن ، أو ظلمة القبر كما قلنا وأحناء القبر ، متمثلة فى نداء واحد يحمل معانى ألمها وندمها ودمعها وإنابتها : يارب !

● ● ●

ويتقلب المريض على أشواك علته ، وحوله عيون تحمل نظراتها معانى البكاء والحسرة ، وكل عين ترى فيه المعنى الذى تبكيه ، وهو يدور بعين تلمع فيها عبرة ، وتتعثر وراءها نظرة فيها معنى المرض ومعنى الشكوى ومعنى التوجع من دائه الذى أعيا جسمه وطبيبه معا ، وكأنما يقرأ فى عيون من حوله كلمة اليأس وما وراءها فيتلوى ، وتتفتح شفتاه عن أنة مريضة تحمل إلى رب السماء رجاء الرحمة ورجاء العافية فتجاوبها الأنفاس الحزينة ، وتلتقى مع أنته ضارعة إلى الله تقول : يارب !

● ● ●

ويتخبط السارى فى مهامه الحيرة وتصطرع أفكاره مع أفكاره ، فلا يكاد يرى فيما حزبه رأيا حتى تضيق به نفسه ، فيفزع إلى جانب آخر من جوانب فكره يتلمس فيه راحته ونجاءه ، فلا يرى غير الأوهام المتراقصة الساخرة فيعرك كفه وفكره حتى يدمى كفه وفكره ، فإذا ما استغلقت أمام أفكاره السبل شخص ببصره إلى السماء ، وإذا دمه وأعصابه ومشاعره بل إذا هو كله دعوة مستنجدة تسأل الخلاص مما هو فيه والنجاة مما يعانيه : تصعد إلى السماء تدق أبوابها ، ويحس كأنما دنياه كلها تدعو : يارب !

● ● ●

وتتزاحم الكرب على النفس المؤمنة فتعبىء كل كربة ما تطيق من قوة وهول ، وما تدخر من بأس وسلاح ، وتتلاقى كلها على تلك النفس ترمى وتفتن فى الرمى ، وتقذف وتمعن فى القذف ، لتحطم صبرها أو تخدش قدرها ، وتظل الشدائد تناوىء ما وسعتها المناوأة ، وتجالد ما شاء لها الجلاد ، والنفس المؤمنة صابرة على القضاء ، مستبسلة أمام البلاء ، لا تشكو بل لا تناجى النفس بالشكوى ، وإنما كل ما تبديه إذا ماتوا ثبت عليها النوازل ، وزحفت النوائب ، وتجنى الزمان ، نفثة ينشق عنها الصدر تحمل معانى الغوث والعون لا من الأرض ولا ممن خلق من الأرض . لا . إنها منطلقة إلى السماء تنادى : يارب !

ويشوى الجوع نفس البائس المحروم فتجف أمعاؤه أو تكاد ، ويدب الجفاف فى جسده فتذهب حيويته ويتراءى كأنما هو ظل من ظلال الفقر ، أو رفات تحمل سطرا من تاريخ عاد فيه معنى البلى ، وإن كانت صورته تحمل فى نفسها معانى الحرمان ، وتحمل من زمنها معانى الظلم والقسوة والشح ، ويزيد فى ألم النفس المحرومة صغارها الجياع وقد خطت الحياة السوداء على وجوههم تجاعيد تكمن فيها الفاقة والعوز

وما أشد آلامهم حينما يرون دموع أبيهم تخضل بها لحيته المرتعشة ، فتتجمع معانى البؤس والحرمان ، وعجز الأبوة المحطمة عن الإنقاذ ، ثم يستجمعون جميعا بقايا أنفاسهم ، وينتزعون من دمهم البقية الباقية من الحرارة ، وهى كل ما يملكون ، ليرسلوا زفراتهم إلى السماء تشكو شح الإنسان على الإنسان ، وحياتهم كلها ليلها

ونهارها رمضان ، وكأنما زفراتهم تقول : من لنا إلاك يارب !

● ● ●

وتحوم حول الغريق أهوال الموت ، وتمتد براثنه فى تلك الأمواج العاتية ، فيدور بعينه يرقب من وراء الآفاق المطبقة أملا ، فلا يرى إلا زرقة السماء ، وزرقة الماء ، وزرقة الموت ، ويذكر الحياة ومن له فى الحياة ، فيرسل صيحة اليأس قوية تفزع حيتان البحر ، وتشل أمواجه ، وتخرس هديره ، فيردد البحر وما فى جوف البحر تلك الصيحة : يارب !

● ● ●

ويكتم المستعمرون أو عملاء المستعمرين أنفاس المستضعفين أو المفككين ، ويضيقون على أعناقهم الأغلال حتى تكاد تجحظ عيونهم . وفى هذه الكبتة الخانقة تزوغ الأبصار ، وتحار البصائر ، ويؤمن المكبوت بعجز أبناء الطين عن نصرته ، فيتلمس مدد السماء ، ويسبح بتفكيره فى قدرة ربه وجبروته وسلطانه ، ثم يصرخ صرخة تكاد تدك صروح الباغين ، وتحطم تيجان الجبابرة ، وتقوض عروش الظلمة ، إنها صرخة المكبوت : يارب !

يارب ! إن الشرق كله تجتاحه رياح الظلم وليس له فى محنته إلاك يارب ... وهو سجين بين أسوار الأنانية الطاغية والأثرة العاتية ينادى : يارب وهو صريع التفرق والاختلاف يلوذ برحمتك ، ويفزع إلى كنفك يارب وهو يتخبط فى حيرة تضل فى متاهاتها الظنون ، يبسط أكف الضراعة يارب وهو غريق فى لج من زرق الهموم يصيح : يارب .

وهو مكبوت كتمت أنفاسه قذائف المستعمرين وعملاء المستعمرين حتى لا يصرخ يارب .. يارب ! إن الشرق الإسلامى أرضه وجباله ووديانه وسماءه وكل مافيه يسألك أن تخلق فيه عالما إسلاميا جديدا يجدد به شباب عالمه الإسلامى الأول ، فتملأه الرحمة والإخاء والإيثار ونكران الذات والتفانى فى الواجب ومعرفة كل إنسان قدر نفسه ، فهل أنت مجيب دعاءه يارب .

محمد خليفة
المدرس فى الأزهر

اللغة والنقد والأدب

مستقبل الثقافة فى مصر

وحدة الدين ووحدة اللغة

أ. د/ محمد رجب البيومى

يقول الدكتور طه حسين[1] : من المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ، ولا قواماً لتكوين الدول ، فالمسلمون أنفسهم منذ عهد بعيد قد عدلوا عن اتخاذ الوحدة الذاتية واللغوية أساساً للملك وقواما للدولة ، وليس المهم أن يكون هذا حسنا أو قبيحا وإنما المهم أن يكون حقيقة واقعة .

ثم يقول[2] : والتاريخ يحدثنا كذلك بأن رضاها (مصر) عن السلطان العربى لم يخل من السخط ولم يخلص من المقاومة والثورة ، وبأنها لم تهدأ ولم تطمئن إلا حين أخذت تسترد شخصيتها المستقلة فى عهد ابن طولون ، وفى ظل الدول المختلفة التى قامت بعده ، فالمسلمون إذن قد فطنوا من عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة ، وهو أن السياسة شىء ، وأن الدين شىء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على شىء آخر .

هكذا قال الدكتور صريحا غير محجم ، وقد جمع الحديث عن وحدة الدين ووحدة اللغة فى مستوى واحد ، وكأن الكلام عن وحدة الدين هو الكلام عن وحدة اللغة ، وهذا خلطٌ متعمد ؛ لأن لكل من الوحدتين نظرا خاصا ، تحدث عنه السياسيون والمؤرخون حديث المحدد للألفاظ ، المدقق فى اختيار الكلمات ، لا كما يتحدث الدكتور .

فلنأخذ أولا وحدة الدين لنرى ما يقول عنها الدكتور : لقد زعم أن هذه الوحدة لا تصلح أساساً للوحدة السياسية ، وقد عاش الدكتور حتى رأى إسرائيل تقوم على أساس الوحدة الدينية ورأى دول الغرب – التى يدعونا باصرار إلى تقليدها فى الضار والنافع ، والحلو والمر – تؤيد قيام إسرائيل الناهض على الوحدة الدينية تأييداً مطلقاً لا سبيل إلى الفكاك منه ، بل تعلن فى غير مواربة بأن إسرائيل هى النموذج الأرق للديمقراطية فى الشرق ! فكيف يكون حديث الوحدة الدينية غير صالح للنهوض السياسى !! كما أن الدكتور يعلم كل العلم أن الأحزاب السياسية فى أكثر عواصم

(١) مستقبل الثقافة فى مصر ص١٩ .

(٢) مستقبل الثقافة فى مصر ص٢٠ .

أوربا تصف نفسها بالوصف الدينى الصريح ، فهناك الحزب الديمقراطى المسيحى ، والحزب الجمهورى المسيحى ، ولو كان فى الإنجيل دستور سياسى ، لأصبح بناءً على هذا الشعار دستور البلاد ، ولكن الإنجيل لم يأت بتشريع دقيق ملزم يشمل جميع مرافق الحياة كما جاء بذلك القرآن ، فوقفت الأحزاب عند الانتماء العام للمسيحية حريصة على أن تعلن أن هذا الدين هو الوجهة الأولى فى خطواتها السياسية ، فهل يقول الدكتور طه حسين ـ بعدما شاهد قيام إسرائيل على الوحدة الدينية ، ومباركة الغرب وتأييده المطلق لهذا الاتجاه الدينى الصارخ ـ إن العالم قد اتفق على أن الوحدة الدينية لا تصلح أساساً لقيام الدولة فى العصر الحديث ؟!

هذه ناحية أما الناحية الثانية فهى هذا الاستطراد المفتعل الذى تطرق إليه الدكتور حين زعم أن مصر لم ترض عن السلطان العربى ولم تهدأ ولم تطمئن إلا بعد أن أخذت تسترد شخصيتها فى عهد ابن طولون !

إن الذى يقرأ هذا الكلام فى سياقه المطرد يظن أن مصر كانت قبل عهد ابن طولون تحكم بالشريعة الإسلامية ، فلم تخل من اضطراب حتى جاء ابن طولون فرفض هذا الحكم الدينى ، ولذلك استقرت الأحوال فى عهده وفى عهد من تلاه ! أليس سياق الحديث عند الدكتور يوحى بذلك إذ يعارض الوحدة الدينية فى السياسة ، ويراها سبب الثورة المزعومة ، ثم يرتاح لاستقلال مصر فى عهد ابن طولون لا لشىء إلا لأنه انفصل عن دولة بنى العباس ، ولم يسأل الدكتور نفسه ـ وهو الدارس لتاريخ مصر ـ كم سنة استقر حكم الدولة الطولونية فى مصر ؟ وكم سنة استقر حكم الدولة الإخشيدية التى تلتها ؟ وكيف سقطت سقوطا واضحا أمام خلافة دينية جديدة وفدت من الغرب ، وسميت بالخلافة الفاطمية ، أين الاستقرار الذى زعمه الدكتور لمصر فى عهد ابن طولون ومن تلاه !؟ ثم إن الدول الأوروبية الحديثة لا يخلو تاريخها المعاصر من هزات سياسية تؤكد ثورة بعض الأفراد ، وتقابلها دولة عظمى كإنجلترا بصبر لا ينفد ، وقد طال أمد هذه الهزات ، وتكررت وقائعها دون أن يقول أحد ان استقرار إنجلترا السياسى قد اهتز ، فإذا ثار فى عهد الولاة بمصر بعض الثائرين ، فذلك شىء طبيعى ، ولا صلة له بالتنكر للوحدة السياسية ، وإذا أراد الدكتور أن يلتمس دليلا تاريخيا صحيحا . فأولى له ثم أولى أن يسكت عن الاستشهاد بابن طولون الذى كابد من ثورة ابنه ومن التف حوله من معارضيه فى مصر أضعاف ما كابد من ثورة الخلافة العباسية عليه ، لقد كان ابن طولون رجلا عظيما ، لا لأنه لم يرتضِ الحكم الإسلامى ؛ بل لأنه سار فى طريقه ما استطاع ، كما سار من بعده الخلفاء الأوائل من رجال الفاطميين ، ثم الأبطال من رجال الأيوبيين الذين صدوا زحفات أوربا الصليبية ، وقاوموا اعتداء شعوب البحر الأبيض المتوسط ، تلك التى نتفق معها فى كل شىء كما يزعم الدكتور ، وهو اتفاق موهوم إن جاز أن يكون مصدر رفعةٍ فى تقدير الدكتور طه ، ومن يشعرون فى ذات أنفسهم بالعجز إزاء من يقابلون من مفكرى الغرب وأعلامه ، إما ذوو الكرامة من أبناء مصر فلا يشعرون بهذا الاستخذاء ، بل يرون أنفسهم أنداداً ونظراء ، وإذا تفوقت دولة فى

عصر ، وانخفضت دولة أخرى فى هذا العصر ذاته ، فإن دورة التاريخ لن تقف ، وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض ، ولكن متى ؟ إذا آمنوا وعملوا الصالحات .

وما أظن الدكتور يرى المسلمين اليوم كما أراد لهم الذكر الحكيم أن يكونوا ! أفما كان الأجدر بذوى الإصلاح أن يرجعوا إلى تراث الأمة وقيمها النبيلة قبل أن يعظموا من جيرانهم قدر ما يبخسون من أنفسهم دون برهان أكيد .

وإنى لأتساءل فى عجب : ما دخل الوحدة السياسية القائمة على أساس الدين فى كتاب يتحدث عن مستقبل الثقافة فى مصر ؟ إذا كان الدكتور يحارب هذه الوحدة ، فهى غير موجودة فعلا حين أصدر كتابه ، وقد تخلت عنها مصر للأسف حين نبذت تشريع الإسلام ، لأنه الحجر الأول فى قيام هذه الوحدة ، ولا وحدة إسلامية دون استنادٍ إلى ما يقره الإسلام ! وإلا فكيف توصف بأنها إسلامية ؟ أنريد أن نموه على أنفسنا بالألفاظ المعسولة فحسب ! لقد تحدث الدكتور عن هذه الوحدة وعن غيرها حديثاً طائرا لا ينتهى بقارئه إلى يقين ، وهذا ما لاحظه الأستاذ ساطع الحصرى حين قال عن كتاب (مستقبل الثقافة فى مصر[1]) :

«من المعلوم أن التفكير العلمى يتطلب تحليل المسائل ، وتجزئة المشاكل ؛ ليسهل معالجة كل جزء منها على حدة ، وأما الخطة التى يسير عليها الدكتور طه فى أكثر الأحيان فمعكوسة تماما ، لأنه كثيراً ما يخلط المسائل بعضها ببعض ، ويدخل بعضها فى بعض ، فيزيدها بذلك تعقيداً وإشكالا ، وكثيراً ما يحاول أن يبرهن على قضية بمجموعة قضايا أخرى أكثر حاجة إلى البحث والبرهنة من القضية الأصلية نفسها» .

والأستاذ الحصرى يقرر الواقع المشهود فى صفحات هذا الكتاب ، فلا شطط ولا إسراف .

وحـــدة اللغـــة

إذا كان الدين قد وقف حائلا دون اعتبار مصر من دول البحر الأبيض المتوسط التى تنتمى إلى أوربا ، وقد بذل الدكتور جهده فى تهوين شأن الدين بالنظر إلى هذا الحائل ، فإن اللغة العربية ـ أيضاً ـ فى حاجة كبيرة إلى جهد شاق ليطردها الدكتور فلا تكون حائلا آخر ، ولاشك أن المؤلف الكبير قد عانى رهقاً شاقاً فى حديثه عن اللغة واعتبارها غير عامل فى تأصيل الانتماء إلى شعوب البحر الأبيض المتوسط ، لأن دول أوربا جميعها تقيم للغة اعتبارها القوى فى بنائها العضوى ، ومن لا يتكلم باللغة الوطنية ، يعد نفسه غريباً عن الدولة التى يقيم بها ، فهو أحد أبناء الجاليات الذين يحلون محل الأضياف ، وسيجد نفسه فى محيط زاخر من الألغاز لا يدرك منتهاه ، فهو لا يستطيع أن يقرأ الكتب والمجلات ولا أن يستمتع بأحاديث الإذاعة المسموعة ، ومشاهد الاذاعة المرئية على وجهها المريح ، هذا فى أوربا التى يجعلها الدكتور مهبط وحيه ومنار توجهه ، أما الدول الشرقية التى تعددت فيها اللغات فهى

(١) الرسالة ـ العدد ٣١٧ ـ ١٩٣٩/٧/٣١ م .

تكابد رهقا من هذا التعدد ، وقد خلق تعدد اللغة فيها ما يشبه التحزب العنصرى ، بحيث أصبح كل فريق ينظر إلى سواه نظرة المريب المشكوك فى طواياه !! لا سيما إذا فقد الجامع الدينى العام فلم يكن لدى هذه الأمة ما يعصم من التنابذ والشقاق !! وقد حل الإسلام هذه المعضلة حين جعل التقوى ميزان التفاضل ، وحين أهدر الفروق بين العجمى والعربى إذا جاءت عن غير طريق الهدى والرشاد ! وحين قام دعاة القومية العربية بتأليف الكتب الإعلامية لهذه الدعوة البراقة ، وقفوا أمام الدين واللغة موقفاً طويلا ، فكان الإجماع التام على اعتبار اللغة إحدى دعائم القومية ، وكان النقاش يدور حول الدين ، لأن بعض الذين لا يجهرون بالحق ليشبعوا رغبات الرؤساء قد سايروا الجو السياسى السائد ، لا لينطقوا بالحق ، بل ليصلوا إلى المناصب البراقة عن طريق التزلف والمحاباة ، أما المخلصون من ذوى العقيدة النيرة ، والإخلاص النزيه ، فقد كتبوا المقالات والمؤلفات ليهتفوا بصوت عال بأن الدين هو المقوم الرئيسى للوحدة ، فعل ذلك الأساتذة الكبار عبدالرحمن عزام ، وعبدالمنعم خلاف ، ومحب الدين الخطيب وغيرهم حين واجهوا الرأى السياسى المتغلب بسلطانه وبطشه بما يملكون من البراهين التاريخية والعقلية والاجتماعية ، الدالة على مكانة الدين من النفوس واعتباره العامل الأول فى التوجيه ولا أطيل باختيار ماسجله هؤلاء الكبار حقا من حجج دامغة ، ولكنى اكتفى بما قاله الأستاذ أحمد خاكى فى كتابه (فلسفة القومية) حين استطاع ببراعة أن ينتصر إلى عامل الدين فى رسوخ القومية مؤكدا ذلك بقوله[1] : « على أن أثر الروح الدينى فى خلق الأمم وفى رقيها وانتشار حضارتها يبدو واضحاً فى تاريخ العرب بعد الإسلام ، فقد شاعت بين المسلمين عقيدة واحدة ألفت بين أفرادهم ، وكانت هذه العقيدة من مصادر القوة حين أمن بها ، ودافع عنها سوادهم الأعظم .. ولم تقم جماعة فى العالم ، ولم تقم قومية فى التاريخ إلا كان لها أساس دينى تستمد منه عقائدها ، فللدين قيمة التوجيه بين الأفراد » .

أجل ، أنكر الدكتور طه حسين مكانة الدين فى بناء الدولة ، وقرن بينه وبين اللغة ليجعلها فى مستوى واحد ، وها نحن نخالفه فى إهداره مكانة الدين مهما شايعه المشايعون ، واستشهد به من يجدون فى إرجافه شفاءً لصدورهم المريضة ، أما عامل اللغة فمهما كتب فى إضعافه فإنه كناطح صخرة ليوهنها بقرنه ، إذ أجمع الباحثون على أن اللغة هى العنصر الأساسى فى تكوين الدولة ، والوعاء الذى يحفظ الحضارة على تعاقب الأجيال ، والطابع الذى يطبع المجتمع بتأثيره النفاذ .

يقول الأستاذ صديق شيبوب بصدد هذا العامل[2] .

لقد ذهب (بلنشلى) إلى القول بأن من استبدل لغته بلغة جديدة حسر قوميته ، والأدلة على ذلك كثيرة ، فقد ماتت اللغة اللاتينية ، حين أصبحت اللهجات التى تفرعت منها لغات لدول مختلفة كالإيطالية والفرنسية والأسبانية ، ولم يتم توحيد فرنسا إلا بعد أن نسخت اللغة التى تتحدث بها المقاطعات الوسطى اللهجات الأخرى وحلت

(١) فلسفة القومية للأستاذ أحمد خاكى ص ٣٨ .

(٢) القومية العربية للأستاذ صديق شيبوب ص ١١٧ .

محلها ، وكذلك كانت اللغة أقوى العوامل فى توحيد ألمانيا وإيطاليا ، وكذلك كان الحال عند العرب فى الجاهلية عندما تغلبت لغة قريش على لغة الجنوب ، وأصبحت لغة الجنوب ؛ فوحدت بين أنحاء جزيرة العرب ، ثم نزل القرآن بلسان عربى مبين ، فأصبحت العربية لغة الدين ، وانتشرت بانتشار الإسلام ، وتحولت لغة الدواوين والأقطار الإسلامية إلى العربية ، فصارت لغة التعامل بين الناس ، ونسخت اللغات التى كان يتكلم بها سكان هذه الأقطار ، وخاصة فى العراق والشام ومصر والمغرب والأندلس ، واستطاعت أن تؤثر فى لغات الأقطار الأخرى التى دخلت فى الإسلام دون أن تنتشر اللغة العربية فيها ، وذلك كالأوردية والفارسية والتركية وغيرها !

وما قرره الأستاذ صديق شيبوب من البدائه المشتهرة ، بحيث يلم بها طلبة المدارس الثانوية فى مقرراتهم الدارسية ، والدكتور طه حسين يعلم ذلك تمام العلم . ولكنه يتجاهله ولا يشير إليه ، وكان من المنطق أن يكر عليه بالنقص مادام يخالفه ، ولكنه لا يملك من الدليل العلمى ما يثبت موقفه ، فليكن التجاهل المطلق هو السلاح الوحيد .

الدين والسياسة

ذكر الدكتور طه فيما نقلناه فى الفقرة السابقة قوله : « فالمسلمون إذن قد فطنوا منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول السياسة الحديثة ، وهو أن السياسة شىء والدين شىء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على شىء آخر ، وهذا التصور هو الذى تقوم عليه الحياة الحديثة فى أوربا ، فقد تخففت أوربا من أعباء القرون الوسطى وأقامت سياستها على المنافع الزمانية لا على الوحدة المسيحية ، ولا على تقارب اللغات والأجناس »[1] ؟

والسؤال الذى يواجه به الدكتور طه حسين هو ؟ متى فطن المسلمون إلى أن السياسة شىء والدين شىء آخر ، وهو يعلم أن الخلافة الراشدة ثم الخلافة الأموية ثم الخلافة العباسية ، ثم الخلافة الفاطمية ثم الخلافة الأندلسية ، ثم الخلافة العباسية الثانية فى مصر فى عهد المماليك ثم الخلافة العثمانية التى قضى عليها مصطفى كمال سنة ١٩٢٤ ! هذه الحلقات المتسلسلة المطردة دون انقطاع كانت تحكم بحكم الدين ، وترى السياسة لابد أن تدور فى فلك الدين ، وإذا تخلى الخلفاء فى كثير من الظروف عن الالتزام بما يفرضه الدين من أحكام ، فهم فى ذلك يعلمون أنهم مخطئون غير مصيبين ، كما أنهم يجدون من علماء الإسلام من يقف فى وجوههم ؛ ليعلن حكم الدين فيما يراه من مخالفة الدولة لأحكام الله ، وقد دام الأمر كذلك حتى جاءت سنة ١٩٢٤ فقضت على الخلافة ببأس قاهر وحكم باطش ارتاع العالم الإسلامى أشد الارتياع ، وقامت العواصف المستنكرة فى شتى ربوع هذا العالم الممتد ، وهو ما عبر عنه أمير الشعراء أحمد شوقى حين قال[2] :

(١) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٢٠ .

(٢) الشوقيات الجزء الأول ص ١٠٨ .

ضجت عليك مآذن ومنابر
وبكت عليك ممالك ونواح
الهند والهة ومصر حزينة
تبكى عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس
أمحا من الأرض الخلافة ماح
يا للرجال لحرة موءودة
قتلت بغير جريرة وجناح
حسب أتى طول الليالى دونه
قد ضاع بين عشية وصباح
أدوا إلى الغازى النصيحة ينتصح
إن الجواد يثوب بعد جماح
إن الغرور سقى الرئيس براحه
كيف احتيالك فى صريع الراح ؟
تركته كالشبح المؤله أمة
لم تسل بعدُ عبادة الأشباح
هم أطلقوا يده كقيصر فيهم
حتى تناول كل غير مباح
غرته طاعات الجموع ودولة
وجد السواد لها هوى المرتاح
وإذا أخذت المجد عن أمية
لم تعط غير سرابه اللماح

أقول إذا كان المسلمون قد ظلوا مدى ثلاثة عشر قرنا يؤمنون بالخلافة ، ويحترمون خليفة المسلمين ، فما مدى صحة قول الدكتور طه حسين : إن المسلمين قد فطنوا منذ عهد بعيد إلى أن السياسة شىء والدين شىء آخر ، ثم ما مظاهر هذه الفطنة ؟ فى كتب التشريع التى تحدثت عن الحاكم وبيعته والتزامه بحقوق الله ، وكونه منفذا لا مشرعا ، والتى جعلت الطاعة لأولى الأمر ممن يفهمون الدين على وجهه الصحيح من العلماء والفقهاء والعدول ، أم فى كتب التفسير والحديث وهى التى تكفلت بشروحها الضافية إيضاح الحقوق والواجبات ، ودعت إلى الأمر بالمعروف ونهت عن المنكر ؟ أم فى كتب التاريخ وهى سجل صادق لمواقف من أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فى وجوه من حادوا عن الطريق حتى اكتملت لدينا سلسلة ذهبية من أئمة علماء الإسلام الذين صدعوا بالحق فى وجوه من خالفوه ومن هؤلاء سعيد بن المسيب ، وسعيد بن جبير ، ويحيى بن يعمر ، والأوزاعى ، ومالك ، وأبى حنيفة ، والشافعى ، وابن حنبل ، وابن السكيت ، والمعز ابن عبد السلام ، وابن تيمية ، ومحيى الدين النووى ، والمنذر بن سعيد ، وبكار القاضى وابن دقيق العيد وعشرات من هؤلاء الكبار الكرام ، كلهم على مد العصور يطالب بتنفيذ سياسة الإسلام ؛ فلا يجد المنكر له مكانا بل يتضاءل وينكمش ، رغم ما يظن أصحابه من سلطان ؛ لأنهم يعلمون فى أعماقهم أن الذين يتحدثون من العلماء إنما يصدرون عن سياسة الإسلام ، ولا مجال بعدها لتزيد أو افتراء ! مرة ثانية أسأل الدكتور : متى فطن المسلمون إلى أن السياسة شىء والدين شىء آخر ؟ وما تحديد الزمن البعيد الذى ذكره مجهولا دون أرقام !

ولماذا نتكلم عن الماضى قريبا كان أو بعيدا ، لننظر إلى حاضرنا اليوم أفلا يرى الباحث المنصف أن المطالبين بأحكام الشريعة الإسلامية كثرة كاثرة ، أو لا يرى الأحزاب السياسية تنادى بأنها تسعى إلى تطبيق أحكام الشريعة ، تنادى بذلك جهراً ، ولايهمنا إن كان فى هؤلاء من يركب

الموجة الصاعدة دون اقتناع ومن يقول من عقيدة وإيمان ؟! أما ترداد الكلام حول انسلاخ أوربا عن هيمنة الكنيسة ، فلغوٌ لا يستمع إليه من يعرف أن الكنيسة ليس معها كتاب تشريعى ، وأن القرآن شيء والإنجيل شيء آخر ، ونترك الإسهاب فى مسألة السياسة والدين لنسأل الدكتور : أهذه مسألة سياسية أم مسألة تربوية ثقافية ؟ أنت تتحدث عن مستقبل الثقافة فلماذا تقفز إلى جزئيات هامشية لا تتصل بموضوعك اتصالا عضويا لا تحيد عنه ، ثم لماذا تبدى وتعيد مكررا ملحا ؟ أهو حب المفاجأة والدوى ؟ وإذا كان ذلك كذلك فإن تكرار المفاجأة على هذا الوجه الملح يفقدها ما يراد لها من الصليل .

علوم الأزهر

ما كتبه الدكتور طه حسين عن المعاهد الأزهرية فى مستقبل الثقافة منذ أكثر من نصف قرن ، لا يجد الآن ما يستأهل الرد عليه ، لأنه إذا كان يشكو من اختلاف المناهج بين المدارس الخاضعة لوزارة المعارف ، والمعاهد الأزهرية فى القسمين الابتدائى والثانوى ، فإن التطوير الأزهرى للتعليم قد جعل المواد متقاربة لاتوحى بانفصام متوهم ، كما أن القائمين على التدريس بالمعاهد ، لايختلفون عن زملائهم المدرسين بالمدراس ، إذ تأخذ المدارس حاجاتها من خريجى الكليات الأزهرية ، كما تستمد المعاهد مدرسيها من هؤلاء ، وإذن فقد ارتفعت الفواصل التى حاول بعض الكتاب من قبل الدكتور طه حسين أن يعتبروها سدودا منيعة يجب أن تستأصل ، وتلقف الدكتور الفكرة من صاحبها الأستاذ القبانى ليمد فيها مكررا مسهبا قدر مايستطيع ، غير راحم أعصاب قارئه التى تمل الحديث المكرر ، أما الذى يستدعى التعقيب الجاد فهو ما ذكره الدكتور طه حسين عقب حديثه عن المعاهد الأزهرية حيث قال(١) :

« شيء آخر لابد من التفكير فيه ، والطب له ، وهو أن هذا التفكير الأزهرى القديم قد يجعل من العسير على الجيل الأزهرى الحاضر إساغة الوطنية والقومية بمعناها الأوربى الحديث ، وقد سمعت منذ عهد بعيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر يتحدث إلى المسلمين عن طريق الراديو فى موسم من المواسم الدينية ، فيعلن إليهم أن محور القومية يجب أن يكون القبلة المطهرة ، وهذا صحيح حين يتحدث شيخ من شيوخ المسلمين إلى المسلمين ، ولكن الشباب الأزهرين يجب أن يتعلموا فى طفولتهم وشبابهم أن هناك محوارا آخر للقومية لا يناقض المحور الذى ذكره الشيخ الأكبر ، وهو محور الوطنية التى تحصرها الحدود الجغرافية لأرض الوطن ، ولست أرى بأسا على الشيخ الأكبر ، ولا على زملائه أن يتصوروا القومية الإسلامية كما تصورها المسلمون منذ أقدم العصور إلى هذه الأيام ، ولكن هناك صورة للقومية والوطنية قد نشأت فى هذا العصر الحديث ، فلابد من أن تدخل هذه الصورة الجديدة فى الأزهر ، وهى إنما تدخل فيه من طريق التعليم الأولى والثانوى على النحو الذى رسمناه » .

(١) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٧٤ .

هذا ما قاله الدكتور طه بشأن حديث الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر حينئذ ، وموضع ملاحظة الدكتور أن الشيخ الأكبر قد أغفل حديث الوطنية التى تحصرها الحدود الجغرافية للوطن فى حديث لا يتوجه به الشيـــخ الأكبر إلى المصريين فحسب بل إلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ! ولا أدرى كيف يكرر الدكتور فى كتابه عشرات المرات أن تتجه مصر إلى أوربا فى حضارتها وعلمها ، بل تتجه إليها فى الاقتباس من حلوها ومرها وخيرها وشرها ـ هكذا قال الدكتور ـ ثم لا يكون ذلك إغفالا لحديث الوطنية التى تحصرها حدود مصر الجغرافية ! فإذا قال شيخ المسلمين إننا نتجه إلى القبلة المطهرة ، كان فى قوله هذا خوف على أبناء الأزهر من طلاب المعاهد الابتدائية والثانوية أن يخلوا بواجبهم نحو الوطن ، مع أنهم يتجهون إلى القبلة خمس مرات فى اليوم واحد ، دون أن يستشعر أحد حذرا فى هذا الاتجاه المتكرر ، بل هو بالتأكيد مصدر نعمة سابقة ، ورعاية من الله يختص بها من أخلص من عباده ، ولم يزد الشيخ الأكبر عن مباركة هذا الاتجاه ! وسيظل المصريون حراصاً عليه حتى يقوم الناس لرب العالمين ، دون أن يخلوا قليلا أو كثيرا فى آداء حقوقهم الوطنية ، وواجباتهم التى تفرضها عليهم محبة مصر وترابها العزيز ، إذ لاتنافى بين الاتجاه إلى قبلة المسلمين ، وتأدية الواجبات الوطنية إلا لدى من يتخيلون ثم يحكمون .

قلت : ان الدكتور طالب أن نأخذ عن الحضارة الأوربية خيرها وشرها ، وحلوها ومرها ، وأنا أنقل نص عبارته التى تؤكد ذلك حين قال[1] :

«لكن السبيل إلى ذلك ـ أى إلى النظام الذى يجب نقده فى حياتنا الداخلية والخارجية ـ هى واحدة فذة ، ليس لها تعدد ، وهى أن نسير سيرة الأوربيين ، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب» .

والدكتور يعلم تمام العلم أنه سيفاجىء القارىء حين يجده داعياً إلى أن نكون شركاء مع الأوروبيين فى الشر لا فى الخير وحده وفيما يعاب لا فيما يحمد وحده وفى المر لا فى الحلو وحده ، يعلم ذلك لأنه يريد الضجيج المنبعث من هذا الاتجاه ، يريده عاليا مدويا ، على أن يقوله هو وحده ، فإذا قاله غيره كان موضع الاعتراض ، لقد تأكدت من ذلك حين قرأت نقدا للدكتور طه حسين لكتاب (سندباد عصرى) الذى ألفه الدكتور حسين فوزى وظهر مع كتاب مستقبل الثقافة فى مصر فى شهر واحد من سنة واحدة ، وقد تواردت الخواطر بين الكاتبين ، حين أكد الدكتور حسين فوزى أنه يتمسك بكل ما فى أوربا من خير وشر وهو ما أكده الدكتور طه وكرره فى مستقبل الثقافة ، ولكن طه لا يعجبه أن ينادى حسين فوزى بما نادى به ، فيقول عن كتابه هذا من فصل طويل نشره بمجلة الثقافة[2] .

---

(١) مستقبل الثقافة فى مصر ص ٤١ .

(٢) مجلة الثقافة العدد التاسع ١٩٣٩/٢/٢٨ .

«وما أكثر الآراء التى لا أشارك فيها الكاتب ! ولكن اختلاف الرأى ليس عيبا يعيب الكاتب ولا الناقد ، فلست أرى معه أن كل ما فى الغرب جميل ، وما أظن تطوافى فى الشرق إن أتيح لى أن أطوف فيه يردنى إلى الإعجاب بالغرب فى غير احتياط ، فقد يكون الغرب خيرا من الشرق وخيراً من الهند ـ خاصة ـ فى أشياء كثيرة ، ولكن الغرب ليس خيراً كله ، ولم يخلق الله بعدُ حضارة هى خير كلها» .

وإذن فنحن بين رأيين : إما أن نقول : إن الدكتور متردد لايجزم بشىء ، رغم إلحاحه المتكرر فى عبارات التأكيد ، وإما أن نقول : إنه يجب ان ينفرد وحده بمصادقة القراء حين يسمعهم ما يكرهون ، لا لأنه حق ، بل لأنه باطل يرتدى ثوب الحق .

تصحيح

رجاء تصحيح العبارة الواردة ص ١٠٧٧ فى السطر الرابع وما بعده من عدد رجب ١٤١٤ هـ لتصبح على صحتها الواردة للمؤلفة ؛ وهاهى :

«وربما تطرفت بعض الراهبات فى اللهو كتلك الراهبة التى قضت ليلة الاثنين بصحبة رهبان «أوستن» فى «نورثمبتن» ورقصت معهم ، وضربت على (الطنبور) وقضت الليلة التالية بصحبة الرهبان الوعاظ فى «نورثمبتن» ضاربة على (الطنبور) مغنية راقصة ، كما فعلت فى الليلة السابقة .

عبقرية التراث

الفصل الأخير

د/ عبد الفتاح الفاوى

الموقف الثالث : موقف الاصطفاء ...
ينظر هذا الموقف الى تراثنا على أنه : إنتاج بشرى لم تكتب له العصمة من الخطأ ، لذا فإن أصحابه يأخذون منه ويردون ، ويسعون للتوفيق بين قيم التراث والحضارات المعاصرة ، ويرون أن الموقف لا ينبغى أن يصور على أنه : إما أصالة أو معاصرة لا يمكن الجمع بينهما . فالحق ألا معاصرة دون أصالة ولا أصالة دون معاصرة .

نعود إلى التراث لا بهدف إعادة الماضى فالماضى لا يعود ، ولا للوقوف على أمجاده والاستغراق فى نشوة الفخر والاعتزاز ، وإنما لاستلهام ما يمكن أن يكون فيه من قيم ومثل ومبادىء تساعد على أن ننطلق بأمتنا من حيث انتهت إليه فى ذلك الماضى ، هو أشبه بموقف الابن البار مما يخلفه له أبوه ، يختار الصالح فينتفع به ويضرب صفحا عن غيره . ولهذا يدعو هؤلاء إلى إحياء التراث — لا كله — وإنما ما يتميز منه بالقيمة والعمق ونتوسم فيه النفع والفائدة ؛ ففى التراث من الخرافات والمبالغات ، ما لا يساوى الورق الذى كتب عليه ⁽¹⁾، ومن ثم تظهر أهمية التنقيح والاختيار ، « واختيار المرء قطعة من عقله » .

نأخذ منه ما له قيمة فنضيفه إلى الحاضر ، والقيمة تتولد من التفاعل بين الذات المدركة والشىء المدرك . فقيمة التراث فى التفاعل معه ، ولا يتم هذا التفاعل إلا إذا أمكن ربط التراث بالمعاصرة ، ولا يتم هذا الربط إلا بالانتقاء والإضافة والحذف ، وبهذا يصبح التراث كله كما يقول الدكتور زكى نجيب محمود : « هو ما تصنعه أنت ، لأن التراث مثل الصيدلية الحافلة بأنواع

---

(١) « نظرة جديدة فى التراث » ٩ ، ١٠ محمد عمارة .

الأدوية ، وما عليك إلا أن تأخذ صنف الدواء الذى يناسبك ويناسب عائلتك »[٢] .

نخلص من كل ما سبق إلى : أن عبقرية تراثنا تتضمن بُعداً حضارياً لا ينبغى الاستهانة به ولا الإهمال له ، وخاصة بعد أن ترددت أحوال المسلمين وأمورهم فى جميع النواحى إلى ما يستوجب الاشفاق ويستدعى الرثاء ، ولكن هذا البعد الحضارى منثور فى كل تراثنا غير مجتمع فى مكان بعينه ، أو فن بعينه ، أو كتب بعينها ، فهو يتخلل التراث كله ؛ قد تجده متمثلا فى مخطوط وسط مئات المخطوطات ، وقد تجده متمثلا فى موضوع وسط آلاف الموضوعات ، أو متمثلا فى فكرة أو فقرة ، أو ما شابه ذلك مما يمثل صعوبة وصعوبة بالغة فى الوصول إليه والحصول عليه .

والتساؤل الآن ليس عن قيمة عبقرية التراث أو بعده الحضارى ، وإنما يمكن أن يصاغ على النحو التالى : هل تستحق تلك العبقرية التى يتضمنها التراث ـ والبعد الحضارى الذى يشتمل عليه ـ ذلك الجهد الذى يبذل فى جمعه وتحقيقه ، وقد عرفنا أن ذلك متناثراً فيه متباعداً متداخلا .

ويرى البعض : أن الغرب الآن يمثل بالنسبة لنا اليونان قديماً ، فكما أخذ أجدادنا فلسفتهم وجل علومهم عن طريق الترجمة من اليونان ومن غيرهم وكما أن هذه الترجمة كانت هى المفتاح أو الباب أو الطريق الذى دلف منه المسلمون ، وانطلقوا من خلاله إلى الابداع والابتكار ، وانتجوا لنا كل هذا التراث الذى نتغنى به ونتغزل فيه الآن ؛ فإن أوروبا وأمريكا الآن لنا هى بمثابة اليونان وفارس والهند لأسلافنا ، فلنضرب فى ربوع حضارتها وقد سبقتنا بما لا حصر له من الأجيال والأميال كما ضرب أسلافنا من قبل ولنكتف من تراثنا بما يقيم أود لغتنا ويحفظ معالم شريعتنا .

ويمكن رد مقولة : الاعتماد على حضارة الغرب كلية ، بأن الغرب غير سعيد بحضارته لأنها اهتمت بالمادة وأهملت الجانب الروحى أو الدينى السامى فى حياة الإنسان ؛ بينما البعد الحضارى الذى يقدم لنا التراث الإسلامى بُعْدُ تُتناسق فيه المادة مع الروح وتحقق من السعادة ما عجزت حضارة الغرب عن تحقيقه .

وفى الجانب الآخر هناك من يحرصون على قيمة العبقرية التى يتضمنها تراثنا ، ويرون أن لا سبيل إلى تقدمنا وإلى تبوء مكانتنا التى كانت لنا ، إلا بالرجوع إلى التراث ، ويضيف هؤلاء : أن الدول الطارئة المحدثة ، هى وحدها التى تستهين بقيمة التراث وتزعم أنه أكفان موتى يفسد ريحها من فى العصر ، يحكمها فى هذا الموقف عقدة النقص ، إذ يعوزها ماض من التاريخ يعطيها تراثه ، أما الشعوب العريقة فهيهات أن تعى ذاتها ، دون إدراك لمقومات أصالتها ، التى حققت وجودها على مسارها الطويل ؛ بل هيهات

---

(٢) « انظر : التراث وواجبنا نحوه » ص ١٥ ونشير هنا مرة أخرى الى أن الانتقاء إنما هو من غير القرآن والسنة ، وقد استبعدناهما آنفا من التراث جملة : فالقرآن والسنة لا يقبلان الانتقاء قال تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » البقرة ٥٨ .

(٣) « ارتباط الأديب بالتراث » ص ٩ بنت الشاطىء .

أن يصح وجودها المعاصر ، ما لم يقم على أساس من خصائصها الذاتية والمادية والمعنوية التى تميز شخصيتها ، وتعطيها طابع الأصالة وسمات العراقة[٣] .

من هنا تظهر أهمية عملية استخراج الثمين من غيره فى التراث ؛ فهى بالقطع عملية شاقة تحتاج إلى جهد كبير ، وما يقال عن تمحيص تراثنا ينبغى مراعاته عند الترجمة والنقل من الغرب أيضا ، ففى حضارة الغرب ما هو غث وما هو مضر وما هو سم قاتل باعتراف أصحابه وذويه .

وإذا كنا بالنسبة للتراث نستطيع أن نميز الخبيث من الطيب ، ونأخذ الطيب ونترك الخبيث ، فإنه بالنسبة لمعطيات الحضارة الغربية لا نستطيع أن نميز الخبيث فيها من الطيب ، وإن استطعنا فلا نستطيع بحال أن نجتنب الخبيث ونأخذ الطيب لتشابكهما تشابكا يصعب فصله ؛ فالآلة التى نستقدمها تستقدم معها خبراءها ومهندسيها الذين يحملون الخبيث والطيب من حضارة الغرب وأخلاقياته .

إننا لا نطعن فى حضارة الغرب ولا نرفضها ولكن فقط نريد أن نوضح أنه : لا يمكن فى نقل الحضارة الغربية ، التأثر فيها بجانب دون جانب ، بل ربما تأثرنا بسلبياتها أكثر مما نتأثر بإيجابياتها .

أرأيت كيف أن الإجابة عن تساؤلنا جد صعبة ومعقدة ، والقضية لها أكثر من جانب وأكثر من زاوية ، ولا نشك فى إخلاص كلا الفريقين : من ينادى بالعودة إلى التراث ومن ينادى بهجره والأخذ من الغرب ، كلاهما .. مخلص ؛ غير أن كلا منهما نظر إلى القضية بعين واحدة أو من جانب واحد .

وثمة تساؤل آخر — ربما يغضب البعض — وهو : هل القيمة التى فى تراثنا حقيقية أم متوهمة ؟ بمعنى هل يحتوى تراثنا على قيمة حضارية حقيقية ؟ أو أن ذلك ناشىء من فرط حبنا وتقديرنا له ، وتقديسنا لكل ما ينتمى إلى السلف والماضى ؟ .

وهل عبقرية التراث نتجت عن قوة الأمة ، أم أن قوة الأمة قامت على عبقرية التراث ؟؟ .

وهل تأخر أمتنا الآن وضعفها بسبب إهمالها التراث أم بسبب انشغالها به ؟ وهل انشغال المستشرقين بتراثنا ناتج عما فيه من عبقرية وقيم حضارية ؟ أم خطة ماكرة لنقف عند حدوده ونبكى على أطلاله ؟ وخاصة أن هؤلاء يهتمون بنوع خاص من التراث[٤] .

وهل الجهود التى تبذل الآن فى ميدان التراث كافية أم قاصرة ؟ وهل ثمة خطة أو تناسق بين الجهود المبذولة ؟ أم أن ذلك متروك لفوضى الاجتهادات الفردية ؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التى يثيرها البحث عن عبقرية التراث .

ولنقف عند هذا الحد ولنترك هذه التساؤلات قائمة لنجيب عليها فى بحوث أخرى ، أو ليحاول غيرنا من المتخصصين والمهتمين بهذا الموضوع أن يجيب عليها .

---

(٤) مثل كتب الأدب التى تحتوى على كثير من المجون ، وكتب المذاهب غير المعتمدة ، التى تحتوى على كثير من التطرف .

(٥) أغلب مكتبات تونس مثل مكتبة العبدلية والأحمدية والعطارين والقيروان ، انظر أصول توثيق الارتباط بالتراث العربى ص ٧ ، ٨ هلال ناجى .

توصيات البحث

ولنكتف هنا بتقديم بعض ما ينبغى أن نلتزم به إزاء التراث إذا أردنا الوقوف على عبقريته بأقصر طريق وأقل جهد ممكن .

وأول عمل يتطلبه التراث من المهتمين به هو :

(١) فهرسته وتصويره حتى يستطيع الباحث أن يصل إلى ما يريده منه بسهولة . فكثير من مكتبات التراث لم تنشر فهارسها بعد[٥] وبعض المكتبات نشرت فهارسها بغير العربية كاللغة الروسية أو الألمانية أو الأنجليزية أو التركية والفارسية ؛ مما يعجز الكثير من أبناء الأمة الاسلامية من الاستفادة منها .

(٢) وللتحقيق قواعد وأصول ينبغى أن يتقنها الباحث قبل أن يقوم على تلك العملية ، وينبغى أن يعلم أن : تحقيق نسبة النص إلى من هو منسوب إليه لا تقل أهمية عن تحقيق نص المؤلف ومتنة ، ذلك لأنه : أصاب عالم الكتب ما أصاب غيره من الوضع والتزوير والدس ، وكثير من المخطوطات قد نسبت إلى غير أصحابها ، إما جهلا ، أو خبثا ، ومن أمثلة ذلك نسبة كتاب « الأغانى » إلى أبى الفرج الاصفهانى ونسبة كتاب « المضنون به على غير أهله » إلى الغزالى ، فقد تحدث فيها العلماء وشككوا فى صحتها[٦] .

(٣) والذى يساعد المحقق على معرفة ذلك أن يكون وثيق الصلة لمن ينسب إليه الأثر ، وبموضوع الأثر نفسه ، إلى جانب دقته العلمية ، وقوة ملاحظته .

(٤) وعملية التحقيق نفسها تحتاج إلى ضمير وأمانة علمية ، حتى لا يغير المحقق فى النص ، أو يضيف ، أو يحذف ، إلى جانب إلمامه بالموضوع وتمرسه على قراءة المخطوطات ؛ وأن يستقصى المحقق نسخ المخطوط فى المكتبات ، ويقوم بفحصها ودراستها .

(٥) وفى تراثنا الكثير من الرسائل والمقالات المتناثرة والصغيرة وكثير من الخطب والأجوبة التى تناولت موضوعات فى غاية الأهمية ، يعرض عنها الكثير من المحققين ، والعاملين فى مجال التحقيق استهانة بها واكتفاء باخراج المخطوطات ذات الحجم الكبير ، ظنا منهم أن الكتاب إذا كبر حجمه كثرت فائدته ؛ والحقيقة أن كثيرا من تلك الرسائل الصغيرة ، تحتوى على معارف وعلوم تكاد تخلو المكتبة الإسلامية منها .

(٦) ومن الأهمية بمكان تنسيق الجهود المبذولة فى تحقيق التراث حتى لا تضيع جهود كثيرة سدى فحركة التحقيق تعانى أشد ما تعانى من الفوضى التى ابتليت بها الأمة فى جميع أمورها ويكون التنسيق بأمرين : إعطاء أولويات للكتب التى تتوسم فيها قيمة ، وعدم تكرار التحقيق لكتاب بعينه ولا سبيل إلى ذلك إلا : بالتركيز على الروح العلمية التى يجب أن تسود بين علمائنا ومحققينا .

(٧) وأخيرا ألست ترى معى أن كل شىء فى حياتنا الثقافية وغير الثقافية قد تحول إلى مشكلة أو قضية فالتراث عندنا مشكلة ؛ والترجمة مشكلة والأصالة مشكلة ، والمعاصرة مشكلة ، إلى غير ذلك من المشكلات الفرعية التى... تستهلك. طاقات العلماء والمفكرين والباحثين ما لو وجه إلى مجالات أخرى لكان أكثر نفعا.

---

(٦) انظر « الفهرست » لابن النديم ص ٢٠٣ وانظر « الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » لشمس الدين السخاوى .

مسيرة الوحدة الموضوعية

فى العصرين : الأموى والإسلامى

د/ أحمد مصطفى حافظ

نماذج شعر الوحدة الموضوعية فى عصر صدر الإسلام وعصر بنى أمية[1] ، من الوفرة والجودة ، بحيث يستحيل علينا أن نغفلها ... وإذا كان مالا يُدْرك كله ، لا يُتْركَ كله ، فإننا نقتصر فى مقالنا هذا على تقديم أروع هذه النماذج ، وأكثرها دلالة على وحدة المشاعر ، فى أجمل قالب من البيان والاتساق ، حيث تتدفق الأبيات فيها هيِّنة ليِّنة ، يربطها خط شعورى مُتَّصل متوافق ، من البداية للنهاية ، وهذه أبيات لقيس بنى عامر فى جَبَلَ التوباد يقول فيها :

وأجْهشْتُ للتوباد حين رأيته … وكبَّرَ للرحمن حين رآنى
وأذْرَفْتُ دمع العين لما عرفتُه … ونادَى بأعلى صوته ، فدعانى
فقلتُ له : قد كان حولك جيرةٌ … وعهدى بذاك الصَّرْم منذ زمان
فقال : مَضَوْا واستْودعونى بلَادهم … ومن ذا الذى يبْقَى على الحدثان

* * *

وقد أوْحتْ (نجد) لبعض شعرائها بقصائد تستكمل عناصر الوحدة الموضوعية بأجْلَى معانيها وأدق خصائصها ، فقال الصِّمَّةُ بن عبدالله القُشَيْرى ـ يصف رُباها ورَيَّا عطرها ، بوجْدٍ مُذيب

أقول لصاحبى والعيس تهوِى … بنا بين المُنيفة فالضمار[2]
تمتع من شميم عَرار نجد … فما بعد العَشِيَّة من عرار[3]
ألا يا حبَّذا نفحاتُ نجدٍ … ورَيَّا روْضِهِ بعد القطار[4]
وأهلك إذ يحل الحىُّ نجدًا … وأنت على زمانك غير زارى
شهور ينْقضين ، وما شعرنا … بأنصاف لهُنَّ ولا سرار[5]

---

(١) عصر صدر الإسلام هو ثانى عصور الأدب العربى ، بعد العصر الجاهلى ، ويبدأ منذ بعثة النبى ﷺ ، وينتهى بانقضاء خلافة الراشدين سنة ٤١ هـ ، حيث يبدأ عصر بنى أمية ، الذى ينتهى بدوره بعد موقعة الزاب عام ١٣٢ هـ ، حيث طوى التاريخ صفحة الدولة الأموية . وبعض الدارسين يدمج عصر صدر الإسلام وبنى أمية فى عصر واحد .

(٢) المنيفة : ماء لبنى تميم ، والضمار : اسم موضع بنجد .

(٣) وفى بعض الروايات « تزود » ، والعرار : وردة ناعمة صفراء ، طيبة الرائحة .

(٤) القطار : جمع قطر ، وهو : المطر .

(٥) سرار الشهر : آخره .

وقول عبد الله بن الدمينة ، الشاعر الإسلامى :

ألا يا صَبَا نجدٍ ، متى هِجْت من نجْدِ — لقد زادنى مَسْراك وجْدًا على وجْدِ
أئنْ هتفتْ ورْقاءُ فى رونق الضحى — على فنن غَضٍّ النبات من الرَّنْد ـ :
.. بكيْتَ ، كما يبكى الوليدُ ، ولم تكن — جَليدًا ، وأبديتَ الذى لم تكن تُبْدى
وقد زعموا أن المحبَّ إذَا دنا — يمَلُّ ، وأنَّ النَّأْىَ يشْفِى من الوجد
بكل تداوَيْنا ، فلم يَشْفِ ما بنا — على ذَاك قُرْبُ الدار .. خيرٌ من البُعْد
على أنَّ قُرْبَ الدارِ ليس بنافع — إذا كان مَن تهواه ، ليس بذى وِدِّ

ويقول أيضا بتناغم يثير الأسى والشجن :

حنَنْتَ إلى رَيَّا ، ونفسُكَ بَاعَدَتْ — مزَارَك من رَيَّا ، وشَعْباكُما معا(٦)
فما حَسَنٌ أن تَأْتِىَ الأمرَ طائعا — وتجْزع أنْ داعى الصبابة أسْمَعَا
قِفَا ودِّعَا نجدا ، ومَنْ حَلَّ بالحمى — وقَلَّ لنجدٍ عندنا أنْ يُودَّعا
بنفْسِىَ تلك الأرضُ ، ما أطْيبَ الرُّبا — وما أحْسن المصطاف والمتربعا(٧)
وليستْ عَشِيَّاتُ الحِمَى برواجع — عليك ، ولكنْ .. خَلِّ عينيْكَ تدمعا
.. ولما رأيتُ البِشر أعْرضَ دوننا — وحالت بناتُ الشّوق ، يَحْنُنَّ نُزَّعا(٨)
بَكَتْ عيْنَى اليُسْرى ، فلما زَجَرْتُها — عن الجهل بعد الحِلْم .. أسْبَلَتا معا
تلفَّتُّ نحو الحىِّ ، حتى وَجَدْتُنى — وَجِعْتُ مِن الإصغاء : لِيْتًا وأخْدعا
واذكر أيامَ الحمى ، ثم أنْثنِى — على كبِدى .. من خشْية أن تصدَّعا

★ ★ ★

وللحُطيئة نَصٌّ شعرى قصصى ، مكتمل العناصر والحبكة(٩) اللازمة لفن القصة ، وهى تَدْحض الزعم بأن فن القصة يُعدُّ فنّاً غريبا على الأدب العربى القديم ، رغم سبْق العرب لمعالجة هذا الفن ، منذ (امرئ القيس) فى قصته يوم (دارة جلجل) ، وفى أخبار وأيام وأساطير العرب الممتزجة بتراثهم ، هذا التراث الذى سبق الغرب بقرون .. وقد أثْبتَت الدراساتُ المقارنة أنَّ هناك تأثُّراً وتأثيراً بين الأدبين : العربى والأوربى ، منذ أتيح للغرب الاطلاع ـ فى القرون الوسطى ـ على (كليلة ودمنة) التى ضاع أصلها الأجنبى ، وحفظتْها من الضياع ترجمةُ ابن المقفع لها ، وديوان (الصادح

---

(٦) الشعب : الحى — (٧) المتربع : المكان الذى يحفل بأزهار الربيع .
(٨) البِشر : جبل بالجزيرة العربية . وبنات الشوق : نوازع الحنين .
(٩) الحبكة : هى إحكام صناعة الشىء . حبك الثوب : أجاد نسجه ، وحبك الحبل : شدَّ فتْله .
وأنظر كتاب (الحبكة) تأليف اليزابث دِبْل وترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة ص ١١٠ ط سنة ١٩٧٧ (بغداد/ حى الجامعة) .

والباغم) لابن الهبارية ، الذى يُجْرِى فيه شعراً قصصيا على لسان الحيوان ، و (ألف ليلة وليلة)[١٠] وسيف بن ذى يزن وذات الهمة و (حمزة البهلوان) و (الظاهر بيبرس) و (وتغريبات بنى هلال) إلخ ... هذا بالإضافة إلى ما اشتملت عليه (مقامات بديع الزمان) و (الحريرى) من قصص قصيرة وطُرف أدبية ، ذات شخوص وأبطال وأحداث ..

* * *

والقصة التى يرويها لنا الحطيئة ، فى قصيدته ــ التى تظهر كرم الضيافة عند العرب ــ جاءت متلاحمة الأجزاء : بمقدمة ، ثم (عقدة) أو حبكة ، ثم نهاية .. بترتيب منطقى ؛ فتحقق بذلك ما يذهب إليه (الحاتمى) ، من أن : (القصيدة مثلها خلق الإنسان ، فى اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحدٌ عن الآخر ، وبايَنه فى صحة التركيب ، غادر الجسم عاهة تتخون محاسنه ، وتُعفّى معالم جَماله)[١١]

ونص القصيدة :

وطاوِى ثلاثٍ ، عاصبِ البطْنِ مُرْمِلٍ ... بِبَيْداء لم يعرفْ بها سَاكنٌ رَسْما[١٢]
أخِى جَفْوةٍ .. فيه من (الإنْس) وحْشةٌ ... يرى البُؤْسَ فيها ــ من شراسته ــ نُعمى
وأفْردَ فى شِعْبٍ : عجوزا ، إزاءها ... ثلاثةُ أشباح تَخَالُهُمَو بهما[١٣]
حُفاةً عُراةً .. ما اغْتذوا خُبْزَ مَلَّةٍ ... ولا عرفوا للبُرِّ ــ مذْ خُلِقُوا ــ طعما[١٤]

★ ★ ★

رأى شبحا وَسْط الظلام ، فراعَه ... فلمّا رأى ضيفا .. تشمَّرَ واهْتمَّا[١٥]
فقال : هَيا رَبَّاهُ ، ضَيْفٌ ولا قِرَى ... بحقِّكَ لا تحْرمْه تا الليلة اللَّحْما[١٦]
فقال ابْنُه ــ لمَّا رآه بحَيْرةٍ : ... ــ أيا أبَتِ اذْبَحْنى .. ويَسِّرْ له طعْما ![١٧]
ولا تعْتذِرْ بالعُدْم .. عَلَّ الذى طَرا ... يظنُّ لنا مالا .. فيُوسعنا ذَمَّا ![١٨]

---

(١٠) وقد تمنى (ستندال) القصصى الفرنسى الكبير أن ينسى ذِكراها ــ أى ألف ليلة وليلة ــ التى علقت بذهنه ــ حتى يعود إليها ، فيستعيد مُتْعة مطالعتها مرة أخرى .. كما تمنى القصصى الإنجليزى الكبير (سُومِرسِتْ موم) أن يتعلم العربية ، حتى يقرؤها فى أصلها العربى .. » أنظر هامش كتاب : (فى عالم القصة) للدكتور على شلش ص ١٩٥ ط الشعب سنة ١٩٧٨ .

(١١) أنظر العمدة لابن رشيق جـ ٢ ص ٩٤ .

(١٢) الطاوى : الجائع وثلاث : أى ثلاث ليالٍ .
عاصب البطن : أى ربط بطنه من شدة الجوع . مُرْمل : فقير جداً .
رسْما : أثر للعمران ، فى صحراء جرداء مقفرة .

(١٣) شعب : طريق فى الجبل . بَهْما : صغار البقر والضأن .

(١٤) الملة : تُراب الفرن وحصاه وما يُخبز عليه ــ البُرُّ : القمح .

(١٥) راعه : أخافه . تشمر : استعد .

(١٦) القِرى : إطعام الضيف . تا الليلة : هذه الليلة .

(١٧ طعما : طعاماً .

(١٨) العُدْم : الفقر . طرا : طرأ علينا ونزل بضيافتنا .

فبيْنا هُمَـــا .. عَنَّتْ على البُعْـــد عانــةُ قد انْتَظمتْ من خلف مِسْحلها[١٩] نظما

عِطَـــاشًا تُريـــد الماءَ ، فانْساب نحوهـــا على أنَّـــهُ منها ـ إلى دَمِهـــا ـ أظْمـــا !

فأَمْهَلَهَـــا .. حتـــى تَروَّتْ عِطَاشُهـــا فأرْسَلَ فيها من كِنَانتـــهِ سهمـــا

فخرَّتْ نَحُوصٌ ، ذاتُ جَحْشٍ سمينـــة قد أكتنزتْ لحما ، وقد طبَّقتْ شَحْما[٢٠]

* * *

فيـــا بِشرَهُ إذْ جَرَّهـــا نحو قومـــه ويـا بِشْرهـم لمَا رَأَوْا كَلْمها يَدْمَى[٢١]

.. وباتـوا كِرامًا قد قَضَوْا حَقَّ ضيفهم ومَـا غَرَمُوا غُرْما .. وقـد غنمـــوا غنما

وبـات أبُوهــم ـ من بشاشتـــه .. أبًـــا لضيفهـمُ .. والأُمُّ ـ من بِشْرهـا .. أُمَّا

ولعل الحُطَيْئة قد نظر فى نظمه لهذه القصيدة الخيالية (بلاشك !) إلى قصة سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا اسماعيل عليهما السلام ، حينما رأى إبراهيم فى المنام أنه يذبحه ، وفداه الله ـ تعالى ـ بذبح عظيم .. فما عُرف عن الحُطَيْئة من الجشع والهجاء وسقوط الهمة ، يجعلنا نشك فى كرمه ، وإن كنا نَسْتَمْلِحُها ونعجب بخياله الرائع فيها أشد الإعجاب .

(الحديث موصول)

---

(١٩) عنت : ظهرت . عانة : قطيع من حمر الوحش . مسحلها : أحدِ حمر الوحش الذى يتولى قيادتها .

(٢٠) نحوص : سمينة . ذات جحش : معها ولدها .

(٢١) كلمها : جَرحها يَدْمَى : يسيل دمه .

خزائن المخطوطات

بجمهورية أوزبكستان الإسلامية

- ٢ -

د. عبدالله نجيب محمد

المخطوطات الأدبية : تضم الخزانة الموجودة فى معهد الاستشراق المسمى باسم ابى الريحان البيرونى ، والتابع لأكاديمية العلوم بجمهورية أوزبكستان مجموعة هائلة من المخطوطات الأدبية الكلاسيكية فى الآداب الشرقية خاصة للأديب الكبير « على شيرنوائى » وأبى على بن سينا والعلامة الزمخشرى ومحمود كاشغرى ويوسف خاص حاجب بلاساغونى وربغوزى والرودكى والفردوسى ، ونظامى الكنجوى وأمير خسرو الدهلوى وعبدالرحمن الجامى وسعدى الشيرازى وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومى وحافظ الشيرازى وعمر الخيام وفضولى وميرزا عبدالقادر بيدل وغيرهم .

ومن أهم هذه المخطوطات الموجودة بالخزانة بعض قصائد شعرية للعالم والفيلسوف والطبيب المشهور أبى على بن سينا ، كما توجد نسخة من « سلامان وابسال » وهى النسخة الوحيدة فى العالم ، وهى ضمن مجموعة « رسائل الحكماء » التى تضم حوالى مائة رسالة مختلفة فى الأدب والعلوم لعدد من علماء الشرق العظام ، وتعتبر مخطوطة « قوتادغو بيليك » (المعرفة التى تجلب السعادة) المكتوبة فى القرن الحادى عشر للعالم والأديب المشهور « يوسف خاص حاجب - الذى عاش فى بلاساغون (توكماك) وكان من أشهر المؤرخين وعلماء الفلك والطبيعة والرياضة - تعتبر إحدى أقدم ثلاث مخطوطات فى العالم كله ، وقد أعيد كتابتها فى القرن الرابع عشر[1] .

ومن هذه المخطوطات - أيضا - مخطوطة « خمسة نظامى » لنظامى الكنجوى الآذربيجانى ، التى كان قد أعاد كتابتها الشاعر الغنائى العظيم « حافظ الشيرازى » وهى مزودة برسوم مصغرة تعتبر آية فى الفن ، ومخطوطة « خمسة » لنوائى أعاد كتابتها بخط رائع فى حياة مؤلفها الخطاط المشهور « عبدالجميل كاتب » وله

ديوان ـ أيضا ـ أعيدت كتابته عدة مرات على يد مهرة الخطاطين ومنهم « سلطان على مشهدى » و « درويش محمد طاق » .

ومن شعراء آذربيجان المشهورين الشاعر « محمد بن سليمان فضولى » الذى عاش فى منتصف القرن السادس عشر ، وله ديوان مشهور تحفظ منه عدة مخطوطات فى « طشقند » .

ومن مقتنيات الخزانة الثمينة التى لا تقدر بثمن ، تلك الكتب المعروفة باسم « كليات » (أى المؤلفات الكاملة) وديوان « هفت أورنك » (سبع نجمات للدب الأكبر) ومؤلفات للشاعر الطاجيكى العظيم « عبدالرحمن الجامى » وبعضها بخط الجامى نفسه ، وديوان « أحمد شاه دورانى » الذى كتبه بلغة « بوشتو » (لغة أفغانستان) وهذا الشاعر كان من أشهر شعراء عصره (٧٤٧ هـ ـ ١٧٧٣ م) كما كان زعيم عشيرة دورانى ، وله منزلة كبيرة بينهم ، وقد جمعت أشعاره فى الغزل وخماسياته ورباعياته فى النسخة الطشقندية ، وفى مطلع كل قصيدة غزلية ورباعية رسوم رائعة بالذهب المسبوك ، وقد أعاد كتابة الديوان أحد أقارب أحمد شاه دورانى وهو محمد حامد دورانى وأهداه إلى الشاه فى سنة ١١٦٣ هـ ـ ١٧٥٠ م . وديوان الشاعر الهندى شاه نياز أحمد بن شاه رحمت الله سرهندى ، الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وبداية القرن التاسع عشر ، وشعره مكتوب بالفارسية والأوردية باسم مستعار له هو « نيازى » .

ومن المؤلفات الاوزبكية « قصة ربغورى » لنصر الدين ربغورى ، ومؤلفات « سكاكى » وديوانه وقد عاصر هذا الشاعر ، عالم الفلك الأوزبكى العظيم « الغ بيك » ومخطوطة الديوان لها نظير مطابق لها فى المتحف البريطانى .

ومنها ـ أيضا ـ مؤلفات حمزة حكيم زاده نيازى وله ديوان ومسرحيات بالأوزبكية وبعض الكتب المدرسية التى لازالت بالخزانة ، كذلك كان عبدالله خان ، حاكم إقليم ماوراء النهر ، والذى ينحدر من بنى شيبان ، أحد الشعراء الموهوبين فى القرن السادس عشر ، وكتب شعره بالأوزبكية والفارسية والعربية تحت اسم مستعار هو « عبيدى » وتوجد بالخزانة المخطوطة الوحيدة لمؤلفاته كاملة ، وتضم دواوينه ومؤلفاته الأخرى ، ومكتوبة بعدد من اللغات الشرقية ، وأعيدت كتابتها على يد الخطاط الذائع الصيت « مير حسن الحسينى مير كلكتى » .

وتوجد بالخزانة ـ أيضا ـ قصيدة « دربيك » (يوسف وزليخا) كان قد أعاد كتابتها سنة ١٠٢٤ هـ ـ ١٦٠٥ م محمد سعيد بن ميرزا محمد بخارى ، وزينها برسوم مصغرة جميلة ، وصفحات واجهة فنية رائعة .

المخطوطات الفلسفة

يحفظ فى خزانة المعهد كثير من المؤلفات الفلسفية ، وكتب الرياضيات ، وتاريخ العلوم ، والفيزياء والكيمياء ، وعلم الفلك ، وعلم الطب ، وعلم المعادن ، وعلم العقاقير وغير ذلك ، ويكفى أن نذكر أن منها مؤلفات الفيلسوف الفذ : أبى نصر محمد الفارابى المولود فى مدينة فاراب الواقعة على شاطىء نهر « سيحون » ٢٦٠ هـ ـ ٨٧٣ م : ٣٣٨ هـ ـ ٩٥٠ م وله مؤلفات عديدة فى علم الطبيعة ، وتحفظ فى الخزانة بعض منها مثل : « عيون المسائل وفصوص

الحكم » و « فى معانى العقل » و « آراء أهل المدينة الفاضلة » .

ومنها أيضا مؤلفات ابى على بن سينا المولود فى قرية أفشان قرب بخارى وله أكثر من ٣٠٠ مؤلف فى ميادين العلم المختلفة ومنها بمكتبة المعهد مؤلفة « القانون فى الطب » وهو فى خمسة مجلدات .. ومؤلفات أبى الريحان البيرونى العالم الأوزبكى المولود فى خوارزم والذى عاش فى نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر ، ومن المؤلفات الموجودة بالخزانة مؤلفه « التفهيم لأوائل صناعة التنجيم » والذى أعيد كتابته فى القرن الرابع عشر ، وهو أحد أقدم النسخ فى العالم ، كما يوجد له كتاب « أسئلة وأجوبة » وله أهمية بالغة فى دراسة تاريخ علم الطبيعة .

ومنها مؤلفات عالم الفيزياء والرياضيات والفلك « محمد بن أحمد الخوارزمى » ، ومؤلفات عدد من الجغرافيين أهمهم : أبو عبدالله جيحونى وشرف الزمان طاهر المروزى ، ومؤلفات عالم الرياضة والفلك « أبو محمود خوجندى » من « خوجنرة » وأبو سهل الكوهى المولود فى إحدى القرى الواقعة فى شمال غربى بحر قزوين ، وأبو بكر الحاجب الكرجى البغدادى الأصل ، وأبو عبدالله بطانى من بلدة بطان القريبة من غازان ، وأبو يحيى المروزى من مرو ، وأبو الفتح سعيد بن خفيف السمرقندى ، وأبو نصر منصور بن على بن عراق المولود فى قرية بوجان الواقعة بين خراسان وهرات ، وأبو حسن بن أحمد النيسابورى الخراسانى ، وعمر الخيام وغيرهم .

وتوجد بمكتبة المعهد ـ أيضا ـ مخطوطة « سر الأسرار فى تاريخ الكيمياء » ، وهى نسخة فريدة فى العالم للعلامة المشهور أبو بكر الرازى الذى عاش فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، وأعيدت كتابة النسخة المحفوظة فى خزانة معهد الاستشراق سنة ١٥٠١ . وقبل اكتشاف المخطوطة لم يكن مستشرقو العالم يعرفون إلا مؤلفا واحدا للرازى وهو « كتاب الأسرار » .

كذلك توجد فى حوزة الخزانة مؤلفات عالم الفلك العظيم ألغ بيك ، وقاضى زاده رومى ، وعلى قوشجى ، وقطب الدين شيرازى وغيرهم .

إن نظرة سريعة على ماتحتويه هذه الخزانة الثرية يجعل من الضرورى بل من المحتم دراستها دراسة عميقة ومتأنية ونقل وتصوير بعض فرائدها لدراسته من جديد ؛ حتى تستبين تلك الصفحة الرائعة من مجهودات علماء المسلمين فى آسيا الوسطى ، والتى هى جزء هام من الإرث الثقافى للمسلمين فى كل انحاء الأرض .

لقد أنشىء لهذا الغرض منذ زمن معهد لدراسة المخطوطات الشرقية فى أكاديمية العلوم بجمهورية أوزبكستان ، وفى نفس الوقت الذى تأسست فيه الأكاديمية منذ خمس وعشرين سنة مضت ، ونقلت إلى المعهد جميع النسخ المحفوظة فى القسم الشرقى للمكتبة العامة الحكومية المسماة بإسم على شيرنوائى .. وفى المكتبة الرئيسية (أكاديمية العلوم فى جمهورية أوزبكستان) وأنشئت به عدة أقسام مثل : قسم الإعداد العلمى الأولى والتصنيف ، وقسم الوصف العلمى والفهرسة ، وقسم البحوث ونشر الآثار المكتوبة وقسم دراسة العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية لشعوب آسيا الوسطى مع البلدان المجاورة .

وقد تغير اسم المعهد وهو معروف الآن باسم معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم فى جمهورية أوزبكستان » .

البوسنه والهرسك

فى إطار المؤامرة الغربية

للواء الدكتور/ فوزى طايل

عرض وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة

البوسنه والهرسك ، تلك الدولة الأوربية ذات السيادة ، وهى دولة لها كيانها وأركانها لا ينقصها مقوم من مقوماتها ثم هى — من بعد — عضو بالأمم المتحدة .

فما الذى يحدث لها ؟ ولماذا ؟ .

ولعل الإجابة عن ذلك ، يمكن للقارىء العزيز أن يستخلصها من كلمة الأستاذ أحمد صالح جولاكوفيتش عضو وفد البوسنه والهرسك فى مؤتمر « حاضر العالم الإسلامى ونظرة إلى المستقبل » حيث يقول :

"... البوسنه والهرسك ، هذه الجمهورية العظيمة التى هى آخر فتوحات المشرق الإسلامى ، وبوابته إلى أوربا من ناحية الشمال ، هذه الجمهورية تمثل جزءاً من العالم الإسلامى : روحا .. تاريخا .. سلوكا ، كما تمثل — أيضا — جزءاً جغرافيا من أوربا .

هذه الجمهورية تدافع عن العقيدة .. عن « لا إله إلا الله محمد رسول الله »(١).

... كانت قرطبة بوابة الإسلام من الغرب ، مثلما صارت البوسنه والهرسك بوابته من الشرق ، واستطاع الحقد الصليبى بالتخطيط والتآمر منذ خمسمائة عام أن يُخْرِج المسلمون من الأندلس بالحرب والتنكيل والتعذيب ومحاكم التفتيش . ودمرت قرطبة .. ودمر غيرها من معالم الإسلام وحضارته .

وها هو التاريخ يعيد نفسه : دمر بقرطبة نحو سبعمائة مسجد .. ودمر فى البوسنه والهرسك ثمانمائة مسجد ، ما يراد للمسلمين فى البوسنه والهرسك .. هو نفس ما أريد لهم فى فلسطين ، وهو هو ما أريد لهم من قبل فى قرطبة .. (٢) .

إن ما يحدث فى البوسنه والهرسك من قتل وتعذيب وتشريد واغتصاب سببه الأول والأوحد أنهم مسلمون آمنوا بالله إلها واحداً لا شريك له ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ؛ فكان لابد أن يلقوا

(١) راجع : كلمة عضو وفد البوسنه والهرسك — مجلة الأزهر — جمادى الآخرة ١٤١٣ ص ٨١٨ .

(٢) المرجع السابق .. نفس الموضوع .

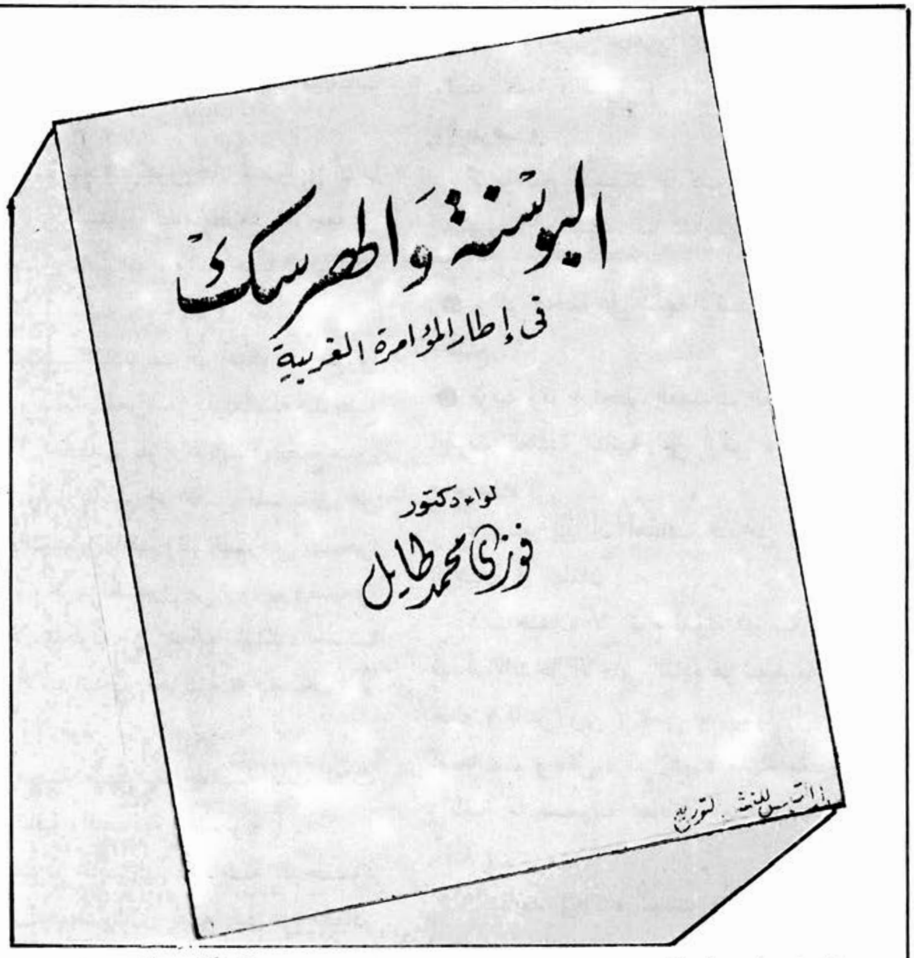

ما يلقاه إخوانهم فى كشمير وفى بورما ، وفى ارتيريا ، وفى الصومال ، وفى فلسطين !!

ولكن أين المجتمع الدولى ؟ أين النظام العالمى الجديد ؟ أين الأمم المتحدة ؟ ثم فى النهاية أين العالم الإسلامى ؟ .

من هنا كان اختيارنا لهذا الكتاب الذى نعرض له ، « البوسنه والهرسك فى إطار المؤامرة الغربية » للواء الدكتور فوزى محمد طايل .

ويقع الكتاب فى اثنتين وخمسين صفحة من القطع الصغير ، صدر عن (دار القبس للنشر والتوزيع) بالاسكندرية ، ويضم بين دفتيه محاضرة ألقيت يوم الجمعة ـــ ٨ من ذى القعدة ١٤١٣هـ الموافق ٣٠ من أبريل ١٩٩٣ م بنادى المهندسين بالاسكندرية بمناسبة مرور عام على الغزو الصربى للبوسنة والهرسك .

والكتاب يشتمل على فكر سياسى متزن ، وتحليل رصين .

ويزيد من أهمية الكتاب علم كاتبه بالمعنى الدقيق للقيادة وكيفية إدارة الصراع ؛ فهو السيد اللواء أركان حرب دكتور فوزى محمد طايل أستاذ

الاستراتيجية الشاملة غير المتفرع بأكاديمية ناصر العسكرية العليا . وله العديد من المؤلفات السياسية(٢) .

لقد بدأ الأستاذ الدكتور كتابه مشيراً إلى أن ما أصابنا ــ نحن المسلمين ــ من ضعف مرجعه إلى عدم تمسكنا بكتاب الله ، وأننا أحببنا الدنيا أكثر من حبنا لله ورسوله ، وجهاد فى سبيله .

وأوضح ــ سيادته ــ أن أعداء الله طوروا هجومهم وبدءوا بالفعل المعركة الفاصلة منذ بضع سنين ، وفى حسبانهم بلوغ غايتهم فى بضع سنين أخرى ، وما غايتهم إلا فصل المسلمين عن عقيدتهم وقيمهم وثقافتهم وتاريخهم حتى يصبحوا بلا هوية ، وتجريد المسلمين من ثرواتهم فيصبحوا كالرقيق لا يملكون من أمرهم شيئا ، وسلب مواقعهم الاستراتيجية الحاكمة ؛ فيصبحوا لا حول لهم ولا قوة .

فهى هجمة صهيونية/ صليبية ذات ثلاث شعب (ثقافية واقتصادية وعسكرية) .

فالمسلمون محاصرون بأحزمة الوجود العسكرى لعدوهم الذى يضع يده على مصادر الثروة والموارد الطبيعية والنشاط الاقتصادى بصفة عامة .

وأصبح يتحكم فيما نحتاجه من معلومات وفى الإعلام والتعليم ، وجند من بيننا أعوانا له ينتسبون إلى الإسلام ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، وآخرين جاهروا بحرب عقيدة الإسلام وقيمه بحجة « التنوير » وما يسمى « الإرهاب والتطرف » .

ثم يوضح الأستاذ الدكتور أن الهجمة الصهيونية/الصليبية رغم تشابكها يمكن أن نميز منها :

● تركز الهجمة على شقها الاقتصادى فى منطقة الخليج .

● قرب وقوع أخطر العمليات العسكرية بعد الحرب العالمية الثانية على أرض « البوسنه والهرسك » .

ثم يشير إلى أن أهداف التدخل العسكرى الوشيك فى البلقان :

١ ــ ضمان ألا تقوم لدولة البوسنه قائمة ، فهدف التدخل الأجنبى القادم هو تنفيذ ما يسمى بخطة (فانس/أوين) بمعنى تقسيمها إلى عشرة تجمعات ، وجعل « سراييفو » مدينة مفتوحة ، وإقامة ما يسمونه بمناطق آمنة (وما هى بآمنة) .

٢ ــ بعد إزالة « البوسنه » إزالة أى كيان إسلامى فى البلقان .

٣ ــ نقل مركز ثقل حلف الأطلنطى إلى البحر المتوسط وبذلك يحكم الحصار الاستراتيجى حول قلب الأمة الإسلامية ، ويصبح رهينة بين القوات الأمريكية والغربية فى المحيط الهندى ،

---

(٢) صدر له :

ــ أهداف ومجالات السلطة فى الدولة الإسلامية «دار النهضة» .
ــ النظام السياسى فى إسرائيل «دار الوفاء» .
ــ البوسنه والهرسك أندلس جديدة فى أوربا «دار الزهراء» .
ــ أثر أزمة الخليج على منظومة القيم الإسلامية العليا «دار الزهراء» .
ــ البعد الإسلامى فى حرب الخليج «مترجم» «دار الزهراء» .
ــ الجواسيس غير الكاملين «مترجم» «دار الزهراء» .
ــ آثار تفكك الاتحاد السوفييتى على أمن الأمة الإسلامية «دار الوفاء» .
ــ الثقافة والإعلام فى مصر وأمن الأمة «مركز الإعلام العربى» .
ــ البوسنه والهرسك فى إطار المؤامرة الغربية الذى نقدمه للقارىء .

وكل من الخليج ، والبحر الأحمر والقرن الأفريقى وبين قوات حلف شمال الأطلنطى فى البحر المتوسط . وهذا ما يسمونه منذ عام ١٩٨٧ م :

« نقل نطاق عمل قوات حلف شمال الأطلنطى إلى خارج أوربا » .

وهذا هو الوضع المناسب تماما للحركة الصهيونية القادمة كى تقيم مشروعها وتهيمن هيمنة كاملة على المنطقة ، وتقيم إسرائيل الكبرى ، خاصة إذا علمنا أنه بموجب مذكرة التفاهم الاستراتيجى الأمريكية/الإسرائيلية ١٩٨٣ ، فإنه يحق لإسرائيل الاستعانة بالإمكانات العسكرية لحلف شمال الأطلنطى عند الضرورة ، وللصهيونية العالمية أساليبها لحمل أوربا على قبول هذا الأمر .

ثم يعرض المؤلف لأحداث البوسنه والهرسك ويصور فظاعة ما حدث وجرم ما ارتكبه الصربيون .

ثم يعرض نبذة تاريخية عن البوسنه ويركز على أنها دولة لها سيادتها وهويتها الإسلامية منذ (٥٣٠) عاماً وأنها عضو فى الأمم المتحدة . ويتساءل عما يجرى فى البوسنه ولماذا يحدث ؟ .

ثم يعرج على ما يسمى « بالنظام العالمى الجديد » وأنه نظام صهيونى من حيث الصياغة والأهداف بل والأشخاص الذين يحركونه .. هذا النظام غايته إخضاع أمم الأرض ، وحكم العالم من أورشليم (القدس) .

ثم يعرض الأستاذ الدكتور لمخططات اليهود مستشهدا بما نشر بمجلة (النيوزويك) الأمريكية تحت عنوان : «EUROPE IN THE YEAR 2000» وقد وضع الباحثون اليهود القائمون بهذه الدراسة خريطة ليوغوسلافيا وقد محيت منها البوسنه والهرسك وحل محلها ذلك الاسم «GREATER SERBIA» أى : « صربيا العظمى » . وكان ذلك قبل عام ونصف عام من الحرب لقتل وتشريد المسلمين .

ثم يوضح المؤلف موقف « المجتمع الدولى » اعتبارا من بدء الهجوم فى الرابع من مارس ١٩٩٢ م فيقول :

وبعد أربعين يوما من القتل والتشريد أصدر مبعوث الأمم المتحدة اليهودى « ماراق جولدنج » تقريره الذى قال فيه : « إن الظروف غير ملائمة لإرسال قوات دولية لحفظ السلام » وما ذلك إلا ليعطى الفرصة للصرب للاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأراضى ، وبدأت أكبر مسرحية إجرامية فى التاريخ ؛ مسرحها يمتد من « الأمم المتحدة » حتى « سراييفو » وتذاع على كل وسائل الإعلام وتنشرها كل وسائل النشر فى العالم ، من أجل التعمية ، والتضليل ، وإعطاء الفرصة لقتل المسلمين وتذبيحهم ، وهدم المساجد وسرقة الأطفال ، واغتصاب النساء وتشريد المدنيين ، ومنع وصول السلاح للمسلمين للدفاع عن أنفسهم ، بل ونزع ما كان بأيديهم من سلاح !!

أصدر مجلس الأمن قرارات هزلية هزيلة ، وتحرك الرئيس الفرنسى ، ووزير الخارجية البريطانى وغيرهم حركات مسرحية ، يراد منها تأكيد تقسيم البوسنه والهرسك ، ونفسرها نحن بغباء أو بمشاركة فى الجريمة على أنها بطولة وشجاعة .

ثم قامت الولايات المتحدة الأمريكية بالإعلان عن إسقاط معونات سمتها « إنسانية » كانت تخفى وراءها عملية حشد لقواتها البرية والاستطلاع تمهيدا للتدخل العسكرى فى البلقان ، ومع ذلك ألقت ما أسمته معونات على المناطق التى يحتلها الصرب وليس المسلمون ! وما ألقته بالقرب من المناطق الإسلامية كان بمثابة طعم أخرج المسلمين من دفاعـاتهم وملاجئهـم ليتصيدهـم الصرب بالمدفعية والرشاشات ليحصدوهم حصداً ! .

تعالت الصيحات الغربية الصهيونية الصليبية بضرورة إنقاذ البوسنه والهرسك ، وكان أبلغ تعبير هو ما نشرته مجلة تايم يوم ١٣ يوليو ١٩٩٢ ص ٢٥ :

إذ قالت فى تحقيق صحفى قام به أربعة من الباحثين وكان عنوانه :

"SAVING BOSNIA AT WHAT PRICE"(١) :

« لا يوجد أى طرف أوربى أو أميريكى أو من الأمم المتحدة يرغب فى إنقاذ البوسنه ، اللهم إلا إذا كان إنقاذها من أيدى أهلها المسلمين بتفريغها سكانيا » . أهـ .

وإذا كان هذا شأن أعداء الله .. أعداؤنا ؛ فمـاذا فعـــل المسلمـــون طوال أربعـــة عشر شهراً .. ؟ .

وضع المسلمون أصابعهم فى آذانهم ، إلا أن يسمعوا رسالات الحرب النفسية التى يوجهها الغرب إلينا ، واستـغشوا ثيـابهم وكـأن الأمـر لا يهمهم !

عقد مؤتمر القمة الإسلامى اجتماعا فى شهر نوفمبر ١٩٩٢ م وليته ما عقد ! ، فقد ألبس الأمة ثوب العار والصغار ، وجعلها أضحوكـة بين الأمم ، ثم عاد مؤتمر وزراء الخارجية بدول منظمة المؤتمر الإسلامى للانعقاد فى كراتشى يوم ٢٥ أبريل ١٩٩٣ م ليبحث التعاون الدولى من أجل القضاء على الإرهاب ، هذا التعبير الذى يخفى وراءه خبثا ،مضمونه الحقيقى شن الحرب الدولية الشاملة والعامة ضد الإسلام ، حرب للأسف تنضم فيها الأنظمة الحاكمة الإسلامية أو معظمها إلى صفوف أعداء الإسلام !

حقا لقد تحرك عدد كبير من زعماء الأمة الإسلامية ، تحركوا حركة وهمية ظاهرها : الدعم المعنوى للبوسنه والهرسك ، وحقيقتها : المساهمة فيما يجرى من مذابح عن طريق الامتناع أحياناً ، وعن طريق المنع تارة أخرى ، وعن طريق دعم العلاقات الاقتصاديـة والتجاريـة مع جمهوريـة الصرب تارة ثالثة .

أما عن الإعلام فى بلادنا فحدث ولا حرج ، وكأنى به أشد عداء للإسلام والمسلمين من أعداء الإسلام أنفسهم ، فهم ينتقون من الأخبار ما يثبط الهمم ويهزم النفوس ، فضلا عن إسهامه الإيجابى فى نقل مادة الحرب النفسية ضد المسلمين ، دون باقى التحليلات والأخبار ؛ فإنه يتنازل حتى عن التحفظات التى قد يبديها الإعلام الغربى من حين لآخر خجـلا مما يحدث على أرض البوسنــــه والهرسك .

لكن إعلامنا أقل حياءً وخجلًا ، وأشد بطشا بمعنويات المسلمين وعقولهم . (مثلا موضوع برلمان صرب البوسنه !) وقد أصل هنا الى نقطة

(١) إنقاذ البوسنه بأى ثمن .

هامة أتصور أنكم تتوقعون الاستماع إليها .. وهي :

ما هي الاحتمالات المتوقعة لما يجرى الآن على الساحة ؟ .

إن الاستراتيجية العامة للصهيونية/الصليبية كما يسمونها :

« القتل أثناء الكلام » !!!!! .

والهدف النهائى أن يتم اجتثاث الإسلام كلية من أوربا ، فما البوسنه والهرسك إلا المدخل الذى يليه بعد ذلك مقدونيا ، وكوسوفو ، وألبانيا ، وسنجق ، وقبرص ، وتركيا ذاتها ، وإعمالا لاستراتيجية « القتل أثناء الكلام » فإنه يتم التسويف والتأجيل حتى يتم طرد معظم المسلمين من البوسنه أو قتلهم ، وهم مكتوفو الأيدى منزوعو السلاح ! .

وإذا كان وزير خارجية أمريكا « واين كريستوفر » أعلن أن أمريكا تعمل على إقامة دولة للمسلمين فى البوسنه ، فإن أمريكا قد تقوم بإمداد المسلمين بسلاح تشتريه المملكة العربية السعودية ، وقد تسمح لمتطوعين فى أفغانستان وإيران ومصر بالوصول إلى هنا فيما يسمونه « بخيار القتال العادل THE FAIR FIGHT OPTION » وقد يلقون بالسلاح الذى اشتراه المسلمون إلى الصرب ، كما حدث فى المعونات الانسانية ويحتج بخطأ فى الإنزال الجوى .

وبعد أن ألقى المؤلف بعض الضوء على خفايا مشكلة البوسنه والهرسك خلص إلى أنها حلقة من سعى الصهيونية العالمية للهيمنة على العالم عسكريا ، واقتصاديا ، وثقافيا ، وبيئيا .

يقول سيادته :

« وبعد ؛ فهذه هى أزمة البوسنه والهرسك التى ما أظنها إلا حلقة من سعى الصهيونية العالمية للهيمنة على العالم عسكريا واقتصاديا ، وثقافيا ، وبيئيا ! .

ولقد جاءت هذه الأزمة لتضع المسلمين أمام المرآة وتريهم عجز وتخاذل أنظمتهم الحاكمة !؛ وبعد أصحاب الصوت والقلم والفكر والسلطان عن منهاج الله وشرعه ..

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ما « البوسنه والهرسك » إلا أحد خطوط المواجهة ، وإن كانت أكثرها سخونة فى الوقت الحالى ، وأكثرها طلبا للجهاد فى سبيل الله .

وهناك خطوط أخرى مؤجلة فى فلسطين والهند وكشمير والقرن الأفريقى .. الخ .

ولئن كام أعداء الأمة الإسلامية قد ركزوا جهودهم الرئيسية فى الحرب الاقتصادية فى منطقة الخليج ، ويركزون الآن جهودهم الاستراتيجية فى منطقة شبه جزيرة البلقان وشرق البحر المتوسط ، فإن مجهودهم الرئيسى فى إدارة الحرب الثقافية ضد الأمة الإسلامية مركز الآن على مصر ، فضلًا عن الجزائر وتونس والمملكة العربية السعودية واليمن .. وغيرها » .

وبعد أن أوضح المؤلف مدى تمسك الغرب بالليبرالية ــ أو ما يطلق عليه « المذهب الحر » وإصراره على إجبار العالم على اعتناق هذا المذهب (الحر حتى مما شرعه الله) ، يَشْرَعُ فى وزن تلك القيم الليبرالية بميزان الإسلام ، فيوضح مدى الاختلاف بين مبادىء الإسلام الحنيف وبين ما يدَّعون أنه يصلح لقيادة العالم .

ثم الاختلاف التام بين تلك المبادىء المعلنة وبين ما يطبق فعلا .

ثم يحدد المؤلف دواء هذه الأمة فى الرجوع إلى كلمة الله ، والتمسك بالجهاد الذى أصبح « فرض عين » جهاداً بالمال والنفس . ويركز على التربية الصالحة الإسلامية للأبناء الذين ينعقد عليهم الأمل ، فلا نتركهم فريسة لقيم فاسدة ترد إلينا عبر وسائل الإعلام ، ثم يوضح أن الحضارات لابد وأن تصنعها الأجيال بحبات العرق وتحافظ عليها بدماء الشهداء .

يقول ص ٤٦ :

ألا إن الحضارات تنتزع ولا تستجدى ، وإن الله قد جعل الأيام مداولة بين الأمم « وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ » آل عمران ــ ١٤٠ ــ .

ألا إن أول الطريق أن نغير ما بأنفسنا من تخاذل وانهزام حتى يغير الله ــ تعالى ــ ما بنا .

« عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ » .
(الأعراف ١٢٩)

إن الإسلام ــ دين الله الخالد ــ هو المرشح لأن يسود العالم خلال القرن القادم إن شاء الله ، فهل نأخذ ما آتانا الله بقوة ؟ أم أننا سنتولى منهزمين فى هذه الحرب الثقافية ؟ لئن فعلنا ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة ٥٤)

إن الحرب الثقافية بين أصحاب الحضارة اليهودية النصرانية وبين المسلمين هى حرب لا هوادة فيها ، ولا بديل فيها عن النصر ، لأن الهزيمة تعنى ضياعنا ، فما ظنكم بأمة تسلب منها عقيدتها وقيمها ، وإرادتها ؟ .

وبعد :

فالكتاب بقدر ما يعد محاضرة قيمة عن البوسنه والهرسك وما يحاك لها وللعالم الإسلامى أجمع ، يعد فى الوقت نفسه دراسة شاملة لمستقبل التخاذل بين المسلمين ، فإما بصيرة يهتدون بها لانقاذ أنفسهم ، وإما بلاهة واستمرار على ما هم عليه .

ثم بعد :

فأى حجة للمسلمين وكتاب الله الكريم يخاطبهم بقوله تعالى :

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
(الأنفال/ ٦٠)

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

د/ محمد عبد الحكيم محمد

كنتم خير أمة أخرجت للناس

تساءل السيد عزت إبراهيم محمود ـ بحمامات القبة ـ عن هذه الآية : أهي خاصة بأصحاب رسول الله ﷺ أم عامة ؟ نقول :

ورد فى تفسير الإمام القرطبى[1] ما رواه الترمذى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع : رسول الله ﷺ يقول : فى قوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس » : « أنتم تُتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » وقال هذا حديث حسن ، وقال أبو هريرة نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام ، وقال ابن عباس : هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وشهدوا بدراً والحديبية ، وقال عمر بن الخطاب : من فعل فعلهم كان مثلهم .

وقيل : هم أمة سيدنا محمد ﷺ يعنى الصالحين منهم وأهل الفضل ، فهم الشهداء على الناس يوم القيامة .

وقال مجاهد : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » على الشرائط المذكورة فى الآية .

وقيل : كنتم مُذ آمنتم خير أمة .

وقيل جاء ذلك لتقدم البشارة بالنبى ﷺ وأمته ؛ فالمعنى : كنتم عند من تقدمكم من أهل الكتاب خير أمة .

---

(١) طبعة دار الريان للتراث ٣/ ١٤١٢ .

(٢) الطبعة الميمنية ٤ / ٢٧ .

وبعد :

فليس ثم ما يمنع من عموم الآية فى الأمة ما التزمت بشرطها الوارد فى النص الكريم وفى تفسير الإمام الطبرى ـ أيضاً ـ ما يؤيد هذا العموم بشرطه(٢) . والله أعلم .

محرر الباب

أدب الاختلاف فى الإسلام

أثارت محاضرة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التى ألقاها فى المعهد العالمى للفكر الإسلامى عن « أدب الاختلاف فى الإسلام »(١) اهتماماً من القراء ؛ فكتب إلينا البعض معبراً عن إعجابه بنص المحاضرة ، وما اشتملت عليه من التركيز على مظاهر الوحدة بين المسلمين ، وبيان الضوابط الشرعية لأدب الاختلاف ، والاستشهاد ببعض نماذج الاختلاف فى صدر الإسلام دون ما فُرقةٍ أو خصومة ، وممن كتب لنا فى ذلك :

الأستاذ/محمد مصطفى الغمرى .. من أسينيت مركز كفر شكر .

والأستاذ/بدر عبدالحميد إبراهيم .. من المواسير ـ إيتاى البارود .

وقد أكدَّ الأول : على أن أدب الاختلاف فى الإسلام أضحى من الآن إشارة ضوء بارزة إلى نبذ الخلاف والرجوع إلى الحق والصدق ، وقد أوضحت المحاضرة عناصر قيمة تتعلق بأساليب الاجتهاد ووسائله ، كالكتاب والسنة والقياس والاستصحاب والاستحسان والمصلحة .. الخ .

أما الثانى : فقد استخلص من السياق خمسة آداب إسلامية توسع فى شرحها ، ورأى أنه ينبغى مراعاتها عند الاختلاف ؛ حتى لا ينتهى بنا إلى التشاحن والتباغض ، ويمكن إجمالها ـ لضيق المساحة ـ فيما يلى :

عدم الخروج عن الكتاب والسنة عند الاحتكام ، وضرورة الاستناد إلى الأدلة العلمية ، وأن تكون « النية » طلب الحق وظهوره حتى ولو على لسان الخصم ، ورجوع المختلف معه إلى الحق متى ظهر له ، وألا يفسد الاختلاف روح المودة بين المخْتلِفَيْن .

من حق المجلة علينا

تلقى الباب رسالتين من صديقين دائمين للمجلة ، يظهران فيما كتبا تقديرهما البالغ لدور « مجلة الأزهر » الريادى فى خدمة المسلمين ، وانطباعهما الشخصى عن الصدى الإعلامى الذى تحدثه بمضامينها المنوعة ـ والثرية ـ فى النهضة الحديثة ، ويريان ذلك من حق المجلة عليهما .

الرسالة الأولى : من الأستاذ/محمد مصطفى الغمرى ـ المدير السابق لإدارة شبرا الخيمة التعليمية ، يقول فيها :

أحب أن أضيف إلى ما كتبه السيد محرر باب « المجلة والقارىء » تحت عنوان « مجلة الأزهر فى سطور - ص ٩٣٠ جـ٦ : أن المرحوم الأستاذ « أحمد حسن الزيات » كان يكتب على غلاف مجلته « الرسالة » : « الرسالة ديوان العرب المشترك » ، وأنا أقول : إن « مجلة الأزهر ديوان العرب والمسلمين المشترك » .

كما أسجل ملاحظتى على أبوابها الثابتة التى اختط سياستها أ. د/على أحمد الخطيب ، بأنها تقوم على العلم النافع والبحث الوافى والبصيرة الواعية ، وتقدم ما يطلبه نهوض الأمة الإسلامية فى هذا العصر ؛ بتوازن حكيم يجمع بين ميراث الماضى وأصالته ، ومستجدات العصر وقضاياه .

ويُحمَدُ لسياسة المجلة التحريرية نشرها العديد من المقالات التى توقظ المسلمين وتبصرهم بأمر التيارات الوافدة والأفكار المضللة ؛ التى تناوىء الإسلام وتناصبه العداء .

وهكذا استطاعت « مجلة الأزهر » أن تكون درعا ثقافيا واقيا للأمة الإسلامية من شتى الأخطار والأباطيل .. نشكر لإدارة المجلة جهدها الملموس ونتمنى لمجلتنا الحبيبة مزيداً من التقدم والازدهار » .

الرسالة الثانية : من الأستاذ/محمد فريد أحمد العيسوى - من انشاص الرمل - بلبيس - الشرقية :

« لقد أصبحت مجلتنا « الأزهر » تمر بمرحلة جديدة متطورة شكلا ومادة وإخراجا تواكب بها التطورات الهائلة التى طرأت على مختلف وسائل الاعلام الإسلامى (المقروء) فى العالم الإسلامى بما قفز بها من المحلية إلى العالمية ، فضلا عن أنها تمثل رؤية حقيقية صادقة عن المنهج الإسلامى الصحيح بكل فروعه من التشريع والفقه والفتاوى والدراسات القرآنية الإسلامية المعاصرة فى علوم القرآن والسنة والتاريخ الإسلامى ، ذلك بالاضافة إلى التجارب الشعرية والموضوعات اللغوية والقضايا الأدبية والنقدية فى (الشعر والشعراء - اللغة والنقد والأدب) .

هذا مع مناقشة قضايا الساعة فى المناطق الساخنة التى تبرز فيها الأحداث ، والتطرق إلى المشاكل الجوهرية التى تعترض مسيرتنا العربية والإسلامية ، وعرض أحدث ما وصل إليه العلم الحديث من (العلوم الكونية) و (الجديد فى العلم والتقنية) ، بالاضافة أيضا إلى المتابعة الإخبارية لأحوال المسلمين فى العالم ، وبخاصة الأقليات المسلمة من خلال (أنباء العالم الإسلامى) ، مع ربط الماضى بالحاضر فى (روائع الماضى بمجلة الأزهر) ، ونشر السير والترجمات الذاتية لكبار العلماء فى (أعلام الأزهر) .

ومجلتنا « الأزهر » تعد بحق « شُعلة العلم النافع » التى تضىء طريق الخير والمعرفة والثقافة الدينية والدنيوية لأبناء الأمة الإسلامية ؛ بما تحتويه من نتاج الفكر الإسلامى النقى الخالص ، وهذا يُعتبر امتداداً لرسالة الأزهر الشريف « الجامع والجامعة » فى نشر المفاهيم الإسلامية الصحيحة والمثل العليا والقيم الرفيعة ؛ حيث يكتب فيها خيرة العلماء العاملين وصفوة الفقهاء المقتدين وكبار رجال الدعوة الإسلامية وقادة الفكر الإسلامى وأساتذة جامعة الأزهر المتخصصين .

ومجلتنا « الأزهر » التـى يحرص كل قارىء عربى مسلم على اقتنائها مع مطلع كل شهر عربى ليتصفح أوراقها بحثاً عن كل جديد ؛ يجد فيها كل ما يأمله وينشده وينمى فكره وعقله .

وحرصاً منها على الاهتمام بقرائها ؛ تنشر إبداعاتهم وأحاسيسهم الشعريـة فى « باب الشعر » ، كما تنشر إسهاماتهم ورسائلهم وتقوم بتحقيق رغباتهم فى مجلتهم ، مع الرد والتعليق على آرائهم ومقترحاتهم من خلال بابها الثابت « بين المجلة والقارئ » ، وبـذلك يشارك القارىء هيئة تحرير المجلة فى تحرير أبوابها .

ويختتم صديق المجلة كلمتـه ـ أو بالأحرى دراسته ـ باقتراح بعض الأبواب الثابتة التى يأمل ـ ونأمل معه ـ أن تتسع لها صفحات المجلة

السَّعادة الحقيقية

وقر فى نفوس فئة من الناس أن الدين لا يحقق السعادة للإنسان ، بزعم أنه مقصور على العبادات وقمع الرغبات ، ومن ثم يرددون ما كانت تتغنى به « الشيوعية » البائدة من أن : « الدين أفيون الشعوب » ، وذلك عن مخطط محض هدفه إقصاء الدين عن الحياة .. وليس الإسلام كذلك ، لأنه منهج للحياة والروح معا ، ولا ينكر ذلك إلا مكابر أو جاهل لم يقرأ القرآن الكريم والسنة النبوية .

فقد شرع الإسلام لحفظ نظام الجماعات وإرشادها إلى طرق السعادة الحقيقية ، والسعادة بالقطع لا تنحصر فى متاع الحياة الدنيا ، لكنها تتوقف على فقه الحياة البشرية ، وتوخى الغاية التى وضعت لها ، فكم من غنى لم يذق للسعادة طعما ، وكم من مُقِل حازها حتى نهايتها

حول هذا المعنى تلقت المجلة كلمة القارىء الأستاذ/محمد فتحى عبدالصادق عز .. المتخرج فى كلية الشريعة عام ١٩٤٨ (جامعة الأزهر) نجتزىء منها قوله :

« إذا لم تكن السعادة ـ كما تأكد لنا ـ فى جميع المال ، ولا فى كثرة الأولاد ولا فى المناصب الرفيعة ، ولا فى شىء آخر من متاع الحياة الدنيا الزائلة ، فأين تكون السعادة الحقيقية التى ينبغى أن ينشدها كل عاقل موفق ؟

● إن السعادة الحقيقية : هى التى تكون فى طاعة الله ـ عز وجل ـ والإخلاص فى عبادته ، والتقرب منه ـ سبحانه ـ بكل ما يرضيه .

وقال المأمون يوما لجلسائه : من أسعد الناس ؟

قالوا : لا نجد أسعد من الخليفة .

قال : لا ، ولكن أسعد الناس رجل له دار تؤويه وامرأة صالحة ترضيه وعيش يكفيه ولا يعرفنا ولا نعرفه .

● السعادة الحقيقية : هى فى مجاهدة النفس ومحاسبتها والخوف من الله والثقة به

● وأختم كلمتى بما أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى عبيدالله بن محض الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

بأقلام القراء

« النديم » خطيب الثورة العرابية

كما تلقى الباب مقالا ضافيا ـ للأستاذ/عماد الدين عبدالمنعم .. بدار طباعة النقد ـ عن « عبدالله النديم » خطيب الثورة العرابية ، جاء فيه :

كثيراً ما يتأثر أصحاب الفكر والــرأى بالأحداث المحيطة بهم .. وهذا شأن كثير من الأفذاذ والجهابذة الذين يذكرهم التاريخ باجلال وتقدير ، ومن هؤلاء : المجاهد المصرى « عبدالله النديم » الذى عُرف من بين زعماء الثورة العرابية شاعرا وخطيبا .

مولده وسيرته :

فى يوم عيد الأضحى عام (١٢٦١ هـ ـ ١٨٤٥ م) كان ميلاد علم الاسكندرية « عبدالله ابن مصباح بن ابراهيم الإدريسى المعروف « بابن النديم » ، وقد تأثر النديم فيمن تأثر بجمال الدين الأفغانى ؛ فاستمــع إلى كثير من محاضراتــه واستوْعب ما ترمى إليه دعوته الإصلاحيــة فى النهوض بالدين والسياسة والوطن ، حتى أصبح بشعره السياسى وخطبه الوطنية أحد رجالات الثورة العرابية البارزين .

ترك « عبدالله النديم » تراثاً قيماً من مؤلفاته التى فُقد ـ للأسف ـ الكثير منها ؛ غير أن التاريخ قد خلَّد ذكرى صاحبها بين صفحاتــه بسبب جهاده واستبساله فى سبيل رفع كلمة الحق ونيل الحرية ، وهذا شأن كثير من عظماء التاريخ الذين قهروا اليأس وحطموا الأغلال والقيود فى عهود الاستعمار البغيض .

● ● ●

« إننا كلما نظرنا إلى أمراضنا الاجتماعيـة كالإدمان والمخدرات والرشوة والمحسوبية والسلبية واللامبالاة ، تطلَّعنا إلى تطبيق كامل لشريعة الله يحكم أرضنا وفق ما جاء به كتاب ربنا ـ عز وجل ؛ فهو دستورنا الأمين لاصلاح الحياة ، وفى تعطيل بعض أحكامه ما يجعلنا كمن آمن ببعضه وكفر بالبعض الآخر ..

شحاته أحمد أبو بكر ـ بنى سويف ـ ببا

● ● ●

« آيتـان ـ مما جاء ـ فى كتـاب الله ـ عز وجل ـ إذا تعمق الناس فهمهما ؛ لَمّا حرصوا على الدنيا ولا تنافسوا فيها ولا اطمأنوا إليها ، هما قول الله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ النساء : ٧٧ ، و﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ الزخرف : ٣٥

محروس عبدالفتاح ياسين ـ كلية أصول الدين بالزقازيق

● ● ●

« .. والحقيقة أن كتب « التنوير » ـ على أناقة شكلها وبخس ثمنها ـ لم يرد بها « تثقيف الشباب » كما يشيعون ؛ فقد تضمنت طرحاً لمعتقدات معينة تبعد الشباب عن إسلامهم .... لقد أجمع الشعب على فشلها وانحطاط موادها ، ومن ثم رفضها بكل حزم ، فعاد أصحابها مدبرين على أعقابهم بخفىّ حنين » .

محمد أبو اليسر ـ كلية التربية النوعية بالمنصورة

ردود وتعليقات

● **القارىء/د. أحمد عبده عوض .. المدرس بكلية التربية ـ جامعة طنطا :**

نشكركم على هذه الاستجابة السريعة وحرصكم على تقوية الرحم العلمية ، فالعلم ـ بحق ـ رحم بين أهله .

● **القارىء/يحيى السيد النجار .. الحزاوى ـ دمياط :**

نتفق معكم فى أن حاجة المسلمين ـ وقد أصبحوا خمس سكان العالم ـ قد باتت مُلحة إلى الأخذ بالحلول الإسلامية ، وفى مقدمتها « الاقتصاد » لإيجاد قوة تدافع عن دينهم ووجودهم فى وجه الأخطار المحدِقَةِ بهم من كل جانب ؛ فنحن نعيش عصر الكيانات والتكتلات الاقتصادية الكبرى فى العالم من حولنا ، ولابد من مواكبتها ومواجهة تحدياتها بما يحفظ للمسلمين كيانهم ويؤمن لهم مسيرتهم الممتدة عبر القرون ، ولنا أن نجنى بعد ذلك ثمار الوحدة الاقتصادية فى العالم الإسلامى من أسباب التمكين فى الأرض .

● **القارىء/محمد صلاح الدين عبدالحافظ ـ مدرسة دلجا الثانوية بالمنيا :**

سألتم ـ فى مقالة : الحسد ـ عن عود الضمير فى لفظه « لنبحث فيها » بالسطر الأول من ص ٢٠٦ ، ويظهر من السياق قبلها : الحديث عن نعم الله ـ عز وجل ـ فإلى هذه النعم يعود الضمير .

● **القارئة/لينا محمد القاسم ـ المعهد الثانوى الأزهرى بدمنهور :**

● **القارىء/عنان قمر الدين ـ المعهد الثانوى الأزهرى بدمنهور :**

بمشيئة الله ـ تعالى ـ نحقق مطلبكم الخاص بالكتابة عن الدول الإسلامية مثل ماليزيا وغيرها ... ونحن الآن على اهتمام بالغ بالدول التى تعانى من أوضاع استعمارية مثل كشمير والبوسنة وغيرها .. ولعلكم تتفقون معنا فى محاولة الأخذ بأيدى هؤلاء المضطهدين .

● **القارىء/م. ف. د.. من أشمون ـ منوفية :**

وصلتنا رسالتك بما فيهما من صدق ووضوح ، ونرى أنك تضيِّق على نفسك رحمة الله الواسعة ، إنما يكفيك التوبة الصادقة التى لا تعود بعدها إلى ما كنت تمارسه ، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ « غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ »(٢) ، وقد استثنى الله التائبين من العقوبة بشرط أن يصلحوا بعد ذلك فقال « إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ »(٣) ، كما أن اليأس من روح الله كفرٌ نعوذ بالله منه « إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ »(٤) ، وفيما يتعلق بالشق الثانى من سؤالك : فإنك تستطيع الاتصال بطبيب أخصائى ، وستجد على يديه السلامة بإذن الله .

وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى يتلقاها تباعاً .

---

(١) نشرتها مجلة الأزهر بعدد جمادى الأولى .
(٢) غافر : ٣٠ (٣) النور : ٥
(٤) يوسف : ٧٨

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/. عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يلتقى والسيد نائب رئيس مجلس الوزراء بدولة ماليزيـــا

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، والأستاذ الدكتور/عبد الحميد عثمان نائب رئيس مجلس الوزراء الماليزى يرافقه السيد سفير ماليزيا بالقاهرة ، وذلك صباح يوم الأحد الموافق ٦ رجب ١٤١٤ هـ ــ ١٩ ديسمبر ١٩٩٣ م بمكتب فضيلته بالأزهر .

تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر وماليزيا فى مجال التعليم ، كما أحاط الضيف فضيلة الإمام الأكبر اعتزام ماليزيا إقامة المهرجان العالمى للحضارة الإسلامية المزمع عقده بماليزيا فى يونيه ١٩٩٤ .

وقد أعرب الضيف عن أمله وأمل حكومته فى موافقة الأزهر على المشاركة فى هذا المهرجان .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة إمكانية مشاركة الأزهر ؛ بعد الاطلاع على البرنامج الكامل للمهرجان .

الإمام الأكبر يلتقى ورئيس جمعية شباب الإسلام بجمهورية بنين

التقى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والسيد إيدهو اسماعيل رئيس جمعية شباب الإسلام بجمهورية بنين ، يرافقه السيد أمين عبد الغنى عضو الجمعية ، وذلك صباح يوم الأربعاء الموافق ٢ رجب ١٤١٤هـ ــ ١٥ ديسمبر ١٩٩٣م بمكتب فضيلته بالأزهر .

فى بداية اللقاء قدم الضيف عظيم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على ما يقوم به الأزهر من دعم لمسلمى بنين ، كما قدم شكره على إيفاد الشيخ حسن أبو اليزيد مبعوثا للأزهر هناك .

وقد تم خلال اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر وجمهورية بنين ، من خلال دعم الأزهر للمسلمين هناك بتخصيص المنح الدراسية وإرسال الكتب الدراسية والثقافية .

الإمام الأكبر يفتتح مشروعات جديدة بمحافظة الفيوم

قام فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، يرافقه فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف بزيارة لمحافظة الفيوم وذلك يوم الجمعة الموافــق ٥ رجب ١٤١٤ هـ ــ ١٧ ديسمبر ١٩٩٣ م .

تم خلال الزيارة افتتاح « دار أبي عثمان الخيرية الإسلامية » بمدينة سنورس التى أقامها الدكتور عثمان السيد ، أحد أبناء سنورس ، وتضم مسجدا ودارا للمناسبات ومكتبا لمحو الأمية وتحفيظ القرآن الكريم .

هذا وقد دعا فضيلة الإمام الأكبر لتكاتف الجهود الذاتية مع جهود الدولة لإنشاء وتجديد المعاهد الأزهرية على مستوى الجمهورية .

كما أعلن فضيلته عن : قرب افتتاح كلية جديدة للدراسات الإسلامية والعربية ، بالفيوم كما أعلن فضيلته عن توفير بعض الدرجات المالية لتسوية أوضاع العاملين بمختلف قطاعات الأزهر .

الإمام الأكبر فى محافظة الغربية

قام فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بزيارة لمحافظة الغربية ، افتتح خلالها بعض المنشآت الأزهرية الجديدة بقرى المحافظة ، والتى أقيمت بالجهود الذاتية وتكلفت أكثر من مليونى جنيه .

وقد عقد فضيلة الإمام الأكبر فى ختام الزيارة مؤتمرا شعبيا ودينيا بديوان عام محافظة الغربية ، شهده محافظ الغربية المستشار ماهر الجندى ، ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف والقيادات التنفيذية بالمحافظة .

جائزة شيخ الأزهر فى العمارة الإسلامية

طالب المؤتمر العلمى الدولى الثالث لهندسة الأزهر بالاهتمام بالبحوث الهندسية التطبيقية التى تخدم المجتمع ، وأوصى بتخصيص جائزة سنوية باسم شيخ الأزهر الشريف لأفضل بحث فى العمارة الإسلامية ، وكان المؤتمر قد اختتم أعماله بحضور المهندس ابراهيم فوزى وزير الصناعة والثروة المعدنية ، والأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ، وشهده أكثر من (٢٠٠٠) ألفى عالم وباحث يمثلون أكثر من ٢٥ دولة عربية وإسلامية .

وقد أعلن الأستاذ الدكتور محمد على النواوى عميد كلية الهندسة قرارات وتوصيات المؤتمر ، ومن أهمها : تشجيع الدراسات والبحوث التى تعنى بقضايا المجتمع ؛ حتى يسهم البحث العلمى بفاعلية فى دفع عجلة التنمية الشاملة وعقد المزيد من الندوات العلمية بمشاركة الهيئات والمؤسسات المعنية ـ حول مشاكل المجتمع .

البحث العلمى فى خدمة العمارة الإسلامية

طالب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق وشيخ الأزهر : العلماء المشاركين فى مؤتمر هندسة الأزهر ، بأن يوجهوا أبحاثهم لخدمة المجتمع ، مستلهمين التراث العلمى للحضارة الإسلامية فى مجال الهندسة وغيرها من المجالات الأخرى بما يحقق تواصل الأجيال ويجعل العطاء العلمى للمسلمين متميزا ورائدا ، ويساعد ـ فى ذات الوقت ـ على مواجهة الظروف البيئية لمجتمعاتنا والتكيف معها .

كما أكد رئيس جامعة الأزهر على أن الدولة تقدم كل العون للجامعة فى مختلف المجالات ، لتعزز إمكاناتها وهى تضطلع بدور الريادة بين الجامعات الإسلامية .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

مالى :

حذر مسئول فى وزارة الإعلام والثقافة بجمهورية مالى من خطورة التنصير فى إفريقيا .

وأوضح أن المنصرين يقومون الآن بتأسيس قرى بأكملها للأيتام كما يقيمون روضات أطفال فى عدد من دول القارة السمراء بهدف القضاء على الوجود الإسلامى بها .

وطالب سيادته بمزيد من الجهود والدعم من الحكومات الإسلامية القادرة ؛ تحسيناً لأوضاع الإخوة الأفارقة .

موسكو :

بدأ فى موسكو بث برامج إسلامية عبر الإذاعة الخاصة التى غطى إرسالها معظم ساحات الجمهوريات الإسلامية فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتى من قبل . ووصلت مدة البث إلى ساعتين يوميا ، وهى وإن كانت فترة قصيرة لا يعتد بها إلا أنه تم فيها تكثيف بث تسجيلات تلاوات القرآن الكريم لمشاهير القراء ، وكذا إذاعة الأخبار الإسلامية ، وبعض اللقاءات والندوات مع رجال الفكر الإسلامى . ويقف بقوة خلف هذا الإنجاز العظيم السيد مدير عام لجنة مسلمى آسيا بالهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت الذى أبرم اتفاقاً إعلامياً مع مؤسسة الرسالة الروسية للإعلام والإنتاج . وقد ناشد سيادته ـ عبر الصحف الكويتية ـ القادرين من المسلمين دعم هذا المشروع الإسلامى لدفع حركة الدعوة الإسلامية إلى الأمام فى تلك البلدان التى عانت طويلا من الخواء الروحى .

بروناى :

أنجزت وزارة الشئون الدينية فى بروناى ـ دار السلام ـ عدداً من المشروعات الإسلامية ضمن خطتها فى مجال نشر الدعوة الإسلامية وتعليم اللغة العربية لمواطنيها . حيث أنشأت المعهد العالى للدراسات الإسلامية . وخصصت به قسماً للغة العربية ، كما أنها تصدر مجلة دورية متخصصة فى الدراسات العربية توزع فى شتى أنحاء العالم ، إلى جانب طبع المصحف الشريف بعد اعتماد مراجعته من الأزهر .

وذكر وزير الشئون الدينية فى بورناى أن كل ذلك يتم بالتعاون بين وزارته والأزهر جامعا وجامعة ، ووزارة الأوقاف المصرية . وأن التعاون قائم ومستمر سواء بارسال أبناء بروناى فى بعثات للدراسة بمصر ، أو بإعارة أساتذة جامعة الأزهر للعمل فى بلاده ، موضحا أن نسبة المسلمين فى بورناى تبلغ ٩٠٪ وهى نسبة تتزايد باطراد ؛ نظراً لتزايد معتنقى الدين الإسلامى ، ولله الفضل والمنة .

نصف الدين :

فى اطار العمل الذى تقوم به الجمعية الخيرية الإسلامية فى بلكور بالجزائر لرعاية المجتمع ـ وخصوصاً ـ الشباب ، بدأت الجمعية فى تنفيذ مشروع أسمته نصف الدين يهدف إلى مساعدة

الشبان والشابات على الزواج ، وأوضح رئيس الجمعية المذكورة أن هدف الجمعية تطوير خدماتها الاجتماعية التى قطعت شوطاً طويلا فى « أسلمة » المجتمع شملت خدماتها الفقراء والمساكين من جميع الجوانب الحياتية والعلمية والاجتماعية ؛ نشراً للإسلام .

أسبانيا :

يقام فى ميدان يقع أمام قصر الحمراء التاريخى فى غرناطة بأسبانيا أول مسجد تحت إشراف الجماعة الإسلامية الأسبانية ، وتبلغ مساحته ألف وأربعمائة وثمانية أمتار مربعة ، ويقام إلى جانبه مركز ثقافى به قاعات للاحتفالات ومكتبة كبرى . ويبنى المسجد على طراز البناء الإسلامى القديم حيث سيكون به صحن واسع ، ومئذنة عالية الارتفاع ، ودورات مياه للرجال وأخرى للنساء .

اليابان :

صدرت فى اليابان دراسة عن الإسلام باللغة اليابانية للأستاذ يوشياكى سانادا مدير معهد القانون المقارن فى العاصمة طوكيو . والعميد السابق لكلية الحقوق فى جامعة (شيو) اليابانية . ولفت مؤلف الكتاب النظر إلى أن الإسلام أقام بنجاح منذ عهده الأول المجتمع العالمى الذى استطاع ببراعة أن يذيب عصبيات الجنس واللون محافظا فى ذات الوقت على الشخصية الإسلامية المنفردة . وتحدث الكتاب عما قام به المسلمون من مساواة تامة بين كافة الأجناس البشرية تحت سيادة الشريعة الغراء والأخلاق .

وأشار الكاتب إلى أن المجتمع الدولى المعاصر يستطيع لو نحى النعرات العصبية جانباً أن يستفيد استفادة عظمى من الإسلام ، إذا درس بعناية المجتمع والدولة الأنموذج الذى قدمه للعالم رسول الإسلام ﷺ ، وذلك إذا كان الهدف فعلا هو البحث الحثيث عن حل مشاكل العالم المزمنة التى لا يبارى الدين الإسلامى فى حلها .

الإيسسكو :

عقدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع وكالة التعاون الثقافى والتقنى ومقرها باريس عقدت حلقة دراسية مهمة حول ظاهرة التصحر وكيفية السيطرة عليها ، ونظمت الحلقة فى باماكو بجمهورية مالى فى مقر المركز الإقليمى للطاقة الشمسية . وشارك فيها نخبة من العلماء المتخصصين المرموقين .

المغرب :

اجتمع أيوب جانيتش نائب رئيس جمهورية البوسنة والهرسك بالمدير العام للإيسسكو أثناء زيارته للمغرب ، وأعرب سيادته عن تقدير حكومة بلاده للقرار الذى أصدره المجلس التنفيذى للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة والقاضى بإنشاء « وحدة » سرايفو بالمنظمة والتى تعنى بدعم الشعب البوسنى تربوياً وعلمياً وثقافياً من أجل المحافظة على هويته الإسلامية وانتمائه الحضارى ، وأكد السيد جانيتش أن اللغة العربية أصبحت إلزامية فى مدارس البوسنة وذلك لمواجهة عصابات الصرب التى تحاول طمس هوية البوسنة والهرسك .

بيت المقدس :

عقد المؤتمر الإسلامى العام لبيت المقدس دورته السنوية العامة لشئون القدس الشهر الماضى ، وذلك توكيد لروح التضامن الإسلامى لإنقاذ القدس السليبة ؛ وحتى تبقى قضية القدس حية فى الضمائر .

وقد وجه المؤتمر المذكور الدعوة للمنظمات الإسلامية للمشاركة بالبحوث والدراسات فى تلك الندوة التى بحثت موضوعات من قبيل الصراع العربى الإسرائيلى حول القدس ، والرؤية الدولية لقضية القدس الشائكة ، والدور العربى والإسلامى فيها ومستقبل القدس ، وقد رفض المؤتمر فكرة أن تكون القدس عاصمة مشتركة لفلسطين والدولة اليهودية .

المجتمع الإسلامى واقتصاديات السوق :

ذكرت صحيفة أخبار الخليج البحرينية أن حوالى خمسين مؤسسة مالية مصرفية إسلامية ستناقش العمل المصرفى الإسلامى فى مؤتمر يعقد فى البحرين ، وقالت : إن المؤتمر الذى سيستمر يومين ويبدأ من يوم ٢٩ يناير ١٩٩٤ م ، سينظر فى التحديات التى تواجه العمل المصرفى الإسلامى لإيجاد الحلول المناسبة لها ، ونرى أن من بين أهم المسائل الشائكة التى ينبغى للمؤتمرين مناقشتها البحث فى إيجاد أسلوب سليم ومتوائم لا يغفل دور الزكاة الواجبة مركزاً بشكل دائب على مسائل الضرائب والجمارك ، كما أن على الباحثين إيجاد أسلوب فعال تستطيع به الدول الإسلامية أن تجد لها مكاناً وسط التكتلات الاقتصادية العالمية الهائلة مثل اتفاقية (النافتا) لدول شمال أمريكا والمحيط الهادى واتفاقية (الجات) للتجارة والتعريفة الجمركية تلك التى لم تضع التعاملات الإسلامية بعد فى حسابها .

|Un seul jour, pour Dieu, est en vérité comme mille ans d'après votre manière de compter|.

Le chercheur a tiré des deux versets précédents la conclusion suivante une équation pour calculer la vitesse de l'ordre divin, et il a trouvé qu'elle est proche de la vitesse de la lumière dans l'espace. Les membres de la conférence ont approuvé cette équation en la considérant comme une estimation appoximative qui nécessite plus de recherches pour être confirmée.

De plus, la conférence a recommandé de poursuivre ces recherches qui mettent en valeur le caractère miraculeux du Coran et de la Sunna dans le domaine de la science et cela en se basant sur les réalités scientifiques d'une part, et sur les interprétations correctes du Saint Coran d'autre part. Elle a également recommandé que, en coordination avec les universités et les centres de recherches, les organisations islamiques puissent mettre au point une traduction scientifique précise du contenu du Coran qui sera accompagnée de commentaires détaillés des versets cosmiques et de leur interprétation scientifique ceci vise à rendre plus aisée l'interprétation du contenu du Saint Coran pour les lecteurs non-arabophones.

La conférence a en outre recommandée la publication d'une revue scientifique dans les deux langues, arabe et russe, pour traiter des travaux sur le miracle scientifique dans le Coran et pour en encourager les chercheurs à tirer profit des termes coraniques propres aux étapes de la création de l'homme car ceux-ci sont caractérisés par une précision scientifique évidente.

La conférence a enfin recommandé plus de coordination et de coopération entre les savants dans les domaines des sciences cosmiques d'une part et les ulémas d'autre part en vue de pouvoir contrôler les démarches de la science et de mettre cette dernière au service de l'homme. Ainsi la vie reprendra son aspect éblouissant, actuellement caché derrière le voile sombre de l'égoïsme.

Mme Rawya Ahmed Soltan

Le Miracle scientifique dans le Coran

par Mme Rawya Ahmed Soltan

Le miracle scientifique dans le Coran et la Sunna est le sujet d'une conférence internationale qui s'est tenue dans la Salle Gorbatchov à Moscou.

Dans la Salle Gorbatchov à Moscou ... au coeur de ce qui fut la capitale de l'athéïsme, les savants russes ainsi que d'autres savants du monde entier ont pu applaudir la manière miraculeuse dont le Saint Coran a exprimé avec précision beaucoup de vérités scientifiques, quatorze siècles avant leur découverte.

Ceci eut lieu au cours de la 5ème conférence de "l'Organisation du miracle scientifique dans le Coran et la Sunna", organisée en collaboration avec l'Académie rédicale russe. La conférence a discuté, durant trois jours, vingt-trois travaux traitant du caractère miraculeux du Coran et de la Sunna dans le domaine des sciences de l'embryologie, des sciences maritimes, de la médecine préventive, de la pharmacologie, de la géologie, des études atmosphériques, de la physique et enfin de la relation qui existe entre la religion et la science.

Ces travaux ont été présentés par un groupe de chercheurs élus venus d'Egypte, d'Arabie Saoudite, du Soudan, du Yémen, des Etats Unis, du Canada et de l'Angleterre.

Le Docteur Abdallah El Rosleh, secrétaire de l'Organisation du miracle scientifique dans le Coran et la Sunna", qui est également secrétaire général de la conférence, a déclaré que ces travaux ont été largement approuvées par les savants russes ainsi que les autres savants qui ont participé à la conférence, et notamment les recherches concernant les différentes phases du développement de l'embryon dès la formation de la cellule, ensuite la mâchure, puis les os et les muscles. De même, le Coran a mentionné avec une précision scientifique l'accumulation des nuages, les mouvements du vent, le confluent de deux mers, la vitesse de la lumière et la formation des montagnes.

De plus, ces travaux ont abordé les Hadiths de la Sunna du prophète (paix soit sur lui) où sont signalées des herbes qui guérissent de certaines maladies : ainsi la nigelle (appelée aussi fenouil grec) dont on a prouvé l'efficacité pour le système de défense de l'organisme chez l'homme.

Dr. Abdallah El Rosleh a déclaré que les savants russes ont été éblouis par la précision avec la quelle ces vérités sont mentionnées dans le Coran et il a ajouté que la participation des savants égyptiens a joué un grand rôle dans la réussite de cette conférence.

Les savants égyptiens qui ont participé à la conférence sont Dr. Ibrahim Badran, ex-ministre de la santé, Dr. Salem Negm, secrétaire général du syndicat des médecins, Dr. Zaghloul Ragheb Naggar, professeur de minéralogie et du pétrole à l'université du Roi Fahd et Dr. Mansour Ragab El Nabi, professeur de physique à l'université de Ain Chams.

Le Dr. Mansour Ragab El Nabi a présenté des travaux très intéressant sur la vitesse de la lumière où il a détaillé le miracle du Coran dans ce domaine. Il s'est fondé dans sa recherche sur l'interprétation donnée par quelques Ulémas contemporains de cette parole divine dans le sens du verset 5 de la sourate "La Prosternation" :

[Du ciel, Il dirige toute chose sur la terre; puis tout remontera vers Lui en un jour dont la durée sera de mille ans d'après votre manière de compter].

Or, ce verset indique une nouvelle équation : c'est que la distance que parcourt l'ordre cosmique dans l'espace entre le ciel et la terre dans une durée équivalente à un jour terrestre, équivaut à la distance parcourue par la lune en mille années lunaires (soit douze mille mois lunaires). Il s'est référé pour le calcul lunaire au sens du verset coranique 47 de la sourate "Le Pèlerinage".

Seigneur ! dit le troisième, j'ai employé un ouvrier moyennant un "farik" de riz. Lorsqu'il eut terminé son travail, je lui présentai son salaire. Le sous-estimant, il refusa de le prendre et partit.

J'ai cultivé, ce riz, si bien qu'avec son prix j'ai pu avoir constitué des vaches avec leur pré. L'ouvrier revint un jour et me dit : "crains Allah, donne-moi mon salaire et ne me lèse pas".

— Va prendre ces vaches et leur pré lui dis-je !

— Tu te moques de moi, me répondit-il, ne crains-tu pas Allah?

— Mais non ! je ne me moque pas de toi, c'est ton propre bien ! "lui dis-je. Alors il en prit possession et partit. Seigneur ! si Tu sais que j'ai agi ainsi pour Te plaire, écarte-nous encore cette roche ! Alors la roche se déplaça et les voyageurs sortirent indemnes.

Ce Hadith montre à quel point les bonnes actions accomplies dans le seul but d'être agréé par Allah sont profitables au musulman.

Mme Hoda Hussein Cha'araoui

note 1 : Il laissa sa cousine et lui donna l'argent en cadeau.

not 2 : 8 Kg de riz.

Comment se concilier la grâce d'Allah

par Hoda Hussein Cha'araoui

Allah aime les oeuvres les mieux accomplies faites et les plus utiles. De même Il aime parmi toutes Ses créatures les hommes vertueux Il incite Ses serviteurs à venir à Lui, à se concilier Ses faveurs et Sa grâce.

Allah nous a envoyé son Messager Mohammad-salut et bénédiction sur lui-pour nous guider dans le bon chemin de la foi. Les principes édictés par le prophète-salut et bénédiction sur lui-nous incitent à rechercher la grâce d'Allah par l'accomplissement de la prière, de l'aumône, du jeûne, du pèlerinage et des oeuvres surérogatoires. Le Musulman y accède aussi en prenant garde d'éviter d'accomplir ce qui est illicite, prohibé par Allah. Ainsi, le Musulman ne peut se concilier la grâce d'Allah que par les oeuvres pies qu'il accomplit à l'intention de son Créateur.

Dans les Traditions à thème divin, Allah dit : "Nul n'acquiert Ma faveur qu'en accomplissant ce que Je lui ai imposé de faire. Mon serviteur ne cesse de rechercher Ma grâce que par des oeuvres surérogataires, jusqu'à ce que Je finisse par l'aimer".

— "Si l'homme s'approche de Moi, d'un empan, Je m'approche de lui d'une coudée; s'il fait une coudée, Je fais vers lui une basse; s'il vient à Moi en marchant, J'avance vers lui en courant". Le prophète-salut et bénédiction sur lui-nous a raconté le récit de la grotte et comment les bonnes actions des trois voyageurs les ont secourus. Voici le récit intégral tel qu'il est rapporté par l'Imam Al-Bokhary :

"Trois voyageurs marchaient lorqu'ils furent supris par un orage. Ils se réfugièrent dans une grotte. Une roche se détacha de la montagne, s'abattit devant la grotte et en obstrua l'entrée. "Rappelez-vous quelques bonnes oeuvres que vous avez accomplies pour l'amour d'Allah, dit l'un deux, invoquez le seigneur en les rappelant peut-être serez vous tirés de cette difficulté!" L'un d'eux commença par dire : "Seigneur ! Tu sais bien que j'avais un père et une mère âgés et de jeunes enfants. J'étais berger de profession. A mon retour, le soir, je trayais mes chamelles et je commençais par donner à boire à mes parents avant mes enfants. Il advint qu'un jour, j'ai mené paître mes bêtes assez loin. A mon retour mes parents étaient déjà couchés. J'ai trait comme d'habitude et je suis resté debout, près d'eux, attendant leur réveil, ne voulant pas les brusquer. Il m'était désagréable, aussi, de donner à boire avant eux à mes enfants qui, pourtant criaient de faim à mes pieds.

Seigneur ! si Tu sais que je me suis conduit ainsi pour Te plaire fais-nous une issue, que nous voyions le ciel." Alors la roche dévia un peu laissant le voir le ciel.

Seigneur, dit le second, j'avais une cousine que j'aimais ardemment, aussi fort qu'un homme peut aimer une femme. Je me suis mis à la séduire. Elle refusa et posa comme condition à son accord le paiement de cent dinars. J'ai travaillé et ramassé cette somme. Je suis allé la trouver avec l'argent. Quand je me suis mis entre ses jambes, elle me dit : "Crains Allah, et respecte ma virginité!" alors je me suis relevé. Seigneur ! si Tu sais que je me suis conduit ainsi en quête de Ta grâce, écarte-nous cette roche. Et la roche s'écarta encore un peu.

pluie. "Anas ajoute que le prophète-paix soit sur lui-tendit les deux mains et fit une invocation tandis que le ciel paraissait aussi limpide que le verre. Aussitôt le vent souffla amassant des nuages qui s'accumulèrent, et le ciel lâcha des averses. Nous partîmes vers nos maisons en partageant dans l'eau de la pluie qui ne cessa de tomber jusqu'au vendredi suivant. Un homme, celui de la semaine précédente, ou un autre-se leva alors et dit : "Ô messager d'Allah, les maisons ont été détruites, invoque Allah pour qu'Il fasse cesser la pluie)". Le messager d'Allah-salut et paix soit sur lui-sourit et dit : "Autour de nous et non sur nous." Anas dit : "Je lançai alors un regard en direction des images, et je vis qu'ils s'amoncelaient en forme de couronne encerclant Médine". Ce hadith à été relaté avec un autre esnàd : Selon Younès, thabet et Anas (a.s.l.)

784 Esnad : Abou Na'ïm, Abdel Wahad, Ebn Aïman, son père, Djaber Ebn Abdallah (a.s.l.) dit : "Le prophète avait l'habitude, le vendredi (pendant le sermon) de s'appuyer sur un tronc d'arbre ou de dattier. Une femme ou, selon une variante, un homme-des Ansars dit : "Ô Messager d'Allah, laisse-nous te faire un mînbar". Il répondit :. "Si vous le voulez bien". Le minbar fut fabriqué et le prophète paix soit sur lui y monta le vendredi suivant. L'ancien tronc de dattier se mit alors à émettre des plaintes comme un enfant en peine. Et quand le prophète paix soit sur lui descendit et s'en approcha en le prenant dans les bras, les cris se calmèrent tout doucement comme ceux d'un enfant qu'on apaise. Le prophète dit alors : "Il pleure parce qu'il regrette le Zikr !

841 — Esnad : Ibrahim Ebn Al Môndzir, Ebn Abou El Foudaïh, El Makbari, Abou Horaïra raconte qu'un jour "O Messager d'Allah, j'oublie beaucoup de tes hadiths que j'entends. "Il me dit : "Entends ta cape" Il fit alors avec ses deux pommes rappochés le geste de prendre quelque chose qu'il déversa sur ma cape. Puis il m'ordonna : "Enveloppe-toi avec". Je me suis roulé dedans et depuis, je n'ai oublié aucun hadith" chapitre 26 — comme les polythéistes demandaient au prophète (paix soit sur lui) d'accomplir un miracle, il leur fit voir la fission de la lune.

830 — Esnad : Sadaqa Ebn Fadl, Ebn oyayna Ebn Abou Naqih, Modjablied, Abou Ma'mar, Abdallah Ebn Massou'd (a.s.c.) raconte que la lune s'est fendue en deux au temps du prophète (paix soit sur lui) qui dit (à ceux qui étaient présents : Soyez-en témoins" Ce hadith à été rapporté avec les chaines de transmission (esnad) suivantes :

1) Abdallah Ebn Mohammad, Younos, Chaïban, Qatadah, Anas.
2) Khalaf Ebn Khaled, Bakr Ebn Modar, Ga'far Ebn Rabi'a, Irak Ebn Mâlek, Abdallah Ebn Mass'oud, Ebn Abbas (a.s.l.)

Mme Zeinab Mohamad Hassan

Quelques Miracles du prophète Mohammad (paix soit sur lui) (suite)

par Mme Zeinab Mohamad Hassan

778-Esnad : Abdallah Ebn Youssef, Mâlek Izhaq Ebn Abdallah Ebn Abou Talha, Anas Ebn Malak raconte qu'il a entendu Abou Talha dire à Oum Solaïm "J'ai entendu le messager d'Allah-paix soit sur lui-parler d'une voix qui me paraît très affaiblie par la faim. Aurais-tu une nourriture quelconque? "Oui répondit-elle et elle fit sortir des galettes d'orge. Elle prit ensuite une voile dans une partie duquel elle enroula les galettes. Elle me les mit sous le bras et, me recouvrant la tête avec l'autre partie du voile, m'envoya vers le messager d'Allah-paix soit sur lui-. Je le trouvai à la mosquée en compagnie d'un groupe d'hommes. Comme je me tenais debout, le messager d'Allah me demanda : "Est-ce Abou Talha qui t'envoie?-Oui" répondis-je. Il reprit avec de la nourriture? "Je répondis à nouveau : "Oui". Le messager d'Allah-paix soit sur lui-dit alors aux personnes présentes :" Levez-vous ! "Puis il se mit en marche et je le devançai chez Abou Talha à qui j'annonçai la nouvelle. Ce dermier dit alors : "Ô, Om Solaïm, le messager d'Allah arrive avec des gens et nous n'avons rien à leur offrir à manger". Elle répondit : "Allah et Son prophète le savent mieux que nous" Abou Talha se rendit alors à la rencontre du messager d'Allah-paix soit sûr lui-qui vint avec lui en disant : "Apporte ce que tu as, Om Solaïm". Elle présenta les mêmes galettes et, à la demande du messager d'Allah-paix soit sur lui-les effrita. Elle les mélangea ensuite avec quelques gouttes de gras qu'elle fit tomber à grande peine en pressant une outre d'huile. Le Messager d'Allah-paix soit sur lui-prenant alors galettes devant lui récita ce que la volonté d'Allah lui inspira, puis dit à Abou Talha "Laisse entrer dix personnes". Ils entrèrent, mangèrent à leur faim, et partirent. Il répéta : "Introduis dix autres". Ils entrèrent, mangèrent à leur faim et sortirent. Il dit : "Encore dix" Ainsi tout le monde mangea à sa faim. Ils étaient alors soixante-dix ou quatre vingt hommes.

779 — Esnad : Mohammad Ebn Mothamma, Abou Ahmad El Zobaöi, Israïl, Mansour, Ibrahim, Alqama, Abdallah dit : "Nous comptions les miracles comme des bénédictions alors que vous les considériez comme des menaces. Puis ils raconta : "Nous étions avec le Messager d'Allah (paix soit sur lui) au cours d'un voyage et l'eau vint à manquer. Il dit : "Amenez le peu d'eau qui reste". Il mit alors sa main dans le pot qu'on lui amena et dit : "Viens eau pure et bénite, et la bénédiction est d'Allah". Je vis alors l'eau sourdre d'entre les doigts du Messager d'Allah (paix soit sur lui). Et nous entendions la nourriture glorifier Allah pendant que nous mangions.

780 — Esnadi : Abou Naïm, Zakaria, selon Amer Djaber raconte que son père était mort endetté. Il s'en alla alors voir le prophète-paix soit sur lui-à qui il dit : Mon père a laissé une dette. Je ne possède que le produit de ses dattiers, et ce produit-même pour plusieurs années—ne couvrira jamais la dette. Viens avec moi pour que les créanciers ne m'humilient point. Le prophète-paix soit sur lui-se nuit alors à circuler d'un tas de dattes à un autre en faisant des invocations, puis il s'assit sur un tas et dit aux créanciers : "Relevez-en (vos dettes). Chacun y prit son dû, et il m'en resta autant qu'ils en avaient pris".

782 — Emad : Mossadad, Hammad, Abdel Aziz, Anas (a-s-l) dit : "Une fois que Médine souffrait de sécheresse au temps du prophète-paix soit sur lui) et pendant qu'il prononçait le sermon (la Khotba) du vendredi, un homme dit : O messager d'Allah, les chevaux ont péri et les brebis sont mortes. Invoque Allah pour qu'Il nous envoie la

REVUE
AL AZHAR

Vol. 66, Part 8
Shaaban, 1414 Hijrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

allowed to go with kindness. It is unlawful for the husbands to take from them anything they have given them'.

(Sura 2:299).

When divorce is resorted to, Islam recognizes under certain circumstances the husband's right of marrying his divorce as long as divorce is not final (i.e. not the third one). This priviledge, in the early stages of Islam, was indefinitely exercised, and often abused as a detriment of women. This aimed the case until the Prophet received revelations, setting limits to the act of divorce, and forbidding the husbands to keep their wives in suspense for an indefinite period.

'When you divorce women and the time for sending them has come, either retain them with generosity or put them away with generosity, but retain them not by constraint so as to be unjust towards them. Indeed, he who does so wrongs himself'. (Sura 2:231).

FINAL DIVORCE

According to Islamic Law a third divorce is held to be decisive and final and a woman so divorced cannot be made a legitimate wife a fourth time unless she first marries a different man and when this man divorce her out of his own free will, and there have been no concequences of that marriage. If that marriage had been arranged with the intention of dissolving the second marriage so that the wife might go back to her first husband, then the contract for the second marriage is considered unlawful. The Qur'an says :

'If a man divorces his wife (the third time), he cannot remarry her until she has wedded another man and been divorced by him : in which case it shall be no offence for either of them to return to the other, if they think that they can keep within the limits set by Allah'.

(Sura 2:230).

In this respect, A'ishah reported :

'The wife of Rifa'ah al-Qurazy came to Allah's (God's) Messenger and said : 'I was married to Rifa'ah but he divorced me finally. Afterwards I married Abdel-Rahman Ibn al-Zubair, but all hepossesses is like the frings of a garment'. The Prophet asked her whether she wanted to return to Refa'ah, but when she replied that she did, he said : 'You may not until Abdel-Rahman and you have experienced the sweetness of intercourse with him (and he divorces you of his own free will)'. Transmitted by al-Bukhari and Muslim.

To be continued

DIVORCE IN ISLAM

By : Mohammed Higab

PART II

RECONCILIATION

Before the parties (husband & wife) proceed to the extremity of divorce for unavoidable reasons. It is expressly laid down that all lawful means must be adopted to avoid a breach, and it is only in the event of their failure that a separation is permitted, of course, as a last recourse. The directions of both the Qur'an and the Sunnah in respect of the adoption of courses that tend to make affectionate reunion possible are as explicit as they are full of wisdom.

If a woman is chaste and mindful of her duties as wife, the Islamic Law makes it obligatory upon the husband to associate with her on the best of terms and with kindness and courtesy. If however she proves to be refractory in her behaviour, the law confers on the husband the power of correction if exercised in moderation.

If the husband fails after using personal discretion and every possible method to correct the wife and bring her back to her senses, it is possible for him, or both of them, to turn to their family or near relatives for arbitrations.

'If you fear a breach between a man and his wife, appoint an arbiter from his people and another from hers. If they wish to be reconciled Allah will bring them together again. Allah is Wise and All-Knowing'. (Sura 4:35).

But if ill-feelings gain such a hold on the married couple that their union is endangered, and no arbitration can succeed. Hence, married life develops from a state of tranquility, love and compassion into one of anxiety, hardship, and isolation, and indeed is almost hell. Then in such a situation, and only in such a situation, the husband is allowed by Islam, against its better judgement, to seek the remedy of divorce.

Another reasonable cause of divorce is that which lies beyond the discretion of the husband or both the husband and wife, and also lies beyond the arbitration of the near relatives. For instance, if a state of discord and conflict is witnessed in the married life of a couple, it may not be due to some mistake on the part of the husband or a gross disobedience of the wife. It is just possible that both of them may be exceptionally noble as hman beings, but still their temperament may differ and so they may lament the impossibility of coming to terms between them-selves but still they may not be able to effect a compromise with each other. In such a case, and as the husband and wife had reached a mutual agreement of divorce, that the husband is permitted to divorce his wife.

RESTORATION

If the shock of divorce fulfils the purpose for which it is intended and both the husband and wife return to their senses, then, they are permitted by Islamic Law to be reunited. The husband has the right to restore his marriage with his repudiated wife during the iddah (waiting period) as long as the repudiation is not the third one, nor is it a sort of redemption (kul'), as shall be discussed in due course.

Islam permits the huband to resort to the remedy of divorce twice, and restore his marriage after his divorce each time if a satisfactory reconciliation is attained. According to the Qur'an :

'Divorce may be practised twice, and then a woman may be retained in honour or

however, is rendering الكتاب as "Book" as the other translators have done.

A similar case is found in verse (97) فإنما يسرناه بلسانك which is rendered as follows by the translators :

Pickthall : and we make (this scripture) easy in the tongue (O Muhammad)
Y. Ali : So have we made the (Quran) easy in thine own tongue.
Arberry : Now we have made it easy by the tongue.
Asad : and only to this end have we made this (divine writ) easy to understand, in thine own tongue, (O Prophet).
Khatib : We surely facilitated this (Quran) in your own tongue.

In pronoun in يسرناه mentioned in this verse also refers to the Quran which is revealed to the prophet Muhammad (P.B.U.H) in his native tongue Arabic. Though Pickthall in appropriately uses "(this scripture)" it is clear from his addition of "(O Muhammad)" that the address is to the Prophet Muhammed (P.B.U.H) so as to render the meaning intended clearly. Asad, on the other hand, inappropriately uses "(divine writ)" and adds "O Prophet)" which is quite confusing, for it does not clarify which prophet. Similarly, in Arberry's literal translation of يسرناه as "We have made it easy" we find that the pronoun "it" is ambiguously used here. More appropriate is Y. Ali's and Khatib's translation where their addition of the word Quran between brackets clearly indicates the verse is addressed to the Prophet Muhammad (P.B.U.H) concerning the Quran. Hence, I believe that the word الكتاب should be translated as "Book", but it would have been more appropraite if the translators defined between brackets or note what it refers to whether the "Torah" as in verse (12) or to the "Quran" as in verses (16, 41, 51, 54, 56, 97). Regarding verse (97) which we have quoted above, it is worths mentioning that none of the translators was able to convey the meaning of يسرناه appropriately. The verb يسرناه here denotes the fact that the Quran was revealed in our prophet's native tongue; i.e. Arabic, to be easily understood by people. Hence فإنما يسرناه بلسانك could be rendered as follows : "We have made it (Quran) easily understood by revealing it in your tongue (Arabic)."

In verse (11) we find a mismatch of the donotative meaning of ST and TT due to the translator's inability to select the most appropriate equivalence. The word المحراب in فخرج على قومه من المحراب is rendered as "chamber" by Y. Ali, and "sancatuary" by the vest of the translators. According to exegetes, المحراب in this verse refers to a prayer niche; the mihrab embodies the symbolism of the cave, the hidden place, the cavity within a mountain. However, "chamber" used by Y. Ali denotes something different, that of a room (in a house) the equivalence of which in Arabic is حجرة or غرفة On the other hand, "sancturary" is a general word which refers to a building or sight set apart for the worship of God or of one or more divinities. More appropriate, however, would be rendering المحراب in this verse as "mihrab" since the word is mentioned in Oxford Dictionary, thus it is preferable to use the word itself in the translation.

Another case of mismatch of the denotative meaning of ST and TT items is found in verse (76) : والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً

According to exegetes, الباقيات الصالحات means the good and righteous deeds which endure and last. Khatib's rendering of الباقيات الصالحات as "the remaining good things" is rather prosaic and ambiguous. More appropriate are the other translations rendered by the rest of the translators as follows :

Pickthall : the good deeds which endure.
Y. Ali : the things that endure, good deeds.
Areberry : the abinding things, the deeds of rightearsness.
Asad : good deeds, the fruit where of endures forever.

To be continued

A comparative study of the English Translation of the Meaning of Surah Maryam

PART IIB

By : Mona Salem Abdel Ghafar M.A.

In the previous edition of the translation quality assessment, two types are given of the mismatches of denotative meaning : those due to the translators failure to understand the true meanings of words and those due to the translators inability to select the most approriate equivalent to the contextual meaning of the word.

Another mismatch in meaning due to the translator's wrong selection of lexical items is found in the rendering of the sentence اجعل لى آية in verse (10) which the translators render it as follows :

Pickthall : Appoint for me some taken.
Y. Ali : give me a sign.
Arberry : appoint to me some sign.
Asad : Appoint a sign for me.
Khatib : Make a sign to me.

According to exegetes, Zachariah prayed to Allah to give or show him some token or indication of the angel's tidings of a boy. Khatib inappropriately renders اجعل لى آية as "make a sign to me," which denotes a gesture or motion of the hand, head, etc, serving to convey an intimation or to communicate some idea. Khatib has failed to convey the correct meaning due to his use of "make" for اجعل which renders a different meaning (a wrong selection of word). The other translators, however, appropriately translates. اجعل لى آية

In Surah "Maryam" we find that in some cases the same word is mentioned in more than one instance but with a different referent. For example the noun الكتاب occurs in six instances in this Surah with two different references. In verse (12) الكتاب according to exegetes, refers to the "Torah" where Allah addresses Yahya and asks him to take the book forcefully. يا يحيى خذ الكتاب بقوة

In the other verses, الكتاب refers to the Quran where Allah address his prophet Mohammad (P.B.U.H.), and tells him to mention in the Book the stories of :

Maryam (V. 16) واذكر فى الكتاب مريم
of Abraham (V. 41) واذكر فى الكتاب إبراهيم
of Moses (V. 51) واذكر فى الكتاب موسى
of Ismail (V. 54) واذكر فى الكتاب إسماعيل
and of Idris (V. 56) واذكر فى الكتاب إدريس

The word الكتاب in all these instances verses 12, 16, 41, 51, 54, 56) is rendered as "Scripture" by Pickthall; "divine writ" by Asad; and "Book" by Y. Ali; Arberry and Khatib. Though "Scripture" and "divine writ" are acceptable in verse (12) where it refers to the Torah, they are unacceptable in the other verses where the word Book refers to the Quran. The word "Scripture", usually with capital initial refers to the sacred writing of the Old or New Testament, or (more usually) of both together. However, "divine writ" indicates sacred writings collectively, the Bible or holy scriptures. So in the verses where الكتاب refers to the Quran, Pickthall's and Asad's use of "Scripture" and "divine writ" could be misleading to TL reader. More appropriate,

('Amr) said, 'If you put al-Mughirah in charge of the revenues, he will seize the wealth and vanish ....'

Apart from missing parts in the English translation of the passage there is the unforgivable mixing of reference in rendering the last word fayadhhab. A correct translation would be as follows :

On hearing what al-Mughira intimated to Mu'awiya, 'Amr admitted himself to Mu'awiya's presence and enquired whether he appointed Mughira as his vicegerent for Kufa. Mu'awiya's reply was affirmative. 'Amr further enquired whether Mu'awiya put him in charge of land revenues. Mu'awiya said 'Yes'. 'Amr replied 'You put al-Mughira in charge of land revenues and he will swindle the money and the money will go..'

46 : From God's Servant (Abdallah), al-Mustawrid, Commander of the faithful, to Simak b. 'Ubayd. Now then we take revenge on behalf of our folk for tyranny in judgement, failure to enforce prescriptions and the monopolization of fay. I summon you to the Book of God, Almighty and Great, and the example (sunnah) of His Prophet, and the rule (wilayah) of Abu Bakr and 'Umar. I also call upon you to disavow 'Uthman and 'Ali for their innovation in religion (ihdath fi al-din) and their abandonment of the judgement of the Book. If you accept, you will have come to your senses, and if you do not, we will have run out of excuses for you, and we will permit war against you, and will reject you for your disgraceful act. 'Indeed God does not love disloyal people.'

A more proper rendering of the passage into English would be as follows :

We have resented in our people deviation in judgement, suspension of Islamic penalties, and monopolization of the booty. We ask you to submit to the Book of God Almighty and Great and the tradition of His Prophet (peace be upon Him) and to acknowledge the rightful rule of Abu Bakr and "Umar and to discredit 'Uthman and 'Ali for introducing changes in religion and their departure from the Book's injunctions. If you accept, then you have matured; if you do not, then we have stretched to the limit in offering you chances of excuse. And we have declared war on you, and disavowed our compact with you, as you did without forewarning. Surely God does not favour the disloyal.

These are just a few examples of the numerous inexactitudes of translation which would have been averted if a method of double-checking had been employed enabling native Arabic-speaking scholars to co-operate in resolving the difficulties of the Arabic text. It is to be hoped that these anomalies will be ironed out in the reprints and in the forthcoming volumes of this impressive enterprise.

The volume under review covers the aftermath of the first civil war and the accession of Mu'awiya to power. Al-Tabari does not concentrate so much on what was happening in Damascus, or on Muslim military conquests in Africa or in Europe, as he does on happenings in Kufa and Basra and on expeditions to the east. The quelling of Kharijite uprisings is given prominence over wars against the Byzantines, and the figure of Ziyad b. Abihi rubs shoulders with Mu'awiya himself., Although some would think that al-Tabari's method (of offering multiple accounts of the same happenings, leaving it for the reader to use his discretion as to which is the more credible) may be bewildering, yet al-Tabari's narrative is realistic and on occasion is not without a sense of humour. The realism is reflected in the dialogues which are reproduced verbatim and are quite revealing of the figures involved in these dialogues. Al-Tabari's sense of humour is evident in his accounts of episodes like al-Farazdaq's flight from Ziyad (104-5 of this translation). The liveliness of al-Tabari's chronicle is due, more than anything else, to the fact that he is less concerned with offering an official history of an emerging court, than with the dynamism of a resurgent people at a period teeming with revolutions.

The translation has its merits, and the courage with which the translator handled a difficult Arabic text is to be applauded. The variety of styles he had to cope with is extensive — the narrative of al-Tabari himself (whose Arabic and punctuation can sometimes be highly ambiguous), Qur'anic verses, the Prophet's traditions, and an assortment of poetic quotations. A specialist native speaker's knowledge of Arabic is required for fully understanding, let alone translating, al-Tabari. Small wonder then that the present translation contains inaccuracies that need to be corrected if a reissue of it is being contemplated. A few selected examples follow. Morony's translation of the passage is given first, followed by the proposed correction.

2 : The first to render allegiance to him is said to have been Qays b. Sa'd who said to him, 'Hold out your hand, and I will pledge allegiance to you on condition (that you follow) the Book of God Almighty and Great, and the example of His Prophet, and fight the violators.'

A more appropriate translation would be :

It was said that the first to offer him allegegiance wasd Qays b. Sa'd who said to him (al-Hassan) 'Stretch your hand and I will offer my allegiance to you for the observance of Almighty God's Book and the tradition of His Prophet, and for fighting the desecrators (those who encroach upon the sanctity of the Holy Mosque at Makka and do not respect the sacred truce months.)'

3 : Shurtat al-Khamis.

The translation given in the footnote for this transliterated phrase is 'Thursday shurtah'. This is indeed a howler. For al-Khamis in Arabic is another word for an army consituted of five battalions (front, heart, right-wing, left-wing, and rear). The correct translation is 'military police'.

3 :... he ('Abdullah b. 'Abbas) wrote to Mu'awiyah asking him for a guarantee of safeconduct.

The word 'safe-conduct' is recurrently used in this translation for the Arabic aman. The English word 'safe-conduct' is used of the privilege granted by the ruling authority of being protected while making a particular journey or passing within a restricted zone. Therefore it is not equivalent to the Arabic aman. The nearest equivalent term is 'amnesty' — a general overlooking or pardon of past offences (O.E.D) 13 : When 'Amr learned what al-Mughirah had said to Mu'awiyah, he went to Mu'awiyah and asked, 'Did you put him in charge of the revenues?' (When) he replied that he had,

Book Review

by Professor Dr. Adel Salama
Ain Shams university

Of the translation by Michael G. Morony of the history of al-Tabari, volume XVIII : Between civil wars : the caliphate of Mu'awiyah.

The History of al-Tabari, familiarly referred to by European writers as 'The Annals', was first made available to Western scholars in the Latin synopses at the beginning of each volume of the Leiden edition. A much-reduced and tampered-with French translation by Zotenberg (Paris, 1867-74; reprinted 1958) was made from the Persian rendering of Bal'ami (AD 963). The present full-scale translation raises great hopes that Western historians will have at their disposal not only an instrument which will clarify their knowledge regarding the rise of the Islamic institution of the Caliphate, but indeed an authentic account, methodically and systematically constructed, of the rise and spread of a major religion. Al-Tabari's is a universal history, since it commences with the Creation and proceeds through the patriarchs, prophets, ancient rulers, and Sassanian kings. Its point of strength, however, is with the period covering the Prophet's life, the rise of Islam, and the subsequent period down to the year 302/915.

Al-Tabari's History remains the most comprehensive and reliable account of the events of this period, not only because of the nearness at which the author stands to these events, but also because of the meticulous method al-Tabari had developed to provide reliable information. Muslim historiography had transposed this methodology from a closely related discipline — that of establishing the correct traditions (Hadith) of the Prophet. Indeed the two disciplines stem from the same root since their common concern was the life of the Prophet. Earlier Muslim historiography, exemplified by the writings of al-Waqidi, Ibn Ishaq, Ibn Hisham, and Ibn Sa'ad, concentrates on the life of the Prophet and his successors. Likewise, the traditionists (al-muhaddithun) were preoccupied with the collection and expurgation of the Prophet's tradition, building it into an organon which integrates with Qur'anic teaching. To guarantee the authenticity of the Prophet's traditions the chain of transmitters (isnad) of these dicta (going way back to the Prophet himself) had to be examined carefully, and traditions evaluated in accordance with the strength or weakness of the chain. Al-Tabari, himself an expert on the Prophet's tradition (his book Tahdhib al-Athar is concerned with the subject) and a major Qur'anic exegete, makes use of the method of the traditionists in presenting historical material in his History, rather than relying on previous historians. When he sometimes resorts to previous historical accounts, he does so with a grain of salt. For example, in referring to Busr b. Abi Artat's campaign against the Byzantines (p. 32 of Morony's translating of al-Tabari's History, vol. xviii), he mentions that this was an 'allegation' of al-Waqidi (fima za'ama al-Waqidi) refuted by others.

The present translation is made from the Arabic text of the Leiden edition, first published in 1879, but the bibliography also mentions (231) a Cairo edition published in 1939. No account is taken, however, of the more recent edition of Dar al Ma'arif in the series Dhakha'ir al-'Arab (vol. xxx, 1960) which makes use of some new material and is generally regarded as the definitive edition. The Leiden Arabic edition is in twelve volumes and is divided into three series : the first covers biblical history, the Persian rulers, and the early Islamic period down to the assassination of 'Ali (40/661). The second is concerned with the Umayyad dynasty, while the third series covers the 'Abbasid dynasty up to 302/914. The present translation does not keep to this plan, probably for practical reasons. While it is claimed that each of the thirty-eight volumes of the History could read as an independent unit, yet such fragmentation of the work can only be disruptive to historical continuity. The original plan of the Leiden edition had the advantage of maintaining a balance and each volume in the series broke off at a convenient historical point.

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part 8
Shaaban, 1414 Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

CONTENTS

1. Book Review
By : Professor Dr. Adel Salama.

2. A comparative study of the English translations of the Meaning of Surah Maryam Part IIB
By : Mona Salem Abdel Ghaffar

3. Divorce in Islam part II
By : Muhammad Higab.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهــــرس

● افتتاحية العدد
ـ فضيلة الدكتور على أحمد الخطيب ١١٢٩
● مع الإمام الأكبر
ـ بيان الامام الأكبر فى ذكرى الاسراء والمعراج ١١٣٢
ـ ليلة النصف من شعبان ١١٣٤
● مع سورة الأنفال
ـ فضيلة الدكتور عبدالجليل شلبى ١١٣٧
● أحب الأعمال إلى الله أدومها
ـ فضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم ١١٤١
● القرآن الكريم والبحر
ـ أ. د. محمد محمد زيتون ١١٤٤
● تحويل القبلة
ـ د. محمود عبدالمتجلى ١١٥١
● السياحة ما لها وما عليها
ـ فضيلة الشيخ عطية صقر ١١٥٧
● عناية الاسلام بالأطفال والأمهات
ـ الشيخ/محمد حافظ سليمان ١١٦٣
● معالجة مشكلة البطالة
ـ د. سهير حسن عبدالعال ١١٦٩
● زيادة الانتاج وضبط الاستهلاك
ـ لواء. محمد جمال الدين محفوظ ١١٧٦
● القيادة الإدارية
ـ أ. د. محمد عبدالله آل ناجى ١١٨١
● تحديات المسلمين فى جنوب أفريقيا
ـ أ. محمد محمود حسانين ١١٨٥
● الفتـــاوى
ـ أ. عبدالمنعم فودة ١١٨٧
● من أعلام الأزهر الشيخ محمد الخضر حسين
ـ المستشار محمد عزت الطهطاوى ١١٨٩
● الشعر والشعراء
ـ «شمس الوجود محمد»
للدكتور : عبدالفتاح شعيب ١١٩٨
ـ «أحزان القبلة» للشاعر : رشاد محمد يوسف ١١٩٩
ـ «أبا الموت تذكرنى»
للشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين .. ١٢٠٠
ـ «ذبيح الشوق» للشاعر : ابراهيم عيسى .. ١٢٠٢
ـ «اعتراف» للشاعر : شوقى محمود أبو ناجى ١٢٠٤
● الإمــــام الشافعـــــى شاعـــــراً
ـ الفريق : يحيى عبدالله المعلمى ١٢٠٦
العلوم الكونية
● الأسس المنهجية لتعريف العلوم الكونية
ـ أ. د. أحمد فؤاد باشا ١٢١٠
● الولادة الطبيعية
ـ د. أحمد رجائى عبدالحميد ١٢١٤
● الجديد فى العلم والتقنية
ـ د. نجوى السيد أحمد ١٢١٧
● طرائف ومواقف
ـ أ. عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٢٢٠
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
ـ أ. عبدالفتاح حسين الزيات ١٢٢٢
اللغة والنقد والأدب
● مستقبل الثقافة فى مصر
ـ أ. د. محمد رجب البيومى ١٢٢٦
● عبقرية التراث
ـ د. عبدالفتاح الفاوى ١٢٣٥
● الوحدة الموضوعية فى العصرين الأموى والعباسى
ـ أ. أحمد مصطفى حافظ ١٢٣٩
● خزائن المخطوطات بجمهورية أوزبكستان
ـ د. عبدالله نجيب محمد ١٢٤٣
● عرض كتاب «البوسنة والهرسك»
ـ أ. عادل رفاعى خفاجة ١٢٤٦
● بين المجلة والقارىء
ـ د. محمد عبدالحكيم محمد ١٢٥٣
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
ـ أ. مصطفى عبدالمجيد، أ. عمر البسطويسى . ١٢٦٠
● أنباء العالم الاسلامى
ـ أ. مجدى عبدالحميد بشير ١٢٦٢
● القسم الفرنسى ١٢٧١
● القسم الانجليزى ١٢٧٩

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين

الأزهر والفحص والنقد

تُرى :

هل عَالَمُ القلم كعالم الناس :

فيه صريح النسب ، موفور الشرف ، كريم العرض ، رفيع العماد .

وفيه .. ؟

الله أعلم .

إننا نقرأ لأقلام هى ــ بحق ــ بنت بيئتنا ، وسليلة تراثنا ، ومنبت أعرافنا . فيها صدق أرومتها ، وعفاف أصولها .. نظيفة بين أنامل طاهرة .

تستمد من تراثنا ــ كما تستمد من غيره ــ كُلَّ شريف عفيف .

لا يرهبها من الأزهر الشريف فَحْصٌ ولا نَقْد ؛ لأنها مِثْلُهُ تنفر من الضعة والسفه والحداثة والأحداث والمنكر والفجور . ثم هى ـ من قبل ذلك ومن بعده ـ عندها ما تكتبه من علم نافع ، وفن رفيع .

وثمة أقلام .. تستمد ولكن .. ليس لِقِيَمِنا ، وتفخر ولكن .. ليس بأعراقنا . تسيل لمن يلتقطها بما يغريها ..، وما أحقر ما يغريها ..! فتَوليه ما يعنيه ، وتشبعه بما يرضيه.

هى ـ منه ـ الذليل الذلول ، وهو ـ منها ـ العزيز الملول . يلتقطها حين يشاء ، ويلفظها حين يريد .

أقلام تُحِبُ أن تشيع فينا الفاحشة بكل ضروبها وألوانها وبيوتها .

تلك هى التى تكره الأزهر .. تكره فحصه ، وتمقت نقده ، تودُّ لو نُسِفَتْ أحجاره ، واختفت قبلته ، فضاع الركوع ، وباد السجود !! وسكت صوت الإسلام .

وكيف ، والله ـ سبحانه ـ القائل :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾

[التوبة : ٣٢]

إن الأزهر ليس فى حاجة إلى قانون يرشده إلى العمل لدفع المنكر وإثبات المعروف ..

وكم آسى لأديب عريق غنى عن هذا السَّفَهِ ، اخْتَرط خُرْطَهُمْ ، ورعى من ثُفْلِهِمْ ، فحكم على أبناء الأزهر أنهم دون نقد النصوص الفنية .

أقول : ليتك ما قلتها ...!

وأقول هذا حتى لا تفوتك خبرة واجبة ، يعرف بها الأديبُ عصره ..

وأقول هذا لتعلم أن أبناء الأزهر وبناته يحاضرون ويحاضِرْن فى الأدب الإنجليزى ، والألمانى والفرنسى بلغاته الأصلية .. ولهم ولهن ـ فى ذلك ـ إجازات علمية رفيعة من أعرق ما تعرف من جامعات الغرب ..

لكل ذلك أقول : ليتك ما قلتها !

إن الأزهر ماض فى سبيله ، وعلى براءته .. إذ ذلك الفحص والنقد من عمله .. إنه من الدعوة لله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ وقاية للمجتمع الإسلامى كله .. دعوة لا تأباها مصر ، وعليها تعيش ؛ فليس لِمِصْرَ من مجد ـ خارج مصر ـ إلا هذا الأزهر .

إننى واحد من هؤلاء الأزهريين الفاحصين .

● وهذا جمهور المشاهدين للتليفزيون ، قد أعجب بمسلسل « القضاء فى الإسلام » من إخراج الأستاذ « فايق إسماعيل » توليتُ منه فحص (ثلاثين حلقة) .. قرأتها .. وفحصت معلوماتها تاريخاً وفقهاً ، وأدباً ثم طلبت إلى « الأخ فايق » أن يتفضل باستدعاء المؤلف ، وجاء الرجل وجلسنا ثلاثتنا ، وناقشته فى بعض ما كتب ، وكان رجلًا على علم يحمل إجازة علمية رفيعة المستوى ، فأمسك قلمه وأجرى التصحيح .. وظهر المسلسل للناس ، وقرأت عنه ـ منذ أكثر من سنتين ـ صفحة كاملة تطريه ، وتطرى مخرجه .

● وجيء إلىّ بـ « سيناريو وداعاً بونابرت » وفيه ـ باختصار شديد :

مَحْوٌ لإساءة الجنود الفرنسيين للأزهر .

وآثام مفرطة جُعلَ بعضُ المصريين طرفٌ فيها ..

وكتبت ملاحظاتى .. وظهر « الفيلم » للناس بما فيه .. وعلى الملاحظات السلام .

والمثقفون من المصريين يعلمون ..

● وثالث :

جعل « فرعون » موسى « أوزوريس » متناسياً ـ أو لا يعلم ـ أن موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ عاش فى القرن الخامس عشر ـ ق.م ـ على ما حققه بدقة أستاذنا الدكتور محمد عوض محمد فى رسالة كلفته بها الجامعة العربية لتبين للناس أن من اليهود مبشرين نشروا ديانتهم فاعتنقها غيرهم من بنى اسرائيل .

ومتناسياً أن زوجة أوزوريس « إزيس » وثنية مفرطة فى الوثنية فى هذه الأسطوْرة التى لا نعلم لها فى التاريخ بداية معينة ، وعلى العكس من ذلك زوجة « فرعون » فقد كانت مؤمنة خالصة الإيمان . وجَعَلَ فرعون عقيما ، ولم يكن عقيما ، فـ« حديث » « ماشطة » ابنة فرعون معروف .

وقد كتبت الملاحظات ، وإذا بالكتاب فى الأسواق ..

تُرى : ما خطأ النقد والفحص .. يا سادة ،،،،

د. على أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

الصيام وآثاره

بقلم الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف

هذا شهر الصيام ـ رمضان ـ الذى اعتبره الرحمن الرحيم موسماً للطاعات ، وفيه تتكاثر الأعمال الصالحات ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ البقرة ١٨٥

لقد اختصه الله من بين الشهور بهذه الميزة فأنزل فيه هذا الكتاب المبين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ..

ولقد حفظ المسلمون ـ على تعاقب الأجيال ـ لهذا الشهر حرمته وميزته ، فأقبلوا يضاعفون فيه العمل الصالح ، ويزدادون نشاطاً واجتهاداً فى ليله ونهاره ، فى قيامه وصيامه ، يستيقظون فيه كثيراً ، ويناموت قليلا ، يرصدون قدومه للتزود من صالح الأعمال والأخلاق ، حتى تكون مضاعفة الحسنات ، حيث فضل الله بعض الأيام على بعض ، وفى قمة هذه الأيام المفضلة : شهر رمضان .

وإذا كان الكتاب يعرف من عنوانه ، فإن لفظ الصوم يومىء إلى عظيم معناه ، الذى يحمله مبناه ..

إذ الصوم فى اللغة مطلق الإمساك عن أى عمل ، حتى جاز أن يقال : صام عن الكلام ، أى سكت وأمسك عن الحديث وإلى هذا يشير قول الله سبحانه حكاية عن السيدة مريم : ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ .

(سورة مريم/٢٦)

وجاء المعنى الشرعى موائما لهذا المعنى اللغوى فلم يخرج عن دائرة الإمساك والتوقف ، وإنما أحيط بقيود خاصة أضفتها عليه طبيعة الصياغة الشرعية للغة فقال الفقهاء : إن الصوم شرعاً : هو الإمساك عن جميع المفطرات .

لكن : هل هذا هو الصوم مبنى ومعنى ؟

لعلنا نحن ـ المسلمين ـ حين نعود إلى أسس الإسلام الخمسة ، نجدها قد أحكمت ، فهي مترابطة ، متفاعلة سلسلة متعانقة الحلقات يشد بعضها بعضا ، تهدف إلى تربية المسلم على النقاء والصفاء فى صلته بالله خالقه ، وفى صلته بالمخلوقين أياً كان نوعهم أو جنسهم ، وبهذا لا يكون المعنى الفقهى للصوم معبراً وحده عما يجب أن يكون عليه ، وإنما لابد أن يضاف إليه كل عمل إيجابى محمود ، وكل امتناع عما ينافى الخلق القويم ، والصراط المستقيم ، والسلوك الإنسانى السليم ، فلابد للمسلم الصائم أن يحافظ على الصلاة فى مواقيتها ، وأن يتلو القرآن الذى بارك الله به شهر رمضان ، وأن تُعقد المجالس لمدارسته والتفقه فى أحكامه ومعانيه ، اكتسابا لفضائله والتزاما بحلاله ، واجتنابا لحرامه ، فلا كذب ، ولا غش ولا سباب ، ولا تطفيفاً للكيل والميزان ، ولا غيبة ولا نميمة ، ولا أكلا لأموال الناس بالباطل ، ولا سخرية بمسلم ولا مسلمة ، بل ولا بأى مخلوق لله .

وبالجملة فالصوم دعوة إلى أداء كل الواجبات ، فى العبادات والمعاملات ، ورعاية لكافة حقوق المخلوقات ، والامتناع ـ كذلك ـ عن جميع المحرمات والشبهات .

وهذا الصوم : « بنيته » وسيلة إلى اعتياد الأعمال الصالحات ، وإلى البعد عن سيء العادات ، وبالإخلاص فيه وأدائه كاملا ينمحى من مجتمع المسلمين كل ما اعتادوه مما يخالف أحكام الإسلام من قول أو عمل ، وهو وسيلة لتربية الوازع الدينى لدى كل مسلم ، ذلك لأن الصوم سر بين المسلم وربه فلا يداخله الرياء ، ومتى كان الوازع الدينى ملء قلب المسلم وقلب المسلمة استقام الناس على صراط الله ، هذا الوازع الذى يحث على الطاعة ويزع عن الفساد والعصيان ، هو مراقبة الله سبحانه واليقين بأنه يعلم السِّرَّ وأخفى ، وذلك ما عبر عنه قول الرسول ـ ﷺ ـ : « اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ..

ذلك ما يجب أن يسعى الصائم إلى تحقيقه وكسبه من صومه ، حتى لا يشقى بالصوم وهو يظن أنه قد أدى فرضاً لازماً ، وفهم أنه بمجرد امتناعه عن المفطرات الحسية ، قد صام ، إذ بقدر ما تتقلص حقائق الصوم وأهدافه يتقلص الأجر وتتفاوت النسب بينه وبين الوزر ، وهذا المعنى يقرره قول الرسول ـ ﷺ ـ : « رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع .. وربَّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر » ..

إن واقع الحال أن أكثر المسلمين لم يدركوا من معانى الصوم إلا أنه الإمساك عن الطعام والشراب والرفث إلى الحلائل من النساء ، وهذا القدر من معنى الصوم ـ فى الحقيقة ـ واجب أساسى لكل صوم ، غير أن الإسلام وهو دين استهدف فى فروضه وآدابه وأخلاقه تربية الإنسان مادياً ونفسياً وخلقياً ، قد اعتبر الإمساك عن هذه الماديات والرغبات وسيلة لغاية ، وبداية لنهاية ، ومنطلقاً إلى عبادة أسمى ، وصوم أكمل وأجمل ، لا يغنى عنه الجوع ، ولا الكف عن الشهوات ساعات معدودات ، تلك هى تقوى الله التى عبر عنها

القرآن فى نهاية آية الصوم بقوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وتلك غاية يسرها الله سبحانه فى شريعة الإسلام التى أمرت بما يستطاع من أعمال الخير واجتناب كل الشر ، فقاعدة هذه الشريعة فى قضية التكليف تقضى بأن ارتكاب الشرور بأنواعها المختلفة حرام على المكلف ، أما أوامر الله ورسوله ، فيكون لزوم أدائها فى نطاق القدرة الذاتية لكل مكلف ، يدل لهذا قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ .

وقول الله سبحانه :

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾

(سورة الأنعام / ١١٩)

ولقد بين رسول الله ـ ﷺ ـ هذه القاعدة وأكد حقيقتها فى قوله : « إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه » .

فلنستقبل شهر رمضان بإخلاص الصوم لله وأن نصوم عن المفطرات وعن السوءات والسيئات ، وأن نكتسب بصومنا أحسن الأعراف والعادات .

وفى شهر رمضان ينبغى أن نتأمل تاريخ المسلمين وسنجد أن ما أحرزوه من تقدم سبق فى شئون الحياة يرجع إلى التزامهم بتوجيهات القرآن الكريم : عبادة وعمل للدين وللدنيا ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

(سورة الجمعة / ١٠)

وتبعاً لهذا فلا يكون شهر رمضان وصومه مدعاة لإهمال العمل ، والتراخى فى أدائه اعتذاراً بالصوم وبشهر رمضان ، والتاريخ يحدثنا أن جهاد الرسول ـ ﷺ ـ ، وفتوحات ربنا سبحانه عليه ، كان أكثرها فى شهر رمضان ، فما اعتذروا وما تهاونوا ، وما تكاسلوا ، وما قالوا كما قال غيرهم ﴿ .... فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾

(سورة المائدة / ٢٤)

ولكن قالوا : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون** ﴾ .

إقدام على العمل وعلى العبادة ولأن العمل فى الإسلام عبادة ، فالتجارة والزراعة والصناعة وسائر الأعمال الوظيفية أو غيرها مما فيه إثراء للحياة وإحياء للمصالح والصوالح عبادة .

فلتكن الأسوة الحسنة بالرسول ـ ﷺ ـ وبأصحابه غايتنا ، وقد كان خلقه ـ ﷺ ـ القرآن كما قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أى أنه كان مطبقاً لتوجيهات القرآن الكريم خير تطبيق ، والمسلمون لهم فى رسول الله أسوة حسنة .

وسيرته ـ ﷺ ـ تحدثنا عن أن المسلم الحق ، هو الذى لا يتأتى منه ولا يشاهد فى أمر أو على عمل إلا من خلال القرآن .

فإذا أراد حسن المعاملة تسارع إلى إعمال قول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

(سورة النحل / ٩٠)

والمسلم إذا رغب راحة الضمير ، وهدوء البال ، وحسن الحال آمن واطمأن قلبه إلى قول الله سبحانه ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

(سورة الحديد/ ٢٢ ، ٢٣)

وإذا أراد المسلم بعد هذا قوام الحياة وشحذ الهمة بالمتطلبات المادية التى تصفو بها حياته وتتبلور ذاتيته الداخلية ، وتصير ناصعة البياض والصفاء يسرع بنفسه إلى الطعام ومعه قول الله الخالق الرزاق ذى القوة المتين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾

(سورة البقرة/ ٢٦٧)

وها هو القرآن يتعهد المسلم بالنصح ويضىء له طريق كل سلوك مستقيم فيقول الله ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ .

(سورة لقمان/ ١٨)

* * *

فهذا القرآن ينبغى أن يكون ورد المسلم فى شهر رمضان ليدعِّم ذاته ويؤكِّد كِيانه فيسعد ، ويسعد معه مجتمعه بل والبشرية قاطبة ، ويسود فى هذا الكون الواسع الفسيح ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ .

(سورة النور/ ٤٠)

فبالقرآن فى شهر رمضان تسعد الأمة وتزداد هدى وتهنأ برضا الله سبحانه .

فى هذه المناسبة وباسم الأزهر الشريف أهنىء الأمة الإسلامية فى شتى بقاع الأرض شعوباً وحكاماً وأسأل الله لها فى هذا الشهر الكريم فلاحاً وصلاحاً ووحدة ووئاماً وأمناً وسلاماً وتغييراً إلى أحسن حال حتى تكون الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس .

شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

فتوى

في حكم اختلاط الخنثى المشكل بالرجال والنساء

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من المركز الإسلامى شتو تغارت بألمانيا ـ قسم العمل والعلاقات جاء فيه ما يلى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعرض عليكم مسألة نرجو بيان قول الشريعة الغراء فيها ولكم من الله الأجر والثواب .

إنسان ولد وله عضو الذكورة والأنوثة ، قرر الطبيب المعالج أنه أميل إلى الذكورة فعالجه بهرمونات الذكورة مما جعل عضو الأنوثة يضمر ثم ينغلق ، ونبت شعر اللحية وخشن الصوت .

أوقفت المعالجة بالهرمونات بسبب مرض شديد ألم به ، كذلك أصيب بمرض السكرى ، إثر ذلك بدأت تظهر علامات الأنوثة مثل

الثديين ، ضمور العضلات نعومة الجسم ، حتى أنه اضطر إلى ترك مهنته كعامل فنى فى البناء ، لأنه لم يعد يقوّى عليها جسدياً ليؤهل نفسه لمهنة لا تتطلب جهداً جسدياً .

عرض نفسه على أطباء أخصائيين فتبين لهم بعد فحص الهرمونات فى جسمه أنه أميل إلى الأنوثة . عرض علينا تقارير الأطباء بناء على ذلك ، كان يجب أن يعالج بهرمونات الأنوثة بدل المعالجة بهرمونات الذكورة . إن مرض السكرى الذى أصيب به يجعل إجراء عملية جراحية يستأصل فيها عضو الذكورة ، ويعاد فتح عضو الأنوثة محفوفة بالمخاطر ، لذلك يحجم عنها .. وهو الآن ليس له من الذكورة إلى العضو الذى لا وظيفة له ، إذ لا ينتصب ، والغدد فى الجسم لا تفرز المنى ، وليس له من الأنوثة سوى الثديين ، ونعومة الجسم .

انه لا يشعر بأى رغبة جنسية ذكرية أو أنثوية . وهو يشعر أنه أنثى ويعيش وفقاً لذلك بما فى ذلك اللباس .

جاءنا إلى المركز الإسلامى شتو تغارت بعد أن ابتعد عنه المعارف والأصدقاء وبعد أن لقى الصدود من البيئة التى كان يعيش فيها مبدياً رغبته فى التعرف إلى الإسلام ، وربما اعتناقه والسؤال الآن :

هل هذا الإنسان فى رأى الشريعة أنثى يستطيع حضور اللقاءات الإسلامية المقتصرة على النساء ، وهل يجوز دخوله على النساء ؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

المركز الإسلامى شتو تغارت

قسم العمل والعلاقات باللغة الألمانية

الجـواب :

أولا : الإسلام يدعـو المرضى للتـداوى ، ويرشدهم إلى علاج ما ألم بأجسادهم من علل ، وما نزل بأبدانهم من سقم ، وقد جاء فى هدى نبى الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام ، فيما رواه عنه أسامة بن شريك قال : « جاء أعرابى فقال يا رسول الله أنتداوى قال : نعم فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه ، وجهله من جهله »[1]..

وفى لفظ : « قالت الأعراب يا رسول الله انتداوى قال : نعم عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء إلا داء واحداً قالوا يا رسول الله وما هو ؟ قال : الهرم »[2] .

ثانيا : أجاز الإسلام التداوى بإجراء جراحة بقطع عرق أو استبدال عضو ، جاء ذلك فيما رواه جابر قال :

« بعث رسول الله ــ ﷺ ــ إلى أُبَىّ بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً ثم كواه »[3] .

وكما جاء فى حديث عرفجة الذى قطع أنفه يوم الكلاب قال :

---

(١) رواه أحمد ــ نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ص ٢٠٠ .

(٢) رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذى وصححه ــ المرجع السابق نفس الموضع .

(٣) رواه أحمد ومسلم ــ المرجع السابق جـ٨ ص ٢٠٤ .

« أصيب أنفى يوم الكلاب فى الجاهلية فاتخذت أنفاً من ورق (فضة) فأنْتَنَ على ، فأمرنى رسول الله - ﷺ - أن أتخذ أنفاً من ذهب »(٤) .

وتخريجا على ما ذكر فإنه يجوز إجراء جراحة لإظهار علامات الأنوثة المطمورة أو علامات الذكورة المغمورة متى انتهى رأى الطبيب الثقة إلى وجود الدواعى الخِلْقية فى الجسد الذى به علة التداوى والتى لا تزول إلا بالجراحة باعتبارها مُظْهرة لما استتر من أعضاء الذكورة أو الأنوثة ، وتصير هذه الجراحة واجبة متى نصح بها وقررها الأطباء الثقاة ، وتكون علاجاً مأذوناً به شرعاً .

ثالثاً : لما كان الشخص موضوع السؤال ليس له الآن من الذكورة إلا العضو الذى لا وظيفة له ، والغدد فى الجسم لا تفرز المنى وليس له من الأنوثة سوى الثديين ونعومة الجسد وأنه لا يشعر بأى رغبة جنسية ذكرية أو أنثوية ، وهو يشعر أنه أنثى يعيش وفقاً لذلك بما فى ذلك اللباس ، فإنه والحالة هذه يعتبر خنثى خِلْقياً ، فلا يعتبر ذكراً ولا أنثى ، وإنما أمره مُتوقَّف فيه ، فلا يخلو به الرجال ولا يجالسونه لاحتمال أنوثته ، ولا يجالس النساء ولا يخلو بهن أو بإحداهن لاحتمال ذكورته ، وفى كلا الاحتمالين يُتصور حدوث مفسدة بالمخالطة أو الخلوة .

وإذْ كان ذلك يستمر التعامل مع هذا المخنث المشكل بهذا الحكم إلى حين تمام علاجه ، واستقرار حالته ، باطمئنان لجنة طبية متخصصة لما تنتهى إليه حاله فيتميز بالذكورة أو بالأنوثة ، وحينذاك يلحق بنوعه من غير توقع أو وقوع مفسدة يخشى منها ، والأخذ بهذا هو الأحوط الذى تحرص عليه شريعة الإسلام وتتطلبه رعاية لحق المجتمع .

رابعاً : الإنسان المسئول عنه لا يعتبر بحاله الموصوفة فى رأى الشريعة أنثى لأنه ولد وله عضو الذكورة والأنوثة ، ويستطيع هذا الشخص حضور اللقاءات الإسلامية المقتصرة على الرجال ويجلس خلف صفوفهم ، ويستطيع كذلك حضور اللقاءات الإسلامية المقتصرة على النساء ويجلس أمام صفوفهن ، ولا يجوز دخوله على النساء لجواز علاجه بهرمونات الذكورة مرة أخرى وشفائه من أمراضه وتعود إليه الذكورة كما كان الحال سابقاً .

لما كان ذلك :

كان الأحوط لحكم الله التوقف عن مخالطة هذا المخنث المشكل النساء والخلوة بهن أو بإحداهن وكان من الأحوط - لحكم الله تعالى كذلك - ألا ينفرد به رجل ، وذلك إلى أن يستبين ويستقر حاله بيقين ، أو يقضى الله فيه أمره .

وبالتالى فلا يُرخَّص له بحضور المجالس المقصورة على النساء ولا دخوله عليهن .

وبهذا يُعْلم الجواب إذا كان الحال كما ورد بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر
جاد الحق على جاد الحق

---

(٤) صحيح الترمذى بشرح ابن العربى المالكى جـ٧ ص٢٦٩ و٢٧٠ ط أولى المطبعة البهية المصرية بالأزهر سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م .

مع
سُورَةِ الأنفَال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩)
وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ
لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) ۞ وَإِن جَنَحُوا
لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)

المعنى الذى تدور عليه الآية والذى لا يخلو منه وجه من أوجه القراءة التى قرئت بها ، هو تيئيس الكفار من الإفلات والهرب من العقوبة ، وأن الله لا يعجز عن إدراكهم . وقراءة حفص وجماعة معه « ولا يحسبن » بياء الغيبة . ويحتمل إعرابها وجوها :

منها أن يكون أحد مفعولى « يحسب » محذوفا . أى لا يحسب الذين كفروا أنفسهم قد أفلتوا من العذاب . فالذين كفروا فاعل للفعل يحسب ، ويمكن أن يكون الفاعل هو المحذوف ، أى لا يحسب أحد ، أو لا يحسب فريق المؤمنين أو الرسول ، أو الحاسب أيا كان ، وعليه يكون الذين كفروا سبقوا مفعولى الفعل ، والآية إذن تشجيع للمؤمنين وتثبيت لهم بما تبثه فى نفوسهم من أن أعداءهم بصدد أن يلقو العذاب .

وقرأ جمع من القراء : « ولا تحسبن » بتاء المخاطب ، ويكون الخطاب للنبى ﷺ فالآية تسلية له وإعلام بأن أعداءه سينالهم العذاب أو هو خطاب لكل من يتأتى له الخطاب فالآية بهذا راجعة إلى عموم الفاعل . لا يحسب أحد ــ وقرئت أيضا « ولا تحسب » بدون توكيد ، وتحرك الباء بالكسر لالتقاء الحرفين الساكنين ، وتفتح على أنها مؤكدة بنون توكيد خفيفة محذوفة .

وقرئت جملة « إنهم لا يعجزون » بكسر إن على أن الجملة مستأنفة . وبفتح أن ــ على تقدير حرف جر محذوف أى لأنهم لا يعجزون . وقرأ ابن مسعود أنهم سبقوا ــ والمعنى واضح فيها لا ينبغى لهم أن يظنوا أنهم أفلتوا .

ولا نذهب وراء أنواع الإعراب والقراءات ، وهى كلها تتلاقى عند المعنى العام الذى ذكرناه فهم لا يعجزون الله أن ينالهم بعقاب فى الدنيا وفى الآخرة ، أو لا يعجزون المسلمين أن ينتصروا عليهم فى مواقع أخرى ، وفى كلا الوجهين تسلية لرسول الله ﷺ والمؤمنين معه .

وقرىء « أيضاً » لا يعجزونِ ــ بكسر النون أى لا يعجزوننى ، فحذفت إحدى النونين وياء المتكلم تخفيفا ، والكسرة دالة على الياء ، ويبدو التشجيع للمؤمنين ظاهراً أيضاً على هذه القراءة ، لأن الله ــ سبحانه ــ مع المؤمنين ، وهم لا يعجزونه ــ فلا يعجزون المؤمنين .

وناسب هذا التشجيع أن يؤمر المؤمنون بإعداد آلات الحرب لهم ، فقال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » أى أعدوا لقتال المشركين أو قتال الذين نبذوا العهد كل ما تستطيعونه من أنواع القوى وآلات الانتصار . وقد انتصر المسلمون يوم بدر ولم يكن لهم استعداد تام لمعركة كبيرة كهذه ، وكان انتصارهم معجزة هيأها الله سبحانه لأول معركة يخوضها المسلمون ، فنبهوا على أن هذا ليس مطرداً ، ولا يحدث فى كل زمان ومكان . وقد فسر ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ القوة بأنواع الأسلحة ، وقال عكرمة هى الحصون والمعاقل ، وجاء فى خطب رسول الله ﷺ : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » « ألا إن القوة الرمى ، ألا إن القوة الرمى ــ أعادها ثلاثا » .

والآية عامة تشمل كل أنواع القوى . وهى فى كل زمان بحسب تطوره ، وقد كانت الرماية فى عهد الرسالة هى القوة الأولى ، فحث عليها رسول الله ﷺ وقال عمر : علموا أولادكم الرماية وركوب الخيل ، وهناك أحاديث كثيرة تمدح

الرمى وتحث عليه وتأمر بتعلمه . ومنها : « كل شىء من لهو الدنيا باطل . إلا ثلاثة : انتضالك بقوسك ، وتأديبك فرسك ، وملاعبتك أهلك ، فإنها من الحق » . وتأديب الفرس : تدريبها وتعليمها ، وجاء أيضا : « انتضلوا واركبوا ، وأن تنتضلوا أحبُّ إلىّ » .

وفى وقتنا شاع صنع القنابل والصواريخ وظهرت آلات التدمير الشامل ، والأقمار الصناعية ووسائل كشف خفايا الأعداء ، وغيرها من التقنيات الحديثة فى الحروب ، والإسلام يدعو لتعلم كل ذلك . وتشمله كلمة « ما استطعتم من قوة » ورباط الخيل ـ قد يكون بمعنى المرابطة ، أو هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله وقد قرىء « ومِنْ رُبُطِ الخيل » ـ فهى جمع رباط . وخصصت الخيل من بين أنواع القوى العديدة ، وهى داخلة فيها ، لما لها من أهمية أكبر ، وقد كانت كذلك فى أيام الحرب البدنية التى كانت تعتمد على المواجهة والمبارزة ، ولا يزال لها آثار فى استعدادات الحروب وإن كانت الآلات المدمرة قد أصبحت عمدة المحاربين . ولكل زمن آلاته الحربية .

« ترهبون به عدو الله وعدوكم » أى تخيفون الأعداء ، وتملأون قلوبهم خوفاً منكم وفزعاً ، فلا تحدثهم أنفسهم بين حين وحين بالهجوم عليكم « وعَدو الله » . أى أعداؤه وأعداء المسلمين ، قيل هم مشركو مكة . وهذا واضح جداً لأنهم استهانوا بالمسلمين يوم بدر وأبوا أن يرجعوا ، ولو كانوا يعلمون أنَّ لدى المسلمين قوى قاهرة لرهبوهم ، وتحاشوا حربهم ، ثم هم رغم هزيمتهم يوم بدر عادوا يتحرشون بالمسلمين وقد جمعوا لحربهم القبائل يوم الأحزاب ، وهناك أعداء آخرون لا يعلمهم المسلمون . والله ـ سبحانه ـ يعلمهم . وهؤلاء هم اليهود ـ معلنو يهوديتهم ـ أو هم المنافقون . وقيل هم : أهل فارس والروم ، والمسلمون لم يكونوا يعرفونهم .

وأطلقت الآية العلم على المعرفة ، وهذا شائع كثير ، ولذا تعدى الفعل إلى مفعول واحد .

وأعداء الله هم : أعداء دينه ذوو الشرك ، وأعداء المسلمين هم : محاربوهم الذين يتربصون بهم دوائر السوء ، وكان أهل مكة يجمعون الصفتين كلتيهما . وعلى الأخص عقب غزوة بدر ، وفيهم نزل قول الله تعالى : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » .

وأيا ما كان الأمر فإن أعداد العدو التى تخيف العدو وترهبهم ، تحملهم على الإحجام عن غزو المسلمين ، وتقطع أطماعهم فى النيل منهم ، كما أنها ترهب الآخرين ممن قد تحدثهم أنفسهم بغزو المسلمين والعدوان عليهم .

ونحن معاشر المسلمين نعانى الآن نقص عدة القتال ، ولذا طمع فينا أعداؤنا من هنا ومن هناك ، والمسلمون الآن فى عدد من بقاع الأرض يعتدى عليهم ، بل لقد تفاخر أعداؤنا وتفاحشوا وعملوا ما لم يكن مشركو العرب يعملونه ، ولو كان لنا قوى كالتى لدى الدول الأخرى لرهبنا عدونا : عدو الله وعدو الإسلام .

ويمكن أن تتضمن الآية هؤلاء الأعداء المعاصرين . فإن المسلمين الذين نزل القرآن فى عهدهم لم يكن لهم علم بهؤلاء ، ولكن الله وحده

يعلمهم . وعلينا أن نعمل جاهدين أو تكون لنا قوة ترهب ، ولكل أجل كتاب ، ولا يأس من روح الله .

ومن هذا يتضح أن الإسلام ليس دين عدوان ، ولا متشوقاً لحرب المسالمين وإنما ينشد القوة ليحمى نفسه ويرد أعداءه . وناسب ذلك الحث على الاستعداد . « وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

وهذا حث واضح ، لأن الاستعداد يحتاج إلى إنفاق المال ، وغير المال من الجهد والتفكير وتدبير الحرب .. ولذا قالت الآية : « وما تنفقوا من شيء » . أى شيء قليلًا كان أو كثيراً ، ومن أى نوع من الإنفاق . « يوفَّ إليكم » والموفى لهذا الجزاء هو الله العليم بكل شيء . « وأنتم لا تظلمون » .

لا تظلمون فيما تنالونه من ثواب على ما أنفقتم فجزاؤكم من الله وعدكم به ، ولا أحد أوفى بعهده منه ـ سبحانه ـ وأيضا بهذه العدة ، لا تظلمون من أعدائكم بعدوانهم عليكم ، إذ يرهبون ما لديكم من القوى ، كما أن خوف العدو وتراجعه أو قطع أطماعه من النيل من المسلمين ، مما يبعث الأمن والطمأنينة فى النفوس ، وهذا جزاء أيضا .

والتوفية تعنى الجزاء كاملا غير منقوص ، وقد يزاد عليه ، وهذه التوفية فى الدنيا وفى الآخرة ، وسبيل الله ـ فى هذا المقام ـ هو الجهاد والاستعداد لطوارىء الحروب ، ولكنه يشمل أيضا كل عمل لإنهاض الإسلام ونشر مبادئه فمساعدة المحتاجين ، وبناء المساجد . ورعاية مصالح الأمة فى أى عمل مع الاخلاص فيه وقصد مرضاة الله . كل ذلك « فى سبيل الله » . وأنه مما يذرى بالأمة ، ويشيع فيها الضعف الذى يطمع فيها الأعداء ، أن تكون مرافقها العامة مهملة ، وأن يكثر فى أبنائها المرض ، أو أن يشيع فيها الجهل والتأخر الفكرى . وإذن فكل عمل لإنشاء دور تعليم أو مصحات أو إصلاح طرق ، أو استصلاح أراض للزراعة .. كل ذلك إنفاق فى سبيل الله . وكل إنفاق فى سبيله له ثوابه من رب العالمين .

ومن هذا نرى أن الإسلام ينشد السلام وحقن الدماء . ويحث على العمل لإسعاد الناس واطمئنانهم ، ولذا لا يلجأ إلى الحرب إلا عندما تدعو إليه الطوارىء والظروف ، والظروف متغيرة متطورة دائما ، والاستعداد للحروب وإرهاب الأعداء هو فى حقيقته إقرار للسلم لأنه يُوئِس الأعداء من الانتصار فيكفون عن الحروب .. وقد جاء فى هذا الصدد قوله تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » .

والجنوح الميل إلى الشيء ، يقال جنح له وإليه ، وجنح إلى جانب الطريق وجنح إلى مذهب فلان ، وفريق جنح إلى بنى هاشم بينما جنح فريق آخر إلى بنى أمية ، وكلها بمعنى مال إليه واختاره . والفعل « جنح » مفتوح العين فى الماضى والمضارع ـ كنهض وبرع ـ وجاء أيضا بوزن « قعد » وقرىء : « فاجنُحْ لها » بضم النون .

والآية نزلت فى البيداء قبل غزوة بدر ، وهى تبين مدى ما كان ، والسِّلم هو السلام . وجاء بفتح السين وبكسرها ، ويؤنث فى مقابلة الحرب المؤنثة ـ وجاء فى الشعر :

السلـــم تأخـــذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسهـا جُرَعُ

فهما معا مؤنثان . وبعض العرب يذكرهما .

يعنى إذا مال خصومك إلى السلام وترك الحرب ، فمل أيضا إلى السلام وفوض أمرك إلى الله تعالى ، ولا تخف كيدهـم فإن الله ناصرك بسبب ما أنت عليه من حق .

صدرت الآية ب « إن » التى للشك فى حدوث ما يقع بعدها ، فهى توحى بأنهم لن يجنحـوا للسلم ، ولم يثبت قط أن مشركى مكة جنحوا للسلم ورغب عنه رسول الله ﷺ وقد أجابهم إليه يوم الحديبية ، ولكنهم ظلوا مصرين على حربه حتى بعد فتح مكة .

وقيل : الآية منسوخة بالآية « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله » وقال مجاهد ناسخهـا « فاقتلـوا المشركين حيث وجدتموهم » . وقيل : أمر الحرب والمسالمة هلى ما يرى الإمام . وقيل أيضاً : إنه لا يهادن الإمام أكثر من عشرة أعوام . وذلك أسوة بما فعل رسول الله ﷺ فى عهد الحديبية .

وقيل : إن الآية نزلت فى شأن بنى قريظة الذين نقضوا العهد . وعلى هذا فهى من الإنباء بالغيب ، لأن سورة الأنفال كلها نزلت فى غزوة بدر .

والأولى أن تكون عامة لأن مشركى العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام ، وقد قال الله تعالى : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » .. ثم نسخت بعد أن تقَّوًى المسلمون ، والإسلام يدعو للجهاد ولكنه لا يرى للمسلمين أن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة ، ولذا رفض عمر غزو قبرص حين طلبه معاوية ، وقال لعمرو حين غزا مصر : لا أريد أن يكون بينى وبين الجيش ماء ، أريد متى أردت أن أصل إليه اركب راحلتى وأذهب إليه ، أو ما هو بمعنى ذلك .

وذيلت الآية بقوله تعالى : « أنه هو السميع العليم » إلحاقاً وتوضيحاً لجملة « وتوكل على الله » فهو سميع لما يقولونه . عليم بما تكن ضمائرهم .

قبس من أنوار النبوة

الرياء يمحق العبادة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن شداد بن أوس : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

من صلَّى يرائى فقد أشرك ، ومن صام يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد أشرك ...

... قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿ أنا خير قسيم لمن أشرك بى ، من أشرك بى شيئا ؛ فإن حشده ـ عمله قليلة وكثيره ـ لشريكه الذى أشرك به وأنا عنه غنى ﴾ . رواه أحمد ٤/ ١٢٦ (الميمنية) .

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان آخر الزمان صارت أمتى ثلاث فرق : فرقة يعبدون الله خالصاً ، وفرقة يعبدون الله رياء ، وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس » .

فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال للذى يستأكل الناس : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ فيقول : وعزتك وجلالك أستأكل به الناس . قال : لم ينفعك ما جمعت انطلقوا به إلى النار . ثم يقول للذى كان يعبد الله رياء : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ قال : بعزتك وجلالك رياء الناس . قال : لم يصعد إلى منه شىء انطلقوا به إلى النار ثم يقول للذى كان يعبده خالصاً : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ قال : بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك من أردت به . أردت به ذكرك ووجهك . قال : صدق عبدى انطلقوا به إلى الجنة .

رواه الطبرانى

الإخلاص هو إتقان العبادة والعمل وإحسانهما ، كأن العابد أو العامل يرى ربه وهو يعبده . فإن لم يكن العبد يرى ربه فإن ربه يراه « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ » . سورة الحديد / ٤

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

سورة الملك / ١٣ ، ١٤ .

الإخلاص هو خشية الله ومراقبته فى السر والعلن ، واستواء ما ظهر من عبادة المرء وما بطن . إنه النية الصادقة التى تحوِّل العمل الدنيوى إلى عبادة مقبولة .

روى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : من بنى بنيانا فى غير ظلم ولا اعتداء ، أو غرس غرسا فى غير ظلم ولا اعتداء ، كان له أجرا جاريا ما انتفع به أحد من خلق الرحمن ـ تبارك وتعالى .

ومن هنا قال النبى ﷺ « أخلص دينك يكفك العمل القليل » رواه الحاكم .

وإذا امتزج العمل الصالح أو العبادة بخبث النية أو سوء الطوية كان هذا رياء وشركا بالله رب العالمين . والرياء من أخطر الآفات والعلل التى تقذف بصاحبها فى سواء الجحيم . ولقد حذرنا الإسلام فى كتاب ربنا ، ومنهج نبينا ؛ أن من نوى السمعة والصيت بعمله لا يقبله الله ؛ لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه » رواه أبوداود .

يقول النبى ﷺ : فيما رواه الطبرانى : « ما من عبد يقوم فى الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمع الله به على رءوس الخلائق يوم القيامة » .

وإن تمام الفوز بثواب العمل كاملا أن يجعل لله خالصا وخاليا من الرياء والشرك .

أخرج الدارقطنى عن الضحاك بن قيس الفهرى ، أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ـ تعالى ـ يقول : أنا خير شريك ، فمن أشرك معى شريكا فهو لشريكى ، يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله ـ تعالى ـ ، فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له ، ولا تقولوا : هذا لله وللرحم فإنها للرحم ، وليس لله منها شيء ، ولا تقولوا : هذا لله ولوجوهكم ، فإنها لوجوهكم وليس لله منها شيء » .

والخسارة فادحة لمن يعبدون غير الله ، أو يقدمون العمل الصالح يرجون الثناء من الناس وحسن الذكر ، أو يسخرون الدين نفسه فى التقرب من كبير ، أو الاستحواذ على عرض حقير .

روى الدارقطنى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « يجاء يوم القيامة بصحف مُخَتَّمة فتنصَب بين يدى الله ـ تعالى ـ فيقول الله ـ تعالى ـ للملائكة : القُوا هذا واقبلوا هذا ، فتقول الملائكة : وعزتك ما رأينا إلا خيرا ، فيقول الله ـ عز وجل ـ وهو أعلم : إن هذا كان لغيرى ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما ابتغى به وجهى .

والمرائى ، المتظاهر أشد خطرا وأكثر فتنة من المسيخ الدجال ـ وعلى أهل الإيمان أن يحذروا منه ، وأن يتوجهوا إلى الله مخلصين له الدين .

أخرج ابن ماجه فيما رواه أبو سعيد الخدرى قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيخ الدجال ، فقال : ألا أخبركم بما هو أخوفه

عليكم من المسيخ الدجال ؟ قال : فقلنا : بلى يا رسول الله ، فقال : الشرك الخفى ، أن يقوم الرجل يصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل » أى من نظر رجل آخر إليه - والله أعلم .

قد يصلى الرجل مرائياً .. وهذا قد توعده الله بالويل والخسران والهلاك . قال الله تعالى : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

وفد على عمر بن عبدالعزيز بلال بن بريدة فجعل يصلى ويطيل الصلاة ، فقال عمر - رضى الله عنه - للعلاء : « أترى ذلك تصنعاً ، فقال العلاء : أنا آتيك بخبره يا أمير المؤمنين . فأتى إلى بلال بين العشائين ، فوجده يصلى ، فقال له : خفف صلاتك فإن لى إليك حاجة فخفف وسلم وقال : ما الحاجة ؟ فقال له العلاء : تعرف محلى من أمير المؤمنين ؛ فإن أنا أشرت بك عليه فى ولاية العراق فما تجعل لى ؟ قال : لك علىَّ عمالة سنة - وكان مبلغ عشرين ألف درهم - فسأله العلاء أن يكتب له بذلك شرطا على نفسه فكتب له . فأتى العلاء بالشرط إلى عمر ، فلما قرأه قال : غرنا بالله فكدنا أن نغتر . كنا نظنه ذهبا فلما سبكناه وجدناه خبثا .

وهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه - يرى رجلا - يطأطئ - رقبته وهو يسير ، فيقول : يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ، ليس الخشوع فى الرقاب ، إنما الخشوع فى القلوب .

ورأى أبو أمامة الباهلى - رضى الله عنه - رجلا فى المسجد يبكى فى سجوده ، فقال : أنت انت ... لو كان هذا فى بيتك !

قد ينفق المرء فى وجوه الخير ، وقد يتصدق على الفقراء والمحتاجين . ولكن قد يداخله حب الرياء والثناء من الناس عليه ، وهذا خطره جسيم . والله - عز وجل - يحذرنا من ذلك فيقول : ﴿

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ۝٣٨ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ۝٣٩ ﴾

سورة النساء / ٣٨ ، ٣٩

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾

سورة البينة

جاء فى صحيح مسلم الذى رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما علمت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرئ ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم ، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ ،

فقد قيل . ثم أمر فسُحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسَّع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار .

وقد رأى شداد بن أوس وجه رسول الله ﷺ متغيرا فتألم وقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما الذى أرى بوجهك ؟ قال أمر أتخوفه على أمتى من بعدى ، قلت : يا رسول الله وما هو ؟ قال : الشرك والشهوة الخفية ، قلت : يا رسول الله أوتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : يا شداد أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكنهم يراءون بأعمالهم . قلت : والرياء شرك هو ؟ قال : نعم .

فاحذر أيها المؤمن من الرياء فى كل عمل ؛ فهو العلة وسبب الشقاء ، فالمرائى ملعون ولا نجاح لمن لعنه الله . وها هو رسول الله ﷺ « من تزين بعمل أهل الآخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها لعن فى السموات والأرض .

وقال ﷺ لمن سأله قائلا : « ما النجاة غدا يا رسول الله ؟ فقال : ألا تخادع الله ، فقال : وكيف أخادع الله ؟ فقال : أن تعمل بما أمرك الله ورسوله وتريد به غير وجه الله » .

اللهم أرزقنا الإخلاص فى القول والعمل . واهدنا سواء السبيل

إمام القادة صلى الله عليه وسلم

لواء أ.ح/ محمد جمال الدين محفوظ

● محمد رسول الله ﷺ ، اصطفاه الله ليبلغ أعظم رسالة ، وجعله تحت حراسته وعنايته ، وخصه بعميم فضله وكرامته ، وجمع له رفيع الخصال حتى استوفى من مكارم الأخلاق كل مكرمة لم ينلها إنسان قبله ولا بعده حتى وصفه الله بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

سورة القلم ـ آية : ٤

● وفى مجال القيادة ، اجتمع فى رسول الله ﷺ من الصفات والقدرات « ما تفرق فى غيره » ، فهو المثل الكامل والقدوة المثلى كما يقول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

سورة الأحزاب ـ آية : ٢١

● وإذا كان القادة العسكريون يتعلمون فنون القيادة والحرب « على يد غيرهم » من القادة والمعلمين فى المعاهد العسكرية ، فإن الرسول ﷺ « لم يأخذ عنه غيره » ، وإنما أخذ عن الله ـ جل شأنه ـ حيث قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ١١٣

فلا عجب إذن أن يظهر عليه الصلاة والسلام فى أمور الحرب والصراع مالا يتسامى إليه القادة الذين تعلموا فنونها ، واتخذوها صناعة .

● ومنذ بدأت الدعوة الإسلامية ، بدأ معها صراع طويل واجه فيه المسلمون أعداءا يريدون القضاء عليهم وصدهم عن سبيل الله ، مستخدمين كل أساليب المقاومة والضغط والحرب ، لكن الرسول القائد ﷺ ـ بسياسته الحكيمة ، وقيادته الرشيدة ـ استطاع بإذن الله أن يحقق « الحسم الاستراتيجى » لصالح الدعوة الإسلامية على نحو تجاوز إحراز النصر على أعدائه ، وبلغ حد « تحويل

اتجاهاتهم » من العداء للإسلام إلى اعتناقه ، وليس ذلك فحسب ، بل إلى رفع راية الجهاد فى سبيل الله .

شـــهادة التـاريخ :

● وقد شهد التاريخ أنه فى غضون عشر سنوات بعد الهجرة ، استطاع الرسول ﷺ أن ينشىء أمة ، ويقيم دينا ، ويضع تشريعا ، ويربى جيلا ، ويبنى جيشا ، ويؤسس حضارة إسلامية ازدهرت قرونا عديدة ، ويكفيه فضلا من الله عليه وعلى أمته ، أننا لا نجد نبيا من الأنبياء « ترك أمته » على مثل الحال التى ترك سيدنا محمد ﷺ أمته عليها ، فلم يلق صلوات الله وسلامه عليه ربه ، حتى استقرت أمته بشعبها الممتاز ، وحكمها العادل ، وتشريعاتها الكاملة ، وجيشها العظيم المنتصر ، وجزيرتها العربية الخالصة لها .

● ومنذ عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، بدأ صراع بين المسلمين وبين أعظم قوتين عالميتين فى ذلك الوقت ، وهما فارس فى الشرق ، والروم (البيزنطيون) فى الشمال والغرب ، وقد كانت الأمة الإسلامية قادرة على مواجهة ذلك التحدى الكبير بفضل الله ، فكانت المحصلة النهائية لذلك الصراع الطويل ؛ انتصار المسلمين على كلتا الإمبراطوريتين بكل ما وراءهما من تاريخ حربى طويل وخبرة عميقة بفنون الحرب والقتال ، هذا فضلا عن أن الأمة الإسلامية كانت أمة رائدة للحضارة الإنسانية فى ميادين العلوم الطبيعية والاجتماعية .

الصـراع فى عهـد النبـوة :

● وقد قاد الرسول ﷺ ثمانى وعشرين غزوة خلال سبع سنين بعد الهجرة ، فقد خرج إلى غزوة ودان ــ وهى أولى الغزوات فى صفر من السنة الثانية للهجرة ــ وكانت غزوة تبوك آخر غزواته فى رجب من السنة التاسعة للهجرة .

● وإلى جانب الغزوات ، بعث ــ عليه الصلاة والسلام ــ أصحابه فى عدد من السرايا يقترب من الخمسين خلال تسع سنوات ، ابتداء من سرية حمزة بن عبد المطلب ــ رضى الله عنه ــ التى بعثها إلى العيص فى رمضان من السنة الأولى للهجرة ، وانتهاء بسرية على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ــ التى بعثها إلى بلاد مُذْحِج فى اليمن فى رمضان من السنة العاشرة للهجرة .

● ولقد حدد الرسول القائد ﷺ « الهدف الاستراتيجى »(1) منذ بداية الصراع حين قال وهو يدعو ربه فى أولى الغزوات الحاسمة وهى غزوة بدر الكبرى : « اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض »(2) وبتحديد هذا الهدف ربط الرسول ﷺ بين مستقبل الدعوة وأمن المسلمين ، وبين القدرة على الدفاع عنها ، وجعل بناء القدرات الدفاعية « قضية أمن ومصير » .

● وقد أثبت المسلمون بقيادة الرسول ﷺ أنهم قادرون على القيام بكفاءة عالية بأعمال القتال على اختلاف أشكالها مثل عمليات الاستطلاع

(1) « الهدف الاستراتيجى » هو الهدف الذى يسبب للعدو ــ أثناء سير الصراع المسلح من الأضرار ما يؤدى إلى إحداث تغييرات حادة فى الموقف العسكرى والسياسى ويؤثر تأثيرا بالغا على تطور الصراع المسلح ككل .

(2) ابن هشام : السيرة النبوية ــ القسم الأول (جـ ١ ، ٢) ص ٦٢٧ .

والإغارة والدفاع والهجوم[٣] والحصار والمطاردة وغيرها ، فنجاح المسلمين فى هذه العمليات المنوعة شهادة من التاريخ على ما كان يتمتع به جيش الإسلام الأول من كفاءة قتالية عالية ، ودليل ناصع على أصالة مبادىء العسكرية الإسلامية التى تعلمها المسلمون ودربوا عليها على يد الرسول القائد ﷺ قائد المدرسة العسكرية الإسلامية ومعلمها الأول ، إذ ليس من شك فى أن المعارك الحربية هى « المحك » الذى تظهر فيه قيمة النظريات والمبادىء العسكرية ومستوى التدريب والاستعداد القتالى للجيوش .

● ثم إن المسلمين من خلال تلك العمليات « اكتسبوا » خبرات قتالية فى مواجهة القوات غير النظامية كالمشركين واليهود ، والجيوش النظامية كالروم ، وعلى أساس تلك الخبرات أصبحوا مؤهلين عسكريا لمواجهة الفرس والروم بعد عصر النبوة ومنذ عهد الخليفة الأول كما قدمنا .

● والنظرة الشاملة لغزوات الرسول ﷺ خلال سنوات الصراع توضح ما يلى :

فى السنة الأولى للصراع (وهى السنة الثانية للهجــرة) قاد عليــه الصلاة والسلام ثمانى غزوات ، وفى السنة الثانية للصراع (٣ هـ) قاد أربعا ، وفى السنة الثالثة (٤ هـ) قاد ثلاثا ، وفى السنة الرابعة (٥ هـ) قاد أربعا ، وفى السنة الخامسة (٦ هـ) قاد ثلاثا ، وفى السنة السادسة (٧ هـ) قاد اثنتين ، وفى السنة السابعة (٨ هـ) قاد ثلاثا ، وفى السنة الثامنة . للصراع (٩ هـ) قاد غزوة واحدة ، بعبارة أخرى كان عدد الغزوات السنوية خلال فترة الصراع موزعا على التوالى كالآتى : ٨ ـ ٤ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٣ ـ ٢ ـ ٣ ـ ١ .

● وبدراسة هذا التوزيع الكمى والزمنــى للغزوات يمكن استخلاص ما يلى :

١ ـ أن الرسول ﷺ « لم يتخلف » عن مباشرة قيادة العمليات العسكرية « طوال » فترة الصراع (من سنة ٢ هـ إلى سنة ٩ هـ) .

٢ ـ وأنه عليه الصلاة والسلام قاد « أكبر عدد » من العمليات وهو ثمانى غزوات خلال العام الأول للصراع بينما كان عدد العمليات التى قادها فى كل عام بعد ذلك لا يتعدى ثلاث أو أربع عمليات .

● ويستفاد من ذلك أن الرسول ﷺ قد قرر مبدأ هاما من مبادىء القيادة هو أن « إعداد قادة المستقبل » من أسمى مهام القيادة ، وأن قيمة أية قيادة تقاس بمقدار ما صنعت وقدمت لأمتها من رجال صالحين لتولى القيادة وهو ما نوضحه فيما يلى :

(١) إن التركيز على قيادة الرسول ﷺ لأكبر عدد من العمليات فى « أولى » سنوات الصراع (٨ غزوات) أمر له دلالته التى لا تغيب عن القائد الخبير بالقيادة وفن الحرب ، فمن حيث إعداد القادة وإعداد المقاتلين فإن

(٣) ليس صوابا فهم الهجوم على أنه مرادف للعدوان ، لأن الهجوم فى الفن العسكرى عمل من أعمال القتال تتحرك فيه القوة نحو العدو لضربه ، وتقتضيه الظروف فى العمليات الدفاعية ، وقد اشتملت الغزوات والسرايا على أعمال هجومية فى إطار الاستراتيجية الإسلامية للدفاع عن الدعوة .

هذا التركيز ضرورة حيوية ، لأن أولى سنوات الصراع تعد مرحلة « تدريب أساسى » ، يكونون فيها فى حاجة إلى « الإشراف المباشر والموصول » من القائد المعلم شخصيا ، حيث يقدم لهم المثل والقدوة فى القيادة والتفكير والتخطيط والقتال .

(٢) وقادة الوحدات الفرعية التى يتألف منها الجيش يباشرون القيادة تحت سمعه وبصره ، ويتلقون أوامره وتوجيهاته ، ويرون أسلوبه فى التفكير وتقدير المواقف واتخاذ القرارات والتخطيط للمعركة وإدارتها والتصرف فى مواقعها ، وتلك فرصة طيبة « للتعلم على الطبيعة » واكتساب الخبرة القتالية فى الوقت نفسه .

(٣) ولما كان الرسول القائد ﷺ حريصا على مشورة أصحابه ، فإنهم بذلك يتدربون تدريبا عمليا على أهم « مهارات القيادة » وهى فن التفكير واستخدام العقل والتعبير عن الرأى من خلال مشاركتهم للقائد المعلم فى مرحلة التخطيط للمعارك ، ومن أمثلة ذلك أنه ﷺ استشار أصحابه فى « مبدأ قبول المعركة » فى غزوة بدر ، كما نزل على مشورة « الحباب بن المنزر » فانتقل بالجيش إلى الموقع الذى أشار به لأنه يتحكم فى بئر بدر .

(٤) ثم إن هذا الأسلوب يفيد قادة المستقبل ؛ من حيث إنه يكسبهم القدرة على إصدار القرارات السليمة فى وقتها المناسب مما يعد من أهم خصائص القيادة الناجحة ، ذلك لأن مشاركتهم للقائد فى التخطيط تتيح لهم معرفة عميقة بفكره وأهدافه ، وإحاطة وافية بجوانب الموضوعات والقضايا المتعلقة بالصراع واستراتيجيته ، مما يمكنهم من اتخاذ القرارات فى المواقف التى يواجهونها « دون الحاجة » إلى الرجوع إلى القيادة العليا ، وخاصة فى المواقف المفاجئة أو التى لا تحتمل التأخير .

النتائج الاستراتيجية للغزوات والسرايا :

● ولقد تحقق - بفضل الله - « الهدف الاستراتيجى » الذى حدده الرسول ﷺ وهو يدعو ربه فى بدر كما قدمنا ، وهو « تأمين الدعوة وقيام الدولة الإسلامية وتوحيد شبه الجزيرة العربية لأول مرة فى التاريخ تحت لواء الإسلام » ، وكان من تحقيق هذا الهدف :

- أن قريشاً وهى « الخصم الأساسى » أقبلت على الإسلام بعد أن ظلت عشرين عاما تصد عن سبيل الله بأساليب الضغط والإيذاء والحرب .

- وكذلك عاد المستضعفون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، إلى بلدهم تحت أعلام الإسلام والسلام .

- وأتم الرسول ﷺ - فى أول يوم لفتح مكة - مادعا إليه منذ عشرين عاما ، وحاربته قريش أشد الحرب فيه ، وهو تحطيم الأصنام والقضاء على الوثنية فى البيت الحرام .

- ومن ثم توفر للدولة الإسلامية الأمن والاستقرار لكى تؤدى رسالتها السامية لخير البشرية .

رواية الحديث وعلاقته بالنحو

د/ جمال عبد العزيز أحمد

يقف الحديث الشريف إلى جانب القرآن الكريم فى كل قضاياه ، ومكانة السنة فى التشريع لا ينكرها إلا من ينكر عقله أو من يُغالط فى الحقائق نفسَه ، فهى الأصل الثانى الذى تُستَقى منه الشريعة ، ولذا فإن حاجة المحدثين إلى النحو لا تقل بحال عن حاجة المفسرين إليه ؛ فإن فيه حصانة الإنسان من اللحن والتحريف ، ومن ثمَّ تكلم كبار المحدثين والمشتغلين بعلوم الحديث حول هذا المطلب ، وأفاضوا فيه ، من ذلك ما يحكيه السيوطى نقلا عن ابن الصلاح ـ رضى الله عنه ـ قال[1] :

« وأما الحديث فقد قال ابن الصلاح « فى علومه » : ينبغى ألا يروى حديثه بقراءة لحّان ، ثم روى عن أبى داود السبخى قال : سمعت الأصمعى يقول : إن أخوَفَ ما أخافُ على طالب الحديث ـ إذا لم يعرف النحو ـ أن يدخل فى جملة قول النبى ﷺ : « من كذب علىَّ فليتبوأْ مَقْعَدَه من النار » ؛ لأنه ﷺ « لم يكن يلحنُ ، فمهما رويت عنه ولحنتَ فيه فقد كذبتَ عليه »[2] .

(*) الكاتب مدرس مساعدبكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

(١) المطابع السعيدة (رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر الشريف ـ كلية اللغة العربية تحقيق نبهان ياسين سنة ١٩٧٥) ص ٣٧ ، وانظر فى « علوم الحديث لابن الصلاح » شرح وتحقيق نور الدين عتر : ص٢١٨ ، والتقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ العراقى ص٢٢٨ . ٣٣٠ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى : كتاب العلم ـ باب « إثم من كذب على النبى ـ ﷺ ـ بلفظه ٣٨/١ ، وفى صحيح مسلم بزيادة لفظ معتمدا » : المقدمة ـ باب تغليظ الكذب على رسول الله ـ ﷺ ـ برقم ٣ ، ١٠/١ ، ومعجم الأدباء ٩٠/١ ـ ٩١ والصعقة الغضبية فى الرد على منكرى العربية : ١٣٢ .

قال ابن الصلاح[٣] : فحقٌّ على طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة مايتخلص به من شيئين : اللحن والتحريف ومعرتهما ، وروينا عن شعبة قال : « من طلب الحديث ولم يُبْصِر العربية - أو قال النحو - فمثله مثل رجل عليه بُرْنُسٌ ليس له رأس »[٤]، أو كما قال .

وحدَّث التنوخى عن جابر قال : قلت للشَّعْبِىّ : أسمع الحديث بغير إعراب فأعربه ؟ قال : نعم ، لا بأس .

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن شعبة قال[٥] : « إذا كان المحدِّثُ لا يعرف النحو فهو كالحمار تكون على رأسه مخلاة ليس فيها شعير » .

ويقول الشيخ الأنصارى[٦] : فحقٌّ النحوُ واللغة ، أى واجب تعلّمُها على من طلب الحديث بأن يتعلم من كلٍّ منهما مايتخلص به من شَيْن اللحن وأخويْه ومعرتهما ؛ لأن ذلك مقدمة لحفظ الشريعة ، وهو واجب ، ومقدمة الواجب واجبة ، وقال الشعبى : « النحو فى العلم كالملح فى الطعام لا يستغنى شيء عنه » .

وهذا المعنى الذى نبَّه عليه كبير المحدثين (ابن الصلاح) أخذه الحافظ العراقى وشرحه نثرا ونظما : نثرا فى كتابه : « التقييد والإيضاح فى شرح مقدمة ابن الصلاح » ، ونظما فى ألفيته الحديثية الشهيرة المنظومة حول مقدمة ابن الصلاح - قال الحافظ العراقى[٧] :

وليحذر اللحّانَ والمصحِّفا
على حديثه أن يحرِّفا
فيدخلا فى قوله من كذبا
فحَقٌ النحوُ على مَنْ طلبا
والأخذ من أفواههم لا الكتب
أدْفَعُ للتصحيف فاسمعْ وادْأبِ

ثم شرح العراقى نفسه ألفيته فى الحديث فى كتابه « فتح المغيث » ، وأورد كلام ابن الصلاح فى وصف رواية الحديث وشرط أدائه ، ثم زاد : « وقد روينا عن حماد بن سلمة أنه قال لإنسان : إن لحنتَ فى حديثى فقد كذبت علىّ ؛ فإنى لا ألحنُ ، وقد كان حماد إماما فى ذلك[٨] .

وقد نظم السيوطى ألفيةً فى الحديث على شاكلة ألفية العراقى - تشرح مقدمة ابن الصلاح - عرض فيها للعلاقة بين النحو ورواية الحديث جاء فيها[٩] :

وسامع الحديث باقتصار
عن فَهْمِه كَمَثَلِ الحمارِ
فليتعرَّفْ ضعفه وصحتَهْ
وفِقْهَه ونحوَه ولغتَه

ثم عاد فذكر شرط الحديث فيها فقال[١٠] :

واحذر من اللحن أو التصحيف
خوفا من التبديل والتحريف

(٣) التقييد والايضاح شرح مقدمة ابن الصلاح : ٢٢٩ .

(٤) البُرْنُس : قلنسوة طويلة كان النُّسَّاك يلبسونها فى صدر الإسلام ، أو هى كل ثوب رأسُه منه ، ملتزِقٌ به ، دُرَّاعةً كان أو مِمْطَرًا أو جُبَّةً (اللسان برس ٢٧٠) .

(٥) المطابع السعيدة ٥١٠ .

(٦) فتح الباق على ألفية العراق للشيخ الأنصارى: ١٧٤- ١٧٥ .

(٧) ألفية الحديث للعراق ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٨) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراق ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٩) ألفية الحديث للسيوطى : ١٨٩ .

(١٠) ألفية الحديث للسيوطى ١٦٦ ، والخلاصة فى أصول الحديث للطيبى بتحقيق السامرائى ١١٤ - ١١٧ .

فالنحوُ واللغاتُ حقُّ مَنْ طلَبْ
وخُذْ من الأفواه لا من الكتب
فى خطـــأٍ ولحنٍ أصْلٍ يُرْوَى
على الصواب مُعْرَبًا فى الأقوى

كذلك يذهب ابن فارس إلى أن حامل الحديث يلزمه تحصيل النحو ، ولابد له من الوقوف على دقائقه ، وإلا فسرعان ما يزلف إلى اللحن ، وقد حمل على من يقول ــ من المحدِّثِن : إننا محدِّثون لانحاة ، ولا شأن لنا بتحصيل علوم غيرنا فقال[11] : « وقد كان الناس قديما يتجنّبون اللحن فيما يكتبونه ويقرءونه اجتنابهم لبعض الذنوب ، وأما الآن فقد تجوزوا حتى رأينا المحدِّث يحدث فيلحن ، والفقيه يؤلف فيلحن . فإذا نبهنا قالا : ما ندرى : ما الإعراب ، وإنما نحن محدثـــون وفقهاء ، فهما يسران بما يُسَاءُ به اللبيب » .

وعندما عرض الإمام النووى ــ رحمه الله تعالى ــ للعلوم التى يفتقر إليها المحدِّث عَدّ النحو منها ، وسماه العربية قال[12] : « مما يَفْتَقِرُ إليه من أنواع العلوم صاحبُ هذه الصناعة ــ يعنى صناعة الحديث ــ معرفة الفقه والأصوليْن والعربية .. ونحو ذلك من الأدوات التى يفتقر إليها » .

كذلك قرر الشوكانى لصاحب الحديث قبل أن يلج هذا العلم : أن يحصل أداته وهى النحو يقول[13] : « إنه ينبغى لطالب العلم ــ علم الحديث ــ بعد أن يقيم لسانه بما يحتاج إليه من النحو أن يقبل على سماع الكتب التى جمع فيها أهل العلم فنون الأحاديث .. » .

وينقل الدكتور عبدالفتاح لاشين حَمْلَ عبدالقاهر الجرجانى على المحدِّثِن والفقهاء فى تركهم النحو والزهد فيه فيقول[14] : « أتى عبدالقاهر الجرجانى ــ رحمه الله ــ فوجد عامة المحدِّثِين والفقهاء قد زهدوا فى النحو ، وهجروه لَماّ عَزّ عليهم الاستفادة منه ، نتيجة ما شابَهُ من فلسفة ، فوجّه إليهم اللوم والعتاب ، وذهب إلى أن من يصد عن تعليم النحو فهو صادٌّ عن سبيل الله ، وذلك عندما كان يناقش فكرة إعجاز القرآن ، وأنها لا تكون إلا عن طريق النظم ، وليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، ويعمل على قوانينه وأصوله » .

ومن الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم ــ كما يرى ابن السِّيد البطليوسى ــ السبب العارض من جهة الرواية الحديثية ، فذهب فى ذلك إلى أن الحديث المأثور عن رسول الله ﷺ تعرض له ثمانى علل ، ذكر منها العلة الثالثة وهى : الجهل بالإعراب ، وضرب لذلك أمثلة حية تبين أن الجهل بالإعراب يوقع فى محاذير شرعية قد تصل إلى حد الكفر ، إذا اعتقدها قائلها ، يقول البطليوسى[15] : « العلة الثالثة ، وهى : الجهل بالإعراب ومبانى كلام

(١١) الصاحبى ٥٦ ، والتراكيب النحوية د . عبدالفتاح لاشين ٢٤١ .
(١٢) نقلا عن قواعد التحديث فى فنون مصطلح الحديث للقاسمى ٢١٩ .
(١٣) أدب الطلب ومنتهى الأرب للشوكانى ١١٨ .
(١٤) التراكيب النحوية ص٤ .
(١٥) الإنصاف فى التنبيه على الأسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم للبطليوس ١١٣ ــ ١١٤ .

العرب ومجازاتها ، وذلك أن كثيراً من رواة الحديث قوم جُهّال باللسان العربى ، لا يفرقون بين المرفوع والمنصوب والمخفوض ، ولعمرى لو أن العرب وضعت لكل معنى لفظاً يؤدى عنه لا يلتبس بغيره لكان لهم عذر فى ترك تعلم الإعراب ، ولم يكن بهم حاجة إليه فى معرفة الخطأ من الصواب ، ولكن العرب قد تفرق بين المعنيين المتضادين بالحركات فقط ، واللفظ واحد . ألا ترى أن الفاعل والمفعول ليس بينهما أكثر من الرفع والنصب ؟! فربما حدّث المحدِّث بالحديث فرفع لفظة منه ينوى أنها « فاعلة »، وينصب أخرى ينوى بها أنها « مفعولة »، فنقل عنه السامع ذلك الحديث فرفع ما نصب ، ونصب ما رفع جَهْلًا منه بما بين الأمرَيْن ، فانعكس المعنى إلى ضد ما أراده المحدِّث الأول ، ألا ترى أن قوله ﷺ : « لا يُقْتَلُ قرشىٌّ صَبْرًا بعد اليوم »[16] إذا جزمت كان له معنى ، وإذا رفعت فله معنى آخر » .

قال العلماء : « معنى الحديث الإعلام بأن قريشا يُسْلِمون كُلهم ، ولا يرتد أحد منهم كما ارتد غيرهم بعده ﷺ مِمَّنْ حُورِب وقُتل صَبْرًا ، وليس المراد أنهم لا يقتلون ظلما صبرا ، فقد جرى على قريش بعد ذلك ما هو معلوم[17] ، وفى تأويل« مشكل القرآن » لابن قتيبة[18] : فمن رواه جزما أوجب ظاهر الكلام للقرشى ألا يقتل إن ارتدّ ، ولا يقتص منه إنْ قَتَل ، ومن رواه رفعا انصرف التأويل إلى الخبر عن قريش أنه لا يرتد منها أحد عن الإسلام فيستحق القتل » ، أفما ترى الإعراب كيف فرّق بين هذين المعنيين ، إذاً فالمراد أن القرشى لا يعود إلى الكفر فَيُقْتَل على كفره صبرًا وفى إعراب الحديث للعكبرى[19] : « صبرًا مصدرٌ فى موضع الحال أى لا يقتل مُصْبَرًا أى محبوسًا » ... وفى عقود الزبرجد على مسند أحمد للسيوطى[20] : وقال سليمان بن خلف النحوى فى كتابه : « الدرة الأدبية فى نصرة العربية » : لو رُوِىَ « يُقْتَلْ » حُزَّ ، وأفسد المعنى لاقتضائه أنه لا يُقْتَلُ قرشىٌّ وإن ارتدّ ، ولا إذا قَتَل ، بل رفعًا ، وانصرف التأويل إلى الإخبار أن قريشا لا يرتد أحد منها عن الإسلام ، فيستحق القتل ، نقله ابن الصائغ فى تذكرته » .

ولو أن قارئا قرأ : « هو الأولُ والآخَر »[21] ففتح الخاء لكان قد كفر وأشرك بالله ، وإذا كسر الخاء آمن ووحّد ، فليس بين الإيمان والكفر غير حركة ، ولذلك قال النبى ﷺ « رحم الله امرأً أصلح من لسانه »[22] . وقال عمر بن الخطاب

---

(16) الحديث أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير – باب « لا يقتل قرشى صبرا بعد الفتح » برقم 88 (1409/3) ، والدارمى : كتاب الديات – باب « لا يقتل قرش صبرا » برقم 2391 (119/2) ، وأحمد فى المسند 213/4 ، 3/ 412 ، ومشكلة الآثار للطحاوى 227/2 .

(17) انظر هامش صحيح مسلم بتحقيق الاستاذ المرحوم محمد فؤاد عبدالباقى 1409/3 .

(18) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 15 .

(19) إعراب الحديث للعكبرى 171 .

(20) عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد السيوطى 29/2 .

(21) الحديد / 3 .

(22) الحديث ذكره الفتنى فى « تذكرة الموضوعات ص205 ، وكذا ذكره العجلونى فى كشف الخفاء برقم 1075 (400/1) وبرقم 1368 (513/1) وذكر أنه ضعيف ، لكن معناه صحيح ، ويؤيده الآيات والأحاديث الأخرى التى تحث على ضرورة أن يصلح الإنسان من لسانه ، وأن يجتهد فى تعلم العربية لحفظ الشريعة .

ـ رضى الله عنه : « تعلموا الفرائض واللحن كما تتعلمون القرآن »[٢٣] واللحن فى اللغة النحو .

وكان أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب يُجِلّ أصحاب الحديث ، وكان مع اشتغاله بعلوم العربية لا يزال به حنين إلى علوم الدين ، فيروى أبو بكر ابن مجاهد أنه قال له[٢٤] : ياأبا بكر ، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمرو ، فليت شعرى ما يكون حالى فى الآخرة ؟ قال ابن مجاهد : فانصرفت من عنده ، فرأيت تلك الليلة النبىَّ ﷺ فى المنام ، فقال : « أقرِىء أبا العباس منى السلام ، وقل له : إنك صاحب العلم المستطيل » قال الروذبارى : أراد أن الكلام به يكمل ، والخطاب به يَجْمُل ، وقال مرة أخرى : أراد أن جميع العلوم مفتقرة إليه ، وكان ثعلب هذا يُلَقَّب بـ « فاروق النحويين » .

تلك هى أقوال المحدِّثِن فى شأن طالب الحديث وفى شرط روايته ، فالعجب كل العجب ممن لا يعلم من العربية والنحو إلا الإسم ، ثم هو لا يقيم الكلم المضبوط بالشكل على السلامة ، وإذا به يتسور أصعب المراق ؛ فيدّعى الاجتهاد ، ويقيم نفسه حكماً يقضى بالخطأ والصواب على أئمة الإسلام . فما أصدق ما ضرب له من المثل حماد ـ رضى الله عنه ـ كمثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها ..

---

(٢٣) وقال أبو بكر فى إيضاح الوقف والابتداء ص١٦ : وحدّث يزيد بن هارون بهذا الحديث ، فقيل له : مااللحن ؟ فقال : النحو .

(٢٤) مجالس ثعلب (تحقيق الاستاذ المرحوم عبدالسلام هارون) ص١٢ ، والتراكيب النحوية د . لاشين ص٤١ ـ ٤٥ ، ومعجم الأدباء ١٣٩/٥ ـ ١٤٠ .

الربا الحزن الممتد للمقرضين

USURY The Lender's Long Lament

عرض وتعليق لواء م.ح .د/ فوزى محمد طايل

يقول الله ـ تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾

نشرت مجلة « الاقتصادى » « The Economist » الشهيرة ، المتخصصة فى معالجة الموضوعات السياسية والاقتصادية والمالية ، والتى صدرت فى لندن عن المدة : ٢٥ ديسمبر ١٩٩٣ م ـ ٧ يناير ١٩٩٤ م ، تقريرا عن « الربا » ، يقع فى ثلاث صفحات (١٠٣ حتى ١٠٥) ، ولم تنسب المجلة التقرير إلى كاتب بعينه .

والتقرير بصفة عامة يتحدث عن « المعاملات الربوية » فى البنوك التجارية ، وموقف المجتمعات الغربية ، ذات الحضارة (اليهودية/ النصرانية) ، من هذه المعاملات التى حرّم الله ـ تعالى ـ التعامل بها فى كل شرائعه السماوية ؛ لأنه ـ سبحانه ـ حرم الربا .

وعلى الرغم من أن التقرير تناول بالتفصيل موقف اليهود والنصارى فى المجتمعات الغربية (رجال الدين منهم والعامة من الناس) من هذه المعاملات الربوية ، ومدى استباحتهم لواحدة من حرمات الله ، من خلال التحايل من طريقين :

ـ استخدام لفظ « فائدة » interest بدلا من لفظ « ربا » ، للتعمية والتضليل .

ـ تحريم التعامل بالربا من قبل ، أو مع بعض الأشخاص ، وتحليل ذلك لباقى الناس أو معهم (كما سيأتى تفصيله بعد قليل) .

أقول على الرغم من هذا ، فلم ينس التقرير التأكيد بكل الوضوح على أن القران الكريم كان حاسما فى تحريمه الكامل للربا (الفائدة) ، فكان النص ص ١٠٣/١٠٤ كما يلى :

Islamic Societies Trod an easier path. Specific in junctions in the Koran against riba (interest) Were broadly Followed Without Controversy.

يبدأ التقرير بسرد قصة خيالية طريفة فيقول :

عندما أشرف أحد المرابين على الموت أتى بزوجه وبنيه وجعلهم يُقْسمون أمامه بأن يُقَسِّموا ثروته إلى ثلاث أجزاء : أولها لزوجه كي تستطيع الزواج من بعده ، والجزء الثانى لأبنائه وبناته ، أما الجزء الثالث فقد أوصى بأن يضعوه فى حقيبة يعلقونها فى رقبته وتدفن معه .

وبعد أن نفذت العائلة الوصية ، ومضى بعض الوقت ، أرادوا استعادة النقود التى دفنت مع المرابى ، ففتحوا قبره ذات ليلة ، فانتابهم الرعب ، إذ رأوا الشياطين تقوم بحشر النقود ـ وقد احمرت مما أصابها من نار حميت عليها ـ بحشرها فى فم المرابى !

والطريف أن يتضمن التقرير صورة من الخيال ، فى الصفحة التالية ، ص ١٠٤ ، لأناس يعذبون فى نار جهنم ، وبعضهم قد ألقى على ظهره فاغراً فاه ، وهناك من يقوم بصب النقود الملتهبة فى جوفه .. ثم يأتى التعليق تحت الصورة

(Where bankers go)

أى : حيث يذهب أصحاب البنوك.

بعد هذه المقدمة يقول التقرير : إن النظرة لمقرضى النقود فى أوربا لم تعد نظرة لوم وتوجس كتلك التى وردت فى القصة التى كتبها « جاك دى فترى » Jacques de Vitry المنصِّر الفرنسى فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وإن كان بعض الناس هناك لايزالون يدينون مقرضى النقود بسبب عملهم الشيطانى هذا . وذلك فى الوقت الذى ينظر فيه أصحاب الثقافات غير الأوربية بعين الريبة لعمل البنوك بوصفه عملا ضد المجتمع anti — social ؛ لاستخدامهم « سعر الفائدة » .. ولا عزو « فالربا » لا يعنى سوى إقراض النقود فى مقابل « الفائدة » .

وعلى الرغم من تحريم الديانات (وصحتها الشرائع) الثلاث الكبرى فى العالم لهذا الامر فإن الالتزام بهذا التحريم لم يكن صارما .. وقد انحصرت حجج تحريم الربا عند الاوربيين فى « العصور الوسطى» فى ما يلى :

ـ إن المقرضين يحصلون على شىء ما مقابل لا شىء ، فى حين أن المفروض فى الإنسان أن يساعد جاره دون انتظار المقابل .

ويعقب التقرير قائلا : وقد أتت البنوك الحديثة لتسحق هذا المفهوم فى مهده ، إذ أصبحت المجتمعات الغربية تنظر إلى عملية فرض « الفائدة » على القروض على أنها أمر واجب الاحترام خاصة وأن التضخم الحالى أصبح يهدد رأس المال بالتآكل ، فجاءت فكرة « الفائدة » لتعوض هذه الآثار ، ويظل للنقود المقترضة ، أو المودعة بالبنوك نفس قيمتها على الأقل .. كما أن « الفائدة » تكون فى مقابل المخاطر التى يتحملها المقرض بإقراضه ماله .

وتعليقنا على هذا : أن البنوك هى التى حولت التعامل بين الناس من العملات الذهبية والفضية ، والمعدنية (ذات القيمة) بشكل عام ، إلى العملات الورقية ، وبتطور التعامل بهذه العملات الورقية ، أصبحت البنوك المركزية تطبع منها أكثر مما تحتفظ به من احتياطى الذهب ، فحدثت

ظاهرة التضخم inflation . يضاف إلى هذا أن التعامل مع البنوك قد أوجد ظاهرة تسمى « خلق النقود »(*) نتجت عن سلسلة طويلة ومعقدة من عمليات الاقتراض والإيداع ، فأصبح فى مقدرة النظام المصرفى أن يقرض أكثر مما يمتلك حقيقة من نقود ورقية ، بما قيمته من سبعة إلى عشرة أضعاف ، فتفاقمت ظاهرة التضخم هذه وأصبح النظام النقدى العالمى ، بل والنظام الاقتصادى العالمى على شفى جرف هار ..

وصدق الحق تبارك وتعالى اذ يقول :

﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ... ﴾ (البقرة/٢٧٦) .

ويعلق التقرير الذى نحن بصدد العرض له ، بأنه مازال هناك شعور غامض بأن عملية الاقراض « بفائدة » مشوبة بالخطأ ، وهذا الشعور يتزايد تجاه المقرضين الذين لا يزالون يعملون فى « البلاد النامية » ، وعلى هامش مجتمعات البلاد الغنية ، وأن الشعور بتأثيم عملية التعامل « بسعر الفائدة » هو اكثر وضوحا فى المجتمعات الاسلامية .

ويتتبع التقرير عملية الإقراض بربا على مر التاريخ فيقول :

إن المرحلة التاريخية التى كان يتم التعامل فيها بالنقود المعدنية (الذهب ــ الفضة ــ وغيرها) ، وكانت هذه النقود مجرد وسائط ومعايير للتعامل ، كانت عملية فرض سعر للفائدة لزيادة النقود أمرا مستهجنا « وغير طبيعى » ؛ لأنها كانت تعد بمثابة دفع للنقود مرتين . وقد ظهر هذا فى كتابات « أرسطو طاليس » فى القرن الثامن قبل الميلاد .

ومع ذلك فإن النظر إلى الربا بوصفه محرما فى النصرانية ، تحريما دينيا ، وقد تأخر كثيرا ، وكان أثره بالتالى ضئيلا ، خاصة وأنه حرم الربا على رجال الكنيسة دون سائر الناس !

ويستشهد المؤرخون فى هذا المجال بتعاليم وكتابات « الهادريانا » « The Hadriana » فى القرن الثامن الميلادى ، والتى تعد بمثابة وثائق هامة أصدرها البابا « ليو الكبير » Pope Leo the Great ، وحرم فيها على « رجال الدين » التعامل بالربا وإلا « احتملوا خزيا » turpe lucrum .

أما اليهود فإنهم يحرمون التعامل بربا فى ما بين اليهود وبعضهم البعض ، ولا يحرمونه عند تعاملهم مع غير اليهود ، مستندين فى ذلك إلى نصوص من نسخ « التوراة » المتداولة ، ومن « التلمود » ... [ومايعد شرعاً لليهود فهو شرع للنصارى أيضاً ؛ لأن عيسى عليه السلام قد أتى « مصدقا لما بين يديه من التوراة » ، وفى نسخ الأناجيل المتداولة أنه قال : « لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شىء » متىّ : ٥ : ١٧) .. والمقصود هنا هو شريعة موسى عليه السلام] .

ويستطرد التقرير قائلا أنه فى الإصحاح الثالث والعشرين من « سفر التثنية » : « لا تقرض أخاك بربا . للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب .. » وقد نظر النصارى (فى العصور الوسطى) إلى هذا النص على أنه بمثابة « رخصة » لليهود كى يتعاملوا بربا !!

(*) يرجع إلى مقالنا السابق نشره بمجلة الأزهر

إن الامر لايحتاج منا إلى تعليق ؛ فبطلان أحكامهم واضح ، وحجتهم داحضة . فلقد حرم الله ـ تبارك وتعالى ـ الربا فى كل شرائعه ، لكنهم حرّموا ما آتاهم الله ، وكتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هو من عند الله ، وما هو من عند الله :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (البقرة/٧٩) .

ولا أدل على افترائهم من قول الحق سبحانه :

﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء/١٦١) .

ويستطرد التقرير قائلا : إن القران قد حرم الربا (الفائدة) ، وجعل مناط التفرقة بين « عقد القراض » « والربا » ، تحمل المخاطر وتوزيعها بين معطى المال ومتلقيه ، واقتسام الربح فيما بينهما .. ثم يقول التقرير : إن المسلمين قد اتبعوا هذا المبدأ الإسلامى طويلا ، ولم يعرفوا فكرة « البنوك » إلا حديثا .

ونضيف إلى هذا أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أحل البيع وحرم الربا إعلاء لقيمة المجهود البشرى فى العمل وإعمار الأرض ، وتكريما للإنسان ، فلايزيد المال زيادة مشروعة إلا إذا اقترن بسعى الإنسان فى صناعة أو زراعة أو أداء خدمة ، وماذكر البيع تحديدا فى القرآن الكريم إلا إشارة إلى أن مثل هذه الأفعال (الصناعة والزراعة وغيرها) لاتكون مفيدة نافعة إلا إذا انتقلت إلى الآخرين من خلال البيع .. لذا كان تسعة أعشار الرزق فى التجارة . .

وبالمقارنة يقول التقرير إن المجمع الكنسى فى باريس قد أوصى بمقاطعة المرابين منذ عام ٨٥٠ م ، وفى عام ١١٧٩ م أصدر البابا « الكسندر الثالث » إعلانا مفادة أن الربا محرم فى « العهد القديم » (وهو مايشتمل على نصوص التوراة ورؤى أنبياء بنى اسرائيل) ، وفى « العهد الجديد » (نسخ الأناجيل ، وسفر أعمال الرسل ، والرسائل المتبادلة ، ورؤيا يحيى عليه السلام) .. وأصدر « البابا » صكا بحرمان المرابين من الدفن كنسيا . وبعد ذلك ببضع سنوات مات البابا « أوربان الثالث » بنص فى إنجيل لوقا (٦ : ٣٥) لتحريم الربا : « وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم » .. ونصه بالانجليزية مخالف بعض الشىء إذ يأتى بصيغة الأمر بالإقراض دون « فائدة » ولا انتظار مقابل للاقراض :

(Lend Freely, hoping nothing thereby)

وكانت هذه أول مرة يعلن فيها أن المسيح نفسه قد حرم الربا (على حد تعبير التقرير) . ومن يومها صدرت المؤلفات التى تشبه المرابين بالعناكب والضفادع « والمخلوقات الشيطانية » ، وصور الفنانون فى أوربا المرابى مسحوبا من عنقه بحقيبة نقوده إلى جهنم .

وعلى الرغم من هذا فقد كان التعامل بالربا بمثابة مرض مزمن لصيق بالمجتمعات الغربية فى « العصور الوسطى » . وفى نفس الوقت الذى كان فيه المرابون محتقرين ، وكانت كراهية المجتمعات الغربية النصرانية لليهود مرتبطة بتعاطيهم الربا مع امتزاج هذا الفعل بالكثير من الحقد وانعدام الرحمة ، وامتلاء الحياة الثقافية الأوربية

بهذه الصورة التى سجلت على لوحات مرسومة ، واحتوتها كتابات الكتاب ، فى نفس هذا الوقت كان الأوربيون يقبلون عملية الإقراض بربا وأحيانا يرحبون بها فى غموض غريب .. فمثلا عندما قبض على اليهودى بون دافيد دارجوينان Bondavid Draguignan ليحاكم فى مرسيليا عام ١٣١٧ م شهدت ٢٤ شخصية محترمة لصالحه ، وبأن سمعته طيبة !

وقد أثبتت إحدى الدراسات أن معدل « الفائدة » فى ذلك الوقت كان مساويا تقريبا لسعر الفائدة فى أوساط الأعمال فى أمريكا وقت وقوع الكساد العالمى فى الثلاثينيات من هذا القرن ، وكاد يعصف بالاقتصاد العالمى ويثير الفوضى .

ويورد التقرير حقيقة أن اليهود كانوا هم الأشهر فى تعاطيهم للربا ، بيد أنه فى عام ١٢٨٥ م أدين ٣٧ من رجال الكنيسة فى فرنسا بتعاطى الربا ، وقد انتشر هؤلاء بعد ذلك فى كل أوربا ، ومعهم من طردوا من اليهود من فرنسا عام ١٣٠٦ م .

وباتساع التجارة الأوربية ازدادت العمليات الربوية ، وبدأ رجال الدين فى الغرب يحاولون إيجاد المبررات للتعامل « بالفائدة » ، فى الوقت الذى انتشرت فيه أيضا الصيغة الإسلامية لعقود القراض [أى أن يعطى شخصٌ ما مالا لآخر يتجر فيه ، والربح بينهما مناصفة ، أو حسبما يتفقان ، فإذا خسر تحمل صاحب المال الخسارة ، وتحمل التاجر ضياع جهده ولا يضمن] .

ويوضح التقرير أن الحكام فى أوربا (بما فيهم البابوات) قد تعلموا كيف يستغلون مقرضى الأموال وأن يستخدموهم لتحقيق أهداف معينة من خلال تحكمهم فى تحديد « سعر الفائدة » .

ومن نظام المرابين هذا ، وقبوله اجتماعيا ودينيا فى أوربا ، تطورت الصورة لتخرج لنا « البنوك » التى عرَّفها الاقتصاديون بأنها « مؤسسات مالية للاتجار فى القروض (بفائدة) » .

وفى البداية وُجِّهت نفس الانتقادات ، التى كانت توجه للمرابين ، وُجهت إلى البنوك ، واعتبرت بريطانيا (فى القرن السابع عشر) أن عملية الاقراض بفائدة عموما تعد خروجا على القانون . وحينما بدأت الدول الأوربية تنشىء البنوك المركزية لاقت بدورها نقدا من « الأصوليين » (وهو اصطلاح نصرانى أوربى يصف المتمسكين بنصوص الكتاب المقدس) .

وعندما أصبح الاقتصاد بمثابة ذراع الدولة ، أصبحنا وكأنما الساسة وأصحاب البنوك فى حالة تآمر لامتصاص دماء عامة الشعب :

(now bankers were in Cahoots with Paliticians to bleed the Common People).

وارتبطت البنوك خلال القرن التاسع عشر بفضائح مالية ، وفساد ، وارتفاع معدلات الضرائب فى أوربا عامة ، وكل من بريطانيا وفرنسا خاصة .. واعتبر الامريكيون أن البنوك كانت مسئولة عن الكساد الاقتصادى العالمى فى الثلاثينيات من هذا القرن ، والذى أعقب ظاهرة إفلاس البنوك عام ١٩٢٩ م والتى تسمى Wall Street crash ، نسبة الى « وول ستريت » وهو حى المال والبنوك هناك .

ويشير التقرير ، بأسلوب وكأنه همس ، إلى أن شعورا عالميا مضادا للبنوك بدأ ينمو ، لأن

أصحاب البنوك ، يتآمرون مع اليهود والماسونية العالمية (حركة الماسونيين الأحرار) للتحكم المركزى فى العالم . ثم يسترسل قائلا : إن مثل هذا الاتجاه يتصل باتجاه « المعـــاداة للساميـــة » ، والاتجاهات القومية ، واليمينية غير المتعقلة !!

ذلك ، ويوضح التقرير أن الانتقادات الموجهة للبنوك مستمرة ، وأخطر هذه الانتقـادات أن النظام البنكى لا يرعى الاعتبارات الاجتماعية أو الاخلاقية ، لذا فقد بدأت أنواع خاصة من البنوك تسمـــى « بنـــوك المجتمـــع » (Community banks) ، بدأت فى الظهور لتـلافى الانتقـادات التى توجه للبنوك التقليدية ، كما بدأت جمعيات تعاونية لإقراض أعضائها فى الظهـور .. ومنها ما نجح ، وتفوق بالتالى على نظام البنوك . وفضلا عن هذا فقد ظهرت جمعيات لإقراض أعضائها قروضا غير ماليـــة ، بل قروضا سلعيـــــة ، وخدمات .. وبذا نكـون إزاء مقـايضة آجلـة تستبعد فيها سعر الفائدة .

ثم يعـرج التقريـر إلى النظـام الاقـــتصادى الإسلامى مرة أخرى فيقول : إن وضوح الشريعة الإسلامية فى موقفها من تحريم الربا قد بقى دون أى تحدٍ حتى القرن التاسع عشر حينما بدأ المسلمون ينقلون النظم الغربية ومنها نظام البنوك ، فتعقدت الأمور ، إذ قال لهم رجال المال فى الغرب : إن التقدم الاقتصادى والرواج التجارى لن يكونا ممكنين ما لم تتبنَّ البلدان الإسلامية الوسائل المالية الغربية . وبمرور الوقت أخذت معظم الـدول الإسلامية ـ ومنها المملكة العربية السعودية ـ بهذا ، فأنشئت فيها البنـوك التجاريـة رغـــم اعتراضات علماء الدين .

وفى السنوات الاخيرة نستطيع أن نلمس ثورة مضادة بطيئة ، فنشأت عشرات البنوك الإسلامية من الأردن إلى جنوب أفريقيا . وباتبـاع هذه البنوك للمبادىء الإسلاميـة حلت الاعتبـارات الاجتماعيـة [لجمعهـا الـزكاة وتوزيعهـا] محل المنافسة بين هذه البنوك وبعضها البعض .. لذلك لم تعد بعض البنوك الغربيـة تستخـف بفكـرة الاقتصاد الإسلامى ؛ بل بدأت تمعن النظر فى تطبيق الفكرة هنا أو هناك .

وحتى نكون معتدلين فى تناول الموضوع ـ ولا زلنا نعرض لنص ما جاء بالتقرير ـ فإن البنوك الإسلامية ليست مبرأة من المشكلات ، فالالتزام الحرفى بتعاليم الدين تجعل عمليات التمويل محدودة ، الأمر الذى يجعل المؤسسات المالية الإسلامية قليلة القدرة على التأثير فى باقى النظم المالية ، الامر الذى يجعل فقهاء المسلمين مضطرين للاجتهاد لتوسيع مدى العمليات البنكية حسبما تسمح به الشريعة .

ويأتى فى خاتمة التقرير :

قد أكون فجاً إذا قلت : إن أصحاب البنوك كانوا مكروهين على مدى قرون طويلة ؛ لأنهم يقومون بأعمال لا تدعو إلى ارتياح الناس ، وأن المرابين الذين يقرضون معدلات عالية من الزيادة الربوية على القروض (سماهم التقرير : نصابو القروض Loan sharks) لا يختلفـون فى أساس عملهم عن البنوك ، « فإقـراض المال » يعنـى « البنك » ، وما حدث هو مجرد تغيير اللون ، فالبنوك تحصل على أرباح مقابل لا شىء ، وإلى أن يغيروا صورتهم ويأخذوا بالاعتبارات الاجتماعية فسوف يظلون مكروهين .

شهر عظيم وكتاب كريم

لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة/١٨٣ .

وعن سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فى آخر يوم من شعبان قال : « يا أيها الناس : أظلكم شهر عظيم مبارك . شهر فيه ليلة خير من ألف شهر . شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليلة تطوعا . من تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه . وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة . وشهر المواساة . وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه . وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء . قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم . فقال رسول الله يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو على شربة ماء أو على مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار من سقى صائما سقاه الله من حوضه شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخارى .

حكمة الصوم وأسراره

فالصوم ركن من أركان الإسلام وهو عبادة إيجابية تسمو بالنفس ، وتقوى الحس وتطهر القلب وتربى الوازع الدينى الذى يعصم من ارتكاب الخطيئات واجتراح السيئات واقتراف الموبقات ، فهو فرض دينى وسلوك اجتماعى وعمل وجدانى وإشراق روحانى ، يدركه الصائمون المخلصون والصائمات ، وفى لياليه

يتجلى الله على عباده بالفيوضات ، وفى نهاره تستضىء أوقاتهم بنور الطاعات ، وبذل الصدقات عطفا على المحتاجين وإحسانا إلى المساكين ، فلا شح يعترى النفس الأبية الطاهرة النقية ، لأن شهر رمضان هو شهر التعبئة الروحية وفيه تتلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والسيرة المحمدية ، وهو فرصة طيبة للتائبين الصادقين الأوابين القانتين المستغفرين بالأسحار بقلوب سليمة مُنيبة إلى الله الخالق العليم الخبير ، الذى يعلم ما تكسب كل نفس فيحصى الأعمال فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ (الآيتان ٧ ـ ٨ من سورة الزلزلة) .

كما أن الصوم يكون دواء وشفاء للأدواء النفسية فهو يبرئها من عللها وآفاتها ، ومن غيها وبغيها ، والله يقول : ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ويقول : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (من الآية ـ ٣٤ ـ من سورة الحج) وبالعبادات ينتصر المرء على نفسه فلا يعتريه القلق الذى تتهاوى بسببه النفوس ، فلا تتماسك ولا تقوى على احتمال قسوة الحياة ومواجهة المتاعب والمكاره ولا تصبر على البلاء ولا ترضى بالقضاء ولا تشكر على النعماء ، فقد خدعتها الأهواء ، ولكن المؤمنين يستمدون قوتهم من الخالق القاهر فوق عباده ، الذى شرع لنا دينا يقوم على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، أما كلمة التوحيد فهى : الباب الذى يدخل منه الناس فى الإسلام ، أما توحيد الكلمة فهو : الرباط الذى يربط بين المسلمين بالأخوة الإسلامية والله يقول : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الآية ـ ١٠ ـ من سورة الحجرات) .

رمضان ونزول القرآن

ويقول الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (سورة البقرة ١٨٥) . وفى شهر رمضان تتوالى الذكريات وتتزاحم ، ذكريات الانتصارات التى أكرم الله بها المسلمين الصائمين وهى كثيرة حفظها التاريخ ووعاها الزمن ، ومن أهمها ذكريات نزول القرآن وهو كتاب الله الخالد الباق المحفوظ الذى لا يتبدل ولا يتغير ليظل منهاجَ المصلحين وطريق المرشدين وسبيل المتقين وهدى للحائرين وقوام أخلاق المعوجين ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ .

(سورة إبراهيم/٢)

ولقد سعدت به الدنيا فى كل زمان ومكان ، لأنه ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ سورة الإسراء

وذلك لأن القرآن أتى على حياة الإنسان ففصلها وبيَّن أطوارها وأحوالها وكشف للإنسان عن حقيقة نشأته الأولى . وأنه خلق من ماء مهين ، ولكن الإنسان الكنود يجحد فضل ربه عليه وآلاءه التى بين يديه ، فينأى بجانبه عن ربه وتنتفخ أوداجه ويمشى فى الأرض مَرَحًا وهو مصعر خده للناس كبرا وغرورا وسخفا وفجورا

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

(الآيات من ٦ ــ ٨ ــ الانفطار) .

منهج حكم ودستور حياة

ولقد جاء القرآن ليكون شِرْعه للناس ومنهاجاً أنزله الله لتنظيم شئون الحياة لكيلا يعيش الإنسان فى متاهات ، ولكى يعرف للحياة قدرها وللأوقات شأنها ، لأن الإنسان لم يخلق عبثاً ولن يترك سدى ، فلم يتركه ربه بغير هدى لأن الله رءوف بالعباد ، فقد أرشدنا إلى الصراط المستقيم والمنهاج القويم ، وقد ترك الناس يفكرون ويقدرون ويتدبرون فى آيات الله فى القرآن وآيات الله فى الأكوان ، ليقول للعقل اسبح كيف شئت ولكن إحذر الغرق ، فلا حجر على العقل ولا إكراه فى الدين ، لأن هذا الدين يحمى الحياة من عبث العابثين ومن طغيان المستبدين وبغى المستكبرين وعدوان المفسدين الجبارين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون . ولا ريب أن المعصية سبب كل وبال ونكال وأساس كل شقاء وبلاء وشؤم ولؤم ، فما استقامت حياة ، ولا استقر أمر ، ولا استتب أمن ، إلا بالعدل والإستقامة والعمل الصالح :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾

(سورة محمد ٢)

« فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ »

(سورة طه ــ ١٢٣)

نماذج من توجيهات القرآن

١ ــ مراعاة آداب الإسلام :

يأمرنا ربنا بتأدية الأمانات إلى أهلها :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

(الآية ٥٨ ــ النساء)

والله يأمرنا أن نكون من المتقين ومع الصادقين :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

(الآية ١١٩ ــ التوبة)

ويأمرنا الله عز وجل بالعدل والإحسان :

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » .

(الآية ٩٠ من سورة النحل)

والقرآن يبين لنا أن العفو عن المسىء سيتولى جزاءه ربنا :

« فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » .

(الآية ٤٠ من سورة الشورى)

وعباد الرحمن وصفهم ربنا بالتواضع والاتزان والاعتدال :

« وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ » .

(سورة الفرقان ٦٣)

والقرآن يأمر النساء بالاحتشام :

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ » .

(اية ٥٩ الأحزاب)

ويعلمنا الأدب عند زيارة الناس فيقول :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ

حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا » .

(الآية ٢٧ سورة النور)

ويحذر القرآن المسلمين من نشر الشائعات :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾

(آية ١٩ سورة النور)

وللقرآن توجيهات عظيمة وكثيرة ، ولقد ترك فينا سيدنا رسول الله ﷺ القدوة والمنهاج : أما المنهاج فهو القرآن وأما القدوة فهو صاحب الخلق العظيم الذى كان خلقه القرآن :

« لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا »

(الآية ٢٠ من سورة الأحزاب)

وقد قال له ربه :

« وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

(سورة القلم ٣)

٢ ـ طلب الرزق الحلال

« وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ »

(الآية ١٠ من سورة الأعراف)

« هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ »

(الآية ١٥ من سورة الملك)

ويوصينا ربنا باتباع الطريق السوى فى الإنفاق والاعتدال فى التصرف ، لأن المال أمانة فى يد صاحبه :

« وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » .

(الآية ٢٩ سورة الإسراء)

« فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

(الآية ١٠ من سورة الجمعة)

ولا يخفى أن الإسلام لا يحرم الطيبات من الرزق :

« قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ »

(الآية ٣٢ من سورة الأعراف)

٣ ـ قراءة القرآن وتدبره

وفى شهر الصوم تكون القلوب قانتة والأبصار خاشعة والنفوس تائبة ، حيث يشف الوجدان ويطهر اللسان وتصفو الروح ويكثر البر والإحسان ، والعفو عن المسىء فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم ، ومن الخير تلاوة القرآن فى شهر رمضان لأن الحرف بعشر حسنات ، ولا أقول ألم حرف . ولكنها ثلاثة كما تعلمنا ، وذلك تفضل من الله على عباده وأحبابه بينما تتضاعف الحسنات إلى ما شاء الله فى رمضان ، وقراءة القرآن الكريم ـ بصفة عامة ـ تجارة لا تبور ، مصداقا لقوله تعالى :

« إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ

« وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ »

(الآيتان ٢٩ ، ٣٠ من سورة فاطر)

والقرآن الكريم هو الذى نزل به الروح الأمين بلسان عربى مبين على قلب إمام المرسلين المرسل رحمة للعالمين سيدنا محمد ﷺ ولكى ينتفع القارىء والسامع بالقرآن يطالبنا ربنا بحسن التلاوة وبحسن الاستماع والإنصات والتدبر فى آياته البينات للانتفاع بعظاته وتوجيهاته :

« وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » .

(الأعراف آية ٢٠٤)

ويقول تعالى :

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ » .

(النساء آية ٨٢)

وليس بعد هذه التوجيهات توجيهات وليس بعد هذه العظات البالغات عظات .

عالمية رسالة الإسلام

ولقد أنزل الله القرآن لبناء مجتمع إنسانى مثالى عالمى يشمل الأبيض والأسود والأحمر والأصفر فلم يكن لجماعة دون أخرى ؛ لأن الرسول الكريم أرسل رحمة للعالمين : وقد جاء فى هذا الكتاب المبين :

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ » .

وبهذا الدستور القرآنى تحققت المساواة والعدالة والحرية والكرامة الآدمية ، وروعيت الحرمات وأديت الأمانات ، وأقيمت مصالح العباد بدفع الأخطار ومنع الفساد ، فلا ظلم ولا استبداد ولا عدوان ولا اضطهاد ، ولكنه الأمن الذى مُنح للمؤمنين من لدن رب العالمين ، الذى يقول فى كتابه المبين :

« ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ » .

(الآية ٨٢ من سورة الأنعام)

رمضان وليلة القدر

ولقد أنزل الله كتاباً ذا قدر ، على رسول ذى قدر ، ونزل به ملك ذو قدر ، فى ليلة ذات قدر ، من شهر ذى قدر ، أما شهر رمضان فقد تجمل بنزول القرآن وتكمل بليلة القدر ، ولا عجب فإن الله قد فضل بعض الأوقات على بعض ، وبعض الناس على بعض ، وبعض الأماكن على بعض والله يختص برحمته من يشاء ، والأوقات تشرف بشرف ما يحدث فيها من أعمال جليلة وأحداث عظيمة ، وليس ثمة شىء أعظم من نزول القرآن الكريم .

وقد جاء فى فضل قيام ليلة القدر : « **أنها خير من ألف شهر** » أى أن العبادة فيها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، وذكر الإمام مالك فى الموطأ . أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول : « إن رسول الله ﷺ رأى أعمار الناس قبله ، أو ما شاء الله من ذلك . فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل مثل الذى بلغه غيرهم ، فأعطاه الله ليلة القدر ، خيراً من ألف شهر ، يعنى ثلاث وثمانين سنة ، وأربعة أشهر » ، وهناك شبه إجماع على أنها فى العشر الأواخر من رمضان ، ولذلك كان الرسول ﷺ يحيى هذه الليالى بالعبادة ، وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا

دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره وأحيا ليلة وأيقظ أهله » ، وشد المئزر كناية عن شدة ، الاجتهاد والجد فى العبادة ولقد قال الله تبارك وتعالى : « تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ » (سورة القدر ٤ ، ٥) ، أى أن أهل السماء يحتفلون بليلة القدر بالمشاركة مع أهل الأرض ، وهى ليلة سلام حتى مطلع الفجر ، إنها ليلة مباركة كلها خير وبر .

بين الخاسرين والفائزين

وإن تعجب فعجب أمر المجاهرين بالإفطار فى نهار رمضان بدون عذر شرعى يمنعهم من الصوم : أولئك هم الذين لا يدركون الخسارة الكبرى بشرودهم من طاعة ربهم فى موسم الغفران والرضوان (شهر رمضان) فقد ظلموا أنفسهم بالجهر بالمعصية ، وظلم النفس كظلم الغير على حد سواء . والظلم ظلمات يوم القيامة .

وعلى الصائم أن يكبح جماح الأهواء ليتفرغ لمرضاة ربه قائلا لنفسه ، اعمل لترى الله فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وعلى الصائم أن يكون حليما حكيما ، صبورا رحيما ، قويا سخيا ، عفيفا أبيا ، لا تستثيره أقل الضوائق ، ولا تستفزه أدنى المشكلات ، ولا تقلقه إلا الذنوب والخطيئات .

وعلى الصائم أن يحافظ على تأدية الصلوات ، وأن يؤدى الزكاة ، لأنهما من أركان الدين الإسلامى فهما من أعظم القربات إلى الله رب العالمين ، ولله على المستطيع حج البيت فى العمر مرة ذلكم تخفيف من ربكم ورحمة : أما صيام الجوارح فهو ثمرة لصيام البطون .

« إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا »

(من الآية ٣٦ من سورة الإسراء)

وعلى الصائم التقى أن يتجنب صحبة الأشقياء والأشرار ، وأن يباعد بينه وبين المحرمات وأن يتقى الشبهات وأن ينأى بنفسه عن اللغو والمهاترات ، وأن يطعم الطعام بلا رياء ولا مفاخرة .

« وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا »

(الآيتان ٨ ، ٩ من سُورَةُ الإنسَان)

وعلى الصائم ألا يغفل عن صلاة الليل والناس نيام :

« وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا » .

(الآية ٧٩ من سورة الإسراء)

والله تبارك وتعالى يصف المخلصين العابدين من عباده المتقين فيقول :

« تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ » .

(الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة السجدة)

وأخيراً .. فإنه على العاقل أن يغتنم عمره ، لأنه فرصته الوحيدة فى العمل وهو رأس مال الإنسان الحقيقى ، فلا ينبغى أن يضيِّعه سدى ، كما أن الوقت المفقود لن يعود ، ووقت رمضان أولى بالاغتنام ، والله المستعان .

الإنسان والشيطان

لقد خلق الله الإنسان ، وأمر الملائكة بالسجود له إجلالا لما بثّه الله ــ سبحانه ــ فيه من روح ، وإشعاراً للمخلوق الجديد بأن كل ما فى الكون والحياة مُسَخَّر له ، ثم كان سجود الملائكة أيضاً امتثالًا لأمر الله الواحد القهار . عصى الشيطان ربه فى السجود ، ودار ما دار من حوار سجله القرآن الكريم ، ثم انتهى الأمر إلى طرد اللعين من الجنة ، فإذا به يتوعد الإنسان بأن يقعد له كل مرصد ، وأنه سيدفع لكل نسل من ذرية آدم شيطانا قرينا له يغويه ، ويعمل على إيقاعه فى حبائل الذنوب والشرك إن استطاع .

أ.د/ كارم السيد غنيم

ورد فى الأثر عن الحسن البصرى : أن الجن ذرية إبليس ــ كما أن الإنس ذرية آدم ــ ومن هذه الذرية وتلك مؤمنون وكافرون ، فمن كان كافرا فهو شيطان ، سواء كان من عالم الجن أم من عالم الإنس ، ومَنْ كان مؤمنا ــ جنا أو إنسا ــ كان وليا لله ، وإنه مع كل واحد من بنى آدم شيطان من الجن ، يجرى منه مجرى الدم .

★ مداخل الشيطان إلى نفس الإنسان :

إن أبواب دخول الشيطان إلى النفس الإنسانية كثيرة ، وكُلٌّ بحسب ما فيه من نقاط ضعف ، وعموما ؛ فإنه يمكن القول بأن كل صفة ذميمة أو خصلة رذيلة تُعَدُّ مسلكاً من مسالك الشيطان فى دخوله إلى النفس البشرية ، فمن مداخله[1] :

١ ــ الغضب .

٢ ــ الشهوة .

٣ ــ الحسد .

٤ ــ الحرص الشديد .

فإذا كان الإنسان شديد الحرص على شىء ما أعمته شدة حرصه وأصمته ، لحديث الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ : (حبك الشىء يعمى ويصم)[2] .

٥ ــ الشبع : حتى ولو كان من حلال صافٍ ، ففيه ست خصال ذميمة هى :

ذهاب خوف الله من قلب العبد ، ذهاب الرحمة من قلب العبد (لأنه يظن أنّ كل الناس شَبْعَى مثله) ، التثاقل عن الطاعة ، عدم تذوق كلام الحكمة وذلك لفساد رقة البصيرة ، عدم

١ ــ إحياء علوم الدين (أبو حامد الغزالى) . ط دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٩٥٧ م .

٢ ــ رواه أبو داود من حديث أبى الدرداء بإسناد ضعيف .

نفاذ كلام الوعظ أو الحكمة منه إلى قلوب الناس ، ثم تهييج الأمراض لتحرك دواعيها فى البدن .

٦ ـ الإسراف : فى كل شىء من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ومتاع صفة ذميمة .

٧ ـ العجلــة : وذلك لحديث رسول الله ﷺ : (العجلة من الشيطان والتأنى من الله تعالى)(٣) ، وأثر عن أحد الصالحين قوله : العجلة من الشيطان إلَّا فى خمسة أمور ، فإن العجلة فيها محمودة لأنها سنّة : إطعام الضيف إذا دخل البيت ، تجهيز ودفن الميت ، قضاء الدين ، تزويج البكر ، والتوبة من الذنب .

٨ ـ البخل وخوف الفقر : وذلك لأنهما يدفعان الإنسان إلى الاكتناز ، والصراع على التملك وإحراز المتاع .

٩ ـ التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم .

١٠ ـ سوء الظن بالمسلمين : والقاعدة فى الإسلام هى حسن ظن المرء بأخيه إلى أن يثبت عكس ما ظن .

* وسائل وطرق الشيطان فى إضلال الإنسان :

لهذه الوسائل أشكال وألوان منها على سبيل المثال(٤) :

١ ـ يخيل الشيطان للإنسان أشياء ويوعز إليه بأن النفع فيها ، وهى فى الحقيقة عين الهلاك للإنسان ، فإذا استجاب المرء ووقع فيما زيّنه له الشيطان ؛ خرج اللعين ووقف ضاحكاً مستبشرا بما نجح فيه من إغواء ، وكثيرا ما يكون الشيطان نفسه دالًا على صاحبه المسكين فيما وقع فيه من مهالك .

٢ ـ للشيطان قدرة على سحر العقل البشرى ، وهو أمر لا يسْلَم منه إلَّا من شاء الله من العباد ، فكم من باطل حسَّنه وكم من حسن قبحّه ، وضعيف الدين يسير أسيراً فى أيدى الشيطان . ومن هذه الأمور ما يلقيه اللعين على أفراد معينين من خيالات متناقضة وآراء متهافتة ، حتى ينسيه كتاب الله وسنة رسوله ، ويدور وراء صاحبه أول الأمر (بفاتحة الدخول) وهى الوسوسة ، فالوسوسة : إيحاء شيطانى يتدخل به الشيطان فى أمور الإيمان والطاعة من طهارة وصلاة وغير ذلك . فإن كان المسلم مجتهدا فى التقرب إلى الله دخل الشيطان إلى نفسه بأنه قد بلغ من الرقى درجة تسقط معها التكاليف الشرعية ، فيظن العبد المسكين ذلك ، ويترك التكاليف من أوامر ونواهٍ ، ويَقع فيما يسمى (الزندقة) .

٣ ـ قد يظهر اللعين بأشكال شتى ، وقد يسخر أشياء شتى حول الإنسان ليوقعه فى الضلال بما نصب له من شَرَكٍ .

قدمنا هذه الكلمات حتى يعلم الإنسان أهم مداخل الشيطان ، وأهم أشكال إغوائه حتى يمكننا التنبه له ، فنستعمل الوسائل الرادعة له بالوجه الصحيح .

من هذه الوسائل :

أولًا : الاستعاذة :

الاستعاذة هى الاستجارة بقصد رد مكروه سوف يقع أو وقع بالفعل ، والاستعاذة بالله تعالى

٣ ـ رواه الترمذى وقال حديث حسن .

٤ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (ابن قيم الجوزية) ط مكتبة السنة المحمدية بمصر ١٩٣٩ م .

هى اللجوء إليه طلبا لمعونته فى دفع المكروه . وللاستعاذة صيغ كثيرة منها :

١ ـ أقصر صيغة : ورد الأمر بالاستعاذة من الشيطان الرجيم إذا شرع الإنسان فى تلاوة القرآن . أيهما أفضل : (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أم (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم) ؟ .

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، فقال لى النبى ﷺ : (يا بن أم عبد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا أقرأنى جبريل عن اللوح عن القلم) ورجحه النووى فى الأذكار[٥] .

٢ ـ الصيغة التى علمها جبريل لرسول الله ﷺ : حينما سئل رسول الله ﷺ عما فعل ليلة أنْ كادته الشياطين حيث تحدرت عليه من الأودية والشعاب ، وفيهم شيطان بيده شعلة يريد أن يحرق بها وجه الرسول ﷺ فهبط جبريل ـ عليه السلام فقال : يا محمد قل : قال : ماذا أقول ؟ قال : قل (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ، ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق إلا طارقا بخير .. يا رحمن) ..

٣ ـ الصيغة التى تعلمها الرسول ﷺ من إبراهيم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ أبى الأنبياء : كان رسول الله ﷺ يعُوذ الحسن والحسين فيقول : (أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة) ، ثم يقول : هكذا كان إبراهيم ﷺ يعوذ بها إسماعيل وإسحاق .

وتُسنُّ الاستعاذة فى مواضع منها :

١ ـ عند تلاوة القرآن الكريم : امتثالًا للنص القرآنى « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » (النحل : ٩٨) بقصد طرد الشيطان حال التلاوة حتى يمكن للمسلم أن ينتفع بقراءته فهما وتدبرا ، ثم أيضا بقصد جلب الملائكة فإنها إذا حضرت هربت الشياطين .

٢ ـ قبل القراءة فى الصلاة : خلاصة أقوال العلماء فى ذلك : أنه يجوز للمسلم الاستعاذة قبل القراءة فى الركعة الأولى فقط من كل صلاة ، ويجوز للمسلم أن يتعوذ قبل القراءة فى كل ركعة من ركعات الصلاة ، ويجوز له أن يتركها فى كل الركعات .

٣ ـ قبل النوم : من السنة أن يتعوذ المسلم عند نومه بصيغة أقصرها : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ، أو : (بسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)[٦] ، كان عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ يعلمها لأولاده ليقولوها قبل النوم .

٤ ـ عند الأرق أثناء النوم .

٥ ـ عند الغضب : روى مسلم عن سليمان ابن صرة أحد الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ أنه حدث أنه غضب رجل فى مجلس رسول الله ﷺ فقال الرسول : (إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب

---

٥ ـ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار (النووى) ط الحلبى وأولاده بمصر ١٩٥٥ م .

٦ ـ رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن .

ذا ــ يقصد الغضب ــ عنه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[٧] .

٦ ــ عند مشاغلة الشيطان للمسلم أثناء الصلاة : قيل : إن شيطانا يسمى (خترب) يلاعب المسلم ــ أثناء الصلاة ــ بقصد إفسادها عليه ، فإذا ما أحس المسلم به يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

٧ ــ حال السفر عند قدوم الليل يتعوذ المسلم بالصيغة المأثورة عن الرسول ﷺ : (يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، ومن شر ما خلق فيك ، ومن شر ما يدب عليك ، ومن أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ووالد وما ولد)[٨] .

٨ ــ عند نزول المسلم منزلا ما يتعوذ بالصيغة المأثورة عن الرسول ﷺ حيث يقول : (من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك)[٩] .

٩ ــ عند ورود النزغ الشيطانى فى تفكير أو عمل : وذلك بنص القول الإلهى : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) (الأعراف : ٢٠٠) .

١٠ ــ كذلك فالاستعاذة سنّة عند دخول المرحاض : علمنا رسول الله ﷺ أن نقول : (اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث)[١٠] قيل : إن الخبث هم ذكور الشياطين ، والخبائث هن إناثها .

ثانيا : المعوذات :

المعــوذات قد تكــون ثلاثـــة : سورة الإخلاص .. سورة الفلق .. سورة الناس .. وقد تكــون السورتين الأخيرتين فقــط ، حسب الروايات التى وردت مرفوعة إلى رسول الله ﷺ ، ومن هذه الروايات : قال رسول الله ﷺ لعقبـــة : (ألَا أخبرك بأفضل ما تعـــوذ به المتعوذون ؟) قلت : بلى ، قال : (قل أعوذ برب الفلق) ، و (قل أعوذ برب الناس)[١١] .

عن السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ : (أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه نفث ــ أى دفع رذاذاً من فمه ــ فى كفيه بـ : (قل هو الله أحد ، والمعوذتين جميعا ، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده) .

قالت عائشة : فلما اشتكى ــ أى : وجع المرض ــ كان يأمرنى أن أفعل ذلك به)[١٢] .

★ عقـد الشيطان :

قال رسول الله ﷺ : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة مكانها ، عليك ليل طويل فارْقُدْ .

أى يكتب على كل عقدة عقدها هذه العبارة ــ فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عُقَدُهُ كلها ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)[١٣] .

---

٧ ــ من حديث متفق عليه .

٨ ــ رواه النووى فى سنن أبى داود ، وقال الحاكم صحيح الإسناد .

٩ ــ رواه مسلم ومالك والترمذى وغيرهم عن خولة بنت حكيم .

١٠ ــ متفق عليه .

١١ ــ رواه مسلم والترمذى والنسائى .

١٢ ــ متفق عليه .

١٣ ــ صحيح البخارى .

★ **استعاذات مأثورة عن رسول الله ﷺ :**

وردت عن رسول الله ﷺ استعاذات كثيرة تضمنتها كتب الحديث المختلفة ، وكذا كتب أهل السلوك والتربية الروحية ، نذكر منها ما يلى :

اللهم إنى أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر(١٤) .

اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ودعاء لا يُسمَع ، ونفس لا تشبع ، وأعوذ بك من الجوع ؛ فإنه بئس الضجيع ، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة ، ومن الكسل والبخل والهَرَم ومن أن أردَّ إلى أُرذل العمر ، ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات)(١٥) .

اللهم إنى أعوذ بك من شر ما علمت ، ومن شر ما لم أعلم(١٦) .

اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء(١٧) .

اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والدَّيْن والفقر ، وأعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من فتنة الدجال(١٨) .

اللهم إنى أعوذ بك من القسوة والغفلة والْعَيْلة والذلة والمسكنة ، وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء ، وأعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيِّء الأسقام(١٩) .

اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدّيْن وغلبة العدو ، وشماتة الأعداء(٢٠)

ثالثاً : قراءة آية الكرسى :

ولا داعى لذكر آثار وأخبار فى فضلها لضيق المجال هنا ولكن نقول إنها هى الآية رقم (٢٥٥) فى سورة البقرة وهى : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » .

رابعـــا : قراءة سورة البقرة :

ومن جملة ما ورد فى فضلها أن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا تدخله الشياطين .

---

١٤ ـ صحيح البخارى من حديث سعد بن أبى وقاص .

١٥ ـ من حديث رواه مالك من حديث ابن مسعود ، وقال صحيح الإسناد .

١٦ ـ ورد بلفظ (علمت) وفى نسخ بلفظ (عملت) ، رواه مسلم من حديث عائشة .

١٧ ـ متفق عليه من حديث أبى هريرة .

١٨ ـ رواه ابن حبان ومالك وقال صحيح الإسناد .

١٩ ـ رواه مالك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

٢٠ ـ رواه ابن حبان ومالك من حديث عبد الله بن عمر ، وقال صحيح على شرط مسلم .

خامســـا : خواتيم سورة البقرة :

وهما الآيتان (٢٨٥ و٢٨٦) من السورة .

سادسا : أوائل سورة غافر :

وهى الآيات ١ ، ٢ ، ٣ من السورة الكريمة وهى « حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير »

سابعا : كثرة ذكر الله :

وهذا موضوع كبير متشعب ، ولكن علينا أن نعلم أن الفرق بين من يذكر الله وبين من لم يذكر الله كالفرق بين الحى والميت ؛ فالذاكر قلبه حى طاهر منير ، والآخر قلبهُ مظلم خَاوٍ من الأنوار ، ولذكر الله صيغ كثيرة وردت عن سيدنا رسول الله ﷺ وهو فى جميع الأحوال وجميع الأوقات وجميع الأماكن (فيما عدا قضاء الحاجة فى المِرحاض) .

ثامناً : إحدى صيغ التوحيد :

قول : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير) مائة مرة متوالية .

تاسعاً : الوضوء والصلاة :

قال رسول الله ﷺ : (إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما النار تطفأ بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ[٢١] .

وطبعا إذا توضأ فيحسن به أن يصلى على الأقل ركعتين .

عاشراً : الإمساك عن فضول الكلام والطعام والنظر ومخالطة الناس :

أما فضول النظر : فهو مبدأ الفتنة وبداية الوقوع فى المحظور . وأما فضول الكلام : فلقول الرسول ﷺ : (طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله)[٢٢] .

وأما فضول الطعام : فلقول الرسول ﷺ : (ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسِهِ)[٢٣] .

وأما فضول المخالطة ــ فيما عدا مخالطة تجر نفعا لدين المرء وتقواه ــ : فهى الإقلال من معاشرة الناس خصوصا غير العاملين بدين الله .

٢١ ــ رواه أبو داود .
٢٢ ــ قال ابن عبد البر حديث حسن ، ورواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف .
٢٣ ــ رواه الترمذى وحسنه عن المقداد بن معد يكرب .

الصيام في الإسلام وفي الملل الأخرى

فضيلة الشيخ سيف النصر عبد العزيز المجلى

[صيام رمضان مظهر لوحدة العقيدة بين الأديان]

« رمضان » « وحدة زمانية » تبتدىء بابتداء الشهر وتنتهى بانتهائه و « وحدة دينية » و « وحدة عقائدية » تسرى مع كل زمان ومكان . ليتقبلها من شاء من أهل الأرض فى أى زمن من الأزمنة وفى أى مكان من الأمكنة . وقد جمع الله كل الأديان فى دين واحد هو « الإسلام » وجعله خاتماً للديانات ، وجعل رسوله سيدنا محمد ﷺ خاتماً للمرسلين والأنبياء .

ونحن حين نطالع « تاريخ الأديان » نجد أن زمان نزول الديانات كان دائماً فى « شهر رمضان » وفى هذا دلالة واضحة على التقاء وحدة الزمان مع وحدة العقيدة فى الأديان ، وعلى أن « شهر رمضان » قد اختصَّه الله ـ سبحانه وتعالى ـ بوقت بار ، لأفضليته عن سائر الشهور بما تنزل فيه من رسالات الأنبياء وكتب السماء ـ وعلى أن هذا الزمان مظهر من مظاهر العقيدة ووحدتها بين جميع الرسل وجميع الناس من أتباع كل رسول وكل دين .

ولهذا فرض الله « الصيام » على نبىِّ الإسلام سيدنا محمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء والرسل من قبله ـ ليوجه الإنسان إلى وجهة الحق والخير فى حياته ـ فكما أرسل إليه الرسل :

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾

[سورة النساء ١٦٥]

وكما أنزل عليهم كتبه تهديهم إلى سواء السبيل :

﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾

[أول سورة آل عمران]

بيَّن ـ سبحانه وتعالى ـ أن الغاية الحقة من وجود الإنسان فى الحياة هى « عبادة الله » سبحانه ، فهو القائل :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .

[الذاريات : ٥٦]

وأنه يجب على الإنسان ـ حتى يمكنه الوصول إلى هذه الغاية العظيمة ـ أن يكون على جانب من التقوى ، فالتقوى : حكمة فرض « الصيام » على الإنسان منذ وجد على الأرض حتى الآن .

ولعلنا نرى تفصيلًا لذلك فى تعليل الحكمة من الصيام فى الآية التالية :

صيامنا وصيام السابقين :

يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) ﴾

[سورة البقرة]

وهذه الآية الكريمة ـ تقرر أن « الصيام » قد كتب على المسلمين ـ كما كتب على الذين من قبلهم فى الأمم الغابرة .

ويقول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

[البقرة : ١٨٥]

وهذه الآية الكريمة تقرر ـ أن الشهر المفروض صيامه على المسلمين هو « شهر رمضان » من كل عام ـ وهنا يثور تساؤل .. هل كان الصوم المفروض على من سبقنا من الأمم الغابرة هو صوم « شهر رمضان » أيضا أم غيره .. ؟ وما المقصود بالصيام المفروض على من سبقنا .. ؟ وما نوع هذا الصيام وشكله .. ؟ .. وما وقت معرفة الأمم السابقة به .

آراء المفسرين والفقهاء

يرى بعض المفسرين والفقهاء : أن التشبيه يرجع إلى وقت الصوم . وإلى قدر الصوم . وأن الذى فرض علينا وعلى الأمم السابقة من صيام ، كان هو « صيام شهر رمضان » وهؤلاء السابقون هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى .. غير أن « اليهود » تركوا هذا الصيام إلى صوم يوم من السنة زعموا أنه اليوم الذى أغرق غيه « فرعون » .

وأما « النصارى » فقد أخذوا بالثقة من أنفسهم ـ فصاموا قبل الثلاثين « يوماً » وصاموا بعد الثلاثين « يوماً » قرناً بعد قرن . حتى بلغ صومهم خمسين « يوماً » فصعب عليهم فى الحر . فنقلوه إلى الفصل الشمسى .

ويرى آخرون ـ أن التشبيه واقع على صفة الصوم الذى فرض على النصارى وحدهم . أو على أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى .

وقد كان هذا الصوم يبدأ من العشاء الآخرة ـ إلى العشاء الأولى من اليوم التالى وكان حرماناً من الأكل والشرب والجماع . فإذا حان الإفطار حُرِّمت هذه الأشياء على من نام .

وقد كان هذا الصوم معروفاً فى شرع النصارى أولًا .. وعرف أيضاً بهذه الشاكلة حين فرض على

المسلمين الصوم فى أول الإسلام .. ثم نسخ بقوله تعالى :

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ .

[البقرة : ١٨٧] .

وورد فى تفسير « المنار » أن التشبيه فى الآية يرجع إلى أصل وجوب الصيام على من تقدم – لا فى الوقت والكيفية – وإنما فى تشبيه « الفرضية » « بالفرضية » ولا تدخل فيه الكيفية أو الكمية ، بينما لم يرجح الإمام «الطبرى» فى تفسيره هذا الرأى .. وإنما رجح الرأى القائل بأن أهل الكتاب هم الذين فرض عليهم « الصيام » قبلنا . وأن التشبيه واقع على الوقت وهو « شهر رمضان » .

ومن ثم نرى أن الصوم الذى كان مفروضاً على الأمم السابقة سواء كان صيام « شهر رمضان » أو صيام عدد من الأيام ، هو مما يماثل صيام « شهر رمضان » لدى المسلمين .

وهذا هو ما يحدثنا به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . ويرويه لنا واقع التاريخ فى مختلف الأزمان – وهو واقع يتفق مع حكاية التاريخ له – ومن صيام أهل الكتاب أوقاتاً وأزماناً معينة من السنة .

صوم اليهود والنصارى

جاء فى تفسير « المنار » عن صيام « اليهود » ما يأتى : « وثبت أن موسى صام أربعين يوماً ، وهو يدل على أن الصوم كان معروفاً ومعدوداً من العبادات .. واليهود فى هذه الأيام يصومون أسبوعاً تذكاراً لخراب أورشليم وأخذها . وقد جاء فى الفقرة الأولى من الإصحاح التاسع بسفر نحميا – وهو أحد أسفار العهد القديم التاريخية – ما يدل على أن اليهود قد صاموا اليوم الرابع والعشرين من الشهر السابع العبرى فالنص فى الفقرة الأولى من الإصحاح التاسع بسفر نحميا يقول : « فى اليوم الرابع والعشرين من الشهر السابع – تجتمع بنو إسرائيل مرتدين المسوح ومعفرين جسومهم بالرماد للاحتفال بيوم الصوم » .

وقد ورد فى سفر زكريا – ما يفهم منه – أن « اليهود » بعد الجلاء إلى « بابل » كانوا يصومون أياماً كثيرة على فترات دورية تخليداً لذكرى حوادث وقعت لهم ، أو فى تاريخهم . وكانوا يسمون كل صيام من أنواع هذا الصوم برقم الشهر العبرى الذى وقعت فيه الحادثة .

وكانت لهم أيضاً – أنواع أخرى من الصيام المستحب عندهم يبلغ عددها خمسا وعشرين نوعاً – وكانوا يصومون هذه الأيام أو الأنواع – إما تخليداً لذكرى وفاة أنبيائهم وعلمائهم كموسى وهارون – على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام – أو لذكرى حوادث أخرى وقعت لهم فى تاريخ حياتهم .

وأما صوم « النصارى » فلم يرد فى أناجيلهم المتداولة بأيديهم نص على فرضيته – وأغلب ما

ورد فى أناجيلهم المعروفة لا يعدو ذكر « الصوم » أو مدحه كعبادة فِعْلُها ممدوح عندهم ـ كما يمتدحون ـ النهى عن الرياء ، وإظهار الكآبة .

وقد اشتهر عندهم الصوم المعروف « بالصوم الكبير » وهو قبل عيد « الفصح » وأقدم ما عرفوا من أنواع « الصيام » وهو صيام « موسى » والذى كان يصومه « عيسى » عليهما السلام .

أنواع أخرى من الصيام

وهناك أنواع أخرى من الصيام وضعها رؤساء الكنيسة ـ وهى محل خلاف بين مذاهبهم وطوائفهم المختلفة ، ومنها : « الصوم عن اللحم » والصوم عن السمك والصوم عن اللبن والبيض . وقد كان للأولين منهم صوم مشروع ، كصوم اليهود ، وكيفيته : أن يأكلوا فى اليوم والليلة مرة واحدة لكنهم غيّروه وبدلوه بعد ذلك .

ويروى التاريخ لنا ـ **أنواعاً** أخرى من الصيام ـ تدل على أن « الصيام » كان مشروعاً فى جميع الأديان ، حتى الملل التى لم يعرف لها أصل سماوى كالوثنية .

الصيام عند قدماء المصريين
واليونان والرومان

وقد كان المصريون القدماء ـ وهم وثنيون ـ يعرفون الصوم . وقد أخذه عنهم اليونان ثم الرومان ـ كما كان معروفاً فى ديانات السابقين والبرهميين والبوذيين والمانوية ـ إلى ما هو معروف اليوم من صيام اليهود والمسيحيين .

فقد ذكر « ابن النديم » فى الجزء التاسع من كتابه : « الفهرست » أن شريعة « الحرانيين » المعروفين بالصابئة أو الصابئين .. وهى ديانة قائمة على تقديس الكواكب . تفترض عليهم الصيام ثلاثين يوماً . أولها لثمان مضين من « مارس » وتسعة أخر أولها لتسع بقين من « ديسمبر » وسبعة أخر أولها لسبعة مضين من « فبراير » وهى أعظمها ـ ولهم تنفل من صيامهم . وهو ستة عشر يوماً . وصيام سبعة وعشرين يوماً .

وذكر « ابن النديم » أن الصابئين كانوا يصومون الشهر تكريماً « للمشترى » ـ والعياذ بالله ـ وللأيام السبعة تكريماً للشمس وهى الرب الأعظم فى نحلتهم ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

هذا هو « الصوم » على اختلاف ألوانه وأنواعه فى الديانات والملل الأخرى السابقة على الإسلام .. ومنه يظهر « للصائم » أن الله تعالى قد فرض صيام شهر رمضان على المسلمين كما كُتب على الذين من قبلهم .. فغيروا فى شكل الصيام وفى وقته . وبقى فى الإسلام على نحو ما أمر الله ورسوله .. وسوف يبقى ـ إن شاء الله تعالى ـ كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأن شريعة الإسلام هى الشريعة الجامعة ، ورسوله هو الرسول الخاتم .. وكتابه ـ القرآن الكريم ـ هو الذى تكفل الله بحفظه من بين الكتب السماوية جميعاً ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾

[سورة الحجر]

أعاد الله على المسلمين الأيام بالخير واليمن والبركات .

حقوق الزوجة فى الإسلام

(أ) الحقوق المعنوية

لاشك أن الدارس لوضع الزوجة فى الإسلام سوف يبهره ما كفله ذلك الدين العظيم لها من حقوق لم يستشرف لها النظر فى أكثر المجتمعات حضارة وأغناها مادية إلا فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وهى حقوق ذات شقين : أحدهما مادى والآخر معنوى .. وسوف أستهل الحديث فى هذا الموضوع بالشق المعنوى ؛ لأنه يفوق ـ من وجهة نظرى، ثم من حيث الأهمية ـ الشق المادى ؛ ولأنه لا قيمة لهذا الأخير بدون الأول ..

بقلم م/ عبير محمد عبدالواحد

والشق المعنوى يبدأ من قبل الزواج حيث اشترط الإسلام رضا اختيار الزوجة لزوجها . روى الجماعة كلهم[1] عن أبى هريرة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « لا تنكح الأيِّم[2] حتى تُسْتَأْمر . ولا البكر حتى تُسْتَأْذن . قالوا يا رسول الله ، وكيف إذنها ؟ قال : أن تسكت » ورَوَوْا ـ إلا البخارى ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها » أى سكوتها فلا تكلف التصريح بالرضا لحيائها . ولا يكون سكوت البكر إذناً للأب بتزويجها إلا إذا كانت تعلم ذلك .

فإن كانت لا تعلم فينبغى إعلامها ، وذلك يعنى ـ حتماً ـ أنها لا تُكْـرَهُ على الـزواج بمن لا ترضى ، رَوَى ابن ماجه من حديث عبدالله بن بُرَيدة عن أبيه قال : « جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت : إن أبى زوجنى من ابن أخيه ؛ ليرفع بى خَسِيسَتَهُ . قال : فجعل ـ عليه الصلاة والسلام ـ الأمر إليها ، فقالت : قد أجزت ما صنع بى ، ولكن أردت أن أعلم النساء أنه ليس إلى الآباء من شىء » .

إذن الاختيار ، والسُّبُل المستقيمة المؤدية إليه

---

(١) الجماعة هنا أصحاب الصحاح ، وأحمد ـ رضى الله عنهم .

(٢) الأيِّم غير المتزوجة ، بكراً كانت أم ثيباً .

كلاهما حق لها ، وعلى خاطبها أن يبدو على حقيقته صريحاً صادقاً لا يخفى ما تكرهه النساء عادة من الرجال .. روى الديلمى فى مسند الفردوسى عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ عن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : (إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب السواد فليعلمها أنه يخضب) أى يصبغ شعره .

كذلك فإنه لا يحل لولى المرأة : بكراً ـ أو ثيباً ـ أن يؤخر نكاحها إذا خطبها كفء ذو دين وخلق . قال عليه الصلاة والسلام : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير »[٣] .

وحسن المعاشرة حق ثابت لها شرعاً ومروءة فهو من الخلق الطيب الذى يدعو إليه الإسلام وحسن المعاشرة يشمل الكثير من الأمور ومن بينها :

(أ) لطف المعاملة : قال تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

النساء : ١٩

ويعنى قوله تعالى : ﴿ **عاشروهن بالمعروف** ﴾ أن تطيبوا أقوالكم لهن وتحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم ، فكما يحبُّ الرجل من زوجه طاعتها إذا أمر ، وحُسْنَها إذا نظر ، فليكن هو ـ بدوره ـ حسن الهيئة مجيباً لما تبدى من حاجة مشروعة فى حدود طاقته قال تعالى : ﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾

وسوف نجد فى سنة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ تطبيقاً عملياً للقرآن الكريم . فلقد كان ـ ﷺ ـ جميل العشرة ، دائم البِشْر ، يداعب أهله ، ويتلطف بهم ويوسعهم نفقته ، ويضاحك نساءه . وكان إذا صلى العشاء ودخل منزله يَسْمُرُ مع أهله قليلا قبل أن ينام ، يؤانسهم بذلك ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكان يقول صلوات الله وسلامه عليه : (خيركم خيركم لأهله) رواه ابن حبان فى صحيحه . ويقول : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم » رواه الترمذى وابن حبان .

ومن حسن المعاشرة عدم إرهاقها بأعمال يستطيع أداءها ، أو بعضها ، وبخاصة فيما هو له فلقد كان عليه الصلاة والسلام يخصف نعله ويرقع ثوبه ويحلب الشاة ويخدم نفسه[٤] ـ ﷺ ـ .

ومن حسن المعاشرة تسليتها بما تطيب به نفسها مما أحل الله ـ سبحانه ـ قالت عائشة ـ رضى الله عنها : سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم ـ وهم يلعبون فى يوم عاشوراء ـ فقال لى رسول الله ـ ﷺ ـ : أتحبين أن ترى لعبهم ؟ قالت : قلت نعم . فأرسل إليهم فجاءوا ، وقام رسول الله ـ ﷺ ـ بين البابين فوضع كفه على الباب ، ومد يده ، فوضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون ، وأنظر ، وجعل رسول الله يقول : حسبُك ؟ وأقول : (اسكت) مرتين أو ثلاثاً) . ثم قال يا عائشة ، حسبُك ؟ فقلت : نعم ، فأشار إليهم فانصرفوا . فقال ـ عليه الصلاة والسلام :

(٣) رواه الترمذى .

(٤) راجع مسند أحمد ١٠٦/٦ ، ٢٥٦ ط الميمنية .

(أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله) .

رواه الترمذى والنسائى واللفظ له . والحاكم . وقال : رواته ثقات على شرط الشيخين البخارى ومسلم .

كذلك من حسن المعاشرة وجوب القناعة بما حَلَّ له الاستمتاع به منها ، وحل الاستمتاع لها منه ، فلا يتعديا ما حَلَّ إلى ما حَرُم ، وإن فيما حَلَّ الكفاية[٥] وزيادة .

والتزين من حسن المعاشرة فلقد أوجب الرسول ـ ﷺ ـ على الرجل أن يتجمل لامرأته ويبدو لها فى المنظر الحسن قال عليه الصلاة والسلام : « اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا ، فإن بنى إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم »[٦] ، ونهى رسول الله ـ ﷺ ـ أن تحلق المرأة رأسها ، كذلك ينبغى أن يكون معلوماً أن المرأة إذا لم تتزين لزوجها صَلِفَتْ عنده[٧] .

وبلغ من شدة ترفق الإسلام بالمرأة أن الرسول عليه الصلاة والسلام أوصى المسافر ، إذا عاد إلى بلده ألا يطرق أهله ليلا ، وأن يبعث إليهم من يبشرهم حتى لا يفاجئهم بمقدمه عليهم . قال عليه السلام : « إذا دخلت ليلا فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمشط الشعثة ، والكيس ، الكيس »[٨] .

أما قوله تعالى ﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

ففيه حض الأزواج على الصبر على زوجاتهم وتحملهن ، فعسى أن يكون صبرهم فى إمساكهن مع الكراهة ، فيه خير كثير لهم فى الدنيا والآخرة .

وفى الحديث الصحيح « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقاً رضى منها آخر »[٩] أى : لا ينبغى للزوج أن يكره زوجته بسبب خُلُقٍ ما لا يروقه منها ، ولينظر إلى الجوانب الإيجابية فيها . فلكل إنسان منا حسناته وسيئاته والكمال المطلق لله ـ عز وجل ـ ولقد أوضح الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمراً غاية فى الأهمية حيث يقول : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خلقن من ضلع أعوج ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه . فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء خيراً) رواه البخارى فى صحيحه .

ومعنى الحديث أن المرأة بحكم طبيعتها لن تستقيم لك على طريقة ، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها ، وكسرها طلاقها .

إن هذا الحديث على العكس ما يتصور البعض لا ينتقص ، ولا يقلل من قيمة المرأة ؛ بل يعين

---

(٥) كثر فى هذه الأيام الشكوى ـ فى دور الافتاء المختلفة بأكثر من بلد إسلامى ـ من ممارسة ما لا يحل ، ومثله مما لا مروءة فيه ؛ فلا تجبر عليه المرأة ، كذلك من حق الرجل ألا يستجيب .

(٦) اتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٧٥ .

(٧) راجع النسائى ١٣٠/٨ ، ١٥٩ . ومعنى صَلَفَتْ : لم تحظ لديه بمنزلة وقد يكرهها .

(٨) صحيح البخارى ٥٠/٧ .

(٩) رواه مسلم .

الرجال على فهم طبيعتها وبالتالى يصبحون أقدر على التعامل معها بمرونة وكفاءة أكبر .. فالمرأة تمر بظــروف خاصة من حيض وحمل ونفـــاس وإرضاع ، وكل هذه الظروف بلاشك تؤثر بشكل أو بآخر على حالتها النفسية ومزاجها فتجعلها سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة . وعلى سبيل المثال يصاب كثير من النساء بحالة من الكآبة أثناء الحيض ، لاسيما عند بدايته ، وتكون المرأة متقلبة المزاج ، سريعة الانفعال ، قليلة الاحتمال من هذا الظرف ، ومثله كثير ؛ لذا فإن الزوج الحكيم هو ذلك الواعى لضعف المرأة وطبيعتها النفسية المتأثـــرة بظروفهـــا الخاصة والمختلفة .

ولقد ضرب لنا رسولنا الكريم المثال فى الصبر على الزوجة . فكان من زوجاته من تراجعه فى الكلام أو تغاضبه طيلة النهار ، وهو من هو !! أعظم خلق الله ـ ﷺ .

جاء رجل إلى عمر ـ رضى الله عنه ـ يريد أن يشكو خلق زوجته ، فوقف على بابه ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه وتخاصمه ، وعمر ساكت لا يرد فانصرف الرجل راجعاً ، وقال : ان كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته ـ وهو أمير المؤمنين ـ فكيف بحالى ؟ وخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك أيها الرجل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتى واستطالتها علىّ . فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر : يا أخى . إنى أحتملها لحقوق لها علىّ : إنها لطباخة لطعامى ، خبازة لخبزى . غسالة لثيابى . مرضعة لولدى . وليس ذلك كله بواجب عليها ، ويسكن بها قلبى عن الحرام . فأنا أحتملها لذلك . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، وكذلك زوجتى . فقال عمر : فاحتملها يا أخى فإنما هى مدة يسيرة[١٠] .

(ب) من الحقوق المعنوية المحافظة على أسرار الزوجة وعدم كشف عيب بها لأحد والمحافظة على ما بين الزوجين من علاقة خاصة .

يقول ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يُفضى إلى المرأة وتُفضى إليه ثم ينشر سرها) رواه مسلم وأبو داود .

وعن أبى هريرة قال : صلى بنا رسول الله فلما سَلَّمَ أقبل علينا بوجهه فقال : (مجالسكم . هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ، ثم يخرج فيُحدِّث فيقول : فعلت بأهلى كذا وفعلت بأهلى كذا) ؟ فسكتوا ، فأقبل على النساء فقال : « هل منكن من تحدث ؟ » . فجثت فتاة كعاب على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ـ ﷺ ـ ويسمع كلامها فقالت : أىْ والله ، إنهم ليتحدثون ، وإنهن ليتحدثن ، فقال : « هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟

إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقى أحدهما صاحبه بالسكة فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه » رواه أحمد وأبو داود والبزار .

(جـ) أن يكون معتدل الغيرة حتى لا تسرف به إلى سوء الظن :

فالغيرة علامة من علامات الإيمان وعلامة من

(١٠) عبدالمتعال محمد الجبرى : المرأة فى التصور الإسلامى ، ص١٦٥ ، ١٦٦ .

علامات الشرف . فينبغى ألا يتساهل فيما له علاقة بحرمة الأسرة . كذلك لا تساهل فيما فيه ميل إلى سوء أو منكر .. قال عليه الصلاة والسلام : (ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً .. الديوث والرجلة من النساء ، ومدمن الخمر . فقالوا : يا رسول الله ، أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديوث ؟ قال : الذى لا يبالى من دخل على أهله . قلنا فما الرجلة من النساء ؟ قال : التى تُشَّبه بالرجال) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : (إن الله تعالى يغار ، والمؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتى الرجل المؤمن ما حرم الله)[11] .

ولاشك أن الزوجة تشعر بالسعادة والرضا حينما ترى زوجها يغار عليها ، ويحافظ على كرامتها ، وتشعر بالإحباط والإهمال حينما يسلك زوجها سلوكاً مضاداً لذلك ؟ وما نراه حالياً من بعض الأزواج من عدم مبالاة بارتداء زوجته للملابس الكاسية العارية ، أو وضع العطور النفاذة أمام العامة لا يمكن أن نصنّف موقفه فى إطار السلوك السوىّ بأى حال من الأحوال .

إن الغيرة مطلوبة على أن تكون فى أحسن أحوالها ، حتى لا تتحول إلى ريبة فتجسس فسوء ظن ، فإن ذلك يفسد العشرة ويقطع سبل المودة وذلك نقص فى رجولة الحكيم ؛ فينبغى على الرجل أن يشعر زوجته بالثقة وأن يبتعد عما يخدش كرامتها . قال عليه الصلاة والسلام : (إن من الغيرة غيرة يبغضها الله ـ عز وجل ـ وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه .

وقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ الحجرات : ١٢

(د) **الرعاية الدينية** : وهذه الرعاية من حق الزوجة على زوجها ، فعليه أن يهتم بسلامة دينها وخلقها ويرشدها إلى ما ينبغى أن تعلمه من أمور دينها ، فتمارسه على خير وجه .. قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ التحريم : ٦

وفى الحديث الشريف : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وفيه (والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته) .

البخارى جـ ٢ / ٦ ، جـ ٣ / ١٩٦ ، جـ ٤ / ٦ ، جـ ٧ / ٣٤ ، ٤١ .

(هـ) **القسمة العادلة بين زوجاته فى حال التعدد** : مسكناً وطعاماً وشراباً وكساء :

فلا يفضل واحدة على أخرى .. قال تعالى :

﴿ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾[12]

ويقول عليه الصلاة والسلام : (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما دون الأخرى ـ وفى لفظ « لم يعدل بينهما » ـ جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل) .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ ﴾

فالعدل مطلوب ، إذ هو الحق ، ولو كان مع زوجة واحدة .

يتبع .

(١١) البخارى ٧/٤٥ ،مسلم التوبة ٣٦ ، أحمد ٢/ ٥٤٠ .

(١٢) النساء : ١٢٩ .

العالم الإسلامى المعاصر

تعريفه وأهم خصائصه

د / زينب الأشوح *

بالرجوع إلى الدراسات المتخصصة التى تناولت (العالم الاسلامى) ، لوحظ أن غالبية تلك الدراسات لم تتعرض لتعريف العالم محل الدراسة ، مما قد يبعث على التشكك فى نتائج تلك الدراسات طالما أن نقطة البحث الأساسية مجهولة الهوية .

فإذا ما دارت دراسة أو مناقشة ما حول جزء أو كل (العالم الاسلامى) فلابد من التمهيد أولا بعرض إجابات واضحة عن الأسئلة الآتية :

ماذا يقصد بالعالم الإسلامى ؟ ، وما أهم معالمه وحدوده ؟ ، وما الخصائص التى تميزه وتجعل له هوية منفصلة عن بقية أجزاء العالم ككل ؟ وعلى اعتبار « الدولة الإسلامية » هى الوحدة الأساسية للعالم محل الدراسة فيجب على أيـــة دراسة متخصصة أن تبدأ : أولا : بتعريف تلك الوحدة بدقة كافية وبناء عليه فسوف تتم محاولة استنباط أهم المعايير التى يمكن استخدامها فى تعريف الدولة الإسلامية ــ كوحدة ــ والعالم الإسلامى ــ ككل ــ منتهين بأفضل تعريف يمكن التوصل إليه لتحديد أهداف الدراسة ، وذلك كما نعرضه فى الأقسام التالية .

تعريف الدولة الإسلامية :

بالتوغل فى الدراسات التى تناولت ما يعرف بالدولة الإسلامية نلاحظ أن هناك ثلاثة معايير عادة ما يستخدم أحدها ، أو جميعها لتعريف الدولة الإسلامية ، تلك هى « إسلامية القوانين التى تحكم الدولة » و « إسلام الحاكم » و « اغلبية عددية سكانية مسلمة » أو ما قد يطلق عليه ــ اختصارا ــ « المعيار العددى » .

ومن أمثلة الدراسات التى استخدمت المعيار الأول مجموعة الدراسات التاريخية التى أشارت ــ وتشير ــ إلى تحول العديد من الدول إلى (بلاد إسلامية) نتيجة للفتوحات الإسلامية وتطبيق الشريعة والقوانين الإسلامية على سكان تلك البلاد ، ففى موسوعة الدكتور أحمد شلبى للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ــ على سبيل المثال ــ (١٩٧٥ ، ص ٥٤) أشار المؤلف إلى انتشار الإسلام فى مناطق كانت

* الكاتبة : مدرس اقتصاد ــ كلية التجارة جامعة الأزهر (بنات)

المسيحية دينها مثلما حدث فى أسبانيا ، وذلك نتيجة للفتح الإسلامى لتلك المناطق . ومما يدل على أن الدولة تدين ــ ولو شكلا ــ بدين غازيها الذى يطبق قوانين دينه وعقائده عليها ، ما أوضحه د.أحمد شلبى حول الحركة الإسلامية والمسيحية[1] بين القارات حيث ذكر أن الإسلام الذى تركز أساسا فى افريقيا وجزء كبير من آسيا ، قد افتتح أوروبا من طرفيها : الغربى فى العهد الأموى حيث ضم أسبانيا ، واتجه إلى فرنسا ، والشرقى حيث أسقط العثمانيون القسطنطينية وبسطوا نفوذهم على دول شرقى أوربا وأخذوا ينشرون دينهم « وقد أدى ذلك إلى اتجاه المسيحية لكل من إفريقيا وآسيا كمحاولة ــ كما ادعوا ــ للثأر من اقتحام الإسلام للقارة الأوروبية . ويتضح تطبع الدولة بدين غازيها المنتصر مما نص عليه المؤلف وهو « ولعل الاهتمام بنشر الدين يفسر على أن الدين فى الواقع من أقوى الصلات بين البشر ، وأنه يفوق فى هذا المضمار علائق الدم والجنس والوطنية[2] .

أما عن معيار « دين الحاكم » فقد استخدم فى عديد من الدراسات لتقويم الدولة وتحديد ديانتها الرسمية ، ومن تلك الدراسات الدراسة السابقة حيث يستنبط ذلك المعيار مما نص عليه أحمد شلبى فى كتابه (١٩٧٥ ، ص ٤٨) .. بالاضافة إلى انتشار الإسلام انتشارا كبيرا بين دول تجعل المسيحية طابعها ؛ لأن حكامها من المسيحيين . وفى دراسة قام بها يسرى الجوهرى وناريمان درويش (١٩٩٢، ١١ــ١٥)، أشير إلى عديد من الدول التى صارت إسلامية بعد أن اعتنق حكامها الإسلام مثلما كان الحال بالنسبة لإمارة (بروناى) التى أصبحت إسلامية بعد إسلام حاكمها « أوانج بتاتار » فى عام ٨٢٨هـ، وكذا انتشار الإسلام فى (جزيرة سلبيس) التى انتشر الإسلام فيها على يد ملكها « ابن كوينجالو » الذى أسلم فى القرن الحادى عشر ، ولقب نفسه بعد الإسلام بـ(السلطان علاء الدين) ، كما أسلم (ملقا) عام ٦٧٥هـ (١٢٧٦م) وانتشر الإسلام فى مملكته ، وامتد فى انتشاره إلى (سنغافورة) و (ماليزيا) وأدى ذلك إلى قيام أول مملكة إسلامية فى ماليزيا .

وقد لوحظ أن (المعيار العددى) هو الأكثر استخداما لتعريف الدولة الإسلامية سواء كان ذلك فى الدراسات الفردية ، أو فى الدوريات والمطبوعات الدولية (على سبيل المثال : يسرى الجوهرى وناريمان درويش ، ١٩٩٢ ، ياسين محمد مراد ، ١٩٩٠ ، كتاب الحقائق ، بالانجليزية ، ١٩٩٣) .

ومن بين التعريفات الواضحة التى تحدد مفهوم الدولة الإسلامية اخترنا هذين التعريفين المذكورين فى مؤلفى كل من محمود أبو العلا وياسين محمد مراد .

عرف الأول (١٩٩١م، ص١٣) الدولة الإسلامية بأنها (تلك التى يزيد عدد المسلمين فيها على ٥٠٪ من مجموع سكانها) ويتفق هذا مع تعريف ياسين محمد مراد (١٩٩٠م ص٦) حيث عرف الدولة الإسلامية بأنها تلك التى يزيد عدد المسلمين فيها على ٥٠٪ من عدد سكانها بصرف

النظر عما إذا كان دستورها قد نص على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمى أم لم ينص) .

أما اذا لم يتجاوز عدد المسلمين النسبة المقررة لا تعتبر الدولة إسلامية ، ويعتبر المسلمون المقيمون فيها أقلية دينية حتى إذا كان حجم تلك الأقلية كبيرا كما فى حالة الهند (٩١ مليون مسلم) والصين الشعبية (٨٤ مليون مسلم) والاتحاد السوفييتى (سابقا حوالى ٥٢ مليون مسلم) .

والواقع أن المعيار الذى يجب استخدامه لتحديد المقصود بالدولة الإسلامية بشكل دقيق يجب أن يتضمن كلًا من : دين الحاكم والغلبة العددية فى صيغة واحدة كما سنوضح فى حينه .

تعريف العالم الإسلامى :

قد يختلط الأمر على البعض فيعتقد أنه طالما تعتبر (الدولة الإسلامية) وحدة أو جزءاً من (العالم الإسلامى ككل) فإن تعريف الوحدة لن يختلف عن تعريف الكل . غير أن التفكير المنطقى يرفض ذلك الخلط ؛ لأن ذلك معناه تجاهل أعداد كبيرة من المسلمين الذين قد يمثلون قلة ــ نسبية ــ فى بلادهم غير الإسلامية إلا أن تلك الأعداد ــ فى حد ذاتها ــ تشكل أهمية عددية نسبية كبرى بالمقارنة بأعداد المسلمين المطلقة التى تعيش فى بعض الدول الإسلامية مما يمكن أن يجعل من تلك الأعداد ــ فى الواقع ــ دولا إسلامية متخفية تحت أردية غير إسلامية فرضت عليها مؤقتا تحت تهديد أسلحة وقوى غير مشروعة . ومصداقا على ذلك الجمهوريات الإسلامية التى اغتالتها اياد استعمارية شيوعية ، ودأبت على محاولة طمس هويتها الإسلامية الأصيلة ولكن لم يستمر ذلك إلا حينا من الدهر استطاعت بعده تلك الجمهوريات أن تستقل وتعلن تكوينها وشكلها الإسلاميين حيث كانت وظلت وستكون بمشيئة الرحمن .

وبالرجوع إلى بعض الدراسات التى تناولت تعريف (العالم الإسلامى) ، نجد أن المعيار العددى أكثر المقاييس المستخدمة فى تعريف وتحديد المقصود بالعالم الإسلامى غير أن كيفية استخدام ذلك المعيار تختلف من دراسة لأخرى .

ففى دراسة أحمد شلبى (١٩٧٥،ص٤٨) استخدم معيار « الأغلبية السكانية المسلمة » لتحديد العالم الإسلامى على مستوى القارة . وقد أوضح ــ فى هذا الصدد ــ أن إفريقية هى القارة الوحيدة التى يمكن تسميتها بـ(القارة المسلمة) من بين قارات العالم لأن ١٥٠ مليون نسمة من مجموع سكانها (٢٣٥ مليون) مسلمين ، أما الملايين الباقية فيها فتتوزع بين المسيحية واللادينية وعقائد وأفكار أخرى .. ويضيف المؤلف أن الإسلام يوجد أيضا بنسبة كبيرة فى آسيا ، ومع ذلك لم يعتبرها قارة إسلامية مثلما الحال بالنسبة لقارة إفريقيا . هذا بينما يرى (يسرى الجوهرى وناريمان درويش) (١٩٩٢،ص١٦) أن الإسلام قد انتشر فى مواضع عديدة من آسيا ، ومن ثم فقد اعتبراها (بؤرة العالم الإسلامى) ونعتاها بلقب (آسيا الإسلامية) .

ولقد عرف محمود أبو العلا (١٩٩١،ص١٣) العالم الإسلامى بأنه (الدول

التى يكون سكانها المسلمون ما يزيد على ٥٠٪ من مجموع سكانها) وأضاف أنه بناء على هذا التعريف ، فإن العالم الإسلامى يشمل عدة مجموعات من الدول المتجاورة على سطح الأرض الممتد من المحيط الأطلسى غربا حتى المحيط الهادى شرقا إلى جانب العديد من الجزر المبعثرة فى ذلك المحيط .

وبمزيد من المنطقية ، تم تصنيف العالم الإسلامى إلى مجموعات كانت ثلاثاً فى دراسة أحمد شلبى (١٩٧٥،ص٤٩) حيث صنف العالم الإسلامى إلى : دول إسلامية ، ودول نصف إسلامية ، ودول أقليات إسلامية . وبرغم وجاهة ذلك النوع من التصنيف إلا أنه لم يوضح على أى أساس تم ذلك التصنيف . غير أن معظم الدراسات المعنية قد صنفت العالم الإسلامى إلى مجموعتين رئيسيتين هما : الدول التى تضم أغلبية سكانية مسلمة ، والأخرى تضم أقليات مسلمة .

فعلى سبيل المثال أوضح محمود أبو العلا (١٩٩١،ص١٧) أن هناك اثنتين وأربعين دولة إسلامية (يُكَوِّنُ سكانها المسلمون ما يزيد عن ٥٠٪ من إجمالى سكانها) : (٢١) دولة فى آسيا ، و (٢٠) دولة فى إفريقيا ، و (١) دولة فى أوروبا . بينما هناك ست وستون دولة غير إسلامية ، ولكنها تضم أقليات إسلامية بأعداد متفاوتة : (١٧) دولة فى آسيا . و(٢٩) دولة فى إفريقيا ، و(١٠) دول فى أوروبا ، و(٧) دول فى الأمريكتين ، و (٣) دول فى استراليا . وتشير الدراسة إلى أنه وفقا لإحصاء ١٩٨٨ فإن قارة آسيا تضم ٧٠,٥ ٪ من مسلمى العالم ومن ثم تعتبر كما وصفتها الدراسة بيت الإسلام بينما تضم قارة إفريقيا ٢٦ ٪ من إجمالى المسلمين فى العالم ، ويشكل مسلمو باقى القارات ٣,٥ ٪ فقط من إجمالى مسلمى العالم .

وفى تقدير آخر ، ذكر ياسين محمد (١٩٩٠،ص٨) أن المسلمين يشكلون نحو خمس سكان العالم حيث يعيش حوالى الثلثين منهم كأغلبية سكانية داخل (دول العالم الإسلامى) والباقى كأقليات فى دول (غير إسلامية) .. فإذا كانت الأقليات المسلمة تمثل ثلث المسلمين فى العالم أليس من الحكمة أن يصنفوا — كمجموعة ثانية — فى إطار ما يعرف بالعالم الإسلامى ، وليس فى إطار عالم آخر منفصل ؟

الواقع أن العالم الإسلامى لا يمثل حدودا وفواصل مادية بقدر ما يمثل وحدة فى الدين والعقائد والاتجاهات والمصير ، ذلك ما يجعلنا ننتهى — على ضوء ما سبق — **إلى أن أفضل تعريف للعالم الإسلامى « هو شكل اعتبارى يضم كل فرد مسلم على خريطة العالم الدولية »** .

أما عن الدولة الإسلامية فيقترح أن تعرف بأنها تلك الدولة التى تسكنها أغلبية مسلمة (٥٠٪ من إجمالى سكانها أو أكبر نسبة من السكان المسلمين مقارنة بنسب السكان من متبعى الديانات والعقائد الأخرى المختلفة إلى إجمالى السكان) .

أو تلك الدولة التى ينص دستورها على أن دينها الرسمى هو الإسلام أو التى يدين حاكمها بالدين الإسلامى . والتعريف الأخير للدولة الإسلامية قد تم استنباطه من خلال الاستعراض السابق إلى

جانب تعريف الدولة بوجه عام الذى قدمه عبد الستـــار فتـــح الله سعيـــد (١٤٠٨هـ-١٩٨٨،ص٧) حيث ذكر أن الدولة هى « رقعة من الأرض ، يقوم عليها مجتمع ثابت ، تنظمه سلطة ما ، على أساس شريعة معينة » ومن ثم فهو يرى أن تكوين الدولة يقوم على أربعة عناصر هى : الشريعة ، الأمة ، الحكومة ،الأرض .

أهم الخصائص التى يتميز بها العالم الإسلامى :

يتضح لنا من الاستعراض السابق أن الدولة الإسلامية تتمتع بحدود معينة تجعلها منفصلة بذاتها عن بقية الدول الأخرى إسلامية كانت أو غير ذلك .

أما العالم الإسلامى فلا حدود له ، حيث يضم كل المناطق والدول الإسلامية المنتشرة فى أماكن متنوعة ومتفرقة من بقاع العالم ككل وذلك بنسب متفاوتة من الكثافة السكانية الإسلامية . وعلى الرغم من عدم وجود فواصل حدودية ومكانية للعالم الإسلامى عن العالم غير الإسلامى ، إلا أن هناك من الخصائص والمعالم ما ينفرد بها العالم الإسلامى بحيث تجعله مختلفا ومميزا — فى أية بقعة على الأرض — عن غيره من العوالم .. وفى ذلك الجزء سنحاول التعرض بإيجاز للخصائص العامة المميزة للعالم الإسلامى (بحيث ننتهى إلى تكوين دليل مصغر يمكن استخدامه عنـد دراسة الجمهوريات الإسلامية الست المنفصلة مؤخرا عن الاتحاد السوفييتى (سابقا) فيما بعد .

وذلك على النحو التالى الذى نذكره فى العدد القادم بمشيئة الله- تعالى- .

---

١ ـ نلفت النظر إلى أن استخدام (المسيحية) تجاه حديث لم يعرفه المسلمون ، ولا ذكره القرآن الكريم وانما النص الصحيح هو النصرانية من تعبير الكتاب العزيز عنهم ب « النصارى » .

٢ ـ راجع د/أحمد شلبى ١٩٧٥ ص ٥٤ .

معالجة مشكلة البطالة

من منظور الفكر الإسلامي والفكر الوضعي

إعداد
د/ سهير حسن عبد العال (*)

إن التعرف على أسباب مشكلة البطالة يعتبر الأساس لمحاولة وضع سياسة لمواجهتها ، وفى هذا المبحث سنتناول الأسباب التى كانت وراء تفاقم المشكلة فى مصر ، ثم تحليل الأسباب من المنظور الإسلامى .

أولا : تحليل أسباب مشكلة البطالة فى مصر

ترجع مشكلة البطالة فى مصر إلى عدة أسباب من أهمها :

١ ـ ضعف التنسيق بين سياسة التعليم وسياسة التوظف : فافتقاد الفرد لمجال العمل الذى يتناسب مع مؤهله يجعله إما أن يبقى متعطلا أو يقبل العمل فى مجالات بعيدة عن تخصصه ، والنتيجة المتوقعة هى انخفاض كفاءته وضياع الموارد التى خصصت لتعليمه ، والعملية التعليمية هنا لم يستفد منها أحد لا الفرد ولا المجتمع .

٢ ـ تزايد أعباء المديونية الخارجية فى مصر وذلك على حساب الأنشطة الاستثمارية بها ، الأمر الذى ترك آثاره السلبية على معدلات زيادة الإنتاج والعمالة ، وخاصة ، المؤهلة لأنها تحتاج إلى مجالات جديدة لن يتسنى توفيرها إلا من خلال إنشاء العديد من المشروعات واستحداث أنشطة منتجة ، والتوسع فى الأنشطة القائمة ، وهذا يتطلب استثمارات ضخمة يعجز الاقتصاد المصرى عن توفيرها ، فى ظل المديونية الخارجية .[1]

٣ ـ عدم فاعلية التدريب المهنى فى توفير العمالة اللازمة لتنفيذ برامج التنمية ، وبالتالى لم يساهم هذا النوع من التدريب فى إحداث مواءمة بين العرض والطلب على القوى العاملة ، ولم يقم بدوره فيما يطلق عليه « التدريب التحويلى » الذى قد يساعد فى تحول العمالة الزائدة من الحاجة إلى عمالة منتجة عن طريق إكسابهم مهارات معينة .

---

* الباحثة مدرسة اقتصاد ـ كلية التجارة ـ جامعة الأزهر ـ فرع البنات

(١) د. منى الطحاوى « تحليل ظاهرة البطالة بين المتعلمين فى مصر » ، مؤتمر قسم الاقتصاد ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٨٩ ، ٥٩٥ .

أضف إلى ذلك : تعدد الهيئات التى تتصدى للتدريب المهنى فى مصر وافتقارها إلى تنسيق الجهود ، أو العمل فى ظل سياسة موحدة ، كما أن التدريب ذاته يعوزه الدقة والأخذ بالأساليب العلمية المتطورة ، كما يفتقر إلى المدربين الأكفاء والآلات المتقدمة .(٢)

٤ ـ اعتماد كثير من المشروعات ـ التى أقيمت خاصة فى فترة السبعينات ـ على أساليب إنتاجية متطورة تتضمن درجة عالية من الآلية ، كما أنها كانت تركز على المواد الخام المستوردة بسبب سهولة الاستيراد فى ذلك الحين ، فإن الارتفاع المتواصل فى أسعار الواردات (سواء بسبب الاتجاهات التضخمية العالمية ، أو تخفيض سعر صرف الجنيه المصرى) كان له أثره السىء على حجم الإنتاج ومستوى العمالة فى تلك المشروعات ، إذ اضطر بعضها الى تخفيض طاقاته الإنتاجية إلى مادون الطاقة القصوى الممكنة . ولجأ عدد منها إلى تصفية أعمالها وإنهاء نشاطها . ومن ثم استغنت تلك المشروعات عن بعض العاملين لديها ، فازدحم سوق العمل بالأيدى العاملة المؤهلة التى تخرجت حديثا . ولم تجد عملا تشغله ، والأيدى العاملة القديمة التى فقدت عملها نتيجة لانكماش النشاط الإنتاجى فى المشروعات التى تعانى من ارتفاع تكاليفها بسبب اعتمادها على الواردات(٣) .

٥ ـ عدم الاستخدام الأفضل للطاقة الإنتاجية المتاحة ، وما يترتب عليه من وجود طاقات عاطلة إلى تفشى البطالة بين العاملين ، وبالتالى تضعف مقدرة الوحدات الانتاجية عن استيعاب عمالة جديدة كان من الممكن خلق فرص عمل لها إذا ما أحسن استغلال ماهو متوفر من موارد دون الحاجة الى توسعات استثمارية جديدة(٤) مثال ذلك الخبرات والموارد الطبيعية .

٦ ـ يرى بعض الكتاب أن الزيادة السريعة فى النمو السكانى ترتب عليها زيادة حجم السكان من (١٠) مليون نسمة فى بداية هذا القرن إلى مايقرب من (٥٦) مليون نسمة فى الوقت الحالى ، مما أدى إلى اختلال بين قوى العرض والطلب لسوق العمل . ويرى البعض الآخر أن زيادة السكان لو أحسن الاعداد لها والتهيئة والتدريب وفتح أفاق العمل لأصبحت قوة فعالة فى إيجاد فرص عمل للآخرين ، فالمسألة ليست زيادة السكان ولكن كيف يمكن الاستفادة من هذه القوة(٥) .

٧ ـ نمط توزيع الاستثمارات حيث اتجهت الاستثمارات إلى القطاعات التوزيعية بدلا من توجيهها الى القطاعات السلعية ، وهى القطاعات التى تستوعب فرص أوسع للتوظف .

ثانيا : نظرة الإسلام إلى مسببات البطالة وعلاجها :

يرى كتاب الاقتصاد الإسلامى أن البطالة تنشأ عن مسببات أخرى بخلاف المسببات السابقة .

(٢) د. عوض مختار هلوده ، «البطالة فى مصر قياسها وأساليب علاجها» ، المؤتمر العلمى السنوى الرابع عشر للاقتصاديين المصريين ، نوفمبر ١٩٨٩ ، ص ٣٦٥ .

(٣) د. منى الطحاوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٩٧ .

(٤) د. عوض مختار هلوده ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٦٥ .

(٥) د. حسين حسين شحاته ، «المنهج الاسلامى لمعالجة مشكلة البطالة» ، سلسلة بحوث ودراسات فى الاقتصاد الاسلامى ، بحث غير منشور ، ١٩٩٢ ، ص ٩ .

ولقد تضمنت الشريعة الإسلامية القواعد التى تقضى على هذه المسببات وسوف تعرض الباحثة أهم هذه المسببات ونظرة الإسلام إليها .

(١) الربـــا :

يرى كتاب الاقتصاد الإسلامى أن نظام سعر الفائدة يعوق النمو والتطور وإنشاء المشروعات الاستثمارية التى تستوعب عددا من العاملين ؛ لأن الفائدة تؤدى إلى زيادة التكاليف وهذه تؤدى بدورها إلى زيادة الأسعار ـ وتسبب قلة الطلب على إنتاج المشروعات ، وبالتالى توقف هذه المشروعات والاستغناء عن العمالة الموجودة بالمشروعات ومن ناحية أخرى إذا كان (سعر الفائدة (أعلى من (الربحية المتوقعة) فإن هذا يمنع من إنشاء المشروعات ، ويعوق الاستثمار ، ولهذا كان ذلك من بين أسباب تحريم الربا .

فقال الله ـ تعالى ـ فى كتابه العزيز : «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً»[٦]

وقال ـ تعالى : « فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا »[٧]

وقوله ـ تبارك وتعالى

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ[٨]

وقد شدد الرسول ﷺ على تحريم الربا كما ورد فى حديث عن جابر بن عبدالله قال : «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ،ومؤكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم سواء»[٩] أى أن جميع الأطراف المتعاملة مع الربا متساوية فى العقوبة .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : «لا تبيعوا الذهب بالذهب ، إلا مثلا بمثل ، ولاتشفوا بعضها على بعض ، ولاتبيعوا الورق بالورق إلا مثلا بمثل ، ولاتشفوا بعضها على بعض ، ولاتبيعوا فيها شيئا غائبا بناجز .[١٠] ويوضح هذا الحديث شروط التبادل فى حالة اتحاد الجنس للبدل ؛ وذلك لتجنب الربا وهذه الشروط هى التساوى فى القدر والمماثلة ولا يجوز الزيادة والتأخير .

كذلك فإن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قد حذر من الربا ، فعن عبدالله بن عمر : أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : «لا تبيعوا الورق بالذهب ، أحدهما غائب والآخر ناجز ، فإن استنظرك إلى أن يلج بيته فلا تنظره ، إنى أخاف عليكم الرماء»[١١] والرماء هو الربا .

---

(٦) سورة آل عمران آية : ١٣٠ .

(٧) سورة النساء آية : ١٦٠ ، ١٦١ .

(٨) سورة البقرة آية : ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٩) الإمام المنذرى ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، مكتبة الجمهورية العربية ، الجزء الثالث ، ١٩٧٠ ، ص ٥ .

(١٠) الناجز : الحاضر فى المجلس . موطأ الإمام مالك أبى عبدالله مالك بن أنس الأصبحى عالم المدينة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٧ ، ص ٢٦٣ .

(١١) الإمام مالك ، المرجع السابق ذكره ، ص ٢٦٣ .

وقد حرم الاسلام الربا لما فيه من أضرار بالغة تشمل الفرد والمجتمع والنظام الاقتصادى كله ، ومن هذه الأضرار أنه من الأسباب الأساسية لمشكلة البطالة ونقص التوظف والتشغيل فى المجتمع لعدة اعتبارات هى :

١ ـ أن الربا يؤثر تأثيرا سلبيا على الاستثمار والانتاج ، ذلك لأن كثيرا من المستثمريـــن يحتاجون التمويل اللازم لمشروعاتهم فيلجئون إلى الاقتراض بفائدة ، مما يجعلهم يحجمون عن الاستثمار وإنشاء المشروعات ، فتقل بالتدريج المشروعات الجديدة ، وهذا بدوره يقود الى نقص التشغيل فى المجتمع .

كما أن ارتفاع سعر الفائدة على القروض يضطر المستثمرين الى تأجيل عمليات التطوير والإحلال والتجديد ذات التكلفة العالية ، فيتدنى الإنتاج فى النوعية ويقل فى الكمية ، وينعكس ذلك سلبيا على اقتصاديات المشروع ، وبالتالى على أجور العمال ، وقد يتم الاستغناء عن هؤلاء العمال .

٢ ـ المرابون يشكلون طبقة طفيلية غير منتجة تعيش على كسب الآخرين دون أن تساهم فعليا فى الإنتاج . فالمرابى يضاعف رأسماله ، دون عمل ودون مخاطرة مما يدعوه إلى الكسل وتكدس الأموال فى أيد معينة ، ويحول ذلك دون إفادة المجتمع من عمل بعض أفرادها ، وفى ذلك تعطيل لجزء من القوى العاملة فى المجتمع(*) .

وفى مثل هذا المعنى يقول الامام الرازى «إن الاعتماد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب ، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد ـ نقدا كان أو نسيئه ـ خفف عليه اكتساب وجه المعيشة ، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة ، وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق ، ومن المعلوم أن مصالح العالم لاتنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات »[١٢]

٣ ـ عند حصول الفرد المحتاج على قرض ليستخدمه فى الانتاج ، فإن المرابى سيمسك أمواله عن الإقراض وقت الحاجة إليها ، حتى تصل أسعار الفائدة عنها إلى أعلى نسبة ممكنة ، وحينئذ يقدمها للمحتاجين إليها دون أن يعنيه ما لذلك من أثر فى تعطيل الحركة الاقتصادية . وإنما كل ما يعنيه هو ضمان استرداد دينه مع أعلى نسبة من الفائدة عند إقراضه . كما أن خطر المرابى لا يقف عند هذا الحد ، وإنما يتجاوزه إلى ما هو أخطر منه بكثير ، ذلك أن المشروع الذى استثمر فيه المقترض قيمة القرض قد يكون من المشروعات التى تؤتى ثمارا عاجلة تساعد على الوفاء بالتزامات القرض فى مواعيدها ، فلايدع المقرض المشروع حتى يؤتى ثماره ، فقد يحجز على المشروع ، ويضطر المقترض إلى تصفية نشاطه وإعلان إفلاسه ، والاستغناء عن العمال الذين يعملون فى المشروع .

٤ ـ إن المقرضين ضمانا لسرعة استرداد أموالهم مع فوائدها ، يعملون على أن تكون قروضهم قصيرة الأجل . مما يجعل المقترض يحصر

(١٢) تفسير الفخر الرازى ج ٧ ، ص ٤ ، نقلا من يوسف القرضاوى ، الحلال والحرام فى الاسلام ، طبعة مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص ٢١٧ .

نشاطه الاقتصادى فى أضيق الحدود ، ويختار من الأنشطة ما يكون أسرع إنتاجا فى مدة قصيرة حتى يمكن الوفاء بالتزاماته الربوية فى مواعيدها بتفادى الآثار المدمرة لنشاطه إذا ما تأخر فى الوفاء بها ، ومن ثم لايتاح للمقترض أن ينهض بمشروع كبير يستدعى إنتاجه وقتا طويلا ، ويحتاج إلى عماله كثيرة ودائمة . هذا بالاضافة إلى أنه فى مثل هذه الأحوال لاتكون لديه المقدرة على تخزين البضائع المنتجة ، إذا أحس بقلة الطلب عليها ، فيضطر إلى تقليلها تفاديا للإفلاس ، مما يترتب عليه الاستغناء عن عدد من العمال ، فتكثر البطالة[١٣]

(ب) كنز المال وحبسه عن الإستثمار والإنتاج :

إن كنز المال وحبسه عن الاستثمار والإنتاج من أسباب مشكلة البطالة ؛ لذلك نهى الاسلام عن كنز المال وتعطيله عن التداول ، حتى يمكن استثماره فى إقامة المشروعات التى توفر فرص عمل جديدة وتعالج مشكلة البطالة ، وفى هذا الصدد يقول الله ــ عز وجل :﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١٤] وقد توعد الله ــ تعالى ــ من يكنز المال ويحبسه عن التداول والانتاج فى قوله تعالى ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[١٥]

ومعنى الكَنْز ــ فى أصل اللغة ــ هو : جمع المال وخزنه أو دفنه وهو ما يفهم من الآيتين السابقتين أن الكنز هو حبس المال ، وتعطيله عن أداء رسالته فى الحياة الاقتصادية ، وقد ذهب إلى ذلك بعض الفقهاء ومنهم الإمام الغزالى[١٦] وهناك تفسير آخر يقول أن المقصود بالكنز : المال الذى لم تدفع زكاته ، مثل تفسير ابن كثير[١٧] .

وترى الباحثة أن المال المحبوس عن ما خلقه الله له يعتبر مكنوزا .

وقد حث أيضا الرسول ﷺ على الانفاق فى وجوه الخير والتبشير بالخلف من فضل الله ــ تعالى ــ فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : قال الله ــ تبارك وتعالى : «يا ابن آدم أنفق ، أنفق عليك . قال : يمين الله ملأى» «وقال إبن نمير ملآن» سحاء * لا يغيضها * شىء الليل والنهار[١٨] وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال « ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا[١٩] .

وبهذا تظهر العلاقة القوية بين الاكتناز والنشاط الاقتصادى ، فمنع الاكتناز يؤدى إلى

(١٣) د. ابراهيم الطحاوى ، «الاقتصاد الاسلامى ، مذهبا ونظاما دراسة مقارنة» ، الجزء الأول ١٩٧٤ ، ص ٣٢٩ .

(١٤) سورة التوبة آية : ٣٤ .

(١٥) سورة التوبة آية : ٣٥ .

(١٦) يوسف القرضاوى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦٩ .

(١٧) إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى ، تفسير القرآن العظيم ، مكتبة التراث الاسلامى ، الجزء الثانى ، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠ ص ٣٥٠ .

* سحاء : الصب الدائم

* لا يغيضها شىء ، لا ينقصها .

(١٨) صحيح مسلم ، مرجع سبق ذكره ص ٣٢ .

(١٩) الإمام الحافظ زكى الدين عبدالعظيم بن عبدالقوى المنذرى : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، مكتبة الجمهورية العربية ، الجزء الثانى ١٩٧٠ ص ٦٤ .

النشاط الاقتصادى ، وزيادة النشاط الاقتصادى يولد رزقا يساهم فى القضاء أو الحد من مشكلة البطالة[٢٠] .

ويقول إبن خلدون : «اعلم أن الأموال إذا اكتنزت ، وادخرت فى الخزائن لا تنمو ، وإن كانت فى صلاح الرعية وإعطاء حقوقهم ، وكف الأذية عنهم ، نمت وزكت وصلحت به العامة . فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الإسلام وأهله[٢١] .

وهذه دعوة إلى ضرورة استثمار الأموال وعدم حبسها وكنزها عن أداء وظيفتها فى الحياة الاقتصادية ، ذلك ، لأن كنز المال وتعطيله يضر بمصلحة الأفراد والمجتمع ، كما لابد وأن تؤدى الزكاة عن هذا المال ، فالزكاة من أهم الأساليب التى تدفع الناس الى استثمار الأموال فى المشروعات الإنتاجية التى تساهم فى زيادة مستويات التشغيل .

حـ ـ عدم الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية :

لقد خلق الله السموات والأرض ، وقدر فيها أقوات المخلوقات ، وطلب من الإنسان السعى والجد وبذل الجهد ، وفى نفس الوقت طلب من الإنسان أن يستخدم الموارد الطبيعية التى سخرها الله لنا استخداماً رشيداً ، وفيما يفيد البشرية ، ونهانا أن نسرف فى استغلالها ، أو نوجهها توجيهاً لا يقره الإسلام ، والموارد الطبيعية التى سخرها الله لنا لاتحصى ولاتعد[٢٢] ولقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فقال الله ـ تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٢٣]

وقال ـ تعالى : «﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾»[٢٤]

وتبين الايات السابقة أن الكون ملىء بنعم الله الكثيرة ، وهذه النعم ملك لله ـ سبحانه وتعالى ـ ويجب أن تسخر لتحقيق غاية الله من خلق الكون ، وخلق المخلوقات وهى تعمير الأرض ، وبذلك يقع على المسلم مسئولية الاستخدام الرشيد لهذه النعم والموارد ، ولايستخدمها فى غير ما أمره الله[٢٥]

ولقد أوضح رسول الله ﷺ فى كثير من الأحاديث الشريفة القواعد الشرعية التى يجب أن نلتزم بها تجاه هذه الموارد الطبيعية من أهمها :[٢٦]

١ ـ إن هذه الموارد ملك لله ـ سبحانه وتعالى ـ وللأفراد حق ملكية الانتفاع ، ويجب علينا عند الانتفاع بها أن نلتزم بشريعة المالك الحقيقى لها وهو الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ لا يجوز تعطيل هذه الموارد ، فعن سفيان

(٢٠) د. حسين حسين شحاته «مشكلة الجوع والخوف وكيف عالجهما الاسلام» ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ١٩٨٩ ص ٤٠ .

(٢١) ابن خلدون «مقدمة تاريخ ابن خلدون» دار الفكر ٨٠٨ هـ ـ ١٤٠٦ م ص ٣٧٢ .

(٢٢) د. حسين شحاته مرجع سبق ذكره ص ٢٧ .

(٢٣) سورة ابراهيم الآيات ٣٢ : ٣٤ .

(٢٤) سورة طه آية ٦ .

(٢٥) د. حسين شحاته مرجع سبق ذكره ص ٣٠ .

(٢٦) د. حسين شحاته ، مرجع سبق ذكره ص ٣٠ : ٣٢ .

بن سعيد عن يحيى بن سعيد ، أن رجلا كان بينه وبين الماء أرض لرجل فأبى صاحبها أن يدعه يرسل الماء فى أرضه . قال : فقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : لو لم أجد للماء مسيلا إلا على بطنك لأجريته . وأساس ذلك حديث رسول الله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار »

٣ - لا يجوز الإسراف فى استخدام هذه الموارد حتى لا يؤدى إلى تقليل المنافع منها ، أو أن نستخدمها فى غير ما خصصت له ، فقد روى أن النبى ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال : ما هذا السرف ياسعد ؟ فقال : أفى الوضوء سرف ؟ قال : نعم ، وإن كنت على نهر جار فإذا كان الرسول ﷺ قد نهانا عن الإسراف فى الماء الجارى ففى هذا كناية عن وجوب عدم الإسراف فى كل شىء ، وفى الموارد الطبيعية ، ويؤكد ذلك حديث آخر لرسول الله ﷺ : كل ما شئت والبس ما شئت دون سرف أو مخيلة .

٤ - المنفعة العامة لبعض الموارد الطبيعية العامة ، لأنها وجدت بدون أى جهد من الإنسان ، ولايجوز لأحد أن يحتكرها ، ولكن تترك ملكيتها مشاعا للجميع ، ويدل على ذلك حديث رسول الله ﷺ : « الناس شركاء فى ثلاث : الكلأ والماء والنار ويؤكد هذا الحديث على نقطة هامة وهى أنه لا يحق لأحد احتكار هذه الموارد الطبيعية ، ولكن تترك مشاعا ذات منفعة عامة لكل الأجيال .

٥ - وضع الإسلام لنا أولويات لاستغلال هذه الموارد الطبيعية هى :

(أ) الضروريات : وهى ما تقوم عليه حياة الناس .

(ب) الحاجيات : وهى ما يحتاج إليه الناس لليسر والسعة .

(جـ) التحسينات : وهى ما تتعلق بتحسين حياة الناس .

وهكذا نجد أن الإسلام قد أقر ضرورة استخدام الموارد الطبيعية فى المجتمع ، وتحقيق الاستخدام الرشيد لهذه الموارد فى إعمار الأرض ، ذلك لأن عدم استخدام الموارد أو الاستخدام السيء للموارد وتبديدها ، يعد سببا مباشرا لانخفاض مستوى النشاط الاقتصادى ، وبالتالى انخفاض مستويات التشغيل فى المجتمع .

الخلاصة :

نخلص من هذا المبحث أن مشكلة البطالة فى مصر ترجع الى عدة أسباب أهمها ، سياسة التعليم والتوظف ، وتزايد أعباء المديونية الخارجية ، عدم فاعلية التدريب المهنى فى توفير العمالة اللازمة لتنفيذ برامج التنمية ، استخدام الأساليب الفنية كثيفة رأس المال فى الصناعة ، عدم الاستغلال الأمثل للطاقة الإنتاجية المتاحة ، ومشكلة السكان ، أما أسباب المشكلة من منظور إسلامى فأهم هذه المسببات هى الربا وكنز المال وحبسه عن التداول وعدم الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية .

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السيد صاحب الفضيلة/ رئيس لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

برجاء التكريم بتوضيح الحكمة من تحريم الفضل فى بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والقمح بالقمح والشعير بالشعير والتمر بالتمر .

كذلك برجاء التكرم بتوضيح الفائدة من هذا البيع إذا اشترط له تساوى الوزن أو الكيل .

المهندس/ عادل المعلم

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد :

نفيد أن بيع الذهب بالذهب مثلا بمثل يدا بيد لا شىء فيه ، وكذلك الفضة وباقى الأصنـاف المذكورة ، أما إذا كان بيع الذهب بالذهب أو الفضة بالفضة متفاضلا فهذا هو المحرم شرعاً لأن الزيادة تعتبر ربا والربا حرام بنص القرآن والسنة وهذه هى العلة والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد الدكتور/السيد السعيد مندور ـ دكرنس ـ دقهلية :

ـ قرأت فى مجلة الأزهر فى الرد على سؤال السيدة/ف. م. م الكويت أن « للمسلم أن يتصرف فى ماله كيف يشاء حال حياته مادام صحيح العقل والبدن » .

ـ فماذا رأى الدين فى جدى الذى وزع ميراثه كيف شاء كما يلى :

ـ الذكور : السعيد ٧ قراريط ، أحمد ٧ قراريط ، محمد ٦ قراريط ، سرور ٢٠ قراط ، ماهر ٢٠ قراط .

ـ الاناث : رضا ١٢ قراط ـ خضرة ٥ قراريط ، أم هاشم ٥ قراريط .

علما بأنه يقول عند نصيحة أحد الصالحين بالعدل فى الميراث « من حكم فى ماله ما ظلم » .

ـ فهل يتفق ذلك مع الرد السابق فى المجلة ؟ أفيدونا أفادكم الله .

الجـواب :

الميراث الذى يتركه الميت يوزع بعد دفن الميت وقضاء ديونه إن كان عليه ديون فى حياته ، على حسب ما شرع الله عز وجل وهى آيات صريحة فى سورة النساء قوله تعالى :

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ ... الخ الآيات الثلاث المتتابعة فى السورة .

وليس لنا أن نميز أحد الورثة على بعض وتقسمها على حسب الهوى ، فالله لم يترك الميراث لنا حسب أفكارنا بل حسم المسألة كلها وهى معلومة فى كيف المواريث للذكر مثل حظ الأنثيين .

والأولى الاتباع لا الابتداع أو الاختراع .. وفقك الله .

السؤال من السيد/عبدالواحد محمد جبر ـ عضو النقابة والجمعية العمومية بشركة اسكو ـ سابقا :

ـ ما حكم المرتبات من الشركات الخاسرة والتى تسحب من البنوك على المكشوف بالفائدة المركبة ؟

أفيدونا أفادكم الله ..

الجـواب :

أيها السائل : أنت عامل فى شركة نابعة للدولة ، فمرتبك الذى تتقاضاه حلال ولا شىء فيه .

وكون الشركة خاسرة ليست مسئوليتك كعامل أو موظف تؤدى ما وجب عليك إنما هى مسئولية مدير الشركة والمسئولين عن ادارتها .

وكون الشركة تسحب من البنوك فهذا تصرف يعود عليها ولا شىء عليك .

فأد عملك بإخلاص واجتهد فى الانتاج ، وحاول أنت وزملاؤك فى انقاذ الشركة من الخسارة .

والله يوفق المسئولين عن الشركة إلى ما يحملها على النجاح والمكسب الحلال .

السؤال من السيد/محمد السعيد العزيزى ـ السرور ـ دمياط :

ـ توفى الأب وترك قطعة من الأرض وقبل أن يموت الأب كتب لأولاده قطعة من الأرض للذكور دون الاناث وكان هذا بمعرفة الاناث والرضا به .

ـ فهل يجوز للاناث المراجعة فى هذه القسمة أم لا ؟

أفيدونا أفادكم الله ..

الجـواب :

الميارث كما قسمه الله عز وجل فى صريح القرآن ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ الخ الآيات .

ولا يجوز تخصيص بعض الذكور ولا بعض الورثة بشىء من المال ففى الحديث « لا وصية لوارث » .

وما فعله المورث قبل موته عمل غير مشروع ولو ثبت برضا البنات فى التنازل عن بعض حقوقهن المشروعة .

لهم الحق فى الرجوع والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية فى تقسيم الميراث على حسب ما شرع الله ـ عز وجل ـ ما لم يكن مسجلا بيعاً وشراء .. فهذا لا يمكنهم من الرجوع فيما فعله المورث قبل موته . ويصح لهم الرجوع وتقسيم التركة برضاهم على حسب قوانين الشريعة الإسلامية .

من أعلام الأزهر

الشيخ سعد الدين العلمى

١٩١١ ـ ١٩٩٢م

مفتى القدس السابق

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

شخصية إسلامية فذة نذر حياته من أجل أمته الإسلامية فعاش همومها وقضاياها وجند نفسه لحماية مقدسات القدس والدفاع عنها ، وظل حتى النفس الأخير حازماً فى مواقفه ، صلباً فى مطالبه ، عنيداً فى مقاومته .

ذلك هو الشيخ الجليل « سعد الدين العلمى » مفتى القدس ورئيس الهيئة العليا لمجلس الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية ، وقاضى القضاة سابقاً فى الضفة الغربية من إقليم فلسطين العربية المحتلة .

تاريخ مولده ومكان نشأته وتعليمه :

ولد رحمه الله ـ فى مدينة القدس عاصمة الأرض الفلسطينية عام ١٩١١م فى أسرة تنتمى إلى « عائلة العلمى » إحدى العائلات المقدسية العريقة التى أنجبت العديد من العلماء والأدباء والمفكرين والسياسيين .

وكعادة الأسر الإسلامية مع صغارها تعلم فى صباه القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ودرس بعض العلوم الإسلامية ، ثم دخل مدرسة الفرير فى القدس حيث أتقن اللغتين الإنجليزية والفرنسية

التحاقه بالأزهر الشريف :

حضر الشيخ العلمى إلى مصر ، وفى القاهرة انتظم ضمن طلاب هذا المعهد العريق ، ولما أتم دراسته فيه حصل على الشهادة العالمية

سنة ١٩٣٢م وبعدها عاد إلى « القدس » ليتبوأ فيها المراكز العلمية والدينية اللائقة بعلمه وشخصيته .

الوظائف التي عمل بها في فلسطين :

بعد عودته من القاهرة عمل في الوظائف الآتية :

١ ـ ألحق بالمسجد الأقصى سنة ١٩٣٢م للقيام بتدريس العلوم الدينية فيه .

٢ ـ وفي عام ١٩٣٤م نقل إلى مدينة (حيفا) حيث عمل مدرساً بدار العلوم الإسلامية بها .

٣ ـ كُلّف بأعمال القضاء في المحاكم الشرعية خلال الفترة من ١٩٤٨م إلى سنة ١٩٦٧م فعمل قاضياً بمدينة (الناصرة) ثم بمدينة (رام الله) ثم (نابلس) ثم (القدس) .

٤ ـ وفي عام ١٩٥٣م تم تعيينه مفتياً لمدينة القدس .

٥ ـ ولما تم تشكيل الهيئة الإسلامية العليا سنة ١٩٦٧م اختير عضواً بها .

٦ ـ وفي عام ١٩٧٥م انتخب رئيساً لمجلس (كلية العلوم والتكنولوجيا) في « أبو ديس » وفي عام ١٩٨٢م تم تعيينه قائماً بأعمال قاضي القضاة ، ورئيساً لمحكمة الاستئناف الشرعية ورئيساً لمجلس أمناء الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية .

٧ ـ كما انتخب رئيساً للهيئة العليا لجامعة القدس ورئيساً للجنة التنفيذية للهيئة الإسلامية العليا خلفاً لسماحة الشيخ « حلمي المحتسب » .

٨ ـ وفي سنة ١٩٨٣م عين رئيساً للجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك فرع القدس .

٩ ـ كما انتخب وقتئذ عضواً بالمجلس الأعلى للمساجد بمكة المكرمة .

١٠ ـ ولما تم تشكيل جمعية العلوم والثقافة الإسلامية سنة ١٩٨٤م انتخب رئيساً لها .

١١ ـ كما انتخب عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ممثلاً لدولة فلسطين .

مواقفه الشجاعة بعد حرب سنة ١٩٦٧م في مواجهة سلطات الاحتلال الإسرائيلي :

لما حلت نكبة حرب يونية سنة ١٩٦٧م وانهزمت الجيوش العربية أمام العدوان الإسرائيلي ، واحتلت الجيوش الإسرائيلية مدينة القدس ضمن ما احتلته من أراض عربية قام الشيخ سعد الدين العلمي بالتصدي لسلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ الساعات الأولى للاحتلال ، وقاوم مخططاتها التي تهدف إلى تدمير المسجد الأقصى ، وتهويد المدينة المقدسة ، وذلك باتخاذ الخطوات الآتية :

أولا : سارع إلى دعوة عدد من أبرز شخصيات القدس لحضور اجتماع عقده في منزله لبحث ما يجب عمله لمواجهة الموقف الجديد ولحماية المقدسات الفلسطينية من عبث جنود الاحتلال الإسرائيلي .

ثانياً : لما تكامل عدد المجتمعين وكان في مقدمة من حضروا الاجتماع الشيخ أنور الخطيب نائب رئيس الهيئة الإسلامية ، ومحافظ القدس وقتئذ وسماحة الشيخ حلمي المحتسب رئيس الهيئة الإسلامية العليا السابق ، والشيخ سعيد صبري قاضي القدس الشرعي والسيد/ حسن طهبوب مدير الأوقاف العام وقد توجهوا جميعاً مباشرة

سلطات الاحتلال الغاصب وطالبوها بسحب جنودها فوراً من المسجد الأقصى ، ومن مديرية الأوقاف الإسلامية .

ثالثاً : برغم أن الحفريات والأبحاث الأثرية أثبتت أن المسجد الأقصى لم يبن أساساً على أنقاض (هيكل سليمان) على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ولم يوجد أى أثر البتة له تحت أنقاض الأقصى لكن الدولة الصهيونية وشعبها أخذت تخطط لنسفه هو ومسجد الصخرة بعد فشلهم فى محاولة إحراقه سنة ١٩٦٩م ، وقد حاول أفراد منهم وبعض جماعاتهم وجمعياتهم على الدوام ، وفى كل الأيام الدخول لأداء عباداتهم فى ساحة المسجد الأقصى فكان الشيخ العلمى يتصدى لهم ويمنعهم إذ وضع مكتبه فى ساحة الأقصى فى كل الأوقات وجَنَّد معه لهذه المهمة (١٥٠) حارساً كلهم على استعداد للتضحية بأنفسهم وأرواحهم فى سبيل عدم السماح لأى يهودى بالدخول إلى ساحة المسجد .

رابعاً : ونتيجة لذلك تعـرض الشيـخ سعد الدين العلمى إلى كثير من الاعتداءات عليه من قبل جنود الجيش الإسرائيلى سواء بالهراوات ، أو قنابل الغازات السامة ، والخانقة ، والمسيلة للدموع وقد حدث أن أصيب بالإغماء فى بعض تلك الاعتداءات من جراء استنشاق هذه الغازات فنقله الفلسطينيون إلى المستشفى عندما كان يتقدم الصفوف يقود المظاهرات احتجاجاً على احتلال اليهود المتطرفين (نزل ماريو حنا) بحارة النّصارى بمدينة القدس ، ومنعهم من الدخول وتدنيس المسجد الأقصى .

خامساً : عندما زار « كول » مستشار ألمانيا الغربية فى أوائل الثمانينات الشيخ سعد الدين العلمى فى المسجد الأقصى لم يخجل الصهيونيون من وضع بعض القنابل والمتفجرات خفية داخل ساحة الأقصى بهدف قتل المستشار الألمانى عند انفجارها فيصورون المسلـمين بالإرهابـيين والمعتدين والمتعطشين للدماء وقـد أجمعت الصحف الإسرائيلية على أن تلك المتفجرات التى عثر عليها حراس الأقصى قبل انفجارها نقلت من عنابر الجيش الإسرائيلى .

سادساً : تعرض الشيخ العلمى لسلسلة من التهديدات بالقتل وإنذارات بالتصفية الجسدية من اليهود وخَيَّروه فى آخر إنذار أرسلوه إليه بين أمرين :

(أ) إما أن يقبل منهم مليون دينار أردنى سراً مقابل السماح لهم بدخول ساحات المسجد الأقصى لأداء صلاتهم فيه .

(ب) وإذا رفض ذلك العـرض فسيتم اغتياله .

وعندئذ طالب الشيخ العلمى بعقد مؤتمر شعبى من المواطنين المسلمين فى أرض فلسطين المحتلة ، وفى هذا المؤتمر أعلن بياناً صريحاً واضحاً فقال :

« ليكن معلوماً لإسرائيل وللدنيا كلها أنَّ ملء الأرض ذهباً لا تساوى عند المسلم ذرة من تراب المسجد الأقصى الشريف » .

سابعاً : دبر اليهود تخطيطاً لاغتياله إذ وضعوا قنبلة بمكتبه الكائن بشارع صلاح الدين بمدينة القدس ، وكانت كافية لنسف حى بأكمله ، غير

أن رحمة الله سبقت فقد تم اكتشافها قبل انفجارها ، فعمد اليهود بعد ذلك إلى إحراق بيته وسيارته لكن الشيخ العلمى لم يهن ، ولم يتوان عن إدانة الجرائم الإسرائيلية ، واعتداءات المستوطنين اليهود المتطرفين على المقدسات فى المدينة المقدسة .

تصديه للحاخام الإرهابى (مائير كاهانا) وعدم السماح له بدخول المسجد الأقصى :

حدث بعد انتخاب الحاخام الإرهابى المتطرف كاهانا فى منتصف الثمانينات عضواً بالكنيست(١) الإسرائيلى أن بعثت الحكومة الإسرائيلية بضابط من قبلها إلى الشيخ العلمى لينقل إليه أن حكومة الاحتلال سمحت لذلك الحاخام بدخول المسجد الأقصى منفرداً فكان رده على الضابط الإسرائيلى « إنَّ هذا لن يحدث أبداً ، ولن يدخل كاهانا المسجد الأقصى إلا على جثتى ، ولن أسمح له ، ولن يسمح له مسلم بالدخول إلى الأقصى » ثم أعلن الإضراب العام باسم الهيئة الإسلامية العليا بالقدس ، وأمام هذا الإصرار من جانب الشيخ العلمى عدلت الحكومة الإسرائيلية عن السماح للحاخام الإرهابى بالدخول إلى المسجد الأقصى .

ويستطرد الشيخ العلمى فيقول : « ولأن الإسرائيليين ليسوا أهلاً لعهد يقطعونه على أنفسهم فقد جمعت المسلمين فى ساحة الأقصى فى اليوم المحدد لدخول ذلك الحاخام وذكرت لهم أنّ الحكومة وعدت بعدم إدخاله ؛ فإذا عادت ورأت أن تدخله لأى سبب من الأسباب فسوف أتقدم بنفسى لأمنعه حتى ولو دفعت حياتى ثمناً لمنعه من الدخول ، وبعد استشهادى لا تضِنُّوا بأرواحكم فى سبيل حفظ ساحات الأقصى من دنس الأعداء الصهاينة » .

ويبدو أن الحكومة الإسرائيلية لمست صدق موقف الشيخ العلمى ورفاقه واستعدادهم للتضحية حماية للمسجد الأقصى ؛ فلم تحاول إثارة موضوع الدخول فيه مرة أخرى ، كما وأن ذلك الحاخام الإرهابى لقى حتفه بعد ذلك إذْ أطلق عليه مجهولون الرصاص خلال أحد الاجتماعات الخطابية التى اعتاد أن يعقدها ضد المسلمين والشعوب العربية فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وفاته وخلو ساحة الجهاد الفلسطينى منه :

وهكذا استمر سماحة الشيخ سعد الدين العلمى متنبهاً ويقظاً لكل المؤامرات والمخططات الإسرائيلية التى كانت تهدف لتدمير المسجد الأقصى ومسجد الصخرة ، وظل منافحاً شديداً عن المقدسات الفلسطينية إسلامية وغير إسلامية حتى وافاه الأجل فى عام ١٩٩٢م عن عمر يناهز الثانية والثمانين .

وبوفاته خسرت ساحة الدفاع الإسلامى مجاهداً عظيماً ؛ لأن منصبه الذى كان يتبوأه له مظهر دينى ومظهر سياسى ويشترط فى شاغله أن يكون واحداً من علماء دين الإسلام ؛

(١) الكنيست هو مجلس النواب .

المراجع :

(١) مجلة منار الإسلام العدد السابع رجب سنة ١٤٠٦ هـ – مارس سنة ١٩٨٦م .

(٢) مجلة منار الإسلام العدد السابع رجب سنة ١٤٠٨ هـ – فبراير سنة ١٩٨٨م .

(٣) مقال بجريدة الأخبار القاهرية خلال سنة ١٩٩٢م بعنوان ملامح شخصية مات مفتى القدس خريج مدرسة الفرير والجامع الأزهر الشيخ سعد الدين العلمى .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

رمضان هجرة إلى الله

لصاحب الفضيلة / أبو الوفا المراغي

تمر الأيام وتتوالى الأعوام وتتابع العصور ، ويظل رمضان دائماً ، وأبداً معلماً بارزاً من معالم الإسلام الخالدة التى تحفز المؤمن إلى مزيد من الخضوع والتبتل والابتهال لله رب العالمين .

فرمضان هجرة بالنفس إلى رحاب الله ، وفرار بالمرء من مغريات الحياة المادية إلى رحاب الحياة الروحية ، لأنه عبادة تهذيبية تربى فى المرء معنى الانضباط السلوكى الذى يسمو به إلى مصاف الملائكة المقربين ، وهو فوق هذا وذاك شهر الصيام والقيام . وهو شهر القرآن والفتوحات والقربات ، وشهر حوى ليلة القدر ليلة هى خير من ألف شهر .

فأنعم به من شهر ، وأكرم بمن أدى حقه ، وأطاع ربه ، وقرت عينهُ .

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

قال الكاتب رحمه الله :

صوم رمضان عبادة غريبة بين العبادات ، فهى على ما بها من صبر وألم ، وحبس وحرمان ، محببة إلى نفوس المؤمنين ، يفرحون بقدومها ، ويحتفلون للقائها ، إلا أنها فرحة مقرونة بحذر ، واحتفال مقرون بجلال ووقار ، خشية ألا يحالفهم التوفيق فيما يليق بها .

يفرح برمضان الكبير والصغير ويوقره ويهابه التقى والفاجر وكم من فاجر تاب بين يدى رمضان

وعزم فيه على العودة إلى الله والإنابة إليه ، فكان مبعث خيره وسعادته ، ومن تقى انتهز فرصته لمضاعفة الثواب فيه ، فأكثر من أعمال البر فسمت نفسه ، وانبسطت بالعطاء يده ، فنال من خيره البائس والمحروم ، والقريب والبعيد ، وفى رمضان يكف المسلم أذاه عن غيره توقيراً لحرمته ، وإجلالًا لمقامه ، ويقبل على تلاوة القرآن ما واتت الفرصة وأمكن الفراغ ، فهو بين صيام النهار وقيام الليل ، والثواب وراء ذلك على قدر النية والإخلاص ، وكل عبادة قدر الله فيها الثواب إلا صوم رمضان ، فقد وكل قدر الثواب فيها إلى نفسه ، وهو الوهاب الكريم الذى لا تنفد خزائنه ولا تغيض بحار فضله .

ورمضان ميزان للإيمان وامتحان للعزائم ، أما المؤمن قوى الإيمان صادق العزم فيقبل على الامتحان فى ثقة واطمئنان ، ويجوزه بنجاح ، ويفوز فيه بثواب الله ورضوانه ، قال العلامة ابن رجب : « وكثير من المؤمنين لو ضرب على أن يفطر فى شهر رمضان لغير عذر لم يفعل ، لعلمه بكراهة الله لفطره فى هذا الشهر ، وهذا من علامات الإيمان أن يكره ما يلائمه من شهواته ، إذا علم أن الله يكرهه ، فتصير لذته فيما يرضى مولاه ، وإن كان مخالفاً لهواه ، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه وإن كان موافقاً لهواه » أما ضعيف الإيمان ذو العزيمة الرخوة والإرادة الخائرة ، فإنه يقبل على رمضان حائراً يقدم رجلًا ويؤخر أخرى ، يتنازعه إيمانه وشيطانه ، وتصطرع فى نفسه شهوته وإرادته ، فهو فى كل يوم من رمضان فى معركة وجهاد ، ولانتصار الصائم فى كل يوم بتمام صيامه فرحة لا يقدرها إلا الصائم ، ولانتصاره بصيام الشهر كله فرحة كاملة ، وفى الحديث « للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » ، ولأن الصوم جهاد وامتحان ومصارعة بين الهوى والإرادة ، يتنافس الصبيان فى صيامه ، ويتواصون على أدائه ، وما أشد فرحة الصبى بصوم يوم من أيامه ، فهو شهادة بانتصاره ، ودلالة على عزمه وإرادته .

وللمشقة فى صيام رمضان جعل الثواب عليه كثيراً ، وأجر العمل فيه مضاعفاً ، فعن سلمان الفارسى – رضى الله عنه – « من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » وعن أنس – رضى الله عنه – « سئل النبى ﷺ : أى الصدقة أفضل ؟ قال : صدقة فى رمضان » وعن النبى ﷺ فى الصحيحين « عمرة فى رمضان تعدل بحجة[1] – أو قال حجة – معى » .

والصوم عبادة تهذيبية تكفكف من حيوانية الإنسان ، وترقق من نفسه الشهوانية ، وتجذبه شيئاً فشيئاً إلى الروحانية الخالصة ، وتقربه رويداً رويداً إلى الملأ الأعلى ، ملأ الملائكة المقربين ، فيأنس بهم ، ويلوذ بكنفهم ، وكل يوم ينقضى منه بإخلاص فهو مرحلة إليهم ، حتى إذا كاد ينقضى رمضان تهيأ لمخالطتهم ومؤانستهم . لذلك كان من تمام حكمة الشارع أن يشرع الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان بالمساجد ، لينقطع بكليته عن

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه وأحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه عن جابر – رضى الله عنه .

الخلق ، ويجمع أمره كله للخالق ، يسعد بمناجاته ، ويتلذذ بقربه ، ويضع بين يديه حاله ، ويتفرغ إليه فى ذلة وإخبات أن يتجاوز عما أسلف ويغفر له ما قدم ، فالمعتكف حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه ، فما بقى له هم سوى الله وما يرضيه عنه .

فمعنى الاعتكاف وحقيقته قطع العلائق عن الخلائق ، للاتصال بخدمة الخالق ، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلى الله بالكلية .

والصوم عبادة يقبل عليها المؤمن بنفس راضية مطمئنة . واثقة بما فيها من الخير ، وما وعد الله عليها من الثواب ، ويحاول ضعيف الإيمان أن يتعرف فيها وجه المصلحة وسر التشريع ، وقد تكلم علماء الدين والنفس والطب فى ذلك كثيراً ، ويعجبنى فى تلخيص سر التشريع قول ابن رجب الحنبلى « وفى التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد : منها كسر النفس ؛ فإن الشبع والرى ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة ، ومنها تخلى القلب للفكر والذكر ، فإن تناول هذه الشهوات يدنس القلب ويعميه ، ويحول بين العبد وبين الذكر والفكر ويستدعى الغفلة ، وخلو الباطن من الطعام والشراب ، ينور القلب ، ويوجب رقته ، ويزيل قسوته ، ويخليه للذكر والفكر ، ومنها أن الغنى يعرف قدر نعمة الله بإقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والوقاع ، وفيه امتناعه من ذلك فى وقت مخصوص ، وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع ذلك على الإطلاق ، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك .

ومع كثرة ما يذكره العلماء والأطباء فى سر الصوم ووضوح حكمة تشريعه ، نرى كثيراً من المسلمين يضيقون به ويفرطون فيه بشتى الأعذار ، تبريراً لتفريطهم ، واعتذاراً عن غيتهم ويقولون : إنه عذاب ، وإن صوم رمضان فوق الطاقة ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ، فما امتحن الله عباده بما يخرج عن طاقتهم ، وهو وحده العالم بمصالح عباده ومقدوراتهم ، وقد جعل لغير المطيق رخصة الفطر حتى يطيق ، «وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ »(٢) .

وما رمضان فى الحقيقة إلا (رجيم) خاص فى شهر من السنة يدور فى فصولها فيقع أحياناً فى الشتاء لا يكاد يحس الصائم فيه بشىء من القسوة ، ويقع فى القيظ فيحس الصائم بشىء من عناء يخف بتكرار أيامه فيكون (رجيما) محتملا كما يحتمل غيره ، وكم من أنواع الرياضات القاسية يحتملها هؤلاء المفرطون لغاية جسمية أو مادية . وبدافع من الدوافع التافهة السخيفة ، كمجاراة أهل التدين الزائف فى تنحيف القوام ، أو الفوز بجائزة ، أو الحصول على شهرة ، ليقال فلان بطل

---

(٢) البقرة آية ١٨٥ .

فى الجرى أو القفز أو السباحة أو غير ذلك ، وإنهم ليتعرضون لاخطار قد تودى بأرواحهم ، ومع ذلك يقبلون عليها بطيب نفس وفى ثقة واطمئنان ، وإذا قيل لهم صوموا رمضان تثاقلوا وتخاذلوا ، وإذا قيل لهم ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَـٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾(٣).

وقد قيل من زمن قريب : إن بعض السيدات أضربن عن الطعام وهددن بمواصلة الصيام حتى يمتن أو تجاب مطالبهن السياسية ، وإذا قيل لهن ولأمثالهن : صمن رمضان ، قلن : إنه عذاب ، وإنه مذهبة للبهاء والجمال ، ولقد صدق الله إذ يقول ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(٤).

هذا وإن من واجب المسلمين أن ينتهزوا فرصة رغبة الأطفال فى الصيام ، وتهافتهم عليه فيغرسوا فى نفوسهم حبه ، ويشجعوهم على صيامه ، والعادة عون على العبادة ، فإذا شبوا على حبه شابوا عليه وهان عليهم أداؤه ، وكثير من الناس يحرصون على صوم رمضان لأنهم اعتادوا صيامه ، ويهملون فى غيره من عبادات دونه فى الكلفة والمشقة ، وما ذاك إلا لسلطان العادة .

وللصوم آداب لا يتم ثواب الصائم إلا بها ، وقد لخصها جابر ــ رضى الله عنه ــ بقوله : « إذا صمت ، فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء » .

وما أحسن ما قيل :

إذا لم يكن فى السمع منى تصاون
وفى بصرى غض وفى منطقى صمت
فحظى إذا من صومى الجوع والظمأ
فإن قلت إنى صمت يومى فما صمت

---

(٣) البقرة آية ١٣ .
(٤) الأنعام آية ١٢٥ .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

قيل فى الصيـــام

لو فهم الناس الصيام على حقيقته ، وأرادوه على طبيعته ؛ لكان حرب كل مفسدة ، وعدو كل شر وطغيـــان ، ومدعـــاة إلى التراحـــم والتعاطف ؛ لكن الناس ألفوه على غير وضعه ، وتعودوه على غير طبعه ، وفهموه جوعا تمل منه النفس ، وعطشا يتأذى منه الإنسان دون حكمة ولا غاية .

● ● ●

قيل للأحنف بن قيس : إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك . فقال : إنى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذابه .

الاســـتئذان

استأذن رجل من بنى عامر على النبى ﷺ وهو فى بيته فقال : ألج ؟

فقال النبى ﷺ : أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان وقل له يقول : السلام عليكم أأدخل .

وقال النبى ﷺ : الاستئذان ثلاثة ، فإن أذن لك ، وإلا فارجع .

فضـــل النصيحـة

قال سبيع لأهل اليمامة بعد إيقاع خالد بهم : يا بنى حنيفة بعد لكم كما بعدت عاد وثمود ، والله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه ، كأنى أسمع جرسه وأبصر غبه ، ولكنكم أبيتم النصيحة ، فاجتنيتم الندامة ، وإنى لما رأيتكم تتهمون النصيح ، وتسفهون الحليم ، استشعرت بكم اليأس ، وخفت عليكم البلاء . والله ما منعكم التوبة ، ولا أخذكم على غرة ، ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ وهزىء الموعوظ .

الضحـــك

مر الحسن البصرى بقوم يضحكون فى شهر رمضان فقـال : يا قوم إن الله جعـل رمضان مضمارا لخلقه يتسابقون فيه إلى رحمته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا ؛ فالعجب من الضاحك اللاهى فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المتخلفون . أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسنا إحسانه ، ومسيئا إساءته .

حكـــم منشـورة

● سيئة تسيئك ، خير من حسنة تعجبك .

● وقال لقمان لابنه :

احذر واحدة وهى أهل للحذر ،

قال : وما هى ؟

قال : إياك أن تُرِى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر .

قلة الكــرام

● قالت الحكماء : الكرام في اللئام كالغرة فى الفرس .

● قال السموءل :

تعيرنا أنا قليل عديدنـا
فقلت لها : إن الكرام قليل
وما ضرنا أُنا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل

وقال دعبل :

ما أكثر النـاس لا بل ما أقلهـم
والله يعلـم أنى لم أقــل فنـــدا
إنى لأغلـق عينـى ثم أفتحهـــا
على كثير ولكــن لا أرى أحدا

خيـــر الإخـــوان

قال الأحنف بن قيس : خير الإخوان من إن استغنيت عنه لم يزدك إلا فى المودة ، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها .

وأنشـد :

أخوك الذى إن تدعه لملمة يجبك
وإن تغضب إلى السيف يغضب

اتقـــاء الذم

روى عن الحسين بن على ــ رضى الله عنهما ــ أن شاعرا مدحه فأجزل ثوابه ، فلامه بعض أصحابه على ذلك فقال :

أتراني خفت أن يقول : لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ، ولا ابن على بن أبى طالب ؟ ولكنى خفت أن يقول : لست كرسول الله ﷺ ، ولا كعلى ــ رضى الله عنه ــ فيَصَّدّق ويحمل عنه ، ويبقى مخلدا فى الكتب محفوظا على ألسنة الرواة .

فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعلم منى بالمدح والذم .

من حكم الأحنف

الأحنف بن قيس ، سيد بنى حنيفة الذى قيل فيه : إذا غضب غضب له مائة أُلف سيف ، له حكم قيمة منها قوله :

● من لم يصبر على كلمة سمع كلمات .

● وقيل له : من السيد ؟ فقال : هو الذى إذا أقبل هابوه ، وإذا أدبر عابوه .

● من تسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون .

● الكامل من عدّت هفواته .

الغوغـــاء

نظر عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ إلى قوم يتبعون رجلا أخذ فى ريبة ، فقال : لا مرحبا بهذه الوجوه التى لا تُرى إلا فى كل شرّ .

الشعر والشعراء

إشراف . رشاد محمد يوسف

ذلك هو الصوم

الشاعر/ محمد عبد الرحمن صيان الدين

يا عظيم البَطنِ .. حاذِرْ قد أتى .. شهر الصيام
فُقْتَ فى الإنفاق حدَّ الطَّوْقِ .. فى صُنْع الطعام
حَسْبك الإسرافُ والتبذير .. شهرا .. كل عام
وتقشَّف ـ بعد عيد الفطر ، وامسِكْ بالزمام
يا إلٓهى !.. ضاع فى الشهوات .. مفهومُ التسامِى !

★ ★ ★ ★

كيف تصفو رُوح مَرْءٍ نفسُهُ للطُّعْم وَلْهَى
فيقضِّى يومَ صومٍ فى شُرُودٍ .. يتشهَّى
فكرُهُ عن ذِكْرِ رب الصَّوْم .. ناءٍ .. يتلهَّى !
والذى مِنْ (فِيهِ) يُؤذى السمع والإحساس .. أدهَى !

★ ★ ★ ★

ما الصِّيامُ الحقُّ إلا مَرْتَعٌ للرُّوح خِصْبُ
فيهِ أثْمارٌ ونَهر ناقعُ الإرْوَاء عذْب
لذة الأرواح فيه عن طعام الجسم .. تربو
يَطعَمُ الصُّوَّامُ من جُوعٍ من الرزاق .. قربُ
كيف يظمى أو يُعانى الجوع .. مَنْ يرعاه رب ؟

★ ★ ★ ★

أيهـا الراجـى ثِمـار الصـوم أعْـط الصـوم حقَّـه
من خشـوع واصطبـار والتـذاذٍ بالمشَقَّـه
وانطـلاقٍ فى سبيـل العيـش .. فى رِفْـق ورقـه
طـارحـا عن روحـك المغلـول .. بالشهـوات .. رِبْقـه
إن فى هـذا لِعَبْـد الجسـم ـ طـول العـام ـ عِتْقـه

* * * *

فى صيـام الشهـر طـبٌّ ليـس يدريـه طبيـبُ
فيـه أسـرار يعيهـا صـائم حقـا .. أريـب
فيـه غيـث من صفـاء ترتـوى منـه القلـوب
فيـه للأرواح سَبْـحٌ دونـه الكـون الرحيـب
صـائم فى دِرْع تقـوى تنْجَلـي عنـه الكـروب

« ابتهال »

شعر: خليل فوّاز

لِغَيْرِك لَا تَكِلْنِي يَا إلَهِي ... ولَا نفْسِي ، فَإِنَّكَ أَنْتَ جَاهِي
فَمَا بَيْنِي وبَيْنَكَ فِي اتِّصَالٍ ... وَمَا بَيْنِي وبَيْنَ النَّاسِ وَاهِي
لِذِكْرِك رَبِّ قَدْ سَهِرَتْ عُيُونِي ... وَبِاسْمِكَ رَبِّ قَدْ نَطَقَتْ شِفَاهِي
وَمَنْ لِي غَيْرُكَ اللّٰهُمَّ ذُخْرٌ ؟! ... وَمَنْ عَوْنِي إِذٰا دَهَتِ الدَّوَاهِي ؟!

★ ★ ★ ★

قَضَاؤك نَافِذٌ فِي النَّاسِ طرّا ... وُحُكْمُكَ آمِرٌ فِي الكَوْنِ نَاهِي
أُبَاهِي بِاسْمِكَ اللّٰهُمَّ قَوْمًا ... أضَاعُوا العُمْرَ فِي دُنْيَا التَّلَاهِي
يُبَاهُونِي بِمَا مَلَكُوهُ دُنْيَا ... وَلِي أُخْرَىٰ بِجَنَّتِهَا أُبَاهِي
يَقِينِي بِالَّذِي يَهْدِي يَقِينِي ... إِذَا الشَّيْطَانُ زَيَّنَ لِي.. يُدَاهِي
كَلَامُ اللهِ فى قَلْبِي كِتَابٌ ... ونُورُ اللهِ فِي عَيْنَيَّ زَاهِي
وَمَادَانَتْ لِغَيْرِ اللهِ نَفْسِي ... ولَا جَاشَتْ بِشَكٍّ واشْتِبَاهِ

★ ★ ★ ★

وَمَا أَنَا بِالمُقَصِّرِ فِي صَلَاةٍ ... ولَا أَنَا عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ لَاهِي
فَلَا وَجْهٌ كَوَجْهِ اللهِ يَنْقَىٰ ... ولَا خَيْرٌ يُرَجَّى فِي المَلَاهِي
فَهَبْ لِي يَا إِلٰهَ الكَوْنِ عَفْوًا ... عَلَىٰ مٰاكَانَ مِنِّي مِنْ سَفَاهِ
تَنَاهَىٰ فِي رِحَابِكَ كُلُّ شَيْءٍ ... فَهَلْ لِمُتَيَّمٍ مِثْلِي تَنَاهِي ؟!
وَهَلْ لِي مِنْكَ يَا (طَهٰ) بِرُؤْيَا ... سَرَتْ مَا بَيْنَ نَوْمِي وانْتِبَاهِي ؟!

★ ★ ★ ★

رسُولَ اللهِ أَنْتَ لَنَا شَفِيعٌ ... وأَنْتَ لَنَا إِذٰا مٰا عَنَّ دَاهِي
شَكَوْتُ إِلَيْكَ خِذْلَانِي وضَعْفِي ... ذِئَابُ الشَّرِّ قَدْ أَكَلَتْ شِيَاهِي
وَضَاعَ العُمْرُ فِي الدُّنْيَا ، فَآهٍ ... عَلَىٰ ما ضَاعَ مِنِّي ، ثُمَّ آهِ
إِلٰهَ الكَوْنِ أَنْتَ بِنَا رَحِيمٌ ... فَأَكْرِمْنِي بِعَفْوِك يَا إِلٰهِي

★ ★ ★ ★

رمضان ربيع الروح

للشاعر/ السيد الصديق حافظ

رمضان أقبل قم بنا ياصاح ... هذا أوانُ تَبَتُّلٍ وصلاح
الكون معطار بطيب قدومه ... روح وريحان ونفح أقاحى
« صفو أتيح فخذ لنفسك قسطها ... فالصفو ليس على المدى بمتاح[1]

* * * *

الصوم يُغْلى من وضيع غرائزٍ ... وطبائع سُودِ الوجوهِ قباح
والنفس إن سَفَّتْ وهيضَ جناحها ... فالصوم معراج بغير جناح

* * * *

كم مؤمن لم تلهه الدنيا فلم ... يستبدل الأتراح بالافراح
قوامُ ليلٍ نائمٌ عنه الكَرَى ... ونهَارُه الصَّوَّامُ واعٍ صاحٍ
وحليف شيطانٍ غَوِيٍ لم يَزلْ ... عَبْدًا لبنتِ الكرْم والأقداح
فى ليلِهِ زُمَرُ المعاصى تنتشى ... ونهارُهُ فى غفلةٍ وَمُزاح
« رمضان » لايثنيه عن آثامه ... واهِى العقيدةِ فى إهابِ وقَاح

* * * *

رَبَّاه إنى فى ضلالٍ حائر ... عانٍ أنوءُ بحملىَ الفدَّاح
هذى خطاى على الطريق ضريرةٌ ... يكبو غُدُوِّى باكياً ورَوَاحى
فامدد يديك إلىَّ إنى هالكٌ ... وامننْ علىَّ بتوبةٍ وصلاح
واجعل صيامى راحةً لمتاعبى ... واجعل قيامىَ بَلْسَماً لجراحى

* * * *

(١) البيت لأمير الشعراء أحمد شوق .

شهر الفتوحات

للشاعر/ عبد العاطى موسى عبد العاطى

رمضان مَرْحَى ... فاضَ مِلْءَ جوانحى
شوقٌ إليك .. تُثيره الأحلامُ
لتصوم عن جُلِّ الحلال جوارحى
والليلُ فيه تهجُّدٌ وقِيام
فيك الزكاةُ فضيلةٌ مفروضة
كى لا يُعانى مُعْدم ويُضام
وبِكَ انتصاراتٌ يَزُفُّ نشيدَها
للمسلمين : البشرُ والإلهام
.. لما أعَدَّ المشركون جيوشَهم
وتربصوا بالمؤمنين وحاموا
فاقَتْ نُجومَ الليل فى تِعْدادها
وتعجبَّتْ مِنْ هَوْلها الأرقام
كادوا .. وربُّ العرش بَدَّدَ كيدَهم
فعقولهم ـ عند الصدام ـ ظلامُ
وقلوبهم مثل الحجارة غِلظة
غِلٌّ وحقْدٌ جانح وخصام
حتى إذا دقت طبول حروبهم
وتحاورت عند القتال سِهام
بعث الإله من السماء جنوده
ليحف جيش المشركين حِمام

ليسجل التاريخُ أنصع صفحة :
« بدرٌ » على صدر الزمان وسام
وبفتح مكة ـ بَعْدُ ـ فى شهر الهدى
هيهات يعدل ما نروم كلام
إذْ قَرَّ فى (أم القرى) وربوعها
خيرُ الأنام يُحفُّه الإكرام
إذ جاء نَصْر الله والفتح الذى
قد تم عبر جلاله الإنعام

فَهَنَاءُ نصر أو بلوغ شهادة　　كُلٌّ له طى الفؤاد غرام
وغدا العداةُ أذلَّة بمهانة　　وإذا الذى قد شيدوه رُكام

● ● ●

شهداءَنا الأبرار مَرْحى إنكم　　فى الخلد جناتٌ لكم ومُقام
شهد المهيمن فى الكتاب بأنكم　　أحياءُ والرزق الكريم يُرام
والصوم للنفس : الجهادُ مضاعَف　　إن المجاهدَ صابرٌ مقدام
وهو انتصار الروح فى ملكوتها　　ما الزاد رىٌّ يُشتَهى .. وَطَعام
الزَّادُ : زادُ تجَرُّدٍ وتُضَرُّع　　وقيامُ ليل .. والأنام نيامُ
من ذاق لذَّته بِصفْوِ تَقَرُّبٍ　　.. فعلى الوجود وما حواه سلام

أم الملاحم

غزوة بدر الكبرى

للشاعر/ خالد محمود ابراهيم سالم

حَيِّ الشهيد وحَيِّ الملتقى « بدرا » … كم كان يوما عظيما خلته دهرا
لم يشهد الدهر يوما دونه أولى … بالخلد منه ولا يوما به أحرى
مُرُّ اللقاء به حُلْوُ المذاقِ ومن … يطلب رضا ربه يستعذب المرَّا
إذ واجه الجند ـ جند الحق ـ ساحتها … واستبسلوا فى رحى هيجائها الكبرى
بزّوا مطاعين أغراهم على سَفَهٍ … بَغى تأبَّد فى أحشائهم كُفْرَا
جاءوا على أهبة ظنوا بأنفسهم … كلَّ الظنون غرورا جاوز القدرا
لكنما الحقُّ لاتثنيه نازلةٌ … مهما استبدت ومهما استوثقت عذرا

* * * *

حين استحرت وثار النقع واستعرت … فيها الظُّبا وتراءت مُلتقًى مرًّا
باع الرجال بها لله أنفسهم … واستوهبوه بها جناته ذخرا
واستلهموه ثباتا فى نزالهمو … وجمع شملهمو ، والصمت والصبرا
واستنصر الله خير الرسل خاتمهم … محمدٌ فرأى فى نومه النصرا
فأرسل الله فيهم جنده مددا … يستبدل العسر فى لأوائها يُسْرَا
وجند ربك لايحصيهمو بشرٌ … ولم يكونوا متى هبُّوا سوى بُشْرَى

هاهــم ملائكــةٌ والــروح قد نزلــوا　　من أمــر ربهمــو كى يحدثــوا أمــرا
ناداهــم الله جنــدى : ثبتـــوا حزبى　　إلى الكفيـــل سأردى خصمهــم ذعــرا
إلى الكفيــــــل بنصرٍ لا نظير له　　يضحـــى لهم وبهم بين الـــورى ذكـــرا
وأنــا الكفيــل لهم بالأجــر مدخــراً　　أعظــم بأجــرهمو فى ساحهــا أجــرا!
والوعــد حق وهــذى آيــةُ بهمــو　　أضحت لهم عزةً إذ أشرقت نصرا
كافــيك أن الأُلَى هبت جموعهــم　　للنيــل من جمعهــم نيلــوا بها طرا
هذا يئـــن وذى ثكلى مولولـــة　　وذا ينــوح وذى من أمرهـــا حيرى
لم يشهــدوا قبلــه يومــا أطــاح بهم　　ما بين قتلى وجرحــــى ثمَّ أو أسرى
يوم أحـــــاط بهم ذلا ومسكنـــة　　أردى مغاويرهــم فاستسلمـــوا قسرا

* * * *

حَىِّ الرجـــال به واذكـــر بلاءهمو　　عنــد النـــزال بلاءً أثلــج الصدرا
واذكــر شهيــدهمو إذ جال فى ثقـــة　　ذا مرة مقبــــلا مستـــبسلا حرًّا
كالصخر عنــد اللقــاء الحق تصحبــه　　بشرى تحث به يستنطـــق الصخـــرا
حتــى انجلت وغــدت من يومهــا سرا　　من صنــع خالقنــا تشدو بها جهـــرا
أم الملاحــــــم لابزتك ملحمــــــة　　ذكــراك فاحت بنا من نشرهــا عطــرا

صرخة

للشاعر/ شوقى محمود أبوناجى

إلامَ نبيتُ فى الأوهامِ غرقَى ... ونفقدُ فى لهيب الهول نطقا ؟
يخيِّم فى مسالكنا عماءٌ .. ... ويُحكِمُ دوننا الأبواب غلقا
وتحت ظلاله السوداءِ تَعْوى ... مخالبُ توقظ الأضغانَ زُرْقا
لينشب فى جبين العزّ عارًا ... ويمعن فى سطور المجد بصقا
ويذبح عائلًا فإذا تضاغى ... صغارٌ عاث فى الأحشاء شقا
وسيمَ المسلمونَ الخسف حتى ... لقد ذاقوه ألوانًا وطُرْقا
فما من حرمةٍ ترعى لأرضٍ ... ولا عرضٍ ولا ودٍّ فيبقى
ويعبثُ فى مساجدنا شقيٌّ ... ويمنع ذكرَ رب العرش أشقى
فتنفجر القذائف بالمنايا ... لأرواحٍ مع التسبيح ترقى
هم اغتالوا مآذننا وهبوا ... لكبت دعاء رب العرش خنقا
وكم رشقوا بأجفان اليتامى ... شعورًا بالمذلة سوف يبقى
ونحفظ عهدنا معهم وقاموا ... إلى ما عاهدوا نكثا وخرقا
ليرسخ فى نفوس من استُذِلوا ... بأن السّلم ليس يرد حقّا
فكيف يرفُّ فى قلبٍ وجيبٌ ... ودين الله كاد يضيع زهقا ؟
وأين المقبلون على المنايا ... لدحض الظلم يبتدرون سبقا ؟
ومن حملوا الرءوس على أكفٍّ ... وهم للخلد يحترقون شوقا ؟

« التطهير العرقى » مصطلح أطلقه الملحدون على طرد المسلمين من ديارهم فى البوسنة وبورما وكثير من الأصقاع وكأن المسلمين نجس لابد أن يتخلصوا منه .

بنـــــى الإسلام إن لكـــــم عدوًا ... تميّـــز صدره غيظًـــا وحنقـــا
فمـــن لزمـــوا هدى التوحيـــد نهجًـــا ... وحبّ نبيهم حقّـــا وصدقـــا
فإن العـــــيش ليس لهم بحقٍ ... لينعـــم ذو الـــدم الأغلى وأنقـــى
دم الإلحاد فهـــو يزيـــد طهـــرًا ... ويسفك ما عدا هذا ويلقـــــى!!

● ● ●

أرى الأحقـــاد تجمـــع مشعـــليها ... تؤلبُ حقدهـــم غربًـــا وشرقـــا
لكيمـــا تطفـــئَ الأفـــواه نورًا ... يضيءُ الكـــون أوديـــة وأفقـــا
لعـــل جهودهـــم فى النفـــخ تجدى ... لتوقـــف من هديـــر النـــور دفقـــا
ونـــور الحق رغـــم الكفـــر يزهـــو ... ويسرى فى سديم الله طلقـــــا

● ● ●

بنـــــى الكفـــــار : هدى الله باقٍ ... يزيـــد ـ برغمكـــم ـ نورًا وحرقـــا
وإن تَغْشُ العيـــون فكـــم غبـــيّ ... تمرد قبلكـــــم .. لله عقـــا
وفى الحق الـــذى مهمـــا توارى ... ضيـــاءٌ شق صدر الليـــل شقـــا
ليـــنشر نوره بين الحيـــــارى ... ويـــبسط عدلـــه حلمًـــا ورفقـــا

● ● ●

أعيـــدوا الدين يا قومـــى حيـــاةً ... تشكّـــــل عالمًـــــا أسمى وأرق
لينطـــق صمت هذا الكـــون يومًـــا : ... بنـــو الإسلام خير النـــاس عرقـــا

العلوم الكونية

قراءة إسلامية فى كتاب الكون

بقلم
أ.د. أحمد فؤاد باشا(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦﴾(1)

صدق الله العظيم

هذه الآيات الكريمة قليل من كثير مما جاء فى القرآن الكريم ؛ ليستثير فى الإنسان النظرة المتأملة المستقصية ، ويلفت أصحاب العقول الراجحة وذوى القلوب المؤمنة إلى اتباع المنهج الصحيح فى التعامل مع الكون واستقراء لغته وإشاراته ، باعتباره كتاب معرفة وشاهد صدق على وحدانية الخالق العليم الذى أودع فيه من الآيات ما يدل عليه وينادى بعلمه وحكمته :

ففى كل شىء له آية   تدل على أنه الواحد

وهذه الصور التى يدعو القرآن الكريم إلى تأملها واستخلاص الحكمة من ورائها تمثل مختلف الظواهر الكونية المنبثة فى الآفاق وفى الأنفس ، باعتبارها موضوع البحث عن الحقيقة ومصدر الثقة واليقين : ومن ثم فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقدمها لنا على أنها آيات لكى ننفذ ببصيرتنا إلى ما وراء مكوناتها الحسّية ، فليس من المعقول أن تكون وسيلتنا إلى إدراكها مجرد الحواس ؛ لأن الحواس تؤدى بصاحبها إلى إشباع حسه فقط ، ولان المدركات الحسية ـ أيضا ـ محصورة فى نطاق محدود وتعجز بطبيعتها عن أن

(*) أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

(1) سورة الجاثية : 1ـ 6 .

تقدم صورة كاملة لحركة الكون والأشياء . أما العقل فهو الملكة الادراكية التى منحها الله القدرة على التأليف بين نتائج المعرفة التى يحصلها من العلوم المختلفة ، ثم تحليلها واستنباط الحقيقة منها بعد الاستدلال على صحتها بالحجة والبرهان . ولهذا فإن الدعوة إلى تأمل الكون فى القرآن الكريم ليست مقصورة لذاتها ، بل هى فى صميمها دعوة عقلية إلى بناء المعرفة على النظر العميق فى حركة الظواهر الكونية والبحث المستمر فيها ، ومن ثم يكون الذهول عن الكون ودراسته سقوطًا إنسانيًا ذريعًا ، وبابًا إلى الجهل والضلال يضر بالإسلام ورسالته ، ويحجب الصورة الحقيقية للإنسان كما أرادها الله سبحانه وتعالى . فمن لا يستنبط من الكون ناموسه الأكبر وسرَّه الأعظم الذى يدل على خالقه الأوحد فهو حقيق بألا يوصف بالعلم أو الفكر ، ومن لم ير من السماء إلا رزقتها ، ومن الأرض إلا غبرتها فهو مشارك للبهائم فى ذلك وأدنى حالا منها وأشد غفلة[2] ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[3] وقوله عز من قائل : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾[4]

وإن شئنا مثالًا من واقع الانجازات التى حققها الإنسان من خلال بحثه فى مواد الكون وظواهره ، فلنتأمل نعمة الماء الذى جعله الله ـ سبحانه وتعالى ـ أصلًا للحياة وضرورة من ضرورات استمرارها والحفاظ عليها ، ولنتوقف قليلًا عن خاصية واحدة فقط من خصائصه العديدة التى كشف العلم عنها وسمَّاها الباحثون « السعة الحرارية » ، وهى تعنى القدرة على اكتساب الطاقة الحرارية والاحتفاظ بها . ذلك أن الماء يتميز عن باق السوائل بسعة حرارية كبيرة تعمل على إبطاء معدَّل تسخينه أو تبريده . ويقول المشتغلون بالعلم أن هذه الخاصية الفيزيائية المميزة للماء هى التى تجعل مياه المحيطات والبحار تتمتع بثبات عظيم فى درجة حرارتها يساعدها على حماية أحياء كثيرة من تقلبات الجو . ويقولون ـ أيضاً ـ أن هذا هو ما يحدث فى جسم الكائن الحى ذاته : فإذا عرفنا أن التفاعلات الكيميائية الحيوية تتم على نحو أمثل فى حدود ضيقة من تغير درجة الحرارة لأدركنا قيمة هذا الثبات الحرارى للأحياء . ثم إن الماء ، بسرعة جريانه وجودة توصيله ، يحمل الحرارة بعيداً عن مصادر تولدها ويعمل على تنظيم توزيعها فى أجزاء الجسم ، وهذا كله يقى الكائنات الحية من كوارث مهلكة تهدد أعضاءها الحساسة . وأخيراً يقولون أن الماء يقوم بهذه الوظائف ـ أيضا ـ بالنسبة لكوكب الأرض فى جملته ملطِّفا من قسوة التقلبات العنيفة فى حرارة الهواء واليابسة . أما العلماء الحقيقيون الموصولون بخالق الكون والحياة فإنهم يرون أبعد مما يقدمه العلم

(٢) عبدالمنعم خلاف ، العلم والإيمان فى الإسلام ، مجلة الحياة الثقافية ، منشورات وزارة الشئون الإجتماعية ، تونس ١٩٧٦ .
راجع أيضا : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى .

(٣) سورة الأعراف : ١٧٩ .
(٤) سورة الروم : ٧ .

البشرى المحدود ، ويلجأون إلى التحقق بالرؤية القرآنية المتجاوبة مع فطرة الخلق ، ويهتدون بعين البصيرة إلى مسبب الأسباب الذى منح الماء خواصه الفريدة لصالح الحياة والأحياء ، مصداقا لقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[(٥)] .

وعندما نتأمل خاصية « السعة الحرارية » الكبيرة للماء نجد أنها تعنى ـ أيضاً ـ حاجته إلى مقدار كبير من الحرارة لكى يتبخر . وهذه نعمة كبرى لكثير من الأحياء عندما يتبخر الماء من فوق جلودها مستنفداً من حرارة أجسامها جزءاً كبيراً فيبردها بالقدر اللازم لثبات حرارتها ، كما أنه يعينها على العيش إذا ارتفعت حرارة الجو من حولها دون أن تتعرض للهلاك . والإنسان وكثير من الثدييات يعتمد على الغدد العَرَقِيَّة فى إخراج الماء اللازم لتبريد أجسامها بالتبخر ، بينما يضطر بعضها إلى أن يلهث كى يتم التبخر من الجهاز التنفسى الأعلى والفم واللسان المتدلى ، على نحو مايحدث مع الكلب ـ مثلًا ـ لقلة الغدد العرقية فى جسمه .

وفضلًا عن هذا كله ، نجد الماء يبقى على حالته السائلة فى مدى واسع من درجات الحرارة المعتادة فى جميع أنحاء الأرض بفضل سعته الحرارية الكبيرة ، وبذلك يظل صالحاً للقيام بوظائفه الضرورية فى حياة الأحياء ، ولعل أبلغ مثل يدل على ضرورة الماء للحياة هو مانراه من الصحراء الجرداء بعد هطول الأمطار عليها ، حيث تدب فيها الحياة على الفور ، وتكتسى بالخضرة والزهر من كل لون ، وينشط فيها عديد من أنواع الحيوان ، تحقيقا لمشيئة العليم الخبير القائل فى محكم التنزيل : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[(٦)]

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن خاصية أخرى للماء تتعلق بكثافته ، نجد الباحثين فى خواص المادة يقررون أن جميع السوائل تزداد كثافتها كلما بردت حتى تتحول إلى الحالة الصلبة أو الجامدة ، والماء فقط هو الذى يشذ عن هذه القاعدة العامة عندما يبرد قُرْبَ درجة التجمد . أى أن كثافته تزداد كلما برد حتى يبلغ أكبر كثافة نوعية له عند درجة ٤° م ، ثم لا تلبث أن تقل مع حدوث زيادة فى الحجم عندما يتجمد الماء عند درجة الصفر المئوى . ويُعدّ هذا الاستثناء إعجازاً فى إحكام تدبير الخالق سبحانه وتعالى ، حيث تترتب عليه نتائج هامة للأحياء . ذلك أن الماء إذا تجمد وزاد حجمه فإنه يخفّ ويطفو فوق أسطح البحيرات ونحوها ويكون طبقة عازلة من الجليد تحفظ الماء تحتها من أن تزداد برودته ويتجمد ، فتظل الأحياء فيه حيَّةً سابحة مسبِّحة بقدرة خالقها وواسع حلمه ورحمته . ولو كان الماء قد انصاع للقاعدة العامة التى توصل إليها الباحثون بمنهجهم التجريبى الاستقرائى لكان الثلج أثقل وغاص فى الأعماق ، ولا ستعصى على الإنصهار ثانيا عند دفء الجو ، ومن ثم كانت البحيرات والبحار والأنهار فى المناطق الباردة تزداد تجمداً عاما بعد عام حتى تصبح مناطق جليدية دائمة لا تصلح للحياة ،

(٥) سورة الأنبياء : ٣٠ .

(٦) سورة الحج : ٥ .

فضلا عن أنها تكون قد اختصرت جزءا كبيرا من رصيد الأحياء عامة فى ماء الحياة[٧] .

ومن يتعمق الأمر يجد أن أسرار الإعجاز فى خلق الماء تكمن فى أسلوب تركيبه وتصميم بنيانه على النحو الذى أراده الله ـ تعالى ـ بحيث يجمع فيه من الخصائص الفريدة ما جعله مؤهلا للقيام بدوره الرائع فى الحياة . فجزىء الماء مؤلف من ذرة أكسجين وذرتىْ هيدروجين (H^2O) ، ومع أن الجزىء ككل يعتبر متعادلًا من الناحية الكهربية ، إلا أن نواة ذرة الأكسجين الأكبر حجما تجتذب من الالكترونات السالبة عدداً أكبر مما تجتذبه كل من ذرتىْ الهيدروجين ، ويشكّل هذا الوضع بنيانا هندسيا عليه شحنة سالبة فى جانب وشحنة موجبة فى الجانب المقابل ، أى يكون لجزىء الماء قطبان كهربيّان مختلفان ، ومن ثم يوصف بأنه « قطبى » أو « ذو قطبيْن »[٨] ، ويعزى إلى ظاهرة « القطبية » Polarity هذه تفسير العديد من خصائص الماء ، مثل قدرته الفائقة على إذابة عدد كبير من المواد ، مما يؤهله للقيام بوظيفته الكبرى فى الحمل والنقل فى أجسام الكائنات الحية ، ويؤهله أيضا لأداء دور رئيسى فى كل التفاعلات الحيوية ، وفى التخلص من السموم والنفايات . هذا فضلا عما يقوم به الماء فى التربة من إذابة المواد اللازمة لتغذية النبات ، وعمله الدائب فى تشكيل سطح الأرض وتحويل مكوّناتها من حال إلى حال .

ويواصل الباحثون دراستهم الفاحصة لتركيب جزىء الماء فيكتشفون أن شحناته الكهربية تستطيع جذب الشحنات المخالفة فى الجزئيات المجاورة ، حيث تتجاذب أطراف الهيدروجين الموجبة مع أطراف الأكسجين السالبة وترتبط الجزئيات مع بعضها البعض بروابط تحفظ حالة السائل وتماسكه فى درجات الحرارة المعتادة ، وهنا يكتسب الماء خاصية جديدة تجعل قوة تماسك جزئياته أقوى من تماسك أى سائل آخر ، فيما عدا الزئبق ، ولكن الماء يَفْضُل يفضل الزئبق فى أنه ينتشر على الأسطح بسهولة ، فهو يجمع بين التماسك وقابلية الالتصاق ، بعكس الزئبق الذى يمنعه تماسك جزئياته الشديد من الالتصاق بأى سطح .

ولتماسك جزئيات الماء مظهر آخر يبدو فيما يعرف بظاهرة الشدّ (أو التوتر) السطحى الذى يجعل سطح الماء أشبه بغشاء قوى مرن . فإذا وضعت إبرة من حديد فوق سطح الماء برفق تظل محمولة عليه دون أن تغوص بالرغم من زيادة كثافتها كثيرا عن كثافة الماء . وكثير من صغار الكائنات ، مثل البعوض ، تستطيع أن تمشى فوق سطح الماء أو تتدلّى منه بطريقة مدهشة . وأبسط وسيلة لإيضاح تماسك الماء وتوتره السطحى هى ملاحظة شكل قطرات الماء التى تتساقط من الصنبور تباعا فى تؤدة وبطء على هيئة كرات صغيرة مشدودة إلى بعضها بسلك فضى !!

---

(٧) د . عبدالحافظ حلمى محمد ، العلوم البيولوجية فى خدمة تفسير القرآن الكريم . دراسة قيمة منشورة فى مجلة عالم الفكر التى تصدر عن وزارة الإعلام فى الكويت ، المجلد الثانى عشر ١٩٨٢ .

(٨) يمكن تمثيل جزىء الماء هندسيا فى الفراغ بشكل رباعى تكون ذرتا الهيدروجين فيه غير موزعتيْن توزيعًا متماثلا ، حيث ترتبطان كلتاهما بذرة الأكسجين من جهة واحدة . انظر فى ذلك المرجع السابق .

وبفضل تماسك الماء وقابليته للالـــتصاق يكتسب خاصية إضافية فى غاية الأهمية تجعله يصعد تلقائيا فى الأنابيب الشَّعْرية الدقيقة ضد جاذبية الأرض ، وهو مايعرف « بالخاصية الشعرية » التى يعزى إليها ارتفاع الماء حاملًا الغذاء من أطراف جذور النباتات المتعمقة فى باطن الأرض إلى قممها السامقة فى الفضاء ، والتى قد تبلغ فى مداها نحو أربعمائة متر فى بعض أنواع الأشجار . وهذه الخصائص مجتمعة ، بالإضافة إلى صغر كثافة الماء وضآلة لزوجته ، هى التى تيسِّر حركته بين الخلايا فى النبات والحيوان ، وتساعده على المرور خلال أغْشيتها ، كما أنها تمكن الدم من أن يتم دورته فى الأجسام لضخ القلب له .

فتبارك الله القائل فى كتابه المسطور : ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ (٩) .

إن التجاوب مع وصايا القرآن الكريم بالنظر الدائم إلى آيات الله فى الكون ؛ للتعرف على أسرار الخلق الإلهى ، يجب أن يتحول فى قلوب المؤمنين إلى طاقة تدفعهم إلى دراسة الكون والإفادة من كل ما سخره الله فيه من كنوز وقوى لخدمة الإنسان . فانطلاق العلم بعيداً عن هدى الله انحراف عن جادة الطريق السليم وفشل فى أداء الرسالة التى خلقنا الله من أجلها . ندعو الله سبحانه وتعالى فى شهر القرآن العظيم أن ييسر للمسلمين فهم دينهم كما ينبغى أن يكون ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(٩) سورة لقمان : ١١ .

المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية

كتبه أحمد شريف

«تعقيب على رد»

من حق الأستاذ الدكتور صاحب المقال على مجلة الأزهر نشر هذا الرد ، وقد وعدت بذلك ، وإنها لتلفت نظر القارىء الى أن ما جاء من تفسير للأستاذ الكاتب يعتبر اجتهادا شخصيا منه ، وليس هو القول الفصل فى تفسير الآيات .

تذكر المجلة ذلك حتى يكون أمام القارىء مجال النظر فيما ورد من تفسيره ، هذا ولعلمنا أن «العِلْمَ» لايعرف الكلمة الأخيرة ... مجلة الأزهر

بقلم أ. د/

منصور محمد حسب النبى *

نشرت مجلة الأزهر فى عددى ذى الحجة والمحرم ١٤١٣/١٤١٤هـ مقالين بعنوان «أمر الله لاتحده سرعة الضوء» للدكتور عبدالرحمن السمان، وأشكر المجلة على نشر المقالين وإتاحة الفرصة لى للرد على ماورد بهما من اعتراض على بحثى المنشور فى عددى رمضان وشوال ١٤١٣هـ بعنوان «المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية» راجيا من الله أن نصل جميعا إلى حقيقة الأمر الإلهى المذكور فى آية السجدة : ٥ وأن يكشف لنا الله علم مالا نعلم وهو ـ سبحانه وتعالى ـ المستعان .

أولا : بدأ الناقد كلمته بعنوان «أمر الله لاتحده سرعة الضوء» ، وهذا العنوان يدل على اختلافه معى فى المراد من الأمر الإلهى فى آية

* أستاذ الطبيعة المتفرغ بكلية البنات جامعة عين شمس ورئيس الجمعية المصرية للإعجاز العلمى للقرآن الكريم والسنة .

السجدة : ٥ .. يقول تعالى : « يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ » (السجدة : ٥) ولقد ورد الأمر هنا معرفا بأداة التعريف « ال » ومن المعروف لغويا أنها تأتى للعهد أو للجنس أو لهما معا . وهى هنا صادقة الدلالة على الوجهين ، فالأمر هنا معهود لنا بدليل وصف سرعة عروجه بمقاييس زمنية من أيامنا وسنيّنا المعهوذة فى الدنيا والتى تخضع جميعا لقياسنا وورود قرينة تبرر ذلك فى عبارة « مما تعدون » فى آخر الآية .

كما أن هذا الحد الأقصى للسرعة الكونية الموصوف هنا ــ والذى وصل إليه قياسنا أخيراً ــ يشمل سرعة كل أمر من نفس الجنس يتحرك بين السماء والأرض (فى الفراغ) مقيدا بهذا الحد الأقصى الذى وضعه الله لمثل هذه الأمور الكونية المتعددة المنتشرة فى الكون : كالضوء المرئى وغير المرئى ، وجميع أفراد أسرة الأمواج الكهرومغناطيسية على اختلاف تردداتها وأطوال موجاتها ، مثل : الأمواج الراديوية واللاسلكية والرادار والأشعة تحت الحمراء والفوق بنفسجية وأشعة إكس وجاما ، والتى تتحرك جميعها بسرعة مشتركة هى سرعة الضوء فى الفراغ وقدرها ٢٩٩٧٩٢٫٥ كم/ثانية ، كما أن الأمر الكونى المتحرك بهذه السرعة يشمل أمواج الجاذبية ــ التى يلهث العلم الآن لقياسها ــ وتنتشر بين السماء والأرض ، ويشمل أيضا « دقائق النيوترينو » التى لا يعوقها عائق وتخترق الكون كله .

كل هذه الأمور الكونية التى تتحرك بهذا الحد الأقصى للسرعة الكونية تبين أن الأمر فى آية السجدة للعهد والجنس معا[1] ، وهو أمر كونى واحد يشير إلى أصل الكون كله بأرضه وسمائه وما بينهما ، ويمثل الأمر هنا خلقا ثالثا يختلف فى النوع عن السماوات والأرض بدليل عطفه عليهما فى قوله تعالى « ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ (السجدة : ٤) ، وجاءت هذه الآية متبوعة بتدبير الأمر من السماء إلى الأرض (فى آية السجدة : ٥) مما يدل على أن سياق الآيتين يصف الأمر الكونى « الذى يتنزل دائما بصفة مستمرة بين السماء والأرض ويربط بينهما » بالحركة المستمرة كما ورد فى لفظ يدبر ويعرج فى صيغة المضارع التى تدل على الاستمرارية والدوام منذ بدء الخلق وحتى نهايته ، وبشمولية وعالمية هذا الأمر ودوام نزوله بين كل سماء وأرضها ، كما فى قوله تعالى : « ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا »

(الطلاق : ١٢) .

فالأمر هنا أمر كونى يتنزل دائما بين كل سماء وأرضها ، وليس الوحى كما فهم بعض المفسرين ، لأن الوحى ينقطع بتمام نزوله ، ولكن الأمر هنا يتنزل « فعل مضارع » بصفة مستمرة طالما ظل الكون باقيا ومكان تنزله بين كل سماء وأرضها (فى

(١) نرجو أن يستصحب القارىء أن هذا الشرح للآية اجتهاد من الأستاذ الدكتور صاحب المقال .. فهو نظر يخصه .. مجلة الأزهر .

الفراغ بينهما) ، ويمثل الخلق الثالث بعد السماوات والأرض والذى يبحث عنه العلم الآن ، لأن الفراغ المطلق غير موجود حيث تربط أمواج الجاذبية «المنتشرة فى الفضاء الكونى» بين جميع الأجرام السماوية كأمر كونى له حد أقصى للسرعة الكونية ، وكأمر كونى لا نراه بأعيننا ويمكن قياسه بأجهزتنا الحالية كقوة تدعى «قوة الجذب العام» وسيتم قياسه فى المستقبل بأجهزة متطورة كأمواج غير مرئية تنتشر بسرعة الضوء فى الفراغ «الحد الأقصى» .

وتشير الآية الكريمة إلى هذه القوة أو هذه الأمواج بوصفها «العمد غير المرئية» فى قوله تعالى : « ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ » (الرعد : ٢) ، وهنا ورد ذكر «العمد غير المرئية» وشمولية الجريان وتدبير الأمر الذى وعدنا الله بتفصيله ، فالأمر هنا تفصيل للعمد غير المرئية وعروج هذا الأمر «فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون» تفصيل لسرعته فى حدها الأقصى فى آية «السجدة : ٥» كما يرد وصف الأمر الكونى فى القرآن معرفا بالاضافة بلفظ «أمرنا» ، «أمر الله» ، «أمر ربك» مع قرائن تدل على كونية هذا الأمر الخاضع للمقدار والتحديد كما فى قوله تعالى :

« إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ » «القمر ٤٩ ، ٥٠» ، وهذه الآية تبدأ ــ كما قال كثير من المفسرون ــ بأن كل شىء فى الوجود بمقدار محدد ، وحالات مقدرة ، وفق سنن كونية ثابتة ومستقرة .

والكون والوجود مظهر لهذا القدر يتجلى فيه ، وأما قوله ــ عز وجل : « وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ » فهو مثال واضح للتقدير فى واحدة من هذه الأوامر الإلهية معطوف على ما سبق من خبر التقدير فى كل الخلق ، وفيه الدلالة على كونية الأمر المقدر تقديرا فى تشبيه أمر الله هنا بالنور أى اللمح بالبصر أو الضوء المرئى .

قال الألوسى : «كلمح بالبصر» أى مشبه فى السير والسرعة .

وقال الشوكانى : كلمح بالبصر فى سرعته ، وقال الطبرى : كسرعة اللمح بالبصر .

وكلها فى تقديرى تشبيهات تدور حول سرعة الضوء وبالتالى حدد الله أمره ــ سبحانه ــ هنا بسرعة الضوء .

فكيف ننكر هذا التحديد الإلهى فى هذه الآية ونقول : لاتحده سرعة الضوء ، بينما شبه الله ــ سبحانه وتعالى ــ أمره هنا بالضوء ، كما حدد سرعة هذا الأمر فى آية السجدة بمقدار معين يتبين أنه سرعة الضوء ، وصدق تعالى بقوله : « وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا » (الأحزاب : ٣٨) ، وقوله سبحانه «وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ (الرعد : ٨) ، ولماذا التعجب من وجود حد أقصى لسرعة الأمر الكونى بعد أن اكتشفها العلم ، وذكرها القرآن الكريم قبل اكتشافها بمئات السنين .

وما الداعى إلى القول بـ «إن تحديد سرعة الأمر الإلهى تحت اسم الأمر الكونى بسرعة قصوى إخفاق فى الاجتهاد ، وفساد فى

الغرض» ؟ ، وهل يراد إطلاق الأمور الكونية للعنان لتتحرك بسرعة لا نهائية وتلغى نظرية الكم أو المقدار فى الكون ؟ وهل يُفترض بضبط أن أمر الله لا تحده سرعة الضوء ؟ فما الردُّ فى تشبيه الله لأمره بالضوء «وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر» و هل نعود إلى القرن السابع عشر لنقول : إن الضوء لا نهائى فى سرعته ؟ وهل «إطلاق القدرة الإلهية» معناه أن الكون لا يخضع للتقدير والمقدار ؟ يبدو أن عنوان الدكتور السمان يتعارض مع النصوص القرانية : «وكان أمر الله قدرا مقدورا» ؟

لقد أخضع الله ـ سبحانه وتعالى ـ مخلوقاته للزمن ، وللحد الأقصى للسرعة الكونية ، ولكنه ـ عز وجل ـ تنزه عن جريان الأزمنة عليه ، ولا يخضع للحركة أو الانتقال أو غيرها لأن الله ليس كمثله شىء ولا تحده حدود .

ثانيا : الأوامر الإلهية

يذكر القرآن الكريم أنواعا من الأوامر الإلهية ، منها :

(أ) أمر الكينونة

ولقد ورد هذا الأمر فى القرآن بمعنى الفورى الصادر من الله تعالى فى قوله سبحانه : « إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ » (مريم : ٣٥) ، ومعنى كن فيكون تعبير عن المشيئة الإلهية والارادة والتدبير الالهى الذى لا يستغرق زمنا ولا تحده سرعة كما فى قوله تعالى : « إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ » (يس : ٨٢) ، فالشىء هنا يتكون بأمر فورى يدعى أمر الكينونة مثل قوله تعالى : « قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ » .

سورة الأنبياء

يرى الناقد مستشهدا بهذه الآية : أن أمر الله لا تحده سرعة الضوء وإلا احترق سيدنا إبراهيم قبل أن يصل هذا الأمر .

ويبدو أنه حدث ليس بين «أمر الكينونة» الفورى ، والأمر الكونى المحدد بسرعة لحفظ نظام الكون ، والأول خاص بالمشيئة والإرادة الإلهية التى لا ينطبق عليها حركة أو انتقال ، لأن الله سبحانه وتعالى موجود بعلمه فى كل مكان ، قال تعالى : « وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ » (الزخرف : ٨٤) ، و«إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء» (آل عمران : ٥) ، و« وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ » (يونس : ٦١ .

أمر الكينونة لا يحتاج لزمن ، فإن الله معنا بعلمه فى كل مكان . قال تعالى : « وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ» الحديد ٤ ـ وقال ـ عز من قائل : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ » الواقعة ٨٥ .

وأمر الكينونة خلاف الامر الكونى فللأخير قوانين ثابتة فى نطاق المقدار والحسبان الذى حدده خالق الكون .

(ب) الأمر الكونى :

هو الأمر الخاضع للقانون الإلهى للحد الأقصى للسرعة الكونية الذى يساوى سرعة الضوء فى

(١) هذا توجيه الأستاذ الكاتب .. مجلة الأزهر .

الفضاء ، وهو الموصوف قرآنيا فى صيغة قانون بقوله تعالى : « وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (الحج : ٤٧) ، حيث اشتمل هذا القانون الإلهى على المساواة بين زمنين مختلفين ،

فدل بذلك على متحركين مختلفين تساويا فى المسافة واختلفا فى سرعة المسير ، أى أن مسافة السير فى يوم كمسافة السير فى الألف عام ، وذلك لاختلاف سرعة الأمر الذى يسير فى يوم عن سرعة الذى يسير فى الألف عام ، ونعد به السنين أى (سرعة القمر) ، والزمن عموما فى هذه الآية (وكذلك آية السجدة (٥) المماثلة لها) ، غير مراد بذاته ، وإنما المراد به التعبير عن المسافة والسير « كما يحدث الآن عندما نقدر المسافات بأسلوب زمنى بالسنين الضوئية بعد أن عرفنا سرعة الضوء » .

وحيث إن القرآن الكريم نزل قبل التقدم العلمى فلابد أن يكون الزمن من جنس زمان المخاطبين ليقيسوا المسافة عليه ، فلا يستقيم أن تعبر عن مجهول بمجهول مثله ، وإذا كنا قد عرفنا سرعة القمر بدقة متناهية فى مداره حول الأرض ؛

فإننا بمساواة المسافة التى يقطعها فى ألف سنة قمرية نستطيع حساب سرعة الأمر الكونى الذى يقطع نفس المسافة فى يوم أرضى واحد طبقا لهذا القانون الإلهى الوارد نصا بالقرآن ، وقوله تعالى :

« عند ربك » ، قال القرطبى : أى فى حكمه وعلمه .

وقال ابن العربى : أى فى ملكه ، والمعنى : أنه جل وعلا ـ قد قضى بهذا القانون فى ملكه وحكم به وقدَّر .

قال القاسمى : إن معيار تقدير الأمور الكونية كلها هو المذكور فى آيتى السجدة : ٥ ، والحج : ٤٧ .

وبهذا يتضح أن الحد الأقصى للأمور الكونية خاص بالخلق الثالث الذى يعرج بين السماء والأرض المعهودتين لنا ، بين السماوات والأرض « عند ربك » ، وكما أوضحنا فى آية « الطلاق : ١٢ » فى قوله تعالى « يتنزل الأمر بينهن » ، وهذا الأمر الكونى يشمل الضوء وأمواج الجاذبية وجميع الأمواج « الكهرومغناطيسية » ودقائق « النيوترينو » ، وكل أمر مستقر يلتزم بهذا الحد الإلهى للسرعة القصوى فى عالم الشهادة ، والقرآن الكريم هو السابق فى الإشارة إلى تنوع الطاقات والقوى الكونية فى الأشكال ، وتباينها فى الأحوال تماما من قبل أن يكتشف العلم الذى مازال يلهث

وراء هذه الأمور الكونية التى يشير القرآن الكريم إلى تعددها كما فى قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

هود : ١٢٣

وقوله عز وجل « بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا » (الرعد : ٣١) ، فقد ورد لفظ (الأمر) مفردا معرفاً (بال) للدلالة على أنه الأمر الكونى العام ، وتلحق به ألفاظ تفيد الحصر مثل (كله) و(جميعا) للدلالة

على تنوع هذا الأمر . كما يعبر القرآن الكريم عن ثبات هذا القانون الإلهى الذى نحن بصدده بقوله تعالى : «وكل أمر مستقر» (القمر : ٣) ولقد ذكر الفخر الرازى : مستقر : أى على سنن .

(جـ) الأمر الملائكى :

وهو الأمر الذى تحمله الملائكة كما فى عملية الوحى بالأمور الشرعية ، والملائكة من مخلوقات الله أيضا ، ولابد أن تخضع للتقدير والمقدار لهذا وصف سبحانه سرعتها القصوى بحد آخر مختلف عن الحد الأقصى للسرعة الكونية كما فى قوله تعالى : « تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » (المعارج : ٤) .

وسوف أعود لهذا الموضوع والمهم هنا عدم الخلط بين أمر الكينونة «الفورى» والأمر الكونى «يوم بألف سنة» والأمر الملائكى «يوم بخمسين ألف سنة» فالأول بيان الإرادة والمشيئة الإلهية التى لا تحتاج ولا تخضع لزمن ، والثانى محدد بسرعة الضوء ويختص بعالم الشهادة والثالث ؛ محدد بسرعة أكبر من سرعة الضوء ، ويختص بعالم الغيب ... والله أعلم .

ثالثا : المعانى اللغوية والتفاسير السابقة :

اقتصر الناقد على النقل فى عرضه لآيتى السجدة : ٥ ، والحج ٤٧ ، فيقول سيادته نقلا عن الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ ١٤ ص ٨٦ : «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض» قال ابن عباس ـ رضى الله عنه : ينزل القضاء والقدر ، وقيل : ينزل الوحى مع جبريل وقيل : يدبر أمر الدنيا أربعة ملائكة ، وقيل : إن العرش موضع التدبير «ثم يعرج إليه» ، قال يحيى بن سلام : هو جبريل يصعد إلى السماء بعد نزول الوحى ، وبهذا وافق الدكتور السمان على تحويل الأمر الكونى فى آية السجدة إلى أمر تحمله الملائكة ، وهذا ماأخالفه وأرفضه بشدة ، لأن الملائكة و«الروح جبريل» على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لهم حد للسرعة مختلف عن الحد الأقصى للسرعة الكونية .

والأسلم ترك النص الكريم «السجدة : ٥» على ظاهره .

هذا وتأويل عروج الأمر بعروج الملائكة عليهم السلام غير الخاضع لقياسنا صرف لظاهر النص القرآنى دون دليل ، فالملائكة من أمور الغيب فلا يجب أن نتحدث عن وصف أو فعل لهم إلا بنص قاطع الدلالة ولا يوجد فى نص «السجدة : ٥» ما يشير إلى ذلك ، بل أن القرآن قد فصل هذه القضية : فالأمر الكونى فى «السجدة : ٥» والملائكة فى المعارج : ٤ ، ولكل منهما نص قرآنى يميزه ويفصل بينهما فى الحد الأقصى للسرعة .

يتبع بالقسم الأخير

الجديد فى العلم والتقنية

د/ نجوى السيد أحمد*

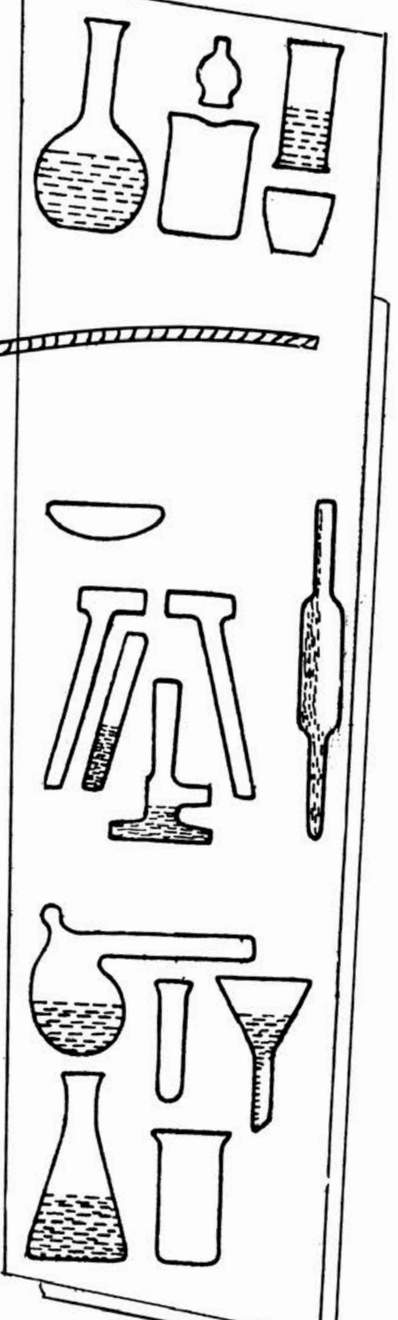

أحدث جهاز لقياس ضغط العين .

أنتجت إحدى الشركات البريطانية أحدث جهاز لقياس ضغط العين داخل المقلة بدون لمس العين أو الاقتراب منها ، ويساعد على اكتشاف مرض «الجلوكوما» . ويعتبر هذا الجهاز طفرة فى عالم التشخيص عن بعد .

مصباح ألكترونى طويل العمر .

أعلنت احدى الشركات الأمريكية أنها حققت أول إنجاز من نوعه فى عالم المصابيح الكهربائية وهو التوصل إلى تصنيع مصباح كهربائى ألكترونى يعيش أكثر من ١٨ عاماً ، وبدون السلك المعدنى الضعيف (التنجستين) قصير العمر

والمصباح الجديد يعمل بالغاز ، وهو مزود بسلك ممغنط يرسل إشارات لاسلكية عالية التردد تؤدى إلى تحول الغاز إلى غاز (مؤين) ينبعث منه طاقة (كهرومغناطيسية) تصطدم بطبقة فوسفورية طلى بها جدار المصباح الزجاجى من الداخل فينبعث منها الضوء .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث .

فرن كهربائى للتخلص
من فضلات المنازل .

قامت إحدى الشركات اليابانية للصناعات الكهربائية بتصنيع فرن كهربائى للتخلص من نفايات المنازل دون إحداث أى تلوث للبيئة ، وهو عبارة عن فرن « ميكروويف » يقوم فى البداية بتجفيف النفايات قبل أن يحرقها ثم يختزلها إلى رماد . والفرن مزود بوحدات استشعار وتوجيه لتغيير طاقته لتلائم كل مرحلة من مراحل عملية التخلص من النفايات . وتوجد حجرة احتراق ثانوية . ومادة حافزة على الاحتراق لإكمال عملية حرق أية غازات .

تليفون جديد للصم .

قامت شركة ألمانية بتطوير تليفون كتابى حيث يمكن لمعوقى السمع أن يتحدثوا فيه مع الآخرين عن طريق شبكة التليفون العادية . والتليفون الجديد مزود بشاشة ولوحة أزرار ، وتقوم الشاشة التى تحتوى على ٢٢ سطراً بدلا من الشاشة القديمة التى كانت تحتوى على سطر واحد بعرض المحادثة الهاتفية بصورة مكتوبة . وفى التليفون الجديد جهاز خاص يعمل على تخزين عبارات التحية والمجاملة والمعلومات العادية بصورة مبرمجة وذلك لتخفيف نفقات المحادثة .

استخدام هواء الزفير
لتشخيص الأمراض .

ابتكرت شركة أمريكية لإنتاج الأجهزة العلمية فى مجال التحاليل الطبية جهازاً يقوم بالتقاط أنفاس المريض وفحصها لمعرفة المرض المصاب به . ويمر هواء الزفير خلال مجفف ، وهو عبارة عن أنبوبة زجاجية يمكنها احتجازه لإجراء التحاليل عليه وذلك بدلا من عمليات التشخيص الواسعة .

مراقبة النفايات النووية
فى قاع البحار آلياً .

ابتكر خبراء إحدى الشركات الفرنسية جهازاً آلياً حديثاً « روبوت » ، لمراقبة أنفاق النفايات النووية المدفونة فى قاع البحار بعد إنزاله إلى القاع بواسطة مصعد خاص لهذا الغرض . والجهاز الجديد مزود بأجهزة قياس وتحكم وبوصلة وجهاز لقياس الضغط ودرجات الحرارة ، وآخر لاستشعار معدل الإشعاع النووى وقياس مدى التآكل فى الأغلفة الخارجية ، وهو يستطيع العمل داخل الأنفاق فى القاع .

عظام الدجاج لعلاج التهاب المفاصل .

أدت الدراسة الطبية التى قام بها مجموعة من الأطباء بجامعة « هارفارد » الأمريكية إلى نجاح استخدام « بروتين مستخرج من عظام الدجاج لعلاج الآلام والأورام الناتجة عن التهاب المفاصل المزمن . واستمرت الدراسة ثلاثة شهور حيث كان يتم إعطاء ٣٠ مريضاً هذا البروتين مع كوب من عصير البرتقال فى الصباح فكانت النتيجة مشجعة حيث زالت آلام ٢٨ مريضاً منهم بدون أعراض جانبية .

من الفوائد الطبية للطحالب البحرية .

أصبحت الطحالب مؤخراً مادة صناعية هامة لمصانع المستحضرات الطبية ؛ لما تحتويه من

فيتامينات وأملاح معدنية ضرورية للجسم بكميات لا يمكن أن ينافسها أى نبات أو أعشاب طبيعية أو بحرية ، كما تحتوى الطحالب على بعض العناصر الأساسية للجسم كالماغنسيوم والحديد والزنك والفلور والكالسيوم والكبريت والبوتاسيوم والفوسفور والسيلينيوم وفيتامينات أ ، د ، هـ الهامة لبناء الجسم كما أنها غنية بالبروتينات والأحماض الأمينية . وتفيد الطحالب فى تجديد النشاط والحيوية والتئام الجروح ومقاومة البكتريا وإعادة التوازن لفروة الرأس والبشرة وعلاج حب الشباب .

موجات الراديو تتنبأ بالزلازل .

توصل فريق يابانى إلى طريقة جديدة للتنبؤ بالزلازل قبل حدوثها بعشرة ساعات باستخدام موجات الراديو ، حيث أنه عندما تنشق الصخور فى باطن الأرض عن طريق الزلزال فإن الطاقة الكهربائية المتولدة عند تحلل المعادن تؤثر على موجات الراديو وتحدث بها ذبذبات يمكن قياسها .

أشعة الليزر للاتصالات عبر الأقمار الصناعية :

تقوم وكالة الفضاء الأوربية بالتعاون مع وكالة اليابان لتنمية الفضاء بعمل مجموعة بحوث جديدة حول تطوير نظام اتصالات باستخدام أشعة الليزر عبر الأقمار الصناعية التى ترصد الأرض . واستخدام الليزر فى هذا النظام يجعل الإرسال أصغر حجماً لأن أشعة الليزر تسمح بإرسال كمّ كبير من المعلومات ، كما تتميز بالانتظام والثبات فيكون من السهل توجيهها بدقة أكثر من الموجات الضوئية العادية أو موجات الراديو .

اكتشاف أكبر بكتيريا معروفة حتى الآن :

تمكن فريق من العلماء الأمريكيين الاستراليين من اكتشاف أكبر بكتيريا معروفة حتى الآن ، تعيش داخل أجسام الأسماك قرب الساحل الاسترالى ويبلغ طولها حوالى نصف ميلليمتر ، ويمكن رؤيتها بالعين المجردة ، أطلق عليها البكتريا العملاقة لأنها أكبر من البكتريا العادية بمليون مرة ، حيث أن الحجم الطبيعى للبكتريا هو حوالى جزء من الألف من المليمتر .

البحث النحوي عند الإمام النووي

في ضوء كتابه صحيح مسلم بشرح النووي

د. محمد عبد القادر هنادى

المبحث الثالث : منهج الإمام النووى فى البحث النحوى

سأتناول منهج الإمام النووى فى البحث النحوى فى ضوء النقاط التالية :

أولا : أصول السماع عند النووى .

ثانيا : توجيه الأحاديث عن طريق بعض الظواهر اللغوية .

ثالثا : أثر التوجيه النحوى فى بعض القضايا التفسيرية والحديثية والفقهية .

رابعا : التوجيه النحوى للمشكل فى الحديث النبوى .

أولا : أصول السماع عند النووى :

فى ضوء تتبع آراء النووى النحوية فى كتابه (شرح صحيح مسلم) تبين لى أن (أصول السماع) فى البحث النحوى عنده تعود الى الأصول الثلاثة الآتية :

(أ) القراءات القرآنية .

(ب) الحديث النبوى .

(جـ) كلام العرب .

(أ) القراءات القرآنية :

جعل النووى القراءات القرآنية أصلا من الأصول التى يحتج بها فى القواعد النحوية ، والأمثلة الواردة فى كتابه (شرح صحيح مسلم) كثيرة[٥٢] أختار منها الأمثلة التالية :

إعادة اللفظ :

روى مسلم عن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال له : «يا أباهريرة ـ وأعطانى نعليه ـ قال : اذهب بنعلى هاتين»

قال النووى : «فى هذا الكلام لطيفة ، فانه أعاد لفظة (قال) ، وإنما أعادها لطول الكلام ، وحصول الفصل بقوله : (يا أباهريرة ـ وأعطانى نعليه) ، وهذا حسن ، وهو موجود فى كلام العرب ، بل جاء ـ أيضا ـ فى كلام الله ـ تعالى ـ قال الله ـ تبارك وتعالى : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به»[٥٣] ، قوله تعالى (فلما جاءهم للأول لطول الكلام ، ومثله قوله ـ

(٥٢) إنظر ـ على سبيل المثال ـ فى صحيح مسلم بشرح النووى ٥٦/٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٣٩ ، ٧١/٣ ، ١٣٩٤ ، ١٤٥/٥ ، ١٢٩/٧ ، ١٣٠ ، ١٦٤/١١ ، ٨٧/١٢ ، ١٤٠/١٥ .

(٥٣) البقرة ٨٩ .

«أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجـون»[٥٤] ، أعـاد (أنكـم) لطـول الكلام»[٥٥] .

ثم بين الترتيب الذكرى والفعلى :

ذكر النووى أن (ثم) تأتى لتفيد الترتيب فى الذكر ، ومنه كما قال : قوله ـ تعالى : «وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين أمنوا»[٥٦] ومعلوم أنه ليس المراد هنا الترتيب فى الفاعل وكما قال تعالى : (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولاتقتلوا) إلى قوله تعالى : (ثم آتينا موسىٰ الكتاب»[٥٧] وقوله ـ تعالى ـ (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم»[٥٨] ، ونظائر ذلك كثيرة[٥٩] .

حذف الفاء من جواب أما :

أجاز الامام النووى حذف الفاء من جواب [أما] ، وجاءت الإشارة إلى ذلك فى قوله[٦٠] ((الفاء فى جواب [أما] يلزم إثباتها إلا إذا كان الجواب بالقول ، فإنه يجوز حذفها إذا حذف القول ... ومثل هذا فى القرآن العزيز ، وكلام العرب كثير فمنه فى القرآن قوله ــ عز وجل : [[فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم[٦١]]] ، أى فيقال لهم : أكفرتم ، وقوله ــ عز وجل : [[وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم[٦٢]]] .

تعدى سَخِر بأحد حرفين :

ذهب ــ رحمه الله تعالى ــ إلى أن الفعل [سخر] يتعدى بحرف الجر [من] ، واحتج عليه بالقرآن الكريم ، وفى ذلك يقول : ((وقع فى الروايات [أتسخر بى] ، وهو صحيح ، يقال : سخرت منه ، وسخرت به ، والأول هو الأفصح ، وبه جاء القرآن[٦٣])) .

قلت : ومما جاء فى القرآن الكريم على ما ذكر النووى قوله تعالى : [[قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم[٦٤] وقوله ــ عز وجل : [[زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنو]][٦٥] .

حذف الياء من المنقوص

أجاز حذف الياء من الاسم المنقوص ، واستدل عليه بالقرآن الكريم قال ـ رحمه الله ـ وهو يشرح حديث الرسول ﷺ : «لَا يَحِلُّ دمُ امرىء مسلم يشهد (أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله) إلا بإحدى ثلاث : الثيّب الزان ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة» ، «هكذا هو فى النسخ (الزان ــ من غير ياء بعد النون ـ وهى لغة صحيحة قرىء بها فى السبع كما فى قوله ـ تعالى ـ (الكبير المتعال[٦٦]

(٥٤) المؤمنون ٣٥ .
(٥٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٣٦/١ .
(٥٦) البلد .
(٥٧) المائدة ١٥١ .
(٥٨) الأعراف ١١ .
(٥٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٧٨/٢ .

٦٠ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ١٠٤/٢ .
٦١ ـ آل عمران .
٦٢ ـ الجاثية ٣١ .
٦٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووى ٤٠/٣ .
٦٤ ـ هود ٣٨ .
٦٥ ـ البقرة : ٢١٢ .
٦٦ ـ الرعد ٩ .

القراءات الشاذة :

أما موقفه من القراءات الشاذة فقد رفضها الإمام النووى ، ولم يحتج بها فى المسائل الشرعية ، وفى ذلك يقول : «مذهبنا أن القراءة الشاذة لا يحتج بها ، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله ﷺ لأن ناقلها لم ينقلها إلا على أنها قرآن ، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع ، وإذا لم يثبت قرآنا لا يثبت خبرا ، والمسألة مقررة فى أصول الفقه ، وفيها خلاف بيننا وبين أبى حنيفة ــ رحمه الله[٦٧] .

وقال فى موضع آخر : «والقراءة الشاذة لا تثبت قرآنا بالإجماع ، ولا يكون لها حكم الخبر الواحد عندنا وعند محققى الأصوليين[٦٨] .

ولئن كان النووى قد رفض الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى المسائل الشرعية إلا أنه أثبتها نحوا ولغة ، وذلك عن طريق توجيهها أو الاستدلال بها فى قاعدة نحوية ، من ذلك أنه تحدث عن قوله ــ تعالى : «ما ودعك ربك وما قلى[٦٩]» فقال : «قوله (ما ودعك) هو بتشديد الدال على القراءات الصحيحة المشهورة التى قرأ بها القرّاء السبعة ، وقرىء فى الشاذ بتخفيفها ، قال أبوعبيد : هو من ودعه يدعه ، معناه : ماتركك[٧٠] .

وتحدث عن قوله تعالى «غير أولى الضرر[٧١]» فقال : «قرىء بنصب الراء ورفعها ، قراءتان مشهورتان فى السبع ، قرأ نافع وابن عامر والكسائى بنصبها ، والباقون برفعها ، وقرىء فى الشاذ (بجرها) ، فمن نصب فعلى الاستثناء ، ومن رفع فوصف للقاعدين ، أو بدل منهم ، ومن جر فوصف للمؤمنين ، أو بدل منهم[٧٢]» .

(ب) الحديث النبوى :

الحديث النبوى أصل من أصول الاحتجاج النحوى عند الإمام النووى ويظهر ذلك فى الأمور التالية :

١ ــ احتجاجه بحديث الرسول ﷺ فى إثبات كثير من القواعد النحوية ، وبيان صحتها فى ضوء الحديث النبوى ، وقد تحدث عن ذلك مفصلا فى (المبحث الأول) .

مالك أو مالكا :

٢ ــ دافع الإمام النووى عن روايات الحديث الشريف ، وأثبت صحتها لغة ونحوا ، ورد أقوال النحاة واللغويين والأمثلة التى ذكرها فى كتابه (شرح صحيح مسلم)[٧٣] كثيرة ، منها ما قاله فى شرح قول ابن عباس ــ رضى الله عنه ــ وهو يحدث عن رحلة الإسراء : « وأُرِىَ ــ أى الرسول ــ عليه السلام ــ مالكا خازن النار) ، «وهو بضم الهمزة ، وكسر الراء ، و(مالكا) بالنصب ، ومعناه : أرى النبى ﷺ مالكا .

وقد ثبت فى صحيح البخارى هذا الحديث (ورأيت مالكا) ، ووقع فى أكثر الأصول (مالك) بالرفع ، وقد يقال هذا لحن لايجوز فى العربية ، ولكن عنه جواب حسن ، وهو أن لفظة (مالك) منصوبة ولكن أسقطت الألف فى الكتابة ، وهذا يفعله المحدثون كثيرا ، فيكتبون سمعتَ أنس بغير ألف ، ويقرأونه بالنصب ،

---

(٦٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٣٠/٥

(٦٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٨/١٠

(٦٩) الضحى ٣ .

(٧٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١٥٧/١٢

(٧١) النساء ٩٥

(٧٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٤٣/١٣ .

(٧٣) ينظر مفصلا فى ١٥٩/٦ ، ١١١/٨ ، ١١١/٩ ، ١٢/١١ ، ٦٥/١٢ ــ ١٥٤ ، ٨٩/١٣ ، ٢٢٥/١٣ ، ١٩٦ ، ٤٩/١٤ ، ١٥٥/١٦ ، ٥٥/١٥

وكذلك (مالك) ، كتبوه بغير ألف ، ويقرأونه بالنصب[٧٤]

(إذا) و(إذ) انحدر :

ومن ذلك ـ أيضا ـ قوله وهو يشرح حديث الرسول ﷺ : «. أما موسى فرجل آدم جعد على جمل أحمر مخطوم خلبه كأنى أنظر إليه إذا انحدر فى الوادى يُلَبِّى» ، «هكذا هو فى الأصول كلها (إذا انحدر) بالألف بعد الذال وهو صحيح ، وقد حكى القاضى عياض عن بعض العلماء أنه أنكر إثبات الألف ، وغلط راويه ، وغلطه القاضى ، وقال : «هذا جهل من هذا القائل وتعسف وجسارة على التوهم لغير ضرورة ، وعدم فهم بمعانى الكلام ، إذ لافرق بين (إذا) و(إذ) هنا ، لأنه وصف حاله حين انحداره فيما مضى[٧٥] .

الحَوَر بعد الكون :

ومن دفاعه عن روايات الحديث ماقاله فى شرح حديث الرسول ﷺ أنه كان (يتعوذُ من وَعْثاء السفر وكآبة المنظر والحور بعد الكون)[٧٦] هكذا فى معظم النسخ من صحيح مسلم بعد (الكون) بالنون ، بل لايكاد يوجد فى نسخ بلادنا إلا بالنون ، وكذا ضبطه الحفاظ المتفقون فى صحيح مسلم ، قال القاضى : وهكذا رواه الفارسى وغيره من رواة صحيح مسلم ، ورواه البخارى (بعد الكور) بالراء ، والمعروف فى رواية عاصم (بالنون) ، قال القاضى : قال إبراهيم الحربى : يقال : إن عاصما وهم فيه ، وأن صوابه (الكور) بالراء .

قلت ـ أى النووى ـ وليس كما قال الحربى ، بل كلاهما روايتان ، وممن ذكر الروايتين جميعا الترمذى فى (جامعه) ، وخلائق من المحدثين ، وذكرهما أبوعبيد وخلائق من أهل اللغة وغريب الحديث ، قال الترمذى بعد أن رواه بالنون ، ويروى بالراء أيضا ، ثم قال : وكلاهما له وجه .

ومعناه : الرجوع من شىء إلى شىء من الشر ، وكذا قال غيره من العلماء بالراء والنون جميعا : الرجوع من الاستقامة أو الزيادة إلى النقص[٧٧] » .

هاء وهاء :

ومن دفاعه رحمه الله عن روايات الحديث ما ذكره فى شرح حديث الرسول ﷺ : « الورِق بالذهب ربا إلا هاء وهاء ، والبُر بالبُر ربا إلا هاء وهاء ...» وقوله ﷺ : (إلا هاء وهاء) فيه لغتان المد والقصر ، والمد أفصح وأشهر ، وأصله (هاك) فأبدلت المدة من الكاف ، ومعناه (خذ هذا) ، ويقول صاحبه (مثله) ، والمدة مفتوحة .

ويقال بالكسر أيضا ، ومن قصره قال : وزنه وزن (خف) ، يقال للواحد : ها ، وللإثنين (هاءَا) كخافا ، وللجميع (هاؤوا) كخافوا ، والمؤنثة (هاك) ، ومنهم من لا يثنى ولا يجمع على هذه اللغة ، ولا بغيرها فى التأنيث ، بل يقول ـ فى الجميع : (ها) ، قال السيراف : كأنهم جعلوها صوتا كـ (صه) ، ومن ثنى وجمع قال للمؤنثة : (هاك) و(ها) لغتان ، وأكثر أهل اللغة ينكرون (ها) بالقصر ، وغلّط الخطابى وغيره المحدثين فى رواية القصر ، وقال : الصواب : المد

(٧٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/٢٢٧ .
(٧٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/١٣١ .
(٧٦) صحيح مسلم .
(٧٧) صحيح مسلم بشرح النووى ٩١/١١١ ـ ١١٢ .

والفتح ، وليست بغلط ، بل هى صحيحة كما ذكرنا ، وإن كانت قليلة[٧٨] .

ومن ردّه على علماء اللغة ودفاعه عن رواية الحديث ماقاله فى شرح حديث الرسول ﷺ : «إنهم لأخير منهم» (هكذا هو فى جميع النسخ (لأخير) ، وهى لغة قليلة تكررت فى الأحاديث ، وأهل العربية ينكرونها ، ويقولون : الصواب (خير) و(شر) ولا يقال (أخير) ولا (أشر) ، ولا يقبل إنكارهم ، فهى لغة قليلة الاستعمال[٧٩] .

وقال ـ فى موضع آخر من كتابه يدافع عن مجيء اسم التفضيل (خير) و(شر) على (أخير) و(أشر) :

«قد جاءت هذه اللفظة بلاشك ، فهى لغة ـ وإن كانت قليلة الاستعمال ـ ولهذا نظائر مما لايكون معروفا عند النحويين ، وجاريا على قواعدهم ، وقد صحت به الأحاديث فلا ينبغى رده إذا ثبت ، بل يقال : هذه لغة قليلة الاستعمال ، ونحو هذا من العبارات .

وسببه : أن النحويين لم يحيطوا إحاطة قطعية بجميع كلام العرب ، ولهذا يمنع بعضهم ما ينقله غيره عن العرب[٨٠] .

٣ ـ ومن منهجه فى الاحتجاج بالحديث أنه يذكر رواياته ويصححها نحوا أو لغة ، ثم يرجح إحدى الروايات ، والنماذج ـ أيضا ـ فى ذلك كثيرة[٨١] أختار منها ما يأتى :

ضبط أنفسها :

تحدث عن ضبط (أنفسها) فى حديث الرسول ﷺ : «إنّ الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفُسَها»[٨٢] فقال : ضبط العلماء (أنفسها) بالنصب والرفع ، وهما ظاهران إلا أن النصب أظهر وأشهر ، قال القاضى عياض (أنفسها) بالنصب ، ويدل عليه قوله (إن أحدنا يحدث نفسه) ، قال : قال الطحاوى وأهل اللغة يقولون (أنفسها) ، يريدون بغير اختيارها كما قال الله ـ تعالى : «ونعلم ماتوسوس به نفسه»[٨٣] .

أهل الثناء والمجد :

ذكر الروايات الواردة فى كلمة (أهل) التى جاء ذكرها فى حديث الرسول ﷺ : (ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شىء بعدُ ، أهلَ الثناء والمجد ...» ، فقال رحمه الله تعالى : «قوله (أهل) منصوب على النداء ، هذا هو المشهور ، وجوز بعضهم رفعه على تقدير (أنت أهل الثناء) والمختار النصب»[٨٤] .

نار جهنم وإناء الفضة :

تحدث عن ضبط كلمة (نار) فى حديث الرسول ﷺ : «الذى يشربُ فى آنية من الفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم» ، فقال : «اختلف العلماء فى راء (النار) فى الرواية الأولى فنقلوا فيها النصب والرفع ، وهما مشهوران فى الرواية وفى كتب الشارحين وأهل الغريب واللغة ، والنصب هو الصحيح المشهور الذى جزم به الأزهرى وآخرون من المحققين ، ورجحه الزجاج والخطابى ، وأما معناه فعلى رواية النصب الفاعل

---

(٧٨) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١١ .

(٧٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٧٦/١٦ .

(٨٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١٩٦/١٣ .

(٨١) ينظر مفصلا فى ج ١٨٧/١ ، ٢٣٣ ، ١٥٤/٢ ، ١١١/٣ .

(٨٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٧/٢ .

(٨٣) ق ١٦ .

(٨٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٩٤/٤ .

هو الشارب مضمر فى يجرجر ، وعلى رواية الرفع تكون (النار) فاعله ، ومعناه تصوت النار فى بطنه ، والجرجرة هى التصويت»[85]

فقولوا : وعليكم :

رجح رواية (وعليكم) مع إثبات الواو ، وذلك عندما شرح حديث الرسول ﷺ : «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم» فقال ــ رحمه الله : «(وعليكم) بإثبات الواو وحذفها ، وأكثر الروايات بإثباتها .

وعلى هذا فى معناه وجهان : أحدهما : أنه على ظاهره ، فقالوا : عليكم الموت ، فقال (وعليكم) أيضا ، أى نحن وأنتم فيه سواء ، وكلنا نموت .

والثانى أن (الواو) هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك ، وتقديره (وعليكم ما تستحقونه من الذم) .

وأما حذف الواو فتقديره : بل عليكم السام ، قال القاضى : اختار بعض العلماء منهم ابن حبيب المالكى : حذف الواو لئلا يقتضى التشريك ، وقال غيره بإثباتها ، كما هو فى أكثر الروايات ، وقال الخطابى : عامة المحدثين يروون هذا الحرف (وعليكم) بالواو ، وكان ابن عيينة يرويه بغير واو ، قال : وهذا هو الصواب ، لأنه إذا حذف الواو صار كلامهم بعينه مردودا عليهم خاصة ، وإذا ثبت الواو اقتضى المشاركة معهم فيما قالوه ، هذا كلام الخطابى .

والصواب أن إثبات الواو وحذفها جائزان كما صحت به الروايات ، وأن الواو أجود كما هو فى أكثر الروايات ، ولا مفسدة فيه»[86] .

كأنما وتر أهله وماله :

ومن الأحاديث التى ذكر رواياتها ، ثم رجح إحداها ما قاله فى حديث الرسول ﷺ : «الذى تفوته صلاة العصر كأنما وُتِرَ أهلُهُ ومالُهُ» ، «روى بنصب اللامين ورفعهما ، والنصب هو الصحيح المشهور الذى عليه الجمهور على أنه مفعول ثان ، ومن رفع فعلى مالم يُسَمَّ فاعله ، ومعناه انتزع منه أهله وماله ، وهذا تفسير مالك بن أنس .

وأما على رواية النصب فقال الخطابى وغيره : معناه : نقص هو أهله وماله وسلبه ، فبقى بلا أهل ولا مال»[87] .

٤ ــ ومن منهجه فى الاحتجاج النحوى بالحديث النبوى أنه دافع عن روايات الحديث ، ورد على من أنكرها ، من ذلك أنه تحدث عن قول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما : «بنى الإسلام على خمسة على أن يوحد الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج ، فقال رجل : الحج وصيام رمضان قال : لا ، صيام رمضان والحج» ، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ»[88] .

قال النووى : قال الشيخ أبوعمرو بن الصلاح ــ رحمه الله تعالى : محافظة ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ على ماسمعه من رسول الله ، ونهيه عن عكسه تصلح حجة لكون الواو تقتضى الترتيب : ، وهو مذهب كثير من الفقهاء الشافعيين ، وشذوذ من النحويين ، ومن قال :

(٨٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢٨/١٤ .

(٨٦) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٤/١٤ ــ ١٤٥ .

(٨٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٢٦/٦ .

(٨٨) صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب أركان الاسلام ودعائمه .

لا تقتضي الترتيب ، وهو المختار ، وقول الجمهور فله أن يقول : لم يكن ذلك لكونها تقتضى الترتيب ، بل لأن فرض صوم رمضان نزل فى السنة الثانية من الهجرة ، ونزلت فريضة الحج سنة ست ، وقيل سنة تسع ، ومن حق الأول أن يقدم فى الذكر على الثانى ، فمحافظة ابن عمر – رضى الله عنهما – لهذا .

وأما رواية تقديم الحج فكأنما وقع ممن كان يرى الرواية بالمعنى ، ويرى أن تأخير الأول أو الأهم فى الذكر شائع فى اللسان ، فتصرف فيه بالتقديم والتأخير ، هذا آخر كلام الشيخ أبى عمرو بن الصلاح وهذا الذى قاله ضعيف من وجهين :

أحدهما : لأن الروايتين قد ثبتتا فى الصحيح ، وهما صحيحتان فى المعنى ، لا تنافى بينهما ، فلا يجوز إبطال إحداهما .

الثانى أن فتح باب احتمال التقديم والتأخير فى مثل هذا قدح فى الرواة والروايات ، فإنه لو فتح ذلك لم يبق لنا ثقة بشىء من الروايات إلا القليل ، ولا يخفى بطلان هذا ، ما يترتب عليه من المفاسد ، وتعلق به من يتعلق به ممن فى قلبه مرض»(٨٩) .

حديث (الخبث) :

ومن إنكاره على بعض العلماء الذين ردوا روايات الحديث فى مسألة لغوية حديثه عن كلمة (الخبث) فى قوله ﷺ : «اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث» .

قال – رحمه الله : «وأما (الخبث) فبضم الباء وإسكانها ، وهما وجهان مشهوران فى رواية الحديث ، ونقل القاضى عياض – رحمه الله تعالى – أن أكثر روايات الشيوخ : الإسكان ، وقد قال الإمام سليمان الخطابى – رحمه الله تعالى : (الخبث) بضم الباء ، جماعة (الخبيث) و(الخبائث) جمع (الخبيثة) قال : يريد ذُكْران الشياطين وإناثهم .

قال : وعامة المحدثين يقولون : (الخبث) بإسكان الباء ، وهو غلط والصواب الضم ، هذا كلام الخطابى ، وهذا الذى غلطهم فيه ليس بغلط ، ولا يصح إنكار جواز الإسكان ، فان الإسكان جائز على سبيل التخفيف ، كما يقال : كتب ورسل وعنق وأذن ، ونظائره ، فكل هذا وما أشبهه جائز تسكينه بلا خلاف عند أهل العربية ، وهو باب معروف من أبواب التصريف لا يمكن إنكاره»(٩٠) .

وأنصت :

وتحدث عن ضبط كلمة (أنصت) فى حديث الرسول ﷺ : (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له مابينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام) ، فقال – رحمه الله : قوله : (ثم أنصت) هكذا هو فى أكثر النسخ المعتمدة ببلادنا ، وكذا نقله القاضى عياض عن الجمهور ، ووقع فى بعض الأصول المعتمدة ببلادنا (انتصت) ، وكذا نقله القاضى عن الباجى ، وآخرون (انتصت) بزيادة تاء مثناة فوق ، قال : وهو وهم ، قلت : ليس هو وهما ، بل هو لغة صحيحة ، قال الأزهرى – فى شرح ألفاظ المختصر : يقال : أنصت ، ونصت ، وانتصت ، ثلاث لغات»(٩١) .

---

(٨٩) صحيح مسلم بشرح النووى ١٧٨/١ – ١٧٩ .

(٩٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٧١/٤ .

(٩١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٦/٦ .

مستقبل الثقافة فى مصر (١)

الفصل الأخير

ظلم الأزهر

أنحى الدكتور بالنقد المتعجل على الأزهر ، فقال(١) :

وليسَ من الخير أن يكونَ الأزهر حربًا على الحياة الحديثة ، فإن هذه الحرب لا تُجدى ولا تفيد ، وإنما الخير والواجب أن يكونَ الأزهر ملطفا للحياة الحديثة ، مخففا لأثقالها ، ملائماً بينهما وبين ما يأمر الله به من الخير والمعروف ، مُباعدًا بينها وبين ما ينهى الله عنه من الشر والمنكر ، وذلكَ لا يكون إلّا إذا عَرَفَ رجالُ الدين حياة الناس كما يحيونها ، وأتْقَنُوا العلمَ بأسرارها ومشكلاتها ، وما تجرّ على الناس من شرّ ، وما تدفعهم إليه من إثم ، وسبيلُ ذلك أن يُثقفَ الأزهر بالثقافة الحديثة ، كما يتثقّف بها غيره من المعاهد ، وأن يَمتازَ بعد هذا بما لا تَمْتَازُ به المعاهد الأخرى من هذه الثقافة الدينية الخالصة بحيث إذا اتّصلَ رجالُه بطبقات الناس لم يُناقضُوهم ولم يُباينوهم ، ولم يَجدوا مشقةً فى الوصول إلى قلوبهم ، والانتهاء إلى نفوسهم والتأثير فى هذه النفوس وتلك القلوب .

م . د محمّد رجب البيّومى

والشرّ كلّ الشر أنْ يتحدث رجلُ الدين إلى الناس فلا يفهمونَ عنه ؛ لأنه قديمَ وهم محدثون ، وأن يتحدّثَ الناسُ إلى رجل الدين ، فلا يفهمُ عنهم لأنهّم محدثون وهو قديم ، ولا ينبغى أن تُغيّر الأزهر لأنّ الناسَ يسمعون لهُ الآنَ وَيفهمون عنه بعض الشىء . فكثرةُ المصريين لا تزالُ متأثرةً بعقلية القرون الوسطى ولكنّ طبيعةَ الحياة ستُخرجها غدا أوْ بعدَ غدٍ من هذا الطور ، وستصُوغُ الأجيالَ الناشئةَ والأجيالَ المقبلة صيغةً أوربيّةً حديثة ، فلابدّ أن يُجارى الأزهر هذا التطّور ليكونَ اتصالُه بالأجيال الناشئة والأجيال المقبلة أجْدَى وأقوَىَ من اتصالهِ بالأجيال الماضية ،

(١) تم نشر الجزء الأول والثانى من هذا البحث فى العددين السابقين من المجلة

والأجيال الحاضرة .

هذا ما قاله الدكتور طه حسين فى كتاب ألّفه سنة ١٩٣٨م، بعد أن أُنشئت الكلياتُ بالأزهر ، وبعد أن دُرِسّتِ العلومُ الحديثةُ فى المعاهد الابتدائية والثانوية ، وبَعد أنْ ظهر جيلٌ من الأزهريّن قد تصدرُوا الصحفَ والمجلّات والإذاعة فتكلمُوا فى شئون الأدب والدين والسياسة بما كَان موضَع التقدير ! لقدْ تحدّثَ عن الأزهر بلسان الشيخ محمد عبده ، حين كانَ طه تلميذًا بالأزهر فى أوائل هذا القرن ، وحديثُ الشيخ محمد عبدهُ حينئذٍ كانَ البذرةَ الجيّدة التى أنتجت الثمرةَ الطيّبة .

فإذا شاءَ الدكتور أن يعلمَ لماذا كان الأزهرُ منكمشًا فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن فليعلْم أنّ سياسة « دنلوب » هى التى شاءتْ قطعَ الصّلة بين الأزهر والمجتمع ، وحرّمتْ على أبْنائِه أن يكونُوا أساتذة لّلغه العربية والدين الإسلامِى إلّا إذا اتجهُ نفر قليل منهم إلى دار العلوم ! وهذا ما أفزعَ الأستاذ الإمام فنادَى بالإصلاح ليكونَ الأزهرىُّ على مستوى غيره مِنْ خريجى المدارس العالية !

وَالأزهرُ قبلَ محنة الاحتلال الانجليزى كانَ زعيمَ الاستقـلال والحريـة فى مصر ، فشيـوخُ الأزهر هم الذين ترأسُوا المُقاومة الضارية للحملة الفرنسية ، وقد عَرَف المحتّلون ذلك ، فاقتحمُوا الجامع الأزهر وسلّطوا عليه القذائف ، وقتلوا مِن شيوخه وطلّابه مَن ذهبوا شهداء الحرّية ، وقد قامت الثورة العرابيّة بزعامة أزهرىّ ناهض وتأييد شيوخ العلماء الذين أفتوْا بخلع الخديوى ، وقُوبلُوا بعد الثورة بالنّفى والسجن ومنهم مَن لَاقى الموت غيلةً دون أن يعترض أحد !

وفى عهد الاحتلال الإنجليزى كانتْ مظاهرة الأزهـريين فى ١٩٠٩/١/٢٧ أقْوَى مُظاهـرةٍ طُلابيّة اهتزّ لها المعتمد البريطـانى ، وصَادَمهـا البُوليس مُصادمةً أرْدتْ بأرواحِ الكثير وقد قال سعد زغلول عن هذه المظاهـرة ، « وسرعَـانَ ما تحولتْ هذه المظاهرة الى حركة ذات طابع سياسىّ ، إذ اتّجهتْ هذه الإضرابات الى هجومٍ على الخديوى وطَالَبَ (الأزهريون) أنْ يكونَ للأزهر السيطرةُ على أوقافِه التىّ كان يتلاعب بهَا القصر »[(٢)].

فهل كانَ الأزهر مقطوعَ الصّلة بالأحداث ، وأشهرُ جريدةٍ وطنيةٍ ذائعةٍ فى مصر إذْ ذَاك هى المؤيّد ، ورئيسُ تحريرها أزهرىٌّ نابه هو الشيخ على يوسف ، وأبرزُ كتابها جميعاً هو الأديب الأزهرى مصطفى لطفى المنفلوطى ، كما أنّ المجّلة الأدبيّة الوطنية التّى كانت تصدرُ حينئذ هى مجلةُ (البيان) ورئيسُ تحريرها الأزهرى النابّه الأستاذ عبدالرحمن البرقوقى ! وظلّتِ افتتاحياتُ الجرائد الكبرى كالأهرام والأخبار والمقطم والبلاغ مزدانةً بأقلام الأزهريين مثل الشيخ محمد شاكر والشيخ على سرور الزنكلونى ، والشيخ محمد سليمان غبارة ، والشيخ عبدالباقى سرور نعيم وعبـاس الجمل ، ولوْ جمعَ الأزهر مقالاتِ هؤلاء وقُورِنَتْ بسواها ، لارتفعتْ هاماتٌ وسقطت ذُيول !

ولن أتّحدث عن شرارة الثورة المصرية سنة ١٩١٩ التـى انبعـثت من الأزهـــر ، ولاعن

(٢) مجلة كلية الآداب بالمنصورة ـ العدد الأول ـ بقلم الدكتور على بركات .

مظاهراتِ الحرية التى قادها أبو العيون ومصطفى القاياتى وعبدربه مفتاح ومحمد عبداللطيف دراز ، ولا عن منبر الأزهر الذى كان موضع اهتمام شركات الأنباء العالمية فلا تَتَحدّث عن الثورة إلّا عَنْ طريق ما يُقال بالأزهر .

فهل يقول الدكتور طه حسين بعد ذلك إن رجل الدين لا يفهم الناس ولا يفهمونَ عنه ، مع أن شوقى يقول مخاطباً شباب الأزهر :

هزُوّا المدائن كهفها ورقيمها
أنتُمْ لعمرُ الله أعصاب القُرى

ويقول :

المعهُد القــدسّى كان نديّــه
قطباً لدائرة البــلاد ومحورا
وُلــدت قضيتها على محرابــه
وَحَبَتْ به طفلًا وشِبت معصرا
وتقدمْت تزجى الصنوف كأنها
جاندرك فى يدها اللواء مظفرا

ولن يَنسى التاريخ أنّ أول اجتماع لتأييد الثورة المصرية بالاسكندرية كانَ بالمعهد الأزهرى وقد اتصل شيخه الأستاذ عبدالمجيد اللبان بكبار المسئولين ، وأخذ التّوقيعات الأكيدة لتأييد زعيم الأمة سعد زغلول ، وجَرى على نهجه شيوخ المعاهد فى الأقاليم بطنطا وأسيوط ودمياط ودسوق .

هذا بعض ما يقال فى الناحية السياسية ، أما الناحية الاجتماعية فوزارة الداخلية تعلم أن الأمن لم يستتب بالصعيد إلا حين عينت لفيفا من وعاظ الأزهر يجوبون البلاد لإصلاح ذات البين وانتهز المغفور له الشيخ المراغى هذه السانحة فأنشأ قسم الوعظ والإرشاد بالأزهر سنة ١٩٢٨ ، كما أنشأ تخصص الوعظ فى السنة نفسها ، وقد كنا إلى عهد قريب نرى مأمورى المراكز لا يقيمون حفلات الصلح الناجحة من رؤساء العائلات المتناحرة إلا بمحضر شيوخ الوعظ .

وقد كتب حكمدار العاصمة الانجليزى (رسل باشا) تقريره السنوى مثنيا على نشاط الوعاظ فى محاربة المخدرات التى انتشرت انتشارا ذريعا لعهده ، وعجز البوليس عن مقاومتها دون أن يكون الوعاظ سلاحه الأول ، ولا نتحدث عن مرابطة الوعاظ بالجيش المصرى فى أوقات الحرب والسلم معا ، ليقدموا زادا روحيا لا تجده الجندى عند غيرهم . فليت شعرى أيكونون بذلك منقطعى الصلة بالناس ! لا يفهمون أحدا ، ولا يفهم منهم إنسان ! وأقولها صريحة لا لبس فيها ، إذ أعلن أن نفوذ خطباء المساجد من أبناء الأزهر قد عفى على أثر من يكتبون الآن فى الجرائد اليومية ، لأن الشعب قد عرف عن أكثر هؤلاء التذبذب المضطرب ، إذ يؤيدون الحاكم ثم يرجمونه بعد رحيله !

لذلك تمتلىء الصحف بمقالات هؤلاء ، وبعضها افتتاحيات ذات مظهر أخاذ بالصورة والبنط العريض والتنسيق المبالغ ، ثم لا يجد ذلك كله صدى حديث واحد يقوله الإمام الأكبر جاد الحق أو الشيخ الغزالى أو الشيخ الشعراوى ، حيث يتناقله أكثر من عشرين ألف خطيب فى عشرين ألف مسجد ! وأذكر أنى قلت فى قصيدة نشرتها عند الاحتفال الألفى بالأزهر منذ سنوات :

خطباء المساجد اتخذوا المنبر
أقـوى وسائـل الإعـــلام
رفعـوا الرايـة الشريفـة لما
أسقـطتها صحافـة الأقـزام
تخذوا المنبر الحصين عرينـــا
جلجلت منه زأرة الضرغام

أجل ! لقد تحدث الدكتور طه عن أزهره فى عهد الطلب بعد ثلاثين عاما من مغادرته إياه ، وأنا لاأدرى هل نسى هذا التطور الرائع فى النشاط الأزهرى أو تناساه ! إن الدكتور طه يميل إلى الإسهاب الممتد فى الحديث ، فلا يقنعه أن يكتب الفكرة فى جملة أو جملتين ، بل لا بد من البسط الممتد دون تحديد ، وفى هذا البسط تتوالى اتهامات وتتقاذف أوهام لاأصل لها إلا فى خياله المسترسل دون لجام .

مادية وروحانية

وقد تحمس الدكتور تحمسا زائدا فى الرد على ما يراه الكثير من مادية الغرب المفرطة ، وروحانية الشرق الواضحة فيقول[٣] :

« إنّ مِن المصريين خاصّة والشرقيين عامة قوما يملئون به أفواههم ، ويجرون به أقلامهم ، فلا يلقون فيها إلا سُمّا زُعافا ، من الحق أن الحضارة الأوربية عظيمة الحظّ من الماديّة ، ولكنّ من الكلام الفارغ ، والسخف الذى لا يقف عنده عاقل ، أن يقالَ إنها قليلة الحظ من هذه المعانى السامية التّى تغذو الأرواح والقلوب ، من الحقّ أن الحضارة الأوربيّة ماديّةُ المظاهر وقد نجحتْ فى هذه الناحية نجاحاً باهرا ، فوفّقت إلى العلم الحديث ، ثم إلى الفنون التطبيقيّة الحديثة ، ثم إلى هذه المخترعات التى غيّرت وجه الأرض ، وحياةِ الإنسان ، ولكن من أجهل الجهل ، وأخطأ الخطأ أن يُقال إن هذه الحضارة الماديّة قد صدرت عن المادة الخالصة ، إنها بنتيجة العقل ، إنها نتيجة الخيال ، إنها نتيجة الروح الخصب المنتج ، نتيجة الروح الحى الذى يتصل بالعقل فتغذوه ، وينميه ويدفعه إلى التفكير ثم إلى الإنتاج ثم إلى استغلال الإنتاج ، لا نتيجة هذا الروح العاكف على نفسه ، الفارغ لها ، الفانى فيها ، الذى تفسد الأثرة عليه أمره ، فلا ينفع ولا ينتفع ؛ ولا يفيد ولا يستفيد » .

وفى مدى أربع صفحات دار الدكتور هذا المدار الغاضب ، والذى رمى بعبارات « أجهل الجهل ، وأخطأ الخطأ ، والكلام الفـارغ والسخف الذى لا يقف عنده عاقل » ! وهى عباراتٌ أبعد ماتكون عن البحث العلمى ، ولو واجه بها ناقد كلامَ الدكتور لَعَده خُروجاً صريحا عن آداب البحث ، ثم ننظر إلى لباب ماقال الدكتور ، فنجده لايُبدى دليلا واحدا يقنع من يقولون بمادية الغرب ! إنّ الذين يقولون بهذه المادية المؤكدة لايُنكرون التقدم العلمى للغرب ، ولا يجحدُون ماوُفق إليه من اكتشافاتٍ علمية جعلته صاحبَ السبق المطلق فى هذا المجال ، وكلّها وليدةُ العقل الصارم ذى النفع الماديّ الملتمس من شتىّ الوجوه ! .

ولكن أينَ نصيب الروح من هذه الحضارة التى

(٣) مستقبل الثقافة فى مصر ص٥٦ .

تشنّ حملات الإبادة لاستعمار الضعاف العزّل فى ربوع افريقيا وآسيا ؟

أين نصيب هذه الروح فى صَبِّ القذائف المدمّرة ، والمدافع الثقيلة على الأبرياء من ساكنى السنغال وجنوب إفريقيا وأوغندة وكينيا ؟

أين نصيب الروح من إبادة من هبّوا يدافعون عن أوطانهم المحتلّة ، وخيرات بلادهم المسلوبة فى الهند والصين واندونيسيا وسيلان وغيرها من الأماكن التى استنزفت خيراتها بالمدافع والدبابات والطائرات ظلماً دون عدل ؟

لقد اشتركت انجلترا وفرنسا وهولندا وإيطاليا وبلجيكا وألمانيا وروسيا فى ترويع الآمنين ، وإزعاج الأبرياء ، لا لشيء إلا لتنهب كنوز الأرض من ذهبٍ وبترول وألماس ونحاس وفحم ويورانيوم وما لا يحصى من الكنوز .

كما استخدمت أصحابَ البلاد فى استخراج هذه الكنوز استخدامَ الرقيق الذى لا ينالُ غير ما يمسك الرمق ، كى يستطيع مواصلة الكدح فى استخراج معادن أرضه للدخلاء ، ولولا حاجة أوربا المستعمرة لهؤلاء الأرقاء ما منحتْهم قليلَ الطعام ، وتافه اللباس ، ولسارعتْ إلى إبادتهم كالحشرات الضارة دون أدنى تأنيب من ضمير ، أو هاجس من ملام ! إن إجماع هذه الشعوب الشّرهة على امتصاصِ الضعفاء هذا الامتصاص ، وعلى ابتزاز خيراتهم المغتصبة هذا الابتزاز لدليلٌ لا يقبل النقض على مادية الغرب وجشعه ! وعلى أنّ الروح الإنسانى قد أزهق فى كيانه شرَّ إزهاق !

أما ابتكار آلات التدمير ، وأدوات الحضارة فمنْ وحى العقل وحده ، وهو دليلُ الذّكاء لا دليل السمّو ، وفى اللصوص والأشرار لدينا مَنْ يبرعون باحتيالاتهم العقلية ، وعضلاتهم القوية فى الابتزاز والاغتصاب ، فهل تكون براعتهم هذه دليلَ حضارة روحية كما يريد طه حسين أن يؤكد مسهبا فى غير إيجاز ! لو انّ الدكتور قد اكتفى بالقول بأنّ أوربا قد تقدمتْ فى الكشوف العلمية ، والبحوث التجريبية فى شتّى ميادين العلم ما وَجد من يعترض ؟ ولكنه يجعلُ هذا الاكتشاف المادى دليل السمو الروحى ، والبعد بين الاثنين كبعد الأرض من السماء !

لقد وقف الأستاذ سيد قطب(٤) عند هذا الحكم العجيب ، واكتفى فى مجال الرد عليه بأن أحال على مَقالٍ جيّد نشره الأستاذ أحمد أمين فى مجلة الثقافة قال فيه :

« هناك معنى قد يكون أقرب إلى الصواب ، وهو أنَّ معنى المادّية تفسيرُ ظواهر العالم على أساس المادّة من غير التفاتٍ إلى عالم آخر روحى وراء هذا العالم ، وبناءُ كل وسائل الحياة ، وكل ظواهر المدينة والحضارة والثقافة على أساس المادة وحدها ، فليس العقل إلا شكلًا من أشكال المادّة الدائمة التغيّر والتنوع ، وليستْ أفعال الإنسان مهما دقّتْ إلا نتيجةً لمواد الجسم ، وليستْ كل الظواهر النفسيّة من فكر وإرادة وعاطفة إلا نتجة للمخ المادىّ من حيث عمله وحجمه وتركيبه .

أما الروحانيةُ فترى أن المادةَ وحدها عاجزة عن أن تشرح كل ما يحدث فى العالم ، بل لا يفسرها إلا القول بوجود شيء غير مادىّ ، روحانى ، وراء

(٤) مجلّة دار العلوم ـ العدد الرابع س٥/ ابرايل سنة ١٩٣٩ م .

هذا الشيء المادىّ ، فالفكر وظواهر العقل ليست نتيجة المخ المادى ، فالإيمانُ بعالم روحانى بجانب العالم المادى من نفسٍ وإله وعالم آخر هو أوضح خصائص الروحانية ، وهذا النوعُ من النظر هو الذى يسود الشرق ، فهو يؤمن بالإلهام الذى لا يعلَّل ، كما يؤمنُ بالمنطق الذى يعلل ، على حين أن النزعة المادية ، لا تؤمن إلّا بسبب ومسببه ، وعلة ومعلول ، ومقدمة ونتيجة » .

وإذا كان الأمر كذلك فللغرب ماديته الصماء وللشرق روحانيته البيضاء !

اعتدال وتصحيح

لم يكد يمرّ عشرون عاما على صُدور كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ، حتى جَّد من الأحداث ما جعل الدكتور طه حسين يغيُّر رأيه فى كثير مما اتجه إليه من أفكار تتعلّق بأوربا والإسلام والعروبة ، لأن قيامَ الحرب العالمية الثانيـــة وما تمخضتْ عنه من اهتزاز المعانى الخلقية لدى الأوربيّين إذ دَمّروا المدن ونسفوا العمـران ، وأزهقوا ملايين الأرواح فى غير هدف غير التقاتل على استعمار الشعوب المستضعفة ثم ما أورثـه الترف من تحلـلّ فى الأخـلاق ، وتعفـــن فى الضمائر ، وأخذٍ بالمغريات الهابطة فى أسواق الشهوات .

كلّ ذلك كان له صداه ــ كما أرى ــ فى نفس الدكتور ، فكتب مقالات باكيةً تشكو قسوة الإنسانية فى الغرب ، وشراهَة الأطمـاع لدى المستعمرين . ثم تخطّى ذلك إلى النظر فى الإسلام وفى العروبة على نحو جديد ، فهذا الذى قد كانَ يُعلن أن أثر الإسلام فى مصر دون أثر الثقافة اليونانية قد سطعت الحقيقة أمام عينه ، فتحدث عن أثر الإسلام فى كلّ بلد أشرق عليه نوره بما ينفى هذا التلفيق المموّه الذّى ظهر للقارىء فى حديثه عن الصلة المتوهمّة بين مصر ودول البحر الأبيض المتوسط .

وقد آن أن ننقل إلى القارىء بعض ما قال الدكتور فى هذا المجال ، ننقله من خطاب رنّان ألقاه فى مؤتمر جهيرٍ بمصر ، ونشرته مجلة (المجلة) فى عددهـا الصادر بتـــاريخ جمادى الآخر سنـــة ١٣٧٧ هـ الموافـق ينايـر سنـة ١٩٥٨ ما بين ص١٠ ، ص١٥ من صفحات هذه المجلة :

يقـول الدكتـور طه حسين بعـــد حديث مستفيض عن أثر الأدب العربى فى إنماء القومية العربيـة عن الدولـة العربيـة التـى حملت لواء الإسلام :

« أغرب ما تمتاز به هذه القومية العربية هو أنهّا عندما استقرتْ فى هذه البلاد لم تكتفِ بأن تستقر فى الشام حكومةً متسلطة ، أو فى العراق حكومةً متسلطة ، أو فى بلاد الفرس كذلك ، ولم تكتف بأن تملكَ الأرض ، ولم تكتفِ بإخضاع الناس للسلطان لأنهّا لم تُرِدْ أن تملك الأرض ، ولم تكن تريد أن تخضع الناس لسيطرة سياسية فحسب ، إنما كانتْ غايتها قبل كل شىء أن تملك القلوب . وتسيطر على الضمائر ، وأن تدخل فى أعماق الوجدان فى البلاد التى تفتحها وتستقر فيها ، بشرط أن يتم ذلك دون إكراه ودون عنف ، فبعد أن غلب المسلمون لم يَفْرضوا على بلد من هذه البلاد لغتهم ، ولم يفرضوا عليها دينهم ، لأنّهم اكتفوا منهم بالأصول التى قررها الإسلام ، وهى الإسلام لمن أراد أن يسلم عن رضى ، أو أداء الجزية » .

إذن فقد أسرع الإسلام إلى القلوب والعقول والضمائر والوجدان ، ثم لم يسرع الإسلام وحده فالإسلام إنما هو مشتق قبل كل شيء من القرآن ، ومن حديث النبى ، والقرآن عربى ، والنبى عربى ، والذين يسلمون ويستطيعون أن يتعلموا الإسلام دونَ أن يعرفوا العربية ، لم يكونوا يكتفون بأن يعرفوا قواعد القرآن وأصوله ، وإنما هم فى حاجة إلى أن يؤدوا هذا الفرض الأساسى من فرائض الإسلام ، وهو الصلاة ، وهم فى حاجة إلى أن يعرفوا أصل هذا الإسلام وهو القرآن ، فما أسرع ماانتشرت اللغة العربية بينهم ، وأغرَب من هذا كله أن قرناً وبعض قرن قد مضى بعد الفتح ، وإذا هذه البلاد التى فتحت ، والتى بقى فيها أهلها ، أسلم منهم من أسلم ، وبقى منهم على دينه من بقى ، إذا هذه البلاد أخذت تتعلم اللغة العربية ، وتتقنها ، سواء منهم المسلم وغير المسلم ، وربما كان غير المسلمين أشد حرصا على تعلم اللغة وإتقانها .

الى أن قال الدكتور :

وننظر فى أواخر القرن الثانى فإذا كلّ هذه اللغات ـ لغات ما قبل الفتح ـ قد تَركتْ أماكنها من ألسنة الناس وعقولهم وقلوبهم بهذه اللغة العربية ، فالفرسُ يتكلمون العربّية ويكتبونها ، ويزاحمون العرب أنفسهم فيزحمونهم ، وإذا الفرسُ هم الذين يضعون كتب النحو العربى وأصوله ، وإذا هم الذين يعنون بجمع اللّغة العربية وتدوينها ، ويشاركون العرب فى هذا كله ، ويغلبونهم عليه أحيانا ، واللّغات السامية التى كان الناس يتكلمُونها فى سوريا ، ويتكلمونها فى الجزيرة ، ويتكلمونها فى العراق ، عادت كلها إلى الأديرة ، وأصبح الناس يتكلّمون اللّغة العربّية ، واللّغة العربية بطبيعتها أصبحت لغة السياسة ما دام الحكّام عربا ، ولكن اللّغة السياسية هذه التى يتكلمها الناس لم تلبث أن أصبحت لغة للثقافة والعلم أيضا .

وإذن فهناك قومية عربية أنشأها الإسلام ، ولم تكن تأتلف من عنصر عربى خالص ، وإنما كانت تأتلفُ من جميع هذه العناصر التى رأيتُموها ، ومن العناصر التى تسكن كل هذه البلاد ، فأنشأ الإسلام إذن أمّةً جديدة ، وجعل هذه الأمّة عربيّة ، عربيّة اللّغة وعربية التفكير والشعور ، عربيّة الحضارة ، عربيّة العلم والثقافة والأدب .

وتطرق الدكتور إلى حديث اللغة اليونانية فقال عنها وعن غيرها :

« وكانت اللّغة اليونانية قد سادت فى الشرق الذى نسميه الآن الشرق العربى ، وبنوع خاص مصر والشام والجزيرة ، ولكنها لم تستطعْ أن تمحو هذه اللّغات الوطنية ، فظل المصريون يتكلمون لغتهم القبطيّة ، وظل أهل الشام يتكلمون لغتهم السامية الآرامية ، وظل أهل الجزيرة والعراق كذلك ، وكانت اللّغة اللاتينية سائدة فى شمال أفريقية وفى أسبانيا ، ولكنها لم تستطع أن تقهر لغة البربر فى شمال إفريقيّة ، ولا أن تقهر الاسبانيين على أن يتركوا لغتهم الأولى ، ولكن اللّغة العربية جاءت فقهرت اليونانية ، وقهرت معها اللغات الوطنية أيضا ، وقهرت اللاتينيّة فى المغرب ، وقهرت معها اللغات الوطنية أيضا ، وقهرت الفارسية أربعة قرون تقريبا ، كل هذا إن دل على شيء فإنما يدلكم على قوة اللّغة العربية ، وقوة الطبيعة العربية ، وقوة هذا الدين الذى كان هو

العامل أو المؤثر الأول فى انتشار العرب خارج جزيرتهم ، ثم فى تكوين هذه الأمة العربية » .

. هذا قليل من كثير يتجّه إلى ابراز أثر اللّغة العربية والإسلام فى إنقاذِ معتنقية ، وهو مما يَدحض رأى (مستقبل الثقافة) فى أن اللّغة العربية لا تدلّ على اتجاه مصر ، ولا تحول دون عدّها من دول البحر الأبيض المتوسط ، وإذا كانَ الدكتور قد تكلمَ عن الإسلام بما يوضّح أثره القومى عكس ما اتجه إليه فى مستقبل الثقافة حين قال : « إن السياسة شيء والدين شيء » وأفاضَ فى ذلك بما أشرنا إليه من قبل ، فإنّه فى مقال آخر نشره بعد أكثر من عشرين عاما من ظهور مستقل الثقافة قد تحدثَ عن أثر الإسلام بما يُعفّى على كل مقال .

وقال طالعت المقال فى حينه منشورا بإحدى الجرائد اليومية وفى هذا المقال ما بَيَّن أثر الإسلام الهام فى ارتقاء المسلمين والعرب ـ ومصر فى مقدمة السعداء به ـ كما يوضّح مكانته القوية فى نشأة القومية العربية التّى يعنيها المخلصون ممن يجعلونها مسْتَقلّة براية هذا الدين الحنيف ، لا الذين يحاولون أن يحاربُوا بها الإسلام لضغائن محرقة تأكل أكبادهم ، وتوشك أن تأتى عليهم ، قال الدكتور طه حسين(٥) .

لقد آثرت بالحديث اليوم مقوماً بعينه من مقومات القومية ، مقّوماً يجب على كل مثقف أن يتحققه فى نفسه ، وأن يذيعَ العلم به ، ويشعر به فى أعماق القلوب من حوله أيضا ، وهذا المقّوم هو الدين ؛ ذلك لأنّ الدين هو أول شيء أوجدَ القومية العربيّة

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾

وقال : ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ .. ﴾ ثم قال :

والإسلام حين أذكُره إنما هو الإسلام الذى ألهمه الله إبراهيم عليه السلام ، هو الإسلام الذى أتاح لإبراهيم أن يكون خليل الله ، وأتاح له أن يضحّى بابنه عندما أمره الله بهذا ، ليمتحن إيمانه ويمتحن إسلامه .

« هذا الإسلام الذى ألهمه الله إبراهيم هو بعينه الذى ألهمه الله الأنبياء من ذريته هو أن الدين لله وحده لا شريك له ، ولا ندّ له » .

هذا هو بعض حديث الدكتور عن الدين وأثره فى المجتمع ! فهل يتذكره الذين قرءوا فى مستقبل الثقافة حديثه عن الدين مقارنين ومتأملين .

---

(٥) الادب والنصوص ط ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م صفحات ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ تأليف الأساتذة حسين نصار ، وعز الدين اسماعيل ، ويوسف الحمّادى ومحمد الشناوى .

مسيرة الوحدة الموضوعية

في العصر العباسي الأول

م/ أحمد مصطفى حافظ

ظهر فى هذا العصر كوكبة من شعراء العربية الكبار ، من أمثال : المتنبى وأبى العلاء المعرى وأبى تمام والبحترى وأبى نواس وبشار بن برد وأبى العتاهية . بجانب بعض الشعراء المخضرمين الذين نشأوا فى العصر الأموى ، وامتدت بهم الحياة ، حتى شهدوا العصر العباسى الأول ، منهم : بشار بن برد (٩٦ هـ ـ ١٦٧ هـ) وإبراهيم ابن هرمة (٧٠ هـ ـ ١٥٠ هـ) ومروان ابن أبى حفصة (١٠٥ هـ ـ ١٨٢ هـ) وآدم بن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز (حفيد الخليفة الخامس العادل : عمر بن عبدالعزيز) وقد تُوفى آدم عام ١٦٠ هـ ، وأثر عنه بعض الشعر الصوفى ، الذى تأثرت به (رابعة العدوية) التى توفيت ١٨٥ هـ ، من ذلك قوله ـ فى حب الذات الإلٓهية :

أحـــبك حُبَّيْـــن : لى واحـــد ... وآخـــر أنك أهـــل لذاكا
فأمـــا الـــذى هو حب الطبـــاع ... فشىء خُصصت به عن سواكا
وأمـــا الـــذى هو حب الجمـــال ... فلست أرى ذاك حتـــى أراكا
ولست أُمُـــنُّ بهذا علـــيك ... لك المَـنُّ .. فى ذا وهـــذا وذاكا

وقد اقتبست رابعة العدوية هذه الأبيات ، معنى وثوبا ، وإن كانت أعمق غرسا وأكثر صفاء ، كما يقول الدكتور مصطفى الشكعة[1] .

وقد جاءت أبيات رابعة ، فى وحدة موضوعية أكثر تلاحماً ورونقاً ، بقولها :

أحـــبك حُبَّيْـــن : حب الهوى ... وحُبًّـــا لأنك أهـــل لذاكا
فأمـــا الـــذى هو حب الهوى ... فَشُغْلى بذكـــرك عمَّـــن سواكا
وأمـــا الـــذى أنت أهـــل له ... فكَشْـفك لى الحُجْبَ .. حتى أراكا
فلا الحمـــد فى ذا ولا ذاك لِى ... ولكـــن لك الحمـــد ، فى ذا وذاكا

* * *

(١) أنظر كتاب (الشعر والشعراء فى العصر العباسى) ص٥٧ الطبعة الثالثة ١٩٧٩ .

وقد حرصنا على عمل مَسْح شامل ، لنماذج ولآلىء شعر الوحدة الموضوعية ، بتسلسل تاريخى ، يبرز صورها وسماتها المختلفة ، وتطوراتها الفنية .. كما حرصنا على انتقاء أبرز هذه النماذج ، وأكثرها دلالة على موضوعنا وبما يساعد على تفنيد مزاعم بعض المستشرقين ومن شايعهم من نقادنا ومثقفينا ، فيما ذهبوا إليه من افتقاد القصيدة العربية للوحدة العضوية ، التى لا ينبو فيها بيت عن موضعه .

وقصائد الوحدة الموضوعية ، فى العصر العباسى من الكثرة بحيث يصعب حصرها ، وخاصة بعد متغيرات العصر ، وما حفل به من نهضة عظيمة فى حقل الترجمة عن الفارسية والهندية واليونانية ، وحياة الرغد والرفاهية التى سادت حقبة خلفاء العصر العباسى الأول ، وواكبها ثراء فنى فى لغة الشعر ، بدا فى روعة التصوير ، والزخارف اللفظية ، والمحسنات البديعية وبخاصة عند الشاعر أبى تمام .

وأصبحت القصيدة ، فى كثير من صورها ، أشبه بزهرة نضيرة ، منسقة الأوراق ، بتحبير الفن الشعرى ، فى نظام دقيق ، وتصفيف أنيق .. ولم يقتصر الأمر على الشعراء المنقطعين لإبداع الشعر وحده ، بل تجاوزه إلى الكتاب الذين قرضوا الشعر أيضاً ، فى النزر القليل ، الذى أثر عنهم ، كالقاضى عبدالعزيز الجرجانى ، صاحب كتاب (الوساطة بين المتنبى وخصومه) الذى ينشد قصيدة من أرفع طُرُز الوحدة الموضوعية ، يصف فيها حالته النفسية ، ونوازعه فى حقل العلمِ والمعرفة ، بقوله :

يقولــون لى : فيك انقبــاض ، وإنما ... رَأَوْا رجلا ، عن موقف الذل أحجما
أرى النـاس مَنْ داناهمُ هان عندهــم ... ومـن أكرمتــه عزةُ النــفسِ أُكرمـا
ومــازلت منحــازا بعــرضِىَ جانبـا ... من الــذم .. أعْتــدُّ الصيانــة مَغْنما

★ ★ ★

إذا قيل لى : هذا مشربٌ ، قلت قد أرى ... ولكــنّ نفسَ الحر تحتمــل الظمـــا
ومـــا كل برق لاح لى يسْتفــزُّنى ... ولا كل أهل الأرض .. أرْضَى .. منُعَّما
ولم أَقْض حقَّ العلم ، إن كان كلمـا ... بدا طمــــعٌ صيَّرْتـــــهُ لِىَ مغنما
ولم أبتـذل فى خدمـة العلـم مهجتـــى ... لأَخدم من لاقيتُ ، لكــنْ لأُخْدَمـا

★ ★ ★

أأشقــى به غَرْسا ، وأجنْيــه ذِلـــةً ... إذنْ .. فاتِّبـاع الجهـل قد كان أحْزما
ولـو أن أهـل العلـم صانـوه .. صانهم ... ولـو عَظَّمـوه فى النفـوس .. تَعَّظمـــا
ولكــنْ أذَلُّــوه جهـــارا ودنَّسُـــوا ... مُحيَّاه بالأطمـــاع .. حتـــى تجهمـــا

● ● ●

هل يستطيع (مُعْنِتٌ) أن يمارى فى وحدة موضوع هذه الأبيات أو ينال من روعتها ..؟!
إذن ، ماذا يقول ــ بشأنها : إذا أراد أن يصرفها عن وحدتها ..؟

ولابن الرومى طاقة فائقة فى دقة الوصف ، وتلاحم السياق فى معظم شعره ، يقول ــ فى وصف مهارة صانع الرقاق :

ما أنسى لا أنسى خبازا مررت به ... يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصرِ
ما بين رؤيتها فى كفه كرة ... وبين رؤيتها قوراء كالقمر
.. إلا بمقدار ما تنداح دائرة ... فى لجة الماء .. يُلقى فيه بالحجر

ولابن الرومى اتجاه جديد فى فن المراثى ، ظهر فى رثائه لمدينة البصرة ، بعد هجوم الزنج عليها ٨٠٠ م[٢] ، فى قسوة وشرساة ، أثناء احتدام الصراع على كراسى الحكم ، فى العصر العباسى الأول .. وأبيات المرثية تتسم بالصور الفنية التى تصف بدقة تامَّة ما حدث من غدر وبطش ، بتتابع ووحدة موضوعية متنامية ، بقوله :

زادَ عن مُقْلتى لذيذَ المنامِ ... شُغْلهَا عنه بالدموع السِّجام
أى نوم من بعد ما حلَّ بالبصَـ ... ـرة .. ما حل من أمور عِظام
أى نوم من بعدما انتهك الزُّنْـ ... ـجُ جهارا .. محارم الإسلام
بينا أهلها بأحسن حالٍ ... إذْ رماها عبيدهم باصطلام
.. دخلوها كأنهم قِطَع الليْـ ... ـل .. إذا راح مدلهم الظلام
كم أغَصُّوا من شارب لشراب ... كم أغَصُّوا من طاعم لطعام
كم ضنين بنفسه رام مَنْجىً ... فتلقوا جبينه بالحسام
كم أخ رأى أخاه صريعا ... تَرِبَ الخدِّ .. بين صَرْعَى كرام
كم أب قد رأى عزيز بنيه ... وهو يُعْلى بصارم صمصام
كم رضيع هناك قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطام
كم فتاة مصونة قد سَبَوْها ... بارزا وجهها بغير لثام
صبَّحوهم فكابد القوم منهم ... طول يوم .. كأنه ألف عام

إلى أن يعطينا صورة مؤلمة للنساء : تجعل الدم يغلى فى العروق ، لأنها تذكرنا بما يفعله الصرب بالحرائر المسلمات فى أيامنا هذه فى (البوسنة والهرسك) ، تحت سمع العالم (المتمدن) الحديث ، حين يستتلى ابن الرومى قائلا :

(٢) هى ثورة جمع لها بعض الزنوج الذين لم يَرْضَوْا حكم الإسلام وأُغْرَوْا بعضهم بالمشاركة فى الفتنة ، بَينما اعتزلها صالحو الزنج ... مجلة الأزهر .

مَن رآهـــن فى المساق سَعْيـــا | راميـــاتِ الوجـــوهِ .. للأقـــدام
عرِّجـا صاحبـىَّ بالـنصرة الزهـرا | ء ، تعـريج مدنـف ذى سقـام
فاسْألاهــــا ـ ولا جوابَ لديها ـ | لسؤال .. ومـــن لها بالكـــلام :
ـ أيـن ضوضاء ذلك الخلْـــق فيها | أيـن أسْواقهـا ذوات الزحـــام ؟
أيـــن فُلْكٌ منها وفـــلك إليها | مُنشآت فى البحـــر كالأعـــلام
أين تلك الـقصور والــدور .. فيها | أيـــن ذاك البنيـان ذو الإحْكـــام
بُدِّلت تلك بالهوان .. بِذُلٍّ | بعـد طول التبجيـــل والإعْظـــام

★ ★ ★

وبعدما شاع فى العصر العباسى ، من ألوان اللهو والمجون ، التى أسهب أبو نواس فى وصفها والتغنى بها ، بجرأة وبلا مبالاة .. جاء رد الفعل عند أبى العتاهية ، متمثلا فى إنشائه لقصائد رائعة فى الزهد ، والانصراف عن زخارف الدنيا ومباذلها ، إذْ هى ظل زائل ولون حائل ..

ولعل أشهر قصائد أبى العتاهية فى الزهد ، والتذكير بالموت ، والاستعداد لملاقاته ، هى تلك القصيدة التى تشتمل على بيته المشهور الذى يتوجه فيه بالخطاب إلى سلم بن عمرو الأمر الذى جعل هذا البيت ، بعد ذلك ، مضرب الأمثال ، وتلك هى القصيدة ذات الأبيات المتالفة المتلاحمة :

نعـــى نفسى إلـــىَّ من الليـــالى | تصرفهـــن .. حالا بعـــد حال
فمـــا لى لست مشغـــولا بنـــفسى | ومـا لى لا أخـاف الموت .. ما لى ؟
لقـــد أيْقـــنت أنى غير باقٍ | ولكنـــى أرانى .. لا أُبـــالى
أمـــا لىَ عبرةٌ فى ذكـــر قوم | تفانـــوا ، ربما خطـــروا ببـــالى
كأن مُمـــــرِّضى قد قام يمشى | بنعشى ، بين أربعـــةٍ عِجـــال
وخلفـــى نسوة يـــكين شجـــوا | كأن قلـــوبهن على مَقـــال[٣]
سأقنـــعُ ما بقـــيت بفـــوت يوم | ولا أبْغـــى مُكاثـــرةً بمال
تعـــالى الله يا سَلْـــمَ بْن عُمـــرٍو | أذَلَّ الحِـــرْصُ أعنـــاق الرجـــال
هَبِ الدنيـــا تُساق إلـــيك عفـــوا | ألـــيس مصير ذاك إلى زوال
فمـــا ترجـــو .. بشىء ليس يبقـــى | وشيكـــا .. ما تُغيِّـــره الليـــالى
وحـــقك كلُّ ذا يُفنـــى سريعـــاً | ولا شىءٌ يدوم مع الليـــالى
خَبَـــرْتُ النـــاسَ قرنـــا بعـــد قرن | فلـــم أر غير خَتَّـــال وقـــالِ
وذُقْت مرارة الأشيـــــاء طرا | فمـــا طعـــم أمَـــرّ من السؤال

(٣) مَقال : جمع مِقلاة تحت نار موقدة .

ولم أرَ فى الأمـــور أشد وقعـــا   وأصعب من معـــاداة الرجـــال
ولم أر فى عيـــوب النـــاس عيبـــا   كنـــقْص القادريـــن .. على الكمـــال

فأما أبو نُواس فقد انتهى إلى التوبة فى أخريات حياته ، وأقر بذنبه وندمه ، وقال يناجى ربه قبيل وفاته ، بأبيات متشابكة المعانى ، متحدة الغرض :

إلٓهـــــى لا تعذبنـــــى فإنى   مُقـــر بالـــذى قد كان منـــى
ومـــا لى حيلـــة إلا رجـــائى   وعفوك إن عفوت وحُسْـــن ظنـــى
فكـــم من زلـــة لى فى البرايـــا   وأنت علـــىَّ ذو فَضْل ومَـــنِّ
إذا فكـــرتُ فى ندمـــى عليها   عضضت أنـــاملى ، وقـــرعت سنـــى
يظـــن النـــاس بى خيرا ، وإنى   لشر النـــاس إن لم تعْـــفُ عنـــى
أجـــنّ بزهـــرة الدنيـــا جنونـــا   وأفنـــى العمـــر فيها بالتمنـــى
وبين يدىَّ مُحتـــبَس طويـــل   كأنى قد دُعـــيتُ له .. كأنى !
ولـــو أنى صَدَقْت الزهـــد فيها   قَلَـــبْتُ لأهلهـــا ظهـــر المجن

وكان أبو نواس قد قام بأداء فريضة الحج ، وأمام مشهد الحجيج المتسم بالجلال والأصوات الضارعة بالتلبية والتكبير والتهليل ، وجد أبو نواس نفسه ، ينشد من أعماق فؤاده ، هذه التلبية المتكاتفة الجميلة ، المتساوقة المقاطع والترديدات :

إلهنـــا ما أعـــدلكْ   ملـــيكَ كلِّ من ملك
لبيك .. قد لبيت لك
لبـــيك إن الحمـــد لك   والمُـــلك ، لا شريك لك
ماخـــاب عَبـــد سألك   أنـــت لـــه .. حيـــث ســـلك
لولاك يا ربِّ هلك
لبيـــك إن الحمـــد لك   والملـــك لا شـــريك لـــك
كـــل نبـــى وملـــك   وكـــل من أهَـــلَّ لك
وكـــل عبـــد ســـألك   ســـبح أو لَبَّـــى .. فلـــك
لبيـــك إن الحمـــد لك   والملـــك لا شـــريك لـــك
والليـــل لمـــا أن حلـــك   والســـابحات فى الفلـــك
على مجارى المَنْسَلَكْ
لبـــيك إن الحمـــد لك   والملـــك لا شـــريك لـــك

اعمــــلْ وبــــادِرْ أجلــــك　　والختِــــمْ بخيــــرٍ عملــــك
لبيــــك إنَ الحمــــد لــــك　　والملــــك لا شــــريك لــــك

★ ★ ★

وهذا العصر كسابقه لا تقتصر فيه القصائد ذات الوحدة الموضوعية على غرض دون غرض ، بل نراها تتسع لتشمل العديد من الموضوعات المتنوعة ، كقول العباس بن الأحنف يصف حال الفقير بين الناس :

يمشى الفــــقير وكل شىءٍ ضده　　والنــاس تُغلــق دونــه أبــوابها
وتــراه مبغــوضاً ، ولــيس بمذنب　　ويرى العــداوة .. لا يرى أسبــابها
حتى الكــلاب .. إذا رأت ذا ثروة　　خضعتْ لديــه وحــرَّكتْ أذنــابها
وإذا رأت يومــاً فقيراً عابــراً　　نبحت عليه .. وكشّرتْ أنيــابها !

وقول عمرو بن كلثوم العتابى فى وصف الطبيعة وقت هطول المطر :

أرقت للبرق يخْفَــى ثم يأتلِــقُ　　يخفيــه طورا ويبديــه لنــا الأفُــقُ
كأنــه غُرة شهبــاءُ ، لائحــة　　فى وجهه .. دهماء ما فى جِلْدِها بلَق[٤]
أو سلــة للبــيض فى جأواء مظلمــة　　وقد تلقَّتْ ظُباها البيض والدرق[٥]
والــغيم كالثــوب فى الآفاق منــتشر　　من فوقــه طبــق من تحتــه طبــق
تظنــه مُصْمتــاً لافَتْــق فيــه ، فإن　　سالتْ عواليه قلت : الثوبُ مُنْفتــق
إن معمع الرعد فيه قلت : ينخرق　　أو لَألأَ البرقُ فِيــه .. قُلتَ : يحتــرق
تستك من رعــده أُذْنُ السمــع كما　　تعشى إذا نظرث ، من برقه الحِدَق
فالرعد صَهْصلقٌ ، والريح منخــرق　　والبرق مؤتلــق ، والماء منبعــق[٦]
قد لاح فوق الربــا نَوْرٌ له أرَجٌ　　كأنــه الــوشْىُ والديبــاج والسرق
من صفــرة بينها حمراء قانيــة　　وأصفــر فاقــعٌ أو أبــيض يقق[٧]

(الحديث موصول)

---

(٤) البلق : السواد والبياض .

(٥) الجأواء : يجمع لونها بين السواد والغبرة والحمرة .

(٦) الصهصلق : الصوت الشديد . أو العجوز المرتفعة الصوت بصخب . منبعق : أى انصب بشدة .

(٧) يقق : شديد البياض .

أطفال البوسنة الأبرياء

يستغيثون

بأحفاد الرُّحماء

فهل من مغيث ؟

لفضيلة الشيخ/ توفيق إسلام يحيى

عرض وتقديم
الأستاذ/ عادل خفاجة

مازالت قذائف الصرب الهمجية تنثر أشلاء أطفال المسلمين على الجليد حيث يلعبون ، ومازالت الحكومات الإسلامية تحتج بشدة لدى الأمم المتحدة ، ومازالت القلوب تنفطر،ومازلت يا بوسنه تئنين تحت أقدام همج أشرار .

يا نفس لا تجزعى من شدة عظمت وأيقنى من إله الخلق بالفرج
كم شدة عرضت ثم انجلت ومضت من بعد تأثيرها فى المال والمهج

تلك الأبيات نلتقطها من ثنايا الكتاب الذى نقدمه للقارىء الكريم ، ويحمل عنوان « وا إسلاماه .. أطفال البوسنه الأبرياء يستغيثون بأحفاد الرحماء فهل من مغيث ؟ » وهى أبيات تحمل فى طياتها مفتاح شخصية المؤلف ، وتحمل عزاءً لما تلقاه البوسنه من بلاء .

يقع الكتاب فى مائة صفحة من القطع الصغير ، صدر عن مكتب « البابرس » بمدينة نصر – القاهرة ، فى أكتوبر ١٩٩٣

أما مؤلفه :

فهو فضيلة الشيخ توفيق إسلام يحيى ، ولد قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى بمدينة « جاقووه » إحدى مدن إقليم « كوسوفو » الألبانى بجنوب يوغوسلافيا – سابقاً – .

قدم إلى مصر ، والتحق بالجامع الأزهر إلى أن حصل على « العالمية » أعلى شهادة فى الأزهر سنة ١٩٤٨ .

لم يستطع العودة إلى بلاده ؛ حيث كانت المقصلة الشيوعية فى انتظاره . حصل على الجنسية المصرية سنة ١٩٥١ ، وعمل مدرساً بمعهد الفيوم ، ثم رقى مفتشاً للعلوم الدينية ، ثم أرسل مبعوثاً للأزهر إلى الجزائر ١٩٧٦ ، فمبعوثاً إلى الصومال ، وعاد إلى منصبه ١٩٧٢ . ثم إلى المدينة المنورة على ساكنها أزكى التحية والسلام

شغل فضيلة المؤلف منصب المستشار العلمى لوزير الأوقاف حتى ١٩٨٢ .

حذر المؤلف المسلمين من خطر الصرب وقد أشار إلى ذلك قبل أن يحدث بوقت كافٍ ،

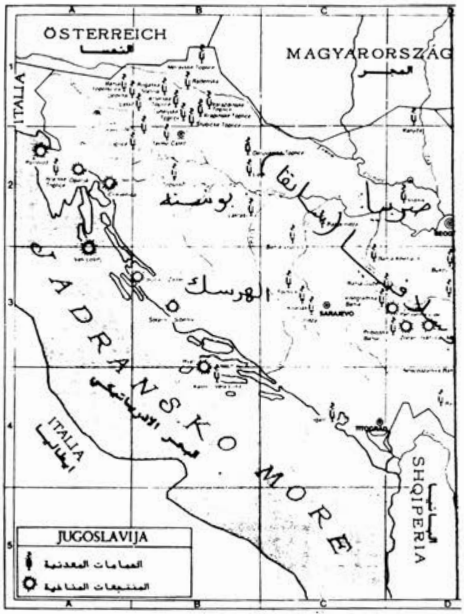

خريطة موضح عليها موقع البوسنه والهرسك

ونشرت له مجلة الأزهر تحذيره فى عدد رمضان ١٤٠٩/ابريل ١٩٨٩[1] .

والكتاب الذى بين أيدينا ونقدمه للقارىء العزيز يعد تنبيهاً آخر لتحذير المسلمين مما يحاك لهم ، وإلى ما يراد بالبوسنه على وجه الخصوص .

أصل البوسنه

بدأ فضيلة الشيخ كتابه بفصل عن « أصل البوسنيين » ، وخلص إلى أنهم من جنس السلاف « الصقالبة » كالصرب والكروات . ثم فند ادعاء الصرب أن أرض البوسنة والهرسك أرضهم ، وخاصة أن هذه الأرض لم تخضع للصرب طوال ثلاثة عشر قرناً من الزمان إلا عشر سنوات .

(١) يرجع إلى مقال للمؤلف بعنوان : « ماذا يجرى فى كوسوفو الإسلامية ؟ » مجلة الأزهر ص٩٨٦ .

ثم يُعَرِّج على عقيدة البوسنيين قبل الإسلام ، ويوضح أن عقيدتهم التى كانت تعرف بـ « البوجوميل » أى : محب الله ـ تختلف اختلافاً كبيراً عن المذهبين الأرثوذكسى والكاثوليكى ، وهى أقرب ما تكون إلى مذهب التوحيد ؛ لذلك فهى قريبة الشبه بمبادىء الإسلام ، ويُظن أنها ما تبقى من دين إبراهيم ـ عليه السلام .

وعن انتشار الإسلام فى البوسنة والهرسك ، يرد المؤلف افتراء المدعين أن الإسلام انتشر بحد السيف ، ويوضح كيف انتشر الإسلام على أيدى التجار الذين فهموا الإسلام على حقيقته ، فلم يجدوا صعوبة فى نشره بين المتعاملين معهم .

ثم يعرض « مشروع شيخ شيوخ علماء البوسنة والهرسك » والذى كان يهدف إلى الربط بين مسلمى البلقان جميعاً ، وكيف حورب هذا المشروع ، حتى أن الصرب ركزوا قصفهم المدفعى على قرية « عربوشا » التى ولد فيها رئيس العلماء « جمال الدين تشاوشويتش » صاحب هذا المشروع .

وعن مظاهر الإسلام فى البوسنه والهرسك وكيف تفتحت براعم الحضارة الإسلامية فيها فى فترة وجيزة .

يقدم فصلا يوضح فيه أن الحضارة فى البوسنة والهرسك أصبحت صورة مصغرة للحضارة الإسلامية فى « الأندلس الشهيدة » ، وحلت محلها .

يأتى بعد ذلك فصل فيه خلاصة فكر المؤلف فى هذا الموضوع وقد عنونه بـ « نكبة المسلمين فى البوسنه والهرسك ليست هى الأولى ولن تكون الأخيرة » .

وفى هذا الفصل يوضح أن النكبات التى مُنِىَ المسلمون بها ، إنما هى البوتقة التى يطهر الله بها عباده ، فتنجلى قلوبهم وتنكشف الغشاوة عن أبصارهم وبصائرهم ، فيعود النور إلى قلوبهم ، ويعودون أكثر قوة ونشاطاً وإيماناً .

يقول فضيلته :

« ... هكذا كان حال المسلمين قبل النكبة الأولى : نكبة المغول « التتار » هذه النكبة الوحشية التى قضت على حضارة الإسلام فى الشرق . واسودت مياه دجلة من حبر مئات الآلاف من المجلدات العلمية فى العلوم المختلفة . هذه النكبة الغاشمة أيقظت المسلمين من سباتهم وقربتهم إلى الله ـ عز وجل ـ فاستردوا حيويتهم ونشاطهم ، واستطاعوا فى زمن وجيز أن يعيدوا إلى الحياة الحضارة الإسلامية التى قضى عليها التتار .

وحينما بدأوا ينسون الله ـ تعالى ـ من جديد ابتلاهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بنكبة أخرى هى : نكبة الراهب « بطرس » الذى أخذ يطوف بأنحاء أوروبا ليثير الأهالى ويستفزهم لاستخلاص البيت المقدس من أيدى المسلمين . تمكن (بطرس) من جمع عدد عظيم من الأرقاء والمساجين والأشقياء ، بلغ عددهم كما يذكر التاريخ ثلثمائة ألف ، ساروا متوجهين إلى القدس الشريف من غير نظام ، واقترفوا فى سيرهم فظائع وجرائم حملت المجرمين والبيزنطيين على قتالهم ، وأفنوا منهم عدداً كبيراً وما بقى منهم عبروا

الدردنيل ، لكن السلاجقة سحقوهم سحقاً . ثم تكررت الحروب الصليبية التى قتلت جيوشها فى يوم واحد سبعين ألفاً من المسلمين فى بيت المقدس . وأسجل هنا للحاقدين على الإسلام وأعداء المسلمين جزءً من « صورة خطاب أرسله رئيس الصليبيين إلى البابا للتهنئة ، يقول فيه : « إذا أردت أن تعلم بما جرى لأعدائنا ، فثق إن فى إيوان سليمان ومعبده ، كانت خيلنا تخوض فى بحر من دماء الشرقيين إلى ركبتيها » .

استمـــرت هذه الحروب إلى أن أذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بتجلية قلوب المسلمين وصقلها وإعادتها إلى حالتها الأولى .

ويذكر لنا المؤلف بعض هذه النكبات التى منى المسلمون ، بها بداية من :

- نكبة التتار .

حتى نكبة المسلمين فى البوسنه والهرسك .

ويخلص المؤلف من سرده للنكبات التى منى المسلمون بها إلى أنهم لما عادوا إلى الله خالقهم ، عادوا أقوى وأشد .

ويستنتج من ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لن يترك عباده المؤمنين ، ماداموا مستمسكين بحبله المتين ؛ لذلك يخصص فصلا يحذر فيه أعداء الله وأعداء المسلمين ، ويدعوهم وعلماءهم إلى نبذ كراهيتهم للإسلام والمسلمين ، وأن فى ذلك خيراً لهم .

وعمن نصبوا أنفسهم حماة للإنسان وحقوقه ، كتب فضيلته :

« جماعة قيادية فى الغرب نصبوا أنفسهم حماة لحقوق الإنسان . إذا قامت دولة من الدول ـ لا صلة لهم بها ـ بمعاقبة بعض مواطنيها لأفعال ارتكبوها واعتبرتها الدولة تهديداً لأمنها وسلامتها واستقرارها ، مع العلم بأنها صاحبة الحق فى تحديد مقدار هذا التهديد ، هاج حماة حقوق الإنسان وماجوا ، وطالبوا الدولة بالإفراج عن المعتقلين والمسجونين وإلا عاملوها معاملة خاصة من حيث التعاون والتعايش وتبادل المنافع ؛ للضغط عليها حتى تضطر إلى الخضوع لأوامر هؤلاء الحماة المخادعين .

هؤلاء الحماة لحقوق الإنسان يرون دماء المسلمين تجرى أنهاراً ؛ نتيجة اعتداء دولة مجاورة عليهم ، فتقتل رجالهم ونساءهم وأطفالهم بأبشع الوسائل ، وتهدم بيوتهم عليهم وهم أحياء ثم يصبون الغاز على أنقاض البيت يموت بالنار من لم يمت منهم بالهدم ، حماة حقوق الإنسان وزعماء الدول الغربيــة يرون هذه المآسى البشعــة فلا يحركون ساكناً . سلوك حماة حقوق الإنسان وزعماء الدول الغربية أمام نكبة المسلمين فى البوسنه والهرسك متناقض تماماً مع ادعاءاتهم بضرورة المحافظة على حقوق الإنسان .

تبين واضحــاً يا حماة حقـــوق الإنسان ويا زعمـاء الدول أن مصداقيتكم مزيفة ، وأنكم تؤيدون المعتدين على مسلمى البوسنه والهرسك ، مع شهادتكم بأن مسلمى البوسنه من أصل طيب يتعاملون مع جميع الأديان ويتعايشون معهم تعايشاً سلمياً من غير تمييز .

ومن الغريب أن هيئة الأمم لا تدافع عن الدولة المعتدى عليها مع اعترافها باستقلالها ، وتفرض حصاراً على المعتدى والمعتدى عليه ، تغمض العين عن خرق المعتدى لقرار الحصار ، وتهدد المعتدى عليه بعدم خرق قرار الحصار.....

ماذا يا ترى سيكتب التاريخ عن حماة حقوق الإنسان بعد سنين عدداً !؟! »

ثم نصل مع المؤلف إلى « فصل الفصول » لُبِّ الكتاب ، وقد خلع عليه المؤلف من عنوان الكتاب فسماه « أطفال مسلمى البوسنه والهرسك يستغيثون .. فهل من مغيث ؟ هذا نداء من سويداء قلوب أطفال أبرياء إلى أحفاد الذين وصفهم الله ـ تعالى ـ بالرحماء » .

نقتطف منه ما يلى :

« من أفجع المآسى الوحشية التى نكب بها مسلمو البوسنه والهرسك فوق ما هم فيه من فظائع بشعة فقدهم لفلذات أكبادهم .

أكثر من (٥٠٠٠٠) خمسين ألف طفل مسلم فقدوا فى أثناء مطاردة الصرب لآبائهم ، خلاف مئات الأطفال الذين قتلتهم المليشيات الصربية ، ثم قطعوا رءوسهم ولعبوا بها لعبة الكرة أمام من أبقوه حياً من هؤلاء الأطفال .

أراد الصرب بذلك القضاء على رجال المستقبل ـ أيضاً ـ حتى تسلم لهم « البوسنة والهرسك » بلا منازع .

فور انتشار هذا الخبر فُتحت أبواب الفاتيكان وبقية الكنائس فى أوروبا وأبواب الجمعيات التبشيرية بها ، وبسرعة البرق انطلق من هذه الأبواب قسسها ورهبانها وراهباتها ومعاونوهم كالخيول الجامحة قاصدين (البوسنه والهرسك) ، وانتشروا بين عشية أو ضحاها حول حدود (البوسنه والهرسك) . وإذا رأوا أمامهم حافلات مليئة بهؤلاء الأطفال مقبلة عليهم يسارعون إليها ، ويمدون أيديهم إلى رجال الصليب الأحمر ينتزعون هذه البراعم المتفتحة البريئة التى لا تعلم من أمر الدنيا شيئاً ، ثم يتعمدون الوقوف أمام الكاميرات لالتقاط صور لهم والأطفال فى أحضانهم متظاهرين بالبشاشة العالية على وجوههم . ولا أحد يعلم إلا الله ـ سبحانه ـ ما يضمرونه فى قلوبهم ، ثم يرجعون مسرعين بهم إلى المصير المجهول . هذا المصير المجهول هو التنصير بدون شك .

نشرت لجنة الإغاثة الإسلامية فى كتابها « قادم من البوسنه الهرسك ص٢٩ » قصة طفلة عمرها ثمانى سنوات ، تسمى « طيبة » إنها تنصرت ، لكن الله ـ سبحانه ـ أنقذها ، سألها مندوب اللجنة ما الذى جعلك تتنصرين أيها الطفلة ؟ قالت : كان الرجل يأتى إلىَّ يقدم لى الطعام ويقدم لى الحلوى ويعطف علىَّ ، وتوافق إدارة المعسكر على أن أخرج معه لأتنزه . ثم أذهب معه إلى الكنيسة ، ثم أصلى بالكنيسة ، ويرينى كيف نكون العاطفة ... وكيف يكون الارتباط ... الخ إلى هنا يكفى النقل .

أما أحفاد الرحماء الذين تحدث الله ـ تعالى ـ عنهم فى كتابه المبين حيث قال :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٢) هؤلاء الأحفاد كانوا يتناولون ـ فى قاعات مميزة ـ إلقاء الكلمات ثم ينصرفون باسطين أيديهم كالبسط المذكور فى بيت الشاعر :

وفى بسطها عند الممات إشارة

ألا فاشهدوا إنى خرجت بلا شىء

كيف يخرجون من مجتمعاتهم بلاشىء وهم يملثون فى المنظمة ستاً وأربعين دولة إسلامية ؟! كانوا يستطيعون أن يتخذوا قراراً فى نصف ساعة

---

(٢) سورة الفتح الآية ٢٩ .

بجمع أطفال مسلمى « البوسنه والهرسك » الضائعين بواسطة الاتصال بجميع البلاد المحيطة بالمنطقة الملتهبة « البوسنه والهرسك » .

فى الحق أن نكبة البوسنه والهرسك ساهم فيها المسلمون بموقفهم بأكثر مما فعل الصرب والكروات .

نداء يتجدد يومياً من أطفال البوسنة

إن هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين لا يزالون فى مصيرهم المجهول ، تجدد قلوبهم البريئة كل يوم نداءاً إثر نداء إلى أحفاد الرحماء الذين ذكرهم الله ـ سبحانه ـ فى كتابه الكريم بأن يمدوا لهم أيديهم بأطواق النجاة من العذاب الذى يلازمهم ، والمصير المجهول الذى يحيط بهم . يرجون من أحفاد الرحماء ـ رضى الله عنهم ـ إنقاذهم من الهلاك الذى يهددهم ، يرجون منهم أن يعيدوا إليهم ثقتهم بأنفسهم ، واعتزازهم بدين آبائهم ؛ ليكونوا فى المستقبل جنوداً يحمون بدمائهم دينهم ، وعرضهم ، وأرضهم

هم ينادون كل يوم أحفاد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ـ رضى الله عنهم ـ وغيرهم من أبطال الإسلام مستغيثين بهم لإنقاذهم مما هم فيه .

فهل من مغيث ؟!

وتتوالى فصول الكتاب تسجل بعض الأمثلة الشاهدة على بشاعة ووحشية الصرب ضد مسلمى البوسنه والهرسك وضد أطفالهم الأبرياء .

وفى نهاية الكتاب يقدم بعض جهود الدول الإسلامية لمساعدة البوسنه والهرسك مبرزاً دور مصر والمملكة العربية السعودية .

وبعد ، فالكتاب يعد كلمة عتاب يقولها أحد أبناء « جاقووه » لأحفاد الرحماء أفلا يذكرون قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

ثم أما بعد ، فحمداً لله ـ تعالى ـ أن البوسنة مازال أهلها يقولون :

« أحدٌ ، أحد ، فرد صمد » .

قالت إحدى الطبيبات المسلمات من أهل البوسنه لفضيلة الأستاذ جمال قطب عضو مجلس الشعب المصرى ومبعوث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى البوسنه : « إن الله لم يحرمنا أئمة يشاركوننا ، فقد تمزقت نياط قلبى منذ أسابيع حينما رأيت إمام مسجد (يرحمه الله) قد قطعوه ، وقيل لى : لم يكن بينه وبين النجاة إلا أن يرفع ثلاثة أصابع من أصابع يده (مشيراً إلى قبوله التثليث) فامتنع ، وأشار بالسبابة ـ وحدها ـ مثبتاً عقيدة التوحيد(٣) .

وأما اليوم وقد عرف الناس ألواناً أخرى من التعذيب تتناسب مع (علوم) القرن العشرين ؛ فإننا نقول :

صبراً أهل البوسنه .... فإن موعدكم الجنة .

---

(٣) راجع : الأزهر فى البوسنه والهرسك : للأستاذ جمال قطب هدية مجلة الأزهر لشهر صفر ١٤١٣هـ ص٥٨ ، ٥٩ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

د/ محمد عبد الحكيم محمد

شكراً تشارلز .. قد أنصفتنا

أثارت محاضرة الأمير « تشارلز » ولى عهد بريطانيا عن الإسلام فى جامعة أكسفورد ذات الشهرة العالمية(١) ردود فعل طيبة فى الأوساط الإسلامية ، وذلك لأمرين :

الأول : صدورها من رجل ذى مكانة سياسية واجتماعية رفيعة المستوى فى العالم الغربى .

الثانى : إنصافها لماضى الإسلام وحاضره وانتقادها اللاذع لسياسات الغرب المسيحى تجاه الإسلام والمسلمين .

ومن ثم انطوت المحاضرة على دعوة الغرب كله إلى إعادة النظر فى سياساته مع المسلمين بعيداً عن الحقد والتعصب .

ومن التعقيبات التى وصلتنا حول هذا الموضوع كلمة الأستاذ الكاتب / سامى أنور جاهين - من الجيزة بمصر - التى يشير فيها إلى أهمية هذه المحاضرة لا سيما لدى العلمانيين فى بلادنا الإسلامية الذين يتخذون موقفاً متشدداً من الإسلام ، ويصرون على إبعاده - بشتى الطرق عن ساحة الحياة فى الشرق وليس الغرب . يقول الكاتب :

---

(١) نشرت مجلة الأزهر دراسة عنها فى العدد الماضى بقلم الأستاذ / محمد عتريس وكيل الوزارة بمجلس الشعب .

سبحان الله ... لم نسمع استنكاراً بهذا الأسلوب لهذه الفظائع أيها الأمير تشارلز من أمرائنا فى عالمنا الإسلامى العريض فى خطبهم الرنانة المليئة بـ ... وحسبنا الله ونعم الوكيل .

يقول الأمير تشارلز : كثير من الناس هنا ينظرون إلى الشريعة الإسلامية على أنها قاسية وبربرية وغير عادلة ، إن صحفنا قبل الجميع تعشق الخوض فى هذه الأحقاد .

إن الحقيقة هى غير هذا ، فهى مختلفة عن هذا التفكير .

فروحانية الشريعة الإسلامية التى ينص عليها القرآن أساسها الرحمة والعدل ، ويجب علينا أن ندرس التطبيق الفعلى لها قبل أن نصدر حكمنا عليها .

سبحان الله ... لم نسمع هذا من أحد سادتنا وكبرائنا فى خطاب أو محاضرة ، بل تنتاب الجميع الحساسية بمجرد ذكر الشريعة الإسلامية .

يقول الأمير تشارلز : يجب أن نكون حذرين عند استعمال كلمة (الأصوليه) وأن نفرق كما يفعل المسلمون بين مختلف الفرقاء الذين يمارسون منهاجهم الدينى بكل خشوع وتعبد حقيقى وبين المتعصبين والمتطرفين ... إذ أن التطرف ليس وقفا على الإسلام فحسب[1] ، فهو موجود فى صلب الأديان الأخرى ومنها الدين المسيحى أ.هـ

سبحانك يارب ... ألم يحن الوقت لإنصاف أنفسنا وحمايتها من شر أنفسنا ؟!!. أفلا نتعلم من الحكماء والمنصفين وننزع أيدينا من أيدى السفهاء والمجرمين الذين لا يرغبون فى أدنى منفعة لنا ولأمتنا ؟!!.

ولنستمع لهذه الكلمات علَّها تؤثِّر فينا فنعمل بها ، وإن كان كلام الأمير تشارلز للغرب ، إلا أن الشرق به أولى ، فإنه يقول :

الإسلام يستطيع أن يعلمنا اليوم كيف نفهم وكيف نعيش ... الإسلام فى جوهره يحتفظ بنظرة مدمجة ، ويرفض أن يفصل بين الإنسان والطبيعة ، أو يفصل بين الدين والعلم ، أو بين العقل والمادة ، كما حافظ على وجهة نظر ميتافيزيقية موحدة للإنسان وللعالم الذى يحيط بنا .

ونتمنى شيئا من الخجل ... من الإخلاص لله ... والصدق فى العمل .. واتباع الحق ... فماذا ننتظر بعد أن قال تشارلز !!.

للأزهر دوره رغم إنكار الجاحدين

إن من ينكر دور الأزهر وجلال علمائه إنما ينكر ظهور الشمس فى وضح النهار ، وقد كان الأزهر وسيظل ـ بمشيئة الله تعالى ـ محل تقدير المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتلك كلمة كتبها الأستاذ / عزت إبراهيم محمود ـ بحمامات القبة بالقاهرة يُذكِّر بها أصحاب الحملة الظالمة بأن عطاء الأزهر الذى يزيد على الألف عام لا يمكن أن ينال منه لسان كاره أو قلم حقود ، يقول الكاتب :

---

(١) لعل الأمير يقصد التطرف عند بعض المسلمين .

قد كان علماء الأزهر — ولا يزالون — ألسنة الشعب المصرى حين تعصف به العواصف ، وتؤذيه أطماع الطامعين ، لقد ضرب الشيخ عبد الله الشرقاوى ، والشيخ سليمان المنصورى والشيخ أحمد الدرديرى ، أروع المثل فى مكافحة المستعمرين منذ إعلان الكفاح ضد نابليون بحملته الفرنسية عام ١٧٨٩ وحملة فريزر الإنجليزية عام ١٨٠٥ ، وعندما فرضوا إرادتهم على السلطان العثمانى فى تعيين محمد على واليا على مصر ... وهكذا يستمر الأزهر فى كفاحه الفكرى والسياسى فى كل مراحل تاريخ مصر الحديث منذ ثورة عرابى عام ١٨٨١ ، وكفاح مصطفى كامل ومحمد فريد ، وثورة سعد زغلول عام ١٩١٩ ، حتى حرب العاشر من رمضان فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

أبعد ذلك يكون هناك مجال للافتراء على الأزهر وعلمائه ؟

*

بأقلام القراء

مع الإمام على بن أبى طالب

هو أول من أسلم من الصبيان — رضى الله عنه — ، وشهد كل الغزوات إلا غزوة تبوك لأن رسول الله ﷺ خلفه فى أهله ، وكان — رضى الله عنه — غزير العلم ، تزوج من ابنة رسول الله ﷺ السيدة : فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، ومناقبة كثيرة وشهد له رسول الله بالجنة .

كان ممن يكتبون الوحى لرسول الله ﷺ ، قتله « ابن ملجم » وكانت وفاته رضى الله عنه فى سنة سبع ، وقيل ثمان وخمسين ، وقيل ثلاث ، وقيل ثمان وستين .

وكانت مدة خلافته أربع سنوات وتسعة أشهر ويوما واحداً ومدة إقامته بالمدينة أربعة أشهر .

رمضان إبراهيم الأقرع — خطيب بطنطا

*

الأزهر وصيانة التراث

بعد دخول جوهر الصقلى فاتحا لمصر عام ٣٠٩ هـ / ٩٧٠ م ، وضع أساس الجامع الأزهر وقد استمر العمل فيه سنتين ، وأقيمت أول جمعة فيه فى ٩ من رمضان ٣٦١ هـ .

وفى بادئ الأمر كانت الدراسة مقصورة فيه على العلوم الدينية واللغوية ودرست فيه علوم الفلك والحساب والطب والجغرافيا .

وفى القرن العشرين أدخلت فى مناهجه بعض العلوم الحديثة مثل الرياضة والكيمياء ، وقد مرت قرون طوال على الأزهر وهو يؤدى رسالته السامية فى خدمة الدين واللغة ، إن الأزهر سيظل منهلا للعلم يأوى إليه كل من يريده .

محمد على البلجيهى — أويش الحجر بالمنصورة

من إبداعات القراء

رمضان هدى ونور

شعر / سَعد الدين محمود

تَعَالَـــوْا إخـــوة الإيمان ... إلى الــــرحمن والْـــحُبّ
إلى الغفـــران والقـــرآن م ... والـــرضوان والتَّـــوْبِ
تعالـــو للهُـــدى والنـــور م ... نَنْعَـــمْ من رضا الـــرب
فَشَهْـــرُ الصوم بالأنـــوار م ... يُنْهِـــى ظُلْمَـــةَ الـــدَّرْبِ
تَعالَـــوْا نغتـــرف منـــه ... كئـــوسَ الكوثـــرِ العـــذب
فبالـــرحمات « أولاَهُ » ... بخيـــرٍ مَشْرَبُ الـــرَّضْبِ
ومـــرضاه لنـــا ذُخْـــرٌ ... بـ « وَسَطٍ » من رِضَا الْـــكَسْبِ
« وَأُخْـــرَاهُ » لنـــا عِتْـــقٌ ... من الـــنيران وَالْـــغَضْبِ
تعالـــوا إخـــوة الإسلام ... من شرق ومـــن غَرْبِ
لنحفـــظ شِرْعـــة المختـــار م ... فى أثـــوابها الْـــقُشْبِ

من وحى الإسراء والمعراج

وتلك قصيدة جادت بها قريحة الأستاذ / محمد مصطفى الغمرى ... المدير السابق لإدارة شبرا الخيمة التعليمية ، نقتطف بعض أبياتها نظراً لمضى مناسبتها :

يَا عُرْبُ عُودُوا للمَحَبَّـةِ وَحْـدَةً ... عَوْدَ المَرِيضِ إلَى أعَـزِّ شِفَـاءِ
وابنـو عَلَيْهـا كلَّ عِزٍّ شامِـخ ... بالْعِلْـمِ والدِّيـنِ بنَـاءَ ضِيـاءِ
وَتَدبَّروا المِعْـرَاجَ فهُـوَ مَنارُكُـمْ ... وَتَـزَوَّدُوا مِنْ نِعمـةِ الإسْرَاءِ

السِّيرَةَ العُظمَى تنيرُ نفوسَنَا — بعَظَائِمِ الخيْرَاتِ وَالأَنْبَاءِ
يَا شِعْرُ كَرِّمْ لَيْلَةً قُدْسيَّةً — فَعُرُوجُهَا مفتَاحُ كُلِّ هَبَاءِ
وَتُعيدُ أحْمَدَ بالسَّلَامَةِ آمِنًا — لِيُذِيعَ رِحْلَتَهُ عَلَى الأَرْجَاء
وَيَسِيرُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ ومُكَذِّبٍ — وَالصِّدْقُ يَمحوو كَاذِبَ الأهوَاءِ
وَيُؤَيِّدُ الصِّدِّيقَ رحلَتَهُ وَقَدْ — قَبِلَ الرِّسَالَةَ مِنهُ دُون وَنَاءِ
مَنْ شَرَّفَتْه رِسَالَةٌ مِنْ رَبِّهِ — فَالصِّدْقُ شِيمَتُهُ بلَا إخْفَاءِ
فِي لَيْلَةِ الإسْرَاء والمِعْرَاج — ذِكْرَى عَطَاءٍ فاقَ كُلَّ سَخَاءِ
ذِكْرَى تَظلُّ مَدَى الحَياةِ مُضِيئَةً — آفَاقَنَا فِي الخِصْبِ والصَّحْرَاءِ
سَتَظَلُّ تُسْبِغُ كُلَّ ضَوْءٍ بَاهِرِ — فِي كُلِّ ناحِيَةِ عَلَى الأَحْيَاءِ

أهلًا بإكليل الزمان

كذلك تلقى الباب من الشاعر / هشام محفوظ أبو عيشة ـ مدرس اللغة العربية بمدرسة بلال الإعدادية للبنات بالشرابية ـ مصر ـ قصيدة يبث فيها أحاسيسه عن شهر رمضان المبارك ، نأخذ منها هذه الأبيات :

واحةُ الأرواح لاحتْ — فاحمدِ الرحمنَ واشْكُرْ
ذاكَ شهرُ الصومِ وافى — عهدَهُ ... فاللهُ أكبرْ
عبقريًّا مِنْ عليٍّ — هَلْ يمْحُو ما تكدَّرْ
فى نُفُوسٍ أتْعبتْهَا — غُصَصٌ مِنْ كُل عُنْصُرْ
جلَّ أكليلًا وَضيًّا — ساقَهُ المؤلى وقدَّرْ

●●●●●

يا أميرَ العامِ أشرقْ — يا عليَّ القدْرِ وانثُرْ
ليلةَ القدْرِ حَفِيًّا — من عطاءِ الله تُوءْ ثَرْ
ليلةٌ فى الخيْرِ فاقتْ — ألفَ شهْرٍ عَلَّ نشكُرْ
سل أخى ما شئتَ فيه — ربَّك الأعْلى وكبِّرْ
وأملأِ الرُّوحَ ضِيَاءً — فى خُشُوعٍ فى تَدَبُّرْ

ردود و تعليقات

● **القارئ / شحاته أحمد أبو بكر من ببا ببنى سويف .**

مرحباً وبانتقاداتك ... والحقيقة أن مجلة الأزهر لم تتخذ مجالا واحدا لتحقيق سبل التواصل بين الأقطار الإسلامية ، بل اتخذت مجالات عدة فى سبيل توثيق عرى الأخوة بين أبناء الإسلام فى مختلف أقطارهم أهمها :

١ ـ الاهتمام بالأقلام العربية ونشر نتاجها .

٢ ـ تناول المؤلفات العربية بالعرض والنقد .

٣ ـ التعريف بالأفكار العربية والإسلامية وخدمة قضاياها المصيرية فى حدود المادة المتاحة .

كذلك نشرت كثيرا من الدراسات المقارنة فى موضوعات مختلفة ، لا سيما إذا وجدت المادة الملائمة .

وبعد فإنا نودُّ لو ضربتم لنا الأمثلة على نقدكم من عناوين المقالات المنشورة ، وبعون الله نضع فى خطتنا القادمة تزويد المجلة بالأحاديث والتحقيقات الصحفية ، وهكذا تتسع صدورنا لقرائنا يا أخ شحاته والله المستعان .

● **القارىء/عادل على على اسماعيل ـ بقورص ـ منوفية :**

ما يمكن للمجلة أن تنشره عن علم العروض توفرت عليه مؤلفات متخصصة ، مثل كتاب « اللُباب » المقرر على الصف الأول والثانى الثانوى الأزهرى ، مع تمنياتنا لك بالتوفيق .

● **القارىء/محمد سميح حراز ـ معدية رشيد ـ مطوبس ـ كفر الشيخ :**

المجلة كلها بمادتها التحريرية فى خدمة كل فئات المجتمع ـ شبابا وشيوخا ـ وربما نستطيع فى المرحلة القادمة إعادة طرح موضوع الإدمان بما يستحقه من البحث والاهتمام .

● **القارئ / محمد على محمد سيد ـ من تله محافظة المنيا .**

● **والقارئ / عقال بن موسى المالكى من الطائف بالسعودية .**

● **وكل من يرغب فى الاشتراك الشهرى بمجلة الأزهر .**

سبيلكم هو مراسلة (إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة) لتحديد بداية الأعداد المطلوبة ، علماً بأن أسعار الاشتراكات عن سنة كاملة (١٢) عدد تكون على النحو التالى :

٩ جنيهات داخل جمهورية مصر العربية

٥٠ دولار أمريكى داخل دول اتحاد البريد العربى

٧٥ دولار خارج دول اتحاد البريد العربى

● **القارئ / طلعت مرزوق عبد العزيز سعد ـ أمين اتحاد طلاب المعاهد بالاسكندرية .**

طلب رئيس التحرير العمل على تنفيذ هذا الاقتراح لأهميته ، وشكرا لاهتمامكم .

● **القارئ / على محمد على عطوة ـ بمجمع المصالح بطور سيناء .**

نأسف لعدم استطاعتنا تزويدكم بهذه الأعداد القديمة ، وربما وجدتم بعضها بإدارة توريدات الأزهر بمدينة البعوث بالقاهرة .

● **القارئ / أنس محيى الدين أنس من محافظة قنا .**

نعم ما أحوجنا إلى التمسك بالنور الذى جاءنا من ربنا ـ تبارك وتعالى ـ وكتابه المبين ، فهما طوق النجاة لمن أراد أن يتذكر .

● **القارئ / أيمن سلامة الزميتى بفارسكور ـ دمياط .**

حقا .. إننا نسمع ـ تحت شعار « الفكر الحر » و « حرية الفكر » ـ خلطاً كثيراً ـ ضد الإسلام ـ يزيغ بصائر القارئين والمستمعين ، وهذه هى مهمة علمائنا الكرام الذين لا يألون جهداً فى مواجهة « الفكر المنحرف » والعمل على تنقيته وتصحيحه قبل أن يفعل فعله فى القلوب والعقول .

● **القارئ / سليمان عبدالحميد عبدالله الفقى شيخ معهد قراءات دمنهور بالبحيرة .**

وصلتنا كلمتكم القيمة عن كلمة تحويل القبلة متأخرة عن مناسبتها ، وفى انتظار إبداعاتكم .

● **القارئ / محمد إبراهيم محمد الدمرداش ـ بمجلس مدينة بركة السبع ـ منوفية**

سعدنا بغيرتك على الإسلام ، ونؤكد لك أن المثقفين ببلادنا على وعى تام يجعلهم يفرقون بين الخبيث والطيب .

ومجلة الأزهر كم شاركت بجهدها فى التصدى لمثل هذه الكتب السامة ، وذلك من خلال ما نشرته من ردود العلماء عليها فى ملاحقها ـ المجانية ـ ومقالاتها إلى يومنا هذا ، ومن هذه الكتب ما تربأ مجلة الأزهر بنفسها عن تركيز الضوء عليه حتى لا يكن ذلك « دعاية له » وهى فى الحقيقة ليست على شىء .

● **القارىء/محمد أحمد عبدالدايم .. من تلا ـ المنوفية :**

● **القارىء/عبدالحى صبحى سنهابى ـ من أبشواى ـ الفيوم :**

كم كنا نود تزويدكم بهذه الكتب ؛ غير أن إمكانيات المجلة لا تسمح فى الوقت الحالى ، **ويمكنكما ـ أنتما وغيركما من قراء المجلة مراسلة الأخ الفاضل/محمد عاطف محمود ـ صديق مجلة الأزهر ـ على العنوان التالى « ش الميدان ـ الفشن ـ بنى سويف ـ مصر » ، فقد أفادنا ـ شكر الله له ـ بأن لديه مجموعة كبيرة متنوعة من الكتب يرغب فى إهدائها لقراء المجلة .**

● **القارئة/أزهار ابراهيم حسن ـ من المنيا :**

لانشك فى أن حجاب المرأة المسلمة أمر مشروع لصيانتها وحماية الأخلاق بصفة عامة ، ونحن معك فيما تطلبينه ـ فى تعليقك على مقالة حتى لا تكون فتنة ـ من ضرورة ترك المرأة المسلمة وشأنها فى ارتداء الحجاب أو النقاب ، ولتخرس ألسنة الذين فى قلوبهم مرض لأنهم لن يكونوا منصفين بحال ، وليتهم يتعلمون الإنصاف من الأمير تشارلز ولى عهد انجلترا الذى أنصف « حجاب المرأة المسلمة » وهو يتحدث عن شريعة الإسلام فى إحدى محاضراته .

● **وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً .**

أنباء مكتب الإمام الأكبر

اعداد الأستاذين
عمر البسطويسى
مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يواصل سلسلة أحاديثه خلال شهر رمضان المعظم

يواصل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر على امتداد ثلاثين حلقة على شاشة القناة الأولى بالتليفزيون عقب صلاة التراويح فى ليالى شهر رمضان المعظم ــ سلسلة أحاديثه « مع القرآن الكريم فى رمضان » .

برقية تعزية من فضيلة الإمام الأكبر للرئيس السورى حافظ الأسد

بعث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ببرقية تعزية للرئيس السورى حافظ الأسد فى وفاة نجله الرائد/ باسل الأسد الذى توفى إثر حادث أليم .

مصر تحتفل بذكرى الإسراء والمعراج وليلة النصف من شعبان

احتفلت مصر رسمياً مساء يوم السبت الموافق ٢٦ رجب ١٤١٤ هـ ٨ يناير ١٩٩٤ بذكرى الإسراء والمعراج وذلك عقب صلاة العشاء بمسجد الإمام الحسين بالقاهرة حضر الحفل نائبا عن السيد رئيس الجمهورية فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف ، كما حضره نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر .

كما حضره لفيف من علماء الأزهر والأوقاف وقيادات الدعوة الإسلامية بمصر .

وقد ألقى فضيلة الشيخ أحمد رضوان كلمة وزارة الأوقاف حيث أكد على أن الإسلام قد جاء ليطهر نفوس البشر من الشر والأحقاد وسفك الدماء كما أكد على أن الحق تبارك وتعالى أراد للبشرية أن ترتبط بالمساجد بوصفها بيوت الله التى تنشر الأمن والآمان والرحمة والسلام فى الأرض .

كما احتفلت مصر بليلة النصف من شعبان وذلك عقب صلاة العشاء يوم الأربعاء الموافق ١٤ شعبان ١٤١٤هـ ٢٦ يناير ١٩٩٤م بمسجد الفتح بميدان رمسيس .

حضره نائباً عن السيد رئيس الجمهورية السيد عمر عبد الآخر محافظ القاهرة كما حضره نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف وراعى الحفل .

وقد ألقى كلمة وزارة الأوقاف فضيلة الدكتور عبد الرشيد سالم وكيل الوزارة الذى أكد على أن الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - والأنبياء جميعاً قد بعثوا ليعلموا الناس أسس الحوار بالحق والحسنى مشيراً إلى أن الإسلام قد حاور الكافرين حتى دخلوا فى دين الله أفواجاً ، كما حاور المنافقين فأبطل حججهم .

نشاط مكثف لعلماء الأزهر والأوقاف خلال شهر رمضان المعظم

عقدت اللجنة العليا للدعوة اجتماعاً برئاسة فضيلة الدكتور/ محمد على محجوب وزير الأوقاف وحضور فضيلة الشيخ/ سيد سعود وكيل الأزهر نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، كما حضره فضيلة الدكتور/ عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

تم خلال الاجتماع بحث خطة تحرك جهاز الدعوة خلال شهر رمضان المعظم تحت رعاية وإشراف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

حيث تقرر أن يبدأ بمشيئة الله تعالى ملتقى الفكر الإسلامى بالسرادق الذى تقيمه رئاسة الجمهورية كل عام بالتعاون مع الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ويشارك فيه نحو مائة عالم ومفكر بالقاء المحاضرات الدينية طوال ليالى الشهر الفضيل .

وقد أعلن فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر أن فضيلة الإمام الأكبر وفضيلة وزير الأوقاف ولفيف من علماء الأزهر سيجوبون محافظات الجمهورية على رأس قوافل التوعية الدينية خلال الشهر الكريم للمشاركة فى الملتقيات الفكرية والندوات الدينية التى ستعقد بها لشرح تعاليم الدين الحنيف .

وقد أعلن فضيلة الدكتور وزير الأوقاف أنه تم توحيد النشاط الدينى والثقافى خلال شهر رمضان المعظم بالتعاون مع الجمعيات الدينية المعتدلة وهى الجمعية الشرعية وأنصار السنة المحمدية والشبان المسلمين التى سيتحرك علماؤها وتفتح مساجدها لتنفيذ خطة الدعوة خلال الشهر الفضيل .

مسابقة دولية لحفظ القرآن الكريم تقام بمصر خلال شهر رمضان المعظم

أعلن فضيلة الدكتور محمد على محجوب وزير

الأوقاف بأن الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء سيفتتح المسابقة الدولية التى تقيمها مصر لأول مرة فى السابع عشر من شهر رمضان هذا العام فى حفظ وتلاوة وتفسير القرآن الكريم .

وأعلن فضيلته أنه سيتم تقييم المتسابقين من خلال لجنة يرأسها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وتضم كبار علماء الأزهر والأوقاف .

كما أعلن فضيلته أن الرئيس محمد حسنى مبارك سيقوم بتكريم الفائزين فى تلك المسابقة خلال احتفال مصر العالمى بليلة القدر هذا العام .

مجلـــة لاتحاد الجامعـــــات العربيـــــة

وافق مجلس جامعة الأزهر على إصدار مجلة لاتحاد الجامعات العربية تقوم بدراسة بحوث الشريعة الإسلامية على مستوى الجامعات العربية والإسلامية خلال العام الجامعى الحالى يكون مقرها جامعة الأزهر .

يتكون مجلس إدارة المجلة من الأساتذة/ د. أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر ، و د./جعفر عبد السلام نائب رئيس جامعة الأزهر ومدير المركز التجارى الإسلامى بالجامعة رئيساً للتحرير .

ويشارك فى أسرة التحرير الأستاذ/ د. محمود العكازى ، و د. على جمعة بجامعة الأزهر ، و د. يوسف قاسم وكيل كلية الحقوق جامعة القاهرة ، و د. عبد المجيد مطلوب أستاذ ورئيس قسم الشريعة بكلية الحقوق جامعة عين شمس ، و د. غازى عبيد مدنى الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .

معهـد للتمـــريض لطالبـــات الأزهـــر

وافق مجلس عمداء كليات فرع جامعة الأزهر للبنات برئاسة الدكتور/ حسين عويضة نائب رئيس الجامعة على إنشاء معهد عالٍ للتمريض يمنح مؤهلاً عالياً « بكالوريوس تمريض.» كما يمنح المعهد درجتى الماجستير والدكتوراه .

يستهدف القرار إمداد مستشفيات جامعة الأزهر ووزارة الصحة وجميع المستشفيات فى مصر والعالم الإسلامى بخريجات المعهد ، بعد أن باتت الحاجة ماسة لإعداد الممرضة الملتزمة بالمظهر والسلوك الإسلامى الرفيع للنهوض بمستوى مهنة التمريض .

بيت الأزيـــاء الفرنسى شـــانيـــل يعتـــــذر للمســـــلمين

أعرب بيت الأزياء الفرنسى « شانيل » عن أسفه للمسلمين عن الخطأ الذى ارتكبه بكتابة بعض الآيات القرآنية على أحد الأزياء خلال عرض لأحدث خطوط الموضة .

وقال بيت الأزياء أن هذا الخطأ غير متعمد لعدم علم مصمم الأزياء « كارل لاجرفيلد » الذى صمم تلك الأزياء بأن الكلمات العربية المستخدمة فى التطريز من القرآن الكريم .

هذا وقد قرر بيت الأزياء إعدام ما لديه من أزياء تحمل هذا التصميم وكـــذلك الصور الفوتوغرافية التى التقطت لها عقب احتجاج علماء الإسلام لهذا الصنيع .

إدارة الإعلام الدينى فى مؤتمر عام

لفضيلة الشيخ/
السيد عبدالمقصود عسكر

شاركت الإدارة العامة للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر الشريف بكلمة فى المؤتمر السنوى العام المنعقد بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى – بجامعة الأزهر ، وذلك فى الحادى عشر من شعبان ١٤١٤ هـ ، الموافق ٢٣ يناير ١٩٩٤ م – للمشاركة فى تنظيم خطة عمل الدعاه فى شهر رمضان المعظم وفيما يلى نص الكلمة التى شاركت بها وألقاها فضيلة الشيخ/ السيد عبدالمقصود عسكر .. مدير عام الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر . « المحرر »

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد بن عبدالله . وعلى آله وصحبه ومن والاه .

فضيلة الأستاذ الدكتور وزير الأوقاف .
فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر الشريف .
فضيلة الأستاذ الدكتور مدير جامعة الأزهر .
أصحاب الفضيلة رجال الدعوة بالأزهر والأوقاف .

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فى هذه الأيام العصيبة التى تمر بها الأمة الإسلامية حيث تجمع الأعداء من كل حدب وصوب يبغون القضاء على هذه الأمة ومحو هويتها ويريدون لها أن تنسلخ من دينها وتتجرد من وسائل قوتها وعناصر عزتها .

فى هذه الظروف يتطلع الناس هنا وهناك يبحثون عن المنقذ ويطلبون الخلاص مما هم فيه .

وفى الحق إنه لن يكون هناك قلب أرحمُ بالناس ولا يد أرفقُ بهم . ولا إنسان يحنو عليهم بصدق ويصف لهم الدواء الشافى ويمنحهم العلاج الناجع سوى الدعاة إلى الله السائرين على خطى رسول الله ﷺ .

إن الله تبارك وتعالى أعلن على الدنيا أنه أنزل القرآن على محمد ﷺ ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور فقال سبحانه :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ .

سورة إبراهيم

وقد نجح رسول الله والذين آمنوا معه فى مسعاهم فأضاءوا الدنيا بنور القرآن وهدوا الناس إلى سبيل الخير والفلاح . وقهروا جيوش الظلام . ودمروا عروش الظالمين وأذلوا المستكبرين ونصروا المستضعفين وانتصفوا للمظلومين . وعم العدل

والسلام ربوع الأرض التى رفرفت عليها راية الإسلام .

وها هى جيوش الظلام تتجمع من جديد وفلول الإلحاد تصحو بعد خمود وراحت تشحذ أسلحتها وتصُفُّ جنودهـا وتحشد عدتها . وتعددت ميادين المواجهة وتنوعت أشكال المؤامرة . والهدف هو الهدف والغاية هى الغاية

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ .. ﴾ سورة البقرة

والأسلحة المستعملة رهيبة وخطيرة فالإعلام دخل المعركة تحت راية حماية الفن والإبداع . وشعارات الكفر والإلحاد دخلت ساحة المواجهة تحت راية التبصير والتنوير ومحاربة الجمود . ودعاة الفجور والتحلل من الفضائل كشفوا عن وجوههم الكالحة ودخلوا المعركة تحت راية الدفاع عن الحرية . ومحاربة التطرف . وبعض الجهلة والحمقى دخلوا المعركة تحت شعار نصرة الإسلام وحمايته وظهر فى الساحة نوعان من التطرف كلاهما خطر على الأمة . تطرف علمانى وافد جاء يدعو أهله إلى محاصرة الدين فى المعابد والزوايا وعزله عن دوره فى الحياة تمهيداً للقضاء عليه . وتطرف جاهل يذكرنا بقصة الدبة التى قتلت صاحبها وهؤلاء يلحقون الضرر بالإسلام وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

ولو كان هؤلاء يريدون نصرة الإسلام وحمايته لالتزموا بهديه فى الدعوة والسلوك .

ولو كان أولئك يريدون التنوير حقا لاستضاءوا بنور الله . وما حاولوا اطفاءه . ولو كانوا يريدون الحرية حقاً لخضعوا لحكم الله وذلوا لعظمته . فمن عبودية الإنسان لله تكون حريته ومن طاعته لمولاه تكون عزته وكرامته ولو كانوا يريدون محاربة التطرف حقاً لوضعوا أيديهم فى أيدى الدعاة إلى الله بدلا من السخرية بهم والتهجم عليهم . لأن الدعاة إلى الله هم أقدر الناس على إرشاد الضال وهداية الحيران وتعليم الجاهل وتأمين الخائف وشفاء المريض .

إن شفاء هذه الأمة من أمراضها فى أيديكم أنتم أيها الدعاة إلى الله وإن علاجها من أدوائها بحوزتكم أنتم أيها الدعاة إلى الله .

ولعل سائلا عن حال هذه الأمة وما أصابها يردد هذا القول ويطرح هذا السؤال .

بأيمانهم نوران ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات

وفى اعتقادى أن الجواب لا يخفى عليكم فأنتم أولوا النهى وأهل العلم والفضل وأنتم تستطيعون أن تفعلوا الكثير والكثير .

إن جماهير المسلمين ـ برغم ما جرى من تشريه لصورتكم ـ لازالوا على استعداد للاستماع إليكم والاستجابة لدعوتكم التى هى دعوة إلى الحياة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ .. ﴾ سورة الأنفال

ولكم فى الصحوة الإسلامية الراشدة الواعية رصيد حبذا لو استفدتم به ولكنه لكى ننجح فى دعوتنا ونجمع المؤمنين الصادقين من حولنا . ونرد عدوان العادين على ديننا .. ونصد زحف المتآمرين على أمتنا . فلابد لنا أن نلتزم الصدق فى دعوتنا .

وأن نقول الحق وإن كان مرًّا . وأن لا نخشى فى الله لومة لائم . وأن يرى الناس فينا صورة الإسلام فى سموه وعظمته وجلاله وروعته . أدبا ورحمة وشجاعة وحكمة وإباءًا وصدقا وتواضعا وحلما .

حينئذ سيتقدى الناس بنا ويثقون فينا ويلتفون حولنا . ويومها نستطيع أن نزد كيد الكائدين وأن نوحد الأمة على منهج الوسطية والاعتدال . وعندها سيتوارى الملاحدة والمتحللون ويعود الجهال والغالون إلى الصواب . ويستقيم الجميع على الجادة .

وهذا يعنى أن مهمتكم عظيمة ومسئوليتكم خطيرة ورسالتكم جليلة . وإذا كان غيرنا يقيم المهرجانات ويخترع المناسبات لكى يروج لفكره وفيه السم الزعاف . فإننا لسنا فى حاجة إلى اختراع مناسبات ولا ابتداع مؤتمرات فعندنا الحج مؤتمر عظيم لا يملك غيرنا نظيرا له ليتنا ننتفع به كما ينبغى . وعندنا الجمعة عيد عظيم متكرر حبذا لو أحسنا الاحتفال به . وعندنا رمضان موسم للطاعات والعبادات وفرصة للتصحيح واصلاح العادات ومناسبة للبر والقربات . وقد بلغ من وفرة الخير فيه أن من لم يستطع الحصول على مغفرة الله فيه كان من المحرومين .

وهذه فرصة أتاحها الله لكم أيها الدعاة فاملأوا هذا الشهر بالنشاط الهادف والعمل المثمر . وذكروا الناس بالله فهم فى هذا الشهر الكريم أقرب إلى قبول الدعوة والانتفاع بالموعظة . واعملوا على توثيق صلتهم بالله فتلك هى بداية الطريق إلى نصر الله وتحقيق العزة للمسلمين .

أعانكم الله على أداء مهمتكم وسدد على طريق الحق خطاكم . ووحد صفكم وألف بين قلوبكم وجمعكم على الهدى إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

القاهرة

قرر الأزهر الشريف بَدْء ملتقى الفكر الإسلامى الذى ينظمه فى أيام شهر رمضان المبارك بالمشاركة مع وزارة الأوقاف . كما تقرر اختيار مساجد السيدة زينب والفتح برمسيس ، وجمال الدين الأفغانى بمصر الجديدة ، والتوفيق بحلوان ، وعين الحياة والخازندارة وأبى العلا بالقاهرة ، ومسجد إسماعيل الإمبابى بالجيزة ، والأحمدى بطنطا ، وأبى العباس المرسى بالاسكندرية ، وسيدى طلحة بكفر الشيخ ، ومسجد العاشر من رمضان لتكون بدائل عن السرادقات التى اعتادت الوزارة اقامتها فى كل عام .

ماليزيا

وافق مجلس المؤسسة الإسلامية بولاية (كلانْتن) الماليزية على تدريس مناهج المعاهد الأزهرية فى المعاهد الإسلامية التابعة للمؤسسة وذلك إلى جانب المنهج الرسمى للدولة ، وقد تم تخصيص المبالغ اللازمة لاعادة طبع كتب مقررات تلك المعاهد ، وذلك بموافقة الأزهر الشريف وق تم توزيعها على خمسين ألف طالب وطالبة يدرسون بمعاهد ومدارس المؤسسة الإسلامية المذكورة ، وفى عدد من المدارس الإعدادية والثانوية التى تتبع منهج المؤسسة فى الولايات الماليزية الأخرى .

تايلاند

أعتنق الإسلام أكثر من ألفى مواطن ومواطنة فى ولاية (شانجارى) وما حولها بشمال (مملكة تايلاند) حيث كانوا من قبل بوذيين ونصارى . قال الدكتور « إسماعيل تفاكيا » التايلاندى الأصل وعضو المجلس الأعلى العالمى للمساجد أن أوضاع المسلمين هناك تبشر بالخير ، وأن الذين أشهروا إسلامهم مؤخراً يعزى إسلامهم للعمل الدءوب الذى يبذله المسلمون فى جنوب تايلاند .

هذا وقد تم بناء مسجد للمسلمين الجدد وعدة مصليات لإقامة الشعائر ، وأكد سيادته أن المسلمين متشوقون إلى مزيد من العون والدعم الإسلامى فى مجال إنشاء المساجد والمدارس والمراكز الإسلامية بالاضافة إلى وصول الدعاة والمدرسين لهذه المناطق النائية ، وأكد أيضاً أن مساعدتهم على الكسب الحلال والرزق الطيب أمر جوهرى يحفظهم فى مجتمع يغوص حتى أذنيه فيما لا يرضى الله .

البرازيل

عقد اللقاء الثانى لجهاز الذبح الحلال بالبرازيل واستمر خمسة أيام وذلك فى « سان برناردو » ، بـ « سان باولو » العاصمة ، ونظم اللقاء مركز الدعوة الإسلامية فى أمريكا اللاتينية بصفته الجهة المكلفة بالإشراف على ذبح اللحوم المصدرة إلى العالم الإسلامى .

وكان الهدف توعية العاملين بالجهاز الذى يضم أكثر من ثمانين موظفاً يباشرون عملية الذبح بإشراف مركز الدعوة الإسلامية فى البرازيل ، وهم منتشرون فى مجال الذبح بعدة ولايات برازيلية .

كما هدف اللقاء إلى تعليمهم المسائل الفقهية اللازمة للذبح الحلال وما يتعلق بها من أحكام . وحضر اللقاء عدد من الأساتذة والمحاضرين الذين أجابوا على الأسئلة وعقد اللقاء بنادى السلطان فى حضور أكثر من مائة شخص وبعض ممثلى الشركات المصدرة للحوم توخياً للحلال فى الطعام .

دكا

عقد ندوة فى « دكا » عاصمة « بنجلاديش » حول إقامة السوق الإسلامية المشتركة . نظمها مركز البحوث الاقتصادية الإسلامى هناك بالتعاون مع البنك الإسلامى للتنمية ، وبنك البركة فى بنجلاديش وذلك لمدة ثلاثة أيام .

وتم فيه بحث التجار المستفادة من إقامة رابطة التعاون الاقتصادى فى جنوب شرق آسيا التى تشارك فى عضويتها أندونيسيا ، وماليزيا ، وبروناى ، وبنجلاديش . وافتتح الندوة وزير مالية بنجلاديش الذى قال : إن السوق الإسلامية المشتركة التى اقترحتها منظمة المؤتمر الإسلامى أمر جوهرى لزيادة التعاون بين البلدان الإسلامية .

هذا وشارك فى الندوة أكثر من ٢٥٠ خبيراً ومحللا وباحثاً من : مصر وماليزيا والسعودية وأوغندا وكندا وباكستان وبنجلاديش .

الأرجنتين

حفاظاً على الهوية الإسلامية فى الأرجنتين وجذباً للشباب المسلم للعمل فى حقل الدعوة الإسلامية . يقام هناك عدد من المخيمات الإسلامية حيث تلقى فيها بعض المحاضرات الإسلامية الهامة التى تتضمن شرحاً مبسطاً لبعض العلوم والمعارف الإسلامية إلى جانب محاضرات أخرى عن فوائد الحجاب ، ومخاطر الاختلاط ، ويؤكد المحاضرون أن الحجاب ــ زى المرأة المسلمة ــ ينبغى أن يعطى الأهمية التى تتمتع بها أزياء النساء فى بعض الدول الوثنية كالكيمونو اليابانى والسَّارى الهندى إذ يتميز عليها الزى الإسلامى بالحشمة وعدم إبراز المفاتن . ناهيك عن أن الحجاب الإسلامى تشريع سماوى حكيم يجب أن يُفضل على الأزياء الوضعية التى لا تراعى الذوق والخلق والفضيلة ، إذ لا ترتكز على أسس راسخة من العقيدة السليمة والإيمان الصحيح .

paix soit sur lui-lui répondit : "le jour de la Résurrection, tu seras jugé en fonction de la punition que tu leur auras infligée".

Le messager d'Allah-paix soit sur lui-lui demanda : "mais qu'as-tu? n'as-tu point lu le livre d'Allah-Gloire à Lui.

Nous poserons les balances exactes, le Jour de la Résurrection. Nul homme ne sera lésé pour la plus petite chose; serait-elle équivalente au poids d'un grain de moutarde, nous l'apporterions. Nous suffisons à faire les comptes [Sourate les prophètes le sens du verset 47]

L'homme dit : Ô messager d'Allah, il vaut mieux pour moi et pour eux que je les affranchisse. Je te prends à témoin qu'ils sont tous désormais libres".

Hadith rapporté par Ahmad et El Termezei

Dans ce Hadith le messager d'Allah-paix soit sur lui-nous interdit d'insulter nos serviteurs, de bien les traiter et de ne pas les humilier. Il ne faut pas les charger plus qu'ils ne peuvent supporter. Il faut les traiter sur un pied d'égalité avec les autres membres de la famille.

Rawya Ahmad Soltan

L'EGALITE EN ISLAM

par : Rawya Ahmad Soltan

Selon Wassel Al Ahdab, d'après Al Ma'rour ce dernier dit :

« J'ai rencontré Abou Dzarr à Al Rabzah. Il portait un vêtement et son serviteur portait un vêtement semblable. Comme je l'interrogeais à ce sujet, il expliqua : « une fois, j'ai insulté un homme en le raillant au sujet de sa mère. Alors le prophète-paix soit sur lui-me dit : « Ô Abou Dzarr, tu as tort de le railler au sujet de sa mère. Vos serviteurs sont vos frères qu'Allah a placés à votre service; tu dois les nourrir de ce tu manges et les habiller pareillement à ce que tu portes, ne les charge pas plus qu'ils ne peuvent supporter, sinon tu dois les aider ». Hadith rapporté par Al Bokhary, Moslem et El Termizey.

Le Sens du Hadith :-

L'Islam est la religion de la miséricorde, de la justice et de l'égalité. En effet, il n'existe pas de différence dans les droits ni dans les devoirs entre maître et serviteur, entre homme et femme. Tous les êtres humains sont également responsables devant Allah. Le prophète-paix soit sur lui-a affirmé ce principe lorsque quelques uns ont voulu intercéder en faveur d'un homme qui avait volé. Il leur a dit : « Ce qui a causé la perte de ceux qui vous ont précédés-c'est que lorsqu'un noble d'entre eux volait, ils le laissaient, tandis que lorsqu'un faible volait, ils lui infligeaient le châtiment. Il jure par celui qui détient la vie de Mohamad entre ses mains que si Fatma, fille de Mohamad, volait, je lui couperais la main. »

Le Coran conseille aux musulmans d'avoir pitié des faibles et des nécessiteux. Observons la parole divine : « Adorez Allah ! Ne Lui associez rien ! Vous devez user de bonté envers vos parents les proches, les orphelins,les pauvres, le voisin qui est de votre famille et le voisin qui ne l'est pas, le compagnon qui est proche de vous; le voyageur et vos esclaves. Allah n'aime pas celui qui est insolent et plein de gloriole [Sourate les femmes, le sens du verset 36]

Le prophète-paix soit sur lui-nous ordonne de pardonner au serviteur quand il agit mal. Selon Ebn Omar (a.s.l.) "Un homme est venu voir le prophète paix soit sur lui-il lui a dit : « mon serviteur se conduit mal et commet des injustices, dois-je le frapper! Il lui a répondu : pardonnes-lui soixante dix fois par jour ».

Hadith rapporté par El Termezei

Selon Aïcha (a.s.e) : "Un homme est venu voir le prophète-paix soit sur lui-et il lui a dit : « J'ai deux serviteurs qui me mentent, me trahissent, me désobéissent; je les insulte et je les frappe, comment dois-je les traiter, Ô messager d'Allah? le prophète-

Dans les deux Sahihs, Abdallah Ebn Omar (A.s.l.) a dit : "Alors que les gens accomplissent la prière de l'aube à Qibâa, quelqu'un arriva et leur dit : "Le Messager d'Allah (paix soit sur lui) a reçu l'ordre de s'orienter vers la Ka'ba faites de même. Or, comme ils avaient le visage tourné vers Al Cham (Jérusalem), ils se tournèrent vers la Ka'ba. Dans un Hadith rapporté par Al Nisaï, d'après Sa'ïd Ebn Al Ma'ali, il est dit que la première prière où les fidèles s'orientèrent vers la Ka'ba fut la prière de midi (Al Dzohr). Les transmetteurs de hadiths et de la Sira (la vie du Prophète Mohammad (paix soit sur lui) ont certifié que l'ordre divin de changer l'orientation de la prière vers le Sanctuaire sacré de la Ka'ba eut lieu au mois de Cha'ban de la deuxième année de l'Hégire.

Parmi les mérites de ce mois béni, on rapporte également que durant la quatorzième nuit de ce mois le prophète (paix soit sur lui) pliait les actes de dévotion les prières et les invocations ce qui prouve le mérite de cette nuit du quatorze Cha'ban.

Dans un Hadith rapporté par Al Tabarani et Ebn Haban d'après Mo'az Ebn Djabal A.s.l.) le Prophète (paix soit sur lui) a dit : "Allah observe toutes Ses créatures durant la nuit de mi-Cha'ban. Il pardonne à toutes Ses créatures sauf aux polytéistes et aux mécréants sceptiques ?

Tous ces hadiths, et bien d'autres encore, vantent le mérite de la nuit de la mi-Cha'ban et invitent les musulmans à s'appliquer à y obéir aux enseignements d'Allah et à jêuner ce jour-là avec l'espoir d'obtenir la miséricorde d'Allah et Son pardon et de gagner Sa grâce. Ainsi ils recevront les bienfaits illimités qu'Allah octroie à celui de Ses serviteurs qui se repentit et se confie à Lui. Car Allah - Gloire à Lui, rétribue sans réserve les soumis, les repentants et les jeûneurs. Le meilleur moyen d'adorer Allah durant cette nuit sainte c'est de prier, de réciter le coran, de faire des invocations avec humilité et dévotion, les meilleurs invocations sont celles que le Coran nous a enseignées.

Dr. Rokeya Mahmoud GABR

LE CHANGEMENT D'ORIENTATION DE LA KIBLAH ET LE MERITE DU MOIS DE CHA'BAN

par Dr Rokeya Mahmoud Gabr

Le changement d'orientation de la prière vers la Ka'ba (alors qu'auparavant on se dirigeait vers la Mosquée de Jérusalem est un évènement qui confirme le mérite du mois de Cha'ban.

En effet, le Messager d'Allah aimait souvent à jêuner durant ce mois, car c'est un mois particulièrement cher aux musulmans.

Les musulmans du monde entier sont invités à profiter de l'arrivée de ce mois saint pour accomplir des actes de dévotion et pour implorer la miséricorde d'Allah et Son pardon. On sait que tous les musulmans fêtent la veille du jour de la mi - Cha'ban. Dans un hadith rapporté par Al Nissaï, d'après Ossama Ebn Zaïd (qu'Allah soit satisfait de lui) ce dernier dit au prophète (paix soit sur lui): "Ô Messager d'Allah, je ne t'ai jamais vu jêuner autant de jours que ceux que tu jêunes durant le mois de Cha'ban. C'est que répondit le prophète (paix soit sur lui : "C'est un mois que les gens négligent parce qu'il vient entre les mois de Ragab et Ramadan. Or, c'est un mois où les actions des hommes sont présentés à Allah et j'aimerais que mes actions soient exposées devant Allah alors que je suis en état de jêune.

Parmi les évènements grandioses qui ont eu lien durant ce mois sacré, on peut rappeler le changement d'orientation de la Qiblah vers laquelle les fidèles se dirigent durant la prière (du temple de Jérusalem à la Ka'ba).

On cite dans les deux Sahihs, d'après Al Barrâa Ebn Azeb (qu'Allah soit satisfait de lui) que le Messager d'Allah (paix soit sur lui) avait privé durant seize ou dix sept mois tourné vers le temple de Jérusalem. Or, le prophète (paix soit sur lui) aimait à se trouver vers la Ka'ba. C'est alors qu'Allah révéla les versets suivants :

(Nous te voyons souvent la face tourné vers le ciel; Nous t'orientons vers une Qibla qui te plaira) Sourate "La Vache, les sens du verset 144. Certains insolents c'est-à dire les juifs dirent :" Qu'ont-ils à se détourner de la Qiblah vers laquelle ils se dirigeaient auparavant ? (Dis : l'Orient et l'Occident appartiennent à Allah. Quel que soit le côté vers lequel vous vous tournez, la face d'Allah est là - Allah est Présent partout et Il sait) Sourate "La Vache", le sens du verset 115.

Un homme qui avait accompli ce jour - là la prière avec le prophète (paix sur lui) étant sorti après la prière, passa devant un groupe des Ansars, qui accomplissaient la prière d'Al Asr tournés vers le Temple de Jérusalem. Il leur dit et leur jura qu'il avait fait la prière avec le Messager d'Allah (paix soit sur lui) et ce dernier s'était dirigé vers la Ka'ba. Aussitôt les Ansars se tournèrent pour se diriger vers la Ka'ba.

LES MERITES DE LA NUIT DU DESTIN

La vingt-septième nuit du mois de Ramadan est appelée la nuit du destin. C'est en cette nuit bénie qu'Allah a fait descendre le Coran et l'a placé dans le ciel le plus proche de nous. Ensuite, pendant vingt-trois années que dura la mission du prophète-salut et bénédiction sur lui-le Coran fut révélé au prophète verset par verset. Chaque verset est semblable à une étoile descendue du ciel pour éclairer et guider les croyants.

Allah-gloire à lui : «nous avons fait descendre le Coran dans la nuit du destin. Et que sais-tu de la nuit du destin? La nuit du destin a plus de mérite que mille mois. Celui qui passe la nuit du destin en prières, récitant du Coran et invoquant Allah obtient donc la même rétribution que celui qui aurait adoré Allah pendant mille mois.

Le messager d'Allah-salut et bénédiction sur lui-nous a dit : «celui qui passe la nuit du destin en prières, avec dévotion et espoir de récompense, toutes ses fautes passées lui seront pardonnées.''

Ebn Abbas (qu'Allah soit satisfait de lui-un des compagnons du prophète et qui avait appris le Coran a rapporté durant cette nuit bénie. Allah ordonne à gibril de descendre sur terre avec 70.000 anges du paradis. Ils emportent avec ceux des étendards de lumière qu'ils plantent sur terre en quatre endroits sacrés : sur la Ka'ba, sur le tombeau du prophète-paix soit sur lui-sur la mosquée de Jérusalem et sur le mont Sinaï. Ensuite gibril ordonne aux anges de se disperser sur toute la terre. Ils entrent alors dans chaque mosquée, chaque maison, chaque chambre où se trouve un croyant ou une croyante veillant pour invoquer leur Seigneur. En tous ces lieux les anges apportent aux croyantes et aux croyants les bénédictions d'Allah, et se mettent à prier avec eux et à demander à Allah le pardon.

Ebn Abbas (qu'Allah soit satisfait de lui-un des compagnons du prophète le pardon et le bonheur pour eux. Donc celui qui passe cette nuit à dormirou qui passe son temps à s'amuser (devant la télé, par exemple) ne recevra pas la générosité qu'Allah accorde, cette nuit à ses serviteurs. Un des mérites de cette nuit, c'est que la paix y règne partout si bien que même les chiens n'aboient pas. Le messager d'Allah-salut et bénédiction sur lui-nous a recommandé de dire et de répéter l'invocation suivante au cours de la nuit du destin «Ô Allah ! Tu es Clément ! Tu aimes la clémence : fais-mois grâce».

Hoda Hussein Cha'raoui

LES MERITES DU MOIS DE RAMADAN ET DE LA NUIT DU DESTIN

par : Hoda Hussein Cha'raoui

Le prophète Mohammad (salut et bénédiction sur lui) a dit. « Le mois de Ramadan est arrivé à vous ! C'est un mois de bénédiction : Allah-Gloire à Lui, vous couvre de Sa protection et fait descendre Sa miséricorde. Il absout les péchés et exauce les invocations. Allah-Gloire à Lui-vous observe pendant que vous rivalisez d'ardeur pour mériter Son approbation et Il vous loue auprès de Ses anges. Présentez à Allah ce qu'il y a de meilleur en vous, car est bien malheureux celui qui n'obtient pas la miséricorde d'Allah — le Glorieux et le Majestueux durant ce mois.»

Donc, durant le mois de Ramadan on doit multiplier les bonnes oeuvres en observant strictement les conditions du jeûnes à la ligne. Si le jeûne nous a été imposé c'est pour que nous pensions à la vie future, au paradis, en nous efforcant d'obtenir la grâce de notre Créateur. Or, on voit des gens qui, dès qu'ils ont terminé leur journée de jeûne, ne pensent qu'à s'amuser. S'ils sont si vite oublieux de leur seigneur, c'est sans doute qu'ils n'ont pas compris pourquoi ils ont jeûné !

Au cours de la nuit, on doit faire des prières surérogatoires, réciter le Coran et invoquer Allah avec toutes les formules d'invocations. C'est en raison de cela que, pendant les nuits du mois de Ramadan, il est recommandé de se rendre à la mosquée pour accomplir en commun les prières appelées « Tarawih ». Le prophète (salut et bénédiction sur lui) a dit : "Pour chacune des prosternations accomplies par le serviteur croyant qui prie au cours d'une des nuits du mois de Ramadan, Allah inscrit 1500 bonnes oeuvres « haçanat » et lui réserve au paradis un palais de rubis rouge.» Les prières de Tarawih se font juste après la prière obligatoire de la nuit close (Al'Echa). Les « Tarawih » comportent habituellement huit inclinaisons effectuées par groupes de deux. Après les "Tarawih", on prie le "Chaf' qui est une prière comportant deux inclinaisons et le « witr » qui ne comporte qu'une seule inclinaison. Ensuite on rentre chez soi pour se reposer. Si l'on habite loin de la mosquée, on fait ces prières en famille, ou même tout seul. Le prophète-salut et bénédiction sur lui-a dit : « Celui qui jeûne et qui veille avec dévotion et avec l'espoir d'une rétribution se purifie de ses péchés et redevient aussi pur qu'il l'était le jour où sa mère l'a mis au monde".

Transmitted by Al-Bukhari and Muslim.

The purpose of this condition, according to some well-versed commentators, is to avoid a rash and a hasty procedure on the part of the husband through aversion arising from the wife's impurity. Moreover by fixing a long period of abstinence to give him apportunities to reconsider his decision about the divorce, this, perchance, may make him repent and exercise the right of return before the expiry of the therm 'iddah'.

4. **The repudiation must be carefully intended by the divorcer, either husband or judge, before pronouncing it. A man may utter the word of repudiation under the pressure of threat or forcibly, or when he is in a condition of strain that may cause the loss of consciousness during which intention of divorce does not exist. In such cases, and according to some schools of law, in the case of intoxication, repudiation is not regarded applicable. Umar Ibn el-Khattab reported the Prophet as having said :**

'Actions must be judged according to intentions, and for every person is what he intends to achieve.' Transmitted by al-Bukhari and Muslim.

5. **The expression of divorce such as 'you are divorced' is either stated by word of mouth or through any action which amounts to the same thing, like writing. The repudiation which is stated by word of mouth is divided into two :**
a. Explicity. b. Implicity.

The explicit utterance of divorce is that the word 'divorce' or its derivation is pronounced. Hence 'divorce' is applicable. The implicit word of mouth of divorce is either manifest or equivocal. The manifest expression which is like saying : 'You are free' is considered applicable if the divorcer means divorce by saying that, and the wife understands what he means. The equivocal expression, such as saying 'Go away' is not regarded applicable.

The expression of divorce, if put into a form of writing, should be meant as a divorce and should be signed by the divorcer himself if he wants it to be applicable.

Abu Hurairah reported Allah's Messenger as having said :

'There are three matters which, whether undertaken seriously or in jest, are treated as serious : marriage, divorce and taking back a wife after a divorce which is not final.
Transmitted by al-Termidhi and Abu Dawud.

To be continued

DIVORCE IN ISLAM
PART III

By : MUHAMMAD HIGAB

Conditions of Divorce :

Islamic Law, protecting the woman's right, intending to prevent a permanent breach, and trying to save married life from destruction and children from vagrancy, has imposed conditions on the exercise of the power of divorce :

1. The Husband, being a Muslim, mature and in full possession of his faculty, should pronounce, when divorce is resorted to, only one repudiation. Although most of the Muslim schools of Law consider the repudiation of the wife three times at one instance as one repudiation only, it is still absolutely prohibited for the husband to do so.

   According to the Sunnah :

   "Rukana Ibn Abd Yazid said he divorced his wife Shuhaima three repudiations at one instance, and when the Prophet was informed of that, the man said : 'I swear by Allah that I meant it to be only a single utterance of divorce.'
   Allah's Messenger asked him if it was so, and when he assured him that it was, he restored her to him. Then the man divorced her in the time of Umar, and the third time in the time of Uthman" Transmitted by al-Tirmidhi and others.

   The object of this limitation is to give the couple the opportunity to come to their senses within the wife's 'iddah' (waiting period) and revoke the repudiation. Perhaps the husband has pronounced it in a moment of excitement or strain. No doubt, this corresponds with the text of the Qur'an : 'Divorce may be practised twice.' and after each time the husband is allowed to be reunited with the woman concerned.

2. The second condition is that the repudiation must be pronounced when the wife is in the state of purity in which she had not been approached sexually.
3. The husband must abstain from sexual intercourse with his divorce as soon as the repudiation is pronouonced.

   There is a tradition of accepted authority that throws cosiderable light on the wisdom underlying the last two restrictions :

   "Abdullah Ibn Umar divorced his wife when she was menstruating. When Umar mentioned the matter to the Prophet he became angry and said : 'Let him take her back and retain her till she be pure and again have courses and again gets pure. Then if he thinks it prudent, let him divorce her, but he should do so when she is clean and has not been approached : and this is the period of retirement 'iddah' which Allah has ordered for divorce'.

b) Additions

Some utterances of the Qur'an have more than one meaning. The translator in such case should not select any of the interpretations and add it in the translated text. Any interpretation he sees relevant shold be disclosed in note or appendix. Such additions affect the communicative meaning as well as being quite disconcerting to a reader interested in consulting several translations. Examples of such additions are found in the following instances :

In verse (7) يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ is rendered by the translators as follows :

Picthall : (It was said unto him) : O Zachariah ! Lo! We bring thee tidings of a son.

Y. Ali : (His prayers was answered) : "O Zakariya ! We give thee good news of a son :

Arberry : O Zachariah, We give thee good tidings of a boy,

Asad : (There upon the angels called out into him) : O Zachariah ! We bring thee the glad tiding of (the birth of) a son).

Khatib : O Zachariah, We give you glad tidings of a boy.

Exegetes differed as to whom called Zachariah; the majority proclaim that is Allah Who called Zacchariah out for he was supplicating and calling upon Him in the preceding and the following verses. In the preceding verses Zachariah prays : "My Lord! Infirm indeed are my bones"; "never yet, my lord, has my prayers unto thee remained unanswered; and "Bestow upon we a kinsman"; and in the following verse, "O my Lord, how shall I have a son." Some commentators, however, claim that it is the angel who called Zachariah out. Asad's addition of the sentence (Thereupon the angles called out unto him) at the beginning of his translation of this verse mismatches the communicative effect intended by the original. Besides, the ambiguity in this verse called be intentional. Asad should have either used a passive sentence as found in Pickthall's and Y. Ali's translations, or he could have literally rendered the verse as Arbery, and Khatib did.

c) Omissions

From the comparison of the five translations of Surah "Maryam" with the original we do not find any omissions on the part of the translators which might affect the communication of the message of the St.

To be continued

have separate shades of meaning that may render one or the other more appropriate and communiucatively effective in a particular context. The verb وهب is mentioned in four instances in Surah "'Maryam", in verses (19, 49, 50, 253), as follows :

— قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾

— فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾

— وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

— وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

The translators render the different forms of the verb وهب in all these instances as follows :

		(V. 19)	(V. 49)	(V. 50)	(V. 53)
Pickthall	:	bestow	gave	gave	bestowed
Y. Ali	:	announce	bestowed	bestowed	gave
Arberry	:	give	gave	gave	gave
Asad	:	bestow	bestowed	bestowed	granted
Khatib	:	give	conferred	bestowed	vouchsafed

In verse (19), according to Zamakhshari, and other exegetes Jesus was bestowed as a gift upon Maryam and mankind. She neither expected nor asked for a son. From the different renderings of the verb أهب above mentioned, we find that "bestow" used by Pickthall and Asad, which implies a greater formality of expression than "give," is more appropriate. However "announce" which means to make known or to deliver news, renders a different meaning, and the equivalence of which in Arabic is أعلن not أهب

In verse (49), according to Tabari and other exegetes, Allah conferred upon Abraham, Isaac and Jacob and He made each of them a prophet because they deserved that as a compensation after they had abandoned the idiolators. Hence, "conferred" used by Khatib which, according to Oxford Dictionary implies that the thing given either is deserved, is proper or suitable to the receiver for some other reason or is more appropriate than either "gave" or "bestowed."

In verse (50), according to Tabari and other exegetes, the pronoun in the word و هبنا in :

وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا

here referes to Abraham, Isaac, and Jacob who were made prophets by Allah. He bestowed upon them from His mercy and also were highly praised. Hence, "vouchsafe" which, according to oxford dictionary, means to give or grant in a gracious manner, would have been more appropriate than "gave" or "bestowed" used by the translators.

In verse (53), however, وهبنا in : وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا
according to Razi and other exegetes refers to Allah's grant of Aaron in response to Moses supplications to give him a supporter from his family. Hence, "granted" rendered by Asad which, according to Oxford Dictionary, implies that something is given often in response to supplication, is more appropriate than "bestowed," gave or "vouchsafed" rendered by the other translators.

A comparative study of the English Translations of the Meanings of Surah Maryam. PART III A

By Mona Abdel Ghaffar Salem

COMMUNICATIVE MISMATCHES

In translating a text, the translator attempts to produce in the ultimate receptors a similar response or equivalent effect similar to that of the original receptors. However, in transferring the message of the Qur'an into another language, the translator can not even hope to create the same impression or effect as that made by the original on its hearers or readers. Yet he tries hard to produce a translation taht might give at least the tone and intention as accurately as possible. Mismatch of communicative effect may play a crucial role in not convering the original intent clearly and accurately. So this part on translation quality assessment will deal with communicative mismatches of the five translations as compared with the original. It will be subdivided into lexical mismatches and stylistic mismatches which result in a mismatch of communicative effect. The former will be concerned with those instances of lexical mismatches such as substitutions, additions and omissions which affect the communicative affect of the source text and consequently the quality of the translated text. The latter, however, will deal with the mismatches of rhetorical devices such as ellipsis, metaphor, and "iltifat", all of which cause great problems to the translators who are keen to transmit aptly the semantic as well as the communicative effect, both are very much needed in any translations of the Quran.

LEXICAL MISMATCHES

In this part, lexical mismatches will be subdivided into a) substitutions, b) additions and c) omissions. Substitutions will be concerned with the lexical itmes that are though semantically corect, yet deviuate in the communicative effect. In those instances of substittuions the translator has selected one word out of different words taht are not substitutable one for the other in any and all contexts. Though these words are not identical in meaning, they do over lap in, at least, certain contexts without significant changes in the conceptual content of the utterance. However, that does not rule art certain communicative differences in the use of one term instead of another. Mismatch of the communicative effect of lexical items could be also due to additions. The translator's addition of certain words or phrases could affect the communicative message of the St. The same is true of omissions, the omission of lexical items from the St. could again affect the communicative aspect of the St.

a) Substitutions

In Surah "Maryam" the translators interchangeably use the words "below" "give" "grant" "confer" "vouchsafe" "accord" for the verb. وهب These words

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66, Part IX
Ramadan, 1414 Hijrah

EDITOR : Dr. TRANDIL HUSSEIN EL RAKHAWY. PHD

CONTENTS

1. A comparative study of the English translations of the Meanings of Surah Ma ryam part III A.
   By : Mona Salem Abdel Ghaffar
2. Dirvorce in Islam part III.
   By : Muhammad Higab.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

- الافتتاحية (الأزهر والفحص والنقد)
  فضيلة الدكتور / على أحمد الخطيب ١٢٨١
- مع الإمام الأكبر
  الصيام وآثاره ١٢٨٤
  فتوى فى حكم اختلاط الخنثى المشكل . ١٢٨٨
- مع سورة الأنفال
  لفضيلة الدكتور / عبدالجليل شلبى ١٢٩١
- الرياء يمحق العبادة
  لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم ... ١٢٩٦
- إمام القادة ـ صلى الله عليه وسلم ـ
  للواء أ.ح محمد جمال الدين محفوظ ١٣٠٠
- رواية الحديث وعلاقته بالنحو
  للأستاذ / جمال عبد العزيز أحمد ١٣٠٤
- الربا .. الحزن الممتد
  للواء أ. ح.د. فوزى محمد طايل ١٣٠٩
- شهر عظيم وكتاب كريم
  لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان ١٣١٥
- الإنسان والشيطان
  أ.د. كارم السيد غنيم ١٣٢١
- الصيام فى الإسلام
  فضيلة الشيخ سيف النصر عبدالعزيزالمجلى ١٣٢٧
- حقوق الزوجة فى الإسلام
  أ. / عبير محمد عبدالواحد ١٣٣١
- العالم الإسلامى المعاصر
  د. / زينب الأشوح ١٣٣٦
- معالجة مشكلة البطالة
  د. / سهير حسن عبدالعال ١٣٤١
- الفتاوى
  إعداد الأستاذ / عبد المنعم فودة ١٣٤٨
- من أعلام الأزهر « الشيخ سعد الدين العلمى »
  للمستشار محمد عزت الطهطاوى ١٣٥٠
- من روائع الماضى بمجلة الأزهر
  إعداد الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات ١٣٥٤
- طرائف ومواقف
  للأستاذ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم .. ١٣٥٨
- الشعر والشعراء
  إشراف الأستاذ/ رشاد محمد يوسف!... ١٣٦٠
- قراءة إسلامية فى كتاب الكون
  أ.د. / أحمد فؤاد باشا ١٣٧٢
- المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية
  أ.د / منصور محمد حسب النبى ١٣٧٧
- الجديد فى العلم والتقنية
  إعداد د. / نجوى السيد أحمد ١٣٨٣
- البحث النحوى عند الإمام النووى
  دكتور / محمد عبدالقادر هنادى ١٣٨٦
- مستقبل الثقافة فى مصر
  أ.د. / محمد رجب البيومى ١٣٩٣
- مسيرة الوحدة الموضوعية
  للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ١٤٠١
- أطفال البوسنه الأبرياء
  عرض وتقديم الأستاذ عادل خفاجة ... ١٤٠٧
- بين المجلة والقارئ
  إعداد د. / محمد عبد الحكيم محمد ١٤١٣
- أنباء مكتب الإمام الأكبر
  للأستاذين/ عمر البسطويسى
  ومصطفى عبد المجيد ١٤٢٠
- إدارة الإعلام الدينى فى مؤتمر عام
  للشيخ السيد عبدالمقصود عسكر ٤٢٣
- أنباء العالم الإسلامى
  إعداد الأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ١٤٢٦
- القسم الفرنسى ١٤٣٣
- القسم الإنجليزى ١٤٣٩

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين ..

مكتبة الأزهر

العزة بالإسلام .. خلاص المسلمين

الله - جل جلاله - « العزيز » ، وهو « رب العزة » ، وهو - وحده جل وعلا - الذي جعل للعزة جناحين : الغلبة والقوة ، فهما الطبيعتان المشكِّلتانِ للعزة ، ولا وجود لها ، ولهما ، إلا مع الإيمان الخالص - قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١) ... حَصْرٌ تام لا مجال للعزة في غيرِهِ .

هي لِلَّهِ - عزَّ وَجَل - لأنه « المؤمن » .. تاج من تيجان أسمائه الحسنى . سبحانه وتعالى .

وهي لرسوله - صلى الله عليه وسلم - فإنه أكمل المؤمنين ، وأوَّلُ المؤمنين . ثم هم التابعون ، قال - تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة البقرة - ٢٨٥

هكذا . لم تنفصل العزة عن الإيمان ، ولا كانت إلا بالله : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ سورة فاطر - آية : ١٠

---

(١) سورة المنافقون : آية ٨

ولا كانت دون غلبة ولا قوة ، فإنهما العزةُ عينها التى جعلها الإيمانُ ترسو على قاعدة صلبة من العدل والحق والتواضع ؛ فصحبها الفلاح الدائم ، قال ـ تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾
(ســورة المؤمنون)

إن عزة المؤمنين عزة وَحْدَةٍ لا شقاق فيها ولا نفاق ... إنها على نقيض عزة الكافرين . قال ـ تعالى :
﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ سورة ص ـ آية : ٢

عزة الوحدة ، لا يطلبها من غير الله ـ تعالى ـ إلا ذليل .

ولقد أحب الله للمسلمين أن يكونوا أعِزَّة فأمرهم بممارسة العمل فى مصادر العزة ... وكشف لهم بأوضح وضوح ـ هدفَ أعدائهم . فقال ـ تعالى ـ فى الأولى :
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ سورة الأنفال ـ آية : ٦٠

وحذرنا من نقضها فقال ـ عز من قائل : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾
سُورَةُ الأَنفَال : ٤٦

وكشف ـ لنا ـ عن هدفهم بقوله ـ سبحانه : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ سورة البقرة ـ آية : ٢١٧

إن العدو فى تآمرٍ ضدنا إلى يوم القيامة ، فيجب أن تكون قوتنا صامدة إلى يوم القيامة ؛ إذ الاستمرار نصّ فى الآية الكريمة فى قوله ـ تعالى : « ولا يزالون » وفى ذلك تحذير من خَوَرٍ يُصاب به المسلمون فيكون ثغرة يلجها الأعداء المتربصون دائماً ، فلا ننال منهم سلاماً ، ولا تأخذهم بنا شفقة ولا رحمة ، وفى ذلك يقول ـ عز وجل : ﴿ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ سورة التوبة ـ اية : ٨

ولقد حدثت الثغرة ونزل العدو فتكاً بأطفالنا المسلمين فى (سوق سراييفو) بالأمس القريب ، وكَرَّ بمذبحة ـ أخرى ـ فى مسلسل مذابحه ـ بفلسطين بالمسجد الإبراهيمى ، وتغمرنا الصحافة الإنجليزية بسيل من احتجاج عنيف ضد هذا « المجنون » الذى قام بهذه العملية فى المسجد الإبراهيمى .

جعلوه (مجنوناً) يا قوم حتى من قبل إيقاع الكشف الطبى عليه ...!! وعلى الضحايا العفاء
ومتى كان المجنون مجرماً ..؟.. وعند من تكون ديةُ هذه الأرواح ..؟
أعند الأمم المتحدة بشرعيتها الدولية ..؟

أم عند اليهود ؟
أم عند حلف الأطلنطى ..؟

فأما اليهود فهم يودون أن لو كانت الدولة الفلسطينية من إسرائيل كإمارة « موناكو » من فرنسا ، وعبرت ألفاظهم المعسولة عن الرجاء فى اتحاد بالدولة الناشئة .

وأما حلف الأطلنطى ، فمن منا يستطيع أن ينكر ما أذاعه الغرب نفسه عن وظيفة هذا الحلف بعد أن تفتت الاتحاد السوفيتى ، فاستبقاه القوم ؛ لأن الإسلام أشد خطراً عليهم من الشيوعية .. ؟

من منا يستطيع أن ينكر هدف الأطلنطى ؟! وها هو ـ الآن ـ يسيطر على الأمور فى « البوسنه » . وكم نخشى أن ينال من البوسنه ما لم ينله الصرب ثم الكروات من بعدهم .
ألا .. فلنطلب إلى الله القدير ـ العزة :

ألا وحدة دولية إسلامية جامعة ترسو على قاعدتى العدل والإنصاف فتبيد بذور الشقاق ، وتنبت الثقة لتنتهى آلامنا ومرارتها ، ليفرح المؤمنون ويقولوا : وداعا أيها الحزن !!

ألا وحدة ثمَّ مجالدة للعدو دون تباطؤ ... دون تثاقل ... دون إلقاء الواجب على الآخرين منا .
وقد حذرنا ـ تعالى ـ من ذلك التباطؤ فقال ـ عز من قائل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾

سورة التوبة

﴿ ... انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

سورة التوبة ـ آية : ٤١

والله خير الشاهدين ..!!!

د. علي أحمد الخطيب

مع الإمام الأكبر

جوائز الصوم في يوم عيد الفطر

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ / جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهـــر

هذا يوم عيد الفطر له حرمته وأحكامه فى الإسلام ؛ فقد حرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صوم يوم عيد الفطر فهو من خصوصيات المسلمين كما يشير إلى ذلك حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى رواه أبو داود والنسائى عن أنس : قال : قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما . فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منها : يوم الأضحى ، ويوم الفطر » . فهما يوما ذكر وشكر وفرح بنعمة التوفيق للطاعة بدلا من يومى اللعب واللهو والصخب .

فهذان اليومان جائزة من الله لمن اتقاه ، وأدى العبادة التى كلف بها .

ونحن نستقبل اليوم عيد الفطر المبارك .. أقدم فيه التهنئة إلى الأمة الإسلامية فى كل مكان على أرض الله ؛ باعتباره يوما استكملوا قبله فرضا من فرائض الإسلام ؛ فهو يوم البشرى والسرور بفضل الله وتوفيقه بصيام شهر رمضان الذى وصفه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله :

« شهر كتب الله عليكم صيامه ، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ..

هذا العيد : يوم يستروح فيه المسلمون بعد تمام فريضة الصوم وتعم فيه الفرحة جميع المسلمين ، الصغير ، والكبير ، والغنى ، والفقير ، وهو يوم صدقة الفطر ، ويوم عطف وإحسان .. يخرج فيه الغنى بصدقته ساعيا إلى أخيه الفقير لا يبتغى إلا ثواب الله ورضوانه .

يوم تقرب فيه القرابة ، وتوصل فيه الأرحام ، ويلتقى فيه المسلمون على صفاء القلوب ونقاء الضمائر .

هذا يوم ينبغى لنا أن نجدد فيه الأمل ، ونفتح باب الرجاء فى الله تجاه أحداث الأمة الإسلامية .

إن الرجاء فى الله أن يرفع عن المسلمين ما نزل بهم من كربات ، ويجمع كلمتهم على الإخاء والتناصر ، ويأخذ بأيديهم إلى سبل الأمن والنجاة ، فتشفى قلوبهم من الفرقة التى ضيعتهم وأغرت بهم أعداءهم .

إن المحنة تلد المنحة ، وإن الله ـ تعالى ـ يدعونا فى مثل هذه المواقف إلى الأمل والعمل .. الأمل فى الله مهما عظم الخطب أو كثرت النوائب . لنقرأ قول الله ـ سبحانه ـ :

﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ .. ﴾

آل عمران : ١٣٨ ـ ١٤٠

ذلكم الأمل ..

أما العمل فهو لما ينفع المسلمين فى دينهم ودنياهم ، وجماع ذلك كلمة التقوى وفى قول الله ـ عز شأنه ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

الأنفال : ٢٩

لنأخذ من عبادتنا المفروضة الوسيلة إلى الوحدة ، وحدة الهدف ، ووحدة العمل حتى يتحقق فينا وصف القرآن وما طلبه منا ربنا فى قوله ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ .

المؤمنون : ٥٢

ولنأخذ من شهر رمضان طهرة لقلوبنا من البغضاء والأحقاد ونعى ما حاق بنا بتفرقنا فقد تخطفتنا الأمم من حولنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ما أحوجنا نحن المسلمين – فى هذا العصر – إلى أن نفهم أعيادنا فهما صحيحا نستقبلها به حتى تكون أيامنا سعيدة رشيدة عاملة تنبه فى نفوسنا عزائم الأمور ، ولا يكون أكبر همنا فيها تجديد الثياب وتوزيع الفراغ ، إذ العيد هو المعنى الاجتماعى والإنسانى الذى يكون فى يومه لا اليوم نفسه .

العيد فى الإسلام إشعار هذه الأمة بأن فيها القدرة على تغيير الأيام ، لا شعورها بأن الأيام تتغير إيمانا بقول الله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

الرعد : ١١

وبذا يكون العيد يوما تحرص فيه الأمة على إبراز جمال نظامها الاجتماعى ، فيكون يوم الشعور الواحد لدى نفوس المجتمع ، والكلمة الواحدة فى ألسنة الجميع ، وليس العيد فى الإسلام إلا توجيه الأمة وتعليمها كيف تتسع روح الجوار وتمتد حتى يصير البلد الواحد من بلاد المسلمين وكأنه دار واحدة فيها كل عناصر وسمات الإخاء العملى ، وتستعلن فضيلة الإخلاص ويتبادل الناس الهدايا وإن تباعدت منازلهم وأقدارهم ، والعيد بهذا يكون مناسبة لإظهار الذاتية والخصائص الاجتماعية للأمة حتى تكون متميزة بطابعها الشعبى مميزة عن غيرها من الأمم الأخرى ، تأكل وتلبس من عمل يدها معتزة بصناعاتها وبكافة منتجاتها مستبصرة بمستقبلها حفية بكبارها ، رحيمة بصغارها ، تعمل الصفات الإنسانية فى جموعها عمل الحليف لحليفه لا عمل المنابذ لخصمه . فالعيد تخل عن كل حقد وغل وحفيظة ، وتحل بكل كمال ومودة .

فبالصوم تعالت النفوس فوق الشهوات والشبهات وصبرت وصابرت وثابرت حتى أكملت العدة واستبشرت باستكمال المدة وتلك قاعدة هذا الدين – الإسلام – ألّا يستسلم المسلم لِلْوَهْم أو الْوَهَن أو الضيق والحزن وإنما يغالب المصاعب إذا واجهته حتى تنقشع عن ساحته ويحل الفرج واليسر .

لقد كان الصوم تدريبا على قوة العزيمة وحزم الإرادة ، وذلك ربح عظيم يعود بالخير الوفير لو أننا استثمرناه فى مستقبل الحياة ، والعيد بهذا صوت القوة يهتف بالأمة أن هذا يوم الأفراح بعيدا عن الأتراح ويوم النصر بعيداً عما كان من القهر .

إن الرجاء فى الله العلى الأعلى أن يرفع عن المسلمين ما نزل بهم من كربات ، ويجمع كلمتهم على الأخوة المتناصرة ويأخذ بأيديهم إلى سبل الأمن والنجاة ، فتشفى قلوبهم من الفرقة التى ضيعتهم وأغرت بهم أعداءهم .

إن على الأمة الإسلامية أن تذكر فى هذا اليوم – يوم عيد الفطر – تلك الشعوب الإسلامية التى

تكافح لاسترداد حقوقها المسلوبة فتساندها وتمدها بما يعزز قوتها حتى تصل إلى غايتها ، وأن ترعى أولئك الذين طردوا من ديارهم والذين أصابهم القحط ، وليكونوا لهؤلاء وأولئك سندا ومددا بما يقيم الحياة ويعين على النجاة وفاء بحقوق الأخوة .

نعم : ليذكر المسلمون ـ شعوبا وحكومات ـ أولئك الذين أخرجوا من ديارهم وشردوا وعذبوا وأوذوا لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا الله وديننا الإسلام : فى البوسنه والهرسك ، فى الهند ، فى بورما ، فى كشمير .

وليضموا صفوفهم ، وليجمعوا أمرهم وكلمتهم ، فإن يد الله مع الجماعة وأن الرماح إذا تفرقت وتخاذلت تكسرت ، وأن العدوان على أرض المسلمين وأهلهم ، واغتصاب نسائهم ، وتشريد أطفالهم ، إنذار من أولئك الذين أقدموا على هذه الأعمال الوحشية ، أنهم ماضون فى هذا الطريق اغتصابا للأرض وللعرض ، وأن على المسلمين أن يصمدوا أمام هذه الهجمة الشرسة ، أن يذكروا أن حماية الدين والنفس والنسل والمال والعقل من ضرورات الإسلام ، وأن ... الدفاع عنها كلا أو بعضا فرض حتم وأن على الأمة الإسلامية أن تقف مع النفس وأن تذكر ذلك المثل « أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

اليوم عيد الفطر :

به تكون أمة المسلمين قد ودعت شهر رمضان الذى تراءت ثمرات صومه وتوافرت ، الصوم : تهذيب ، وتأديب ، وتدريب ..

فيه يكون الناس شعوراً واحدا ، وحسا واحدا ، وطبيعة واحدة ، ويكمل الصوم بقوة الإرادة وباستجابة لطاعة الله ، فتحول بين البطن وماتبتغى من مادة وسائر الشهوات ، وبهذا يضع الصوم الأمة المسلمة كلها فى حالة نفسية واحدة تلم بأنفس المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها ، وتتعلم منه هذه النفوس الرحمة ، والمساواة بين الغنى والفقير ، إذ هذه الرحمة تنشأ عن الألم وهذا بعض الحكم الاجتماعية للصوم حيث يبالغ الصائم أشد المبالغة ، ويحتاط كل الحيطة فى منع الغذاء وشبهه عن البطن . جهد الطاقة وهذه طريقة عملية لتربية الرحمة فى الإنسان ، ومتى تحققت رحمة الغنى للجائع الفقير كان للكلمة الإنسانية الداخلية (الجوع) سلطانها النافذ فيبادر الغنى الجائع إلى الاستجابة لمواساة الفقير ، ودفع جوعه الذى أحس به بصومه .

فى الصوم ثمرة الثمرات إذ به تتربى الإرادة وتقوى بهذا الأسلوب العملى ، حيث يتدرب الصائم على أن يكف نفسه باختياره عن شهواته وملذاته الحيوانية مصابراً نفسه مزاولا فى كل ذلك أفضل الطرق لاكتساب الفكرة الثابتة التى تترسخ ولا تتبدل وتلك منزلة اجتماعية سامية تقتل التردد فى الفكر وفى العمل .

والمسلمون حين يودعون شهر رمضان باستقبال عيد الفطر ينبغى أن يتساءلوا مع أنفسهم : هل حالكم يوم تودعونه خير من حالكم يوم استقبلتموه ؟

وهل تشعرون بأنكم قد أديتم هذا الركن من أركان الإسلام فأصبحت نفوسكــم أطهــر وأخلاقكم أكرم وأهواؤكم أرفع ؟ وهل به أصبحتم أشد قربا من الله وتحققت لديكم قوة المراقبة لله (الوازع الدينى) الحارس الأمين وهل توثقت صلتكم بالناس وملأت الرحمة قلوبكم وارتديتم الصبر عند الجزع والفزع وطبتم نفسا بالحياة ؟ لعلنا نحن المسلمين الصائمين الصابرين نجيب بالإيجاب .

وهذا ما يدعونا أن نستثمر هذا الذى اعتدناه من خصال الخير فى كافة شهور العام ونجعلها كشهر رمضان فنستمر فى الصوم عن ظاهر الإثم وباطنه ونغل أيدينا عن الأذى ونكف ألسنتنا عن الكذب وقول الزور ، والغيبة ، والنميمة ، والقول فى الدين بغير علم ، والجرأة على الفتوى فيما لا نحسنه ونطهر قلوبنا من الحقد والحسد ، والغل ، وننزه مكاسبنا عن الحرام ، ونبرأ إلى الله من الغش فى الصناعة والتجارة والنصيحة وسائر الأعمال .

لعل صوم رمضان يثمر فينا أن نقتصد فى الإنفاق خارج بيوتنا لنوسع على أنفسنا وأهلينا بقضاء حوائجهم ، ونقتصد كذلك فى الأنس بالمقاهى والنوادى لنوفر كثيرا من الأنس بالأسرة لنُصلح من شأنها ونُهَدّىء من روعها ونتابع أولادنا .

وإذا كان السكّير قد هجر خمره طوال رمضان صائما طائعا ، فزكا بهذا قلبه وصح بدنه ، وتوافرت أمواله . فلماذا وهذه ثمرة طيبة للصوم لا يواصل العيش على هذا المنهج بعد رمضان . لاسيما وقد تربت إرادته ، وقويت عزيمته حتى انهزم أمامها إدمانه وأفاق مما أنغمس فيه من إثم وحرمات وإتلاف ، وهذا المدخن الذى استمسك ضد التدخين طوال نهار أيام رمضان فاستراح صدره وسكنت أعصابه وقويت شهوته للطعام واستفاد جسده لماذا لا يستثمر هذه الإرادة .. وتلك العزيمة عزيمة الصوم فيلغى عادة التدخين واستهلاك الأموال بالإحراق بالنار ونفخها فى الهواء .

وهذا القوى الذى تعلم الحلم والصبر من الصوم فكان يمر باللغو مر الكرام فيقابل الإساءة بالإحسان والقطيعة بالتواصل فاستقر السلام والأمن فى قلبه وسعدت نفسه بالوئام مع الناس لماذا لا يحرص على هذا الخلق الذى استفاده واعتاده ثلاثين يوما وليلة ، فيسعد نفسه ويسعد به الناس ويكون قدوة حسنة فى العالم .

وهذا التاجر الذى راض نفسه بالصوم فوقف عند حدود الله فى تجارته فأوفى الكيل والميزان ولم يقارف الاحتكار ، ولم يغش بضائعه ، ولم يغل الأسعار ورضى الله عنه بذلك الصنيع الطائع لله ورسوله ﷺ (أوفوا الكيل ولا تخسروا الميزان) « من غشنا فليس منا » « المحتكر خاطىء » أفلا يستمر فيما أرضى به ربه ، وأن يلزم نفسه ذلك فى كل أوقاته وتصرفاته بعد أن ذاق طعم الحلال وأدرك حلاوة ومذاق الحق .

ونحن المسلمين : نستقبل اليوم عيد الفطر ونودع شهر رمضان ينبغي أن نستديم خيره عبادة وسلوكا وأخلاقا وبرا وعدلا وإحسانا .

إنه شهر رياضة نفسية وجسدية وموسم استشفاء فلنروض أنفسنا على استمرار الثمرات التي اكتسبناها من صوم شهر رمضان ، ولنعتبر بذلك المريض الذى يهرع إلى الطبيب يستنصحه الداء والدواء ، فإذا ما فرض عليه طبيبه نظاما معينا للطعام ، والشراب ، والنوم ، والرياضة التزمه طلبا لشفائه فكيف وقد وصف الله خالقنا دواء لأدوائنا النفسية والجسدية صوم شهر رمضان كيف لا نلتزم هذا الدواء وثمراته .

إن الفرح بالعيد إذا امتزج بثمرات الصوم كانت المباهج وتضاءلت المثالب وكان شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن قد انصرم وبقيت ثماره زادا من التقوى للقلب وللروح وقوة الجسد وشفاء لما فى الصدور ، وعدة من الصبر والجهاد والجلاد ، والعمل المنتج المثمر زادا وعتادا لهذه المهمة .

إن الأمة الإسلامية تواجه الآن العاصفة أو الاعصار والحصار من كل اتجاه وفى عديد من المجالات فعلى الشعوب الإسلامية أن توحد خطتها وتواجه أزمتها بشجاعة جند غزوة الأحزاب دون اندفاع تنثلم به وحدة الصف .

ولقد كان أمرا محمودا هذا التحرك السريع واللقاءات العاجلة بين الزعماء وأنه يكون أمرا محمودا أن يتنادى الزعماء والملوك والرؤساء والأمراء إلى لقاء جماعى فى ظل أية مؤسسة دولية — جامعة الدول العربية — أو — منظمة المؤتمر الإسلامى — لاتخاذ إجراءات التضامن والتعاون دفاعا عن الأرض والعرض ولاحتواء عناصر الإثارة ووقف التهديدات المثارة ، دون إغفالها ، فإن وميض النار ما زال تحت التراب .

ولتتوقف المهاترات فى وسائل الإعلام ، ولتنصرف الأقلام والقنوات إلى الدعوة إلى جمع الكلمة ونبذ الفرقة والأخذ على يد من يدعو إليها ، ولتأخذ الأمة الإسلامية كافة ، شعوبا وحكومات وزعماء حذرها .

ولتصمد ولتواجه التحدى بالحكمة المقرونة بالعدة ، ولتثق الأمة بنفسها وبزعمائها حتى تجتاز هذه المحن المترادفة المتواكبة ، ولتحذر الخلاف فإنه إتلاف للقوة وتمهيد للنكبة

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ الأنفال : ٤٦

ولقد اوضح القرآن عناصر النصر فخذوا بها ولا يكن أمركم عليكم غمة .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾
آل عمران : ٢٠٠

فتوى في حكم زواج الدرزى من مسلمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد ....

فقد ورد لمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد/ جهاد يوسف البنبى - بدولة الإمارات العربية دبى ص.ب. ٦٩٩٠ كان مما جاء به :

« لى أخت فى سن الزواج ، وتقدم لخطبتها شاب من عائلة محترمة وجيدة ، حسنة السيرة والسلوك والسمعة ، تؤمن بالله ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام ، وهو ابن بلدى وابن منطقتى ، وإنى أعرفه ونعرف أهله جيداً ، فهو مستقيم فى حياته ، فيؤدى الصلاة ويصوم رمضان ، إلا أنه من عائلة درزية مسلمة ، ويشاع عندنا أن الدروز ليسوا مسلمين أو أنهم طائفة من المسلمين ..

لذا أرجو من فضيلتكم توضيح الأمر لنا من جميع نواحيه ، وحتى نكون على دراية بمن نزوج ابنتنا ، ولا أخفى عليك يا فضيلة الشيخ أنه شاب مثال للاستقامة والصدق والعمل .. وقد استمهلت الشاب حتى تفيدنى برأى الإسلام فى هذا الموضوع الهام ..

ودمتم ذخراً للمسلمين وعوناً لمن يريد أن يطلع ويتفقه فى دينه وفى كشف الالتباسات بالحقائق والبراهين ، ولكم جزيل الشكر والامتنان وجزاكم الله كل الخير .

مقدمه جهاد يوسف البنبى

الجـــــواب :

إنه قد ورد فى الكتب والأخبار من المعلومات ما يفيد أن الدروز هم أتباع أبى محمد الدَّرزى - بفتـــح الـــدال المشددة - وكانـــوا أولًا من الاسماعيلية ، ثم خرجوا عليهم ، ويسكنون سوريا ولبنان .. وتقوم عقيدتهم على تألية الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وبرجعته ويتخذون سنة ٤٠٨ هـ مبدأ لتاريخهم الذى أعلن فيه دعاتهم ألوهية الحاكم ، وهم يعتبرون أنفسهم من المسلمين ، وإن كانت مبادئهم الدينية سرية ، لا يصرحون بها ، فنشأت شائعات عن عقائدهم وعباداتهم ، حتى كانت حملة الجيش السورى على جبل الدروز فى أواخر عهد (الشيشكلى) فعثر على بعض مخطوطاتهم التى شرحت مذهبهم ، وألف بعض مؤرخى العصر الحديث كتاباً عنهم .. وهم يقولون بالتقية أى : بالتظاهر بموافقة الآخرين ، ويقولون - أيضاً - بتناسخ الأرواح وإنها ثلاث درجات .

الأولى : العقل أو العقَّال - بتشديد القاف المفتوحة - وهم رجال الدين ذوو النفوذ الكبير .

والثانية : الأجاويد المطلعون على تعاليم الدين

والملتزمون بها .

والثالثة : العامة أو الجهال ..

وليس لهم مساجد بل خلوات خاصة لا يدرى ما يجرى فيها ، ولا يصومون إلا ما يقال عن الشيوخ العقل من صيام أيام غير رمضان ، ولا يحجون إلى الكعبة بل إلى خلوة البياضية فى بلدة (حاصبية) التابعة لبيروت ، ويقال : إنهم لا يقرون تعدد الزوجات ، ولا الرجعة فى الطلاق ، ولا يورثون البنات ..

هذا بعض ما تسرب من المعلومات عنهم فى الكتب والأخبار .. ونظراً للسرية التامة ، ولتشددهم فى مبدأ التقية ، فإن حقيقة مذهبهم لا يعرف منها إلا القليل ، لكن كتب عنهم (عصام الجيتاوى) كلاما تفصيلياً نشرته مجلة (المجتمع) التى صدرت بالكويت بتاريخ ١٩٧٨/٤/٢٥م فيرجع إليه .

وقد صدرت عن دار الإفتاء المصرية فتوى فى مثل هذا الموضوع فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٤م استندت إلى ما جاء فى باب المرتد بالجزء الرابع من حاشية رد المحتار لابن عابدين على كتاب الدر المختار للحصكفى شرح تنوير الأبصار للعلائى فى الفقه الحنفى ، ونص الفتوى :ـ

« تنبية : يعلم مماهنا حكم الدروز والتيامنة فإنهم فى البلاد الشامية يظهرون الإسلام والصوم والصلاة مع أنهم يعتقدون تناسخ الأرواح وحل الخمر والزنا ، وأن الألوهية تظهر فى شخص بعد شخص ويجحدون الحشر والصوم والصلاة والحج ، ويقولون : المسمى بها غير المعنى المراد ، ويتكلمون فى جناب نبينا ﷺ كلمات فظيعة ، وللعلامة المحقق عبدالرحمن العماوى فيهم فتوى مطولة ، وذكر فيها أنهم ينتحلون عقائد النصيرية ، والإسماعيلية الذين يلقبون بالقرامطة ، والباطنية الذين ذكرهم صاحب المواقف ، ونقل عن علماء المذاهب الأربعة أنه لا يحل إقرارهم فى ديار الإسلام بجزية ولا غيرها ، ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم[1] . أ.هـ.

وقال ابن عابدين ـ أيضاً ـ فى رد المحتار فى فصل المحرمات عند قول المصنف وحرم نكاح الوثنية بالإجماع ما نصه :

قلت : وشمل ذلك الدروز ، والنصيرية ، والتيامنة ، فلا تحل مناكحتهم ، ولا تؤكل ذبائحهم ؛ لأنهم ليس لهم كتاب سماوى[2] . أ.هـ .

ومن هذا يعلم أنه إذا كان الرجل المسئول عنه من طائفة الدروز ، وكانت هذه الطائفة حالها كما نقل عن ابن عابدين فلا يجوز مناكحته ، ولا تزويجه ؛ لوضوح الفرق بين ما عليه الدروز من اعتقاد فاسد وما عليه أهل السنة والجماعة .

أما إذا كان قد فارق عقيدة الدروز واعتنق عقيدة أهل السنة واستقام عليها فإنه حينئذ يكون مسلماً ويزوج ويعامل معاملة المسلمين ، وعلى السائل أن يتأكد ويتفحص الأمر حتى يتثبت من واقع حال السائل قبل أن يقدم على مالا يحمد عقباه وبخاصة أن الدروز يقولون بالتقية ويتظاهرون بموافقة الآخرين .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

(١) ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢) بيان للناس ج ٢ ، ص ١٧ وابن عابدين حاشية رد المحتار على الدر المختار ج ٣ ص ٤٨ والفتاوى الإسلامية ج ١ ص ٢٠٢ .

الأزهر الشريف

والرقابة على المصنفات الفنية

للمستشار/ محمد حلمي إبراهيم

تعددت الآراء فى الآونة الأخيرة حول مدى اختصاص الأزهر الشريف بالتصدى للأعمال الفنية والمصنفات السمعية أو السمعية البصرية التى تتناول قضايا إسلامية ، أو شأناً من الشئون التى تتعارض مع الإسلام ، ومنع هذه الأعمال من الطبع أو التسجيل أو النشر والتوزيع والتداول .

كما اختلفت وجهات النظر فى شأن الضوابط التى تحكم اختصاص كل من الأزهر الشريف ووزارة الثقافة فى مجال الرقابة على المصنفات الفنية .

وإزاء ذلك فقد ارتأى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر عرض هذا الموضوع على الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة لبيان وجه الرأى القانونى فيه ، فى ضوء أحكام القوانين التى تنظم الأزهر الشريف ، وتلك التى أخضعت المصنفات الفنية للرقابة .

وقد تناولت الجمعية العمومية لقسمى الفتوى

والتشريع بمجلس الدولة هذا الموضوع بالبحث بجلستها المعقودة بتاريخ الثانى من فبراير سنة ١٩٩٤م وخلصت من البحث العميق الدقيق ، إلى وضع الضوابط التى تحكم الرقابة على المصنفات الفنية بوزارة الثقافة إذا ما تعلق المصنف بشأن إسلامى ، وقررت مبدأ هاماً مقتضاه التزام جهات الإدارة المختلفة ـ ومن بينها الرقابة على المصنفات الفنية بوزارة الثقافة ـ بالتقدير الذى تتوصل إليه الهيئات المتخصصة بالأزهر الشريف نتيجة ما تقوم به من بحوث ودراسات . وخلصت الفتوى التى أصدرتها الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع فى هذا الشأن إلى عدد من المبادىء القانونية الهامة التى نوجزها فيما يلى :

١ ـ اختصاص وزارة الثقافة بالرقابة على المصنفات الفنية ـ أساسها ـ أهدافها ـ نطاقها .

٢ ـ الإسلام ومبادئه وقيمه إنما تتخلل النظام العام والآداب فى الدولة ـ وهو ما تتضمنه المصالح العليا لها ـ أساس ذلك .

٣ ـ الأزهر الشريف ـ يتحمل مهمة الحفظ للشريعة الغراء وفهم علومها .. وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى الشعوب كلها مع إظهار حقيقة الإسلام وأثره ، مصادر ذلك .

٤ ـ فضيلة شيخ الأزهر له مقام الإمام الأكبر ، وله مرتبة الإشراف ، وهو صاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية .

٥ ـ الأزهر الشريف وهيئاته المتخصصة هو الجهة صاحبة التقدير الملزم فيما يتعلق بكل شأن إسلامى ، وتلتزم بهذا التقدير جهات الإدارة بالدولة كافة ، وفقاً لصلاحيات وولايات كل منها ، ومن هذه الجهات وزارة الثقافة ـ أساس ذلك ـ نتائجه .

٦ ـ سكوت وزارة الثقافة الذى يستخلص منه صدور قرار ضمنى بموافقة هذه الوزارة على الترخيص بالمصنف الفنى الذى يحتوى شأناً إسلامياً ـ هذا السكوت لا ينتج أى أثر قانونى ، ولا يحتج به إذا لم يتح العلم للأزهر الشريف بالمصنف الفنى ـ أساس ذلك .

٧ ـ للأزهر الشريف دون غيره ولاية إصدار القرار بالترخيص بطباعة المصحف الشريف ونشره وتوزيعه وتداوله وعرضه وتسجيله للتداول وكذلك الأحاديث النبوية ـ أساس ذلك .

٨ ـ بالنسبة إلى غير الشأن الإسلامى فإن لوزارة الثقافة تقدير جوانب ما يتصل بالنظام العام والآداب وما يدخل فى إطار المصلحة العليا للدولة ذات التميز عن الأمور الإسلامية والدينية .

ومن استعراض هذه الفتوى الهامة نخلص إلى المبادىء القانونية الآتية :

المبدأ الأول :

اختصاص وزارة الثقافة بالرقابة على المصنفات الفنية وذلك بقصد حماية النظام العام والآداب

ومصالح الدولة العليا ، وحظر كافة الأعمال المتعلقة بهذه المصنفات من تصدير وتسجيل ونسخ وأداء وعرض وتداول وإذاعة وتوزيع .. الخ . بغير ترخيص يصدر من وزارة الثقافة سواء كان الترخيص صريحاً أو ضمنياً على النحو الوارد بالقانون ٤٣٠ لسنة ٥٥ معدلًا بالقانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٩٢م ، وذلك عدا ما يتعلق بطبع المصحف الشريف والأحاديث النبوية الذى ينظمه القانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٨٥م وفى إطار أحكام هذا القانون .

والرقابة المستهدفة بأعمال سلطة الترخيص بالموافقة أو بالرفض إنما تتفيأ حماية النظام العام والآداب ومصالح الدولة العليا ، وركن السبب فى القرار الصادر فى هذا الشأن إنما يدور فى هذا الفلك .

المبدأ الثانى :

الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، مَبْدَءَان دستوريـــان حرص المشرع الدستورى الوضعى على النص عليهما فى دساتير مصر المتعاقبة منذ انتظمت الجماعة المصرية فى دولة ذات دستور منظم لوجودها كشخص معنوى عام ، وأضاف الدستور الصادر فى عام ١٩٧١م مبدأ ثالثاً مفاده أن « مبادىء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع » . ومن ثم فإن الإسلام ومبادئه وقيمه إنما تتخلل النظام العام والآداب فى الدولة ، وهو كذلك مما تضمنه المصالح العليا للدولة .

المبدأ الثالث :

إن المتتبع لتعاقب المراحل المتتابعة التى مرت بها التشريعات المختلفة المنظمة للأزهر الشريف ، بدءاً من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م وحتى القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ، يتبين له أن التشريع الوضعى الذى بنى الهياكل الحديثة للدولة والمجتمع قد اطردت أعرافه وسياساته التشريعية على أن يوكل إلى الأزهر الشريف ـ فى كل تنظيم له ـ مهمة الحفظ للشريعة الغراء ، وفهم علومها ونشرها وحفظ التراث ونشره ، وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى الشعوب كلها ، مع إظهار حقيقة الإسلام وأثره .

المبدأ الرابع :

لفضيلة شيخ الأزهر مقام الإمام الأكبر وله مرتبة الإشراف وهو صاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية أخذاً من القوانين والنصوص السالفة البيان .

المبدأ الخامس :

الأزهر الشريف هو الهيئة التى ناط بها المشرع الوضعى حفظ الشريعة .. والتراث ونشرهما وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب بالتصدى لأداء ـ هذه المهام ، ومجمع البحوث الإسلامية ـ بوصفه هيئة من هيئات الأزهر الشريف ـ هو صاحب ولاية مراجعة المصحف الشريف وله كذلك التصدى لفحص المؤلفات

والمصنفات التى تتعرض للإسلام ، وإبداء الرأى فيها ، وهو ما يجعل هذه الهيئة هى الجهة صاحبة التقدير الملزم فيما يتعلق بالشئون الإسلامية ، وهو التقدير الذى ينبنى على أعماله اتخاذ القرارات الملزمة مما تتخذه جهات الإدارة المختلفة فى الدولة وفقاً للصلاحيات وولايات كل منها ، ومن هذه الجهات وزارة الثقافة فى مجال أعمال رقابتها على المصنفات الفنية وفقاً للقانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ وتعديلاته ، ذلك أن سلطة تقدير الشأن الإسلامى الذى يتخلل حماية النظام العام والآداب والمصالح العليا للدولة تدخل فى ولايات الأزهر الشريف وهيئاته وإداراته حسب قانونه ، وبهذا التقدير يقوم ركن السبب المتعلق بالشأن الإسلامى فى القرار الذى تملك وزارة الثقافة إصداره فيما تجريه من رقابة على المصنفات الفنية .

المبدأ السادس :

الدلالة السكوتية التى يستفاد منها صدور القرار الضمنى بالترخيص من جانب وزارة الثقافة فى مجال أعمال شئونها طبقاً للقانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥م معدلًا بالقانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٩٢م ، هذه الدلالة السكوتية إنما تتأتى من فوات المدة المضروبة فى القانون مع توافر العلم بالطلب وإمكان التقدير لمدى الملاءمة ، وغنى عن البيان أن هذه الدلالة الضمنية لا تستفاد إلا عند إباحة العلم لإمكان التقدير للجهة صاحبة الرأى الملزم التى تصدر القرارات بناء على تقديرها (وهى الأزهر الشريف بهيئاته وإداراته المتخصصة وفقاً لقانون تنظيمه) .

المبدأ السابع :

القانون رقم ١٠٢ لسنة ١٩٨٥م بشأن تنظيم طبع المصحف الشريف والأحاديث النبوية قد خص مجمع البحوث الإسلامية بالإشراف على طبع المصحف الشريف ونشره وتوزيعه وعرضه وتداوله وتسجيله للتداول وكذلك الأحاديث النبوية ، وخص الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأى من ذلك كله أو بعضه وفقاً للقواعد والشروط التى يصدر بها قرار من شيخ الأزهر ، وأتاح منح صفة الضبط القضائى للعاملين فى تطبيق هذا القانون ، وفرض عقاباً جنائياً على المخالفين .. وكل ذلك يتيح للأزهر الشريف بهيئة مجمع البحوث الإسلامية وأمينه ، ولاية إصدار القرار بالترخيص فى خصوص أحكام هذا القانون ، وبالنظر للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، وذلك دون الاكتفاء بالتقرير الذى يستند إليه قرار الترخيص فى غير هذا الأمر من مصنفات سمعية أو سمعية بصرية .

المبدأ الثامن :

بالنسبة إلى غير الشأن الإسلامى مما يشكل جوانب تقدير وتدخل فى إطار المصالح العليا للدولة أو غيرها من جوانب النظام العام ذات التميز عن الأمور الإسلامية والدينية ، فإن وزارة الثقافة تملك بالنسبة إلى هذه الأمور ما تملكه من مكنات التقدير الذى يتشكل به سبب القرار الإدارى .

وفيما يلى نص الفتوى الصادرة من الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٩٩٤ م .

فتوى مجلس الدولة
بشأن منح تراخيص المصنفات الفنية الإسلامية

• رأى الأزهر ملزم لوزارة الثقافة فى رفض الترخيص

نص فتوى الجمعية ملف رقم ٥٨/١/٦٣ الصادر فى ٢٩ من شعبان ١٤١٤ ١٩٩٤/٢/١٠

حضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فقد اطلعنا على كتاب فضيلتكم رقم ١١٧١ المؤرخ ١٠ من يوليه سنة ١٩٩٣ بشأن «تحديد اختصاصات كل من الأزهر الشريف ووزارة الثقافة فى التصدى للأعمال الفنية والمصنفات السمعية ، أو السمعية البصرية التى تتناول قضايا إسلامية ، أو تتعارض مع الإسلام ومنعها من الطبع أو التسجيل أو النشر والتوزيع والتداول ، إعمالا للصلاحيات المخولة لكل منهما بمقتضى القوانين واللوائح » .

وقد رأيتم فضيلتكم استطلاع رأى الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة ، فى هذا الأمر ، فى ضوء ما أثير من أحاديث عن مسئولى الرقابة عن المصنفات الفنية ، وفى ضوء ما شملته قوانين الأزهر والرقابة على المصنفات الفنية من أحكام .

ونهى إلى فضيلتكم أن الموضوع عرض على الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بجلسة ٢ من فبراير سنة ١٩٩٤ ، وتبين لها أن الرقابة على المصنفات الفنية ، سمعية ، وسمعية بصرية ، تخضع لأحكام القانون رقم (٣٥٤) لسنة ١٩٥٤ بشأن حماية حق المؤلف ، والقانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ بتنظيم الرقابة على الأشرطة السينمائية ، ولوحات الفانوس السحرى ، والأغانى والمسرحيات والمنلوجات والاسطوانات وأشرطة التسجيل الصوتى ، وأن كلا القانونين جرى تعديله بالقانون رقم (٣٨) لسنة ١٩٩٢ .

وبهذا القانون الأخير أضيفت « المادة (٧) مكررا » إلى قانون حماية حق المؤلف ، حظرت على كل صاحب حق فى استغلال المصنفات السمعية والسمعية البصرية ، وعلى من يزاول هذا النشاط إنتاج أى من هذه المصنفات أو نسخه أو تصديره أو طرحه للتداول أو تحويله أو عرضه « إلا بعد الحصول على ترخيص من وزارة الثقافة » وخولت وزارة الثقافة تعيين الجهة المختصة بمنح الترخيص وشروطه وإجراءاته .

وبهذا القانون الأخير أيضا ، عدل العديد من مواد قانون « تنظيم الرقابة على الأشرطة » ..، واستحدث تعبير « المصنفات السمعية والسمعية البصرية » للإشارة إلى كل مايثبت بالوسائل التقنية من أشرطة واسطوانات وغيرها وقررت المادة : (١) معدلة أن « تخضع للرقابة المصنفات ... وذلك بقصد حماية النظام العام والآداب ومصالح الدولة العليا » ..

وحظرت المادة (٢) المعدلة التصدير والتسجيل والنسخ والتحويل والأداء والعرض والإذاعة والتوزيع والتأجير والتداول والبيع والعرض للبيع ، بالنسبة لتلك المصنفات ، وذلك « بغير ترخيص من وزارة الثقافة » ، وأحالت المادة (٤) معدلة إلى اللائحة التنفيذية لبيان الجهة المختصة بإصدار الترخيص وشروطه وغير ذلك . ثم أوجبت أن يصدر قرار البت فى طلب الترخيص خلال شهر أو ثلاثة أشهر حسب أنواع النشاط المشار إليها فى المادة (٢) ، والا اعتبر الترخيص ممنوحا ، كما أوجبت عند الرفض أن يكون الرفض مسببا .

ونظمت المادة (١٢) المعدلة طريق التظلم من قرار رفض الترخيص وتشكيل لجنة بقرار من الوزير يكون رئيسها أحد نواب رئيس مجلس الدولة وأعضاؤها الأربعة الآخرون ممثلي لهيئة الاستعلامات وللمجلس الأعلى للثقافة ولأكاديمية الفنون ولمجلس النقابة التابع لها نوع المصنف محل التظلم .

واستظهرت الجمعية العمومية من كل ذلك ، أن قرار الترخيص إنما يصدر عن وزارة الثقافة ، وهو قرار إيجابى يصدر بالإفصاح الصريح بالترخيص ، أو يصدر بالاستخلاص الضمنى بعدم الممانعةعن الترخيص ، وهو استخلاص يستفاد من الدلالة السكوتية بمضى شهر واحد أو ثلاثة أشهر دون البت فى الطلب ، أو يصدر القرار بالإفصاح الصريح برفض الترخيص ، على أن يكون قرار الرفض مسببا . كما تستظهر الجمعية العمومية أن الرقابة المستهدفة بأعمال سلطة الترخيص بالموافقة أو الرفض ، إنما تتغيا « حماية

النظام العام والآداب ومصالح الدولة العليا » .
ومن ثم فان المصلحة التى تشكل ركن الغاية فى القرار الإدارى بالترخيص أو برفضه ، إنما تتمثل فى حماية النظام العام ومصالح الدولة العليا ، وأن ركن السبب فى القرار ذاته يدور فى هذا الفلك الذى عينته ، وأشارت إلى عناصره العامة العبارة الأخيرة من المادة (١) المعدلة من قانون تنظيم الرقابة رقم (٤٣٠) لسنة ١٩٥٥ سالف البيان .

وما دام فضيلة الإمام الأكبر يتسائل عن وجه اعمال هذه الأحكام فيما يتعلق بقضايا الإسلام ، فقد وجب لتحرير هذه المسألة النظر فيما يستوى به القرار الادارى من حيث الغاية المستهدفة والسبب الدافع ، فى إطار ما أشار إليه القانون من حماية للنظام العام والآداب ومصالح الدولة العليا وصلة الإسلام بهذا الوعاء العام للغايات والأسباب المحيطة بالقرار الإدارى المنظور .

ومنذ انتظمت الجماعة المصرية فى دولة ذات دستور منظم لوجودها كشخص معنوى عام وكأبنية وهياكل تنظيمية ، حرصت دساتيرها الوضعية بعامة على النص على أن « الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية » . وتتابع وجود هذا النص فى دساتيرها المتغيرة عبر مراحل التاريخ الدستورى الحديث ، أوردته المادة (١٤٩) من دستور ١٩٢٣ فى عهد النظام الملكى البرلمانى ، وأوردته بنصه المادة ١٣٨ من دستور ١٩٣٠ الذى تخلل العهد ذاته سنين معدودة ، عاد بعدها دستور ٢٣ ، ثم أوردتـه بنصه المادة (٣) من دستور ١٩٥٦ فى العهد الجمهورى الرئاسى ، كما أوردته بنصه المادة (٥) من دستور ١٩٦٤ فى عهد نظام جمهورى بين البرلمانية والرئاسية ، ثم أوردته المادة (٢) من دستور ١٩٧١ بنصه ، وأضافت إليه عبارة « ومبادىء الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسى للتشريع » .

وعبر هذا النص بهذا المفاد مراحل تاريخية كاملة من النظام الملكى إلى النظام الجمهورى ، ومن النظام البرلمانى إلى النظام الرئاسى إلى نظام مشترك ، ومن نظم اجتماعية إلى نظم اجتماعية أخرى ، وأن ثباته بنصه ومعناه ـ رغم كل ذلك ـ إنما يفيد أنه يكشف عن إقرار التشريع الوضعى للدولة الحديثة بأنه نص يقر حقيقة أكثر رسوخا وأدوم بقاء ، وأوغل فى الدلالة عن جوهر « النظام العام والآداب » ، بما لا يتغير بتغير الدساتير ونظم الحكم والنظم الاجتماعية ..

والإسلام دين الغالبية الغالبة من الشعب المصرى ، بحسبان أن الشعب هو الركن الركين للدولة التى ينظمها الدستور ، ومن ثم تقوم خصائصه الثابتة فى الواقع بحسبانها من خصائص الدولة المعترف بها فى القانون ، وقد نص دستور ١٩٧١ فى المادة (٥) على أن (مبادىء الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع) . وبهذا يظهر أن الإسلام ومبادئه وقيمه إنما يتخلل النظام العام والآداب وهو كذلك مما تتضمنه المصالح العليا للدولة ، حسب الصيغة التى أقام بها قانون الرقابة على المصنفات ركن الغاية فى القرار الصادر بشأن الترخيص بأى من هذه المصنفات .

وفى هذا الإطار استعرضت الجمعية العمومية الأحكام المتعلقة بالقوانين الخاصة بالأزهـر الشريف ، ونظرة المشرع الوضعى فى مصر الحديثة ، منذ انتظم لهيئات الدولة والمجتمع تقنينات ولوائح ونظم تشريعية ، تصدرها جهات

التشريع ذات الولاية فى إمضاء النظم وحراستها .
استعرضت الجمعية العمومية ماأوردته هذه النظم بشأن الأزهر الشريف ومارسمته له من وظائف ومانيط به من دور من بناء المجتمع المصرى الحديث ، بمراعاة أن الأزهر هيئة تقوم على الحفظ والتدريس والبحث فى علوم دين للغالبية الغالبة ، ومن هذا الدين تستمد عقائد وقيم وأصول احتكام .

وقد صدر أول قانون بشأن تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية تنظيما شاملا برقم (١٠) لسنة ١٩١١ ، ونص فى المادة (١) على أن « الجامع الأزهر هو المعهد العلمى الإسلامى الأكبر... » وفى المادة (٢) على أن « الغرض من الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى هو القيام على حفظ الشريعة الغراء وفهم علومها ونشرها على وجه يفيد الأمة وتخريج علماء يوكل إليهم أمر العالم الدينية ويَلُونَ الوظائف الشرعية فى مصالح الأمة ويرشدونها إلى طرق السعادة » .

ونصت المادة (٤) : « شيخ الجامع الأزهر هو الإمام الأكبر لجميع رجال الدين والرئيس العام للتعليم فيه وفى المعاهد الأخرى ، والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين » .. ونص القانون (٤٩) لسنة ١٩٣٠ باعادة تنظيم الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية ، فى المادة (١) « الجامع الأزهر هو المعهد الدينى العلمى الإسلامى الأكبر .

والغرض منه هو :

(١) القيام على حفظ الشريعة الغراء : أصولها وفروعها ، وعلى تعليم اللغة العربية ، ونشرها على وجه يفيد الأمة ويرشدها إلى طرق السعادة .

(٢) تخريج العلماء ..ونصت المادة (٩) « شيخ الجامع الأزهر هو الإمام الأكبر لجميع رجال الدين والمشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة لأهل العلم...»

ثم صدر القانون (٢٦) لسنة ١٩٣٦ فاحتفظت المادة (١) منه بنص المادة ١ من القانون السابق عليه ، واحتفظت المادة (٦) منه بنص المادة (٩) من القانون السابق أيضا .

وفى عام ١٩٦١ صدر القانون رقم (١٠٣) بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ، ونصت المادة (٢) منه على أن « الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم النشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن ...»

ونصت المادة (٤) على أن « شيخ الأزهر هو الأمام الأكبر وصاحب الرأى فى كل مايتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام ...»

واستظهرت الجمعية العمومية من هذه النصوص فى تتابعها الزمانى أن التشريع الوضعى الذى بنى الهياكل الحديثة للدولة والمجتمع ، قد اطردت أعرافه وسياساته التشريعية على أن يوكل للأزهر الشريف فى كل تنظيم له ، مهمة حفظ الشريعة الغراء ، وفهم علومها ونشرها وحفظ التراث ونشره وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى الشعوب كلها ، مع اظهار حقيقة الإسلام وأثره ، وان لفضيلة شيخ الأزهر مقام الإمام الأكبر وله

مرتبة الإشراف ، وقد عبر عنه القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١ النافذ حاليا بأنه : « صاحب الرأى فى كل مايتصل بالشئون الدينية ...» بتعريف للرأى يفيد فى اللغة القصر (وان خبر الجملة مقصور على مبتدئها) أو قد يفيد عدم مماثلة غيره من جنسه له .

ويتبين للجمعية العمومية من مطالعة قانون الأزهر سالف البيان ولائحته التنفيذية الصادرة بقرار رئيس الجمهورية رقم (٢٥٠) لسنة ١٩٧٥ ، أن القانون أنشأ بين هيئات الأزهر « مجمع البحوث الإسلامية بحسبانه الهيئة العليا للبحوث الإسلامية التى تقوم بدراسة وتجديد الثقافة الإسلامية حسبما أوضحت المادتان ١٥ ، ٢٥ من القانون ، ويرأسه شيخ الأزهر طبقا للمادة ١٨ ، وأن اللائحة التنفيذية للقانون أوضحت فى المادة ١٥ واجبات المجمع ومنها « ٧ ـ تتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامى من بحوث ودراسات فى الداخل والخارج بما فيها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح والرد » .

كما نصت المادة ٣٨ من اللائحة على أن « إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية هى الجهاز الفنى لمجمع البحوث الإسلامية ومديرها هو أمين عام المجمع » ...

ونصت المادة (٣٩) على أن من بين إدارات هذه « إدارة البحوث والنشر » التى عقدت لها المادة (٤٠) ولاية مراجعة المصحف الشريف والتصريح بطبعه وتداوله ، وكذلك « (٢) فحص المؤلفات والمصنفات الإسلامية أو التى تتعرض للإسلام ، وإبداء الرأى فيها بنشرها أو تداولها أو عرضها » .

ومن حيث إنه يتبين من ذلك كله ، أن الأزهر هو الهيئة التى ناط بها المشرع الوضعى حفظ الشريعة والتراث ونشرهما ، وحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، بالتصدى لأداء هذه المهام ، وأن شيخه شيخ الأزهر هو صاحب الرأى فيما يتصل بالشئون الدينية ، وأن المجمع بما يتبعه من إدارات ومنها إدارة البحوث والنشر هو من له ولاية مراجعة المصحف الشريف ، ومن له التصدى لفحص المؤلفات والمصنفات التى تتعرض للإسلام وإبداء الرأى فيها . الأمر الذى يجعل هذه الهيئة هى الجهة صاحبة التقدير فيما يتعلق بالشئون الإسلامية ، وهو التقدير الذى ينبنى على أعماله اتخاذ القرارات الملزمة والمنشئة للمراكز القانونية والمعدلة لها مما تتخذه جهات الإدارة فى الدولة بموجب الولايات والصلاحيات التى خولها القانون لأى من هذه الجهات . ومن بينها ما خوله القانون رقم (٣٥٤) لسنة ١٩٥٤ والقانون رقم ٤٣٠ لسنة ١٩٥٥ المعدلان بالقانون رقم (٣٨) لسنة ١٩٩٢ من ولايات ناطها بوزارة الثقافة بشأن الرقابة على المصنفات السمعية والسمعية البصرية .

ومن ثم تكون سلطة تقدير الشأن الإسلامى الذى يتخلل حماية النظام العام والآداب والمصالح العليا للدولة ، تكون سلطة تقدير هذا الشأن من ولايات الأزهر وهيئاته وإداراته حسب قانونه ، وبهذا التقدير يقوم ركن السبب المتعلق بالشأن الإسلامى والمستمد من هذا الشأن ، وذلك فى القرار الإدارى الذى تملكه وزارة الثقافة ، فيما تجريه من رقابة على تلك المصنفات ، وفيما تصدره

إعمالا لهذه الرقابة من قرارات بالترخيص الصريح أو الضمنى ، أو برفض الترخيص بأى من المصنفات السمعية ، والسمعية البصرية ، متى كان الشأن الإسلامى داخلا فى تكوين النظام العام والآداب ومصالح الدولة العليا ومتخللا لها ، ومتى لزم تقدير الشأن الإسلامى فى هذا الأمر .

ومن ثم فإن إبداء الأزهر ـ بواسطة هيئاته ـ رأيه فى تقدير هذا الشأن الإسلامى ، يكون ملزما للجهات التى نيط بها إصدار القرار ، وذلك فيما ينبنى عليه هذا القرار من تقدير لهذا الشأن ، ولما يتخلله بالنسبة للنظام العام والآداب ومايجرى مجراهما . ويصدق ذلك على وزارة الثقافة فيما تصدره من قرارات بالترخيص الصريح أو الضمنى أو رفض الترخيص بأى من المصنفات محل طلب الرأى .

وفى اطار هذا الوضع للمسألة ، فإن الجمعية العمومية قد لاحظت ، أن القانون رقم (١٠٢) لسنة ١٩٨٥ بشأن تنظيم طبع المصحف الشريف والأحاديث النبوية قد خص فى المادة (١) مجمع البحوث الإسلامية « دون غيره » بالإشراف على طبع المصحف الشريف ونشره وتوزيعه وعرضه وتداوله وتسجيله للتداول ، وكذا الأحاديث النبوية ، وخص الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بأى من ذلك كله أو بعضه وفقا للشروط والقواعد التى يصدر بها قرار من شيخ الأزهر ، وأتاح منح صفة الضبط القضائى للعاملين فى تطبيق هذا القانون ، وفرض عقابا جنائيا على المخالفين له ، **وكل ذلك يتيح للأزهر الشريف بهيئة مجمع البحوث وأمينه ولاية إصدار القرار بالترخيص ، فى خصوص أحكام هذا القانون ، وبالنظر للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة كلها أو بعضها ، وذلك دون اكتفاء بالتقدير الذى يستند إليه قرار الترخيص فى غير هذا الأمر من مصنفات سمعية أو سمعية بصرية .**

كما لاحظت الجمعية العمومية ، أن القانون رقم (١٠٢) لسنة ١٩٨٥ سالف البيان أحال فى تطبيق أحكامه « لما تقرره اللائحة التنفيذية للقانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها » . ومن ثم فإنه فى تطبيق أحكام القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٨٥ قد صارت أحكام اللائحة التنفيذية الصادرة بقرار رئيس الجمهورية رقم (٢٥٠) لسنة ١٩٧٥ ذات قوة نفاذ تصل إلى مرتبة القانون بموجب الإحالة الصريحة الحاصلة .

وتلاحظ الجمعية العمومية ـ أيضاً ـ أنه إذا كانت المادة (٤) من القانون رقم (٤٣٠) لسنة ١٩٥٥ معدلا بالقانون رقم (٣٨) لسنة ١٩٩٢ ، نصت على أن قرار البت بالترخيص يصدر خلال شهر أو ثلاثة أشهر حسب الأحوال فإذا لم يصدر خلال هذه المدة يعتبر الترخيص ممنوحا ، فإن مفاد ذلك أن ثمة ترخيص يصدر به قرار ضمنى بفوات شهر أو ثلاثة أشهر على الطلب ، وأن الترخيص هنا يستفاد بالدلالة السكوتية من عرض الطلب على جهة إصدار القرار وتقدير ملاءمات البت فيه وانقضاء تلك المدة على العرض . وأن الدلالة السكوتية التى تفيد الموافقة فى هذه الحالة إنما تتأتى من فوات المدة المضروبة مع توافر العلم بالطلب

وإمكان التقدير لمدى الملاءمة . وغنى عن البيان أن هذه الدلالة الضمنية لا تستفاد إلا عند إتاحة العلم لإمكان التقدير للجهة صاحبة الرأى الملزم الذى يصدر القرار بناء على تقديرها ، وذلك حينما يدخل تقديرها فى عناصر السبب الذى يقوم عليه القرار .

وتلاحظ الجمعية العمومية أخيراً أن غير الشأن الإسلامى مما يشكل جوانب تقدير تدخل فى اطار المصالح العليا للدولة أو غيرها من جوانب النظام العام ذات التميز عن الأمور الإسلامية والدينية ، فان وزارة الثقافة تملك بالنسبة لها ماتملكه من مكنات التقدير الذى يتشكل به سبب القرار ويستجمع عناصره .

لذلك

انتهت الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع إلى أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب الرأى الملزم لوزارة الثقافة فى تقدير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص بالمصنفات السمعية والسمعية البصرية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رئيس الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع
المستشار/ طارق عبدالفتاح سليم البشرى
النائب الأول لرئيس مجلس الدولة
تحريرا فى ١٩٩٤/٢/١٠

مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ
بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ
مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ
ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ
يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ
ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ
صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ
بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٦٦) ﴾

بينا فى العدد السابق أطرافاً من معانى

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ... ﴾

وقد قال بعض المفسرين إنها منسوخة ، وقال آخرون : ليست منسوخة ، واختلاف نظرهم يرجع إلى المتحدث عنهم ، فمن هم القوم الذين تعنيهم الآية :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ ؟

هل هم مشركو مكة أو هم اليهود من بنى قريظة .

وقد ذكرنا أن الآية نزلت فى البيداء قبل غزوة بدر ، ولم يكن غدر بنى قريظة قد بدأ ، ولكن هذا لا يمنع أن يكونوا معنيِّين بالآية هم أو جماعة اليهود بالمدينة جميعاً ، هذا لأن نفاق اليهود كان بادياً ، ومساءاتهم كانت كثيرة ، وهل كلمة السلم تعنى الصلح وعدم الحرب ، أو هى تعنى الدخول فى الإسلام ؟

هذا سبب تفرق الكلم واختلاف الآراء فى كون الآية نسخت أو لم تنسخ ، فهى إذا أريد بها مشركو مكة ، وأريد بها عدم الحرب ، فهى لا ريب منسوخة ، نسختها الآيات :

﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ ، و ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ ، و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ سورة التوبة

ثم إن النبى أُمِرَ أن يقاتل الناس حتى يشهدوا شهادة الإسلام ، ولا ينتشر الدين بغير جهاد .

وقال عكرمة والحسن البصرى : نسختها آية : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾

وهذا واضح إذا أريد بالقوم بنو قريظة ، فهم أهل الكتاب تقبل منهم الجزية ، أما المشركون فمعاملتهم هى الإسلام أو السيف .

وإذا أريد بالسلم – كما قال بعض المفسرين – الصلح والدخول فى الإسلام فلا نسخ ، بل ولا يحتاج الأمر إلى نص ، فليست الحرب إلا للدخول فى الإسلام – ولهذا لا أميل إلى هذا الوجه .

ومعنى : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ﴾

أنهم كانوا يريدون بجنوحهم إلى السلم أن يخدعوك بصلح زائف ، حتى تسنح لهم الفرصة فيأخذوك على غرة ، فلا تجزع لتدبيرهم فإن الله – تعالى – معك وهو كافيك شرورهم وسوء تدبيرهم ، فحسبك إذن بمعنى كافيك . – وحسب تستعمل بمعنى الكفاية التامة ، يقال : أعطى سائِلَه حتى أَحْسَبَهُ ، أى : حتى قال له حسبى ، أى : اكتفيت ولا حاجة لى بزيادة ، فهذا وعد من الله – لنبيه أن يكفيه ويحميه ، وقد أيده بنصره على المشركين إذ بيتوا الغدر به وقتله فنجاه الله ، وأيده بالمؤمنين الذين أحاطوه وصدعوا بدعوته وحموه .

وهل المؤمنون هم جميع المؤمنين الذين دخلوا فى الإسلام أو هم جماعة الأنصار ، فهم أحبوا المهاجرين وأسكنوهم ديارهم ، وآثروا على أنفسهم وبهم الخصاصة ، ولولا استعداد الأنصار لحماية الرسول ﷺ وإيواء المهاجرين ما كانت الهجرة ، ولولا الهجرة ما انتشر الإسلام .

هذا كلام جيد ! ولكن الأخذ بعموم اللفظ أولى ، ولست أميل إلى الرأى القائل : إن تأييد الله بنصره يعنى وقوف الملائكة بجانب المسلمين فى معركة بدر ، لأن المعركة لما تحدث بعد . ومع ما نميل إليه من أن كلمة المؤمنين تعنى كل من آمن وبذل جهداً لنصر الإسلام ، سواء فى ذلك المهاجرون والأنصار ، مع هذا نورد حجة كل فريق ووجهة نظره .

فالقائلون بأن المعنى بالمؤمنين هم الأنصار يستدلون ببقية الآية وهى جملة :

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ... ﴾

فالعداء بين طائفتى الأنصار – الخزرج والأوس – كان مستحكماً ، وقد أفنى من الطائفتين عدداً ، ولو لم يظهر الإسلام ويجمعهم على دين واحد يذكر أن المسلمين إخوة لظلت هذه الحرب مستعرة بينهما ، ولكنهم إذ دخلوا فى الإسلام صاروا طائفة واحدة ، ولم تكن آثار التفرقة غائبة حتى إننا لنجد آثاراً لها يوم السقيفة إذ يقول الحباب بن المنذر للبشير ابن سعد : عققت يا بشير .. أنفست الإمارة على ابن عمك ! يريد سعد بن عبادة ، ويجيب البشير : لا والله ولكنى كرهت أن أنازع قوماً حقاً لهم . وبشير خزرجى ، ونجد أسيد بن خضير الأوسى يقول لقومه : « والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً » .

وإذن فالحزازات والتنافس لا يزال لهما أثر حتى بين أبناء الطائفة الواحدة ، وقد أوشكت نار الفتنة أن تتقد ، ولكن الإسلام يطفئها ، قال أبو عبيدة : يا معاشر الأنصار ، كنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير ، وتنال الكلمة من نفوس القوم ، فيقول البشير : ... ما أردنا إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا ، فما ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا أن نبتغى من الدنيا عرضاً !..

فهذه نار لم يطفئها إلا الإسلام ، وقلوب ظلت متنافرة حتى ألف الإسلام بينها بفضل الله ، ولو انفق منفق كل ما فى الأرض من مال ما وصل إلى هذه الألفة ، وهم كما قال بشير ما ابتغوا إلا مرضاة الله وطاعة نبيه ، لا استطالة على الناس ولا نيل منصب – فهذا الذى ألف بين قلوبهم ، وما كانت الماديات مهما كثرت تفعل ذلك .

ولكن القائلين بأن المراد بالمؤمنين كل من آمن ونصر لا يعدمون الحجة ، فالعرب قبل مجىء الإسلام لم يكن بعضهم لبعض عدواً كما كان الأمر بين الأوس والخزرج حقاً ، ولكنهم لم يكونوا أصدقاء ، ولا متحابين ، ولا مؤتلفين على غرض واحد ، ولكن الإسلام جمع قلوبهم على التقوى وأشعرهم بأنهم أمة واحدة لا تجمعها العروبة بقدر ما جمعهم الإسلام ، ولم تكن العروبة مفقودة من

قبل !! وما كان فى استطاعة أحد أن يؤلف بين هذه القلوب . ولكن الله العزيز الذى لا يغلب على أمر أراده ، الحكيم فى تصرفاته هو الذى ألف بينهم وجعل الإسلام والاخلاص وعبادة الله وحده هى الرابطة التى شملتهم جميعاً .

ولهذا فانى أوثر هذا الرأى ، ولكل وجهته .

وجاء فى كلام الشيخ رشيد رضا .. وكان المهاجرون فى المرتبة الأولى فى كل شىء ، لسبقهم إلى الإيمان والعلم ، ونصر الله ورسوله فى زمن القلة والشدة والخوف ، واستشهد بما جاء فى سورة الحشر :

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ثم أعقب تفسيره بقوله : وهى ــ أى الآية ــ دليل على أن التصر ينال بالأسباب ، وأن ذلك يتوقف على التآلف والاتحاد .

وأقول : وقد فقد المسلمون قوتهم وعدموا النصر ؛ لأنهم فقدوا ألفتهم وخالفوا تعاليم الإسلام ، ولا سبيل لعزتهم إلا أن يأتلفوا وأن يكونوا مسلمين حقاً .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

هذه الآية تأييـــد لسابـــقتها ، إذ أن الله ــ سبحانه ــ أيد نبيه بنصره ، وبمن اتبعه فهذا كاف فى تأييده ونصره ، والعبارة تحتمل وجهين ، إما أن يكون المعنى يكفيك الله والمؤمنون ، فيكون الإسم الموصول معطوفاً على لفظ الجلالة ، وإما أن يكون التقدير حسبك الله ، وحسب من اتبعك ، أى هو ــ سبحانه ــ كافيك وكافيهم ــ وهذا أولى وأليق بمقام التوحيد ، فان الله هو خالق الناس وكافيهم . ورجح الإمام ابن تيمية هذا الوجه ورأى أنه الصحيح وأبطل الوجه الآخر وإن كان النحويون يرونه أظهر فى الإعراب ، وقال الفراء والزجاج : إن قول الله تعالى ﴿ **ومن اتبعك** ﴾ من : فى موضع نصب على المفعول معه ، فتكون الواو بمعنى « مع » قال الفراء : وليس بكثير من كلامهم أن يقولوا : حسبك وأخاك ، ولكن يقال : حسبك وحسب أخيك وهذا التخريج يعنى يكفيك الله ويكفى من اتبعك ، وبذا قال ــ أيضاً ــ أبو حيان النحوى ، مع أنه من محبى ابن تيمية ومؤيديه ، وهؤلاء النحويون آثروا وجهة النظر البصرية فى الإعراب ، وقال ابن تيمية : ما كان سيبوية يبنى النحو ولا كان معصوماً . بل أخطأ فى كتابه فى ثمانين موضعاً .

هذا وقد بينا ما نميل إليه من أن المراد بالمؤمنين جماعتهم ــ مهاجرين وأنصاراً وغيرهم ــ ولا عبرة بقول القائلين إنّ الآية نزلت فى شأن عمر وإسلامه ، لأن السورة مدنية نزلت فى شأن غزوة بدر .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ﴾

التحريض : هو الحث على الشىء ، وقوة الترغيب فيه ، قال الزجاج : هو أن يحث الشخص الآخر على الشى حتى يراه حارضاً، أى مقارب للهلاك وقال الراغب فى مفرداته : أن الحرض يقال لما أشرف على الهلاك ، والتحريض الحث على الشىء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه ، كان من إزالة الحرض ، كما يقال قَذَّيت الشىء بمعنى أزلت عنه القذى ، ويقال أقذيته أيضاً

والمعنى على أى حال : يا أيها النبى حث المؤمنين على قتال الكفار حثاً بليغاً .

وقرىء : حَرِّصِ ـ بالصاد المهملة ، وهو من الحرص على الشيء أى اجعلهم حريصين على شهود القتال .. فالمراد على أى حال متحد فى الجميع .

﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

جرى المفسرون على أن هذه الآية خبر فى معنى الإنشاء ، فهى أمر بصفة الخبر ، ثم نسخ وخفف ، ولو كان خبراً محضاً ما جاء الاستثناء منه بهذا التخفيف ، وهذا الأمر مقيد بشروط ثلاثة تفهم من سياق الكلام ، وهى الإيمان والصبر والفقه ، فالعشرون الصابرون بتأثير إيمانهم وصبرهم وفقههم يغلبون مائتين من الكفار المجردين من الإيمان والفقه والصبر ، فالمؤمنون إذا واجهوا الحرب يرجون إحدى الحسنيين ، إما النصر على عدوهم وكسبهم غنيمته ، وإما الفوز بالجنة ومرضاة الله ـ ولهذا هم لا يتخوفون ولا ينكصون ، وأما الكفرة ـ وأيضاً ـ اليهود فلا يرجون ثواباً فى الآخرة ، فإن لم يثقوا بالانتصار نكصوا ، وقد قال الله عن اليهود :

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ، فهم مما لا يفقهون ، والفقه يراد به معنى خاص عميق ، وقد قال قوم شعيب له : ما نفقه كثيراً مما تقول ، وهو يخاطبهم بلغتهم التى يتكلمون بها ، ولكن فهمهم لا يصل إلى معانى الإيمان ، فهذا هو الفهم المنفى . قال صاحب المنار : « ذكرت هذه المادة فى عشرين موضعاً من القرآن ، تسعة عشر (موضعاً) منها تدل على أن به نوعاً خاصاً من دقة الفهم والتعمق فى العلم الذى يترتب عليه الانتفاع به » .

وقال تعالى :
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ... ﴾ ـ فلم ينف وجود الحاسة ولكن نفى الانتفاع بها ، فلم يفقهوا بقلوبهم ما تصلح وتتزكى به من التوحيد والتنزه عن خرافات الشرك .

وقد جاء هذا الأمر بلفظ الخبر ليحمل البشارة للمؤمنين الذين أحرزوا هذه الصفات أن يكون لهم النصر على المشركين مهما كثروا ، فالمائة الصابرة تغلب الألف ، والألف نهاية العدد عند العرب ، ويصفون العدد الكاثر بالآف ، ويقولون عن المليون ألف ألف وكلمة المليون دخيلة على العربية وهى لاتينية الأصل .

والآية على أى حال تبشر المؤمنين وتوحى إليهم بأنهم يجب أن يكونوا كذلك ، صابرين فاقهين ، وأن يكونوا مميزين على أعدائهم بهذا العلم الذى يضمن لهم الفوق فى كل شيء ، وفى كل جانب من جوانب الحياة .

وقد تحقق نصر المسلمين على مثل هذا العدد الكاثر بحيث كان الواحد من المسلمين مقابل عشرة وأكثر ، وقد انتصروا على الفرس والروم

بهذا الروح الإيمانى ، وقد كان الجيش الذى بعثه ﷺ إلى مؤتة نحو ثلاثة آلاف ، وكان أعداؤهم مائة ألف من الروم ومائة ألف من العرب الموالين لهم من جذام وغيرها ، ثم كانت وقعة اليرموك ووقعة القادسية ، وفى كل منهما ما يزيد على العشرة فى مقابلة الواحد ، والعشرين فى مقابلة الواحد .

والآية قد نسخت الآية بعد قليل بقوله تعالى : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ .. ﴾ جاء عن ابن عباس أنه لما نزلت الآية الأولى التى تمنع فرار المسلم من أقل من عشرة أشخاص شق ذلك على المؤمنين ، فخفف الله عنهم بهذه الآية ، ثم انهم كان فيهم قلة فى الابتداء ولما كثروا نزل هذا التخفيف ، وكلمة (الآن) ، تفيد حين ظهر منكم هذا الضعف ، وكلمة (بإذن الله) للايحاء بوجود التوكل على الله ، واقناع النفس بأنه لا الكثرة ولا حسن الاستعداد مما يستتبع النصر إلا بعون الله سبحانه ، ويوم حنين أعجبت المسلمين كثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

وجملة ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ توحى بالحث على الصبر الذى تتحقق المعية من الله ـ تعالى ـ وبها يتحقق النصر حتماً ، فمن كان الله معه لا يغلب .

قبس من أنوار النبوة

الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إن العبد إذا قام يصلى أتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه ، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه » رواه الطبرانى فى الكبير، وأبونعيم فى الحلية، والبيهقى فى السنن عن ابن عمر(*)

إن الصلاة التى فرضها الله تبارك ـ وتعالى ـ على كل بالغ عاقل من المسلمين والمسلمات ـ إلا فى حالىّ حيض المرأة أو نفاسها ـ لا تسقط عن المسلم والمسلمة ، وتؤدى حضراً أو سفراً فى الأمن والخوف ، فى الصحة والمرض فى السلم والحرب كما قال سبحانه : ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ سورة البقرة .

هذه الصلاة هى إحدى دعائم الإسلام ولا تجوز النيابة فيها ، وهى عمود الدين ، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، وهى مفتاح الجنة ، وهى نور وبهاء للعبد يوم لقاء ربه .

موقف الأنبياء منها

ذكرها الله ـ عز وجل ـ فى دعاء إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة إبراهيم

ومدح بها الذبيح إسماعيل ـ عليه السلام ـ فقال ـ سبحانه :

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ (سورة مريم) .

وأمر بها موسى عليه السلام :

﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة طه

وأوحى إليه وإلى أخيه هارون ـ عليهما السلام :

﴿ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (سورة يونس : ٨٧)

وحدث بها رسول الله عيسى ـ عليه السلام :

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ سورة مريم

وجاءت فى وصية لقمان الحكيم لأبنه :

﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة لقمان

وقد أمر الله بها خاتم رسله محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (سورة العنكبوت : ٤٥) .

كما أمره أن يقبل هو وأهله على عبادة الله والصلاة فقال ـ سبحانه : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ

(*) صححه الألبانى .

﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾
(سورة طه : ١٣٢)

كما جعلها الله ـ عز وجل ـ صفة جوهرية من صفات المؤمنين المفلحين حيث قال :
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ سورة المؤمنون

وكانت الصلاة قرة عين رسول الله ﷺ وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقال : أرحنا بها يا بلال .

من فوائد الصلاة :

١ ـ رباط فى سبيل الله

وحث أمته ودعاها إلى ما يقربها من الله ـ عز وجل ـ ويمحو عنها الذنوب والآثام فقال : «ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره ـ (أى إتمام غسل الأعضاء فى البرد الشديد) ـ وكثرة الخُطَا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط ـ (الرباط : الإقامة فى الثغور لمقاومة الاعداء ، أى أن ثواب انتظار الصلاة يعدل ثواب المرابطة فى سبيل الله)» رواه البخارى ومسلم .

٢ ـ ممحاة للخطايا والذنوب

كما مثل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصلاة بنهر يغتسل فيه العبد يومياً خمس مرات فيجعله طاهراً فقال : أرايتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هال يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء .

قال : «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا» رواه البخارى عن أبى هريرة وعن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله» رواه مسلم والصلاة التى يحظى صاحبها بهذا الفضل العميم هى التى تأخذ حقها من التأمل والخشوع واستحضار عظمة المعبود .

٣ ـ عون على التسليم المطلق

وإذا كانت الصلاة مناجاة لله ومخاطبة له ـ سبحانه ـ فهى تشعر العبد بأنه قريب منه ، يسمع دعاءه ، ويلبى نداءه ، ويستجيب له . والمواظبة على آدائها تربى فى المصلى الضمير الحى الذى يبعث على الخير ويحض عليه ، ويمنع من الشر ويحذر منه كما قال ـ تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ سورة المعارج

٤ ـ دعم للجانب الروحى

ففى مناجاة العبد لربه فى صلاته تغذية للجانب الروحي فيه . وتعبير عن قوة الصلة بخالقه ـ عز وجل ـ كما قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : «إن الرجل إذا دخل فى صلاته أقبل الله عليه

بوجهه ، فلا ينصرف عنه ، حتى ينقلب ــ يرجع ــ أو يحدث حدث سوء » رواه أبن ماجه .

٥ ــ قسمة بين العبد وربه

وحين يقبل العبد على ربه تصفو نفسه وتشف روحه فتسمع كلام الله الذى يقول : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى قسمين ولعبدى ماسأل فإذا قال العبد « الحمد لله رب العالمين ، قال الله ــ عز وجل : حمدنى عبدى . فإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله : أثنى على عبدى . فإذا قال : « مالك يوم الدين » ، قال : مجدنى عبدى . فإذا قال : « إياك نعبد وإياك نستعين » قال الله : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل . فإذا قال : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » . رواه مسلم .

شروط قبولها

ومما لاشك فيه أن الصلاة تحقق الخير فى النفس وتطبعها بطابع الخلق الرفيع الذى يمحى الفوارق ، ويزيل الضغائن ، وينمى روح المودة والمساواة بين الناس وينشر الأمن والسلام. هذه هى الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر .

قال تعالى فى الحديث القدسى الذى يرويه النبى صلى الله عليه وسلم : « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب . ذلك نوره كنور الشمس .. أكلؤه بعزتى.. وأستحفظه ملائكتى، وأجعل له فى الظلمة نورا ، وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » رواه البزار عن ابن عباس .

هذه هى الصلاة الكاملة التى إذا أداها المسلم والمسلمة تماحت عنهما الذنوب والخطايا وتساقطت كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف .

وهى التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم : بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ، رواه أحمد وغيره .

٦ ــ تكون ذخراً ليوم القيامة

وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه أحمد ــ وابن حبان فى صحيحه : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة . ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة . وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبَىّ بن خلف » .

قال العلماء فى توجيه هذا الحديث : فمن شغله عن الصلاة ماله فهو مع قارون ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون ، ومن شغله عنها رياسته ووزارته فهو مع هامان ، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبى بن خلف .

فلنكن فى عداد من استجابو لداعى الإيمان . قال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾

(سورة هود الآية : ١١٤)

« وتزودوا فإن خير الزاد التقوى »

بقلم الشيخ :
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

وردت هذه الكلماتُ المضيئةُ فى سياق الحديث عن الحج ، حيث قال الله ـ جل جلاله ـ ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ سورة البقرة

لقد وضعت هذه الآية الكريمة أمام الأنظار النَّيِّرة مبادئ الأدب العالى الذى يجب أن يلتزمه المسلمون فى أثناء مسيرتهم وإ[...]نهم وعودتهم من أداء فريضة العمر ، التى يلتقى فيها الحاج مع جلال الله فى بيته العامر ورحابه الواسع وضيافته الْبَرَّة الكريمة ، ويعود منها وقد امتلأ وفاضه بالخير ، ووجدانه بالنور ، وقلبه باليقين ، واكتسب مع ذلك المغفرة الواسعة والرحمة السابغة والفضل العميم ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: « **من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** »(١) .

ولأهل الذوق حول هذه الآية استشعارات تهدى إلى الخير ، وتطلعات تهدف إلى الكمال ، فهم يأخذون منها ما يُعينهم على السفر إلى الآخرة ، ويهديهم فى طريقهم إلى الله ـ تعالى ـ الذى طلب منهم التقرب إليه ، والتعرف عليه بواسطة ما افترضه عليهم من فرائض ، وأوجبه من شعائر ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ **الذاريات : ٥٦**

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ .. ﴾ **البينة : ٥**

(١) صحيح البخارى ـ كتاب الحج ـ باب وجوب الحج وفضله جـ ٢ ص ١٦٤ ط دار الشعب .

وقد فسر مجاهد العبادة فى قوله تعالى :

﴿ إلا ليعبدون ﴾ بالمعرفة ، لأن المعرفة هى ثمرة العبادة الحقة المخلصة وهى الهدف الأعلى لها ..

آداب الحج :

والأدب الأساسى لأداء فريضة العمر هو التجدد لله ، وصدق النية فى القصد ، ويستدعى ذلك أن يكون قلب الحاج طاهرا وماله حلالًا وروحه متعلقة بهدفه ، متشوقة إلى أداء هذه الرحلة الربانية الكريمة . متعلقة إلى إتمامها بقبول تُتَوِّجُهُ المغفرة الشاملة من الله الكريم التواب .

فإذا ما حرر قصده وعزم على القيام بالرحلة تجرد من ملابس الحل ، وأحرم بعد الاغتسال ، وفى ذلك إشارة إلى الطهارة المعنوية التى تستلزم الانخلاع من متعلقات الجسد والمادة والتعلق بمقومات الروح .

ولذلك جاء الأمر بالتخلى عن الرفث والفسوق والجدال ..

والرفث ـ فيما يقوله العلماء من تفسيرات : كلمة جامعة لما يريده الرجل من أهله ، وقيل:هو اللغو فى الكلام .. وهو أنسب ، لأن الإمساك عن اللغو ـ بعامة ـ دليل الخشوع والخضوع ، وعلامة المراقبة لله والتعلق به ، فإنه لا يلغو ـ عادة ـ الأمن نزع قناع الخوف عن قلبه ، وظن أنه فى مأمن من الحساب والعقاب . والذى يغشى ديار السلطان تأخذه الرهبة فلا ينطق إلا بحساب ، ولا يتلفت إلا بحساب ، ولا يتصرف إلا بحساب . هكذا الشأن مع سلاطين الدنيا . فما بالكم بديار سلطان السلاطين ، ورحاب رب العالمين ؟

ولا شك أن هناك علاقة وثيقة بين التأدب فى القول والتقوى التى هى من ألزم لوازم هذه الرحلة المباركة .

والفسوق المنهى عنه فى الآية يقصد به عموم المعصية ، وإذا كان هناك نهى عن الرفث فمن باب أولى يكون النهى عن الفسوق ، وقال بعض العلماء : المقصود به النهى عن إتيان المعاصى فى حال إحرام الحاج بالحج كقتل الصيد ، وقص الظفر وأخذ الشعر وشبه ذلك .

وقيل : الفسوق هو التنابز بالألقاب استناداً إلى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾ الحجرات : ١١

وقيل : الفسوق هو السباب ، يشير إلى ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[٢] .

وأما الجدال فهو المماراة التى تؤدى إلى الاختلاف والتنازع والسباب والشقاق . وترك ما يؤدى إلى الجدال بعموم لفظه أفضل ، حتى إن بعضهم كان ينفر من المساومة فى البيع والشراء لأنها ربما تفضى إلى جدال منهى عنه .

---

(٢) أخرجه الطبرانى عن ابن مسعود وهو فى جمع الجوامع للسيوطى برقم ١٤٥٦٠ جـ ٢ ص ٢٣٢٣ ط مجمع البحوث الإسلامية .

والنهى عن هذه الأشياء عام بالنسبة للمسلم ، سواء كان فى حج أو غيره . إلا أنه ـ سبحانه ـ نبه عليها هنا تحذيرا من الآثار السيئة التى تفسد الحج بسبب وقوعها .

وقد ورد النهى عنها فى الصوم فى حديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث يقول : « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ، فإنه امرؤ شاتَمَهُ أو قاتله فليقل : أنى صائم . أنى صائم »(٣) .

وورد النهى عن المماراة مطلقاً فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وببيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه »(٤) .

الإكثار من فعل الخير :

ومن آداب الحج مراقبة الله فى الغدوة والروحة ، والإكثار من فعل الخير ، وقد نبه الله ـ تعالى ـ على أنه مطلع على ما يقدمه الحاج من أعمال الخير ليضاعف ثوابه عليها فقال ـ تعالى ـ ..
﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ .

وفى هذا التعبير حث على فعل الخير وتحريض على تقديم الصالح من العمل ، فعلم الله بما يقدمه العبد يقتضى حسن المثوبة عليه ، والحسنة بعشر أمثالها ، والله يضاعف لمن يشاء . والحاجُ بتكبده المشاق فى سفرة ، وأداء مناسكه صابرٌ ، و ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ **الزمر : ١٠**

قال القرطبى فى تفسيره معلقا على قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ . هذا شرط وجوابه ، والمعنى أن الله يجازيكم على أعمالكم ، لأن المجازاة إنما تقع من العلم بالشىء . وفى ذلك تحريض على حسن الكلام مكان الفحش ، وعلى البر والتقوى فى الأخلاق مكان الفسوق والجدال .

ويقول النيسابورى فى غرائب القرآن : لم يتعرض لمقابل الخير وإن كان عالما به لنكتة ، وهى : إنى إذا علمت منك الخير ذكرته وشهرته ، وإذا علمت منك ضده أخفيته وسترته ؛ لتعلم أنه إذا كانت رحمتى بك هكذا فى الدنيا فكيف تكون فى العقبى ؟

وفى ذلك ترغيب للمطيعين وإيذان بأنهم من المحسنين الذين هم فى مقام الإحسان ، والإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

والعبد الصالح إذا علم إطلاع مولاه على سرائره وخفاياه اجتهد فى أداء أوامره واحترز عن نواهيه .

---

(٣) أخرجه مالك والبيهقى عن أبى هريرة . وهو فى جامع الأحاديث للسيوطى برقم ١٧٦٤ جـ١٠ ص ٣٤٢ .

(٤) رواه الذبرانى فى الثلاثة ، وفى مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢٢ عن معاذ وفى جمع الجوامع برقم ٨٥٥٤ جـ ١ ص ٣١٠٤ . والربض : الفناء .

ومن عناية الله بهم حثهم على الخير بعدما نهاهم عن الشر ، ليستعملوا مكان الرفث التفث ، وبدل الفسوق رعاية الحقوق ، ومقام الجدال والشقاق الوفاق مع الرفاق ، تتميما لمكارم الأخلاق ، وتنبيها على شرف النفس وطيب الأعراق .

زاد التقوى :

ولابد لكل مسافر من زاد ، وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ يشير إلى عناية الإسلام باتخاذ الأسباب . فقد قال العلماء : لقد نزل ذلك فى شأن قوم كانوا يجيئون إلى الحج بغير زاد ، ثم يبقون عالة على الناس . وقال ابن عباس ــ فيما يرويه البخارى ــ : كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس . فأنزل الله الآية ..

وإن كان السفر فى الدنيا محتاجاً إلى زاد قوامه القوت ، فإن سفر الآخرة محتاج إلى زاد قوامه التقوى . فالطعام يقيت الجسد ، والتقوى تقيت الروح . وقد صدق الشاعر الذى يقول :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزوَّدا
ندمت على ألَّا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

والتقوى هى مقياس النجاح عند الله ــ قال تعالى ــ ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾
الحجرات : ١٣

وهى جماع الخيرات ــ كما يقول القشيرى فى رسالته ــ وهى الهدف لكل عمل خَيِّر ، وهى الوسيلة له أيضاً . وحقيقة الاتقاء التحرز بطاعة الله عن عقوبته ، وتبدأ أولًا باتقاء الشرك ، ثم بعده باتقاء المعاصى والسيئات ، ثم بعد ذلك باتقاء الشبهات ، ثم بعده باتقاء الفضول .

ولأهل الذوق فى الحديث عن التقوى كلام دقيق ، فقد أثر عن أبى على الدقاق فى قوله ــ تعالى ــ ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ .

آل عمران : ١٠٢ .

معناه : أن يطاع فلا يُعْصَى ، ويُذْكَر فلا يُنْسَى ، ويُشْكر فلا يُكْفَر .

وقال سهل بن عبد الله التسترى ، ت ٢٨٣ هـ : من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها .

وقال النصرى باذى ت ٣٦٩ هـ : من لزم التقوى اشتاق إلى الآخرة لأن الله ــ جل وعلا ــ يقول : ﴿ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنعام : ٣٢

أما ذو النون المصرى ت ٢٤٥ فقد قال :

فلا عيش إلا مع رجال قلوبهم ... تحن إلى التقوى وترتاح للذكر
سكون إلى روح اليقين وطيبه ... كما سكن الطفل الرضيع إلى الحجر

وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قوله : سادة الناس فى الدنيا الأسخياء ، وسادتهم فى الآخرة الأتقياء .

واستشهد القرطبى فى تفسيره على جلال التقوى بقول الشاعر :

الموت بحرٌ طامــــــحٌ موجُـــــــه تذهب فيــــه حيلـــــةُ السابــــح
يا نفسُ إنى قائـــــلٌ فاسمعــــــى مقالـــــــةً من مُشفــــــق ناصح
لا يصحب الإنسانَ فى قبره غيــرُ التقـــــى والعمـــــلِ الصالح

لقد أمعن أهل الذوق فى شرح حقيقة التقوى ، ويكفى أن الله أمر بها العقلاء حيث قال فى ختام تلك الآية الكريمة ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ دلالة على أن العقل السليم يهتدى بالفطرة إلى طريق النجاح والفلاح .

وكان تحصيل التقوى هدفاً لكل مُشَمِّر فى اكتساب الخير طامح إلى مقامات أهل الفضل ، وقد وضع الشيخ حسن رضوان وهو من أئمة التصوف فى العصر الحديث المتوفى سنة ١٣١٠ هـ فى كتابه الجامع « روض القلوب المستطاب » المطبوع بمطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية سنة ١٣٢٢ هـ بعض الضوابط لمن يريد تحصيل فضيلة التقوى ، ومعرفة حقيقتها ومراتبها .. فقال فيما نقتطفه من أرجوزته الطويلة فى ذلك :

فحدُّهــا اتقـــاءُ موجبِ الـــغضبْ بتــــرك منهىٍّ وفعـــــلِ ما وجب
والشرطُ فيـــــه قصدُ الامتثــــالِ بفعلــــــه ووجهــــــهِ ذى الجلالِ
وهـــــذه أدنى مراتب التقـــــــى لكـــنْ بها كَيْــدُ العــدو يُتَّقَــــى

* * *

فإن صفت أحوالُهــــــــا تنبهتْ وعـــن شهـــود ما يضرُّهـــا انتهت
فيتقـــــى المريـــــــدُ خطَّ نفسِهِ إذاً دنيـــــاى عن شهـــــود حسه
وهـــــذه الوسطـــــى من المراتب وذوقهـــا من أعظــــم المطـــــالب

* * *

وفـــوق هذا من مراتب التقــــــى ما منــــه يزداد الْوَلِـــــى تحقُّقـــــاً
وعـــــن بيـــــان حدِّهِ العبـــــارةْ ضاقت فلــم تقبـــــل ولا الإشارة
ولا يتـــــمَّ السَّيْــــرُ للمسافــــــر إلا بزادٍ فيـــه حفـــظَ الظاهـــــر ..

وإنَّ زادَ من أراد الآخرة يسيره تقوى الإله الباهرة
فبنيَةُ الأرواح لا تقدمُ إلا بها وفضلها معلومُ
فَرُتبة التقوى هى الوصولُ إلى مقامٍ دونه الفضول

روض القلوب المستطاب ص ٣٤٤

لقد فهم أهل الذوق من الأمر بالتزام التقوى معانى سنية . تحدثوا عنها فأفاضوا فيها وتحققوا بها .

الحج المبرور :

كافهم أهل الذوق أيضا من رحلة الحج معانى تذكرهم بالرحلة الكبرى إلى دار الخلود والبقاء ، وعلموا أن مناسك الحج كلها من تجرد وتلبية وطواف وسعى وهدْيٍ رموزٌ وجدانية إلى تلك الرحلة العظيمة التى لا يستعدلها إلا كل من وفقه الله وهداه ، وجعل التقوى شعاره ودثارره .

والتزام التقوى فى الحج هو الذى يحقق الحجة المبرورة التى لا جزاء لها إلا الجنة .

والحج المبرور كما يقول الفقهاء وأهل المعرفة هو الذى لم يُعْصَ الله فى أثناء أدائه أو بعده ، ومن علاماته أن يرجع صاحبه منه زاهداً فى الدنيا راغبا فى الآخرة .

ومن علامة الرغبة فى الآخرة الإكثار من الذكر تأدباً بأدب القرآن الكريم ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ البقرة : ٢٠٠

ومن الذكر الدعاء ، والدعاء مخ العبادة، وخير الدعاء فى هذه الرحلة هو ماعلمنا الله ــ سبحانه وتعالى ــ إياه: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾. البقرة لأنها دعوة تجمع بين خير الدنيا والآخرة ..

وبهذه الآية كان يدعو النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما يرويه الشيخان ..

وقال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ : إن عند الركن ملكا قائماً منذ خلق الله السماوات والأرض يقول آمين ، فقولوا ﴿ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾

تفسير القرطبى : اللهم اجعلنا ممن لا ينظر فى أى شىء يُنْظر إلا إليك ، ولا يرغب فى كل ما يُرغب إلا لأجل ما لديك ــ آمين ــ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المخدرات بين التحريم والتجريم في الشريعة الإسلامية والقانون المصرى

المستشار/ السيد خلف محمد (*)

الإدمان على المخدرات والاتجار فيها آفة خطيرة شغلت بال ولاة الأمور أمداً طويلا ، لما تجره من تدهور فى الصحة العامة والقيم الأخلاقية وتعطيل القوى البشرية عن العمل . ولا يقتصر ضرر المخدرات على من يتعاطاها وحده ولكنه يمتد فى الغالب إلى ذريته وأسرته .

مراحل العلاج القانونية :

ولقد عالج المشرع جرائم المخدرات علاجا رقيقا فى البداية ؛ لأن المشكلة لم تكن على درجة من الخطورة تستأهل قسوة العقاب ، إلا أن الخطر بدأ يستشرى فأصدر المشرع القانون رقم (٣٥١) لسنة ١٩٥٢ ، وألغى ما سبقه من تشريعات ، فلما أعلنت الوحدة السياسية بين مصر وسوريا كان من الضرورى وضع تنظيم موحد فى الإقليمين يهدف إلى مكافحة المخدرات ، وتنظيم استعمالها والاتجار فيها ، فكان القانون رقم (١٨٢) لسنة ١٩٦٠ ، ثم عدل بعد ذلك بالقانونين : (٤٠) لسنة ١٩٦٦ ، (١٦) لسنة ١٩٧٣ ، ولقد تفاقمت مشكلة المخدرات فى السنوات الأخيرة على المستويين الدولى والمحلى تفاقما خطيرا ، حيث اقتحمت ميادينها ــ ترويجا وإتجارا وتهريبا ــ قوى عديدة ، كان من أبرزها تلك العصابات الدولية القائمة على شبكات محكمة التنظيم مزودة بإمكانيات هائلة ، مكنتها من إغراق البلاد بأنواع من هذه المخدرات ، أدى انتشارها إلى آثار مدمرة على المستويات الإنسانية والاجتماعية والإقتصادية ، الأمر الذى أوجب تدخل المشرّع لمواجهة هذا الخطر المحدق ، وللمحافظة على قيم وطاقات أفراد الشعب وقدرات وحيوية شبابه من أخطر أشكال الدمار الإنسانى ، فأصدر القانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ بتعديل بعض أحكام القانون رقم (١٨٢) لسنة ١٩٦٠ .

(*) الكاتب نائب رئيس محكمة النقض

إثبات المواد المخدرة تفصيلا :

ولم يضع المشرع المصرى تعريفا شاملا للمواد المخدرة ، ولكنه بين هذه المواد على سبيل الحصر فى الجداول الستة الملحقة بالقانون ، وفتح الباب لإضافة مايجد من المواد المخدرة وحذف مايخرج عن هذا النطاق . وذلك لأن التقدم العلمى والتكنولوجى قد يؤدى إلى تغيير وجهات النظر فى مادة معينة واعتبارها مخدرة من عدمه ، ولذلك فقد نصت المادة ٣٢ من القانون رقم (١٨٢) لسنة ١٩٦٠ على أنه «للوزير المختص بقرار يصدره أن يعدل فى الجداول الملحقة بهذا القانون بالحذف وبالإضافة أو بتغيير النسب الواردة فيها» .

وسوف نعرض فى الصفحات التالية لأحكام الشريعة الإسلامية والقانون الجنائى المصرى فى بعض المسائل المتعلقة بالمخدرات ، وعلى وجه التحديد : «الإتجار فى المخدرات ، تعاطى المخدرات ، التواجد فى مكان أعد أو هيىء لتعاطى المخدرات وكان يجرى فيه تعاطيها» .

الشريعة الاسلامية تحرم الإتجار فى المخدرات[1] :

إن المخدرات ـ بكافة أنواعها وأسمائها ـ محرمة قطعا بدخولها فى اسم المخدر والمسكر . فهل إنتاجها بكافة وسائله والإتجار فيها وتهريبها والتعامل فيها كذلك يكون محرما ؟

يتضح حكم هذا : إذا علمنا أن الشريعة الإسلامية إذا حرمت شيئا على المسلم حرمت عليه فعل الوسائل المفضية إليه ، وهذه القاعدة مستفادة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة :

ففى القرآن تحريم الميتة والدم والخمر والخنزير ، وفى بيع هذه المحرمات يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه ـ فيما رواه الجماعة عن جابر ـ رضى الله عنه[2] «إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» وحين حرم الله الزنا حرم دواعيه من النظر واللمس والخلوة بالمرأة الأجنبية فى مكان خاص ، لأن كل هذا وسيلة إلى الوقوع فى المحرم ، وهو المخالطة غير المشروعة ، وفى آيات سورة النور الخاصة بالاستئذان قبل دخول بيوت «غير بيوتكم» : الأمر للرجال وللنساء بغض البصر عن النظر لغير المحارم ، وإخفاء زينة النساء وستر أجسادهن ، كل ذلك بُعْداً بالمسلمين عن الوقوع فيما لايحل ، وحماية لحرمة المنزل والمساكن .

ومن هنا تكون تلك النصوص القرآنية دليلًا صحيحاً مستقيماً على أن تحريم الإسلام لأمر تحريم يكون لجميع وسائله ومع هذا فقد أفصح الرسول ﷺ عن هذا الحكم فى الحديث الذى رواه أبو داود فى سُنَنه كما رواه غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه ممن يتخذه خمرا فقد يقحم فى النار» وقوله ﷺ المروى عن أربعة من أصحابه منهم أن عمر رضى الله

(١) الفتاوى الإسلامية ـ دار الإفتاء المصرية ـ المجلد العاشر ص ٣٥١٣ .

(٢) نيل الأوتار للشوكانى جـ ٥ ص ١٤١ وسبل السلام للصنعانى جـ ٢ ص ٣١٦ .

عنه[٣] : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة إليه » صريح كذلك فى تحريم كل وسيلة مفضية إلى شرب الخمر . ومن هنا تكون كل الوسائل المؤدية إلى ترويج المخدرات محرمة سواء كانت زراعة أو إنتاجا أو تهريبا أواتجارا .

فالتعامل فيها على أى وجه مندرج قطعا فى المحرمات باعتباره وسيلة إلى المحرم ، بل إن الحديثين الشريفين سالفى الذكر نصان قاطعان فى تحريم هذه الوسائل المؤدية إلى إشاعة هذا المنكر بين الناس باعتبار أن إسم الخمر بالمعنى السالف « ما خامر العقل » ، كما فسرها سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ شامل للمخدرات بكافة أسمائها وأنواعها ، ولأن فى هذه الوسائل إعانة على المعصية ، والله سبحانه نهى عن التقوى فى المعاصى كقاعدة عامة فى قوله سبحانه[٤]: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ . وفى إنتاج المخدرات والإتجار فيها وتهريبها وزراعة أشجارها ؛ إعانة على تعاطيها ، والرضا بالمعاصى معصية محرمة قطعاً ، لاسيما وأن هذه الوسائل مؤداها ومقصودها تهيئة هذه السموم المخدرة للتناول والانتشار بين الناس ، فهى حرام حرمة المخدرات ذاتها ، لأن الأمور بمقاصدها .

والقانون الجنائى المصرى يجرم الإتجار فى المخدرات :

وقد تضمن نص المادة السابعة من القانون رقم (١٨٢) سنة ١٩٦٠ المعدل أنه : لا يجوز الإتجار فى الجواهر المخدرة إلا بعد الحصول على ترخيص بذلك من الجهة الإدارية المختصة ، وأنه لا يجوز منح ذلك الترخيص لفئة من المحكوم عليهم فى بعض الجرائم التى تدل على أن مرتكبها لا يؤتمن على الإتجار فى الجواهر المخدرة ، ومن بين هؤلاء المحكوم عليه بعقوبة جناية ؛ سواء كانت من جنايات المخدرات أم الاعتداء على الأشخاص أو الأموال أو أية جناية أخرى ، لأن عبارة النص جاءت عامة ومطلقة ، فلا يجوز تخصيصها وتقييدها بنوع معين من الجنايات .

وكذلك المحكوم عليه فى إحدى جنح المخدرات وأيضا المحكوم عليه فى إحدى الجنح المبينة على سبيل الحصر فى البند (جـ) من المادة السابقة من القانون المتقدم وهى : جنح السرقة أو إخفاء أشياء مسروقة أو خيانة أمانة أو نصب أو إعطاء شيك بدون رصيد أو تزوير أو استعمال أوراق مزورة أو شهادة زور أو هتك عرض أو إفساد الأخلاق أو تشرد أو اشتباه ، وكذلك المحكوم عليه لشروع منصوص عليه لإحدى هذه الجرائم .

ويضاف إلى قائمة الممنوعين من الإتجار فى الجواهر المخدرة من سبق فصله تأديبيا من الوظائف العامة لأسباب مخلة بالشرف مالم تنقض ثلاث سنوات من تاريخ الفصل نهائيا ، أما من فصل

(٣) رواه أبو داود فى سننه جـ ٢ ص ١٢٨ فى كتاب الأشربة وابن ماجة فى سننه .

(٤) من الآية ٢ من سورة المائدة .

تأديبيا لأسباب أخرى غير مخلة بالشرف فليس هناك مايحول دون حصوله على ترخيص بالإتجار فى الجواهر المخدرة[٥] .

والجدير بالذكر أن الترخيص بالإتجار فى الجواهر المخدرة ؛ قد وضعت له ضوابط دقيقة بالنسبة للأماكن التى يرخص فيها بالإتجار ، وكذلك بالنسبة للصيدليات التى تقوم بصرفها للمرضى بموجب تذاكر طبية تصدر من الأطباء وحدهم الذين خولهم قانون مزاولة مهنة الطب وصف المواد المخدرة للمرضى ، وإعطائها لهم فى أية صورة للعلاج ، وكما تستعمل المواد المخدرة فى الأغراض العلمية تستعمل أيضا للتخدير قبل العمليات الجراحية ، أو لتخفيف الآلام بعدها ، وللتغلب على الأرق إلى غير ذلك من الحالات المرضية .

وبالنسبة لعقوبة الإتجار فى المواد المخدرة فإن المشرع قد نص فى المادة (٣٤) من القانون ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ المعدل بالقانون (١٢٢) لسنة ١٩٨٩ على أنه يعاقب بالإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة وبغرامة لاتقل عن مائة ألف جنيه ، ولا تجاوز خمسمائة ألف جنيه : ــ

(أ) كل من حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو سلَّم أو نقل أو قدم للتعاطى جوهرا مخدرا وكان ذلك بقصد الإتجار ، أو أتجر فيه بأية صورة ، وذلك فى غير الأحوال المصرح بها قانونا .

وقد قضت محكمة النقض المصرية فى حكم شهير لها «أنه يكفى لتوافر أركان الجريمة المنصوص عليها فى الفقرة الأولى من المادة (٣٤) من القانون رقم (١٨٢) لسنة ١٩٦٠ المعدل ، مجرد توافر قصد الإتجار فى المواد المخدرة ، ولو لم يتخذ الجانى الإتجار فى هذه المواد حرفة له سواء كان إحراز المخدر أو حيازته لحسابه أو لحساب غيره ممن يتجرون فى المواد المخدرة .

دلالة ذلك أن نص الفقرة الأولى من المادة (٣٤) سالفة البيان بعد أن جرى على عقاب حالات الحيازة أو الإحراز أو الشراء أو البيع أو التسليم أو تقديم المواد المخدرة للتعاطى بقصد الإتجار قد ساوى بينها وبين الاتجار فيها بأية صورة فيتسع مدلولة ليشمل ما غير ذلك من الحالات التى عددتها هذه المادة على سبيل الحصر المحظور على الأشخاص ارتكابها بالنسبة للإتجار فى المواد المخدرة[٦] .

وإذا كان المشرع المصرى قد ضمن القانون ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ المعدل بالقانون ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ عقوبة الإعدام بالنسبة لجلب الجواهر المخدرة أو الإتجار فيها ، فما حكم الشريعة الإسلامية بالنسبة لإنزال عقوبة الإعدام ؟[٧] .

عرضت على فضيلة مفتى جمهورية مصر العربية قضية جلب مخدر قبل إصدار الحكم باعدام المتهم وقد أبدى فضيلته الرأى فيها على النحو الآتى :

---

(٥) راجع . كتابنا «قضاء المخدرات» الطبعة الثالثة ص ٤٠ ومابعدها .

(٦) نقض جنائى ــ الطعن رقم ١٨٨٨ لسنة ٥٣ ق ــ جلسة ١٩٨٣/١٠/٢٠ .

(٧) راجع كتابنا «قضاء المخدرات» الطبعة الثالثة صفحة ٨٤ ومابعدها .

إن الشريعة الإسلامية قد جاءت رحمة للناس ، واتجهت فى أحكامها إلى إقامة مجتمع فاضل تسوده المحبة والمودة والعدالة والمثل العليا فى الأخلاق والتعامل بين أفراد المجتمع . ومن أجل هذا كانت غايتها الأولى تهذيب الفرد وتربيته ليكون مصدر خير للجماعة ، فشرعت العبادات سعيا إلى تحقيق هذه الغاية ، وإلى توثيق العلاقات الاجتماعية ، كل ذلك لصالح الأمة وخير الجموع والمصلحة التى إبتغاها الإسلام وتضافرت عليها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بهدف المحافظة على أمور خمسة يسميها فقهاء الشريعة الاسلامية «الضرورات الخمس» وهى : الدين والنفس والمال والعقل والنسل ، والمحافظة على العقل من الضرورات التى حرص الإسلام على تأكيدها فى تشريعه . وحفظ العقل من أن يناله آفة تجعل فاقده مصدر شر وأذى للناس وعبئا على المجتمع ، ومن أجل هذا حرم الإسلام الخمر ، وعاقب من يشرب الخمور وغيرها مما يتلف العقل ويخرج الإنسان عن إنسانيته . وكما قال الإمام الغزالى : «إن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الحق وصلاح الخلق فى تحصيل مقاصدهم ، لكنا نعنى بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع ، ومقصود الشرع من الخلق خمسة . وهو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقولهم ونسلهم وأموالهم فكل مايتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل مايفوت هذه الأصول الخمسة فهو مفسدة ودفعها مصلحة» .

وإذا كانت المخدرات كالحشيش والأفيون والكوكايين والهيروين وغيرها من المواد الطبيعية المخدرة ، وكذلك المواد المخلقة المخدرة تحدث آثار الخمر فى الجسم والعقل بل أشد ، فإن القاعدة الشرعية التى تعتبر من أهم القواعد التشريعية فى الإسلام . هى : دفع المضار وسد ذرائع الفساد .

كذلك أخرج الإمام أحمد فى مسنده ــ وأبو داود ــ فى سننه ــ عن أم سلمة ــ رضى الله عنها ــ قالت : «نهى رسول الله ــ ﷺ ــ عن كل مسكر ومفتر» .

والمفتر ــ كما قال العلماء : كل ما يورث الفتور والخور فى أعضاء الجسم ، وقد نقل العلماء إجماع فقهاء المذاهب على حرمة تعاطى الحشيش وأمثاله من المخدرات الطبيعية والمخلقة ، لأنها جميعا تودى بالعقل وتفسده ، وتضر بالجسم والمال وتحط من قدر متعاطيها فى المجتمع .

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب حد متعاطى المخدرات كشارب الخمر تماما ، لأنها تفعل فعلها وأكثر منها . بل قال ابن تيمية : «إن فى المخدرات من المفاسد ما ليس فى الخمر ، فهى أولى بالتحريم ، ومن استحلها وزعم أنها حلال فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل مرتدا ، لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين» .

ونخلص مما تقدم أن المخدرات بكافة أنواعها وأسمائها طبيعية أو مخلقة : مسكرة ، وأن كل مسكر من أى مادة حرام ، وهذا الحكم مستفاد نصا من القرآن الكريم ، ومن سنة رسول الله ــ ﷺ . وبذلك يحرم تعاطيها بأى وجه من وجوه التعاطى : من أكل أو شرب أو شم أو حقن ، لأنها مفسدة ودرء المفاسد من المقاصد الضرورية للشريعة الإسلامية حماية للعقل والنفس ، ولأن

الشرع الإسلامى اعتنى بالمنهيات ، وفى هذا يقول الرسول ... فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم . وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا[^٨].

إذا كان ذلك كذلك تكون كل الوسائل المؤدية إلى ترويج المخدرات محرمة سواء كانت زراعة أو إنتاجا أو تهريبا أو اتجارا . فالتعامل فيها على أى وجه مندرج قطعا فى المحرمات باعتباره وسيلة إلى المحرم .

ولما كان من مقاصد التشريع الإسلامى ماسماه الفقهاء بالضرورات الخمس ، وقد جرت عبارتهم بأنها : حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ النسل ، وحفظ المال ، وحفظ العقل ــ وقالوا : إنه بالاستقرار وجد أن هذه الضرورات الخمس مراعاة فى كل ملة .

وفى سبيل حفظ هذه الضرورات شرعت العقوبات . وهى كما جاءت فى استنباط الفقهاء من مصادر الشريعة تتنوع إلى ما يأتى :

أولا : الحدود .

ثانيا : جرائم الجناية على النفس ومادون النفس ومايتبعها من الدية والإرث .

ثالثا : جرائم التعازير .

ولما كان لكل حد عقوبة معينة ، أو عقوبات لا محيص من توقيعها على الجانى ، ففى التعزير مجموعة من العقوبات تبدأ من النصح وتنتهى بالجلد والحبس . وقد تصل للقتل فى الجرائم الخطيرة ، ويترك للقاضى أن يختار من بين هذه المجموعة العقوبة الملائمة للجريمة ولحال المجرم ونفسيته وسوابقه ، ولم تنص الشريعة على كل جرائم التعازير ، ولم تحددها بشكل لا يقبل الزيادة والنقصان ــ كما فعلت فى جرائم الحدود وجرائم القصاص والدية ، وإنما نصت على ماتراه من هذه الجرائم ضارا بصفة دائمة بمصلحة الأفراد والجماعة والنظام العام ، وتركت لأولى الأمر فى الأمة أن يجرّموا مايرون ــ بحسب الظروف ــ أنه ضار بصالح الجماعة أو أمنها أو نظامها . وأن يضعوا قواعد لتنظيم الجماعة وتوجيهها ويعاقبوا على مخالفتها .

الأصل فى التعزير

والأصل فى الشريعة الاسلامية أن التعزير للتأديب ، وأنه يجوز من التعزير ما أمنت عاقبته غالبا ، فينبغى ألا تكون عقوبة التعزير مهلكة ومن ثم فلا يجوز فى التعزير قتل ، ولا قطع لكن الكثير من الفقهاء أجازوا استثناء من هذه القاعدة العامة أن يعاقب بالقتل تعزيرا إذا اقتضت المصلحة العامة تقرير عقوبة القتل ، أو كان فساد المجرم لايزول إلا بقتله ، كقتل الجاسوس ، والداعية إلى بدعة ، ومعتاد الجرائم الخطيرة .

وإذا كان القتل تعزيرا قد جاء استثناء من القاعدة فإنه لا يتوسع فيه ولا يترك أمره للقاضى لكل العقوبات التعزيرية ، بل يجب أن يُعَيِّنْ ولى الأمر الجرائم التى يجوز فيها الحكم بالقتل . وقد اجتهد الفقهاء فى تعيين هذه الجرائم وتحديدها ولم يبيحوا القتل إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك . بأن كان المجرم قد تكررت جرائمه ويئس من

[^٨]: (٨) رواه ابن ماجه فى أول سننه .

إصلاحه ، أو كان استئصال المجرم ضروريا لدفع فساده وحماية الجماعة منه .

ويبيح الحنفيون عامة القتل تعزيراً ويسمونه القتل سياسة .

ويرى بعض الحنابلة هذا الرأى وعلى الأخص ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ويأخذ بهذا الرأى قليل من المالكية . ولما كان البين من مطالعة أوراق هذه ـ الدعوى ـ كما سطرتها التحقيقات أن المتهم/... قد قام بجلب جواهـــر مخدرة (هيروين) بقصد ترويجها والإتجار فيها فى جمهورية مصر العربية دون ترخيص كتابى من الجهة المختصة حسبما هو ثابت بتحقيقات النيابة وبأقوال الشهود ، وما ادعاه من عدم ملكيته للحقيبة وما تحتويه من مخدرات بعد اعترافه بحيازته لها لا ينهض دليلا على درء التهمة عنه .

ولما كان جلب المخدرات وترويجها والإتجار فيها لم يرد بشأنها عقوبة مقدرة شرعا يستوجب إنزالها على المتهم كحد : شرب الخمر وحد الزنا وحد قطع الطريق ، فإنه لا مناص من إدخالها فى باب التعازير التى قد تصل العقوبة فى بعض الجرائم الخطيرة فيها إلى القتل حسبما يقدره ولى الأمر ويرى أن الخطر الداهم الذى يحيق بالأفراد والجماعـــة من جراء جلب هذه المخدرات وترويجها لا يمكن درؤه إلا بالقتل ، لأن درء المفاسد من المقاصد الضرورية للشريعة حماية للعقل والنفس .

ولاشك أن تأثير المخدرات بأنواعها على عقل الإنسان أمر أثبتته البحوث والدراسات ، فتعاطى الهيروين والعقاقير المخدرة يؤدى عند الانقطاع أو الفشل فى الحصول على جرعة إلى الإصابة بتشنجات يعقبها اضطراب عقلى ربما يؤدى إلى الوفاة ، فالمخدر لعنة تصيب الفرد وكارثة تحل بالأسرة ، وخسارة محققة تلحق بالوطن ، لما كان ذلك ، فإذا اطمأن وجدان المحكمة إلى أن المتهم قد قام بجلب المخدر المشار إليه قاصدا ترويجه وتوزيعه بمعرفة أعوان فى جمهورية مصر العربية ، الأمر الذى يترتب عليه إتلاف الأموال والأبدان والعقول ، فإنه حينئذ يجوز أن تنزل به عقوبة التعزير حتى القتل وفقا لما تقتضيه مصلحة الأمة والجماعة .. والله سبحانه وتعالى أعلم .

العالم الإسلامي المعاصر

تعريفه وأهم خصائصه

- ٢ -

د/ زينب الأشوح

خلاصة لما سبق :

اختلف المفكرون فى وضع تعريف دقيق وشامل للعالم الإسلامى ، وذلك لاختلافهم حول العالم والحدود والخصائص التى تميز هذا العالم ، الأمر الذى قد يبعث على شىء من التشكك فى نتائج الدراسات المتعلقة بالعالم الإسلامى . وحسما للخلاف كانت هذه الدراسة لمناقشة الخصائص التى تميز العالم الإسلامى وتحلل المعايير التى تعين على استنباط مفهوم دقيق لعالمنا الإسلامى المعاصر .

خصائص العالم الإسلامى

أولا : الخصائص الديموجرافية :

بالنظر إلى مصادر الإحصاء المختلفة نجد أن هناك تفاوتاً كبيراً فى تقدير أعداد المسلمين فى العالم . وقد يفسر ذلك باختلاف مفهوم العالم الإسلامى ـ كما اتضح فى الجزء السابق ، كما يمكن أن يرجع ذلك إلى حداثة استقلال الكثير من الدول الإسلامية التى تعانى من القصور فى بياناتها «الديموجرافية» ، أو كما ذكر ياسين محمد مراد (ص ٧)[١] : أن بعض الدول ـ خاصة ـ فى العالم الثالث تميل إلى نشر بيانات مضللة لأسباب اقتصادية أو سياسية أو غيرها . كما يتوقع أن تسعى الدول غير الإسلامية إلى الإقلال من الأعداد الحقيقية للمسلمين فى العالم خاصة عن طريق التضليل فى أرقام الأقليات المسلمة ، وذلك كوسيلة للحط من شأن المسلمين ، وإظهارهم فى صورة محدودة ، هذا ومن المنتظر بعد العمليات الوحشية لإبادة المسلمين فى ظل النظام العالمى اللادينى الجديد ـ والتى نجحت إلى حد ما فى بعض المناطق الإسلامية : كالبوسنة والصومال واذربيجان ـ فمن المتوقع ان تتغير خريطة العالم الإسلامى وحجم سكانه من المسلمين وفقا للطرف المنتصر ، وأيضا تبعا لاستمرارية الافواج المتزايدة من الداخلين فى الإسلام خاصة فى الدول اللا إسلامية .

وفى هذا الجزء نعرض أهم ما ورد فى التوصيف الديموجرافى (المتعلق بالسكان) للعالم الإسلامى فى الدراسات المتخصصة . ففى هذا الصدد أشار عبدالرحيم عمران ـ خبير الأمم المتحدة (ص ٥٧)[٢] : إلى أن إحصاءات ١٩٩٠

(١) ا . د . أحمد شلبى (١٩٧٥) ، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

(٢) ا . د . احمد شلبى (١٩٨٣) ، موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، مطابع سجل العرب ، ١٩٨٣ .

نوضح أن إجمالى المسلمين فى العالم هو ١٢٠٠ مليون نسمة ، منهم ما يربو على ٩٠٠ مليون نسمة يعيشون فى أربع وأربعين دولة مسلمة (ومن تلك الدول خمس عشرة دولة دستورها الرسمى هو الإسلام) بينما يعيش الثلاثمائة مليون الباقون فى تجمعات أو أقليات فى دول غير إسلامية ، وتبرز من بينها ثلاثة تجمعات ضخمة تعيش فى الهند (أكثر من ٩٠ مليون) والصين (أكثر من ٨٠ مليون) والاتحاد السوفييتى السابق (أكثر من ٥٠ مليون) .

وفى حديثه عن التغيرات الديموجرافية فى سكان العالم الإسلامى ، يوضح فى (ص٥٨ وما بعدها) أن هناك أربعة نماذج للتغيرات التى حدثت فى سكان العالم الإسلامى ، الأول منها : يصف التغيرات فى الفترة القديمة ، بينما تصف النماذج المتبقية التغيرات فى الفترة الحديثة .

ـ النموذج القديم : ويصف تغير السكان حتى قرابة القرن الثامن عشر ، وهو نموذج الدورات السكانية ، وفيه يتذبذب حجم السكان ارتفاعا وهبوطاً مع الزمن نتيجة لتغيرات متتالية فى معدلات المواليد والوفيات والهجرة ، وتكون النتيجة النهائية عدم تراكم الزيادة السكانية . ومن أمثلة ذلك التغيرات السكانية فى مصر حتى بداية القرن الثامن عشر .

ـ النموذج المتخلف الحدوث : ويفسره المؤلف بأنه ينطوى على انخفاض كبير فى معدلات الوفيات نتيجة التقدم الصحى مع بقاء معدلات الخصوبة على ارتفاعها ، مما يؤدى إلى زيادة سكانية فائقة فى خلال فترة زمنية قصيرة ، ومن أمثلة هذا النموذج : البلاد الإسلامية فى أسيا وافريقيا .

ـ النموذج الانتقالى : ويبدأ بمستويات عالية من الخصوبة والوفيات ثم انخفضت فيه الوفيات بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم انخفضت فيه ـ بعد فترة ـ معدلات الخصوبة ، ومن أمثلة أصحاب هذا النموذج : ماليزيا وأندونيسيا وتونس ولبنان .

ـ النموذج شبه الكلاسيكى : حيث تنخفض فيه ـ معا ـ الوفيات والخصوبة . ويرى المؤلف أنه يقارب مايحدث فى اوروبا ، ويذكر أن البلاد الإسلامية المنتمية إلى هذا النموذج هى الولايات الإسلامية فى الاتحاد السوفييتى وفى يوغسلافيا .

أما عن أهم الخصائص الديموجرافية للمرأة فى العالم الإسلامى ، فيتضح من دراسة قامت بها هدى رشاد (صفحات ١٠١ ـ ١٠٣)[٣] وترى فيها : أن السن القانونى لزواج الإناث فى معظم الدول الإسلامية يتراوح ما بين ١٥ ـ ١٧ عاما ، أما عن متوسط عمر المرأة عند الزواج فهو ٢٠ عاما فى الريف ، ويرتفع قليلا فى المناطق الحضرية ، وتبلغ معدلات مساهمة المرأة فى الأنشطة الاقتصادية حوالى ١٥٪ فى المتوسط مع ارتفاع المعدل فى تركيا وأندونيسيا وماليزيا ، ولو أن هذا الارتفاع قد يرجع ـ جزئيا ـ إلى اعتبار القيام ببعض الأعمال المنزلية نوعا من المساهمة فى النشاط الاقتصادى ، وبوجه عام فان معدل مساهمة المرأة فى النشاط الاقتصادى فى الدول

(٣) ا . د . حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربى ، القاهرة .

الإسلامية ينخفض عنه فى الدول غير الإسلامية ، وفى داخل الدول الإسلامية ينخفض المعدل المذكور فى الدول الافريقية والعربية عنه فى الدول الأسيوية .

ثانيا : الخصائص الجغرافية :

يشغل العالم الإسلامى موقعا استراتيجيا ممتازا بين المناطق المختلفة من العالم ، فهو يشغل مساحة تزيد على ٣١ مليون كم٢ (مايزيد عن مساحة قارتى أوروبا واستراليا معا) وهو يطل - فى معظمه - على عدد كبير من المسطحات المائية المفتوحة التى تمثل أهم طرق المواصلات البحرية فى العالم . فيحده غربا المحيط الأطلسى الشمالى (الذى يمر به أكثر من ٥٢٪ من تجارة العالم) ، والبحر الأبيض المتوسط على الشمال الغربى (الذى يعد جزءا رئيسيا من أقصر الطرق الملاحية فى العالم التى تربط الشرق بالغرب) ، ويحده المحيط الهندى جنوبا ومضيق ملقا شرقا . وبوجه عام فان العالم الإسلامى يتحكم فى أهم المضايق والمداخل التى توصل جميع بلدان العالم بعضها بالبعض كما يكسبه موقعه الاستراتيجى الممتاز أهمية بالغة فى مجال النقل والتجارة الخارجية ، وكذا فهو يتمتع بأهمية كبرى بالنسبة للملاحة الجوية العالمية نتيجة صفاء جوه وخلوه من الغيوم فى معظم شهور العام ، بعكس المناطق الأخرى من العالم التى تتعرض للضباب والعواصف والأعاصير فى غالبية شهور العام ، انظر فى ذلك : (ياسين محمد مراد (صفحات ٤ - ٦)[٤] ، (محمود ابو العلا ص١٣)[٥] .

ثالثا : أهم الخصائص الأخرى :

وحيث أن العالم الإسلامى ككل لا يمثل المحور الرئيسى للدراسة ، فسوف نحاول أن نعرض بإيجاز شديد أهم الخصائص الأخرى التى تميزه كمدخل لدراسة أكثر تعمقا عن جزئية منه ، والتى تتمثل فى الجمهوريات الإسلامية الست فى آسيا الوسطى . فمن أهم تلك الخصائص ما يلى :

- فيما يتعلق بالنواحى الاثنولوجية (العرقية) ، تشير إحدى الدراسات (محمود أبو العلا ، ص ١٦)[٦] إلى أن الدماء المغولية تنتشر فى كثير من المجموعات العرقية التى تكون ٧١ ٪ من مجموع المسلمين فى العالم . وهناك ست مجموعات اثنولوجية رئيسية هى :

١ - المجموعة الأردية الهندية التركية (وتتركز فى باكستان وأفغانستان وإيران والهند وكشمير ونيبال وسريلانكا وبورما وبوتان) ويشكل مسلموها ٢٦ ٪ من إجمالى المسلمين .

٢ - المجموعة العربية (تسع دول فى افريقيا وثلاث عشرة دولة فى اسيا) يشكل مسلموها

(٤) د . السيد خالد المطرى (١٩٨٩) ، دراسات فى مدن العالم الإسلامى ، معهد البحوث والدراسات العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت .

(٥) د . صلاح عبدالجابر عيسى (١٩٩٠) ، خصائص التركيب الاقتصادى لسكان الدول الإسلامية ، السكان فى العالم الإسلامى ، المؤتمر الإسلامى الدولى ، المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية ، جامعة الأزهر - القاهرة .

(٦) ا . د . عبدالرحيم عمران (١٩٩٠) ، « التوصيف الديموجرافى لسكان العالم الإسلامى حاضرا ومستقبلا » ، السكان فى العالم الإسلامى ، المؤتمر الإسلامى الدولى ، المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية ، جامعة الأزهر ، القاهرة .

١٩ ٪ من إجمالى مسلمى العالم .

٣ ـ المجموعة المغولية التركية (وتضمهم ألبانيا وبعض دول شبه جزية البلقان وتركيا والاتحاد السوفييتى ووسط أسيا) ويمثل مسلموها ١٧ ٪ من الجمالى المسلمين .

٤ ـ المجموعة الملايوية المغولية (وتوجد فى جنوب شرق آسيا من ماليزيا غربا حتى جزر بولونيزيا فى المحيط الهادى ، وفى شبه جزيرة الملايو وسنغافورة وأندونيسيا والفلبين وبعض جزر المحيط الهادى وجزيرة مدغشقر) ويقدر مسلموها بحوالى ١٦ ٪ من الإجمالى الكلى للمسلمين .

٥ ـ المجموعة الإفريقية (جنوب الصحراء الكبرى) ويمثل مسلموها ١٣ ٪ من إجمالى المسلمين .

٦ ـ المجموعة الدرافيدية المغولية (وتتركز فى البنجلاديش) ويعد مسلموها بنسةب ٩ ٪ من اجمالى المسلمين فيالعالم .

ومايتبقى من مسلمين فهم يتواجدون فى الدول الاوروبية وفى الاميركتين واستراليا (شاملة الاقيانوسية) .

الحجم الإسلامى فى العالم :

وعن حجم الإسلام مع الديانات الأخرى ، يعتبر العالم الإسلامى فى المركز الأول من حيث المساحة التى يشغلها ، بينما يحتل المكانة الثانية من حيث العدد ، حيث تمثل المسيحية (٦٦ ٪) بينما يمثل المسلمون (١٨ ٪) من سكان العالم ، يليهم الوثنيون ومعتنقو الديانات غير السماوية كالهندوسية والبوذية (١٣ ٪) أما اليهود فيمثلون (٣٪) راجع فى ذلك كتاب (الحقائق) فى طبعته الإنجليزية ص ٧١٨ ولكن تلك التقديرات تقريبية ، فهى تختلف إلى حد كبير عما ورد فى الدراسات الأخرى ؛ حيث نجد مثلا فى « الموسوعة العالمية » ص٢٢[٨] ، أن معتنقى الإسلام يحتلون المكانة الثالثة (٢٤,٣ ٪) وذلك بعد المسيحيين (٤١,٨ ٪) ، وبعد الهندوسية والبوذية والكنفوشية (٣٣,٣ ٪) ، غير أن الاختلاف فى هذه التقديرات يجعلنا نأخذ بتلك البيانات كدليل توضيحى عام ، وليس كمصادر موثوق بها .

والمذاهب الرئيسية للمسلمين لها قسمين رئيسيين هما المذهب السنى ، ويعتنقه الغالبية العظمى من المسلمين (٩٠ ٪) والمذهب الشيعى ، ولا يزيد معتنقوه عن ١٠ ٪ من المسلمين . غير أن جميع المسلمين تجمعهم عقيدة التوحيد بالله واتباع الفرائض الخمس التى تمثل اركان الإسلام .

التعداد الإسلامى فى المدن :

ـ وتعتبر المدن من الملامح القديمة فى العالم الإسلامى راجع فى ذلك دراسة (السيد خالد المطرى)[٩] ، ولقد تميز العالم الإسلامى فى العصور الوسطى بحضارة مدنية وكانت القاهرة أعظم مدن العالم ،

---

(٧) د . على جريشة (١٩٩١) ، حاضر العالم الإسلامى ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

د. عبدالستار فتح الله سعيد (١٩٨٨) ، الدولة فى ظل الإسلام ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة .

(٨) د . هدى رشاد (١٩٩٠) ، « الخصائص الديموجرافية للمرأة فى الدول الإسلامية » ، السكان فى العالم الإسلامى ، المؤتمر الإسلامى الدولى ، المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية ، جامعة الأزهر ، القاهرة .

(٩) د . محمود أبو العلا (١٩٩١) ، جغرافية العالم الإسلامى واقتصادياته ، مكتبة الفلاح ، الكويت .

ويمكن تصنيف الدول الإسلامية المعاصرة من حيث ظاهرة سكنى المدن إلى أربع مجموعات متميزة هى :

١ ـ مجموعة مرتفعة حضاريا والتى تزيد نسبة سكأن المدن فيها عن ٤٠ ٪ وتضم ٢١ دولة الى جانب الجمهوريات الاسلامية السوفييتية (سابقا) .

٢ ـ مجموعة تضم الدول متوسطة الارتفاع فى ظاهرة سكنى المدن وتتراوح نسبة سكان المدن وتتراوح نسبة سكان المدن فيها بين ٣٠ ٪ و ٤٠ ٪ من جملة سكانها .

٣ ـ المجموعة الثالثة وتضم الدول التى تتراوح نسبة سكان المدن فيها بين ٢٠ ـ ٣٠ ٪ من إجمالى سكانها .

٤ ـ المجموعة الرابعة وتضم الدول المنخفضة حضاريا والتى تبلغ نسبة سكان المدن فيها أقل من ٢٠ ٪ من إجمالى سكانها .

مستقبل التوسع الإسلامى :

ـ وعن التوسع الإسلامى ترى دائرة المعارف للأديان ـ ص (١٦٠)[١٠] ـ أن له صورتين :

التوسع فى حدود الدولة الإسلامية أو العالم الإسلامى .

والتوسع فى إعداد معتنقى الدين الإسلامى . سواء تم ذلك فى داخل إطار العالم الإسلامى أو فى الدول غير الإسلامية . وبوجه عام فإن من أهم العوامل والوسائل التى ساعدت على التوسع الإسلامى ـ عدد وحدودا ـ الفتوحات الإسلامية ، وحسن معاملة غير المسلمين واتساع نطاق التبادل التجارى بين المسلمين وغيرهم ، وزواج المسلمين من غير المسلمات .

وفى الوقت الحالى يمكننا إضافة عامل هام يمكن أن يلعب دورا هاما فى تغيير نطاق حدود العالم الإسلامى وهو إنهيار النظام الشيوعى (الذى صاحبه قيام جمهوريات إسلامية بعد انفصالها عن الدول الشيوعية التى كانت تسيطر عليها) وانتقال دفة الهيمنة الاقتصادية والقوة العسكرية ـ مؤقتا ـ إلى المعسكر الغربى (الذى يسعى بكل قوته إلى وقف المد الإسلامى ، وعرقلة الصحوة الإسلامية العالمية) التى تحاول إعادة الحياة إلى الدولة الإسلامية الى ما كانت عليه فى عهد الخلفاء الراشدين .

اقتصاد العالم الإسلامى :

ـ وبتناول الوضع الاقتصادى العام للعالم الإسلامى فى لمحة سريعة ، من خلال بعض الدراسات تقول الدراسات على سبيل المثال مثل : (على جريشة صفحات ١٧ ، ٢١ و٧٩ ، ٨٠) و(حسين مؤنس صفحات ٣٩٣ ، ٣٩٤)[١١] و(صلاح عبدالجابر صفحات ١٣٤ ، ١٤٨)[١٢] نرى أن العالم الإسلامى يتمتع

(١٠) ا . د . ياسين محمد مراد (١٩٩٠) ، محاضرات فى جغرافية العالم الإسلامى ـ بدون مكان نشر ـ القاهرة .
د. يسرى الجوهرى ، د. ناريمان درويش (١٩٩٢) ، جغرافية العالم الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .

11 — The world Almanac and book of facts, 1993, New York.
12 — The world book encyclopedia, 1988, Vol. 16, U.S.A.

ـ إلى جانب الموقع الاستراتيجى الممتاز ـ بأراض خصبة واسعة وصحارى شاسعة تجعلها دائما غنية بالموارد غير القابلة للنفاد . فبالنسبة للبترول ـ الذى يمثل المصدر الرئيسى للطاقة ـ تنتج الدول الإسلامية منه ما يوازى ٣٠,٦٪ من جمله الانتاج العالمى ، تليها الولايات المتحدة (٢٩,٦٪) . بينما يبلغ احتياطى البترول فى الدول الإسلامية نحو (٦٩,٣) من جملة الاحتياطى العالمى . وتعد الزراعة من أهم الانشطة ومصادر الدخل للمنطقة المعنية ، ولو أن البعض من دول هذه المنطقة قد أحرز تقدماً ملاحظاً فى مجال الصناعة مثلما تحقق فى ماليزيا وبنجلاديش والنيجر وتشاد ومالى ، حيث بلغ معدل النمو فيها مايزيد عن ١٠ ٪ سنويا . ومع هذا فإن قطاع الخدمات يحتل المرتبة الثانية ـ بعد الزراعة ـ من حيث نموه فى مجموعة الدول الإسلامية .

هذا وتتباين الدول الإسلامية فى درجة البطالة بحيث يمكن تصنيفها إلى مجموعتين رئيسيتين ، ودول تتزايد فيها البطالة ودول تتناقص فيها البطالة . بالنسبة للمجموعة الأولى يمكن تصنيفها إلى ثلاثة مجموعات فرعية : دول تتزايد فيها البطالة بنسبة ٢٠ ٪ سنويا فاكثر (اندونيسيا والنيجر وتونس) وهى نسبة مرتفعة بمقارنتها عالميا . ودول تتزايد فيها البطالة بنسبة ١٠ ـ ٢٠ ٪ وهى تتناسب والنسب السائدة فى البلاد النامية (ومنها مصر والسنغال وساحل العاج) ، ودول تتزايد فيها البطالة بنسبة أقل من ١٠ ٪ سنويا وهى تقترب من نظيرتها فى الولايات المتحدة الأمريكية (ومنها سوريا والمغرب وسيراليون) . أما الدول التى تتناقص فيها البطالة السكانية فهى خمس : ليبيا (أكبرها فى نسبة التناقص ٢٠ ٪ سنويا) ونيجيريا والعراق (حيث تحقق فى الثلاث دول تقدما فى التنمية مما اتاح فرصا اكثر للعمالة) وماليزيا وباكستان (اللتان تتميزان بتصدير العمالة الزائدة إلى أسواق العمل الخارجية .

هذا وترتفع نسبة الإعالة (وهى نسبة نظرية تعنى عدد الأشخاص الذين يعولهم أحد أفراد قوة العمل) فى معظم الدول الإسلامية عنها فى بقية دول العالم (٦٩ ٪ وأحيانا تصل إلى ٧٥ ٪ فى الدول الإسلامية مقابل ٥٤ ٪ فى الدول الأخرى) .

وتأسيسا على ما تقدم نرى إلى أى مدى يتميز العالم الإسلامى ـ عن غيره ـ بخصائص دينية واجتماعية واقتصادية ثرية بشريا وطبيعيا مما يجعل التكامل الشامل بين أبنائه ضرورة ملحة وممكنة فى نفس الوقت ـ لمجابهة التكتلات العالمية غير الإسلامية ، ولحماية الدول الإسلامية الصغرى والوليدة مثل تلك التى ولدت مؤخرا فى آسيا الوسطى.

الأزهر والحوار مع المؤسسات الدينية العالمية

إعداد أ.د/ محمود حمدى زقزوق (*)

نقاط البحث :

١ ــ تمهيد : ضرورة الحوار

٢ ــ شروط الحوار

٣ ــ المؤسسات الدينية العالمية

٤ ــ موقف الأزهر من الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية

٥ ــ مجالات الحوار

(أ) حوار حول العقائد الدينية

(ب) حوار حول القيم الانسانية فى الأديان

٦ ــ الحوار مع المؤسسة الاستشراقية

١ ــ تمهيد : ضرورة الحوار :

لقد أصبحت قضية الحوار فى عالم اليوم قضية ملحة على جميع المستويات . فنحن نعيش فى عصر تشابكت فيه المصالح وتعقدت فيه المشاكل على نحو لم يسبق له مثيل .

وقد أصبح البحث عن حلول لهذه المشاكل عن طريق الحوار أمرا ضروريا . وقد يكون الحوار محليا أو إقليميا أو عالميا حسب طبيعة المشاكل المثارة ، وعلى كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها من مشكلات .

من هنا يمكن القول بأن الحوار قد أصبح ضرورة من ضرورات العصر للتغلب على المشكلات الواقعية فى عالمنا . والقضايا الدينية تعد جزءا لا يتجزأ من مشكلات عالمنا الواقعية ، بل تعد القضايا الدينية فى كثير من الأحيان بمثابة الخلفية لبقية المشكلات لما للدين من تأثير عميق فى نفوس الناس . هكذا كان الحال فى السابق ، ولا يزال الحال كذلك حتى اليوم رغم ما نراه فى كل مكان من مظاهر علمانية فى الشرق والغرب ، أو تصريحات سياسية تنكر هذه الحقيقة .

والحوار الدينى يعد أيضاً جزءا لا يتجزأ من الحوار بين الحضارات . فالحضارات فى كل مكان فى العالم قامت أساسا على قاعدة من الدين . ويعد

(*) الكاتب عميد كلية أصول الدين ــ القاهرة ــ جامعة الأزهر
أعد البحث بمناسبة الدورة الرابعة للندوة المصرية المغربية .

موقع الثقافتين المصرية والمغربية من الثقافات العالمية .
القاهرة ١٩ من شعبان ١٤١٤ ــ ٢١ من شعبان ١٤١٤
٩٤/١/٣١ ــ ٩٤/٢/٢ .

الدين حتى اليوم فى نظر كتاب معاصرين فى الغرب أحد المكونات الرئيسية لأى حضارة بالإضافة إلى اللغة والتاريخ والثقافة . ومن هنا يصف الغرب حضارته بأنها حضارة مسيحية كما نصف حضارتنا بأنها حضارة إسلامية . ويُقسِّمْ عميد معهد الدراسات الاستراتيجية فى جامعة هارفارد[1] حضارة الغرب إلى ما يسميه الحضارة المسيحية الغربية والحضارة السلافية الأرثوذكسية ويجعل الدين أخطر مكونات الحضارة .

ومن هنا فإن الحوار الدينى لا يمكن عزله عن ألوان الحوارات الأخرى ، لأنه يتشابك معها بطريقة أو بأخرى تشابكا ظاهرا أو خفيا أردنا أم لم نرد . وقد أكد هذه الحقيقة أحد علماء الأديان المعاصرين المستنيرين فى ألمانيا وهو الأستاذ هانز كونج بقوله : «لن يكون هناك سلام فى العالم بدون أن يكون هناك سلام بين الأديان ، ولن يكون هناك سلام بين الأديان بدون أن يكون هناك حوار بين الأديان[2] .

وإذا كان عالمنا يتجه إلى الحوار على المستويات الأخرى فمن باب أولى ينبغى أن يكون هناك حوار على المستوى الدينى بهدف القضاء على الكثير من مظاهر الصراعات التى تلعب فيها العقيدة الدينية دورا خطيرا . وإذا كنا فى الماضى قد شهدنا حروبا صليبية صريحة يرفع فيها شعار الدين ؛ فنحن نشهد اليوم حروبا مظهرها عرقى أو اقتصادى أو غير ذلك من مسميات ولكن خلفيتها دينية بالدرجة الأولى وإن أنكر البعض ذلك ، و«مشكلة البوسنه والهرسك» أوضح مثال على ما نقول .

٢ ـ شروط الحوار :

وقبل أن أدخل فى تفاصيل الموضوع المطروح وهو «الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية» أود أن أوضح :

أولا : شروط الحوار بصفة عامة وهو ما ينطبق فى النهاية على الحوار الدينى أيضا .

الحوار كما هو معروف يقتضى أن يكون هناك طرفان كل منهما ند للآخر . فالحوار بين طرف قوى يدرك مدى قوته وطرف ضعيف على وعى بضعفه يجعل الطرف القوى فى وضع يجعله يملى شروطه على الطرف الضعيف الذى لا يكون لديه مجال للمناورة ، ومن هنا لا يكون هناك حوار ، بل يكون بالأحرى إرغاما عن طريق القوة ، وإن كان فى الظاهر يأخذ شكل الحوار .

ثانيا : يقتضى الحوار أيضا أن تكون هناك قضية يتحاور الجانبان بشأنها ، ولابد فى هذه الحالة أن تحدد بدقة عناصر القضية حتى لا يكون الحوار دائرا فى حلقة مفرغة مثل حوار «الطرشان» ، كل يتحدث بلغة مختلفة وبمفاهيم مختلفة لا تربط بينها أرضية مشتركة .

ثالثا : يتطلب الأمر أيضا تحديدا واضحا لأهداف الحوار حتى تكون هذه الأهداف دليل المتحاورين لا يحيد عنها طرف من الأطراف . ولا يجوز التقليل من أهمية هذا التحديد الواضح للأهداف ، إذ بدونه سنجد كل طرف يغنى على

---

(١) هو الأستاذ صامويل هانتينجتون . راجع صحيفة الأهرام ـ صفحة الثقافة ٩٣/١١/١٩

(2) Hans Küng projekt weltethos, p. 171, München 1990

« لَيْلاه » ، الأمر الذى يبعد المتحاورين عن إمكان الوصول إلى أى شىء مفيد .

رابعا : يضاف إلى ذلك ضرورة أن يكون هناك مناخ مناسب للحوار ينأى عن الأحكام المسبقة ، والمفاهيم المغلوطة ، ويتحرر من العقد النفسية سواء كان ذلك يتمثل فى عقدة التفوق فى جانب أو مركب النقص فى جانب اخر . فالنعرات الاستعلائية خطرها فى أى حوار لا يقل عن خطر الشعور بالدونية .

وهكذا نجد أن أى حوار يمكن أن يكتب له النجاح لا يجوز أن تكون غايته العمل على إلغاء الطرف الأخر أو استبعاده أو التقليل من شأنه أو الادعاء باحتكار الحق دون الأخر .

ويمكن القول بأن الحوار الدينى بالمعنى الحقيقى لهذا المفهوم لابد أن ينطلق بالاضافة إلى ما تقدم ـ من الاحترام المتبادل والمساواة التامة بين الطرفين ومن نظرة إنسانية شاملة تقوم على احترام الكرامة الإنسانية ووحدة الجنس البشرى وانتفاء الأنانية والفهم المتبادل بمعنى : التسليم بحق كل طرف فى أن يكون مفهوما من الطرف الأخر دون أى لون من ألوان التشويه أو التزييف(٣) .

٣ ـ المؤسسات الدينية العالمية :

يشتمل عنوان هذا البحث ـ كما حددته إدارة المؤتمر ـ على مفهوم المؤسسات الدينية العالمية . فما المقصود بهذه المؤسسات ؟

وهل تتعلق هذه المؤسسات بدين واحد بعينه ، أو بمعنى اخر :

هل يقصد بهذه المؤسسات تلك التى تنتشر فى الغرب بالذات ؟

لاشك أن المؤسسات الدينية العالمية فى الغرب ـ وهى مؤسسات مسيحية ـ تتمثل فى الفاتيكان ، أو فى مجلس الكنائس العالمى ، أو فى غير ذلك من مؤسسات دينية محلية فى أوربا وأمريكا لها نشاطات تتعدى حدود بلادها وتصل الى مناطق العالم الأخرى ـ كل هذه المؤسسات تعمل بجد ونشاط دائب لا يكل فى توسيع دائرة عملها فى كل مكان فى العالم . ومن هنا تنطلق الدعوة الى الحوار فى عصرنا الحاضر من هذه المؤسسات . وتلك حقيقة واقعة يؤكدها الدكتور وليم سليمان بقوله : «إن مبادرات الحوار بين الأديان حتى الآن تنطلق دائما من الغرب» . ويبدى فى هذا الصدد ملاحظة يقول فيها : «فالمبادرة للحوار مازالت تصدر من الغرب ، وتعقد تحت إشراف منظماته المسيحية ، وتظل أغلبية المسيحيين الحاضرين من الغرب»(٤) أى من المؤسسات الدينية الغربية . وتقوم هذه المؤسسات منفردة أو مجتمعة بإجراء حوارات فى اتجاهات عديدة . فهناك حوارات مسيحية ـ مسيحية ، أو مسيحية ـ يهودية ، وهناك حوارات مسيحية ـ إسلامية ، وهناك حوارات تشمل أصحاب الديانات السماوية الثلاثة بالإضافة إلى البوذية والهندوسية وغيرها من ديانات فى الشرق الأقصى .

---

(٣) راجع : الحوار بين الأديان للدكتور وليم سليمان ص ٣٦ وما بعدها ـ القاهرة ١٩٧٦

(٤) المرجع السابق ص ١٣ ، ٦٠

واذا كانت هذه المؤسسات الدينية العالمية تتمثل أساسا فى العالم الغربى ، فإنه يقابلها على الجانب الإسلامى الأزهر الشريف بما له من رصيد تاريخى ومكانة فى قلوب شعوب العالم الإسلامى قاطبة . ولاتزال للأزهر بوصفه مؤسسة إسلامية عالمية ، هذه المكانة العالية لدى المسلمين فى كل مكان . وكدليل ملموس على ذلك ، أود أن أشير إلى أن « كلية أصول الدين » التى أشرف بعمادتها تضم وحدها بين طلابها ثلاثة آلاف طالب من جميع أنحاء العالم الأسلامى بالإضافة إلى عدة آلاف آخرين من الطلاب والطالبات من كافة البلاد الإسلامية موزعين على كليات الأزهر ومعاهده .

ومن هنا ، فإن الأزهر هو المؤسسة الإسلامية العالمية المؤهلة لإجراء أى حوار مع المؤسسات الدينية العالمية .

وإذا كان الأمر كذلك فما موقف الأزهر من قضية الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية ؟

٤ ـ موقـــف الأزهـــر من الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية :

من المعروف أن رسالة الأزهر هى رسالة الإسلام ، وما يقوله الإسلام فى هذا الصدد هو بالضبط موقف الأزهر الذى لن يحيد عنه . ومن هنا يمكن أن يكون السؤال على نحو آخر : ما موقف الإسلام من قضية الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية ؟

لقد انطلقت المبادرة إلى الحوار الدينى فى الأساس من الإسلام ، والقرآن الكريم يقول ـ فى ذلك موجها الخطاب إلى النبى ﷺ ـ متضمنا المبادرة الى الحوار الدينى :

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٥) .

فهذه الدعوة القرآنية دعوة صريحة إلى الحوار الدينى بين طرفين :

الجانب الإسلامى وجانب أهل الكتاب من المسيحيين واليهود .

وهناك قضية يدور الحوار حولها ، وهى القضية المحورية فى الدين أساسا ، وهى قضية الألوهية .

ولا يكتفى القرآن الكريم بمجرد المبادرة ، بل يرسم أيضا أسلوب الحوار . فالحوار سيؤدى إلى مناقشات ومجادلات ، ولكنها ينبغى أن تلتزم بأدب الحوار . ومن هنا يقول القرآن فى ذلك :

﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ »(٦) ، كما جعل القرآن الجدال بالحسنى أحد المناهج التى يتحتم على الدعاة إلى الإسلام اتباعها لا مع أهل الكتاب فقط ، بل مع كل الناس :

(ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ)(٧)

ويمتاز موقـــف الإسلام فى أى حوار مع المؤسسات الدينية الغربية بميزة كبرى لا تتوفر لغيره من الأديان ، وهى إيمانه بكل ما أُنزِلَ من الديانات السماوية السابقة . وهذه الميزة تجعله متحررا من

(٥) سورة آل عمران ٦٤
(٦) سورة العنكبوت ٤٦
(٧) سورة النحل ١٢٥

العقد والحساسيات والنفور الذى قد يشعر به الآخرون فى مثل هذه الأحوال .

ومن أجل أن يكون هناك حوار مثمر ، وتعاون وثيق بين الجماعات البشرية أيا كانت انتماءاتها ـ دعا القرآن الكريم إلى ضرورة تعرف كل جانب على الجانب الآخر ، وتفهم مواقفه على قاعدة من المساواة التامة . وهذا ماتعبر عنه الآية الكريمة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾(٨) .

وهذه الآية تبرز المعنى الإنسانى العام لطبيعة الإسلام . فنحن نتعرف على الآخر من خلال تعرفنا على أنفسنا ، الأمر الذى يؤكد وحدة الإنسانية ، وهى تلك الوحدة التى مصدرها الله ـ تعالى ـ وقد أكد الإسلام على هذه الوحدة تأكيدا لا يقبل التأويل حين أعتبر أن الاساءة إلى أى فرد من أفراد الإنسانية يعد إساءة إلى الإنسانية كلها ، وفى المقابل يعد تقديم الخير الى فرد واحد من أفراد الانسانية بمثابة تقديم الخير إلى الإنسانية كلها . وهذا ماعبرت عنه الآية الكريمة :

﴿ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾(٩) .

ومن خلال ماتقدم يتضح لنا أن الاسلام لم يقر فقط مبدأ الحوار بل دعا إليه ، كما وضح الشروط الكفيلة لإنجاح أى حوار على المستوى الدينى الذى هو أعقد أنواع الحوارات على الإطلاق ، لأنه لا يمس أمور الحياة الدنيوية العادية التى يمكن التساهل فيها ، ولكنه يمس أمور العقيدة الدينية المترسخة فى النفوس والمتغلغلة فى الأعماق . فهى بطبيعتها أمور حساسة . ومع ذلك لا ينبغى أن نتهيب أو نخاف من إجــراء حوار حولها إذا ما توفرت الشروط الضرورية لذلك .

فإذا لم تفلح محاولات الحوار الدينى فى الوصول إلى نتائج ؛ فليس معنى ذلك أن تكون هنا قطيعة مع الآخرين . فليحتفظ كل بمعتقده « لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ »(١٠) «ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ »(١١) ولكن طريق التعاون والتفاهم والحوار حول ما يجمع الإنسانية يظل طريقا مفتوحا . فلنترك ما يستحيل الاتفاق فيه ، ولنتجه إلى ما يمكن الاجتماع عليه بدءا من التعارف ، وتفهم كل فريق لوجهة نظر الآخر فى احترام متبادل من أجل الالتقاء على مبادىء للتعاون المثمر لما فيه خير الإنسانية .

ومن نافلة القول أن نؤكد على أن موقف الأزهر فى قضية الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية هو نفسه هذا الموقف الإسلامى الذى أكده القرآن الكريم . فالازهر كمؤسسة دينية إسلامية عالمية يرحب بالحوار . وقد أقر مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر ـ والذى أشرف بعضويته ـ أقر مبدأ الحوار ، غير أن مثل هذا الحوار ينبغى أن يسبقه إعداد جيد ضمانا لإنجاحه . ويشتمل هذا الإعداد على تحديد دقيق لأهداف الحوار ، وللقضايا التى يجرى الحوار بشأنها ، وتهيئة الأجواء المناسبة للحوار بالإضافة الى جعل الحوار محصورا فى دوائر علمية وليس مجالا للدعايات الإعلامية ، وأن يجرى على قدم المساواة .

---

(٨) سورة الحجرات : آية ١٣

(٩) سورة المائدة : آية ٣٢

(١٠) سورة الكافرون : آية ٦

(١١) سورة آل عمران : اية ٦٤

ولم يكن موقف الأزهر فى هذا الصدد مجرد موقف نظرى ، بل إن الأزهر قد اشترك بالفعل بواسطة علماء يمثلونه فى العديد من الحوارات التى سنشير إليها فيما بعد ، وذلك بعد أن نلقى نظرة على مجالات الحوار الممكنة مع المؤسسات الدينية العالمية الغربية .

٥ ـ مجالات الحوار مع المؤسسات الدينية العالمية :

والسؤال المطروح الآن هو : ما القضايا التى يمكـــن أن تكـــون مجالا للحـــوار مع هذه المؤسسات ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال يمكن تلخيصها بالإشارة إلى محورين أساسيين يشكلان بصفـة رئيسية مجالات الحوار الدينى الممكنة .

أولهما : الحوار حول العقائد التى تشتمل عليها الأديان .

وثانيهما : الحوار حول ما تشتمل عليه الأديان من قيم إنسانية .

(أ) حوار حول العقائد :

لقد سبق أن أشرنا إلى أن القرآن الكريم قد طرح أهم قضايا الدين موضوعا للحوار ، ونعنى بذلك قضية وحدة الألوهية . ومع ذلك لم يلجأ إلى أسلوب التخويف أو الإرهاب لفرض وجهة النظر الإسلامية ، بل أكد فى وضوح لا لبس فيه حرية الاعتقاد : « لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ »(١٢) فاذا لم يقتنع الطرف الآخر بما يلقى إليه من أدلة وبراهين فهذا شأنه ، ولا سبيل لأحد ـ من الناس ـ عليه .

ولا تزال هذه القضية المحورية للدين قضية أساسية فى الحوار الدينى وستظل كذلك إلى أن تقوم الساعة .

ولكن السؤال الملح هنا هو : هل شروط طرح هذه القضية الآن للحوار قائمة ، وهل المناخ مهيأ لذلك ؟

إن التجارب التى تمت تدل على أنه ليست هناك الآن جدوى من الحوار بين المؤسسات الدينية العالمية حول مثل هذه القضية المحورية فى العقائد الدينية . فكل صاحب معتقد متمسك بمعتقده وما ترسخ فى ذهنه منذ نعومة أظفاره . والمؤسسات الدينية العالمية فى الغرب تعمـل جاهدة على فرض وجهة نظرها من منطلق الرغبة فى الهيمنة الدينية على العالم كله .

ويعرض الدكتور وليم سليمان(١٣) الأسس التى كانت تقوم عليها النظـرة الغربيـة إلى المذاهب والأديان الأخرى غير الغربية : مسيحية كانت أم إسلامية أم غير ذلك من مذاهب وأديان أخرى ، ويقول : إن هذه النظرة كانت إلى عهد ليس بالبعيد تقوم على الأسس التالية :

أولا : الاستبعاد المتبادل عقائديا واجتماعيا ، وكان التفوق الأوربى العالمى يعطى لهذا الاستبعاد صورا ونشاطات تتجاوز الفكر الى العمل .

وهذا الأساس يوصل إلى الأساس الثانى والذى تمثل فى صورة الارساليات الغربية والاستعمار .

أما الأساس الثالث فكان محاولة تغيير عقيدة الآخر .

---

(١٢) سورة البقرة : آية ٢٥٦

(١٣) الحوار بين الأديان ص ١٤ ومابعدها

وقد بدأ الغرب ـ فى الظاهر على الأقل ـ يعدل من هذه النظرة شيئا فشيئا بعد أن تأكدت المؤسسات الدينية الغربية من عقم هذه السياسة .

وقد استقبلت جامعة الأزهر عام ١٩٦٥م الكاردينال كونج رئيس أساقفة النمسا ، وألقى محاضرة فى ٣١ مارس ١٩٦٥ فى قاعة الشيخ محمد عبده حول «التوحيد فى العالم المعاصر» ودعا إلى أن يلتقى الإسلام والمسيحية على أساس جديد .

والأزهر لا يقف موقفا رافضا للحوار حول العقائد بهدف الوصول إلى كلمة سواء ، ولكن المناخ الحالى فى الغرب غير مهيأ إطلاقا لإجراء حوار مثمر حول هذه القضايا الأساسية للأديان . فوسائل الاعلام الغربية ، ماضية فى خطتها لتشويه صورة الإسلام بشكل لم يسبق له مثيل ، ولم يبق فى قاموس التهم والجرائم تهمة لم تلصقها وسائل الإعلام الغربية بالإسلام . ومثل هذا المناخ لا يسمح بإجراء حوار فى هذا الصدد مع المؤسسات الدينية الغربية . فالتناقض بين العقائد واضح ، والاختلاف قائم ، والالتقاء على كلمة سواء فيها أمر بعيد الاحتمال ، على الأقل فى الظروف الراهنة .

ولكن ليس معنى ذلك أن الأبواب قد سدت ، وأن المنافذ قد أغلقت ، وأننا وصلنا إلى مرحلة اليأس من احتمال إجراء حوار مثمر بين الإسلام وبين المؤسسات الدينية الغربية . فهناك مجال آخر للحوار يمكن أن يصل فيه الطرفان إلى نتائج إيجابية ، وهو مجال الحوار حول ما تشتمل عليه الأديان من قيم إنسانية .

(ب) حوار حول القيم الانسانية فى الأديان :

وهذا مجال ثرى ، فالأديان كلها أتت من أجل خير الإنسان وصلاحه فى العاجل والآجل ، والقيم الدينية فى كل حضارة كانت هى الأساس للقيم الأخلاقية السامية والمبادىء الإنسانية الرفيعة ، ومن هنا فإن الحوار حول مايجمع أصحاب الأديان من قيم إنسانية مشتركة هو أفضل السبل لتفهم كل جانب للآخر ، والتعاون البناء من أجل خير الإنسان وتقدمه واستقرار الأمن والسلام فى العالم . وعلى هذا النحو يمكن إقرار السلام بين الأديان الذى يعد شرطا لا مفر منه لإقرار السلام بين بنى البشر .

ومن هنا لابد أن يكون هدف الحوار هو الوصول إلى شكل من أشال التعاون المثمر ضد كل شكل من أشكال الإلحاد الذى يهدد كل الأديان ، وفى سبيل الخير العام للبشرية كلها للقضاء على الكثير من أشكال الصراع فى العالم . وهذا من شأنه أن يجعل هدف الحوار هو التعايش السلمى بين الأديان ، وخير الإنسان من حيث هو إنسان حتى يعم السلام العالم كله .

وقد شهد الأزهر العديد من اللقاءات مع بعض ممثلى المؤسسات الدينية العالمية كما اشترك عن طريق ممثليه فى العديد من المؤتمرات التى تتبنى موضوع الحوار فى الغرب . وأود هنا أن أشير الى بعض هذه اللقاءات والمؤتمرات :

لقد اشتركت شخصيا مع الشيخ عبدالمنعم النمر ـ رحمه الله ـ فى الملتقى الدولى من أجل السلام الذى عقد فى روما عام ١٩٨٧م ونظمته «مؤسسة سانت ايجيديو وحضره ممثلون لكل الأديان فى العالم . واستقبل بابا الفاتيكان

المشتركين فى هذا الملتقى ، وكان التأكيد فى هذا الملتقى على قضية السلام العالمى .

ومن جانب آخر قام الدكتور عبدالحليم محمود حينما كان شيخا للأزهر بإجراء حوار مع بعض ممثلى المؤسسات الدينية العالمية ، وتم ذلك فى مكتبه بالأزهر .

وقد اشتركت شخصيا فى عدد من الندوات والمؤتمرات الدولية التى تتبنى الحوار بين الأديان ، وأذكر من بينها :

ـ «ندوة الحوار بين الأديان» التى نظمهـا معهد الأديـان بفرايبـورج بألمانيـا عام ١٩٨٦ وقدمت آنذاك بحثا حول «المسئولية العالمية من وجهة النظر الإسلامية» . واشترك فى هذه الندوة علماء مسيحيون ومسلمون ويهود .

ـ المؤتمر الـذى نظمتـــه «مؤسسة سانت جبريل» فى النمسا عن موضوع : «الإنسان فى المسيحية والاسلام» ـ وقـدمت فيـه بحثـا عن الإنسان فى القرآن الكريم .

ـ الندوة التى عقدت فى «كلية اللاهوت» بجامعة «مونستر» بألمانيا فى نوفمبر ١٩٩٢ حول «العدل والسلام فى المسيحية والإسلام» وقدمت فيه أيضا بحثا عن مفهوم العدل فى الاسلام .

ـ المؤتمر الدولى للحوار الإسلامى المسيحى عن السلام من أجل الإنسانية الذى عقد فى ربيع العام الماضى ١٩٩٣ فى مدينة «فيينا بالنمسا» بمبادرة من وزير خارجيتها ونظمه معهد الأديان «بمؤسسة سانت جبريل» وقدمت فيه بحثا عن مفهوم السلام فى الإسلام . وألقيت فى حفل الافتتاح كلمة شيخ الأزهر التى وجهها الى المؤتمر . وفى هذه الكلمة أكد فضيلته على اعتراف الإسلام بواقع الديانات السماوية السابقة على رسالة الإسلام ، وبالأخوة الإنسانية والزمالة بين الأنبياء والرسل ، فكلهم تتكامل مهامهم نحو تحقيق الإخاء الإنسانى ليسود السلام الأرض كما ناشد فضيلته رجال الأديان بإقرار السلام فيما بينهم ، وطالب بوضع ميثاق إنسانى يوقف العدوان الفكرى والعسكرى بسبب إختلاف الدين .

ـ وفى خريف العام الماضى اشتركت فى مؤتمر نظمته «الأكاديمية الكاثوليكيـة» فى «زيـورخ» بسويسرا بالاشتراك مع «كلية اللاهوت» بجامعة زيورخ والمؤسسات البروتستانتية وقـد ألقيت محاضرة حول «المسيح فى القرآن الكريم» فى كلية اللاهوت بناء على طلب هذه الكلية . وألقيت فى المؤتمر المذكــور محاضرتين إحـــداهما : حول (الإسلام دين السلام) وثانيهما : بعنوان (مدخل لدراسة القرآن الكريم) وذلك بناء على طلب إدارة المؤتمر أيضا .

وفى كل لقـاء من هذه اللقـــاءات كانت المناقشات تتشعب إلى كل القضايا التى تدور فى الساحـة الإسلاميـة مثـل قضايـا : الأصوليـــة والعلمانية والجهاد والردة ومكانة المرأة وتعدد الزوجات وموقف الإسلام من قضايا حقـوق الإنسان وحرية الرأى وصلة الاسلام بالأديان الأخرى وبالعلم والحضارة والدولـة والسيـاسة والاقتصاد ووضع الأقليات غير الاسلاميـة فى المجتمع الاسلامى وغير ذلك من قضايا تهم الغرب فى الوقت الراهن . بل قد ازداد اهتمام الغرب بها ـ بصورة ملحوظة ـ منذ انهيار ما كان يسمى

بالاتحاد السوفيتى ، والبحث عن عدو بديل يتصوره الكثيرون فى الغرب على أنه الإسلام .

وقد بعث الأزهر ممثلا له فى «مؤتمر برلمان ديانات العالم» الذى عقد فى «شيكاغو» بالولايات المتحدة الامريكية فى شهر أغسطس من العام الماضى . ووجه شيخ الأزهر كلمة الى المؤتمر المذكور ألقاها نيابة عنه ممثل الأزهر فى المؤتمر .

ومن أهم أهداف هذا المؤتمر العالمى ما يأتى :

● تشجيع روح التوافق والاحتفال بالتنوع الثرى لديانات العالم بكل السماحة والاحترام المتبادل .

● تقويم وتجديد الدور الذى تقوم به ديانات العالم فيما يتعلق بالنمو الروحى الشخصى والتحديات التى يواجهها المجتمع العالمى .

وكان الموضوع الرئيسى لهذا المؤتمر هو «دور الحياة الدينية والروحية فى مجال القضايا الكبرى لعصرنا الحاضر» كالعنف والفقر والجوع والعنصرية والبيئة .

وفى كلمة الإمام الأكبر شيخ الأزهر التى وجهها إلى هذا المؤتمر أشار الى أن الإسلام ينسجم تماما مع أهداف المؤتمر والثمرات المرجوة من لقاءات هذا البرلمان العالمى للأديان(١٤) .

وركز فى كلمته على شرح علاقة الاسلام بالأديان والشعوب الأخرى وتوضيح مفهوم السلام فى الاسلام . وفى ختام كلمته قال :

«لنتذكر جميعا أنه لا يمكن أن يكون هناك سلام واحترام بين الأمم والشعوب والديانات المختلفة فى نفس الوقت الذى يذبح فيه أتباع إحدى الديانات الكبرى بيد أتباع دين آخر ... واذا سارت الأمور على هذا النحو ، فلا معنى لشعار تعايش الأديان . ولا جدوى من المناداة بإرساء مبادىء السلام بين الشعوب والأمم مالم يحترم دين كل أمة من قبل الأمم والشعوب الأخرى» .

وبالاضافة إلى هذه اللقاءات الدولة تتوالى زيارة الوفود الممثلة للمؤسسات الدينية الغربية على الأزهر ، وتجرى الحوارات غير الرسمية فى كل لقاء من هذه اللقاءات .

وهنا أود أن أبدى ملاحظة هامة من وجهة نظرى الشخصية ، ومن واقع تجربتى فى هذا الصدد . وتتلخص هذه الملاحظة فى أن الحوار مع المؤسسات الدينية الغربية لابد أن يستكمل بحوار مع المؤسسة الاستشراقية الغربية .

٦ ـ الحوار مع المؤسسة الاستشراقية :

ويعد الحوار مع المؤسسة الاستشراقية الغربية أحد العناصر الهامة للحوار مع المؤسسات الدينية الغربية لسبب هام هو : أن الاستشراق فى الغرب **نشأ أساسا لخدمة أغراض دينية . وقد كان ذلك واضحا عندما صدر قرار مجمع فيينا الكنسى عام ١٣١٢م بإنشاء أقسام للغة العربية فى خمس جامعات أوربية هى جامعات : باريس واكسفورد وسلمنكا وبولونيا بالإضافة إلى جامعة المدينة البابوية ، كما أن قرار إنشاء كرسى اللغة العربية فى جامعة كمبردج عام ١٦٣٦ قد نص صراحة على خدمة الهدف الدينى(١٥) .**

---

(١٤) نشرت مجلة الأزهر هذه الكلمة بعدد شعبان ١٤١٤هـ

(١٥) راجع كتابنا : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى : ص ٣٦ ، ٣٨ ـ دار المنار بالقاهرة ١٩٨٩

وإذا كانت الصبغة اللاهوتية للدراسات الاستشراقية حول الإسلام قد بدأ يحل محلها بالتدريج منذ منتصف القرن التاسع عشر صبغة علمية أكاديمية فإن استمرار الاستشراق فى الاشتغال بالإسلام والعلوم الإسلامية كانت نتيجته أن أصبح لدى الغرب الآن كَمٌّ كبير من الدراسات الاستشراقية حول الإسلام ، لها تأثيرها الكبير فى أوساط المؤسسات الدينية الغربية .

ومن هنا ، فإن الحوار مع المؤسسة الاستشراقية يدعم الحوار مع المؤسسات الدينية الغربية ، ولا يجوز تجاهله لأن الدراسات الاستشراقية تدلى برأيها فى كل خصوصيات الإسلام دينا وحضارة وتاريخا . وتعد هذه الدراسات أهم المكونات لتصورات المؤسسات الدينية الغربية عن الإسلام .

ومن أجل الوصول إلى لون من ألوان الحوار العلمى المفيد مع المؤسسات الاستشراقية فى الغرب تم الإعلان فى صيف العام الماضى فى برلين عن «تأسيس الجمعية العلمية للبحوث الإسلامية» . وتضم الهيئة التأسيسية لها ـ والتى أشرف بعضويتها ـ عددا من علماء الإسلاميات من المستشرقين فى الجامعات الألمانية وعددا من العلماء المسلمين المهتمين بهذا اللون من ألوان التعاون العلمى . وقد إتفق على أن يكون مقر هذه الجمعية مدينة (برلين) على أن يكون لها فيما بعد فروع فى أماكن أخرى فى أوربا وأمريكا . وعندما تبدأ هذه الجمعية نشاطها طبقا لما هو مقرر فانها ستكون من غير شك أداة فعالة لدراسة الإسلام ومايتصل به من قضايا عديدة دراسة علمية خالصة ، وستكون سندا حقيقيا لأى حوار بين المؤسسات الدينية الإسلامية والمؤسسات الدينية فى الغرب بما تقدمه من دراسات مشتركة بين علماء الإسلاميات فى الغرب والعلماء المسلمين .

فضل المسلمين فى تقدم علم الخرائط

أ. حسنى عبد الحافظ

● توطئة :

لا شك أن المسلمين كان لهم أفضال عظيمة فى تقدم العلوم والفنون والصناعات .. وقد اعترف بأفضالهم غير واحد من مؤرخى الغرب ، أمثال الفرنسى جوستاف لوبون الذى قال بلفظه : « إن اكتشافات العرب فى الطبيعيات ليست أقل أهمية منها فى الرياضيات وعلم الفلك وأن معارف العرب كانت عالية فى الفيزياء النظرية ، ولا سيما البصريات ، وأن العرب اخترعوا من الآلات الميكانيكية ما هو على جانب عظيم من الدقة ، وأنهم اكتشفوا أهم المركبات الكيميائية كالكحول وماء الفضة ، وزيت الزاج ، وأنهم أبدعوا ألزم الأعمال كأصول التقطير ، وأنهم طبقوا الكيمياء على الصيدلة والصناعة ، ولا سيما استخراج المعادن وصنع الفولاذ والدباغة ، وأنهم اخترعوا البارود والأسلحة النارية ، وصنعوا الورق من الأسمال ، وطبقوا البوصلة على الملاحة ، وأدخلوا هذا الاختراع المهم إلى أوربا »[1]

وتقول المؤرخة الألمانية د . زيغريد هونكة : « إن الغرب بقى فى تأخره ثقافيا واقتصاديا طوال الفترة التى عزل فيها نفسه عن الإسلام ، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيا وعلميا وتجاريا ، واستيقظ الفكر الأوربى على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذى دام قرونا ليصبح أكثر غنى وجمالا وأكثر صحة وسعادة »[2] .

ويقول ول ديورانت : « أما العالم الإسلامى فقد كان له فى العالم المسيحى أثر بالغ مختلف الأنواع ، لقد تلقت أوربا من بلاد الإسلام الطعام ، والشراب ، والعقاقير والأدوية ، والأسلحة ، وشارات الدروع ونقوشها ، والتحف ، والمصنوعات ، والسلع التجارية ، وكثيرا من الصناعات ، والتشريعات والأساليب البحرية .. »[3] .

---

(١) جوستاف لوبون : حضارة الغرب ـ ص ٤٨٤ ـ ترجمة عادل زعيتر ـ طبعة عيسى البابى الحلبى ـ القاهرة ١٩٦٩ .

(٢) زيغريد هونكة : أثر الحضارة العربية فى أوربا ـ ترجمة فاروق بيضون وزميله كمال دسوق ـ ص ٥٤١ ـ دار الآفاق الجديد ـ بيروت ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ـ ترجمة محمد بدران ـ الجزء الثانى من المجلد الرابع ـ ص ٣٨٣ ـ الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ـ القاهرة ١٩٧٤ .

ومن العسير جدا ، أن نحصى الإسهامات العظيمة التى قدمها علماء المسلمين للحضارة الإنسانية فى مثل هذه الصفحات .. وفى هذه العجالة ، سوف نركز حديثنا على صفحة مضيئة من تاريخ العلم ، كتبها أجدادنا العلماء من بحر فضلهم عن علم الخرائط الحديث :

● **خلفيـة تاريخيـة :**

فى قديم الزمان احتاج الإنسان إلى ما يعينه على معرفة المسالك والدروب التى يخترقها بحثا عن قوت يومه ، أو الرجوع إلى مسقط رأسه .. فحاول أن يرسم ذلك على الأحجار أو قطع من جلود الحيوانات ، وهذا ثابت من الكشوفات الأثرية فى « جزائر المارشال ، وبلشر » ، ومناطق متفرقة مستوطنة فى المكسيك(٤) .

وتمت أولى المحاولات الجادة لرسم الخرائط فى مصر عام ١٣١٣ ق.م ، إبان عصر الملك سيتى الأول .. فقد عثر « الأثرى الإيطالى دورنيتى » أثناء تنقيباته فى مدينة الأقصر عام ١٨٤٥ ، على خريطة تبين جزءا كبيرا من وادى النيل عند النوبة(٥) .

وفى بلاد الشام قام نفر من البحارة الفينيقيين برسم أول خرائط بحرية صحيحة ، أوضحوا فيها حدود البحر المتوسط ، وكذا البحر الأحمر ، والمحيط الهندى .. كما رسموا خرائط لسواحل غرب القارة الإفريقية مما يدل على أنهم داروا بسفنهم حول القارة السمراء .

وثمة محاولات جادة أخرى قام بها علماء اليونان ومصر البطلمية ، كان أهمها (الخرائط الإقليمية) التى رسمها ، « انكسمندر » فى القرن السادس ق.م .. كما رسم « هيكاتيوس » خريطة حاول فيها الجمع لأقاليم المعمورة السبعة التى كانت معروفة حتى سنة ٥٠٠ ق.م ، إلا أن خريطته جاءت مليئة بالأخطاء .. ورسم « بطليموس القلوذى » خريطة كبيرة ضمت أسماء لنحو (٥٠٠٠) مكان مختلف ، وقد اطلع العالم المسلم « الحسن المراكشى » على هذه الخريطة فوجدها كثيرة الأخطاء ، فصحح منها قرابة ٥٠ اسما .

وفى بلاد الصين تم الكشف عن مجموعة خرائط محلية تعود للقرن الأول الميلادى ، قام بتصميمها فريق من الجغرافيين ، ترأسهم بى هسو .

● **إسهامات عظيمة :**

وفى ظل تعاليم ديننا الحنيف ، الذى يحث على طلب العلم والتفوق فى مختلف فروعه وجدنا من علماء المسلمين مَنْ يذهب إلى الصين وبلاد الهند وبلاد الاغريق ، ليترجم علومها ، آخذاً صالحها ، ومفندا لطالحها ، ومضيفا إبداعاته الفكرية ومشاهداته وتجاربه الحيوية .

وإبداعاتهم فى علم الخرائط كثيرة ومتنوعة بحيث شملت كل أنواع الخرائط المتعارف عليها الآن .. ومن أهم خرائطهم : « خريطة

(٤) د . نصر السيد نصر ، وآخر : علم الخرائط والمساحة ـ ص١١ ـ القاهرة ١٩٨٥ م .

(٥) حسنى عبدالحافظ (الكاتب) : موجز تاريخ الخرائط (مجلة الخفجى ـ مايو ١٩٨٦ ـ ص ٣٠ ـ تصدر فى المملكة العربية السعودية .

الخوارزمى » للأرض ومحاولته الناجحة لقياس محيطها على أنها كرة ، وقد اشتهرت هذه الخريطة باسم (المأمونية) ، كما رسم خريطة أخرى للنيل يتضح من خلالها أن المسلمين كانوا يعرفون جيدا منابعه ومجراه .

وللبلخى مجموعة كبيرة من الخرائط ضمها كتابه (صور الأقاليم) الذى أسماه بعض المؤرخين المعاصرين (أطلس البلخى) ، ومن الخرائط التى ضمها .. خريطة لشبه الجزيرة العربية ، وأخرى لمصر وبلاد الشام ، وثالثة لبلاد المغرب ، ورابعة لأواسط آسيا ، وخامسة لأقصى مشرقها .

وكان « الاصطخرى » من أدق رسامى الخرائط الملونة ، إبان العصر الوسيط ، وقد أثنى على خرائطه كل من اطلع عليها من جغرافى العصر الحديث ، فقال أحدهم : « إن الاصطخرى كان أول من رسم الخرائط بالنظام المتعارف عليه حاليا » .

أما الإدريسى فيرجع إليه الفضل فى كونه أول من صنع كرة أرضية ضخمة من الفضة .. حدد فيها أقاليم العالم .. وقد قسم هذه الأقاليم من جهة الطول فجعل كل أقليم مقسما إلى عشرة أقسام متساوية من الغرب إلى الشرق ، كما هو الحال فى الجغرافيا الحديثة التى تقسم العالم بخطوط طول وأخرى عرض ، وقد اشتملت على (٢٠٦٤) اسما ، منها (٣٦٥) فى إفريقيا ، و (٩٥٩) فى آسيا ، و (٧٤٠) فى أوربا .. ولوّن الإدريسى بحارها ومحيطاتها باللون الأزرق ، بينما ظهرت البحيرات العذبة والأنهار باللون الأخضر ، والبنى للسلاسل الجبلية .. وجاءت فيها مواقع المدن بدوائر ذهبية اللون .. كما رسم الإدريسى أيضا خرائط عديدة ما بين إقليمية ومحلية وبحرية ، حوى كتابه (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) نحو (٧٠) خريطة منها .. وعن هذا الكتاب وخرائطه يقول كراتشكوفسكى : « وقد كتب المخطوط بخط مغربى جميل ، وبه خرائط رسمت بطريقة أصيلة جميلة ، وهى فى الواقع أثر رائع جدا لطريقة رسم الخرائط فى القرن الثانى عشر[٦] .

ويقول جوتيه : « ان الإدريسى الجغرافى كان أستاذ الجغرافيا الذى علم أوربا هذا العلم ، لابطليموس ، ودام معلما لها مدة ثلاثة قرون ، ولم يكن لأوربا مصر للعالم إلا ما رسمه الإدريسى »[٧] .

وقد رسم المقدسى خريطة ملونة كبيرة شملت كافة البلاد التى زارها ، وقال هو عن ذلك : « ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة ، وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة ، وبحارها الصالحة بالخضرة ، وأنهارها بالزرقة ، وجبالها المشهورة بالغيرة ليقرب الوصف إلى الأفهام . » .

أما المسعودى فقد كان أول جغرافى عالمى يقسّم الأرض إلى درجات عرض ، جاعلا الشمال ٩٠ درجة ، والجنوب مثلها ، وبينها خط الاستواء الذى جعله يمر بجزر سرنديب (سيلان) .

---

(٦) كراتشكوفسكى : مع المخطوطات العربية ـ ترجمة د . محمد منير مرسى ـ ص ٢٥ ـ دار النهضة الغربية ـ القاهرة ١٩٦٩ .

(٧) نقلا عن : د . عبدالعال سالم مكرم : الفكر الإسلامى بين العقل والوحى ـ دار الشروق ـ بيروت ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) ـ ص١١٠ ـ .

● **بيرى رايس .. وخريطته :**
وكان الملاح المسلم محيى الدين بيرى رايس بن الحاج محمد ، قد رسم فى أواخر شهر محرم سنة ٩١٩ هـ (الموافق ١٧ إبريل سنة ١٥١٣ م) خريطة عالمية ، ضمت قارات العالم أجمع ، بما فيها المناطق القطبية .. وهى مصممة على قطعة كبيرة عن جلد الغزال ، وفى أسفلها كتب بيرى رايس بعض الملاحظات الهامة .. منها :

● مقياس الرسم .

● إشارة كل لون من الألوان التى شملتها الخريطة ، مع بيان سبب استخدامه له .

● المصادر والمراجع التى استعان بها فى رسم خريطته ، وعن هذه المصادر قال هو بلفظه : « فى هذا القرن ـ أى القرن العاشر الهجرى ـ لا توجد خريطة كهذه فى العالم ، ولقد رَسَمَتْها يَدُ هذا العبد الفقير ، وتمت بحمد الله ، وقد استقيتها من حوالى عشرين مصدراً ، ابتداءً من (المابا موندى) المنسوبة للاسكندر ذى القرنين ، إلى ما رسمه البحارة العرب الأفذاذ ، وما رسمه كولومبو للشاطىء الغربى للبحر الغربى .. » .

عن هذه الخريطة يقول المؤرخ تشارلز ليتنز : « إن أسفل تلك الخريطة يظهر بشكل صحيح جزءاً من الخط الساحلى للمنطقة المتجمدة .. وتكشف الخريطة عن سلسلة جبلية ، وعن أنهار تعيش الآن مخبوءة تحت قطع الجليد الضخمة »[٨] .

ويقول مارتن بلسنر : « لم تكن هذه الخريطة خارطة بورتلانية portlano ، أى خريطة موانىء تبين الطرق البحرية بين ميناء وآخر ، ولكنها تقوم على مسافات محسوبة وفقاً لأسس رياضية »[٩]

وما تزال النسخة الأصلية لخريطة بيرى رايس العالمية موجودة فى متحف (توب كابى) ، وقد ظهر أول تحقيق مفصل لها عام ١٩٣١ م ، على يد المستشرق الألمانى بول كاله .

● **لماذا تقدم المسلمون ؟ :**
ثمة مجموعة عوامل كانت سبباً فى التقدم الكبير فى علم الخرائط عند المسلمين إبان العصر الوسيط ، يمكن إيجازها فى النقاط التالية :

● إن القرآن الكريم حوى كثيراً من الآيات التى تؤكد حقائق جغرافية وفلكية ثابتة .. فكان اتجاه علماء المسلمين إليه والنهل منه وتفسير آياته عاملا قويا فى نجاحهم لرسم خرائط على أسس صحيحة .

● الصلاة ، وضرورة تحديد القبلة فى متباين مناطق الدولة الإسلامية الكبرى ، كان يتطلب العناية بالتحديد الصحيح للجهات الأصلية والفرعية ورسمها فى خرائط .

● أدت فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدسة ، كما يقول د . السيد الحسينى ، إلى قيام « الرحلات والزيارات بين الدولة الإسلامية ومكة والمدينة المنورة كما ساعد على التقاء الشعوب الإسلامية ، وتطلب ذلك وصف طرق ومسالك الحجاج »[١٠] .

---

(٨) تشالز ليتنز : مصير الأرض (انجليزى) ص ١٣١ .
(٩) شافت ويوزورث : تراث الإسلام ـ ترجمة د . حسين مؤنس واحسان صدق الحمد ـ الجزء الثانى ـ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ١٩٨٨ ـ طبعة ثانية ـ ص ٢٧٣ ـ .
(١٠) د . نصر السيد : مرجع سابق ـ ص ٣١ .

● ساهم النشاط التجارى وتبادل السلع بين المدن والقرى داخل الدولة ، فى دراسة طرق المواصلات ، والمعرفة الجيدة للظروف المناخية والبيئية الملائمة لإنتاج المحاصيل المختلفة .

● كان انتشار الدين الإسلامى ، وما تبعه من انتشار للغة العربية ، عاملا مؤثرا فى تنشيط حركة السياحة بين مختلف الأقطار داخل الدولة الإسلامية ، التى امتدت من الصين شرقا حتى المحيط الأطلسى غربا .

● أدى اتساع الدولة الإسلامية ، واحتكاكها بالحضارات المختلفة سواءفى الصين أو اليونان أو غيرها ، كما يؤكد د . نصر السيد ، إلى تقدم المعرفة وبالتالى « تقدم العلوم الجغرافية وما يتصل بها من دراسات خاصة بتمثيل سطح الأرض أو العالم المعروف على الخرائط »(١١) .

● ومن العوامل المؤثرة أيضا فى تقدم على الخرائط عند المسلمين .. توفير الأموال للبحث العلمى ، وتشجيع الخلفاء للعلم والعلماء .. **فعلى سبيل المثال كان الخليفة المأمون قد أنشأ مدرسة كبيرة للغات والترجمة تعد الأولى من نوعها فى العالم ، كما ساهم فى إقامة المراصد الفلكية ، ولم يبخل على البحث العلمى بالأموال وإنما كان يغدق عليه الأموال الكثيرة ، حتى قيل إنه كان يزن مثقال الكتاب ذهبا مكافأة لصاحبه .**

● ضرورة دراسة أحوال السكان فى مختلف بلاد الدولة الإسلامية ، وكيفية الوصول إليهم برا وبحرا .

● **مائدة شـــهية :**

لقد كان علم الخرائط عند المسلمين ، مثل غيره من العلوم ، بمثابة مائدة شهية وضعت أمام الغرب ؛ فنهل منها حين كان يعيش فى ظلمات الجهالة والتخلف ـ فلولا خرائط المسلمين لتأخر ظهور علم (الكاثوجرافيا) الحديث لعشرات السنين .

ولنضرب مثالا ، لذلك .. ماذا كان حال خرائط أوربا المسيحية فى العصر الوسيط ؟ .. لقد كانت « الأساطير ذات الطابع الدينى تمثل الملامح الرئيسية فى خرائط العالم الأوربية : mappae mundi دون الاهتمام بمطابقتها للأفكار التى أثبتها العلم ، ويظهر هذا واضحا فى خرائط بزالتر Psalter (نحو ١٢٠٠ م) وهيترفـــورد heterford (١٢٨٠ م) ، ومارينو سانوتو marimo sanoto (١٣٢١ م) ، وايست este (١٤٥٩ م) وهى كلها خرائط تبعد عن الواقع كثيرا »(١٢) .

ولم يجد الجغرافيون فى أوربا ، رغم كل القيود المتزمنة التى فرضتها الكنيسة عليهم ، سوى الاتجاه إلى الشرق والسير فى خطى جيرانهم المسلمون .. وقد ظهرت أولى بوادر هذا التأثير فى خريطة رسمها مارينو سانوتو ، ضمها كتابه (الأرض المقدسة opus terrae sontae) ورغم أن هذه

---

(١١) نفس المرجع ـ ص ٣٠ .

(١٢) د . محمد محمود الصياد : أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٧ ـ ص ٢٩٨ .

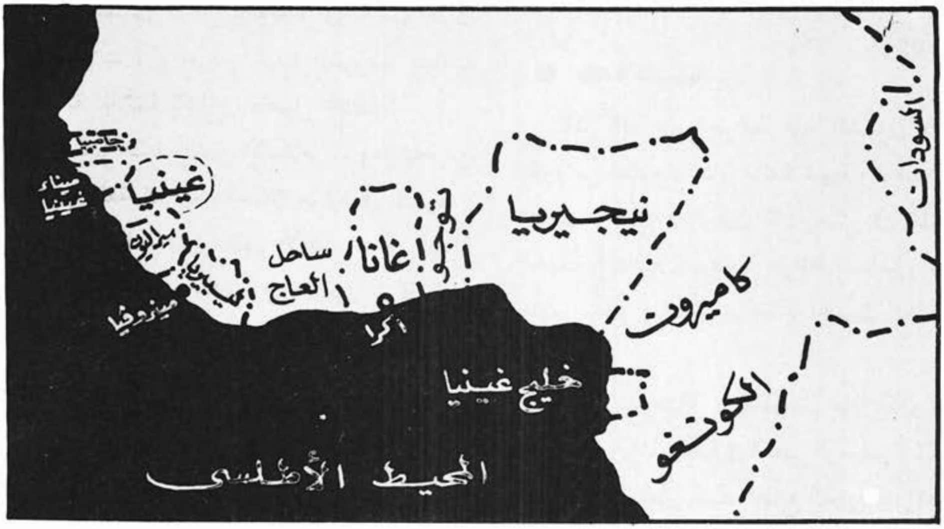

الخريطة مقتبسة فى معظمها من خرائط إسلامية ـ كما يؤكد كراتشكو فيسكى ـ إلا أن الهدف منها كان هدفا حقيرا ، فقد كانت تهدف إلى « محاصرة العالم الإسلامى حصارا اقتصاديا بقصد استثماره بحروب صليبية جديدة »[١٣] .

وقد اعترف غير واحد من المستكشفين فى أوربا .. بأن الخرائط الملاحية portolani التى وضعها علماء الإسلام كانت معينا لهم فى نجاح مهماتهم الاستكشافية ، فلولا رسوم « ابن ماجد » ما اكتشف « فاسكو دى جاما » الطرق الملاحية فى المحيط الهندى .. وثبت أن كولومبس استعان بخرائط عربية لبحر الظلمات (المحيط الأطلسى) وجزره[١٤] .. كما استعان « لفنجستون » وزملاؤه عند اكتشافه لمنابع نهر النيل ، برسومات عربية[١٥] .

تلك كانت صفحة مضيئة ، من صفحات تراثنا العلمى الذى أضاء منه الغرب قناديله ، وما أحوج شباب الأمة أن يقتدوا بأجدادنا ويسيروا على دربهم ويطلبوا العلم « ولو فى الصين » ليصيروا فى طليعة الحضارة الإنسانية .

---

(١٣) نفس المرجع ـ ص ٢٩٩

(١٤) حسنى عبدالحافظ (الكاتب) : أمريكا كولومبس لم تكن عذراء (مجلة الكويت ـ عدد ٧٣ ـ محرم ١٤٠٩ هـ) ص ٨٤ ـ تصدر فى الكويت .

(١٥) حسنى عبدالحافظ (الكاتب) : الأدريسى وبيكر ومنابع نهر النيل (مجلة الحفجى ـ شعبان ١٤٠٨ هـ) ص ٢٠ ـ تصدر فى المملكة العربية السعودية .

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال : من السيد / محمود القطان
نجع الحسين ـ مطاى ـ المنيا

ـ فى مسجد القرية الذى نصلى فيه ، نرى الضفادع تخرج من دورة المياه ، وتقفز فى المسجد فوق الفرش الذى نصلى فوقه . علماً بأن المسجد مفروش بالموكيت وليس بالحصير .

ـ فهل ذلك ينجس المسجد ويمنع الصلاة فيه ؟

أفيدونا أفادكم الله ...

بسم الله الرحمن الرحيم خروج الضفادع من الأماكن النجسة وقفزها فى المسجد ينجس المكان الذى يصله جسمها المبتل بالنجاسة ، فعلى القائمين على شئون المسجد أن يحكموا إغلاقه فى غير أوقات الصلاة ، حتى لا تدخله هذه الضفادع وليضعوا مادة سامة فى المراحيض حتى تقتل هذه الضفادع التى تنجس المسجد وتبطل على الناس صلاتهم .

والله تعالى أعلم

السؤال : من السيد / حامد محمد أحمد عبداللطيق
أولاد نصير ـ نجع الشمندى ـ سوهاج

ـ ما الذى ينجى من عذاب القبر ؟
أفيدونا أفادكم الله ...

بسم الله الرحمن الرحيم الذى ينجى من عذاب القبر : هو فعل كل ما أمر الله عز وجل بفعله ، وترك ما نهى الله عز وجل عنه ، والاحتياط فى البعد عن التميمة والاحتياط فى الاستبراء من البول لما رواه البخارى ومسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بحائط من حيطان المدينة ، فسمع صوت إنسانين يعذبان فقال : إنما يعذبان وما يعذبان فى

كبير . أما أحدهما فكان لا يتبرئ من بوله ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة بين الناس . ثم دعا بجريدة فشقها نصفين ، ووضع فى كل قبر نصفها وقال : يستغفر لهما ما لم تيبسا».

والله أعلم

السؤال : من السيد / أحمد عبد الحميد أحمد

ـ ما حكم السفر إلى الدول الأجنبية غير المسلمة للعمل أو الدراسة أو التدريب ، وهل يعتبر المال الذى يتقاضاه العاملون هناك حلالًا ..؟

ـ ما حكم الجوائز التى تقدمها بعض الشركات للفائزين فى المسابقات التى تنظمها وهى عبارة عن : إرسال مجموعة من أغلفة منتجاتها ويتم اختيار الفائزين بالقرعة علماً بأن هذه الجوائز تصل أحياناً إلى مبالغ كبيرة جداً .

أفيدونا أفادكم الله ...

السفر إلى البلاد الأجنبية للعمل أو الدراسة حلال لا إثم فيه ، والأجر الذى يتقاضاه العامل عن عمله حلال إذا كان ما يقوم به من أعمال حلال ، أما إذا كان يعمل عملا محرماً ؛ كتقديم الخمر والخنزير وما شابه ذلك . فعمله حرام وأجره حرام لأن النبى صلى الله عليه وسلم لعن فى الخمر عشرة منهم حاملها والمحمولة إليه .

والجائزة التى تعطيها الشركات لصاحب الحظ حلال وليس فيها إثم لأنه ليس فيها ربا ولا قمار ولا غصب ولا نهب مهما كان المبلغ الذى يحصل عليه الفائز فى المسابقة.

والله تعالى أعلم

السؤال : مقدم من السيد / ع. مقلد

بقريتنا رجل معوق اليدين والرجلين به الأسباب الآتية :

١ ـ لا يستطيع إزالة الخبث من المخرجين .

٢ ـ لا يستطيع إزالة الحدثين لا بالماء ولا بالتراب .

٣ ـ يتناول الطعام بصعوبة بالغة حيث إن اليدين مقلوبتين .

٤ ـ لا يقدر على السير إلا بعصا لأن الرجلين مقلوبتين .

٥ ـ لا يقدر على أداء الصلاة من ركوع وسجود والسؤال فهل له صلاة ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعد فنفيد بأن الصلاة لا تسقط عن أحد لأى عذر ، وصاحب الأعذار هذه يمكن لمن يقوم على إطعامه وإلباسه أن يغسله ويطهره وله الثواب من عند الله على هذا ثم يصلى بقدر استطاعته وبالطريقة التى تتناسب مع إمكانياته الجسدية وبقدر مشقته على الأداء فله الأجر والثواب من عند الله هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال. والله تعالى أعلم

د. محمود عبد المتجلى خليفة

عضو لجنة الفتوى بالأزهر

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سحر البيان

عن عبد الله بن عباس قال : وفد إلى رسول الله ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم .

فقال الزبرقان : يا رسول الله أنا سيد تميم ، والمطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذهم بحقهم وأمنعهم عن الظلم وهذا يعلم ذلك منى .

فقال عمرو : أجل يا رسول الله إنه مانع لحوزته ، مطاع فى عشيرته ، شديد العارضة فيهم .

فقال الزبرقان : أما والله يا رسول الله قد علم أكثر مما قال ولكنه حسدنى شرفى .

فقال عمرو : أما لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن ، زمن المروءة ، أحمق الأب ، لئيم الخال ، حديث الغنى . فرأى الكراهة فى وجه رسول الله ﷺ لما اختلف قوله ، فقال : يا رسول الله رضيت عنه ، فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت . وما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الثانية .

فقال رسول الله ﷺ : إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة .

التنصل والاعتذار

قال رسول الله ﷺ : « من أتاه اخوه متنصلاً فلم يقبل من متنصل عذراً ، صادقاً كان أو كاذباً ، لم يرد على الحوض » .

وقال : « المعترف بالذنب كمن لا ذنب له » .

وقال : « الاعتراف يهدم الاقتراف » .

وقال الحسن بن وهب :

ما أحْسَنَ العَفْوَ من القَادِرِ ● لاسِيَّمَا عن غيرِ ذِى ناصِرِ
إنْ كانَ لى ذَنْبٌ ولاذَنْبَ لى ● فما لهُ غَيْرُكَ مِنْ غافِرِ
أعُوذُ بالوُدِّ الَّذِى بَيْنَنَا ● أن يَفْسُدَ الأوّلُ بالآخِرِ

« ثمرة الأدب »

لقى هرون الرشيد الكسائى فى بعض طرقه ؛ فوقف عليه وتحفى بسؤاله عن حاله . فقال : أنا بخير يا أمير المؤمنين ، ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلا ما وهب الله ـ تعالى ـ لى من وقوف أمير المؤمنين لكان ذلك كافياً محتسباً .

الكفـــــــاف

قال على بن أبى طالب أمير المؤمنين : الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أتاك .

وقال حكيم : أقل الدنيا يكفى وأكثرها لا يكفى .

وجاء فى كتاب الهند : لا ينبغى للملتمس أن يلتمس من العيش إلا الكفاف الذى يدفع به الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك إنما هو زيادة فى تعبه وغمه .

« العفـــو عنـــد المقـــدرة »

تغيظ عبدالملك بن مروان على رجاء بن حيوة فقال : والله لئن أمكننى الله منه لأفعلن به كذا . وكذا ، فلما صار بين يديه ، قال له رجاء بن حيوة : يا أمير المؤمنين ، قد صنع الله ما أحببت فاصنع ما أحب الله ، فعفا عنه وأمر له بصلة .

« أدب الصـــــغير »

ينبغى للوالد أن لا يسهو عن تأديب ولده ، ويُحسِّن عنده الحسن ، ويقبح عنده القبيح ، ويحثه على المكارم ، وعلى تعلم العلم والأدب ، ويضربه على ذلك قال بعضهم :

لا تسه عن أدب الصغير
وإن شكـــا ألم الـــــعب
ودع الكـــبير وشأنـــــه
كبُـــر الكـــبير عن الأدب

« نصـــــيحة »

ينبغى للعاقل إذا أصبح أن ينظر فى المرآة ، فإن رأى وجهه حسنا لم يشنه بقبح ، وإن رآه قبيحاً لم يجمع بين قبحين .

« الأخـــــذ بالثـــــأر »

دخل ظريف على قوم يأكلون السمك ، وقال : هذا والله عدوى ، ولى عليه ثأر ، فقد مات أبى غريقاً فأكله السمك .

قالوا : هوّن عليك نحن ننتقم لك فقال : لا بل الابن أحرى يأخذ الثأر .

« ســـبعة قبـــلى »

قال رجل لشريح القاضى : قضيت على بالجور وليد خلنك الله النار ، قال : إذن يدخلها سبعة قبلى :

من ولانى .
ومن علمنى هذا الحكم .
ومن جاء بك مدعياً والشاهدان .
والمزكيان

« هـــــكذا أمرنـــــا

حكى الشعبى قال : ركب زيد بن ثابت ، فدنا منه عبد الله بن عباس ، فأخذ بركابه فقال له : لا تفعل يا ابن رسول الله ﷺ ، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا .

فقال زيد : أرنى يدك ، فأخذها وقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ .

« دعـــاء »

اللهم إنى أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك وبركة جلالك ، من كل آفة وعاهة ، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً بطرق بخير .

الشعر والشعراء

إشراف الأستاذ/ رشاد محمد يوسف

الله جل جلاله

شعر م. محمد عبد الرحمن صان الدين

ذلك الكـــون الـــذى قد   حير العقـــلَ مَسِيـــرُهْ
فى نظـــام مُحكَـــم ما   خُطَّ فى الدنيـــا نظيـــرُه
كل شىء فيـــــه دارت   وفـــق قانـــون أمـــوره
أى سلطـــان قديـــر   خلـــف أستـــار يديـــره ؟

★ ★ ★

هل جرى فى البحـــر فُلْك   دون ربـــان يقـــودُهْ ؟[1]
والسحـــاب الجَهْـــم فى   الآفاق قد ثارت رعـــوده
أى صرح قد علا من   غير بَنَّـــاء يشيـــدُه ؟
من ترى قد أبـــدع الإنـــ   ـسان ذا عقـــل يسوده ؟
إنـــه القيُّـــوم يُلفِيـــه   قريبـــا من يريـــده

★ ★ ★

إنـــه الحق الـــذى صارت   به الدنيـــا منيـــرَهْ
إن يكـــن ذاتـــا توارت   عن مدى الـــعين الحسيره
فسناهـــا فى ظهـــور   ليس يخفـــى عن بصيره
إن فى الإنسان عقـــلا   ذا أفانيـــنِ بهيره[2]
وهـــو خاف الكُنْـــهِ أعيـــا   فطنـــة النـــفس الخبيره[3]

المفردات اللغوية

(١) فلك = سفينة .
(٢) بهيرة = بارعة تبعث على الإعجاب .
(٣) الكنه = الحدود والمعالم .

ليس للخـلاق رمـز   من نجوم أو أهِلَّـة
أو ترى الأبصار فوق الأرض   بل فى الكـون ظِلَّـة
ليس رَبًّـا أو إلهًـا   من ترى العينـان مثلـه
كل مَا مِنْ شأنـه التجـ   ـسيد والتشبيـه نحلـه(٤)
إنـه الموجـود فردًا   دون أسبـاب وعلـه

* * *

ما بدا للـعين والإحـ   ـسان فى جِرم وحجـمِ
من نضار أو صخـور   أو تصاويـر ورسم(٥)
ليس ربـا ، بل نسيـج   من جهـالات ووهـم
لا يُوَفِّـى حقّ قدر   الله إلا رَبُّ حِلْـم(٦)
وقليـل من نبـى الإنـ   ـسان ذو رشد وعلـم

* * *

كيـف يخفـى من تجلَّـى   مشرقـا فى كل نفس
بهـات لم تَغِبْ عن   كل ذى وعـى وحِسٍّ
سامعـا فيها دبـيب الفكـر   فى جهـر وهمس
كل مخلـوق إليـه   فى انجـذاب دون مـس
إنْ رشيـدا مستـنيرا   أو ضلـولا عبـد شمس

* * *

إنَّ ذات الله نـور   قد سرى فى الكائنـات
فى بحار صاخبـات   وجبـال راسيـات
فى نجـوم من لهيـب   ونجـوم خامـدات
فى حراك وسكـون   فى رعـود قاصفـات
فى الوجـود الـرحب نبض   إنـه روح « الحيـاة »

---

(٤) نحله = ادعاء بالباطل .

(٥) نضار = ذهب .

(٦) حلم = عقل رشيد .

أى عقـــل أى فكـــر ... يدرك الكُنْـــه الجليـــلا [٧]
قطـــرة فى البحـــر لا تد ... رى كثيراً أو قليـــلا
عن مدى المحدود بالـــ ... ـشطـآن مهمـا امْتَـدَّ طُولا [٨]
كيـــف تدرى مطلقـــا من ... دونـــه أرخـــى السدولا [٩]
كان هذا فى َضيـــاء ... العلـــم أمـــراً مستحيـــلا

* * *

ما اهتـــدى الإنسان إلا ... برسول أو نَبِـــىٍّ
طالـــع الدنيـــا بِوَحْـــي ... لا بفكـــر عبقـــرَى
صدقـــه من غير زف ... فرَّ فى وعـــى الذكـــى [١٠]
وتـــراه الفطـــرة البـــيضاء ... كالصبـــح الجَلِـــىِّ
ويحيك الشك والإلحـ ... ـاد فى صدر الغَـــوِىِّ [١١]

* * *

ليـــس للإنســـان إلا ... العـــيش فى ظل الخضوع
ينظـــر الآيات فى الآفا ... ق تتـــرى فى سطـــوع [١٢]
فيخـــر المرء أرضا ... فى سجـــود وركـــوع
من جلال الحق يحيـــا ... فى انبهـــار وخشـــوع
بَيْـــدَ أن الله فوق ... الكـــون والعـــرش الرفيـــع

* * *

أيها الإنســـان أقصِـــرْ ... واطَّـــرِحْ ما قد أغـــرك
والتـــزم فى عيشك المو ... قوت فوق الأرض قدرك
فى سبيـــل العـــيش وَجِّـــهْ ... يا قصير البـــاع فكـــرك
إن ذات الله أعْـــيَتْ ... من قديم الدهـــر غيرك
كل من رام اكتناهـــا ... للعلـــىِّ الفـــرد أشرك [١٣]

---

(٧) الكنه = الحدود والحقيقة .
(٨) المحدود بالشطآن هو البحر .
(٩) المراد بالمطلق هو الله تعالى .
(١٠) من غير زف = من غير ترين وتوضيح .
(١١) يحيك = يسرى ويأخذ ، الغوى = الفاسدة .
(١٢) تترى = تتابع وتتوالى .
(١٣) رام = قصد وأراد ، اكتناها = إدراكا .

الله عزّ وجلّ

شعر م. محمد برهام

نعم ، غرامى موصول ، وأعترفُ ... بل تستبد بى الأشواقُ والشغفُ
والحب فاضت قلوب المؤمنين به ... لسنا على الحب والمحبوب نختلف
بغير (نِدٍّ) فلم أشرك بهد أحدا ... فى قمة الحسن عذرا حين أنعطف
من ذا يرى الحسن فى أعلى مراتبه ... ولم يكبر ويهتف بين من هتفوا ؟
الله يا حبنا بعض الهوى سرف ... إلا هواك ، ففيه يكمن الشرف
والحب بين الورى نأىٌ وعاصفة ... وكم شكا منه من ذاقوا ومن سلفوا
لكن حبك قربى جدُّ حانية ... وأعدل الحب لا ميل ، ولا جَنَف
والحب بين الورى قد ينتهى بددا ... ولا يضيع لديك الشوق واللهف

* * *

وما رأيت الذى أهوى بصورته ... وليس يعزب عن بالى وينصرف
وكيف يطمع طرفى فى مشاهدة ... وإن تجلى على الأطواد ترتجف
لكن أراه معى فى كل آونة ... وثم ألف دليل حينما أصف
ملء الوجود مرايا طى أنعمه ... أطل فيها طويلا حيثما أقف
أقول : يا نفس بل يا كل جارحة ... من لمَّ جمعكم ، فالشمل مؤتلف ؟
من سخر المزن يعطينا ويمطرنا ... والسنبلات به تنمو وتقتطف ؟
والرزق فى الروض من للنحل يَسَّرَهُ ... فقدمته إليه الروضة الأنف ؟
من ذا يُزَوِّدُ صداحا بأرغنه ... فدونه كل من غنوا ، ومن عزفوا ؟
كون بديع ، وأفلاك به بلغت ... حد الكمال متى تسرى وتختلف
الله لا غير ، فاتركنى أهيم به ... ولينبض القلب يحكى أنه كلف

* * *

شهدت أنك يا الله خالقنا ... وموجد الكون ، ما جاءت به الصدف
إنى أراك بقلبى وهو يصدقنى ... لَيْتِى عرفت طريقى مثل من عرفوا
كم اقترفنا ، وضاع الأمر من يدنا ... ولم يعد ندم يجدى ولا أسف
ونحن نخشى سطورا من صحائفنا ... فارحم عبادك لما تنشر الصحف
نعِفُّ عن كل أبواب الورى صلفا ... ودون بابك لا كبر ، ولا صلف
ما أجمل النفس أن تصفو لبارئها ... تطيعه جهرة ، أو حين تعتكف
تلقى أمانا على طول المدى ، وترى ... نورا يضىء حواشيها ، وتنكشف

رحلة الإنسان

شعر الأستاذ/ ابراهيم عيسى

وطال سُراك يا إنسان فى غاباتِ أيامِك
رشيقَ الخطو .. لكن إنْ كَبا الحادى بأحلامِك
يَشِيب الدمعُ فى جفنيْك مرجومَعا بآلامِك

* * *

وَتَرْكُضُ فى السماء الشُّهْبُ كالفرسانِ فوق الخيْلْ
وتُرسل ضوءَهَا الوهَّاجَ جَوَّاباً صحارى الليْلْ
تقول : تنام يا إنسانُ والأيامُ فيها الويْلْ ؟

* * *

وأسأل : ما الذى خبَّأتِ يا أيام للإنسانْ ؟
وأستبكى النَّدى حتى يَضِجَّ الدمعُ بالأجفانْ
فأسمع تمتماتٍ كالصَّدَى الوسْنانْ

وتُعْقِـــدُ هدنـــةً حينـــا .. وحينـــاً ريحُهـــا تقسو
ونـــركب فى بحار العمْـــرِ موْجُـــا عصْفُـــه نَحْسُ
وينـــأى المرفـــأ المجهـــولُ عن ركْبـــى .. فلا نرسو

* * *

ويَنْـــهَبُ عمرَنـــا كَرُّ الليـــالى وهْـــىَ لا تَهْـــدَأُ
وجِـــرْتُ وفى يدى قلمـــى يتمتـــمُ قائـــلًا : إقـــرأْ
أ أُسْكِتُـــه وفى نايَاتِـــهِ الأشواقُ .. أم أبـــدأ ؟

* * *

وتَـــعْصف رغبـــةٌ للخلـــد فوق سفينـــةِ الأيـــامْ
فيهزأ مِخْـــلبُ الأيَّـــامِ لما فَرَّق الأرحـــامْ
وطـــاف الموجُ فاسْتَحْـــفتْ على أوتارِهـــا الأنغـــامْ

* * *

وأسمع شاطـــئُ النـــورِ ينادينـــى لكَـــى أجْتـــازْ
ومـــا حقَّـــقْتُ من أمـــلٍ .. ولا مجدٍ .. ولا إعجـــازْ
وأبصر كلَّ أحلامـــى أتَتْ تمشى على (عُكَّـــازْ)

* * *

ولَاعَبَنـــا زمـــانٌ لم تَخِبْ يومـــاً حبائِلُـــهُ
سنابـــلُ عمرِنـــا اللاهـــى ستحصُدُهـــا مناجلُـــهُ
وهـــذا الحشْدُ من حولى غدًا تمضِى قوافلُـــهُ

* * *

غدًا نَفْنَـــى .. ويحيـــا الموتُ جبَّـــارًا وقهَّـــارا
ويطـــوى الظـــلَّ .. يطـــوى الريـــحَ .. يطـــوى البحْـــرَ مَوَّارا
ولـــن يَبْقَـــى سوى عمـــل يُحيـــلُ الليّـــلَ أنـــوارا

لله الأمر !

شعر م. أسامة كامل الخربى

« تنهيدة مسلم .. من وحى الحملة الإعلامية العلمانية الشيوعية الشرسة على الإسلام تارة بدعوى محاربة التطرف ، وأخرى بدعوى محاربة الإرهاب وأخيراً تحت لافتة قديمة هى التنوير » .

.. سَلَّمتُ للهِ أحزانى وأشْجانى ... وكلَّ ما جالَ فى فكرى ووجدانى
فالأمر للهِ فى سر وفى عَلَنٍ .. ... والأمرُ للهِ فى مُلْكٍ وأكوانِ
يا رب هٰذى جيوشُ الكفر [قد] زَحَفَتْ ... تُريد بَعْدَك إيمانى وقرآنى
قد جَمَّعَت شملَها فى محنةٍ قَذَفَتْ ... أهل الصلاح إلى أفواهِ بُرْكانِ
وكم يوافق فى خُبْثٍ دعايَتها ... قَصْفُ المدافع فى أركان أوطانى
حربٌ ضروسٌ كأن الصِّرْب تدفعها ... تعيد ما كان من « حَنّا » « وأوربان »[1]
أَوْهُمْ شخوصٌ وآلاتٌ يُحركها ... خلف الستار يهودىٌ بخيطانِ
دارت بها صحف فى إثْرِها كُتُبٌ ... تُرْغى وتُزْبِدُ فى زُورٍ وبُهْتانِ
تُعيدُ ما قالَه الشيطانُ فى « أُحُد » ... وقد تَلَبَّسَ فى « نور » و « سَلْمانِ »
ويزعم الدين قيداً ظل يحكمنا ... لابد من نَسْفِه فى كلِّ ميدان
وأنَّ شِرْعَتَكَ السمحاءَ قدبَلِيتْ ... فلا تليق بعصرى أو بأوطانى
وقد أتاح له المذياعَ من زعموا ... أن التفكر والتنوير صنوان
يا قومنا استمعوا للهِ دَرُّكمو ... هل قِمة الفِكْر إنكارٌ لقرآن ؟
هل التحرر من دينٍ يُوَحِّدُنا ... فى صالحِ الناسِ أو فى خير بلدان ؟
هل نَبْذُنا الدينَ فى بدءٍ أتى عجباً ... حين اقتدينا بمرتدٍ وعلمانى ؟
يا قومنا استبقوا للحق واتخذوا ... منه الشفاءَ لِأَسْقامٍ وأدرانِ
يا رب هذى شجونى أنت تعلمها ... وأنت تعلم ضعف العابد الفانى
فانصر كتابك فالأحزاب قد كثرت ... وليس عندى سوى نُطْقى وبرهانى
وانصر عبادَك فالأيام حالكةٌ ... وقد ظَمِئْنا لفجرٍ ضاحكٍ حانى

---

١ ـ البابا أوربان الثانى أول من شجع أوربا على بدء الحروب الصليبية على الشرق الإسلامى سنة ١٠٩٥م .

● حَنّا دى برين : قائد الحملة الصليبية على مصر سنة ١٢١٨م .

طفل من البوسنة

للشاعر الجزائرى / محمد تامالت

متثاقلاً يمشى الهوينى بائساً ... يا ليت شعرى ما الذى قد احزنه
وجلاً تعانق مُقْلتاه وجوه من ... مروا وتبدو فى خطاه .. المسكنه
أترى الصغير أصابه مرض فقد ... قتل ابتسامته وأصدأ معدنه
أم أن لُعْبته قد انكسرت فأحـ ... ـزنه انكسار دُماه تلك المتقنه
أم تاه بين الناس عن بيت له ... عن والديه فقام ينشد مسكنه
ما باله ؟ بل ما حكاية حُزْنه ؟ ... بل أين تلك البسمة المستحسنه

• • •

إنى أراه يسير بين حطام دو ... رٍ أصبحت كالجثةِ المتعفنه
حتى دوى قنابل الأعداء لم ... يزعجه قط ولم يحرك مُسْكنه
وأظنه ألف البقاء بمعزل ... عن تلكم الدنيا البغى المنتنه

• • •

من ذا الصبى ؟ سألت نفسى برهة ... وأجبت : هذا من يتامى (الْبُوسَنَةْ)
(الصرب) قد قتلوا أباه ومارسوا ... فى بيته شتى ضروب القرصنه
ولشد ما آذاه صوت نعالهم ... فأراد أن يُودِى بهم لو أمكنه
طردوه واضطروه أن يأوى إلى ... قبو كريه أو بقايا مدخنه
منعوا الصلاة وحرموا القرآن بل ... قد صادروا التوحيد فوق المئذنه
بلغت بهم أحقادهم أن يفعلوا ... فى المسلمين مناكراً مستهجنه
والإخوة الجُبناء خانوا عهدهم ... وتنكروا للسيف .. باعوا الأحصنه !

الشعر وزامر الحيّ

شعر م. رشاد محمد يوسف

يا زَامِرَ الحيِّ عَفْوًا كَيْـفَ تُشْجيـه ... وقـد تَعَثَّـرَ دَهْـرًا فى تمشيـه ؟
يا زَامِـرَ الحيِّ نَامَ الحيُّ وانطفـأتْ ... كلُّ القناديـل نامت فى مآقيـه
فلست تعـرفُ كَمْ لحنٍ تغنيـه ... وكم فؤادٍ شجـىٍّ بتَّ تشجيـه ؟
وكيـف تُوقِـظُ ليلى فى مضاربها ... وكيـف تكشفُ حبـاً كُنْتَ تخفيـه
ليلى سَبِيَّـةُ رَهْـطٍ لا خلاق لهم ... وقـلبها فى قبـورٍ من مآسيـه
ليلى أسيرةُ عصرٍ راح يمطرهـا ... بما تلاقيـه .. صعبٌ ما تلاقيـه
قد ألبسوهـا ثيابـاً غَيْـرَ جلـدتها ... وجَرَّفـوا من ثراهـا خَيْـرَ ما فيـه
وعكَّـروا النيـل والشطين فى سَفَـهٍ ... فالنيـل يسرى جريحا فى تأبيـه
ولست أدرى وبى هَمٌّ يؤرقنـى ... متى سنصحو على صبـح نغنيـه ؟
متـى نحرر ليلى من تعثرهـا ... ونُنْقِذُ النيـل يومـاً من عواديـه ؟
والغَيْمُ والضَّيْـمُ والأجـواءُ داكنـةٌ ... وفِتْنـةٌ وعقـوقٌ فى أقاصيـه
ودار ليلى على جمر الهوى رقـدت ... ما رَدَّتْ الشَّدْوَ أو قامت تناديـه
همسُ النخيـل لها ما عاد يوقظهـا ... والبـدرُ يرنـو وقـد غامت لياليـه
مَتَـى نَذوُدُ كِرامـاً عن أصالتنـا ... ونحفـظ الوَتَـر الصافى ونحميـه

قَالُوا: هوى الشِعْرُ وانهارتْ قواعدهُ ... وجَفَّ كلُّ رحيقٍ من أمانيه
قالوا: تَخَلَّفَ عن دنيا تقدمنا ... وما تَحَرَّرَ من رِقٍ يعانيه
ومَزَّقُوا عنه أثواباً يتيه بها ... وألبسوه ثِياباً لا تدانيه
قالوا: حداءٌ لركبانٍ وسائمةٍ ... وليس يصلح إلا فى مراعيه
وانكروا من عُيُونِ الشعر ما علموا ... عَبْرَ القرون وما فاضتْ قوافيه
قالوا: قصيدةُ نثرٍ قلْتُ: معذرة ... تنزه الشعر عن زَيْفٍ وتشويه
فتلك رِيحٌ من العدوان يدفعها ... تعصبٌ أحْمَقٌ بانت خوافيه
وغارةٌ بَعْدَ أخرى كُلَّمَا سكنتْ ... عادتْ تُخَرِّبُ بستانى وتدميه
عادتْ بأقنعةٍ من بعد أقنعةٍ ... تَصُبُّ فى فكرنا زَيْفاً وتُمْليهِ
الشعر ديواننا أصداءُ وحدتنا ... قيثارةُ المجد ماضيه وتاليه
الشعر أَلْقَى دعاءٍ فى مجامعنا ... وما تخَلَّفَ عن فرضٍ يؤديه
ما جَفَّ فى حلقنا شدوٌ ولا وقفت ... عن الغناء طيورٌ فى مغانيه
لو قيل: جرحٌ أصَابَ الشعر نسعفه ... نَحْنُو على جرحه الدامى نداويه
لو قيل: أعيته أوزانٌ وقافيةٌ ... الشعرُ فى صِحَّةٍ لا شئ يعييه
النهر والنخل والشطآن شاعرة ... تسمو بكل جمال فى مجاليه
وشمسنا والضحى والبدر قافلة ... من (المواويل) تشجيها سواقيه

* * *

يا قائلين بموت الشعر معذرة ... فكم شربتم حياة من أياديه
الشعر باقٍ برغم العابثين به ... والعاكفين على بترٍ وتمويه
الشعر فى مصر يحيا فى خواطرها ... ونيلنا يستقى منه ويسقيه
مصر المعالى ومصر الشعر خالدة ... تسمو بفرسانها عن ضيعة التيه
أى البحور إذا شئتم سنركبها ... سنعتلى كل موج فى أعاليه
ثوبوا إلى رشدكم نقوا مواردكم ... وأرجعوا الفضل إنصافاً لأهليه
الشعر يصفو هنا تسمو مقاصده ... لوسُلِّمَ القوسُ يوماً كفَّ باريه

العلوم الكونية

التطوّر وأصل الإنسان
من مَنظورٍ إسْلامى

ظهرت « نظرية دارون » عن التطور وأصل الأنواع فى القرن التاسع عشر ، وجاء خبرها إلى بلاد المسلمين فى أوائل هذا القرن على لسان مروّجيها من العلمانيين والملحدين وأنصار التغريب الذين قدّموها للناس على أنها نظرية علمية محورها هو نسبة التطور والتنوع – وخلق أنواع جديدة من الأحياء – إلى : عوامل الطبيعة وقواها ، وإلى عامل الصدفة العمياء ، وإلى الصراع بين الكائنات . يخلصون بذلك إلى الزعم بأن الإنسان ليس إلا نوعاً من الحيوانات ، ويبررون الصراع بين البشر – أفراداً وشعوباً – ليكون استحقاق البقاء للأقوى والأدهى .

عَرضٌ وتحليل
أ.د . أحمد فؤاد باشا

(*) التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى ، المطبعة العالمية ، القاهرة ١٩٩٢ .

وشاءت إرادة العليم الحكيم أن تستحدث فى العلم تجارب واكتشافات تؤكد أن فى داخل كل خلية حيّة نواة بها شفرة وتعليمات تتحكم فى الصفات والتنوعات والتكاثر والنمو والتكيف مع البئة ، مما يعنى أن كل ما نسبوه إلى الصدفة والطبيعة والآلية ليس إلا أمر الخالق القدير .. ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(1)، ذلك أن وجود الخالق أذلى أبدى لا أوّل له ، والمخلوق كائن حادث ، ويستحيل عقلا أن يخلق المخلوق نفسه ثم يضع فى داخله قدراته وخطوات إيجاده وحياته ومصيره .. ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ ﴾ (سورة الأعراف)

هدف الكاتب :

والكتاب الذى نعرض له الآن بالتحليل والمناقشة يحاول أن يفك الاشتباك بين العلم والدين فيما يتعلق بنظرية التطور ، حيث يرى المؤلف أن من واجبه كأستاذ للتشريح والأجنة ومتخصص فى علم الأجناس (الأنثروبولوجيا الطبيعية) ــ أن يسهم على قدر طاقته فى إزالة بعض الغموض والتناقض بين ما نعرفه من حقائق العلم ، وما نؤمن به من أصول الدين .

الكتاب :

يبدأ الكتاب بالحديث عن الخلاف المفتعل بين العلم والدين ، منذ بدأ فى العصور الوسطى ، حيث لم تكن الكنيسة على وفاق مع الفلسفة الإغريقية ، ووصل العداء مداه حين ظهرت النظريات العلمية التى تناولت نشأة الحياة وتطور المخلوقات وعلاقة الإنسان بغيره من الكائنات الحية ، وكان على رأس قائمة أصحاب هذه النظريات «لامارك» و «دارون» و«هكسلى» و«هيبكل». أما فى العالم الإسلامى فإن علاقة العلم بالإيمان جد وثيقة ، وقد جاءت آيات القرآن الكريم لتجعل من العلم أساساً لقيام أمر الدين الإسلامى وازدهار حياة المسلمين وحضارتهم . بل إن هناك آيات قرآنية أشارت صراحة إلى ظواهر كونية تحكمها قوانين ثابتة ، وهذه الآيات الكونية جديرة باهتمام المشتغلين بالعلوم العصرية ، ولو من باب التعرف على ما بها من حقائق معجزة تدل على جلال الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ ووحدانيته .

مردود النظرية ، وتناقضها ومحاولة تفاديه :

ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن نظرية التطور والأفكار الرئيسية التى أدت إليها ، موضحاً أن آراء « تشارلز لايل » الجيولوجى قد أوحت إلى دارون بفكرته عن التطور فى عالم الأحياء محاكاة لما يحدث فى طبقات الأرض وتغير الجبال والصخور من شكل إلى شكل بسبب تراكم تغييرات تدريجية مستمرة فى بنيتها على مر العصور . لكن نقل الآراء الخاصة بالمادة الجامدة وتطبيقها كما هى على المادة العضوية الحية نجم عنه كثير من المشكلات ، فالمادة العضوية تختلف عن المادة الجامدة فى امتلاكها رصيداً هائلا من القدرة على التكيف ومواجهة الظروف التى تعرض لها ، ومثال ذلك :

(1) سورة يس ــ اية : ٨٣ .

قدرة الكائن الحى على مقاومة الأمراض باستنفار جهاز المناعة لديه ، وقدرة خلايا الجسم على التكاثر لتجديد التالف وتعويض الفاقد منها ـ على عكس الصخور والجبال التى يتم فيها تراكم التغيرات بطريقة ميكانيكية حسابية . **ولهذا فإن تطبيق قوانين الجوامد على الكائنات الحية عموماً وعلى الإنسان خصوصاً ليس أمراً سهلًا ولا صائباً** .

لكن نظرية التطور حاولت تفادى هذا التناقض الواضح بإضافة جديدة مؤداها : **أن الكائنات الحية ، بما فيها الإنسان ، تعرضت على مر العصور لتأثير قوة خفية أسماها دارون « الانتجاب الطبيعى » ، تسببت فى تغيير بنيان هذه الكائنات ووظائفها وأدت إلى ظهور أنواع مختلفة وأجناس شتى** . وأعتقد دارون أن الإنسان والقردة العليا قد انحدروا سويا من سلف مشترك منذ زمن بعيد مضى ، وأن هذا الأصل المشترك قد انقرض واندثر فى باطن الأرض ولكن بالإمكان العثور على بقاياه المتحجرة مطمورة بين الصخور ، وهنا يؤكد الكتاب أن دارون لم يقل بأن الإنسان قد تطور من القرد ، أو أن الإنسان أصله قرد ، ولكنه قال : إن للنوعية سلفاً مشتركاً لا يعلم عنه شيئاً ويطالب بالبحث عنه .

وقد أثارت تلك الآراء اعتراضات كثيرة من جانب بعض معاصرى دارون من علماء التاريخ الطبيعى ومن رجال الدين على حد سواء ، **فقد** وجدوا فيها الكثير من المغالطات العلمية والتضليل الفلسفى ، هذا فضلا عن نقاط الضعف الخطيرة التى ذكرها دارون نفسه وأشار إلى أنها تهدد مصداقية نظريته وتهدمها من الأساس ، بالرغم من استناده إلى أساس من المشاهدة والرصد والمقارنة بين عوالم الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان .

أما الذين هلّلوا لآراء دارون من الماديين أمثال : ماركس وإنجلز وغيرهما فقد استبشروا خيراً بأنها سوف تكون المعول الذى يهدم قواعد الأديان ؛ لأنها تنكر القدرة الإلهية فى خلق الكائنات وتستبدل بها ما أسموه « قدرة الطبيعة » .

هل كان دارون ملحداً :

ومن الطبيعى أن تثير آراء دارون الشكوك فى إيمانه بالله ، ولكن ابنه « فرنسيس دارون » يقول عن أبيه أنه لم يكن ملحداً وإنما كان متردداً فى قبول كثير من المعتقدات الدينية ، فلم يكن يؤمن مثلا بأن للمشيئة الإلهية دخلًا مباشراً فيما يجرى على الأرض من تحول الكائنات وانقراضها وظهور أنواع جديدة . وهذا يعنى أنه ربما كان يؤمن بوجود الله ، ولكنه لم يستوعب صفاته ـ سبحانه وتعالى ـ وأخضع كل شىء لمقاييس الإدراك العقلى والتجريب المعملى وهى وسائل لا ترقى ـ وحدها ـ بصاحبها إلى معرفة الله ـ جل وعلا .

لقد اعتقد دارون فى كتابه « أصل الأنواع » الذى نشره عام ١٨٥٩م متضمناً خلاصة أبحاثه التى انتهت به إلى صياغة نظريته المعروفة بنظرية النشوء والارتقاء أو « نظرية التطور » ـ اعتقد فى « قدرة الطبيعة » على انتقاء الصفات المفيدة للكائن الحى ؛ لأنها تمنحه الصلاحية للبقاء

والتكاثر حفاظاً على بقاء النوع ، أما ما عداها من الصفات الضارة أو غير المفيدة فتهملها وتتجنبها حتى تزول وتنقرض . وباستمرار هذه العمليات الانتقائية على مدى العصور يحدث تغير تدريجي فى تشريح الحيوانات ووظائف أعضائها ، وتنشأ أنواع مختلفة عن أصولها . هكذا أعطى دارون الإيحاء بأن للطبيعة عقلًا مفكراً وغاية تسعى إليها وخطةً للخلق والعمل تقوم على تنفيذها فى الكون من تلقاء ذاتها ، متناسيا ـ ولو من قبيل الاحتمال ـ قدرة الله وحكمته .

نتائج التهجين مصدر الانتخاب الطبيعى عن دارون :

ومما يجب ذكره أن فكرة « الانتخاب الطبيعى » التى قال بها دارون استقاها من مشاهداته لنتائج تهجين النباتات والحيوانات ، حيث وجد أنه بإمكان المربى أن يهيئ لقطعان الماشية مثلا ظروفاً خاصة ، كأن يمدها بغذاء متميز ، أو يحيطها بمناخ مختلف عما هو كائن فى بيئتها الطبيعية ، أو يوفر لها التزاوج مع سلالات أقوى وأفضل . وهذا معناه ـ فيما تقتضى به فكرة الانتخاب الطبيعى ـ أن المربى يستطيع تغيير مواصفات الكائنات الحية وتطويرها للحصول على نسل أكثر أو لحم أوفر أو قدرة أكبر على العمل ، أو غير ذلك . ومادام الأمر هكذا ، فماذا يمنع الطبيعة من أن تقوم بمثل ما يقوم به المربى ، ولكن بطريقتها الخاصة التدريجية على مدى العصور لتأتى فى النهاية بتحولات فى صفات الكائنات الحية ، وبهذا تنشأ أنواع الكائنات من بعضها البعض من جراء تدخل الطبيعة بالانتقاء أو الاختيار للعناصر الأصلح فتتبناها.

أى أن ما يفعله المربى وتفعله الطبيعة شيء واحد .

دارون ينقض نفسه :

وهنا يوجه دارون طعنة قاضية إلى نظريته دون أن يدرى لأنه جهل ـ أو تجاهل ـ أمرين هامين :

أولهما : أن ما يحدث فى التهجين لا يزيد عن إعادة ترتيب لمواصفات بيولوجية وموازين عضوية وقوانين كونية قائمة بالفعل ، ولم تنشأ إنشاءًا بتأثير الانتخاب الطبيعى .

وثانيهما : أن المربى فى مزرعته لم يخلق أنواعاً جديدة من أنواع سابقة ، وإنما قام بتطوير نفس النوع بزيادة إمكاناته ، أى أن التغيير كان فى (الدرجة والنسبة والكم) وليس فى (النوع)، فالأغنام المهجنة تظل أغناماً ولم تتحول إلى أبقار ، والدجاج المهجن لم يتحول إلى حمام أو يمام .

« مالتوس » خلف البقاء للأصلح :

أما فكرة « البقاء للأصلح » لدى دارون فقد كانت صدى لنتائج أبحاث « مالتوس » عن السكان وبقاء بعض الأفراد على حساب البعض الآخر بالرغم من نزوع جميع الكائنات الحية إلى التكاثر السريع ، وإلى تنامى أعدادها بمعدلات هائلة . وهذا يرجع ـ فيما يرى مالتوس ودارون ـ إلى مميزات تشريحية أو (فسيولوجية) أو سلوكية أو ذهنية تتيح لصاحبها التغلب على الصعاب التى تواجهه فيكتب له البقاء . أما من لا يملك مثل تلك الصفات فليس أمامه سوى الموت والانقراض لكى يتيح للأفضل أن يستمتع

بخيرات الأرض . ويضيف دارون سببا آخر يصفه « بالانتخاب الجنسى » ويعنى عنده أن الذكور الأقوى من الحيوانات تستطيع إغراء الإناث من جنسها وتنتج ذرية قوية من نوعها ، أما الذكور الضعيفة فلا تفلح بمرور الوقت ، ولا يبقى سوى ذرية العناصر الأقوى ، لكن هذا الفرض غير صحيح ولا يوجد فى الواقع ما يدل على صحته ، ذلك أن التزاوج فى الحيوانات يختلف عنه فى الإنسان ، فلقاء الذكر والأنثى عند الحيوان لا تحكمه قوة جسمية أو جاذبية شكلية أو ميول نفسية ، وإنما هو لقاء جنسى يخضع لحاجات بيولوجية بحتة حفاظاً على بقاء النوع . أما اللقاء بين الجنسيْن عند الإنسان فتتدخل فيه إرادة الاختيار وتؤدى العوامل النفسية والاجتماعية دورا كبيراً فى إتمام التزاوج .

عودة إلى الأصل المشترك وبيان فساده:

وفيما يتعلق بفكرة « الأصل المشترك » ، فقد ذكر دارون بوضوح تام أنه لا يوجد ما يحول دون تصنيف الإنسان كأحد أفراد رتبة الرئيسيات ، وهى من رتب فصيلة الثديات التى تضم كل ماله ثدى ويرضع صغاره ، ورجح احتمال انحدار الإنسان والقردة العليا (التى تشمل الغوريلا والشمبانزى والجيبون) من أصل واحد ربما كان موجودا منذ بضعة ملايين من السنين ثم تشعَّب كل نوع فى طريقه الخاص به حيث ارتقى عقل الإنسان ووصل إلى مستوى الإدراك العالى وبقى صنف القردة فى مرتبة أدنى بإدراك محدود وقدرات متواضعة . ولتأييد هذا الرأى استعرض دارون فى كتابه « أصل الإنسان » الذى نشره عام ١٨٧١ م ـ عددًا من الأسانيد والدلائل كتشابه الخصائص التشريحية ومراحل تكوين الجنين وتقارب المكونات الكيميائية لسوائل الجسم ، وقابلية الإصابة بنفس الأمراض . لكن هذا النوع من الصفات لا يعتد به عند التصنيف فى تحديد الأصل المشترك ، فالإنسان يتصف بالقامة المنتصبة وكبر حجم المخ بالنسبة لحجم الجسم وارتقاء وظائفه الذهنية التى لا يشاركه فيها غيره . وجنين الإنسان يمر بمرحلة تتميز بخياشيم كخياشيم الأسماك البالغة ، ومرحلة أخرى تتصف بذنب كذنب الحيوانات مكون من عشر فقرات عصعصية ، ومرحلة تكون فيها مكونات جهازه البولى بدائية بسيطة كما هو الحال فى بعض الحيوانات الأولية . كما لاحظ العلماء أن جسم الإنسان البالغ يحتفظ ببقايا أعضاء لا يستعملها ولو استئصلت لا يصيبه الضرر ، مثل الزائدة الدودية ، وأن الطيور تحتفظ بجناح كاذب لا يستخدم فى الطيران ، وأن الثعابين تحتفظ ببقايا عظام أطراف ضامرة ، وهكذا . كذلك لاحظ الإنسان يشترك مع كثير من الحيوانات فى الاستعداد للإصابة بنفس الأمراض . فأى هذه المخلوقات إذن يكون أصلًا للإنسان ؟!آ

وهنا يتدخل المؤلف ليقرر أن التشابه الجسمانى بين الإنسان والقردة يفوق كثيراً الاختلاف بينهما ، لكن القول بالأصل المشترك لكلا النوعين مازال فرضا نظريا يحتاج إلى إثبات ولوثبت فإنه لا يدعو إلى الاستهجان والنفور ..!!

ونحن من جانبنا نرى أن المؤلف قد وقع بهذا التقرير فى تناقض صريح .. وسوف نفصل الحديث بشأنه فى العدد القادم ـ إن شاء الله .

المعجزة القرآنية في حساب السرعة الضوئية

« تعقيب على رد »

الجزء الأخير

أ. د/ منصور محمد حسب النبي

المراد بالأمر موضوع التدبير فى « سورة السجدة / : ٥

المراد هو الأمر الكونى وليس المراد الأمر العاجل (الأمر التكوينى) ولا الأمر الشرعى التكليفى بمعنى الوحى ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ تعنى التدبير من الفضاء حولنا : بشمسه وقمره ونجومه ومكوناته المادية والإشعاعية ، ولو كان المقصود تدبير الأمر التشريعى لقيل (من عند الله) بدلا من قوله تعالى (من السماء) ... كما أن لفظ : (إلى الأرض) فى النص الكريم (السجدة : ٥) على ظاهرها تعنى هذه المكونات الأرضية المادية ولو كان المقصود (الأمر التشريعى الذى تحمله الملائكة) لقيل : (إلى الإنسان) الذى هو محل التكليف الشرعى بدلا من قوله تعالى : ﴿ إلى الأرض ﴾ أى إلى هذه الأرض التى نحيا عليها بما فيها من مادة وطاقة ، وبما ينبعث منها من إشعاعات ، وما يتولد عليها وفيها من نار أصلها شجرة مباركة فى السماء ، كما أن الأمر هنا فى السجدة : ٥ ليس أمراً شرعياً ؛ لأن الأمر الذى دبره الله سبحانه وتعالى من السماء إلى الأرض هو نفسه الذى عرج ؛ لأَنَّ (يعرج) فعل مضارع والفاعل مستتر عائد على أقرب مذكور وهو الأمر فى (آية السجدة : ٥) بينما ما ينزل به الوحى من الأوامر الشرعية لا تعود بنفسها .. فالنازل غير العارج فى الأمور الشرعية أما فى

أستاذ الطبيعة المتفرغ بكلية البنات جامعة عين شمس ، ورئيس الجمعية المصرية للإعجاز العلمى للقران الكريم والسنة .

(آية السجدة : ٥) فالنازل هو نفسه الذى يعود . كما أن التعبير فى النص الشريف بالفعلين المضارعين : (يدبر ، ويعرج) يدل على الدوام والاستمرار ؛ لأن سنة حركة الأمر الكونى فى (السجدة : ٥) دائمة ومستمرة منذ خلق السماوات والأرض إلى نهاية الكون بينما أمور الوحى الشرعية انتهت باكتمال التنزيل وانقطاع الوحى ، وليس الوحى مستمرا ومتواصلا طوال عمر الكون !!

وحيث أن النص الشريف فى السجدة : ٥ فى مقام الدوام والاستمرار وقد مرت على الأرض فترة بعد التكوين تخلو من جنس الإنسان المكلف بالأمور الشرعية بدليل قوله تعالى « هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا » (الإنسان : ١) قال الزمخشرى : شيئاً غير مذكور ، أى لم يخلق ولم يكلف . فما معنى تنزيل هذه التكاليف الشرعية فى غير وجود من يحملها ؟ ولكن دوام وثبات الأمر فى النص الشريف (السجده : ٥) يدل على كونه من الأمور الكونية المقدرة فى دنيا الوجود والملازمة للكون منذ البداية وحتى النهاية .

وليس الأمر هنا أمراً مجازيا معنويا كالثواب والعقاب ؛ لأنه موصوف بالحركة من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء بعروج محدد بمقدار ثابت فهو شىء كونى يقع تحت القياس مما نعد نحن البشر .

ما المراد باليوم فى آية السجدة :

ذكر الدكتور السمان المعانى اللغوية المختلفة لليوم من معاجم اللغة وألفاظ القرآن وقد ثبت أن اليوم فى القرآن يأتى بعده معانٍ كالنهار ، إشارة لمرحلة زمنية ، أو اليوم مما نعد نحن البشر ، وبرغم أن الآية (مما تعدون) فإذا سيادته يصرف النظر عن المقصود بصريح اللفظ ويتبنى تفسيرات تقول بأنه اليوم (فى السجدة) طويل الأمد مقداره ألف سنة وأنه هو يوم القيامة بشدة أهواله بينما أجمع المفسرون على أن اليوم هنا من أيام الدنيا المحدودة فقالوا ـ ومنهم ابن عباس رضى الله عنهما (فى يوم) من أيامكم أى من أيام الدنيا (أبو حيان ـ الطبرى ـ مجموعة التفاسير الزمخشرى ـ أبو حيان ـ الألوسى ـ ابن كثير ـ زاد المسير ـ فتح القدير) .

فلِمَ ترك حقيقة اللفظ واللجوء إلى مجاز دون قرينة ؟.

ويقول سيادته أنه لا يوجد من المفسرين من أشار إلى آية السجدة على أنها حد لسرعة تدبير الأوامر الإلهية ! وأنا أرد على سيادته من واقع أقوال المفسرين :

ـ عن الضحاك (فى يوم) من أيامكم هذه وهو مسيرة ألف ساعة (الطبرى) .

ـ عن قتادة : (فى يوم) من أيامكم (كان مقداره ألف سنة مما تعدون) (ابن كثير والطبرى) .

ـ عن ابن عباس : المعنى كان مقداره لو ساره غير (الأمر) ألف سنة .. أى أن (الأمر) بسرعة سيرة يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم من

أيامكم (الزمخشرى والقرطبى قال وهو اختيار الطبرى) .

ـ فى يوم كان مقداره لو ساره غير (الأمر) ألف سنة (فتح القدير) .

ـ وهو يوم من أيامكم لسرعة (الأمر) لأنه يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم واحد (الزمخشرى وأبو حيان) .

ـ عن ابن عباس : (ألف سنة مما تعدون) قال : ذلك مقدار المسير (الطبرى) .

ـ (كان مقداره ألف سنة مما تَعُدون) ... قال : فى مسافة ألف سنة مما تعدون (الرازى) .

ـ (فى يوم) مقـــداره مسافـــة السير (العروج) فى (ألف سنة) (الألوسى).

وبذلك يتبين فهم معظم المفسرين ـ رحمهم الله تعالى جميعاً ـ للنص الكريم بأنه بيان لسرعة سير الأمر فى السماء ! وهم لم يتخصصوا فى الرياضة مثل الدكتـور السمـان ! وهـل يصح يا دكتور أن تتهمنى بالتحايل فى التعليق الأخير فى ص ٩١ من عدد المحرم ١٤١٤ هـ؟ وأنت تعلم أن سرعة الضوء هى الحد الأقصى للسرعة من واقع النسبية الخاصة لأينشتين كأساس لعلمى الفيزياء والرياضة التطبيقية وبرغم هذا تقول : إن الحد الأقصى للسرعة الكونية غير معروف بينما هذا الحد هو المطلق الوحيد فى الكون والذى لا تتغير قيمته بحركة الراصد أو المصدر وقدرة سرعة الضوء فى الفـراغ وقدرهـا ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ث طبقـاً لإجماع القياسات الدولية وعلماء القرن العشرين وأنا لسبت متحايلا كما تقول ، فهذا الرقم نتج من حساباتى (لآية السجدة : ٥) طبقاً للمعادلة القرآنية المنصوص عليها فى هذه الآية ، وباستخدام النظام النجمى فى حساب الزمن ومراعاة الأفلاك المتداخلة بأسلوب علمى وافق عليه علماء الفلك والفيزياء الحاضرون للمؤتمر التحضيرى فى مكة المكرمة فى ١/ ٥/ ١٤١٠هـ بهيئة الإعجاز العلمى برابطة العالم الإسلامى الذين وافقوا على أن نص آية السجدة يصف سرعة كونية . كما وافق مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم بالقاهرة فى أكتوبر ٩٢ على قبول البحث للإلقاء والنشر .

وبهذا أرجوا أن أكون قد أوضحت بالدليل الشرعى أن (آية السجدة : ٥) تشير إلى حد أقصى للسرعة فى عالم الشهادة يوافق تماماً سرعة الضوء فى الفراغ (بين السماء والأرض) وأن الأمر فى هذه الآية كونى وليس غيبيا ملائكياً أو مجازياً ، وليس أمراً موصوفاً بـ(كن) فيكـون متعلقاً بالإرادة الإلهية الفورية التى لا تحتاج إلى زمن لتنفيذها وأن الأمر الإلهى الكونى محدود بسرعة فى عروجه طوال تسخيره منذ نشأة الكون وحتى نهايتـه طبقـا للنص القرآنى فى (آيـة السجدة : ٥) والله على ما أقول شهيد .

وصدق الحق تبارك وتعالي :

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

رابعاً : سرعة الأمر الكونى :

ـ يقول الدكتور السمان ص ٩٢ فى عدد المحرم ١٤١٤هـ : أنه لا داعى لتسميته سرعـة الأمر الكونى فى (آية السجدة : ٥) بالسرعة القصوى ، ولا داعى ـ أيضاً ـ لفرضها أثناء

الحساب من نص الآية بأنها سرعة منتظمة لا تتغير .

ـ والرد على هذا الاعتراض يتلخص فى أننى لم أفرض فروضاً من عندى ولكن نص الآية الكريمة :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ .

نص شريف يؤكد ما يلى :

١ ـ دوام التدبير والنفاذ والعروج ؛ لأن تكرارها جميعاً إلى يوم القيام يدل عليه « المضارع » وكأنه قيل يجدد هذا الأمر مستمراً ، ولقد أورد الفخر الرازى والشوكانى هذا المعنى . كما أن الفعل « كان » يفيد هنا الأزلية والدوام ؛ لكونه فى موضع قياس تماماً كما فى قوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾[1] أى . وهو دوما كذلك ... والتعبير القرآنى يفيد الاستمرار والدوام .

فالمعادلة القرآنية (فى السجدة : ٥) ستظل سارية المفعول حتى يقضى الله أمره ، وهذا يدل على تعاملها مع سرعات منتظمة لا تتغير كسرعة الأمر الكونى الذى يتحرك فى يوم بما يعادل مسافة ألف سنة قمرية (مما نَعُدُّ نحن البشر) ويؤيد ذلك القانون القرآنى الصريح فى (آية الحج ٤٧) فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ والتى استخدمت ـ أيضا ـ مقاييس الزمن للتعبير عن السير وقطع المسافات ؛ فكانت المماثلة بين اليوم والألف سنة ... فى مسافة السير وليس فى الزمنين (لأن اليوم لا يساوى ألف سنة زمنيا) وبهذا ؛ فإن المماثلة فى المسافة تدل على سرعة عامة وشاملة ومنتظمة ودائمة وثابتة محددة بهذا القانون الإلهى السارى فى ملكه ، فقوله (عند ربك) أى : فى تقديره ، وحكمه أى المتحقق فى ملكه تعالى (فى الكون) وحيث إن القاعدة القرآنية لن تتغير ، فإن هذا يجعلنا نعلن علاقة جديدة فى نظام الأرض والقمر ونؤكد أنه إذا تغير زمن اليوم فسوف يتغير زمن الشهر القمرى حتى تظل السرعة ثابتة للأمر عند التعامل مع هاتين الآيتين (السجدة : ٥) والحج ٤٧) وبهذا فالجواب على اعتراضك يا دكتور هو ثبات القرآن ودوام الأمر والعروج إلى ما شاء الله فى هذا الكون بنفس القانون النازل فى القرآن ، أى مسيرة يوم تعادل مسيرة ألف سنة قمرية دون تغيير فى هذه المعادلة القرآنية ، فسرعة الأمر الكونى منتظمة وثابتة نظراً لخضوع نظام الأرض والقمر لقانون بقاء كمية التحرك .

أما اعتراضك على أن السرعة الناتجة هى الحد الأقصى للسرعة الكونية فهذا موضوع يخصك وحدك يا دكتور السمان ؛ لأننى لم أصل إلى هذا الاستنتاج من فراغ ، فالنتيجة التى حصلت عليها من حساباتى تساوى تماماً الحد الأقصى للسرعة المقاس والمعلن عالمياً بمقدار ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ث ، وهذا دليل أكيد على صحة التفسير

(١) النساء ١٢٦ .

والحساب كما أن التعبير القرآنى يؤكد ذلك :

فقوله تعالى : ﴿ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ ﴾ أى : كان مقياسه وَحَدُّه (المعجم الوسيط ــ تاج العروس) أى أن سرعته لا تزيد عن هذا الحد ، وإلا فما الداعى فى تحديد ــ الله تعالى ــ لليوم بألف سنة مما نعد نحن البشر ، ودوام هذا المقدار (فى التعبير بالفعل : كان) يدل على أننا لن نقيس أو نعد سرعة أكبر من هذا المقدار بينما يمكن أن نقيس سرعات متفاوته وأقل لكن الحد الأقصى هو المقصود بالإشارة فى القرآن ، والذى لا يصح لأى أمر كونى أن يتجاوزه وهذه حقيقة علمية فى القرن العشرين ؛ لأن السرعة فى الكون (للمادة أو للطاقة) قد تتفاوت إلا أنها جميعاً لا يمكن أن تتخطى سرعة الضوء فى الفراغ كحد أقصى للسرعة الكونية ومما يؤكد صحة افتراضى أن سرعة الأمر المشار إليه فى (آية السجدة : ٥) تمثل الحد أو المقدار الذى توصل إليه العلم تماماً ، وإلى أقرب كسر عشرى من حسابات الآية الكريمة بالمقدار المعترف به دولياً ٢٩٩٧٩٢,٥ كم/ثانية وإنى أسأل الدكتور السمان : لماذا نتج هذا الرقم المعروف دوليا من الحسابات من جهة ، وصحة التفسير من جهة أخرى ، وتأييد للقانون الأساسى فى النسبية الخاصة الذى ينص على أن سرعة الضوء فى الفراغ هى الحد الأقصى للسرعة الكونية والذى يمثل أساس علم الفيزياء وعلم الرياضة التطبيقية الحديثة ؟؟!

٢ ــ يقول الدكتور السمان فى أول ص ٩٣ عدد المحرم ١٤١٤ : إن استخدام متوسط السرعة المدارية نوع من التقريب للسرعة الحقيقية للقمر التى تختلف من نقطة إلى أخرى على المدار القمرى حول الأرض .

والرد على هذا أننا نعد السنين بسير القمر حول الأرض فى المنازل وهو السير القمرى قد تختلف سرعته قليلا عبر المدار نظراً لإهليجية المدار بدرجة قليلة تكاد تقترب من الدائرة وبرغم هذا ؛ فإن السرعة المتوسطة لقيمتى السرعة القمرية الصغرى عند الأوج والعظمى عند الحضيض فى هذا الإهليج تعطى السرعة المنتظمة التى ضربت لو فى زمن الشهر النجمى القمرى تعطى طول المدار القمرى مقطوعاً فى شهر نجمى قمرى كامل (فى ٢٧,٢٢١٦٦١ يوما) وأقول : إن المتوسط هو السرعة المنتظمة بدليل ثبوت زمن الشهر القمرى النجمى الذى لا يتغير مطلقاً من شهر إلى آخر إلا إذا تغير زمن اليوم الأرضى لارتباطهما ، وبهذا ؛ فإن الحساب الذى قمت به لا يصح الاعتراض عليه علمياً طالما أننى أخذت متوسط القيمة التى يحسب على أساسها طول المدار القمرى الثابت فى زمن الدورة دليل على ثبوت المتوسط فما الداعى للاعتراض ؟

٣ ــ يقول سيادته فى آخر ص ٩٣ تحت بند تعليق : إن مدار القمر إهليجى (بيضاوى) وهذا صحيح ولكن إذا طبقنا معادلة الإهليج لإيجاد طول المدار فلن تختلف النتيجة عن طول المدار المحسوب على أساس دائرة بنص قطر متوسط ، ويمكن التأكد من ذلك رياضياً طالما أن قيمة الإهليجية eccentricity ضئيلة فى حالة القمر !

٤ ـ يعترض سيادته على أن هناك خطأ فى نتيجة بحثى لوجود تقريب فى العلاقة المستعملة .

السرعة المتوسطة =

$$\frac{\text{٢ ط × متوسط نصف قطر المدار}}{\text{زمن الشهر النجمى}}$$

وأؤكد له أنه ليس هناك تقريب فى هذه العلاقة لحساب متوسط السرعة المدارية للقمر خلال شهر كامل قمرى نجمى ؛ لأن زمن الدورة الواحدة مضبوط على نجم بعيد ؛ ولأن متوسط نصف قطر المدار مقاس على مدى شهر كامل ، بل سنوات كاملة بواسطة (شعاع ليزر) يسقط على سطح القمر وينعكس إلى محطة إرساله على الأرض ليقيس نصف قطر المدار القمرى . وقد تبين من قياسات (وكالة ناسا الأمريكية) : أن متوسط السرعة المدارية القمرية ٣٦٨٢,٠٧ كم/ساعة وهى القيمة التى طبقناها فى حسابات بحث المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية ؛ فهل هناك تقريب فى (نتائج ناسا) التى وصلت بالإنسان إلى القمر !!

٥ ـ نظراً لأن قيمة السرعة المتوسطة ٣٦٨٢,٠٧ يجب تخليصها من تأثير دوران الأرض حول الشمس كشرط أساسى فى نظرية النسبية الخاصة التى تؤكد أن الحد الأقصى للسرعة واحد فى جميع أرجاء الكون بشرط التعامل مع حركة قصورية (منتظمة) ولهذا فلابد من استبعاد أثر جذب الشمس على نظام الأرض والقمر المستخدم فى البحث كمقياس لسرعة الأمر الكونى وعلى هذا الأساس تم حساب زاوية الدوران للحركة غير القصورية للنظام المذكور فى شهر قمرى نجمى كامل حتى يتم حساب صافى السرعة المدارية للقمر $ع_١$ = ع جتاهـ ، وضربها بعد ذلك فى زمن الشهر القمرى النجمى لينتج طول المدار القمرى المقطوع فى شهر ثم يضرب الناتج فى (١٢٠٠٠) لينتج المسافة المقطوعة فى هذا المدار فى ألف سنة . وإدخال جيب تمام (الزاوية هـ) هو للتخلص من الزيادة فى طول المدار القمرى خلال شهر كامل ؛ لأن طول المدار يجب أن يكون عياريا بعيدا عن تأثير جذب الشمس على قيمته ، خاصة وأن هذا الطول لقياس سرعة الأمر الكونى ، فلابد أن يكون طول المدار خاص فقط بدوران القمر حول الأرض دون تأثير دوران القمر مع الأرض حول الشمس بزاوية (هـ) خلال شهر كامل (أى كما لو كانت الأرض ساكنة أو تجرى فى خط مستقيم بسرعة منتظمة حاملة القمر معها) ومثل هذه الحسابات شائعة فى ميكانيكا المقذوفات .

٦ ـ يقول سيادته فى آخر ص ٩٣ عدد المحرم ١٤١٤ ناقدا ما تم فى بحثى من اعتبار الزاوية (هـ) هى الزاوية التى تدورها الأرض حول مركز الشمس وليس كما يعتقد حول النجم البعيد الثابت فهل من المعقول أن تحسب الزاوية (هـ) بصفر باعتبار الدوران حول النجم البعيد كما ذكرت سيادتك بينما نحن فى المجموعة الشمسية حيث تدور الأرض (وهى تحمل نعها القمر) حول الشمس وليس حول نجم بعيد !! وكيف تطبق النظام النجمى الذى يقتصر علمياً فقط على ضبط حساب الزمن ، وتريد تطبيقه على حساب الزاوية التى تصنعها الأرض فى شهر قمرى حول الشمس وليس حول النجم .

خامساً ـ سرعة عروج الملائكة والروح :

يقول سيادته مذكراً لى بقوله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

وأشكره على ذلك وأؤكد له أننى لم أتعرض لسرعة الملائكة والروح ، ولكن كنت أؤكد أن هذه السرعة لن تقع تحت قياسنا مطلقاً بخلاف سرعة الأمر الكونى ؛ لأن الله عند وصفه لسرعة الملائكة والروح لم يقل : (مما نعدون) بل قال تعالى :

﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ المعراج : ٤

ولقد التزمت بهذا النص عند التعرض لسرعة الملائكة والروح ؛ لأرد فقط على الملحدين الذين يدعون أن هناك تناقضا فى مقدار اليوم فى القرآن فى آيتى السجدة والحج من جهة . وآية المعارج من جهة أخرى ولم أسمح لنفسى بالتوغل فى الغيبيات بينما كل حديثك يا دكتور السمان فى المقالين يدور حول الملائكة والعرش واليوم الإلهى الغيبى غير المحدود والأمر الإلهى غير المحدود بينما كل شىء عند الله بمقدار حتى الملائكة أنفسهم كنص الآية الكريمة (المعارج : ٤)

وصدق الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء : ٨٥)

وقوله ـ عز من قائل : ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ الأنعام : ٦٧

وقوله سبحانه ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾ يونس : ٣٩

وقوله عز وجل ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الشعراء : ٦)

وسبحان الله فالوجود يشهد بالحى الموجود الذى لا يغيب عنه شىء وسبحانه قدر الضوابط والسنن الكونية بحسبان وميزان وصدق الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ الرعد : ٨ ، ٩

وبعد ؛ فإن لمجلة الأزهر سؤال :

هل لن يكتشف بالتأكيد سرعة كونية أخرى فى الكون مستقبلا بعد سرعة الضوء ؟؟!

وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا

سر خلف الأسوار

بقلم الأستاذ/ منذر محمد عبد الرحمن

تمهيـد :

سور طوله خمسة آلاف كيلو متر ، وارتفاعه ثمانية أمتار ، وسمكه سبعة أمتار ، يحيط بسر غامض يحرسه جنود صفر الوجوه مستعدون لبذل الرخيص والغالى فى سبيل عدم تسربه . عشرات القرون ، والسر حبيس هذه الجدران الحجرية حاول خلالها مئات من الشباب الحصول عليه وانتهى المطاف بهم إلى السجن والأشغال الشاقة أو التعذيب حتى الموت .. حتى استطاع راهبان شابان أرسلهما الامبراطور « جوستيان » للتجسس على هذا السر أن يحصلا عليه داخل عصاة من « البامبو » المجوفة والعودة به إلى (استامبول) وقد أصبحا شيخين مهدمين .

أما السور فهو « سور الصين العظيم » الذى بنى منذ نحو ٢٠٠ سنة قبل الميلاد وأما السر الذى حمله الراهبان فهو طريقة صناعة الحرير ، فقد استطاعا أن يحملا معهما : وزن لا يزيد عن الجرام من بذور التوت وبيض دودة القز ، وهكذا هرب « سر صناعة الحرير » من خلف الأسوار العظيمة رغم كل الاحتياطات .

الحشرة المدللة :

تغزل العديد من يرقات الحشرات المجنحة « الفراش » لنفسها شرنقة من الخارج مصنوعة من خيوط دقيقة ، لكن حشرة واحدة من هذه الحشرات ــ طولها نحو ٢,٥ سم ، سمينة الجسم ذات لون أبيض ، مشوب بصفرة محببة ــ هى التى استطاعت أن تقنع الإنسان بجودة إنتاجها وجماله . إنها « فراشة الحرير »[1] التى تسمى يرقتها بدودة القز . وبعد أن كشفت للإنسان عن موهبتها تلك وعاشت تحت رعايته عدداً غير محدد

(*) باحث بمعهد بحوث وقاية النباتات .

(١) اسم الحشرة العلمى (Bcmlyx Moril) « فراشة الحرير التوئية » .

من القرون فقدت الكثير من قدراتها التى كانت تملكها فى موطنها الأصلى ، حيث كانت تعيش حياة برية على جبال الهيملايا . ففقدت قدرتها على الطيران وأصبحت ضعيفة فى تحمل الحياة البرية فيرقاتها إذا سقطت من فرع شجرة التوت لا تستطيع أبداً أن تتسلق الشجرة وتعود إلى غذائها المحبوب وتظل جائعة حتى الموت . نعم لقد دلل الإنسان هذه الحشرة حتى أصبحت لا تستطيع العيش بدونه لغرض فى نفسه ومن ثم تفرغ لتربيتها لتتفرغ هى لإنتاج الحرير من أجله .

شراهة ثم صيام تام :

فى أوائل الربيع وقبل أن تورق أشجار التوت مباشرة يبدأ مربى دودة القز فى تفقيس بيض الحشرة الكروى الشكل ، الأصفر اللون ، الذى يسمى « بالبذرة » بوضعه فى الشمس أو فى حجرات سُخِّنت لدرجة حرارة مناسبة ، لا تلبث البيضة أن تفقس دودة ضئيلة الحجم ، لها لون بنى داكن ، ورأس لامع ، ومغطاة بشعيرات طويلة ، تبدأ على التو فى القيام بالعمل الذى تجيده كل الإجادة ، وهو الأكل المفرط ، ومربيها الخبير يعرف ذلك فينقلها إلى أماكن خاصة ، ويزودها بأوراق التوت الطازجة ، فتنقض عليها بشهية هائلة وتأكل بلا انقطاع طيلة حياتها التى تتراوح ما بين ٤٠ و٨٠ يوماً ، فيما عدا الفترات التى تتوقف فيها قليلًا لتنزع عنها الجلد ، الذى يكون قد أصبح ضيقاً لدرجة لا تستطيع بعدها احتماله وهى تفعل هذا أربعة مرات . وبعد أن تتسلخ اليرقة انسلاخها الرابع تواصل الأكل بشراهة بحيث يلاحظ اختفاء قطاعات من الورقة كلما حركت الدودة رأسها لأعلى أو لأسفل الحافة . وكلما تقدمت انتزعت منها قطعاً كبيرة . وفى نهاية تلك الفترة تتوقف عن الأكل إلى الأبد بعد أن تكون قد كبرت ٢٥ مرة عن حجمها الأول وزاد وزنها تسعة آلاف مرة ، واستهلكت أكثر من ٢٠ جراما من أوراق التوت ، وأصبح طولها حوالى ثلاث بوصات، فتبدأ فى الطواف باحثة عن مكان مناسب تستطيع أن تنسج فيه شرنقة لتتحول داخلها إلى عذراء بنية اللون بيضاوية الشكل ، ومهمة المربى أن يوفر لها هذا المكان . عيدان من القطن الجاف ، أو أفرع من التوت تفى بالغرض وتحفز اليرقة على بدأ عملية التحول التى من أجلها تجشم المربى كل هذه المتاعب .

مومياء داخل الحرير :

شىء مثير أن تشاهد اليرقة الناضجة وهى تغزل شرنقتها أو تابوتها الحريرى ، تلك العملية التى تستغرق مدة ثلاثة أيام تقريبا وتبدأ بأن تفرز اليرقة حريراً سائلًا — من غدتين كبيرتين — يتجمد بمجرد خروجه من خلال شفتها السفلية على هيئة خيط قوى بدرجة كافية لأن تتعلق به إذ حدث وإن سقطت على الفرع . بداية من هذا الخيط تنسج اليرقة شرنقتها ، فتطوح رأسها إلى الأمام ثم إلى الخلف ، ومن اليمين إلى اليسار ، وهى تفرز الحرير بسخاء ، فتشد الخيط تلو الخيط بين الأفرع المحيطة بها . وتتكاثف الخيوط حتى تكون ما يشبه الأسوار حول اليرقة . داخل هذه الأسوار تبنى اليرقة منزلها بأن تحرك رأسها دائرياً فتلف

خيوطاً دقيقة حول جسمها حتى تغطى نفسها تماماً بهذه الخيوط وتظل داخلها كمومياء فرعونية غامضة .

التحول من عذراء إلى فراشة :

داخل هذه الشرنقة تحدث القدرة الإلهية لليرقة آلاف التحولات والعمليات الكيميائية ، وبعد أسبوعين أو ثلاثة يلاحظ ظهور نقطة بنية على أحد أطراف الشرنقة ، لا تلبث أن تتحول إلى ثقب كبير يخرج من خلاله مخلوق ضعيف له أجنحة منثنية فى تجاعيد صغيرة غير منسقة ، يظل واقفاً على أرجله الست دون حراك لعدة ساعات تأخذ خلالها الأجنحة فى الانبساط والتشكل حتى تظهر أمامنا فراشة الحرير التى نعرفها جيداً . ستبدأ هذه الحشرة إذا كانت أنثى فى وضع البيض بعد التزاوج بيوم واحد ، وستضع خلال حياتها التى قد تطول إلى عشرة أيام أكثر من ٥٠٠ بيضة يخزنها المربون حتى الربيع القادم كالحبوب . وعندما تزدهر أشجار التوت تعود تلك العملية إلى التكرار .

كثير من القسوة :

عدد قليل محظوظ من الشرانق هى التى سيتركها مربو دودة القز حتى تتحول إلى فراشات لكى يحصل على بيضها ، أما معظم الشرانق فلابد أن يعاملها بكثير من القسوة حتى لا تتكون الفراشة وتثقب الشرنقة الحريرة فتفسد الخيوط الثمينة . لا محل للعواطف هنا ، فلابد أن يمرر تيار من بخار الماء الساخن على الشرانق حتى تموت العذارى داخلها ، وأن توضع فى ماء ساخن ليسهل - بمساعدة فرشاة صغيرة - إزالة الصمغ الذى يلصق الخيوط . وعندما يتم العثور على نهاية الخيط الرئيسى يحل ، ثم تؤخذ عدة خيوط معاً ليعمل منها خيط واحد وتعامل معاملات خاصة لكى تصبح صالحة للنسيج .

ترى أيهما يبذل مجهوداً أكبر .. العامل الذى يحل الشرنقة أم الدودة التى تغزلها حول نفسها ..؟ ستتضح لنا الحقيقة عندما نعلم أن الشرنقة الواحدة تتكون من خيط لا يزيد سمكه على ٢ من الألف من السنتيمتر ، قد يصل طوله إلى كيلومتر بالتمام والكمال ، فإذا علمنا أن كل لفة من الشرنقة طولها حوالى أربعة سنتيمترات ، تبين لنا مقدار المجهود الذى يبذله العامل فى فك شرنقة واحدة ، وإذا علمنا أنه لكى يجمع كيلو جرام واحد من الخيوط يجب عليه أن يحل خيوط عشرة آلاف شرنقة على الأقل ، أى عشرة آلاف كيلومترا من الحرير لوقفنا احتراماً لهذا العامل المجد . أما إذا

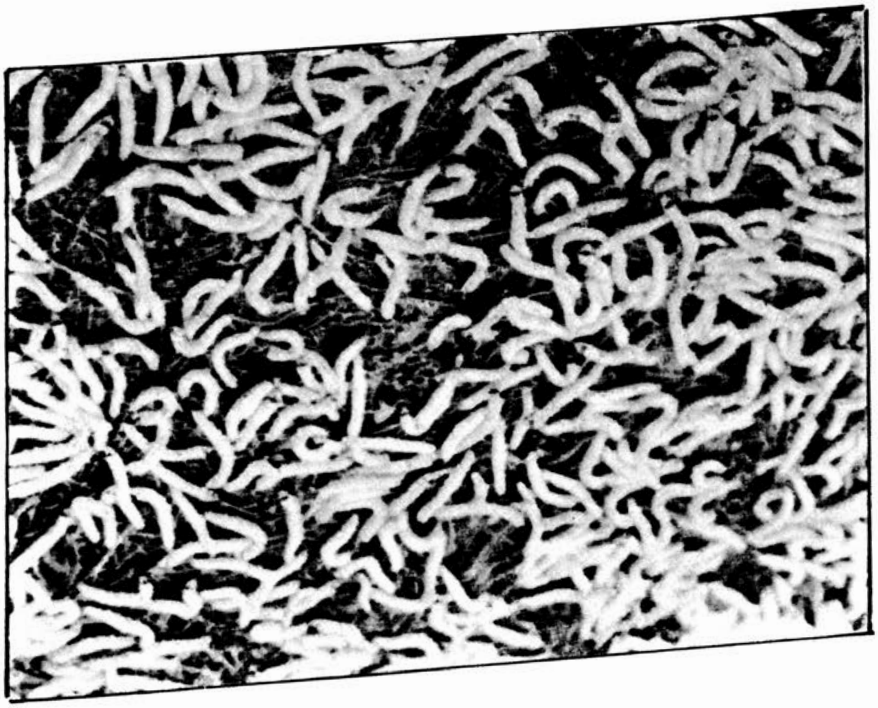

علمنا أن على دودة الحرير أن تطوح رأسها أكثر من ٢٥ ألف مرة حتى تستطيع صنع شرنقتها بسرعة خمسة عشر سنتيمتر من خيط الحرير فى الدقيقة فلابد أننا سنقف خاشعين إمام قدرة الله وبديع صنعه .

حرير حسب الطلب :

دائماً يعشق الإنسان الابتكار والتجديد ، وهاهو قد عكف على تطوير طريقة إنتاج وصنع الحرير ، وسهر العلماء آلاف الليالى حتى استطاعوا أن يطوروا سلالة من دودة القز تعطى خيوطاً من الحرير شديدة اللمعان ، وثانية تنتج ألواناً لا تعكس الضوء ، وثالثة تعطى حريراً مختلفة ألوانه ، ولأن العلماء يعرفون أن إنتاج الحرير لا يتم إلا فى موسم الربيع عندما يتوفر ورق التوت ويتوقف باقى العام ، فقد غابوا فى معاملهم فترة ليخرجوا علينا بحبوب مصنوعة من فول الصويا وأوراق التوت وإضافات مهمة أخرى يستطيع الناس أن يربوا عليها دودة القز طوال العام .

والآن هل يستحق سر الحرير كل هذا العناء من امبراطور الصين الذى خصص آلاف الحراس من أجل متابعة الغرباء وملاحظتهم ، وهل تستحق دودة القز أن تضحى المملك بخيرة شبابها فى سبيل الحصول على جرام من بيضها ؟ بل هل يستحق

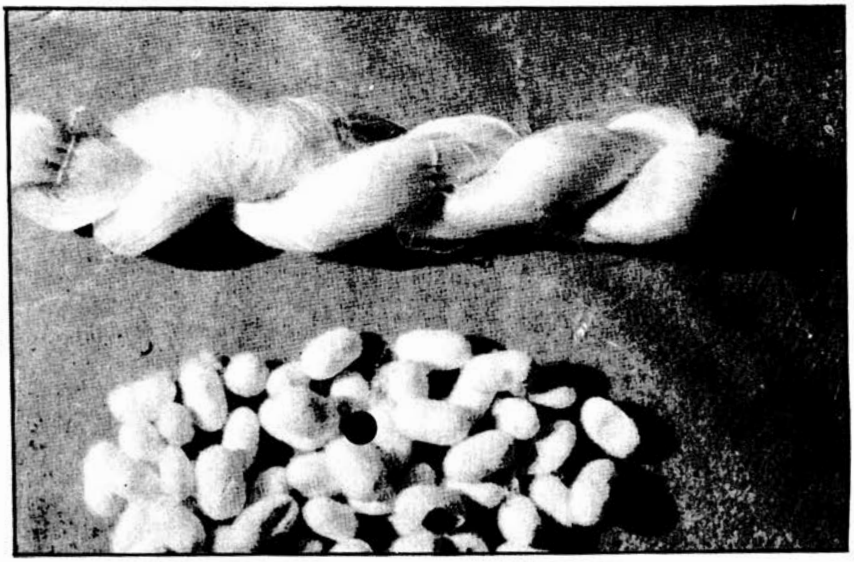

الحرير أن يجتاز التجار العرب من أجله البرارى والبحار فى رحلات محفوفة بالمخاطر والأهوال وأن تنطلق سفنهم الشراعية من موانى البصرة وسيراف وعمان فتجتاز الخليج العربى ، فالمحيط الهندى وتدور حول الهند حتى تصل إلى مدينة « خانقوا » بالصين لكى تعود من نفس الطريق محملة ببالات الحرير الثمين ..؟ وهل كان محمد على يعرف أن العائد الاستثمارى من تربية دودة الحرير تصل نسبته ١ : ٩ أى أن كل جنيه يصرفه المربى فى تربية هذه الدودة يدر عائداً صافياً قدره تسعة جنيهات فى فترة زمنية لا تتجاوز الشهرين ، حتى يدخل تربيتها لأول مرة فى مصر ..؟

ليس عجيباً أن يحرس الصينيون طريقة صناعة الحرير باستماتة فقد كانت تجارته مصدر ثروة هائلة للامبراطور والأمراء وكبار رجال الدولة . أما مربو دودة القز أنفسهم فقد كانوا يعيشون فى فقر مدقع على الرغم من المجهود الخرافى الذى يبذلونه فى تربية تلك الدودة المرفهة ، وليس غريباً أن تحاول الدول الحصول على سر صناعة الحرير بشتى الطرق ، فقد أصبحت تجارة الحرير مصدراً رئيسياً من مصادر الدخل القومى فى عدة دول مثل : ايطاليا وفرنسا واليابان . ولو أضفنا الحاجة الشديدة للحرير الطبيعى فى صناعة الطائرات والهندسة الكهربائية وفى الطب وصناعة الملابس الصحية الناعمة الرائعة الجمال والصناعات الأخرى لعرفنا لماذا ينتج العالم أكثر من ٦٠ مليون طن من الحرير سنوياً .

الحرير فى القرآن

نعم من حق الجميع أن يغرموا بذلك النسيج الرائع الناعم الذى وعد الله به المؤمنين وجعله

لباس أهل الجنة . كما يقول عز وجل :

﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾

[الحج : ٢٣]

ويقول تبارك وتعالى :

أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

(٣١) (سورة الكهف)

ففيها يلبسون نوعين من اللباس : السندس منه وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلى أبدانهم ، والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلى الظاهر كما هو معهود فى اللباس ، وأحسن الألوان الأخضر ، وألين اللباس الحرير ، فجمع الله للمؤمنين بين حسن منظر اللباس وتمتع العين

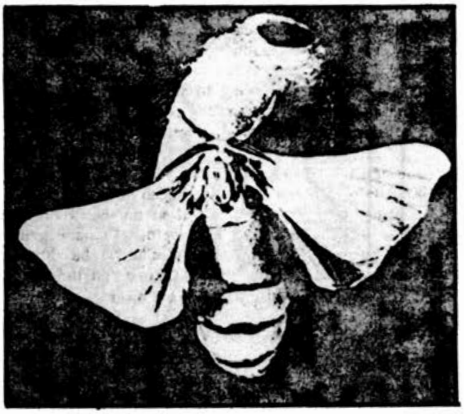

به ، وبين نعومته وارتياح الجسم ليه . وقبل أن ننهى هذا المقال يجب علينا أن نذكر الحديث الشريف الذى يبين لنا أن حرير الحياة الدنيا لا يقارن بأى حال من الأحوال بحرير الآخرة ، ففى الصحيحين عن أنس بن مالك قال : « أهدى أكيدر دومة إلى النبى ﷺ جبة من سندس ، فتعجب الناس من حسنها ، فقال : لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا » صدق رسول الله ﷺ .

المراجع العربية

١ ــ برنامج إرشادى للنهوض بتربية دودة الحرير التوتية . معهد بحوث الإرشاد الزراعى والتنمية الريفية ، نشرة فنية رقم ١١٨٨/٢٤ .

٢ ــ تفسير ابن كثير .

٣ ــ حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح : ابن قيم الجوزية .

٤ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى .

المراجع الأجنبية

1- Animals on apedstal Yuri Dmi Triyev.

2- Destructive & useful Inscets Metcal & Fjint.

الجديد في العلم والتقنية

د/ نجوى السيد أحمد

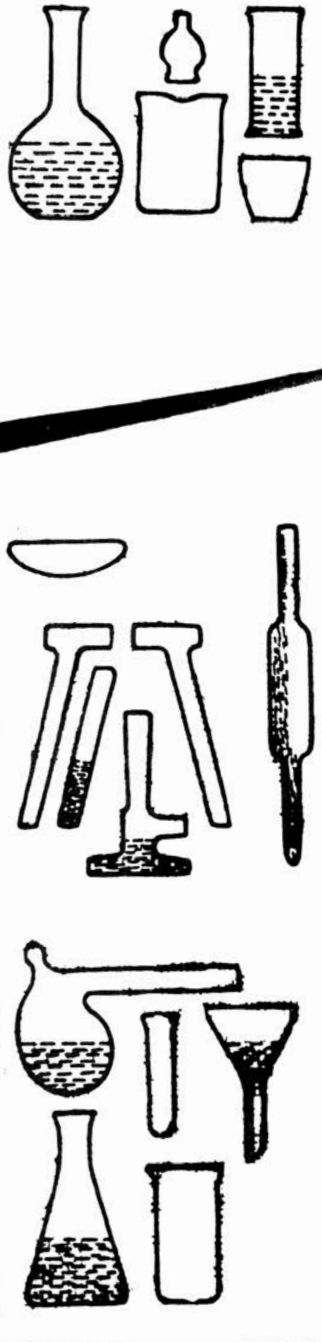

١ ـ عدسة إلكترونية لمعالجة بعض حالات فاقدى البصر :

توصل فريق من الباحثين الأمريكيين إلى زرع عدسة الكترونية حساسة للضوء داخل العين تعيد بعض القدرة على الرؤية لنوع معين من المرضى فاقدى البصر الذين حدث لهم خلل بالخلايا التى تتلقى الضوء فى شبكية العين ومازال العصب

خلف الخلايا الضوئية سليماً . وتتلقى العدسة الالكترونية الضوء وتنقله إلى نبضات كهربائية تؤثر فى أعصاب الخلايا الضوئية فى شبكية العين وبذلك يعود للكفيف نوع من القدرة على الرؤية ولكنها لا تقارن برؤية العين الطبيعية حيث تحتوى صورة العين الطبيعية على عشرة أضعاف المعلومات التى تحتويها العدسة الالكترونية الجديدة .

٢ ـ الليزر لعلاج سرطان الثدى :

يقوم مجموعة من الأطباء بإحدى الجامعات الأمريكية بإجراء التجارب على أسلوب جديد لتدمير سرطان الثدى بدون جراحة بواسطة أشعة الليزر والتصوير بالرنين المغناطيسى . ويعتمد هذا الأسلوب على وضع إبرة فى الورم خلال بشرة الجلد باستخدام مخدر موضعى ثم وضع ألياف الليزر خلال الإبرة وتركها فى الورم ، ويتم تنشيط الألياف باستخدام شعاع الليزر بطاقة صغيرة تقضى على الورم فى مكانه داخل الثدى . ومن أجل الدقة والأمان عند العلاج بهذا الأسلوب يقوم الأطباء بالتصوير بالرنين المغناطيسى حيث تستخدم مجالات مغناطيسية وموجات مرئية تمكنهم من رؤية كيفية انتشار الورم حتى لا يترك أى نسيج سرطانى حى .

٣ ـ عزل «الجين» المسبب لمرض الربو :

نجح الأطباء البريطانيون فى عزل « الجينة » المسببة لاختناق التنفس والإصابة بأزمات الربو واكتشاف الوسيلة التى قد تسهم فى القضاء على المرض خلال الأعوام القادمة . ويعتبر هذا الاكتشاف الجديد نقطة تحول جذرية فى أساليب العلاج فى العصر الحديث ويفتح أبواب الأمل أمام المصابين بأزمات الربو للتخلص من معاناتهم .

٤ ـ كمبيوتر متعدد اللغات :

أنتجت إحدى الشركات الصينية كمبيوتر ينطق ثلاث لغات : هى الإنجليزية والفرنسية والصينية ويتولى تعليم النطق الصحيح للكلمة بالإضافة إلى العبارات التى يحتاج الشخص إلى استخدامها فى الحياة اليومية ، كما يمكن استخدامه كحاسب لاجراء العمليات الحسابية المطلوبة .

٥ ـ أضخم تلسكوب لتصوير الأجرام السماوية :

فى الولايات المتحدة الأمريكية تم تركيب أضخم راديو تلسكوب فى العالم يتكون من عشر هوائيات ممتدة على أكثر من ٨٠٠٠ كيلو متر ، ويستطيع التقاط صور دقيقة جدا لأجرام سماوية تنبعث منها موجات اشعاعية على بعد مليارات من السنوات الضوئية عن الأرض وقدرته تفوق ألف مرة دقة أى تلسكوب آخر من نفس النوع .

٦ ـ أحدث جهاز لعلاج مرضى السكر :

توصل العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية إلى ابتكار جهاز جديد لإنتاج الأنسولين سوف يحدث ثورة فى علاج مرضى السكر . ويقوم هذا الجهاز بالتعرف على كمية الأنسولين التى يحتاجها الجسم لمعالجة السكر فى الدم ، ثم يتولى ضخها

عبر الأوعية الدموية . والجهاز عبارة عن اسطوانة من البلاستيك لا يزيد قطرها على قطر الدبوس الصغير وطولها حوالى ٢,٥ سم وتحتوى على خلايا بنكرياس حية وهى تزرع تحت الجلد ولا يستطيع جهاز المناعة فى الجسم التعرف عليها ورفضها حيث إن الغلاف البلاستيكى يقوم بحماية خلايا البنكرياس الحية بداخله .

٧ ـ جهاز لقياس أكسجين المخ :

ابتكر أحد العلماء الأمريكيين جهازاً لقياس نسبة أكسجين المخ أطلق عليه اسم «أوكسيميتر» المخ . والجهاز عبارة عن لصقة بصرية توضع على جبين المريض حيث تنطلق منها أشعة تحت حمراء إلى الجمجمة فتخترقها لتصل إلى المخ وتقوم بتحليل المعلومات الواردة لها من المخ وتحديد نسبة الأكسجين به وتظهر النتيجة على شاشة الجهاز .

٨ ـ جهاز الكترونى للتحكم فى تشغيل أجهزة التكييف :

أنتجت إحدى الشركات الأوربية للصناعات الالكترونية جهازاً جديداً عبارة عن ترموستات أتوماتيكى للتحكم فى تشغيل أجهزة التكييف حيث يقوم برفع أو خفض درجة حرارة الغرفة عند الدخول أو الخروج منها مما يساعد على ترشيد استهلاك الكهرباء بنسبة ٢٠ ٪ . ويعمل الجهاز من خلال أجهزة استشعار خاصة وبرمجتها بالنسبة لكل غرفة طبقا لعدة عوامل مثل درجة الحرارة والضوء والحركة .

٩ ـ أسماك تكوِّن دوائر الكترونية :

يوجد بعض أنواع من الأسماك يطلق عليها الأسماك الكهربائية تستطيع أن تشكف الأشياء والحيوانات الأخرى كهربائيا ، كما إنها تستطيع الاتصال مع بعضها البعض عن طريق مجالات كهربائية معدلة . وعمل الأعضاء الحسية الكهربائية لهذه الأسماك ، وتوليدها جهوداً ونبضات تيارات كهربائية عالية لدرجة مذهلة ، يشبه عمل الدوائر الالكترونية .

١٠ ـ إنتاج نوع جديد من الخشب ضد الحريق :

أنتجت إحدى شركات الأخشاب اليابانية نوعاً جديداً من الخشب يقاوم الحريق ويتكون من : مزيج من مادة بلاستيكية لاحمة ونفايات نشر الخشب ، ويتميز بمقاومته للحرارة وله مظهر الخشب الطبيعى ورخيص الثمن ويستخدم فى تغليف واجهات الجدران الداخلية للمنازل .

١١ ـ نباتات الزينة لتنقية جو المنزل:

أثبتت الدراسة التى قام بها علماء وكالة الفضاء الأمريكية على بعض أنواع من نباتات الزينة المنزلية أنها تساهم بدرجة كبيرة فى مقاومة التلوث فى داخل المنزل وتنقية جوه . ومن نباتات الزينة التى أجريت عليها الدراسة النباتات المتسلقة والفيكس وزهور الكاميليا البيضاء .

من أعلام الأزهر
العلامة إبراهيم الجبالى

أ.د/ محمد رجب البيومى

- ١ -

أقول إنه العلّامة ، وما فى ذلك مبالغة ؛ لأنه درس العلوم الشرعية واللسانية دراسة المتخصص الفاحص ، بحيث صار المرجع فيها على اختلاف موادها ، وبحيث يسأله السائل عن إحدى مسائل علم الأصول أو علم الكلام على دقتها البالغة فيجيب لتوّهِ إجابة من يظن أنه سُئل عن هذه المسألة من قبل واستوعبها بحثا ودراسة لكثرة ما حَصَّل من دقائق العلوم ، والعهد فيمن يتعمقون دراسات الجزئيات العويصة فى هذه العلوم الجافة أنهم يقرّرون ما يعرفونه فى أسلوب جاف خشن ، ولكن الأستاذ الجبالى رزق موهبة البيان المستنير ، إذ ورث عن أستاذه الإمام محمد عبده هذا الشغف البالغ بنصاعة الأسلوب ، ووضوح البيان ، فكان ذلك إحدى ميزاته فيما يكتب ويحاضر ، وصُحفُه الباقية فى تفسير آيات الكتاب ، تشهد بمقدرته الأسلوبية بحيث لا يطالع القارىء غير ما يبهجه فكراً وتعبيرا ، وتلك ميزة لا تجحد .

إن من أعجب العجب أن يكتب قارىء الى الأستاذ أحمد بهجت خطابا يرجو فيه أن يهتم أولو الأمر بإحياء ذكرى مطرب ، فيطلق اسمه على شارع كُتب عليه اسم «الشيخ ابراهيم الجبالى» لأن الشيخ : مجهول فى نظره ولا يستحسن أن يطلق اسمه على شارع ما وقد سارع الأستاذ أحمد بهجت بنشر هذا الخطاب فيما يكتبه تحت عنوان (صندوق الدنيا) فأزعج كثيرا من القراء وتوالت عليه الرسائل مستنكرة أن يكون الشيخ الجبالى مجهولا غير مشتهر وقد كان من ألمع أعضاء هيئة كبار العلماء بالأزهر ، كما كان عضوا بارزا من أعضاء مجلس الشيوخ المصرى وعميدا لكلية اللغة

العربية التى أطلقت اسمه الكريم على أحد مدرجاتها الكبيرة اعترافا بفضله وتنويها بأثره الميمون فى مجالات متشعبة لا فى مجال واحد ! ثم يجىء من يطلب محو اسمه ليثبت اسما يتضاءل صاحبه وينكمش إذا قرن به ! ولكنها عجائب الدنيا التى لا تنفد !

ولعل لهذا المتعجل المقترح عذره فيما صنع ، فقد نشأ فى عصر تنكر فيه اللاحق للسابق ، وبخاصة إذا كان السابق من أهل العلم المترفع عن الزلفى والمحاباة ! وقد ظلم الشيخ الجبالى نفسه حين لم يجمع آثاره العلمية فى كتب منشورة وقد كانت ملء السمع والبصر على مدى ثلاثين عاما فأكثر تسيل بها أنهار الصحف والمجلات فياضة متدفقة ، وكذلك كان زملاؤه الكبار من أعلام الأزهر مثل : الشيخ محمد شاكر ومحمود أبوالعيون وعلى سرور الزنكلونى وعبدالباقى سرور نعيم ومصطفى القاياتى ومحمد محمد سليمان يرسلون مقالاتهم الدينية والسياسية والاجتماعية متتابعة فى صدور الصحف اليومية فتلاقى أعظم القبول من القراء ، ثم يمضى الزمن فلا تجمع فى أجزاء خاصة ، بل تعصف بها ريح النسيان ويجىء الجيل التالى جاهلا تراث أساتذته وآبائه ! ولولا أن مجموعات مجلة الأزهر فى السنوات العشر الأولى قد حفظت بعض آثار الشيخ الجبالى فى أعداد متوالية تشمل شجونا من ألوان التفسير والحديث والسيرة والفتوى والاجتماع وأصول الفقه وشئون الأسرة ! لولا هذه المجموعات الخالدة من مجلدات مجلة الأزهر ما استطاع كاتب مثلى أن يرجع إلى بعض آثار الشيخ ! إذ كيف لى بمراجعة صحف المقطم والأهرام وكوكب الشرق والبلاغ مما غاب مكانه وتعذر الاهتداء إليه بعد مرور نصف قرن أو يزيد !

نشأ الأستاذ الجبالى فى أسرة ماجدة من أسر محافظة البحيرة ، إذ كان والده من كبار الوجهاء بالمدينة ، وكان جدة عالما يشار إليه فى محيطه ، وذا نسب شريف يرتفع به مؤيدا بمكارمه وعلمه واتساع منزلة الرحب للوافدين ، وقد التحق بالأزهر ، فأظهر نبوغا واقتدارا حتى نال العالمية سنة ١٩٠٤ من الدرجة الأولى ، وكان الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى زميله فى الامتحان والتخرج فتعيّنا معا بالأزهر مدرِّسيْن ولم تمض فترة حتى سافر الشيخ المراغى إلى السودان وانتقل الجبالى الى التدريس بالمعهد الاسكندرى ، وقد أنشيءَ حديثا لإعداد طالب كفء يلتزم بالنظم الحديثة فى التكوين العلمى والخلقى ، وقد أهتم ذوو الأمر به ، إذ رصدت له جوائز مالية يقوم رئيس الوزراء تارة ، ومندوب الخديوى تارة أخرى بتوزيعها على النابغين من الطلاب بحيث صار المعهد الإسكندرى إذ ذاك نموذجا يحتذى تقتضيه المعاهد الأخرى بطنطا والقاهرة ودمياط ودسوق ، وكان شيخ العلماء محمد شاكر يراقب الدروس مراقبة فاحصة ، فوفق لاختيار الشيخ الجبالى مراقبا للمعهد ، وهى الوظيفة التى تلى المشيخة حينئذ ، قبل أن ينحدر مستواها فيما بعد ، فبذل من الاهتمام البالغ بالطلاب ما جعلهم طليعة الناشئة الأزهرية حينئذ ، وكان الشيخ الجبالى يخطب الجمعة أسبوعيا فى مسجد المعهد ، فيأتى بضربٍ من الوعظ لم يعهد فى عصره ، إذ كان يتحدث عن العلل المعاصرة حديث الطبيب المعالج ، وحين قامت الحرب العالمية الأولى فوجىء

الشيخ بمن يأمره بالامتناع عن الخطبة الأسبوعية ؛ لأنه يذكر الإنجليز بالعدوان ويعلن أن هواه مع الأتراك ، وقد امتنع الشيخ مكرها . حتى إذا انتهت الحرب عاد إلى نشاطه ؛ ليكون مؤيدا للثورة المصرية بزعامة سعد زغلول ، وقد سبقه شيخ المعهد الاسكندرى إذ ذاك فضيلة الأستاذ عبدالمجيد اللبان إلى تعبئة عامة لأبناء الثغر بأمرائه وعظمائه ووجوهه ، كى يقفوا صفا واحدا أمام المستعمر الغاصب ، وأقيم احتفال كبير خطب فيه اللبان والجبالى والشيخ ابراهيم سليمان شاعر الأزهر فى هذه الحقبة ، وترأسه الأمير عمر طوسون ! وذلك تاريخ مشهود ولكن الذين يكتبون تاريخ الثورة المصرية يبحثون عن كل صاحب جهد !! إلّا أن يكون من طراز اللبان والجبالى وابراهيم سليمان ! فهؤلاء يجب أن يطمس عنهم كل حديث ، لأنهم حملة هداية ، وعلماء دين !! مع أن الجامع الأزهر بالقاهرة كان مهد الثورة المشتعلة ، وتلك حقيقة سجلها شوقى فى قوله

المعهد القدسىّ كان نديّة
قطبا لدائرةِ البلاد ومحورا
وُلدت قضيتُها على محرابه
وحَبَتْ به طِفلًا وشبّتْ معصرا ..

وفى خضم الأحداث انتقل الشيخ إلى القاهرة لرياسة التفتيش بالأزهر والمعاهد الدينية مع القيام بدروس تربوية لطلبة القسم العالى بالأزهر ، وفى هذه الدروس اهتم الشيخ بتكوين رجال الوعظ قبل أن ينشأ هذا القسم رسميا سنة ١٩٢٨ ، إذ جعل من همّة فى التدريس أن يختار آيات الآداب الخلقية ؛ لتكون مادة للارشاد ، فكان يلم إلماما موجزا بما تتطلبه الصنعة النحوية والبيانية ، ليعكف على توضيح اللباب الخالص من مقاصد الذكر الحكيم ، مقتديا فى ذلك بدروس الإمام محمد عبده فى الرواق العباسى حيث كان من طلابها النابهين ، وقد قال الأستاذ محمود الشرقاوى فى حديثه عن هذه الدروس إن نصيب الأدب منها لا يقل عن نصيب العلم وإن الطلاب كانوا يسجلونها فى شوقٍ وإعجاب ..

تنقل الأستاذ فى مناصب كثيرة منها مشيخة المعاهد الدينية فى الزقازيق وطنطا وأسيوط ، ومنها التدريس بالقسم العالى بالأزهر ، وفى مرحلة التخصص للطلاب الكبار ، ومنها التفتيش بالمدارس الثانوية بوزارة المعارف ، إذ رأى القائمون على هذه الوزارة أن ينتفعوا بآراء الشيخ فى إعداد المناهج الدينية بالأقسام المختلفة ، فعين مفتشا بالوزارة ، ليلمس أوجه القصور فى عمله الميدانى ، وقد انتهزها فرصة لإذكاء الروح الدينية واشباع الجو العام للمدرسة بالشعور الإسلامى ، إذ كان يحرص على الاجتماع بهيئة التدريس فى مختلف المواد ، مع الاداريين من النظار والوكلاء والمراقبين ، ثم يؤمهم للصلاة بمسجد المدرسة ظهرا أو عصراً وفق زمن الزيارة ، إذ كان اليوم الدراسى كاملًا ، والمدرسة أسرة ذات آباء وأبناء ، فإذا انتهت الصلاة ألقى موعظة هادفة ، وتعرّف إلى المجتمعين ملاطفا محيًّيا ، ثم ودع بمثل ما استُقبل به من الاحتفاء ، وحين عين عضواً بمجلس الشيوخ زامل صديقه الشيخ حسين والى فى الدعوة إلى إرساء القواعد الإسلامية ووجوب حفظ القرآن الكريم أو نصفه على الأقل بالمدارس الثانوية وما فى مستواها ، وبمدارس المعلمين

والمعلمات بنوع خاص ولازالت مضابط المجلس تشهد بما أبدياه من وجوه الإصلاح التعليمى ، وإذا لم يستجب المجلس لبعض ما ارتأياه ، فقد قاما بالتنبيه والايقاظ ولهما جزاؤهما المشكور عند الله .

وقد ذكر الأستاذ الدكتور أحمد إبراهيم الشعراوى أن الأستاذ الجبالى فى أثناء مشيخته للمعهد الثانوى بطنطا كان يطوف على المدرسين بالحجر التعليمية فى شتى المواد من فقه وحديث ونحو وصرف وبلاغة وتوحيد ، وقد لاحظ قصورا واضحا فى دروس النصوص الأدبية من شعر ونثر لدىّ بعض المدرسين ، ففكّر فى معالجة هذا القصور بطريقة لا تغضب الضعيف وتبهج القوى ورأى أن يقوم بعد صلاة العصر من يوم الاثنين أسبوعيا بشرح كتاب الأمالى لأبى على القالى فى ندوة يحضرها أساتذة المعهد ، وكتاب الأمالى يعتمد فى أكثره على الغريب ، لأن أبا على رجل لغة أولًا ، فكان الشيخ يختار نصا شعريا من الأمالى ليقرأه ثم يشرحه موجها إلى ما يلزمه من دقائق البيان ونكت النحو فإذا فرغ من هذا التبسيط أخذ يقرأ ما سطره أبو على قراءة المتخصص الهاضم ، وقد ساعد هذا على تكوين جوّ أدبى يعترف بدروس النصوص لتأخذ مكانها جوار مسائل العلوم المختلفة دون إجحاف !

وقد سعدت بلقائه فى كلية اللغة العربية حين كان شيخا لها ، وكنت بين طلابها الكثيرين ، فكنا نراه لا يمّل من زيارتنا فى الحجرات المختلفة ليستمع ما يقال فى كل مادة تفاجئه ، وكان وجهه يشرق بالنور حين يستمع إلى أستاذ مجيد على حين يتقبض ويغيم حين يجد الدرس دون المستوى المنشود ، ولى معه طرفة ذكرتها فى حديثى عنه بمجلتى المنهل والهلال ، وموجزها أن الشيخ الكبير كان لا يسمح للطالب بالتخلف عن الدراسة إلّا بعذر يقدم إليه شخصيا ، ويراه أهلا للقبول ومن عادته أن يسأل الطالب المتقدم إليه سؤالا علميا بمحضر من الأساتذة الذين يوجدون فى مكتبه ، وقلما يخلو من زائر ، فإذا أجاب الطالب سارع بقبول اعتذاره ، وقد تقدمت إليه ذات صباح راجيا السماح بيوم واحد كى أقابل والدى عند حضوره بباب الحديد ، فأمرنى بالجلوس ، وقال لى : أريد أن تفكر فى إعراب قول الشاعر .

وكلُّ رفيقى كل رَحل وإن هما
تعاطَى القناَ قَوْما هُماَ أخــوان

وكنت على ذكر من البيت وما قيل فيه ، فقلت له : سأجيب ياسيدى عن الإعراب ، ولكن عليك أن تتفضل بالإجابة عن قائله ومناسبته ، ومن أخطأ فى إعرابه من كبار النحاة ! فائتلق وجه الشيخ بالنور ، وقال : أتعرف أن أحد النحوين الكبار قد أخطأ فى إعرابه ؟ قلت : هو ابن هشام فى المغنى ، فضحك وقال : إذن سهل عليك الجواب . ولكنك تسألنى عن القائل والمناسبة ، وأنا لا أدرى من أمرهما شيئا ! لقد جئت بآبدةٍ ! لقد جئت بآبدة ، انطلق يابنى لتقابل أباك مشكورا ، فأنا احتجز المتعلمين لا العلماء !

ولقد لاحظت أن الشيخ الجبالى يبدأ مقالاته كثيرا بآية من كتاب الله تكون مجالا لتشعب الحديث ، سواء كانت المقالة دينية أو اجتماعية أو تربوية ، وهو اتجاه يدل على سيطرة الذكر الحكيم على منافذ شعوره ، ومواضع تفكيره ، وهو لا يتكلف فى الربط والتمهيد ، بل يجىء الأسلوب

سلسا مطردا ، كما يترقرق الماء فى الغدير العذب ، وقد ذكرنى ذلك بموقف ذائع له تناولته بعض الصحف بالنقد على حين تناوله المنصفون بالتأييد ! فقد اختير الأستاذ الجبالى لتمثيل الأزهر فى حفلة تأبينية كبرى ببغداد أقيمت فى ذكرى الأربعين للملك غازى سنة ١٩٣٩ ، وقد جمعت أعلام الأمة العربية من وزراء وسياسيين وعلماء وشعراء حيث يمثل كل قائل جهة رسمية أوفدته ليتحدث بلسانها ، وقد وقع اختيار الأزهر عليه ، فافتتح الشيخ الكبير كلمته بقول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ العنكبوت

وشَرَعَ يتحدث عن أطوار الحياة الأربعة فى الرّحم والدنيا والقبر والبعث ، لينتهى الى أن عمل الانسان فى الطور الثانى هو مجال تقييمه فى الطورين الثالث والرابع ، وأن على كل سياسى يتقلد زمام الأمر فى موطنه أن يتذكر هذين الطورين بحيث لا يغفل عنهما طرفة عين ، وأنه يرجو أن يكون الراحل الكريم ممن عرفوا ماوراء الحياة الدنيا من ثواب وجزاء ، وأفاض فى هذا المنحى إفاضة مشبعة ، ثم ختم كلمته داعيا للفقيد بحسن المثوبة والجزاء .

وقد قال الأستاذ على الطنطاوى فى تعليقه على الكلمة : إنها أشبه ببحث علمى ، لا برثاء تأبينى ، فأجاب الأستاذ بأن سابقيه من المتكلمين قد كرروا أنفسهم بحيث أصبح مدعاة للسأم ، فرأى أن ينتهز الفرصة ليلقى غطة نافعة ، وقد اضطر إلى ذلك مفاجأة حين استمع إلى من سبقه فرأى أنه تكلم بمثل مايود أن يقول ، وكان على اللجنة القائمة على الاحتفال أن تحدد نقطة معينة لكل قائل بحيث يختص شريحة من حياة الفقيد بالتحليل لا تتفق مع شريحة قائل آخر ! ومن هنا اتجه الشيخ بالحديث وجهة عامة تأتى بالجديد .

هذا وقد يؤخذ على الشيخ الاستطراد الطويل فى بعض مايعالج من مباحث التفسير ، إذ أن قارىء ماكتبه فى تفسير سورة النور يجده قد تحدث عن هموم العصر الاجتماعية حديثا متشعبا ، إذ أفاض فى مسائل الأسرة ومايتعلق بالطلاق والزواج والحجاب والاستئذان ، وحقوق الزوج مقارنة بحقوق الزوجة إفاضة تصلح أن تكون موضع بحث مستقل ! وكأن الأستاذ الجبالى قد اقتدى بالسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار فى هذا الصدد حيث جعل من تفسيره موسوعة اجتماعية تعالج أدواء المجتمع بما يتجه إليه المصلح الغيور من أنصار الذكر الحكيم ، وقد أحسن صاحب المنار باستطراده المسهب ، فجعل يقول فى هوامش التفسير حين يتعرض لمثل هذه السبحات : «يستحسن أن تقرأ هذه الفصول منفردة عن التفسير العام» والحق أن الأوباء الاجتماعية التى تزاحمت فى عهد صاحب المنار وفى عهد الأستاذ الجبالى كانت تحتم على شارح كتاب الله أن يتّخذ من تفسيره تكأة لمعالجة هذه الأوصاب ، وأنا شخصيا أهَشُّ لهذه الاستطرادات وأقرؤها فى شوق ؛ لأن الفائدة العلمية محققة منها دون نزاع ، ولكن غيرى قد يعدّها تضخما لا مبرر له ، إذ يرى من منهجية التفسير أن يلتزم صاحبه بالنص القرآنى يعيش فى جوه الطّلق دون أن يتعداه إلى غيره من الأجواء ، مهما مسَّت الرغبة فى الدعوة إلى الصّلاح والإصلاح .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر (شريف)

كيف ينهض المسلمون ؟!

لفضيلة الشيخ عبد الحميد محمود المسلوت (*)

من كبا نهض ومن نهض سار ومن سار وصل ولكن كيف ؟ هنا يثور التساؤل . كيف ينهض المسلمون حتى يسيروا فيصلوا ؟

بقوة العقيدة ، ورسوخ الإيمان ، واختيار الدعاة ، وإخلاص الداعين ، والتحلي بالشمائل التي جاءت عن الداعية الأول صلى الله عليه وسلم . والتمسك بكل ما جاء به الإسلام شريعة ومنهاجاً ، فإن أمر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها .

فالإيمان القوى يصنع أمة قوية أقوى ألف مرة من القوة التي يصنعها الإنسان فيتباهى بها ويفخر .

الإيمان الذي يسرى فى النفس فيأخذ بها ويسيطر عليها ويجعلها تقف فى وجه غاشم أو ظالم أو معتد ؛ فأحرى بالمسلمين أن يعودوا إلى أصول دينهم حتى ينهضوا من كبوتهم ، فيلحقوا بالركب ويأخذوا بسنن التطور قال الأستاذ :

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

كيف ينهض المسلمون !

بم يسترد المسلمون ما سلف من مجدهم الغابر ، ومضى من عزهم التليد ؟ وكيف يسترجعون تلك المكانة السامية التي افتقدوها فى ذروة التاريخ ؟ بم يعودون كما كانوا قادة الدنيا وهداة العالم ، يحملون فى أيمانهم مشاعل العلم والحق والعدل ، لا يضعفون ولا يتخلفون ؟ وكيف تعود هذه الرقعة الإسلامية زاخرة بالقوة المستنيرة المبصرة ، حافلة بالعزائم الفتية ، والهمم القوية التي تتحدى الخطوب ، وتزرى بالمحن ؟

تلك أسئلة تطوف بالفكر ، وتتردد على

(*) المدرس فى كلية اللغة العربية

الذهن ، حين يستسلم المرء لتصوراته وتأملاته ، وتسرح خواطره خلال الأحقاب التاريخية ، تستعرض أمجاد المسلمين ، وتقرأ صحائفهم الناضرة اللامعة ، وهى أمنيات مثيرة ملحة تداعب المرء حين يستبد به التفكير ، ويملكه الأسى ، ويتأمل فيما غشى الأمة من أحداث ، ومر بها من خطوب . على أن العوارض التى تعرض للأمم ، والآفات التى تلحقها ، فتؤخر وثباتها ، وتشل نهضاتها ، وتقلب أوضاعها ، وتنكس تاريخها ، كالعلل التى تعترى الأفراد فتنال من أجسامهم ، وتسلب من قواهم ، وتضعف من عزائمهم ، ثم لا تلبث أن تتلاشى أعراضها ، وتزول آثارها حين يحرص المرء على أن يأخذ بوسائل الطب وأسباب العلاج . كذلك الأمم والشعوب إذا حاول المصلحون أن يصلحوا أوضاعها ، ويعالجوا عيوبها وأمراضها ، ويهيئوا لها أسباب الحياة الكريمة ، ولازمهم الإخلاص فيما التمسوا من طب ، واتجهوا إليه من علاج . فلابد أن تزول أسباب الضعف ، وتنمحى آثار العلل والآفات .

... قد تختلف الأنظار وتتباين الوجهات فيما يلتمس من دواء ، أو يرسم من سبل ، ولكن لابد من الوصول إلى الغاية المنشودة ، والهدف المأمول ، ما دام الناس يأخذون أنفسهم بما اتجهوا إليه من وجهة ، أو ارتبطوا به من سلوك ، وليس هناك أخطر على الأمة وأدعى إلى شيوع الداء واستشراء العلة من أن نبسط الآراء ، ونقترح الوسائل ، ثم لا نأخذ أنفسنا بوضع ، ولا نحملها على سلوك ، وقد حذرنا رب العالمين جل شأنه من هذه الخلائق التى لا تحمل فى طياتها إلا الضعف والانحلال .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾
سورة الصف

فإذا أردنا أن نعود إلى القوة الإسلامية الهادية البائنة العادلة ، وإذا أردنا أن نعود إلى سيادتنا الرحيمة القويمة ، فما علينا إلا أن نتحلى بالشمائل التى خلقت هذه القوة ، وأنشأت تلك السيادة ؛ فإن أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها ، ما علينا إلا أن نتجمل بأخلاق أسلافنا ، ونتذرع بالأسباب والوسائل التى سلكوها إلى أهدافهم وغاياتهم ، والوسائل التى مكنت لهذا الدين ، وهيأت لتلك الأمة ملكها الواسع ومجدها العريض ، هى الوسائل الطبيعية التى شرعها الله لقيام الجماعات ، ونهوض الدعوات ، ونجاح الرسالات ، هى الوسائل التى لا تضل بها الآراء ، ولا تفشل فيها القوى والجهود .

ونحن نعلم من تاريخ ديننا أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه نهض بدعوته ، وقام برسالته بين جماعة استبديهم ظلام العقل ، وتمكنت منهم قسوة القلب ، ولفهم الجهل بأغشية سميكة ، ولم يكن مع الرسول سلاح يحاوب به ، ولا ذخيرة تحمل الناس على الخضوع له ، والإذعان لرسالته ، إلا قوة العقيدة والفناء فى الدعوة . كان يحمل بين جنبيه أنفذ سلاح وأمضى عدة . كان يحمل الإيمان الراسخ الذى لا يهن ، والعزم المصمم الذى لا يتردد ، والسيرة الناصعة التى لم تدنس بريبة ، والسلوك القويم الذى يحمل الناس فى قوة وروعة على الانقياد والتسليم ، ثم لم تلبث بشاشة الإيمان أن خالطت قلوبا شرحها الله للهداية ، ومازجت صدور أضاءها الحق ، وزينتها الطاعة الصادقة ؛

فجاهدت فى الله حق جهادهِ ، حتى صارت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وما هى إلا فترة وجيزة ولمحة عابرة من حساب الدنيا حتى تلفت التاريخ فى دهشة حائرة يطل على امبراطورية ممتدة الأطراف ، متسعة الرقعة ، زاخرة بالقوة الهادرة والنضج الإنسانى ، أقام دعائمها وأسس بناءها أولئك الذين لم يشهروا بمدنية ، ولم يعرفواا بحضارة ، ولم تقم لهم قبل ذلك دولة منظمة ، ولا سلطان مخيف .

ما الذى جعل هذا الملك يمتد فى فترة أدهشت العقلاء والمفكرين إلى الهند والصين شرقا ، وإلى بلاد الأندلس غربا ، وإلى سيبيريا شمالا ، والسودان جنوبا ، ما الذى جمع هذه الأشلاء المبعثرة ، وضم تلك القوى المتناثرة ؟ ما الذى ألف هذه القلوب المتنافرة ، وجمع تلك النفوس المتباغضة المتحاسدة ؟

ما الذى قهر الأعداء وأرغم الخصوم ، وأذل القوى الجبارة التى تتحكم فى العالم وتتنازع سيادته لهذه القوى الفتية النابضة الناهضة ؟

إنه الإيمان وحده ، الإيمان الذى يخالط القلب ، ويمتزج باللحم والدم ، ويسرى فى جميع أنحاء النفس ، فلا يترك فيها مجالا لحد مدمر ، ولا موضعا لغل مهلك ، وطمع دنىء خبيث ، ولا أثرا لشهوة فانية وأثر زائل .

إنه الإيمان الذى تسترخص فى ظلاله المهج والأرواح ، ويضحى من أجله بالأموال والأولاد . وبمقدار مايقوى الإيمان فى الصدور ، وتتمكن العقيدة من النفوس ، تعظم قوة المسلمين ، وتشمخ عزتهم ، ويمتد سلطانهم ، ويرهب الأعداء جانبهم ، فإذا فتر الإيمان ، الإيمان بالله ، الإيمان بقوة الأمة ورسالتها ووضعها فى الحياة ، وتحللت العقيدة التى توحى باقتحام الأهوال ومغالبة الأحداث والانتصار على قوى الأعداء .

إذا استسلم الناس لما يساورهم من الوساوس الخاطئة والأوهام الضالة ، والشك فى رسالتهم فى الحياة ، فلابد أن يتحلل سلطانهم ويتضاءل نفوذهم ، وتسقط هيبتهم من نفوس أعدائهم ، ولقد صدق الرسول الأكرم حين صور هذه الحالة أصدق تصوير بقوله : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصاعها . فقال قائل : أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : لا بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله المهابة من صدور عدوكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

إن أعتى عدو للمسلمين ، وأشد خصومهم جبروتا وطغيانا لن يتمكن منهم ولن يستطيع أن يفرق جمعهم ويشتت صفوفهم ووحدتهم ، ويستذلهم أقبح الذلة ، إلا إذا تمكن أولا من قلوبهم ، فملأها بحب الدنيا وشهواتها الآثمة ، ونزواتها الظالمة ، وجعلها تحرص أشد الحرص على السلامة والعافية ، فلا تكلم فى جسم ، ولا تؤذى فى نفس ، ولا توتر فى مال . ومتى دب الحرص والوجل فى الأمم فقد تمكنت منها الاستكانة والرضى بما ينزل من هوان .

ماذا نقول الآن حين ننظر والأسى يملأ نفوسنا إلى هذه الرقعة الإسلامية التى كانت تزخر

بالقوة ، وتنبض بالمجد ، وتتوثب بالسلطان ، فنرى أن أيدى الأعداء قد عبثت بجموعها ، وأطماع المستعمرين قد مزقتها شر ممزق ؟

كيف ينهض المسلمون

ماذا نقول حين نجد الهداة قد أصابهم العمى ، وشر العمى عمى القلوب ، ونجد العلماء قد ران على قلوبهم الجهل ، فتخلفوا عن الركب وأصبحوا يلتمسون من يحدد لهم الوجهة ويوضح أمامهم الغاية ؟

ماذا نقول حين نرى هذه القوى تكدح وتستخرج كنوز الأرض وطيبات الرزق ؛ ليستمتع بها الأعداء ، ويستأثر بها المستعمرون .؟

لا نقول إلا أن الإيمان قد خبا فى القلوب نوره ، وضعف على الأفئدة تأثيره ، فاستسلم المسلمون لسلطان المخلوق بعد أن هربوا من سلطان الخالق ، وعكفوا على عبادة الظالم بعد أن فروا من عبادة الواحد القهار . ومن تمرد على الله وكله الله إلى الناس .

هذه بلادكم أيها المسلمون قد غدت نهبا للطامعين ؛ ولقمة سائغة للمستعمرين . ما من دولة فيها إلا حاولوا أن يسيطروا على منافذها ومواردها ، وأن يمسخوا فى النفوس إيمانها وعقائدها ، وقد طال إلفنا لما ران علينا من ذل ، وتحكم فينا من ضعف ، مع أن الله تعالى يدعونا دائما إلى مواصلة الجهاد ، ويحثنا على مناهضة الأعداء بقوله : « ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وكان الله عليما حكيما » .

يجب أن يعود المسلمون إلى ربهم ، وإلى الإيمان الذى غاب عن قلوبهم ، وأن يشعر كل مسلم بأنه رقيب على نفسه ، يحاسبها إذا أخطأت ، ويقومها إذا عوجت ، ويهديها إذا ضلت .

وبهذا يتيسر لنا أن ننهض ، ويتهيأ لنا أن نقوى وأن نأخذ وضعنا ونؤدى رسالتنا فى الحياة .

البحث النحوى عند الإمام النووى

د. محمد عبد القادر هنادى

الفصل الأخير

ج ـ كلام العرب :

من الأصول النحوية التى اعتمد عليها النووى فى إثبات القاعدة النحوية أو نفيها ؛ ما ورد عن العرب فى شعرهم أو نثرهم ، وقد ذكرت نماذج من ذلك لدى حديثى عن احتجاجة النحوى بالحديث النبوى فى المبحث الثانى ، وأضيف هنا الأمثلة التالية :

ذهب ـ رحمه الله ـ إلى أن (ثم) تأتى للترتيب فى الذكر ، وبعد أن احتج على ذلك بآيات من القرآن الكريم قال : « ونظائر ذلك كثيرة ، وأنشدوا فيه » :

قل لمن ساد ثم ساد أبـــوه
ثم قد ساد قبـــل ذلك جده[1]

تحدث عن كلمة (يمانيه) التى ورد ذكرها فى حديث الرسول ﷺ « الحكمة يمانية » فقال : « قوله ﷺ (يمانية) هو بتخفيف الياء عند جماهير أهل العربية ، لأن الألف المزيدة فيه عوض من ياء النسب المشددة فلا يجمع بينهما ، وقال « ابن السيد » فى كتابه (الاقتضاب) حكى المبرد وغيره : أن التشديد لغة ، قال الشيخ : وهذا غريب ، قلت : وقد حكى الجوهرى وصاحب المطالع وغيرهما من العلماء عن سيبويه أنه : حكى عن بعض العرب أنهم يقولون (اليمانى) بالياء المشددة ، وأنشد لأمية بن خلف :

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٧٨ .

يمانيا يظل يشب كيرا
وينفخ دائما لهب الشواء[٢]

احتج على جواز بناء (من وراء وراء) على الضم كما جاء فى حديث الرسول ﷺ على لسان إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى حديث الشفاعة الطويل : « إنما كنت خليلا من وراء وراء » ، جاء ذلك فى قوله رحمه الله : « أما ضبط (وراء وراء) فالمشهور فيه الفتح بلا تنوين ، ويجوز عند أهل العربية بناؤها على الضم ، قلت : ونقل الجوهرى فى صحاحه عن الأخفش أنه يقال لقيتهُ من وراء وراء مرفوع على الغاية كقولك : من قبل ومن بعد ، وأنشد الأخفش شعرا :

إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن
لقاؤك الا من وراء وراء[٣]

* * *

ثانيا : توجيه الأحاديث عن طريق بعض الظواهر اللغوية :

كان الإمام النووى يوجه أحاديث الرسول ﷺ فى بعض الأحيان عن طريق بعض الظواهر اللغوية كظاهرة العمل على المعنى ، وظاهرة التقدير والتأويل ، وظاهرة التغليب .

فمن الشواهد على العمل على المعنى ما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثةٌ لا يكلمهمُ الله ولا ينظرُ اليهم ولهم عذابٌ أليمٌ : المَنَّانُ الذى لا يعطى شيئاً الا مِنَّةً ، والمنفقُ سلعتَهُ بالحَلْفِ الفَاجِرِ ، والمُسْبِلُ إزارَهُ » ، قال النووى : « وقع فى معظم الأصول فى الرواية الثانية عن أبى هريرة « ثلاث لا يكلمهم الله » بحذف الهاء ، وكذا وقع فى بعض الأصول فى الرواية الثانية عن أبى ذر ، وهو صحيح على معنى (ثلاث أنفس) ، وجاء الضمير فى يكلمهم مذكرا على المعنى »[٤] .

ومن الحمل على المعنى ما رواه مسلم فى حديث الرسول ﷺ عن البُرَاقِ : « فركبتهُ حتى أتيتُ بيتَ المقدسِ فربطتُهُ بِالحَلْقَةِ التى يربطُ به الأنبياءُ » ، قال النووى : « وأما (الحلقة) فباسكان اللام على اللغة الفصيحة المشهورة ... وأما قوله ﷺ (الحلقة التى يربط به) هكذا هو فى الأصول (به) بضمير المذكر أعاده على معنى الحلقة ، وهو الشىء »[٥] .

ومن الحمل على المعنى كذلك ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ قال : « فُرِجَ سقفُ بيتى وأنا بمكةَ فنزلَ جبريلُ ﷺ ، فَفَرَج صدرى ، ثم غَسَلَهُ من ماءِ زمزمَ ثم جاءَ بِطِسْتٍ من ذهبٍ ممتلىءٍ حكمةً وإيمانا .... » ، قال النووى : « قد قدمنا لغات الطست ، وأنها مؤنثة ، فجاء (ممتلىء) على معناها ، وهو الإناء ، و (أفرغها) على لفظها »[٦] .

ومن الأمثلة على ظاهرة الحمل على المعنى ما رواه مسلم أن رجلا قال لابن عباس ماهذا الفتيا التى قد تَشَغَّبَتْ بالناسِ ؟[٧] ، قال النووى :

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٣٣ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٣ / ٧١ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ١١٨ .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٢١١ .
(٦) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٢١٨ .
(٧) وتمامه : « أن من طاف بالبيت فقد حل ، فقال : سنة نبيكم ﷺ ، و (تَشَغَّبَتْ) بمعنى (انتشرت وفشت) .

« قوله (ما هذا الفتيا) هكذا هو فى معظم النسخ ، هذا الفتيا ، وفى بعضها (وهذه) ، وهو الأجود ، ووجه الأول أنه أراد (بالفتيا) الإفتاء ، فوصفه مذكرا »[٨] .

وأما توجيه بعض الأحاديث عن طريق ظاهرة التقدير والتأويل ، فمن الأمثلة عليها ما رواه مسلم أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « إنَ نساءَ المؤمناتِ كُنَّ يصلينَ الصبحَ مع النبى ﷺ » ، قال النووى : « قولها (إن نساء المؤمنات) صورته صورة إضافة الشىء إلى نفسه ، واختلف فى تأويله وتقديره ، فقيل تقديره : نساء الأنفس المؤمنات ، وقيل : نساء الجماعات المؤمنات ، وقيل : إن (نساء) هنا بمعنى الفاضلات ، أى فاضلات المؤمنات كما يقال : رجال القوم ، أى فضلاؤهم ومقدموهم »[٩] .

ومن الأمثلة على هذه الظاهرة قوله فى شرح حديث الرسول ﷺ : « اليهود غدا والنصارى بعد غد » ، قوله ﷺ : (اليهود غدا) أى عيد اليهود غدا ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخبارا عن الجثث فيقدر فيه معنى يمكن تقديره (خبرا)[١٠] .

ومن توجيه الحديث عن طريق التقدير والتأويل ما قاله الإمام النووى فى شرح حديث الرسول ﷺ لرجل : « إذا أفطرْتَ رمضانَ فَصُمْ يوماً أو يومين » ، قوله : (إذا أفطرت رمضان) هكذا هو فى جميع النسخ وهو صحيح أى أفطرت من رمضان ، وحذف لفظة (من) فى هذه الرواية ، وهى مرادة كقوله تعالى : ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ أى من قومه »[١١] .

ومنها ما رواه مسلم : أن الرسول ﷺ قال يوم حجة الوداع : « أيها الناس السكينة السكينة » ، قال النووى : (السكينة السكينة) مرتين منصوبا ، أى الزموا السكينة »[١٢] .

وأما توجيه الحديث عن طريق ظاهرة التغليب فمن الأمثلة عليه ما رواه مسلم عن عبيد بن جريج أنه قال لعبدالله بن عمر رضى الله عنهما يَاأَبَا عبدالرحمن ! رأيتُكَ لَا تَمَسُّ من الأركانِ الا اليَمَانِيَيْنِ ، قال النووى : « المراد بالركنين اليمانيين ، الركن اليمانى والركن الذى فيه الحجر الأسود ، ويقال له العراقى لكونه إلى جهة العراق ، وقيل للذى قبله (اليمانى) لأنه إلى جهة اليمن ويقال لهما (اليمانيان) تغليبا لأحد الأسمين ، كما قالوا الأبوان للأب والأم ، والقمران للشمس والقمر ، والعمران لأبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ ونظائرهما مشهورة ، فتارة يغلبون بالفضيلة كالأبوين ، وتارة بالخفة كالعمرين ، وتارة بغير ذلك وقد بسطته فى تهذيب الأسماء واللغات »[١٣] .

ثالثا : أثر التوجيه النحوى فى بعض القضايا التفسيرية والحديثية والفقهية :

لقد كان للتوجيه النحوى عند الإمام النووى أثره الواضح فى بعض القضايا التفسيرية والحديثية والفقهية وغيرها ، فمن ذلك ما قاله فى شرح قوله

(٨) صحيح مسلم بشرح النووى ٨ / ٢٢٩ .
(٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٥ / ١٤٣ .
(١٠) صحيح مسلم بشرح النووى ٦ / ١٤٢ .
(١١) صحيح مسلم بشرح النووى ٨ / ٥٤ .
(١٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٨ / ١٨٦ .
(١٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٨ / ٩٤ .

تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[(١٤)] « فيه دلالة ظاهرة على أن مذهب أبى هريرة فى الآية أن الضمير فى (موته) يعود على عيسى ـ عليه السلام ـ ومعناها : وما من أهل الكتاب يكون فى زمن عيسى ـ عليه السلام ـ إلا من آمن به ، وعلم أنه عبدالله وابن أمته ، وهذا مذهب جماعة من المفسرين ، وذهب كثيرون إلى أن الضمير يعود على الكتابى ومعناها ، وما من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند الموت قبل خروج روحه بعيسى ﷺ وأنه عبدالله وابن أمته ، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان لأنه فى حضرة الموت ، وحالة النزع »[(١٥)] .

ومن أثر التوجيه النحوى فى بعض المسائل التى لها علاقة بمصطلح الحديث ما قاله فى سند الحديث الذى رواه مسلم : « حدثنا حَمَّادٌ ، حدثنا يحيى بنُ سعيدٍ عن عبدالرحمن الأعرج عن عبدِالله بنِ مالكٍ ابنِ بُحَيْنَةَ الأَزْدِيِّ » ، : « الصواب فى هذا تنوين (مالك) ، ويكتب (ابن بحينه) بالألف ، لأن عبدالله (مالك) أبوه ، و (بحينة) أم عبدالله ، فاذا قرىء كما ذكرناه انتظم على الصواب ، ولو قرىء باضافة (مالك) إلى (ابن) فسد المعنى واقتضى أن يكون (مالك) ابنا لبحينة ، وهذا غلط ، وإنما هو زوجها »[(١٦)] .

من هذا القبيل أيضا ما رواه مسلم عن ابن شهاب قال : حدثنى عطاءُ بنُ يزيدَ الليثىُّ ثم الجُنْدَعِىُّ أن عبدَالله بنَ عَدِىٍّ بنِ الخِيَارِ أخبرَهُ أن المقدادَ بنَ عمروٍ ابنَ الأسودِ الكِنْدِىَّ ... » ، قال النووى : « قوله (أن المقداد بن عمرو ابن الأسود) قد يغلط فى ضبطه وقراءاته ، والصواب فيه أن يقرأ (عمرو) مجرورا منونا و (ابن الأسود) بنصب النون ، يكتب بالألف لأنه صفة للمقداد ، وهو منصوب فينصب ، وليس (ابن) ههنا واقعا بين علمين متناسلين ، فلهذا تتعين كتابته بالألف ، ولو قرىء (ابن الأسود) بجر (ابن) لفسد المعنى ، وصار عمرو بن الأسود ، وذلك غلط صريح »[(١٧)] .

ومن الأمثلة على أثر التوجيه النحوى فى بعض القضايا الفقهية ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ سأله رجل نجدى عن الإسلام فقال له : « خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فقال : هل عَلىَّ غيرَهُنَّ ، قال : لا ، إلا أن تطوع » قال النووى رحمه الله : قوله : (الا أن تَطَّوَّعَ) المشهور فيه (تطوع) بتشديد الطاء على ادغام احدى التاءين فى الطاء ، وقال الشيخ أبوعمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى : « هو محتمل للتشديد والتخفيف على الحذف ، قال : أصحابنا وغيرهم من العلماء : قوله ﷺ : (الا أن تطوع) استثناء منقطع ، ومعناه (لكن يستحب لك أن تطوع ، وجعله بعض العلماء استثناء متصلا ، واستدلوا به على أن من شرع فى صلاة نفل أو صوم نفل وجب عليه إتمامه ، ومذهبنا أنه يستحب الإتمام ولا يجب »[(١٨)] .

ومنها ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ قال :

---

(١٤) النساء ١٥٩ .
(١٥) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ١٩١ ـ ١٩٢ .
(١٦) صحيح مسلم بشرح النووى ٥ / ٩٥ .
(١٧) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ٩٩ ـ ١٠٢ .
(١٨) صحيح مسلم بشرح النووى ١ / ١٦٦ ـ ١٦٧ .

« إذا نسىَ أحدكُم فليسجدْ سجدَتَيْنِ وهـو جالُسُ ، ثم تَحَوَّلَ رسولُ الله ﷺ فسجدَ سجدتين » ، قال النووى : ثم تحول (ثم هنا ليست لحقيقة الترتيب) وإنما هى لعطف جملة على جملة ، وليس معناه أن التحول والسجود كانا بعد الكلام ، بل إنما كانا قبله ، ومما يؤيد هذا التأويل أنه قد سبق فى هذا الباب فى أول طرق حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ بهذا الإسناد » [19] .

ومن النماذج فى بيان أثر التوجيه النحوى فى بعض المسائل الفقهية ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ سئل عن شحوم الميتة ، فقال : « لَا هُو حرامٌ ، قاتلَ الله اليهود ، إن الله عز وجل لَمَّا حَرَّمَ عليهم شُحُومَها أَجْمَلُوهُ ، ثم باعوهُ فأكلُوا ثمَنَهُ » ، قال النووى : « يقال : أجمل الشحم وجمله : أى أذابه ، وأما قوله (لا هو حرام) فمعناه لا تبيعوها ، فإن بيعها حرام ، والضمير فى (هو) يعود إلى البيع لا الانتفاع ، هذا هو الصحيح عند الشافعى وأصحابه أنه يجوز الانتفاع بشحم الميتة فى طلى السفن والاستصباح بها ، وغير ذلك مما ليس بأكل ، ولا فى بدن الآدمى ، وبهذا قال أيضا عطاء بن أبى رباح ومحمد بن جرير الطبرى » [20] .

رابعا : التوجيه النحوى للمشكل فى الحديث النبوى :

تعرض الإمام النووى رحمه الله لبعض الأحاديث التى فيها مشكل نحوى أو لغوى فحاول رفع هذا الإشكال ، وللدلالة على ذلك اختار الأحاديث التالية :

١ ـ روى مسلم عن عدى بن حاتم أن رجلا خطب عند النبى ﷺ فقال : « من يطع الله ورسولَهُ فقد رَشَدَ ، ومن يعصهما فَقَدْ غَوَى ، فقال رسول الله ﷺ : بئسَ الخطيبُ أَنْتَ ، قل ومَنْ يعصِ الله ورسولَهُ [21] » ، قال الإمام النووى : قال القاضى وجماعة من العلماء : « إنما أنكر لتشريكه فى الضمير المقتضى للتسوية ، وأمره بالعطف تعظيما لله تعالى بتقديم اسمه كما قال ﷺ فى الحديث الآخر : « لا يقل أحدكم ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان » والصواب أن سبب النهى أن الخطب شأنها البسط والإيضاح واجتناب الإشارات والرموز .

ولهذا ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا لتفهم ، وأما قول الأولين فيضعف بأشياء منها : أن مثل هذا الضمير قد تكرر فى الأحاديث الصحيحة من كلام رسول الله ﷺ كقوله ﷺ : « أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » ، وغيره من الأحاديث ، وإنما ثنى الضمير منها لأنه ليس خطبة وعظ ، وإنما هو تعليم حكم ، فكلما قلَّ لفظه كان أقرب إلى حفظه ، بخلاف خطبة الوعظ ، فإنه ليس المراد حفظه ، وإنما يراد الاتعاظ بها ، ومما يؤيد هذا ما ثبت فى سنن أبى داود بإسناد صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة : الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ،

(١٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٥ / ٦٦ ـ ٦٧ .
(٢٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١١ / ٦ .

(٢١) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب صلاة الجمعة وخطبتها .

أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئا[٢٢] » .

٢ ـ روى مسلم عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : « قال رسول الله ﷺ لَا تَغْلِبَنَّكُمُ الأعرابُ على اسم صلاتِكم العِشَاء ، فإنها فى كتابِ الله العِشَاءُ ، وإنها تُعْتِمُ بِحِلَابِ الإِبِلِ » ، قال النووى : « معناه أن الأعراب يسمونها العتمة لكونهم يعتمون بحِلاب الإبل ، أى يؤخرونه إلى شدة الظلام ، وانما اسمها فى كتاب الله (العشاء) فى قوله تعالى : ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ﴾[٢٣] فينبغى لكم أن تسموها العشاء .

وقد جاء فى الأحاديث الصحيحة تسميتها بالعتمة ، كحديث « لو يعلمونَ ما فى الصبحِ والعَتَمةِ لَأَتَوْهُمَا ولو حَبْواً » وغير ذلك ، والجواب عنه من وجهين أحدهما : أنه استعمل لبيان الجواز ، وأن النهى عن العتمة للتنزيه لا للتحريم ، الثانى : يحتمل أنه خوف بالعتمة من لا يعرف العشاء ، فخوطب بما يعرفه ، واستعمل لفظ العتمة لأنه أشهر عند العرب وإنما كانوا يطلقون العشاء على المغرب »[٢٤] .

ولقد رأيت للإمام ابن حجر كلاما نفيسا حول هذا الحديث أنقله كما جاء فى كتابه (فتح البارى) لفائدته ، وذلك فى كتاب مواقيت الصلاة باب من كره أن يقال للمغرب عشاء ، وبعد أن ذكر حديث الرسول ﷺ : « لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب ، قال الأعراب : وتقول هى العشاء ، قال : قال الطيبى : المعنى : لا تتعرضوا لما هو من عادتهم تسمية المغرب بالعشاء ، والعشاء بالعتمة فيغضب منكم الأعراب ، فالنهى على الظاهر للأعراب ، وعلى الحقيقة لهم ، قال التوربشتى : المعنى لا تطلقوا هذا الاسم على ما هو متداول بينهم ، فيغلب مصطلحهم على الاسم الذى شرعته لكم »[٢٥] .

وفى كتاب مواقيت الصلاة ، باب ذكر العشاء والعتمة : وبعد أن أورد حديث الرسول ﷺ الذى ذكره مسلم قال : « اختلف السلف فى ذلك ، فمنهم من كرهه كابن عمر راوى الحديث ، ومنهم من أطلق جوازه ، نقله ابن أبى شيبة عن أبى بكر الصديق وغيره ، ومنهم من جعله خلاف الأولى وهو الراجح ، وكذلك نقله ابن المنذر عن مالك والشافعى واختاره ، ونقل القرطبى عن غيره إنما نهى عن ذلك تنزيها لهذه العبادة الشرعية الدينية عن أن يطلق عليها ما هو اسم لفعلة دنيوية ، وهى الحلبة التى كانوا يحلبونها فى ذلك الوقت ويسمونها العتمة ، وقال الطبرى : العتمة بقية اللبن تضيق بها الناقة بعد هوى من الليل ، فسميت الصلاة بذلك ، لأنهم كانوا يصلونها فى تلك الساعة »[٢٦] .

٣ ـ روى مسلم عن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « الطاعون

---

(٢٢) صحيح مسلم بشرح النووى ٦ / ١٥٩ ـ ١٦٠ .
(٢٣) النور ٥٨ .
(٢٤) صحيح مسلم بشرح النووى ٥ / ١٤٣ .
(٢٥) فتح البارى ٢ / ٥٢ .
(٢٦) فتح البارى ٢ / ٥٤ .

رجز أو عذاب ... إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » . وقال أبوالنضر : لا يخرجكم إلا فرار منه ، قال النووى : « قوله فى رواية أبى النضر (لا يخرجكم إلا فرار منه) ، وقع فى بعض النسخ (فرار) بالرفع ، وفى بعضها (فرارا) بالنصب ، وكلاهما مشكل من حيث العربية والمعنى ، قال القاضى : وهذه الرواية ضعيفة عند أهل العربية ، مفسدة للمعنى ، لأن ظاهرها المنع من الخروج لكل سبب إلا للفرار ، فلا منع منه ، وهذا ضد المراد ، وقال جماعة : إن لفظة (إلا) هنا غلط من الراوى ، والصواب حذفها كما هو المعروف فى سائر الروايات ، قال القاضى : وخرَّج بعض محققى العربية لرواية النصب وجها فقال : هو منصوب على الحال ، قال ولفظة (إلا) هنا للإيجاب لا للاستثناء ، وتقديره : (لا تخرجوا إذا لم يكن خروجكم إلا فرارا منه)[٢٧] .

٤ ـ روى مسلم عن حذيفة بن اليمان قال : كنا مع رسول الله ﷺ فقال : « أَحْصُوا لى كم يلفظُ الإسلامَ ؟ قال : فقلْنا يا رسولَ الله أتخافُ علينا ونحنُ ما بين الستمائةً إلى السبعمائةٍ »[٢٨] ، قال النووى : وأما قوله (ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة) فكذا وقع فى مسلم ، وهو مشكل من جهة العربية ، وله وجه وهو أن يكون مائة فى الموضعين منصوبا على التمييز على قول بعض أهل العربية ، وقيل : إن (مائة) فى الموضعين مجرورة على أن تكون الألف واللام زائدتين فلا اعتداد بدخولهما »[٢٩] .

٥ ـ روى مسلم أن عائشة دخلت عليها بَرِيْرَةَ فانتهرتَها فقالَتْ : لَاهَا الله إذا ، قال النووى : « فى بعض النسخ (لا هاء الله إذا) ، هكذا فى النسخ ، وفى روايات المحدثين (لا هاء الله إذا) بعد قولها (هاء) وبالألف فى (إذا) ، قال المازرى وغيره من أهل العربية : هذان لحنان ، وصواب (لا ها الله ذا) بالقصر فى (ها) وحذف الألف من (إذا) ، قالوا : وما سواه فخطأ ، قالوا : ومعناه ذا يمينى ، وكذا قال الخطابى وغيره أن الصواب (لا ها الله ذا) بخلاف الألف ، وقال أبوزيد النحوى وغيره : يجوز القصر والمد فى (ها) ، وكلهم ينكرون الألف فى (إذا) ويقولون صوابه (ذا) ، قالوا : وليست الألف من كلام العرب ، قال أبوحاتم السجستانى : جاء فى القسم (لاهاء الله) ، قال : والعرب تقوله بالهمزة ، والقياس تركه ، ومعناه : لا والله هذا ما أقسم به ، فأدخل اسم الله تعالى بين (ها) و (إذا)[٣٠] .

مصـــــادر البحـــــث

١ ـ إعراب القرآن :
أبو جعفر النجاشى ، تحقيق د . زهير غازى زاهد ، مطبعة العانى ، بغداد : ١٣٩٧هـ .

---

(٢٧) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

(٢٨) وتمامه : قال إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا قال : فابتلينا حتى جعل الرجل منا لا يصلى إلا سرا .

(٢٩) صحيح مسلم بشرح النووى ٢ / ١٧٩ .

(٣٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١٠ / ١٤٥ .

٢ ـ البحر المحيط :
أبو حيان ـ الناشر مكتبة ومطبعة النصر الحديثة ـ الرياض .
٣ ـ البيان فى غريب إعراب القرآن :
ابن الأنبارى ، تحقيق د . طه عبدالحميد طه ، دار الكتاب العربى .
٤ ـ حاشية ابن جماعة على شرح الجاربردى :
دار الطباعة العامرة .
٥ ـ الحجة فى القراءات السبع :
ابن خالويه ، تحقيق وشرح د . عبدالعال سالم مكرم ، دار الشروق ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ م .
٦ ـ شرح شذور الذهب :
ابن هشام ، المكتبة التجارية ، الطبعة الثامنة ، ١٩٦٠ .
٧ ـ شرح الكافية الشافية :
٨ ـ شرح ابن عقيل : ابن عقيل .
٩ ـ صحيح مسلم بشرح النووى :
النووى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
١٠ ـ طبقات النحويين واللغويين :
ابن قاضى شهبة .
١١ ـ الكتاب:
سيبويه ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ (١٩٧٣)م.
١٢ ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع :
مكى بن أبى طالب ، تحقيق د . محيى الدين رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق .
١٣ ـ المساعد على تسهيل الفوائد: ابن عقيل، تحقيق د. محمد كامل بركات، نشر مركز البحث العلمى مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ.
١٤ ـ معانى القرآن :
الفراء ، عالم الكتب ، بيروت .
١٥ ـ المغنى :
ابن هشام ، تحقيق وتعليق د . مازن المبارك وزميله ، دار الفكر ، ط٣ / ١٩٧٢ م .
١٦ ـ مفاتح الغيب : الفخر الرازى، المطبعة البهية المصرية، ١٩٢٨م.
١٧ ـ همع الهوامع :
السيوطى ـ دار المعرفة ـ بيروت .

الإسلام بين الشرق والغرب

للرئيس على عزت بيجوفيتش

عرض وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة

الإسلام دين الله الخالد ـ وطوق النجاة لهذا العالم ، بعد أن مزقته « الأيدولوجيات » المعاصرة أكثر مما مزقته الحروب الكبرى .

الإسلام الذى أراده الله ـ سبحانه وتعالى ـ سلاماً لهذا العالم ، وأراده للعالمين نوراً يبدد ظلمات الجهل ، وهاديا يصحح شطحات الأفكار .

الإسلام الذى غفل عنه أكثر أهل الشرق وعاداه أكثر أهل الغرب ... كيف ينظر إليه الرئيس على عزت بيجوفيتش رئيس البوسنه والهرسك ؟ ... الدولة التى يسحقها الغرب كراهية فى الإسلام !! هذا ما نحاول أن نتعرف عليه من خلال عرضنا لكتابه :

« الإسلام بين الشرق والغرب » .

يقع الكتاب فى طبعتــه الأولى (رجب ١٤١٤ هـ/ يناير ١٩٩٤م) فى أربعمائة وإحدى عشرة صفحة من القطع الكبير ، وقام بنشره مجلة النور الكويتية مع مؤسسة « بافاريا » للطبع والنشر ، وتقوم بتوزيعه دار الشروق بالقاهرة .

مؤلف الكتاب :

مؤلف الكتاب هو على عزت بيجوفيتش رئيس البوسنه والهرسك .

ـ ولد سنة ١٩٢٥م . من أسرة بوسنوية عريقة بمدينة « كروبا » .

ـ تعلم فى مدارس « سرايفو » ، والتحق بجامعتها ، وحصل على درجات فى القانون والآداب والعلوم .

ـ عمل مستشاراً قانونياً لمدة خمسة وعشرين عاما ، ثم اعتزل وتفرغ للكتابة والبحث .

ـ حُكم عليه سنة ١٩٤٩ بالسجن خمس سنوات مع الأشغال الشاقة لعلاقته بمنظمة « الشبان المسلمين » .

ـ صدر له مؤلف تحت عنوان « الإعلان الإسلامى » ، كان قد بدأ فى نشره على حلقات سنـــة ١٩٧٠ ، وبسبب هذا الكتـــاب قُدم للمحاكمة مع أحد عشر من زملائه المثقفين

الإسلاميين ، وحكم عليهم بالسجن أربعة عشر عاماً بتهمة العمل ضد الدولة والدعوة إلى الجهاد المقدس لإقامة دولة إسلامية .

– بعد تفكك الاتحاد اليوغسلافى أنشأ على عزت بيجوفيتش وصحبه « حزب العمل الديمقراطى » وخاض به الانتخابات ، فأصبح رئيساً لجمهورية البوسنة والهرسك اعتباراً من نوفمبر سنة ١٩٩٠ م .

أما الكتاب فينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : (مقدمات : نظرات حول الدين) ويضم ستة فصول ناقش فيها المؤلف القضايا التالية :

الخلق والتطور – الثقافة والحضارة – ظاهرة الفن – الأخلاق – الثقافة والتاريخ – الدراما والطوبيا[1] .

القسم الثانى : (الإسلام – الوحدة ثنائية القطب) ويضم خمسة فصول تكلم فيها عن :

الأنبياء (موسى – وعيسى – ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين) – الإسلام والدين – الطبيعة الإسلامية للقانون – الأفكار والواقع – « الطريق الثالث » خارج الإسلام .

ويختتم الكتاب بكلمة عن التسليم لله .

كتاب « الإسلام بين الشرق والغرب » كتاب متميز ، وأهم ما يميزه سمة التأمل ، وهى سمة لا تفارق أيًّا من صفحاته ، وتفرض نفسها على قارئه ، فلابد للقارئ أن يتأمل ويشارك المؤلف فى تأملاته وإلا انفصل عنه إلى درب آخر .

يتبنى المؤلف فكرة « الوحدة ثنائية القطب » التى تضم فى مُرَكَّب جديد القضيتين : ... الروح . والمادة المنفصلين المتصادمين عند الغرب ، وإن كانت هذه الفكرة ليست بالجديدة أو الغريبة عن الإسلام ؛ ولكنها جديدة بالنسبة للعقل الغربى الذى لا يتقبل ولا ترضيه إلا النظرة الأحادية الفاصلة بينهما .

الكتاب ليس كتابا بسيطاً تستوعبة جلسة أو جلستان ، وإنما يدعوك لجلسات متعددة ، وعليك أن تتهيأ للدخول فى عالمه الفلسفى الثرى بأفكاره ؛ فقد حشد المؤلف وجمع فيه العديد من آراء الغربيين فى عدة مجالات : فى الأدب ، فى علم الأحياء ، فى علم النفس ، فى الفنون ... ألخ ، جمع هذا الحشد من الآراء وقدمها بأسلوب متميز آخاذ ، فهو يتأملها ، ويقيّمها ويُصنِّفها ، ثم يقدمها فيما أسماه « بالوحدة الثنائية » وهو يكتب – أستاذاً – فى كل هذا ... أستاذاً مسلماً يسعى إلى ربط تلك العلوم ربطاً وثيقاً بالهدى السماوى الذى جاء به الإسلام .

وقد علق على الكتاب « وود وورث كارلسن » – وهو مفكر أوروبى محايد – قائلا : « إن تحليله للأوضاع الإنسانية مذهل ، وقدرته التحليلية الكاسحة تعطى شعوراً متعاظماً بجمال الإسلام وعالميته » .

ولنبدأ برحلة التأمل مع فيلسوف البوسنة .

فى الفصل الأول : الخلق والتطور :

تناول المؤلف عدداً من آراء علماء الغرب عن نشأة الإنسان ، نذكر منها :

● الإنسان ابن الطبيعة ، ويبقى دائماً جزءاً منها .

● الإنسان هو الحيوان الكامل .

● الإنسان نظام (System) كغيره من النظم فى

---

(١) الطوبيا : يريد المثالية على إطلاقها : خيراً أو شراً .

الطبيعة ، ويخضع بدوره لقوانين الطبيعة الحتمية العامة .

● الإنسان نتاج بيئته وعمله ...

والمؤلف لا يرفض هذه الأفكار ــ بخاصة ــ وهو يرد على أوروبيين يحيط بهم المذهب المادى ، ونتائج ما وصلوا إليه من علم حديث ، حتى لو كانت هذه النتائج ــ التى تتغير من وقت لآخر ــ تتسم بكل هذا الجفاف الذى ينزع عن الإنسان أهم ما يميزه عن غيره من الكائنات الأخرى ، ينزع عنه الإنسانية ذاتها .

ويعلق على هذه الأفكار بقوله :

« إن هذه الأفكار تبدو مقنعة ، ولكن الذى لا يبدو فيها أنها ــ فى الوقت نفسه ــ إنكار جذرى للإنسان » .

« لقد أخذ داروين هذا الإنسان اللا شخصى بين يديه ووصف تقلبه خلال عملية « الاختبار الطبيعى » حتى أصبح إنساناً قادراً على الكلام وصناعة الأدوات ، يمشى منتصباً ، ثم يأتى علم البيولوجيا ليستكمل الصورة ، فيرينا أن كل شىء يرجع إلى الأشكال البدائية للحياة ، والتى هى بدورها عملية طبيعية كيميائية ...لعب بالجزيئات .

أما الحياة والضمير والروح فلا وجود لها ، وبالتالى ليس هناك جوهر إنسانى .

ويتلخص رأى المؤلف فى قوله :

« ليس الإنسان مُفَصَّلًا على طراز داروين وليس الكوْن مفصَّلاً على طراز نيوتن » .

وحتى لا تكون نتائج الكاتب مجرد آراء شخصية متعسفة يحكمها هوى شخصى ــ فى نظر معارضيه ــ نجده يَشْرَع فى مناقشتهم ، مبتدئاً بالدين ، ومصطلح الدين كما يوضحه المؤلف يشير إلى معنى محدد ، هو المعنى الذى تنسبه أوروبا إلى « الدين » وتفهمه على هذا النحو ، وهو :

أن الدين تجربة فردية خاصة ، لا تذهب أبعد من العلاقة الشخصية بالله ، وهى علاقة تعبر عن نفسها فقط فى عقائد وشعائر يؤديها الفرد . وعليه ، فلا يمكن تصنيف الإسلام كدين بهذا المعنى ، فالإسلام أوسع من هذا التحديد ؛ لأنه يحتوى الحياة كلها .

من هذا المفهوم للدين يقول المؤلف :

● إذا تأملنا لوحات مايكل أنجلو ــ والدراما الإغريقية ــ ... الأغانى الدينية الأفريقية ــ استهلال فاوست فى السماء ــ الصور الجصية اليابانية القديمة لوجدنا أن الصورة التى ترسمها هذه الاعتقادات للإنسان وخوفه الدائم من المجهول وشعوره بالغربة هى صورة تتصادم مع ما تَصَوَّرَهُ هؤلاء العلماء .

إن داروين ومايكل أنجلو يمثلان فكرتين مختلفتين ومتعارضتين عن أصل الإنسان ، ولن ينتصر أحدهما على الآخر ؛ لأن أحدهما مدعم بعدد هائل من الحقائق يستحيل تفنيدها ، بينما الآخر مستقر فى قلوب جميع البشر .

إن علم الحفريات ، وعلم هيئة الإنسان ، وعلم النفس ... إلخ كلها تصف من الإنسان الجانب الخارجى الآلى فقط الذى لا معنى له ، فالإنسان أكثر من مجرد كمية ونوعية المادة التى تكونه ، الإنسان أكثر مما تقوله هذه العلوم مجتمعة .

ثم يتكلم عن « التضحية » وهى نقيض المصلحة فيتخذ منها نقطة تفريق بين الإنسان والحيوان .

يقول : « لقد وُجِدَت (التضحية) فى جميع الأديان بلا استثناء ، وظلت غير مبررةٍ بل غامضة .. إنها فى الحقيقة نظام آخر ومن عالم آخر .

قد تأخذ (التضحية) فى الديانات البدائية أشكالاً مُرَوِّعة ولكنها مع هذا الوصف تمثل فارقاً ملموساً موجعاً فى مشهده ، وخطّا فاصلًا بين العصر الحيوانى المزعوم وبين عصر الإنسان .

فالتضحية إنما تمثل ظهور مبدأ جديد مناقض لمبدأ المصلحة والمنفعة والحاجات .

المصلحة حيوانية ، أما التضحية فهى إنسانية ، المصلحة إحدى المبادئ الأساسية فى السياسة .

أما التضحية فهى إحدى المبادئ الأساسية فى الدين والأخلاق .

★ ★ ★

ثم ينتقل المؤلف إلى تعريف الحياة ، فيسوق عدة تعريفات نقلاً عن علماء الغرب ، جميعها تؤكد أن الحياة شىء يستعصى على التفسير .

ثم يتساءل :

كيف يمكن تفسير التباين الظاهرى التالى : إذا وجدنا فى اكتشاف أثرى حجرين موضوعين فى نظام معين ، أو قُطِعا لغرض ما ، فإننا جميعا نستنتج بالتأكيد أن هذا من عمل إنسان فى الزمان القديم ، فإذا وجدنا بالقرب من الحجر جمجمة بشرية ، فإن بعضاً منا ينسبها إلى الصدفة ، هكذا بدون تدخل عقل أو وعى – أليس فى إنكار الإنسان لله هوى بين ؟!

ونمضى – مع الكاتب – إلى معنى الفلسفة الإنسانية ؛ فيقول :

● **إن المادية تؤكد دائماً على ما هو مشترك بين الإنسان والحيوان أما الدين فيؤكد على ما يفرق بينهما .**

ثم ينتقل المؤلف إلى قيمة أخرى فى الحياة هى الحرية :

فيقول : « قد يتمكن الإنسان آجلًا أو عاجلًا ، خلال هذا القرن أو بعد مليون سنة من الحضارة المتصلة ، أن ينجح فى تشييد صورة مقلدة من نفسه ، نوع من الإنسان الآلى ، أو مسخ ، هذا المسخ الشبيه بالإنسان ، لن تكون له حرية ، إنه سيعمل فقط ما تمت برمجته عليه وهنا تتجلى عظمة الخلق الإلهى . فالله وحده القادر على أن يخلق مخلوقاً حراً .

إن ما ينسب إلى رجال الفن من فكرة الخلق ليس إلا تشييد ؛ فالفنان لا يخلق ، إنما يقوم بتشييد صورة ، وأنا لا أعرف ماذا يمكن أن تعنى الصورة بدون الله !

ويأتى الفصل الثانى : الثقافة والحضارة :

الحضارة – كما يتصورها المؤلف – هى : داء لا يجب تركه ولا **استئصاله ، بل يجب الوقاية منه بالثقافة ، فعلى عكس حكمة الإسلام فى « كبح الرغبات » فإن الحضارة ترفع ستاراً مضاداً « أطلق رغبات جديدة دائماً وأبداً » « انتج لتربح ، واربح لتبدد »** .

هكذا ؛ فإن الحضارة تعرض دائماً الحاجة على من لا حاجة له ، فهى بذلك تعزز التبادل المادى بين الإنسان والطبيعة .

أما الثقافة فتعنى علاقة الإنسان بالسماء لما تشتمل عليه الثقافة من أخلاق وفلسفة ودين ،

وقد أدى التقدم الحضارى إلى مشكلات خطيرة فى الدول المتقدمة ، وقد جاء فى تقرير الأمين العام للأمم المتحدة أن الدول الأكثر تقدماً لديها مشكلات خطيرة فى مجال الجنوح والسرقة والغش والفساد . ثم يبلور هذا الرأى قائلا :

هذا النقد للحضارة ليس دعوة لرفضها ؛ فالحضارة لا يمكن رفضها حتى لو رغبنا فى ذلك ، إنما الشيء الوحيد الضرورى والممكن هو أن نحطم الأسطورة التى تحيط بها .

وفى الفصل الثالث ـ ظاهرة الفن :

فى هذا الفصل يتأمل المؤلف العلم والفن داخل واحدة من ثنائياته فيقول :

« إذا كان الإنسان حقاً مصنوعا على (طراز داروين) ، وإذا لم يكن مجال لروحه ولذاته ؛ فإن الفن لا مجال له ، وإن الشعراء وكتاب التراجيديا يضللونا ويكتبون هراء لا معنى له . ثم يذهب إلى القول بأن جوهر الفن كجوهر الحياة مصدرهما واحد .

« إن جوهر الأعمال الفنية غامض غموض المعتقدات القلبية وغموض الحس الداخلى بالحرية ، ولقد باءت بالفشل جميع المحاولات لتعريف جوهر الفن تعريفاً عقلياً ، كما فشلت محاولات تعريف الحياة .

ويرى فى الفن والدين :

أن الفن له علاقة وثيقة بالدين ؛ لارتباط سمو فن المعمار إلى أعلى درجاته فى بناء دور العبادة فى جميع أنحاء العالم : فى الهند ، وفى كمبوديا وفى العالم الإسلامى ، وتكاد تقتصر الأعمال الفنية فى عصر النهضة على الأعمال الدينية ، وليس هذا اتجاهاً جديداً أو مؤقتاً ، إنما هى طبيعة الفن ، فالفن ـ إذا استبعدنا منه الغثاء ـ يصبح شيئاً مقدساً ، وفوق العقل .

العالم المادى للفن :

يرى المؤلف أن الفن إذا ارتبط بالمادية أنتج وهماً؛ لذا نجده حول هذا المعنى يقول :

« فى هذه الأيام تأتى الأشياء من أمريكا ، وتتكوم أشياء حقيرة ، لا قيمة لها ، لكنها تخلق حياة ، حياة وهمية ... فالبيت المصمم على الطراز الأمريكى ، والتفاح الأمريكى ، والعنب الأمريكى ليس فى أحدها شبه بالبيت أو الفاكهة التى كانت تستحوز على أمنيات أجدادنا وأفكارهم ... »

الفن والنقد :

والفن فى رأى المؤلف يحتاج إلى المشاهد العادى أو القارىء العادى ؛ لأن هؤلاء ينجحون فى المشاركة فى « تجربته » على عكس المشاهد أو القارىء الناقد الذى يتحول العمل الفنى عنده إلى سلسلة من الوقائع والتعاليم الأخلاقية .

وأن الاختلاف بين الناقد والمشاهد فى تذوقهما للقصيدة أو المسرحية يأتى من الاختلاف الشديد بين الموقفين .

تلك لمحات سريعة قدمتها موجزة عن القسم الأول من هذا الكتاب القيم ، يعكس عقلية رئيس عالِم له حكمة العلم وبرهان القيادة وتاريخه دال على أنه قاوم ... حتى أشد الحكومات بطشاً فى بلاده .

وإلى القسم الثانى من هذا الكتاب فى العدد القادم .

الوحدة العضوية

فى العصر العباسى الثانى

للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ

يتميز الشعر الرفيع بمتانة السبك وتلاحم البناء ، وَالْتئام الخَطْرة مع الخطَرات ، فى إطار (وحدة موضوعية) متوافقة .. تجعل كل بيت من أبيات القصيدة فى تسلسل منطقى مع ما قبله ، وارتباط منسجم مع ما بعده من الأبيات ، ومن ثم تصبح القصيدة بين أنامل الشاعر العبقرى معزوفة وجدانية ، متسقة الإيقاع ، ذات (حضور) مستمر ، على توالى العصور ، وتطاول الأزمنة .

ونستطيع أن نستدلَّ على ذلك بشاعرية المتنبى ، التى ما زالت قائمة تفتح أبوابها على مصاريعها ، على الرغم من مرور أكثر من ألف عام . على رحيله . (٣٠٣ ـ ٣٥٤هـ) ، حتى يكاد المتلقِّى يُنصت ـ بين سطورها ـ إلى نبْض العصر وتفاعلاته ..

ولعل تناول القصيدة (المتنبِّية) ككل ، للاستيعاب والتدبُّر ، هو الذى حدا بإبراهيم اليازجى ، إلى رفض تناول القصيدة بيتا بيتا ، دون النظر إلى ما بين لحْمتها وسداها من صلة واضحة ، فى وحدة متكاملة ، لا يتم تمام النظر فيها إلا بالنظر فى جميع أبياتها مجتمعة .. يقول اليازجى : « إن منزلة الأبيات من القصيدة ، كمنزلة الكلمات من البيت ، فكما أنه لا يفهم معنى البيت إلا بعد النظر فى مفرداته وعلاقة بعضها ببعض ، لا تفهم القصيدة إلا بعد النظر فى نسبة الأبيات ، وما بينها من الصلة المعنوية »[1] .

فاليازجى ـ كما يقول الدكتور عبد الواحد علام : « قد نجح إلى حد بعيد فى ذلك التناول الجديد لشعر المتنبى ، واستطاع فى كثير من الأحيان أن يصل إلى الخط الشعورى والنفسى ، الذى يربط القصيدة كلها ... »[2] « على أنه قد نبَّه إلى ضرورة خلوص القصيدة لموضوع واحد ، حيث وقف طويلًا أمام تلك القصائد التى قالها المتنبى فى سيف الدولة ، وجاءت خالصة للمدح ، وليس فيها مقدمات طَلَلَيّة أو غزلية »[3]

ونقدم للمتنبى رائعتين تُبْديان مدى تفوقه إذا عمد إلى وحدة موضوعية متينة الأواصر فيما يجيش بوجدانه من مشاعر وأحاسيس تنسج وجداناً عقلياً متين السبك رائع الصياغة.يقول ـ فى صباه ـ مفتخرًا بقضاعة :

قُضاعةُ تعَلَمُ أنّى ٱلفتَى الَّذى ٱدَّخرَتْ لصرُوُفِ الزَمانِ

ومَجْـــدى يَدُلُّ بَنـــى خِنْـــدِفٍ ... على أنَّ كُلَّ كريـــمٍ يَمَـــانِ

أنا ٱبنُ اللقِاءِ أنـــا ٱبـــنُ السَّخـــاء ... أنا ٱبنُ الضِرابِ أنـــا ٱبـــنُ الطِعـــانِ

أنا ٱبنُ الفَيـــافى أنـــا ٱبـــنُ القَـــوافَى ... أنا ٱبنُ السُرُوجِ أنـــا ٱبـــنُ الرِعـــانِ

طَويـــلُ النِجـــادِ طَويـــلُ العِمـــادِ ... طَويـــلُ القَنـــاةِ طَويـــلُ السِنـــانِ

حَديـــدُ ٱللّحـــاظِ حَديـــدُ ٱلحِفـــاظِ ... حَديـــدُ ٱلـحُسامِ حَديـــدُ الجَنـــانِ

(١) انظر كتابه : (العُرْف الطيب : فى شرح ديوان أبى الطيب) ص ٦٧٦ .
وانظر كتاب الدكتور عبد الواحد علام (قضايا ومواقف فى التراث النقدى) ط سنة ١٩٧٩ ص ٩٨ .
(٢) ، (٣) المصدر السابق ص ٩٩ .

يُسابِقُ سَيْفى مَنايا العِبادِ إليهمْ كأنَّهما فى رِهانِ
يَرَى حَدُّهُ غامضاتِ القُلُوبِ إذا كُنتُ فى هبوةٍ لا أرانى
سأجعَلُهُ حَكَمًا فى النُفوُسِ ولو نابَ عنهُ لِسانى كَفانى

ومن مختارات رثائه يقول فى محمد بن إسحاق التَّنوخى :

إنّى لَأعْلَمُ واللَبيبُ خَبيرُ أنَّ الحَياةَ ـ وإنْ حَرَصتُ ـ غُرُورُ
ورأيتُ كُلًّا ما يُعلِّلُ نفسَهُ بتَعِلَّةٍ وإلى الفَناءِ يَصيرُ
أمُجاوِرَ الدَّيماسِ رَهْنَ قَرارةٍ فيها الضياءُ بِوَجهِهِ والنُّورُ
ما كُنتُ أحسَبُ قَبلَ دَفنِكَ فى الثَرَى أنَّ الكَواكِبَ فى التُرابِ تَغُورُ
ما كُنتُ آمُلُ قَبلَ نَعشِكَ أنْ أرى رَضْوَى على أيدى الرِجالِ تَسيرُ
خَرَجوا بِهِ ولِكُلِّ باكٍ خَلفَهُ صَعَقاتُ مُوسَى يومَ دُكَّ الطُورُ
والشمسُ فى كَبَدِ السَماءِ مَريضةٌ والأرضُ واجفَةٌ تَكادُ تَمُورُ
وحَفِيفُ أجنِحَةِ المَلائِكِ حَولَهُ وعُيونُ أهلِ اللاذِقيَّةِ صُورُ
حَتَّى أتَوْا جَدَثًا كأنَّ ضَريحَهُ فى قَلبِ كُلِّ مُوحِّدٍ محفُورُ
بِمُزَوَّدٍ كَفَنَ البِلَى من مُلكِهِ مُغْفٍ وإثمِدُ عَينِهِ الكافُورُ
فيهِ السَماحةُ والفَصاحةُ والتُقَى والبأسُ أجمَعُ والحِجَى والخِيرُ
كَفَلَ الثَناءُ لهُ بِرَدِّ حَياتِهِ لَمَّا انطَوَى فكأنَّهُ مَنشورُ

* * *

ولأبى العلاء المعرى قصيدة مشهورة ، فى رثاء الفقيه الحنفى : أبى حمزة ، رفيق صباه ، تُعدُّ من عيون الشعر العربى فى شتى عصوره ، وتبدو الوحدة الموضوعية فيها جليَّة واضحة ، تكاد تصيح ! وقد تُرجمتْ إلى كثير من اللغات الحية ، لروعة الصور التى تتكون منها والأحاسيس الحزينة التى سجلتها ، وتفرُّدها بالإيحاء والتأثير الشديدين ، وما من شاعر فى العربية ، اتفق له الاطلاع عليها ، إلا وقف أمامها مبهورا ، لأنها تجاوزت (الفقيه الحنفى) ، إلى الإنسانية جمعاء ، إذْ ينتهى كل أبنائها من الأزل وإلى الأبد ـ إلى المصير المحتوم : الموت ..

يقول أبو العلاء فى لحظة إلهام نادرة ، وطواعية لغوية مواتية :

غير مُجْدٍ فى مِلَّتى واعتقادى نَوْحُ باكٍ ، ولا ترنم شادِ
وشبيه صوت النعىِّ إذا قيس بصوت البشير فى كل نادِ
أبَكَتْ تلكمُو الحمامةُ أم غَنَّتْ ..على فرع غُصْنها الميادِ

* * *

صاح هذى قُبورُنــا تملأ الــرَّحْبَ فأيْـــنَ القبـــورُ من عهـــد عاد
خِفِّفْ الــوطْءَ ، ما أظـــن أديم الأرْ ضِ ، إلا من هذه الأجساد
وقبيـــح بنـــا ــ وإن قَدُمَ العَهْـــدُ م ــ هوانُ الآباء والأجـــــــداد
سِرِ ان آسْطَــعْتَ فى الهواء رويـــداً لا اختيـــالا على رُفـــات العبـــاد
رُبَّ لحْـــــدٍ قد صار لحدا مرارا ضاحِكٍ من تزاحـــــم الأضدادِ
ودفين على بقايـــــــــا دفين فى طويــــــل الأزمـــــان والآباد
تعَبٌ كلهـــا الحيـــاةُ فمـــا أعْــجبُ م إلا من راغبٍ فى ازديـــــــاد

* * *

كُنْتَ خِلَّ الصبـــا فلمـــا أراد الـــ بَيْـــنُ ، وافـــقْتَ رأْيـــه فى المُراد
وخلــعْتَ الشبـــابَ غَضًّا فيـــا لَيْـــتَكَ أبليتَـــه مع الأنـــداد
فاذْهبـــا خير ذاهبيْـــن حقَيقَيْـــنِ م بُسقْيـــا روائـــحٍ وغـــواد
ومَـــراثٍ .. لَو أنهن دمـــوع لمحون السطـــــــورَ فى الإنشاد

* * *

إن حزنـــا فى ساعـــة الموت أضعـــا ف سرورٍ فى ساعـــة الميــــلاد
خُلـــق النـــاس للبقـــاء فضلت أمـــة يحسبـــونهم للنفـــــاد
إنما يُنْقَلُـــونَ من دار أعمـــــا لٍ إلى دار شقـــــوة أو رشاد
ضجعـــة الموت رقـــدةٌ يستـــر يحُ الجسمُ فيها ، والعيش مثل السهاد

* * *

أَبَنـــاتِ الهديـــلِ أسْعِـــدْن أو عِدْنَ قليـــلَ العـــزاء بالإسعـــاد
آيـــة الله درُّكُـــنَّ فأنتـــن اللـــواتى يُحْسِنَّ حِفْـــظَ الـــوداد
ثم غرِّدْنَ فى المآتم واندُبْـــــنَ م بشجْـــوٍ .. مع الغـــوانى الخِـــراد

وهنا يخجل التحليل والتشريح ، فهذه الأبيات من القوة والتوافق ، بحيث تستقل بنفسها وتُصبح بغير حاجة إلى أى وصف أو تفسير ، فهى ماسة نادرة تظل تبعث إشعاعها عبر العصور ، فلا تَبْلَى جدَّتها ، ولا يخبو بريقها .. وهى ــ ونفائس أخرى من نظائرها ــ خير دليل يُثبت خطل الرأى ، وتعسُّف الحكم على القصيدة العربية ــ بأنها تفتقر إلى الوحدة الموضوعية .

(الحديث موصول)

وقفة مع ديوان

الإنسان فى الميزان

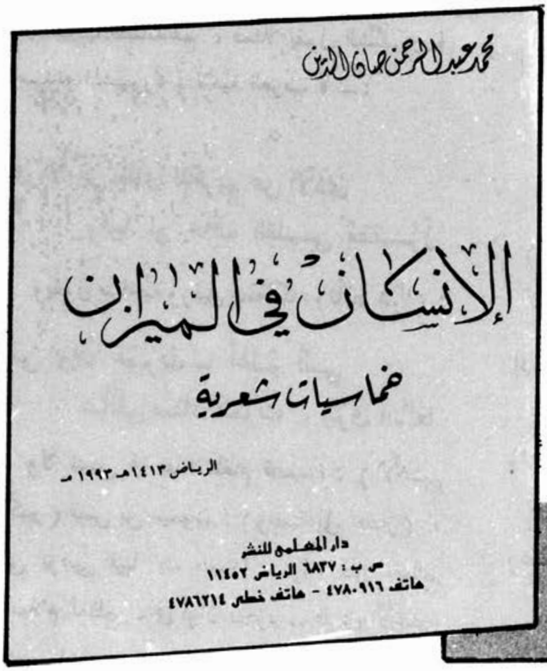

للشاعر / محمد عبد الرحمن صان الدين

من إحساس الشاعر بأنه يحمل مسئولية كبرى نحو مجتمعه ، تتسلّط عليه روح الحكمة ، فنراه قد ارتقى منبره ونصّب من نفسه حاديا لهذا المجتمع ، إن لم يكن للناس أجمعين .

ومن خلال القصيدة يرسم معالم مدينته الفاضلة ، ويدعو الناس بأسلوبه ، كى يدخلوا عالمه السحرى الخاص جدا .

فهو يحلم ، ويتمنّى .. وعلى الدنيا أن تحقّق أحلامه .

بقلم الأستاذ / محمد عبد الوهاب

والمتتبّع لسير الشعراء فى الأحقاب المختلفة ، سيرى تلك الحقيقة واضحة جلية ، فإذا نظرنا إلى شعراء الجاهلية ، رأينا ومضات الحكمة تشع فى

والشعراء عادة يميلون إلى الحكمة ، وبخاصة بعد إنقضاء مرحلة الشباب ، وولوج مراحل النضج ، التى تتضح فيها الرؤية ، وتنمو على مشارفها نَبْتَةُ الحكمة ، فتغدو شجرة مُورقة يانعة ، تؤتى ثمرها : شعرا مصقولا ، دعّمته التجربة الذاتية الواعية للشاعر .

ثنايا أبيات قصائدهم ، فمثلا يقول الشَّنْفَرَى فى قصيدته المشهورة « لاميَّة العرب » ـ :

وفى الأرض مَنْأى للكريم عن الأذَى
وفيها لمن خاف القِلَــى مُتَعَــزَّلُ

ويقول صاحبُه ورفيق صَعْلكته (تأبَّطَ شرًّا) :

وإنّـِىَ وَإنْ عُمِّرْتُ ـ أَعْلَـمُ أنَّنـى
سَأَلْقَى سِنَانَ المَوْتِ ، يَبْرُقُ أَصْلَعا

ولا ننسى فى هذا المقام قصيدة : (الأعشى الكبير) قيس بن ميمون : (وصية إلى بصير) ، التى يوصى فيها ابنه بصيراً ، وقد تمثّل تعاليم الإسلام العظيم ، فى أوان فجره .. فنرى الأعشى يُوصِى ابنه بتقوى الرحمن ، وبالصبر ، وبعدم الشرك بالله ، ويأمره بعبادة الله الواحد ، وينهاه عن المحرَّمات التى حرَّمها الإسلام كأكل الميتة ، ثم يُوصيه بالجار خيراً ، ويأمره بألّا يعتدى على أهله وعشيرته .. فيستهلُّ قصيدتَه بقوله :

وإنَّ تُقى الرحمنِ لا شىءَ مثلهُ
فصبرًا إذا تَلْقَى السِّحَاقَ المراثِيَا
وربّك لا تشركْ بِهِ ، إنَّ شِرْكَهُ
يحطُّ من الخيراتِ ، تِلْكَ البَوَاقِيَا

هذا ، وقد حفل ديوان الشعر العربى بما لا يُحْصَى من قصائد الحكمة وشعرائها ، حتى أنه ورد على لسان (المتنبّى) قوله : « أنا وأبو تمّام حكيمان ، والشاعرُ البحترى » وذلك لكثرة ما ورد فى شعرهما من عيون الحكمة .. ولا يفوتنا أن ننسى (أبا العتاهية) و (أبا العلاء المعرّى) وغيرهما من الشعراء العِظَام ، الذين أثْرَوْا الأدبَ العربى بحكمتهم الرافدة .

* * *

هذا ويحضرنى بعض أبيات للإمام العالم الفقيه (الشافعى) رحمه الله ، تبدو فيها الحكمة نيّرة كالضّحى .. إن يقول :

إذا رُمْتَ أن تحيا سليما من الأذى
ودينك موفور وعِرْضُك صَيِّنُ
فلا ينطِقَنْ مِنْكَ اللسانُ بسَوْأةٍ
فكلُّكَ عَوْراتٌ ، وللناس ألْسُنُ
وعينك إنْ ابدت ، إليكَ معايبًا
فَدَعْها ، وقُلْ : يا عينُ للنَّاسِ أعْيُنُ
وعاشِرْ بمعروفٍ ، وسامحْ مَنِ اعْتَدَى
وفارِقْ .. ولكن ، بالَّتى هِىَ أحْسَنُ

* * *

وشاعرنا اليوم ، من كبار الشعراء المعاصرين ، الذين نقرأ أشعارهم فى العديد من المجلات الكبرى فى مصر ، وفى الدول العربية ، وبخاصة : المملكة العربية السعودية ، التى طُبع فيها ديوانه : (الإنسان فى الميزان) ، موضوع دراستنا اليوم .

وقد سبق لى أن طالعت واحدا من مؤلفاته بعنوان : (شوارد وسوانح) ، وهو عبارة عن لمحات استُخْلِصَتْ من واقع الحياة ، مرّت على وجدان الشاعر فانصبغت بأجمل الألوان ، وتعطّرت من عبيرِهِ الفوّاح ، وظهرتْ لنا بين دفتى كتابه كجوهرة فريدة يموج فيها الضياء .

أما ديوان : (الإنسان فى الميزان) فهو سِفْرٌ

قيِّمٌ وضع فيه الشاعر خلاصة تجاربهِ فى الحياة على هيئة خُماسيّات شِعْرية ، من (مجزوء . بحر الرَّمَل) ، جاعلا لكل خماسية ، قافية مختلفة متحريا البساطة وعدم التعقيد - (على حد تعبير دار المُعَلِّمِى للنشر) التى قامت بطبع الديوان .

وقد قسَّم الشاعر ديوانه إلى أقسام وضع لها عناوينها من حيث الرابطة الموضوعية التى تربطها ، وهى على الترتيب : الإنسان والحياة ، لواذع ، بنت حواء ، العرب والإسلام ، الشعر والشعراء ، مصر ، سبحـات وابتهالات ، الجمال فى فطرة الخالق ، عبر الأحداث ، مناجاة .

ولنبدأ معا أيها القارئ العزيز مطالعة الديوان ، ولننظر فى قصيدته الأولى : (الإنسان مُحَيِّر) لنجد أن الشاعر وقد أمسك بمنظاره المقرِّب ، كى يرصُدَ سلوكَ الإنسان ، وتصرفاته المختلفة .. يحسُّ بالصدمة ، وذلك لأنه يرى البشر وقد صاروا : ذُؤْبانا ! فيقول :

بعـد رصْدِ النـاسِ حينًـا
ينتقـى منهم حبيبـا
فيـه أمْـنُ وائتنـاسٌ
إذ به يلقـاه : ذيبـا !

ويصف الشاعر الإنسان بعدم الثبات على حال ، وبأنه كالبحر ، فى تقلُّبه وعدم استقراره فيقول :

قد رأيتُ البحْـرَ يـبدو
ساجيـا رحبَ المجَـالِ
فَجْـأةً يَطْغَـى ويعلـو
ثائـراً ، مثـل الجبَـالِ
هل على الأرضِ أمـانٌ
فى حلـولٍ ، وارتحَـالٍ ؟!

.. يبدو الشاعر فى أبياته تلك وقد فقد الثقة فى البشرِ جميعاً ! ثم نراهُ فى نهاية قصيدته هذه ، ينعى حظه العاثر فيقول :

كُلَّمـا صوَّبْتُ سهمـى
نحو صيـدٍ عنـه يَنْبُـو
وإذا عالجتُ خَطْبًـا
باصطبـارٍ ، حَلَّ خطبُ
ذاكَ مِنْ دُنْيَـاى حَظِّـى
فى سِباقِ العَـدْوِ يَحْبـو

وفى الخماسية الثانية التى تحمل عنوان (أنت) نرى الشاعر يتوجَّه بحديثه إلى الإنسان - على إطلاقه - من وجهة نظر الشاعر - واصفاً إيّاه بالتخبّط والحمق فيقول :

أنت فى الدنيـا طليـحٌ
تائـه بين الضبـابِ
بقشورٍ يابساتٍ
يتلهَّـى عن لُبـابِ
فوق شوكِ الحُمْـقِ تَعْـدو
لاهِثًـا خَلْـفَ السَّرابِ

ثم يقول فى التى تليها :

كلُّ شىء فى الوجـودِ
الـرَّحْبِ يجرى بِحِسَابِ
وفْـق تقديـرٍ حكيـمِ
ليسَ وفقـا للرغَـابِ

ذلك الإنســــــانُ يأْتى
كُلَّ أسْبَـــابِ الخَــــرَابِ

ثم يُذكِّرُنـــا فى موضع آخـــــر ، فى نفس القصيدة ، بقصّة أوّل جريمة بشريّة ، وكيف أنّ غُرابا علَّمَ « قابيل » كيف يدفن جُثَّةَ أخيهِ فيقول :

جدُّه قابيـــــــلُ قد أرْدَى
شقيقـــــــا غِلَّ نفسِ
والـــذى أدهـــى غراب
دلَّــه (عن) حفـــر رمْسِ

وبعد أن يصفه بأن فيه من طبع السباع المفترسة ، وبأنه يسير حيث يأمره هواه ، ولا يأبه لهذى السماء ، لركونه إلى الطين الذى هو أصل جسمه ، فيهوى فى هاوية المعاصى والرذائل ، ناسيا النهاية الحتمية ، التى يذكرها الشاعر قائلا :

بَيْــدَ أنَّ المـــوتَ نصب
الــعين منصـــوب الشراع

* * *

ويعود الشاعر إلى نفسه ، يحادثها ، بعد أن ضاق بأخيه الإنسان ، فَيُؤْثر الوحدة فى لياليه ، مُتخيّرا أطيافَها أصحاباً ورفقاء فيقول :

ضِقْتُ بالإنسان ذَرْعَـــــــا
والأمـــانى ، والشجـــونْ
وارتضيت العـــــيش فى
صمت الليـالى والسكـــون
أرصد الأطيـــــافَ حولى
سابحاتٍ كالظنـــــــــون

ثم يعود الشاعر فيسائل نفسه : أليس الشاعر نفسه إنسانا كغيره من بنى الإنسان ؟ لماذا إذن لا يفعل كما يفعل غيره ، فيقول :

هل أنا كالناس ؟؟.. طبعــا
كنت من ماءٍ وطين ؟
لِمْ إذن لا أرتضى عَيْـــــــ
ش التجنِّـــــــى والمجون

ويسترسل على ذات الوتيرة الحزينة حتّى نهاية الخماسية .. أمّا فى خماسيته التالية فنرى الشاعر وقد توجّه لأخيه الإنسان بنصائحه التى اكتسبها من حكمته ، وجمَّلها بأوزانِه وقوافيه ، فيعيب على الإنسان أن يعادى الدهر ؛ لأن العيب فى الإنسان ذاته ، وليس فى الدهر ، فيقول :

لا تُعَــادِ الدهْــرَ ظُلمــــا
أو يـــادر منكَ سخــــطُ
ليس عيب الدهـــــرِ أنَّـــا
فوق شَوْكِ العـــيبِ نخطــو

ورحم الله (الإمام الشافعى) الذى قال مُشْبعا هذا المعنى ذاته :

نعيب زماننـا والعيب فينـــا
ومـا لزماننـــا عيبٌ سوانـــا
ونهجـو ذا الزمـان بغير ذنب
ولونطـق الزمـانُ لنـا هجانـــا
وديدنُنـا التصنّــع والتّــرَائى
فنحــن به نخادعُ مَنْ يَرانـــا
وليس الذئب يأكل لحم ذئبٍ
ويأكُـلُ بعضُنَـا بعضاً عِيَانًا !

ولكى نُعْطى النقد حقَّه ، فإننا نرى أنّ شاعرنا الكبير ، قد لوَّن عدساتِ منظارِه الذى يرصد به الإنسان بلون تغلب عليه ظلالُ القتامة ، فالشاعر قد جعل نفسه بمعزل عن إنسان العصر ، ولسان حاله يردد مع أبى القاسم الشابى قوله :

الشقـيّ الشّقـيُّ الـذى كان
فى حساسيّتى ، ورقّـةِ نَفْسِى

فحيثما تلفَّتَ الشاعر (صان الدين) ، يجد تجاوزا بشريا ، لا يصمد طويلا أمام المُثُل العليا ، التى تهفو إليها نفسه ، والتى أصبحت كُلًّا لا يتجزأ من قوام شخصيته .

وقد يكون هذا الاتجاه صحيحا ــ إلى حدّ ما ــ بالنسبة لبيئة ما ، ولكنه ليس الكلمة الأخيرة .. فالدنيا لا زالت بخير : يقول ربنا العظيم فى سورة الشرح : ﴿ فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا . إنَّ مع الْعُسْرِ يُسْرا ﴾ ، كما جاء فى الحديث الشريف قولُ نبيّنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم : « أمّتى كالمطر ، لا يُدْرى أوّله خير ، أم آخره » .. ولا نذهب بعيدا إذا قلنا : إنّنا نرى فى مجتمعنا المعاصر الكثير من العلماء الفضلاء ، والشبّان الأتقياء الصالحين ، يسيل بهم الوادى ، فى كلّ ميدان ومجال ، ومن ثَمَّ فإنّنا نتساءلُ : أين مكان هؤلاء جميعا فى مخيَّلة الشاعر و (ميزانه) ، فقد اقتصر على تصوير الجانب المظلم السيّىء فحسب ، وكُنَّا ننتظر منه أن يشحذ يراعه ، لتصوير الجوانب الأخرى المضيئة أيضاً ، جنبا إلى جنب ، مع النواحى القاتمة ، التى برع فى تصويرها بديباجته الرصينة ، التى اكتسبها من طول الدُّربة ــ فى نظم الشعر ــ طوال ما يقرب من نصف قرن من الزمان .

* * *

وفى خماسية (الإنسان والصبر) نرى الشاعر يستهلّها استهلالا ، يلعب فيه الحوار دورا بارزا ، فيجرى الشاعر الحوار مع الحمامة ، مُسْتَقْطِرًا من منقارها قطرات الحكمة ، فيقول :

قلتُ للورقـاءِ يومًـا :
خَبِّرينـى يا حمامَـه
كان بين الـعُشْ فرخٌ
منك يستـوفى طعامَـه
تدفعيـنَ الشرَّ عنْـهُ
بافتـداءٍ ، وصرامَـه
.. أيـن غابَ الفـرخُ عنكِ
اليـوم ؟ قالت مُسْتَهَامَـه :
.. طار فى الآفاق يحَيـا
حيثما شاءَ الإقَامَـه

ثم فى الخماسية الثانية ، من نفس القصيدة ، (الإنسان والصبر) يقول :

هكـذا الإنسان حين اشتـدّ وَلّـى مُسْتَقِـلًا
لا يُبـالى فى صفـاءِ العيشِ أَوْشَاجًا وَأَهْـلَا

أمّا فى خماسية (الرأى والقيادة) فإنّنا نرى الشاعر وقد تنحَّى قليلا عن القتامة ، فنراه فيها يمجّد العلم والعلماء ، ويستنكر الجهل والجهلاء فيقول :

يا ذكـيّ القـلب أَبْصِرْ
إنّ رأى العلـم حاسم

ثم يقول :

أىَ فُلْكٍ قادَها الجُهَّالُ حتما سوف تغرق

ويعود شاعرنا إلى نهجه الأول ، مرة أخرى ، فيقول عازفا على عوده الحزين فى خماسية (الحقد) :

يا رياح الحقد فى الإنسان كُفَى عن هبوبِ
لا تُحيلِى رَقْرَقَاتِ الحُبِّ نارًا فى القلوبِ

ثم يختمها بقوله :

خابَ من ألْقى زمام النفس فى كَفِّ الرياح !

* * *

ونأتى إلى المجموعة الثانية فى الديوان والتى وضع لها الشاعر عنوان : (لواذع) فنرى أنَّ الشاعر قد بدأها بقصيدة : (جنوح) ، وهو لا يقصد جنوح فُلْك أو سفينة ، وإنما يقصد جنوح فكر الإنسان ، فهو يعترض على نظرية النشوء والارتقاء لصاحبها : (دارون) ويصفه بأنّه لا يملك يقين العلم .

ويبدو واضحاً من عنوان الـ : (لواذع) أنها مجموعة من الزفرات التى يقذف بها الشاعر باتجاه ما يجافى تعاليم الإسلام الحنيف ، من مبادىء هدّامة أو تصرفات مشينة ، فبعد أن هاجم : (دارون) و (ميكيافيللى) ، نراه يهاجم الدّجالين والمشعوذين فى قصيدة بعنوان (شعوذة ودجل) ، ثم يهاجم الأطبَّاء والصيادلة ، ورجال العلم !

ونحن معه تماما فى هجومه على ما توصل إليه (دارون) وما وصّى به (ميكيافيللى) ، ولكنّنا لسنا معه فى هجومه على العلماء فى العلوم المختلفة ، كالطِّب والصيدلة ، وغيرهما من العلوم التى تعود على الإنسانية بالخير والمنفعة ..

* * *

وفى قصيدة الشاعر التى بعنوان (وخزات) ، نرى الشاعر ناقدا لمثالب المسلمين ، فأهل الميِّت الفقراء نراهم يقيمون السرادقات الضخمة ، والقبور الفخمة ، بينما ميّتهم .. قد مات جوعا ! وفى مشهد آخر ينتقد الشاعر الكسْبَ الحرام والخيانة والاغتيال ، وعدم الوفاء بالعهود ، والابتزاز والاحتيال ، مؤكّدا ، أنّ الإسلام يُجانب كلّ تلك الصور الهدّامة والمعايب المخجلة ، ويحاربها بكل قوة ، فهو دين العدل والأمان ، وفيه للإنسان رشاد وسلام واعتدال .

ثم فى الصورة التالية يُبيِّنُ الشاعر أنّ المسلمينَ لمّا ساروا بلا وعى بتعاليم دينهم وبهدْيه ، أذلَّهم أقوامٌ غيرهم ، من أصحاب الديانات الأخرى فيقول :

غير أنَّ المسلمين اليوم قد مالوا ، فضلّوا
فى ظلامِ الزيغ ساروا
فى عثار حيثُ حَلُّوا
يحملون الإسم لكنْ
ليسَ فيهم مِنْهُ ظِلُّ

وفى قصيدته : (أمّة الإسلام) يُظْهِرُ لنا الشاعر غيرته على دينه ، وبأن العيبَ فى ذات الشخص وليس فى المبدأ ، فيقول :

مُدَّع الإسلام إنّ الدينَ إيمانٌ وجهدُ
فى سبيل الكُلِّ يَسْعَى
مثل سعى النحلِ فَرْدُ

لا يمسُّ الغيـــرَ مِنـــــهُ
عِنـد ضيـقِ الصدْرِ كَيْـدُ
.. إنَّمـــــا الإسلام سمح
فى عقـــول النـــاس رُشْدُ

وقد أثار الشاعر إعجابنا حقا فى قصيدته : (شباب العصر) ، حين انتقد رأى بعض الأبناء من الشباب ، الذين يقولون بأن على آبائهم أن يتحمَّلوا نزق هؤلاء الشباب ، واستهتارهـم وعبثهم السَّمِج لا لشىء إلا لأنهم - أى الآباء - قد أنجبوهم ، فيقول الشاعر موجها حديثه لهؤلاء الأبناء العاقّين :

ما على الآباء للأبنـاءِ بعـد الـرشْدِ حَقُّ
بَلْ عليك البـرّ والتكـريم من قلب يَرِقُّ

* * *

.. ويجدر بنا أن نذكر لشاعر النيل ، حافظ إبراهيم ، إحدى (لواذعه) لوطنه كلّه ، وليس لفئة فيه ، حينما تمّ الاتفاق بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ ، على إطلاق يد الإنجليز فى مصر ، فى مقابل إطلاق يد الفرنسيين فى مراكش .. فقال يحفز الهمم ، بنخوة وإباء ، وإن بدا يائساً ومغلوبا على أمره :

حَطَمْتُ اليراع ، فلا تعجبى
وعفت البيـان ، فلا تعتبـى
وكم فيك يا مصر من كاتبٍ
أقـالَ اليراعَ ، ولم يكـتبِ
فلا تعذلينى لهذا السكـوت
فقد ضاق بى منك ما ضاق بى

إلى أن يقول :

أيعجبنى منك (يوم الوفـاق)
سكوتُ الجمادِ ولعب الصبى
وكم غضب النـاس من قبلنَـا
لسلْبِ الحقوقِ ، ولم نُغضَبِ

وقد كان على محمود طه ، أكثر إيجابيةً من (حافظ) ، حينما خاطب (أخاه) - أيضا - يستحثّه على الجِلاد والفداء ، بقوله :

أخى جاوز الظـالمونَ المدى
فحُقَّ الجِهَادُ ، وحُقَّ الفِدَى
أنتركهـم يسلبــونَ العروبـةَ
مجْــدَ الأُبُوَّةِ ، والسُّؤْدَدَا
وليسوا بغير صليل السيوف
يجيبون صوتا لنا ، أو صدى
فجَرِّدْ حُسَامَكَ مِنْ غمْـدِهِ
فليسَ لَهُ بَعْـدُ أنْ يُغْمَـدَا

وكان (محمد إقبال) أكثر توفيقا فى صيحته المجلجلة للأمّة الإسلامية ، حين قال :

أمّة الصحراء يا شعب الخلود
مَنْ سواكم حلَّ أغلال الورى ؟
أىّ داعٍ قبلكم فى ذا الوجود
صاح لا كسرى هنا ، أو قيصرَا
من سواكم فى حديثٍ أو قديم
أطْلعَ القرآنَ صُبْحًا للرشاد
هاتفا فى مسمع الكون العظيم
ليس غير الله ربّـا للعبـاد

* * *

ولنا بعض الملاحظات الأخرى التى عنَّت لنا ونحن نتجوّل بين قصائد الديوان ، والتى نوردها فيما يلى :

أولا : أكثرَ الشاعر من استخدام بعض الألفاظ المهجورة ، المُوغلة فى القدم ، التى أوشكت أن تتلاشى من كتابات المحدثين من الأدباء العرب ، ممّا ألجأ الشاعر إلى استخدام الشروح بكثرة ، وكانت له مندوحة تغنيه عن هذا كلّه وتجعله أقرب إلى قارىء اليوم ، المتصفِّح المتعجِّل ، وذلك باستخدام ألفاظ أكثر إشراقا ووضوحا ..

ثانيا : نبرة التشاؤم ، التى تشيع فى معظم الخُماسيَّات كما قَدَّمْنا ، ممّا يصدم القارىء ، ويصيبه بالإحباط .

ومهما يكن من أمر ، فإننا مع الراحل الجليل المرحوم الدكتور / محمّد البهى فى قوله بمقال له بعنوان : (التفكير الفلسفى فى الشعر العربى)(1) « إنّ الشعر لون من ألوان التعبير عن الحياة ، وعن تفاعل الإنسان مع أحداثها وما يجرى فيها من تغييرات من شأنها أن تحرك مشاعر الإنسان ، أو تلفت نظره إليها ... » إلى أن يقول : « فهو ـ أى الشاعر ـ كما يحاول أن يشرح علّة الوجود ، يحاول أن يشرح طبيعة الإنسان فى تكوينه وتفكيره وسلوكه ، وفى غايته فى الحياة ، وإذن ليس التفكير الفلسفى قاصراً على بحث ما وراء الطبيعة ، أو على بحث المقاييس الخلقية وأسلوب التفكير لدى الإنسان ، بل كما يتناول هذه المجالات ، يتناول أيضا الطبيعة والطبائع الحية فى أجناسها العديدة » .

ومن الطبائع الحية : الخير ، والحق ، والجمال ، المتوفّرة فى فطرة ما خلق الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ تلك الفطرة التى أوْدعها فى نفوس الكثير ممّن يسيرون على صراطه المستقيم ، أولئك الذين كنّا ننتظر من الشاعر الكبير صان الدين أن يلتفت إليهم ، ويوفيهم حقَّهم .. ولو بالإيماء والإشارة .

وإزاء ما تقدم ، فإننا نقول للشاعر محمد صان الدين : هوِّنْ عليك ، فإن (المتنبّى) يقول :

ومن البليّة عَذْلُ من لا يرْعَوِى
عن جهله ، وخطاب من لا يفهم

ويقول أيضاً :

ليت الحوادث باعتْنى الذى أخذت
منى بِحلْمِى الذى أعطت وتجريبى
فما الحداثة من حلم بما نعة
قد يوجد الحلم فى الشبّان والشيبِ

★ ★ ★

وننتقل خطوة أخرى ، نحو التعرّف على خصائص أسلوب الشاعر صان الدين فى ديوانه الجديد ، إذ نلاحظ أنّه ـ على عكس ما كان عليه ديوانه (أعاصير وأنسام) ، من شفافية وسلاسة ، نجده فى ديوان اليوم : (الإنسان فى الميزان) . يأتى أسلوبه رصينا قويّا ، نتيجة لتوقّد ذهنه ـ ولا أقول وجدانه ـ وحرصه على السيطرة التامة الواعية على

---

(1) انظر مجلة الوعى الإسلامى ـ العدد ١٢٣ ـ الصادر فى ربيع الأول سنة ١٣٩٥ هـ .

أدواته اللغوية والتعبيرية ، إلّا أنه تُفْتَقد فيه مشاعر الإيحاء الوجداني المحلّق الذى ينضح بمائية الشعر ورونقه ،... ونضرب بعض الأمثلة لما نعنيه بما يوضح ذلك ، فمثلا نجد (ميخائيل نعيمة) فى قصيدته : (أخى) ، التى يتعاطف فيها مع قارئه ، فيناديه بعنوان القصيدة : (أخى) .. ثم يعمد إلى ذكر مواقف ما بعد الحرب[٢] التى جرّنا الغرب المستعمر إلى أتون معاركها ، ولم يكن لنا فيها ناقة ولا جمل ، فيشرع الشاعر فى نجوى قلبية وجدانية متعاطفة ، بعيدة عن الخطابية والمُباشرة ، محدِّثا (أخاه) ، وقارئ شعره ، بدون استعلاء أو جهارة فى النُّصْح والتوجيه ، لأنّه معه ـ أولا وأخيرا ـ فى زورق واحد .. بأحاسيسه ومشاعره ، فيقول بنبرة آسية خلّابة :

أخى ! أن ضجَّ بعد الحرب غربىٌّ بأعمالهْ
وقدَّسَ ذِكْرَ مَنْ ماتوا ،
وعظَّمَ بَطْشَ أبطالِهْ
فلا تهزج لمَنْ سَادوا
ولا تشمتْ بِمَنْ دَانَا

ويرى القارئ معنا ما فى هذه الأبيات من تصوير رائع ، ونقد بارع ، واستخفاف لاذع بِحَمَلَةِ القماقم ، الذين يسيرون فى مواكب الرياء ، وهم ينشدون أهازيج انتصار (الحلفاء) ، وهزيمةَ (المحور) .. ثم يستمر الشاعر فى رصد ووصف ما أحدثته الحرب من موجات غلاء واسْتِنْزَافٍ للموارد ، لصالح (الحلفاء) ، وكذلك الغُنْم الذى أحرزوه ، والغُرْم الذى أصابونا به فيقول مُسْتَتْلِيًا .

أخى إنْ عاد بعد الحرب جندىٌ لأوطانِهْ
وأَلْقَى جسمه المنهوك فى أحضان خِلّانِهْ
فلا تطلب إذا ما عُدْتَ للأوطان خِلّانا
لأنّ الجوع لم يترك لنا صَحْبا نُناجيهم
سوى أشباح موتانا ....

أىُّ لوعة وأىّ حسرة .. عبَّر عنهما الشاعر ، باحتدام وعفوية وطلاقة ، من واقع المعاناة والصدور عن تجربة شعورية عميقة ، حينما نظر حوله ليشهد آثار الدمار الذى أحدثته غارات أعداء الحلفاء بِمُدُنِنا وقُرانا ، فى حُقولنا ومنازلنا ، بشتّى بلدان الأمة العربية ، وخاصة فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، التى ذاق الشاعر ـ كما ذُقْنا معه ـ الأمَرَّيْنِ لما ألحقته غارات الطائرات من تدمير وتخريب ، فيقول مُستطردا على نفس النسق الحار المُتدفِّق :

أخى ! إنْ عاد يحرث أرضه الفلّاح أو يزرعْ
ويبنى ـ بعد طول الهجر ـ كُوخا هدَّه المِدْفعْ
فقد جفَّتْ سواقينا وهدَّ الذُّلُّ مأوانا
ولم يترك لنا الأعداءُ .. غَرْسًا فى أراضينا
سوى أجياف موتانا ...

* * *

وهكذا يستمر الشاعر فى تدفُّقِه الشعرىِّ الشعورى ، فى رَيْثٍ وَعُمْقٍ ، لينتهى إلى نقد

(٢) نعنى الحربين العالميتين : الأولى والثانية (١٩١٤ ـ ١٩١٨) (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) م .

الذات : لنفسه ، ولمن يخاطبه فى آن معا ! فيقول بألم حزّاز ، يُصوِّر الواقعَ الأليمَ ، بدون مداهنة أو تمويه :

أخى ! قد تمّ ما لو لم نشأهُ نحنُ .. ما تمَّا
وقد عمَّ البلاءُ .. ولو أردْنا نحن ما عمَّا
فلا تندبْ .. فأُذْن الغير لا تُصْغِى لشكوانا
بل اتبعنى .. لنحفر خندقا بالرفش والمِعْولْ
نوارى فيـــــه موتانـــــــا ...

هذا ـ فى رأيى ـ هو الشعر الحلال حقّا الذى يبهر بأصالته وعمقه ، وليس بُنصحه وإرشاده فحسب .

وأخيراً .. كنّا ننتظر من صاحب اللواذع والنقدات ، أن لا يأتى بألفاظ قاموسيَّة كَثُر استعمالها ، وأصبح من المُستحب الإقلاع عنها ، مثل : الليث ، والغيث ، والمُزْن والرضاب ، كما فى قوله :

ألـــــيث ذو ذئير أم هزار
شجىّ اللحنِ رفَّاف رشيقْ
وغيث من رضاب المُزْن عذْب
بِدَفْقٍ من يراعك ، أم رحيقْ

إلى أن يقول :

فكنت الساهر اليقظان يخشى
ويحذر بَأْسَك (الخِبُّ) النزوق

وأقسم أنّنى لم أفهم معنى كلمة (خب) ، فى هذا البيت ، لأنه خالف عادته ولم يشرح معناها لنا بهامش الصفحة ، وليته استخدم لفظة أسْلس وأرَقّ ، كلفظة (الغرّ) مثلا ..

هذا ، وإن نقدنا الخالص لا ينفى إقرارنا بشاعرية أستاذنا الشاعر الكبير الأستاذ محمد صان الدين ، وبأصالته وتمكُّنه .

والله الموفق

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم

الدكتور محمد عبد الحكيم محمد

الإسلام والفنون

يتساءل السيد أحمد يونس أحمد ـ بكلية أصول الدين بالقاهرة ـ جامعة الأزهر ـ عن تعليل لظاهرة انتشار الفن الخليع فى مجتمعاتنا الإسلامية ، وعن موقف الإسلام مما تقدمه دور السينما والمسرح من فنون بصفة عامة ؟

لقد استطاع «تيار التغريب» بمعونة دعاته أن يغزو الفكر الأدبى ، ويؤثر فى توجيهه إلى درجة كادت أن تقطعه عن مساره وحلقاته المتتابعة منذ فجر الإسلام ، فى محاولة للاستعاضة عنه بفكر غربى يرتبط أساسا بالمفاهيم الوافدة من مدارس الغرب ، حتى سمعنا بمن يدعو إلى تخليص الفن من أية قيود دينية أو أخلاقية .

فهى دعوة تغريبية ـ نلمس صداها فى مجتمعاتنا ـ وهى تتعارض مع الفطرة والذوق الإنسانى قبل تعارضها مع الإسلام نفسه ، ومن الخير للمجتمع أن يقوم فنه وأدبه على ضوابط الإسلام الأخلاقية لأن إطلاقه من كل القيود لا يحقق سوى القبح المتمثل فى الكشف والخلاعة والإباحة .

ومن ثم فإن الإسلام مع الفن الذى يفيد الإنسانية ويرقى مشاعرها ويُعلى من مداركها فى إطار لا يخرج به عن منهجه ، والإسلام مع كل فن يناضل من أجل حماية القيم والذوق العام فى مجتمعاتنا ، ومع كل فن يقاوم تيار التغريب ولاينساق وراء دعواته السامة فى الفنون والآداب .

محرر الباب

حد الاعتدال فى الإسلام

كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن معنى التشدد وما تحمله هذه الكلمة من تداعيات ، وحاول البعض ـ بسوء نية ـ إلصاق هذا الوصف بالإسلام ؛ صادراً فى ذلك عن كره دفين لشريعتنا السمحة ، ومستهدفاً إرضاء جهات لا تكمن للإسلام وأهله إلا كل عداوة ، ومشاركة فى جهد الأزهر ومجلته فى تجلية وجه الشريعة الحقة ، ودفع ما يلصقه أعداء الإسلام به ظلماً وافتراءً ، كتب إلينا هذه الكلمة الأستاذ أحمد محمد فرج العوامى ـ المحامى بالاستئناف العالى ومجلس الدولة ـ لبيان ما اتسمت به شريعة الإسلام الغراء من توسط واعتدال يتفق وفطرة الله التى فطر الناس عليها .

جاءت شريعة الإسلام بمنهج قويم ـ ليس فيه عوج ـ يتفق والفطرة السوية ويعتدل به ميزان الحياة .. ما تحراه الناس فى معاملاتهم واستمسكوا بهداه .. وصدق الله عز وجل إذ يقول .. فى شأن القرآن الكريم .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (سورة الاسراء الآية : ٩) .

وجاءت السنة النبوية المطهرة شاهدة بإيثار نبى البر ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ـ جانب الاعتدال والتوسط .. دون إفراط أو تفريط .

ويُعدُّ هذا الجانب من جوانب العظمة فى شريعتنا الغراء .. يرى علماء السلف أن : من أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود .. ولاسيما حدود المشروع ـ المأمور والمنهى ـ فأعلم الناس أعلمهم بتلك الحدود .. حتى لايدخل فيها ماليس منها .. ولايخرج منها ما هو داخل فيها .

وفى بيان الميزان الذى يزن الناس به الأخلاق بين حديها ـ والمعيار الذى عليه يضطبون سلوكياتهم الظاهرة ونوازعهم الباطنة، يرون باتفاق :

أن ضابط هذا كله العدل .. وهو الأخذ بالوسط وفقاً لما جاء فى كتاب الله عز وجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (سورة البقرة الآية ١٤٣) .

وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة .. بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به .. فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك .. وكذلك الأفعال الطبيعية-كالنوم والسهر والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك ـ إذا كانت وسطا بين الطرفين المذمومين كانت عدلا ، وإن انحرفت إلى احداهما كانت نقصا وأثمرت نقصاً .

إذن ما يصدق على الأخلاق من وجوب الوقوف عند حد الاعتدال فيها .. ينسحب حتى إلى تركيب البدن ذاته ، وروت السيدة عائشة ـ رضى الله ـ عنها فيما أخرجه الشيخان أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة .. قال من هذه قالت فلانة وأخذت تذكر من صلاتها ، فقال

«مهٍ .. عليكم بما تطيقون فوالله لايمل الله حتى تملوا» وأخرج البخارى أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدُ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة .. وغلبه : أى غلبة الدين .. وفى ذات المعنى روى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا .. رواه مسلم .. والمتنطعـــون هم المتشددون فى غير موضع التشديد .

معالجة الإسلام للحرب النفسية

يستطيع الإعلام أن يكون عاملا من عوامل البناء والدفاع عن مقدرات الأمة ؛ لاسيما إذا تعرض المجتمع لحربٍ نفسية من قبل العدو .

وهنا يجند الإعلام نفسه لإقناع جنود العدو بأنهم يدافعون عن قضية باطلة ، ومواجهة أقوال العدو وشائعاته ؛ بغية تحصين الأمة من شرورها ومساعدتها على بلوغ النصر بالصبر والصمود ، حول هذا المعنى كتب إلينا فضيلة الشيخ زكريا أحمد محمد نور .. واعظ الأزهر بأسيوط هذه الكلمة :

المفروض أنه متى علمنا أن العدو هو مصدر الحرب النفسية فإن ذلك يكفى لإحباطهـا وإبطالها ؛ لأن العدو لايقول إلا ما هو فى صالحه ولا يفعل إلا ماهو ضد لنا ، ومن مصلحة العدو ألا تتماسك هممنا وعزائمنا ؛ فهل يجوز لنا شرعا وعقلا ومنطقا ووطنية ودينا أن نحقق للعدو غرضه ونحن نحاربه ؟! طبعا لا يقول بهذا عاقل ومن هنا وجدنا الإسلام بآدابه يقود أبناءه إلى سحق محاولات الحرب النفسية الباغية والشواهد الآتية تؤيد ذلك : قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

وفى جو الهزيمة تتضاعف الآلام النفسيـــة لأسباب داخلية كالحزن والتلاوم ، ولأسباب خارجية كشماتة الأعداء وطمعهم فى المهزومين والله سبحانه وتعالى لايريد أن يترك عباده المؤمنين لهذه الآلام تطحنهم وتوهن عزائمهم،وإنما ياخذ المولى بأيديهم ويبين لهم سنته فى كونه برحمة ولطف ، يجدد بذلك عزائمهم ويحيى به نفوسهم ولهذا ينهى الله عز وجل عباده عن الضعف والحزن ويعدهم بأن النصر النهائى للمؤمنين ويذكرهم بأن ما أصابهم اليوم قد أصاب مثله أعداءهم من قبل ؛ وإنما يداول الله الأيام بين الناس والعاقبة دائما للمتقين .

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٢) .

بأقلام القراء

مشكلات الأقلية المسلمة

كان عام ٨٦ هـ / ٧٠٥ م من أشهر أعوام الفتوحات الإسلامية فى المشرق والمغرب ، لكن الصور المأساوية التى تقع للأقليات الإسلامية فى وقتنا الراهن تدعونا لليقظة ، وما أحوج امتنا الإسلامية العريقة إلى إعادة قراءة تاريخنا الإسلامى واستلهام ما تضمنه من جهاد ونضال وتضحيات وانتصارات .

فالمآسى عديدة !!! وها هى البوسنة وكشمير وأزربيجان ، وغيرها تكشف عن حجم الاكتواء بنار الصهيونية والصليبية والهندوسيةو والشيوعية وغيرهم من أعداء الإسلام .. ما أحوج المسلمين وهم يشكلون ـ تقريبا ـ خمس سكان العالم إلى الوحدة الكاملة التى تفهم من قوله **تعالى:** ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ المؤمنون/٥٢ ، ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

يحيى السيد النجار ـ دمياط

التوازن المطلوب فى المجتمع العالمى

قد يرجع السبب فى انعدام التوازن بالمجتمع العالمى إلى ما يحمله هذا المجتمع فى طياته من تناقضات صارخة بين العقيدة والسلوك ، بين الواجب والواقع ، بين الدين والسياسة ، بين القول والعمل ، بين الآمال والمنجزات ، بين ما شرعه الله وما شرعه الناس ، والتى إن احتملها بعض الناس لايحتملها كلهم ، وإن احتملوها بعض الوقت لا يحتملوها طول الوقت ، وذلك هو تفسير ما نلمسه من السلبيات والتناقضات من حولنا .

ومن ثم يجب تدارك هذا التوازن المفقود بالحق والعدل ، بما يحقق مصلحة الأفراد والجماعات والحكومات ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ (سورة البقرة)

محمد أبواليسر عبدالهادى ـ شربين ـ دقهلية

أقوال مأثورة

من حكم أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ .

- اقتصاد فى سُنَّة خير من اجتهاد فى بدعة .
- احذر النعمة كحذرك من المعصية .
- إن هذا الأمر لا يصلحه إلا لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف .
- لكل شىء شرف وشرف المعروف تعجيله .
- ما وجد أحد فى نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها فى نفسه .
- أعقل الناس أعذرهم للناس .

هانى جهلان القط على ـ قنا

حدث فى بلدتنا !

هذه قصة واقعية يسوقها إليك عزيزى القارىء صديق المجلة أسامة أبو حسيبة محمد ، بغية أن نستخلص منها العبرة ، ومضمونها :

أن مسلما، وجد محفظة بها خمسة آلاف جنيه دون أن يستدل على صاحبها ، فاحتفظ بها عدة أعوام بلغت خمسة عشر عاما ، وعلى الرغم من الظروف القاسية التى ألمت به خلالها ، وأحوجته إلى الاستدانة ، إلا أنه أبى أن يمد يده إليها ، إلى أن دخل عليه يوما عابر سبيل يسأله شيئا يقتات به ، فاستضافه وأكرمه ، وبينما هو يحادثه عن سبب عدم عمله ، إذ قصَّ عليه مايفيد أنه كان تاجراً ميسورا منذ خمسة عشر عاما ، غير أنه ابتلى بفقد رأس ماله كله - وكان حينذاك خمسة آلاف جنيه فى مكان وتاريخ حددهما له ، وهو نفس المكان والتاريخ الذى وجد فيه حافظة النقود ، فقام وأحضرها له ، فأخذها وهو يتعجب من قدرة الله ـ عز وجل ـ ولطفه وكرمه ، ويتمتم فى نفسه : « حقاً إن المال الحلال لا يضيع » !!

رسالة من مجاهد

ومن الشاعر محمد فاروق محمد ... بسوهاج ، قصيدة تحت هذا العنوان ، نجتزىء منها الأبيات التالية :

خذوا روحى ، خذوا قلبى وعقلى	وخلوا الدين يحيا فى أمان
بنى الإسلام .. إن سفكت دمانا	وفاض الدمع يشكو ما نعانى
بنى الإسلام إن هدمت ديار	وصار الحق يزهق بامتهان
فداءُ الدين يا قومى دمانا	لنسكن بعدة أعْلَى الجنان

تكريم الله للإنسان

خلق الله سبحانه وتعالى هذا الكون بتدبير محكم وقدرة فائقة تعلو فوق أى قدرة ، فبسط الأرض وجعل الجبال لها رواسخ كى لا يختل توازنها ، وفجر خلالها الأنهار والبحار ، وأحاطها بالمحيطات ورفع فوقها السموات بلا أعمدة ، وزينها بالكواكب والشمس والقمر ، وخلق المخلوقات والكائنات المتعددة من وحوش وطيور وأسماك وحيوانات ، وسخر كل مافى هذا الكون وما فيه من بر وبحر وجو ـ للإنسان الذى كرمه من بين مختلف مخلوقاته ، وأرسل له الرسل مرشدين ومبشرين ومنذرين وأنزل له الكتب السماوية فيها آيات محكمات ، لتضىء له طريق الرشاد والصلاح ، وتزوده بالمعارف والعلوم والأسباب التى يرتقى بها إلى رخائه وسعادته ، ويتهيأ بها بعد كل هذا لعبادته ، فهو القائل فى كتابه الكريم :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (سورة الذاريات الآية : ٥٦) .

عماد الدين عبدالمنعم ـ دار طباعة النقد

ردود وتعليقات

● تلاقت أبيات القصيدة المنشورة بعدد رمضان الماضى ص ١٤١٦ ـ فى هذا الباب ـ باسم السيد/ سعد الدين محمود ، مع كثير من أبيات قصيدة الأستاذ الشاعر رشاد محمد يوسف ، المنشورة تحت عنوان « أنوار رمضان » بعدد رمضان سنة ١٤٠٥هـ من مجلة « منبر الإسلام » ، فقد بدا الانتحال واضحاً فى الوزن واللفظ والمعنى ، وهذا مما نأسف له .

● على كل من يرغب فى الاشتراك الشهرى

● القارىء السيد عبدالله .. بساحل روض الفرج ـ القاهرة .

ياأخى العزيز تجويد القرآن الكريم يتلقى شفاهة على يد متخصص ، ولا يتلقى قراءة من كتاب،فلو كان الأمر كذلك لنشرنا ماتريد .

● القارىء عبداللطيف عبدالجليل فرج من الشماسة مركز رشيد ـ البحيرة .

اهتمام المجلة بمشكلات الأقليات المسلمة لايخفى على القارىء ، وعسى أن نتمكن من إعداد كتاب وثائقى عن الأقليات الإسلامية فى العالم ، وتنشره مع ملاحق المجلة .

● القارىء خيرى محمد إبراهيم أبوالروس ـ بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة .

عدم الاهتمام بتخريج الأحاديث النبوية يقلل كثيراً من قيمة مايكتب إلينا ، بل ويحول دون نشره .

● وبمشيئة الله سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين عمر بسطويسى
مصطفى عبد المجيد

كتاب جديد لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف

صدر ـ بحمد الله وتوفيقه ـ الجزء الثانى من سلسلة « بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة » لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ويتضمن ردود فضيلته على الأسئلة التى ترد إلى مكتب فضيلته من جهات وهيئات مختلفة داخل مصر وخارجها حول القضايا المعاصرة التى تواجه المسلمين فى مختلف بلاد العالم، والكتاب يقع فى ألف ومائة صفحة ، وهو بحق موسوعة إسلامية شاملة . والكتاب جزء من حصيلة فتاوى فضيلته التى أصدرها منذ ولى فضيلته مشيخة الأزهر الشريف عام ١٩٨٢ وأصدرته الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف التى ستوالى ـ بمشيئة الله تعالى ـ إصدار بقية الفتاوى فى أجزاء متتالية .

المصحف الشريف هدية الأزهر للمسلمين فى رمضان

بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قامت الشئون الفنية لمكتب فضيلته بإهداء مصحف الأزهر الشريف بأحجامه المختلفة ومجموعات من الكتب الدينية القيمة التى يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لكافة الهيئات والمؤسسات والجامعات والمعاهد والمدارس لتثقيف الشباب وتبصيرهم بأمور دينهم على الوجه الصحيح .

كذلك تم إمداد مكتبات المساجد والجمعيات الدينية والأندية الرياضية بالمصاحف والكتب دعماً لرسالة المسجد فى نشر تعاليم الدين الإسلامى الحنيف .

الإمام الأكبر يواصل سلسلة أحاديثه اليومية خلال شهر رمضان المعظم

على إمتداد ثلاثين حلقة تابع المواطنون على شاشة القناة الأولى بالتليفزيون المصرى عقب صلاة التراويح فى ليالى شهر رمضان المعظم سلسلة أحاديث فضيلة الإمام الأكبر التى تناول فيها الحديث عن مصادر التشريع الإسلامى موضحاً كيف استمدت أصالتها ورسوخها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

أكبر حركة ترقيات فى تاريخ الأزهر الشريف

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف أكبر حركة ترقيات فى تاريخ الأزهر الشريف حيث بلغ عدد درجات المرقين (١٤٣٢١) درجة وسيتبعها بعون الله تعالى حركة تكميلية فى أول السنة المالية القادمة التى تبدأ فى ١٩٩٤/٧/١م وقد شملت الحركة الأولى التخصصية ، والفقية والمكتبية ، والثانية التخصصية والفنية والمكتبية والحرفية والثالثة الفنية ، والمكتبية والحرفية ، والرابعة المكتبية والعمالية والحرفية والخامسة العمالية والحرفية .

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف
شخصية المهرجان الثقافى العاشر لمحافظة الدقهلية

قررت محافظة الدقهلية اختيار شخصية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف لمهرجانها الثقافى العاشر الذى تقيمه المحافظة سنويا لتكريم المتفوقين من أبنائها بمراحل التعليم المختلفة .

تقوم المحافظة بإعداد كتيب عن فضيلته يتناول سيرته الذاتية وتاريخه وجهوده فى تدعيم ونشر الدعوة الإسلامية وجهود الأزهر الشريف فى هذا المجال . وسيتم الإعلان عن مسابقة بحثية حول شخصيته بين الطلبة من أبناء المحافظة .

تقوم المحافظة بذلك جريا على عادتها التى مارست العمل بها منذ سنة ١٩٤٠ .

جبهة علماء الأزهر الشريف
استأنفت موسمها الثقافى فى شهر رمضان المعظم

استأنفت جبهة علماء الأزهر الشريف موسمها الثقافى بالقاهرة لهذا العام بمحاضرة دينية عنوانها « المقاصد الضرورية للشريعة الإسلامية » ألقاها ا.د. صلاح الدين زيدان عميد كلية الشريعة والقانون بالدقهلية . وعقب عليها ا.د. محمد محمود فرغلى عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة، ا.د. قاسم الوتيدى عميد كلية الشريعة والقانون بأسيوط ، ا.د. أسامة عبدالعظيم الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية وعقدت المحاضرة برعاية فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بالجامع الأزهر الشريف (الأحد الموافق ١٠ رمضان ١٤١٤هـ ــ ٢٠ فبراير ١٩٩٤) .

شيخ الأزهر الشريف
يناشد المنظمات الدولية مناصرة شعب البوسنه والهرسك

ناشد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر المنظمات الدولية وكافة هيئات الإغاثة أن ترعى حقوق الإنسان فى البوسنة والهرسك، وأن تعمل على دفع العدوان ووقف حرب الإبادة الموجهة إلى المسلمين بوصفه عملا إنسانيا وسعياً إلى الوحدة الإنسانية بدلا من العرقية والاقليمية مشيراً إلى أن على العالم الإسلامى بصفة خاصة أن يقوم بواجب الاخوة الإسلامية مع المسلمين فى البوسنة والهرسك بامدادهم وإغاثتهم بما يحتاجون إليه ودعم موقفهم فى الدفاع عن أرضهم وعرضهم .

وناشد فضيلته العالم بأسره أن يعمل على وقف تلك المذبحة البشعة وأهاب فضيلته بشباب البوسنة والهرسك أن يصمدوا فى وجه الأعداء، وأن يدافعوا عن الوطن وعن العرض حتى يأتى الفرج القريب إن شاء الله « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » .

كما ناشدهم فضيلته أن يوحدوا صفوفهم ويصبروا على هذه المحنة، وأن يلزموا بأحكام الإسلام حتى يتحق النصر إن شاء الله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

السلام السراب يذبح فجر منتصف رمضان

وصفت معظم الصحف العربية والأجنبية التى صدرت صباح السبت ١٦ من رمضان بعد يوم واحد من ارتكاب المذبحة الفظيعة التى قام بها المستوطن الإسرائيلى باروخ جولدن اشتاين وراح ضحيتها عشرات المصلين وهم سجود فى مدينة خليل الرحمن فى المسجد الإبراهيمى بالضفة الغربية المحتلة فجر الجمعة .

وقد أكدت صحيفة فايننشيال تايمز أن المستوطن المتطرف من أتباع مائير كاهانا . وجاء فى افتتاحية التايمز : أن الحاجة إلى تطبيق السلام أكثر إلحاحا وأنه يجب أخذ أمن المواطنين العزل فى الحسبان ، ومن ثم يجب إعداد الرأى العام الإسرائيلى لليوم الذى توهمت فيه الصحيفة أن يغادر معظم المستوطنين معظم المستوطنات . وتعتقد صحيفة أخرى أن أكبر عقبة فى طريق السلام هى المستوطنون اليهود البالغ عددهم مائة وستين ألفاً ، والذين تكتظ بهم الضفة الغربية المحتلة .

القاهرة

أناب الرئيس حسنى مبارك السيد عمر عبدالآخر محافظ القاهرة لحضور الاحتفال بغزوة بدر الكبرى الذى أقامته وزارة الأوقاف مساء السبت ١٦ رمضان ١٤١٤ هـ بساحة المسجد الحسينى بالقاهرة ، حيث حضر الاحتفال وزير الأوقاف وكبار رجال الدعوة الإسلامية وسفراء الدول الإسلامية المعتمدون ، كما احتفل نادى القصير بالقاهرة بالاشتراك مع نادى الخارجية المصرية للأنشطة الثقافية بذكرى غزوة بدر الكبرى فى الثامنة والنصف من مساء الأحد ١٧ رمضان وهو تاريخ الانتصار الكبير ، وتم الاحتفال فى مقر معهد الدراسات الدبلوماسية بالقاهرة

حيث ألقيت فى الحفل بعض القصائد ألقاها نخبة من الشعراء الإسلاميين تخليداً لهذا اليوم العظيم .

الأزهر

أقيم الخميس ١٤ رمضان فى مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر حفل لتوزيع جوائز المسابقة السنوية الثقافية لمؤسسة (اقرأ) الخيرية وحضر الحفل الدكتور عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والشيخ صالح كامل رئيس مؤسسة (اقرأ) الخيرية ولفيف من الشخصيات البارزة .

من أخبار الحج

قررت القنصليات السعودية الثلاث بالقاهرة والإسكندرية والسويس فتح أبوابها اعتباراً من ٢٧ مارس المقبل لمنح تأشيرات الحج للحجاج المصريين هذا العام ، والذين وصل عددهم إلى ستين ألفاً . كما تقرر استقبال جميع جوازات السفر سواء بالقرعة أو السياحة أو الشئون الاجتماعية عن طريق مندوب وزارة الداخلية فقط . هذا وقد حددت وزارة السياحة ضوابط الحج بحيث يكون الحج بكل خطواته وإجراءاته مسئولية كل شركة على حدة . ولا يصرح لأكثر من شركة بالاشتراك فى حصة واحدة .

حول شخصية المسلم المفترى عليه

أقامت رابطة التربية الحديثة بالقاهرة ندوة دينية مساء الجمعة منتصف رمضان تحدث فيها الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية عن شخصية المسلم فى مواجهة تحديات الحاضر ومتغيرات المستقبل وأدار الحوار الدكتور حامد زهران عميد كلية التربية بجامعة عين شمس . وتأتى الندوة فى إطار تصحيح الصورة التى تحاول مسلسلات التليفزيون تشويهها بشتى الدعاوى والافتراءات الباطلة التى لا تستند إلى علم أو دين .

السـعودية

تنظم وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية الملتقى الأول للأئمة والخطباء فى الفترة من ١٤ إلى ١٨ شوال القادم .

وقال وزير الشئون الإسلامية السعودى : إن الملتقى سيكون أكبر ملتقى إسلامى للدعوة الإسلامية يتميز بالصبغة العلمية والبحثية التى توفر للمشاركين بحوثاً حول رسالة المسجد فى المجتمع وأثر الخطبة فى تنوير الناس وتوجيههم للتفقه فى الدين والعمل بشرائعه ويشارك فى الملتقى المزمع عدد كبير من العلماء والأئمة والخطباء والشخصيات العلمية .

الربـاط

يُعقد فى الرباط فى ٢٢ من شوال القادم المؤتمر العالمى الخامس لوزراء الشئون الإسلامية والأوقاف بمختلف الدول الإسلامية ، ويشارك فيه وفود من مختلف أنحاء العالم الإسلامى وذلك لبحث العديد من القضايا الإسلامية وتبادل وجهات النظر حول أفضل السبل تحقيقاً للتعاون بين الدول الإسلامية فى الشئون الدينية والثقافية .

Le prophète (salut et bénédiction sur lui) a dit à Abou Bakr : « Tu étais mon compagnon dans la caverne, et tu seras mon compagnon près du bassin (le jour de la résurrection).

Abou Bakr eut pour enfants : Abdallah, Asmaà, Abdel Rahmâne, Aîcha (épouse du prophète) (salut et bénédiction sur lui), Mohamad et une fille posthume que Aïcha nomma Om-Kolthoum. Malgré sa grande famille, il dépensa toute sa fortune au service de l'Islam. Il racheta les Musulmans qui étaient torturés pour s'être convertis à l'Islam, prépara les expéditions et fit preuve de grands sacrifices pour la cause d'Allah, si bien que plusieurs versets ont été révélés à son sujet et que le prophète (salut et bénédiction sur lui) a dit : "toute personne qui m'a prêté main forte, j'ai pu l'en récompenser à l'exception d'Abou Bakr; il a en envers moi tant de bienfaits, que Seul Allah saura l'en récompenser au Jour du Jugement Dernier, et, en vérité il n'y a pas d'argent qui m'ait été aussi utile, comme l'a été l'argent d'Abou-Bakr.

Abou-Bakr était aussi parmi les compagnons les plus versés dans la science du Coran et le plus pieux à tel point que le Messager d'Allah l'a désigné pour diriger la prière à sa place. On rapporté aussi qu'Abou-Bakr faisait partie des compagnons qui avaient mémorisé la totalité du Coran.

En plus il était un des plus savants dans le domaine de la tradition du Prophète (salut et bénédiction sur lui). Mais si nous n'avons pas beaucoup de Hadiths rapportés par lui, c'est qu'il n'a pas vécu longtemps après le prophète et que les charges de l'état qui lui ont été confiées ne lui ont pas laissé assez de temps pour l'enseignement et la transmission de la tradition. Après la mort du Prophète, toute la communauté était unanime à l'accession d'Abou-Bakr au califat. Nommé prince des croyants, Abou-Bakr expédia une armée pour punir les tribus arabes pour le soutien qu'elles avaient apporté aux Byzantins contre les Musulmans; il dirigea également des guerres contre les apostats et d'autres pour propager le message de l'Islam. Le califat d'Abou Bakr As-Siddiq dura deux ans, trois mois et huit jours. A sa mort, il fut enterré à côté du messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui).

Qu'Allah comble de Sa miséricorde le Calife Abou Bakr pour sa sincérité vis-à-vis de la communauté et qu'il soit récompensé pour son bon conseil et pour sa générosité envers les Musulmans.

Hoda Hussein Cha'raoui

*

Les mérites des compagnons du prophète (salut et bénédiction sur lui)

par Mme Hoda Hussein Cha'raoui

La place qu'occupent les compagnons du prophète (salut et bénédiction sur lui) dans l'histoire de l'Islam, ainsi que dans la transmission des enseignements du messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui) est la plus haute importance. Allah les a élus pour qu'ils soient les gardiens vigilants du dernier message envoyé à l'humanité. Il les a façonné de sorte qu'ils soient dignes de fonder la meilleure communauté que l'humanité ait connue. Le prophète (salut et bénédiction sur lui) a prévenu contre leur attaque ou leur diffamation.

Anas Ebn Malik a raconté que certains compagnons s'étant plaints au prophète (salut et bénédiction sur lui) des insultes et des calomnies dont ils étaient victimes. Le prophète (salut et bénédiction sur lui) s'écria : « que la malédiction d'Allah, des anges et de tous les hommes soit sur celui qui insulte mes compagnons ».

Si l'on cherche aujourd'hui à prendre quelqu'un pour modèle, on doit se conformer au comportement des compagnons du prophète (salut et bénédiction sur lui) Ils étaient les gens les plus pieux de cette communauté, les plus savants, les moins prétentieux et ceux dont la ligne de conduite était la meilleure; enfin ils étaient les plus clairvoyants. C'étaient des gens choisis par Allah pour être les compagnons de Son messager et pour consolider Sa religion. Il nous faut donc reconnaître leur valeur et leur mérite, suivre leur voie, essayer de les imiter et de mieux connaître leur vie.

Abou Bakr "As-Siddiq"

Le défenseur des assises de l'état. Abou Bakr est né deux ou trois ans après l'année de l'éléphant dans une famille appartenant à la tribu de Qoraîch. Toute la communauté est unanime à reconnaître que l'appellation d'As-Siddiq lui avait été donnée parce qu'il était le premier à accorder foi au message du prophète (salut et bénédiction sur lui), sans jamais avoir douté de lui et sans que sa foi ait jamais fléchi, depuis son adhésion à l'Islam. On rappelle ses prises de positions remarquables; il n'a jamais remis en cause les dires du messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui). Ceci fut surtout évident à l'occasion de l'évènement du Voyage Nocturne et de l'Ascension (Al Isrâ et Al Mi'rag).

Abou Bakr fut également le compagnon du prophète dans la caverne. Allah a dit : « Si vous ne secourez pas le prophète, Allah l'a déjà secouru, lorsque les incrédules l'ont expulsé, lui le deuxième des deux, le jour où tous deux se trouvèrent dans la caverne et qu'il dit à son compagnon: "Ne t'afflige pas Allah est avec nous."Sourate IX le sens du verset 40.

la mosquée. Toutefois, l'imam, peut venir en retard pour laisser le temps aux fidèles d'arriver à la mosquée. Aussitôt que l'Imam arrive il doit commencer la prière.

Le fidèle doit-si possible — se rendre à pied à la mosquée et commencer le takbir en sortant de chez lui et jusqu' au commencement de la prière. De même l'imam doit prononcer le takbir jusqu'au moment où il prend sa place sur le mihrâb.

La formule du takbir est la suivante :

"Allahou Akbar (3 fois); il n'y a d'autre divinité qu'Allah. Allahou Akbar (2 fois). Louange à Allah, Allahou Akbar, qu'on Lui rende grâce en tout état de cause. Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah, l'Unique. Il a tenu Sa promesse et a assuré la victoire à Son serviteur, et Il a vaincu, lui seul, les factions coalisées.

Il n'y a point d'autre divinité qu'Allah. Nous n'adorons que Lui, fidèles à Sa religion, même si cela déplaît aux mécréants.

Seigneur, accorde Ta bénédiction et Ton salut à Mohammad Prophète d'Allah aussi qu'à sa famille, à ses compagnons, aux musulmans, aux épouses de Mohammad et à ses descendants."

Il est recommandé que celui qui a accompli la prière de la Fête à la mosquée emprunte à son retour un chemin différent de celui de l'aller.

Enfin il est recommandé de distribuer l'amumône aux pauvres et d'échanger les voeux avec les autres musulmans.

Le Sermon de la Fête
(Khotbat Al 'Id)

La Khotba (le sermon) est prononcée — selon la tradition après la Prière de la Fête (Salat Al'Id).

L'imam ne doit point s'assoir après la Prière avant de prononcer le premier sermon.

Il commence le premier sermon en répétant neuf fois "Allahou Akbar", puis il demande que la bénédiction et le salut d'Allah soient accordés à Mohammad (b.s.). Ensuite l'Imam recommande aux fidèles de craindre Allah en toutes leurs actions. L'Imam récite alors un verset du Coran renfermant une idée complète par lui-même et commente les enseignements qu'il renferme.

L'imam peut alors s'asseoir avant de prononcer le second sermon qui est semblable au premier, mais que l'imam doit terminer par des invocations en faveur des musulmans.

Ce sermon obéit aux mêmes conditions de validité que le sermon du vendredi et le choix de l'imam obéit aux mêmes conditions de l'Imamat.

Rappelons enfin que l'on doit s'acquilter de l'aumône de la rupture du jêune (Zakat Al Fitr) avant de faire la Prière de la Fête (Salat Al 'Id).

Rokeya GABR

La prière de la fête (Salat Al'ID)

par Dr. Rokeya Gabr

La prière des deux fêtes, 'Id Al-Fitr et 'Id Al-Adha est une Sunna assurée et il incombe à tout musulman capable de faire la prière à la mosquée, de l'accomplir en assemblée. Cette prière, composée de deux Rak'as a été prescrite à la communauté musulmane en l'an I de l'Hégire.

La prière de la fête s'accomplit dans la mosquée où a lieu la prière du vendredi.

L'heure fixée pour cette prière est marquée par la montée du soleil dans le ciel de la hauteur d'une lance. Celui qui manque à cette prière en commun peut la faire isolément. Il suffit d'un seul fidèle avec l'Imam pour considérer que cette prière est faite en assemblée. La prière de la fête obéit aux mêmes conditions d'obligation et de validité que la prière du vendredi, mais elle ne comporte ni Appel ni Iqama : on y convie les gens en annonçant à haute voix : "As-salat gamma'a (la prière en assemblée). Cette prière n'est ni précédée ni suivie d'aucune prière surérogatoire.

Comment accomplir Salat Al'Id :

On commence par formuler l'intention d'accomplir la prière de 'Id Al-Fitr.

L'imam préside à la prière et commence par répéter sept fois "Allahou Akbar" sans compter le takbir qui marque le début de la prière) avant de réciter à haute voix les versets coraniques de la première rak'a. Les fidèles répètent également sept fois le takbir après l'Imam.

Au commencement de la deuxième rak'a, l'Imam et les fidèles après lui — répète cinq fois "Allahou Akbar" (sans compter le takbir qu'il prononce en se relevant) tout en levant les bras à la hauteur des épaules, les paumes ouvertes et le pouce touchant le lobe de l'oreille; puis il récite la Fatiha et une sourate et termine sa prière.

Au cas où le fidèle oublie les takbirs avant la récitation coranique, il doit continuer sans avoir besoin de recommencer sa prière. En cas de doute sur le nombre de takbirs, on doit compter à partir du nombre dont on est le plus sûr. Si l'on omet un des gestes, on n'a pas besoin d'accomplir une prosternation de distraction. Il est recommandé de faire confiance à l'imam pour le nombre de takbirs.

Quelques pratiques à observer :

Il est recommandé de multiplier les formules de glorification d'Allah à la veille de la fête, de réciter le coran, de faire des prières et des invocations. Le Prophète (b.s.) a dit : "Quinconque glorifie Allah à la veille des deux fêtes, son coeur continuera à battre le jour où tous les coeurs seront morts."

Il est souhaitable de se laver, de se parfumer (uniquement les hommes) et de porter ses meilleurs vêtements pour se rendre à la mosquée.

Il est préférable de prendre le petit déjeuner avant de se rendre à la mosquée.

Il est recommandé de sortir directement après la prière de l'aube pour se rendre à

Le Prophète (salut et bénédiction sur lui) a dit : "les droits d'un musulman envers son frère musulman sont six. Si tu le rencontres, salue-le, s'il t'appelle réponds-lui, s'il éternue et loue Allah, invoque pour lui la miséricorde d'Allah, s'il tombe malade rends-lui visite; enfin s'il meurt, suis son cortège funéraire." Hadith rapporté par Moslem. Le Messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui) a dit également : «le musulman est la personne qui contrôle sa langue et ses mains et le croyant est la personne à qui les autres confient leur famille et leurs biens.»

Examinons la parole divine dans le verset 41 de la sourate «La Romains.»

La corruption est apparue sur terre et sur la mer par suite des actes accomplis par les mains des hommes afin qu'Allah leur fasse goûter une partie de ce qu'ils ont fait. Peut-être reviendront-ils.

En effet, le mal a lieu quand l'être humain désobéit à Allah ou encore quand il opprime les autres; alors ses actions le mènent à un destin périlleux.

Ainsi dans le verset 42 de la sourate "Ibrahim", on trouve :

Ne pense pas qu'Allah soit inattentif aux actions des injustes. Il leur accorde un délai jusqu'au jour où leurs yeux se fixeront d'horreur.

L'appui accordé à autrui c'est le fait de soutenir les autres, de les protéger contre les ennemis et contre ceux qui usurpent leurs droits. Examinons la parole divine dans le verset 71 de la Sourate "L'Immunité" :

Les croyants et les croyantes sont amis les uns des autres. Ils ordonnent ce qui est convenable, ils interdisent ce qui est blâmable; ils s'acquittent de la prière, ils font l'aumône et ils obéissent à Allah et à Son Prophète.

Le prophète (salut et bénédiction sur lui a dit "L'affection, la clémence entre les croyants sont comme les parties d'un corps. Lorsqu'un organe souffre, tous les autres organes souffrent également" Hadith rapporté par Moslem et Ahmad.

Dans un autre Hadith il dit :

"Soutiens ton frère qu'il soit injuste ou juste" on demande alors au prophète (salut et bénédiction sur lui) "Comment le soutenir lorsqu'il est injuste?" Il répondit : "en l'empêchant de commettre une injustice; car cela est un soutien pour lui" Hadith rapporté par Al Bokhary Al Termézei et Ahmad.

L'Islam recommande également la clémence. Le musulman doit dissiper les malheurs des autres, les apaiser les consoler. Le messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui) a mentionné cela dans ce Hadith : "Celui qui compâtit aux malheurs de son frère, reçoit la grâce d'Allah".

Rawya Ahmad Soltan

REVUE AL-AZHAR

Vol. 66 Part X

Shawal, 1414 Higrah — March, 1994

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur adjoint au Département de Langue Française et de Traduction

M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

L'Islam est la Religion de la Fraternité

par Mme Rawya Ahmad Soltan

Selon Ebn Omar (qu'Allah soit satisfait de lui), le Messager d'Allah (salut et bénédiction sur lui) à dit :

"Le Musulman est un frère pour le Musulman, il ne l'opprime ni le laisse en proie à l'oppression. Quiconque aide son frère, Allah l'aidera. Celui qui dissipe un des tourments du musulman en ce monde, Allah dissipera pour lui un des tourments du jour de la Résurrection. Celui qui protège un musulman, Allah le protègera le jour de la Résurrection."

Explication du Hadith :

La Fraternité en Islam est fondée sur trois piliers principaux : la justice, l'entr'aide et la miséricorde.

Nous devons respecter les droits d'autrui, préserver son honneur, bien le traiter, le respecter et ne pas le trahir.

clearly addresses an audience which is the same as the absent persons of the first sentence. Zamakshari notices particularly the effect of the "iltifat" shift from the third person to second person between قَالُواْ and جِئْتُمْ. He states taht this is more effective in indicating the boldness of the polytheists and calling attention to the weight of their allegations. The translators render the verse as follows :

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا

Pickthall : And they say : The Beneficent hath taken unto himself a son. Assuredly ye uter a disastrous thing.

Y. Ali : They say : "(God) Most Gracious has begotten a son!" Indeed ye have put forth a thing most monstrous.

Arberry : And they say, "The All-Merciful has taken unto Himslef a son." You have indeed advanced something hideous !

Asad : As it is, some assert, "The Most Gracious has taken unto Himself a son!" Indeed (by this assertion) you have brought forth something monstrous.

Khatib : And they say, "The Most Benignant has begotten a son." Truly you have done a thing of heinous abomination.

The translators, except Pickthall, inappropriately use quotation marks in the first sentence (verse) thus treating the second verse as an immediate reply to their claim in th first verse, which result in a loss of the communicative effect. Pickthall's translation, however, is closer to the original in that he avoids using quotation marks and hence treats the second verse as more of a comment on their claim without any specific time reference. He seems also to increase the number of persons involved, contrary to Asad's use of "some," hence making the first vers quoted by a narrator, the second a direct speech reply. From the above discussion we find that Pickthall's translation is more communicatively effective than the other renderings.

To be continued

meaning of an instance of ellipsis in English without a gloss or footnote. The source text's brevity, succinctness, and something of the rhetorical efficitveness would definitely be lost.

b) Metaphor

The function of metaphor ranges from expressing meaning literally (searle 1979) to a drive towards renewal in language to understanding the less concrete in terms of more concrete, i.e. interms of experiences directly emergent from our physical experience. Metaphors are used to make strong impact, the more appropriate and original the metaphor, the more powerful will be its impact. The metaphor,

إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا

in Surah 'Maryam' is a true representation of the nature and vehemence of feeling which has produced it. The translators render the metaphor وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا as follows :

Pickthall : and my head is shining with grey hair,

Y. Ali : and the hair of my head doth glisten with grey'

Arberry : and my need is all aflame with hoariness.

Asad : and my head glistens withgrey hair.

Khatib : and the head a fire with hoariness.

Arberry and Khatib in transıating the metaphor renders ٱشْتَعَلَ as "a flame" and "a fire", two dynamic words which might appear to some TL readers exaggerated and deviant. The other translators on the other hand, communicatively render the metaphor using words as "glisten" and "shine" for ٱشْتَعَلَ , and "grey hair" for شَيْبًا which tore the effect of the metaphor. As far as the communicative effect is concerned, we find that Khatib and Arberyry attempt to produce the same effect on the TL reader as the original, by conveying the underlying thoughts as well as the words of the original. The other translators, however, are more concerned with the message, not the effect, and thus their translations are rather stylistically rentral.

c) "Iltifat"

"Iltifat" consists of the use of differing pronominal terms torefer to the same person in reality. This relatively free changing in Arabic from one pronominal term to another, while still intending the same referent, pose some difficulty to translators of the Quran especially if Arabic is not their native tongue. This feature is used for emphasis or to bring something to the immediate attention of the hearers or readers. In the "Iltifat" in verses (88-89) of Surah "Maryam" وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا we have a shift of attention from third person plural to second person plural, having in it also an implied second person plural audience. While the first sentence of the reported speech refers to persons not present the second

A Comparative Study of the English Translations of the Meanings of Surah Maryam

Part IIIB

By Mona Abdel Ghaffar Salem M.A.

THE STYLISTIC MISMATCHES

The earliest unquestionably authentic stylistic evidence is the Quran, which is the sublime model of perfect eloquence and highly elevated language. As a sacred book, revealed by Allah the authority of the Quran is unshakable and its impact can be felt when the whole Arabic language has been brought under the sway of Quranic vocabulary, structures and rhetoric.

Most of the rhetorical devices of the Quran can not be transferred into English yet retaining the same communicative effect. This fact is due to the unique nature of the rhetorical devices used in the Quran, as well as the mismatch between the structures of the SL and TL. The rhetorical devices that will be dealt with in this part are : Ellipsis, Metaphor, and "Iltfiat."

a) Ellipsis

One of the rhetorical devices which is important in the Quran and most likely to cause difficulty to the translators is Ellipsis (ijaz al - hadhf), of which several types appear in the Quran. In the following verse of Surah "Maryam".

(Verse 2) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ

Five nouns are interlinked by genitive and accusative relations to produce a succinct expression. Such succinctness cannot be mirroved in English, a positional language which requires explicit syntactic relationships indicated through lexical items. The three translations presented below are among the briefest :

Pickthall : A mention of the mercy of the lord unto His servant Zachariah.

Arberry : Then mention of the lord's mercy unto His servant Zachariah.

Khattib : A mention of your Lord's mercy to His servant Zachariah.

It is noticed that a major difference between English and Arabic is that in certain areas of meaning, English requires more explicit relations between items, i.e. it requires a verb on verb-like words to specify the nature of the utternace. Otherwise, the resulting translation in English is ungrammatical as well as incomprehensible. The power of the elliptical structures, which are among the most effective in the Quran, lies in the deletion of certain grammatical items, leaving the meaning intact. However, translations which attempt a very close formal equivalence with the source text, though brief, are not very accurate in meaning. It is impossible to convey in full the

neers and as scientists. They contribute to our economic well-being as a country, and add to the cultural richness of our nation. Of course, tolerance and understanding must be two-way. For those of us who are not Muslim, that may mean respect for the daily practice of the Islamic faith and a decent care to avoid actions which are likely to cause deep offence. For the Muslims in our society, there is the need to respect the history, culture and way of life of our country, and to balance their vital liberty to be themselves with an appreciation of the importance of integration in our society. Where there are failings of understanding and tolerance, we have a need, on our own doorstep, for greater reconciliation among our own citizens. I hope we shall all learn to demonstrate this as understanding between these communities grows. I can only admire, and applaud, those men and women of so many denominations who work tirelessly, in London, South Wales, the Midlands and elsewhere, to promote good community relations. The Centre for the Study of Islam and Christian-Muslim Relations in Birmingham is one especially notable and successful example. We should be grateful, I believe, for the dedication and example of all those who have devoted themselves to the cause of promoting understanding.

Ladies and getnlemen, if, in the last half hour your eyes have wandered up to the marvellous allegory of Truth descending on the arts and sciences in Sir Robert Streeter's ceiling above you, I am sure you will have noticed Ignorance being violently banished from the arena — just there in front of the organ casing. I feel some sympathy for Ignorance, and hope I may be permitted to vacate this theatre in a somewhat better condition. Before I go, I cannot put to you strongly enough the importance of the issues which I have tried to touch on so imperfectly this morning. These two worlds, the Islamic and the Western, are at something of a crossroads in their relations. We must not let them stand apart. I do not accept the argument that they are on course to clash in a new era of antagonism. I am utterly convinced that our two worlds have much to offer each other. We have much to do together. I am delighted that the dialogue has begun, both in Britain and elswhere. But we shall need to work harder to understand each other, to drain out any poison between us, and to lay the ghost of suspicion and fear. The further down that road we can travel, the better the world that we shall create for our children and for future generations.

*

grandparents. The world economy funtions as an inter-dependent entity. Problems of society, the quality of life and the environment, are global in their causes and effects, and none of us any longer has the luxury of being able to solve them on our own. The Islamic and Western worlds share problems common to us all : how we adapt to change in our societies, how we help young people who feel alienated from their parents or their society's values, how we deal with Aids, drugs, and the disintegration of the family. Of course, these problems vary in nature and intensity between societies. The problems of our own inner cities are not identical to those of Cairo or Damascus. But the similarity of human experience is considerable. The international trade in hard drugs is one example; the damage we are collectively doing to our environment is another. We have to solve these threats to our communities and our lives together. Simply getting to know each other can achieve wonders. I remember vividly, for instance, taking a group of Muslims and non-Muslims some years ago to see the work of the Marylebone Health Centre in London, of which I am Patron. The enthusiasm and common determination that shared experience generated was immensely heart-warming. Ladies and gentlemen, somehow we have to learn to understand each other, and to educate our children — a new generation, whose attitudes and cultural outlook may be different from ours — so that they understand too. We have to show trust, mutual respect and tolerance, if we are to find the common ground between us and work together to find solutions. The community enterprise approach of my own Trust, and the very successful Volunteers Scheme it has run for some years, show how much can be achieved by a common effort which spans classes, cultures and religions. The Islamic and Western world can no longer afford to stand apart from a common effort to solve their common problems. One excellent example of our two cultures working together in a common cause is the way in which the Kingdom of Saudi Arabia is working with Oxford University to set up a research centre into Schizophrenia for an organization called SANE, of which I am Patron. Nor can we afford to revive the territorial and political confrontations of the past. We have to share experiences, to explain ourselves to each other, to understand and tolerate — and I know how difficult these things are — and build on those positive principles which our two cultures have in common. That trade has to be two-way. Each of us needs to understand the importance of conciliation, of reflection — TADABBUR is the word, I believe — to open our minds and unlock our hearts to each other. I am utterly convinced that the Islamic and the Western worlds have much to learn from each other. Just as the oil engineer in the Gulf may be European, so the heart transplant surgeon in Britain may be Egyptian.

If this need for tolerance and exchange is true internationally, it applies with special force within Britain itself. Britain is a multi-racial and multi-cultural society. I have already mentioned the size of our own Muslim communities who live throughout Britain, both in large towns like Bradford and in tiny communities in places as remote as Stornaway in Western Scotland. These people, ladies and gentlemen, are an asset to Britain. They contribute to all parts of our economy — to industry, the public services, the professions and the private sector. We find them as teachers, as doctors, as engi-

tion which we all too often think of, wrongly, as entirely Western. Islam is part of our past and our present, in all fields of human endeavour. It has helped to create modern Europe. It is part of our own inheritance, not a thing apart.

More than this, Islam can teach us today a way of understanding and living in the world which Christianity itself is the poorer for having lost. At the heart of Islam is its preservation of an integral view of the Universe. Islam — like Buddhism and Hinduism — refuses to separate man and nature, religion and science, mind and matter, and has preserved a metaphysical and unified view of ourselves and the world around us. At the core of Christianity there still lies an integral view of the sanctity of the world, and a clear sense of the trusteeship and responsibility given to us for our natural surroundings. In the words of that marvellous seventeenth century poet and hymn writer, George Herbert :

"A man that looks on glass,
On it may stay his eye;
Or if he pleaseth, through it pass,
And then the heaven espy."

But the West gradually lost this integrated vision of the world with Copernicus and Descartes and the coming of the scientific revolution. A comprehensive philosophy of nature is no longer part of our everyday beliefs. I cannot help feeling that, it we could now only rediscover that earlier, all-embracing approach to the world around us, to see and understand its deeper meaning, we could being to get away from the increasing tendency in the West to live on the surface of our surroundings, where we study our world in order to manipulate and dominate it, turning harmony and beauty into disequilibrium and chaos. It is a sad fact, I believe, that in so many ways the external world we have created in the last few hundred years has come to reflect our own divided and confused inner state. Western civilisation has become increasingly acquisitive and exploitative in defiance of our environmental responsibilities. This crucial sense of oneness and trusteeship of the vital sacramental and spiritual character of the world about us is surely something important we can relearn from Islam. I am quite sure some will instantly accuse me, as they usually do, of living in the past, of refusing to come to terms with reality and modern life. On the contrary, ladies and gentlemen, what I am appealing for is a wider, deeper, more careful understanding of our world: for a metaphysical as well as material dimension to our lives, in order to recover the balance we have abandoned, the absence of which, I believe, will prove disastrous in the long term. If the ways of thought found in Islam and other religions can help us in that search, then there are things for us to learn from this system of belief which I suggest we ignore at our peril.

Islamic and western world must not stand apart :

Ladies and gentlemen, we live today in one world, forged by instant communications, by television, by the exchange of information on a scale undreamed of by our

and the terrible violence of a small minority among them — like the men in Cairo yesterday — which civilized people everywhere must condemn.

Islam helped create modern europe :

Chancellor, ladies and gentlemen, there is much misunderstanding in the West about the nature of Islam, there is also much ignorance about the debt our own culture and civilisation owe to the Islamic world. It is a failure which stems, I think, from the straightjacket of history which we have inherited. The mediaeval Islamic world, from Central Asia to the shores of the Atlantic, was a world where scholars and men of learning flourished. But because we have tended to see Islam as the enemy of the West, as an alien culture, society and system of belief, we have tended to ignore or erase its great relevance to tour own history. For example, we have underestimated the importance of 800 years of Islamic society and culture in Spain to the 8th and 15th centuries. The contribution of Muslim Spain to the preservation of classical learning during the Dark Ages, and to the first flowerings of the Renaissance, has long been recognised. But Islamic Spain was much more than a mere larder where hellenistic knowledge was kept for later consumption by the emerging modern Western world. Not only did Muslim Spain gather and preserve the intellectual content of ancient Greek and Roman civilisation, it also interpreted and expanded upon that civilisation, and made a vital contribution of its own in so many fields of human endeavour — in science, astronomy, mathematics, algebra (itself an Arabic word), law, history, medicine, pharmacology, optics, agriculture, architecture, theology, music. Averroes and Avenzoor, like their counterparts Avicenna and Rhazes in the East, contributed to the study and practice of medicine in ways from which Europe benefitted for centuries afterwards.

Islam nurtured and preserved the quest for learning. In the words of the tradition, "the ink of the scholar is more sacred then the blood of the martyr". Cordoba in the 10th century was by far the most civilised city of Europe. We know of lending libraries in Spain at the time King Alfred was making terrible blunders with the culinary arts in this country. It is said that the 400,000 volumes in its ruler's library amounted to more books than all the libraries of the rest of Europe put together. That was made possible because the Muslims world acquired from China the skill of making paper more than four hundred years before the rest of non-Muslim Europe. Many of the traits on which modern Europe itself came to it from Muslim Spain. Diplomacy, free trade, open borders, the techniques of academic research, of anthropology, etiquette, fashion, various types of medicine, hospitals, all came from this great city of cities. Mediaeval Islam was a religion of remarkable tolerance for its time, allowing Jews and Christians the right to practise their inherited beliefs, and setting an example which was not, unfortunately, copied for many centuries in the West. The surprise, ladies and gentlemen, is the extent to which Islam has been a part of Europe for so long, first in Spain, then in the Balkans, and the extent to which it has contributed so much towards the civilisa-

Islamic countries. We cannot judge the position of women in Islam aright if we take the most conservative Islamic states as representative of the whole. For example, the veiling of women is not at all universal across the Islamic world. Indeed, I was intrigued to learn that the custom of wearing the veil owed much to Byzantine and Sassanian traditions, nothing to the Prophet of Islam. Some Muslim women never adopted the veil, others have discarded it, others — particularly the younger generation — have more recently chosen to wear the veil or the headscarf as a personal statement of their Muslim identity. But we should not confuse the modesty of dress prescribed by the Qur'an for men as well as women with the outward forms of secular custom or social status which have their origins elsewhere.

The West's need to understand Islamic views :

We in the West need also to understand the Islamic world's view of us. There is nothing to be gained, and much harm to be done, by refusing to comprehend the extent to which many people in the Islamic world genuinely fear our own Western materialism and mass culture as a deadly challenge to their Islamic culture and way of life. Some of us may think the material trappings of Western society which we have exported to the Islamic world television, fast-food, and the electronic gadgets of our everyday lives — are a modernishing, self-evidently good, influence. But we fall into the trap of dreadful arrogance if we confuse "modernity" in other countries with their becoming more like us. The fact is that our form of materialism can be offensive to devout Muslims — and I do not just mean the extremists among them. We must understand that reaction, just as the West's attitude to some of the more rigorous aspects of Islamic life needs to be understood in the Islamic world. This, I believe, would help us understand what we have commonly come to see as the threat of Islamic fundamentalism. We need to be careful to that emotive label. "fundamentalism", and distinguish, as Muslims do, between revivalists, who choose to take the practice of their religion most devoutly, and fanatics or extremists who use this devotion for political ends. Among the many religious, social and political causes of what we might more accurately call the Islamic revival is a powerful feeling of disenchantment, of the realisation that Western technology and material things are insufficient, and that a deeper meaning to life lies elsèwhere in the essence of Islamic beliefe.

At the same time, we must not be tempted to believe that extremism is in some way the hallmark and essence of the Muslim. Extremism is no more the monopoly of Islam than it is the monopoly of other religions. including Christramity. The vast majority of Muslims, though personally pious, are moderate in their politics. Theirs is the "religion of the middle way". The Prophet himself always disliked and feared extremism. Perhaps the fear of Islamic revivalism which coloured the 1980's is now beginning to give way in the West to an understanding of the genuine spiritual forces behind this groundswell. But if we are to understand this important movement, we must learn to distinguish clearly between what the vast majority of Muslims believe

through Europe's rulers. The history of the Balkans under Ottoman rule provided examples of cruelty which sank deep into Western feelings. But the threat has not been one way. With Napoleon's invasion of Egypt in 1798, followed by the invasions and conquests of the 19th century, the pendulum swung, and almost all the Arab world became occupied by the Western powers. With the fall of the Ottoman Empire, Europe's triumph over Islam seemed complete. Those days of conquest are over. But even now our common attitude to Islam suffers because the way we understand it has been hijacked by the extreme and the superficial. To many of us in the West, Islam is seen in terms of the tragic civil war in Lebanon, the killings and bombing perpetrated by extremist groups in the Middle East, and by what is commonly referred to as "Islamic fundamentalism". Our judgement of Islam has been grossly distorted by taking the extremes to be the norm. That, ladies and gentlemen, is a serious mistake. It is like judging the quality of life in Britain by the existence of murder and rape, child abuse and drug addiction. The extremes exist, and they must be dealt with. But when used as a basis to judge a society, they lead to distortion and unfairness.

For example, people in this country frequently argue that the Sharia law of the Islamic world is cruel, barbaric and unjust. Our newspapers, above all love to peddle those unthinking prejudices. The truth is of course different and always more complex. My own understanding is that extremes are rarely practised. The guiding principle and spirit of Islamic law, taken straight from the Qur'an, should be those of equity and compassion. We need to study its actual application before we make judgements. We must distinguish between systems of justice administered with integrity, and systems of justice as we may see them practised which have been deformed for political reasons into something no longer Islamic. We must bear in mind the sharp debate taking place in the Islamic world itself about the extent of the universality or timelessness of Sharia law, and the degree to which the application of that law is continually changing and evolving.

We should also distinguish Islam from the customs of some Islamic states. Another obvious Western prejudice is to judge the position of women in Islamic society by the extreme cases. Yet Islam is not a monolith and the picture is not simple. Remember, if you will, that Islamic countries like Turkey, Egypt and Syria gave women the vote as early as Europe did its women-and much earlier than in Switzerland. In those countries women have long enjoyed equal pay, and the opportunity to play a full working role in their societies. The rights of Muslim women to property and inheritance, to some protection if divorced, and to the conducting of business, were rights prescribed by the Qur'an fourteen hundred years ago, even if they were not everywhere translated into practice. In Britain at least, some of these rights were novel even to my grandmother's generation ! Benazir Bhutto and Begum Khaleda Zia became prime ministers in their own traditional societies when Britain had for the first time ever in its history elected a female prime minister. That, I think, does not necessarily smack of a mediaeval society. Women are not automatically second-class citizens because they live in

misunderstandings between Islam and the West continue. Indeed, they may be gro-
our two worlds retain of each other. Conflict, of course, comes about because of the misuse of power and the clash of ideals, not to mention the inflammatory activities of unscrupulous and bigoted leaders. But it also arises, tragically, from an inability to understand, and from the powerful emotions which, out of misunderstanding, lead to distrust and fear. Ladies and gentlemen, we must not slide into a new era of danger and division because governments and peoples, communities and religions, cannot live together in peace in a shrinking world.

It is odd, in many ways, that misunderstandings between Islam and the West should persist. For that which binds our two worlds together is so much more powerful than that which divides us. Muslims, Christians — and Jews — are all "peoples of the Book". Islam and Christianity share a common monotheistic vision; a belief in one divine God, in the transience of our earthly life, in our accountability for our actions, and in the assurance of life to come. We share many key values in common : respect for knowledge, for justice, compassion towards the poor and underprivileged, the importance of family life, respect for parents. "Honour thy father and thy mother" is a Quranic precept too. Our history has been closely bound up together. There, however, is one root of the problem. For much of that history has been one of conflict; fourteen centuries too often marked by mutual hostility. That has given rise to an enduring tradition of fear and distrust, because our two worlds have so often seen that past in contradictory ways. To Western school children, the two hundred years of the Crusades are traditionally seen as a series of heroic, chivalrous exploits in which the kings, knights, princes — and children — of Europe tried to wrest Jerusalem from the wicked Muslim infidel. To Muslims, the Crusades were an episode of great cruelty and terrible plunder, of Western infidel soldiers of fortune and horrific atrocities, perhaps exemplified best by the massacres committed by the Crusaders when, in 1099, they took back Jerusalem, the third holiest city in Islam. For us in the West, 1492 speaks of human endeavour and new horizons, of Columbus and the discovery of the Americas. To Muslims, 1492 is a year of tragedy — the year Granada fell to Ferdinand and Isabella, signifying the end of eight centuries of Muslim civilisation in Europe. The point, I think, is not that one or other picture is more true, or has a monopoly of truth. It is that misunderstandings arise when we fail to appreciate how others look at the world, its history, and our respective roles in it.

Islam in the West's Eye throughout history :

The corollary of how we in the West see our history has so often been to regard Islam as a threat — in mediaeval times as a military conqueror, and in more modern times as a source of intolerance, extremism and terrorism. One can understand how the taking of Constantinople, when it fell to Sultan Muhammad in 1453, and the close-run defeats of the Turks outside Vienna in 1529 and 1683, should have sent shivers of fear

New hope for joining forces of Islam and the West :

The depressing fact is that, despite the advances in technology and mass communications of the second half of the 20th Century, despite mass travel, the intermingling of races, the ever growing reduction — or so we believe — of the mysteries of our world, wing. As far as the West is concerned, this cannot be because of ignorance. There are one billion Muslims worldwide. Many millions of them live in countries of the Commonwealth. Ten million or more live in the West, and around one million here in Britain. Our own Islamic community has been growing and flourishing for decades. There are nearly 500 mosques in Britain. Popular interest in Islamic culture in Britain is growing fast. Many of you will recall — and I think some of you took part in — the wonderful Festival of Islam which Her Majesty The Queen opened in 1976. Islam is all around us. And yet distrust, even fear, persist. In the post-Cold War world of the 1990's, the prospects for peace should be greater than at any time in this century. In the Middle East, the remarkable and encouraging events of recent weeks have created new hope for an end to an issue which has divided the world and been so dramatic a source of violence and hatred. But the dangers have not disappeared. In the Muslim world, we are seeing the unique way of life of the Marsh Arabs of Southern Iraq, thousands of years old, being systematically devastated and destroyed. I confess that for a whole year I have wanted to find a suitable opportunity to express my despair and outrage at the unmentionable horrors being perpetrated in Southern Iraq. To me, the supreme and tragic irony of what has been happening to the Shia population of Iraq — especially in the ancient city and holy shrine of Kerbala — is that after the western allies took immense care to avoid bombing such holy places (and I remember begging General Schwarzkof when I met him in Riyadh in December 1990 before the actual war began to liberate Kuwait to do his best to protect such shrines during any conflict) it was Saddam Hussein himself, and his terrifying regime, who caused the destruction of some of Islam's holiest sites. And now we have had to witness the deliberate draining of the marshes and the near total destruction of a unique habitat, together with an entire population that has depended upon it since the dawn of human civilization. The international community has been told the draining of the marshes is for agricultural purposes. How many more obscene lies do we have to be told before action is actually taken ? Even at the eleventh hour it is still not too late to prevent a total cataclysm. I pray that this might at least be a cause in which Islam and the West could join forces for the sake of our common humanity.

I have highlighted this particular example because it is so avoidable. Elsewhere, the violence and hatred are more intractable and deep-seated, as we go on seeing every day to our horror in the wretched suffering of peoples across the world — in the former Yugoslavia, in Somalia, Angola, Sudan, in so many of the former Soviet Republics. In Yugoslavia the terrible sufferings of the Bosnian Muslims, alongside that of other communities in that cruel war, help keep alive many of the fears and prejudices which

SPEECH BY HRH THE PRINCE OF WALES "ISLAM AND THE WEST" DELIVERED AT THE SHELDONIAN THEATRE. OXFORD ON THE OCCASION OF HIS VISIT TO THE OXFORD CENTRE FOR ISLAMIC STUDIES WEDNESDAY 27 OCTOBER 1993 (*)

Ladies and gentlemen, it was suggest to me when I first began to consider the subject of this lecture, that I should take comfort from the Arab proverb, "In every head there is some wisdom". I confess that I have few qualifications as a scholar to justify my presence here, in this theatre, where so many people much more learned than I have preached and generally advanced the sum of human knowledge. I might feel more prepared if I were an offspring of your distinguished University, rather than a product of that "Technical College of the Fens" — though I hope you will bear in mind that a chair of Arabic was established in 17th century Cambridge a full four years before your first chair of Arabic at Oxford. Unlike many of you, I am not an expert on Islam — though I am delighted, for reasons which I hope will become clear, to be a Patron of the Oxford Centre for Islamic Studies. The Centre has the potential to be an important and exciting vehicle for promoting and improving understanding of the Islamic world in Britain, and one which I hope will earn its place alongside other centres of Islamic study in Oxford, like the Oriental Institute and the Middle East Centre, as an institution of which the University, and scholars more widely, will become justly proud.

Given all the reservations I have about venturing into a complex and controversial field, you may well ask why I am here in this marvellous Wren building talking to you on the subject of Islam and the West. The reason is, ladies and gentlemen, that I believe wholeheartedly that the links between these two worlds matter more today than ever before, because the degree of misunderstanding between the Islamic and Western worlds remains dangerously high, and because the need for the two to live and work together in our increasingly interdependent world has never been greater. At the same time I am only too well aware of the minefields which lie across the path of the inexpert traveller who is bent on exploring this difficult route. Some of what I shall say will undoubtedly provoke disagreement, criticism, misunderstanding and knowing my luck probably worse. But perhaps, when all is said and done, it is worth recalling another Arab proverb : "What comes from the lips reaches the ears. What comes from the heart reaches the heart."

* According to the request of our readers we present here the English origine text of H.R.H. the prins of wales.

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66 Part X

Shawal, 1414 Higrah — March, 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.d.

Contents

1. Speech by H.R.H. - Prince of Wales.
2. A Comparative study of the English translations of the meanings of Surah Maryam.
   By : Mona Abdel Ghaffar Salem. Part IIIB.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

● **العزة بالإسلام .. خلاص المسلمين**
فضيلة الدكتور/على أحمد الخطيب . ١٤٤١
● **مع الإمام الأكبر**
جوائز الصوم فى عيد الفطر ١٤٤٤
فتوى فى زواج الدرزى من مسلمة . ١٤٥٠
● **الأزهر والرقابة على المصنفات الفنية**
للمستشار/محمد حلمى ابراهيم ١٤٥٢
● **فتوى مجلس الدولة بشأن**
منح تراخيص المصنفات الإسلامية . ١٤٥٦
● **مع سورة الأنفال**
لفضيلة الدكتور /عبدالجليل شلبى ١٤٦٣
● **قبس من أنوار النبوة**
الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا
لفضيلة الشيخ/على حامد عبدالرحيم ١٤٦٩
● **خير الزاد التقوى**
للشيخ/عبدالحفيظ فرغلى ١٤٧٢
● **المخدرات بين التحريم والتجريم**
للمستشار/السيد خلف محمد ١٤٧٨
● **العالم الإسلامى المعاصر (٢)**
د./زينب الأشوح ١٤٨٥
● **الأزهر والحوار الدينى**
ا.د./محمود حمدى زقزوق ١٤٩١
● **المسلمون وتقدم علم الخرائط**
للأستاذ/حسنى عبدالحافظ ١٥٠١
● **الفتـــاوى** للأستاذ/عبدالمنعم فودة ١٥٠٧
● **طرائف ومواقف**
للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم.. ١٥٠٩
● **الشعر والشعراء**
إشراف الأستاذ/رشاد يوسف ١٥١١
● التطور وأصل الإنسان
عرض وتحليل ا.د./أحمد فؤاد باشا . ١٥٢٢
● **المعجزة القرآنية والسرعة الضوئية**
ا.د./منصور محمد حسب النبى ... ١٥٢٧
● **سرٌ خلف الأسوار**
للأستاذ منذر محمد عبدالرحمن ١٥٣٤
● **الجديد فى العلم** د. نجوى السيد أحمد ١٥٤٠
● **من أعلام الأزهر** العلامة إبراهيم الجبالى
ا. د./محمد رجب البيومى ١٥٤٣
● **من روائع الماضى**
للأستاذ /عبدالفتاح الزيات ١٥٤٨
● **البحث النحوى عند الإمام النووى**
د. محمد عبدالقادر هنادى ١٥٥٢
● **الإسلام بين الشرق والغرب**
للرئيس على عزت بيجوفيتش
عرض وتقديم الأستاذ/عادل خفاجة ١٥٦٠
● **الوحدة العضوية فى العصر العباسى**
للأستاذ/أحمد مصطفى حافظ ١٥٦٥
● **الإنسان فى الميزان**
عرض الأستاذ محمد عبدالوهاب ١٥٦٩
● **بين المجلة والقارىء**
د. محمد عبدالحكيم ١٥٧٩
● **أنباء مكتب الإمام الأكبر**
للأستاذ عمر بسطويسى .
والأستاذ مصطفى عبدالمجيد ١٥٨٥
● **أنباء العالم الإسلامى**
إعداد ا. مجدى عبدالحميد بشير ... ١٥٨٧
● **القسم الفرنسى** ١٥٩٤
● **القسم الإنجليزى** ١٦٠٧

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

• المراسلات / باسم مدير التحرير .. إدارة الأزهر بالقاهرة

ت٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

• الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

حفظ الله . عز وجل

مصر

مع جند الله ـ عز وجل ـ :

قَفَلَ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجنده من « غزوة ذات الرِّقاع » فنزلوا شِعْباً « مُنفَرَجٌ بين جبلين » فقال ـ عليه الصلاة والسلام : مَنْ رجل يَكْلُؤنا « يحرسنا » لَيْلَتَنا هذه ؟

فقام رجلان ، أحدهما مهاجرى ، والآخر أنصارى فقالا : نحن نكلؤك يا رسول الله ! فقال ـ عليه الصلاة والسلام : فكونوا بفم الشِعْب !

وذهب الرجلان للحراسة بهذا المكان الذى يمكن أن يكون ثغرة ينفذ منها الأعداء إلى عسكر النبى ﷺ فلما استوى الرجلان بالمكان قال الأنصارى لزميله : أتكفينى أوَّل الليل وأكفيك آخره ، أم تكفينى آخره وأكفيك أوَّله ؟ فقال المهاجرى : بل اكْفِنِى أوله ، وأكفيك آخره !

ونام المهاجرى ، وقام الأنصارى يحرس ، ويصلى ، وابتدأ فى تلاوة سورة ، وجاء عدُوٌّ ، ورأى هذا الذى يصلى ، فشد عليه بسهم ، فأصابه ، فتحامل الأنصارى ونزع السهم ، فوضعه أمامه وظل فى صلاته ، فرماه بالثانى ، فنزعه وظل يصلى وقد نزف ، فرماه بالثالث فأصابه فركع به وسجد ، ثم قال للمهاجرى : اقْعُدْ ، فقد أُتيتُ ! « أى أصبت » فجلس المهاجرى ، ورأى ما بأخيه من نزف ، وأحس بما فيه من ألم ، فقال : يغفر الله لك ، ألا كنت آذنتنى « أعلمتنى » أول مارماك ؟ فقال الأنصارى :

كنت فى سورة من القرآن قد افتتحتها أصلى بها فكرهت أن أقطعها ، وايم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرنى رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها .

ورأى العدوُّ رجلين فلاذ بالفرار(١) .

هذا الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ ظل يؤدى واجبه فى حراسة العسكر وَنَفَسُهُ يسيل قطرة بعد قطرة دون أن يعتذر لنفسه بإصابته ، ويتخلى عن واجبه فى حراسة الجند ، جند هذا الدين ، فإنه ما كان لهذا الدين من حق فهو ثغرة من ثغور الإسلام فى عنق كل مسلم :

كان أول هذه الأمة هذه النخبة التى اصطفاها الله ــ تعالى ــ لرسوله ﷺ فكانوا أحرص مايكون الحرص على معالم الإسلام وتقديس القرآن والثبات على هذه العقيدة ، وإرساء الكريم من الأخلاق وقمع الشهوات .

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لايفترون على الله الكذب ، ولايدَّعون ؛ فيتطاولون إلى مالايعرفون ، يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ، لاتلهيهم الدنيا جاها ــ كانت ــ أم مالا . عزًّا ــ كانت ــ أم سلطانا ، خالصين لله مخلصين .

حتى كانت أيامنا :

فخلف من بعدهم خلف رمى الغرب بهم الإسلام ، حملوا من ديننا وظهروا للناس بأسمائنا ، ثم سجدوا لغير الله ــ تعالى ــ وسبحوا بغير أسمائه ، وسعوا ــ فى الناس ــ يفتحون النار على عقائد هذا الدين !

---

(١) راجع سند أحمد ٣/٢٤٤ ، ٣٥٩ .

فلننظر مايريد الغربُ بالإسلام والمسلمين ، ولنركز سطورا عدة عن كتاب : « دَمّروا الإسلام .. أبيدوا أهله » لنرى بنود هذا الغرب .. ثم ننظر – بعدُ – فنعرف : لِمَ فتحت النار ؟ ..
وهذه هى الأهداف وهى سبعة :

● إبادة معالم الإسلام من المسلم ، لأن الإسلام مصدر القوة الوحيد فى المسلمين .. ص ٤

● تشكيك المسلم فى دينه ، وغمز نبيه – عليه الصلاة والسلام – .. ص ٥٩

● التلاعب بالقرآن ليبدو صحيحه غير جديد ، وجديده ليس بصحيح .. ص ٥٢

● تدمير أخلاق المسلم وإطلاق شهواته ؛ فإن بقاء المسلمين على أخلاق الإسلام كفيل بتمكينهم من نشر حضارتهم فى العالم بنفس السرعة التى نشروها بها سابقا .. ص ٥٤

● بث العلمانية بمدارس المسلمين لتساعد – فى القضاء – على الروح الإسلامية .
« انظر : تكلى ، زويمر ، جب » ... إن النجاح لتحقيق هذا الهدف إنما يكون نتيجة للنشاط التعليمى والثقافى العلمانى .. ص ٥٦ ، ٥٧ زاد صموئيل زويمر بيانا فيما سماه « الهدم » فقال : نعنى به انتزاع المسلم من دينه ، ولو بدفعه إلى الإلحاد .

● إبقاء الفرقة بين المسلمين وبينهم وبين العرب ؛ ليبقوا بلا قوة ولا تأثير .

● فرض مفهوم الفصل بين الدين والسياسة .. ص ٥٨
ولقد كان لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر حديث مطول فى الرد على هذا الافتراء ، وبخاصة .. الأخير .

وبعد :
فاللهم هذا ما أعطيتَ يَدى ليعلمه المسلمون بإخلاص .. وليعلموا فى ضوء هذه الأهداف – جنود الخَلْف الذين يقاتلون من أجل تحقيقها حتى صاروا يتنادون بأن .. دين الدولة الرسمى – وهو الإسلام عبارة زحفت خلسة إلى « الدستور المصرى » .

الإسلام الذى استقر بمصر بعد تسع سنين فقط من وفاة رسول الله ﷺ « دخل » خلسة .. ؟!
كيف .. سبحانك ربى !

أرجو ألا يكون الإسلام « خرج » خلسة من قلوب القائلين . ! كَبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا .

ها نحن نراهم فِرَقا ، كل فرقة خصت نفسها بتنفيذ « بند » من هذه الأهداف بداية من إبادة معالم الدين إلى التشكيك فى عقائده إلى السخرية بنصوص القرآن ، واقرأوا ـ إن شئتم ـ قول المفترين : كيف تكون شهادة المثقفة الجامعية على النصف من شهادة « الخادم » و « الخفير » ، ثم انطلقوا ليتابعوا الحملة على من دعا إلى حشمة السيدات فلمز العلماء مع الإشادة بالعلمانية والتسبيح بحمدها فالتمهيد إلى النيل من الإسلام فى الدستور نفسه ... الخ .. الخ

ولِمَ مصرُ بالذات ؟

لأنها مجمع العقد للمسلمين إن انزلقت سهل انفراط العقد كله ، وسهل إقناع كل بلد مسلم أن يحتذى بمصر .. أليست بلد الأزهر وشيخ الإسلام ؟!

والله ـ وحده ـ العليم بما يكون !

هذه مصر ، من أرضها خاطبت موسى كليمك ، لم تخاطبه من أرض غيرها فجعلت من « الطور » الوادى المقدس « طُوىً » فشاركت مصر ـ فى القداسة ـ أرض الكعبة ، وأرضا ضمت أحب الناس إليك « سيدنا رسول الله » ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأرضا سرى إليها ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

ويارب

هذه مصر التى جعلتها أَمْنَ يوسف ويعقوب ـ على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام ـ من قبل أن تقول لموسى : « وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ » طه ١٣ ويقول موسى : « وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ » طه .

أولئك ـ ربى ـ بعض مَنْ نعلم مِنَ المُصْطَفَيْنَ الأخيار الذين حلوا بمصر وضَرَعُوا إليك بأرضها وحملت إلينا الأخبار وصية خاتم النبيين بأهلها .

اللهم احفظ مصر ، فليس لمصر إلا أنت ..

نعم المولى ونعم النصير

بيـــان مـــن

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

بشأن الأصوات النشاز والأقلام الملتوية التى تنكر حق الأزهر فى أداء واجبه

الحمد لله ، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وسائر الأنبياء والرسل .

« رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ » .

إن مجلس مجمع البحوث الإسلامية « الذى خلف جماعة كبار العلماء » بالأزهر الشريف .، وقد تدارس ما أثارته بعض الأقلام نحو الأزهر الشريف ، لا سيما ما يقوم به من دراسات نحو ما يعرض عليه من مصنفات ليتقدم بهذا البيان إلى الأمة المصرية ، من منطلق التذكرة ، والحرص على توضيح وتأكيد المهمة الموكولة إليه ، وهى - فى صميمها - الدعوة إلى الله وإلى دينه الحنيف بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قال الله - تعالى - : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران - ١٠٤ .

وإنه لمما يحسب لأمتنا الماجدة أن التدين كان سمة مركوزة فى نفوس المصريين منذ بداية التاريخ ، وعلى توالى الحقب والقرون ، وما يزال أهل مصر - مع اختلاف مشاربهم ونزعاتهم - على تدين

واضح واعتصام بحبل الله المتين ، وما انفك الأزهر الشريف كعبة قصاد العلم الإسلامى لطلابه ، من مختلف الأصقاع ، ومن أنحاء العالم الإسلامى فى مشارق الأرض ومغاربها ، تحقيقا لما أمر الله به فى كتابه المجيد :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (ســورة التوبة)

وشأن الأزهر الشريف دراسة العلوم الإسلامية ، وتجلية حقائق الدين للناس فى الداخل والخارج ، وتقديمها لهم نقية ، سليمة ، خالية من التعصب المقيت والتطرف البغيض ، لأنه يتحرى الوسطية والاعتدال ، وهذا ما عرف به الأزهر ومؤسساته على امتداد تاريخه ، عن اقتناع بأن هذا الدين يسر ، وأنه لن يشاد الدين أحد الا غلبه ، مما يلقى على الأزهر أمانة حمل رسالة الإسلام إلى كل الشعوب ، والدفاع عنها ، وبيان أثرها فى تقدم البشر ورقى الحضارة .

وهذا قدر الأزهر ، أن يظل الحارس الأمين على القيم الإسلامية وعلى المقومات الثقافية لهذه الأمة ، وقد تأصل هذا لدى الشعب المصرى الذى يفزع إلى الأزهر الشريف فى كل ما يمس عقيدته الإسلامية وشريعته وأخلاقياته وهى المقومات الإسلامية التى قننتها الدساتير المصرية وما تفرع عنها من قوانين ولوائح فى مصر حتى انتهت إلى أن الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، ومبادىء الشريعة الإسلامية : المصدر الرئيسى للتشريع .

وإذا استقر هذا الأمر ـ وهو مستقر ـ فما ينبغى أن تكون هناك أصوات نشاز ، وأقلام يلتوى بها الفكر ، فتثير الريبة فى اختصاص الأزهر بالتنبيه لما يخالف تعاليم الإسلام ولما يتجاوز حدود ما أنزل الله فى قرآنه ، وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وأنه صاحب الرأى الأعلى فى ذلك ، وإن هذه الأصوات وتلك الأقلام ليست جديدة على الساحة ، فلقد حاولت من عشرات السنين أن تناصر الفكر الغريب المستورد والفلسفات المادية ، وأن تخاصم الوحى السماوى وتكيد للإسلام . والحمد لله كانت فى كل مرة تئوب بالهزيمة وينقطع صوتها ، لكنها اليوم تطل برأسها مستغلة فتن المتطرفين ، لتنال من الإسلام كله ، بل لتضرب التدين بوجه عام .

والأزهر الشريف كان وما يزال مناهضا لكل تطرف ، حريصا على إظهار الوجه المشرق للإسلام ؛ إحقاقا للحق ، وإبطالا ومحوا للباطل ، وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر ، كما أراد الله ، بالحكمة والموعظة الحسنة . وإذا كان هناك من يركب موجة التطرف ويجمح به الشطط ، فإن

الراسخين فى العلم هم الذين يقومون عوجة ويعيدونه إلى رشده . أما الضائقون بالإسلام الذين نصبوا أنفسهم وأقلامهم حربا لشرائعه وشعائره فلا قدم لهم فى هذا الميدان ، بل إن هؤلاء هم الذين يزيدون الطين بِلّة ؛ إذْ يحاربون التطرف بتطرف أنكى وأضل . وقد تبين من مسلكهم أنهم لا يرجون لله وقارا . وظهرت للكافة جراءتهم على ميراث الإسلام ومصادره من القرآن والسنة ظهورا بيّنًا ، وغاب عنهم أن التباعد عن دين الله يستوى فيه الانحراف عنه يمينا أو يسارا ، ويستوى فيه الزيادة والنقصان وستوى فيه المرتابون فى دين الله والجاحدون .

وإن مجمع البحوث الإسلامية ــ وهو « الهيئة العليا للبحوث الإسلامية » ــ من واجباته : « بيان الرأى فيما يجدّ من مشكلات مذهبية أو اجتماعية أو اقتصادية » ، و« تتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامى من بحوث ودراسات فى الداخل والخارج ؛ للانتفاع بما فيها من رأى صحيح ، أو مواجهتها بالتصحيح والرد » ، « وللمجمع ــ فى سبيل تحقيق أهدافه وفى حدود اختصاصه ــ أن يصدر توصيات إلى العاملين فى مجال الثقافة الإسلامية ، فى الهيئات العامة والخاصة ، والأفراد » .

وإنه لخير لتلك الأصوات والأقلام التى تنادت ضد مهام الأزهر الشريف أن تشارك فى الدعوة إلى السلوك القويم فى القول والفعل وحسن الأداء ، وأن تعدل عن إثارة الخلف فى المجتمع فى أمر الدين والتدين ، حيث تعرف حرص هذا الشعب على أن يكون لله وليا ، وبالإسلام ــ عقيدته وشريعته ــ حفيا .

وإذ كان هذا ، وكان شيخ الأزهر ــ بنص التشريع ــ : « هو الإمام الأكبر ، وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية » ، فإن المجمع من وراء رئيسه الإمام الأكبر شيخ الأزهر : باق معه على حراسة الكتاب والسنة ، يحافظ على حدود الله ، وينبه بالضرورة لمراجعة كل عوج وانحراف مهما كان لونه ومصدره .

﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . الرعد ــ ١٧ .

والله من وراء القصد .
ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

شيخ الأزهر الشريف
ورئيس مجمع البحوث الإسلامية

جاد الحق على جاد الحق

بيان

المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بشأن منح كتاب «آيات شيطانية» جائزة الأدب الأوربى

يتابع المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بالدهشة والاستهجان ، توجه حكومة النمسا لمنح جائزتها للأدب الأوربى إلى الكاتب العابث « سلمان رشدى » البريطانى من أصل هندى عن كتابه الساقط « آيات شيطانية » ـ الذى أساء فيه إلى مشاعر المؤمنين فى جميع الأديان ، وتطاول ببذاءة وإسفاف على نبى الإسلام سيدنا محمد ، ومن سبقه من النبيين والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وعلى كل ما جاءت به الأديان السماوية من قيم روحية ومبادىء إنسانية .

وبالنظر لحساسية هذا الإجراء المشين والظروف السياسية والأمنية المحيطة به ـ فإن وزارة الثقافة النمساوية ، اقترحت عدم تسليم الجائزة علنا ، فى حين رفض وزير الثقافة النمساوى « رودلف شولتن » تسليم الجائزة سرا ، وأجَّل إقامة حفل تسليمها لحين عرض القضية على مجلس الوزراء !!

والمجلس الإسلامى للدعوة والإغاثة ـ يرى فى اختيار لجنة التحكيم لكتاب آيات شيطانية كنموذج للأدب الأوربى المعاصر ـ صدمة تستفز المشاعر ـ وانحيازا واضحا ، وتعصبا بغيضا ، للإلحاديين والمارقين ، وتأييدا وتشجيعا لادعاءاتهم الباطلة ، وأفكارهم الفاسدة ، وزعزعة لجذور الإيمان فى صدور المؤمنين ، كما أنه ـ فى الوقت نفسه ـ حكم ظالم على الأدب الأوربى العالمى المعاصر ، فى معالجاته ـ باللغات الراقية ، والمعانى الرفيعة ، والأفكار المستقيمة ـ أهمَّ القضايا الإنسانية المعاصرة ، ومساهمته بنصيب وافر فى رقى الحضارة وتقدمها .

واستنادا إلى نصوص الدستور النمساوى التى تدين وتجرم التطاول على المعتقدات الدينية ، وتمشيا مع سياسة الحكومة النمساوية التى تعترف رسميا بالإسلام ، وتكفل حرية الاعتقاد لمواطنيها ، واحتراما لمشاعر المسلمين والمؤمنين فى كافة الأديان ، وفى أنحاء العالم ، فإن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة يناشد حكومة النمسا رفض اقتراح لجنة التحكيم للتبرؤ من مساندتها للانحلال والإلحاد ، ولإبراز روائع الأدب الاوربى فى المجالات الإنسانية السامية .

كما يناشد المنظمات الإسلامية والدينية الأخرى فى العالم ، تقديم التوضيح اللازم والعاجل إلى سفارات النمسا فى بلادها ـ لإبلاغ صوت الإيمان ، وللتنبيه إلى خطأ هذا الاختيار وإلى الخطورة الكامنة فيه ..

مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

القرآن فى مجال التربية الأخلاقية

للإمام الأكبر شيخ الأزهر

« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » قد اعتمد فى مجال التربية الأخلاقية لبنى الإنسان على تنشئة الضمير الذى يراقب الله ويبتعد عن المعاصى .

هذا الضمير هو ـ والله أعلم ـ النفس اللوامة التى أقسم بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى القرآن فقال فى أول سورة القيامة :

« لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ » .

هذه النفس التى جاء القسم بها من خالقها ، وظيفتها حراسة الإنسان من داخله ، إنها الرقيب الملازم له ، فإذا نجحت فى مهمة الربط والضبط ، فقد أزالت الصراعات من داخل الإنسان ، وهدَّأت من ثائرة الشهوات والأهواء الجامحة التى ترتاد الإنسان وتقوده فى كثير من الأحيان ، فيسود السلام النفسى وتصبح نفس الإنسان راضية مطمئنة كما وصفها القرآن فى قول الله ـ تعالى ـ فى سورة الفجر : ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

هذا الحارس فى داخل كل إنسان هو (الوازع الدينى) الذى أطلق الناس عليه ـ الضمير ـ لأنه يعايش الناس لا يفارقهم ولكنه إذا استيقظ كان الميزان العدل .

هذا الضمير لابد له من مقومات يحيا بها أوده ، ويشتد ؛ ليقف حارسا يقظا فى مواجهة النفس الإنسانية الأمارة بالسوء ، فإذا ما حاولت أن ترتكب الآثام أو تخترق الحرمات وتتجاوز الحدود كان هذا الضمير أو الوازع الدينـى محاصرا لنزواتها ، وعازلا لها عند غوايتها وعن غيها .

هذا الوازع إذا استدمنا إيقاظه داخل كل إنسان حصلنا على جمهرة من الأمة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وعندئذ تنمو الأخلاق الحميدة وتتكاثر المآثر المحمودة فى كنف هذا الوازع الدينى أو هذا الضمير الحى المهيمن على ذات نفس الإنسان والحارس لها ، وبهذا

تصبح الأخلاق الرفيعة خلقا أصيلا لا يفارق صاحبه في سر أو جهر ، في مَكْره أو مَنشْط ، لأن هذا الخلق الأصيل الرفيع لم ينشأ أو يعتمد على قانون وضعه الناس وتفلسفوا ليبرزوه أو يبرروه وانما مصدره رقابة الله رب العالمين الذى يرعاهم ، وهو معهم أينما كانوا ، لا تخفى عليه خافية ، يعلم السر وأخفى ، الله مع الناس فى كل همسة شفة ونبضة عرق ، فهل يفلت أحد من رقابة الله ؟

اللهم لا .

إن الله هو القائل فى سورة الحديد : (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) والقائل فى سورة المجادلة :

﴿ ... مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧ ﴾ .

إن الضمير الوازع الموصول بأمر الله رقابته تعنى رقابة الله سبحانه الذى لا تخفى عليه خافية ، والتى يستحيل خداعها أو الاستخفاء منها .

أما رقابة القانون وأخلاق القانون الوضعى فإنه لا حياة لها ، فالقانون يُغش ويخدع ويحتال عليه ، ويستخفى منه وقد قيل يوما : القانون فى اجازة . فهو يمنح إجازة أو إجازات ويهمل فى بعض الأزمان .

إن الضمير الوازع هو الذى يعتمد القرآن عليه فى بناء الأخلاق التى تكون ثمرة عبادة قانتة خاشعة لله الذى خلق فسوى .

وهذه العبادة تنشأ عنها وبها التقوى التى هى هذا الضمير الوازع ، وهذا الذى تفيده وصية الرسول محمد ﷺ فى قوله الشريف : « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. » .

فالوازع الدينى أو الضمير الوازع هو رقابة الله - سبحانه - وبها تكون التقوى التى تثمر الأخلاق ، كما تثمر العلم وهذا هو قول الله فى سورة البقرة :

« واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم » .

وهذه الأخلاق التى تنشأ عن التقوى أخلاق ثابتة تلازم صاحبها فى كل وقت ، فالصدق صدق فى كل لحظة ، وكل حال فى اليسر وفى العسر صدق مع العدو ومع الصديق ، وليس كما تقول الوجودية من أن الأخلاق أمر اعتبارى .

إن الأخلاق القرآنية ثمرة التقوى ، تقوى الله - عز وجل - وهى أم الفضائل كلها ، والعلم النافع الخير ثمرة من ثمرات التقوى ، وبالتقوى يتلاقى ويتكامل الضمير الوازع مع الأخلاق الفاضلة .

وإذا كنا نشعر فى هذا العصر بضعف الأخلاق . فإن مرجع هذا إلى الإخلال الواقع فى مجالات التربية والقصور فى تنشئة الضمير الوازع الذى يعصم من الرذائل ويرتبط بمنهج الله رب العالمين : القرآن .

ولابد لتحقيق حياة هذا الوازع من الارتباط الكامل بالقرآن ، لأن هذا الضمير لا ينشأ عفوا ، وإنما لابد من العبادة العملية يتعلمها النشء فى كل مراحل تكوينه ، فلابد من تعاون وثيق بين البيت المسلم وبين المدرسة والجامعة والمجتمع والدولة ، ولابد من تحويل التربية الدينية المدرسية — مع

قصورها ــ إلى ممارسة عملية ، مع استكمال مقوماتها ، حتى يشب الضمير الوازع (رقابة الله) مع كل إنسان ويصحبه فى كل مراحل عمره .

إذا تم هذا كنا قد اتخذنا الوسيلة الصحيحة إلى تربية العقيدة السليمة والأخلاق الرشيدة فى أجيال المسلمين .

وفى مجال التربية الأخلاقية :

فإن القرآن الكريم يعول على القدوة الصالحة ويعتبرها الأساس الأول فى هذا المجال :

إذ الواقع أن الصغير يقتدى بالكبير والابن يقتدى بالأب ، وتقتدى ــ كذلك البنت بالأم ، والتلميذ بأساتذته ، كما يقتدى الشعب بالعلماء وبالقادة ، والأمة الاسلامية كلها مأمورة بالاقتداء بالرسول محمد ﷺ يقول الله ــ سبحانه ــ فى سورة الأحزاب :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »

ولنذكر أن الرسول ﷺ أقام هذا الدين فى نفوس أصحابه بالقدوة الفاضلة فأقتبسوا من أنواره وانجذبوا إلى متابعة أقواله وأفعاله بعد إذ أسرهم جلاله وبهرهم جماله وكماله إذ كان لهم الأسوة الحسنة ، حتى صاروا خلقا آخر أكمل ما تكون الأخلاق العملية ، متانة ورصانة ورواء وبهاء ، كانوا عاملين أكثر منهم قوالين وكانوا يتعففون أن يقولوا ولا يعملوا .

وكلنا نذكر أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ حين ولى الإمارة صعد المنبر ؛ ليخطب الناس ارتج عليه فلم يجد كلاما يقوله ثم فتح الله عليه بعبارات قصار كانت فصل الخطاب إذ قال : أما بعد :

أيها الناس : سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد ضيق فرجا ، وأنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال .. ثم نزل عن المنبر ، وقدوة العمل هى الأقوى فى التأثير والتعليم .

وقد ذم الله أناسا يقولون مالا يفعلون ففى سورة الصف قول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ .

وهذا من أسس التربية الخلقية التى ساقها القرآن ، حتى يقتدى الصغار بالكبار والناس بولاة أمورهم وبعلمائهم .

ولقد كان الرسول ﷺ يؤثر فى أصحابه بفعله أكثر مما يؤثر بقوله .

ولقد أثر عنه فى التعليم فى الصلاة قوله : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وفى مناسك الحج : (خذوا عنى مناسككم) .

ذلك لأن العمل أثبت وأبقى فى التعليم من القول ، ومن الخطأ التحدث عن الفضائل مع الانغماس فى الرَّذائل ، ولنستمع إلى قول الله تعالى فى سورة الصف :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾

وهذه القدوة العملية والأسوة الحسنة لابد أن تكون فى المظهر والمخبر ، ولابد من التركيز عليها فى كل المجالات : فى البيت وفى المدرسة وفى ديوان العمل ، بل وفى المصانع والمزارع وفى وسائل الإعلام يجب التركيز على الفضائل العملية ؛ لتسرى إلى كل طبقات الشعب .

من الواجب أن تعرض وسائل الإعلام كلها نماذج تمثل القدوة الحسنة فى الكلمة ، فى الصورة فى

القصص إنه إذا تضامن البيت والمدرسة ووسائل الإعلام نحو نشر الأخلاق ، والقدوة الحسنة لإحياء الضمير الوازع ازدهر المجتمع وامتنع عن كل الشرور والآثام واشتهر التعاون على البر والتقوى وانتشر بين الناس .

إن الله سبحانه ضرب لنا المثل للكلمة الطيبة وللكلمة الخبيثة فى سورة ابراهيم قال :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ .

هذه الانحرافات التى تقلق المجتمع والجرائم الآثمة التى تقع هنا وهناك إنما جاءت وتجيء بسبب الفراغ من التربية الخلقية القرآنية ومن الزاد الذى يتزود به الشباب بل الناشئة عموما وربما الجمهور بوجه أعم ، مما يعرض فى الصحف والمجلات وقنوات (التليفزيون) وموجات الإذاعة من الحرص على تقديم السيىء من العادات والأخلاق والأخطاء فلم لا نعرض على الناس المثل الطيبة وبضدها تتميز الأشياء ؟

لِمَ نعرض على مسارحنا ودور السينما الخيانات الاسرية وأخطاء أصحاب الأعمال والمرتشين ونرددها ونؤكد عليها ، مع أن عرض الوجه الحسن هو الأولى حتى يترسخ فى الذهن ويكون قدوة ، فلم لا نعرض قصص الوفاء والأمانة والصدق والنماذج الصالحة من الحياة المعاصرة ، والمأثورات التاريخية حتى تتلقى الأذهان والبصائر المستقبلة أحسن الأعمال وأجود الأخلاق .

لم نعرض على الناس وسائل السخرية بالآخرين والتنكيت والتبكيت لهم وبهم ، ولا نعرض الوجه الآخر الرحيم بالناس الموقر للآدمية ، المكرم للانسانية .

لم نترك للمفسدين فى الأرض بأقوالهم وأقلامهم ومصنفاتهم أن يروجوا بضاعتهم الفاسدة المفسدة باسم الحرية المغلوبة على أمرها الفارغة من مضمونها .

إن القدوة السيئة مؤثرة ، ربما أكثر من القدوة الحسنة ؛ لأن مغريات الفساد قد تكون أكثر وأسرع .

إنه يجب أن تتواءم سبل نشر الفضائل وإحياء الضمير الوازع فلا نبنى فى جانب بينما جوانب أخرى أسرع فى الهدم وأبلغ أثرا .

إن الحفاظ على تنمية الالتزام بالفضائل يكون فى الخلق وفى الكلم وفى الزى والاحتشام ، وتقوية خلق الحياء فى الشباب وتوقير الكبار .

إن من مهام وسائل الإعلام التضامن مع الاسرة ومع المدرسة فى انماء الالتزام بالقيم والتقاليد والأعراف التى ارتضاها الإسلام وقامت عليها أمة الإسلام منذ أن كانت .

إن من الخير كل الخير لهذه الأمة أن تتوافر القدوة فى كل المجالات فلا تقع العين إلا على كل جميل ولا تسمع إلا الكلم النبيل ، وفى أخلاق القرآن ووسائله فى التربية الخلقية العصمة من

التردى . إن من الخير أن تختفى أو تنزوى تلك المظاهر التى تناهض الأخلاق القرآنية فى المظهر والجوهر وأن يحيا فى النفوس الحياء من كل نقيصة ورذيلة .

إن رسول الله ﷺ كان خلقه القرآن .

ومن أخلاق القرآن أن نمهد للفطرة النقية سبيل التسامى والظهور حتى تزول الرذائل ، والأوضار المقيتة من المجتمعات ولتأخذ الفطرة النقية التى فطر الله الناس عليها موقعها وامتدادها الطبيعى انتفاعا بالقدوة الفاضلة . إن الداء لا يشفى إلا بالدواء والزرع لا يثمر إذا زاحمته الحشائش الضارة فى غذائه وسقائه ، فكذلك النقاء والخلق الفاضل لا يؤتى ثماره والفساد يحيط به ويحيط عمله .

قد يظن بعض الناس أن اخلاقيات القرآن ومبادىء التربية التى شرعها لا تتمثل إلا فى مجموعة من المحظورات والموانع وتهولهم تكاليف هذه الأخلاقيات ويتصورونها قيودا وحواجز بين كل إنسان وما يشتهى ، وتحول وتمنع عن التعبير عن نوازعه وهذا سوء فهم ؛ لأن أخلاقيات القرآن قوة بناء وعوامل أزدهار ونماء بأسلوب عف نظيف .

إن العمل بمنهج القرآن هو الوسيلة الواقعية لبناء الحياة مع واقع أخلاقى ينمى الطاقة الحيوية العاملة فى الانسان وكل صورة أخلاقية تبدو فى صورة قيد على الإنسان فى قول أو فعل ، إنما يكون الوجه الاخر لهذا القيد سموا بالإنسان ونظافة له فى بدنه وثوبه وروحه .

فضبط النفس عن الشهوة المحرمة وتحريم الزنا فى القرآن تبدو قيدا فى الظاهر على الغريزة ، ولكن هذا التحريم للزنا وسيلة لوقاية الإنسان من الأمراض والأضرار التى استعلنت لا سيما فى هذا العصر ، بل جاء القرآن فى أخلاقه محرما لدواعى الانفلات نحو الغريزة الجنسية ، فأمر الرجال بغض البصر عن النساء وأمر النساء بغض النظر عن الرجال ، بل وستر أجسادهن بحيث لا يكون من جانبهن إغراء لغير الأزواج .

ثم الإيثار من الأخلاق القرآنية ، وظاهره أنه تكليف للنفس وكف لها عن التمتع بما تملكت ، ولكن الواقع أنه خلق عال يمثل التغلب على الشح والعبودية للمال ، والبخل والأثرة به . ففى سورة الحشر قول الله تعالى

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وفى سورة الإنسان فى وصف الأبرار قول الله تعالى : يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا

ذلك خلق الإيثار وليست الأثرة الممقوتة .

وخلق كظم الغيظ حيث يبدو قيدا على النفس يحول بينها وبين الانتقام من الخصم والتنكيل به ، لكنه فى الواقع يمثل القدرة على ضبط النفس ومنع استرسالها فى النزوات وهو خلق يمثل امتلاك النفس والاستعلاء عليها ، وقد امتدح الله هذا الخلق واعتبره من صفات المتقين فى قوله تعالى فى سورة آل عمران :

﴿ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

ثم ها هو القرآن قد اعتبر الآثام والرذائل أغلالا وقيودا تشد نفس الإنسان فتهبط بها إلى أسفل سافلين. ويعتبر التحرر من قيود تلك الرذائل انتصارا عليها ؛ لأن الأصل فى فطرة الإنسان الاستعداد للخير ، فقد خلقه الله فى أحسن تقويم ، وقد يرتد أسفل سافلين إذا اتبع هواه ، مبتعدا عن منهج الله ، ذلك المنهج الذى يلائم الفطرة السليمة للإنسان ، وهو الذى يسارع بها إلى التحرر مما يطرأ عليها من قيود ويخرج بها كذلك من ربقة الشهوات .

ثم إن هذه المشقة التى يستشعرها المستمسك بأخلاق القرآن فى مجتمع اختلت فيه الموازين ، وانفلت من الاتباع لأخلاق القرآن إلى الابتداع فى السلوكيات والعادات بما يخرج بالمبتدع عن الصراط السوى الذى تربى عليه المجتمع المسلم ، هذه المشقة جهاد واستمساك بالحق .

وهذا أمر واضح ملموس حين تضل الكثرة فتخرج عن شرع الله ومنهجه فى أمر أوجبه القرآن فيشذ عن خلق هذه الكثرة الضالة فرد يظل متشبثا بمنهج الله غير عابىء بما يوجه إليه من نقد أو اتهام بالرجعية ، هذا الفرد فى جهاد وإن أحس بثقل التكاليف التى حوتها الأخلاق القرآنية ؛ لأنه أصبح وحده الذى يمتثل ويمارس على عكس ما لو كان المجتمع كله ممارسا لذات أخلاق القرآن ، فسيكون موضع التقدير ، ولعل المثال التالى يكون أكثر إيضاحا .

فلو أن طالبة فى مدرسة ثانوية أو فى الجامعة التزمت بالزى الساتر لجسدها بحيث لا يرى منها إلا الوجه والكفان - كما أمر القرآن فى سورتى الأحزاب والنور - وكانت صويحباتها فى المدرسة وفى الجامعة قد كشفن من أجسادهن ما حرم الله فى كتابه فإنها ستكون موضع الغمز واللمز بين هذه الكثرة المبتذلة ، وستحس هى بثقل التبعة فى الالتزام بالأخلاق القرآنية ، هذا الإحساس لأنها وجدت بين فئة منفلتة من الاستمساك بأخلاق القرآن ، ومثلها إذا صبرت وثابرت على إعلاء شأن هذه الأخلاق كانت النموذج المرضى عنه من الله ومن الناس ولم يكن صنيع هذه الفتاة التى صبرت وثابرت على الانفراد بالالتزام بما شرع الله فى القرآن زيا للمرأة إلا مثابرة وبذلا للبعد عن الوقوع فى الآثام ، وهو نوع من المجاهدة التى لابد منها لتحقيق أخلاق القرآن فى الحياة .

هذا : ولو عد مجاهدة الشهوات تقويما للنفس - لو عد هذا - كبتا لاسترسلت الأنفس فى الرذائل ، ولعجزت عن صنع الفضائل ، كما لو استسلم الطالب لشهوة اللعب واللهو وترك استذكار الدروس ، والانتظام فى الذهاب لاستماع دروسه فى المدرسة لكان الفشل آخر العام حتمى .

إن أخلاقيات القرآن لا تقر الكبت المدمر للنفس ، وإنما عملت على تنظيم الغرائز بالمجاهدة وهى نوع رفيق من التهذيب النفسى الذى يحاول ترويض الشهوات الآثمة والنزوات التى تضر بالفرد وبالمجتمع .

فهذا الرسول محمد ﷺ ينصح الشباب بالزواج متى استطاع بتوافر مؤنته والتزاماته ، فإذا

لم تتوافر هذه الاستطاعة كان البديل الصوم أى ممارسة عبادة فيها نشاط يمتص الطاقة فتهذب الغريزة فضلا عن أن الصوم عبادة يكتسب بها أجرا ويدفع وزرا .

وهكـذا فإن كل أنـواع الفضائـل وسيـلتها المجاهدة حتى تصير سجية وعادة ، فالأمانة فضيلة تحتاج فى المحافظة على الاتصاف بها وتحققها فى الواقع إلى مجاهدة النفس حتى لا تقع فى الخيانة ، والصوم عبادة تحتاج الى المجاهدة والمصابرة مع المثابرة حتى تتكون الارادة الحازمة .

وهكذا ما اعتاده بعض الناس من مآثم يحتاجون فى الانفلات منها إلى الإرادة التى يهدرون أموالهم فى السجائر وفى المشمومات فى حاجة إلى حزم الإرادة ومجاهـدة هذه العـادات المتلفـة للمـال والصحة .

وهكذا يحتاج كل إنسان تقمصته عادات تنأى به عن أخلاق القرآن ، عليه أن يجاهد نفسه حتى تتكون لديه الإرادة الحازمة التى تؤثر فى التغيير .

وصدق الله ــ سبحانه ــ فى قوله فى سورة الرعد :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ .. ﴾

وفى ختام سورة العنكبوت قال سبحانه :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وبعـــــد :

فقد قرأت لأحد الكتاب قوله :

إن القرآن من الغنى القيمى والغنى التعبيرى ، بحيث كثرت التفاسير حوله وما زال فيه الكثير للرؤية المستقبلية ومقياس العظمة فى العمل احتياج الانسان الى تجديد رؤيته له . الاسلام ميزته أنه أسلوب حياة .. نمط سلوك .. من أبسط الأشياء إلى أعلاها .

نحن مشغولون فى الدين بالشرح والتفسير فى حين أن الموضوع الحقيقى هو امتناع عن الدنايا وارتفاع فى التصرف والسلوك .

ليت المدرسة فى البلاد الإسلامية تعرف كيف تنتفع انتفاعا حقيقيا بالدين فى التربية وهو أسلوب رفيع بعيد عن أسلوب تفريغ الإنسان عقليا ، بحيث تُطمس الحقيقة بعض الوقت ولكنها لا تلبث أن تنكشف .

ليت المدرسة فى بلاد المسلمين تنجح فى تأصيل قيم الإسلام فى نفوس النشْء تأصيلا تغدو معه قلوبهم قادرة على استشفاف المقدس فى الكون أو فى أعمال الإنسان .

لقد أكد الاسلام العمل بما لم يؤكده دينٌ قبله وفى القرآن الكريم آيات شتى تحض على العمل وعلى التأمل والتدبر والتفكير ، فالإسلام هوايته عمل دائب ، وغايته إنجاز وتكوين وإحسان لكل ما فيه . هو التجويد .

التجويد فى القرآن ...

والتجويد فى العمل كما جاء فى الأثر :

« إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »

هذا ما يجب أن يعرفه أبناؤنا عن الإسلام .

« إن الله مع الذين اتقـوا والذيـــن هم محسنون » .

فتوى

فى حكم صرف الزكاة أو جزء منها إلى الأجير الخاص وإلى الجمعيات

ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من خريجى التجارة للأقمشة والاستيراد والتصدير محمد وعبدالجليل وسعد توفيق اليمانى وفيه يبدون رغبتهم فى توزيع مال الزكاة توزيعاً شرعياً سليماً ، ولديهم فائض زكاة ، يريدون توزيعه ، ولكن لظروف المدنية الحديثة ، وما أسفرت عنه من عدم معرفة الناس بعضهم ببعض ولمحدودية عدد الأفراد الذين نثق فى استحقاقهم لزكاة المال ، وخوفاً من المسئولية أمام الله إذا ما أخرجنا هذه المبالغ لجمعيات لاتراعى الله فى توزيع هذه المبالغ .

لذا نرجو التكرم بإرسال كشف موضح به أسماء مجموعة من الجمعيات وعناوينها التى تثقون ثقة تامة أنه يمكن لها استلام المبالغ وتوزيعها فى المصارف الشرعية على أن نخلى مسئوليتنا أمام الله بمجرد إرسال زكاة المال إلى هذه الجهات .

وما رأى فضيلتكم فى الآتى :

١ ـ هل يمكن توزيع جزء من زكاة المال على العمال العاملين معنا ؟

٢ ـ رأيكم فى جمعية جامع المواساة ؟

٣ ـ جمعية جامع سيدى جابر الخيرية وما أعلنت عنه فى الصحف عن حاجتها إلى زكاة المال لبناء مصنع للأجهزة التعويضية للمعوقين .

٤ ـ رأيكم فيما يقوم به السيد/ مصطفى أمين من توزيع زكاة المال ؟

سيدى :

لم نجد غير فضيلتكم لتحمل هذه الأمانة أمام الله ورسوله ، وفقكم الله لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والجـواب

الزكاة من الفروض المقررة فى مال المسلم بشروطها ، وقد دل على وجوبها القرآن فى آيات كثيرة منها قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة النور .

(وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ)(١) وقوله فى سورة التوبة :

(فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ)(٢) .

وفى السنة: الحديث الذى أخرجه البخارى وغيره .

(بنى الإسلام على خمس) وجاء فيه : (وإيتاء الزكاة) .

وحديث معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ الذى أخرجه البخارى ، حين بعثه الرسول ﷺ إلى أهل اليمن وفيه :

(١) من الآية رقم ٥٦ .

(٢) من الآية رقم ١١ .

(وأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) .

ولقد أجمع المسلمون على فرض الزكاة ، وعلى دفعها إلى مستحقيها الشرعيين ولقد قاتل الخليفة الأول أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ مانعى الزكاة وقال :

(والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها)[3] .

ولقد حدد الله فى القرآن الكريم مصارف الزكاة فى سورة التوبة فى قوله تعالى :[4]

(إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ)

والاولى اتباع ترتيب مستحقى الزكاة حسبما جاء فى منطوق هذه الآية .

ولقد احتوت ورقة السؤال فى ختامها أسئلة محددة على نحو ما سلف ذكره وكان أولها :

هل يمكن توزيع جزء من زكاة المال على العمال العاملين معنا ؟

والجواب : أن هؤلاء العاملين إذا كانـــوا متفرغين للعمل لدى السادة أصحاب هذا العمل والمال ،كانوا من الأجراء الخصوصيين ، وهؤلاء قد اتفق الفقهاء على أنهم ليسوا من مصارف الزكاة المستحقة على أصحاب هذا العمل ، فلا يجوز الصرف إليهم بهذا الاعتبار .

وأما عن الجمعيات والجهات المنوه عنها بالسؤال بأرقام ٢ ، ٣ ، ٤ فإنه إذا كانت تلك الجمعيات أو الجهات تتحرى الصرف على الأصناف المذكورة فى آية (إنما الصدقات) جاز الصرف إليها وتصير موكلة فى إيصال المبالغ الموجهة إليها من أموال الزكاة عن أصحاب المال والعمل ، ويُشترط أن يتعرف على خططها فى صرف أموال الزّكاة والاستيثاق من هذا شأن أصحاب المال .

وأنصح بتوجيه الزكاة أو فائضها ـ كما جاء بالسؤال ـ إلى لجان الزكاة فى المساجد بشرط التثبت من تبعية هذه اللجان إلى بنك ناصر الاجتماعى ، وأنها مسجلة لديه ؛ لأن هذه الجمعيات تخضع للرقابة من هذا البنك وهى قريبة من أوساط مستحقى الزكاة ولديها القدرة على الفحص والتقصى عن أحوال الناس وإيصال الزكاة إليهم دون مَنّ وَلَا أَذًى .

والأولى أن تصرف هذه الزكاة فى الحى أو البلد الذى فيه المنشأة صاحبة العمل (خريجى التجارة للأقمشة والاستيراد والتصدير) .

ويجوز دفع بعض مال الزكاة للجمعيات التى تقوم على إنشاء مستشفى للفقراء أو مصنع للأجهزة التعويضية بشرط أن يكون الإنتاج لتيسير هذه الأجهزة وتزويد الفقراء بها .

وكل هذا يقتضى أن يطلع أصحاب أموال الزكاة على أنشطة الجمعيات التى أشير إليها فى ختام ورقة السؤال للتثبت من خططها وبرامجها فى توزيع الزكوات . وبالله التوفيق ..

والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر (جاد الحق على جاد الحق)

---

(٣) فتح القدير جـ١ ص ٤٨١ والمغنى لابن قدامة جـ٢ ص ٥٧٢ ط ثالثة وفتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٣ ص ٢٦٢ المطبعة السلفية ١٣٧١ هـ .

(٤) من الآية رقم ٦٠ .

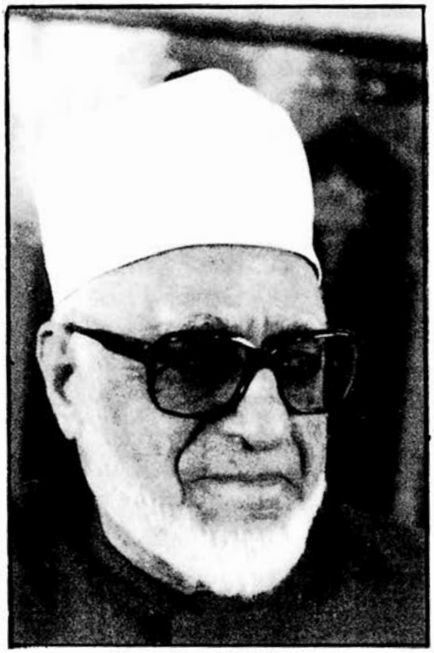

شيخ الأزهر يحذر من رفع المقاطعة العربية لإسرائيل

الدوحة ـ حذر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من رفع المقاطعة العربية المفروضة على إسرائيل قبل الانسحاب من مدينة القدس المحتلة .

وقال فى حديث لصحيفة « الشرق » القطرية إن الاتجاه لرفع المقاطعة بشكل مباشر أو غير مباشر أمر غير مقبول على الإطلاق .

وأكد بهذا الصدد أن سياسة الإسرائيليين تتسم بالمراوغة والخداع ، وأن تاريخ الإسرائيليين يؤكد أنهم لا يلتزمون بعهد ، ولا يوفون بوعد ، وأن الدعوة لرفع المقاطعة دون الجلاء عن الأراضى المحتلة ـ ومنها القدس والمسجد الأقصى المبارك ـ يتناقض مع ما اتخذه العرب والمسلمون من قرارات وتوصيات للإبقاء على المقاطعة .

وندد فضيلة شيخ الأزهر فى حديثه الذى نقلته وكالة الأنباء القطرية بالممارسات الوحشية التى يرتكبها الصرب بحق المسلمين فى البوسنه ، والهرسك ، ودعا الدول الإسلامية إلى اتخاذ موقف حازم تجاههم .

وأكد على ضرورة تحقيق التضامن الإسلامى لمواجهة التحديات التى تواجه الأمة ، وللحفاظ على حقوقها ومكتسباتها .

الإمام الأكبر في فتاويه الفقهية

١

للدكتور/ محمد رجب البيومى

بحين رجعت إلى ما أصدر الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر من الفتاوى الدينية ، والأحكام الفقهية ، تعاظمنى أن أجد ـ من الناحية الكمية فقط ـ عدة أجزاء حافلة بمشكلات العصر ، وموضحة سبل الهداية الإسلامية فى ضوء ما سنه التشريع الإسلامى من توجيه ، فقد نشرت دار الافتاء للشيخ الأكبر ثلاثة مجلدات تقع فى ثلاث وتسعين وألف من الصفحات تُسجّل ما أصدره المفتى الجادّ فى الفترة التى تولى بها الإفتاء ، وهى لا تزيد عن ثلاث سنوات وأربعة أشهر كما نشرت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية مجلدين كبيرين يقعان فى ثلاثين وسبعمائة وألف من الصفحات تحت عنوان (بحوث وفتاوى إسلامية فى قضايا معاصرة) هذا من الناحية (الكميّة) ، ومن يعرف دقة المفتى الأكبر ، وبُعْدَ غَوْصِهِ ، وصبره على الاجتهاد الفقهى المستند إلى القواعد الراسخة فى علم الأصول ، مع بصر بطبيعة العصر وملابسات الحياة ، يعرف قيمة (الكيف) الثمين لهذه المؤلفات الدقيقة ذات الوزن الراجح لدى الدارسين ، وهذا غيرُ ما لم يُجمع بعد ، إذ تتهيأ اللجنة العليا للدعوة الإسلامية لإصدار المجلد الثالث عن قريب .

ومع عدم صلتى المباشرة بالدراسات الفقهية ذات التخصص الدقيق ، فإن اشتغالى بتراجم الأئمة من فقهاء العصر من أمثال : السيد محمد رشيد رضا والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبدالمجيد سليم والشيخ يوسف الدجوى والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ محمد أبو زهرة ممن تحدثنا عنهم فى أجزاء كتابى ، (النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين) هذه الصلة تدفعنى إلى قراءة ما كتبه هؤلاء الأعلام فى ميدان الفتوى ، لذلك كان من الطبيعى أن أتابع ما يصدره الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على الحق متابعة جادة ، لأسعد بما سعدت به من ثمار يانعة فى هذا المضمار ..

صلتى ببحوث

الإمام الأكبر

ومن الحق أن أذكر أنى تابعت بحوث الإمام الأكبر من عهد بعيد ، قبل أن يتولى الإفتاء بعشرين عاماً ، إذ كنت أقرأ ما ينشره فى (مجلة المحاماة) وفى (مجلة دنيا القانون) من بحوث تشريعية دقيقة ، ذات نهج استقلالى بارز ، ولا أنسى فى هذا المجال مقاله المنشور بالسنة الثالثة العدد الثالث سنة ١٩٦١ من مجلة (دنيا القانون) حيث عارض فى قوة مكينة حكما أصدرته محكمة النقض مخالفا لما أصدرته محكمة الاستئناف ، وكان يومئذ قاضيا لمحكمة الأحوال الشخصية بمصر الجديدة فلا صلة له رسميا بما دار بين المحكمتين ، ولكنه رأى فى حكم محكمة النقض ما يخالف التشريع الإسلامى ، فكتب مقاله الدقيق تحت عنوان (نصاب الشهادة فى إثبات المواد الشرعية) (اختلاف محاكم الاستئناف فيه ورأى محكمة النقض) ومناط الخلاف يتحدد فيما رأته محكمة النقض من الاكتفاء بشاهد واحد فى (دعوى التطليق لعدم الإنفاق) مخالفة بذلك ما اتجهت إليه محكمة الاستئناف من عدم الاكتفاء بالشاهد الواحد ، ووجهة نظر محكمة النقض هى أن التطليق للإنفاق ليس له حُكْمٌ فى الفقه الحنفى ، فيتعين الرجوع إلى القانونى الوضعى !

وقد رأى الأستاذ جاد الحق فى حكم النقض بُعدًا عن الصواب ، فتقدم بدراسة أصولية جادة فى بحثه ، تؤكد أن (المصدر الوحيد للحكم هو القول الراجح للمذهب الحنفى) وأنّ الإجماع منعقدٌ بين كافة المذاهب جميعها ، لا المذهب الحنفى ـ وحده ـ على أنّ الزواج والطلاق والنسب والرجعة لا يثبت بقول شاهد واحد ، وكان من اللازم على محكمة النقض أن ترجع إلى فقه المذهب الذى تأخذ به المحاكم فى مصر ، إذ ترى أن يكون الشهود رجلين أو رجلا وامرأتين ، أما المحاكم التى تقبل قول شاهد واحد ، وتقضى بمقتضاه فهى متأثرة بقواعد الإثبات فى التقنين المدنى ، والفقه الحنفى هو المصدر الوحيد فى القواعد الموضوعية لإثبات المواد الشرعية المبينة بالمواد ٥ ، ٦ ، ٨ من اللائحة الشرعية . وبعد

بحث فاحص شمل أربع صفحات[1] أنهى الأستاذ بحثه بقوله :

كان الواجب أن يفرق فى التطبيق بين قواعد الإثبات فى المواد الشرعية ، وبين الإثبات فى المواد المدنية ، لأن المشرع لم يوحد بينهما بعد ، وكما لا يجوز إخضاع المواد المدنية لطرق الإثبات فى المواد الجنائية فكذلك يكون خطأ فى التطبيق إخضاع المواد الشرعية لقواعد الإثبات فى المواد المدنية .

هذا التصدى من قاضى محكمة الأحوال الشخصية لحكم المستشارين بمحكمة النقض انتصار للشريعة الإسلامية ـ فوق أنه حمية دينية هو رجولة باسلة فى عصر ألغيت فيه المحاكم الشرعية ، وقام اليساريون بالشغب عليها فى أمهات الصحف ، ولا أكتم القارىء أنى حرصت على متابعة ما يكتب القاضى العادل منذ هذا المقال .. هذه واحدة .

أما الثانية : فقد طلبت منى مجلة (طبيبك الخاص) مقالا عن الحكم الفقهى فى ختان البنات ، وكنت من كتاب هذه المجلة ـ حيناً من الزمن ـ ولكنى لست بالفقيه الذى يصدر الرأى فى ثقة مطمئنة ، فرأيت أن أرجع إلى فتاوى ذوى الاختصاص ، وطالعت ما كتبه الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، والمفتى الأكبر الشيخ حسنين محمد مخلوف ، ولجنة الفتوى بالأزهر ، وقد انتهوا جميعاً إلى رأى مقارب عبرت عنه لجنة الفتوى[2] بقولها :

« إن الإسلام لم يوجب على أهله الإختتان إيجاباً ، كما هو مذهب الإمامين : أبى حنيفة ومالك ، ولم يجعله شرطاً للإسلام ، فهو فى نظرهما سنة للرجال إن شاءوا أخذوا به تصونا وتطهرا ، وإن شاءوا تركوه .

أما النساء فلم يصل إلى درجة السنة فى مذهب الإمامين السابقين ، ولكن عندهما (كرامة) لهن فقط ، لذلك نجد أكثر المسلمين لا يختنون نساءهم ، فالأتراك كافة والمغاربة والإيرانيون والهنود وغيرهم لا يعلمون بهذه العادة فيما يتعلق بنسائهم » .

كما عبر عنه الأستاذ حسنين مخلوف فى فتواه الصادرة من دار الإفتاء بمصر (شعبان سنة ١٣٦٨ هـ) حيث قال ـ بعد أن أشار إلى عدة مذاهب :

(فتلخص من ذلك أن أكثر أهل العلم على أن خفاض « ختان » الأنثى ليس واجباً ، وهو قول الحنفية والمالكية والحنابلة ، ومروى عن بعض أصحاب الشافعى ، فلا يوجب تركه الإثم ، وأن ختان الذكر واجب ، وهو شعار المسلمين ومن ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو مذهب الشافعية والحنابلة ومن هذا يعلم أنه لا إثم فى ترك خفاض البنات كما درج عليه كثير من الأمم بالنسبة لهن) .

ولم يكد مقالى يظهر فى مجلة (طبيبك الخاص) حتى كتب إلى الأستاذ الكبير محمد سعيد العامودى رئيس تحرير مجلة رابطة العالم الإسلامى

(١) مجلة دنيا القانون صفحات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) مجلة الأزهر المجلد السابع ص ٣٤٩ .

بمكة ، يعلن أنه قرأ المقال ولم يسترح لقراره النهائى ، ويتمنى أن أرجع إلى فتوى الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق فى هذا المجال .

قلت متعجباً : أيكون للإمام الأكبر ، رأى فى الختان وأغفل عن قراءته ؟!. وسارعت إلى مجموعة دار الإفتاء الخاصة بفتاويه ، فوجدت طلبتى بالمجلد التاسع[٣] ، حيث أجاب فضيلته عن سؤال خاص بالختان ، فبدأ بالحديث عن الفطرة وأن الختان منها ، معددا أقوال العلماء فى معناها ومنتهياً إلى ما استصوبه الإمام النووى من أن معناها (السنة) ، ثم نقل نصا وافيا لابن القيم فى (تحفة المودود) يسرد أقوال العلماء فى الختان من أمثال : الشعبى وربيعة والأوزاعى ومالك والشافعى وأحمد والحسن البصرى وأبى حنيفة ، وعَّقب على هذه الأقوال بذكر خلاصتها ، وهى اتفاق الفقهاء على أن الختان فى حق الرجال والخفاض فى حق النساء مشروع .

ثم انتقل إلى استدلال الفقهاء على خفاض النساء بحديث أم عطية التى كانت تختن بالمدينة ، وقد قال لها الرسول - ﷺ : « لا تنهكى ، فإن ذلك أحظى للزوج ، وأسرى للوجه » وبحديث آخر عن أم حبيبة وقد عرفت بختان الجوارى ينحو منحى الحديث السابق ، وثلَّث بحديث لأبى هريرة ثم قال الشيخ :

« وهذا التوجيه النبوى إنما هو لضبط ميزان الحس الجنسى عند الفتاة ، فأمر بخفض الجزء الذى يعلو مخرج البول لضبط الاشتهاء ، والإبقاء ، على لذات النساء ، واستمتاعهن مع أزواجهن ، ونهى عن إبادة مصدر هذا الحس واستئصاله وبذلك يكون الاعتدال ، فلم يعدم المرأة مصدر الاستمتاع والاستجابة ، ولم يبقها دون خفض فيدفعها إلى الاستهتار ، وعدم القدرة على التحكم فى نفسها عند الإثارة » ثم انتهى بعد حديث جيد إلى قوله :

« وإذْ قد استبان مما تقدم أن ختان البنات المسئول عنه ، من فطرة الإسلام ، وطريقته على الوجه الذى بينه رسول الله ﷺ ، فإنه لا يصح أن يترك توجيهه وتعليمه إلى قول غيره ، ولو كان طبيباً ، لأن الطب علم ، والعلم متطور ، تتحرك نظرته ونظرياته دائماً ، ولذلك نجد أن قول الأطباء فى هذا الأمر مختلف ، فمنهم من يرى ترك ختان النساء ، وآخرون يرون ختانهن ؛ لأن هذا يهذب كثيراً من إثارة الجنس ، لاسيما فى سن المراهقة التى هى أخطر مراحل الفتاة .

هذا ما قاله الأطباء المؤيديون لختان النساء ، وأضافوا : أن الفتاة التى تعرض عن الختان تنشأ من صغرها ، وفى مراهقتها حادة المزاج ، سيئة الطبع ، وهذا أمر يصوره لنا ما صرنا إليه فى عصرنا من تداخل وتزاحم ، بل وتلاحم بين الرجال والنساء فى مجالات الملاحقة والزحام التى لا تخفى على أحد فلو لم تقم الفتاة بالختان لتعرضت لمثيرات عديدة تؤدى بها - مع موجبات أخرى تزخر بها حياة العصر وانكماش الضوابط فيه - إلى الانحراف والفساد .

هذا لُباب الفتوى ، وهى تحرص على ختان الفتاة ، ولا تهون من شأنه ، وحين وقفت عليها

(٣) الفتاوى الإسلامية - الجزء التاسع - ص ٣١٢٣ .

بعد كتابة مقالى السالف ، رأيت أن أضيف ما قاله الإمام الأكبر إليه ، حين نشرته بالجزء الثانى من كتابى (من منطلق[٤] إسلامى) . وقلت : إنها وجهة نظر أحترمها ، وزدت على ذلك بأن قلت : إذا كان الواقع الاجتماعى لدينا بهذه الصورة الأليمة التى أشار إليها الإمام الأكبر ، فليس الختان ـ وحده ـ هو الذى يصحح هذا الوضع الأليم ، بل التربية الإسلامية التى تنشأ فى البيت والمدرسة ، هى الحاجز الواقى قبل كل شىء) .

منهج الإمام فى فتاواه

ولعل القارىء من خلال هذا العرض المقتضب جدا لفتوى الإمام الأكبر يلاحظ طريقته فى الفتوى .

إذا يقدم النصوص الدالة من الكتاب والسنة .

ثم يعرض ما يعلمه من أقوال الأئمة فى التراث الإسلامى .

وينتهى إلى ترجيح ما يراه بأدلة فقهية من اطلاعه ، وأخرى من مشاهداته فى المجتمع .

وهذا الحرص المتأنى على ذكر الأقوال المختلفة لكبار الفقهاء قد يؤدى إلى الإطالة ، بالنظر إلى الفتاوى الأخرى لبعض النظراء ، ولكنها إطالة يتطلبها المقام ، وتؤدى بالقارىء الدارس إلى الإلمام ، بما يحيط الموضوع من وجهات شتى ؛ فإذا آثر الإمام حكما على غيره كان للدارس من قرائه أن يزن أدلته وزناً محايداً . **لذلك أعد من مميزات الفتوى لدى الإمام الأكبر هذه الإحاطة الشاملة دون نقص ، وهذا الإسهاب الوافى دون اكتناز .**

طريقة الإمام محمد عبده :

وأذكر بهذه المناسبة أن الإمام محمد عبده ـ رضى الله عنه ـ كان يهتدى إلى الرأى الفقهى فى فتواه فى ضوء ما يعلم دون أن يهتم بنصوص الفقهاء ، وقد لاحظ الأستاذ عبدالمجيد سليم هذه الناحية فيما أثر من فتاوى الأستاذ الإمام فقال بصدد ذلك[٥].

« إن الناحية التى تجلت فيها مواهب الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده هى إدراكه الصحيح لمعانى القرآن الكريم . وفهمه الدقيق لأغراضه مع بصر عظيم بأحوال الناس وعبر التاريخ ، وكان ـ رضى الله عنه ـ يعتمد فى فتاواه على إدراك روح الشريعة ، وتبيين أغراضها العامة ، لا على مناقشة المذاهب ، وترجيح أقوال الفقهاء ، ولذلك تأتى فتاواه غالباً مختصرة ؛ وقد تثير خلافاً بين أهل العلم ، ومن أمثلة ذلك أنه : أفتى فتواه المشهورة بجواز لبس (البرنيطة). فقامت من أجلها ضجة هائلة بين العلماء وأهل الأزهر يومئذ ، فلما أردت أن أفتى فى هذا الموضوع انتفعت بموضع العبرة فيه ، فأخرجت فتواى التى تجيز لبس البرنيطة إخراجاً فقهياً مؤيداً بقول العلماء جارياً على طريقتهم فى الاستدلال والترجيح ، وبذلك لم يستطع أحد أن يشغب على هذه الفتوى ، أو يثير فى شأنها جدالًا .

(٤) من منطلق إسلامى جـ ٢ ص ٢٥ للدكتور محمد رجب البيومى .

(٥) مجلة الرسالة ـ العدد ١٤٤٩ ـ ٩ فبراير سنة ١٩٤٢ .

مراجع الإمام جاد الحق :

والذى يقرأ فتاوى الإمام الأكبر ، ولا يدرى أنه حنفى المذهب ـ لا يشعر إطلاقاً بأنه حنفى ، لأن مراجعه فى الفتوى الواحدة تشمل مذاهب الأئمة جميعاً ، لا أئمة أهل السنة وحدهم من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ، بل من جميع أئمة الفقه : ظاهرية وإباضية وزيدية وإمامية ومن لا أحصى ، وقد أدهشنى أن أرى أسماء مؤلفات لم أعهدها من قبل على طول عهدى بقراءة الفهارس المكتبية فى التراث الفقهى ، وأقول : (الفهارس) مقتصراً عليها كيلا أدعى ما ليس لى ، وقد عهدنا فى بعض الكبار بعدا عن الاستشهاد بآراء من دونهم من التلاميذ ، ولكن الإمام الأكبر يشيد بما يراه صحيحاً ويدل عليه ويعده من مراجعه ، وهو تواضع حميد ، يضرب المثل الحى لمن يريد أن يبحث عن الحق حيث وجده ، وألح على تأكيد هذا المعنى ؛ لأنى أعلم من الكبار من يأنف أن يشير إلى من لا يراهم فى مستواه ، وقد حفظنا من قضايا الدراسة الأزهرية قول أساتذتنا : « ليس فى العلم كبير » .

هذا وفى مجال ما صدر من كتب الفتاوى الفقهية رأيت الشيخ الأكبر قد استوعبها استيعاباً فى شتى مذاهبها قديمة ومعاصرة ، ولا أدرى لماذا لم أجد أثراً للاستشهاد بفتاوى السيد محمد رشيد رضا ، وقد صدرت عن لبنان فى خمسة أجزاء كبار بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد وزميل له ، والسيد رشيد رضا من الرسوخ والنباهة بحيث لا يجهل مكانه ، والإمام الأكبر يرجع إلى تفسير المنار كثيراً ، ولن يكون المفسر لآيات الأحكام غير فقيه مرموق ! إذ مما يؤكد هذ الاطلاع الشامل لكتب التراث الفقهى المذهبى فى شتى مصادره أن الإمام الأكبر حين يتحدث عن قضية هامة فى فتوى محدودة يستند المستفتى فيها إلى بعض الأحاديث التى تكون موضع نظر ، لا يكتفى بالحكم الفقهى ـ وحده ـ بل يمتد إلى القواعد الأصولية ، ليصل إلى مبتغاه وقد روى الظمأ وشفى الغليل ، ففى السؤال الخاص بظاهرة الصرع ودخول الجن جسد الإنس ، واستناد بعض القائلين إلى خبر الآحاد فى هذه العلاقة المشار إليها بين الجن والإنس فقال المفتى الأكبر ما يردده أصحاب هذه الاتجاهات من أحاديث الآحاد ، ورأى من جوهر الفتوى أن يتحدث بإشباع عن محل العمل والاحتجاج بخبر الآحاد ناقلًا عن البزدرى والنووى والغزالى ومشيرا إلى مراجع أخرى للشوكانى والسرخسى والتفتازانى والآمدى وابن حزم لينتهى إلى تأكيد ما تقرر من أن أحاديث الآحاد ليست حجة فى باب الاعتقاد ، لأنها توجب الظن لا العلم القطعى ، فى ظلال فتوى فقهية ، هذا البحث الجاد عن أحاديث الآحاد فى ظلال فتوى فقهية خاصة بالجن يصلح أن يكون بحثا مستقلا إذا استوفى بعض ما اجتزأه الأستاذ الأكبر من النصوص الفقهية لأعلام التشريع ، ولذلك دلالته الباهرة فى وحرصه الأكيد على استيفاء البحث الفقهى ، وإنارة ما قد يلوح فى الأفق من شبهات .

(٦) بحوث وفتاوى فقهية للإمام الأكبر جـ (١) ص ٤٨ وما يليها من الصفحات .

مع سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

قرئت الآية : ما كان للنبى ، والمراد به نبى الإسلام المخاطب بالآية ﷺ أو أى نبى فى قومه ، وإذا أريد أى نبى رجعت الآية إلى معنى التنكير بمعنى أنه لاينبغى ذلك لأى نبى . والأسرى : جمع أسير ، وهو أخيذ الحرب ، الذى يستولى عليه خصومه ويأخذونه لديهم ، والكلمة من الأسر ، وهو الربط والشد بالإسار – والإسار – بكسر الهمزة : هو السير المقدود من الجلد ، يُشَد به الشخص أو الشيء ويربط ، وكانوا يربطون الأسير كيلا يهرب ، فهو بمعنى المربوط ، ولكن توسعوا فى الكلمة . وصار اللفظ يطلق على أخيذ الحرب ربط أو لم يربط ، وتقول لمن تمدحه : أنا أسير نعمتك أو أسير فضلك ، بمعنى قيدتنى بما أفضلت علىَّ ، فلا أخــرج عن مرضاتك . ويجمع – أيضا – على أسارى . وجاء فى القرآن الكريم : « وإن يأتوكم أسارى تفادوهم » وتفتح همزة أسارى وتضم ، وقيل : إنه جمع أسرى فهو جمع الجمع ، ويجمع أسير – أيضا – على أسراء كشهيد وشهداء ، ورحيم ورحماء . والمطرد فيه أنه يجمع على قتلى . كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ، قال الزجاج : إنه جمع مختص بذوى العاهات كهذه الأمثلة السابقة ، ولذا لا يأتى فى نحو رحيم وعظيم . وقالوا : إنه على تشبيه فعيل بفعلان . ففعلان يجمع على فَعْلَى ، كسكران وسكرى . وظمآن وظمأى ، وقالوا – أيضا – فى كسلان : كسالى وفى سكران سكارى ، وقرىء : وترى الناسَ سكارى وسكرى ويقولون: حيرى وحيارى جمع حيران

والإثخان فى الأرض : يراد به المبالغة فى القتل والإكثار منه كى يقل الأعداء ويذلوا فيقوى المسلمون ويتهيأ لهم النصر . والكلمة من الثخانة ،

وأساسا هى الغلظ والكثافة فى الأجسام ، واستعمل للمبالغة والقتل والجراحة ؛ لأن القتل والجرح المبالغ فيه يمنع من الحركة ، فيصير الجسد لعجزه كالدم الثخين الذى لا يسيل ولا يفارق مكانه ، وقرئت الآية : « حتى يُثَخِّن فى الأرض » للمبالغة ، كتمزق ويمزق . ويَقْتل ويُقَتِّل

وقيل : التقدير ما كان لأصحاب نبى بدليل .. تريدون عرض الدنيا ، ولَيس برأى جيد وقد سبق .. تريدون ضمير المفرد – فى يكون له . وفى يثخن .

شغل حديث القتال والحرب سورة الأنفال كلها ، والآن جاء حديث الأسرى لأن النظر فى شأنهم يكون الفراغ من القتال ، والمعنى ، ما كان من حال نبى من الأنبياء ، ولا من شأنه فى تصرفاته مع الأعداء أو يهتم بأن يكون لديه أسرى منهم وإنما يشغله أمرهم بعد أن يثخنهم قتلا وتتم له الغلبة عليهم . ومن أثخنته الحرب أو الجراح أو أثخنه المرض ، ضعف عن الحركة والمقاومة ، وأحرى بكل محارب أن يثبط عدوه ويشل حركته بكل ما يستطيع ، وقتل العدو مما يبث فى قلوب الباقين .

والآية نزلت فى شأن الأسرى من المشركين الذين وقعوا فى أيدى المسلمين يوم بدر قيل : كانوا سبعين ، وقيل : كانوا أكثر ، وكان فيهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وفيهم عقيل بن أبى طالب أخو على – كرم الله وجهه – وصهر أو نسيب لعمر بن الخطاب ، واستشار رسول الله ﷺ فيهم أبا بكر – رضى الله عنه – فقال : قومك وأهلك ، استبقهم ، لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك ، وقال عمر – رضى الله عنه – : كذبوك وأخرجوك ، فقدمهم واضرب أعناقهم ، فإن هؤلاء أئمة الكفر ، وقد أغناك الله عن الفداء ، مكِّن عليا من عقيل ، وحمزة من العباس ، ومَكِّنى من فلان – نسيبه ، فاضرب أعناقهم . وقال عبد الله بن رواحة – رضى الله عنه – : يا رسول الله . انظر واديا كثير الحطب فأضرمه عليهم ناراً . فقال العباس وهو يسمع ما يقول : قطعت رحمك[1] – ودخل النبى – ﷺ – ولم يقل شيئا ، فقال أناس : يأخذ بقول أبى بكر – ربما لأنه أول من سئل أو لمكانته المعروفة ، وقال أناس : – يأخذ بقول عمر – فيضرب أعناقهم ؛ لأنهم كثيرا ما آذوا المسلمين ، وقال آخرون : يأخذ بقول ابن رواحة ، ثم خرج رسول الله ﷺ عليهم ، فقال : إن الله لَيُلَيِّنُ قلوبَ رجالٍ حتى تكون ألين من اللِّبِن (بكسر الباء وهى قوالب الطين النيء التى لما تجف) ، وإن الله – سبحانه – ليشدد قلوب رجال فيه (أى فى سبيل دعوته) حتى تكون أشد من الحجارة ، مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم – عليه السلام – قال : من تبعنى فإنه منى ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم ، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى – عليه السلام – قال : إن تُعَذِّبْهم فإنَّهم عِبادُك وإن تَغْفِرْ لَهم فإنك أنت العَزِيزُ الحَكيم . ومثلك يا عمر كمثل موسى – عليه السلام – إذ قال : رَبَّنا اطْمِسْ عَلى أَمْوالِهم واشْدُدْ على قُلُوبِهم ، فلا

---

(1) ليس بين العباس وابن أبى رواحة – رحم ، فعبد الله أنصارى خزرجى ، وإنما المراد قطعت الصلة بينك وبين أقارب رسول الله ﷺ أو بين القرشيين المسلمين وإخوانهم فى مكة .

يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ، ومثلك ياعمر كمثل نوح إذ قال : « رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا » ثم قال لأصحابه : أنتم عالة فلا يفلتن أحدٌ إلا بفداء أو ضرب عنق ، وكان الأسرى عند عددٍ من الصحابة .

قال عمر ـ رضى الله عنه ـ فهوِىَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء ، قال سعد بن معاذ الأنصارى : كان أحب إلى أن يضرب أعناقهم ـ قال عمر : فلما كان الغد جئت ، فإذا رسولُ الله ﷺ وأبو بكر يبكيان ، قلت : يارسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما ، فقال له رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ابكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ، ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة ـ لشجرة كانت قريبة منه .

روى أيضا أنه ﷺ قال : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم فاديتموهم ، واستشهد منكم بعدتهم ، فقالوا : بل نأخذ الفداء ، فاستشهدوا بأحد .

وكان فداء الأسير عشرين أوقية ، ولكن فداء العباس كان أربعين أوقية . وقيل : بل كان الفداء مائة أوقية ـ والأوقية ستة دنانير وأربعون درهما .

وفى أخذ الفداء نزلت الآية : « لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .. وقال رسول الله ﷺ : لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ .

أورد الفخر الرازى اعتراضات الطاعنين فى عصمة الأنبياء تشثا بما فهموه من هذه الآية . وفند شبهاتهم ، ونوجزها فيما يلى :

قالوا : إن هذا الأسر منهى عنه بصريح هذه الآية ، ومع ذلك حدث ما نهى عنه ، وأجاب عن هذا بأن النهى له غاية وهى الإثخان فى الأرض : « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ » والإثخان : هو القتل والتخويف الشديد ، وهذا قد حدث يوم بدر . إذ قتلوا كثيراً منهم الملأ من قريش ، وجاء الأسر بعد هذا الإثخان . فالآية تبيح الأسر بعده .

وقالوا أيضا : إن هناك معصية فى مخالفة قول الله تعالى : « فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ » وأجيب عن هذا بأن الأمر كان للصحابة لإجماع المسلمين على أنه ﷺ ما كان مأمورا أن يباشر قتل الكفار بنفسه ، فإذا كان ثم ذنب فهو ذنب الصحابة الذين أقدموا على الأسر ، لا ذنب الرسول ، ونقل إن الصحابة لما هزموا الكفار وقتلوا منهم جمعا عظيما ، وفر من بقى ذهب الصحابة وراءهم وأسروا من أسروا بدون علم الرسول ، ولم يقتل الرسول ﷺ الأسرى ، لأن الأمر مختص بحال الحرب ، وقد رأيناه ﷺ يستشير الصحابة فيما يصنع بشأنهم ، وقال لهم : إن شئتم قتلتموهم . وإن شئتم فاديتموهم .

وأرى أن الأمر أيسر من ذلك ، فالأمر بالضرب فوق الأعناق . وضرب كل بنان لا يعنى استئصال المحاربين ، والمسلمون أطاعوا الأمر وضربوا .

هذا إلى اعتراضات أخرى أجاب عنها وليست ذات بال .

وقد آثرتْ الآية ههنا القتل على الفداء ، وفى

سورة القتال . جاء التخيير ، إذ قال الله تعالى :

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » . ذلك لأن المسلمين يوم بدر كانوا لا يزالون قلة ، وهم يومئذ بحاجة إلى بث الخوف فى نفوس أعدائهم ، فأحرى بهم أن يقتلوهم ويقللوا عددهم . وبعد أن استقرت أقدامهم وثبتت لهم القوة ، ترك لهم الخيار فى المن على الأعداء ، وإطلاق سراحهم أو أخذ الفدية منهم .

ومعنى « تريدون عرض الدنيا » ــ تريد الفداء والمال الذى يفتدى الأسرى به أنفسهم ، وهو عرض لا ثبات له .. كما فى الحديث : الدنيا عَرَض حاضر » أى لا ثبات لها . والعرض فى الأصل كل شىء يعرض ويذهب ، وهو ــ أيضا ــ اسم لما يقوم بغيره كالألوان ، وهو يقابل الجوهر الثابت الذى يقوم بنفسه ويقوم به غيره . كالأجسام ، والآية سيقت مساق العتاب للصحابة الذين آثروا أخذ الفدية ، والمال لا ثبات له ولا بقاء ، والله ــ تعالى ــ يريد لهم ثواب الآخرة الباقى ، وقد شرع للناس السبل المؤدية إليه ، من طرق المعاملات السليمة . ومن الجهاد فى سبيل الفكرة الإسلامية ، ودحر الأعداء الذين يكيدون للإسلام ، ولا فائدة فى الحصول على الأموال والأعداء موفورو العدد والقوة .

وليست الإرادة ههنا هى إرادة الخلق والتكوين ــ التى جاءت فى قوله تعالى : « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ » وإنما بمعنى يحب ويرضى لكم ثواب الآخرة . كما فى قوله تعالى :

« يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ » .

« وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » ــ فهو قوى غالب على أمره ، وهو ذو حكمة بالغة ، يضع الأمور فى مواضعها ، ولذلك يحب للمسلمين أوليائه أن يكونوا أعزة غالبين ، والإسلام واتباع أوامر الله وتعاليمه مما يمنح العزة والغلبة « وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ » وقد كانت العزة والحكمة فى تقديم الإثخان على الفداء .

والإسلام فى قتله المحاربين يعف عن قتل النساء والأطفال والعاجزين أيا كانوا ــ ونجد هذا صريحاً واضحاً فى وصية أبى بكر الصديق لجيش أسامة فى أول معركة للمسلمين بعد رسول ﷺ فقد سار الخليفة مع أسامة يودعه . فلما حان وقت عودته ومكان رجوعه استوقف الجيش ليوصيه ، بعد أن أوصى أسامة أن يتبع وصية رسول الله ﷺ وكان مما جاء فى وصيته للجيش المحارب : « لا تغدروا ، ولا تمثلوا ــ بقتيل أو جريح ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأةً ..، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له »

هذه الوصية تبين طرفاً من أخلاق المسلمين ونبلهم فى سلمهم وفى حربهم ، ومع إخوانهم وأعدائهم . ولمن شاء أن يوازن بينهم وبين المتحضرين فى القرن العشرين !!

أرأيت كيف نهى الخليفة الأول عن الغدر . وحكومة الصرب وحكومة إسرائيل لا يبالون أن يغدروا ويخونوا ، أرأيت كيف نهى الخليفة المسلم عن قتل الصغار والنساء والشيوخ المسنين ..!!

هؤلاء ليسوا محاربين فلا تجوز حربهم ، ثم هم عادة عُزّل لا أسلحة لهم ، ولا يستطيعون الكيد للمسلمين ، فلم يقتلون ! إنها النفس الإنسانية التى يحترمها الإسلام ، ثم عسى أن يهديهم الله فيكونوا مسلمين .

الإسلام يحترم النفس الإنسانية ، ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ بل فى كل كبد رطبة أجر ، ودخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت ، فلا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض ، وبينا رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فشرب منها ثم خرج فإذا كلب يلهث ، يخرج لسانه ليضعه على الأرض الندية عسى إذ يجد ما يطفىء ظمأه، فقال الرجل فى نفسه : لقد بلغ بهذا الكلب من العطش ما بلغ لى ، فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى منه الكلب ، فشكر الله له فغفر له . والإسلام – أيضا – يوصى ألا تحمل الدواب فوق طاقتها . وأن تطعم وتسقى .

هذه تعاليم الإسلام وأسس حضارته منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، وهو قد ظهر بين قوم أميِّين يعيشون فى الصحارى والأرض الجدبة ، ما أتاهم من معلم أو نذير قبل الإسلام ونبى الإسلام !! والآن وبعد تطاول هذه القرون ، نجد الصِّرب بمعاونة الدول المتحضرة من أوروبا وأمريكا ، تقتل الآلاف من المسلمين الذين لم يبدأوها بحرب ، وهى تحصد بآلاتها الحربية المتقدمة الفتاكة كل من تقابله ، الأطفال الصغار والشيوخ الكبار والنساء والعجائز المسنين وتهدم ديارهم وتتلف مزارعهم .. الخ . وقد جاء فى وصية الصديق لجيش أسامة لا يعقروا نخلا ولا يحرقوه ، وألا يقطعوا شجراً مثمراً .. والصِّرب فى البوسنة قد فعلوا كل ذلك .

وأنكى من ذلك وأسوأ أن يقتل المصلون فى الحرم الإبراهيمى : إنهم فى عبادة ، على أقل تقدير مثل أولئك الذين فى الصوامع الذين فرغوا أنفسهم للعبادة .

هذا يعنى أن المسلمين فى نظر اليهود والصربيين . أقل من الحيوانات العجم التى أوصى الإسلام أن ترحم ، وأن تطعم وتسقى !!

لا مبرر إذن ولا مساغ أن يقول مستشرق أو غير مستشرق أن الإسلام كان قاسياً حين قتل أعداءه المحاربين ، أليسوا هم الذين حاربوا المسلمين وحرصوا على قتل نبى الإسلام ؟! ماذا كان ينتظر لو أطلقوا سراح الأسرى وغير الأسرى بلا قصاص ولا فداء ؟ أليس ذلك تشجيعاً لأعدائهم ؟!

اعتبروا يا أهل التقدم الحضارى : حضارتكم ملوثة ، بها أسلحة وآلات دمار شامل ولكن ليس بها رحمة ولا عدالة ولا إنسانية !

الإسلام حول الأميين الجهلة السذج إلى دعاة حضارة وإنسانية ، وأنتم حولتم الإنسان إلى وحش لا هم له إلا أن يلغ فى دماء الأبرياء .

لعنة على حضارتكم الزائفة .

اللهم أحينى مسلماً وأمتنى مسلماً واحشرنى مع المسلمين .

من سورة البقرة

لكل أمر باب

للشيخ / أحمد بن محمد طاحون

قال الله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ سورة البقرة

الأهلةُ : جمعُ الهلال ، والهلالُ أولُ ما يظهرُ لنا من نور القمرِ إلىٰ ثلاثِ ليالٍ ، وقيل : هو هلالٌ حتىٰ يُبهرَ بضوئه السماءَ وذلك ليلةَ سبع ، وإنما جُمع وهو واحدٌ باعتبار تَعدُدِ ظهورهِ إذْ هو يظهرُ فى كل شهْر ، ويُعَبَّرُ بالأهلة عن الشهور ، وبها تَرتبِطُ مصالحُ الناس .

والمواقيتُ : جمْعُ الميقات وهى معالـمُ يُوقِّتُ بها الناسُ مَزارِعَهم ، ومَتاجرَهم ، ومحالَّ دُيونِهم ، وصومَهم ، وفِطْرَهم ، وَعِدَدَ نسائِهم ، وأيامَ حَيْضِهِّن ، ومُدَدَ حَمْلِهِنَّ وغيرَ ذٰلك ، ومعالمُ للحجِّ يُعرَفُ بها وقتُه ، وكلُّ ذٰلك مرتبطٌ بالشهور القمرية وبظهوره فى أولِ الشهرِ هلالًا كالخيْط الرفيع ، ومَحاقِه واختفائِه آخرَ يومين فيه .

وسؤالُهم عن الأهِلَّة : إنما كان عن أحـوالِ الهلالِ ، فهو يبدو دقيقاً فى أول الشهرِ ثم يَزِيدُ حتى يَستوِى ويستديرَ ، ثم ينتقصُ حتى يعودَ كما كان ، وكذلك كان السؤال عن محاقِه ، ومخالفتِه للشمس من حيث ظهُورِها علىٰ حالةٍ واحدةٍ بخلافِه .

وقد جاء الجوابُ فى الآية علىٰ غير ما يَتوقَّعُ أصحابُ السؤال : إذ كان السؤالُ عن أحـوال الهلالِ ، وجـاء الجوابُ عن الحِكمـة فى هٰذه الأحوالِ ، وما فى ذٰلك من المنافـع لهم والـرحمةِ بالناس .

﴿ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾

فبيَّنت وجْهَ الحِكمةِ فى زيادة القمرِ ونُقصانه ، وهو زوالُ الإشكال فى الآجال ، والمعامـلاتِ ، والأيمانِ ، والحجِّ ، والعِدَدِ ، والصومِ ، والفطرِ ، ومُدةِ الحمْلِ ، والإجاراتِ ، والأكرية إلىٰ غير ذٰلكِ مِن مصالح العباد ، وقد خُصَّ الحجُّ بالذكر فى الآية للتنبيه علىٰ مزيَّته من حيث أنه يُراعَىٰ فى أدائه وقضائِه الوقتُ المعلوم ، وأنه لا يجوزُ فيه التأخيرُ عن

وقته ، بخلاف سائرِ العباداتِ التى لا يُعتَبرُ فى قضائها وقتٌ معيَّن .

والحاصل : أن الهلالَ يبدو دائماً ويَظهرُ علىٰ حسب مصالحِ الناسِ لقُربه وبُعده من الشمس ، كما هو مبيَّنٌ فى فنِّ الهيئة ، ثم إن الشمسَ علىٰ حالة واحدةٍ ، لأنها ضياءٌ للعالم ، وقِوامٌ لمصالح الناس ، والقمرَ يتغيرُ لأن الله عَلَّق به ما يتصلُ بالمواقيت ، وذٰلك يُعرَف بهذه الاختلافات ، وهٰذا ما اقتضتْه الحكمةُ فى نطاق النظامِ الكونىِّ البديع ، المتَّسِقِ غايةَ الاتِّساق ، الذى يَسير بقدرةِ مُدبِّرِه علىٰ سَنَنٍ لا يَتخلَّف ، وفيه من آيات الرحمةِ بالخلْق ما فيه .

ذَكَر ابنُ كثير عن العَوفىِّ عن ابن عباس قال : سأل الناسُ رسولَ اللهِ صلىٰ الله عليه وسلم عن الأهلَّة : فنزلت هٰذه الآية : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ يعلمون بها حِلَّ دَيْنِهم ، وَعِدَّة نسائِهم ، ووقتَ حَجِّهم ، كما جعلها مواقيتَ لصوم المسلمين وإفطارهم .

تلك هى المسألةُ الأولىٰ فى هٰذه الآية ، أمَّا المسألةُ الأُخرىٰ فهى ما يتعلَّقُ بإتيان البيوتِ من ظهورها ، وقد كانوا يظنُّون ذٰلك من أعمال البرِّ والخير للمُحرِمِ ، وقد اتصل ذِكْرُ هٰذه المسألةِ بِذِكْرِ مواقيتِ الحجِّ لاتفاق وقوعِ المسألتين فى وقتِ السؤالِ عن الأهلَّةِ وعن دخول البيوتِ من ظهورها ، وهٰذا وَجْهٌ من وُجوهِ الربْطِ بين القضيتين وتواليهما فى آيةٍ واحدة ، وكما وَجَّهَت الآيةُ العبادَ إلىٰ إحسان السؤالِ عن الأمور ، وقَصْدِ التقصِّى عن الحِكمة ، وعمَّا فيه مصلحتُهم ، وما يعودُ عليهم من المنافع ، فإنها بيَّنت لهم أنَّه ليس من الحِكمة فى شىء إتيانُ المُحرِمِ أو غيرِه البيوتَ من ظهورها ، وقصد المَشقَّةِ والتشديدِ علىٰ النفس بما لم يَشرَعْه الله . ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ جاء عند البخارى عن البراء قال : كانوا إذا أُحرموا فى الجاهلية أَتَوا البيتَ من ظهره فأنزل الله الآية .

والبِرُّ : اسمٌ جامعٌ للخير ، والمقصودُ ما فيه قُرْبَةٌ إلىٰ الله ومن أسباب نزولِها ـ أيضاً ـ ما رواه أبو داود عن البراء : كانت الأنصارُ إذا قَدِموا من سفَر لم يدخل الرجلُ مِن قِبَل بابه .

وقال محمد بنُ كعب : كان الرجل إذا اعتكف لم يدخل منزلَه من باب البيت ، وقال عطاء بنُ رباح : كان أهلُ يثربَ إذا رجعوا من عيدهم دخلُوا منازلَهم من ظهورها ، ويَرون أن ذٰلك أُدنىٰ إلىٰ البرِّ .

ولقد كان الناسُ فى الجاهلية وفى أول الإسلامِ يظنُّون أنه لابدَّ فى الإحرام من تغييرِ جميع العادات ، فيغيِّرون عاداتِهم فى الدخول إلىٰ المنازل كما غَيَّروها فى اللباس والتطيُّب ، وقالوا : لا ندخلُ بيوتاً من الأبواب حتىٰ ندخلَ بيتَ الله تعالىٰ ، وكان منهم مَن لا يَستظلُّ بسقْفٍ بعد إحرامه ، وهٰذه أشياءُ وضعوها من عند أنفسِهم من غير شرْع ، فعرَّفهم اللهُ تعالىٰ أن هٰذا التشديدَ ليس برًّا ولا قُربةً ، وقيل لهم : ليس البِرُّ بتحرُّجكم من دخول البابِ ، لٰكنَّ البِرَّ هو بِرُّ مَن اتَّقىٰ ما حَرَّم الله ؛ ولم يَبتدِعْ فى دينه ما ليس منه .

ثم أكَّدت الآيةُ بُطلانَ هٰذه العادةِ وعدمَ اتساقها مع مقاصدِ الشرع ، فأمر ـ سبحانه ـ بدخول

البيوتِ من أبوابها ، فقال : ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ ﴾ وبيَّنت الآيةُ أن الإخلاص هو روحُ العمل ، وأن مَناطَ البرِّ فى تقوىٰ الله ومراقبتهِ والقيامِ بما أمر اللهُ به ، واجتناب ما نَهىٰ عنه ، ففى ذٰلك الفلاحُ والفوز :

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

وفى الآية الكريمةِ تربيةٌ عظيمةٌ للنفوس ، وتدريبٌ للعقل ، وإرشادٌ إلىٰ توخّى المقاصِد الصحيحة ، والقصْدِ إلىٰ الأمور من وجوهها التى لا تُباشَرُ إلَّا منها ، وتَحَرِّى الأسبابِ المُعِينةِ علىٰ الوصول إلىٰ الغاية من أقرب طريقٍ ، وبأيسرِ جُهْدٍ ممكن .

وفى سياق هٰذا التوجيهِ لإتيان الأمورِ من مظانِّها وأبوابِها يقول أبو عبيدة : الآيةُ ضَرْبُ مثَلٍ ، والمعنىٰ : ليس البرُّ أن تَسألوا الجُهالَ ولٰكن اتقوا الله واسألوا العلماء ، فهٰذا كما تقول : أتيتُ الأمرَ من بابه .

وقال بعضُهم : ذَكَر اللهُ إتيان البيوتِ من أبوابها مَثلًا ليُشِيرَ به إلىٰ أنْ يأتِىَ العبدُ الأمورَ من مَأْتاها الذى نَدبنا اللهُ تعالىٰ إليه .

فالآيةُ خرَجَتْ مَخْرَجَ التنبيهِ من الله ـ تعالىٰ ـ على أن يأتِىَ العبادُ البِرَّ من وَجْهه ، وهو الوجْهُ الذى أمر اللهُ تعالىٰ به .

وفى هٰذا ذَمٌّ للتعطيل وتركِ القُرباتِ والفرائضِ ، وتقبيحٌ للابتداع ، ولعدم تحرِّى مقاصدِ الشريعةِ وأوامرِها ، وتبشيعٌ للفِكر المُلتوى المعكوسِ الذى يأتى بما يُخالِفُ الدينَ الحقَّ ، أو يحاولُ إبطالَ الحقِّ وإحقاقَ الباطلِ قَصْدَ التشويشِ والصدِّ عن سبيل الله ، وردِّ الناسِ عن الاستقامة فى العقائدِ أو الأعمالِ أو المسالكِ والتَّوجُّهاتِ .

فهو مَثَلٌ يُضربُ فى كل حالةٍ نحتاجُ فيها إلىٰ التذكير والتوجيهِ والتنبيهِ إلىٰ مباشَرةِ الأمور من وجهها المناسِبِ ، ووضعِها فى مواضِعِها الصحيحة ، وإلىٰ الإتيانِ بالأعمال علىٰ النحو المناسِبِ بلا خَللٍ ولا نُقصانٍ ولا عكسِ المُرادِ سواءٌ فيما يتعلق بالعبادات ، أو المصالح ، وحلِّ المُشكِلِ من الأمور ونحوِ ذٰلك .

إنه مثَلٌ يجعلُ الأمرَ المذمومَ أو القصدَ الخَبيثَ كأنه قصةٌ ماثلةٌ للعِيان ، نَرىٰ صاحبَها يتركُ بابَ الدار ويتسلقُ الجِدار ، أو يَنْقُبُ نَقْبًا فى ظهْر بيتِه ويدخلُ منه ، فهو فى سفاهةٍ ، وتعَبٍ ، ومَشقةٍ ، يحتارُ أهلُ الحِكمةِ فى أمره ويتعجَّبون منه ، وهو يَزيدُهم تحيُّراً بسوء تدبيره وفسادِ تفكيره .

سؤال :

قال صاحب البرهانِ فى علوم القرآن : قد يقال : أىُّ رابطٍ بين أَحكامِ الأهلَّةِ وحُكمِ إتيان البيوت ؟ والجوابُ من وجوه :

أحدها : كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة فى تمام الأهلَّةِ ونقصانِها : معلومٌ أن كلَّ ما يفعلُه اللهُ فيه حكمةٌ ظاهرةٌ ، ومصلحةٌ لعباده ، فَدعُوا السؤال عنه ، وانظُروا فى واحدة تفعلُونها أنتم ، مما ليس من البرِّ فى شىء وأنتم تحسبونها بِرًّا ، أى إن إتيانَكم البيوتَ من ظُهورها يَخلُو من أى وجْهٍ للحكمة .

والثانى : تنبيهُهم إلىٰ ما كان ينبغى لهم من السؤال عن حالهم هٰذا ، وهو الإتيانُ من ظُهور

البيوت والأَخبِية ، وتَركُهم السؤالَ عن الأهِلَّة وأحوالِها ، ونظيرُ هٰذا الاستطرادِ فى الزيادة علىٰ الجواب قولُه ﷺ لمَّا سُئل عن المتوضِّيء بماءِ البحرِ فقال : « هو الطَّهُورُ ماؤُه الحِلُّ مَيْتَته » وهو استطرادٌ لفائدة . والحديث رواه أبو هريرة وأخرجه ابن ماجه .

ثم قال : أو أنه من قَبيل التمثيلِ لِمَا هم عليه : مِن تعكيسهم فى سؤالهم ، وأنَّ مَثَلَهُم كمثَل من يَتركُ بابًا ، ويدخلُ من ظَهْر البيت ، فقيل لهم : ليس البِرُّ ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلةِ ، ولٰكنَّ البِرَّ من اتقىٰ ذٰلك ، ثم قال : ﴿ وَأْتُوا ٱلْبُيوتَ مِن أبْوابِها ﴾ أى : باشِروا الأمورَ من وجوهها التى يجبُ أن تُباشَرَ عليها ، ولا تعكِسوا ، والمراد : أن يُصمِّمَ القلبُ علىٰ أنَّ جميعَ أفعالِ اللهِ حِكمةٌ منه ، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾(١). فإن فى السؤال اتهاماً(٢) .

ومِثْلُ هٰذا الجوابِ سَبَقه به صاحبُ الكشَّاف قائلًا فى تفسير المَثَل : والمعنىٰ : ليس البِرُّ وما ينبغى أن تكونوا عليه بأن تَعكسوا فى مسائلكم، ولٰكنَّ البِرَّ بِرُّ مَن اتقىٰ ذٰلك وتجَّنبه ، ولم يَجْسر علىٰ مثْله ، ثم قال :﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ . أى : وباشِروا الأمورَ من وجوهها ـ الصحيحةِ ـ التى يَجبُ أن تُباشَرَ عليها ، ولا تَعكسوا ، والمرادُ : وجوبُ توطينِ النفوس ، وربْطِ القلوب علىٰ أنَّ جَميعَ أفعالِ اللهِ حِكمةٌ وصوابٌ من غير اختلاج شُبهةٍ ، ولا اعتراضٍ شكٍّ فى ذٰلك حتىٰ لا يُسأَلَ عنه ، لما فى السؤال من الاتهام بمقارفة الشكِّ : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُم يُسْأَلُون ﴾ .

ومن الحكم المستفادة :

أَلَا تَرَىٰ : أننا فى كثير من الأحيان ، وإزاءَ كثيرٍ من تصرفاتنا وأفعالِنا نحتاجُ فى مجالِ الإرشادِ ، والتوجيهِ لتسديد الخُطا ، والحثِّ علىٰ تصحيح المسلكِ والعَملِ إلىٰ التمثيل بقولنا : ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾ . أو بقولنا : ﴿ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ . وللمتدبر فى الاية الكريمةِ كثيرٌ من الحِكَم والعِبَرِ منها : أنَّ ما لم يشرعْه اللهُ قُربة ، ولا نَدَبَ إليه لا يَصيرُ قُربة بأن يَتَقَرَّبَ له به مُتقرِّبٌ ، إذْ كلُّ ما له نظيرٌ فى الفرائض والسُّنَنِ يجوزُ أن يكونَ قُربة ، وإن لم يكن فليس بِبرٍّ ولا قُربة .

وتوضيحُ ذلك نعلمُه من قول النبىِّ ﷺ لأنصاريٍّ شدَّد علىٰ نفسه بأن نذَر أن يقومَ ولا يقعدَ ، ولا يستظلَّ ، ولا يتكلمَ ، ويصومَ فقال : « مُروه فَلْيتكلمْ ، ولْيَستظِلَّ ، وَلْيقعُدْ ، ولْيتمَّ صومَه » فأبطَل ﷺ ما كان غيرَ قُربةٍ مِمَّا لا أصْل له فى الشرع ، أى ليس من جِنس فريضةٍ ، وصَحَّح ما كان قُربةً مِمَّا له نظيرٌ فى الفرائض والسُّنَنِ ، وهو الصومُ فأمره بإتمامه .

« والله أعلم »

(١) الأنبياء : ٢٣ .

(٢) أى : قد يُتَّهَمُ السائلُ بمقارفة الشكِّ .

القرآن فى مجال التربيـــــة الأخـــلاقية

بقلم : ا.د. أحمد عمر هاشم*

لقد أمر القرآن الكريم المؤمنين أن يعتصموا بحبل الله جميعا. ، فقال جل شأنه : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١)

وفى دعوة القرآن الكريم لوحدة الأمة ، توضيح للأساس الذى تنهض عليه هذه الوحدة ، وهو الدين ، والاعتصام به وبكتاب الله ـ تعالى ـ الذى هو سبب النجاة ، ووضح القرآن هذا الأساس محذراً من التفرقة ، لما لها من أخطار محدقة ، وذكر سبحانه وتعالى هذه الأمة بما كان عليه الأوس والخزرج قديما ، حيث استمرت الحروب بينهم مائة وعشرين سنة ، حتى جاء الإسلام ، فأخمدها وجمعهم على الحق ، وألف بينهم ..

وترسيخا لأسس هذه الوحدة كلف الله الأمة بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، انتصارا للدين ، وإقامة لقوته ، ودفعا لآفات الشر والفساد التى قد تثار حول حماه ، أو ترتكب فى الوطن الإسلامى .

*نائب رئيس جامعة الأزهر

(١) سورة آل عمران (١٠٣) .

وضرب القرآن الكريم المثل بمن قبلنا حين اختلفوا بعد أن جاءتهم البينات فكان لهم الوعيد الشديد .

عن تلك الملامح كلها تحدث القرآن الكريم حديثا شافيا ، فقال جل شأنه :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (٢)

كما وضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن الاعتصام بدين الله وكتابه مما يرضاه الله تعالى لهذه الأمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويكره لكم ثلاثا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تُناصحوا من ولّاه الله أمركم ، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال » (٣) .

وقد وضح رب العزة سبحانه ، فى كتابه العزيز أن الدين واحد ، وأن الأمم حين اختلفوا فتقطعوا قطعا ، قال تعالى :

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ (٤) .

وحذر الرسول ﷺ من الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ، حيث قال ﷺ : « من خرج على الطاعة وفارق الجماعة فمات . مات ميتة جاهلية » (٥) .

كما أعلن عليه الصلاة والسلام براءته ممن يخالف الجماعة ويفرق الصفوف ويضرب هذه الأمة ـ برها وفاجرها ـ ولا يفى لصاحب العهد بعهده فقال صلوات الله وسلامه عليه : « من خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى بعهد ذى عهدها فليس منى ولست منه » (٦) .

ويوضح القران الكريم نهاية من يشاقق الرسول وينفصل عن سبيل المؤمنين فيقول : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (٧) .

وفى الحديث يقول الرسول ﷺ فيما رواه الترمذى : « يد الله مع الجماعة ومن شذّ شذّ فى النار » .

---

(٢) سورة آل عمران (١٠٣ ـ ١٠٥) .
(٣) رواه مسلم .
(٤) سورة المؤمنون (٥٢ ، ٥٣) .
(٥) رواه مسلم
(٦) رواه مسلم .
(٧) سورة النساء (١١٥) .

والناظر إلى جميع التعاليم الإسلامية يرى أنها تدعو إلى التأليف بين القلوب وجمع الصفوف .

– ففى جانب العقيدة نؤمن بالله وحده لا شريك له ، ونتجه جميعا إليه معلنين فى كل صلاة :

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾ (٨) .

إنها عقيدة فى التوحيد – تجمعنا ولا تفرقنا – وفى ظلالها ننضوى تحت راية : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فنؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، حلوه مره .

– وفى جانب العبادات نقيم الصلاة ونؤدى الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان إستطعنا إليه سبيلا ، وفى صلاتنا يزداد الأجر والثواب حين يؤدى الإنسان صلاته فى جماعة فتفضل صلاة الفذ – أى الفرد – بخمس وعشرين درجة ، وفى روايته للحديث : « بسبع وعشرين درجة » مع أن الصلاة هى الصلاة ، وعدد الركعات لم يزد ولم يتغير ..

وفى صلاة الجمعة اجتماع أسبوعى أكبر ، وفى صلاة العيدين اجتماع على مستوى أكبر وأكبر ..

وفى أداء الزكاة تكافل اجتماعى وتراحم وتواد بين الغنى والفقير وتقريب بين الناس وتوحيد بين المشاعر على الحب والألفة والتعاون .

وفى الصيام غرس لمعانى الوحدة ففى وقت واحد يمسك المسلمون عن المفطرات وفى وقت واحد يفطرون ، وفيه إحساس بالحرمان والجوع ، وحث على البذل والإنفاق وفى الحج اجتماع كبير لأكبر عدد ممكن من مختلف الأقطار الإسلامية والبلاد ، ومن شتى الألوان والأجناس .

– وفى جانب الأخلاق يدعو الرسول صلوات الله وسلامه عليه أمته أن تكون يدا واحدة فى المودة والرحمة والعطف فيقول ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . رواه البخارى فى الأدب .

ويُعمّق الإسلام مفهوم الوحدة بأقوى رباط ينبغى ألا ينساه أحد ، ذلك هو رباط العقيدة التى يؤمنون فيها بالله رباً ، فربهم واحد ، وأبوهم –وهو آدم– واحد ، إنه رباط وثيق ينتظمون تحت لوائه مهما تباعدت الديار وتناءت الأقطار واختلفت اللغات والألوان ، قال ﷺ: « أيها الناس إن ربكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولالعجمى على عربى ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى » (١٠) .

– وينبغى أن ننبه إلى أن اعداء الأمة قد زرعوا فى طريق وحدتها عقبات منها : العقبات الحسية ، والعوائق المادية ، فقبل أن يخرجوا من بعض البلاد تركوا بعض المواقع لدى الحدود لتظل العلاقات متوترة ، ولم يحسموها ابتغاء زرع الخلافات ، كما نرى بعض العقبات المعنوية والفكرية مثل : تيارات الوجودية والشيوعية والماسونية والقاديانية والبهائية

(٨) الفاتحة (٥) .

(٩) رواه مسلم .

(١٠) رواه أحمد .

إلى غير ذلك من التيارات المتصارعة التى تعمل على تفتيت وحدة الأمة ..

بل إن بعض المستشرقين درس علوم الإسلام وتصيدّ بعض الخلافات اليسيرة ليُضخّم بها الخلاف ، وليحدث بها شروخا بين فصائل الشباب المسلم .

وكان على المفكرين الإسلاميين والدعاة والمصلحين أن يشخصوا الداء ، وأن يصفوا الدواء .. وإذا كان تشخيص الداء يتلخص فى هذه التيارات وتبعية البعض لها ، وانبهار الكثيرين من المسلمين بما كتبته أقلام هؤلاء الحاقدين على الإسلام ..

فإننا نرى أن الدواء يسير وواضح ؛ إنه كما أشار إليه رسول الله ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى »[11] فكتاب الله تعالى هو سر سعادتنا ووحدتنا وقوتنا إن تمسكنا به واعتصمنا بحبله ، فلقد أدرك أحد زعماء الاستعمار هذه الحقيقة فقال : لا قرار لنا مادام المصحف بأيدى المسلمين ، ومادام الأزهر فى مصر ، والكعبة فى مكة المكرمة ، وما ذلك إلا لأن هذه الوحدة أساسها الذى نبه إليه رب العزة هو « حبل الله المتين » .

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ .

ولأن الكعبة بيت الله الحرام ، من دخله كان آمنا ، يتجه إليها المسلمون فى كل صلاة ، ولأن الأزهر الشريف فى مصر قبلة العلم يتجه إليه طلاّب العلم والمعرفة ويبعث بعلمائه إلى كل الأرض ، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقى حين قال :

إن الذى جعل العتيق مثابةً

جعل الكِنَانِىَّ المبارك كوثرا

فالتمسك بكتاب الله – تعالى – هو النجاة وسر النجاح والوحدة والقوة .

وهناك الدواء الوقائى : الذى يجب علينا أن ننتبه إليه وهو : اتقاء الفتن وصيانة الفرد والجماعة والأمم والشعوب من الوقوع فى الفتن والانحراف فى تياراتها قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[12]

– كما يجب ألا تكون اجتهادات العلماء واختلافاتهم اليسيرة مثار خلاف شديد أو سببا لفرقة الأمة ؛ لأنها رحمة الله بهذه الأمة ، يأخذ أهل كل عصر ومصر ما يناسبهم ما دامت آراء أئمتنا لم تصادم نصا من كتاب الله ولا حديثا من أحاديث رسول الله ﷺ .

وقد أمرنا الله تعالى أن نقيم الدين وألا نتفرق فيه فقال سبحانه :

(١١) رواه أحمد والدرامى .

(١٢) سورة الأنفال (٢٤ – ٢٦) .

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (١٢)

وإن واجب أمتنا الإسلامية فى هذه المرحلة الحاسمة التى تمر بها ، والتى تعرضت فيها لتحديات من أعدائها باضطهاد الأقليات وبث التيارات المعادية ومحاولة نشر الفرقة فى الصفوف ، إن واجب أمتنا أن تسير فى المسار الواضح الذى رسمه لها رسولها ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حين قال :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه » (١٣) .

وواضح أن البنيان الذى يشد بعضه بعضا ، متماسك قوى ، يثبت أمام العواصف ولا تؤثر فيه الهزات ولا التيارات ، لأنه يقوى على ردها ويصون جماعته منها ، وكذلك الحال بالنسبة للأمة الإسلامية فهى بوحدتها وتضامنها ، قوة كبرى لا تقف فى مواجهتها قوة أخرى ؛ لأنها بتأييد الله تعالى لها ، وبفضل اعتصامها بحبل ربها ، وتكاتفها فى سبيل الحق ، تحقق النصر على أعدائها ، وتحقق خيريتها على ظهر الأرض ، وتنشر الأمن والاستقرار والخير والرخاء ، وتقيم مبادىء الحق والعدل ، وتصد تيارات الفساد والإلحاد ، وترد موجات التحلل السافرة .

هنالك ينصرها الله نصرا مؤزرا ، ويمكن لها فى الأرض ، لتقيم شريعة الله تعالى ، مؤكدة صلتها به ، مقوية روابطها بالمجتمع ، مدافعة عن دين ربها ، آمرة بالمعروف ، وناهية عن المنكر ، قال سبحانه :

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (١٤) .

وقد أعطى أحد الحكماء أبناءه درسا عمليا فى قوة الوحدة ، وفى ضعف التفرق ، فجاء قبل وفاته بقليل ، وقدم لهم حزمة من العصىّ وطالبهم بكسرها حال اجتماعها ، فعجز الأبناء عن كسرها ، ففكَّ الحزمة ، وفرق أعوادها وأعطاهم إياها فكسروها عوداً عوداً ، ثم قال لهم :

كونوا جميعا يا بنى إذا اعترى
كرب ولا تتفرقوا أفرادا
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا
وإذا افترقن تكسرت آحادا

وهكذا حال أمتنا إذا تفرقت ، نال منها أعداؤها دولة دولة ، وإذا تجمعت وتوحدت عجز أعداؤها عن أن ينالوا منها .

فواجب أمتنا أن تتوحد وأن تكون يدا واحدة فى مواجهة التحديات التى تنال منها والتى تحاول تصفية الأقليات الإسلامية وإبادتها .. إنه لا خلاص للأمة من هذه الفتن ، ومن هجوم أعدائها ونيلهم منها إلا بتوحيد صفوفها ، حتى تكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ..

(١٢) سورة الشورى (١٣) . (١٣) رواه البخارى . (١٤) سورة الحج (٤٠ ، ٤١) .

قبس من أنوار النبوة

الرسول صلى الله عليه وسلم يتعوذ من عذاب القبر

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن يهودية دخلت عليها ، فذكرت عذاب القبر فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر .

قالت عائشة : «فسألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ؟ فقال: نعم ، عذاب القبر حق. قالت : فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر » .

(رواه البخارى ومسلم)[1] .

الموت آية من آيات الله ، وعلامة من العلامات الدالة على قدرة الله ، كالخسوف والكسوف ، والرعد والبرق والرياح والزلازل ، والموت الذريع .

أخرج ابن جرير الطبرى عن : قتادة عن جابر بن زيد « وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا » الإسراء (٥٩) ـ قال : الموت من ذلك » قال العلامة البيضاوى : « وما نرسل بالآيات » المقترحة « إلا تخويفاً » من العذاب المستأصل . فإن لم يخافوا نزل ، أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن : إلا تخويفاً بعذاب الآخرة .

إن الميت إذا وضع فى قبره ، إنه ليسمع خَفْق نعالهم إذا انصرفوا (أخرجه مسلم والحاكم). إن للميت فى قبره حياة خاصة ، وإدراكاً خاصاً ، فيأنس بعمله الصالح ، ويتوحش من عمله القبيح ، ويفرح بزيارة الأحياء له ، وإنه فى قبره إما فى روضة من رياض الجنة أو فى حفرة من حفر النار . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ﴾ سورة آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠ ، وفى هذا أعظم تصوير لنعيم القبر .

---

(١) ذكر ذلك الإمام المنذرى فى الترغيب والترهيب .

أما عذابه فنقرأ عنه فى سورة غافر / ٤٦
﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾

قال السيوطى فى شرح الصدور قال العلماء : عذاب القبر هو عذاب البرزخ أضيف إلى القبر ، لأنه الغالب ، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراده الله ، قبر أو لم يقبر ، ولو صلب أو غرق فى البحر أو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رماداً ، أو ذرى فى الريح . ومحل العذاب أو النعيم الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة .

وقال القرطبى فى مختصر التذكرة ص ٣٧ : « وقد أجمع أهل الكشف علىٰ أن الميت يحس بضغطة القبر ، ويحس باختلاف أضلاعه ولو كان فى بطون السباع والطيور ، أو كان قد حرق وذرى فى الريح ؛ فتحس كل ذرة بالألم ولو كانت متفرقة » أ. هـ .

وفى صحيح مسلم من حديث طويل « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها . فلولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه . ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر » .

ولأحمد فى مسنده عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ : « إن للقبر ضغطة ، ولو سلم ــ أو نجا منها أحد ــ لنجا سعد بن معاذ »(٢) وقد جاء فى شأن سعد بن معاذ ــ رضى الله عنه ــ كما روى النسائى : أن النبى ﷺ قال : « لقد تحرك العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة . ولقد ضمه القبر ضمة ثم فرج عنه » ــ مختصر التذكرة .

وعن أنس بن مالك قال : « توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ فخرج بجنازتها ، وخرجنا معه فرأيناه كئيباً حزيناً ، ثم دخل النبى ﷺ قبرها فخرج ملتمع اللون ، فسألناه عن ذلك فقال : إنها كانت امرأة مسقاما ــ كثيرة السقم ، أى : المرض ــ فذكرت شدة الموت وضغطة القبر : (التقاء جانبيه على جسد الميت إذا عصره) فدعوت الله لها فخفف عنها » أخرجه ابن أبى الدنيا ــ ورواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وسنده ضعيف .

وقد جاء فى شرح العينى جـ ٨ ص ٢٠٧ « ثم إن النبى ﷺ إذا استعاذ من عذاب القبر ــ والحال أنه معصوم مطهر ، مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ــ فينبغى لك يا من لا عصمة لك ولا طهارة لك عن الذنوب : أن تستعيذ بالله من عذاب القبر ، مع امتثال الأوامر ، والاجتناب من المعاصى ، حتى ينجيك الله من النار ، ومن عذاب القبر ، واستعاذته ﷺ إرشاد لأمته ليقتدوا به فيما فعله وفيما أمر به حتى يتخلصوا من شدائد الدنيا الآخرة » .

وعلى العاقل : أن يستعيذ بالله من عذاب القبر . وأن يلجأ إلى الله ، ويعتصم بخالقه وأن يأخذ فى أسباب الوقاية بالوقوف عند حدود الله ، والتمسك بأسباب الطاعات ويلتمس من الله المعونة .

وعن أنس ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ﷺ قال : فيما رواه البخارى وغيره : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ــ وإنه ليسمع

(٢) الروح لابن القيم ص ١٣٧ ، شرح العينى على البخارى جـ ٨ ص ١١٤ ، شرح الاحياء ص ٣٩٨ ، شرح السعد ، النهاية .

قرع نعالهم إذا انصرفوا - أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا النبى محمد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً فى الجنة ، قال النبى ﷺ : فيراهما جميعا . وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه . فيقال : لا دريت ولا تليت - لا علمت ولا نطقت - ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين » أى الإنس والجن .

وعن البراء أن رسول الله ﷺ : ذكر قبض روح المؤمن فقال : ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ، فيقولان له : من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبى محمد ﷺ فينادى مناد من السماء : صدق عبدى فذلك قوله :

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إبراهيم/٢٧ ثم يقول الملكان : عشت سعيداً ، ومت حميداً نَمْ نَوْمة العروس .

وفى رواية الترمذى لا يوقظه إلا أحب أهله حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

ولابن ماجه ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه تعاد ، وعليه تبعث إن شاء الله - الترغيب والترهيب .

اللهم اجعلنا ممن إذا أُتى فى قبره من قِبَلِ رأسه قالت الصلاة : ما قِبَلى مدخل .

وإذا أتى عن يمينه قال الصيام : ما قبلى مدخل .

وإذا أتى من قبل يساره قالت الزكاة : ما قبلى مدخل .

وإذا أتى من قبل رجليه قالت أفعال الخير من الصدقة والمعروف والمشى إلى المساجد والإحسان إلى الناس : ما قبلى مدخل .

اللهم اجعلنا ممن إذا حضره الموت بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، فأحب لقاء الله ، وأحب الله لقاءه . وثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

بسم الله الرحمن الرحيم
تصـــــويب

ورد فى الملحق الثانى لمجلة الأزهر (شوال سنة ١٤١٤ هـ) ص١٦ أن جميع المعتزلة ينكرون عذاب القبر ، والصواب : (أنهم جميعا يثبتون عذاب القبر إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من المعتزلة ثم التحق بالمجبرة) . وفى رأيى [أنه أنكر عذاب القبر بعد أن ترك المعتزلة وأصبح جبرياً ولذا لا يعوَّل على رأيه . ومن هنا فإنه لا خلاف بين الأمة فى ثبوت عذاب القبر] راجع شرح الأصول الخمسة للقاضى عبدالجبار ص٧٣٠ وما بعدها - الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥ م .

د . نشأت عبدالجواد ضيف
أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بجامعة الأزهر

المبشرون بالجنـــة

بقلم الشيخ :
عبدالحفيظ فرغلى على القرنى

بشر الله ـ تعالى ـ المؤمنين جميعاً بالجنة ووصفها لهم ، وجاء ذلك فى آيات كثيرة متعددة منها قوله ـ تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة : ٢٥]

وهذا التبشير بالجنة عام للمؤمنين الذين يعملون الصالحات ، جزاءً لهم بما قدموا من صدق اليقين ، وصالح الأعمال ، ومحاسن الأخلاق ، وكان حقاً على الله إثابة الصالحين ومكافأة الصادقين .

الأحاديث تؤكد ذلك :

وجاءت الأحاديث الشريفة الصحيحة تؤكد هذا الوعد الإلهى السابق ، وتضع أمام أنظار المؤمنين والسابقين إلى الإسلام والمبادرين بالأعمال الصالحة صورة لما ينتظرهم من فضل الله وإحسانه ، وعظيم مثوبته وجزيل عطائه ، فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

وكانت الأحاديث إلى جانب الوعد العام للمؤمنين بالجنة تخص ـ أحياناً ـ بعض الأفراد بهذا الجزء العظيم ، كما ورد فى حق بلال ـ رضى الله عنه ـ فيما يرويه عبدالله بن بريده عن أبيه قال : « أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا فقال : يا بلال ، بم سبقتنى إلى الجنة ؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامى » .. رواه ابن الأثير فى أسد الغابة ـ ترجمة بلال ـ جـ ١ ص ٢٤٥ .

والخشخشة حركة لها صوت .

وكما ورد فى حق نُعَيْم بن عبدالله النَّحَّام الذى قال فى حقه النبى ﷺ « دخلت الجنة فسمعت نحمة نُعَيْم فيها » .

أسد الغابة حـ ٥ ص ٣٤٦ .

والنحمة : السَّعْلَة ، وهـي النحنحـة الممدودة ، وكان هذا الحديث سبباً فى تلقيب « نعيم بن عبدالله » بالنَّحَّام .

وكما يقول النبى ﷺ : « دخلت الجنة فسمعت فيها قراءة . فقلت : من هذا ؟ قالوا : حارثة بن النعمان ، كذلكم البر ، كذلكم البر » .

وأخرجه السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٤١٧٨ وفى جمع الجوامع برقم ١٣٩٥١ .

قال السيوطى : وأخرجه النسائى وأحمد والحاكم وغيرهم ..

وخصص الحديث « حارثة بن النعمان » بذلك لبره بأمه ، كما جاء فى بعض روايات الحديث .

ومن الأحاديث التى تبشر بالجنة لفضل عمل خاص غير الذى ذكرناه ، قوله ﷺ « دخلت الجنة فرأيت فيها جنابذ من اللؤلؤ ، ترابها المسك . فقلت : لمن هذا يا جبريل ؟ قال : للمؤمنين والأئمة من أمتك يا محمد » .

أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٤١٧٩ ورمز له بالصحة . وقال : أخرجه أبو الشيخ فى الأذان عن أنس عن أبى بن كعب .

والجنابذ جمع جُنْبُذَةٍ وهى القبة .

فهذا تبشير بالجنة للمؤذنين والذين يَؤُمُّون الناس فى الصلاة ، أو لأئمَّة الهدى العادلين فى أممهم .

ولم يكن التبشير قاصراًعلى الرجال دون النساء . فقد ورد فى حق خديجة أم المؤمنين ــ رضى الله عنها ــ « بشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » .

أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب ، وقال : حديث صحيح ، وهو فى تحفة الأحوذى حـ ١٠ ص ٣٨٧ برقم ٣٩٧٩ .

وأخرجه مسلم فى فضائل الصحابة أيضاً حـ ٧ ص ١٣٢ .

وروى أنس ــ رضى الله عنه ــ عن النبى ﷺ قال : « دخلت الجنة. فسمعت فيها خَشَفَة بين يدى ، فقلت : ما هذه الخشفة ؟ فقيل : الرميصاء » .

أخرجه السيوطى فى جمع الجوامع برقم ١٣٩٥٧ ، وقال : هو فى الجامع الصغير من رواية أحمد ومسلم والنسائى ، ورمز له بالصحة .

من هى الرميصاء*؟

والرميصاء هى : بنت ملحان بن خالد الأنصارية المعروفة بأم سليم الأنصارية ، وهى أم أنس بن مالك بن النضر ، خادم رسول الله ﷺ خادم رسول الله ﷺ واسمها رُمَيْلة وقيل : رُمَيثة ، وقيل غير ذلك واشتهرت الرميصاء بكنيتها « أم سُلَيم » وهى زوجة أبى طلحة الأنصارى ــ رضى الله عنه وعنها ــ وتلقب بسيدة الصابرات .

ولعل صبرها هو الذى أورثها هذه المنزلة السنية ، فقد قالوا : إن ولدها مات وزوجها غائب ــ وهذا الولد اسمه أبو عُمَيْر . وكان النبى ﷺ يداعبه قائلا : يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر ؟ والنُّغَيْر كان طائراً يلعب به أبو عمير .

ولما مات هذا الولد سجَّتْهُ « الرميصاء » فى ناحية البيت ، وجاء زوجها أبو طلحة ، فقربت

إليه إفطاره ، وسألها عن الولد فقالت : هو أسكن مما كان فيه .

ثم تصنَّعَتْ له ، فأصابها .

ولما فرغ قالت له : ألا تعجب لجيرانك ؟

فقال : ما شأنهم ؟

قالت : أُعيروا عارية ، ولما طُلبت منهم جزعوا .

فقال : بئسما صنعوا .

فكاشفته عندئذ بالحقيقة ، وقالت له : لقد كان ابنك عارية عندنا ، فاسترد الله عاريته .

فاسترجع أبو طلحة ، ثم غدا إلى النبى ﷺ فذكر له ذلك ، فقال : « بارك الله لكما فى ليلتكما » .

فجاءت بولد هو : عبدالله بن أبى طلحة ، فأنجب هذا الولد أولاداً كُمَّلا ، قرأ القرآن منهم عشرة ــ الإصابة فى تمييز الصحابة ٨/٣٢٧ .

ولعل مما يذكر لها أيضاً : أنها كانت تحت مالك بن النضر ــ والد أنس ــ قبل أن تسلم ، فلما أسلمت غضب منها ، وهاجر إلى الشام فمات هناك ــ كان ذلك قبل الهجرة ــ.

فلما مات خطبها أبو طلحة ، وكان ذا عقل وشجاعة ، فقالت له : ياأبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذى تعبده . ينبت من الأرض ؟ وكان لم يسلم بعد .

فقال : بلى .

فقالت له : أفلا تستحى أنك تعبد شجرة لا تضر ولا تنفع ؟ وهى تعنى بذلك أن إلهه صنم مصنوع من خشب .

ثم قالت له : أنت رجل عاقل ، ومثلك لا يُرَدُّ ، ولكن إذا أسلمت تزوجتك ، ولا أريد صداقاً غير ذلك ، فأسلم وتزوجته .

وأبو طلحة صحابى جليل غلبت عليه كنيته ، أما اسمه فهو : زيد بن سهل بن الأسود الأنصارى الخزرجى النجَّارى .

قال ابن الأثير فى الحديث عنه : إن قصة زواجه من أم سليم كانت قبل هجرة النبى ﷺ إلى المدينة .

ويعنى ذلك أنها كانت من السابقات إلى الإسلام ، الداعيات له . لقد آثرت الإسلام على أعراض الدنيا ، فاكتفت بإسلام زوجها عن المهر ، حتى قال راوى حديثها : ما سمعت بامرأة كانت أكرم مهراً من أم سليم .

وكان أبو طلحة من شجعان الأنصار وفرسانهم ، وشهد العقبة وبدراً ، وفى غزوة أحد أبلى بلاءً حسناً فى الدفاع عن النبى ﷺ كان يقيه بنفسه ، ويرمى بين يديه ، ويتطاول بصدره ليحفظ رسول الله ﷺ من أسهم الأعداء ، ويقول للنبى ﷺ : نحرى دون نحرك ؛ ونفسى دون نفسك ، وكرَّمه النبى ﷺ وأثنى عليه ، وقال : « صوت أبى طلحة فى الجيش خير من مائة رجل » أسد الغابة حـ ٢ ص ٢٨٩ ــ حـ ٦ ص ١٨١

فتبشير النبى ﷺ للرميصاء بالجنة جزاءً لما قدمته من عمل صالح فى مقدمته تبشيرها بالإسلام ودعوتها إليه ، وتحليها بفضائله التى ظهرت فى صبرها الجميل على ولدها ، فى حين نرى جزع

الأمهات الشديد على أولادهن ، وخروجهن على حد الاعتدال فى التصبر والاحتمال هو الأمر الشائع الظاهر .

أحاديث أخرى تبشر بالجنة :

من الأحاديث الواردة فى التبشير بالجنة قوله ﷺ : « دخلت الجنة فاستقبلتنى جارية شابة ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : لزيد بن حارثة » .. أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٤١٨٣ ورمز له بالحسن ، وفى جمع الجوامع برقم ١٣٩٥٦ عن عبدالله بن بريدة عن أبيه .

وزيد بن حارثة جدير بهذه البشرى ، فهو أول من أسلم من العبيد ، وأطلق عليه النبى ﷺ زيد بن محمد . تبناه ، ونادى فى الحِجرْ فى ملا قريش أمام أبيه الذى جاء يطلبه ويسترده : اشهدوا يا من حضر أن زيداً ابنى يرثنى وأرثه .

فلما رأى أبوه ذلك طابت نفسه ، وعاد راضياً قرير العين .. وزيد بن حارثة هو الوحيد الذى ذُكر اسمه فى القرآن الكريم من بين الصحابة جميعاً ــ وهذه الآية هى قوله تعالى :

فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا

[الأحزاب : ٣٧]

وبـــذلك فإن من تلا اسمه يكسب ثلاثين حسنة ، مصداقاً للحديث الشريف الذى يشير إلى أن قارىء القرآن له بالحرف الواحـــد عشر حسنات ــ من حديث رواه ابن مسعود ، وذكره القرطبى فى مطلع تفسيره جـ ١ ص ٥ .

وظل زيد بن حارثة يقال له زيد بن محمد حتى نزل قوله ــ تعالى :

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

[الأحزاب : ٥]

واستشهد زيد بن حارثة ــ رضى الله عنه ــ فى غزوة مؤتة ، وكان أميراً على الجيش الذى بعثه رسول الله ﷺ لقتال الروم .

ومما قاله ﷺ : « دخلت الجنة فنظرت ، فإذا جعفر يطير مع الملائكة ، وإذا حمزة متكىء على سرير » . وراه الطبرانى والحاكم عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ ورواه السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بالصحة .

ومن حق هذين الشهيدين أن يبشر المسلمون من بعدهما بما وصلا إليه من درجات علا ، بعد أن أبليا فى الله بلاءً حسناً ، وقدما أنفسهما رخيصة فى سبيل الله ، لقد استشهد جعفر فى مؤتة ، وكان أميراً بعد زيد بن حارثة ، وحافظ على اللواء حتى قطع عضداه ، ولم يترك اللواء يسقط ، فمن أجل هذا أبدله الله بذراعيه جناحين يطير بهما فى الجنة .

أما حمزة فقد استشهد فى أحد ، ومثل الكفار به تمثيلًا عنيفاً أثار حفيظة النبى ﷺ فقال : « لئن ظفرت بهم لأمثلن بسبعين منهم » . فنزل قوله تعالى :

وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ

[النحل ١٢٦ ــ ١٢٧]

تبشيرٌ بالجنة لمن سبق :

لقد وردت أحاديث كثيرة تبشر المؤمنين بالجنة ، وتُذْكر لأصحاب الفضل فضلهم ، وتُطْرى العمل الصالح وأهله أيًّا كان موقعهم .

فلم تنس أحاديث الرسول ﷺ الإشادة بمن سبق من أهل الفضل قبل الإسلام ، فقد روى الرواة أن النبى ﷺ قال فى حق زيد بن نفيل : « دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو بن نفيل دوحتين » . أخرجه ابن عساكر من حديث عائشة - رضى الله عنها - ورواه السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٤١٧٦ ورمز له بالحسن .

وزيد بن عمرو بن نفيل ، هو والد « سعيد بن زيد » أحد العشرة المبشرين بالجنة - الذين يأتى الحديث عنهم بعد إن شاء الله - تعالى .

وكان زيد أحد المتحنفين فى الجاهلية الذين يرفضون عبادة الأصنام .

فضل العمل الصالح :

ومن الأحاديث التى تزكى الأعمال الصالحة وتبشر أصحابها بالجنة ، قوله ﷺ فيما يرويه أحمد عن عبدالله بن عمرو « دخل رجل الجنة بسماحته قاضياً ومقتضياً » .

وقوله - ﷺ -: « دخل رجلان الجنة ، صلاتهما وصيامهما وحجهما وجهادهما واصطناعهما للخير واحد ، ويفضل أحدهما على الآخر بحسن خلقه كما بين المشرق والمغرب » رواه السيوطى فى جمع الجوامع برقم ١٣٩٣٤ عن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما .

هذه أحاديث متناثرة وغيرها كثير فى التبشير بالجنة للأحياء الصالحين ، أو بالتبشير بمنازل من سبقوا لتسعد قلوب المسلمين من بعدهم وتقر عيونهم على من سبقوهم إلى رحاب الله ، ولينسج من بعدهم على منوالهم ، ويظل الخير موصولًا أوله بآخره ومبتدؤه بمنتهاه .

العشرة المبشرون بالجنة :

ولكن هناك حديثاً جمع بين عشرة بشرهم النبى ﷺ بالجنة فى حديث واحد . ذكره الرواة وهو :

قَوْلُ رسول الله ﷺ : « أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير فى الجنة ، وعبدالرحمن ابن عوف فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة ، وأبو عبيدة عامر ابن الجراح فى الجنة » رواه الترمذى جـ ١٣ ص ١٨٢ .

ولهذا الحديث حديث نرجو أن يوفق الله تعالى إليه فى عدد قادم بمشيئة الله تعالى .

حرمان المرأة من الميراث إثم خطير

بقلم الأستاذ : رفعت محمد مرسى طاحون

● إن ظاهرة حرمان المرأة من الميراث فى بعض الدول الإسلامية ظاهرة خطيرة جداً .. وتعتبر من السيئات الاجتماعية التى يرفضها الدين .

إن مما يؤسف له أن الكثير من الآباء يفضلون الأبناء على البنات ، بطريق البيع الصورى لممتلكاتهم للأبناء أو لبعضهم ، أو بطريق الوصية بغرض حرمان البنات من الميراث .

وقد نرى بعض الآباء أو الأمهات أو الأخوة قد يلجئون إلى حيل غريبة ووسائل متنوعة لكى يحرموا البنت أو الأخت أو الزوجة من حقها الشرعى مثل :

إرضاء المرأة ببعض المال حتى تُوقِّع على تنازل عن نصيبها . ثم يهملونها . والأدهى أن ترضى بعض الأمهات بذلك فتتفق مع أبنائها الذكور على حرمان بناتها من الميراث . بحجة أن تظل الأرض أو المتجر فى حوزتهم فلا يمتلكها الغرباء (أى زوج البنت وعشيرته) . وهم يعلمون أن ابنتهم ترث زوجها المتوفى عنها .

● إن ظاهرة الظلم بين الأولاد بحرمان البنات من الميراث من جهة الأب أو الأم . يُعرض الأسرة إلى الانحلال والتدهور . ويُعرض الأبناء لتبادل العداوة والبغضاء .. ويؤدى إلى قطع صلة الرحم بين أبناء الأسرة الواحدة . فيُوغر صدر الأخ على أخيه . وصدر الأخت على أخيها ، وصدريهما معاً على أبيهما أو أمهما . وبذلك تشتعل نار الحقد والضغينة بين أبناء الرجل الواحد .

وكم سمعنا وقرأنا أخباراً عن جرائم ارتكبت بين الآباء والأبناء أو بين الإخوة والأخوات بسبب هذا التصرف .

● إن واجب الأب نحو أولاده .. إقامة المساواه بينهم والعدل فيهم :

فعن النعمان بن بشير . قال . قال رسول الله

ﷺ : « فاتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » متفق عليه .

● وما رواه ابن عباس رضى الله عنهما . عن النبى ﷺ قال : « من كانت له أنثى فلم يئدها . ولم يهنها . ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة » .. رواه أبو داود .

● ثم إن وصية الأب أو الأم بتفضيل بعض الأولاد على بعض من غير سبب معتبر شرعاً : إضرارٌ فى الوصية . نهى عنه رسولنا الكريم ﷺ وحذر منه .

لما رواه أبو إمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصيــة لوارث » . رواه أحمد والترمذى وأبو داود .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله تعالى ستين سنة . ثم يحضرهما الموت فَيُضَاران فى الوصية فتجب لهما النار » . رواه الترمذى وابن ماجه .

● وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « الإضرار فى الوصيـــة من الكبائر » . رواه النسائى .

● وليس من حق الإنسان أن يُحابى بعض الأبناء على حساب بعض اتباعاً لهوى نفسه ولذا فقد نهى الإسلام عن إيثار أحد الأبناء بهدية أو عطية .

فقد روى فى الصحيحين : عن النُعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : وهبنى أبى هبة : فقالت أمى عمرة بنت رواحة رضى الله عنهما : لا أرضى حتى تُشْهِدَ رسول الله ﷺ . فقال : يا رسول الله : إن أم هذا أَعْجبها أن أشهدك على الذى وهبتُ لابنها . فقال ﷺ : « يا بشير ألك ولد سوى هذا ؟ قال : نعم . قال : كلهم وهبت له مثل هذا ؟ قال : لا . قال : « فأرجعه » . وفى رواية قال : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » . وفى رواية أخرى : « لا تشهدنى على جور إن لبنيك أن تعدل بينهم » . وفى رواية : فأشهد على هذا غيرى) . متفق عليه .

● وروى عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « سووا بين أولادكم فى العطية ، ولو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء على الرجال » .

من هنا : يجب على الآباء التسوية بين الأبناء فى الهبة . فإن خص بعضهم بعطية أو بفضل ، فهو إثم ، ووجبت عليه التسوية بأحد أمرين (إما برد ما فضل به البعض ، وإما بإتمام نصيب الآخر) .

● والسؤال الآن : أى فائدة تعود على الشخص الذى يحرم البنات أو الأخوات من نصيبهم الذى فرضه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم . مع ما فى ذلك من العذاب الشديد ؟

يقول تعالى :

﴿ ..وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾
[النساء : ١٤]

ويقول تعالى بعد أن بيَّن الأنصبة :

﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ [النساء : ١١]

﴿ .. يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النساء : ١٧٦]

ويقول رسول الله ﷺ : « من قطع ميراثاً فرضه الله سبحانه وتعالى قطع الله ميراثه من الجنة » . أخرجه سعيد بن منصور .

● لقد جاءت شريعة القرآن لتعمل فى كل جيل من أجيال البشرية وفى كل بيئة من بيئاتها . فإن طمع الإنسان فيما لغيره متوقع على مر الأزمنة والدهور .

من أجل هذا حفظ الله الحقوق .. ومن عدله سبحانه أوجب الميراث . وتولى – عز وجل – قسمته بأنصبة معينة . ليأخذ كل ذى حق حقه من الذكور والإناث على السواء . ولم يترك سبحانه هذا التقسيم لملك مقرب أو لنبى مرسل .

– فقال – تعالى :

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾

[النساء : ٧]

لقد شرع الله الإرث وقرره . حيث أوجب الله توريث ذوى الحقوق من النساء والرجال . وجعل لكل مستحق من الجنسين نصيبه .

نزلت آيات الميراث لتعالج إلى الأبد موقفاً كان شائكاً فى عرب الجاهلية . حيث كانوا لا يورثون إلا من طعن برمح ، أو ضرب بسيف ، أو زاد عن حريم ، أو اشترك فى حرب ، أما الباقى فلا يدخلون فى الميراث نساءً كانوا أو أطفالًا .

وبهذا المبدأ أعطى الإسلام منذ أربعة عشر قرناً حق النساء والرجال فى الإرث ، ثم فصل الله المواريث وحدد الأنصبة والفروض لكل مستحق من الرجال والنساء . وأرشد إلى مقدار إرثه وشروطه . وبين الله سبحانه الحالات التى يرث فيها الإنسان والحالات التى لا يرث فيها . ومتى يرث كل من الرجال والنساء (بالفرض والتعصيب) أو بهما معاً .. ومتى يُحجب كل منهما من الإرث كلياً أو جزئياً . وذلك تأكيداً للعدالة وتحقيقاً للإنصاف . وحكماً من الله الحكيم الرحيم . خاصةً وأن المال مال الله يوجهه حيث يشاء ويورثه من يشاء . وذلك فى سورة النساء فى الآيات (الحادية عشرة ، والثانية عشرة ، والأخيرة) .

● وبعد فإن هذه الحقوق دَيْنٌ على الآباء . فليس من حق الإنسان أن يُحابى أحد الأبناء على حساب الآخرين أو يُحابى الأبناء دون البنات اتباعاً لهوى نفسه . فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

ويا أيها المشرعون : حافظوا على أمتكم واضربوا على أيدى المفسدين والمخربين ، ممن يبيعون بيعاً صورياً لأحد أولادهم ، لحرمان البنات من نصيبهم والله – سبحانه – ولى التوفيق.

المخدرات بين التحريم والتجريم

فى الشريعة الإسلامية والقانون المصرى

(٢)

المستشار / السيد خلف محمد (*)

الشريعة الإسلامية تحرم تعاطى المخدرات (١) :

ذلك أن مدلول لفظ الخمر فى اللغة العربية والشريعة الإسلامية : كل ما خامر العقل وحجبه . كما نقل عن عمر بن الخطاب « رضى الله عنه » فى الحديث المتفق عليه(٢) ، دون نظر إلى المادة التى تتخذ منها ؛ إذ الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة فى الخمر ناطقة بهذا المعنى (٣) (كل مسكر حرام) وهكذا فهم أصحاب الرسول ــ رضوان الله عليهم ــ ، وقال عمر هذه المقالة المبينة للمقصود بهذا اللفظ ؛ فى محضر كبار الصحابة دون نكير من أحد منهم ، ومن ثم فإن الإسلام حين حرَّم الخمر وقرر عقوبة شاربها لم ينظر إلى أنها سائل يشرب من مادة معينة ، وإنما نظر إلى الأثر الذى تحدثه فيمن يشربها من زوال العقل الذى يؤدى إلى إفساد إنسانية الشارب وسلبه منحة التكريم التى كرمه الله بها ، بل ويفسد ما بين الشارب ومجتمعه من صلات المحبة والصفاء ، وقد كشف العلم الحديث عن أضرار جسيمة أخرى يحدثها شرب هذه المفسدات ، حيث يقضى على حيوية أعضاء هامة فى الجسم كالمعدة والكبد ، هذا عدا الأضرار الاقتصادية التى تذهب بالأموال سفها وتبذيرا فيما يضر ولا ينفع . هذا فوق امتهان من يشرب الخمر بذهاب الحشمة والوقار واحترام الأهل والأصدقاء ، هذه الأضرار الجسمية والأدبية والاقتصادية التى ظهرت للخمر وعرفها الناس هى : مناط تحريمها .

(*) الكاتب رئيس محكمة النقض .

(١) راجع الفتاوى الإسلامية ــ دار الافتاء المصرية ــ المجلد العاشر ص ٣٥١١

(٢) أخرجه مسلم ــ من شرح سبل السلام على متن بلوغ المرام ٤٧ جـ ٤ .

(٣) جـ ٨ ص ١٧٢ نيل الأوطار للشوكانى .

وإذا كانت الشريعة إنما أقامت تحريمها للخمر على دفع المضمار وحفظ المصالح فإنها تحرم كل مادة من شأنها أن تحدث هذه الأضرار أو أشد سواء كانت مشروباً سائلا أو جامداً مأكولًا أو مسحوقاً أو مشموماً . ومن هنا لزم ثبوت حكم تحريم الخمر لكل مادة ظهرت أو تظهر تعمل عملها ، يدل لذلك قول الرسول ﷺ (٤) (كل مسكر حرام) إذ لم يقصد الرسول بهذا إلا أن يقرر الحكم الشرعى وهو أن كل ما يفعل بالإنسان فعل الخمر يأخذ حكمها فى التحريم والتجريم .

وإذا كانت المخدرات كالحشيش والأفيــون والكوكايين وغيرها من المواد الطبيعية المخدرة ، وكذلك المواد المخلقة المخدرة تحدث آثار الخمر فى الجسم والعقل بل أشد ، فإنها تكون محرمة بحرفية النصوص المحرمة للخمر وبروحها وبمعناها ، والتى استمدت منها القاعدة الشرعية التى تعتبر من أهم القواعد التشريعية فى الإسلام ، وهى دفع المضار وسد ذرائع الفساد .

ومع هذا : فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده وأبوداود فى سننه (٥) عن أم سلمة رضى الله عنها قالت (نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر) والمفتر كما قال العلماء كل ما يورث الفتور والخور فى أعضاء الجسم ، وقد نقل العلماء إجماع فقهاء المذاهب على حرمة تعاطى الحشيش وأمثاله من المخدرات الطبيعية والمخلقة ، لأنها جميعاً تودى بالعقل وتفسده وتضر بالجسم والمال ، وتحط من قدر متعاطيها فى المجتمع قال ابن تيمية رحمه الله فى بيان حكم الخمر والمخدرات (٦) والأحاديث فى هذا الباب كثيرة مستفيضة ، جمع رسول الله ﷺ بما أوتيه من جوامع الكلم كل ما غطى العقل وأسكر ولم يفرق بين نوع ونوع ، ولا تأثير لكونه مأكولًا أو مشروباً ، على أن الخمر قد يصطبغ بها (أى يؤتدم) وهذه الحشيشة قد تداف (أى تذاب) فى الماء وتشرب ، وكل ذلك حرام ، وإنما لم يتكلم المتقدمون فى خصوصها لأنه إنما حدث أكلها من قريب فى أواخر المائة السادسة أو قريباً من ذلك ، كما أنه قد حدثت أشربة مسكرة بعد النبى ﷺ وكلها داخلة فى الكلم الجوامع من الكتاب والسنة) وإذا كان ما أسكر كثيره فقليله حرام ، كذلك فإنه يحرم مطلقاً بإجماع فقهاء المذاهب الإسلامية ما يفتر ويخدر من الأشياء الضارة بالعقل أو غيره من أعضاء الجسد ، وهذا التحريم شامل كل أنواع المخدرات مادام تأثيرها على هذا الوجه القليل منها والكثير . وقد ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب حد متعاطى المخدرات كشارب الخمر تماماً ، لأنها تفعل فعلها بل وأكثر منها ، بل قال ابن تيمية (٧) إن فيها (المخدرات) من المفاسد ما ليس من الخمر ، فهى أولى

(٤) من حديث ابن عمر الذى رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه من كتاب نيل الأوطار للإمام الشوكانى ص ١٧٢ جـ ٢ .

(٥) سنن أبى داود ص ١٣٠ جـ ٢ .

(٦) فتاوى ابن تيمية جـ ٤ ص ٢٥٧ وكتاب السياسة الشرعية له ص ١٣١ .

(٧) فتاوى ابن تيمية ص ٢٥٧ المجلد الرابع .

بالتحريم ، ومن استحلها وزعم أنها حلال فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل مرتداً ، لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

ونخلص مما تقدم : أن المخدرات بكافة أنواعها وأسمائها طبيعية أو مخلقة مسكرة ، وأن كل مسكر من أى مادة حرام ، وهذا الحكم مستفاد نصاً من القرآن الكريم ومن سنة رسول الله ﷺ حسبما تقدم بيانه وبذلك يحرم تعاطيها بأى وجه من وجوه التعاطى من أكل أو شرب أو شم أو حقن. لأنها مفسدة ، ودرء المفاسد من المقاصد الضرورية للشريعة حماية للعقل والنفس ، ولأن الشرع الإسلامى اعتنى بالمنهيات . وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه [8] (إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه) وفى حديث آخر يقول [9] (لترك ذرة مما نهى الله عنه أفضل من عبادة الثقلين) ومن هنا قال الفقهاء إنه يجوز ترك الواجب دفعاً للمشقة ، ولا تسامح فى الإقدام على المنهيات خصوصاً الكبائر إلا عند الاضطرار على ما يأتى بيانه .

ما حكم تعاطى المخدرات للعلاج [10] :

الإسلام حرم مطعومات ومشروبات صوناً لنفس الإنسان وعقله ، ورفع هذا التحريم فى حالة الضرورة فقال [11] (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) وقال [12] (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) وقال [13] : (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) ولقد استنبط الفقهاء من هذه الآيات ومن أحاديث رسول الله ﷺ فى الضرورة قواعد يقوى بعضها بعضاً ، فقالوا : الضرر يزال والضرورات تبيح المحظورات ، ومن ثم أجازوا أكل الميتة عند المخمصة وإساغة اللقمة بالخمر والتلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه [14] .

قال تعالى :

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ .

وقالوا أيضا : إن الضرورات تقدر بقدرها وما جاز لعذر بطل بزواله والضرر لا يزال بضرر . وقد اختلف الفقهاء فى جواز التداوى بالمحرم ، والصحيح من آرائهم هو ما يلتقى مع قول الله فى الآيات البينات السالفات ، بملاحظة أن إباحة المحرم للضرورة مقصورة على القدر الذى يزول به الضرر وتعود به الصحة ويتم به العلاج ، وللتثبت من توافر هذه الضوابط المنصوص عليها فى آيات الاضطرار ــ اشترط الفقهاء الذين أباحوا التداوى بالمحرم شرطين ، أحدهما : أن يتعين التداوى بالمحرم بمعرفة طبيب مسلم خبير بمهمة الطب معروف بالصدق والأمانة والتدين ، والآخر ألا يوجد نواه من غير المحرم ليكون التداوى بالمحرم متعيناً ، ولا يكون القصد من تناوله التحايل لتعاطى المحرم ، وألا يتجاوز به قدر الضرورة ،

---

(8) ، (9) الأشباه والنظائر لابن نجيم المصرى الحنفى فى القاعدة الخامسة .

(10) الفتاوى الإسلامية ــ دار الإفتاء المصرية ــ المجلد العاشر ص ٣٥١٩ .

(11) من الآية ١٧٣ من سورة البقرة .

(12) من الآية ١٤٥ من سورة الأنعام .

(13) من الآية ١١٩ من سورة الأنعام .

(14) من الآية ١٠٦ من سورة النحل .

وقد أفتى ابن حجر المكى الشافعى (١٥) حين سئل عمن أبتلى بأكل الأفيون والحشيش ونحوهما وصار حاله بحيث إذا لم يتناوله هلك .

أفتى : بأنه إذا علم أنه يهلك قطعاً حل له بل وجب لاضطراره لإبقاء روحه كالميتة للمضطر ، ويجب عليه التدرج فى تقليل الكمية التى يتناولها شيئا فشيئاً حتى يزول اعتياده وهذا ــ كما تقدم ــ إذا ثبت بقول الأطباء الثقات ــ ديناً ومهنة ــ أن معتاد تعاطى المخدرات يهلك بترك تعاطيها فجأة وكلية .

وترتيباً على هذا : فإذا أثبت أن ضررا ملحقاً محققاً وقوعه بمتعاطى المخدرات سواء كانت طبيعية أو مخلقة إذا انقطع فجأة عن تعاطيها جاز مداواته بإشراف طبيب ثقة متدين حتى يتخلص من اعتياده عليها ، كما أشار العلامة ابن حجر فى فتواه المشار إليها ، لأن ذلك ضرورة ولا إثم فى الضرورات متى روعيت شروطها المتقدمه ، إعمالا لنصوص القرآن الكريم فى آيات الاضطرار ، **هذا : وأنه مع التقدم العلمى فى كيمياء الدواء لم تعد حاجة ملحة للتداوى بالمواد المخدرة المحرمة شرعاً لوجود البديل الكيميائى المباح .**

والقانون الجنائى المصرى يجرم تعاطى المواد المخدرة :

ذلك أن القانون رقم ٩٨٢ لسنة ١٩٦٠ المعدل بالقانون رقم ١٣٢ لسنة ١٩٨٩ قد نص فى المادة ٣٧ منه على أنه « يعاقب بالأشغال الشاقة المؤقتة وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز خمسين ألف جنيه كل من حاز أو أحرز أو اشترى أو أنتج أو استخرج أو فصل أو صنع جزءا مخدرا أو زرع نباتا من النباتات الواردة فى الجدول رقم (٥) أو حازه أو أشتراه وكان ذلك بقصد التعاطى أو الإستعمال الشخصى فى غير الأحوال المصرح بها قانونا ، وللمحكمة أن تأمر فى الحكم الصادر بالإدانة بتنفيذ العقوبات المقتضى بها فى السجون الخاصة التى تنشأ للمحكوم عليهم فى جرائم هذا القانون أو فى الأماكن التى تخصص لهم بالمؤسسات العقابية .

ويجوز للمحكمة عقد الحكم بالعقوبة فى الجرائم المنصوص عليها فى الفقرة الأولى ــ بدلا من تنفيذ العقوبة ــ أن تأمر بإيداع من يثبت إدمانه إحدى المصحات التى تنشأ لهذا الغرض بقرار من وزير العدل بالإتفاق مع وزراء الصحة والداخلية والشئون الاجتماعية ، وذلك ليعالج فيها طبيا ونفسيا واجتماعيا ، ولا يجوز أن تقل مدة بقاء المحكوم عليه بالمصحة عن ستة أشهر ولا أن تزيد على ثلاث سنوات أو مدة العقوبة المقضى بها أيهما أقل .

ويكون الإفراج عن المودع بعد شفائه بقرار من اللجنة المختصة بالإشراف على المودعين بالمصحة ، فإذا تبين عدم جدوى الإيداع ، أو انتهت المدة القصوى المقررة له قبل شفاء المحكوم

(١٥) نقل هذا ابن عابدين فى حاشيته رد المحتار جـ ٥ ص ٤٥٦ فى آخر كتاب الحظر والإباحة .

عليه ، أو خالف المودع الواجبات المفروضة عليه لعلاجه ، أو ارتكب أثناء ايداعه أيا من الجرائم المنصوص عليها فى هذا القانون رفعت اللجنة المشار إليها الأمر إلى المحكمة عن طريق النيابة العامة بطلب الحكم بالغاء وقف التنفيذ ، لاستيفاء الغرامة وبقى مدة العقوبة المقيدة للحرية المقضى بها بعد استنزال المدة التى قضاها المحكوم عليه بالمصحة .

ولا يجوز الحكم بالإيداع إذا ارتكب الجانى جناية من الجنايات المنصوص عليها فى الفقرة الأولى من هذه المادة بعد سبق الحكم عليه بالعقوبة أو بتدبير الإيداع المشار إليه ، وفى هذه الحالة تسرى الأحكام المقررة فى المادة السابقة إذا رأت المحكمة وجها لتطبيق المادة ١٧ من قانون العقوبات .

ويبين من نص المادة ٢٧ سالفة البيان لأنه عندما يتحقق قصد التعاطى أو الاستعمال الشخصى للمخدر فان العقوبة تكون الأشغال الشاقة المؤقتة وغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز خمسين ألف جنيه ، وكانت العقوبة المقررة لهذه الجريمة قبل صدور القانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ هى السجن وغرامة لا تقل عن خمسمائة جنيه ولا تزيد عن ثلاثة آلاف جنيه ، وذلك يكون المشرع قد شدد العقوبة المقيدة للحرية بجعلها الأشغال الشاقة المؤقتة بدلا من عقوبة السجن ، كما زاد من قيمة الغرامة بزيادة حديها الأدنى والأقصى فبعد أن كان حد الغرامة الأدنى خمسمائة جنيه جعله عشرة آلاف جنيه ، والأقصى جعله خمسين ألف جنيه بدلا من ثلاثة آلاف جنيه .

وإذا ثبت للمحكمة أن المتهم أدمن تعاطى المخدرات فإنه يجوز لها عقد الحكم بالعقوبة السابقة بدلا من تنفيذها أن تأمر بإيداعه إحدى المصحات التى تنشأ لهذا الغرض وذلك ليعالج فيها لأن علاجه أجدى له وللمجتمع من عقابه وقد أخذ المشرع بهذا الإجراء عملا بتوصيات الأمم المتحدة وأسوة بما هو متبع فى بعض البلاد المتمدينة ، وعطفا على مرضى الإدمان على تعاطى المواد المخدرة .

الشريعة الإسلامية تحرم التواجد فى مكان معد لتعاطى المخدرات وكان يجرى فيه تعاطيها(١٦) :

كرم الله الإنسان ونأى به عن مواطن الريب والمهانة ، وامتدح عباده الذين تجنبوا مجالس اللهو واللغو فقال سبحانه(١٧) :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ .

وقال (١٨) :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝٧٢ ﴾ .

وقال (١٩) :

(١٦) الفتاوى الإسلامية ـ دار الإفتاء المصرية ـ المجلد العاشر ص ٣٥٢١ .
(١٧) من الآية ٣ من سورة المؤمنون .
(١٨) من الآية ٧٢ من سورة الفرقان .
(١٩) من الآية ٥٥ من سورة القصص .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ .

وفى الحديث عن الرسول الأكرم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ (**استماع الملاهى معصية والجلوس عليها فسق**) وروى أبو داود فى سننه عن ابن عمر رضى الله عنه قوله : (**نهى رسول الله ﷺ عن الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر**) .. والمستفاد من هذه النصوص أنه يحرم مجالسة مقترفى المعاصى أيا كان نوعها ، لأن فى مجالستهم إهدارا لحرمات الله ، ولأن من يجلس مع العصاة الذين يرتكبون المنكرات يتخلق بأخلاقهم السيئة ، ويعتاد ما يفعلون من مآثر كشرب المسكرات والمخدرات كما يجرى على لسانه ما يتناقلونه من مساقط القول ، ومن أجل البعد بالمسلم عن الدنايا وعن ارتكاب الخطايا كان إرشاد الرسول ﷺ للمسلمين فى اختيار المجالس والجليس فى قوله[20] (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكور ، فحامل المسك إما أن يحذيك[21] وإما أن تبتاع منه وأما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكور إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة) رواه البخارى ومسلم فالجليس الصالح يهديك ويرشدك ويدلك على الخير وترى منه المحامد والمحاسن وكله منافع وثمرات . أما الجليس الشرير فقد شبهه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بنافخ الكير يضر ويؤذى ويعدى بالأخلاق الرديئة ويجلب السيرة المذمومة ، وهو باعث الفساد والإضلال ومحرك كل فتنة ، وموقد نار العداوة والخصام ، وفى هذا الحديث الشريف دعوة إلى مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم ، وفيه النهى عن مجالسة أهل الشر والبدع والفجار الذين يجاهرون بارتكاب المنكرات وشرب المسكرات والمخدرات ، لأن القرين ينسب إلى قرينه وجليسه ويرتفع به وينحدر وتهبط كرامته بدناءة من يجالسهم ، ولقد تحدث القرآن الكريم عن قرناء السوء وحذر منهم ومن مجالستهم وأخبر أنهم سوء وندامة فى الدنيا والآخرة قال تعالى :

﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾[22]

وإذا كان الجليس يقتدى ويهتدى بجليسه وبمجلسه ، فإن جلوس الإنسان التقى ـ البعيد عن المآثم والشبهات ـ فى مجالس الإفك والشرب وتعاطى المخدرات ؛ يؤذيه ويُرديه فى الدنيا بالمهانة وانتزاع المهابة عند عارفيه من أقاربه وأصدقائه لأن المخدرات كما نقل العلامة ابن حجر المكى[23] فى فتاواه الكبرى فيها مضار دينية ودنيوية ، فهى تورث الفكرة وتعرض البدن لحدوث الأمراض وتورث النسيان وتصدع الرأس وتورث موت الفجاءة واختلال العقل وفساده والسل والاستسقاء وفساد الفكر وإفشاء السر وذهاب

(٢٠) من كتاب الترغيب والترهيب ص ٤٩ و ٥٠ جـ ٤ .
(٢١) يحذيك : يعنى يعطيك .
(٢٢) من الآية ٣٨ من سورة النساء .
(٢٣) جـ ٤ ص ٢٣٤ .

الحياء وكثرة المراء وانعدام المروءة وكشف العورة وعدم الغيرة وإتلاف الكسب ومجالسة إبليس وترك الصلاة والوقوع فى المحرمات واحتراق الدم وصفرة الأسنان وتعب الكبد وغشاء العين والكسل والفشل وتعيد العزيز ذليلا والصحيح عليلا إن أكل لا يشبع وإن أعطى لا يقنع .

ومن هنا كان على الإنسان أن ينأى عن مجالس الشرب المحرم خمراً مثلا أو مخدرا مطعومة أو مشروبة أو مشمومة ، فإنها مجالس الفسق والفساد وإضاعة الصحة والمال ، وعاقبتها الندم فى الدنيا والآخرة قال تعالى :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢٤)

بل إن مصاحبة هؤلاء المارقين على الدين الذين يتعاطون هذه المهلكات إثم كبير لأن الله قد غضب عليهم وعلى مجالسهم وفى هذا يقول سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ (٢٥)

وفى مصاحبة هؤلاء ومجالستهم معاداة المولى سبحانه وتحد لأوامره ، فقد نهى عن مودة العصاة (٢٦)

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ .

وهؤلاء قد استغرقوا فى مجالسهم المحرمة المليئة بالآثام ، فالجلوس معهم مشاركة فيما يرتكبون ، ومودة معهم مع أنهم غير جديرين بهذه المودة لعصيانهم أوامر الله ورسوله واستباحتهم ما حرم الله ورسوله ، أولئك حزب الشيطان من جلس معهم فقد رضى بمنكرهم وأقر فعلهم ، والمؤمن الحق مأمور بإزالة الباطل ما استطاع ، وبالوسيلة المشروعة ، فان لم يستطع فعليه بالابتعاد عن مجالس المنكرات ففى الحديث الشريف فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال(٢٧) : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**) .

ففى الحديث النبوى دعوة إلى مكافحة المنكرات ومنها هذه السموم (المخدرات) بعد أن بان ضررها وشاع سوء آثارها وكانت عاقبة أمرها خسراً للإنسان والمال على حد سواء ، فمن كان له سلطة إزالة هذه المخدرات والقضاء على أوكارها وتجارها كان لزاماً عليه بتكليف من الله ورسوله أن يجد ويجتهد فى مطاردة هذه الآفة ، ومن لم يكن من أصحاب السلطة فإن

---

(٢٤) من الآية ٣٦ من سورة الزخرف .
(٢٥) من الآية ١٣ من سورة الممتحنة .
(٢٦) من الآية ٢٢ من المجادلة .
(٢٧) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ٦٢٣ .

عليه واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فيبين للناس آثارها المدمرة لنفس الإنسان وماله ، ومن الأمر بالمعروف إبلاغ السلطات بأوكار تجارها ومتعاطيها ، فالتستر على الجريمة إثم وجريمة فى حق الأمة وإشاعة للفحشاء فيها ، وجميع الأفراد مطالبون بالأمر بالمعروف وبالإرشاد عن مرتكبى هذه المنكرات ومروجى المخدرات ، إذ هى النصيحة التى أمر بها الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن تميم الدارى(٢٨) (الدين النصيحة : قاله ثلاثاً : قلنا لمن يا رسول الله . قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وفى الحديث(٢٩) الذى رواه النسائى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب) .

والنصيحة لأئمة المسلمين أى : الحكام بالإرشاد ومعاونتهم على منع المنكرات والآثام ، لأنهم القادرون على تغييرها بالقوة ، فلا تأخذنا رحمة فى دين الله ، إذ التستر على هذه الآثام إعانة لمروجيها على الاستمرار فى هذه المهمة الخبيثة . والقانون الجنائى المصرى يجرم التواجد فى مكان أعد لتعاطى المخدرات وكان يجرى فيه تعاطيها(٣٠) :

تنص المادة ٣٩ من قانون مكافحة المخدرات رقم ١٨٢ لسنة ١٩٦٠ المعدل بالقانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ على أنه ، يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة وبغرامة لا تقل عن ألف جنيه ولا تجاوز ثلاثة آلاف جنيه كل من ضبط فى مكان أعد أو هيىء لتعاطى الجواهر المخدرة وذلك أثناء تعاطيها مع علمه بذلك .

وتزاد العقوبة بمقدار مثليها إذا كان الجوهر الذى قدم هو الكوكايين أو الهيروين أو أى من المواد الواردة بالقسم الأول.

ولا يسرى حكم هذه المادة على زوج أو أصول أو فروع أو أخوة من أعد أو هيأ المكان المذكور أو على من يقيم فيه .

ويشترط لانطباق هذا النص أن يضبط الجانى فى مكان أعد أو هيىء لتعاطى الجواهر المخدرة وأن يكون تعاطى المخدرات جاريا فيه بالفعل وقت الضبط وأن يقصد المتهم التواجد فيه وأن يعلم أن تعاطى المخدرات جارياً بالفعل .

ونظرا لأن الزوج أو الزوجة أو أصول أو فروع أو إخوة أو من يقيم مع من أعد أو هيأ المكان الذى يجرى فيه تعاطى الجواهر المخدرة قد تضطرهم صلة القربى أو ظروف الإقامة إلى التواجد فيه دون رغبة فى مشاركة الحاضرين إثمهم ، فقد رؤى النص على

(٢٨) الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ٢٢٨ .

(٢٩) المرجع السابق ص ٢٢٩ .

(٣٠) راجع . كتابنا « قضاء المخدرات » الطبعة الثالثة صفحة ١٤٧ .

إعفائهم من حكم هذه المادة ، وقد أضاف المشرع بالقانون رقم ١٢٢ لسنة ١٩٨٩ إلى حالات الإعفاء من يقيم فى المكان الذى أعد أو هيىء لتعاطى الجواهر المخدرة تقديرا لما تلاقيه الكثرة من أزمة فى الاسكان تلجأ البعض منهم إلى الإقامة فى أماكن لا يتوافقون مع شركاء لهم فيها أخلاقيا أو اجتماعيا . وأضاف إلى حالات الإعفاء أيضا إخوة من أعد أو هيأ المكان لتعاطى المواد المخدرة .

وغنى عن البيان أن الإعفاء الوارد فى الفقرة الثالثة من المادة ٣٩ قاصر على الأشخاص المبينيين فيها على سبيل الحصر ومن ثم لا يمتد إلى سواهم من أقارب أو أصدقاء من أعد أو هيأ مكانا لتعاطى الجواهر المخدرة وتواجد فيه وضبط أثناء تعاطيها فيه بالفعل ؛ فهؤلاء يحق عليهم المساءلة والعقاب .

والعقوبة المقررة لهذه الجريمة هى الحبس مدة لا تقل عن سنة وغرامة لا تقل عن ألف جنيه ولا تجاوز ثلاثة آلاف جنيه ، فإذا كان الجوهر المخدر الذى يجرى تعاطيه هو الكوكايين أو الهيروين أو أى من المواد الواردة بالقسم الأول من الجدول رقم (١) الملحق بقانون مكافحة المخدرات فتزاد العقوبة بمقدار مثليها .

وبعد أن بينا أحكام الشريعة الإسلامية والقانون المصرى فى المسائل المتقدمة المتعلقة بالمخدرات فاننا ندعو الله العلى القدير أن يبعد أبناء الأمة الإسلامية والعربية عن المخدرات وأن يجنبهم آثارها المدمرة .

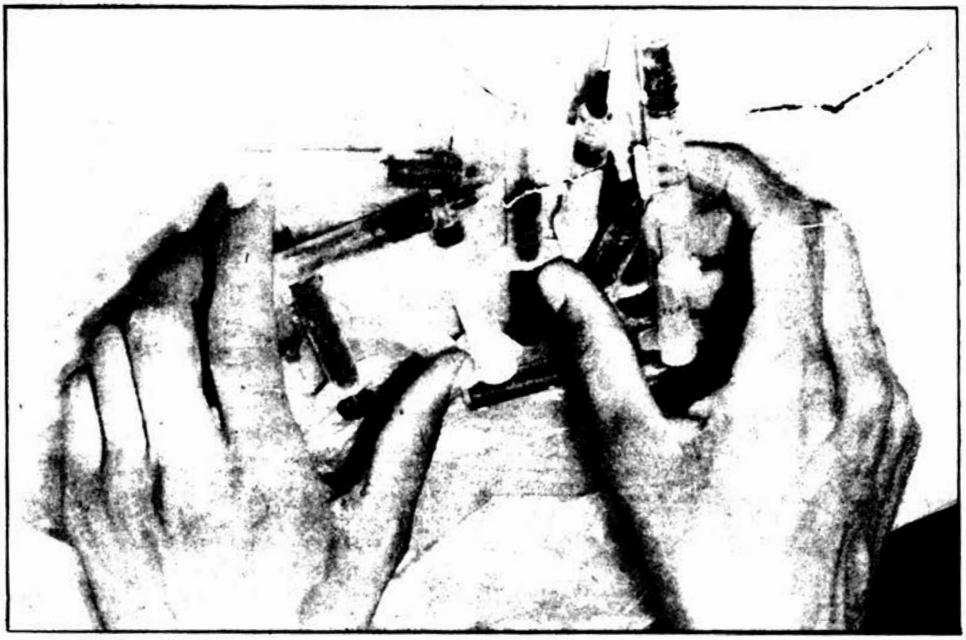

صورة لبعض من حقن المتعاطى المضبوطة

معالجة مشكلة البطالة

من منظور الفكر الإسلامي والفكر الوضعي

إعداد
د/ سهير حسن عبد العال (*)

(المبحـــث الأخـــير)

تقويم سياسات معالجة مشكلة البطالة فى ضوء المنهج الإسلامى

تعتبر مشكلة البطالة الشغل الشاغل للحكومة المصرية لما لها من آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية خطيرة ، ولقد شكلت لجان ونظمت مؤتمرات ونـدوات ووضعت العديـد من السياسات التى تتضمن اقتراحات للعلاج ، ولقد حققت هذه السياسات بعض الفوائد بينما أخفقت الأخرى ، ولكن الواقع أن المشكلة تتفاقم ، وهذا يتطلب تقويماً لهذه السياسات من منظور الفكر والتطبيق ، ودراسة جدواها ، وهل هناك بدائل أخرى ؟ كما أن هناك ضرورة مناقشة السياسات الاقتصادية الإسلامية لمعالجة مشكلة البطالة ، وكيف يمكن الاستفادة منها فى علاج مشكلة البطالة فى مصر ؟

وهذه هى المسائل التى أتعرض لها بشىء من التبيان :

أولا : تقويم سياسات مواجهة مشكلة البطالة فى مصر :

اتبعت مصر سياسات عديدة لمواجهة مشكلة البطالة ومن هذه السياسات ما يلى :ــ

١ ــ السياسات السكانية :

حاولت الدولة ــ عن طريق اتباع سياسة سكانية من أهمها الحملات المختلفة لتنظيم الأسرة ورفع المستوى الصحى للسكـان ــ الحد من

* مدرس اقتصاد ــ كلية التجارة جامعة الأزهر/فرع البنات *.

معدلات النمو السكانى . إلا أنه على الرغم من هذه الجهود فقد ارتفع معدل نمو السكان من ١,٠١٪ خلال الفترة من ٦٦ ــ ١٩٧٦[١] إلى ٢,٨٪ خلال الفترة ١٩٨٦ ــ ١٩٩٢ .

٢ ـ سياسة تشغيل الخريجين :

أمام تزايد السكان وتزايد القوة العاملة سنويا التزمت الدولة منذ أوائل الستينات بتعيين الخريجين من الجامعات والمدارس الفنية والمتوسطة . وعلى الرغم من أن هذه السياسة كانت تستهدف استيعاب الزيادة فى القوة العاملة والتخفيف من ظاهرة البطالة ، إلا أنها تسببت فى بعض الآثار السلبية منها :

(أ) تزايد معدل البطالة المقنعة للعاملين بأجهزة ومؤسسات الدولة ، ومن ثم انخفاض إنتاجهم .

(ب) كذلك أدى تزايد خريجى الجامعة وعجز الدولة عن التوسع فى أنشطتها الاقتصادية بمعدلات مماثلة إلى ظهور البطالة السافرة بين خريجى التعليم العالى والمتوسط . وقد انعكس ما تقدم على اطالة فترات انتظار الخريجين ــ فى منتصف الثمانينات ــ إلى ما بين ٥ و ٦ سنوات[٢] .

٣ ـ كما لجأت الدولة لزيادة طاقتها على : استيعاب المزيد من العمالة الى تقصير ساعات العمل للأسبوعية فى المشروعات العاملة من ٤٨ ساعة إلى ٤٢ ساعة ، إلا أن هذه السياسة أدت إلى تزايد حجم مشكلة البطالة المقنعة بالجهاز الحكومى[٣]

٤ ـ حجم ونمط تخصيص الاستثمارات بين القطاعات الاقتصادية المختلفة :ــ

تميزت سياسة تخصيص الاستثمارات بين القطاعات الاقتصادية المختلفة منذ منتصف السبعينات وحتى الآن بتحيز واضح ضد القطاعات السلعية الأساسية ــ وهى القطاعات التى تستوعب عددا كبيرا من العمالة ــ ولصالح القطاعات التوزيعية والخدمية .

ويتضح ذلك بجلاء فى حالة قطاع الزراعة الذى عانى طوال هذه الفترة من انخفاض واضح فى حجم ونسبة الاستثمارات الموجهة إليه حيث بلغ نصيبه ٥٪ من المجموع الكلى للتكوين الرأسمالى الإجمالى خلال الفترة من ٧٤ ــ ١٩٧٩ ، ٨٪ خلال الفترة من ٧٧ ــ ٨٢/٨١ ، ٦,٦٪ خلال الفترة ٨٣/٨٢ ــ ٨٧/٨٦[٤] ٩٪ خلال الفترة ٨٨/٨٧ ــ ٩١/٩٠[٥] .

وقد انعكس انخفاض الاستثمارات فى قطاع الزراعة على انخفاض النصيب النسبى لهذا القطاع فى قوة العمل من ٥٧,٤٪ عام ١٩٦٠ إلى

١ ــ البنك المركزى المصرى ، التقرير السنوى ، ١٩٨٨/٨٧ ، ص ١٢٨ .

٢ ــ د. سميحة السيد ، سياسة مواجهة البطالة رؤية من خلال تجارب بعض الدول الأخرى ، مؤتمر قسم الاقتصاد ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ١٩٨٩ ، ص ١٠٥٦ .

٤ ــ د. ليلى الخواجة ، دراسة تحليلية لظاهرة البطالة السافرة وعلاقتها بهيكل سوق العمل فى مصر ، مؤتمر قسم الاقتصاد ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨٩ ، ص ٢٠١ .

٥ ــ البنك المركزى ، المجلة الاقتصادية ، المجلد الواحد والثلاثون ، العدد الرابع ، ٩١/٩٠ ، ص ٧٣٤ .

(٣) Karima Korayam : Unemployment and Labour Market Policies in, M.D., Beonor, Unemployment Schooling and Training in Developing Countries, I.L.O., Groomhelm, London 1985, P.77.

٣٣,٦٪ عام ٨٤/٨٣ ثم ٣٥,٦٪ عام ٨٨/٨٧ ، ٣٥٪ عام ٩١/٩٠ .

أما قطاع الصناعة كان نصيبه من إجمالى الاستثمارات ٢٧٪ خلال الخطة الخمسية الأولى ، ٢٢٪ خلال الفترة ٨٣/٨٢ ــ ٨٧/٨٦ ، ٢٣,٩٪ خلال السنوات ٨٨/٨٧ ــ ٩١/٩٠[٦] .

ولا يرجع الانخفاض النسبى لنصيب قطاع الزراعة من العمالة إلى نمو القطاعات السلعية الأخرى غير الزراعية وخاصة الصناعة ، فبالنسبة لقطاع الصناعة فإن نصيبه من قوة العمل ٩,٥٪ فى عام ١٩٦٠ ثم ارتفع إلى ١٢,٧٪ عام ٨٤/٨٣ ثم إلى ١٤,٣ فقط عام ٨٨/٨٧ ولا شك أنها نسبة منخفضة ، وخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أن هذا القطاع قد استوعب ٢٣٪ من الاستثمارات القومية خلال الفترة ٨٣/٨٢ ــ ٨٧/٨٦[٧] .

ولا شك أن هذا التناقض بين النصيب النسبى لقطاع الصناعة فى كل من الاستثمارات والعمالة ، يرجع إلى الاتجاه فى استخدام فنون إنتاجية كثيف رأس المال ، وإلى توجيه جزء كبير من الاستثمارات الصناعية لأعمال الإحلال والتجديد . هذا مع ملاحظة أن نسبة ١٤,٣٪ من قوة العمل تشمل العمالة بالقطاع العام والتى لا يعنى توظيفها خلق فرص عمل منتجة بالفعل[٨] .

ومن ناحية أخرى تمتع قطاع الخدمات وخاصة قطاع النقل والمواصلات وقناة السويس بمعدلات مرتفعة من الاستثمارات ؛ ففى الفترة ٨٣/٨٢ ــ ٨٧/٨٦ بلغت نسبة الاستثمارات فى هذا القطاع ٢٢,٩٪[٩] ولم يحقق زيادة مماثلة من فرص العمل لا تتعدى حوالى ٥٪ من إجمالى قوة العمل[١٠] وذلك لاعتماد هذا القطاع على أساليب ذات كثافة رأسمالية مرتفعة مما أدى الى محدودية فرص العمل بها .

٥ ــ سياسة تشجيع القطاع الخاص على ايجاد فرص عمل كافية لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الداخلين فى سوق العمل ، فلم تتجاوز فرص العمل التى تقيمها المشروعات التى تمت الموافقة عليها من جانب الهيئة العامة للاستثمار والمناطق الحره (٢٢٥) ألف فرصة عمل حتى ١٩٩١[١١] .

٦ ــ سياسة التسعير : تميز هيكل الأسعار (أسعار عناصر الإنتاج وأسعار السلع وأسعار الصرف وأسعار الفائدة) فى الاقتصاد المصرى بشيوع العديد من الاختلافات ؛ بحيث أصبحت تلك الأسعار لا تعكس القدرة الحقيقية لتلك الموارد . وكان من نتيجة ما تقدم أن ساد الاقتصاد نمط غير رشيد لاستخدام الموارد المحلية المتاحة .. وهو ما أدى إلى سوء استغلال الموارد البشرية وظهور البطالة[١٢] .

---

٦ ــ المرجع السابق ذكره ، ص ٧٣٤ .

٧ ــ البنك الأهلى المصرى ، النشرة الاقتصادية ، العدد الأول والثانى ، المجلد الواحد والأربعون ، ١٩٨٨ ، ص ٩٢ .

٨ ــ د. سميحة السيد فوزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٦٠ .

٩ ــ البنك المركزى المصرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ٧٣٤ .

١٠ ــ البنك الأهلى المصرى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٧ .

١١ ــ الهيئة العامة للاستثمار ، قطاع البحوث والعمليات .

١٢ ــ د. سميحة السيد فوزى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٥٨ .

وفيما يلى نعرض بعض الاختلافات فى هيكل الأسعار والتى دفعت إلى تزايد البطالة[١٣] :

(ا) تحيز الأسعار ضد الفنون الانتاجية كثيفة العمل من خلال تقدير رأس المال بأقل من قيمته فنتيجة لأسعار الصرف المغالى فيها ، ولانخفاض سعر الفائدة النقدى ، مع معدلات التضخم أصبح سعر الفائدة الحقيقى سالبا ، وتحيزت الأسعار النسبية لرأس المال والعمل فى صالح الأول وضد الثانى ، مما دفع بدوره إلى تحيز الإنتاج نحو الفنون الإنتاجية كثيفة رأس المال .

(ب) تحيز هيكل الأسعار ضد القطاع الزراعى نتيجة لانخفاض أسعار السلع الزراعية بالمقارنة مع أسعار السلع الصناعية ، وقد أدى إلى ضعف معدلات نمو الإنتاج الزراعى وضعف قدرته على استيعاب العماله .

(جـ) اختلال هيكل أسعار مدخلات ومخرجات وحدات القطاع العام بما أثر على مستوى أداء هذا القطاع وأضعف قدرته على خلق فرص عمل .

ثانيا : المنهج الإسلامى لمعالجة مشكلة البطالة :

وضع الإسلام العديد من القواعد لمعالجة مشكلة البطالة ، ونتعرض هنا لأهم هذه القواعد ، وندرس إمكانية الاستفادة منها فى وضع السياسات الاقتصادية فى مصر :ـ

١ ـ الزكاة ودورها فى معالجة مشكلة البطالة :

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة وفريضة مؤكدة بالقرآن والسنة والإجماع ، وقد جعلها الله شرطا لسلامة العقيدة الإسلامية ، وبالتالى فهى عبادة أو حق تعبدى . وقد وردت الزكاة فى آيات عديدة فى القرآن الكريم والسنة فقال تعالى فى كتابه العزيز « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا »[١٤] وقال تعالى « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** »[١٥] كما ذكر الله من صفات المؤمنين أداء الزكاة فى قوله تعالى « وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ »[١٦] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها . إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار »[١٧] .

« وعندما توفى رسول الله ﷺ استخلف أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ وكفر من كفر من العرب فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ وكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقها وحسابه على الله » فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ لقاتلتهم

١٣ ـ المرجع السابق ذكره ، ص ١٠٥٨ .
١٤ ـ سورة التوبة آية ١٠٣ .
١٥ ـ سورة التوبة آية ٦٠ .
١٦ ـ سورة المؤمنون آية ٤ .

• صفحت له صفائح : جمع صفيحة وهى العريضة من حديد .

١٧ ـ صحيح مسلم ، بشرح النووى الجزء ٣ ، ص ١٧ .

على منعها ، فقال عمر ــ رضى الله عنه ــ : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر ــ رضى الله عنه ــ فعرفت أنه الحق »[١٨] .

وتؤدى الزكاة دورا مهما وأساسيا فى علاج مشكلة البطالة وذلك للاعتبارات الآتية :

١ ــ إن سياسات معالجة مشكلة البطالة فى الاقتصاد الوضعى تتمثل فى المقام الأول فى ضرورة توفير الاستثمارات اللازمة لإقامة المشروعات والزكاة تعتبر مصدرا أساسيا للتمويل فى الاقتصاد الإسلامى وذلك عن طريق توجيه جزء من حصيلة الزكاة إلى إقامة المشروعات الاستثمارية التى يحتاج إليها الفقراء والمساكين ، وإلى تشغيلهم فيها وتمكينهم إياها ، كما يجوز استخدام جزء منها فى شراء أدوات الإنتاج وتمليكها لصغار العمال الذين يستحقون الزكاة .

وفى هذا المعنى يقول جمهور الشافعية « فإذا كانت عادته الاحتراف أُعطى ما يشترى به حرفته ، أو آلات حرفته قلت قيمة ذلك أم كثرت ، ويكون قدره بحيث يحصل له من ربحه ما يفى بكفايته غالبا تقريبا ويختلف ذلك باختلاف الحرف والبلاد والأزمان والأشخاص ، فمن يبيع البقل يعطى خمسة دراهم أو عشرة ، ومن حرفته بيع الجوهر يعطى عشرة آلاف درهم مثلا ، ومن كان خياطاً أو نجارا أو قصابا ، أو غيرهم من أهل الصنائع ؛ أعطى ما يشترى به من الآلات التى تصلح لمثله ، وإذا كان من أهل الضيـــاع (المزارع) يعطى ما يشترى به ضيعة أو حصة من ضيعة تكفيه غلتها على الدوام »[١٩] .

وهذا يبرز دور الزكاة كممول رئيسى يمكن أن يسهم بدور رائد فى حل مشكلة البطالة .

٢ ــ تدفع فريضة الزكاة بالمسلم إلى ضرورة استثمار أمواله فى مشروعات إنتاجية ، حتى يستطيع دفع الزكاة من ربح الاستثمار بدلا من أن يدفعها من رأس المال نفسه . وهذا يفتح مجالا للتشغيل وإيجاد فرص عمل جديدة فلقد فرضت الشريعة الإسلامية الزكاة على المال النامى أو القابل للنماء ، وهذا يحرك صاحبه على استثماره خشية أن تأكله الزكاة ، ولقد أكدت الشريعة الإسلامية على ذلك .

٣ ــ الزكاة لها أثر واضح فى إعادة توزيع الدخل وتقليل حدة التفاوت فى الدخول وذلك عن طريق :ــ

أخذ نسبة معينة من صافى الثروة والدخل وتعطى للفقراء المعدمين ، وهو أمر يجعل أموال الأغنياء تنقص بمقدار إضافة هذه النسبة إلى أموال الفقراء فتنتقص من هؤلاء بمقدار ما تزيد من أولئك . وإعادة توزيع الدخل له دور هام فى خلق سوق واسعة شديدة الاستيعاب ؛ ذلك لأن حصول الفئات التى تعجز عن توفير كفايتها لأسباب قهرية ــ على هذه الكفاية من أموال الأغنياء يعنى ارتفاع الميل الحدى للاستهلاك إلى درجة كبيرة لدى هذه الفئـات كالفقـراء والمساكين ، بينما لا يؤدى قضاء فريضة الزكاة إلى تخفيض الميل للاستهلاك لدى الأغنياء ، وذلك

١٨ ــ صحيح البخارى ، الجزء الأول ، دار القلم ، بيروت ، ص ٩٥٤ .

١٩ ــ المجموع شرح المهذب ج ٦ ، ص ١٩٣ نقلا من أحمد يوسف « أحكام الزكاة وأثرها المالى والاقتصادى » دار الثقافة ١٩٩١ ، ص ١٤٤ .

حاصة بالنسبة للسلع الأساسية والضروريات وكذلك الحاجيات[٢٠] فتكون المحصلة النهائية هى اتساع السوق بطريقة مستمرة وتوجيه الاستثمار إلى إنتاج سلع الفقراء والأغنياء معا .. وهذا من شأنه إيجاد فرص عمل تتزايد تلقائيا بزيادة حصيلة الزكاة .

٤ ـ إن دور الزكاة فى حل مشكلة البطالة لا يتوقف على الإنفاق ـ لمرة واحدة ـ على الاستثمار والإنتاج ، وإنما تطبيقا لنظرية « المضاعف » التى تربط بين الدخل الكلى ومعدل الاستثمار فإنفاق حصيلة الزكاة فى المجتمع ودفع الأموال العاطلة إلى الميدان الاقتصادى والاستثمارات ؛ من شأنه أن يحدث إنماءً متزايداً فى الدخل القومى الكلى وبالتالى فى الاستثمار ، وهذا من شأنه أن يوسع من فرص العمل . وهذا ما يوضحه القرآن الكريم فى قوله تعالى « مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ »[٢١] .

فالله يضاعف أموال المنفقين فى سبيل الله ، وهى عملية حسابية تظهر أثر « مضاعف » الزكاة . فإخراج واجب الزكاة يترتب عليه زيادات مضاعفة فى مستوى النشاط الاقتصادى بمعدلات تتراوح بين ٢,٥٪ ، ٥٪ ، أو ١٠٪ من قيمة الإخراج الأولى لمقادير الزكاة المقررة على مختلف أنواع الأموال[٢٢] .

٥ ـ كما أجاز الفقهاء كذلك أن تدفع من حصيلة الزكاة لرجال الأعمال الذين ركبتهم الديون ولا يقدرون على الوفاء بها بسبب الكوارث والمصائب والأزمات .. حتى يعودوا مرة أخرى إلى النشاط الاقتصادى ويساهموا فى توظيف العاملين بدلا من تشريد من كانوا يعملون معهم من قبل ، وفى هذا الخصوص يقول رسول الله ﷺ « إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة من بينهم : رجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش » فإذا مساعدة من يوشكون على الإفلاس من مال الزكاة يمنع وقوع الأزمات الاقتصادية وتجنب المجتمع وقوع كارثة البطالة[٢٣] .

٢ ـ دور تشريع الميراث فى معالجة مشكلة البطالة :

فلو كانت ملكية الإنسان موقوته بحياته ، وتنتهى بانتهائها ، ولا تنتقل بوفاته إلى أقرب الناس إليه وأحبهم لديه ، ومن يعدهم جزءا منه ويعد حياته استمرارا لحياتهم ؛ لما وجد عنده الحافز على الاحتفاظ بأمواله والعمل فى تنميتها والاستزادة منها ، ولذا كان انتقال المال بالوراثة إلى الورثة أمرا تفرضه النظم الاقتصادية والاجتماعية[٢٤] .

فلولا تشريع الميراث لما كان هناك الباعث والدافع إلى السعى والعمل ، ولاكتفى الإنسان بما يقيم حياته من المال ، دون أن يكون له تطلع إلى المزيد منه ، وهذا بلا شك مدعاة إلى الكسل

٢٠ ـ د. نعمت مشهور ، الزكاة وتمويل التنمية ، ندوة إسهام الفكر الاسلامى فى الاقتصاد المعاصر ، مركز صالح كامل ، جامعة الأزهر ، سبتمبر ١٩٨٨ ، ص ١٦ .

٢١ ـ سورة البقرة ، آية ٢٦١ .

٢٢ ـ د. نعمت مشهور ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٩ .

٢٣ ـ د. حسين حسين شحاته ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٥ .

٢٤ ـ على الخفيف : « الملكية فى الشريعة الإسلامية مع مقارنتها بالقوانين الوضعية » معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥٦ .

والتراخى ، ومؤد إلى أن تسير عجلة الإنتاج فى المجتمع ببطء مما يترتب عليه تدهور الأمة وتخلفها[٢٥] .

إن الإنسان حريص أشد الحرص على أن يمسك شيئا لأهله من بعده ، ينتفعون به ويعيشون منه ، وهذا دافع على العمل ، حتى إن بعض الدول التى ألغت نظام الميراث بعد أن قضت على نظام الملكية فى حياتها الاقتصادية ؛ اضطرت إلى أن تعيد هذا النظام ، وأن تنتفع به كدافع قوى من دوافع العمل ، وكغذاء معنوى يغذى الناس بمشاعر الإخلاص فى العمل الذى تعود ثمرته إليهم ، وإلى من بعدهم من ذوى قرباهم[٢٦]

وإلى جانب كون الميراث دافع وحافز على العمل ، فإن له آثار اقتصادية أخرى بعيدة المدى ، فهو يؤدى إلى تفتيت الثروة ، ويكفل توزيعها بين الأفراد ، بحيث لا تتركز فى يد فرد واحد ، وإنما يوسع من دائرة الملكية ، ويحول دون أن تتضخم الثروة وتتجمع فى أيدى فئة قليلة ومحدودة من أفراد المجتمع .

٣ ـ الاهتمام بالجوانب الإيمانية والأخلاقية والفنية للعامل :

إن الاهتمام بالجوانب الإيمانية والأخلاقية للعامل سوف تجعله يضع نصب عينيه أن العمل عبادة كما فرضه الله علينا ، فسوف يعمل بكل جد حتى ينال ثواب هذه العبادة .

ومن ناحية أخرى : أن وجود مثل هذا العامل سيساهم فى تنمية المجتمع وزيادة الإنتاج والإنتاجية والربحية . وهذا بدوره يمكن المنشأة التى يعمل فيها من استيعاب عدد آخر من العمالة .

وتشمل الجوانب الإيمانية : الإيمان والخوف من الله والرقابة الذاتية وشعور العامل بالمسئولية تجاه عمله فى الدنيا والآخرة فيقول الله تعالى : « وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ »[٢٧] ويقول : «قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ »[٢٨]

أما الجوانب الأخلاقية فتشمل الصدق والأمانة والمسئولية وإحسان العمل ، فيقول الحق ـ تبارك وتعالى : « وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »[٢٩] ويقول الرسول ـ ﷺ ـ إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ويحسنه »[٣٠] .

وقـــد حث الإسلام على ضرورة الاهتمام بالنواحى الفنية ورفع كفاءة العامل وزيادة مهارته وفرض على ولى الأمر مسئولية توفير فرص العمل وتهيئة وإعداد وتدريب العاملين وأساس ذلك حديث رسول الله ـ ﷺ ـ أنـــه قال : **ألا كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته** فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولده ، وهى مسئولة عنهم ، والعبد راع على مال سيده ، وهو

---

٢٥ ـ سعيد ابو الفتوح بسيونى « الحرية الاقتصادية فى الاسلام وأثرها فى التنمية » دار الوفاء المنصورة ١٩٨٨ ، ص ٢٩٥ .

٢٦ ـ عيسوى أحمد عيسوى ، « أحكام المواريث فى الشريعة الاسلامية » القاهرة ص ١٥ ـ ١٦ .

٢٧ ـ سورة التوبة آية ١٠٥ .

٢٨ ـ سورة التغابن آية ٧ .

٢٩ ـ سورة النحل آية ٩٣ .

٣٠ ـ رواه البخارى .

مسئول عنه ألا فكلكم راع . وكلكم مسئول عن رعيته[٣١] .

إن الاهتمام بالجوانب الإيمانية والأخلاقية والفنية للعامل سيحعله منتجا ومصدر خير لغيره من العاملين ، ومن خلال مسئولية ولى الأمر عن إيجاد فرص العمل وتهيئة وإعداد وتدريب العاملين لا يكون عاطلا فى المجتمع .

٤ ـ تشجيع هجرة من ضاقت بهم فرص العمل :

إن الإسلام لا يعترف بالحدود السياسية التى تفصل بين الدول الإسلامية بعضا عن بعض وأساس ذلك قول الله ـ تبارك وتعالى : « إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ »[٣٢] بل إن هذه الرابطة أقوى من رابطة الدم والرابطة الجغرافية ، فالمسلم فى أى مكان هو أخو المسلم ويؤكد الله ـ عز وجل ـ على ذلك فيقول : « إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »[٣٣] كما أن الأرض جميعها هى أرض الله ، وهى واسعة رحبة لا يتحدد خيرها بمكان واحد ، ولذلك فلا حجة للمستضعفين فى الأرض فى بقائهم فى مسقط رأسهم ولا حجة لمن ضاقت بهم فرص العمل ـ فى موطنه الأصلى أو غيره ـ فى أن يبقى على ما هو فيه من ضيق ، ولذلك حث الإسلام على الهجرة ، وإيثار الكرامة وسعة الرزق على الذل وضيق الحياة بين الأهل والعشيرة[٣٤] ولعل هذا يتأكد من الآية الكريمة « إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا »[٣٥] .

وقد ورد فى تفسير هذه الآية أن ضعف النفس وحرصها وشحها ، يخيل إليها أن وسائل الحياة والرزق مرهونة بأرض ، ومقيدة بظروف ، مرتبطة بملابسات لو فارقتها لم تجد للحياة سبيلا .

وهذا التصور الخاطىء لحقيقة أسباب الرزق والمعيشة ، هو الذى يجعل النفوس تقبل الذل والضيم ، ثم تتعرض لذلك المصير البائس . مصير الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، والله يقرر الحقيقة الموعودة لمن يهاجر فى سبيل الله ، إنه سيجد فى أرض الله منطلقا جديدا وسعة ، حيث يقول جل شأنه « وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً »[٣٦] .

وقال ابن عباس : السعة هى الرزق ، ومعناها الانتقال من العيلة إلى الغنى .[٣٧] ويقول الرسول ـ ﷺ ـ « **سافروا تستغنوا** »[٣٨] وعلى هذا فإن الإسلام قد نادى بالسفر والتغرب عن الأوطان لطلب المعيشة من أجل القضاء على البطالة ، والسعى بحثا عن العمل لما فيه خير المسلمين .

---

٣١ ـ صحيح مسلم ، الجزء الثالث ص ١٤٥٩ .

٣٢ ـ سورة الأنبياء آية ٩٢ .

٣٣ ـ سورة الحجرات آية ١٠ .

٣٤ ـ مؤسسة إقرأ الخيرية ، بحوث ودراسات إسلامية ، دار الضياء ، ١٩٩٢ ، ص ٢٥٦ .

٣٥ ـ سورة النساء آية ٩٧ .

٣٦ ـ سورة النساء آية ١٠٠ .

٣٧ ـ القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب جزء ٥ ، ص ٣٤٨ .

٣٨ ـ رواه الطبرانى فى الأوسط .

٥ ـ الالتزام بالقواعد الإسلامية فى توجيه المشروعات الإنتاجية حسب الأولويات الإسلامية :

إن الالتزام بالقواعد الإسلامية فى توجيه الاستثمارات ـ نحو إشباع جميع الحاجات الأساسية للسكان من مأكل ومشرب وملبس ومسكن هو : الاستثمار فى القطاعات الأساسية ـ يؤدى إلى توسيع فرص العمل والتغلب على مشكلة البطالة .

ويستدل من أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ على ضرورة إشباع الحاجات الأساسية للمسلم فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه **أن النبى ـ ﷺ ـ قال ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصال : بيت يكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء**[٣٩] .

ويرى ابن خلدون ضرورة الاهتمام بالزراعة وإعطائها الأولوية فى الاستثمار فيقول « إن الزراعة هى معاش المستضعفين » استنادا على حديث الرسول ـ ﷺ ـ « **ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له بها صدقة** » (رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه)[٤٠] .

والإسلام يدعو أيضا إلى الاستثمار فى قطاع الصناعة فنجد فى القرآن الكريم آيات تدل على أن الصناعة لها دور حيوى تقوم به فى إعمار الأرض .

ومن هذه الآيات « فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا »[٤١] وفيها إشارة واضحة إلى تعليم صناعة السفن ، وقوله ـ تعالى ـ فى سورة سبأ « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ »[٤٢] وفى هذه الآية إشارة إلى صناعة الحديد على يد نبى الله داود ـ عليه السلام .

وفى قوله تعالى
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ »[٤٣] .

وفيها إشارة إلى صناعة المبانى والصناعات القائمة على الجلود والملابس وصناعة الدروع للحرب .

٦ ـ إلزام صاحب رأس المال باستثمار ماله وتنميته فى المجالات المشروعة :

ألزم الإسلام صاحب رأس المال بالعمل على استثمار ماله وتنميته فى المجالات المشروعة إذ أن فى تعطيله إضراراً بمصلحة المجتمع ، وتطبيقا لهذا التكليف نجد أن الفقهاء يشترطون على واضع اليد على الأرض الموات أن يعمل فيها لإحيائها ، وقيدوا

---

٣٩ ـ نقلا من د. عبد الرحمن يسرى ، الأولويات الأساسية فى المنهج الاسلامى للتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى ، المركز العالمى لأبحاث الاقتصاد الاسلامى ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ١٩٨٢ ، ص ٥٦ .

٤٠ ـ د. عبدالرحمن يسرى ، مساهمة ابن خلدون فى الفكر الاقتصادى ، مجلة كلية التجارة ، جامعة الاسكندرية العدد الثانى السنة ١٥ ، ١٩٧٨ ، ص ٥٩ ـ ٦٠

٤١ ـ سورة المؤمنون آية ٢٧ .

٤٢ ـ سورة سبأ آية ١٠ .

٤٣ ـ سورة النحل آية ٨٠ ، ٨١ .

تلك الحيازة بوجوب العمل[٤٤] وبدونه لا تحقق ملكية واضع اليد على تلك الأرض وذلك أخذا من قول رسول الله ـ ﷺ ـ « **ليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين** »[٤٥] .

وقد ظهر تطبيق هذا المبدأ جليا فى عهد عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقد روى عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال وهو على المنبر « من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وليس لمحتجز حق بعد ثلاث سنين »[٤٦] وهذا هو العدل الواجب ، أن الأرض لمن أحياها لا لمن احتجزها ثم عجز عن عمارتها[٤٧] .

ويبدو هذا الأمر واضحا فى واقعة بلال بن الحارث المزنى ، فقد أقطعه رسول الله ـ ﷺ ـ ما بين البحر والصخر ولم يستطع أن يحيى كل ذلك ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب قال له : أنت لا تطيق ما فى يدك ، فقال : أجل فقال : فانظر ما قويت عليه منها فأمسكه ، وما لم تطق فادفعه إلينا نقسمه بين المسلمين ، فقال لا أفعل والله شيئا أقطعنيه رسول الله فقال عمر : والله لتفعلن ، فأخذ منه ما عجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين[٤٨] .

وقد حث الإسلام على الإتجار فى أموال اليتامى ، فالرسول ـ ﷺ ـ يأمر الأوصياء باستثمار أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة فقال رسول الله ـ ﷺ ـ « **من ولى يتيما له مال فليتجر له ولا يتركه حتى تأكله صدقة** »[٤٩]

وعن يحيى بن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال « اتجروا فى أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة » وعن مالك أنه بلغه أن عائشة ـ رضى الله عنها ـ زوج النبى ﷺ كانت تعطى أموال اليتامى الذين فى حجرها من يتجر لهم فيها[٥٠]

وحكمه إلزام صاحب رأس المال باستثمار أمواله حتى يعود بالنفع على الفرد والمجتمع معا . فمن ناحية الفرد يؤدى إلى زيادة العائد من الاستثمار وبالتالى زيادة دخله ، أما من ناحية المجتمع يولد فرص عمل جديدة أمام العمالة المتعطلة فى المجتمع وهذا أسلوب عظيم لمحاربة البطالة .

الخلاصة :

يتضح من هذا المبحث أن مصر اتبعت لمواجهة مشكلة البطالة سياسات عدة منها : السياسة السكانية ، وسياسة تشغيل الخريجيين ، وحجم ونمط تخصيص الاستثمارات بين القطاعات الاقتصادية المختلفة ، وسياسة التسعير ، وسياسة تشجيع القطاع الخاص ، ومن ناحية أخرى يتضح أيضا لنا السياسات التى أقرها الإسلام لمعالجة مشكلة البطالة وأهمها : الزكاة والميراث ، وقد تقدم دورهما فى معالجة هذه المشكلة ، فضلا عن الاهتمام

---

٤٤ ـ علاء الدين الكاسانى ، « بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع » ج ٦ مطبعة الامام القاهرة ص ١٩٢ .

٤٥ ـ محمد عبد الله العربى ، « الملكية الخاصة وحدودها فى الاسلام » المؤتمر الأول لمجمع البحوث الاسلامية ١٣٩١ ، ١٩٧١ ، ص ٨٣ .

٤٦ ـ أبو يوسف الخراج ، تحقيق د. محمد ابراهيم البنا دار الاعتصام ص ٧١ .

٤٧ ـ الإمام الحجة ابن عبيدة القاسم بن سلامى : الأموال ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١٩٨٦ ، ص ٣٠٢ .

٤٨ ـ الخراج : ليحيى بن آدم القرشى ، نقلا من سعيد أبو الفتوح ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٨ .

٤٩ ـ الترمـذى .

٥٠ ـ الإمام مالك بن أنس ، الموطأ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ص ٢٠٢ .

بالجوانب الإيمانية والأخلاقية والفنية للعامل وتشجيع هجرة العمال ، والالتزام بالقواعد الإسلامية فى توجيه المشروعات الإنتاجية حسب الأولويات الإسلامية ، وكذلك إلزام صاحب رأس المال باستثمار ماله وتنميته فى المجالات المشروعة

النتـــائج العامة للبحــث

ناقش هذا البحث تقييم سياسات معالجة مشكلة البطالة فى مصر مع عرض المنهج الإسلامى وسياساته المختلفة فى علاج هذه المشكلة ولقد خلصت الباحثة إلى عدة نتائج من أهمهـــا ما يلى :ـــ

١ ــ لقد بذلت جهود فى مصر لمعالجة مشكلة البطالة ووضعت لهذا الأمر مجموعة من السياسات إلا أنها لم تحقق المقاصد المنشودة منها على الوجه المرجو وهذا يتطلب إعادة النظر فيها .

٢ ــ تبين أن السياسات المتبعة حاليا لعلاج مشكلة البطالة فى مصر تختلف إلى حد كبير عن المنهج الاقتصادى الإسلامى وسياساته فى علاج نفس المشكلة وهذا يرجع إلى العديد من الأسباب منها اختلاف طبيعة ونوع البطالة الآن وكذلك اختلاف المنهج والسياسات الإسلامية عن ما هو مطبق بمصر فى هذا المجال .

٣ ــ لقد ركزت الدولة فى علاج مشكلة البطالة على السياسات السكانية ، وأنفق عليها العديد من الأموال ، ولكن الجدوى الاقتصادية لهذه السياسات ضعيفة أو غير مؤثرة وهذا قد يرجع الى مجموعة القيم الإيمانية (المعتقدات الدينية) لبعض المصريين أو نشل تنفيذ هذه السياسات ، وهذا يتطلب من الدولة إعادة النظر فى هذه السياسات وتعديل توجهاتها فى ضوء قواعد الشريعة الإسلامية .

٤ ــ إن إعداد العامل وتدريبه يعتبر من سياسات معالجة مشكلة البطالة سواء ظل الاقتصاد الوضعى أو الإسلامى ، ولكن فى منهج الاقتصاد الإسلامى يتم التركيـــز على الجوانب الإيمانيـــة والأخلاقية والسلوكية بجانب الجوانب الفنية ، بينما يركز المنهج الوضعى على الجوانب الفنية فقط ، ولقد ظهر اتجاه حديث نحو الاهتمام بالجوانب الأخلاقية فى الاقتصاد الوضعى .

٥ ــ يحث المنهج الاقتصادى الإسلامى على توجيه الاستثمارات نحو مشروعات الضروريات والحاجيات ، حيث هى التى تستوعب أكبر عدد من العاملين ، وهناك من الاقتصاديين الوضعيين من يؤيد هذا المنهج ، مثل التركيز على الزراعة والصناعة وتجنب المشروعات التحسينية والترفيهية التى تفيد الطبقة الغنية فقط .

٦ ــ يحث الإسلام المسلمين على الهجرة إلى أماكن العمل واعتبار ذلك نوعا من أنواع السعى لطلب الرزق فى سبيل الله ، وهذا يتطلب من الدولة إعادة النظر فى تبسيط إجراءات الهجرة ولاسيما مع الدول العربية والإسلامية .

٧ ــ لقد أدت سياسة التسعير فى ظل الاقتصاد الوضعى إلى حدوث كثير من الاختلالات التى دفعت إلى تزايد البطالة ، حيث إن تدخل الدولة بدون مبرر فى التسعير أدى إلى خروج كثير من المشروعات من جملة النشاط بسبب الخسارة أما فى الاقتصاد الإسلامى فقد منح الإسلام الحرية الفردية للنشاط الاقتصادى ، ولا يجوز للدولة أن تتدخل فى التسعير إلا إذا تبين أن الأفراد لم يلتزموا بالقيم الإسلامية ، وانحرفوا عن المعايير الإسلامية التى تحكم المعاملات فى ظل سوق إسلامية خالية من

الاحتكار والغش والغرر والجهالة والبيوع غير المشروعة .

٨ ـ وضع الإسلام العديد من الضوابط الشرعية لمعالجة المشكلة ، مثل تحريم النظام الربوى القائم على الفائدة حيث تبين من الدراسة والتحليل أن الفائدة من الأسباب الأساسية لمشكلة البطالة فى المجتمع . كما حرم الإسلام حبس المال بأى صورة من الصور عن الانطلاق نحو الاستثمارات لأنه يعوق إنشاء المشروعات التى تمتص فائض العمالة فى المجتمع ولقد اعتبر فقهاء الاقتصاد الإسلامى أن المال مخلوق له وظيفة هى : التداول وجلب الأرزاق للناس ، ويعتبر تقييده عن أداء هذه الوظيفة إثماً كبيراً .

٩ ـ تساهم الزكاة بدور كبير فى الحث على الاستثمار والإنتاج وإيجاد فرص عمل للأفراد وذلك على النحو التالى :ـ

(ا) تحويل أموال الزكاة من الأغنياء إلى الفقراء يؤدى إلى زيادة القوة الشرائية وتوفير السيولة للتمويل ، وبالتالى زيادة الرواج ، وما يستتبع ذلك من زيادة المشروعات ـ التى تهم الفقراء والمساكين ـ التى تستوعب عددا كبيرا من العاملين .

(ب) أجاز فقهاء المسلمين تخصيص جزء من حصيلة الزكاة لشراء أدوات الإنتاج للمهن والحرف المختلفة وتمليكها للفقراء والمساكين القادرين على العمل ولكنهم لا يجدون وسائل وأدوات الإنتاج .

(جـ) يمكن أن ندفع جزء من حصيلة الزكاة لرجال الأعمال الذين يواجهون كوارث أو مصائب أو أزمات حتى يعودوا مرة أخرى إلى النشاط الاقتصادى ويساهموا فى توظيف العاملين .

(د) لا يتوقف أثر الزكاة على الإنفاق مرة واحدة وإنما لعدة مرات وفقا لنظرية المضاعف ، وهذا بدوره يساهم فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية وإغناء المجتمع ، وهذا ما حدث فى عهد عمر بن عبد العزيز عندما لم يجدوا من يستحق الزكاة من الفقراء والمساكين .

(هـ) تدفع فريضة الزكاة صاحبها إلى ضرورة استثمار أمواله فى مشروعات إنتاجية حتى يستطيع دفع الزكاة من النماء ، بدلا من أن يدفعها من رأس المال نفسه ، وبذلك فإن الزكاة تحافظ على القوة الإنتاجية لرأس المال .

١٠ ـ يساهم نظام الميراث ـــ فى الإسلام ـــ فى علاج مشكلة البطالة ، فى كونه يحفز على العمل ويبعث على النشاط ، ويؤدى إلى دفع عجلة الإنتاج إلى الأمام فضلا عن أنه يؤدى إلى تفتيت الثروة ويكفل توزيعها بين الناس توزيعا عادلا ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات .

التوصيـــات

فى ضوء ما ورد بهذا البحث من دراسة ، وما أسفر عنها من نتائج يمكن أن نوصى بالعودة إلى الشريعة الإسلامية السمحاء وكتاب الله ـ تعالى ـ لعلاج مشكلة البطالة والتخفيف من حدتها ، فكما رأينا فى ضوء ما تقدم أن هذه المشكلة يمكن أن تعالج بمشروعية الزكاة التى تأخذ من الغنى للفقير (حقا معلوما) والحث على العمل والنهى عن كنز المال وحبسه عن الاستثمار والإنتاج وتحرير المشروعات من نظام الربا لأنه من أهم أسباب مشكلة البطالة .

أزمة الحضارة العالمية والبديل الإسلامى

د. عبدالله نجيب محمد

ما من فكرة حضارية ارتكزت عليها الثقافة الغربية ، إلا ونجد لها نظيرا من الثقافة الإسلامية ، يسمو عليها ، ويتفوق فى أصوله ومقاصده ، ولقد ادعى الغرب طويلا أن « الديمقراطية » من ابتكاره ومن صميم أفكار ، لم يسبقه إليها شعب من شعوب الأرض ، ولم يمارسها قبله مجتمع من المجتمعات ، وهذا الادعاء مردود عليه ؛ فالواقع يدل على أن مجتمعات كثيرة فى آسيا وإفريقية . قد مارست « الديمقراطية » فى أحلى صورها ، وأرقى معانيها .

وإذا كانت الديمقراطية تعنى فى أصولها ، وحدة القانون بالنسبة للأفراد والمجتمعات ، ومساواة الأفراد والجماعات أمام القانون دون تمييز من أى نوع ، فإن الغرب بعيد كل البعد عن ممارسة الديمقراطية بهذا المفهوم ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نرى أن الديمقراطية الغربية تقوم على مبدأ استغلال الشعوب فى العالم الثالث ، وتعكس توارثات مصلحية لفئات أو طبقات معينة من الشعب الواحد ، تسمح لبعض الطبقات أن تفرض إرادتها ومصلحتها الخاصة على مصالح الطبقات الأخرى ، وتوجيه الأمور السياسية لصالحها ، ولا ينكر الغربيون أنفسهم هذه

الحقيقة ، وإنما الذى يؤخر ظهور التناقضات بين الطبقات المستقلة وغيرها ، هو استمرار الغرب فى استنزاف واستغلال شعوب العالم الثالث ، وتخصيص جزء من محصلة هذا الاستغلال لصالح الطبقات الفقيرة ، ولو حُرم الغرب من مصادرة الاستغلالية ، فسرعان ما تظهر هذه التناقضات داخل شعوب الغرب نفسه .

إن تطبيق الديمقراطية بهذا المفهوم القائم على الاستغلال ومصالح الطبقات ذات النفوذ ، يحمل مخاطر جسيمة على مستقبل الإنسانية عامة ، ولن تنجو من مخاطره شعوب الغرب نفسها ، تلك التى عجزت عن دفع القيادات ذات الفكر المتسامى القائم على العدل إلى مراكز السلطة والتوجيه ، ومن ثم تتحكم الطبقة الجشعة المستغلة فى مصائر شعوبها ، ومصير الحضارة الإنسانية نفسها . وتوالى صنع طبقات مماثلة فى العالم الثالث ، تتعامل معها على أسلوبها ، فتستغل شعوبها ، وتشاركها السيطرة على مصير العالم .

ولقد كان انهيار الامبراطورية السوفيتية ومعها الماركسية حتمية تاريخية ؛ لأنها من جهة فشلت فى تزويد الإنسان باحتياجاته الروحية والأخلاقية ، ومن جهة ثانية عجزت أيضا عن تحقيق ما أدعته بأنها تعمل على إسعاد الإنسان ماديا ، لأنها :

اعتمدت نظام المركزية فى الإدارة والاقتصاد .

وقتلت الروح التنافسية لدى الناس .

وأغلقت أبواب الحرية والتعبير .

وسدت قنوات المحاسبة والنقد والتقويم .

وكانت نتيجة كل ذلك . تضخم المشكلات الاجتماعية التى أدت إلى انفجار المجتمعات ، وإسقاط النظرية الماركسية .

وانهيار النظرية الرأسمالية أيضا حتمية تاريخية ، فهى وإن برزت الآن على أنها البديل الحضارى للطرح الماركسى والنظام الشيوعى ، وأنها قد أثبتت جدارتها وكفاءتها بدليل استمرارها قائمةشامخة حتى الآن ، إلا أنها بكل تأكيد تحمل بذور سقوطها وانهيارها ، فالغرب وإن اعتنق مبادىء النصرانية بشكلها الأوروبى ، إلا أنه يعانى من مشكلة فراغ روحى متعدد الجوانب والأبعاد ، فقد اعتنق الناس النصرانية بالاسم ، ولكنهم غيروا المادة والمنفعة بالفعل ، وتركزت أهدافهم وحياتهم حولها ومن أجلها ، وكثيرا ما شكت الكنائس ذاتها من الفساد الأخلاق والتدهور الروحى حتى بين أفرادها أنفسهم .

هذا من جهة . ومن جهة ثانية ؛ فإن النظام الرأسمالى الغربى يعتمد سياسة استغلال الآخرين كسياسة ثابتة ، ويتخلى عن العدل كمبدأ للتعامل بين الشعوب ، ويعتمد سياسة الإنتاج الكثيف ، والإسراف فى استخدام الموارد والمنتجات .

وهذه الأسس الأخيرة هى ذات العناصر والعوامل التى أدت إلى ازدهار الحضارة المادية الغربية ، وهى فى نفس الوقت الأسس والعوامل التى ستؤدى إلى انهيار النظرية الرأسمالية ، فمعروف أن لكل شىء حدودا إذا وصل مداه تراجع حتما ، وسوف يأتى الوقت الذى تضيق فيه الأسواق فى وجه السرف فى الإنتاج ، وتقل مصادر الطاقة ، وتنحسر الموارد الطبيعية وتتناقص

يوما بعد يوم ، ويوشك أكثرها على النفاد والنضوب . حتى الماء والهواء ، لم تعد مصادرها متاحة بالقدر الكافى ، وأصابها التلوث والفساد ، وسوف يأتى الوقت الذى تتمكن فيه الشعوب المتغَلة من وقف الاستغلال ، وزيادة التحكم فى ثرواتها ، وأسواقها .

إن المجتمع الإنسانى كله الآن يخضع فى كل مكان لتبدل أساسى ويتجه اتجاها محموما نحو الأخذ بمبادئ الرأسمالية والسير فى ركابها وكأن قوة تسوق الناس سوقا لهذا التبدل والجرى إلى النهاية المحتومة ، ويقينا إذا استمر الأمر كذلك ، فستحدث الكارثة وسيقع العالم ضحية لحروب مدمرة .

والمسلمون اليوم وغير المسلمين فى حاجة ماسة إلى نوع من الطمأنينة ، نوع من التهدئة ، ولن يتم ذلك إلا بالرجوع إلى شىء من الاعتبار الروحى فى الحياة بعد أن طغت الشهوات المادية الخاصة على كل صغيرة وكبيرة فى حياتنا اليومية .

والإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لايزال بالرغم من جميع العقبات التى خلقها تأخر المسلمين . أعظم قوة يمكن لها أن تنهض بالهمم ، وتسمو بالبشر إلى مستوى يليق بالكرامة الإنسانية ، فالإسلام ليس اتجاها عقليا روحيا فحسب ، ولا يسعى للآخرة دون الدنيا ، ولا هو يهتم بها وحدها دون الآخرة . ولكنه دين ينظر إلى الحياة الإنسانية على أنها وحدة متكاملة بكل ما فيها ولا يفرق بين الدين والسياسة أو حتى بين الحرب والعبادة ، وهو يستحسن الزهد المعتدل ، وفى الوقت نفسه يحث على الأخذ من الدنيا بنصيب .

والتنمية من وجهة نظر الإسلام تعنى أول ما تعنى تحرير المسلمين من التبعية الثقافية ، والتخلص من شبكة علاقات التبعية والسيطرة الاقتصادية التى تربط المسلمين بالغرب ، والعمل على إقامة نظام وبناء اجتماعى اقتصادى سياسى جديد متوازن ومتطور ، يحمل بذرة اطراده وتقدمه ، ويدخل مجالات العلاقات الدولية بِنِدّية وكفاءة كاملة ، بل بتميز ذاتى إسلاميّ المورد والمصدر وبعبارة مجملة : إعداد المسلمين للنهضة الحضارية الإسلامية الشاملة على طراز جديد ليس غربى المصدر والأساس .

ولما كانت طاقات البشر هى فى التحليل النهائى للاقتصاديين أهم الموارد فى أى مجتمع ، لذلك يجب أن تكون تنمية الطاقات البشرية هى محور التنمية الأساسى ، وعلى خلاف كافة آراء الاقتصاديين المحدثين ومخططى التنمية ، يرى الإسلام أن الغنى أو الثراء المادى والرفاهية ، ليست هى غايات الإنسان ، بقدر ما هى الوصول بهذا الإنسان إلى مرحلة من التوازن الدقيق بين حاجاته المادية وحاجاته المعنوية ، والتكافل والاعتدال الكامل والشامل بين الناس ، وفى إطار التسليم المطلق لله ـ سبحانه وتعالى ـ ، والمشاركة الفعلية والايجابية المؤمنة فى تحقيق مصلحة المجتمع ، أى أن المسلم الحقيقى لا يحب الإسراف ، ولا يميل إلى المبالغة ، ولا يعنيه أن يعيش فى فقر باذخ وروحه فى ذات

الوقت خاوية ، ولا يسعده أن يجمع أكداسا من المال ، وجاره لا يجد ما يطعم به أولاده ، أو ما يكسوهم به ويحفظ عليهم كرامتهم .

الاضطــلاع :

من هذا المنطلق يحرص الإسلام على بناء البشر القادرين على الاضطلاع بمسئوليات المجتمع والمشاركة الشعبية الفاعلة فى كافة الوان النشاط المجتمعى ، عن اقتناع بأنهم يشاركون أيضا فى ثمار هذا النشاط وهو ما يسمى « الاعتماد الجماعى على النفس » فى إطار التعاون بين البلاد الإسلامية مجتمعة .

وجهـــة نظـــر :

يبقى بعد ذلك التحدى المستقبلى الأول للوطن الإسلامى فى الوصول إلى شكل كفء من التنظيم الاجتماعى ويجمع الناس حول قيادات حقيقية وعلى عقيدة يتبنونها ، ومن ثم على غايات معروفة ومحددة ، يعمل الجميع من أجلها ، ولا يمكن الوصول إلى هذا الشكل الاجتماعى إلا باعتناق المبادىء الإسلامية فى الحكـــم والاجتماع ، ولا يكفى بالطبع الاعتناق النظرى بل **الاعتناق العملى القائم على أساس بناء صرح المؤسسات التى تقوم أصلا على أسس الإسلام ومبادئه .** والتى تعمل بهذه الأسس والمبادىء . **وهذه المؤسسات ليست شيئا جديدا مبتكرا فى عالم اليوم وإنما قد سبقنا إليها الأقدمون ، الذين فهموا الإسلام وأدركوا مغزاه ومبناه .**

وأول هذه المؤسسات . مؤسسة إسلامية عالمية ، يقوم عليها كبار العلماء من كل بلاد الإسلام ، لا يختص بها مجتمع (دولة) دون آخر ، وليس لمجتمع فيها حق الاعتـــراض (الفيتـو) لأنها مؤسسة تعتمد منطق الحق والعدل ودستور الإسلام ، وهذه المؤسسة يجب أن يعترف لها الجميع بحق الشرعية الكاملة فى كل ما يصدر منها لتحديد علاقات المجمعـــات الإسلامية بعضها البعض ، والفصل فيما يقع بينها من خلافات ، وتحديد علاقة المسلمين بغيرهم ، عملا بقوله تعالى :

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

سورة الحجرات

أما المؤسسة الثانية فهى مؤسسة خاصة بكل مجتمع على حدة ، يقوم عليها « أهل الحل والعقد » (المجالس المتخصصة) الذين يتكفلون بالتخطيط للحكم على أسس من العلم والمعرفة والتجربة والخبرة .

والمؤسسة الثالثة يقوم عليها « الحسبـــة » ومهمتها المتابعة والمحاسبة والتقويم .

من وجهة نظرى : إذا تمكن المسلمون من إنشاء مثل هذه المؤسسات بحيث تحظى بكامل الشرعية والولاء ، فسوف يتحقق من ورائها خير كثير أهمه جمع الأمة الإسلامية على خطة واحدة منسقة ، وفكر وسلوك لا يختلف عليه الناس . ومن ثم يتحقق الولاء الكامل للحكام الذين يتولون ببيعة شرعية على نظام إسلامى دقيق .

ولعله من الواضح أن من حقائق هذا العصر ، انحسار الاستعمـار التقليـدى ، واستبدالـه بالاستعمار الحضرى وأساليبه فى السيطرة الثقافية والاقتصادية ، ومن حقائقه أيضا تغير شكـل « السلع الاستراتيجية » وازدياد الاعتماد المتبادل بين البـلاد والشعُوب ، وظهـور بعـد جديـد للدبلوماسية بين الشمال (الغرب) والجنـوب (دول العالم الثالث) تبلور تحت عنوان « نظام اقتصادى عالمى جديد » يهدف الغرب منه إلى الإمساك بزمام التجارة الدولية ، والسيطرة على التكنولوجيا والمواد الخام ، واستغلال البحار ، وتَسَيُّس المعونة الدولية ، وعمل آليات للتبعية الاقتصادية ، وعمل أشكال مقنعة من العلاقات تكـرس علاقـات هذه التبعيـة ، وتبقـى على الاستقلال السياسى صوريا مفرغا من مضمون حقيقى . ويمثل هذه الحقائق هيكل الـواردات والصادرات فى العالم الإسلامى (حوالى ثلثى جملة التجارة فى العالم الإسلامى مع الغرب) .

ومما يدعو إلى الأسف أن زيادة العوائد المالية الناجمة عن بيع (النفط) فى السنوات الأخيرة قد أدت فى أغلب الأحيان إلى زيادة تبعية الأقطار العربية والإسلامية للدول الغربية بسبب توظيف الجزء الأكبر من الفائض النفطى فى هذه الدول عن طريق إعادة تدويرها فى اقتصاديات تلك الدول ، وأحيانا فى صورة استثمارات قليلة الجدوى .

وليست التبعية « اقتصادية » فحسب ، ولكنها تمتد فى مجالاتها الأخطر إلى التقنية والحضارة ، وتظهر التبعية التقنية فى استيراد السلع الاستهلاكية والخدمات الاستشارية والنمط الاستهلاكى الغربى الذى يجتاح البلدان الإسلامية على تباين توجهاتها الاجتماعية والسياسية .

ومجمل الرأى أنه يجب التخلى عن اعتبـار مراكز القوى الاقتصادية هى وحدها صاحبـة الـرأى فى تخطيـط حياتنـا ، فالإنسان المسلـم لا يسعده أبدا أن يعيش قابعا ذليلا مفرغ الصدر من الإيمان الصادق ولو كان عنده ملء الأرض ذهبا . ولقد أثبتت التجارب أن معالجة المشكلات الاقتصادية على النمط المتبع حاليا أمر لا جدوى منه ، بل لابد من أن تكون هذه المعالجة وثيقة الصلة بتقاليدنا وثقافتنا ، ومن المستحيل إيجاد تنمية حقيقية دون اعتماد للأصالة الوطنية وقيم الحضارة الإسلامية .

كذلك يجب أن يعـرف مخططـو السيـاسة الثقافية ، أن الثقافة ليست ترفا ولا أداة للتسلية بقدر ما هى أداة وثيقة الصلة بالنظام الاجتماعى ، يجب أن تعمل من أجله ، وفى الإطار الصحيح الذى يهذب الذوق العام ويسمو به ولا يسايره أو يوجهه وجهة غربية تحت حجة التمدن ومسايرة الحضارة الغربية ، بما فيها أحيانا من إشياء خسيسة زائفة .

وفى النهاية يجب تحقيق توازن دقيق بين العلوم والثقافة وخلق توازن أدق بين الجهود المبذولة للتنمية فى كل المجالات ، والتى تعتمد نظرية الإسلام فى التكامل بين وجوه الحياة .

وبالله التوفيق ..

علاقة مصر بالجزيرة العربية

أ.د. محمد محمد زيتون(*)

علاقة مصر بالجزيرة العربية قديمة وأزلية ، والجغرافيون والجيولوجيون لهم آراؤهم فى ذلك باتصال أرض مصر الشرقية بأرض الجزيرة العربية الغربية فى القدم قبل حدوث الانشقاق الذى أدى إلى وجود البحر الأحمر فاصلًا بينهما ، وسيكون بحثنا عن العلاقة بين مصر والجزيرة العربية خلال ذلك التاريخ القديم المستمر « عن عهد النبوة والشيخين أبى بكر وعمر » .

(أ) فى عهد النبوة :

وقد بدأت العلاقة بمصر عندما وجدنا المسلمين فى المدينة بقيادة النبى ﷺ عقب عقد صلح الحديبية بينهم وبين قريش فى مكة فى نهاية السنة السادسة للهجرة الموافق سنة ٦٢٧ م - يبدءون التحرك الإسلامى السلمى لتحقيق عموم الرسالة الإسلامية إلى الناس جميعاً « ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ »(١) « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ »(٢) « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا »(٣) فيبدأ أول اتصال بين الجزيرة العربية ومصر فى عهد النبوة .

فقد كتب الرسول ﷺ إلى المقوقس حاكم مصر والاسكندرية كتاباً يقول فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط » .

سلام على من اتبع الهدى أما بعد :

فإنى أدعوك بدعاية الإسلام « أسلم تسلم » وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط ، يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ

(*) الكاتب : رئيس قسم التاريخ - جامعة الأزهر .

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

(٣) سورة سبأ آية ٢٨ .

﴿ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(٤)

وبعث الرسول ﷺ بالكتاب مع حاطب بن أبي بلتعة فلما قرأ المقوقس الكتاب قال : ما منعه إن كان نبياً أن يدعو على فيسلط على ؟ فقال له حاطب : ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبى عليه أن يفعل به ويفعل ؟ فوجم ساعة ثم استعادها . فقال له حاطب : إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك .

فقال المقوقس : إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه . فقال له حاطب : ندعوك إلى دين الإسلام الكافى به الله كل ما سواه . أن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريشا ، وأعداهم له اليهود ، وأقربهم منه النصارى . ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد . وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل . وكل نبى أدرك قوماً فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه وأنت من أدركه هذا النبى ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به .

فقال المقوقس : إنى نظرت فى أمر هذا النبى فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر .

وأخذ كتاب النبى ﷺ فجعله فى حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب : لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد :

فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا قد بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك .

والجاريتان مارية وسيرين وقد تسرى الرسول ﷺ بمارية ، وولدت له ابنه إبراهيم الذى توفى وسنه ستة عشر شهراً ، ووهب سيرين لحسان بن ثابت . وقيل : إن المقوقس أرسل أيضاً دابتين : بغلة وحماراً وكانتا أحب دوابه إليه وسمى البغلة (دلدل) والحمار (يعفور) ويزيد المقريزى فى الهدايا : قباء وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً من قباطى مصر وخصياً يسمى (مابور) ويقال أنه ابن عم مارية وفرساً يقال له (الكرار) وقدحاً من زجاج ، وعسلًا من عسل بنها وقد أعجب النبى ﷺ بالعسل فدعى لعسل بنها بالبركة ، وبقيت تلك الثياب حتى كفن فى بعضها - صلى الله عليه وسلم (٥) .

وكان لتسرى رسول الله ﷺ من مارية أثر حميد بالنسبة لقريتها « أنصنا »(٦) وذلك بعد أن استولى المسلمون على مصر حيث وضعت الجزية عن قريتها إكراماً لها . حيث كلم الحسن بن على

(٤) سوره آل عمران آية ٦٤ .

(٥) ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص٦٦ - ٧٥ . ابن القيم زاد المعاد جـ٣ ص٦١ ، المقريزى الخطط جـ١ ص٥١ - ٥٣ .

(٦) أنصنا : مدينة قديمة شرق النيل بمركز ملوى .

معاوية بن أبى سفيان ، فى أن يضع الجزية عن جميع قرية «أم إبراهيم» لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على أحد منهم خراج ، وكان جميع أهل القرية من أهلها وأقربائها ويذكر ابن عبد الحكم أن رسول الله ﷺ قال : « لو بقى إبراهيم ما تركت قبطياً إلا وضعت عنه الجزية » وقد توفيت مارية فى المحرم سنة خمس عشرة من الهجرة ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر بن الخطاب ــ رضى الله عنه(٧) .

وهكذا نجد أن دعوة الرسول ﷺ لحاكم مصر كانت دعوة سلمية كما أنه يحمِّل الحاكم جرم عدم إيمان القبط ، كما أن حامل الكتاب ذكَّر المقوقس بما حدث لمن أعرض وأبى عن دعوة الأنبياء عندما أهلك الله فرعون الذى دعاه موسى عليه السلام .

وقد أوصى رسول الله ﷺ المسلمين بقبط مصر خيراً ، وبين مكانة أهل مصر ومنزلتهم وجهودهم فى الحروب والدور العسكرى الذى يمكن أن يقوموا به ، فهم خير الأجناد ، ونعم الأعوان على قتال العدو . فهم عدة وأعوان فى سبيل الله ، بالإضافة إلى أن لهم نسباً وصهراً ، وذلك يبين مكانة مصر بالنسبة للجزيرة العربية ، أما المصاهرة فيوضحها أن رسول الله ﷺ تِسرر فيهم أى بمارية ، وأما النسب فهو أن هاجر أم إسماعيل عليه السلام من (أم العرب) وهى قرية كانت أمام الفرما من مصر .

والأحاديث كثيرة توضح هذه المعانى بالنسبة لتمجيد مصر وأهلها ، وأهميتها وما لها من مكانة ومنزلة بالنسبة للإسلام والمسلمين مما يؤكد الارتباط الوثيق بين مصر والجزيرة العربية فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام .

وأن ما يحدث الآن على الساحة فى مصر ــ من فهم خاطىء ناشىء عن جهل ودون قصد أو عن تعمد لإثارة البلبلة بين سكان مصر سواء بالنسبة لبعض المسلمين أو بعض النصارى ــ يدعونا إلى أن نذكر كل الأحاديث والآثار التى قالها رسول الله ﷺ حتى تظهر الحقيقة جلية واضحة ، ويكف المغالون والمقامرون عن مغالاتهم ومقامراتهم وأن يعيش سكان مصر جميعاً مع اختلاف عقائدهم فى محبة ومودة . يسودهم الأمن والسلام والتعاون .

الحديث الأول : حدثنا مالك بن أنس عن ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً »(٨) .

الحديث الثانى : عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى قال : سمعت أبا ذر يقول ، قال رسول الله ﷺ : « أنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القبط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً »(٩) .

الحديث الثالث : عن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « أن الله عز وجل سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم صهراً وذمة »(١٠) .

---

(٧) ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص ٧٥ .

(٨) المرجع السابق .

(٩) المرجع السابق ص ٣ .

(١٠) المرجع السابق ص ٣ .

الحديث الرابع : عن ابن هبيرة أن أبا سالم الجيشانى سفيـــان بن هانى ، أخبره أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ أخبر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إنكم ستكونون أجناداً وأن خير أجنادكم أهل الغرب منكم فاتقوا الله فى القبط لا تأكلوهم أكل الحضر »(١١) .

الحديث الخامس : عن عبد الرحمن بن زياد عن مسلـــم بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « استوصوا بالقبط خيراً فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم »(١٢) .

الحديث السادس : عن يزيد بن أبى حبيب أن أبا مسلمة بن عبد الرحمن حدثه أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته أن تخرج اليهود من جزيرة العرب وقال : « الله .. الله فى قبط مصر فإنكـــم ستظهرون ويكونون لكم عدة وأعواناً فى سبيل الله »(١٣) .

الحديث السابع : عن موسى بن أيوب الغافقى عن رجل من الزبد ، أن رسول الله ﷺ مرض فأغمى عليه ثم أفاق فقال : « استوصوا بالأدم(١٤) الجعد » ثم أغمى عليه الثانية ، فقال القوم لو سألنا رسول الله ـ ﷺ ـ : من الأدم الجعد ؟ فأفاق فسألوه فقال : « قبط مصر فإنهم أخوال وأصهار وهـم أعوانكـم على عدوكم وأعوانكـــم على دينكم »(١٥) .

الحديث الثامن : عن عمرو بن العاص قال : حدثنى عمر أمير المؤمنين رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا فتح الله عليكم بعدى مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض » .

قال أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال : « إنهم فى رباط إلى يوم القيامة »(١٦) .

وقد قال عمرو بن العاص يوماً فى خطبته : « اعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ولإشراف قلوبهم إليكـم وإلى داركم : معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية » .

ويذكر المقريزى : أن من فضائل مصر أنها تمير أهل الحرمين وتوسع عليهم فساحلها بمدينة القلزم (السويس) يحمل منه إلى الحرمين ، ومن جهة الصعيد يحمل إلى الحجاز ، ومن فضائلها أنه ولد بها من الأنبياء موسى وهـارون ويـوشع عليهم السلام كما دخلها من الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن ويعقوب ويوسف والأسباط .(١٧) .

كل هذه الأحاديث والآثار تدل على العلاقة الطيبة الحميمة والمكانة السامية التى كان يكنها رسول الله ﷺ لأهل مصر ، وحثه أصحابه على العناية بشئون مصر والاهتمام بها عندما يحقق الله

---

(١١) الحضر : هو الذى يتحين موعد طعام الناس حتى يحضره . المرجع السابق ص ٤ .

(١٢) المرجع السابق ص ٤ .

(١٣) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٤ .

(١٤) الأدمة هى السمرة والآدم من الناس الأسمر . والجعد جمع جعد وهو الرجل ذو الشعر المفلفل .

(١٥) ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص ٤ .

(١٦) راجع فى ذلك : ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص ٢ ـ ٥ الإدارة العامة للثقافة بوزارة التربية والتعليم ، المقريزى الخطط جـ ١ ص ٤٢ ، ٤٦ ومرجع الحديث الثامن : المقريزى خطط جـ ١ ص ٤٢ .

(١٧) المقريزى الخطط جـ ١ ص ٤٦ .

أهم ما بشر رسول الله ﷺ به وأشار إليه بالنسبة لمصر وأهل مصر حتى حين وفاته ؛ فيتخذوا منهم الأجناد الشداد ، ويكون منهم الأعوان الأقوياء المخلصون ويرعون حرمة النسب ، وحق المصاهرة ، وأن تكون معاملتهم لأهل مصر معاملة حسنة طيبة تسودها المودة والمحبة والرأفة والرحمة ، وان ينتفعوا بجندها الذين هم خير جند المغرب ، فهم خير الأعوان على قتال عدوهم ، وهم خير الأعوان على الدين والمحافظة عليه ونشره[١٨] وصدق رسول الله ﷺ فيما ذكره وأشار إليه فمصر وأهلها وجندها وعلماؤها هم المنارة الفارعة ، والحصن المكين الذى حافظ على الدين الإسلامى ودعوته السمحة نقية من الشوائب ، ولا زالت مصر تعمل على نشر دعوة الإسلام وتبليغها إلى كافة الأرجاء فى أنحاء المعمورة ، والمقريزى يذكر خبراً عن كعب الأخبار تعجبت له وهو يبين مدى ارتباط الأمن والسلام والعمران بين مصر والجزيرة منذ القدم فقد قال : « الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية ، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة »[١٩] وهو أمر يبين أهمية المحافظة على تقدم وأمن واستقرار كل منهما للآخر .

***

(ب) فى عهد الراشدين :

١ ـ فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

يذكر لنا ابن عبد الحكم خبراً عن عهد أبى بكر الصديق يبين صلة مصر بالجزيرة العربية حيث قال : « إن أبابكر بعث حاطبا إلى المقوقس بمصر فمر على ناحية قرى الشرقية فهادنهم وأعطوه فلم يزالوا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص فقاتلوه . فانتقض ذلك العهد وهى أول هدنة كانت بمصر »[٢٠] .

ولكن كيف تهادن قرى الشرقية حاطبا وهى تابعة لحاكم مصر آنذاك ؟ وهو المقوقس ، ثم يذكر أنهم أعطوه أى ما اتفقوا عليه ، وأنهم استمروا على ذلك حتى دخلها عمرو بن العاص فقاتلوه فانتقض ذلك العهد ، وإذا تحقق حدوث ذلك فإنه يدل على ضعف سلطة المقوقس على تلك المناطق .

وأرى أنه لو كان هناك مهادنة وعطاء لما كان هناك مايدعو إلى القتال ونقض الهدنة عند قدوم عمرو لفتح مصر ، خاصة وأن عَمرا أتى ومعه جيش عندما أتى فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه . كما أنه قد وقع قتال وحصار عند الفرما عندما بدأ فتح مصر .

فكيف يكون هناك مهادنة وعطاء بالنسبة لقرى الشرقية فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ؟!!

وأرى أن هذا الخبر عار من الصحة ولم تحدث علاقة بين مصر والجزيرة فى عهد أبى بكر لانشغال المسلمين بالردة ثم وفاة أبى بكر ، والمسلمون فى معركة اليرموك .

٢ ـ فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

ولكن عندما تقدم المسلمون فى الشام فى عهد عمر بن الخطاب وتم للمسلمين فتح بيت المقدس أصبح التقدم والسير ميسوراً إلى مصر . ولذلك عندما قدم « عمر بن الخطاب » الجابية عرض عليه « عمرو بن العاص » خطة فتح مضر وقال : إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهى أكثر الأرض أموالًا ، وأعجزها عن القتال

(١٨) المرجع السابق جـ١ ص٤٨ ـ ٥٠ .

(١٩) المقريزى خطط جـ١ ص٥٥ .

(٢٠) ابن عبد الحكم فتوح ص٧٥ ، ٧٦ .

والحرب ، فتخوف « عمر بن الخطاب » على المسلمين ، وكره ذلك فلم يزل « عمرو » يعظم أمرها ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى وافق عمر ، وعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عكة[٢١] . وفى رواية أن « عمر بن الخطاب » كتب إلى « عمرو بن العاص » بعدما فتح الشام : أن اندب الناس إلى السير معك إلى مصر فمن خف معك فسر به[٢٢] .

وكان الوضع الذى ساد الحياة فى مصر آنذاك من العوامل التى ساعدت المسلمين على فتح مصر سواء من الناحية السياسية التى كان يسودها التغيير والقهر والعداء بين الحاكمين والمحكومين ، أو من الناحية الاقتصادية التى أرهقت السكان بالضرائب الفادحة ولم تبق لهم من نتاج عملهم وجدهم شيئا يواجهون به مطالب الحياة مع عدم الاهتمام بالمشاريع التى تعمل على تقدم الزراعة والصناعة والتجارة ، ثم الوضع الدينى المتدهور الذى أشاع الذعر والخوف عند المصريين وجعل الكثير منهم يتركون ديارهم ويفرون إلى أماكن بعيدة فراراً من الاضطهاد وتخلصاً من العذاب إذا لن يعتنقوا المذهب الذى يدين به الحاكم .

فإذا أضفنا إلى ذلك الدوافع والأهداف التى حملت المسلمين على فتح مصر ظهرت لنا الصورة جلية لا غيوم فيها حيث قدم المسلمون إلى مصر بدافع من العقيدة التى استقرت فى قلوبهم وجعلتهم يخرجون من جزيرتهم ليبشروا بدينهم الذى سوى بين الناس جميعاً ، ونظم لهم العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفرض عليهم عبادات ومثلا أخلاقية ، وطالبهم بتبليغها إلى الناس جميعاً .

ويعزز ذلك أيضاً الصلات التجارية التى تربط بين مصر وجزيرة العرب منذ القدم ، عن طريق البحر الأحمر أو صحراء سيناء مما جعل « استرابون » المؤرخ يذكر عن مدينة (قفط) أنها مدينة نصف عربية ، ويذكر المؤرخون المسلمون أن « المغيرة بن شعبة وعثمان بن عفان » زارا مصر للتجارة فى الجاهلية ، كما يذكرون زيارة عمرو بن العاص للاسكندرية[٢٣] .

ثم أن موقع مصر المطل على الحجاز من جهة والمتصل بالشام من جهة أخرى وبشمال أفريقية من جهة ثالثة ، كان دافعاً للمسلمين على فتحها خيفة أن يتخذها الروم سبيلًا لمهاجمة الحجاز نفسه والقضاء على المسلمين فيه ، خاصة وأن جنود الروم الذين هزموا فى المعارك الشامية ، فر الكثير منهم إلى مصر ، ومنهم الأرطبون قائد حامية بيت المقدس الذى لا شك أنه كان يسعى للانقضاض على المسلمين خاصة وقد بدأ الروم يشنون الغارات على شواطىء الشام .

كما أن خيرات مصر التى كانت تعين القسطنطينية حملت المسلمين على فتح مصر لأن استيلاء المسلمين على مصر وحرمان القسطنطينية من خيرات مصر ؛ يعتبر قطعاً للإمداد والتموين عن القسطنطينية ونصراً حربياً للمسلمين من الناحية الاقتصادية . وتمكين الجيش الإسلامى من الحصول على هذه الإمدادات مما يساعده على تحقيق أهدافه ، ويدفعه لبذل أقصى طاقاته فى تحقيق ما يرمى إليه من نشر الرسالة التى خرج من الجزيرة العربية لتبليغها .

---

(٢١) ابن الحكم فتوح ص ٨١ .

(٢٢) ابن عبد الحكم فتوح ص ٨٣ ، البلاذوى فتوح البلدان ص ٢٤٩ ، الطبرى تاريخ الرسل والملوك جـ ٤ ص ١٠٤ .

(٢٣) ابن عبد الحكم فتوح ص ٧٦ ، ٧٧ .

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيد/محمود راشد :

قامت السيدة : سلطانة حمودى أحمد بوقف جميع أملاكها على جهات الخير ، كمسجد وغيره من جهات الخير ، ولها زوج فقط وقد أوقفتها حال حياتها على نفسها ثم من بعدها على جهات الخير . فهل توافق الشريعة الإسلامية على هذا التصرف من هذه السيدة المذكورة ؟ وإذا كانت الشريعة الغراء لا توافق على هذا الجواب فكيف يكون التصرف وما الحكم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه يجوز لهذه السيدة : سلطانة أن توقف جميع أملاكها على نفسها مدة حياتها ثم من بعدها على جهات الخير كالمسجد وغيره ، ولا ينفذ إلا فى الثلث فقط . والثلثان يكونان ميراثاً ، وحيث إنه لا يوجد لها إلا زوج فقط فيكون الثلثان للزوج فرضاً والباقى رداً عملا بمذهب سيدنا عثمان بن عفان فى الرد على أحد الزوجين والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/م. م. م ـ طالب :

ـ علمت عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وهناك أحاديث أخرى تدل على تكفير تارك الصلاة عمداً ، ولكن أبى لا يقيم الصلاة فهل إنفاقه علىّ من أموال حلال أم حرام ؟

وهل علىّ رد ما أنفقه علىّ من قبل ؟

وكيف أبرىء نفسى أمام الله عز وجل ؟ مع العلم أننى قمت بنصحه وإرشاده .

أفيدونا أفادكم الله .

الجـواب :

الحديث يدل على كفر تارك الصلاة عمداً منكراً لها ، معـرضاً عنها ، وهـو حديث صحيح ، أما إذا تركها تكاسلا فيضرب ويحبس حتى يصلى ، ويكون عاصياً وليس كافراً .

وما ينفقه عليك والدك من المال ليس حراماً إذ كان مصدره من كسب حلال . وإذا عملت أو توظفت ، يجب عليك ردّ الجميل لوالدك بما هو أفضل مما أنفق عليك .

ويجب عليك النصيحة للوالد بأن يؤدى الصلاة وتبين له عاقبة تارك الصلاة . وتتابع النصيحة حتى يصلى وتخوفه من عذاب الله يوم القيامة .

وتداوم النصيحة .. والله أعلم .

السؤال من السيد/محمود عبدالعزيز عبدالمعبود المنيا ـ مدرسة دلجا الثانوية :

ـ هل علماء الأزهر غافلون عما يعرض على شاشة التليفزيون من أفلام ماجنة خليعة أم أنهم على علم بذلك ؟

وإذا كانوا على علم بذلك فلم السكوت ؟

ـ ما حكم الدين فى الصلاة خلف الإمام المبتدع ؟

أفيدونا أفادكم الله ..

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

لا تليق المهاترات ولا الكذب ولا استعراض أفلام خليعة ، والأولى أن يتركها المسلم ولا ينظر إليها ـ وعلماء الأزهر ليسوا غافلين وإنما هم يقولون للناس فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

ـ تجوز الصلاة خلف الإمام المبتدع (ما لم يرتكب محرماً) لقول الرسول ﷺ : « صلوا خلف كل بار وفاجر » ؛ محافظة على وحدة المسلمين وحتى لا يختلفوا فإن كان هناك من هو أولى منه فليتقدم للإمامة ..

السؤال من الدكتور س. س. م ـ المنصورة دقهلية :

١ ـ ما رأى الدين فى جدى الذى قسم ميراثه تبعا لهواه بعيدا جدا عن شريعة الله قائلا « من حكم فى ماله ما ظلم » ولم يصل أولاده ولا إخوته ولا حتى أخته الوحيدة ، علما بأنه حج بيت الله ثلاث مرات ، وسيقوم ـ إن شاء الله ـ بالحج للمرة الرابعة هذا العام مع أن أولاده فى حاجة إلى هذا المال ، ويكفى أن له بنتاً

تربى أيتاماً . فما رأى الدين فيه وما واجبى نحوه ؟

٢ ـ أنا فى كلية طب المنصورة وكثيراً ما أنام قبل صلاة المغرب وأطلب من العائلة أن أستيقظ من النوم بعد صلاة العشاء فلا أصلى المغرب جماعة ولا حتى فى وقته ولا أصلى العشاء جماعة علما بعلمى بهذا قبل النوم . فهل يجوز ذلك ؟

الجــواب :

الميراث قسمه الله ولم يترك تقسيمه للناس ولا يحل للإنسان تهريب جميع ماله بعيداً عن الورثة .

٢ ـ لا يحل لك ما تفعله من تضييع صلاة المغرب التى تتعمد النوم قبلها وتطلب من أهلك ألا يوقظوك إلا بعد دخول وقت العشاء ، فاتق الله وحافظ على الصلوات فى مواعيدها ؛ لأن الله تعالى يقول : إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا .

السؤال من السيد أ. م. د ـ من شبشير الحصة مركز طنطا محافظة الغربية :

أولا : إقامة مجموعة تقوية للطالبات فى مكان فوق ظهر المسجد ـ مخصص للدراسة ـ وقد تكون بعض الفتيات حائضاً . فما الحكم ؟

ثانيا : ما حكم الإسلام فى كتابة لفظ الجلالة أو بعض الآيات القرآنية بالجبس أو الطوب البارز على حوائط المنازل وعلى الواجهة . وما حكمها إذا كانت على المساجد ؟

ثالثا : ما الواجب علينا كمسلمين تجاه ما يحدث من مذابح جماعية وإبادة للمسلمين فى البوسنة والهرسك . وهل يجب علينا الخروج للجهاد ؟ وإذا كان هذا غير ميسر فماذا نفعل ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجــواب :

جـ١ : لا مانع من إقامة مجموعة لتقوية الطالبات والتدريس لهن حتى يتمكن من مراجعة الدروس والعلم .

وكون المكان فوق المسجد لا مانع من ذلك فإن كانت إحدى الطالبات حائضا جاز لها أن تحضر الدرس مادام فوق المسجد لأن المحرم هو دخول المسجد نفسه وهو ما يقام فيه الصلاة .

جـ٢ : كتابة لفظ الجلالة على المبانى أو المساجد بخط بارز بالجبس أو الجير على المنازل لاشىء فى ذلك بشرط أن لا يكون فيه إهانة أو فى مكان تجلسه مثل من يكتب فى دورة المياه مثلا لأن اسم الله وذكر الله على قلب كل مسلم .

والمقصود الاحترام لكل ما يكتب من أسماء الله أو صفاته .

جـ٣ : مسلمو البوسنه والهرسك .. مستضعفون وفى حاجة إلى مساعدة بالمال والنفس ، ومساعدتهم واجبة على المسلمين جميعا وخاصة الدول الغنية .. وأما الخروج للجهاد بالنفس فإذا كان هناك من يكفى للجهاد فالمساعدة بالمال أو بالسلاح أولى وهم أولى بالدفاع عن أنفسهم .

والله غالب على أمره .

لله الأمر

شعر : أسامة كامل الخريبى

سلمت لله أحزانى وأشجانى ... وكلّ ما جال فى فكرى ووجدانى
فالأمر لله فى سر وفى علن ... والأمر لله فى ملك وأكوان
يارب هذى جيوش الكفر قد زحفت ... تريد - بعدَك - إيمانى وقرآنى
قد جمعت شملها فى محنة قذفت ... أهل الصلاح إلى أفواه بركان
وكم يوافق فى خبث دعاياتها ... قصف المدافع فى أركان أوطانى
أو هم شخوص وآلات يحركها ... خلف الستار يهودىٌّ بخيطان
دارت بها صحف فى إثرها كتب ... ترغى وتزبد فى زورٍ وبهتان
تعيد ما قاله الشيطان فى « أحد » ... وقد تلبس فى آيات « سلمان »
وقصة الإفك أزكى نارها سَفَهٌ ... يهذى ويسخر من وحى وبرهان
ويزعم الدين قيدًا ظل يحكمنا ... لابد من نسفه فى كل ميدان
وأنّ شرعتك السمحاء قد بليت ... فلا تليق بِعَصْرِى أو بأزمانى

* * * * *

يا قومنا استمعوا - لله دركمُ ... هل قمة الفكر إنكارٌ لقرآن ؟
هل التحرر من دين يوحدنا ... فى صالح الناس أو فى خير بلدان ؟
هل نَبْذُنَا الدِّين فى بدءٍ أتى عجبا ... حين اقتدينا بمرتد وعلمانى ؟
هل حرّم الدين حق المرءِ فى عمل ... أو فى ابتكار وإبداع وإتقان ؟
هل حرم الدين ضرب الفكر فى فلك ... أو فى جبال وأشجار وشطآن ؟
من حرر العقل من جهل ومن غبن ... فى الجاهلية إلا آى قرآن ؟
من أسجد الناس للرحمن كلهمُ ... من بعد ما سجدوا دهرا لأوثان ؟
من فتّح العين للآفاق تقصدها ... إلى اليقين بتفكير وإمعان ؟

* * * * *

لا تظلموا الدين فالقرآن حجتنا ... يوم القيامة فى حشر وميزان
ستعلن الآى أن القوم قد هلكوا ... حين استخفوا بأحكامى وتبيانى
يا قومنا استبقوا للحق واتخذوا ... منه الشفاء لأسقام وأدران
يارب هذى شجونى أنت تعلمها ... وأنت تعلم ضعف العابد الفانى
فانصر كتابك فالأحزاب قد كثروا ... وليس عندى سوى نطقى وبرهانى
وانصر عبادك فالأيام حالكةٌ ... وقد ظمئنا لفكر باسم حانى

ليالينا

شعر
ابراهيم عيسى

ألا يا ساقىَ الليلِ .. أضعْتَ النورَ والْبَسْمَهْ
وقلبى طائر مُسْتوحِش للعُشٍّ .. والرحْمَه
تُدَوِّخُهُ رياح كافراتُ العَصْفِ والظلمَه

* * *

حناناً ساقىَ الليل .. ففى الأكواب أثْقالُ
وفوق دروبِكَ الأفعى .. بَدَتَ للتِّيه أطلال
فعانِقْ حانةَ الظلماءِ فالرُّوَّاد ضُلَّالُ

* * *

ليالى التِّيهِ فى حانِ الدجى خرساءُ تَنْتحِبُ
وفى حانى عناقيدٌ تضىءُ ظلامَ من شرِبوا
وفى كاساتِها ألَقٌ لشَطٍّ النورِ يقتربُ

* * *

ووَحْدَةُ ليلتى حولى .. كقلب العاشِقِ المهجورْ
ويعصِفُ ثلجُها .. حتى تَشَاكَى نجمُها المقرورْ
ولكنى بمحرابى . تُقيِّدُنى خيوط النورْ

* * *

قيودُ النورِ لى عشقٌ .. وأشواقٌ .. وأُمْنِيَّه
وقيْدُ العبْدِ بالأشواقِ مَنْجاةٌ وحريَّه
وأعْبُد رَبَّها حبًّا .. فتسمو بى العبوديَّه

* * *

شِراعُ النورِ فى ليلى له فى القلبِ مَرْساةُ
وللتجريدِ والتفريدِ والتوحيدِ آياتُ
وللقرآنِ فى صدرى مصابيحٌ مضيئاتُ

* * *

ولولا اللهُ ما ضاءت على شوقٍ ليالينا
ولولا الله ما فاضت بإيمان سواقينا
وباسْمِ الله تَسقينا .. فكَبَّرنا مُصَلِّينا

الخير يبتلى

شعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

مثمـر الأشجـار يُرمَـى .. كل آن بالرجـــام[1]
وطَأت مــن مرتقاهـا ... لرشيـد أو غـــلام
والعقيـم المُـرُّ يبقـى .. فى أمـانٍ وســلام
صـانع المعـروف يَلْقَى .. كيـد أحقـاد اللئـام
هل نجا المرمـوق بين النـاس من رمـى السهـام

●●●

لكن الأقـدار تحمـى .. من أعـاصير الغـوائـل
وتـرد الـفضل أضعافـا إلى أهـل الفضـائـل
لا تمس الفـأس غصنـا ... فيـه للأحيـاء نائـل
حينمـا تجتث دوحـا .. ليس منـه أى طائـل[2]
لا يضيـع العرف مهما .. لجَّ فى النكـران مائـل

●●●

يا أولى النعماء كونـوا .. حيث كنتم أهل جـود
لا تكفـوا عن فعـال الخير حتـى لكنـود[3]
فزفـير الزهر عطر .. هكـذا طبـع الـورود
لا تُراعـوا إنمـا الإحسـان حرز من حقـود
مـدية الجـزار لا تمشـى على نحر الولـود

المفردات اللغوية :

١ ـ الرجام : الحصى .
٢ ـ دوحا : شجرا عظيما .
٣ ـ الكنود : كافر بالنعمة منكر لها .

زيفوا وجه الحضارة

شعر
رشاد محمد يوسف

صرخت بأيدينا الحجارة . أترى ستنطفىء الشرارة ؟
أترى سينطفىء النضال ويحمل الإنسان عاره ؟
أترى « أبا عمار » تغريك الوعود أو الإمارة ؟
أحذر أساليب الدهاة فما بها غير الخسارة
لا تركنن إلى اليهود ولست تحتاج الإشارة
تاريخهم متوشح بالقتل والدم والإثارة
قتلوا خيار الأنبياء ودينهم هتكوا إزاره
وتربصوا بالمصلحين وزيفوا وجه الحضارة
وتحول المحراب ـ محراب الصلاة إلى التجارة
والسامرى إمامهم .. والعجل قد عشقوا خواره

• • •

المسجد الأقصى أباحوا قدسه هدموا جداره
جمدت على محرابه الصلوات صامتة العبارة
كم هدنة أو موثق للأمن قد شقوا ستاره
وقرىً بأجمعها أبادتها عصابات الإغارة
فى « دير ياسين » الدم العربى قد خطَّ المسارة
فى « كفر قاسم » فى « شاتيلا » واصل الغدر انحداره
بالقتل والمستوطنين وغارة فى إثر غارة
والساجدون القانتون العاكفون على الطهارة

حصد الرصاص .. جموعهم فى البيت .. ما حفظوا جواره
وجرت دمـــاء الصائـــمين .. على المصلى فى غزاره

● ● ●

وطن تملكــــه الـــلصوص . أيسلب الإنسان داره ؟
قتلـــوا كبــــار رجالـــه وبقســـــوة فرضوا حصاره
واستبعـــــدوا أحـــراره وهــــم الطليعـــــة والشراره
ومخيمـــــات فى العـــراء وفى البرودة والحـــــراره
وبهـــا المواطن لاجــىء يقتـــات أكيــاس المراره
أو فى الشتـــات مكبل تدميه أشـــواق الزيـــاره
ذبحـــوا بعينيــه الأمـــانى علَّــه ينسى ديـــاره
والروض لم يعرف غنـــاء بعــد أن قتلـــوا هزاره[1]
خمســـون عاما والجهـــاد نخوض فى عزم غمـــاره
فى كـل يوم يكـتب الأبطـــال نصرا عن جـــداره
مافتَّ فى عزمـــاتهم أو فـــارق العـــزم اقتـــداره
واليـــوم نحذو حـذوهـــم ونعيـــد للأقصى وقـــاره
نحن الصبـــاح بأفقــه سنلقـــن الدنيـــــا قراره
ولنـا انتفاضتنـــا التى للنصر قد رفـعت شـعـــاره
نصلى العـــدو لهيبها والرعــــب أفقــــده الجســـاره

● ● ●

قسمـا « أبا عمـار » لن نلقـى على الأرض الحجـــاره
فدم الضحـايــا الأبريــاء أثـــار فى الوجـــدان ناره
وَأَثَارَنَارَالثَّـــأْرِ فى عمــق المشـاعــر والقــــراره
وعلى ثــرى حرم الخليــل تفجــرت فينا الشـــراره
وسنستمر وتستمـــر لنـــــا الســيـــادة والصـــداره
لنعيـــــد أولى القبلـــتين نعيــــدأضواء المنـــاره
ونعيـد للـــروض الغنـــاء نعيد للقفـــر النضـــاره
وسيطلع الفجـــر الجديـد وجيلنـــا يجنـــى ثمـــاره

(١) الهزار : الطائر المغرِّد .

من
روائع الماضى
بمجلة الأزهر

لو رضى الناس

لصاحب الفضيلة الشيخ / على محمد العمارى

لاشك أن الرضا علاج لكثير من الأمراض النفسية التى يصعب على الطب الحديث إيجاد الدواء الناجع لها . والرضا عنصر من عناصر الإيمان الخالص ، يعنى الخضوع والانقياد لما أمر الله به وقضى ، ويجعل الإنسان فى منزلة لا خيار له فيها ولا مفر ، إنه رضا القناعة أو قناعة الرضا فى الإنسان المؤمن .

أما الرضا بالظلم أو الحيف أو الجور فهو نوع من الخنوع والاستسلام نهى الإسلام أن يتصف به أبناؤه فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

ومن أجل ذلك يجب أن نفرق بين الرضا بقضائه ـ تعالى ـ والقناعة به ، والرضا بمعنى التسليم للحيف والجور فالأول مطلوب والثانى مرفوض .

قال الأستاذ ـ حفظه الله ـ :

إعداد وتقديم د . عبد الفتاح حسين الزيات

يكاد يكون من المستحيلات أن تجد إنسانا راضيا عن مكانه فى الحياة ؛ ذلك بأنك لا تلقى إنسانا ـ فى المنزل أو فى النادى أو فى الطريق ، أو حتى فى أماكن اللهو واللعب ـ إلا وجدته ساخطا ثائرا يلعن الدنيا ومن فيها ، وما فيها ، ولا يحدثك إلا باكيا حزينا ثم يقص عليك مِنْ فعل الزمن به ، ومن حوادث الأيام التى انتابته ، ما يستنزف من عيناه الدمع ، ويستنزل من قلبك الشفقة ، ثم لا ينسى ــ إن تمادى بينكما الحديث ــ أن يذكرك ما يتمتع به الآخرون من نعيم ، وما يعيشون فيه من رغدٍ وسعادة ، ويكاد يقسم لك بأنه ــ وحده ــ المصاب المبتلى ، ولكن ما درى أن الأمر كما قال الشاعر :

لِكُلٍّ شجونٌ فى الحياة كثيرة
ولكن يوارى عن سِوَاهُ شجونه

وكل امرىء يبكى لبلواه غابطا
فتى مثله باكى الفؤاد حزينه

ولم يدر إنسان بآلام غيره
فهم مثل ما يبدو الجوى يكتمونه

وكلّ ينـادى نفسه فى خلائـه
بأن جميع الناس تسعد دونـه .

والسر فى هذه الشكوى التى لا تنقطع ، وتلك الهموم التى تملأ نفوس الناس ، أن كل إنسان ينظر إلى ما ينقصه من متع الحياة ، ولا ينظر إلى ما عنده ، ولا يرضى بما عنده مهما جل ـ مغمضاً عما يفقده ، وتراه كلما وصل إلى غاية تطلع إلى ما فوقها ، وهان عليه ما أدركه وقد عبر عن هذا المعنى رجل جليل القدر ، عظيم الشأن ، هو سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى الزاهد فقال : « إن لى نفسا تواقة : تاقت إلى الإمارة فلما نلتها تاقت إلى الخلافة ، فلما نلتها تاقت إلى الجنة » .

والناس : يتطلع أحدهم إلى المال ، فإذا نال منه قسطاً طلب المزيد، فإذا كثر مالـه طلب الأكثر ، ولا يزال يطلب ويستزيد ، وهذا معنى قوله ــ ﷺ ــ : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا » ويتطلع إلى الذرية ويسأل الله أن يهب له من لدنه وليا يرثه ويرث آباءه ، فإذا رزق البنات طلب البنين ، فإذا رزق البنين اهتم بمكانهم وحظهم من الحياة .

وَقُلْ مثل ذلك فى الصحة والجاه والعلم ، فلا يزال فى هم من حظوظ الحيـاة ثم ينظر إلى الصفحة من جهتها الأخرى ، فإذا فيها حوادث الدهر ونكباته من نقص فى الأموال والأولاد ، وضعف فى الصحة ، وابتلاء فى النفس ، فلا يزال ــ كذلك ــ يشكو ويئن .

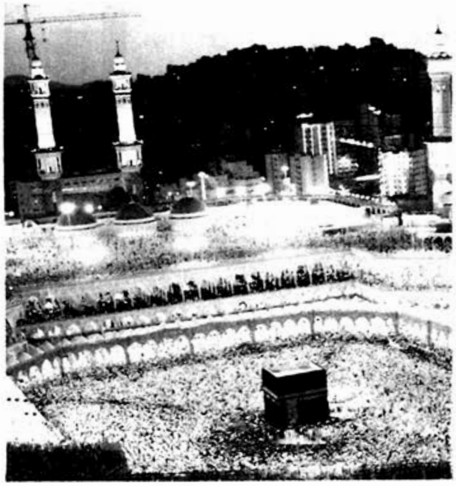

وقد أصبح من الأمور البديهية أن أعدى الأعداء هو الهم ، وأن اضطراب الأعصاب وكثيرا من الأمراض إنما يرجع إلى ما يعترى الإنسان من هم وغم وحزن ؛ ولـذلك اتجه العلماء وجهة جديدة ، فأخذوا يؤلفون الكتب ، وينشرون المقالات والأبحاث التى تبين للإنسان كيف يتمكن من التغلب على الهموم ، وتيسر له كيف يجعل حياته سعيدة طيبة ، فدعوا ــ أول ما دعوا ــ إلى الرجوع إلى الدين « فإنه لا توجد مشكلة واحدة من مشكلات أولئك الذين بلغوا منتصف العمر لا ترجع فى أساسها إلى فقدهم الإيمان ، وخروجهم على تعاليم الدين ، ويصح القول بأن كل واحد من هؤلاء المرضى ، وقع فريسة المرض لأنه حرم سكينة النفس التى يجلبها الدين ــ أى دين كان ــ » كما يقول « كارل يونج » أعظم الأطباء النفسانيين فى هذا الجيل .

كما تعرض أولئك الباحثون لنصائح كثيرة يستعان بها على مواجهة الحياة ، لو اتبعها أصحاب الأمزجة الحزينة ، والعواطف الثائرة ، لاستراحوا وهدأت عواطفهم .

ونحن نجد فى ديننا الإسلامى أنجح علاج لهذه الأمراض ، ذلك هو الرضا ، الرضا بما حصل عليه الإنسان من خيرات ، وما حققه من آمال ، والرضا بما يصيبه من أحداث ، فإن الرضا أكبر داعية إلى هدوء النفس وطمأنينتها وإلى التغلب على آلامها وهمومها ولن يرضى الإنسان ـ حق الرضا ـ حتى ينظر إلى الحياة نظرا سليما ، وحتى يملأ نفسه الإيمان الخالص ، فإذا نظر إلى الحياة نظرا سليما رأى أنه أعطى من الخيرات ما يكفل له عيشة هنية راضية ، وإذا ملأ نفسه الإيمان الخالص رأى أن كل الأحداث التى تمر به ، أمور عادية فى الحياة ، ليس هو المختص بها من دون الناس . والفرق بين رجلين أحدهما صاحب مزاج ضاحك مستبشر ، والآخر صاحب مزاج باك حزين هو ما تعبر عنه هذه الكلمة : « يقول المتفائل : إن كأسى ملأى إلى نصفها ، أما المتشائم فيقول : إن كأسى فارغة إلى نصفها » فحظهما من الحياة لم يختلف ، ولكن اختلف نظرهما إليها على أن الإنسان لو نظر إلى من هو دونه ــ فى شئون الدنيا ــ كما أمر بذلك ديننا الحنيف ــ لملأت نفسه السكينة . وهذا ـ أيضا ـ ما نجده فى تعاليم المحدثين ، يقول أحدهم :

كاد القلق يبددنى هباء
لأن قدمى افتقدتا حذاء
حتى رأيت منذ يومين
شخصا بلا قدمين

ولو فكر الإنسان فيما عنده لرأى نفسه مقصرا فى شكر ما أنعم الله به عليه ، ولقد شكا بعض الناس فقره إلى بعض أرباب البصائر ، وأظهر شدة اغتمامه فقال له : أيسرُّك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟ قال : لا. قال : أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا. قال : أيسرك أنك قطيع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟ قال : لا . فقال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف ؟ قال : لا. فقال : أما تستحى أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا ؟!

لو فكر الناس تفكيرا سليما ، ولو آمنوا إيمانا خالصا ، لرضوا بنصيبهم من الحياة ، ولو رضى الناس بحظوظهم من الدنيا ، لعاشوا فى سعادة ونعيم ، ولاستغنى العالم عن نصف الأطباء ، ولكن :

كل من لاقيت يشكو شجوه
ليت شعرى هذه الدنيا لمن ؟

من أعلام الأزهر
العلامة إبراهيم الجبالي
٢

أ.د/ محمد رجب البيومى

تسجل مجلدات مجلة الأزهر فى عقدها الأول ما كتبه الأستاذ الجبالى ق تفسير كتاب الله حيث نشر بها تفسير سور النور ، والحجرات ، والرعد ، ولقمان مع تفسير آيات متفرقة اختارها الشيخ لمناسبات دعت إلى تفسيرها ، ومن يقرأ ما كتبه الجبالى على مدى السنوات العشر يجده خاضعا لرأى خاص فى التفسير ، إذ يرى السورة الواحدة عقدا ذا حبات متناسقة ترجع إلى معانى متحدة متماسكة ولا يتضح المضمون الدقيق للآية الكريمة دون مراجعة لآيات السورة فى نسقها المطرد ، هذا من ناحية الآيات المتوالية فى السورة الواحدة ، أما من ناحية ترتيب السور فإنها ــ فى رأيه ــ تخضع إلى ارتباط قوى يجب أن تبذل القوى الفكرية للبحث عنه بحيث يدلى كل مفكر مما يتراءى له ، ولله نور يقذف به فى العقول لتشرق فى أحيان كثيرة للبحث السديد مهما تعددت الوجوه واختلفت الأنظار .

يقول الأستاذ الجبالى فى مقدمة تفسير سورة النور وقد جمعه فى كتاب خاص « تحت عنوان » « شفاء الصدور فى تفسير سورة النور » ما نصه[1] .

ورد إلى مجلة الأزهر سؤال عن تفسير قول الله عز وجل (ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...) الخ الآية الكريمة ، فعهد إلى بالاجابة عنه ، فنظرت وإذا الآية فى سورة النور معقبة لآيات تتعلق بتنظيم

١ ـ شفاء الصدور ص (١) مجلة الأزهر المجلد السادس ص ٧٩ سنة ١٣٥٤ هـ .

الحياة المنزلية ، فتصون روابط الأسرة وتحفظ أواصر القرابة وتبين الحقوق والواجبات فى المعاشرة ، والاختلاط بين الجنسين ؛ الرجال والنساء ، وذلك كله دواء شاف وعلاج ناجع لما أصابنا فى هذه الآونة من أمراض فى هيئتنا الاجتماعية حلت روابطنا وفككت عرانا ، فحدا بى ذلك إلى الشروع فى تفسير السورة بتمامها مما يصل بى إلى تفسير الآية الكريمة المسئول عنها .

ويقول الأستاذ فى مقدمة تفسيره سورة الرعد[٢] .

« وجهت إلى من عزيز عظيم رغبته فى التعرض لتفسير قوله جل شأنه « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ » إذ كان فيها تنبيه للمسلمين على ما كانوا فيه وما آلوا إليه مما يوحى أن يكون معه ذكرى نافعة لهم والذكرى تنفع المؤمنين بل لأنها تحوى من النواميس الاجتماعية ما يفيد كل أمة تزنها بمقدارها ، وتستضىء بنورها فهى على وجازتها كوكب ساطع يشع بالنور .. ولما كانت الآية الكريمة فى أوائل سورة الرعد وقد جمعت هذه السورة من دلائل عظمة الخالق ــ جل وعلا ــ ما يملأ القلوب نورا وإيمانا ، ويثلج الصدور ببرد اليقين ، رأيت أن أعرض لتفسير السورة من أولها مستمدا من الله المعونة والتوفيق » .

لا أقول إن كلام الأستاذ يفهم منه صريحا مجاراة القائلين بالتماسك العضوى بين الآيات ، ولكن أقول وإن تمسكه بتفسير السورة جميعها لسؤال يريد تفسير آية منها يدل على رأيه الخاص فى ارتباط المعانى على نحو من الانحاء فى السورة الواحدة ، وللأستاذ سابقون من المفسرين يرتضون هذا الاتجاه ، ومنهم من سلط عليه الضوء النافذ كالبقاعى فى تفسيره الخاص بمناسبات الآيات والسور ، أما صلة السورة الكريمة بما قبلها فمما اعتقده الأستاذ الجبالى عن اقتناع فهو فى مفتتح سورة[٢] الحجرات يؤكد مناسبتها لسورة الفتح من جهة أن هذه السورة تعرضت إلى صلح الحديبية حين اشترط المشركون أن تمسح البسملة من العهد فقالوا أنهم لا يعرفون (الرحمن الرحيم) كما اشترطوا أن يحذف وصف النبى ﷺ بالرسول وقالوا : لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فقبل ﷺ ما اشترطه القوم لحكمة يعرفها ، وتذمر المسلمون ؛ لما رأوه من القسوة فى الاشتراط حتى قال بعضهم : أليس قد وعد الله رسوله أن ندخل المسجد الحرام ؟ فقال أبو بكر : أو قال هذا العام ؟ فجاءت السورة التالية مفتتحه بقول الله يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ① » وأيضا فقد ختمت سوره الفتح بالتنويه بشان الرسول وعلو درجته والثناء على المؤمنين بذكر مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل فكان جديرا أن يعلم هؤلاء الخيرة الأبرار ما تجب عليهم مع صفوة الرسل ــ عليه الصلاة والسلام ــ من التبجيل والاحترام ، أما منحى الأستاذ فى تفسيره فهو الإلمام بما يختاره من أقوال السابقين مع التعقيب

---

٢ ــ المجلد الخامس من مجلة الأزهر (نور الاسلام حينئذ) سنة ١٣٥٣ هـ ص ٨ .

عليه بما يراه ، فى نسق مطرد متماسك فهو لا يسرد هذه الأقوال سردا رقميا جافا ، بل يصوغها ببراعة كاشفة وفى تعبير موفق يظفر بارتياح القارىء له ، وتفهمه إياه بالغا ما بلغ من الادراك علوا أو هبوطا ، ووضوح المعانى لا يتيسر لغير من اتضحت فى فكره الآراء اتضاحا سافرا فهو لا يعانى مشقة فى تسجيلها كدأب من تغيم فى عقولهم بعض المعانى فيسطرونها فى غموض مبهم لا تكتمل جدواه ، وقد قال فى تحديد منهجه[٣] إنه بذل جهد المستطاع حين لخص زبدة ما اختاروه من كلام أئمة التفسير مضيفا إليه ما فتح الله به عليه أثناء تدبره للنص الشريف مما انشرح له صدره وراقه فى نظره متسقا فى أسلوب يناسب الذوق المعاصر ، على أن اتزانه الخلقى وتضلعه العلمى قد وضحا بجلاء فيما يعرضه من الآراء المتقابلة ، إذ يوفى كل وجهته حقهمـــا من الاستدلال والترجيح توفية تامة ، وإن لم يمل إليها ، إذ يرى من الأمانة العلمية أن تبسيط الرأى دون كزازة واقتضاب ؛ ليترك للقــارىء حريــة الاختيار ، ولعل مما أستشهد به فى هذا المجال تفسيره المسهب المبسوط فى قوة وإشباع وإمتاع لقول الله ــ عز وجل :

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ[٤] فقد تعرض لوجهتى النظر المختلفتين بين السلف والخلف ، إذ ذهب الأولون إلى حقيقة الإشهاد ووقوعه العملى وذهب الآخرون إلى أن الآية تشير إلى ما أودعه الله فى نفوس بنى آدم من الدلائل الناطقة بربوبيته ، حيث يجد العقل من الأدلة الساطعة ما يسوقه إلى الاعتقاد بوحدانية الخالق بما أبدعه من كائنات ، وخلق من أجناس ، وذلك هو المعنى المراد بالشهادة والإقرار وقد اتسع المجال لتقرير الوجهتين المختلفتين فى بضع عشرة صفحة من ذات القطع الكبير ، ثم قال فى ختام تفسيره إن الدلالة على المعنى الأول لا تنفى الإشارة إلى المعنى الثانى ، وقارىء الشرح المدقق يلمس من بعيد ارتياح الشارح لرأى الخلف دون أن يجد انتقاصا ما لرأى السلف ، وتلك براعة فى العرض تروق المنصفين .

أما الإبداع فى عرض الصور البيانية فقد بدأ فى أكمل وجوهه بهذه التفسير المشرق ، ونضرب المثل بما ذكره الأستاذ فى تفسير قول الله ــ عز وجل ــ فى سورة الرعد[٥]

أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾

فقد قال الأستاذ فيما قال من شرح لا نستطيع استقصاءه . فى هذا المجال[٦] .

فى الآية بيان لحال الحق والباطل اللذين انكشف أمرهما وتبين حالهما بما قام عليهما من الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة فقد أبرزهما فى

---

٣ ــ مقدمة الصدور ص (٢) .

٤ ــ الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣ .

٥ ــ الرعد : ١٧ .

٦ ــ مجلة الأزهر المجلد السادس ص ٥٩٢ .

صورتين يراهما الناس رؤية متكررة وقد اقترن فى كل منهما أنفع شيء بأتفهه وأغلى شيء بأخسه ، فمن الذى يخفى عليه ما فى الماء من المنافع الجُلىّ وقد احتاج إليه كل شيء واستندت إليه حياة كل حى ؟ والزبد المقترن به يحسب شيئا وما هو بشيء ومن الذى يخفى عليه أن الماء باق يحتفظ به إما فى أوديته وأنهاره وإما فى مسالكه فى ينابيع الأرض تنفجر به العيون فى مواضع الحاجة ، حيث نستفيد منه الفوائد ، ومن ذا الذى يخفى عليه أن الزبد الذى يعلوه ويحاول أن يجتذب العيون لا تكاد تنتبه إليه النفوس ، أو تتجه إليه الأفكار فهو والعدم سواء ، فهل رأيت أن شأن الباطل كشأن الزبد فى محاولته أن يطفو على الماء وهو لا يستحق أن يكون له موطئا ، وهو يحاول مجاراة الماء وهو أحقر من أن يكون له قرينا ، فالحق مع الباطل كالماء مع الزبد فى النفع وعدمه وفى المسايرة دون استحقاق وفى محاولة الاستعلاء وليس له بأهل ، وفى الثبات والزوال وفى تعرضه للأنظار يسترعيها مع اعراضها عنه احتقارا وعدم اهتمام .

ويمتد الحديث فى هذه الألوان الزاهية امتدادا خالبا زاهيا دون أن ينصل له بريق .. وللأستاذ بمجلة الأزهر أيضا — شروح متصلة للحديث النبوى الشريف مست إليها الحاجة الاجتماعية ودعت الضرورة الى الارتواء من معينها ، ومسلكه فى شرح الحديث النبوى يجانس مسلكه فى التفسير القرآنى لان السائل من لون الاناء ، ولا نطيل .

هذا وقد كتب الأستاذ كثيرا فى ما لاحظه من العصبية المذهبية التى شغلت فريقا من المسلمين ، فشتتت الكلمة وأثارت الفتن وأوقدت الأحقاد مبينا أثر السياسة فى نشأة هذه الفرق بالنسبة الى علم الكلام وأثر الضيق الفكرى بالنسبة إلى علم الفقه ، وقد اشتغلت الصحف الدينية لعهده بمناقشة قضايا التوسل والاستغاثة وعرف لكل منحى رجاله من الفقهاء المتحمسين فكتب الأستاذ الجبالى فى هذا المجال كتابة من يرى وجهات النظر تتسع لكلا الرأين ، وأن أوجه الخلاف أقل من أن تثير هذه الحرب الكلامية فيصبح القتال فى غير معترك حقيقى ، ثم سافر إلى الحجاز فى رحلة الحج المباركة ليجتمع مع كبار العلماء فى المسجد الحرام ويعرض عليهم وجهة نظه الداعية لرأب الصدع وقد تعهد بأن يتلقى رسائل المتشددين ليجيب عنها برسائل متماثلة ؛ حتى يظهر وجه الحقيقة فيلتقى الجانبان على أمر سواء ، مشترطا أن تكون هذه الرسائل شخصية بحيث لا تطبع على الملأ ، كيلا يتدخل فى النقاش من يتربصون الدوائر كى يشعلوا نار الفتنة لحاجات فى نفوسهم وهم بعد من رجال الدين الذين تفترض فيهم الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مع المجادلة بالتى هى أحسن وهذا ما اشترطه الأستاذ ورعاه ولكن بعض من راسلهم فى صمت ، تحدث بما قال الأستاذ فى ملأ من قومه فوجد من ينشر آراء محرفة ليرد عليها بما يثير الضجة والانفعال فرأى الأستاذ أن يعقب علنا على ما نشر ليكشف النقاب عن افتراءات تنسب اليه تارة ومبالغات فى الاستنباط المغرض تارة أخرى ، وقد أذن الله فهدأت ريح الخلاف ، وصارت المسألة تاريخية أكثر منها فقهية !

أما غرة مواقف الشيخ فهى رحلته إلى الهند

رئيسا للبعثة الأزهرية فى عهد الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، حين جاءت الأنباء الى مشيخة الأزهر الشريف متحدثة عن رغبة المنبوذين فى الهند فى اعتناق الاسلام إذ وجدوه دين الحرية والمساواة والإخاء وسينقذهم من هذا السقوط الانسانى الذى جعلهم فى مرتبة منحدرة عن غيرهم من المواطنين فى البلد الواحد وطبيعى أن يشمر الأستاذ الأكبر للأمر بعزيمة لا تهدأ ، فدرس المسألة من جميع وجوهها وأخذ يراسل زعماء الاسلام فى الهند ــ قبل أن تنشأ دولة الباكستان بعشر سنوات .. كى يعرف الحقيقة بعيدا عن مبالغات الصحف ؛ فجاءته الردود المخلصة من أعلام كبار فى مقدمتهم الشاعر الإسلامى الكبير محمد إقبال والكاتب المفكر الأستاذ خالد بابا ، ثم جاءته رسائل أخرى من كبار الزعماء فى العالم الاسلامى ومن بينها رسالة الزعيم التونسى الشهير الأستاذ عبد العزيز الثعالبى وبعد دراسة هذه الرسائل رأى الأزهر أن يرسل بعثة للاستطلاع يرأسها الأستاذ ابراهيم الجبالى مصاحباً زميليه الكبيرين الأستاذ عبدالوهاب النجار والأستاذ محمد احمد العدوى وما من أحدٍ منهما إلا له مقام جهير فى الدعوة الاسلامية وجهود مخلصة فى توضيح مآثر الاسلام ، وقوبل نبأ البعثة الأزهرية فى شتى ربوع العالم الاسلامى بالابتهاج ؛ حيث خصها ملك البلاد بالتشجيع ورحب الرئيس الجليل مصطفى النحاس رئيس الوزارة بالفكرة وقابل أعضاء البعثة قبل السفر محييا مباركا وأقيمت الاحتفالات تكريما لها فى كل بلد ترسو به الباخرة المتوجهة إلى الهند وقامت البعثة المباركة بجهود مضنية تحدثت عنها فى تقرير مسهب نشر تباعا بمجلة الأزهر فى المجلدين الثامن والتاسع الصادرين فى سنة ١٣٥٦ هـ وسنة ١٣٥٧ هـ وقد جاء فى هذا التقرير ما نصه :

«قد قضت البعثة فى الهند حوالى مائة يوم زارت خلالها خمسين مدرسة وجامعة وتحدثت فى جلسات خاصة مع ثلاثين من رجالات الهند الممتازين ، وألقى أعضاء البعثة اثنتين وثلاثين محاضرة عامة . كما أجابوا عددا من الدعوات الخاصة والعامة . كانت كلها مجالا لتبادل الرأى خلال التبسط فى الحديث ، كما زارت البعثة عشرين مكانا يحفل بالآثار الاسلامية ، ولا يبرر قلة هذا العدد مع كثرة الآثار الإسلامية بالهند إلا أن زيارة الآثار لم تكن داخله فى المهمة التى أوفدت من أجلها البعثة إلى الهند ، وقد أدى أعضاء البعثة صلاة الجمعة فى المساجد العامة اثنتى عشرة مرة فى عشر مساجد فى عشر مدن كبرى مختلفة ، كما حضرت البعثة صلاة العيد مرتين مرة فى بومباى ، والأخرى فى كلكتا » .

وقد دون كل من الأستاذين الجبالى والنجار مذكرات خاصة بالبعثة لم يتح لها أن تنشر ، وتحدثا فى مناسبات كثيرة عمن قابلاه من كبار الشخصيات الاسلامية اللامعة مثل الشاعر الكبير محمد إقبال والقائد الاعظم محمد على جناح زعيم الباكستان فيمابعد ، وكان مما قالاه حديث مؤثر عن شاعر الباكستان إقبال حيث لم يعفه مرضه الأخير عن لقاء البعثة ، وتحدث أكثر من ثلاث ساعات وهو منهك الجسم ، خفيض الصوت

بادى الضعف عن أحوال المسلمين بالهند وما يلاقونه من التعصب المرير فجاء مفاجأة للسامعين أن يذكر إقبال الزعيمين الهندوكين غاندى ونهرو فى طليعة من يثيرون هذا التعصب المنكر مع أن الصحافة العربية تجهل حقيقتهما حين تذيع عنهما شمائل التسامح والرفق ، أو هذا التسامح الذى يتسمان به خاص بابناء طائفتهما وحدها وكأن الحرية التى تتشدق بها أوربا لتكون وقفا على الدول الأوروبية فحسب ! أما المستعمرات المضطهدة فلابد أن تصلى نار العداء ! كما أن الحكام من الانجليز ينادون المسلمين بضراوة ويحرمون عليهم المناصب الرفيعة إذ هم أهل فكر وأصحاب رسالة فلا يخشون غيرهم ! وقد دعا غاندى إلى الوطنية العامة دون تفريق ، فقلنا له : إننا نرحب بالاجتماع لا بالافتراق فقال : على أن يكون الدستور وفقا لرغبات الأكثرية وحدها ، فقال له الزعيم محمد على جناح ، كيف تسوى تحت قانون واحد بين من يعبد البقرة ومن يأكلها ؟ وهاج كتاب الهنادكة متطاولين على المسلمين ، وأقيمت المحاضرات المذكية للعداء ضدهم ، وتعدى القول إلى الفعل الجارح فثارت الفتن وسفكت الدماء وحكومة الانجليز تعمل جاهدة على تأييد الهنادكة إذ ترى النفور التام منها لدى المسلمين ، وتعلم من آرائهم الدينية ما يجعلها عدوا لا صديقا ، وهذا ما تخشى أن يسود بين الكافة !

وعادت البعثة مرفوعة الرأس بما قامت به من جهود !

وفى ختام هذا البحث أُعْلِن أن بعض دور النشر اللبنانية قد نشرت مقالات الشيخ الجبالى فى السنوات الأولى من مجلة الأزهر بمجلد كبير لا يضم مقالات التفسير . بل يشمل ما كتبه خاصا بالتعاليم الاسلامية وموافقاتها للفطرة ، وأنا أرجو أن أجد من يجمع مقالات الأستاذ فى شتى الصحف والمجلات ، لتكون زادا باقيا للقارىء المتطلع ، وأثرا خالدا لمجهود حفيل ..

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من وصايا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأبى ذر ـ رضى الله عنه ـ

قال : أوصانى خليلى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسبع :

بحب المساكين وأن أدنو منهم ، وأن أنظر إلى من أسفل منى ، ولا أنظر إلى من هو فوق ، وأن أصل رحمى وإن جفانى ، وأن أكثر من قول: لاحول ولا قوة إلا بالله ، وأن أتكلم بمر الحق ، ولا تأخذنى فى الله لومةُ لائم ، وأن لا أسأل الناس شيئا .

رواه أحمد والطبرانى

قيـــل

● **لو لم يتوعد الله على معصيته ، لكان يجب أن لا يعصى شكراً لنعمه .**

● **لعن الله الآمرين بالمعروف ، التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به .**

« الإخوان ثلاثة »

قال حكيم : الإخوان ثلاثة :

أخ يخلص لك وده ، ويبلغ فى فهمك جهده .

وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته ، دون رِفْدِه ومعونته .

وأخ يجاملك بلسانه ، ويتشاغل عنك بشانِه ، ويوسعك من كذبه وأَيْمانِه .

« كلمات جامعة »

من الكلمات الجامعة لسيدنا عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قوله : خير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، وشر العمى عمى القلب ، وأعظم الخطايا الكذب ، وشر المكاسب الربا ، وشر المأكل مال اليتيم ، ومن يعفُ يَعْفُ الله عنه ، ومن يغفر يغفر الله له .

« يا دنيا .. ما أطيبك »

يروى أن عبدالملك بن مروان لما أحس بالموت قال : ارفعونى على شرف ، فكان ذلك ، فتنسَّم الروح ، ثم قال : يا دنيا ما أطيبك ! إن طويلك لقصير ، وإن كثيرك لحقير ، وإن كنا منك لفى غرور وتمثل بهذين البيتين :

إن تناقش يكن نقاشك يا رب
عذابا ،ولا طوق لى بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب صفوح
عن مسيىء ذنوبه كالتراب

« والله لو تراءيت لى لقتلتك »

فى موقعة « بدر » كان سيدنا أبوبكر – رضى الله عنه – يقاتل بجانب النبى – صلى الله عليه وسلم – وابن له كان ما يزال كافرا يحارب معهم فى صف ضد أبيه ، ثم أسلم الابن بعد ذلك .

فقال الولد لأبيه : يا أبت قد رأيتك يوم « بدر » فعزفت عنك مخافة أن ينالك شىء !! .

فقال أبوبكر – رضى الله عنه – : والله يابنى لو تراءيت لى يوم « بدر » لقتلتك !!

« اخفض من بصرك »

أكل أعرابى على مائدة الحجاج ، فكان يأكل بسرعة ونَهم .

فقال له الحجاج : يا هذا ، ارفق بنفسك ، فقال الأعرابى : وأنت اخفض من بصرك .

« الخروج عريانا »

قال أبوبكر الزجاج :

قيل لمعروف الكرخى فى علته : أوْصِ فقال : إذا مت فتصدقوا بقميصى هذا ، فإنى أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت إليها عريانا .

« قيل ... »

الصبر بالله غناء ، والصبر لله بقاء ، والصبر مع الله وفاء ، والصبر عن الله جفاء .

« إن كنت كاذبا جعلك الله صادقا »

طلب أعرابى من رجل مساعدة ، فتحجج الرجل بالمرض ، فقال له الأعرابى : إن كنت كاذبا جعلك الله صادقا .

« حقا »

ما لابن آدم والفخر : أَوَّلُهُ نطفة مذرة وآخِرُهُ جيفة قذرة ، وما بينهما يحمل العذرة .

« دعاء »

اللهم حسن أخلاقنا ، وأصلح نياتنا ، وأصلح لنا أعمالنا واسترنا بسترك الجميل ، ولا تفضحنا بين خلقك .

التطوّر وأصل الإنسان

من منظور إسلامي

(٢)

عرض وتحليل : أ.د. أحمد فؤاد باشا

لازلنا فى عرض الكتـــاب على ماهو عليه من فكر مؤلفـــه ، ونأمل أن يوفقنا الله - تعالى - فى التعقيب عليه فى العدد التالى :

معنى مقولة « الأصـل المشترك » :

يواصل صاحب كتاب « التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى »(*) تفنيد مزاعم دارون فيما يتعلق بمقولة « السلف المشترك للإنسان والقردة » قائلا : « والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام هو : « لو ثبتت صحة الافتراض القائل بالأصل المشترك لكل من الإنسان والقردة ، هل هذا يدعو إلى الحطّ من قدر الإنسان والتقليل من شأنه كخليفة لله فى الأرض ؟ » ، ثم يجيب : بالطبع لا .. ويسرد من الأسباب ما يرجح احتمال ثبوت صحة هذا الفرض مستقبلا بدعوى أن الإنسان يمتلك نفس الأجهزة والأعضاء التى يمتلكها الحيوان عموما وتقوم بنفس الوظائف البيولوجية مع اختلاف الدرجة . فالإنسان يتغذى كما يتغذى الحيوان ، ويستخدم نفس المواد الغذائية من خضروات وفاكهة ولحوم ، ويخرج الفضلات كما يُخرج الحيوان بواسطة أجهزته البولية والهضمية ، ويتناسل الذكر والأنثى كما يتناسل الحيوان ، وتتم عمليات الإخصاب بنفس الطريقة الشائعة فى المملكة الحيوانية ، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى من أوجه التشابه .

(*) د. محمد فوزى جاب الله : المطبعة العالمية - القاهرة - ١٩٩٢م .

على أن الأصل المشترك للأحياء عموماً قد قرره القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ .
(سورة الأنبياء : ٣٠

وكان التكريم الحقيقى للإنسان أن علّمه الله – سبحانه وتعالى – البيان ، فقال عز من قائل :

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾
(سورة الرحمن : ٣ ، ٤)

ذلك أن البيان هو سر الأسرار الذى يميز الإنسان عن الحيوان ، وهو محصلة المعرفة والفهم وتداول الأفكار واستخدام اللغة ، ومن طبيعة الأمور أن يحتاج هذا البيان إلى آليات خاصة لتحقيقه ، فهو محتاج إلى لسان وشفتين ومخ ومراكز للسمع والبصر والشم والإحساس ، وغير ذلك من الأجهزة والأعضاء البيولوجية التى لا يخلو حيوان منها ، لكن الحيوانات تفتقد إلى لبيان الذى خص الله به الإنسان وجعل منه مخلوقا عاقلا فصيحا معبرا .

الخلية الحية لم تنشأ بالانتخاب الطبيعى :

يوضح الكتاب أن دارون لم يكن غافلا عن نقاط الضعف والغموض فى نظريته التى يعتمد نجاحها اعتماداً كاملًا على إثبات المراحل الوسطية للتطور ، فهو يقول : « إنه إذا استطاع أحد أن يثبت أن أى عضو من الأعضاء مهذّبة التركيب وراقية التكوين قد أمكن أن يستحدث بدون أن يكون للتحول التدريجى للصفات يد فى استحداثه على مدى الأزمان ، فإن مذهبى لا محالة ينهار من أساسه » .

وهنا يقدم الكتاب أمثلة للخلق ظهرت فجأة كاملة التكوين ولم تسبقها صور أدنى منها ، فالخلية الحية – ثابتة كانت أو حيوانية – لم يسبقها إلى مكوناتها البسيطة من جزيئات عضوية أى مراحل تبدو فيها خطوات التدرج من البسيط إلى المركب ، ذلك أن هذه الجزيئات منفردة لا تستطيع القيام بما تقوم به الخلية من وظائف معقدة ، بل لا يمكن لها أن تتصف بصفة الحياة ، فالخلية بنيان هائل التكوين معقد التركيب على صغر حجمها ؛ لأنها تحتوى على مراكز لإنتاج الطاقة وأخرى لتصنيع البروتين والأنزيمات والهرمونات ، بالإضافة إلى جهاز تحكم داخل النواة وأجهزة اتصال بيولوجى بين النواة و « السيتوبلازم » ، وجدار خارجى عجيب يسمح بانتشار بعض المواد والعناصر بين الخلية وخارجها ولا يسمح للبعض الآخر ، ناهيك عما تتمتع به الخلية من قدرة على الإنقسام والتكاثر لزيادة عددها من أجل البقاء .

فالخلية إذن عالم متكامل وإعجاز لا يقدر عليه بشر ، وهى أدنى صور الكائنات الحية ، فهناك حيوانات ونباتات وحيدة الخلية مثل الأميبا والبكتريا ، وهى أساس بنيان جميع الكائنات الحية ، ومظاهر الاختلاف بين الأنسجة والأعضاء ، بل والكائنات عموما ، إنما تعزى إلى

توعية « البرمجة » الكامنة فى فطرة الخلية والتى تحدد مسار عملها ، حيث أن لكل خلية نظاما خاصا يضمن أداء وظيفتها واستمرار حياتها ، فخلية الدم المتحركة غير خلية العظام الثابتة ، والخلية العضلية غير الخلية العصبية ، وهكذا لكل خلية ما يخصها من شكل ووظيفة وهدف بالرغم من تشابه الأساس التركيبى لجميع الخلايا ، وهو قانون إلهى ثابت فى المادة الحية ، مضمونة التشابه فى الأساس والأصول مع الاختلاف والتنوع فى التفاصيل والوظيفة .

والسؤال الآن : هل كانت نشأة الخلية وتعدد براجها من فعل « الانتخاب الطبيعى » الذى جاء به دارون ؟ .. والجواب : لا ، لأن الانتخاب الطبيعى كما عرّفه مخترعه كان من نتيجته بقاء الأصلح ، فهل كان هناك صراع وتنافس بين صور الخلايا الأولى من أجل البقاء ؟ .. إن الخلية الحية لم تنشأ إلا من أجل الحياة واستمرارها ، فخلقها كان فى بداية الحياة ولم تكن هناك حاجة إلى صراع من أجل البقاء ، ولم يكن لقوة الانتخاب الطبيعى التى اقترحها دارون أى مبرّر .. إن نشأة الخلية الحية بوظائفها الرائعة المتنوعة هى فى جوهرها نشأة نظام « البرمجة » الذى نعرفه حاليا فى علوم الحاسبات الالكترونية ، فهناك برنامج محدد لكل عملية فسيولوجية فى الخلية ، والخلايا تختلف عن بعضها فى براجها ، أى أن الخلية العضلية غير الخلية العصبية ، وغير خلية الكبد أو الغدد الصماء .. فكيف لكل تلك البراج أن تنشأ بالصدفة .. هل رأى أحد سيارة أو طائرة أو حتى لعبة أطفال نشأت بالصدفة من اصطدام مكوناتها الأولية ، أم أن من الضرورى وجود عقل مفكر وأيد ماهرة وراء صناعتها ؟ هل تستطيع الطبيعة بما زعموا لها من قدرة على الانتخاب والانتقاء أن تطور المنتجات الصناعية والماكينات والأدوات ، أم أنها متخصصة فقط فى المادة العضوية والكائنات الحية ؟! هل خلق الذكر والأنثى قد تم بقوة الانتخاب الطبيعى كما يقول الداريون والملاحدة ، أم أن هناك قدرة إلهية وراء ذلك ؟

ويخلص الكتاب من مناقشة هذه الجزئية إلى القول بأن تاريخ الكائنات الحية على الأرض يجمع – فى حقيقة الأمر – بين التغير التدريجى فى الصفات والقدرات وبين القفزات غير المسبوقة ، بمعنى أن هناك صفات وقدرات قد ظهرت فجأة كاملة الرقىّ ، وهذه القفزات تخفى هدفا وغاية من ظهورها ، أما إعطاء الطبيعة دوراً عاقلا موجها للأحياء ومسببا لظهور أنواع جديدة وانقراض أنواع قديمة فهذا ضرب من ضروب المزاعم العقلية التى تبين بكل وضوح كيف أن أصحاب النظريات المادية قد ربطوا أنفسهم بالطبيعة فقط وسخروا فكرهم لتفسير ظواهر الكون على أساس مادى وتجاهلوا تماماً كل ما وراء المادة .

حدود العلم والخلط بين المناهج :

إن النظرية البيولوجية فى التطور كانت ثمرة لمشاهدات مستفيضة فى عالم الحياة وجهوداً مضنية لصاحب النظرية فى عرض تلك المشاهدات

بطريقة منطقية قدر الإمكان ، لكن ما ترتب على ذلك من القول بقوة الانتخاب الطبيعى والبقاء للأصلح والسلف المشترك وانتقال الصفات المكتسبة من جيل إلى جيل والانتخاب الجنسى عند الحيوانات ؛ فهذا ما زال ظنا علميا لم تدعمه الدلائل الموثقة ، بل أن بعض هذه الفروض ، مثل انتقال الصفات المكتسبة وراثيا ، قد ثبت عدم صحته بما أجراه « جريجور مندل » من تجارب معملية وميدانية وأوضح بما لا يدع مجالا للشك انتقال الصفات الوراثية عن طريق « جينات » فى الخلايا التناسلية ، كما أن التشابه التشريحى للفروع والأنواع والفصائل لا ينفى بشكل قاطع خروج كل نوع من بداية خاصة ، مثلما أن خروج الفروع من أصل واحد ليس نتيجة محتمة لتشابهها التشريحى .

ولقد وقع الماديون من منظّرى علوم السياسة والاجتماع والاقتصاد فى خطأ فادح عندما خلطوا بين مناهج البحث فى هذه العلوم واتخذوا من آراء دارون فى التطور العضوى أساساً لتفسير مختلف جوانب النشاط الإنسانى ، ودخلت مفاهيم مثل « الصراع من أجل الحياة » و « البقاء للأصلح » و « الانتخاب الطبيعى » فى قواميس محترفى الهيمنة وأصحاب النزعات التعصبية الذين زعموا أن التميز بين الأجناس سنة كونية ومن الطبيعى لكى تستمر الحياة وترقى أن يفسح المجال للأقوياء والأذكياء ليحكموا ويسيطروا ، وأن يقضى فى الوقت نفسه على الكسالى والمتخاذلين والمتخلفين لأن الكون لا يتسع للفريقين معاً .

وهكذا تحولت آراء دارون التى بنيت على مشاهدات فى عالم النبات والحيوان إلى فلسفة كونية تفسر ظواهر اجتماعية سلوكية وتخدم نزعات عرقية ومذهبية ، وهذا تفسير مزيف وتأويل مغلوط وتجريد للعلم من سند الخيرية والتقوى .

التطور عند فلاسفة المسلمين الأوائل :

أوضح الكتاب كيف بدأ فكر التطور كفلسفة عند قدماء اليونان ، ثم انتقل إلى فلاسفة الإسلام فوفّقوا بين المعتقدات الإيمانية من جانب وما رسخ فى الأذهان من مبادىء الفلسفة والواقع من جانب آخر ، وخصص المؤلف فصلًا من كتابه لعرض أهم آراء إخوان الصفا وابن مسكويه وابن خلدون فى هذا المجال . فإخوان الصفا يقررون أن الكائنات الحية جميعاً من نبات وحيوان وإنسان قد نشأت من أصل واحد يسمى « الهيولى » ، وهو ناتج من اختلاط العناصر الأربعة : الطين والماء والنار والهواء ، ويؤكدون أن هذا الأصل الواحد للكائنات دليل وبرهان على الخالق الواحد ، وأن هناك تدرجا فى مراتب أجناس المخلوقات من الأدنى ، وهى المعادن ، يليها النبات والحيوان ، ثم الإنسان ، وهو أرقاها جميعاً ، والجميع يتسلسل فى منظومة مترابطة متكاملة يخدم بعضها بعضا بقدرة إلهية ، ولكنهم لم يذكروا شيئا عن تحول تلك الأجناس بعضها من بعض ، واستبعدوا أن تكون الطبيعة هى المحرك الأول والمسئولة عن هذا التغير فى الكائنات ، وإنما ذلك كله من صنع الله سبحانه وتعالى .

وكان ابن مسكويه يؤمن بفكرة التطور فى نظام الكون ، ويعتبر القردة أقرب الحيوانات إلى الإنسان حيث يقــول عن مراتب القــردة وأشباهها : « ليس بينها وبينه (أى الإنسان) إلا اليسير الذى إذا تجاوزه صار إنسانا ، فإذا بلغه انتصبت قامته ويظهر فيه من قوة التمييز الشىء اليسير » لكن التطور والرقى لم يكن عند ابن مسكويه « بيولوجيا » وعضويا بالدرجة الأولى ، وإنما رقياً روحياً وسمواً وجدانياً وارتقاء فى الوعى والإدراك ، وهذا ما يميـزه عن « لامـارك » و « دارون » اللذين وصفا التطور بأنه عضوى بحت وبيولوجى خالص .

وتأثر ابن خلدون بآراء من سبقوه ، وخاصة الفارابى والقزوينى وابن مسكويه وابن الطفيل وإخوان الصفا ، وحصر رقىّ الكائنات الحية فى الذات وليس بالتحول من كائن إلى كائن ، فلم يضع نفسه فى تنـاقض بين معتقداتـه الإيمانيـة ومعارفه الفلسفية .

وعندمـا جاء « دارون » بنظريـــة « أصل الأنواع » فى منتصف القرن التاسع عشر ، وذكر صراحة أن الأنواع كلها ، نباتيـة وحيوانيـة ، نشأت من بعضها البعض بفعل قانون الانتخاب الطبيعى والبقاء للأصلح ، حدثت مواجهة مريرة بين رجال العلم ورجال الكنيسة ، ثم انتثلت هذه المواجهة بعد ذلك إلى العالم الإسلامى ، ولم يكن أمراً مقبولًا عند المؤمنين كافة ــ مسلمين وغير مسلمين ــ أن يتفقوا مع دارون فى القول بالتغير المستمر للكائنات من الأدنى إلى الأرق ، وبأن جميع الأنواع قد نبعت قديما من سلف مشترك ، وبأن الطبيعة كانت هى المهندس الأول وراء هذا التحول والتطور نحو المزيد من الارتقاء والكمال ، ذلك أن الحقيقة فى شئون الخلق قضية غيبيـة بالدرجة الأولى ، فلا يوجد من شهد خلق نفسه أو خلق غيره ، ولهذا وجب الحذر التام عند اقتحام مثل تلك المجالات العلمية المعقدة حتى لا تكون النتيجة مزيداً من الشكوك والبلبلة . وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾

(سورة الكهف : ٥١)

« اكتشاف سرعة أكبر من سرعة الضوء »

هل سرعة مروق الفوتونات عبر حاجز جهد تفوق سرعة الضوء فى الهواء ؟

ترجمة الدكتور عبدالرحمن أحمد السمان[١]

تقديم :

نشر « جون آندرياس ستوفننج ، وإيفن هيس هوج[٢] » الباحثان بقسم الفيزياء بجامعة « تروندهايم ـ النرويج » فى مجلة (عالم الفيزياء)[٣] فى العدد ٢٣ إصدار نوفمبر ١٩٩٣م بحثاً تجريبياً انتهيا فيه إلى أن الفوتونات[٤] اخترقت حاجزاً مادياً بسرعة بلغ مقدارها ١,٧ قدر سرعة الضوء فى الهواء .

وهذه ليست المحاولة الأولى ولن تكون الأخيرة فى البحث الجاد عن وجود كائنات تفوق سرعتها سرعة انتشار الضوء فى الهواء ؛ وليس من العلم النظر إلى بعض النتائج البشرية على أنها ثوابت كونية أبداً وأزلًا ؛ لأن الله تعالى لفت أنظار البشر إلى الثوابت الكونية وهى مجموعات من الكليات الناطقة بعظمة الخالق وجلال من يقول للشىء (كن فيكون) انظر مثلًا إلى خلق السموات والأرض ، وكيف أن السماء مرفوعة بغير عمد مما يألفه البشر فى أبنيتهم

(١) مدرس الرياضة التطبيقية بكلية العلوم جامعة الأزهر (متخصص فى ميكانيكا الضوء الكمى) .

(٢) Jon Andereas Stovneng and Eivind Hiis Hauge, *In the Department of Physics, University of* Trondheim, Norway.

(٣) World of Physics مجلة انجليزية يصدرها معهد الفيزياء البريطانى .Institute of Physics

(٤) الفوتونات هى مُكَوِّنات الضوء وهى جسيمات عديمة الكتلة ولا تحمل شحنة .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

[الذاريات : ٤٧]

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴾

[الرحمن : ٧]

وقد ذكر لفظ (٥) السماء فى القرآن الكريم مائة وعشرين مرة كما ذكر لفظ السموات مائة وتسعين مرة(٥) وفى كل آية من هذه الآيات يلاحـــظ القارىء جانباً من عظمة الله ـ تعالى ـ وانظر إلى حركة القمر حول الأرض واستقرار هذه الحركة واستمرارها بغير تأثير من البشر ، والقمر مع الأرض يدوران حول الشمس التى تجرى بدورها في فضاء فسيح هو مجرة الطريق اللبنى ، والمجرة بما تضم من ملايين النجوم تسبح فى فضاء أوسع يضم ملايين المجرات السابحة فى كون عظيم والكون كله نشأ بقوله : « كُن » سبحان الله العظيم .

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ ﴾

[الملك : ٣ ـ ٤]

هذا جانب عظيم من بديع صنع الله تعالى ؛ فإذا دققنا النظر وبحثنا فى تفاصيل كوكب الأرض مثلًا لوجدنا عجباً فوق عجب ـ فمثلًا ـ حفظ الأرض بالجبال فإنها كالأوتاد بالنسبة للخيمة مع التوازن الدقيق المضبوط بقدرة الله بين الماء واليابس تكويناً وتحوُّلا وزوالًا ، والانسجام العجيب بين طبقات اليابسة وما تحويه من معادن لا يعرف مقدارها ، وأماكن وجودها إلا اللطيف الخبير .

ويبقى للإنسان الإستخدام والتأمل والتسليم لخالق الكون ومدبره ؛ فلن يفيد البشر كفرهم بالله وانصرافهم عنه مفتونين ببعض مخلوقاته ؛ **وليس من العلم فى شىء إنكارُ علماء هذا القرن أوْ غَيْرُهُ ما ورد من آيات بينات فى القرآن الكريم تحت أى ادعاء .**

وليس من الصواب استمرار لجوء علماء المسلمين إلى غيرهم فى كل ما يقولون ؛ لأن علم المسلم هادف ومفيد لأنه يتصرف عبداً لله المهيمن ؛ أما هدف علماء الشرق والغرب من الجاحدين كتاب الله تعالى وسنة رسوله فهو إشباع الرغبات والانفلات من ضوابط التكاليف الصادرة للبشر من رب الأرض والسماء .

ومما لاشك فيه أن من يأخذ بأسباب النهوض الدنيوى يتبوأ مكاناً رفيعاً فى الدنيا ، ونأخذ على أنفسنا التراخي والكسل مما تأباه شريعتنا الغراء ونحن بهذا نعطى الآخرين فرصة الطعن فى ديننا والمزايدة علينا . والمؤكد أن إخلاص العمل لله والإصرار على تحقيق الرق هو درب راقٍ من دروب العبادة التى يباركها رب العالمين فإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وصدق رسول الله ﷺ فقد رُوِىَ عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى ٣٦٢ ـ ٣٦٦ .

يقول : من سلك طريقا يبتغى فيه علماً سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العَالِمِ على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رواه أبوداود والترمذى .

علينا إذن أن نتفهم جيداً مجالات البحث العلمى المفيد خصوصاً إن أردنا استقراء القرآن الكريم ورغبنا استنبات آياته لقواعد الفيزياء أو الكيمياء أو علم النبات والحيوان أو الجيولوجيا والطب ، ولا ينبغى أن يكون هدفنا تسجيل سبق القرآن الكريم لعلماء القرن العشرين فى ذكر قوانين وقواعد الفيزياء والكيمياء وغيرها فحسب بل يجب أن نسبق الآخرين علماً وعملًا وإنتاجاً حتى نستغنى عن غيرنا ، ويصبح قرارنا ملك لنا دون مزاحمة من حاقد أو عدو . وعندئذ سوف يلهث العالم كله نحونا طالباً العلم والمعرفة .

وقد اخترت هذا البحث مقدماً ترجمته لقارىء « مجلة الأزهر » للإجابة عن سؤال مجلة الأزهر الغراء فى نهاية المقال المنشور فى عدد شوال ١٤١٤هـ ص١٥٣٣ عن إمكانية وجود كائن يتحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء .

وفيما يلى أعرض للتجربة والنتيجة التى توصل إليها الباحثان ، مع تعليق على بعض المصطلحات الواردة فى وصف التجربة على شكل تذييل .

يقول الباحثان فى مقالهما المنشور بمجلة (عالم الفيزياء) :

قيس الزمن اللازم لاختراق (فوتون) وحيد حاجز جُهْد فظهر للوهلة الأولى – أحياناً – أن سرعة اختراقه أكبر من سرعة نظير له يجتاز منطقة خاوية ، وبنظرة فاحصة تبين أن هذه السرعة – سميت سرعة الإضاءة الفائقة – لا تتعارض مع النظرية النسبية[٦] . وخلال العامين الاخيرين أمكن تسجيل قياسات لأزمنة اختراق المجالات الكهرومغناطيسية التقليدية[٧] مُشابهة لتجربتنا هذه ؛ وآخر هذه التجارب ما قام به الباحثان « افرايم شتاينبرج » و « باول كويات » مع « رايموند كَاوْ » فى معمل « بركلى » فى « كاليفورنيا » بأمريكا حيث قاسا الفرق بين الزمنين بتدقيق فى القياس حتى (فيمتو ثانية)[٨] ونُشرت النتائج فى مجلة « رسائل النقد الفيزيائى »[٩] العدد ٧١ عام ١٩٩٣ صفحة ٧٠٨ .

ومن المعروف أن أى جُسَيْم (كمّى) (الكترون أو فوتون)[١٠] عندما يجتاز منطقة مسموحة[١١] من

(٦) تقوم النظرية النسبية على عدة فروض أحدها ثبوت سرعة انتشار الضوء وذلك اتفاقاً مع نتائج التجارب التى أجريت لقياس سرعة الضوء فى الهواء .

(٧) انتشار الموجات الكهرومغناطيسية التقليدية تحكمه معادلات ماكسويل .

(٨) « ١ » فيمتو ثانية = 10^{-15} ثانية يعنى جزء من ألف مليون جزء من الثانية .

(٩) مجلة أمريكية بعنوان Physical Review Letters (vol. 71 . 1993 P.708)

(١٠) أقرّت ميكانيكا الكم خاصية الازدواجية فالالكترونات والفوتونات يمكن تفسير سلوكها بسلوك جسيمات أو موجات .

(١١) المنطقة المسموحة هى المنطقة التى تقل طاقة الجهد فيها عن الوضع عن الطاقة الكلية للجسيم الساقط عليها هذا من وجهة نظر الميكانيكا التقليدية ؛ لأن قوانين ميكانيكا الكم تسمح باجتياز الأخيرة .

الفراغ فإنه يتميز بعدد موجى ك وسرعة مجموعة ع (ك) ؛ لذا فإنه يقطع مسافة (ف) فى زمن قدره

$$ن = \frac{ف}{ع\,(ك)}$$

(باعتبار السرعة منتظمة) .

أما فى المناطق المحظور ـ تقليدياً ـ عبور هذه الجسيمات فيها فإن العدد الموجى ك هو وكمية الحركة (بَ ك) يكونان عددين تَخَيُّلِيَّيْن[١٢] ؛ لذا فإن حالة الجسيم الكمية (من وجهة نظر ميكانيكا الكم) لن تكون موجة سيارة بل تكون موجة مضمحلة أُسِّيًّا[١٣] داخل هذه المنطقة ؛ وهى موجة سريعة الزوال ؛ من هنا يصبح وضع تعريف للسرعة مثار شك ويبقى السؤال عن كيفية عجز الجسيم عن اختراق المنطقة المحظورة تقليدياً بدون إجابة شافية .

وقد استرعت هذه المسألة انتباه المهتمين بالفيزياء خلال العقد الأخير ؛ واستنفرت توقعاتهم بتصنيع أجهزة الكترونية تقوم على ظاهرة اختراق المناطق المحظورة تقليدياً ؛ كما تمخضت الرؤى المختلفة لظاهرة الاختراق عن تعاريف متباينة لزمن الاختراق فأصبح لدينا زمن « بونكر ـ لاند » وزمن « لارمور » بجانب زمن الإقامة وزمن الطور . ويمكننا التوفيق بينها بالقول الصائب : أن كل واحد منها يلائم موقفاً تجريبياً معيناً . وذلك إلى أن يتمكن النظريون (علماء الفيزياء النظرية والرياضيات التطبيقية) من تقليب الأمر على جميع أوجهه ، ثم الوصول إلى تعريف مستقر تدعمه نتائج التجارب ، وعندئذ تنتقل الدراسة إلى طور آخر .

وصف التجربة :

فى تجربة « بركلى » يسقط (شعاع ليزر) فوق بنفسجى[١٤] وهو سيل من الفوتونات ، طاقة كل منها ٢ بَ ت على بلورة من مادة ثنائى هيدريد الفوسفات[١٥] فيتشعب إلى : شعاعين ا ، ب كلاهما سيل من الفوتونات يحمل كل منهما طاقة مقدارها ت ب (نصف مقدار الطاقة الساقطة) . وتحقيقاً لمبدأ ثبوت كمية حركة الفوتونات الساقطة والنافذة ، فإن الشعاعين يصنعان زاويتين متساويتين على جانبى امتداد الشعاع الساقط .

يتم ترشيح الشعاعين ثم يوجه أحـــدهما (الشعاع ا) بمرأة مائلة نحو منشور ثلاثى يقوم بتغيير اتجاهه فينعكس موازياً للشعاع الساقط على المنشور ، ثم يخترق الحاجز حـ وهو مصنوع من « أكسيد التيتانيوم » ومصهور « السيلكا » على صورة رقائق . ويبلــغ سمك الحاجـــز ١,١ ميكرومتر[١٦] ويمكن زيادة السمك بإضافة حاجز آخر ؛ ينفذ الشعاع من حـ ليسقط على مُقَسِّم (د) .

أما الشعاع ب فيتم توجيهه بواسطة ثلاث مرايا ليعبر مسافة أطول خلال الهواء حتى يصل إلى المقسم ء . بالتقاء الشعاعين عند المقسم ونفاذهما منه يستقبلهما كشاف (عداد نبضات) ليحصى عدد النبضات المتلاحقة خلال فترة زمنية محددة ،

(١٢) أيضا استخدمنا المقابلة الاتية : ك ⇔ K ، ع (ك) ⇔ V(K) ، بَ ⇔ ℏ ثابت بلانك مقسوماً على ٢ ط والعدد التخيلى هو عدد مركب جزؤه الحقيقى منعدم .

(١٣) الدالة ص(س) = هـ ^-س^ تسمى دالة أسّية وهى تتناقص طالما كان س عدداً موجباً ويوصف هذا التناقص بأنه أسّى .

(١٤) شعاع الليزر هو سيل متلاحم من الفوتونات لها نفس التردد ت (W) Monochromatic يعنى وحيدة التردد ولها نفس الطور ط Phase ونفس السعة س Amplitude .

(١٥) هى بلّورة KDP وهو ذات استقطاب غير خطى تقسم الشعاع الساقط عليها إلى شعاعين لكل منهما نصف تردد الشعاع

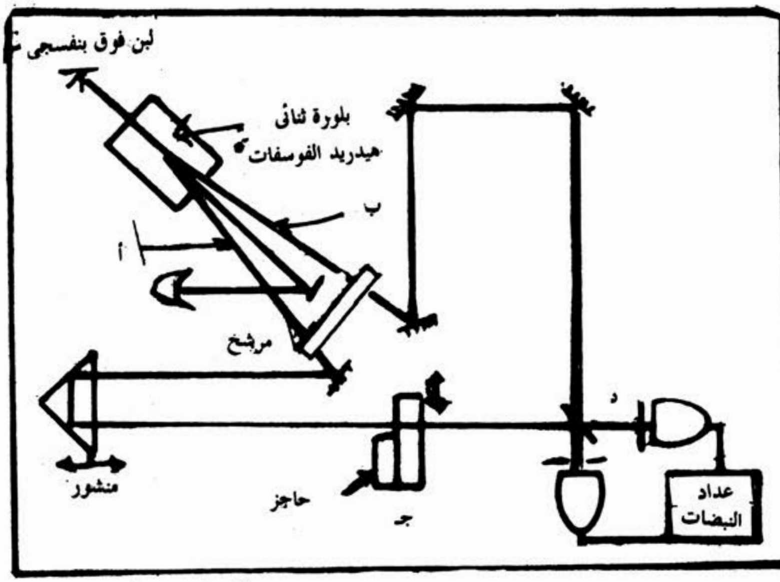

شكل (١) لقياس الفارق الزمنى الناشىء عن اختراق اشعاع (آ) لحاجز الجهد حيث يتم إدخال وإخراج حاجز بسمك ١,١ ميكرومتر (جزء من مليون جزء من المتر) فى طريق الشعاع . والحاجز مصنوع من رقائق متبادلة من أكسيد التيتانيوم ومصهور السيلكا .

فإذا قطع زوج من « الفوتونات » المترافقة (أحدهما محمول على الشعاع ا والثانى على الشعاع ب) نفس المسافة تقريباً فإنهما يصلان إلى المقسم خلال الزمن المحدد ويقدحان العداد فيزداد معدل القدح (الوميض على الشاشة) :

وعلى أية حال إذا تساوت المسافتان تماماً فإن الشعاعين يصلان إلى المقسم عند ذات اللحظة فيتداخلان تداخلًا هداماً[17] فينخفض معدل التلاحق انخفاضاً حاداً (يصل إلى الصفر) . وإذا قطع أحدهما مسافة أطول من رفيقه ــ من خلال التحكم فى وضع المنشور ــ فإن معدل تلاحق الفوتونات يتغير تبعاً لذلك .

وقد قام « شتاينبرج » وزملاؤه بقياس فترة التأخير الناشئة عن اختراق الحاجز وذلك بمقارنة صور التلاحق فى حالتين متباينتين هما :

١ ــ كلا الشعاعين يمر خلال الهواء .

٢ ــ أحدهما يمر خلال الهواء والآخر يخترق حاجزاً مادياً (وقد استخدما حاجزاً يمنع مرور الموجات التى يصل طولها إلى ٧٠٢ نانومتر[18]) .

= الساقط .

(١٦) ميكرومتر = ١٠ $^{-6}$ متر يعنى جزء من مليون جزء من المتر

(١٧) التداخل : هو تركيب شعاعين ضوئيين أو أكثر وعند تداخل شعاعين عند نقطة ما (على شاشة مثلًا) . ينتج شعاع أشد إذا كان فرق الطور بينهما منعدما بينما تنعدم شدة الشعاع الناتج إذا كان فرق الطور ٥٩٠ عندما يكون الشعاعان لهما نفس السعة .

(١٨) نانومتر = ١٠ $^{-9}$ متر يعنى جزء من ألف مليون جزء من المتر .

وبرَصْدِ مقدار الانخفاض فى زمن التلاحق وَجَدَا أن الفوتونات المارقة خلال الحاجز تقدح العداد مبكّرة عن نظائرها المارة خلال الهواء بفترة زمنية مقدارها ١,٥ فيمتو ثانية .

وليس هذا عجباً ؛ فإن بناء التجربة تقاربى النزعة حيث يتم قياس زمن التأخر بين الفوتونات وقد قطعت مسافات كبيرة جدًّا ، بالنسبة لسمك الحاجز . وتقوم حسابات هذه التجربة على تعريف « زمن الطور » للعالم « فيجنر » (Wigner) (وهو فترة زمنية ترتبط بالزمن اللازم لاجتياز قمة الموجة الحاملة للفوتون ـ أو مركز الكتلة لحزمة الموجة ـ عرض الحاجز) .

والواقع أن القياسات التى قام بها « شتاينبرج » ورفاقه تتوافق مع الإرهاصات (التنبؤات) التى تمت على دراسة زمن الطور سالف الذكر .

ومن ناحية أخرى فالنتائج مبهرة ؛ إذ كيف تنتقل الفوتونات بسرعة الإضاءة الفائقة[١٩] .

للوهلة الأولى يبدو ذلك مأزقاً ؛ ولكننا إذا تذكرنا أن « الفوتونات » تخضع لمبدأ الشك « هيزنبرج »[٢٠] .

وأن الفوتونات النافذة ناشئة من جهة الموجة ، والجهة تسبق مركز الموجة بما فيه الكفاية ، فلسنا فى حاجة إلى السرعة الفائقة لتفسير نتيجة التجربة ، وبذا ينتهى الإشكال .

وقد سيقت التفاسير النظرية لهذه الرؤية غير المتماثلة وقلّبت على جميع الأوجه .

وعلى كل ؛ فمن الأهمية بمكان مراعاة مواصفات وحدات أجهزة القياس وخصوصاً الترددات الذاتية لها . وهذا يدفعنا لدراسات وقياسات أكثر ، كما نحتاج إلى اعادة تعريف مدى الأعداد الموجية (والأطوال الموجية) برمتها حتى نتمكن من التفريق بين مختلف الآراء حول تعريف زمن الاختراق .

والمأمول مستقبلًا أن تتمخض الاجتهادات الذهنية لمثل ما جاء فى هذا البحث عن رسم صورة أكثر إشراقاً عند تفسير النتائج وتوضيحها .

من هذه التجربة يتضح أن ثبوت سرعة انتشار الضوء خلال الهواء ووقوفها عند العدد ٣ × ١٠^١٠ سم/ث تقريباً ليس نهاية المطاف لاجتهاد البشرية من خلال علمائها الجادين ؛ كما أن فكرة محدودية سرعة الأمر الإلهى فى الكون المرئى وعدم تجاوزها سرعة الضوء سالفة الذكر لا مجال للإطمئنان إليها فى تقديرى والله أعلم . ومن المبادىء الأولية فى البحث العلمى ضرورة صواب الفروض وسلامة الخطوات الحسابية حتى يمكن اعتماد صواب النتائج .

(١٩) سرعة الإضاءة الفائقة : تطلق على سرعة الفوتونات عندما تتخطى سرعة الضوء فى الهواء

(٢٠) مبدأ الشك : ينص على أن الكميات الفيزيائية المترافقة كمية لا يمكن قياسها آنيا ، فمثلاموضع الالكترون وكمية حركته لا يمكن قياسهما معاً .

فإذا قلنا[٢١] : إن ثمة شيء « ا » يسرى بسرعة ع بحيث يقطع المسافة ف فى يوم أرضى بحيث تكون ف مساوية للمسافة التى يقطعها القمر حول الأرض خلال ألف عام .

فإننا نكتب العلاقة الآتية :

ع × زمن اليوم الأرضى بالساعة = طول مدار القمر (خلال شهر) × (١٢٠٠٠ شهر) .

فإذا قلنا أن مدار القمر هو تقريبا دائرة نصف قطرها = ٣٨٤٢٦٤ كم .

كان طول المدار = ٢ ط × ٣٨٤٢٦٤ كم

عندئذ السرعة ع تقدر بالكيلومتر/ ساعة .

اذن ع × ٦٥٥,٧١٩٨٦ = ٢ط × ٣٨٤٢٦٤ × ١٢٠٠٠

ع = (٢٤٠٠٠ × ٣٨٤٢٦٤ × ٢٢) / (٦٥٥,٧١٩٨٦ × ٧) = ٤٤٢٠٢٥٤٢ كم/ساعة

= ١٢٢٧٨٤٨٤,٠ سم/ث = ١٢٢٧٨٤٨٤,٠٠ × ١٠ سم/ث.

والمدار القمرى لايتوقف طوله على نقطة الرصد ، ولكننا لا نعرف طوله إلا ونحن على الأرض الدائرة حول الشمس ، والمؤكد أن مساره بيضاوى وليس دائرة . كما أن إدخال سرعة دوران القمر حول الأرض وإدخالها فى الحسابات يضيف إلى خطأ التقريب خطأ تقريبياً آخر . ويبعد النتيجة أكثر من ذلك عن سرعة الضوء فى الهواء .

وعلى ذلك فإن سرعة سريان الشيء « ا » سواء سميناه أمراً كونيا أو غير ذلك ليست على علاقة بسرعة الضوء .

---

(٢١) هذه الصياغة هى تدقيق لما ورد فى الدراسة المنشورة فى العدد رجب ١٤١٣هـ ص١٠٨٣ – ص ١٠٨٩ حول ما سمى بالمعجزة القرآنية لحساب السرعة الضوئية . والله تعالى أعلى وأعلم .

الجديد في العلم والتقنية

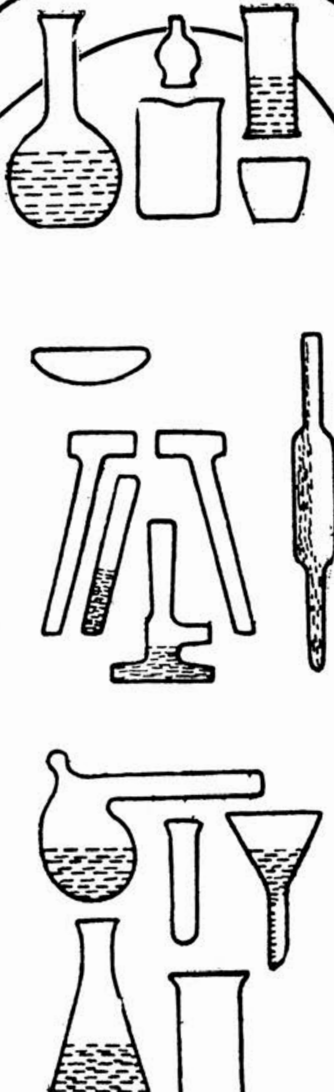

إعداد

د/ نجوى السيد أحمد *

● قطار مغناطيسى فائق السرعة :

نجح اليابانيون فى صنع أحدث قطار مغناطيسى يسير فوق قضيب مغناطيسى بسرعة تصل إلى مرتين ونصف من سرعة القطار العادى ، والقطار الجديد أقل خطرا وتكلفة ، ويتم تشغيله بزيت جديد له درجة اشتعال عالية ، وقوة الدفع تنتج عن مجموعتين من القـوى الكهرومغناطيسيـة : الأولى توجد على القطار ولا تحتاج لقوة الدفع الكهربى سوى مرة واحدة فقـط لتوليـد مجال مغناطيسى دائم ، والثانية توجـد على القـصيب ويغذيها تيار كهربى متغير يقوم بتوليد مجالات مغناطيسية متزامنة مع سرعة القطار .

---

* باحثة بالمركز القومى للبحوث .

● **زراعـة الرخـويات في قاع المحيطات آليا :**

ابتكرت اليابان جهازا آليا « روبوت » يقوم بتمهيد أرض المحيط لتربيـة الرخويـات ، و « الروبوت » مصنوع من ألياف البلاستيك المقواة ووزنه يصل إلى حوالى ٧٠ كيلوجراما ، وبمجرد هبوطه إلى قاع المحيط يقوم برش مساحة الأرض المطلوبة بماء الضغط العالى لإزالة الرواسب منها ، ثم يحفرها إلى عمق ٢٠ سنتيمترا ويقوم بزراعتها بالرخويات المطلوبة .

● **الأشعة السينية بالكمبيوتر :**

ابتكر أحد الأطباء فى أمريكا جهازا جديدا يقوم بالتقاط الأشعة السينية وتحويلها إلى صورة رقمية تظهر بشكل مجسم وواضح على شاشة الكمبيوتر لأى شخص يراد فحصه ، كما يمكن أن يستخدم هذا الجهاز للكشف عن الأسلحة والمتفجرات والمعادن فى بعض الأماكن الهامة .

● **انتاج خيـوط العنـكبوت : بواسطة البكتيريا المحولة وراثيا :**

قام أحد علماء الأحياء والتكنولوجيا فى انجلترا بعزل « الجينات » المسئولة عن إفراز الخيوط فى لعنكبوت وزرعها فى أحد أنواع البكتيريا المعروفة باسم « اشريشيا كولاى » ، واستطاعت هذه البكتيريا المحولة وراثيا إفراز البروتينات الخاصة بالخيوط العنكبوتية بكميات كبيرة وسرعة هائلة لما تتسم به من سرعة فى التكاثر . وتتميز الخيوط العنكبوتية البكتيرية بأنها أكثر قوة ومتانة وتصلح لصناعة الأنسجة الطبيعية المقاومة للرصاص والإحتراق بالإضافة إلى رخص سعرها ونعومة ملمسها .

● **الفوائد الصحية لمياه وطين البحر :**

أثبت أحد الأطباء الفرنسيين أن مياه البحر الدافئة المضاف إليها بعض الطحالب البحرية الطازجة والطين المستخرج من قاع البحر لها فوائد صحية لجميع أجزاء الجسم الأساسية كالعظام والعضلات والشرايين والبشرة الجلدية ، حيث أن مياه البحر تحتوى على عناصر معدنية لا توجد فى أى مياه أخرى ، مثل الكالسيوم والبوتاسيوم والمغنسيوم والمواد البيوكيميائية ذات الطبيعة الطحلبية واليود ، وكل هذه العناصر الحيوية تؤثر على الأنسجة الخلوية فتجدد نشاطها وحيويتها التركيبية العظمية والخلوية والعضلية .

● **الليزر لعلاج شرايين القلب :**

طورت شركة أمريكية بكاليفورنيا جهاز ليزر يقوم بإزالة الترسيبات التى تسد الأوعية الدموية وتسبب تصلب الشرايين وتتميز هذه الطريقة بأنها ليس لها مساوىء الطريقة التقليدية التى يتم فيها توسيع الشرايين بواسطة بالونات صغيرة من الهواء المضغوط .

● **نقص عنصر الماغنسيوم يسبب التوتر :**

أثبتت الأبحاث الفرنسية أن نقص عنصر الماغنسيوم هو السبب الرئيسى لحالات التوتر العصبى والإجهاد والأرق ، وتنصح الأبحاث بالإكثار من تناول الأغذية التى تحتوى على هذا العنصر مثل الفواكه والأسماك والبيض وبعض أنواع المياه المعدنية .

● الليمون والبرتقال لتنظيف الأجهـــزة الالكترونية :

قامت مجموعة من الشركات الأمريكيـــة المتـــخصصة فى صناعـــة « الالكترونيـــات » باستخدام محلول تنظيف مستخلص من الليمون أو البرتقال لازالة مادة « الراتنج الصمغيـة » التى توضع على ألواح الدارات الكهربائية قبل تثبيت المكونات الالكترونية عليها بدلا من استخدامها لغاز « الكلوروفلوروكربون » الذى يؤثر على طبقة الأوزون وذلك لحماية البيئة من التلوث ولتحقيق السيطرة على ثقب الأوزون .

● مكنسة كهربائية بدون صوت :

تحاول إحدى الشركات المنتجة للمكـانس الكهربائية فى اليابان إنتاج مكنسة كهربائية أقل ضجيجا من المكانس التقليدية وذلك باستخدام كاتمات للصوت ، تعمـل على إلغـاء الموجـات الصوتية ، فصوت المكنسة عبارة عن موجات هوائية مضغوطة ولكل موجة قمة وقاع ولإلغاء هذه الموجاث الصوتية يجب إنتاج موجات مضادة لها قمم وقيعان بحيث تتداخل مع قمم وقيعان الموجات الهوائية فتلغى الموجات الصوتية .

● اكتشاف سبب ارتفاع ضغط الدم :

اكتشف علماء جامعة مريلانـد الأمريكيـة « هرمون طبيعى » فى دم الإنسان والحيوان يسبب ارتفاع ضغط الدم . وقد أدى هذا الكشف لمعرفة مبكرة للأشخاص المعرضين للإصابة بضغط الدم المرتفـع المسبب للنوبـات القلبيـة وجلطـة المخ وقصور الكليتين ، وأن هذا الهرمون إذا وجد بمقادير كبيرة فإنه يؤدى لخلل فى التوازن الكيميائى يضيق الأوعية فيندفع الدم بقوة على سطح الجدران مسبباً ارتفاعا فى الضغط .

● كمبيوتر باللمس :

اخترعت إحدى الشركات الأمريكية جهازا جديدا يمكنه تحويل أى جهاز كمبيوتر شخصى إلى جهاز يعمل باللـمس ، هو عبـارة عن قاعـدة حساسة تزن حوالى ٤ كيلوجرام ومساحتها ٦٠ سنتيمترا مربعا وسمكها ٨ سنتيمترات ومزودة بوحدة الإستشعار اللازمة للكمبيوتر الذى يعمل باللمس وحتى يتم التوصيل يوضع الكمبيوتر على هذه القاعدة فيتحول إلى كمبيوتر باللمس دون أى عناء .

اللغة والنقد والأدب

تحذير

بالاطلاع على « تفسير النسفى » المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى .

قدم له

الشيخ قاسم الشماعى الرفاعى

راجعه وضبطه وأشرف عليه الشيخ إبراهيم محمد رمضان .

المجلد الأول

دار القلم ـ بيروت

الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٩ م

حقوق الطبع والصف والإخراج محفوظة لدار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان ص.ب ٣٨٧٤٠

وجدنا به أخطاء فى النص القرآنى منها .

التحريف فى قوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ جاءت فى الطبعة هكذا ﴿ وقل للمؤمنين يغضضن من أبصارهم ﴾ ص ١٠

وسجلت أول سورة البقرة هكذا : ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (٥) ومما رزقناهم ينفقون (٣) والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٤) ص ٢٣ .

وهذا أمر خطير يجب التنبيه إليه ، كما ينبغى التنبيه أيضا إلى طبعة مصرية حديثة لتفسير الطبرى نرجو أن نوضح مافيها من أخطاء قريبا .

الدكتور عبدالحكيم عبداللطيف الصعيدى
الأستاذ بكلية الزراعة جامعة الأزهر

تفسير النسفي

المسمّى

بمدارك التنزيل وحقائق التأويل

للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي

قدّم له الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي

رئيس دائرة الشؤون الدينية

في دار الفتوى اللبنانية

راجعه وضبطه وأشرف عليه

الشيخ ابراهيم محمد رمضان

المجلد الأول

دار القلم

بيروت لبنان

ص. ب. ٣٨٧٤

صورة من التشويه

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُنتَقِينَ (٢) ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥)

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ

وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (١)

الإسلام بين الشرق والغرب

للرئيس علي عزت بيجوفيتش

٢

عرض وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة

كم من أشياء فعلناها وكنا لا نريد حقيقة أن نفعلها

وكم من أشياء وددنا أن نفعلها ولكن لم نفعلها أبدا

خلاصة ما نشر :

- **الإنسان ليس مفصلًا على طراز « داروين » كما أن الكون ليس مفصلًا على طراز « نيوتن » .**
- **إننا لا نستطيع أن نرفض الحضارة حتى لو رغبنا فى ذلك ، ولكن الشىء الوحيد الضرورى والممكن هو أن نحطم الأسطورة التى تحيط بها .**
- **العلم يسعى إلى اكتشاف القوانين واستخدامها ، أما العمل الفنى فإنه يعكس النظام الكونى دون أن يستفسر عنه .**

ونواصل فى هذا العدد رحلة التأمل مع الرئيس على عزت بيجوفيتش وتأملاته عن الوحدة ثنائية القطب التى يراها تشيع فى كل جزئيات الإسلام وتحكم تصرفات معتنقيه .

وفى هذا العدد نطوف سريعاً على ما بقى من القسم الأول .

الفصل الرابع : الأخلاق :

فى إطار تلك الثنائيات يقدم لنا المؤلف عدداً من القضايا الأخلاقية مثل :

- **الواجب والمصلحة :**

ويدعونا لتأمل تلك الثنائية أو هاتين القوتين المحركتين للنشاط الإنسانى ، فالواجب دائماً يتجاوز المصلحة ، فمثلًا :

إذا غامر إنسان بحياته فاقتحم منزلًا يحترق ؛ لينقذ طفلًا ، ثم عاد يحمل جثته بين ذراعيه ، فهل نقول إن عمله كان بلا فائدة ؟ إنها الأخلاق التى تمنح القيمة لهذه التضحية عديمة الفائدة .

ويذهب المؤلف إلى أن الأخلاق كظاهرة واقعية فى الحياة الإنسانية لا يمكن تفسيرها تفسيراً عقلياً ، ولعل فى هذا الحجة الأولى والعملية للدين .

ومن تأمله لهاتين الحلقتين : (الواجب كحلقة فى سلسلة الخلق) و (المصلحة كحلقة فى سلسلة التطور) .

فإنه لا يجد مبرراً لسلوك الإنسان الأخلاق غير وجود عالم آخر ، وحياة خالدة ، وقبل كل هذا وجود الحقيقة المطلقة ، وجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

● **النية والعمل** :

هناك عالمان : عالم القلب .. وتنبع منه النية .

وعالم الطبيعة .. وتولد فيه الأعمال .

فالرغبة قد لاتتحقق ، ولكنها حقيقة فى عالم قلوبنا .

والفعل ـ بالصدفة ـ(1) لم يكن مقصوداً ولكنه حدث كاملًا فى العالم الذى نعيش فيه ، برغم أنه لم يحدث فى عالم قلوبنا .

وهنا يثور سؤال : هل نحكم على الأعمال بالنوايا التى انطوت عليها ؟ أم بالنتائج التى ترتبت عليها ؟

الموقف الأول هو رسالة الدين ، أما الموقف الثانى فهو شعار كل « أيديولوجية » أو ثورة . فهناك منطقان أحدهما يعكس إنكار العالم ، والآخر يعكس إنكار الإنسان .

● **التدريب والتنشئة** :

الخير والشر فى باطن الإنسان ، ولاتوجد تدريبات أو قوانين أو تأثيرات خارجية يمكن بها إصلاح الإنسان ، تستطيع أن تدرب جندياً ليكون خشناً ، ماهراً ، قوياً ، ولكنك لاتستطيع أن تدربه ليكون شريفاً ، شجاعاً ، مخلصاً فهذا مجاله التنشئة الصحيحة ، وحتى هذه ـ أيضاً ـ لاتغيره إنما تحفز فيه قوى الخير الكامنة فيه ، عن طريق المثل الصالح والنصيحة والمشاهدة .

● **العلم والعلماء** :

وفى تحليل دقيق يتناول المؤلف فرقاً دقيقاً بين عقل العالم العملى ، وعقله الخالص ، فيقول :

« ليس من الضرورى أن كل ما يقوله العالم ويفكر فيه أو يؤمن به من العلم ؛ فالعلم ليس إلا جانباً واحداً من مدركاته الكلية عن العالم ، وهو نتاج بعض وظائف عقلية قوامها : النقد ، والمقارنة ، والتصنيف . وفى هذا الإطار ، ينبذ العقل كل ما يستلزم تفسيراً « فوق ـ طبيعى » ولا يستبقى إلا ما يستند إلى سلسلة من الأسباب الطبيعية ومسبباتها ، التى يتم إثباتها بالتجربة والملاحظة كلما كان ذلك ممكناً وما يستقر بعد كل هذه التصفية الدقيقة هو العلم . من أجل هذا لا يستقر بين يدى العلم سوى الطبيعة ، وكل ما عدا ذلك يتسرب من أصابعه .. وتلك هى الحدود الطبيعية للعلم .

ويقف العلم عادة عند هذه الحدود . ولكن العالم ـ لأنه إنسان ـ يستمر فى مسيرته . فلم يكن « أوبنهيمر » **Oppenheimer** يحتاج إلى الفلسفة الهندية عندما كان يصنع القنبلة الذرية ، ولكن لعله احتاج إلى هذه الفلسفة فيما يتعلق

(1) أطلق المؤلف الصدفة على ما يقع من الإنسان من فعل غير مقصود ، يقول ص ١٨٠ « فالرغبة قد لا تتحقق ولكنها حقيقية فى عالم قلوبنا ، حقيقة كاملة . ومن جهة أخرى ، يقع الفعل بالصدفة المحضة ، فعلٌ لم يكن مقصودا ولكنه حدث كاملا فى العالم الطبيعى ، ولم يحدث مطلقاً فى العالم ، عالم الحياة الجوّانية » .

باستعمال هذه القنبلة ، ففى مرحلة متأخرة من حياته هجر العلوم الذرية كلية ، وكرس حياته لدراسة الفلسفة الهندية» .

ومن هنا يظهر الفرق بين عقل العالم العملى ، الذى تسعده نتائج البحث وبين عقله الخالص الذى يلاحظ استخدام الآخرين لما وصل إليه بحثه .

● **الأخلاق والدين :**

من الممكن أن نتصور رجل دين لا أخلاق له ، والعكس ، إن مفتشى التحقيق الذين قاموا بعمليات الاضطهاد الدينى كانوا ـ أيضا ـ مخلصين لعقيدتهم الدينية ، ونحن إذ نؤكد هذا لا نغفل عما فى هذا المسلك من تناقض حاد .

فى القرآن الكريم ﴿ ... **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ...﴾ **تكـــررت أكثر من خمسين مرة ، وكأنها تؤكد ضرورة توحيد أمرين : (الإيمان ، وعمل الصالحات) .**

وفى قوله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ .

وفى الآية معنى : افعل الخير تصبح مؤمناً ، ليس آمن لتصبح خيراً .

والمؤلف استنتج معنى جميلًا ، لكن التقيد بالمعنى المطلوب فى الآية أولى فقد جاء فى تفسير الآية المعنى التالى : لن تنالوا رحمة الله ورضوانه حتى تنفقوا مما تحبون .

● **الأخلاق وما يسمى بالمصلحة المشتركة :**

يرى المؤلف أن الأخلاق ليست مربحة بالمعنى العام للكلمة ، ويتساءل : هل من المفيد أن تكون عادلًا أو أن تقول الصدق ؟ ويرى ـ أيضاً ـ أن مواقف عديدة يمكن للإنسان أن يتصور فيها الكذب والظلم مفيدان .

ثم يقرر أن الأخلاق لا يمكن أن تخضع لمعايير المنفعة وأن الإنسان المستقيم هو ـ بحق ـ الذى يقدم على التضحية ، وإذا واجه الإغراء ثبت على إخلاصه للمبادىء لا للمصلحة ، وينتهى المؤلف إلى القول بأن « الأخلاق ما هى إلا دين آخر ص ٢١٥ » .. وهذا مبالغة من المؤلف لا نقره عليها ، وإن كنا نعلم ما للأخلاق من منزلة لكنها ليست ديناً على أى حال .. وإنما هى ـ أصلًا ـ نبع من منابع الدين .

الفصل الخامس :

الثقافة والتاريخ :

وقد تناول المؤلف فى هذا الفصل عدة نقاط هى : الإنسانية الأولى-الفن ، والتاريخ ـ الأخلاق والفن ـ الفنان والخبرة .

ولعله من خلال هذا الفصل يود أن يقول :

إن الفن لا يحتاج إلى تاريخ كالعلم ، مستنبطاً ذلك من أن القوة التعبيرية للفن لا تزداد عن طريق التطور مثل العلم ، وذلك أن الفن بطبيعته لا يستمر ولكنه يبدأ دائما من جديد .

إن الفن ابن الثقافة فهو يتجه من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال بعكس مسار العلم .

إن أفريقيا وإن كانت متخلفة من وجهة نظر العلم والتكنولوجيا ، فإنها ليست كذلك فى حقل الفن .

وإذا كانت الحضارة تعنى : كيف نعيش ؟ فالثقافة تعنى : لماذا نعيش ؟

إن فهم الدين والأخلاق والفن لا يأتى من الذكاء والمنطق ، وإنما يأتى من هذا العالم الذى يعيش داخلنا ، فلا يوجد منطق أمام منطق ، وإنما قلب وروح إزاء قلب وروح آخرَيْن .

الفصل السادس :

الدراما والطوبيا(*) :

وقد تناول المؤلف فى هذا الفصل عدة نقاط هى :

المجتمع المثالى ـ الطوبيا والأخلاق ـ الأتباع والهراطقة ـ المجتمع والجماعة ـ الشخصية والفرد الاجتماعى ـ الطوبيا والأسرة .

ويمكننا أن نلخص ما ورد من أفكار حول هذه النقاط فيما يلى :

● الدراما حدثٌ يقع فى النفس الإنسانية ، أما الطوبيا فحدث يقع فى المجتمع الإنسانى .

● الدراما هى أعلى شكل من أشكال الوجود الممكن فى هذا الكون ، أما الطوبيا فهى حلم ، أو رؤية للجنة على الأرض .

● إذا تمكنت التكنولوجيا من تكوين إنسان صناعى عن طريق الهندسة الوراثية ، هنا سيتم القضاء على الإنسان وتاريخه ويرتفع صرح الطوبيا .

هناك فرق بين المجتمع وبين الجماعة ، فالمجتمع مجموعة من الأفراد تجمعوا على أساس المصلحة ، بينما الجماعة هى مجموعة من الناس اجتمعوا على أساس من الشعور بالانتماء ؛ فالناس فى المجتمع مجهولون ، بينما الناس فى الجماعة إخوة تجمعهم أفكار واحدة وثقافة واحدة .

● إن مطالب الإنسان (وهى مطالب طبيعية) ، وذكاء الإنسان (أو طموحه إلى أن يحقق مطالبه بطريقة عقلانية) هما اللذان انتجا « الطوبيا » .

● إن مبادىء المجتمع المثالى ليست هى الحرية أو الفردية بل النظام والتماثل .

● لكى يصلح الإنسان لأى « طوبيا » فلابد أن يكون مصمماً حسب نظرية (داروين) ، أما الإنسان الحقيقى فلا يصلح للطوبيا .

● وإن القضاء على كل شىء إنسانى ـ خاصة الحرية ـ هو الشرط الأساسى للطوبيا .

وهكذا نجد الأم ـ فى هذا النظام المتماثل « الطوبيا » ـ تلد الإنسان وتربيه ، أما الحضانة فإنها تهيء عضواً فى مجتمع ، تصمم مواطناً يسكن الطوبيا .

هكذا لا نرى أمًّا ولا أسرة ، فنحن لن نرى ما لا وُجودَ لَهُ . فبدلا من تربية أو تنشئة الإنسان ، نجد عملية تكنولوجية ، كأننا بإزاء إنتاج دواجن .

(الحـديث موصـــول)

(*) مصطلح طوبيا : ترجمة لـ **Utopia** أى : المثالية ، وهى ترتبط فى العقل الغربى بالخيال والمستحيل . ومصطلح طوبيا مستعمل هنا كرؤية لنظام مثالى إنسانى على غرار ما نراه من نظام فى حياة النحل والنمل .... الخ .

رشفات الحكمة

فى ديوان (الإنسان فى الميزان)

للشاعر/ محمد عبد الرحمن صان الدين

بقلم : الشاعرة جليلة رضا

أثناء تجْوالى بين صفحات هذا الديوان الطريف ، استوقفْتنى فيه خُماسيات مهمة ذات دلالة كبيرة ، على منهج الشاعر فى نظم الشعر ، وتجربته الشعورية فى تضاعيفه ، إذ يُناجى (قريضَه) بقوله :

يا قريضى لستُ أبغــــى منك فى دُنْيــــاى مجدا
أو أُرَجِّــى منك يومــا أن تُحيــل النــحس سعــدا
.. يا قريضى قد كحــلتُ العيــنَ طولَ العمــر سُهْــدا
كى أُحيــل القــول أنْغــا مًا وأنْسامًــا وشهــدًا

ونحن لسنا مع الشاعر فى أنه ليس يبغى من شعره مجدا فى دنياه ، فكُلُّنا ـ كشعراء ـ ذلك الرجل ، أو ذلك الشاعر ، الذى يضع المجد نُصْب عينيه دائماً ، شاء أو لم يشأ ، فتلك هى نزعة الإنسان كى يُخلَّدَ ـ ما أمكن ـ فى أثر يبقى من بعده ، بعد عمر طويل .. كما أنه ـ فى حياته ـ يسعى ، بوعى أو بغير وعى ، كى يفيد من هذه الموهبة التى تفرَّد بها بين الناس ، بما يعود عليه بنباهة الذكر ، إن فاته : « الأصفر الرنان !! » ؛ وكما يُقال : ذكاء المرء محسوب عليه ، ونَدَرَ مَنْ يجمع بين المال والموهبة ، فى أى مجال ..

وكيف لا يطمع الشاعر فى مجد شعره ، أو مجده بشعره ، وهو يستَتْلى بعد ذلك قائلا ـ بتفاؤل كبير واستبشار :

يا قريضى كن ضيــــــــاء وريـــــاضًا وظــــــلالًا
وامْنَحِـــخْ الدنيـــا عبيرا وسلامـــــــا ، وجمالا
واسْـــرِ فى الأفهـــام والوجـــــــــدان سَلْسَالا زُلالا
واجعـــل المنظـــومَ فى ترنيمـــه سحـــــــــــرا حلالا

هل بعد ذلك ـ إنْ تحقَّق بالفعل ـ مجد .. أى مجد ؟ .. ثم يُخاطب (النيل) ـ بعد ذلك فى خماسية أخرى ، واصفا إياه : (بريق السحاب) ، وهو تعبير جميل ، يقول :

أيها النيـــل الـــذى قد فاض من ريـــق السحــــاب
(يا ملاك) الـخِصْبِ والعمــــــران فى القفـــر اليبـــاب
قد طويت العمـــر تَسْـــرِى فى وَفَـــاء وانسيـــاب
تمنـــح الـــوادى حيـــاةً فى سهـــــول أو هضاب
لِمْ تركتَ النـــفس فى الإنســـــان جَدْبًـــا فى ضبـــاب ؟!

والأبيات تَسْرِى سريان النيل نفسه فى تدفُّقه وجَرَيانه ، بيسر وتلقائية ، وإنْ كان البيت الأخير كاللازمة التى تأبى أن تترك الشاعر وشأنه ، فى يَأْسه من (الإنسان) ، الذى تحيا نفسه فى جُدبٍ وضباب ؛ ونرجو أن يتسع صدره لقولنا له مخلصين : إن الدنيا لا تزال بخير ، بل إننا نرى نسبة الخير تفوق نسبة الشر فى النفوس ، وجُنْد الله هم الغالبون(١) ..

* * *

وإذا ما خَلَصْنَا لباب : (سبحات وابتهالات) أَمْكننا أن نعْرف : (مفتاح السر) فى النظرة القاتمة ، التى تُشَكِّل منظار الأستاذ (صان الدين) للحياة والناس ، ويتبدَّى ذلك فى الخماسّية التى تصور رحلة حياته ، وما عاناه من (بعض) الناس ، وليس (كل) الناس كما يجب أن نتصور ، يقول فى هذه الخماسية :

رحلتـــى فى العـــيش غصَّتْ بالـــذى تأبـــاه نفسى
صُحْبتـــى للنـــاس أدْمتْ كل وجـــدانى وحِسِّـــى
قد قضيْتُ العمـــــر أمشى بين نكـــران وبـــخْس

ولماذا هذا كله .. ؟ يُجيبنا الشاعر مُعلِّلا لفَدَاحة خطْبه وتعْسه ، حين يستَتْلى قائلا :

ذاك أنِّـــى لم أُطَأْطـــىءْ هامتـــى يومـــا لبـــأس
بل ـ بلا فخـــر ـ تسامتْ فوق أُفـــق النَّجْـــمِ ـ رأسى

(١) وفى أحد أبيات هذه الخماسية ورد لفظ (ملاك) غير متفق مع معناه اللغوى .

ورأيى ، أنَّ من يملك هذا القدر من الجبروت النَّفْسى ، بحيث يجعله يتسامى ـ بالرغم من كل شيء ـ فوق أُفق النجم ؛ هذا الإنسان يُصبح قانعا بِودِّ ضميره وسُمُوِّ هدفه واهتماماته ، بحيث يُصبح ولسان حاله قَوْل القَائِلَ :

نفسى من الملإ العُلَى وسجَيتى **تأْبَى علىَّ مذلّةَ الإنسان**

ومهما يكن من أمر ، فالإنسان (الجزيرة) المنغلق على نفسه ، لم يُخلق بعد ...

فالناس ـ من بدو وحاضرة **بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم**

وكما يقول أبو العلاء :

ولو أنى حُبيتُ الخُلْدَ فَرْدًا **فَلَنْ أرْضى بذا الخُلْد انفرادا**

بدليل قول الشاعر صان الدين بعد ذلك ، مُسلِّما بأن الدنيا فيها (المحاسن والأضداد) :

أوْدَعَ الخلّاقُ فى **الغبراء قُبْحًا وجَمَالا**
وأدَّب الوحْشَ والأنعام فيها والصِّلالا
وأتاح الرِّزْقَ للساعى حَراماً .. وحَلَالا
والذى يبغى الهُدى يُلْفِيه .. أو يبغى الضلالا
ليست (الأضداد) فى **أفْلاكها .. أمْرا محالا**

ويكفينا قول الشاعر ـ بعد ذلك ـ الذى ينظر فيه لمعنى الآية الشريفة :

﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**﴾ البقرة : ٤٥ فيقول : ـ فى (الصلاة) ـ بصفة خاصة :

فى الصلاة الحَقّ أُنْسُ **وابتهاجٌ واستراحهْ**
إن فيها لِلمُصَلِّى بَلْسَمًا يشْفِى جِراحَه
إنها ـ فى قفْرة الدنيا **وجَدْبِ العيشِ .. واحهْ**
طائر الإيمان يحيا **باسِطًا فيها جَنَاحَه**
إنها للنفس معراج **ورَوْح ، وسياحه**

و (الشعر) الرفراف فى هذه الأبيات ، أظهر من أن يُنصَّ عليه

* * *

وفى باب ، أو فصل : (الدعوة إلى الله) ، نظفر بخماسيَّة أخرى ، تُظْهر مَدَى يقين الشاعر وبُعْد نفسه عن التشاؤم والإحباط ، لثقته المُطْلَقة فى عدالة ورحمة الخالق ـ عزَّ وجل ـ .. بقوله فى هذه الخماسية :

إنْ يكُــنْ جسمــى على الغَبْـــرَا	فَرُوحـــــى فى السمـــــاءِ
إن تكَــنْ فى النـــفْس أنـــواءٌ	فقلبـــــى فى صـَفَـــــاء
إن يكــن من صحبــة الإنســــ	ـان يأسى وانطـــــــوائى
فانبِساطـــــى عنـــــد ربى	حيث وَجَّـــــهْتُ رجـــــائى
شـــاردٌ فى عيشـــه مَنْ تـــاه	عن نبـــــع الضيـــــاء

إلى أن يقول فى خماسيات : (الابتهالات) ، ما ينضح بالتفاؤل الجَمِّ والاستبشار إلى أقصى مَدَى :

ما تـــزال الأَرْضَ بالخَيْـــراتِ والنُعْمـــىْ تجـــودُ
كل يـــوم كل فصـــل ينفـــح الدنيـــا جديـــد
إنَّ شـــمس الله ـ مازالـــت ـ إذا وَلَّـــتْ ـ تعـــود
والوجـــود الحـــى يجـــرى فى انتظـــام لا يحيـــد
ما الـــذى يُـــؤسِى ويُبْكِـــى .. أيهـــا القلـــبُ العميـــد ؟

ويزيد هذه المعانى إشراقًا وسُطُوعًا ، ما جاء بباب : (الجمال وفطرة الخَلَّاق) من خماسيات .. يقول فى إحداها :

غـــرَّدَ الطيـــرُ يـــزُقُّ الزهـــرَ فى عُـــرْسِ الربيـــع
حـــين تـــاه الـــروض فـــوق الأرض بالحُسْـــن البديـــع
رُحْـــتُ أسعـــى فى صبـــاح باســـمٍ باهـــى السُّطُـــوعْ
أو مســـاء حـــالم قـــد ذاب فى ضـــوء الشمـــوع
طافـــتْ الأنســـامُ بالوجْنـــات سَـكْـــرَى .. فى خشـــوع

ومن هذا المنطلق تنبعث الروح الشعرية الرَّقْراقة ، كأنها نغمات تهمس بها نفسك أنت ، بل كأن الشاعر نفسه ، يراجع نفسه بنفسه ، فيما بَدَا من إحباط ، لوَّن رؤيته فى صفحات الديوان الأولى ، بالنظرة (الرمادية) فى الخماسيات ، فيقول بعد ذلك ، بطلاقة العَبِير وروعة التصوير :

ليت مَنْ يشكـــــــو سوادَ	الليـــــل ـ مهمومـــا كئيبـــا
ينظـــــر الأقمـــــار فيـــــه	تُؤْنس الأفْـــــقَ الرحيبـــــا
والـــــنسيم الـــــرَّخْص يسرى	هِامس الخَطْـــــو رطيبـــــا
إنما الليـــــــــل ، مراح	صَمْتـــه يُشفـــى اللغُوبـــا
حبـــذا صبـــح وليـــل	يمنحـــان العـــيش طيبـــا

.. هذا هو صان الدين شاعر : (أعاصير وأنسام) حقاً ؛ حينما يترك نفسه على سجيَّتها ، وينسى إعْمال الفكر ، وعقابيل السَّبْك والرصْف ، فى إطار الحكمة الرصينة ، والعبارة المتينة .. فيُتحفنا ، مرة أخرى ، بمثل قوله :

حين يصحـــو بلبـــلٌ فى ... الأَيْك إبَّـــان الصبـــاحْ
يملأ الدنيـــا غنـــاءً ... فى ابتهاج ومَـــرَاح
رِزْقُـــه الموقـــوت : حَبٌّ ... فى غُدُوٍّ أوْ رَوَاح
ما تأتَّـــاه بحرْث ... أو سقـــاه .. بالجنـــاح
إنما يأتيـــه عفـــوا ... طىَّ مَوْجٍ أو ريـــاح

وقوله :

فى بيـــوت النمل أوْ فِى ... سعْيـــه بين الصخـــورِ
فى خلايـــا النحـــل أوْ فِى ... رَشْفـــه ريـــقَ الزهـــورِ
فى عشاش الـــطير فى الأشـــ ... ـجـــار أو نائى الوُكُـــورِ
شاهـــدت عينـــاى آيـــاتٍ ... من الفـــن القديـــرِ
فازْدَرَتْ نفسى بعلمـــى ... وانْجَلَـــى عنـــى غُرُورى

ويمضى فى رَفْرَفَاته وإبداعاته ، فى لحظات التجلى وبدوات الإلهام ، تتنازع فطرته النقية أحيانًا الرغبة فى تدوين الرُّؤَى والذكريات ، بلغة الفيلسوف أولا ، والشاعر ثانيا ، وأحيانا أخرى تنتابه وتستولى عليه تماما التجربة الشعورية الرهيفة ، فتجعله يفيض فيضا ذاتيا رائعا ، لا صَنْعة فيه أو تكلُّف ، فينبض بالصدق وتشيع الحرارة فى أبياته ، فنظفر منه بالشاعر الذى عرفناه ، أولا .. والفيلسوف : ثانيا ، وأخيرا .. وهذا ما يؤيده قوله :

كل حى فيـــه طبـــعٌ ... كامـــن يَحْيـــا عليـــه
إن تخلى عنـــه حينـــا ... عاد ــ مفطـــوراً ــ إليـــه

وأخيرا ــ وليس آخرا ــ نرجو أن نكون قد وفِّقْنا فى تقديم رَشَفَات من رحيق هذا الديوان القيم . ومهما يكن من أمر ، فإننا نتجاوب بعُمْق مع هذا الديوان الزاخر بالفرائد والكنوز ، وهو عمل ضخم ، لا نظير له فى شعرنا المعاصر ، وخاصة فى طول نَفَس الشاعر ، الذى تجاوز فى هذا الديوان أَلْفًا وخمسمائة بيت من الشعر الطريف ، ونُردِّدُ معه بشغف واقتناع ، قوله فى خواتيم الديوان :

لا تَقُـــل للبحـــر أو لِلغْـــيث أَمْسِكْ عن عطـــائكْ
لا تقـــل للبُلبُـــل الصـــدَّاح قَـلِّـــلْ من غنائـــك
أو لشمـــس الصبـــح .. وَقْتَ الصحـــو .. ظلِّى فى خِبَائِـــكْ !

الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية في العصر الأندلسى

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

يحفل هذا العصر بالعديد من الشعراء المُبدعين ، من أمثال : ابن خفاجة وابن هانىء وابن سهل ، وابن زيدون وابن شهيد والمعتمد بن عباد وابن عبد ربه ، والرمادى والأعمى التطلّى وابن زمرك ، ولسان الدين الخطيب والمقرى وابن زهر ، وابن دراج القسطلى ، وابن بقاء الرندى وغيرهم .

وكان جَوُّ هذه البلاد : « معتدلا فى جملته ، وفى أكثر جهاتها ، كما أن تربتها خصبة ليس بها جهات قفر ، ولا صحارى ، بل أكثرها حقول [يانعة] ورياض باسمة ، وأنهار جارية ، وجبال شامخة ، ومراع واسعة . فهى هَضْبَة خضراء ، تتخلّلها الأنهار ، وتجرى فيها المياه .. فكانت ـ ولا تزال ـ من أجمل بقاع الأرض وأنضرها ، مما يأخذ بالألباب ، ويسبح فى روعته الخيال ، ويبعث على تذوُّق الجمال ، ومجاراة الطبيعة فى بهائها ونضرتها »[(١)] .

ومن ثم فقد امتاز الشعر فى هذا العصر بروعة الوصف وبراعة التصوير ، للبيئة الأندلسيَّة الساحرة ، التى يصفها ابن بَجْدتها : (ابن خفاجة) بقوله :

إن للجنَّـــــة بالأنـــــدلسِ ... مُجْـــتلى مَرْأى وريَّـــا نَفَسِ
فسَنــا صُبْــحتها من شَنَــبٍ ... ودُجــى ظُلْــمتها من لعس
فإذا ما هبَّتْ الــريح صَبَــا ... صِحْتُ : وا شَوْقِى إلى الأنـدلسِ !

ويزيدنا ابن سفر المرينى وصْفا لجُوها وأنهارها ، فى إطار الوحدة الموضوعية ـ مع ابن خفاجة ـ بقوله :

(١) انظر كتاب (المفصل فى تاريخ الأدب العربى) لأحمد الاسكندرى وآخرين ط ١٩٣٤ ص ١١٢ ـ ١١٣ .

أنهارها فضة ، والمِسْك تُرْبتُها والخَزُّ روْضتُها ، والدُّرُّ حصباءُ
وللهواء بها لُطْف يَرِقُّ به مَنْ لا يرقُّ ، وتبدو منه أهواء

وهو هنا يصف (العامرية) التى أنشأها المنصور ، المشهور بـ (ابن عامر) ، وهى : « نزهة من نزه الدنيا ، فيها الشجر الملتف ، والغُصن النُورِق ، والطير المغرد ، والجدول المصفَّق ، والزهر الناضر ، والنرجس الضاحك »(٢) .

وهكذا نجد شعراء الأندلس قد قدَّموا لنا صوراً جديدة ، تَمَّ « تقْطيرها فى أنابيق بَلاغية ، وأوْغلوا فى ذلك ، حتى استخرجوا منها تلك الزخارف الشعرية : (الأرَبِسْكِيَّة) ، التى تشبه أن تكون « قصورا حمراء » لفظية(٣) .

وحينما أُتيح لأمير الشعراء (أحمد شوقى) أن يرى الأندلس عن كثب ، بعد نَفْيه إليها ، وإقامته بين ظهْرانيَهْا ــ ورُبَّ ضارة نافعة ــ تلفَّت (شوقى) حوله ، ليشهد ــ على الطبيعة ــ مَجْلَى الحُسْن ومَنْبت البهاء فى رياضها ، فلم يملك إلا أن يهتف ، معارضا موشحة « ابن خفاجة » ، قائلا(٤) :

مَنْ لنضْوٍ يتنزى أَلَمَا بَرَّح الشوق به فى الغَلَسِ
حَنَّ للبان ونَاجَى العَلَما أين شرقُ الأرض من .. أندلس ؟

* * *

وتظفر (الوحدة الموضوعية) بأوفى نصيب من إبداع شعراء ، جعلوا نصب أعينهم اكتمال العناصر فى غرض بعينه ، فى كل قصيدة ينبرى الشاعر فيها للقول فى موضوع محدد ، لا يخرج منه إلى سواه ، ويقتصر على أداء المعنى المقصود فحسب ؛ ومن هؤلاء ، على سبيل المثال :

١ ــ الشاعر أبو الحسن على بن حصن ــ كاتب المعتمد بن عباد ، يصف فرْخا من الحمام ، بقوله(٥) :

وما هاجنى إلا ابن ورقاء هاتف على فنن ، بين الجزيرة والنهر
مُفَسْتَقُ طَوْقٍ ، لازوَرْدِىّ كلْكلٍ مُوَشَّى الطّلى ، أحْوَى القوادم والظهر

(٢) انظر كتاب (معرض الادب والتاريخ الإسلامى) لمحمد عبدالغنى حسن ط ١٩٤٧ ص ١٦٢ .

(٣) انظر كتاب « الشعر الأندلسى ــ بحث فى تطوره وخصائصه » للمستشرق الأسبانى أميلو غرثية غومسى وقد عربه عن الأسبانية الدكتور حسين مؤنس ط ١٩٥٢ ص ٦ . ولفظة (أرابسك) Arabesque كلمة افرنجية نجدها فى اللغات الأوربية كلها ــ كما يقول المؤلف ــ ومعناها « عربى الروح » ، ولكنها لا تستعمل إلا فى مواضيع الفن ، ويراد بها الزخرفة الهندسية المتشابكة ، التى نعرفها فى الزخارف الإسلامية .

(٤) انظر قصيدة شوقى (صقر قريش ــ عبدالرحمن الداخل) ــ موشح أندلسى ــ الشوقيات جـ ٢ ص ٢١٤ .

(٥) انظر كتاب (نصوص فى الأندلس) للدكتور عبداللطيف عبدالحليم ط ١٩٨٦ / ١٩٨٧ ص ٢٧ .

أدَارَ على الياقــوت أجْفَــانَ لُؤْلُــؤٍ   وصاغ من العِقيان طوْقًا على الثغر
حديدُ شَـبَا المِنْقار ، داجٍ كأنــه   شَـبَـا قلــمٍ من فضة مُدَّ فى حبر
توسَّـــدَ من فرْع الأَرَاكِ أريكـــة   ومال على طيٍّ الجنــاح مع النحــر
ولمَّا رأى دَمْعى مُراقًــا .. أرَابَــهُ   بكائِىَ.. فاسْتولَى على الغُصُن النضر
وحَثَّ جناحيْــه وصفَّـــق طائــــرا   وطار بقلبى ، حيث طار ، ولا أدْرِى

٢ ـ الشاعر أبو جعفر بن عثمان المصحفى يصف (سفرجلة) ، بقوله(٦) :

ومصْفــرَّة تختــال فى ثوب نرجس   وتعبق عن مسك زكــى التنــفُّسِ
لها ريح محبــوب ، وقسْــوة قلبِــهِ   ولون مُحبٍّ حُلَّةَ السُّقْمُ مُكْـتس
قَصُفْــرَتها من صُفْــرتى مُستعــارَةٌ   وأنْفاسُـها فى الطِّيبِ أنفاسُ مُؤْنس
.. فلما اسْتَتَمَّتْ فى القضيب شبابها   وحاكتْ لها الأنواءُ أبرادَ سُنْدس
مدَدْتُ يدى باللُّطْفِ أبْغى اقتطافَها   لأَجْعَلَهــا رَيْحانتــى وسْــط مجلس
وكان لها ثوبٌ من الــزغب أغْبَــرٌ   يرفُّ على جسم من الــتبر أمْـلَس
فلما تعــرَّتْ فى يدى من لباسهــا   ولم تبْــق إلا فى غُلالـــةِ نرجس
ذكرْتُ بها ـ مَنْ لا أبوح بذْكرِهِ ـ   فأذْبلها فى الكــفِّ : حَرُّ تنــفسُ

٣ ـ الشاعــر أبــو محمــد بن صارة الشنترينــى ، القائــل فى حرفــة الوَرَاقـــة(٧)

أما الوَرَاقةُ فهــى أنْكَــدُ حرفــةٍ   أغْصانُهــا وثمارهــا .. الحِرْمـــانُ
شبَّهْتُ صاحِبَهــا كإبــرة خائـــطٍ   تكسو العُراةَ .. وجِسْمهاَ عُرْيان !

ثم يصف (النار والكوانين) بقوله :

لِابْنةِ الزَّنْــد فى الكــوانين جَمْــرُ   كالــدَّرَارِى فى دُجَــى الظَّلْمـــاءِ(٨)
خَبِّـــرونى عنها ، ولا تكذبـــونى   أَلَدِمْهـــا صناعـــةُ الكيميـــاء ؟
.. سَبَكَتْ فحَمْهَا صفائــحَ تِبْــرٍ   رصَعَتْهـــا بالـــفضة البـــيضاء
كلمـــا رَفْـــرَفَ النسيـــمُ عليها   رقَصتْ فى غُلالـــــــةٍ حمراء

٤ ـ الملك الشاعر المعتمد بن عباد ، وقد نُكب فى آخر حياته : فى مملكته ونفسه وأبنائه ، ونُفى إلى « أغمات » فى إفريقيا ، حيث صور فيها آلام النَّفْى ومرارة السجن ، وما آل إليه أمر أبنائه من بعده . وشعره الذى يتسم بوحدة موضوعية بارزة ، يستحق أن نُثْبت منه ما يلى(٩) :

---

(٦) انظر (الشعر الاندلسى ـ بحث فى تطوره وخصائصه) ص ٨٩ ـ ٩٠ تعريب الدكتور حسين مؤنس .

(٧ ، ٨) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٩) المصدر السابق ص ٦٢ .

يقول مخاطباً (قَيْدَه) :

قَيْـدى أمـا تَعْلَمُنـى مُسْلِمـا أبَـيْتَ أنْ تُشْفـقَ أو ترحما

دمـى شراب لك ، واللحـم قد أكَلْتـه ، لا تَهْشِـم الأعْظُمـا

يُبْصِرُنى فيك (أبـو هاشم) فينْثنـى القـلبُ .. وقـد هُشِّمـا

ارحـمْ طُفَيـلًا طائشا لُبُّـهُ لم يَخْشَ أنْ يأتـيك مسترحِمـا

وارْحـمْ أُخَيَّـاتٍ له مثلـه جَرَّعْتَهُـنَّ السُّـمَّ والعَلْقمـا

منهن مَنْ يفهـم شيئـا ، فقـد خِفْنَا عليـهِ ، للبكـاء ، الْعَمَـى

والغيْـرُ لا يفهـم شيئـا ، فمـا يفْتـح إلا للـرضاع - فَمَـا

ويقول فى يوم العيد ، واصفا ما آل إليه أمره وأمر بناته ، بما يمسُّ القلب ويُوجعُه(١٠) :

فيما مضى كنتُ بالأعيـادِ مسرورا فساءنى العيدُ فى (أغمات) مأسورا

ترى بنـاتَك فى الأطمْـار جائعـةً يغْزِلْنَ للناس - ما يمْلِكْنَ قطْميرا

برزْن نَحْوكَ للـتسليم .. خاشعـةً أبصارُهُـنَّ ، حسيراتٍ مكـاسيرا

يطأْن فى الطين ، والأقدامُ حافيةٌ كأنها لم تَطَأْ : مِسْكـا وكافـورا

لا خَدَّ إلا تَشَكَّى الجدْب ظاهـرُهُ ولـيس إلا مع الأنفـاس مَمْطـُورا

.. أفْطرْتَ فى العيد - لا عادت مساءَتُه فكـان فِطْـرك للأكْبـاد تفْطيرا

من بات يغْذلُـهُ مُلْكٌ يُسَـرُّ به فإنما بات بالأحـلام مغـرورا

* * *

وفى الشعر الأندلسى قصائد طويلة ، تتسم بالوحدة الموضوعية المتناسقة ، كنونية أبى إسحق الألبيرى ، فى الثورة على يهود غرناطة ، وعدد أبياتها (٤٧) سبعة وأربعون بيتا ، ويستهلها بقوله :

ألا قل لـ (صهجانـةٍ) أجمعين بُدُورُ النَّـدِىِّ وأُسْـد العريـن

وتدور حول نجوى الشاعر لقبيلة صهناجة - أبرز مكوِّنات جماعات المجتمع فى غرناطة ، وعتاب أمير غرناطة باديس بن حيوس ، بسبب تسلُّط اليهود على المسلمين ، والغدر بهم ، ومحاولة النَّيْل من عقيدتهم ، والشاعر يحفز الجميع على إدالة نفوذ اليهود وإبطال تأثيرهم السيىء على الحياة والناس ، والمسلمين بصفة خاصة . وقد بلغ من تأثير هذه القصيدة ، أن فجرَّت ثورة عارمة بالفعل ، يصفها المستشرق الأسبانى إميليوغرثية غُومسٍ ، بقوله :

---

(١٠) انظر كتاب (فى الدراسات الأدبية : للعصرين العباسى والأندلسى) للدكتور على على صبح والدكتور محمد أحمد سلامة ط ١٩٨٨ ص ٢٩٤ .

« لعل الشعر الأندلسى لم يعرف أبدا البساطة عارية ، كما عرفها فى هذه القصيدة ، وفى الوقت نفسه لم ير قصيدةً مثلها ، يلفُّها مثل هذا الإعْصار من المشاعر : لقد اجتاحتْ أنغامُها ـ حَيَّةً متوهجة ـ أعماق المدينة ، مع زفير النيران وحشرجة الموتى »[11] .

وكذلك الشأن بالنسبة لنونية ابن زيدون المشهورة ، التى يستهلها بقوله :

أضْحَى التنائى بديـــلا من تدانينــــا   ونـــاب عن طيب لقْيانــــا تجافينــــا
بِنْتُم وبِنَّا ، فما ابْتلَّتْ جوانحُنــــا   شوقا إليكـم ، ولاجَّــفتْ مآقينـــا

وفيها من التلاحم ، والترابط الوجدانى ، ما فيها .

* * *

وأخيرا ـ وليس آخرا ـ تبرز إلى الأذهان نُونِّيةُ أبى البقاء الرندى ، فى رثاء الأندلس ، التى يستهلها بِبَيْتْه الرائع ، ذى الموسيقية الشجية :

لكـــــــــل شىء إذا ما تم نُقصان   فلا يُغـــر بطـــيب العـــيْش إنسانُ

وعدد أبياتها : (٤٢) اثنان وأربعون بيتا .

وهى أشهر من أن نُثبت نَصَّها الكامل ، لنُدَلِّل على الوحدة العضوية التى تربط بين أبياتها برباط وثيق .. ونقتصر هنا على إثبات رَأْى حصيفٍ للدكتور جلال صابر حجازى ، فى مجال إثبات الوحدة العضوية لهذه القصيدة ، رغم طولها ، بقوله : « ولا نجد فى قصيدة الرندى تلك : « القفزات » غير المترابطة ، التى توجد فى كثير من قصائد شعرنا العربى ، بل نجدها تمتاز بأنها مُخَطَّطة مُمَنْهَجَةَ ، ذات خِطةٍ منطقية دقيقة ، ومنهج مرتب ترتيباً مُحْكماً ، حيث تسلسلت الموضوعات ، التى طرحتها القصيدة ، تسلسلا منطقيا مقنعا ، والتحمت مضامينها وعناصرها ، وأفكارها الرئيسية ، التحاما قوياً متماسكاً ، بلا فجوات أو قفزات ، حتى صارت كأنها سبيكة صُبَّتْ فى قالب واحد »[12] . إلى أن يواصل الحديث بعد ذلك عن التمهيد للقصيدة ، بأبياتها الأولى ، التى تصف لوعة الشاعر وأساه ، بقوله : « فإذا كان صلب القصيدة ، بعد ذلك ، هو الحديث عن زوال مُلْك العرب والمسلمين فى فردوسهم المفقود : (الأندلس) ، فإن أهمية التمهيد تبدو مرتبطة ارتباطا وثيقا طبعياً ببنية القصيدة ، وكيانها الفنى ، ارتباط اللون بالزهرة ، والضياء بالشمس ، والرأس بالجسد »[13] .

---

(١١) انظر كتاب (مع شعراء الأندلس والمتنبى) لغرثية غومسى ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى الطبعة الثالثة ١٩٨٢ ص١٠٦ .
(١٢ ، ١٣) انظر كتاب (نصوص ودراسات أندلسية) ط ١٩٨٨ ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم : د. محمد عبد الحكيم محمد

تطرف فى الدين أم ضد الدين؟

فى الآونة الأخيرة تتابعت السهام مندفعة ـ تحت ظل مكافحة التطرف ـ إلى صدر الإسلام والمسلمين ، فقد تطورت القضية وأصبحت ذات وجهين :

ـ وجه جليّ معلن ، هو الهجوم على التطرف والتنفير منه .

ـ ووجه آخر خفيّ ، هو تغييب الإسلام والنيل من رموزه .

وهكذا اتخذ العلمانيون من مبدأ « مواجهة التطرف » قاعدة أو قنطرة لتحقيق أهدافهم الخفية ، والتى تكشفت بِسُمِّها الفواح فى كثير من الأفكار المطروحة على الرأى العام ؛ من خلال الإعلام المطبوع والمسموع والمرئى على حد سواء .

فإدعاء ببشرية القرآن الكريم كخطوة لعزله عن الوحى ، إلى غمز فى بعض مواقف نبىّ الإسلام سيدنا محمد ـ ﷺ ، إلى تشويه لصورة الخلافة الإسلامية ، والغض من شأن التاريخ الإسلامى ، إلى الطعن فى أئمة المسلمين العظام ـ من القدماء والمحدثين ـ الذين يُرجع إليهم فى علوم الشريعة الإسلامية .

ولعل حظ الأزهر الشريف ـ بشيخه وعلمائه ـ كان أكبر وأوفر من البطش الإعلامى المشبوه ، وما أكثر رسائل الاحتجاج والغضب التى تتلقاها « مجلة الأزهر » كرد فعل طبيعى لهذه التجاوزات وما تضمنته من اجتراءات على الحق والتاريخ .

وقد تلقت المجلة بهذا الشأن رسالة الداعية الإسلامى الشيخ/ معوض عوض ابراهيم ، والتى يقول فيها :

لا بأس على الإسلام من أولئك الذين ينطحون ـ برءوسهم الفارغة ـ قلعته الصامدة فى أداء مهمته ، ذلك أنه يجد المدد والعزاء فى مثل قول الله تعالى :

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤) ﴾ النساء/١١٤

إن هؤلاء يجدون أنفسهم بين من حَدَّهَم الله وتوعَّدهم بقوله : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾ النساء/١١٥

والمسلمون بعامة وعلماء الأزهر بخاصة يأخذون أنفسهم بمثل قول الله تعالى : ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون** ﴾ المؤمنون/٩٦ ، وقوله تعالى ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة ٨٣ . إن هؤلاء يجهلون مهمة الإنسان فى هذه الحياة وأن الله لم يخلقه عبثا ، ولم يتركه سُدًى ، فأسلموا للشيطان أزِمَّةَ نفوسهم ، واتبعوا أهواءهم وأعطوا ولاءهم لشياطين الإنس الذين يقول فيهم أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ « إن شيطان الإنس أشد علىَّ من شيطان الجن ، فإننى إذا استعذت بالله أعاذنى منه ، وشيطان الإنس يَجيئنى فيجرنى إلى المعاصى جَراً » ، إن جريرة الأزهر عند هؤلاء أنه يسلط الأضواء على الذين أرخصوا عقولهم لكل فكر وافد ، وامتهنوا أنفساً كان من الممكن أن تكون كريمة بالمعرفة الهادية والثقافة البانية والنظر الفاحص .

● ● ●

كما تلقت المجلة كلمة الشيخ/ عبدالعزيز احمد رضوان .. المفتش الأول بوعظ كفر الشيخ ، والتى يفند فيها ما تضمنته أباطيل العلمانيين ضد الإسلام وأهله من إفك وظلم وزور .

لا يحار المسلم كثيرا فى فهم نفسية أعداء الإسلام القدماء والمحدثين على السواء ، فهى نفس حاقدة ، أمارة بالسوء ، داعية لتأليب خصوم الإسلام عليه ، وتشكيك أبنائه فيه ، وتأجيج نار الحرب ضده ، وزرع بذور الفتنة والخلاف بين أتباعه لكى يزدادوا ضعفاً على ضعف ، و ... الخ .

وقد أشار القرآن الكريم فى مواضع كثيرة من آياته لهذه النفسية العجيبة المزدوجة لأعداء الإسلام فقال تعالى :

﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(١) **فالقـــوم يغالطون أنفسهم !!**

والتاريخ يعيد نفسه الآن . ولذلك فنحن كثيرا ما نصادف (آباء جهل) و(آباء لهب) يجادلون فى الحق بعدما تبين ويناطحون الصخر ، ويحاربون الحق الواضح ، ويرمون الشمس فى عليائها بالتراب والأحجار .

فهذا يدعى أن الإسلام انتهى زمنه ، وقد نزل على قوم ذوى بداوة فى زمن محدود ، فهل يصلح لعصر العلم والانطلاق والاختراع وارتياد الآفاق وغير ذلك؟!! ونجيبهم : نعم ، إنه يصلح ، لأنه

(١) سورة البقرة من الآية : ١٤٦ .

لا يناقض الفطرة السليمة ، ولا الذوق الرفيع ، ولا العلم ولا الحياة . وهو ليس مرحليا كما تدعون ، ولا إقليميا كما تأفكون . ولقد أجاب القرآن الكريم مشركى قريش على هذه المزاعم فقال :

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ)(٢)

ثم نحن نحاججكم بشىء فى منتهى البداهة والوضوح فنقول : ائتونا ــ ولو بجزئية يسيرة ــ من أحكامه تخالف الحق والحكمة والعدل ، مع العلم بأن قوانينكم الوضعية تحتاج إلى تعديل من آن لآخر .

وهذا فريق ثان يرمى جمهرة المسلمين ، وكل علمائهم ، وكل هيئاتهم العلمية بالغباء . ويقدم لنا تفسيرا من عنده يتلاعب فيه باللغة والمعانى والأحكام . ويمهد لذلك بتحليل الحرام وتحريم الحلال ويقول لنا :

هذا هو التنوير !!!

وتبعا لهذا الفهم السقيم أباح هؤلاء (التنويريون) التهتك والعرى والاختلاط الصاخب المتشنج ، وطالبوا بإبعاد القرآن عن الحياة ، وصاحوا غاضبين إذا رماهم أحد بالزندقة والإلحاد . وأباحت لهم أوضاعهم أن ينشروا هراءهم ويرفضوا نشر الردود على سخافاتهم . ووصل الأمر بهم إلى محاولة فرض حمايتهم بالقوة على معتنقى مذاهبهم الهدامة فى الجامعات .

وثالثة الأثافى ، هى فى ذلك الفريق الثالث الذى ينعق مع أعداء الإسلام .

فيردد مقولاتهم ويقول : إن الإسلام سبب المصائب فى العالم . !! فمن يتمسك به ويحرص على تعاليمه متشدد أصولى ، ومن يدعو إلى تطبيق شريعته ــ سواء كان فردا أو دولة ــ فهو مخرب ، مدمر إرهابى ، الخ .

ونحن نقول لهم : إن الإسلام هو دين الرحمة والمحبة والمودة . وهو للتعمير وليس للتخريب .

إن التخريب والترويع آت من غير أبنائه . ولو حاكمتم بمبادىء الإسلام من خرَّب أو دمَّر أو أشعل حريقا أو أثار فتنة لوجدتم الحكم رادعا .

إن الأحداث الدامية التى تمر بالمسلمين الآن فى كل بلاد العالم ، ومنها ــ على سبيل المثال ــ كشمير وبورما وأفغانستان وطاجيكستان وأذربيجان والبوسنة والهرسك ــ ودور كوسوفو وألبانيا آت ــ وتركيا ولبنان وفلسطين والجزائر ، هى أحداث افتعلتها العلمانية صاحبة الذراع الطويلة فى النيل من الإسلام والمسلمين ، وما يحدث الآن فى السودان والصومال والعراق وليبيا يراد بالعالم الإسلامى كله .

إنها أحداث مصطنعة لينشغل العالم الإسلامى بنفسه وهمومه . ويتفرغ أعداؤه للاقتصاد والعيش الناعم الرغيد .

يراد للعالم الإسلامى أن لا يكتفى غذائيا ، بل يعيش عالة مَدِينًا ذليلا مخفوض الهامة ، كسير الجناح . سُفلىّ اليد ، فهل نتنبه لتلك الأبعاد ونأخذ الحذر من أعدائنا ؟

(٢) سورة الفرقان : الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ .

أول ندوة علمية عن محو الأمية

عقدت « الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار » فى الحادى عشر من شهر شوال الماضى ندوة علمية عن « قضية الأمية فى مصر وعلاقتها بالمشكلة السكانية » ، وذلك بالمركز الكشفى بمدينة نصر بالقاهرة ، ناقشت الندوة فى عدة جلسات ـ على مدى يومين ـ أكثر من ثلاثين بحثا ، تقدم بها الأكاديميون والمفكرون ، وقد تناولت البحوث ـ فى مجملها ـ هذه القضية من خلال محاور ثلاث :

الأول : علاقة الأمية بالمشكلة السكانية

الثانى : واقع الأمية وطرق مكافحتها .

الثالث : دور الاعلام فى حل هذه المشكلة .

أقيمت الندوة تحت رعاية الأستاذ الدكتور/حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم وتمخضت عن توصيات عديدة من أهمها :

١ ـ تبادل الخبرات الميدانية فى ميدان محو الأمية وتعليم الكبار مع مختلف الدول والهيئات والمنظمات الدولية والأقليمية المعنية .

● **رجاء خاص بالسادة الكتاب :**

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكُتّاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ووظائفهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ، ويحتفظوا بصورة منه ، حيث إن المجلة ليست ملزمة برده ، كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج ، وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسندا إسنادا علميا ، بما فى ذلك تخريج ما ورد به من الأحاديث النبوية وبيان مواقع الآيات القرآنية ـ كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

٢ ـ التنسيق مع مختلف الوزارات والهيئات والمؤسسات العامة والتنظيمات المختلفة فيما يتعلق بمشروعات محو الأمية وتعليم الكبار فى إطار الخطة القومية .

٣ ـ استحداث شعب لمحو الأمية وتعليم الكبار فى كليات التربية ، والتربية النوعية لإعداد الكوادر المؤهلة اللازمة لتنفيذ خطط الهيئة فى هذا المجال .

٤ ـ التأهيل التربوى للعاملين فى مجال محو الأمية غير الحاصلين على مؤهل تربوى والاستفادة بهم فى تنفيذ برامج ومشروعات الهيئة .

٥ ـ وضع سياسة إعلامية ثابتة لمحو الأمية من خلال البرامج الإعلامية المتنوعة « مباشرة وغير مباشرة » وبرامج خدمات ؛ مع تأهيل الكوادر الإعلامية فى اتجاه مختلف القضايا القومية .

٦ ـ دعم جهود الهيئة بما يوفر قاعدة بيانات إحصائية دقيقة فى مجالات محو الأمية وتعليم الكبار بالتعاون مع جميع الجهات المختصة والمحليات .

٧ ـ تشجيع ودعم وتنسيق الجهود التطوعية فى مجال نشاط الهيئة .

٨ ـ التأكيد على مسئولية وزارة التربية والتعليم فيما يتعلق بتحقيق التزامها بالعمل على سد منابع الأمية .

بأقلام القراء

ميثاق النبيين

أخذ الله ـ تعالى ـ ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بسيدنا محمد ـ عليه السلام ـ وينصروه إن أدركوه ، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم فلما أقروا بذلك أشهدهم على أنفسهم وعلى أتباعهم ثم قال ـ عز وجل ـ ﴿ وأنا معكم من الشاهدين﴾ أي عليكم وعليهم ، فمن تولى من أمم الأنبياء عن الإيمان به ﷺ بعد أخذ الميثاق فهم الخارجون على الإيمان ، أورد ذلك الإمام القرطبي في تفسيره لقوله ـ تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾

« العمران ٨١ ، ٨٢ »

عماد الدين عبدالمنعم ـ دار طباعة النقد .

قضية الاتباع

يقول المولى عز وجل في محكم كتابه وهو أصدق القائلين ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ « سورة ال عمران آية رقم ٣١ » .

وبناء على ذلك فإنه لايمكن لعبد أن يعرف ربه ويصل إليه إلا إذا اقتدى بالنبي ﷺ واتبع ما جاء به ، وترسَّم طريقه في عبادة الله ومعاملة أمَّته ، فهو الأسوة الحسنة والنبراس المستقيم ، ولايزال العبد يفعل كل هذا لأنه علم ما قاله المولى عز وجل في محكم كتابه وهو أصدق القائلين « لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا » « سورة الأحزاب اية رقم ٢١ » وكذلك لايزال العبد يتبع النبي ﷺ ويصدق في ذلك حتى يكون على الشاكلة النبوية مصداقا لقوله ـ تعالى ـ في كتابه العزيز وهو أصدق القائلين : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ « سورة الإسراء آية ٨٤ » .

وهكذا يأمرنا الحق تبارك وتعالى بأن نجعل رسول الله ﷺ قدوتنا في كل ما جاء به من أقوال وأفعال وتقريرات ، بل إنه ـ عز وجل ـ قرن محبتنا له ـ نحن العباد ـ باتباعه ﷺ .

خيري محمد أبو الروس ـ خطيب بكفر الشيخ

● **ردود خاصة باشتراكات المجلة :**

على كل من يرغب في الاشتراك الشهري بمجلة الأزهر ، مراسلة « إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة » لتحديد بداية العدد المطلوب ، ومدة الاشتراك ، علماً بأن أسعار الاشتراكات عن سنة كاملة « ١٢ » عدد ، تكون على النحو التالي :

ـ ٩ جنيهات داخل جمهورية مصر العربية .
ـ ٥٠ دولار داخل دول اتحاد البريد العربي .
ـ ٧٥ دولار خارج دول أتحاد البريد العربي .

وهذه قصيدة من إبداعات الشيخ/سراج الدين معزوز من دولة « غينيا بيساو » أوحتها إليه « رسالة الأزهر الشريف » فى نشر العلم عبر تاريخه الممتد :

يا أزهـــر النـــور أمَّ الجامعـــات ألا ... يا روضة العلـــــم والإيمان من قدم

كنت المنـــارة فى الإسلام من قدم ... واليوم صرت لنـــا كالبـــدر فى الظلـــم

نيـــل المعـــارف من شتـــى مشاربها ... ومرتـــع لطـــلاب العلـــم والحكـــم

إنَّ الجوامـــع فى الإسلام قاطبـــة ... تقـــول : أزهـــر فينـــا صاحب العلـــم

فلا ننازعـــه فى فضلـــه أبـــدا ... ولا ننـــافسه فى المجد والعظـــم

مازلت تبـــعث من أبطـــال ملتنـــا ... من يظهـــر الحق فى البلـــدان بالهمـــم

مدرسا مرشدا منهم وداعيـــة ... يدعـــو لإصلاح ديـــن الله والـــقيم

مشايخ الأزهـــر المحبـــوب همهـــمُ ... أن يدفعـــوا شبهات الجهـــل والسقـــم

فالأزهـــر الفـــرد لايحصى فوائـــده ... إلا الـــــذى برأ الإنسان من عدم

فانعم بقيت لنـــا رمـــز الفخـــار على ... مر الدهـــور تباهـــى كل ذى شمم

وهذه قصيدة للشاعر/مصطفى محمود مصطفى .. أوحتها إليه « مذبحة الحرم الإبراهيمى » :

لله أنتم أيها الشهـــــــداء ... مأساتكـــــم دوت بها الأصداء

قد غالكـــــم وحش لئيم غادر ... وبكـــم أحـــاط شراذم جبنـــاء

عم الدنـــا غضب عليهم ثائـــر ... والسخـــط قد ضاقت به الأرجـــاء

● ● ●

أبنـــى فلسطين الأبـــاة ، إليكمـــو ... منـــى عزاء صادق ، ونـــداء :

لا تفزعـــوا كى لايضعضع عزمكـــم ... محن جسام حولكـــم وبـــلاء

● ● ●

وتمسكـــوا بالوحـــدة الغـــراء ، لا ... تتنازعـــوا فالخلـــف فيـــه عنـــاء

وتفاءلـــوا ، فغـــدا تعـــود حقوقكـــم ... ومـــع التفـــاؤل لا يخيب رجـــاء

ردود وتعليقات

● **القارىء/أنور السادات فتحى فهمى .. قنا**

● **والقارىء/عدنان عبدالرحمن ـ الطالب بجامعة الأزهر فرع أسيوط .**

الحسرة تملأ قلوبنا على ما يفعله أعداء الاسلام بالمسلمين ، ولكن الباطل مهما انتفش فهو زهوق ، ولن تكون الغلبة له ، ذلك أن سنة الله ـ تعالى ـ فى خلقه أن ينصر الحق وأهله شريطة أن يتمسكوا بحقهم ويلتزموا بتعاليم دينهم .

● **القارىء/سعيد على البرقمانى ـ الطالب بجامعة الأزهر ـ فرع دمنهور .**

نشكرك على تحيتك الرقيقة لإدارة المجلة ويمكنك الاتصال بتوريدات الأزهر « فى مدينة البعوث بالقاهرة » لبحث الأعداد التى تنقصكم من مرتجعات المجلة ، وإن كان ذلك أمراً صعبا لقلة المرتجعات وانعدامها أحيانا .

● **القارىء/د. السيد السعيد مندور .. من دكرنس ـ الدقهلية .**

هذه مشاعر رقيقة نشكر المهنئين عليها شكرا جزيلا ، وهى تعيد إلى أذهاننا زفة الإعلام الغربى عن الجهد الإنسانى الخارق الذى بذله الغرب فى إنقاذ الطفلة المسلمة « إيرما » من جحيم سراييفو ونقلها إلى مستشفى خمس نجوم فى لندن لاستخراج الشظايا التى أصابتها ، بينما الآلاف من المسلمات والمسلمين يواجهون أتعس مصير .

وفيما يتعلق بمسلسل « العائلة » فلعلكم قرأتم ردَّ الأزهر فى الملحق الصادر مع العدد الماضى .

● **القارىء/خالد سيد رياض مبروك .. من الواسطى بنى سويف**

لتكن ثقتك فى الله كبيرة ودعاؤنا بأن يرزقك الله حسن التوفيق ويهيىء لك من أمرك رشدا .

● **القارىء/محمود عبدالعزيز محمد يحيى .. المدرس بمعهد رشيد الأزهرى .**

رجاء إرسال نسخة « المصحف » الى المجلة لاتخاذ اللازم بشأنها ، وبإذن الله ـ تعالى ـ سنعيد نشر قصيدة « شوقى » عن مكانة الأزهر.

● **القارىء بدوى زكريا الجوهرى ـ بكلية زراعة كفر الشيخ .**

ليس فى وسع المجلة تزويدكم بالكتب المطلوبة ، ويمكنكم الاتصال بمكتب فضيلة الإمام الأكبر مباشرة لبحث مطلبكم .

● **القارىء محمود حامد النابى ـ بكلية العلوم جامعة القاهرة .**

نشكركم على هذا التأييد ، وندعو الله ـ عز وجل ـ أن يجعل مسيرتنا فى خدمة المجلة خالصة لوجهه الكريم ، وأن يجعلها دائما عند حسن ظن قرائها

● **القارىء محمد عباس محمدين من الواسطى ـ أسيوط .**

الاعتماد على مثل هذه الكتب الدينية القديمة لا يخلو من القيمة ، فلم يكن هدف أصحابها تجاريا ، ولكن مما لاشك فيه أن المؤلف الذى يهتم بتخريج الأحاديث النبوية ويبين موقع الآيات القرآنية تكون له الأولوية فى الاهتمام .

● **القارىء مرسى محمد مرسى مجاهد بالزقازيق**

نشكركم على اهتمامكم بمجلتكم «الأزهر» وسوف ترون مبلغ الاهتمام بها يتزايد بمشيئة الله .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين / عـمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يطالب بإظهار مبادىء الإسلام فى جميع البحوث

● طالب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق .. شيخ الأزهر الشريف -فى افتتاح الدورة التدريبية التى ينظمها المركز السكانى وكلية طب الأزهر - العلماء والباحثين بإبراز مبادىء الإسلام فى جميع بحوثهم مؤكداً أن الإسلام حث على العلم والتعلم .

فضيلة شيخ الأزهر الشريف يقول لدعاة العالم الإسلامى مصر والأزهر الشريف سيواصلان العطاء لخدمة العالم الإسلامى

أكد فضيلة الإمام الأكبر أثناء لقائه بجميع العلماء المشاركين فى الدورة العالمية الرابعة والعشرين للتدريب على الدعوة الإسلامية - أن كل من فى مصر وجميع العاملين بالأزهر الشريف يسعون إلى أن يأتى إلى مصر طلاب العالم ليدرسوا فى الأزهر الشريف ثم يعودوا إلى بلادهم بحقائق الإسلام وشريعته السمحة ؛ ليـــنشروا ذلك ويكونوا خير شهود على عطاء الأزهر ومصر للإسلام والمسلمين فى كل مكان بالعالم وخدمة قضايا الأمة بأسرها .

شيخ الأزهر الشريف يستقبل وفد جامعة كازاخستان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفد جامعة كازاخستان بجمهورية تتارستان الإسلامية برئاسة د. يوسف روزال .

وتناول اللقاء سبل دعم العلاقات بين الأزهر والجامعة وشئون المسلمين هناك .

زار الوفد فرع جامعة الأزهر بالاسكندرية ، وبعض المناطق الأثرية .

شيخ الأزهر الشريف يبحث أحوال المسلمين فى تايلاند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه الشيخ حسن شمس الدين رئيس وفد تايلاند والوفد المرافق له ، واستعرض مع الوفد أحوال المسلمين

ونشاطهم فى تايلاند حيث أقامت لهم الدولة مركزاً إسلامياً كبيراً تكلف نحو ٣٢ مليون دولاراً .

وطالب الوفد بزيادة المنح الدراسية ومعادلة الشهادات الدراسية لطلاب تايلاند بالشهادات الأزهرية ، وأن يمدهم الأزهر بالكتب والمناهج الدراسية ، ووعد فضيلته بتقديم كل عون لبلادهم .

توقيع اتفاقية للتعاون العلمى بين جامعتى الأزهر وقازان

وقعت جامعة الأزهر الشريف اتفاقية للتعاون العلمى والثقافى مع جامعة قازان بجمهورية تتاراستان تشمل المجالات العلمية وبخاصة فى الطب والزراعة والعلوم .

وتقضى بتقديم عشر منح دراسية لطلاب جامعة قازان للدراسة بجامعة الأزهر الشريف وإنشاء مدرسة للغة العربية بالجمهورية .

الرئيس يكرم حفظة القرآن الكريم

شهد الرئيس محمد حسنى مبارك احتفال مصر بليلة القدر وذلك يوم الثلاثاء الموافق ٢٦ رمضان ١٤١٤هـ - ٨ مارس ١٩٩٤م بقاعة الاحتفالات بجامعة الأزهر بمدينة نصر .

تضمن الاحتفال تكريم حفظة القرآن الكريم فى المسابقة الدولية التى نظمتها مصر برعاية الرئيس مبارك باشراف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خلال النصف الثانى من شهر رمضان المعظم .

شهد الحفل فضيلة الإمام الأكبر والأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء وفضيلة الدكتور وزير الأوقاف وعدد كبير من السادة الوزراء ولفيف من علماء الأزهر والأوقاف وقيادات الدعوة الإسلامية بمصر والعالم الإسلامى .

وعقب الحفل تلقى الرئيس مبارك اتصالا هاتفياً من سمو الشيخ زايد أعرب فيه عن تقديره للرئيس مبارك والكلمة التى ألقاها سيادته فى الحفل ، وبحفظة القرآن الكريم حيث أبلغ السيد الرئيس قراره برعاية المسابقة فى العام القادم - إن شاء الله .

بيان من الأزهر الشريف يدين حادث الحرم الابراهيمى

أصدر الأزهر الشريف بياناً أدان فيه حادث الاعتداء الآثم الذى وقع صبيحة يوم الجمعة الموافق ١٠ رمضان ١٤١٤ هـ والذى راح ضحيته عدد كبير من المصلين بساحة الحرم الإبراهيمى .

وقد دعا الأزهر الشريف فى بيانه أئمة المساجد ورجال الدعوة فى مصر كل فى موقعه أن يقيموا صلاة الغائب على أرواح الشهداء .

أكد البيان على أن هذا العمل لا تقره شريعة من الشرائع السماوية ولا القوانين الوضعية أو الأعراف البشرية السوية - مشيراً إلى أنه إذا دل على شىء فإنما يدل على الوحشية والتجرد من الإنسانية والانفلات من كل القيم والعاطفة الطيبة التى ترعى عباداً خشعوا لله ساجدين بين يدى الله - عز وجل - .

شيخ الأزهـــر يعتب على النمسا لمنحهـــا جائزة لآيات شيطانية

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر فى تصريح خاص لأخبار الأدب أن الأزهر بكل علمائه ، وهيئاته ، وطلابه يعتب على حكومة النمسا ؛ لمنحها جائزتها للأدب الأوربى للكاتب العابث سلمان رشدى عن كتابه الماجن « آيات شيطانية » . وقال : إن الأزهر كان يأمل فى النمسا أن تراعى ـ وهى دولة لها صداقاتها مع الدول الإسلامية ـ هذه الصداقة ومصالحها مع الدول العربية والإسلامية .. وكان عليها أن تدرك أن هذا الكتاب ومؤلفه يوجهان السهام الكاذبة الغادرة والحاقدة إلى العقيدة الإسلامية وإلى القرآن الكريم . وأن الديانة الإسلامية ديانة عالمية من المفروض أن تحترم من دولة النمسا وهى الدولة المحايدة مما يدعو الأزهر الشريف إلى الأسف الشديد إزاء هذا التصرف .

كما أدان المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة تصرف حكومة النمسا ومنحها هذه الجائزة لمؤلف هذا الكتاب الذى يشوه الإسلام عن عمد ويسىء إلى سمعة المسلمين فى العالم . كما أنه يسىء إلى مشاعر المؤمنين فى جميع الأديان السماوية فى العالم ويتطاول ببذاءة وإسفاف على رسول الله وعلى قيم ومبادىء الإسلام الروحية والإنسانية .

وصرح توفيق الشريف مدير عام المجلس أن تصرف حكومة النمسا يعد تصرفاً مشيناً خاصة فى هذه الظروف والدليل على ذلك أنه تقرر عرض تسليم الجائزة لسلمان رشدى علناً أو سراً على مجلس الوزراء النمساوى . وأضاف أن المجلس يرى فى اختيار لجنة التحكيم لهذا الكتاب كنموذج للأدب الأوربى المعاصر صدمة تستفز المشاعر وخاصة أن نصوص الدستور النمساوى ذاتها تحرم التطاول على الأديان مما يحتم علينا المطالبة برفض منح الجائزة لهذا الكاتب وسرعة تقديم التوضيح فى هذا الشأن بسفارات النمسا بالدول الإسلامية .

نص بيان الأزهر الشريف حول مسلسل (العائلة)

الأزهر ـ مكتب الإمام الأكبر شيخ الأزهر :

جرى اتصال تليفونى بين السيد الأستاذ/ محمد صفوت الشريف وزير الإعلام وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، بخصوص ما أثير حول هذا المسلسل ، وقد أوفد السيد الوزير إلى الأزهر الأستاذ/ ممدوح الليثى ومعه أجزاء من سيناريو هذا المسلسل .

وقد تداولت لجنة البحوث الفقهية بمجمع البحوث الإسلامية ـ فى جلستها يوم الخميس ٢٨ من رمضان سنة ١٤١٤ هـ ، الموافق ١٠ من مارس سنة ١٩٩٤ م ـ هذا الموضوع فى حضوره ، وأوضحت حكم النقاط التى أثارها هذا المسلسل (عذاب القبر ـ البنوك الإسلامية ـ توفير المساجد وعلمائها ، وغير ذلك) .

كما اتضح أن أصل هذا المسلسل عرض على الأزهر من جهة رسمية أخرى غير وزارة الإعلام ، وأبديت بعض الملاحظات عليه ، وكان المظنون أن هذه الملاحظات أبلغت إلى جهات التنفيذ ، ومن بينها التليفزيون ، لكن الأستاذ/ ممدوح الليثى أبدى أن ملاحظات الأزهر الشريف لم تصل إلى التليفزيون ، وقد وافق على أن يراعى عند عرض فكر غير صحيح إسلاميا أن يكون الرد عليه مباشرا ، وفى ذات الحلقة .

وأضاف أنه سيخصص حلقة لتصويب كافة الأخطاء التى أثيرت فى جلسة هذه اللجنة ، وغيرها مما قد يستظهر من حلقات هذا المسلسل فى باق الحلقات ، وأن تذاع هذه التصويبات قبل انتهاء شهر رمضان .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

استراليا

وافق مجلس جامعة «ميلبورن» باستراليا على إنشاء صحيفة متخصصة لرعاية شئون المسلمين بالقارة الاسترالية ، كما قرر المجلس تعيين الدكتور عبدالله سعيد رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية بالجامعة مشرفا عاما على إصدار تلك الصحيفة ، والجدير بالذكر أن عدد المسلمين فى استراليا تجاوز الربع مليون مسلم .

البرازيل

عُقد فى البرازيل مؤخراً المؤتمر الأول للدعوة الإسلامية وذلك فى مدينة « سان باولو » وشارك فى المؤتمر مليون مسلم من أمريكا اللاتينية وأوربا واستراليا وافريقيا بالإضافة إلى ثلاث جمعيات ومركز إسلامى فى البرازيل حيث تم بحث عدد من قضايا العمل الإسلامى فى تلك البلاد ، وأكد المؤتمرون على الصبغة العالمية والحضارية للدين الحنيف .

الكويت

أصدر وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت قراراً بإنشاء إدارة للإفتاء والبحوث الشرعية وتهدف إلى أن تكون هى المصدر الوطنى المعتمد لإبداء الرأى الشرعى للقضايا العامة والخاصة التى تهم الأفراد والمجتمعات .

ومن أخبار الكويت أيضاً أن اللجنة النسائية بجمعية إحياء التراث الإسلامى بالكويت تقوم بإجراء مسابقة فى البحث العلمى وقد تحدد يوم ٢٨ من ذى الحجة من هذا العام كآخر موعد لتسليم البحوث التى سيتم مناقشتها وإعلان الفائزين بجوائزها فى الثانى عشر من صفر القادم .

الكويت

كما يُعقد فى الكويت مؤتمر عالمى تحت عنوان التعليم وأثره فى التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية ، ويبدأ المؤتمر يوم السبت ٢٣ من أبريل القادم ، ويشارك فى أعماله نخبة من علماء التربية وخبراء التعليم بالدول الإسلامية والعربية ، ويمثل مصر فى المؤتمر كل من عميدى كلية التربية بجامعتى الأزهر وعين شمس ..

الهند

عُقدت فى الهند مؤخرا ندوة دينية فى مدينة (حيدر أباد) نظمها المجلس الإسلامى الهندى حول حقوق الأقليات فى الهند ، ورأس الندوة السيد محمد عبدالرحيم قريش رئيس المجلس الإسلامى الهندى ، هذا وللمجلس المذكور جهود مشكورة فى دحض أباطيل الهندوسية الفاسدة ومقاومة عتاة السيخ .

الاحتفاظ بالمركز الأول للسنة الخامسة على التوالى

حصلت مدرسة المنار بالقاهرة التابعة لادارة مدينة نصر التعليمية على المركز الأول فى حفظ القرآن الكريم على مستوى الجمهورية وذلك للمرة الخامسة على التوالى ، وكان أول الفائزين من الذكور التلميذ عمرو محمد سليمان ، ومن الإناث : التلميذة دينا عصام الدين .

تكريم الجالية الإسلامية بالبرازيل

قرر المجلس المحلى لإحدى مدن ولاية سان باولو البرازيلية تخصيص أسبوع من شهر نوفمبر من كل عام لتكريم الجالية الإسلامية هناك ، حيث تقام الحفلات وتُعقد الندوات خلال هذا الأسبوع إلى جانب إلقاء محاضرات للتعريف بالإسلام والمسلمين ويأتى القرار تكريماً للدور الإيجابى الذى تقوم به الجالية المسلمة فى البرازيل فى إصلاح المجتمع ونشر القيم والأخلاق الفاضلة التى يدعو إليها الدين الحنيف .

من أخبار الحج

أعلن وزير الأوقاف ورئيس بعثة الحج الرسمية أن الرئيس حسنى مبارك أعطى توجيهات واضحة بالحفاظ على راحة ومظهر كل حاج مصرى وأن تكون صورة حجاج مصر هى الصورة المثلى لحجاج العالم الإسلامى ، مع ضرورة الالتزام بالقواعد المتفق عليها مع السلطات السعودية ، جاء ذلك فى خلال الاجتماع الأول لكبار مسئولى بعثة الحج الرسمية الذى حضره الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر والدكتور حسين رمزى كاظم رئيس الجهاز المركزى للتنظيم والإدارة والسفير أحمد الغمراوى القنصل المصرى العام فى جدة وقيادات وزارات : الداخلية والسياحة والصحة والإعلام والشئون الاجتماعية والنقل البرى ومؤسسة مصر للطيران ؛ وذلك لإعانة ضيوف الرحمن على أداء فريضة الحج ، هذا وتم استئجار مقر موحد لبعثة الحج .

انتبهوا ..

تقرر الإثنين ٢٨ من مارس أن تبدأ القناة الجديدة باللغة العربية بتليفزيون « هيئة الاذاعة البريطانية » وذلك فى غضون بضعة أشهر من هذا العام ، وسيقتصر البث فى البداية على ست ساعات فى قمة ساعات المشاهدة فى الوطن العربى من الخليج إلى المحيط ، وسيمدد البث إلى ٢٤ أربعة وعشرين ساعة ، وذلك بحلول نهاية العام الحالى والمثير فى الأمر أن البث التليفزيونى الجديد سينحو منحى هيئة الإذاعة البريطانية باللغة العربية فى تقديم البرامج ، والتى تعتمد فى استراتيجيتها العامة على طمس كل ما هو إسلامى ؛ خصوصاً فى مجال الشباب حيث يُقدم للشباب برامج طويلة تهتم بأمور هامشية كالأزياء والموضة والكرة ، كما تتعمد هدم العروض الشعرى للقصيدة العربية . أما فيما يخص المرأة فهى تحاول جاهدة إذابة الحواجز والفروق الفطرية المتعارف عليها بين الرجل والمرأة ، وهو ما يمثل خطراً حقيقياً ينبغى الاحتراز منه .

ponsable de la sécurité de sa communauté ; mais il était aussi chargé de combattre la corruption au sein de la société, de faire prédominer la vertu, de faire en sorte que les vices disparaissent et cela en punissant sévèrement ceux qui violaient la loi.

On rapporte que 'Omar Ebn Al Khattab a dit : "Si un berger, au bord du Tigre ou de l'Euphrate, perdait un mouton, j'aurais peur qu'Allah ne m'en demande des comptes pour ne l'avoir pas gardé". A maintes reprises et en différentes circonstances, on vit le calif Omar pleurer de peur de ne pas s'être acquitté parfaitement de la charge que la communauté lui avait confiée. Sous le califat de 'Omar, les guerres d'expansion (Al Foutouhat) que les armées musulmanes ont engagées ont gagné en trois combats décisifs :

— La bataille d'Al Qâdissiya qui a ouvert aux musulmans les portes de l'Irâq.
— La bataille de Babylone qui a ouvert les portes de l'Egypte et de la Lybie.
— La bataille de Nihawand qui ouvrit devant les musulmans les portes de la Perse.

Si nous essayons de résumer l'oeuvre de 'Omar nous devons noter qu'il fut le premier à avoir marqué par l'Hégire le début du calendrier musulman. Il fut également le premier à réunir les Musulmans pour l'accomplissement des assemblés des prières nocturnes des "Tarawihs" durant le mois de Ramadan. C'est lui qui a veillé à l'agrandissement de la mosquée sacrée de la Ka'ba; il fit consolider ses murailles pour qu'elle ne soit plus inondée. De même, il veilla à l'exécution de travaux semblables au sein de la mosquée du prophète salut et bénédiction sur lui à Médine.

Il a été le premier à former un corps de magistrats indépendants, à affréter des bateaux pour traverser la Mer Rouge et à instaurer un service de semblable à la police pour assurer la sécurité des citoyens. Il a aboli l'esclavage dans toute l'Arabie, a fait frapper une monnaie musulmane et a fait de l'événement du Hadj, une sorte de Congrès annuel où il rencontrait tous ses auxiliaries afin que ces derniers lui rendent compte des affaires des Musulmans et des problèmes régionaux.

Il a organisé l'armée Musulmane et a contribué à former les garnisons. Il a doté le trésor de l'Etat (baït el mal) d'un responsable et d'un système bien structuré. Il a instauré le principe du conseil de la délébération (Al-Choura) qui fut mis en application pour l'élection du calife qui devait lui succéder (Othman Ebn Affan) Omar a été dans l'histoire de l'Islam un modèle légendaire de dévotion. Il donna une structure, une administration au nouvel Etat islamique si bien que ses successeurs craignaient que la conduite de Omar ne porte ombrage à tous les gouverneurs qui en effet allaient lui succéder. En effet il est difficile d'imiter les grands hommes et de leur ressembler et il est même impossible de leur rendre les hommage qu'ils méritent.

Nous implorons Allah de bénir 'Omar Ebn Al Khattab et de le récompenser pour tout le bien qu'il a fait pour la communauté musulmane.

Hoda Hussein Cha'raoui

“Omar Ebn al Khattab

Le farouche défenseur de la religion Islamique

Le prophète — salut et bénédiction sur lui — a dit: “Le premier homme qu'Allah saluera le jour de la Résurrection sera “Omar; et il sera le premier à qui Allah tendra la main pour le faire entrer au Paradis”.

La personne de “Omar Ebn Al Khattab occupe une place toute particulière dans la mise en place des structures del'Etat islamique. Car, si le calife Abou Bakr-qu'Allah soit satisfait de lui — a posé les fondations de l'Etat en sauvegardant son intégrité face aux apostats, le calife “Omar”, lui a érigé sur ces fondations la structure de ce qui devait être plus tard l'Etat islamique.

Omar Ebn Al Khattab faisait partie de cette élite de la tribu de Quoraïch qui savait lire et écrire; ce qui lui donna une ouverture d'esprit. Il était réputé pour sa vigueur et sa sévérité mais, c'était aussi un sage qui surprenait par son calme et sa lucidité. Son fils Abdallah a raconté que son père était grand chauve et avait la peau claire. Sa voix était sonore et puissante. Bref, c'était un homme qui inspirait le respect et la crainte.

Guidé par la lumière d'Allah dans toutes ses démarches, il était sans cesse tendu vers l'Eternel. C'est ainsi que les opinions de Omar ont été approuvées par son Seigneur dans le Coran et cela en trois endroits au sujet du port du voile par les femmes, au sujet des captifs mécréants pris dans la bataille de Badr et au sujet de la station d'Ilrahim.

De plus ‘Omar a rapporté cinq cent trente neuf Hadiths du messager d'Allah. Il a insisté pour que l'on apprenne la langue arabe et que l'on codifie les règles de grammaire. Ainsi il a dit: “La pire des écritures est celle qui est difficile à déchiffrer. La pire des façons de lire, est celle de celui qui lit très vite et la meilleur écriture est celle qui est lisible.” ‘Omar éprouvait une passion pour toutes les sciences utiles à l'homme et il recommandait aux Musulmans d'apprendre les sciences de leur époque et d'en tirer profit pour leur bien-être. De son vivant, le prophète-salut et bénédiction sur lui-le nomma (Al Farôuq) désignant par ce terme (cette appellation) l'homme qui sait distinguer le vrai du faux. Il fut également le premier qui a porté le titre de “Amir al mou'minine” ou prince des croyants.

La justice sous son alifat connut son âge d'or, justice vécue et mise en oeuvre pour protéger aussi bien les droits des musulmans que ceux des non-musulmans. Il était res-

Au nom d'Allah, le Miséricordieux, plein de miséricorde

La Sourate "Al Fatiha"
(d'après Al Montakhab pour l'exégèse du Coran)

par Docteur Rokeya Gabr

C'est une sourate mecquoise qui fut révélée à la Mecque avant l'Hégire. Elle fut nommée "Al Fatiha", (i.e. la Luminaire) car c'est la première des sourates contenues dans le Coran sacré. C'est aussi la première sourate qui fut révélée intégralement. Elle renferme l'ensemble des idées contenues dans le Coran, comme si c'était un résumé d'ensemble qui sera suivi des détails.

Le Coran vise à mettre en évidence l'unicité d'Allah, la promesse et l'annonce de la bonne nouvelle au croyant qui accomplit de bonnes actions, la menace et l'avertissement à l'incroyant et au pécheur, le culte, la voie du bonheur en ce monde et dans celui de l'au-delà, le récit de ceux qui ont obéi et ont donc gagné et les récits de ceux qui ont désobéi et ont donc perdu.

"Al Fatiha" renferme, avec concision et par allusion, tous ces buts... c'est pourquoi elle fut appelée "Om Al Kitab" (ou la Mère du Livre).

1. Elle commence par le nom d'Allah qui seul a droit "à notre adoration, qui est qualifié de toutes les perfections qui est au dessus de tout manque Il détient la Miséricorde et Il octroie les bienfaits des plus grands aux plus petits, des généraux aux plus particuliers. Il est qualifié de la Miséricorde permanente.
2. Toutes les formes de la plus belle louange, et en toutes circonstances à Allah l'Unique. nous Le louons de toutes les louanges car Il est celui qui a créé toutes les créatures et qui en a la charge.
3. Il est le détenteur et la source de la Miséricorde permanente, Il octroie tous les bienfaits des plus petits aux plus grands.
4. Lui seul détient le jour de la Rétribution et du jugement et c'est le jour de la Résurrection. C'est Lui qui en décide et nul ne partage cette décision, même en apparence.
5. Nous n'adorons que Toi et nous n'implorons assistance qu'auprès de Toi.
6. Nous Te demandons de nous guider vers la voie de la vérité, du bien et du bonheur.
7. C'est la voie de Tes serviteurs que tu as guidés vers la foi en Toi, à qui Tu as octroyé le bienfait d'être bien guidés et satisfaits, et non de la voie de ceux qui ont mérité Ta colère ni de ceux qui se sont égarés du chemin de la vérité et du bien car ils se sont détournés de la foi en Toi et ont refusé Tes enseignements.

Rokeya Gabr

REVUE
AL AZHAR

Vol. 66, Part XI
Zil Keida, 1414 Hijrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

d. She has completed her iddah (waiting period) which usually follows the divorce.

It is clear then that the object of laying down such a rule is to prevent a definite resolution of marriage by appealing to the sense of honur of the people.

PROTECTION :

It is to be remembered that Islam has not neglected the wife's right of dissolution of the contract, which may be stipulated at the time of marriage to be with the wife instead of with the husband if necessary. The wife may also, by stipulation, reserve to herself the power of dissolving the marriage under certain legitimate circumstances, for example, if the husband marries a second wife. Nevertheless, Islam allows the woman to bring her case before justice if she believes that by marrying another wife her husband has sought to injure her.

In the event of a divorce, Islamic Law is very particular in providing for the protection of the wife's property against the avarice of the husband. If the divorce is due to a cause imputable to the husband, he has to give over to her all her property and pay off the dowry that had been settled upon. If, however, the divorce has been resorted to at the instance of the wife without any justifiable cause, she has simply to abandon her claim to the dowry.

When the waiting period of the divorced woman expires, it is absolutely forbidden for the husband, the guardian or any other person, to prevent the woman from marrying the person whom she likes. It is also against Islam to prevent the couple from returning to each other if the husband still enjoys the right of return, or the right of remarrying her :

> "When you divorce women and they have reached the end of their waiting period, do not prevent them from marrying their husbands if they have come to an honourable agreement. This is enjoined on every one of you who believes in Allah and the Last Day; It is most honourable for you and more chaste. Allah knows, but you do not know." (Sura 2:232).

It was reported that the verse quoted above was revealed in respect of a case in which the guardian prevented his sister from returning to her former husband who asked to marry her again after the expiry of the waiting period. Ma'qil Ibn Yasaar narrated :

> "I married my sister to a man who divorced her one repudiation. But after the expiration of her waiting period he came to remarry her. I refused and told him : despite the fact that I married her to you, furnished your house and was generous to both of you, you divorced her. Consequently, you shall never be permitted to return to her any more, even if she wants to return to you. "Ibn Yasaar went on : 'When the verse (2:232) was revealed, the Prophet sent for me and recited it before me. I surrendered to Allah's will and remarried her to her former husband."

By : Muhammed Higab

PROBATION :

During the period of probation and as long as divorce is not final, marriage subsists between the parties, and the husband retains his marital authority over his wife. He may have access to her as his wife, but this actually amounts to his exercising the right of return.

It should be born in mind that during Iddah (waiting period), the husband is under legal obligation to lodge his wife in his house, though in a separate room or apartment as the case may be, and maintain her. The law of the Qur'an is quite clear on this point.

> "Prophet (and believers), when you divorce women, divorce them at their appointed time. Compute their waiting period and have fear of Allah, your Lord. Do not expel them from their homes or let them go away unless they commit a proven crime. Such are the bounds set by Allah : he that transgresses Allah's bounds wrongs his own soul. You never know : after that Allah may bring to pass some new events.
>
> When their waiting period is ended, either keep them with kindness or part with them honourably. Call to witness two honest men among you and give testimony before Allah." (65 : 1-2).

If the husband has pronounced one or even two repudiations, and if within the presecribed period he abstains from intercourse with his wife and does not exercise the right of return on the repudiated wife, he loses the power of recantation at the expiration of the term, and complete cessation of the marital rights and duties takes place. If the parties wish to return to each other after the expiry of the waiting period in which not more than two repudiations have been pronounced, a fresh marriage of new contract, dowry and witnesses is necessary for the couple to reunite.

It is obvious that the very spirit of the prescribed traditional form of repudiation is towards the revocation of divorce and the reconciliation between the parties concerned.

If, however, the parties fail to take advantage of the prescribed interim and are determined to break from each other, the husband may pronounce the repudiation for third time and this dissolves the marriage definitely.

The divorced woman, as already pointed out, is forthwith rendered unlawful to him, and he cannot remarry her unles :

a. She married another person by a valid and binding contract.
b. Her marriage to the second husband has been consummated.
c. She is thereafter divorced of his own free will.

(C) Onomatopoeia

Onomatopoeia is one of the main characteristics of Quranic style. The following example will suffice :

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾	**Say : "I take refuge with the lord of men,**
مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ	**The king of men, The God of men,**
﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ	**from the evil of the slincking whisperer**
ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ	**Who whispers in the breasts**
﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾	**of men of Jinn and men"**

The predominant sound in this Surah is clearly, the hissing or whispering of the sibilant consonant "S", which is particularly appropriate to the image conveyed — that is of "speaking whisperer who whispers in the heart of men". Out of the several translations consulted, Arberry's (quoted above) comes closest to reproducing the effect of the lexical and structural repetitions of the original. However, the sinister whispering or hissing quality of the "S" sound repeated ten time in that short Surah, including five occurrences in the word ٱلنَّاسِ is not matched by the sound evoked by the "M" s or "N" s in "men".

أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ / وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ (19:4,48)

وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا (19:32)

Pickthall :	unblest	Pickthall :	unblest
Y. Ali :	unblest	Y. Ali :	miserable
Arberry :	unprosperous	Arbery :	unprosperous
Asad :	unanswered	Asad :	bereft of grace
Khatib :	unfortunate (ill-fated)	Khatib :	mischievous

In verses (4) and (48) the word. (شَقِيًّا) according to Qurtubi and other exegetes means "unanswered". In verse (32), however, «شَقِيًّا» means someone bereft of goodness.

3. The Phonic Aspect of the Qur'an

One of the most difficult aspects of the Quran that pose great problems to translators is the phonic aspect. Quran means recital, it therefore needs to appeal to the ear as well as to the intellect. The oral nature of the Quran however goes beyond euphony : the significance of the revelation is carried as much by the sound as by its semantic information. Transferring the meaning into other linguistic codes break this strong unity between form and content and produces a version which seems to the natives speaker of the original completely alien to his. We shall there fore, discuss some of the sound effects used in the Quran such as rhythm and stress patterns, rhyme and onomatopoeia to show how this aspect is mainly lost in translation.

a) Rhythmic and stress patterns

The emotive and evocative qualities of the Quranic text are closely associated with their rhythmic and stress patterns. These qualities, as Arberry (1953:27) put it, "disappear almost totally in the skilfullest translation". The following example is taken from a short Sura in which stress, a strong dynamic element giving the verse force and beauty is clearer. The following translation is rendered by Arberry :

فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾
وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

As for the orphan, do not oppress
him and as for the beggar,
scold him not; and as for thy lord's blessing, delcare it.
(93:9-11)

It is noticeable in this example that the strong stress falls at more or less equal intervals, thus creating regular rhythmic patterns which cannot be matched in translation.

(b) Repetition of sounds :

Repetition of sounds in rhymes and assorances, and the repetition of words, phrases, refrains and even some ideas which recur through out the book are features of the phonic aspect of the Quran. Example of rhyme in the Quran will be given here with the translation rendered by Arbery who has paid great attention to preserve rhyme or the sound quality in general though he was not quite successful.

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾
فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾

By the shorting charges
by the strikers of fire,
by the dawn-raiders
(100:1-3)

Translation Difficulties and the Translators compared

by : Mona Salem M.A.

Translation difficulties

This part studies some of the particular characteristics of the Qur'anic text which renders its translation to be a difficult task.

1. Various Interpretations of the Quran :

Sacred writings such as the Bible and the Quran on which the world's great religions are fourded, and on whose teachings delicate morals and theological issues are based, pose particularly difficult problems of interpretation. Some verses of the Quran bear more than one meaning which is given by the exegesis. Therefore, translators have either to depend on the endeavours of one exegete solely all through, or to be selective. This could give rise to varied renditions which can be quite disconcerting to the English reader interested in consulting several translations which rely on different exegeses. We shall take the following example:

(19:24) فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ

Pickthall : Then (one) cried unto her from below her

Y. Ali : But (a voice) cried to her from beneath the (plam-tree) :

Arberry : But the one that was below her called to her.

Asad : Thereupon (a voice) called out to her from beneath that (palm-tree) :

Khatib : Then one below her called to her

Some commentators state that the expression "min/man tahtiha" refers to a voice which could be either Jesus' or Gabriel's, coming from beneath Maryam. Qurtubi (xi-xii 4133) and Zamakhshari (iii, 9) state that the voice calling from beneath Maryam is Gabriel's for Jesus did not speak until later on. Tabari (xiv, 52) on the other hand, proclaims that the pronoun in refers to the palm tree. These different interpretations gave rise to the varied renditions above mentioned.

Hence, when the translations differ flagrantly in meaning this indicates variant interprelations of the original due to either theological or linguistic aspects, but if they differ in marginal, subtle points it may be due to in efficiency of the translation. Indeed, such a plurality of rendering of the same source text does not only prove the difficulty of the translator's task but is also an implicit evidence that each of these translations cannot be the most accurrate representation of the original.

2. Rich Vocabulary :

The Quranic language owes its power not only to structure and sound but also to the rich vocabulary used. The existence of such words in a text creates an air of solemnity and elevates the style abave that of ordinary language. Translators mostly use words which do not have the same effect created by the original.

Note the use of the word تَسْقِيًا، in the following instances and compare it with the various translations :

When asked to lift the arms' embargo, the U.N. just states
That Moslem buying weapons to defend their homeland would create
More warfare, then they send their envoys to negotiate
And to debate the torn and violated Bosnians' fate.
They fly here, there and everywhere, discuss the destiny
of rictims dying of thirst, hunger, torture, rape and agony.

★ ★ ★ ★

And ne'er before have the aggressors in all history
Been tolerated, may have been encouraged in their tyranny.
Where is the conscience of the world before such vile enormities ?
The crimes committed have surpassed all history's known atrocites,
And have exceeded Vandals', Huns' and Tartars' fierce barbarity.
As in blood thirsty genocide, they slaughter ruthlessly.

★ ★ ★ ★

Hail Sarajevo, hail Mustar, hail every gallant town,
That has defied the fierce and savage siege that you surrounds!
Though all your land has now become a deadly battleground,
Your valour and your fortitude, the whole world do astound.

★ ★ ★ ★

And midst blood, death and fire ablaze, defending your belief,
Armed with the justice of your cause, you stand firm in your faith.
Undaunted you refuse defeat, and with your dying breath,
You swear that you will ne'er give in. 'Tis victory or death.

★ ★ ★ ★

Spite all the horrors and the terrors, it is our belief
That after all these trials and these ordeals will come relief.
And that the day shall come when Bosnia shall its rights regain.
Then its brave nation shall return to its homeland again,
And all the base attempts to stem Islam's strong surging tide
Shall fail, and by its flood be drowned and shall be swept aside.

AN ELEGY

ON THE CONSCIENCE OF THE WORLD

By : Thoraya Mahdi Allam

Hail Bosnia Hertzegovena, hail martryed Moslem land !
You are the living proof how firm and stead fast Moslems stand
A vile and base conspiracy, against you, has been made
By the so called "Great Powers" who have their own laws betrayed

* * * *

In disillusion unto the United States we say :
Where is the New World Order of which you boast every day ?
Is international legitimacy just reserved
For countries where your interests and benefits are served?

* * * *

Has the proverbial "justice" for which Britain is so famed
Become a public mockery, dishonoured and thus shamed ?
France, champion of equality, fraternity and liberty
Her motto disregards and overlooks Serbian brutality.

* * * *

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66 Part XI

Zil Kei'da, 1414 Higrah — April, 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

1. **An Elegy on the conscience of the world.**
   By : Thoraya Mahdi Allam.
2. **Translation Difficulties**
   By : Mona Abdel Ghaffar Salem.
3. **Divorce**
   By : Muhammad Hijab.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس

● الافتتاحية : حفظ الله مصر
لفضيلة الدكتور / على أحمد الخطيب ١٦٠٩

● بيان مجمع البحوث الإسلامية
بشأن الأقلام النشاز والأقلام الملتوية ١٦١٣

● بيان المجلس الإسلامى للدعوة والإغاثة
بشأن منح كتاب آيات شيطانية جائزة ١٦١٦

● مع الإمام الأكبر
ـ القرآن فى مجال التربية الأخلاقية ١٦١٨
ـ فتوى فى حكم صرف الزكاة إلى
الأجير الخاص وإلى الجمعيات ١٦٢٥
ـ تحذير من رفع المقاطعة العربية لإسرائيل . ١٦٢٧

● الإمام الأكبر فى فتاويه الفقهية
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ... ١٦٢٨

● مع سورة الأنفال
لفضيلة الدكتور / عبد الجليل شلبى ١٦٣٤

● من سورة البقرة
للشيخ / أحمد بن محمد طاحون ١٦٣٩

● القرآن والتربية الأخلاقية
للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم ١٦٤٣

● الرسول ﷺ يتعوذ من عذاب القبر
لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم ١٦٤٨

● المبشرون بالجنة
للشيخ / عبد الحفيظ فرغلى قرنى ١٦٥١

● حرمان المرأة من الميراث
للأستاذ / رفعت محمد طاحون ١٦٥٦

● المخدرات بين التحريم والتجريم
للمستشار / السيد خلف محمد ١٦٥٩

● معالجة مشكلة البطالة
للدكتورة / سهير حسن عبد العال ١٦٦٨

● أزمة الحضارة العالمية والبديل الإسلامى
للدكتور / عبد الله نجيب محمد ١٦٨٠

● علاقة مصر بالجزيرة العربية
للأستاذ الدكتور / محمد محمد زيتون ١٦٨٥

● الفتـاوى
إعداد الأستاذ / عبد المنعم فودة ١٦٩١

● الشعر والشعراء
إشراف الأستاذ / رشاد يوسف ١٦٩٤

● من روائع الماضى
تقديم / عبد الفتاح حسين الزيات ١٦٩٩

● العلامة إبراهيم الجبالى (٢)
للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى ... ١٧٠٢

● طرائف ومواقف
للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ١٧٠٨

● التطور وأصل الإنسان
للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا ١٧١٠

● اكتشاف سرعة أكبر من الضوء
للدكتور / عبد الرحمن أحمد السمان ١٧١٥

● الجديد فى العلم
للدكتورة / نجوى السيد أحمد ١٧٢٢

● طبعة مشوهة من تفسير النسفى ١٦٢٦

● الإسلام بين الشرق والغرب
عرض وتقديم الأستاذ / عادل خفاجة ١٧٢٨

● ديوان «الإنسان فى الميزان» دراسة نقدية
للشاعرة / جليلة رضا ١٧٣٣

● الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ١٧٣٨

● بين المجلة والقارىء
للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد ١٧٤٣

● أنباء مكتب الإمام الأكبر
أ. عمر البسطويسى ، أ. مصطفى عبدالمجيد ١٧٥٠

● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير ١٧٥٤

● القسم الفرنسى ١٧٥٩
● القسم الإنجليزى ١٧٦٧

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور/ على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

• المراسلات/ باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٩٠٥٤٧٣

• الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

الإيمان
فى حماية الله وحده

جاء عن السلف : « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وَقَرَ فى القلب وصدَّقَهُ العمل » وتعنى هذه العبارة الشريفة أن الإيمان عزيز ، وأنه قيمة غالية ليس سبيلها الأمانى ، ولا شعارها المراءاة .

هذا الإيمان العزيز إنما يُعطَاهُ المشوق إليه بإخلاصه ، والساعى إليه بأسبابه ، ومن هنا كان العمل الصالح دليلا يدل عليه ، كما هو صِرَاط يهدى إليه .

كتب عُمر بن عبدالعزيز ــ رضى الله عنه ــ إلى عَدِىّ بن عَدىّ ــ رحمهما الله :

« إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسُنَنا ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان »

البخارى ــ كتاب الإيمان .

البخارى ــ كتاب الإيمان .

وآية الصدق فى الإيمان هى فى التسليم بالقرآن ، والحرص عليه ، والانصياع لهديه ، وحب رسول الله ﷺ وَتَمَثُّل سنته . روى البخارى ــ رضى الله عنه ــ بسنده إلى أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : قال النبى ﷺ : لايُؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين ، وعَنْه أن النبى ﷺ قال :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكرَه أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .. البخارى ــ كتاب الإيمان .

قال عَمَّار بن ياسر ــ أحد السابقين الأولين :

« ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك[1] ، وبذل السلام للعالَم ، والإنفاق من الإقتار[2] وعمار ــ رضى الله عنه ــ لا يقول مثل هذا عن رأى له ، لذا كان هذا الخبر فى حكم المرفوع ، ويصدقه حديث البخارى بسنده إلى عبدالله بن عمرو : أن رجلا سأل رسول الله ﷺ :

أى الإسلام خير ؟

قال ــ عليه الصلاة والسلام : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » ..

والمؤمن لانفاق فيه ، لذا كان إفشاؤه السلام يعنى إقرارُ أَمْرِهِ فى الناس ، لا مجرد التلفظ به ، فقوله المؤمن : « السلام عليكم » هو فى قوة الوعد ، وخلف الوعد نفاق .

والمؤمن أمين ، لذا كانت الأمانة من الإيمان . روى الإمام أحمد ــ بسنده ــ إلى أنس بن مالك قال : ماخطبنا نبى الله ﷺ إلا قال :

« لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لاعهد له »[3] ويلفت النظر فى الحديث كثرة تكرار رسول الله ﷺ له ؛ بيانا لقيمة الأمانة والعهد وأثرهما فى الإصلاح بين الناس .

---

(١) وذلك يعنى أن تريد من نفسك لغيرك ماتريد من غيرك لنفسك . أ هـ سندى .

(٢) أى الإحسان والكرم من ذى حاجة ، وذلك نهاية الثقة فى الله . أنظر فتح البارى ١/٧٧

(٣) مسند أحمد ٣/١٣٥

ولقد جَعَلَ هذا الدين الإيمانَ قيداً للغدر والفتك . قال الزبير بن العوام ــ رضى الله عنه ــ قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الإيمان قيدُ الفتك ، لا يفتك مؤمن » رواه أحمد .

وعلى ذلك ترى الإيمان حبا لله ورسوله ، وإنصافا للناس ونشراً للسلام بينهم ، ورفعا لمعاناة ذى الحاجة ، وأمانة وأمانا ووفاء بالعهد والوعد ، وقيدا للغدر والفتك ، ثم هو تسليم للقرآن ، وتمثُّل للسنة ، إلى تعاهد لبيوت الله ــ جل وعلا ــ فقد قال رسول الله ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ؛ فإن الله قال :

« إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ »(٤)

وبعـد :

فهذا شىء من الإيمان نعلم من خلاله شيئا عن المؤمن ، فليحذر امرؤٌ ــ مهما كان حاله ــ أن يصيب مؤمنا بأذى ، أو يَمَسَّهُ بسوء ، أو يدور بخلده أن ينال منه ؛ فإن المؤمن ــ كما تحدّثنا عن الإيمان ــ سِلْمٌ كُلُّه ، لا يحمل للناس إلا خيرا ، وهو ــ بطبيعة مايحمل من إيمان ــ لا يتوقع من الناس إلا خيراً ، وهو ــ بهذه الطبيعة ــ على فطرة تَنْأى به أن يستوثق منهم بحذر ، أو يُكن لهم سوء ظن ، أو يتوقع منهم خيانة ، وما أصدق وصف رسول الله ﷺ له بقوله :

« إن المؤمن غِرٌّ كريم » والْغِرُّ : هو من ينخدع إذا خُدِعَ ، أى سَهْلٌ خداعُه ، لكن ينبغى ألَّا نَنْسَى أن الله درعه ، وهو على العكس من الفاجر الذى يقول فيه رسول الله ﷺ :

« وإن الفاجر خَبٌّ لئيم » .. ولذا يتركه الله ــ تعالى لنفسه . رواهما أحمد فى حديث واحد .

ويبقى للمؤمن حق فى أعناق الناس ، رهيبٌ .. رهيبٌ جزاء من لم يؤده .. وحسبنا أن نتذكر فى مقام التخلى عنه ما لحق بالمسلمين من بعد سيدنا عثمان بن عفان ــ رضوان الله ــ تعالى ــ عليه .

روى أحمد ــ بسنده ــ إلى أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال : مَنْ أُذِلَّ عنده مؤمن فلم ينصره ، وهو قادر على أن ينصره ، أذله الله ــ عز وجل ــ على رءوس الخلائق يوم القيامة » .

د. على أحمد الخطيب

---

(٤) الآية الواردة فى الحديث من سورة التوبة ــ ١٨ ــ والحديث رواه أحمد

والذكرى تنفع المؤمنين

وحتى لا ننسى السبب فى ارتفاع الأصوات النشاز . والأقلام الملتوية ، وفتح النار على العقائد الإسلامية .

كتب الإمام الأكبر :

« إنه لمما يحسب لأمتنا الماجدة أن التدين كان سمة مركوزة فى نفوس المصريين منذ بداية التاريخ » .

« .... وما انفك الأزهر الشريف كعبة قصاد العالم الإسلامى لطلابه من مختلف الأصقاع ... تحقيقا لما أمر الله به فى كتابه المجيد » . ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (ســورة التوبة)

وشان الأزهر الشريف دراسة العلوم الإسلامية ، وتجلية حقائق الدين للناس فى الداخل والخارج ، وتقديمها لهم نقية ، سليمة ، خالية من التعصب المقيت والتطرف البغيض ، لأنه يتحرى الوسطية والاعتدال ، وهذا ما عرف به الأزهر ومؤسساته على امتداد تاريخه ، عن اقتناع بأن هذا الدين يسر ، وأنه لن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، مما يلقى على الأزهر أمانة حمل رسالة الإسلام إلى كل الشعوب ، والدفاع عنها ، وبيان أثرها فى تقدم البشر ورقى الحضارة .

وهذا قدر الأزهر ، أن يظل الحارس الأمين على القيم الإسلامية وعلى المقومات الثقافية لهذه الأمة ، وقد تأصل هذا لدى الشعب المصرى الذى يفزع إلى الأزهر الشريف فى كل ما يمس عقيدته الإسلامية وشريعته وأخلاقياته وهى المقومات الإسلامية التى قننتها الدساتير المصرية وما تفرع عنها من قوانين ولوائح فى مصر حتى انتهت إلى أن الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، ومبادىء الشريعة الإسلامية : المصدر الرئيسى للتشريع أهـ .

واقرا ــ فى افتتاحية ذى القعدة ١٤١٤ هـ الأهداف السبعة للعلمانية :

● إبادة معالم الإسلام من المسلم ، لأن الإسلام مصدر القوة الوحيد فى المسلمين .
● تشكيك المسلم فى دينه ، وغمز نبيه ــ عليه الصلاة والسلام ــ ..
● التلاعب بالقرآن ليبدو صحيحه غير جديد ، وجديده ليس بصحيح .
● تدمير أخلاق المسلم وإطلاق شهواته ؛ فإن بقاء المسلمين على أخلاق الإسلام كفيل بتمكينهم من نشر حضارتهم فى العالم بنفس السرعة التى نشروها بها سابقا .
● بث العلمانية بمدارس المسلمين لتساعد ــ فى القضاء ــ على الروح الإسلامية .

« انظر : تكلى ، زويمر ، جب » ... إن النجاح لتحقيق هذا الهدف إنما يكون نتيجة للنشاط التعليمى والثقافى العلمانى . زاد صموئيل زويمر بيانا فيما سماه « الهدم » فقال :

نعنى به انتزاع المسلم من دينه ، ولو بدفعه إلى الإلحاد .

● إبقاء الفرقة بين المسلمين وبينهم وبين العرب ؛ ليبقوا بلا قوة ولا تأثير .
● فرض مفهوم الفصل بين الدين والسياسة .

مع الإمام الأكبر

جاد الحق على جاد الحق

شيخ الأزهر

الحجاج وفد الله ـ عز وجل

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ :
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

نحمدك الله ونستعينك ، ونستهديك الخير والتوفيق فى القول والعمل ، ونصلى ونسلم على رسولك الأمين : محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

وبعد :

فهذه ورقة عمل ، أضعها بين يدى من كتب الله لهم حج بيته الحرام ، وأداء الركن الخامس فى الإسلام ، يسترشدون بها فى تأدية المناسك ؛ فى يسر الإسلام وسماحته ، امتثالا لقول الله سبحانه :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ .

أبتغى بها ثواب الله ــ تعالى ــ ورضوانه ، وصالح الدعاء فى مواطن القبول والإجابة من وفد الحجاج والعمار . الذين تفضل الله عليهم فأعطاهم سؤلهم :

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ، فَإِنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ . وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ الْعَظِيمِ .

□ □ □

الحج : قصد مكة لأداء عبادة الطواف وسائر المناسك ؛ استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته .

وهو أحد أركان الإسلام الخمسة ، وفرض معلوم من الدين بالضرورة .

قال الله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

(سورة آل عمران ــ ٩٧) .

وَقَالَ سُبْحَانَهُ :

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ .

(سورة الحج ــ ٢٧ ، ٢٨) .

وفى حديث أبى هريرة ــ رضى الله عنه ، فيما رواه البخارى وأحمد والنسائى وابن ماجه ــ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ** » .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن عبدالله بن جراد ، قال : قال رسول الله ، ﷺ :

« **حُجُّوا فَإِنَّ الْحَجَّ يَغْسِلُ الذُّنُوبَ كَما يُغْسِلُ الْماءُ الدَّرَنَ** » .

وروى النسائى وابن ماجه وغيرهما من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال :

قال رسول الله ﷺ : « **الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ : وَفْدُ الله : إِنْ دَعَوْهُ أَجابَهُمْ ، وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ** » .

وفى فضل الإنفاق فى الحج : روى أحمد والبيهقى وغيرهما عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال :

« **النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ : الدِّرْهَمُ بِسَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ** » .

وهو فرض على كل : مسلمة ومسلم ، بالغ ، عاقل ، مستطيع . ويستحب المبادرة بأداء هذه الفريضة ، متى توافرت الاستطاعة .

نصائح وتوجيهات

١ ــ على كل مسلمة ومسلم دعاه الله لحج بيته وعمرته : أن يخلص التوبة إلى الله ــ سبحانه ــ ويسأله غفران ذنوبه ؛ ليبدأ عهداً جديداً مع ربه ، ويعقد معه صلحاً لا يحنث فيه .

٢ ــ من علامات الإخلاص : أن يُعدَّ نفقة الحج من أطيب كسبه وحلاله ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً . ومن حج من مال غير حلال ولبَّى : « **لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ** » .

قال الله سبحانه له ــ كما جاء فى الحديث الشريف ــ :

[**لَا لَبَّيْكَ وَلَا سَعْدَيْكَ ؛ حَتَّى تَرُدَّ مَا فِي يَدَيْكَ**] .

٣ ــ ومن مظاهر التوبة وصدق الإخلاص فيها أن يطهر المسلم والمسلمة نفسه ، ويخلص رقبته من المظالم وحقوق الغير ؛ فيرد المظالم إلى أصحابها متى استطاع إلى ذلك سبيلا . ويتوب إلى الله ويستغفره فيما عجز عن ردِّه ، وأن يصل أرحامه ويبرَّ والديه ، ويترضى إخوانه وجيرانه .

٤ ــ من الاستطاعة المشروطة لوجوب الحج : القدرة على تحمل أعباء السفر ومشقاته . فلا عليك ــ أيها المسلم ــ إذا قعد بك عجزك الجسدى عن الحج ، فإن الحج مفروض على القادر المستطيع .

٥ ـ حافظ على نظافتك فى الملبس والمأكل والمشرب ، وعلى نظافة الأماكن الشريفة التى تتردد عليها ؛ لأن الإسلام دين النظافة .

ألا ترى أنك لا تدخل الصلاة إلا بعد النظافة بالوضوء أو الاغتسال .

٦ ـ لا تكلف نفسك فوق طاقتها فى المال أو الجهد الجسدى . واحرص على راحة غيرك ، كما تحرص على راحة نفسك . وعامل الناس بما تحب أن يُعاملوك به ، كما جاء فى الحديث الشريف .

٧ ـ قال تعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

وقال :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾ .

فلا تعرض نفسك للخطر بالصعود إلى قمم الجبال أو الدأب على السهر ولو فى العبادة ؛ فإن خير الأعمال أدومها وإن قلَّ .

٨ ـ احرص على وجودك فى الحرم أكبر وقت ممكن ؛ والنظر إلى الكعبة ، وقراءة القرآن الكريم ، والطواف حول البيت ؛ كلما وجدت القُدرة على ذلك .

٩ ـ عليك أن تخبر أقرب الناس إليك بما لَك أو عليك ، وحثّ الأبناء والبنات والأهل والإخوان على تقوى الله ، والتمسك بآداب الدين ، والمحافظة على أداء فرائضه .

ها أنت أيها الحاج : قد هيأت نفسك لبدء الرحلة المباركة ، وقد أعددت ما يلزم لها .

ومن هذا اللازم :

ملابس الإحرام

(ا) إزار : وهو ثوب من قماش تلفه على وسطك ، تستر به جسدك ما بين سُرّتك إلى ما تحت رُكبتك .

وخيره : الجديد الأبيض الذى لا يشفّ عن العورة (بشكير) .

(ب) رداء : وهو ثوب كذلك تستر به ما فوق سُرّتك إلى كتفيك ، فيما عدا رأسك ووجهك .

وخيره أيضاً : الجديد الأبيض (بشكير) .

وأحذر أن تلبس فى مدة الإحرام « فانلة » أو جوربا أو جلبابا أو شيئاً مما اعتدت لبسه من الثياب المفصلة المخيطة ، إلا إذا كنت مضطرا ، فلك أن تلبس ذلك مع الفدية ، فقد قال الله تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ .

(ج) نعل تلبسه فى رجليك ، يظهر منه الكعب من كل رجل . والمراد بالكعب هنا العظم المرتفع بظاهر القدم .

كل هذا للحاج الرجل .

أما للمرأة الحاجة فتلبس ملابسها المعتادة الساترة لجميع جسدها من شعر رأسها حتى قدميها ، ولا تكشف إلا وجهها .

وعليها ألا تُزحم الرجال ، وأن تكون ملابسها واسعة لا تُبرز تفاصيل الجسد وتلفت النظر . والمستحب الأبيض .

متى تحدد موعد السفر بحمد الله ووسيلته :

فإذا كنت متوجهاً إلى المدينة المنورة ـ أولا ـ فلا تحرم ولا تلبس ملابس الإحرام ، بل تبقى بملابسك العادية إلى أن تتم زيارة الرسول ، ﷺ وآله وصحبه وسلم ، وتنتهى إقامتك بالمدينة .

وعندما تشرع فى التوجه منها إلى (مكة) ، فإن عليك أن (تحرم : بالعمرة فقط ، أو بالحج فقط ، أو بهما معاً ، حسبما تريد ـ من المدينة ذاتها ، أو من ميقاتها ذى الحليفة) وهو المكان المعروف الآن بآبار « علىّ » قرب المدينة فى الطريق منها إلى (مكة) أو من (رابغ) .

وإذا كنت ممن يسافرون فى الأفواج المتأخرة الذاهبة من جدة إلى مكة مباشرة ، فلك أن تنوى الحج والعمرة معاً ، وتسمى (قارناً) أى جامعاً بينهما . ولك أن تحرم بالعمرة فقط ، أو أن تحرم بالحج فقط .

فإذا ركبت الباخرة واقتربت بك من الميقات وهو (الجحفة) قرب (رابغ) ؛ بالنسبة للمصريين وأهل الشام ؛ فتهيأ للإحرام بحلق شعرك وقُصّ أظافرك ، ثم اغتسل فى الباخرة استعداداً للإحرام ، وهو غسل للنظافة لا للفريضة ، أو توضأ إن لم يتيسر لك للاغتسال ، وضع على جسدك شيئاً من الرائحة الطيبة المباحة ، والبس ملابس الإحرام الموصوفة آنفاً .

ومتى لبست ثياب الإحرام على هذا الوجه ، أى بعد التطهر بالاغتسال أو الوضوء ، صلّ ركعتين سُنة ، وانْوِ فى قلبك عقب الفراغ من أدائهما ما تريد من العمرة فقط ، أو الحج فقط ، أو هما معاً إذا نويت القران بينهما ، وقل : اللهم إنى نويت (كذا) فيسره لى وتقبله منى .

ثم قل : (**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ . إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ . لَا شَرِيكَ لَكَ**) .

وبهذا القول ـ بعد تلك النية ـ تصير مُحْرِماً بما نويت وقصدت : (العمرة فقط ، أو الحج فقط ، أو هما معاً) ؛ لأن هذه التلبية بمثابة تكبيرة الإحرام للدخول فى الصلاة .

ومتى صرت مُحْرِماً على هذا الوجه ، فلا تفعل ـ بل ولا تقترب مما صار محرما عليك بهذا الإحرام ـ وهو :

تغطية الرأس ، وحلق الشعر أو شدّه من أى جزء من الجسد ، ولا تقصّ الأظافر ، ولا تستخدم الطيب والروائح العطرية ، ولا تخالط زوجتك أو تفعل معها دواعى المخالطة كاللمس

والتقبيل ، ولا تلبس أى مَخِيط ، ولا تتعرض لصيد البر الوحشى ، أو لشجر الحرم .

وإذا فعل المحرم واحداً من هذه المحظورات ـ قبل رمى جمرة العقبة فى عاشر ذى الحجة ـ صحَ حجه وصحت عمرته ، ولكن عليه أن يذبح شاة أو يُطعم ستة مساكين ، أو يصوم ثلاثة أيام . أما الجماع قبل رمى جمرة العقبة ، (التحلل الأول) ، فإنه يفسد الحج .

وعلى من فعل ذلك أن يُعيد الحج مرة أخرى فى عام قادم .

ويحرم على المرأة تغطية الوجه واليدين .

ومحظور على المسلمة وعلى المسلم ، المخاصمة والجدال بالباطل مع الرفقة ؛ بقول الله سبحانه : ﴿ فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾ .

وإذا كنت مسافراً بالطائرة ، فاستعد بالإحرام وأنت فى بيتك ، أو فى المطار ، أو فى داخل الطائرة ، والبس ملابس الإحرام إن لم يكن بك عذر مانع من لبسها ، ثم انوِ ما تريد من عمرة أو حج ، ولبِّ بالعبارة السابقة بعد ارتداء ملابس الإحرام ، أو عند استقرارك فى الطائرة أو عقب تحركها ، وذلك كما تقدم : متى كنت متوجهاً إلى مكة مباشرة من جدة . أما إذا كنت متوجهاً إلى المدينة أولا ، فكن عادياً فى كل شىء .

ومتى أحرمت ونويت ولبيت ـ كما سبق ـ صار محظوراً عليك الوقوع فى شىء من تلك المحظورات .

ما يباح للمحرم

بعد الإحرام يُباح الاغتسال وتغيير ملابس الإحرام ، واستعمال الصابون للتنظيف ، ولو كانت له رائحة . وللمرأة غسل شعرها ونفضه وامتشاطه ؛ فقد أذن الرسول ﷺ ، لعائشة ـ رضى الله عنها ـ فى ذلك بقوله : « **انْقُضِى رَأْسَكِ وَامْتَشِطِى** » . (**رواه مسلم**) .

ويُباح أيضاً : الحجامة وفقء الدمل ، ونزع الضرس ، وقطع العرق وحك الرأس والجسد دون شد الشعر ؛ ويباح النظر فى المرآة والتداوى .

أما شم الروائح الطيبة فدائر بين الكراهة والتحريم . ومن ثمّ يُستحب أن يمنع الحاج عن استعمالها قصداً أما ما يحدث من الجلوس أو المرور فى مكان طيب الرائحة فلا كراهة فيه ولا تحريم .

ويُباح التظلل بمظلة أو خيمة أو سقف ، والاكتحال والخضاب والحناء للتداوى لا للزينة ، ويُباح قتل الذباب والنمل والقراد ، والغراب والحدأة والفأرة ، والعقرب والكلب العقور ، وكل ما من شأنه الأذى .

أما حشرات جسد الآدمى كالبرغوث والقمل ، فللمحرم إلقاؤها وله قتلها ولا شىء عليه . وإن كان إلقاؤها أهون من قتلها .

وإذا احتلم المحرم أو فكر أو نظر فأنزل ، فلا شيء عليه ، عند الشافعية .

ها أنت ـ أيها الحاج أو المعتمر ـ على مشارف مكة محرماً .

فمتى دخلتها بعون الله وتوفيقه ، اطمئن أولا على أمتعتك فى مكان إقامتك ، ثم اغتسل إن استطعت أو توضأ ، ثم توجّه إلى البيت الحرام لتطوف طواف العمرة إن نويتها ، أو طواف القدوم إن كنت نويت الحج ، وكبر وهلل عند رؤية الكعبة المشرفة ، وقل :

(الْحَمْدُ لله الَّذِى بَلَّغَنِى بَيْتَهُ الْحَرَامَ .

اللَّهُمَّ افْتَحْ لِى أَبْوابَ رَحْمَتِكَ وَمَغْفِرَتِكَ .

اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هٰذا تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً ،

وَزِدْ مِنْ شَرَفِهِ وَكَرَمِهِ ـ مِمَّنْ حَجَّهُ أَوِ اعْتَمَرَهُ ـ

تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَتَعْظِيمًا وبِرًّا .

اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ .

فَحَيِّنَا ـ رَبَّنَا ـ بِالسَّلَامِ ، وَأَدْخِلْنَا دَارَ السَّلَامِ) .

ثم ادع بما يفتح الله به عليك ، فالدعاء فى هذا المقام مقبول بإذن الله .

وإذا لم تحفظ شيئا من الأدعية المأثورة ، فادع بما شئت وبما يُمليه عليك قلبك ، ولا تشغل نفسك بالقراءة من كتاب غير القرآن ، فهو الذى تقرؤه وتُكثر من تلاوته .

ثم اقصد إلى مكان الطواف ؛ لتبدأه وأنت متطهر ، واستقبل الكعبة المشرفة تُجاه الحجر الأسود ، واجعله على يمينك ، لتمر أمامه بكل بدنك ، واستقبله بوجهك وصدرك ، وارفع يديك حين استقباله كما ترفعها فى تكبيرة الإحرام للدخول فى الصلاة ؛ ناويًا الطواف مكبراً مهللًا ـ معلناً شهادة أن : لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . اللهم إيمانًا بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ وآله وصحبه وسلم .

ثم اجعل الكعبة على يسارك مبتدئاً من قُبالة الحجر الأسود ، وسِرْ فى المطاف مع الطائفين حتى تتم سبعة أشواط : بادئا بالحجر الأسعد ، ومنتهياً إليه فى كل شوط . ولا تشتغل فى الطواف بغير ذكر الله والاستغفار والدعاء ، وقراءة ما تحفظ من القرآن ، مع الخضوع والتذلل لله . ومن أفضل الدعاء ما جاء فى القرآن الكريم كقوله تعالى :

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

ولا ترفع صوتك ، ولا تُؤذ غيرك ، واستشعر الإخلاص ، فالله يقول :

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ .

ركعتا الطـــواف

فإذا فرغت من أشواط الطواف السبعة ، فتوجّه إلى المكان المعروف بمقام إبراهيم ، وصلّ فيه منفرداً ركعتين خفيفتين ؛ ناويًا بهما سنَّة الطواف ، أو صلِّهما فى أى مكان فى المسجد إن لم تجد متسعاً فى مقام إبراهيم ، وادع الله بما تشاء ، وما يُفتح به عليك .

ثم توجّه إلى الملتزم ، وهو المكان الذى بين باب الكعبة والحجر الأسود . وإذا استطعت الوصول إليه ، فضع صدرك عليه : مادًّا ذراعيك عليه ، متعلقاً بأستار الكعبة ، واسأل الله من فضله لنفسك ولغيرك ، فإن الدعاء هنا مرجوّ الإجابة إن شاء الله .

اشرب من ماء زمزم

ثم توجّه إلى صنابير مياه زمزم ، واشرب منها ما استطعت ، فإن ماءها لما شُرب له ؛ كما فى الحديث الشريف .

السعى بين الصفا والمروة

ثم ارجع بعد شُربك من ماء زمزم ، أو بعد وقوفك بالمُلْتَزِم ، واسْعَ بين الصفا والمروة ، بادئًا بما بدأ الله تعالى به فى قوله :

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ .

ومتى صعدت إلى الصفا فهلل وكبر ، واستقبل الكعبة المشرفة ، وصلّ على النبىِّ المصطفى ، وادع لنفسك ولمن تحب ، ولنا معك ؛ بما يشرح الله به صدرك ، ثم ابدأ أشواط السعى سيراً عاديًا من الصفا إلى المروة ، فى المسار المعدّ لذلك ، مُراعيًا النظام والابتعاد عن الإيذاء . وأسرع قليلا فى سيرك بين الأخضرين (فى السعى علامة تدل عليهما) . وهذا الإسراع هو ما يسمى (هرولة) وهى خاصة بالرجال دون النساء ، فإذا بلغت المروة ، فقف عليها قليلا مكبراً مهللا مصليًا على النبىِّ ﷺ وآله وصحبه وسلم ، جاعلا الكعبة تجاه وجهك ، داعياً الله بما تشاء من خَيْرَى الدنيا والآخرة لك ولغيرك .

وبهذا تمّ شوط واحد .

ثم تابع الأشواط السبعة على هذا المنوال مع الخشوع والإخلاص والذكر والاستغفار ، وردد ما ورد عن الرسول ﷺ : « **رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ ، وَاعْفُ عَمَّا تَعْلَمُ ، أَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ . رَبِّ اغْفِرْ وَارْحمْ وَاهْدِنِى السَّبِيلَ الْأَقْوَمَ** » .

وبانتهائك من أشواط السعى السبعة ، تكون قد أتممت العمرة ، التى نويتها حين الإحرام .

وبعدها احلق رأسك بالموسى ، أو قُصّ شعرك كله أو بعضه ، والحلق أفضل للرجال ، وحرام على النساء . وبهذا الحلق أو التقصير للشعر يتحلل المحرم من إحرام العمرة : رجلا كان أو امرأة ، ويحلّ له ما كان محظوراً عليه ، فيلبس ما شاء ويتمتع بكل الحلال الطيب إلى أن يحين وقت الإحرام بالحج حين العزم على الذهاب إلى عرفات ومُنى . ومتى تمتعت على هذا الوجه بالتحلل من إحرام العمرة قبل الإحرام بالحج ، فقد وجب عليك ذبح هَدْى ؛ امتثالا لقول الله تعالى :

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ ﴾ .

وهذا الهدى يجوز ذبحه بمكة عقب الانتهاء من التحلل من العمرة ، كما يجوز ذبحه بمنى فى يوم العيد ، أو فى أيام التشريق التالية له ، أو فى مكة بعد عودتك من منى ، ولك أن تأكل منه .

أما من أحرم بالحج فقط ، أو كان محرما قارنا بين الحج والعمرة ؛ فإن عليه ـ حين وصوله إلى مكة محرماً ، وبعد أن يضع متاعه ويطمئن على مكان إقامته ـ أن يطوف بالكعبة طواف القدوم سبعة أشواط ، وله أن يسعى بين الصفا والمروة ، حسبما تقدم ، وله تأجيل السعى إلى ما بعد طواف الإفاضة . ولا يتحلل من إحرامه ؛ بل يظل محرما حتى يؤدى مناسك الحج والعمرة ، ويقف على عرفات ، ثم يبدأ التحلل الأول ثم الأخير بطواف الإفاضة ، وعلى القارن كما ـ على المتمتع هدى .

إعادة الإحرام للحج

إذا كنت متمتعاً : ففى اليوم الثامن من شهر ذى الحجة ويسمى : « يوم التَّروِيَةِ » تهيأ للإحرام بالحج على نحو ما سبق بيانه فى الإحرام حين بدء الرحلة ، والبس ملابس الإحرام الموصوفة على الطهارة : غسلا أو وضوءاً ، ثم صلِّ ركعتين بالمسجد الحرام إن استطعت ، وانوِ الحج وقل إن شئت : اللَّهُمَّ إِنِّى أَرَدْتُ الْحَجَّ فَيَسِّرْهُ لِى ، وَتَقَبَّلْهُ مِنِّى . ثم قل : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ .

إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ . لَا شَرِيكَ لَكَ .

ومتى قلت ذلك بعد تلك النية ، صرت مُحْرِمًا بالحج ، ورددها كلما استطعت ؛ فى سيرك ووقوفك وجلوسك ، وارفع بها صوتك دون إيذاء لغيرك .. والمرأة تُلبّى فى سِرِّها .. وداوم عليها وأنت فى الطريق إلى منى ، وإلى عرفات ، وفى عرفات ، وحين الإفاضة من عرفة إلى المزدلفة ، وفى هذه الأخيرة ، وعند وصولك إلى منى يوم النحر . ولا تقطعها حتى تبدأ فى رمى جمرة العقبة .

الحج عرفــة

ثم استعد للوقوف بعرفة يوم التاسع من ذى الحجة ، لأن هذا الوقوف هو الركن الأعظم للحج ، كما جاء فى الحديث الشريف « الحج عرفة » . فمن فاته الوقوف فقد فاته الحج .

ويتحقق هذا الوقوف بوجود الحاجّ وحضوره أىّ لحظة ولو مقدار سجدتين ، واقفاً أو جالسًا أو ماشيًا أو راكباً فى أى وقت من بعد ظُهر يوم التاسع إلى فجر يوم العاشر . والأفضل الجمع بين جزء من النهار فى آخره وأول جزء من ليلة العاشر منه ، أى قبيل غروب شمس يوم التاسع إلى ما بعد الغروب بقليل . ويحسن أن تكون على طهارة ، وأفضل الدعاء على عرفة ما جاء فى الحديث الشريف :

« أَفْضَلُ الدُّعاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ ، وَأَفْضَلُ ما قُلْتُ أنا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِى : لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ . لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » .

واخشع وتذلل لربك ، نادماً على ذنبك وخطاياك ، راجياً عفوه ، طامعًا فى رحمته ورضوانه ، متمثلا يوم الحشر الأكبر ، فإن عرفة صورة منه ، فقد حُشر فيه الخلق من كل جوانب الأرض حُجّاجًا .

الصلاة بنمرة

صلّ الظهر والعصر يوم التاسع مقصورتين (ركعتين) مجموعتين جمع تقديم ، أى صلهما فى وقت الظهر مع الإمام فى مسجد نمرة إذا استطعت ، ولا تفصل بينهما بنافلة ، وإلا فصلهما حيث كنت فى خيمتك ؛ كلا منهما فى وقتها ، أو جمعًا فى وقت الظهر .

إلى مزدلفة

وعقب غروب شمس يوم التاسع يتوجه الحجيج إلى مزدلفة ، وعند الوصول إليها يؤدى الحاجّ فرض المغرب وفرض العشاء جمع تأخير فى وقت العشاء . ولك أن تبيت بمزدلفة حتى تُصلِّى بها الصبح ، ثم تتوجه إلى منى ، وهذا متوقف على استطاعة المبيت بمزدلفة ، وكلها موقف وهى المشعر الحرام ، وفيها : أكْثِر من الذكر والدعاء والاستغفار والطلب من الله ، واجمع من أرضها الحصيات التى سترمى بها جمرة العقبة صباح يوم النحر بمنى ، وهى سبع حصيات كل واحدة منها فى حجم حبة الفول . ولك أن تجمعها من أى مكان غير مزدلفة ، ولك أن تجمع جميع حصيات الرمى فى الأيام الثلاثة . ومجموعها ٤٩ حصاة ، سبعٌ منها لجمرة العقبة يوم النحر وواحد وعشرون للجمرات الثلاث فى ثانى أيام العيد ، ومثلها فى ثالث أيامه .

ومن بقى بمنى إلى رابع أيام العيد ، فعليه رمى الجمرات الثلاث كل واحدة بسبع حصيات ، كما فعل فى اليومين الثانى والثالث .

الذهاب إلى منى

بعد المبيت وصلاة الفجر فى منى ، أُقصد إلى جمرة العقبة ، وارْمِها بالحصيات السبع ، واحدة بعد الأخرى على التوالى ، وارُمِ بقوة ، وقُلْ :

بِسْمِ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ : رَجْمًا لِلشَّيْطَانِ وَحِزْبِهِ .
اللَّهُمَّ آجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا ، وَذَنْبًا مَغْفُورًا .

واقطع التلبية التى التزمتها منذ أحرمت .

وإياك ورمى هذه الجمرات أو غيرها بالحجارة الكبيرة أو العصى أو الزجاج أو الأحذية ، كما يفعل بعض الناس ؛ لأن كل هذا مخالف للسنة الشريفة .

ولك أن تؤجل الرمى لآخر النهار ، ولا حرج عليك .

الإنابة فى الرمى

إذا عجز الحاج عن الرمى بنفسه ، لمرض أو لعذر مانع فى وقته ، جاز أن يُوكل غيره فى الرمى عنه ، بعد رمى الوكيل لنفسه .

التحلل من إحرام الحج

بعد رمى جمرة العقبة هذه ، يحلق الحاج رأسه ، أو يقصر من شعره . وتقصر الحاجَّة من أطراف شعرها ، ولا تحلق .

وبهذا الحلق أو التقصير يحصل التحلل من إحرام الحج ، ويحلّ ما كان محرما ــ عدا الاتصال الجنسى بين الزوجين ، فإن هذا لا يحلّ إلا بعد طواف الإفاضة الذى قال الله فى شأنه :

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ .

طواف الإفاضة

بعد رمى جمرة العقبة ، والتحلل بالحلق أو التقصير ، يذهب الحاج إلى مكة للطواف بالكعبة سبعة أشواط ، هى : طواف الفرض ، ويسمى طواف الإفاضة أو طواف الزيارة . وقد سبق بيان أحكام الطواف ، ثم يصلى ركعتين فى مقام إبراهيم ، ويشرب من ماء زمزم ، ويسعى بين الصفا والمروة ، على ما تقدم بيانه ..

المبيت بمنى ، ورمى باقى الجمرات

بعد طواف الإفاضة عُد إلى منى فى نفس اليوم ، وبتْ فيها ليلة الحادى عشر والثانى عشر من ذى الحجة ، ويجوز أن تبقى فى مكة ، ثم تُتم الليلة بمنى ، كما يجوز أن تستمر فى منى وتتم الليل بمكة . ولك ألا تبيت بمنى ، وإن كره ذلك لغير عذر .

ومن الأعذار عدم تيسر مكان المبيت ؛ ولكن يلزمك إذا لم تبت فى منى : أن تحضر إليها لرمى الجمرات .

أماكن رمى الجمرات الثلاث ووقته

الصغرى ، وهى القريبة من مسجد الخيف .

ثم الوسطى ، وهى التى تليها وعلى مقربة منها .

ثم العقبة ، وهى الأخيرة .

إِرْم هذه الجمرات فى كل من يومى ثانى وثالث أيام العيد : كل واحدة بسبع حصيات ، كما فعلت حين رميت جمرة العقبة فى يوم العيد .

ووقت رمى هذه الجمرات من الزوال إلى الغروب[1] وبعد الغروب أيضاً . ولكن الأفضل عقب الزوال لموافقته فعل الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ، متى كان ذلك ميسورا دون حرج .

وقد أجاز الرمى قبل الظهر : عطاء وطاووس ، وغيرهما من الفقهاء .

وأجاز الرافعى ـ من الشافعية ـ رمى هذه الجمرات من الفجر .

وهذا كله موافق لإحدى الروايات عن الإمام أبى حنيفة .

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ .

و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ....﴾ .

حيض المرأة قبل طواف الإفاضة

للمرأة إذا فاجأها الحيض قبل طواف الإفاضة ولم يمكنها التخلف حتى انقطاعه ـ أن تستعمل دواء لوقفه وتغتسل وتطوف ، أو إذا كان الدم لا يستمر نزوله طوال أيام الحيض ، بل ينقطع فى بعض أيام مدته .

عندئذ يكون لها أن تطوف فى أيام الانقطاع ، عملا بأحد قولى الإمام الشافعى القائل : إن النَّقاء فى أيام انقطاع الحيض طُهر .

وهذا القول ـ أيضًا ـ يُوافق مذهب الإمامين : مالك وأحمد .

(١) يرى كثير من العلماء من فقهاء الامة أن الرمى من الفجر إلى الفجر . « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وأجاز بعض فقهاء الحنابلة والشافعية للحائض دخول المسجد للطواف بعد إحكام الشدّ والعَصْب وبعد الغُسْل ، حتى لا يسقط منها ما يؤذى الناس ويُلوّث المسجد ، ولا فدية عليها فى هذه الحال باعتبار حيضها ـ مع ضيق الوقت والاضطرار للسفر ـ من الأعذار الشرعية .

وقد أفتى كل من الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم بصحة طواف الحائض طواف الإفاضة ، إذا اضطرت للسفر مع صُحبتها .

ثم إن النفساء حكمها كالحائض فى هذا الموضع .

طواف الوداع

اسمه يدل على الغرض منه ؛ لأنه توديع للبيت الحرام ، وهو آخر ما يفعله الحاج قبيل سفره من مكة بعد انتهاء المناسك . وقد اتفق العلماء على أنه مشروع : متى فعله الحاج ، سافر بعده فوراً .

ثم اختلف العلماء فى حكم هذا الطواف : هل هو واجب أو سنة ؟ بالأول قال فقهاء الأحناف والحنابلة ورواية عن الشافعى ، وبالقول الآخر قال مالك وداود وابن المنذر ، وهو أحد قولى الشافعى .

يستحب تعجيل العودة

فيما رواه الدارقطنى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ قال

« **إذا قَضَى أحدُكُمْ حَجَّهُ ، فَلْيَتَعَجَّلْ إِلَى أهْلِهِ ، فَإِنَّهُ أعْظَمُ لِأُجْرِهِ** » .

زيارة المدينة المنورة

إذا لم تكن ـ أيها الحاج ـ قد بدأت هذه الرحلة المباركة بزيارة مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة ، فمن السنة وقد فرغت من مناسك الحج أن تقوم بها ، فإنها من أعظم الطاعات وأفضل القربات .

وفى فضلها أحاديث شريفة كثيرة ، ولتقصد من الزيارة الصلاة فى حَرَمِه الآمن تحصيلا للثواب ، فقد ورد فى الحديث الشريف عن صاحب هذا الحَرَم ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم :

« **صلاةٌ فِى مَسْجِدى خَيرٌ مِنْ ألْفِ صلاةٍ فِيمَا سِواهُ ؛ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ....** » .

رواه أحمد فى مسنده عن عبدالله بن الزبير .

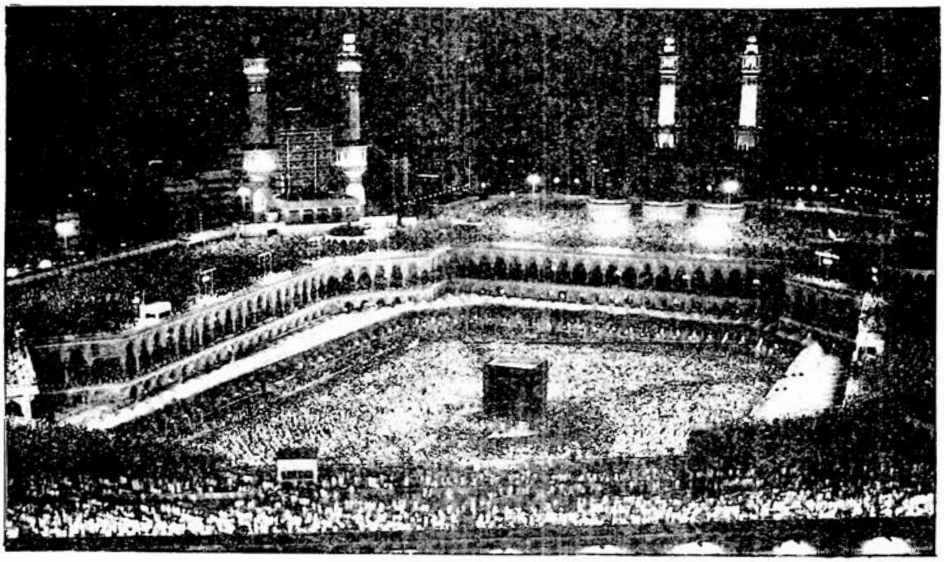

خطة هذه الزيارة وآدابها

يُسنُّ للزائر ـ بعد أن يطمئن على أمتعته ومحل إقامته ـ أن يغتسل ، وأن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب . وإذا لم يتيسر الاغتسال اكتفى بالوضوء .

ثم يتوجه إلى الحرم النبوى ، متواضعا فى سكينة ووقار . فإذا دخل من باب المسجد ، قصد إلى الروضة الشريفة ، وهى بين القبر الشريف والمنبر النبوى ، وصلى فيها ركعتين تحية للمسجد ، ويدعو الله مجتهداً فى الدعاء ؛ لأنه فى روضة من رياض الجنة ، وفى مهبط الرحمة ، وموطن الإجابة ، إن شاء الله .

فإذا انتهى الزائر من تحية المسجد والجلوس فى الروضة الشريفة ، توجّه إلى قبر الرسول ، عليه ـ وآله وصحبه ـ الصلاة والسلام ، ووقف قُبالة موضع الرأس الشريف فى أدب واحترام ، ويسلم على الرسول فى صوت خفيض ، ويقول :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِىَّ الله
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خِيرَةَ الله مِنْ خَلْقِهِ .
السَّلَامُ عَلَيْكَ يا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامَ الْمُتَّقِينَ .
أشْهَدُ أنَّكَ بَلَّغْتَ الرِّسالَةَ ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ
وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ ، وَجَاهَدْتَ فِى الله حَقَّ جِهَادِهِ !

ثم يصلى الزائر على رسول الله ، ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ويبلغ إليه سلامنا وسلام من أوصوه .

ثم يترك هذا الموضع إلى اليمين قليلا بما يساوى ذراعاً (أقل من المتر) ليجد نفسه واقفاً قبالة رأس الصِّدِّيق : أبى بكر ، رضى الله عنه ، فيسلم عليه بقوله :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا صاحِبَ رَسُولِ اللهِ فِى الْغَارِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِينَهُ فِى الْأَسْرَارِ .

جَزاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ ما جَزَى إِمامًا عَنْ أُمَّةِ نَبِيِّهِ .

ثم يتجاوز مكانه إلى اليمين قدر ذراع ـ أيضًا ـ ، ليجد نفسه واقفًا قُبالة رأس عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فيقول :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُظْهِرَ الْإِسْلَامِ . السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُكَسِّرَ الْأَصْنَامِ ، جزاكَ اللهُ عَنَّا أَفْضَلَ الْجَزَاءِ .

وبعد هذا يستقبل الزائر القِبْلة ، ويدعو بما شاء لنفسه ولوالديه وأهله ، ولمن أوصاه بالدعاء ، شاملا جميع المسلمين .

وينبغى للزائر ألا يلمس حجرة الرسول ﷺ ، ولا يُقَبِّل الحواجز ولا الحيطان ، ولا يطوف حولها ، لأن هذا مَنْهِىٌّ عنه فى أحاديث وفيرة عن الرسول ، عليه الصلاة والسلام .

وينبغى للزائر كذلك أن يغتنم مدة وجوده فى المدينة ، فيصلى فى مسجد الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ الصلوات الخمس ، وعليه أن يُكثر من تلاوة القرآن الكريم فيها ، ومن الدعاء والاستغفار والتسبيح .

ومن المستحب زيارة أهل البقيع ، حيث دُفن أصحاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المهاجرين والأنصار والصالحين ، كما يزور شهداء أُحد ، وقبر سيد الشهداء : الحمزة ـ عم الرسول ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ ، ومسجد قباء : أول مسجد بناه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وفى ختام الإقامة بالمدينة ، لا تُفارقها ـ أيها الزائر ـ إلا بعد أن تصلى ركعتين فى مسجد الرسول ﷺ ، وتزور الرسول ﷺ وصاحبيه ، وتسأل الله تيسير العودة لهذه الزيارة وتكرارها .

فتوى للإمام الأكبر شيخ الأزهر

فى حكم :

١ ــ الانضمام من المسلم أو المسلمين إلى الأحزاب العلمانية أو النصرانية ــ مع عدم الإيمان بها .

٢ ــ الإدلاء بأصوات المسلم أو المسلمين فى الانتخابات لصالح هذه الأحزاب .

٣ ــ التحالف مع حزب أو أكثر من ذات الأحزاب وذلك كله قصد المحافظة والدفاع عن حقوق المسلمين .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد ...

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مكتوب من السيد/اسماعيل أ. كالا ــ نائب رئيس المجلس الإسلامى لجنوب أفريقيا .

جاء به :

ما هو رأى الشريعة فيما يختص بالمشاركة فى الانتخابات القادمة ، وهل تسمح نصوص الشريعة بالمشاركة فى المجالس المتنوعة العلمانية والساسية والديمقراطية ؟

« والجـــواب »

قال الله سبحانه وتعالى فى سورة الممتحنة
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

هذه الآيات قد أشارت إلى أن معـــايشة المسلمين لغير المسلمين فى وطن واحد ، والتعاون معهم فى أمور الحياة أمر مباح غير منهى عنه ، وماداموا لم يتعرضوا للمسلمين فى أمر الدين أو الديار ، وكما جاء فى الآية الأخيرة يكون النهى عن بر غير المسلمين وعن مخالطتهم إذا ما قاتلوا المسلمين فى الدين أو أخرجوهم من ديارهم أو عاونوا فى العدوان عليهم فى الدين أو الإخراج من الديار .

ومع هذه الآيات أباح الله فى سورة المائدة ــ فى الآية الخامسة منها ــ مصاهرة أهل الكتاب أى : تزوج الرجل المسلم من المرأة النصرانية واليهودية ، كما أباح تناول طعامهم ، بقيمته ، بطريق الشراء أو الهبة أو الضيافة ، وبالجملة تبادل الطعام معهم فيما

عدا ماحرم على المسلمين حيث قال الله تعالى فى سورة المائدة :

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾

فقد أباحت هذه الآية للرجل المسلم التزوج من المرأة الكتابية ، أى تكوين أسرة ينشأ فيها أولاد ويترتب عليها صهر ، بافتراض استمرار الزوجة غير المسلمة على دينها .

وفى هذا دلالة واضحة على إباحة التعامل فى سائر أمور الحياة بين المسلم وغير المسلم ، دون إضرار بالإسلام ، ولا بالمسلم فى عقيدته وشريعته .

وتتكامل أحكام هذه الآية مع الآيات المتلوة — آنفا — من سورة الممتحنة حيث يستفاد منها جميعا : حل التعامل والتعاون ، والتعاهد مع أهل الكتاب فى شئون الحياة العامة ، فالتزوج من نسائهم مباح ، وحل طعامهم مقرر بنص هذه الآية من سورة المائدة ، والتجارة والصناعة وغيرها من أمور الحياة والكسوب المشروعة والمتجددة تجيزه تلك الآيات من سورتى المائدة والممتحنة .

ومع هذا فإن التطبيق العملى لرسول الله محمد ﷺ — المتمثل فى عقده حلفا وعهدا — بعد الهجرة الى المدينة — بين المؤمنين والمسلمين من قريش وبين أهل يثرب ومن تبعهم ، فلحق بهم وجاهد معهم .

وجاء فى البند الثانى : أنهم أمة واحدة من دون الناس وبعد عد القبائل المسلمين من الأنصار فى البنود التالية حتى البند ٢٣ نص فى البند ٢٤ على أن اليهود ينفقون مع المؤمنين مادامو محاربين ، وفى البند ٢٥ نص على أن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ثم عد باقى قبائل اليهود الداخلة فى هذا العهد ومواليهم ، وجاء فى البند — ٣٧ — وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم .

وقد حوت صحيفة العهد ٤٧ بندا وتضمنت أحكاما وعهودا تنظم السلم والجوار والنصرة فيما بين المتعاهدين (١)

لما كان ذلك :

وكان التعايش مع غير المسلمين وفى بلادهم يستدعى الحفاظ على حقوق المسلمين ، وكانت النظم السياسية والإدارية متفاوتة ، فهى فى بلد غيرها فى بلد آخر — وهى — فى جملتها — ليست من الأحكام المستمرة أو المستقرة بمعنى أنها قابلة للتغيير ، وتدخل فى نطاق أحكام المعاملات التى لم ترد محاذيرها مفصلة فى القرآن والسنة ، وإنما جاءت مجملة على نحو مانوهت عنه هذه الآيات الكريمة

واذا كانت الأحزاب السياسية قد برزت فى العصر الحالى كوسيلة للتنافس على الوصول إلى الحكم فى أغلب دول العالم ، وكذلك الجمعيات والمؤسسات التعاونية الأخرى ، والنقابات ، كل

(١) ص ١٥ — ٢١ من مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ط ثانية ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، جمعها د / محمد حميد الله الحيدر أبادى .

ذلك لخدمة أغراض اجتماعية أو فئوية أو سياسية ، وكلها تدور مع المصالح الذاتية والعامة لأعضائها فى نطاق النظام العام للدولة .

- إذا كان ذلك - فإنه لا حرج على مسلم أو أكثر من الانضمام إلى أى من الأحزاب المعترف بها من الدولة بالرغم من علمانيتها أو نصرانيتها مادامت لا تمس العقيدة الإسلامية ، أو المصالح الأساسية للمسلم وهو ما أشارت إليه الآيات السالفة من سورة الممتحنة ومنها :

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ .

ومن ثم كان من المباح فى الإسلام انضمام المسلم - فردا كان أو جماعة - إلى أى حزب من الأحزاب السياسية ذات الكيان القانونى فى الدولة التى يقيم المسلم على أرضها وفى نطاق قوانينها قصدا إلى التمكن من ترشيح نفسه فى انتخابات المجالس البلدية أو المجالس النيابية ، ومن المباح - كذلك - للمسلم وللمسلمين كافة فى أية دولة الإدلاء بأصواتهم فى الانتخابات لصالح حزب دون التحالف معه أو مع التحالف ، للاستعانة بكل ذلك على تحقيق مصالح المسلمين ، وحمايتها ، والدفاع عن الحقوق المشروعة لهم بالذمة والصدق وعلى المسلمين فى جنوب افريقيا - وغيرها من الدول - أن يسلكوا هذه الطرق المشروعة وفى نطاق قوانين تلك البلاد ؛ ليكون لهم صوت يحمى مصالحهم أو ينضموا إلى حزب أو أكثر حسبما يرون أن يصوتوا فى الانتخابات لحزب أو أكثر مادام ذلك فى صالحهم فى موطنهم بشرط ألا يضر هذا بالإسلام عقيدة وشريعة .

وعلى من يكون من المسلمين عضوا فى المجالس البلدية أو النيابية ألا يصادق على أمر معروض ضد عقيدة الإسلام أو ضد مصالح المسلمين ، فلا يصادق على إباحة أمر محرم فى الإسلام أو يناهض أصول العقيدة الإسلامية .

وليكن نموذجا للمسلم فى استقامته ووفائه بالعقود والعهود كما أمر الله فى القرآن الكريم ، فإن هذا من أسباب النجاح فى هذه المهام .

ولعل هؤلاء المسلمين فى جنوب أفريقيا وغيرها يرعون مستقبل أجيالهم فينشئوا أولادهم على الإسلام بتعلم اللغة العربية وإجادتها قراءة وكتابة ، واقرائهم القرآن وتحفيظهم بعضه وفهمه ، ثم الفرائض والواجبات ، ولا يكون هذا إلا بالحرص على إتخاذ وسيلة من وسائل التعليم حفظا للإسلام دينا لأولادهم وذرياتهم باعتبار هذا من أهم مسئولياتهم .

ثم على المسلمين - فى جنوب إفريقيا وغيرها - أن يتوافقوا على ما يقدمون عليه من الانضمام لحزب أو أكثر أو أمر التصويت كذلك حتى تكون لأصواتهم قوة تحمل الحزب الذى ينضمون إليه على رعاية مصالحهم وأن يمتثلوا قول الله - سبحانه - فى سورة آل عمران داعيا لوحدة الصف والكلمة :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ .. ﴾

وقول الله تعالى فى سورة الأنفال محذرا من النزاع والخلاف ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٤٦)

وبهذا يعلم الجواب عما ورد بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

القدس الشريف فى ضمير الأزهر الشريف

كلمة الأزهر الشريف(*)

أمام الندوة السنوية لشئون القدس - عمان

٢٣ من شوال ١٤١٤ هـ - ٤/٤/١٩٩٤م

السيد رئيس الندوة المحترم ـ السادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فإننى أنقل لحضراتكم تحيات صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وتمنياته فى أن تحقق ندوتكم الموقرة هذه الآمال المنشودة منها والتى هى فى الواقع رهن بتحقيق التضامن الإسلامى الإيجابى ، والذى يتطلب من المسلمين كافة :

ـ استدعاء الرصيد الإيمانى الكامن فى نفوسهم .

ـ نبذ الخلافات والترفع عن القضايا الفرعية .

ـ أن يكون المسلمون على قلب رجل واحد حتى تتوحد كلمتهم ويستجمعوا قوتهم .

وإننا لعلى ثقة فى ـ الله سبحانه وتعالى ـ أولاً ثم فى جهود العاملين المخلصين فى أبناء أمتنا الإسلامية أن فجر التضامن الإسلامى قريب بإذن الله إذا خلصت النية وصفت النفوس .

(*) ألقى الكلمة باسم الأزهر الأستاذ الدكتور محمد على حلة بجامعة الأزهر .

وليس من شك أن القدس الشريف يشكل المحور الرئيسى للتضامن الإسلامى ، وذلك انطلاقاً من المكانة السامية للقدس فى ضمير المؤمنين كافة . لما لها من قداسة باعتبارها موطناً للأنبياء والرسل وأرضاً للسلام الذى نادت به تعاليم السماء .

سيدى الرئيس :

وبداية فإن الأزهر الشريف بجامعه وجامعته ومؤسساته أعلن بصدق عن ألمه البالغ ورفضه الشديد للمذبحة المروعة التى وقعت فى منتصف شهر رمضان المبارك من هذا العام والتى قام بها أحد المستوطنين الإسرائيليين ضد المسلمين المسالمين والركع السجود فى الحرم الإبراهيمى بمدينة الخليل ، ومن المؤكد أن هذا العمل العدوانى يتعارض كلية مع السلام الذى تنادى به الديانات السماوية الثلاث .

ومن المؤكد أن القدس الشريف مؤهل ليكون رمزاً للسلام والعدالة والتسامح لمعتنقى ديانات التوحيد الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام .

وإذا كانت شهادة ميلاد القدس تؤكد على أنها عربية الأصل فى النشأة والتكوين فإن القدس باتت فى كنف الإسلام أنموذجاً للسلام والتسامح الدينى والتعايش السلمى بين جميع الطوائف فى ظل مبادىء سامية اتسمت بالعدل والرحمة .

والدراسة الموضوعية لتاريخ القدس تشهد على أن التعايش السلمى فى ظل الحكم الإسلامى لم يكن شيئاً طارئاً ، وإنما قام على دعائم ثابتة أرستها تعاليم الإسلام التى أقرت كافة الحقوق الإنسانية والتى كفلت لأهل الكتاب الحرية الكاملة ليس فى ممارسة عقائدهم الدينية فحسب بل وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ولعلنا نؤكد للمجتمع الدولى أنه إيماناً واقتناعاً بروح المبادىء الإسلامية السامية فتح المسلمون أبواب بلادهم أمام اليهود ليدخلوا آمنين ويتنقلوا بين ربوعها سالمين بل وأجازوا لهم الكثير من المهام والأعمال فصار منهم التجار والصيارفة والأطباء والوزراء أيضاً .

وقد اعترف الرحالة اليهودى إسحاق بن يوسف فى صراحة إنه فى القرن الرابع عشر الميلادى (الثامن الهجرى) عاش اليهود فى طمأنينة وسعادة فى القدس . وأرجع ذلك إلى عدل الحكومات الإسلامية[1] .

وهذا كاتب بريطانى[2] يؤكد على أنه فى القرون المبكرة كان المسلمون بوجه عام متسامحين مع اليهود وعاشوا معهم بسلام فى الوقت الذى كانت فيه أوربا منغمسة إنغماساً كاملا فى الاضطهاد .

كما حرص المسلمون كل الحرص على المقدسات المسيحية قدر حرصهم على المقدسات الإسلامية فى القدس الشريف ـ بوجه خاص ـ وسائر أنحاء فلسطين بوجه عام ، وذلك إحياء لتاريخ السلف الصالح وعملا بعهد الأمان الذى سطره الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لبطريرك بيت المقدس سنة ١٥هـ/٦٣٦م ، والذى عرف بالعهدة العمرية .

---

(١) د. نقولا زيادة : رواد الشرق فى العصور الوسطى ، القدس ، ١٩٤٣ ، ص ١١٠ .

(٢) Thubron. Coplin: Jerusalem, London, 1969, p. 227.

وأعتقد أننا لسنا فى حاجة إلى المزيد من التأكيد بأن الإسلام أوصى بأهل الكتاب من المسيحيين واليهود خيراً ، كما أننا لا نرغب فى أن يستغرقنا استعراض أحداث تاريخية باتت معروفة ومتداولة عبر تاريخنا الإسلامى الذى يمتد عبر أربعة عشر قرناً من الزمان .

ولكننا نأمل أن تعالج الأحداث بمنظور الحاضر الذى نعيشه اليوم ..

سيدى الرئيس :

إن الأزهر الشريف إذا كان يؤيد ما يقرره الفلسطينيون أنفسهم من الاستمرار فى التفاوض من أجل السلام ، فإنه يرى أن إصرار إسرائيل على تنفيذ مخططاتها لتهويد القدس أمر غير مقبول عربياً وإسلامياً .

ومن الواضح أن البيانات التى تترى والإجراءات التى تتخذ يوماً بعد يوم من الجانب الإسرائيلى والمتصلة بوضع القدس هى فى الواقع تزوير واضح للتاريخ واستمرار للصراع فى المنطقة .

وفى هذا المقام فإن الأزهر الشريف يندد صراحة بالقرار الصادر من المحكمة العليا فى إسرائيل بتاريخ ٢٣ سبتمبر ١٩٩٣ والذى يعتبر موقع الحرم القدس الشريف خاضعاً للسيادة الإسرائيلية ، مما يترتب عليه تفويض جماعة ما يسمى (أبناء الهيكل) السيطرة على هذا الموقع المقدس .

ويؤكد الأزهر الشريف على عدم صلاحية هذه المحكمة فى فرض الوصاية على الأقصى المبارك ، فضلا عما يتضمنه هذا القرار من اعتداء صارخ على الحقوق الدينية والتاريخية والقانونية لعرب فلسطين ، كما أنه يتناقض تناقضاً واضحاً مع المزاعم التى تسوقها السلطات الإسرائيلية من حين لآخر فيما تعلنه من توجهها نحو السلام .

ويعيد الأزهر الشريف ما سبق إعلانه فى شهر رجب عام ١٣٨٨ هـ/سبتمبر عام ١٩٦٨ م[٣] من تأكيد للفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بالمملكة الأردنية الهاشمية بتاريخ ١٧ من جمادى الأولى عام ١٣٨٧هـ/٢٢ من أغسطس (آب) عام ١٩٦٧م والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة والمساحات المحيطة بها ، وأن العدوان على أى جزء من ذلك يعد انتهاكاً لحرمة المسجد الأقصى واعتداء على قدسيته ، وان الحرم الإبراهيمى فى الخليل مسجد إسلامى مقدس وكل اعتداء على أى جزء منه يعد انتهاكاً لحرمته وقدسيته .

سيدى الرئيس :

إن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر قد استنكر التصريحات التى أدلى بها الرئيس الأمريكى بيل كلينتون مؤخراً من اعتبار القدس الموحدة عاصمة لاسرائيل ، وعدم

(٣) جاء ذلك فى المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

الإشارة إلى القدس على أنها جزء من الأراضى العربية المحتلة .

وقد أعرب فضيلته عن دهشته واستغرابه لمثل هذا التصريح الذى يتزامن مع المساعى المبذولة ـ حالياً ـ لاستئناف مباحثات السلام فى شأن الأراضى المحتلة ومنها القدس ، ثم طالب فضيلته أصحاب الشأن من الساسة بأن يكون لهم قول إذا ثبت صدور مثل هذه التصريحات عن الرئيس الأمريكى(٤) .

إن الأزهر الشريف كان ومايزال يؤيد أمام ندوتكم الموقرة عرب فلسطين فى الاستقلال وممارسة الحكم الذاتى ووقف بناء المستوطنات الإسرائيلية فى الأرض المحتلة ، ويدعو الرأى العام العالمى والمنظمات الدولية إلى العمل الإيجابى الجاد من أجل تطبيق القرارات الدولية التى نصت على عودة الأراضى المحتلة إلى أصحابها من عرب فلسطين بما فيها مدينة القدس الشريف موحدة كما كانت لأنها مدينة السلام .

بل ويجب على الجانب الإسرائيلى أن يؤكد رغبته فى السلام وأن تكف الحكومة الإسرائيلية عما تدعيه من حقوق فى القدس الشريف . وأن يوقف عدوانه على العرب والمسلمين فى سائر أنحاء فلسطين .

سيدى الرئيس :

إذا كانت لغة العصر الذى نعيشه والتى ينشدها المجتمع الدولى هى الدعوة إلى السلام ، فإننا نريده سلاماً حقيقياً لا يقوم على فرض العدوان ، ولعل إيصال دعوتنا للسلام هذه إلى المجتمع الدولى يربك كل مخططات إسرائيل ويعزلها عن الرأى العام العالمى الذى يمدها بكل ما تحتاجه والذى يمثل لها شريان حياتها واستمرارها .

ومن المأمول أن يتفهم المجتمع الدولى بأن المسلمين هم دعاة سلام يقوم على العدل والمساواة والأمن والأمان وحقوق الإنسان أينما كان ، وهم يستلهمون فى ذلك المبادىء الإسلامية النبيلة .

ومن المأمول أيضاً ألا يصغى المجتمع الدولى لما تردده بعض أجهزة الإعلام الراغبة فى إظهار المسلمين على غير صورتهم الحقيقية .

وليتذكر المجتمع الدولى أن هذه مدينة مباركة وفيها مقدسات الأديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام ، ومن ثم : أليس من واجب هذا المجتمع رعاية حرماتها ومقدساتها ورسالات السماء فيها ؟! ثم أليس من واجبه أن يجعل منها خضر البقاع بدلا من أن تمتلىء بالآلام والأوجاع ؟!

إن القدس الشريف ليس قضية سكان وأماكن مقدسة فحسب بل إنه رمز حى لتحقيق السلام الذى نادت به تعاليم السماء .

وفى الختام سيدى الرئيس :

هذا هو أزهركم الشريف ورسالته التى يحملها بكل أمانة ونعاهد الله سبحانه وتعالى ألا نفرط فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

---

(٤) جريدة الوفد : القاهرة ، الخميس ٥ شوال ١٤١٤هـ/١٧ مارس ١٩٩٤م .

من
سورة سبأ

وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ

لفضيلة الشيخ أحمد محمد طاحون

إنَّ الباطلَ لا قواعد له ولا أركان ، ولا ثباتَ له أمام الحجة والبُرهان ؛ وهَذه الآية القرآنيةُ « وما يبدىء الباطل وما يعيد » بما فيها من إيجاز وإحكام وقوة دلالة على المقصود اكتسبت صفة المَثلِ السائرِ بعد نزولها وشيوعها . هذا المثل الذى يُضْرَبُ فى زُهوق الباطلَ واضمحلالِه وانهياره أمام قوةِ الحقِّ وبرهانِه ، والإبداء هو : فعلُ الأمرِ ابتداءً ، تقول : ابْدَأ الشيءَ أى فَعلَهُ ابتداءً ، أماً الإعادة فَفِعلُه ثانيا ، ولا يخلو الحيُّ عنهما ، فعدمُهما كنايةُ عن الهلاك بالكُلِّية ، كما يقال : فلان لا يأكُل ولا يشربُ ، كنايةُ عن هلاكه .

وقد جاءت هذه العبارةُ فى سياق الكلامِ عن بطلان الشركِ ، ودحْضِ مزاعـم الملاحـدةِ فى إنكارهم النبوةَ ، وإعراضِهم عن البرهان ، وفى جحودهِم البعثَ للحساب والجزاء ، فقد كانوا إذا تُليت عليهم آياتُ القرآن الكـريم الواضحـاتُ الدلالة على حَقِّيةِ التوحيد ، وبطلان الشرك ، قالوا متهكمين بالنبى الأمين ــ ﷺ ــ ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ سبأ/٤٣ أى : يمنعكم ويصرفكم عن عبادة الأصنامِ التى هى ميراثُ الآباءِ والأجداد ، ثم قالوا ــ عن القرآن العظيم ــ إنه كذِبٌ فى نفسه ، مفترى على الله ــ عزَّ وجل ــ من حيث نسبتُه إليه ﴿ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ﴾ سبأ/٤٣ ثم مثلوه بالسحْر جهْلًا منهم ، وإعراضا عن التدبر : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ سبأ/٤٣ وغَرضُهم من ذَلك الجمودُ على ما وَرِثوه من عقائدَ وأباطيل ، وما بيدهم دليلٌ يَشهدُ لهم بصحة ما هم عليه ، فكان الواجبُ أن يبادروا إلى التفهم والتأملِ وطلبِ الحقِّ بدلًا من المبادرة إلىَ الإعراض والإنكار ، ولذاَ تهكَّم بهم السياقُ وجَهَّلهم فقال : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ سبأ/٤٤ أى لم يَستندوا لِماَ هم فيه من الشرك والضلال إلىَ كتاب سماوىً ، ولم يأتِهم به رسولٌ من عند الله ، وإنَّ ما هم فيه محضُ زُورٍ وباطل من اختراع الوهْمِ والهوىَ ، وإن كفارَ قريش ــ إن كانوا قد غُروا بالقوة والمنَعة ــ فإنهم لم يبلغُوا عُشْرَ ما أعْطَى الله الأمم السابقة مثلَ عادٍ وثمودَ من النعم وأسبابِ القوة ، وفى هَذا عبرةٌ لمن يَعتبر : ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة سبأ

والمِعشارُ : العُشْرُ وهو الجزءُ من العشرة ، وهو مَثَلٌ لضآلة حظِّ قريش إذا قِيس بحظوظ الأممِ لسابقةِ فى بِسطة الجسم ، وقوةِ الأبدان ، وكثرةِ الأعوان ، والأموالِ ، فلمَّا كَّذبوا الرسلَ دمَّر الله عليهم ، وللكافرين أمثالُها .

ثم أمر الله نبيه محمداً ــ ﷺ ــ أن يتممَ الحجةَ علىَ المشركين مُلخِّصا ما ينبغى لهم أن يكونوا عليه فُرادى أو جماعاتٍ من الإخلاص لله ــ عز وجل ــ والتفكر فى أمر النبوة تفكـراً صحيحاً يعتمدُ على الدليل ، ويخضع للبرهان ، لا نازعاً منزعَ الهروبِ من الحق ، وَضَرْبِ الأمثال للنبى بالسحر تارةً ، وبالجنون أخرىَ ، جريًا وراء الأهواء ، ولنتدبر قوله ــ تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة سبأ

والوعظُ يتضمنُ الزجرَ يَقترِن به تخويف ، والتذكيرُ بالخير فيما يَرِقُّ له القلب ، أى : إنما آمرُكم وأنصحُكم وأُوصيكم بخصْلة واحدةٍ وهى توجيهُ الفكر والاجتهاد نحو الحق ودلائله راجين

وجْهَ الله ــ عز وجل ــ وأن تتفكروا فى أمر نبيِّكم : هل جربتُم عليه كذباً ، أو رأيتم فيه جِنَّة ، أو فى أحواله من فساد ، أو اختلف إلىَ أحدٍ منكم مِمَّـن يدعى العلمَ بالسحر ، أو هل تعلَّـم الأقاصيصَ وقرأ الكتب ، أو عرفتموه بالطمع فى أموالكم ؟ إنه مَن تعلمونه أرجحُ الناس عقلًا ، وأصدقهُم قولًا ، وأفضلهُم علماً ، وأحسنهُـم عملًا ، وأعظمهُم أمانة ، وأجمعهُم للكمالات البشرية ، فاجعلوا تفكيركم ــ على أى حال كنتم جماعاتٍ أو فُرادى ــ خالصاً لطلب الحق ، فما محمدٌ إلا رسول يُحذِّركم عقوبةَ الله فى الآخرة ويدعُوكم إلى ما فيه الخيرُ والصلاح .

إن الكلمةَ الواحدةَ التى وَعَظَ بها رسولُ الله ــ ﷺ ــ تقتضى نَفْىَ الشركِ وإثباتَ الإلـهِ الواحدِ الذى لا معبودَ بحقٍّ سِواه ، وإن القيام لله : يقتضى الإخـلاص فى الطاعـة طلبـاً لمرضاتـه ــ وحْده سبحانه ــ لا للمراء ولا للرياء والتقليد الأعمى .

وقوله : « مَثْنَى وَفُرَادَىَ » يقتضى أن تكون حالةُ الإنسانِ مع الجماعةِ أو منفرد على أفضل وجهٍ من حيث معرفةُ الحقِّ والتمسكُ به وخلوصُ النيةِ والقصدِ ، فمـع الجماعـةِ المشورةُ الصالحةُ والتعاضدُ علىَ الخير ، وفى حالة الانفرادِ توجيهُ الفكرِ فى آلاء الله وآياتِه وبراهين وحدتهِ وطرْدِ وساوس الشيطان ، وخواطرِ السوء عن النفس .

إن الرسول ــ ﷺ ــ ليس طالبَ دنيا ، وإنما عملهُ كان خالصاً لوجْه الله :

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ سبأ/٤٧ والمراد نفى السؤال أصلًا ، فهو لم يسألهم جُعْلًا علىَ تبليغ الرسالةِ ، وهم يعلَمون ذلك ، والله شهيدٌ ورقيبٌ لا يخفَى عليه شئٌ من أعماله ولا مِنْ أعمالهم ، فهو سبحانه يُجازى الجميع .

وإن الله ــ عز وجل ــ يُلقِى الوحْـيِ على مَن يَصطفيه من عباده متلبسا بالحق ، كما أنه سبحانه يقذف الباطـل بالحق فيدمغـه ويُزيلـهُ بالحجـة والبرهان :

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾سبأ/٤٨ .

وإن الحقَّ هو ما جاءكم به الوحْىُ ، ودعاكم إليه رسولُ الله ــ ﷺ ــ وبه يُكشف زيفُ الباطلِ وتُزْهَقُ روحُه ، ويَظْهَرُ عَوارهُ وفسادهُ ، وتذهب ريحه : ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ سبأ/٤٩ أى : مع الحقِّ ودلائله لاقرار للباطل ولا حياة ، بل هو إلى زوال تام لا يجدُ أربابهُ حجةً تَسنِده ، ولا دليـلا يقيمـه ، قال صاحب روح البيان : فَجُعِلتْ الآية مثلا فى الهلاك بالكليـة وروى عن ابـن مسعـود أنْ النبـــى ــ ﷺ ــ دخَل مكةَ وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل يطعنها بعـود فى يده ، ويقول : « **جاء الحق وزهق الباطل** » ، قل جاء الحق ومَاَ يُبدِى الباطل ومَاَ يُعيد .

لقد كانوا يقولون للرسول ــ عليه السلام :

تركت دين آبائك فضللت ، فقال له ربه : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ سبأ/٥٠ أى وبالُ الضلالِ على صاحبه لا تحمل نفس وِزر نفسٍ أُخرىَ ، وأما الهدايةُ إلىَ الحق فتأتى عن طريق الوحْيِ وبتوفيق الله — عز وجل ، أى : إن كل إنسانٍ مسؤولٌ عن عمله واختياره وكما قالوا — فى المثل : كل شاة معلقة برجلها .

وعند معاينة أهوال القيامة ومخاوفها يندم الكافرون ، ويبادرون إلى التوبة وقبول الإيمان ، وقد مضى زمن التكليف ، فلا ينجيهم إيمانهم حينئذ من عذاب السعير : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ سبأ/٥١ أى : ولو ترى فزعهم عند البعث لرأيت أمراً فظيعاً ، ولا يُفلِتُ واحد منهم من عقوبة الله إذ يُؤخذون جميعاً من موقف الحسابِ إلى نارَ جهنمَ وبئس المصير .

وهناك يصيحون : ربنا آمنا بما كفرنا به من قبل ، وانىَ لهم قبولُ الإيمان والتوبة ، والآخرة دارُ حساب وجزاءٍ لا دارُ تكليف وعمل ؟

والتناوش هو : التناول السهل ، يقال : تناوش الشيء أى تناوله وحصَل عليه بسهولة : **﴿ وانى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ سبأ/٥٢ فيه استبعاد واستحالة فقد انقطع ما بين الدنيا والآخرة ، فَمن أين لهم الحصولُ علىَ الإيمان وقبولُ التوبة من الكفر ، وهذا من أعمال الدنيا وهى دارُ التكليف ، وقد صارت بعيدة عنهم كل البعُد .**

وقد مُثِّل حالُهم فى هذا المشهد الأخروى ، وهم يطلبون بإيمانهم فى هذا الوقت الخلاص من العذاب بحال من يُريد أن يتناول الشيء من طُرف أو مكان بعيد جدا عنه ، فأنى له ذلك ؟

إنهم يُبادرون إلى الايمان والتوبة لما رأوا العذاب ، وقد دُعوا إليه فى الدنيا فأبوا ولذا وبختهم الآية على ما كان منهم : ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ سبأ/٥٣ من قبل : أى فى وقت التكليف وقد كانوا فى الدنيا يرجمون بالظن ويتكلمون بالتخمين فى حق الله فينسبون إليه — تعالى — الشريك والولد ، ويقولون : لا بَعث ولا حساب ولا جزاء ، ويضربون الأمثال للقرآن فيقولون : سحرٌ وشعــرٌ وأساطير الأولين ، وللــرسول ﷺ فيقولون : ساحرٌ ، وكاهنٌ ، وشاعرٌ وغيرُ ذلك « من مكان بعيد » أى من جهة بعيدة عن أمْرِ مَن تكلُّموا فى شأنه وبعيدة عن الحق والصدق ، وقد مُثِّلَ حالُهم فى ذلك بحالِ مَن يَرمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه ، فكلُّ ما قالوه فى القرآن ، وفى النبى ﷺ بعيد كل البعد عما يليق به .

وقد أكَّد السياقُ أن إيمانهم فى الآخرة لم ينفعهم ، ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾

سبأ/٥٤ أى : وبين ما يريدون من نفع الإيمان والنجاة من النار ، وقد ماتوا على الكفر والجحود ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾ سبأ/٥٤ أى إنها سنةُ الله عز وجل فى الأمم التى كذبت وعاندت مثل عاد وثمود وغيرهما ، لأنهم جميعا كانوا على نمط واحد من الشك فى التوحيد والبعث والجزاء : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾ سبأ/٥٤ أى فى شك واضح جلى ، فكيف ينفعهم اليقين فى الآخرة وقد فارقوا دار التكليف ؟

إن العاقل هو من نظر فى الدليل ، وتفكر فى البرهان ، وأذعن للحق ، وصدق الرسل .

والله أعلم ،،،،،،

رؤية لفضيلة أستاذنا الدكتور عفيفى عبد الفتاح رحمه الله — فى قوله تعالى — قل إنما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد وأثبت هنا ما علق بذهنى من كلمات أستاذى رحمه الله وخلاصتها :

أن أسلم التفكير وأحسنه أن يفكر الانسان فى « الأمر » الذى يعرض له بمفرده فقط ، أو مع إنسان آخر ، فيتناول الأمر ، أو يتناولانه بهدوء يشمله فهده الحالة تؤدى الى نتيجة سليمة ، أما التفكير الجماعى فغالبا ما يغيب معه وجه الصواب ، اذ قد يكون الصواب فى تفكير شاب فيستحى من عرضه على الشيوخ .. أو غير ذلك وأذكر أن استاذى — رحمه الله — بين أن ذلك النمط هو الذى دعا اليه علم النفس وبعد ، فلو أن كل قرشى من كفار مكة ابتعد بعقله عن تأثير زعامة قريش وردد فى نفسه تاريخ محمد ﷺ بينهم لانتهى الى حتمية صدقه وسلامة رسالته رحم الله شيخى وأجزل مثوبته .

الإمام الأكبر في فتاويه الفقهية

٢

للدكتور/ محمد رجب البيومى

قرأت قديما للدكتور أحمد أمين مقالا بالجزء الثالث من (فيض الخاطر)[١] تحت عنوان (مصدر تاريخى مهمل) عرض فيه إلى تحليل كتاب فقهى تحت عنوان (الفتاوى الحديثة) لابن حجر الهيثمى المتوفى ٩٧٤هـ ، وقد قال الكاتب : إن أكثر كتب التاريخ ترتكز على الملوك والرؤساء « أما الشعب نفسه فلسنا نعرف حالته إلا من ثنايا الكلام ومما يذكر عرضا ، فإذا كان هذا المصدر يعنى بشرح الحالة الاجتماعية للعصر فلاشك أنه يكون مصدرا لا يصح إغفاله ؛ تلك هى كتب الفتاوى فى الفقه وما أكثرها .

ذكرت هذه المقالة حين طالعت هذه الأيام ما كتبه الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق فى موسوعة فتاوية الجامعة ؛ إذ أنها لا تقف عند تصوير الحالة الاجتماعية فقط . تلك التى أشار إليها الدكتور أحمد أمين بل تشمل نواحى كثيرة من سياسية واقتصادية وتاريخية وغيرها ، ويزيد فى قيمتها ما ذكره الدكتور أحمد أمين من : أن مؤلف هذه الفتاوى الفقهية « عادة ما يكون من أكبر رجال عصره فقها وعلما ومركزا حتى تتجه إليه الأنظار بحكم مركزه العلمى أو منصبه الرسمى « وهذا ما ينطبق على الإمام الأكبر دون محاباه » .

وسأعرض إلى أمثلة من الفتاوى التى تشير إلى المناحى السالفة ، لترى كيف أرضت هذه الآراء الفقهية رغبات العصر وأنارت الطريق لذويه من ناحية ، وكيف صارت مصدرا تاريخيا يجب أن يرجع إليه من يتحدثون عن الأحوال العامة فى

١ ـ فيض الخاطر ج ٣ ص ٩٣ ط سنة ١٩٥٨ م

مصر بل فى أكثر بقاع العالم الاسلامى فى العصر الحديث ، وهكذا كانت فتاوى أئمة الإسلام فى مصر من أمثال « محمد عبده ومحمد بخيت المطيعى وعبد المجيد سليم ومحمود شلتوت » إذ كانوا مصدر إشعاع منير ، وقبلة الأنظار فى العالم الفسيح .

نختار — فى الناحية الاجتماعية — مثالا من فتوى الإمام الأكبر فى الإجهاض ، حيث أجاب عن سؤال سائل طبيب يذكر أن هناك عيوبا وراثية بعضها عيوب خطيرة لا تتلاءم مع الحياة العادية ، وقد أصبح من الممكن الآن اكتشاف هذه العيوب بطرق علمية صحيحة لا يتطرق إليها الشك قبل الولادة وأثناء فترة الحمل ، وهذه العيوب تعالج فى الخارج بالإجهاض ، ويريد السائل أن يعرف ما هو حكم الشرع الإسلامى فى هذه الحالات .

وقد أجاب الإمام الأكبر عن هذا السؤال إجابة مبسوطة شافية وافية ، فبدأ بالتعريف اللغوى لمادة الإجهاض ، وثنى بالتعريف الاصطلاحى عند الفقهاء ، ثم انتقل إلى حكم الإجهاض عند أئمة الفقه فى شتى مذاهبه ، فذكر فقهاء المذهب الحنفى وما اتجهوا اليه من إباحة إسقاط الحمل قبل أربعة أشهر وإن لم يأذن الزوج ، ولم ينس أن يذكر قول بعض فقهاء المذهب أنه يكره وإن لم يتخلق ، لأن الماء بعد وقوعه فى الرحم مآله الى الحياة .

وخلص إلى مذهب مالك فذكر أن فقهاءه يرون عدم الجواز لخروج المنى المتكون فى الرحم ، ولو قبل الأربعين ، وإذا نفخ فيه الروح حرم إجماعا ومعنى هذا أنه : ليس عند المالكية قول بإباحة إخراج الجنين قبل نفخ الروح فيه وبعده بالأولى ، كما نص ابن رشد على أن مالكا استحسن فى اسقاط الجنين الكفارة ولم يوجبها لتردده بين العمد والخطأ ، أما الشافعية فقد اختلف علماء المذهب فى التسبب فى إسقاط الحمل الذى لم تنتفخ فيه الروح على قولين ، فقد قيل : لا يثبت له حكم السقط ، وقيل : له حرمته ولا يباح إفسادها ، أما فى حالة نفخ الروح فما بعدها فلا شك فى التحريم ، ولدى الحنابلة أنه يباح للمرأة إلقاء النطفة قبل أربعين يوما بدواء مباح ، وكذلك اتجه فقهاء المذهب الظاهرى فيما نقله الامام عن المحلى لابن حزم ، وفقهاء الزيدية والشيعة الإمامية والأباضية ، وبعد أن عرض هذه الآراء بادر بتلخيصها فى دقة ووضوح .

هذا عن الإجهاض قبل نفخ الروح ، أما بعد النفخ ومضى أربعة أشهر ، فقد ذكر الشيخ الأكبر ما يدل على أن فقهاء المذاهب جميعا يجمعون على أن إسقاط الجنين دون عذر بعد نفخ الروح فيه محظور وتجب فيه عقوبة جنائية ، وذكر فى الهامش أحد عشر مرجعا لأقوال فقهاء هذه المذاهب موقعة بالصفحة والجزء ، ليستطيع المعقب أن يرجع اليها دون عناء ، وهذه دقة تحمد وتستطاب ، وفصل فى القول بما لا يتحمله هذا البحث المركز ثم قال « أما إذا قامت ضرورة تحتم الإجهاض كما إذا كانت المرأة عسرة الولادة ، ورأى الأطباء المختصون أن بقاء الحمل فى بطنها ضار بها ، فعندئذ يجوز الإجهاض بل يجب ، إذا

توقف عليه حياة الأم عملا بقاعدة « ارتكاب توقفت عليه حياة الأم عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين . وأهون الشرين » وهذا ما ارتاه الشيخ فى حكمه الختامى .

ثم انتقل الإمام الى نقطة أخرى هى الحديث عن حكم الإسلام فى وراثة الأمراض والصفات والطباع فقال إن هذه الوراثة مقطوعة بها . وكشف العلم عنها يؤكد قول الرسول (تخيروا لنطفكم) كما يشير إليها ما دار من حوار بين رسول الله ومن ذكر له أن امرأته جاءت بغلام أسود ، فقال له النبى ﷺ هل لك من إبل ، فقال نعم ، قال ما ألوانها قال حُمْر ، قال : فهل فيها من أوْرق قال نعم قال : أنىَ ترى ذلك ؟ فقال : أراه نزعة عرق فقال : فلعل هذا نزعة عرق !

ثم تابع ما يؤكد ثبوت الأثر الوراثى بأقوال للشوكانى فى نيل الأوطار . وللشافعى ولابن حجر الهيثمى ، وغيرهم ليتساءل بعد ذلك : هل يجوز الإجهاض بمعنى إسقاط الجنين اذا اكتشفت عيوبه الخطيرة التى لا تلائم الحياة العادية ؟ ولم يجزم بالجواب قبل أن يعرض فى امتداد رحب آراء الأئمة فى التعقيم وإجماعهم على حرمته إن لم تدع له الضرورة ، أما إذا دعت لوجود مرض عقلى أو جسدى أو نفسى عصى على العلاج ، فيجوز لمن تأكدت حالته المرضية بالطرق العلمية والتجريبية أن يلجأ إلى التطعيم الموقوت لدفع الضرر القائم فعلا المتيقن حدوثه إذا لم يتم التعقيم ، هكذا قرر الامام الأكبر مستندا إلى آراء كبار الفقهاء من أمثال : ابن عابدين فى حاشيته على الدر المختار والبيجرمى فى حاشيته على الخطيب والشبراملى فى نهاية المحتاج ، والرملى نقلا عن الزركشى والقرطبى فى كتابة الجامع لأحكام القرآن ، ويطول القول إذا تتبعنا ما جاء فى الفتوى من مصادر كانت ركيزة الحكم النهائى الذى قرره المفتى الأكبر بإشباع وامتاع .

ولعل القارىء على ذكر مما قلته من قبل عن الاتجاهين المختلفين فى إصدار الفتوى عند الإمام محمد عبده والشيخ عبد المجيد سليم حيث يعتمد الثانى على النصوص الفقهية ويعتمد الاول على الروح العام للتشريع لان ذلك يمثل فى هذه القضية وفى غيرها اتجاهين مختلفين للفقيهين الكبيرين الإمامين « محمود شلتوت وجاد الحق على جاد الحق » حيث تعرض الأول للإجابة عن حكم الإجهاض فحرر المراد [٢] فى صفحات ثلاث بعيدا عن النصوص الفقهية ومنتهيا الى الحكم بالإباحة قبل النفخ والتحريم بعده إلا لضرورة مؤكدة التقاء النظرتين الطبية والشرعية فى سبيل واحد ، ولست اعنى أن الامام الأكبر محمود شلتوت لم يعرف أكثر هذه النصوص فمكانته الفقهية أعرق من أن يحوم حولها حائم ، ولكنى فى مجال الاختيار أوثر الاتجاه المؤكد بالنصوص والنظر الشامل الى المحيط الفسيح فى التراث الفقهى ، لأن فى دراسة الآراء المتماثلة والمتعارضة معا لدى فقهاء الشريعة فى مذاهبهم المختلفة لذة نفسية يدركها أهل النظر

٢ ـ الفتاوى للإمام محمود شلتوت ـ الطبعة الرابعة عشرة ص ٢٨٩ وما بعدها ..

فوق جدواها الراسخة فى الإقناع والالزام .

ومن المسائل الاجتماعية الهامة التى دار حولها الجدل فى الصحف واندفع بعض من يتزيون بأزياء العلماء إلى القول المشتط دون دليل ؛ ما عرف بمسألة تنظيم النسل ، حيث كثر اللجاج فى الصحف وظهرت أسماء تدعى المعرفة بأصول علم الاجتماع وقواعد التربية ومسائل الاقتصاد لتقرر وجوب إصدار قانون يفرض التنظيم ، ولم يشأ الامام الأكبر أن يسكت عن هذا اللغو ؛ فقال فى فتواه الواضحة بعد أن عرض أقوال الأثبات من الفقهاء كدأبه فيما يصدر من تحقيق ، قال : إن هذا الذى قرره الفقهاء من جواز تنظيم النسل بمنع الحمل فترة مؤقتة أخذا من جواز العزل ، إنما أباحوه بشرط موافقة الزوجين فلا ينفرد أحدهما مستبدا بالرأى ، وإذا كان هذا هو الأساس فإن القانون لا يصلح أداة فى هذا الوضع لأن الإرادة لا يتحكم فيها القانون . إذ أن لكل فرد ظروفه التى يقدرها وعليه أن يحسن التقدير

ثم انتقل إلى مسألة التعقيم لمنع الحمل فقال : يحرم التعقيم لأى واحد من الزوجين أو كليهما إذا كان يترتب عليه عدم الصلاحية للانجاب مستقبلا سواء كان التعقيم القاطع للانجاب بدواء أو جراحة إلا إذا كان الزوجان أو أحدهما مصابا بمرض موروث أو ينتقل بالوراثة مضرا بالأمة حيث ينتقل بالعدوى وتصبح ذريتهما مريضة لا يستفاد بها . بل تكون ثقلا على المجتمع سيما بعد أن تقدم العلم وثبت انتقال بعض الأمراض بالوراثة ، فمتى تأكد ذلك جاز تعقيم المريض بل يجب دفعا للضرر .(٣)

ونكتفى فى الفتاوى الاجتماعية بهذين الشاهدين لنلم بما يمثل المنحى السياسى فنقول ان سيطرة بعض ما يسمونه بالعلمانيين على منافذ الصحافة الجهيرة من يومية وأسبوعيه لم تتح الفرصة للإمام الأكبر أن يظهر كل ما يقرره فقد يصدر المقال العلمى أو البحث الفقهى أو الحديث التاريخى لمناسبة دينية فيجد من يبتره بترا ؛ بل من يحاول أن يشوهه تشويها مقصودا لإخفاء ما يراه منافيا لأهوائه ، ومن العجب أن الجرائد التى تملأ ثلاث صحف يومية بأخبار الرياضة ، وصحيفة وصحيفتين لأخبار الفن تضيق بحديث الإمام فتوجزه فى عمود يظهر فى مرأى عمودين لتخدع القارىء ، لذلك لا يعلم الجمهور — أو لا يكاد — يعلم شيئا من آراء الإمام فيما يدور من الأحداث بل يجد المهاجمة الحادة من صحف تدعى أنها تحمل راية (التنوير) باطلا دون حق ، لأن التنوير فى صميمه رجوع إلى نور الاسلام الذى قال الله عنه فى كتابه : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ (٤) .

هذا هو النور الحقيقى ومنه يشتق التنوير فى مفهومه الإيمانى الصريح وماذا بعد الحق إلا الضلال ..

ونكتفى بمثالين — فى الاتجاه السياسى — مما

٣ — الفتاوى الإسلامية (إدارة الإفتاء) المجلد التاسع ص ٣٠٩٠ ، ٣٠٩١ .

٤ — سورة المائدة

كتبه الفقيه الإمام لا باعتباره مفتيا بل باعتباره فقيها كبيرا يتحدث عن معاضل العصر وموبقاته فقد قال كلمته المصنفة عن التطرف الدينى وأبعاده سياسيا وأمنيا واجتماعيا . فكان العالم المتزن والفقيه الدقيق ذا البصر المحتد إلى شتى الزوايا والمنعرجات فقد أرجع سموم التطرف إلى الثقافة الوافدة التى نكتفى بشرها فى ميدان اللغو الزائف . ونجانب خيرها فى دنيا الاكتشاف العلمى والتوثب الصناعى ، فمهد لحديثه بكلمة عن سياسة الغرب فى تعامله مع الشعوب النامية وقال فى صراحة(٥) : لقد نادى الغربيون بحقوق الإنسان وحقوق الفــرد والحريـــة ووضعوها فى مصطلحات معلنة هى حرية التمتع بالحياة وحرية الملكية وحرية الفكر والاجتماع وحرية القول والعقيدة ، وجرى التصور لدى البعض بأن الغرب مقتنع بهذه الشعارات ولكن الواقع العملى شاهد على أن الغرب يحتفظ لنفسه بحق السيادة والتوعية للشعوب الأخرى فى أفريقيا وآسيا وحرمانهما من حريتهما فى تصريف شئونها ثم قال الإمام الأكبر ما ملخصه : إن مصر قد تعرضت لتيارين مختلفين تيار يدعو إلى التجديد فى كل شىء بحيث تحذو حذو الغرب فى الثقافة والأدب والاجتماع والرأى الدينى أيضا ، وتيار متشبث بقيم المجتمع وتقاليده وآدابه وقد انتصر الاتجاه الأول وبدأ التغيير فى مصر فى كثير من المجالات الثقافية والدينية والاجتماعيـة فانـزوت الشخصية الإسلامية العربية فى الثقافة والتعليم ، وصار للمتغربين اليد الطولى فى التخطيط والتنظيم ثم كانت التغييرات الواسعة فى مجالات الأسرة والتعليم والثقافة والتربية والقضاء والتعليم الدينى : لقد تواكبت هذه العوامل وتشابكت وانتجت شعورا بعدم الرضا المكتوم فى الصدور لدى قطاعات كبيرة من الناس ومما زاد من حدة الأمر أن هذه القطاعات لم تكن لتجد الفرصة للتعبير عن رأيها فيما تراه من المتناقضات وما تريـده من إصلاح ، وعلى الجانب الآخر فإن مئات أخرى مُكنت من زمام الإعلام والفن وأخذت تعمل على تغير الفكر الاجتماعى والتقاليد المصرية بما لا يتفق أحيانا مع عقيدة هذا المجتمع ، مما اوقع المواطن فى حيرة بين ما يؤمن به وبين ما يعيشه كرها ، ثم نشبت فى العشرين سنة الأخير ظاهرة التحلل الأخلاقى بين الشبـاب ولم تلتـفت اليها ــ مع ظهورها ــ الأجهزة المعنية ولم تنهض لمكافحتها إلى أن دون طلقات التطرف .

ثم قال الامام بعد أن حدد تيارين متقابلين تيار الغلو فى الدين ، وتيار التحلل من الدين ومن القيم الأخلاقيـة ما ملـخصه : لابـد من مواجهـــة الظاهرتين معا فلابد من كشف المفهوم الصحيح للتدين حتى يكون هذا المفهوم فى صفائه ونقائه مصدر جذب لكلا التيارين ومصححا لمسيرتهما فى الحياة ! لقد استشرى الانحلال بين قطاعات كبيرة من الشباب ، وفقدت الأسرة سيطرتها وانعدم دور المجتمع والمدرسة . وزاد الأمر حد ما تمارسه بعض وسائل الإعلام وما ترسخه من قيم

٥ ــ التطرف الدينى وأبعاده للإمام الاكبر (ملحق مجلة الازهر . ص ٨ وما بعدها .

غريبة عن المجتمع لا سيما الأفلام والشرائط التى يُساء اختيارها وتقدم عن طريق السينما والتليفزيون ، ولم تعُدْ الصحافة كذلك تلتفت إلى أمانة الكلمة ولكن تلتفت إلى الخبيث من المثل ، وقد أفرغت الحرية من مفهومها الصحيح حتى صارت الدعوة إلى الفساد حرية ، وصار الطعن فى الإسلام وصلاحيته حرية ، ثم صارت المسارعة إلى توزيع الاتهامات على الناس أسبق من نتائج التحقيق التى تقوم بها الجهات المختلفة : هذه الجولة بين آفاق التطرف والارهاب أوضحت أنه لا ينبغى التركيز على ما يسمى بالتطرف الدينى فحسب وإنما يلزم دراسة التطرف الفكرى بوجه عام !

هذا منطق الحق ، صدع به الرجل عن دراسة مطمئنة ، ووعى بما يختلط فى المجتمع من تيارات أظهرها صوتا ما تقذف به الصحف وأدوات الاعلام من جرائم ذات إبادة واستئصال .

ولم يقصر الإمام نظره السياسى على مصر وحدها بل كان له رأيه المسموع فى أحداث الدول الإسلامية على اختلاف أقطارها وقد كان صوته أجهر المبطلين لمن يدعون إلى تدويل إدارة الحرمين الشريفين فبعد أن مهد بحديث(٦) شاف عن قدسية الحرمين الشريفين فى التراث والسنة والفقه الإسلامى تحدث عن سدائن البيت الحرام كما فصلت حديثها كتب التفسير والحديث والسير والتاريخ منتقلا إلى لباب الموضوع وهو ما يشاع عن التدويل فذكر أن فكرة التدويل فكرة حديثه فى مفهوم الفقه القانونى الدولى وهى نظام استثنائى ابتدعته الدول الكبرى وفشل تطبيقه عمليا . وقد اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة توصية بتدويل منطقة القدس وكان تعقيب فقهاء القانون عليها أنها لا تستند الى أساس قانونى ، فليس لهذا التنادى بالتدويل — على ضآلة المنادين به — من سبب ولا سند فى الإسلام .

ثم تحدث عن مكانة الحرمين كما تقررت فى كتب المذاهب ، وخص كتب الامامية بالاستشهاد ليرد على من أثاروا الشغب من الإماميين فى المسجد الحرام ، يرد عليهم من كتبهم المعتبرة لديهم وهو اتجاه يقطع عليهم سبيل اللجاج كما هو صريح فى تحريم المسيرات السياسية ذات الشغب فى موسم الحج . إذ لا جدال فى الحج بنص القرآن الكريم .

وفى مجموعة الفتاوى للإمام الأكبر فتاوى سياسية أخرى عن الفريضة الغائبة ، وأحداث الزاوية الحمراء ، ومعاهدة الصلح بين مصر واسرائيل ، وكلها ذات منطق أصولى واضح وذات استشهاد قوى بالنصوص الصريحة لأئمة التشريع فى مختلف المذاهب الفقهية ، مما يؤكد ان إمام المسلمين يعيش فى مواجهة الأحداث بعين الراصد المترقب ، وأنا أعرف جيدا أن كثيرا من آرائه التى دونها فى حقيبتى الإفتاء ومشيخة الأزهر الشريف لم يتح لها الذيوع على النحو المنتظر ، لأن أكثر المسيطرين على أدوات الإعلام يعتنقون ما يخالف الرأى الاسلامى وهى ظلمة نرجو أن يبددها الضياء عن قريب .

---

٦ — قداسة الحرمين الشريفين للإمام الأكبر (ملحق مجلة الأزهر) شعبان سنة ١٤٠٨ ه ص ٣ وما بعدها .

مع

سورة الأنفال

فضيلة الدكتور عبد الجليل شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾

ما هذا الكتاب الذى سبق من الله ـ سبحانه وتعالى ـ

يورد المفسرون فى تبيينه أقوالاً متعددة ويطول بنا القول لو ذهبنا نستعرضها وننظر فى كل واحد منها . وقد اختار الشيخ « رشيد رضا » وفاقاً لما ذهب إليه « ابن جرير الطبرى » جواز إرادة كل ما يحتمله اللفظ من المعانى التى جاء ذكرها ، وهو رأى حسن ، والآية لم تدل صراحة على أى رأى ، ويكفى أن نستعرض بعضا منها ، وقد استعرض « الفخر الرازى » أربعة آراء .. أورد على كل منها اعتراضاً ، وبعض اعتراضاته غير وارد ولا يحسن الوقوف لديه ، وأمهات الكتب التفسيرية ارتضت ما اعترض عليه .

ومن اعتراضاته التعسفية « لولا كتاب من الله سبق بحل الغنائم للمسلمين » ثم اعترض عليه بأنه إذا كان الحل واقعاً فلا وجه لنزول العذاب على شىء مباح وإن كان لم يقع كان فعل النبى وأصحابه الذين قبلوا الفدية حراماً .

ورأى آخر ذكره ، هو أن المراد بالكتاب الذى سبق أن الله لا يعذب على شىء إلا بعد النهى عنه ، ولم يسبق نهى عن الغنائم ، ثم تساءل هل وجد دليل عقلى يقتضى الحرمة أم لا ، واعترض على كلتا الحالتين .. والواقع أن الدليل العقلى لا يوجب تحريما ولا يترتب عليه عذاب ، والله تعالى يقول : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** ﴾ ولم يشأ « الفخر الرازى » أن يعرض هنا للخلاف المعروف عند المتكلمين من أهل السنة والمعتزلة ، ورأيه هنا ـ كما هو واضح ـ غير جيد .

والقول الثالث أنه قد سبق حكم الله ألا يعذب أحداً ممن شهد بدراً مع النبى ﷺ وقال : إن هذا مشكل أيضا ، لأنه يقتضى رفع التكاليف عن آل بدر ، فيحل لهم المعاصى وكبائر الذنوب . وهو ناظر فى هذا إلى قصة « حاطب » ـ رضى الله عنه ـ ومحاولة إبلاغ مشركى مكة بقدوم النبى ﷺ والمسلمين لفتح مكة ، وقد أراد عمر قتله فقال له رسول الله ﷺ ومايدريك ، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ، وهو فهم غير جيد للحديث ،

فهو مجرد تمثيل وتصوير لقبول الله ــ سبحانه ــ لهؤلاء المجاهدين البدريين وأن مغفرته شاملة واسعة لهم ، ولا يعنى أصلا إباحة المحرمات لهم ، وقال كثيرون : إنه قول لتشريف هؤلاء القوم وتكريمهم ، ولا يعنى بحال أنه أمر بإباحة المحرمات ، وجاء أن واحداً من البدريين شرب الخمر فحده عمر .

وأورد أيضا أنه يعنى أن الله كتب أنه من أتى ذنباً بجهالة فإنه لا يؤاخذه عليه إذا تاب وأصلح .

وهذا القول ليس بجيد ، فقد سجّل أن أخذهم الفداء من الأسرى كان ذنبا . وكيف يكون ذنباً ولم يأت نهى عنه ؟ ثم كيف يرتكب النبى ذنباً وهو المعصوم ـ وهو ﷺ إذا اجتهد فأخطأ رده الوحى عن الخطأ قبل الوقوع فيه .

وقيل أيضاً : لولا كتاب من الله سبق فى الأزل بالعفو عن هذه الواقعة ، وهذا ما توحى به الآية : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » والحديث القدسى : « سبقت رحمتى غضبى » وأورد « الفخر الرازى » هنا رأى المعتزلة من أنه : لا عفو عن الكبائر ، ولكن من احترز عنها صارت كبائره صغائر معفواً عنها ، ويكون المعنى حينئذ : لولا كتاب من الله سبق فى أن من احترز عن الكبائر غفرت له .

وهل كان قبول الفدية من كبائر الذنوب وارتكبها رسول الله ﷺ وصحبه ؟ ثم إن هذا حكم لجميع المسلمين ، وأهل بدر لهم ميزتهم على المسلمين الآخرين فهم سبقوا إلى الإسلام ، وانقادوا لأوامر الرسول ، وأقدموا على القتال مع قلة عددهم ونقص عددهم ، فهم مع هذا العمل الجليل اذا صدر منهم ذنب ، أو أفلتت منهم خطأة خليقون أن يسامحوا فيها ، وهذا ما تتجه إليه النفس وتكريمهم فى هذا ظاهر .

وإذ رأينا هذه الأقوال فى معنى الكتاب وما يراد منه ، فأين سبق هذا الكتاب ؟ سبق فى علمه الأزلى ، أو فى أم الكتاب واللوح المحفوظ أو فى القرآن من أن الله لا يعذبهم والرسول بينهم ــ كما قال تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » .

وأيا من هذه الأقوال اخترنا ؛ نجد المعنى واضحا فى ظهور رحمة الله ـ تعالى ـ وعفوه .

وكما جاء عن ابن عباس ان المسلمين كانوا يومئذ قلة ، وكان أعداؤهم كثرة فكان جديراً بهم أن يُذهبوا أعداءهم ويقللوا عددهم ، فلما كثروا واشتدوا ؛ خيرهم الله بين المن والفداء ــ فقال سبحانه ــ ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ سورة محمد ــ ٤

وقد كان عمر على طبيعته الثائرة لا يمر بأسير إلا ضرب عنقه حتى منعه رسول الله ﷺ فقال سعد بن معاذ الأنصارى : يا رسول ، كان الإثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال ، واستنكر بعض الصحابة رأى أبى بكر فى قبول الفداء ، فقال : أرادوا قتل رسول الله ﷺ وهدم الإسلام ويأمر أبو بكر بالفداء .

ويبدو أن الصحابة يومئذ كانوا فى اضطراب واختلاف آراء ، فبينما نجد عمر يقول : أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم ، فتمكن علياً من عقيل « ابن ابى طالب آخى على » فيضرب عنقه وتمكننى من فلان ــ لنسيب له ــ فأضرب عنقه ، وتمكن فلاناً من فلان قرابته ، فإن هؤلاء صناديد الكفر وأئمته ، بينما نرى ذلك ، نجد قائلاً آخر يقول : لو كان فى الأسرى أبو عمر أو أخوه ما أمر بقتلهم . وقد قال عمر : يارسول الله

مالنا وللغنائم نحن قوم نجاهد فى دين الله حتى يعبد الله .

وغدا عمر على رسول الله ﷺ وأبى بكر فاذا هما يبكيان فسألهما عما يبكيهما وقال : إن وجدت مايُبكى بكيت وإلا تباكيت ، فقال رسول الله ﷺ : لو عذبنا فى هذا الأمر ياعمر مانجا غيرك ، قال الله : لاتعودوا تستحلون قبل أن أحل لكم .

وفى رواية أخرى لما نزلت آية ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ .. ﴾ قال رسول الله ﷺ : لو نزل عذاب من السماء لم ينج إلا سعد ابن معاذ .. وذلك لقوله كان « الإثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال » .

ولا مانع من تكرار هذه المقالة ، ففى رواية أخرى : إن كاد ليمسنا فى خلاف ابن الخطاب عذاب عظم ، ولو نزل العذاب ما أفلت إلا عمر .

ولا مانع من تكرار الحديث فى هذا الموقف وإن الأحاديث التى جاءت فى هذه الموقعة مع اختلاف ألفاظها كلها صحيحة .

وهناك أقوال أخرى ولا أرى داعياً لاستعراض كل ما قيل ، ومنها أن كتاباً من الله سبق بحل الغنائم للمسلمين ، وقبل ذلك كانت تجمع حتى تنزل من السماء فتحرقها ولكن الله ــ سبحانة أحلها لمحمد ﷺ وأمته خاصة ، ولست استريح لهذا ولكن حل الغنائم من خواص هذه الأمة ، والأمر هنا ليس هو الغنائم ، ولكنه الفداء ، والفداء كان موجوداً فى الجاهلية .

والآية السابقة ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ .. ﴾ واضحة فى أن المسلمين فى أول أمرهم ــ وهم قلة مستضعفون ــ كان لابد لهم من الإثخان فى القتل إرهاباً لعدوهم وتمكينا لأنفسهم ، وذلك خير لهم من عرض الدنيا وهو مال الافتداء .

وبينت الآية التالية أن مخالفتهم سنة الله وأخذهم الفداء من غير إذن من الله لهم فى ذلك ، ومخالفتهم هدى الأنبياء لا يقتضى تحريم الفدية التى أخذوها بل أباحها الله ــ تعالى ــ لهم وجعلها كالغنائم والأنفال التى سبق إحلالها فى هذه السورة ــ فحيث سبق كتاب من الله أنه لا يعذبهم فيما أخذوا فهو حلال لا خبث فيه فليس كالميتة والدم ولحم الخنزير مما هو رجس وخبث فى نفسه ، لا يؤكل إلا عند الضرورة .

وختمت الآيات الثلاث بالأمر بتقوى الله ــ سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فهذا أمر بأخذ الوقاية من عذاب الله وذلك بطاعة فى كل ما أمر به ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه ــ فهو سبحانه يغفر للذين يعملون بجهالة ثم يتوبون من قريب فيسامحهم فيما ارتكبوا وذلك بفضل رحمته لا يصر على عقوبتهم .

والذى يقتضيه المقام أن الإثخان كان أحوط وأضمن نتيجة ، والمسلمون مع إيثارهم أو إيثار جمهورهم الفدية وأخذها لم يضعفوا ولم يقو أعداؤهم عليهم ؛ بل ظل تيار الإسلام يقوى ويشتد وكانت بدر فاتحة انتصارات توالت حتى شمل الإسلام الجزيرة العربية ، ولكنهم خالفوا المنهج الأمثل ، وطاعة النبى ﷺ إلى إراقة الدماء وإزهاق الأرواح ، ومن هؤلاء الأسرى من أسلم بعد وكان له أعمال مفيدة نافعة للإسلام والمسلمين .

التعريف بشيء مما جاءت به سورة النور

بقلم الاستاذ الدكتور/حسن اليك *

الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين الذى جاء متمما لمكارم الأخلاق وعلى آله وأصحابه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان الى يوم الدين .

وبعد فإن الشريعة الاسلامية بما اشتملت عليه من عقائد وعبادات وآداب وتشريعات قد بين الله فيها للناس بما نزل إليهم ما يصلح من شأنهم ويقوم معوجهم ويرفع ذكرهم إن هم اهتدوا بهديها ونهلوا من ينابيعها .. فالحق ما كان مرافقا لما أنزل الله والباطل باطل فى الحيدة عن شريعة الله والإعراض عن سنة رسول الله ﷺ .

وإن مما جاء به الاسلام وطبقه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصحبه الكرام ـ رضى الله تعالى عنهم ـ الآداب والأخلاق الإسلامية ، إذ أن هذه الأخلاق وهذه الآداب قد جاءت متناسقة فى سورة من سور القرآن الكريم ألا وهى « سورة النور » وهى سورة مدنية ، وبالاستقراء والتتبع نجد أنها مستوعبة للكثير من الأدوية الصالحة ، لأن تعالج بها الأسر والمجتمعات .

وبعد الفهم السليم لهذه السورة وقراءة المراجع حول ما كتب عنها ، أخذت أوازن بين ما يقال عن الإسلام وبين ما أعرفه عن حيوية هذا الدين ، فوجدت أن هذه السورة بما اشتملت عليه من وصايا أخلاقية اجتماعية تؤكد لنا أن الإسلام دين حيوى صالح لكل زمان ومكان . ولقد وجدت أن هذه السورة لو طبقت فى العالم الإسلامى اليوم لجعلت من أمته ـ كما جعلت من الصحابة ـ خير أمة أخرجت للناس .

ثم وجدت كذلك من خلال هذه السورة أن الإسلام لم يترك مشكلة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد وضع لها الحل الصحيح السليم ، فهو يدخل فى

* الكاتب : أستاذ بجامعة مرمرة ـ كلية الالهيات ـ استنبول .

العلاقة بين الابن وأبيه ، وبين الخادم ومخدومه ، وبين الزوج وزوجته ، وبين الأفراد بعضهم مع بعض وبين الأفراد والمجتمع .

ومن خلال تكرارى لقراءتها عجبت للبدايات التى بدئت بها سورة « النور » :

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾

النور ـــ ١ .

فقلت : لماذا هذا التخصيص ؟ ألم يكن القرآن مؤلفا من سورة .. منزلة .. مفروضة .. فيها آيات بينات ؟؟! وأخيرا وجدت الجواب لهذا السؤال :

سورة : ما هو إلا تعظيم لشأنها حتى ينبه القارىء من أول وهلة إلى عظم هذه السورة .

وقوله : أنزلناها ، جملة تحمل الضمير « نا » إشارة الى أن منزل هذه الآيات الحكيم القوى بيده نفوسكم ومقاديركم .

وقوله : فرضناها : أى : أن هذه السورة بما احتوت من آداب وتعليمات ، وأحكام فى الحلال والحرام والأمـــر والنهى ، ليست بمثابـــة التوصيات ، حتى تكونوا بخيار من ممارسة مضمونها أو عدم ممارسته حسب مرضاتكم ؛ بل إنها أحكام قاطعة لابد لكم أن تتبعوها وتكيفوا شئون حياتكم الفردية والاجتماعية على حسبها .

يقول الأستاذ المودودى : « فهذه الجمل الثلاث كأنها مقدمة لمرسوم ملكى فيها التنبيه على مدى اهتمام الرب ـ تعالى ـ بما جاء فى سورة النور من الأحكام والآداب » . (١) .

المراد من السورة : إذا رجعنا إلى المراجع الأصلية فى علوم القرآن نجد تعريف السورة كالتالى : « حد السورة قرآن يشتمل على آى ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات (٢) .

ويمكن تعريفها أيضا بأنها : « طائفة مستقلة من آيات القرآن ذات مطلع ومقطع . (٣) .

والتعريفان متقاربان فى المعنى ولا تعارض بينهما ، ولذا يمكن جمعهما فى تعريف واحد هو : أن السورة عبار عن : طائفة من آيات القرآن الكريم أقلها ثلاث آيات ذوات فاتحة وخاتمة .

سبب التسمية بالنور :

من المعلوم أن كل سورة تخصص بأشهر ماذكر فيها ، ومن هنا خصصت سورة النور بلفظ « النور » أخذا من قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . (٤) .

وقد ذكر فيها النور متصلا بذات الله كما فى الآية السابقة : وذكر فيها النور بآثاره ومظاهره فى القلوب والأرواح ، ممثلة هذه الآثار فى الآداب والأخلاق التى يقوم عليها بناء هذه السورة وهى

١ ـ تفسير سورة النور : ٣١ ـ ٣٢ .

٢ ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى :١/٢٦٤ .

٣ ـ مناهل العرفان للزرقانى : ١/٣٥٠ : الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى : ١/٥٢ .

٤ ـ النور : ٣٥ .

٥ ـ فى ظلال القرآن : ٤/٢٤٨٥ ـ ٢٤٨٦ .

آداب وأخلاق نفسية وعائلية واجتماعية تنير القلوب والحياة ، وتربطها بذلك النور الكونى الشامل ..... نور فى الأرواح ، وإشراق فى القلوب ، ويقظة فى الضمائر .

هذا سبب ، وهناك سبب آخر يقول فيه أحد الباحثين بعد أن عرض السبب المذكور آنفا : أن آياتها كشفت ظلاما كثيفا كان قد انعقد فى سماء المسلمين قبل أن تنزل هذه السورة ، وتنزل معها هذه الآيات ، ذلك أن السيدة عائشة — رضى الله عنها — كانت فى تلك الفترة ، التى سبقت نزول السورة موضع اتهام على ألسنة المشركين والمنافقين ، وقد تأذى رسول الله ﷺ بهذا الحديث المفترى ، كما أوذيت زوج الرسول الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة — رضى الله عنها — وأوذى المسلمون بسبب هذا الذى حام حول بيت النبوة من غبار تلك التهمة المفتراه .

فلما نزلت الآيات مبرئه الصديقة أم المؤمنين انقشع هذا الظلام وكشف النور السماوى عن طبيعة المنافقين المفترين (٦) .

ويبدو لنا أن لا تنافى بين الرأيين السابقين ما دام الكل يصب فى معين واحد ، ويتجه وجهة واحدة فلئن كان السبب حادثة الافك فإن السورة تضمنت آداباً ونظما تملأ القلوب بالنور ، وتشرق على الحياة بالخير والسعادة ، ولئن كان السبب ما فى السورة من نور حسى ومعنوى ، فإنها مشتملة على النور الذى أظهر الحقيقة فى شأن عائشة — رضى الله عنها — وفى الحياة الإسلامية .

لا شك أن ترتيب السور فى القرآن الكريم جاء مترابطا متعانقا ، فلا يمكن لأحد مهما بلغ الحكمة أن يقول : هذه السورة أو تلك قد وضعت فى غير موضعها .. فالترتيب جاء وفق ما تقتضيه الحكمة لوجود المناسبات والأدلة التى لا يمكن لغير جاحد أو مكابر إنكارها .

ومن هنا كانت علاقة سورة النور بما قبلها قوية ومتينة ؛ لأمور تعرض لبعضها بما تقتضيه الحاجة ، وأهمها :

(ا) أنه سبحانه وتعالى قال فى سورة (المؤمنين) :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ .(٧) .

ثم ذكر فى سورة النور جزاء من لم يحفظ فرجه — من الزانية والزانى — وما اتصل بذلك بشأن القذف وقصة الافك والأمر بغض البصر . (٨) .

(ب) أنه — تعالى — حين بين فى السورة السابقة أنه لم يخلق الخلق للعبث ، بل للأمر والنهى ، ذكر — جل وعلا — فى سورة النور بعض الأوامر والنواهى التى كلف بها العباد . (٩) .

---

٦ — التفسير القرآنى للقرآن : ١١٩٩/١٨ .
٧ — المؤمنون : ٥ .
٨ — روح المعانى للالوسى : ٧٤/١٨ .
٩ — روح المعانى للالوسى : ٧٤/١٨ .

يقول الامام السيوطى : أقول : وجه اتصالها بسورة (قد افلح) أنه لما قال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (١٠) ذكر فى هذه أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزانى ، وما اتصل بذلك فى شأن القذف وقصة الافك والأمر بغض البصر ، وأمر فيها بالنكاح حفظاً للفروج ، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف ، وحفظ فرجه ، ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا ، ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط ولا تناسق أبدع من هذا التنسيق . (١١) .

(جـ) وقد اختتم سبحانه وتعالى السورة السابقة بقوله :

﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ . (١٢)

ومن أسرار هذا الختام للسورة بهذه الآية الكريمة انها جاءت تحمل الرحمة والمغفرة وبين يديها هذه الأحكام وتلك الحدود التى جاءت بها « سورة النور » التى تلى هذه الآية مباشرة ، كأنها تبشر بالرحمة والمغفرة ، أولئك الذين تغلبهم أنفسهم ، وتستعلى عليهم أهواؤهم فيخرجون عن حدود الله ويواقعون الإثم والمنكر . (١٣) .

ومن المسلم به لدى أهل العلم أن القرآن المدنى يتناول — بالتفصيل والبيان — الأحكام التشريعية ، كما اهتم بشؤون التشريع ، والتوجيه والأخلاق ، أعتناء بالقضايا العامة والخاصة التى من طبيعتها تهذيب الفرد والجماعة ترغيبا وترهيبا .

وقد اشتملت الشريعة الإسلامية على التعاليم العديدة التى تكفل صيانة المجتمع من الانحراف والخفاء . وتعتبر سورة النور مثلا تطبيقيا لروح الشريعة وهدفها ، وخاصة فى مجال الاصلاح الاجتماعى .

فهذه السورة قد احتوت على أحكام عامة منها :(١٤) .

١ — ما يتعلق بتنظيم العلاقات بين أفراد الأسرة فى ظلال الإسلام ؛ اذ هى النواة الأولى للمجتمع الأكبر وبصلاحها يصلح هذا المجتمع .

٢ — كما أنها تضمنت الآداب الاجتماعية التى ينبغى أن يلتزم بها المؤمنون فى حياتهم العامة ، كالاستئذان ، وغض البصر ، وحفظ الفرج ، وحرمة الاختلاط ، وما يجب على الأسرة والبيت المسلم من العفاف والستر والطهارة والنقاء صيانة للمجتمع وحفاظا عليه من عوامل التمزق والانهيار .

٣ — وتكلمت السورة أيضا عن حد القذف صيانة للأعراض من العدوان وحفظا من شيوع الفاحشة فى أعراض الناس كما شرع اللعان بين الزوجين ، وحكمة مشروعية كل منها تطهير المجتمع الاسلامى من الفساد والفوضى واختلاط

١٠ — المؤمنون : ٥ .
١١ — أسرار ترتيب القرآن للسيوطى : ص ١١٨ — ١١٩ .
١٢ — المؤمنون : ١١٨ .
١٣ — تفسير القرآن للقرآن : ١١٩٦/١٨ . بتصرف .

١٤ — تفسير ابن كثير : ٥٨١/٣ باختصار الصابونى تفسير ابو السعود : ١٥٥/٦ .,
وقال ابن الجوزى : مدنية كلها باجماعهم . زاد المسير : ٣/٦ .

الأنساب ، والتحلل الخلقى .

٤ ـ وعرضت السورة لحادثة الافك وأبدت شناعتها وقبحها بما استهدفه المنافقون من صاحب الرسالة العظمى ، حيث طعنوه فى عرضه وبيته المصون ، مشنعين على الصديقة بنت الصديق وما كان ليقع مثل ذلك فى بيت النبوة التقى الطاهر ، ولكن الأشرار قد قصدوا بذلك أن يضربوا رسول الله ﷺ فى شرفه بعد أن عجزوا عن ضربه فى رسالته وجنده .

وجاءت هذه الحادثة مفصلة لتشير إلى مجموعة التعاليم ليستفيد منها أولو الألباب .. وجعل هذا درسا للأجيال وعبرة للخلق أن يتطاولوا على بيت النبوة قال ـــ تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٥) .

وتسير الآيات فى فلك البيان والتوضيح بعقوبة من يحب إشاعة السوء بين المؤمنين وقررت السورة قاعدة أساسية للروابط الاجتماعية فى المجتمع الاسلامى وهى : أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا . فكل فرد من أفراد المجتمع المسلم برىء حتى تثبت إدانته .

ثم تتراوح تلك الآيات فى التحدث عن تلك التهمة الشنيعة فتقرر مبدأ أصيلا يتوخاه أولو النهى هو مبدأ المنطق السليم والعقل الحصيف .

لأن كل إلف يلوذ بألفه .

والطيور على أشكالها تقع .

فالطيب للطيب والخبيث للخبيث . وأن الطيب لا يناسبه إلا الطيب ، والخبيث لا يناسبه إلا الخبيث .

ثم تعقب ذلك ببراءة أم المؤمنين عائشة ـــ رضى الله عنها ـــ وتبقى تلك البراءة وحيا يتلى ، وقرآنا يتعبد بقراءته ويتقرب به الى الله ـــ تعالى .

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (١٦) .

هذا هو الشرف والفخار الذى كفله الله لأمهات المؤمنين الطاهرات الطيبات على مرأى ومسمع من الزمان .

٥ ـ ثم تتتابع الآيات الكريمة متحدثة عن آداب دخول البيوت كالاستئذان والسلام على أهلها ، وعدم اقتحام البيوت عليهم قبل الإذن بالدخول إليهم ؛ صونا للحرمات وحفظا للعورات .

قال ـــ عز من قائل :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧) .

---

١٥ ـ سورة النور : ١١ .

١٦ ـ سورة النور : ٢٦ .

١٧ ـ سورة النور : ٢٧ .

فقد وضعت السورة إجراءات وقائية لصيانة البيوت من الداخل والخارج ؛ كاستئذان أهل البيت بعضهم على بعض فى الأوقات المعلومة ، ورفع الحرج عنهم فى غير هذه الأوقات وذلك مصداق قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٨)

٦ ـ ثم تتبع السورة بيانا لقطع الطريق على الزنا بتحريم الخلوة ، وغض البصر عن الأجنبيات ، وتحريم الاطلاع على العورات حتى لا تكون العين بريد سوء .

وحددت فيها مع هذا السلوك ما يجوز وما لا يجوز بدقة ، وذلك صيانة لكرامة كل من الذكر والأنثى وحفظا للعرض يقول الله تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (١٩)

٧ ـ ولم تغفل السورة موضوع الزواج فى ظل الإسلام بل عالجته علاجا حكيما . حيث أمر الله فيها بتيسير أسبابه ، إذ هو الطريق السليم للتناسل وعمارة الأرض بذرية صالحة ، إذ لا يصح أن يكون الفقر مانعا من تزويج الأكفاء ، وأن لا يكون غلاء المهور عقبة فى طريق الزواج حتى لا يبقى أحد من أفراد المجتمع الاسلامى بدون زواج ، لأن الغريزة الجنسية إن لم تجد لها مخرجا عن طريق نظيف تمردت وسلكت طريق الفاحشة ، لهذا نرى القرآن الكريم يحث على إنكاح الفتيان والفتيات ، وتسهيل السبل لكل راغب فى التعفف قال : عز من قائل :

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٠) .

٨ ـ وتضمنت سورة النور حديثا مفصلا عن الله ـــ جل جلاله ـــ ونوره وبيوته فى الأرض ، وعاقبة عمل المؤمن وعمل الكافر ، مع إبراز آيات الكون من سحاب وليل ونهار . ودابة وطير ، لتكون أساس الإيمان بالله ـــ عز وجل ـــ ومصدر الدفع لطاعته وطاعة رسوله محمد ﷺ بما جاء به فى سورة النور وفى القرآن الكريم كله والسنة المطهرة معه .

٩ ـ وتختتم السورة بعد ذكر مجموعة من الأحكام الشرعية والآداب الاجتماعية بوجوب احترام الرسول ﷺ وطاعته ، والأدب معه فى حضرته وفى الانصراف عن مجلسه وفى دعائه ﷺ .

والله الموفق

١٨ ـ سورة النور : ٥٨

١٩ ـ سورة النور : ٣٠

٢٠ ـ سورة النور : ٣٢

قبس من أنوار النبوة

الجزاء بين العدل والفضل

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه ــ عز وجل ــ قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بيَّن ذلك ، فمن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها ، كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » . رواه الشيخان وغيرهما ، واللفظ لمسلم .

المفردات :

١ ــ همَّ بحسنة أو سيئة : ترجح عنده جانب عملها .

٢ ــ الضِّعف : المثل .

شرح الحديث :

إن المؤمن بمقتضى إيمانه ، يستطيع أن يملك رصيدا من الخير لايتاح لغيره ، وإن عقيدته الدافعة إلى العمل لتسمو به فى مدارج الثواب حتى لتصل به إلى الذروة العليا ، وإنها تمنحه من فضل الله ما يحيل نواياه الطيبة إلى أعمال يثقل بها ميزانه ، فحسبه أن يتجه بمشاعره إلى عمل الخير فيكتب الله له هذا « الهَّم » حسنة كاملة ، وإن فضل الله ــ سبحانه وتعالى ــ على عباده ظاهر فى هذا التقدير لنواياهم ، فإن الانفعال بالخير وتحريك بواعث الإيمان به ؛ يجعله فضل الله من صفات المرء وإن لم يخرج الى حيز العمل ، فإن صار عملا كتبه الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة بحسب ما يكتنفه من إخلاص لوجه الله .

أما إذا أتيحت للمؤمن معصية فكف نفسه عنها خشية من الله ، كان هذا الكف حسنة تضاف إلى سجل حسناته عند الله ؛ فإن ضعف وازع الإيمان فى نفسه فارتكب سيئة كتبت عليه سيئة واحدة .

ولا شك أن رحمة الله بعباده تتجلى وتظهر واضحة فى قاعدة الجزاء فى الإسلام .

والله ــ عز وجل ــ هو الذى خلق الإنسان ويعلم ماركب فيه من ضعف ، فهو باعتبار تكوينه البشرى ؛ منجذب ــ بنوازع الشرِّية ــ إلى الخطيئة ، وتأبى الغرائز الكامنة فيه الا أن تعمل عملهـــا ، وتنطلـــق إلى غايتها ، والإنسان مطالب ــ بما شرعه الله له ــ أن يخالف نوازع الشر ويغالب الدوافع التى تجذبه إلى ما نهاه الله عنه ، فعليه أن يخالف نفسه الأمارة بالسوء ، ويعصى شيطانه ؛ لأنه عدوه اللدود . ويخالف هواه حتى لايهوى به فى النار . وعليه أن يعمل جاهدا على أن يتسامى الى أفق الفضيلة والخير وأن يصغى لنداء العقل والشرع ، وأن يجتهد فى مجال الخير بقدر مايستطيع ، فكل محاولة ناجحة لاتضيع سدى ، وإنما يسجلها الله له فى حسناته ثم يضاعفها له . فإن زلت قدمه فأخفق فأساء يكتبها الله عليه واحدة . فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة ، تقديرا لهذا الدافع النفسى الذى أدى إلى الهمِّ بها فالثواب على الهم لا على نفس الحسنة ؛ لأنها لم تقع ، فإذا هم بها وعمل يثاب على الهم ثوابا مستقلا ، وعلى العمل ثوابا آخر مضاعفا .

والحسنات فى نظر الإسلام تتفاوت بحسب مواقعها ، فما كان منها بين العبد وربه كالصلاة والذكر والاعتكاف ، تقبله الله وضاعف ثوابها ، أما ما كان متصلا بالمجتمع الإنسانى كالنفقة على الأهل ، وإطعام الجائع ، وكسوة العارى ، وإغاثة الملهوف ، وإكرام اليتيم ، ونشر العلم ، فإن الله يتقبله بقبول حسن ويضاعفه إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، الى مالا يعلم قدره إلا الله ــ عز وجل ــ فالعبرة ليست بالكمّ ؛ ولكن بالدافع الطيب ، مما يدل على أن كل عمل يتعدى أثره لغير صاحبه يكون أكثر ثوابا مما لايتعدى وكما يصور القرآن الكريم النفقة فى سبيل الله حيث يقول :

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ سورة البقرة

وعن أبى عمرو جرير بن عبدالله ــ رضى الله عنه ــ قال : كنا فى صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاءه قوم عراة مجتابى النمار ــ أى لابسى الكساء المخطط الذى يسمى مفرده (نمرة) قد خرقوها فى رءوسهم . (والجوب) القطع ــ أو العباء متقلدى السيوف ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتمعر ــ تغير ــ رسول الله ﷺ لما رأى ما بهم من الفاقة ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا ، فأذن وأقام ، فصلى ثم خطب ، فقال :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

والآية الأخرى التى فى آخر الحشر : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمرة ، حتى قال : ولو بشق تمرة . فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت . ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين — صبرتين — من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة — المراد الصفاء والاستنارة — فقال رسول الله ﷺ : من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزاهم شىء » رواه مسلم — رياض الصالحين .

أما فى جانب السيئات : فإن ظاهر الحديث أنه الحسنة تكتب بمجرد الترك . لكنه جاء مقيدا فى موطن آخر بأن يكون الترك من خشية الله ، ففى الحديث القدسى : إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة .. رواه البخارى فى التوحيد .

ويحتمل أن يكون لكل من ترك السيئة بعد الهمِّ بها حسنة غير أن مقدار هذه الحسنة يتفاوت بحسب السبب الذى ينشأ عنه الترك . فمن تركها عجزا أو خوفا من أذى الناس . و افتضاح أمره ، ليس كمن ترك ذلك خوفا من الله ، وإن كان كل ذلك بلطف الله وتقديره . وتدل على ذلك الآية الكريمة ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ النازعات ٤٠ ، ٤١ .. ومحل إثابة من ترك عجزا أو خوف الناس أن يكون قد ندم وأقلع عن همة ، أما لو ظل على نيته وأصر أو صمم فهو معاقب معاقب على هذه النية القبيحة ، وأنه آثم بذلك إلا أنه يكتب عليه ذلك العزم ؛ سيئة غير السيئة التى عزم عليها ، وقد تضافرت نصوص الشريعة على المؤاخذة على عزم القلب وتصميمه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور ١٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ الحجرات ١٢

وإذا كان تعدى حدود الله إثما كبيرا ، فإنه فى الشهر الحرام أشد ، وفى البيت الحرام أشد ، وإذا كانت الفواحش من كبائر الإثم فإنها من المحصن أشد ، وبالنسبة للجار أشد . فإن السيئة تتفاوت بحسب الأزمنة والامكنة والأشخاص والأحوال قال تعالى : فى شأن المسجد الحرام ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ الحج ٢٥ .

وما يقال عن السيئات يقال عن الحسنات . وفضل الله واسع فقد يغفر السيئة لعبده بتوبة يحدثها أو بعمل صالح يتبعها به من صدقه أو استغفار ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ وقد جاء فى الحديث الصحيح : فجزاؤه مثلها أو أغفر .

وفقنا الله لصالح القول والعمل وهدانا سواء السبيل .

إياكم...

ومحدثات الأمور

بقلم : الشيخ محمد زين العابدين العزازى

عن أبى يحيى العرباض بن سارية (رضى الله عنه) قال : وعظنا رسول الله ـ ﷺ ـ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مُوَدّع فأوصنا . قال :

« أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن تأمَّر عليكم عبد ، وإن من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى . عضوا عليها بالنواجذ ، وأياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » رواه أبو دواد والترمذى ، وقالا : حديث حسن .

قوله : وعظنا رسول الله ﷺ كان ذلك بعد صلاة الصبح ، وكان ﷺ يقع الوعظ منه أحيانا لا دائما كما فى الصحيحين مخافة سآمتهم ومللهم .

و« الموعظة » هى النصح والتذكير بالعواقب .

و« جلت » منها القلوب ، أى خافت من أجلها .

و« ذرفت » بفتح الراء ، أى سالت منها العيون ، أى دموعها .

ومن هنا ينبغى للعالم أن يعظ أصحابه ويذكرهم بما ينفعهم فى دينهم ودنياهم ، ولا يقتصر معهم على مجرد ذكر الأحكام والحدود فقط ، كذلك ينبغى المبالغة فى الموعظة لترتعش منها الأفئدة ويهتز لها الكيان والوجدان ، وترتعد

منها الفرائض والأبدان ، فيكون أمرها أسرع إلى الإجابة ، ولذا كان ﷺ إذا خطب وذكر الساعة أشتد حديثه ، وعلا صوته ، واحمرت عيناه ، وانتفخت أوداجه . وهذا كما قال جل شأنه : ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾(١) .

وفى الخبر : إذا اشتبكت الأصوات واختلفت اللغات وأشار الخلق بالأكف إلى رب السموات ، وانهمرت العيون بأبلغ العبرات وأخلصوا التوبة من الموبقات ، وأشتد البكاء . وعلا الصوت بالنداء ، وظهر الحنين وأشتد الأنين ، اطلع الله – جل جلاله – فيقول : ﴿ **يا ملائكتى إنى أشوق إلى دعائهم** ﴾ .

فقلنا : (يارسول الله كأنها موعظة « مودع ») وكان ذلك لمزيد مبالغته ﷺ فى تخويفهم وتحذيرهم عما كانوا يألفونه من قبل ، فظنوا أن ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم ، فإن المودع يستقصى غيره فى القول والفعل .

« فأوصنا » أى وصية جامعة كافية لمن تمسك بها ، وفى هذا استدعاء الوصية والموعظة من أهلها واغتنام أوقات الصالحين وأهل الخير والدين قبل وفاتهم ، فإن أعمار الجياد قصار .

(أوصيكم بتقوى الله) ، جمع فى ذلك كل ما يحتاج إليه الإنسان من أمور الآخرة ، إذ التقوى امتثال الأوامر واجتناب النواهى ، وتكاليف الشرع لاتخرج عن ذلك ، وقد جعل الله سعادة الدنيا فانية ، وسعادة الآخرة باقية ، وإنما تحصل سعادة الآخرة بتقوى الله وهى وصية الله – سبحانه وتعالى – لجميع الأمم كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾(٢) .

ولعل أهم مراتب التقوى :

١ – التوقى من النار ، وذلك يكون بالتزام التقوى ، ولعله المراد بقوله – تعالى – : ﴿ **ألزمهم كلمة التقوى** ﴾(٣) .

٢ – التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم ، وهو المراد بقوله – تعالى – :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ﴾(٤) .

وعليه يحمل قول عمر بن عبد العزيز : التقوى . ترك ما حرم وأداء ما افترض الله . فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير .

٣ – أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق – تعالى – وهذه هى التقوى الحقيقية المطلوبة فى قوله – تعالى – : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ »(٥) ، وهى أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر . رواه الحاكم فى مستدركه .

وأما قوله ﷺ : « **والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد** » جمع بين السمع والطاعة للتأكيد والاعتناء بهذا المقام ، وإن تأمر عليكم على سبيل الفرض والتقدير ، وذلك ، لأن العبد لا يكون وليا ، ولكن رسول الله ﷺ كان دائما يضرب المثل تقديرا وإن لم يمكن . كقوله ﷺ : « **من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة** »ظ .

---

(١) سورة النساء آية رقم ٦٣ .
(٢) سورة النساء آية رقم ١٣١ .
(٣) سورة الفتح اية ٢٦ .
(٤) سورة الأعراف آية ٩٦ .
(٥) سورة آل عمران آية ١٠٢ .

لأنه من غير الممكن أن يكون مفحص قطاة وهو بيت الطائر مسجدا ، ولكن الأمثال يأتى فيها مثل هذا ، ويجوز أن يكون أخبر عن فساد الزمان ؛ هذا ومن المعلوم أن السمع والطاعة إنما هى فى طاعة الله ـ تعالى ـ كما دلت عليه الأخبار الكثيرة .

(وإنَّ من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا) وهذا من معجزاته ﷺ إذ كان عالما بما يقع بعده جملة وتفصيلا ، كما صح أنه كشف له عما يكون إلى أن يدخل أهل الجنة والنار منازلهم .

وقوله ﷺ : (فعليكم بسنتى) ، أى الزموا حينئذ التمسك بسنتى . أى طريقتى القويمة التى أنا عليها من الأحكام الاعتقادية العملية الواجبة والمندوبة .

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وهم أبو بكر فعمر فعثمان فعلى فالحسن (رضى الله عنهم) .

(عضوا عليها بالنواجذ) جمع ناجذ وهو أحد الأضراس الذى يدل نباته من الجانبين على الحلم ولكل إنسان أربع ، وهذا كناية عن شدة التمسك بالسنة .

وقوله ﷺ : (وإياكم ومحدثات الأمور) ، يعنى : باعدوا واحذروا الأخذ بالأمور المحدثة فى الدين ، واتباع غير سنن الخلفاء الراشدين ، فإن ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة .

البدعة فى اللغة . ما كان مخترعا على غير مثال سابق . وفى الشرع . ما أحدث على خلاف ما أمر الشارع ، ودليله على ذلك ، أن الحق موجود فيما جاء به الشرع ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، وما أكثر أهل البدع فى زماننا هذا .

روى الإمام الترمذى مرفوعا (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة . قالوا : من هى يارسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى .

وروى الإمام مالك فى (الموطأ) مرسلا . أن رسول الله ﷺ قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله .

فعلى جميع المسلمين بصحبة أهل السنة والجماعة ، ولزوم طريقتهم والتمسك بها . وإلا تشتت شملهم . ومالوا عن طريق الله ـ عز وجل ـ قال ـ سبحانه وتعالى ـ : (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)[٦] أى فتميل بكم وتغركم طرق البدع عن طريق الحق .

يقول ابن كثير ـ فى تفسيره لهذه الآية : أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات فى دين الله .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر هو ابن عباس ، عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال : (هذا سبيل الله مستقيما) . وخط عن يمينه وشماله ثم قال : (هذه السبل ليس منها سبيل

(٦) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

إلا عليه شيطان يدعو إليه) ، ثم قرأ (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .

روى هذا الحديث بطرق كثيرة نذكر بعضا منها لتمام الفائدة . حدثنا عبدالله بن محمد ـ وهو أبو بكر بن أبى شيبة . أنبأنا أبو خالد الأحمر عن مجاهد عن الشعبى عن جابر قال : (كنا جلوسا عند النبى ﷺ فخط خطا هكذا أمامه فقال : « هذا سبيل الله ، و خطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال : « هذا سبل الشيطان » ثم وضع يده فى الخط الأوسط ثم تلا قوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . ولكن العمدة على حديث ابن مسعود كما نصَّ عليه ابن كثير فى تفسيره .

وقد روى موقوفا عليه قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبدالأعلى حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر أن رجلا قال ـ لابن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى أدناه وطرفه فى الجنة وعن يمينه جوادٌ[7] وعن يساره جواد ثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ فى تلك الجواد انتهت إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ، ثم قرأ ابن مسعود « (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل »)[8] .

وقد روى من حديث (النواس بن سمعان) نحوه قال الإمام أحمد : حدثنى بن سوار أبو العلاء ، حدثنى الليث ـ يعنى ابن سعد ـ عن معاوية بن صالح ، عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال : « (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعن جنبى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور فرخاة وعلى السراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولا تفرقوا ، وداع يدعو من فوق الصراط فاذا أراد الإنسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك ، لا تفتحه ؛ فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعى على رأس الصراط : كتاب الله ، الداعى من فوق الصراط : واعظ الله فى قلب كل مسلم) » رواه الترمذى والنسائى عن على بن حجر .

« ويقول القرطبى » فى تفسيرها « الصراط » هو الإسلام « مستقيما » مستويا لا اعوجاج فيه ، فأمر باتباع طريقه الذى طرقه على لسان نبيه محمد ﷺ وشرعه ، ونهايته الجنة ، وتشعبت منه طرق فمن سلك الجادة نجا ، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار ، وهذه هى المرادة بقوله ـ تعالى : ﴿ **ولا تتبعوا السبل** ﴾ . وهذه تَعُمُّ اليهودية والنصرانية والمجوسية ، وسائر أهل البدع والضلالات ، وأهل الأهــواء والمتشدقين فى الفروع وغير ذلك من أهل التعمق فى الجدل والخوض فى الكلام ، وهذه كلها أبواب عرضة للزلل ، ومظنة لسوء المعتقد ، فالهرب الهرب ، والنجاء النجاء وإنما الخير فى التمسك بالطريـق

(٧) الجواد بتشديد الدال الطرق .

(٨) تفسير ابن كثير .

المستقيم ، والسنن القويم ، الذى سلكه السلف الصالح ، فإن فيه المتجر الرابح ، وقد روى أبوداود قال : حدثنا ابن كثير قال : أخبرنا سفيان قال : كتب رجل إلى عمر بن عبدالعزيز يسأله عن (القدر) ، فكتب :

أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد فى أمره ، واتباع سنة رسوله ﷺ وترك ما أحدثه المحدثون بعد ما جرت به سنته ، وكُفُوا مؤونته . فعليك بلزوم الجماعة ؛ فإنها لك ـ بإذن الله ـ عصمة ، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها ، أو عبرة فيها ، فإن السنة إنما سنها من قد علم ما فى خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، فَارْض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم ؛ فإنهم على علم وقفوا ، وببصر نافذ كُفُوا ، وإنهم على كشف الأمور كانوا أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أولى ؛ فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم : إنما حدث بعدهم ، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم ؛ فإنهم هم السابقون ، وقد تكلموا فيه بما يكفى ، ووصفوا ما يشفى ، فما دونهم من مقصر ، وما فوقهم من مجسر ، وقد قصر قوم دونهم فجفوا ، وطمع عنهم أقوام فغلوا ، وإنهم مع ذلك لعلى هدى مستقيم .

وقال سهل التسترى : لا يحدث أحدكم بدعة حتى يحدث له إبليس عبادة يتعبد بها ، ثم يحدث له بدعة ، فإذا نطق بالبدعة ودعا الناس إليها نزع منه تلك الخدمة .

وقال الأوزاعى : قال إبليس لأوليائه : من أى شىء تأتون بنى آدم ؟ فقالوا : من كل شىء قال : فهل تأتونهم من قبل الاستغفار ؟ قالوا : هيهات ذلك شىء قرن بالتوحيد . قال : لأبثن فيهم شيئا لا يستغفرون الله منه . قال : فبث فيهم الأهواء ، وإنما سمّوا أصحاب الأهواء لأنهم يهوون فى النار .

ونقل القرطبى ما رواه رافع بن خديج ، أنه : سمع رسول الله ﷺ يقول : « يكون فى أمتى قوم يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى قال : فقلت : جعلت فداك ــ يا رسول الله ــ كيف ذاك ؟ قال : يقرون ببعض ويكفرون ببعض قال قلت : جعلت فداك ــ يا رسول الله ــ وكيف يقولون ؟ قال : يجعلون إبليس عدلا لله فى خلقه وقوته ورزقه ويقولون : الخير من الله والشر لإبليس » قال : فيكفرون بالله ثم يقرأون على ذلك كتاب الله . فيكفرون بالقرآن بعد الإيمان ، قال : فما تلقى أمتى منهم من العداوة والبغضاء والجدال ، أولئك زنادقة هذه الأمة .

ولهؤلاء علامات . منها إهمال الذكر والقرآن والاشتغال بالجدال والغيبة والهذيان .

قال سفيان الثورى : البدعة أحب إلى إبليس من المعصية .

وفى السنن مرفوعا « الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبنى فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن

أذاهم فقد أذانى ومن أذانى فقد أذى الله ، ومن أذى الله فيوشك أن يأخذه » .

كما نقل القرطبى عن الشيخ عبدالقادر الجيلانى قوله : فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة ، والسنة : ما سنه رسول الله ﷺ ، والجماعة : ما اتفق عليه أصحابه ــ رضى الله عنهم أجمعين ــ فى خلافة الأئمة الأربعة ، وألا يعامل أهل البدع ولا يدانيهم ولا يسلم عليهم ؛ لأن الإمام أحمد ــ رضى الله عنه ــ قال : من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه لقوله ﷺ : (أفشوا السلام بينكم تحابوا) ولا يجالسهم ولا يعزيهم ولا يهنيهم فى الأعياد وأوقات السرور ، ولا يصلى عليهم إذا ماتوا ، ولا يترحم عليهم إذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم فى الله ــ عز وجل ــ محتسبا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير) .

ومن أعظم السنن طهارة القلوب من الغش والحسد وسائر العيوب ، وهى أعظم العبادات والقربات ، وبها ينال أعظم الدرجات ، فقد روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال ــ لأنس ــ رضى الله عنه : يا بنى إن قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لأحد فافعل .

ثم قال : يا بنى وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى يوم القيامة فى الجنة .

نسأل الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يجعلنا وإياكم من المتمسكين بسنته حتى نكون معه يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

العشرة المبشرون بالجنة

بقلم الشيخ :
عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

ضَمَّ الحديث الذى ذكرناه سابقاً[1] أسماء عشرة بشرهم النبى ﷺ بالجنة فى حديث واحد .

وقد تواتر هذا الحديث الشريف حتى ذكره كثير من الرواة ، وحتى أصبح هؤلاء الأعلام الذين ذكروا فيه معروفين بأنهم مبشرون بالجنة ، وأصبح التعريفُ بهم من لوازمه ذكر هذا الوصف « أنه أحد العشرة » .

فما ذكرت كتب التراجم وبخاصة المعنية بأخبار الصحابة واحداً من هؤلاء العشرة إلا قالت : « وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة » وقد تذكر الأحاديث الواردة فى ذلك .

وليس يعنى وصفهم بذلك اقتصار التبشير بالجنة عليهم ، فقد سبق وقلنا إن كثيراً غيرهم قد يُشَّر بالجنة ، وما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ الذين رأوه وناصروه وجاهدوا معه ونعموا بصحبته إلا له مزية وفضل ، وإن كانوا يتفاوتون فى ذلك حسب أسبقية الإسلام وسرعة الاستجابة للجهاد المادى والمعنوى . وقوته ، وكثرة الانتفاع بأدب الرسول ﷺ وأخلاقه وفضائله وسنته وهديه .

لم اختص هؤلاء بهذا الوصف ؟

ولعلَّنا نتساءل : لم اختص هؤلاء العشرة بهذا الوصف ، وهو وصف (التبشير بالجنة) مع أن غيرهم بشروا به ؟

وقد تكون الإجابة على هذا التساؤل : أنهم خُصُّوا به لتكرر وروده عن النبى ﷺ ، ولأنه ضم أسماءهم جميعاً فى حديث واحد .

عن عبد الرحمن بن حُمِيد عن أبيه أن سعيد بن زيد حَدَّثه فى نفر من أصحابه أن رسول الله ﷺ

(1) الحديث بالجزء الحادى عشر – عدد ذى القعدة ١٤١٤ هـ ، ص ١٦٥٥ .

قال : « عشرة فى الجنة ، أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعلى وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص . قال : فَعَدَّ هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر ، فقال القوم : ننشدك الله ، من العاشر ؟

قال : انشدتمونى بالله ، أبو الأعور فى الجنة .

قال : هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . ـ أسد الغابة حـ ٣ ص ٤٨١ ـ وتحفة الأحوذى ـ أبواب المناقب ـ مناقب عبد الرحمن بن عوف ١٠/٣٥٠ ـ وأبو الأعور كنية سعيد بن زيد .

وأشار سعيد بن زيد ـ رضى الله عنه ـ إلى مناسبة لهذا الحديث ذكرها ابن الأثير . قال : عن عبد الله بن ظالم التميمى ، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، قال : أشهد أن عليا من أهل الجنة . قلت : وما ذاك ؟ قال : هو فى التسعة ، ولو شئت أن أسمى العاشر لسميته . قال : اهتز حِراء فقال رسول الله ﷺ : اثبت حراء فانه ليس عليك إلا نبىٌّ أو صديق أو شهيد » قال : ورسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، وأنا ـ يعنى نفسه . ـ أسد الغابة حـ ٢ ص ٣٨٩ .

قال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ : كان مقام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد ـ كانوا أمام رسول الله ﷺ فى القتال ، ووراءه فى الصلاة .

لقد ظفر هؤلاء العشرة بهذا اللقب مجتمعين فى مكة ، قبل الهجرة ، حيث كانوا كما يشير حديث سعيد بن زيد ـ إلى وجودهم فوق حراء واهتزازه بهم ، ـ وحراء فى مكة ـ فقال النبى ﷺ ما قال .

وهذا تعليل لعدم وجود أحد من الأنصار بين هؤلاء الذين تضمنهم الحديث .

ولكن وردت فى حق الأنصار أحاديث أخرى بشرتهم بالجنة ، وذكرت فضلهم وجهادهم ، وقد زكَّاهم القرآن الكريم بقوله ـ تعالى ـ

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ سورة الحشر

وماذا يعنى الفلاح إلا استحقاق الجنة والفوز برضوان الله ؟

اشتراك العشرة فى نسب الرسول :

ومن الملاحظ أن هؤلاء العشرة الذين تضمنهم الحديث يشتركون مع النبى ﷺ فى سلسلة نسبه .

فأبو بكر يجتمع مع النبى ﷺ فى « مُرَّة » .

فهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب .

وعمر يجتمع مع النبى ﷺ فى « كعب » .

فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى .

وعثمان يجتمع مع النبى ﷺ فى « عبد مناف » .

فهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى .

وعلى هو ابن عم رسول الله ﷺ وأقربهم إليه قرابة يجتمع مع النبى ﷺ فى « عبد المطلب » .

فهو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

والزبير يجتمع مع النبى ﷺ فى « قُصَى » .

فهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب .

وطلحة يجتمع مع النبى ﷺ فى « مُرَّة » .

فهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب .

وعبد الرحمن بن عوف يجتمع مع النبى ﷺ فى « كلاب » .

فهو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة .

وابن الجراح يلتقى مع رسول الله ﷺ فى « فهر » .

فهو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن كعب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك .

وسعد بن أبى وقاص يجتمع مع النبى ﷺ فى « كلاب » .

فهو سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن كعب بن زهرة بن كلاب بن مرة .

وسعيد بن زيد يلتقى بالنبى ﷺ فى « كعب » .

فهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ـ من كتاب الرياض النضرة فى مناقب العشرة . لمحب الدين الطبرى .

والمعروف أن سلسلة نسب النبى ﷺ هى محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بت كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ... حتى يصل النسب إلى عدنان .

فأقرب العشرة نسباً إليه على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ يلتقى مع النبى ﷺ فى الجد الأول (عبد المطلب) .

ثم عثمان بن عفان يلتقى مع النبى ﷺ فى الجد الثالث (عبد مناف) .

ثم الزبير حيث يلتقى مع النبى ﷺ فى الجد الرابع (قصى) .

ثم سعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف يلتقيان معه ﷺ فى الجد الخامس (كلاب) .

ثم أبو بكر وطلحة يلتقيان مع النبى ﷺ فى الجد السادس (مرة) .

ثم عمر بن الخطاب وسعيد بن زيد يلتقيان مع النبى ﷺ فى الجد السابع (كعب) .

ثم أبو عبيدة يلتقى مع النبى ﷺ فى الجد العاشر (فهر) .

القرابة ليست سبباً للتبشير :

وليست القرابة وحدها وراء تبشير هؤلاء بالجنة فقد حذر النبى ﷺ قرابته أن يعتمدوا على

ذلك وقال لهم : أنا لا أغنى عنكم من الله شيئاً .. وذكرهم بأسمائهم ..

كما أن هناك من هو أكثر قرابة من هؤلاء الذين وردوا فى حديث البشرى ولم يشلمهم الحديث ، مثل حمزة وجعفر ـ رضى الله عنهما ـ .

ولكن سابقة الإسلام وراء هذا التبشير قطعاً .

والمعروف أن أول من أسلم أبو بكر وعلى ، أبو بكر من الرجال وعلى من الصبيان ـ وعلى يد أبى بكر أسلم عثمان وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد وطلحة بن عبيد الله .

وأسلم سعيد بن زيد قبل عمر ، وكان إسلامه هو وزوجته ـ وهى أخت عمر ـ سبباً فى إسلام عمر .

وتأخُرُ إسلام عمر عن هؤلاء يجبره موقفه فى الإسلام بعد أن أسلم ، فقد استعلن بإسلامه وأظهر كلمة الحق ، وكان سبباً فى إظهار قوة المسلمين ، حتى لقب بالفاروق ، لأنه فرق بين الحق والباطل بإسلامه .

مناقب العشرة :

ولكل من هؤلاء العشرة مناقب امتازوا بها ، واستحقوا من أجلها أن يشيد النبى ﷺ بهم ويبشرهم بالجنة .

كانت لهم مناقبهم فى حياة الرسول ﷺ وظهرت لهم مناقب بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، مما يشهد بأن شهادته لهم كانت من فيض بحر النبوة الزاخر ، ومن إمدادات الغيب الذى تكشف الأيام صدقه ، وتظهر المواقف العملية حقيقته وصحته .

ولعلنا نستطيع بتوفيق الله استعراض هذه المناقب فى حديث آخر إن شاء الله ..

السلام قاعدة العمران وأساس البنيان

قضية السلام العالمى فى الإسلام

بقلم : فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان(*)

لا يشك مؤمن عاقل ولا منصف عادل فى أن دعوة الإسلام للسلام دعوة عالمية كما أن رسالته عامة للناس أجمعين .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾
(ســورة النساء)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾ سورة الحجرات

يريد الإسلام أن يؤكد فى ضمائر الناس حقيقة هامة وهى أنَّ كل الناس من أصل واحد وهو آدم وبمقتضى وحدة هذا الأصل كان الأوْلى أن تتعارف الفروع وتتعاون على أن يكون الناس إخوة يعيشون فى سلام وأمن واطمئنان لأن الله خلقهم ليتعارفوا ويتآلفوا لا ليتخاصموا ويتنازعوا ويتحاربوا .

وشواهد ذلك فى القرآن الكريم كثيرة ، قال ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة البقرة/٢٠٨ ـ ٢٠٩) .

ويقول ـ سبحانه :

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(سورة الأنعام/٥٤) .

(*) المدير العام للوعظ والدعوة بالأزهر سابقا

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ .. ﴾
(سورة النمل / ٥٩) .

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾
(سورة الصافات / ١٨١ ـ ١٨٢) .

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ... ﴾
(سورة يونس / ٢٥) .

﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الأنعام / ١٢٧) .

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة يونس / ١٠) .

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾
سورة البينة

« ومن الأحاديث النبوية »

روى البخارى فى صحيحه من كتاب الإيمان ــ عن عمار بن ياسر ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : ثلاث مَنْ جَمَعَهُنَّ فقد جمع الإيمان : الإنصاف من النفس ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من إقتار :

الأخوة الإسلامية :

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضى الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

(البخارى ومسلم)

الأخوة الإنسانية :

ويقول رسول الله ﷺ فى خطبته يوم الحج الأكبر « فى حجة الوداع » :

« يأيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، ألَا لَا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم : ألا هل بلغت ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

(رواه البيهقى)

« أولئك لهم الأمن »

وما كان اختلاف الألسنة والألوان إلاَّ دليلًا على قدرة الله ومظهراً من آثار رحمته ؛ ولكن التفاضل عند الله تعالى يكون بالتقوى : فلو أن أهل الأرض جميعاً آمنوا واتقوا لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض ، واستقر الأمر واستتب الأمن والسِّلْمْ :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾
(الأعراف / ٩٩)

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾
(الأنعام / ٨٢)

فالأمن محقق للمؤمنين المتقين فى كل وقت وحين . ولكن واقع الحياة اليوم يفرض علينا أن نقول : إن الإنسان فى هذه الحياة تتجاذبه قوتان

تكمنان فى صدره : إحداهما قوة تدفعه إلى الإيثار والإحساس بالغير برقة : وهذا يدعوه إلى المسالمة بينه وبين نفسه أولًا : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ (الشمس/ ٩) . وبين الإنسان ووالديـــه . ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ (الإسراء/ ٢٣) . ثم بين الإنسان والأقربين ثم بينه وبين الناس أجمعين ، وذلك ، لأن الإيثار خلق كريم يدفع إلى التراحم والتعاطف بسمو نفس وطهارة قلب ونقاء بصيرة وطهارة سيرة ، ولا ريب أن الإيثار يُهوِّن على صاحبه التضحية بالمال لإغاثة الملهوف ومواساة المنكوب والمكروب ، فيسْعِد الآخرين بماله وجاهه وجهده بعمل الخير والبر والبعد عن الشر والضر وليرضى ربه الذى خلقه ورزقه .

أما القوة الثانية : فهى الأثرة التى تجعل الإنسان يعيش لذاته وشهواته فيكون أنانياً شحيحاً بخيلًا جباناً فهو يسرف فى حب ذاته وطاعة شيطانه وإرضاء أهوائه ونزواته ؛ وقد بدفعه هذا إلى إشعال حروب وكروب تهلك الحرث والنسل ويكون وقودها الناس ، وكما تكون الأنانية بين الأفراد تكون بين الشعوب والأمم ؛ ولكن هذا الإنسان لم يخلق ليكون كذلك ، ولكنه وجد ليعيش لنفسه ولوالديه وَلِولَدِه وللأقربين وللناس أجمعين ، والله يقـول :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (سورة الإنسان/ ٢ ـ ٣) وهذه هى حقيقة الواقع الآن يقررها القرآن الكريم : ولكن رسالات الله الواحدة جاءت كلها لتجعل الإنسان إنساناً فى صورته مَلَكاً فى خلقه وسيرته ومثلًا أعلى فى حكمته ومسالمته لا عن ضعف ولكن عن إيمان بأخوة الإنسان الذى كرمه ربه فقال ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ (الإسراء/ ٧٠)

ولكن من الناس من يأبى إلا أن يكون ظلوماً جهولًا : وويل لمن غلبته نفسه بهواها ، لأنه لم يتغلب عليها بهداها . فهو يسفك الدماء ويهتك الأعراض غير متألم ولا متأثم ، فى غيبة الضمير الدينى وفقدان الحياء الإنسانى ، وانظر إلى ما يعده الإنسان اليوم لأخيه الإنسان من وسائل الانتقام والإجرام ، الأمر الذى تشقى به هذه الحياة ، فهى تسعد بالأمن الدائم العادل لأن سلام المجتمعات يقوم على العدالة بين الناس فلا ظلم ولا جور ولا عدوان ، والإسلام يؤثر السلم على الحرب ، لأن السلم حياة بدليل قول الله :

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦١ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال/ ٦١ ـ ٦٢) ، ولقد سالم الإسلام القيم الناس فى ثلاثة عشر عاما فى الفترة المكية التى بلغ فيها الجور أشدَّه ، وقد تحملت الدعوة فى أيامها الأولى من صناديد الكفر أذًى كثيراً ، فصبر صاحب الدعوة ـ عليه السلام ـ وأصحابه كثيراً لأن الله أمره بالصبر ولم يؤذن له فى حرب الآثمين المعتدين .

﴿ واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكـــم الله ... ﴾ (سورة يونس / ١٠٩) .
﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ (الطور / ٤٨) .. ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (الروم / ٦٠) .
﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ (ق / ٣٩) . ﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (هود / ١١٥) .

هذه توجيهات القرآن وهى كثيرة تأمر بالثبات على الأمر ، فكان هو يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة عملا بقول الله ـ تعالى :

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

(النحل / ١٢٥) . فالله قد جعل السلام تحية للمؤمنين ، وجعله من صفات ليلة القدر ، ونحن نقول فى الصلاة (فى كل تشهد) السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ولا نخرج من الصلاة إلا بكلمة السلام (يميناً ويساراً) .

« السلام وإعداد القوة »

ولابد من إعداد القوة لحماية الملة ورعاية مصالح الأمة وتأمين العقيدة من كيد المعتدين وبغى المستبدين مادام طواغيت البشر لا يفهمون العدل وحق الله وحقوق الإنسان نحو أخيه الإنسان ، وقد جهلوا أن الله قد اختار بنفسه لنفسه السلام اسما من أسمائه الحسنى فهو « الملك القدوس السلام » : وهو القائل :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ ... ﴾
(سورة الأنفال / ٦٠) .

الرأى لا يفرض بالقوة : والإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل :

يقول الله عز وجل : رداً على من يزعم أن الإسلام انتشر بالسيف ، (حقداً وغلًا) من عند أنفسهم : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ (البقرة / ٢٥٦) ويقول جل جلاله : ﴿ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس / ٩٩) . ولم يكن رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ملكاً يفرض سلطانه على البلاد بالسطو على الأوطان بالغلبة والعدوان بسبب المطامع والتوسع الاستعمارى ، ولكنه كان رسولًا نبياً (شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) يدعو إلى الله بالمنطق والوضوح ، ويخاطب العقل والروح « وما ينطق عن الهوى » ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾ (المائدة / ٦٧) . فقد أرسل كتاباً إلى كسرى فمزقه وأرسل بمن يقتل رسول الله ، أما هرقل فلم يرد وقتل بعض المسلمين بينما ردَّ المقوقس رداً جميلا وأرسل هدية و « مارية القبطية » إلى رسول الله ﷺ وما كان للمسلمين أن يتركوا طواغيت البشر ليفسدوا فى الأرض ويصدوا عن سبيل الله وأن يتقبلوا الظلم والبغى والهوان .

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ سورة البقرة

أىُّ عدل وأية سماحة وأى سلم ومسالمة بعد قول الله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ (النساء/ ٩٠) والله يقول : ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ... ﴾ (الأنعام/ ٥٤) .

أما الجهاد فقد شرعه الله لصد العدوان ودفع الأذى وكف البغى ، لأن الظلم من شيم النفوس الباغية المتمــردة على الحق وكان رسول الله وأصحابه فى مكة يسالمون مَنْ حولهم فلــم يسالموهم ، فماذا يفعلون ، ولم يؤذن لهم بقتالهم يومئذ ؟ فكان لابد من مجابهتهم بالقوة ليرتدعوا وقد أذن الله ــ سبحانه ــ لهم بدفع العدوان ، وأنقذهم بذلك من الاستسلام للعدوان ، قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج/ ٣٩) .

لقد كان الإسلام حريصاً على السلام العادل بكل وسيلة تقيم هذا السلام ، فأما مَنْ غوى فقد وجب ردعه ، لذا جاء الإسلام بـ « الــوازع والرادع » معا وليذكر المسلم إن العفو والسلام لم يكن مذلة وضعفاً واستِسْلاماً ، كلا إن المسالمة البناءة القوية اليقظة الواعية تسير جنباً إلى جنب مع إعداد كل المستطاع من القوة لردع العدوان ، وقد علم الإسلام المسلمين قوة الإرادة والثقة بالله القاهر فوق عباده ، وهو القائل : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران/ ١٣٩) . وهو القائل : ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾ (المجادلــة/ ٢١) ﴿ **وكان علينا نصر المؤمنين** ﴾ (الروم/ ٤٧) .

والله يبشر المسلمين : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ (غافر/ ٥١) . والأمن من نعم الله على الناس

هذا وفى الأمن الأخلاقى ــ بدوره ــ توطيد لدعائم الأمن النفسى والاجتماعى وفيه حماية للفضائل والشمائل ، لأن دين الله غنى بمكارم الأخلاق فلم يترك خيراً إلا دعا إليه ولم يترك شراً إلا حذر منه ونهى عنه لكيلا يكونُ السلوك مشبوها ومشوها ولكيلا يكون صاحبه المنحرف شريرا مذموما مخذولا فاقد الذوق أعمى البصيرة سيىء السيرة ، وبديهى أن الحق لا يصارع الحق. لأن الحق شىء واحد فلا يصارع نفسه ، ولكنه يصارع الأضاليل والأباطيل . ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ سورة الإسراء

شعارات خبيثة

بقلم فضيلة الشيخ:

سليمان عبدالحميد الفقى (*)

ما أكثر الذين يشوهون صورة الإسلام بالأباطيل والضلالات باسم التنوير والتجديد ، أو التطور والحداثة أو التطرف والارهاب أو باسم حماية الفن والإبداع أو محاربة الجمود ، إلى غير ذلك من الدعاوى والشعارات البراقة التى تزين بها جيوش الظلام سمومها وتغلف بها فجورها وتحللها من الفضائل .

هكذا تعددت ميادين المواجهة وتنوعت أشكال المؤامرة ، والهدف واضح ومعلوم ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ .

سورة البقرة ـ ٢١٧

وما أحوج المستغربين الذين يدّعون نصرة الإسلام وحمايته إلى الالتزام ، بهدى الإسلام فى الدعوة والسلوك ، وما أحوج طلاب التنوير الحقيقى إلى الاستفادة بنور الإسلام القائم على الوسطية والاعتدال ، عندئذ تتوحد الأمة وتصفُّ جنودها وتحشد عدتها لمواجهة عدوها الأكبر .

الإسلام دين التوسط والاعتدال واليسر وليس العسر :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ البقرة ـ ١٨٥

والأمة الإسلامية أمة وصفت بالوسطية :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

سورة البقرة

والدعوة إلى الإسلام تخضع لمعايير منضبطة وثابتة لا تتبدل ولا تتغير : بينها الله ـ عز وجل ـ

(*) الكاتب : شيخ معهد القراءات بدمنهور .

فى قوله تعالى :

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ .

النحل – ١٢٥

وقوله تعالى :

قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

يوسف

فالغلو أو التشدد أمر مرفوض شرعاً مهما كانت الأسباب ، لأنه منفر ومسبب للهلاك : والغلو ظاهرة أصيب بها أهل الأديان السابقة فأهلكتم ،وهؤلاء قال الله – عز وجل – فى حقهم :

﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ .

المائدة – ٧٧

فليس فى الإسلام إذن تطرف ولا غلو ولا تشدد ، ولو كان أعداء الإسلام يريدون محاربة التطرف حقا لما وصموا دين الوسطية والاعتدال بالتطرف والجمود ظلما وافتراء ، انما استهدفوا النيل منه من خلال عدة وسائل :

١ – تنفير جماهير المسلمين من دينهم كنظام حكم ومنهج حياة بوصفه دين تشدد وعسر وتضييق .

٢ – شغل الشباب المسلم بالمسائل الجزئية وتبديد جهوده الفكرية وطاقاته العملية فى الدعوة بحرارة لهذه الفرعيات والمجادلة والمخاصمة عليها ، وإلهاؤه عن القضايا المصيرية .

٣ – شغل القوى الإسلامية المتحركة ببعضها حتى لا توجه حركتها الصاعدة إلى عدوها المشترك بل تتصارع فيما بينها وتتراشق بالتهم حتى تصل إلى حد التأثيم بل التكفير وبهذا يهدم بعضها بعضا ، ويخربون بيوتهم بأيديهم .

والعدو المتربص يقف متفرجا قرير العين بما يرى ، ولا مانع عند اللزوم أن يتدخل ليجهز على البقية الباقية .

٤ – تيئيس الناس من الإسلام ودعاته حتى يستقر فى نفوسهم أنه لا فائدة فى أى عمل إسلامى ما دامت نتيجته ان يضرب من الخارج أو يتآكل من الداخل .

٥ – وأولى بالمصلحين الساعين إلى الكمال بلا هدم ولا قتل ولا تخريب أن يقرءوا قول الله – عز وجل – لصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد غزوة أحد .

﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٦٥﴾ ﴾

سورة آل عمران

فيا شبابنا المسلم : كونوا للدعوة جنودا مخلصين داعين على بصيرة ميسرين لا معسرين ولا منفرين ، وأحسنوا الظن بالناس ، وخذوا عن أهل العلم والورع والإخلاص والاعتدال فيفهم المسلمون حقيقة دينهم وأهدافه .

نعـــم ... يـا دكـتـور زكـــريـا
هما ثقافتان ... وهما أيضاً وجهتان

الأستاذ الدكتور إبراهيم عوضين(*)

كلما ذكرت قول شوقى :

خفضنا من عُلُو الحق حتى ... توهمْنا السيادةَ أن نُسادا
ورب حقيقة لا بد منها ... خدعنا النَّشْءَ عنها والسوادا

ذكرت ما آل إليه ـ فى هذا العصر ـ أمر قادة الفكر والثقافة فى أمتنا على وجه العموم ، وفى مصر على وجه الخصوص ؛ فقد استطاع المستعمرون الأوروبيون الصليبيون أن يقهرونا من داخلنا بسلاح الفكر والثقافة ، بعد أن يئسوا من قهرنا عسكرياً على مدى أكثر من أربعة قرون .!

ولقد أعانهم على النجاح فى ذلك ؛ بريق ما حققوه من كشوف علمية ، تخلب كل لُبّ ، وتذهل كل عقل ؛ فلقد جعلوا من ذلك وسيلة لإساغة كل ما يصنعون ، حتى لو كان العبث الفكرى ، أو الفساد الثقافى .. الأمر الذى دفع واحداً من شوامخ المفتونين بالحياة الأوروبية ، والمتسنمين بيننا قمة الأدب والفكر فى العصر الحديث ، إلى أن لا يستحى من الدعوة إلى احتذاء الأوروبيين فى كل شىء ، من غير تفكير ولا نظر ؛ فلم يخجل الدكتور « طه حسين » من أن يربط بين تقدمنا الحضارى والتقدم الأوروبى وحده دون غيره ، كى يلزمنا بالحاجة إلى التساوى بالأوروبيين واحتذائهم فى كل شىء ؛ بأن نسير سيرتهم « ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً ، ولنكون لهم شركاء فى الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحبّ منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب »[1] .

(*) رئيس قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة

كما يؤكد على أن يكون ثمن مساواتنا الأوروبيين فى الحضارة الحديثة هو : تنازلنا عن هويتنا الثقافية ، وذوباننا فى ثقافتهم ؛ فيفرض من أجل ذلك : أن يكون سيرنا كسيرتهم فى حياتنا العملية اليومية ، وفى أطفالنا ، وعقائدنا ، ودخائل نفوسنا[٢] .

وعلى الرغم من أن بعض المنافحين عن « طه حسين » حاولوا أن يوجهوا هذه العبارات وجهات مختلفة تبرىء صاحبها من الوقوع فى براثن الخضوع التام المستكين لكل ما هو أوروبى ... تقدم لنا أجهزة الثقافة والإعلام فى مصر كل يوم تلميذاً وفياً لهذه الوجهة ، التى لا ترى خير أمتنا إلا فى إلغاء عقول أبنائها إلغاءً تاماً ، وطرح لغتنا وعقيدتنا ومشاعرنا النفسية جانباً ، والانسلاخ الكامل من هويتنا التى تميزنا عن سادتهم الأوروبيين ، أساطين الحضارة الحديثة .!

ومن هذا ما طالعتنا به صحيفة الأهرام الصادرة فى السابع من شعبان سنة ١٤١٤ هـ التاسع من عشر من يناير سنة ١٩٩٤ م تحت عنوان « الثقافتان » بقلم الدكتور « فؤاد زكريا » ، وفى هذا المقال رأى الدكتور أن يصل إلى مراده بطريقة عكسية ، يقدم فيها الجميل فى هيئة القبيح ، والقبيح فى هيئة الجميل ، والصواب فى هيئة الخطأ ، والخطأ فى هيئة الصواب ؛ وقد بدأ بنفسه ، فقدم لنا من نفسه المفكر العربى الغيور على أمته ووطنه ، الحزين على ما آل إليه حالنا على أيدى طائفة من المزيفين الذين يعملون على تشويه الوجه المشرق للثقافة الأوروبية .

العلمانيـــة والإســـلام :

فالدكتور ـ فى مبتدأ مقاله ـ مستاء يائس من الإصلاح ؛ لأن من حاورهم من المسلمين يصرون على رفض العلمانية التى يبشر بها ، والتى تدعو إلى الفصل بين الدين والسياسة ، ويرى هؤلاء الرافضين ـ لرفضهم ذاك ـ يقفون فى معسكر التطرف والإرهاب الفكرى ، المقابل لمعسكر التنوير والتقدم ؛ فقد شاهد بنفسه ـ كما يذكر بالنص ـ « كيف تم بالتدريج تحويل صفة العلمانية التى تطلق على الدعوة إلى الفصل بين الدين والسياسة من صفة محايدة ، لا تدل على أكثر من الوضع القائم بالفعل فى معظم البلاد الإسلامية ـ وضمنها مصر ـ طوال القـرن الأخير على الأقل ، إلى صفة قبيحة مخيفة ، لا ينقص صاحبها سوى قرنين صغيرين على جانبى رأسه كيما يصبح شيطاناً رجيماً » .

ولا أدرى كيف ساغ الدكتور لنفسه أن يستهيمن بعقول القراء على صفحات جريدة كبيرة كهذه ؟!

وإلا ... فأين هو الحياد الذى تتسم به العلمانية التى تطلق على الدعوة إلى الفصل بين الدين والسياسة ؟!

ماذا يعنى الدعوة إلى الفصل بين الدين والسياسة ؟! وكيف يكون الداعى إلى ذلك ـ أو

الدعوة إلى ذلك ـ حيادياً ؟!

إن إطلاق العلمانية على هذا الفصل ـ كما قرر ـ يعنى من أول الأمر أنها لا تعرف شيئاً عن الحياد ؛ لأن المنطق الأرسطى أو العلمى الذى يعتز به الدكتور ، ويعتز به الأوربيون ـ فضلاً عن المنطق الإسلامى ـ لا يسلم بهذا هكذا على إطلاقه ؛ إذ الدين الذى يتعارفه الكثيرون ـ فى الواقع ـ ليس ديناً واحداً ، فهناك الدين الذى يسلط طائفة على طائفة تسليطاً مستغلاً مستبداً ، لأنه يجعل الناس طائفتين ، طائفة رجال الدين ، وطائفة العامة ، فلرجال الدين ـ باسم هذا الدين ـ الحرية المطلقة فى إخضاع العامة ، دون تدخل من أحد ، لأن سلطانهم مستمد من سلطان الله . وهناك الدين الذى يتجاهل النشاط العقلى ، ويعاديه هو ومن يدعون إليه ، وما ينبثق عنه . وهناك الدين الذى يميز معْتنقيه عن غيرهم ، أياً كان سلوكهم وخلقهم ... وهناك الدين الذى يرى العقل وسيلة من وسائل المعرفة ، ويرى الناس سواسية لا فضل لواحد على آخر إلا بما يقدمه من خدمة عامة ، وليس هناك فضل بالأصل ولا بالجنس ولا بالعبادة الخاصة ، ويرى العلم أحد مظاهر التدين ، ويقدم ـ لهذا وذاك ـ للناس المنهج المستقيم فى التعامل مع الكون والحياة ، طالباً من كل فرد على السواء أن يقدم ما يستطيع ، دون حجر أو تمييز .. الدين الذى لا يقصر العدالة على أفراد بأعيانهم ، ولكن العدالة فى ظله عامة شاملة .!

كيف يا سيادة الدكتور تجعل العلمانية التى تطلق على الدعوة إلى الفصل بين الدين ـ فى عمومه ـ وبين السياسة ... حيادية ؟!

وددت .. لو كنت موضوعياً فى رؤيتك ـ كما تقولون ـ حيادياً فى حكمك ، عقلانياً فى تعبيرك ، فأوضحت أى دين من هذه الأديان تفصل العلمانية بينه وبين السياسة ؛ لأنك بهذا التعميم تناقض نفسك ، أو تسخر من عقول القارئين ؛ فالعلمانية التى تفصل بين الدين الإسلامى وبين السياسة لا يمكن أن تكون متسمة بالحياد ؛ إذ الإسلام يقوم على وحدة الكيان الإنسانى ، ويرى الإنسان مزيجاً من الروح والمادة ، من العاطفة والعقل ... دون فصل بينهما ولا ثنائية ؛ فهو مخلوق من طين نفخ فيه من روح الله الخالق عز وجل !

ومن هنا .. كانت العبادة فى الإسلام شاملة الصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، والعدل فى الحكم ، والجد فى السعى والعمل ، والاتزان فى الإنفاق ، والأمانة فى القول ، والاعتدال فى الطعام والشراب ... إلى آخر كل تلك القائمة الطويلة من السلوكيات التى تشمل الحياة كلها التى لا يتسع المجال لاستقصائها ... فقد تلقينا قول العزيز الحكيم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ النساء) .

وتلقينا قول الحكيم العليم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ (المائدة) .

إلى جوار قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة الإسراء)

وقوله جل شأنه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٥٩ النساء) .

إلى غير ذلك من آيات الكتاب الكريم التى تقرر أن كل أمور الحياة تدخل فى مجال عبادة الله سبحانه وتعالى ، مما لا يتسع لذكره المجال ، فكيف يا دكتور ترى أن العلمانية التى تدعو إلى الفصل بين الإسلام والسياسة محايدة ؟!

الثقافة المفتوحة .. والثقافة المغلقة :

ومن تلك المقدمة الضالة .. خلص الدكتور إلى أن هذا الموقف من العلمانية ، الموزع بين من يراها — فى موقفها من الدين — محايدة ، ومن يراها غير محايدة .. قد أفرز نوعين من الثقافة — أو هو إفراز لنوعين من الثقافة — لا تكاد تكون هناك صلة بين أحدهما والآخر .

وفى حرصه على الاستمرار فى السخرية من عقل القارىء يجعل الثقافة التى ترفض — أو يرفض أصحابها — هذا الحكم الضال المزيف ثقافة مغلقة ، والثقافة الأخرى مفتوحة ، بحجة أن أصحاب الثقافة المغلقة يؤمنون بثقافة اكتمل بناؤها الأساسى منذ أمد بعيد ، وأن أصحاب الثقافة المفتوحة يشتركون جميعاً فى الانفتاح على ثقافات العالم .!

وكأن الثقافة التى اكتمل بناؤها الأساسى منذ أمد بعيد آتية من خارج العالم ، أو كأن بناءها اكتمل فى عالم آخر لا صلة له بعالم الإنسان .

بل كأن الثقافة التى ينفتح هؤلاء عليها ثقافة ناشئة ، ليست لها جذور ولا أغوار ، أو كأنها مبتوتة الصلة بالثقافة اليونانية والإغريقية الوثنية .!

إن من يقرأ صدر المقال يدرك أنه مع كاتب يعى المقصود بالثقافة التى لا يمكن بحال من الأحوال إلا أن تكون ضاربة الجذور فى أعماق أصحابها .. تصل حاضرهم بماضيهم ، فى طريقهم إلى مستقبل يعيشون حاضره ، دون أن يفصم جذورهم من أصولها ، وإلا لأسرع إليهم الذبول فالموت ، كما حدث لكثير من الأمم التى بادت ، ولم يبق منها إلا بعض الخطرات التاريخية .

ولكن القارىء حين يصل إلى ذلك الحد من المقال يجد نفسه مع كاتب آخر .!

ولو أن الدكتور التزم الحياد الذى يتشدق به ، لما رأى هذه الثقافة بعين ، وتلك بعين أخرى ، ولما خلط بين الثقافة — فى عمومها — والحضارة أو التقدم العلمى ... ولكان قرر أن الانفتاح والانغلاق أمران نسبيان ، وأن ثقافة العلمانيين — وإن كانت منفتحة على ثقافة الأوروبيين بمادياتهم وسخطهم على الكنيسة ورجالها وفكرهم — هى ثقافة مغلقة فى الوقت نفسه بإزاء ثقافة الإسلاميين ؛ حيث لا يكادون معه يعرفون عن حقيقة الإسلام شيئاً ، اللهم إلا ما يريدون أن يلصقوه به ، لينفروا منه الآخرين .!

ولكن — لحاجة فى نفس الدكتور — أبى إلا أن يحكم على الثقافة الإسلامية — وحدها — بالانغلاق ، على الرغم من أنها لا ترفض الحكمة

أياً كان مصدرها أو موطنها ، كما لا ترفض المعرفة ولا العلم كذلك .!

رمتني بدائها وانسلت :

ثم يعلن الدكتور أنه وصل إلى مرحلة اليأس من التأثير فى أصحاب هذه الثقافة المغلقة ، على الرغم من توسله فى حواره معهم بما اعتاده من احتكام إلى العقل والمنطق .

ونبحث عن هذا العقل وذاك المنطق اللذين يحتكم إليهما ؛ فنجد أنه ـ قبل أن يقوم بهذا الاحتكام ـ قد أغلق نفسه على عقل أرسطو ، والمنطق الأوروبى الذى فتن أصحابه بما تحقق فى ميدان الصناعة والبحث فغفلوا عن المكون الآخر للإنسان ، وإن لم يروا فيه إلا العنصر المادى البحت .

فالدكتور لا يبصر جوانب الضعف والقصور فى تصوره ورؤيته هو وأمثاله ، ويأبى إلا أن يلوم من لم يستجيبوا له ، ويسلسلوا لرأيه القياد ، ولو كان رأيه وأصحابه نشازاً بين المعزوفة الإسلامية العامة ، بل ويأبى إلا أن يرى فيهم جموعاً متحجرة منغلقة ، لا تقبل القول إلا من معلمين بأعيانهم لا يرضون بهم بديلاً .. مغضياً نظره عن أصالة رؤيتهم ورأيهم المتوائم مع قيم الفطرة الإنسانية ، وقيم ما ارتضوه ـ عن يقين ـ من دين غنى بالفكر والثقافة غِنىً يمتد عبر أكثر من أربعة عشر قرناً ، ويشمل ما يعادل أكثر من نصف الكرة الأرضية .. متوهماً أن تمسك هؤلاء بما يحفظ عليهم هويتهم ، وينبثق عن أصالتهم متفيئاً كل ظل عصرى ، بحيث لم تستطع الزعازع الهوج أن تفصم عراهم من عراه ... على مدى تلك القرون الممتدة .!

ولو أن الدكتور أنصف نفسه ، وأنصف البحث العلمى والحوار العقلى الحقيقى .. لتنبه إلى أن فشله هو وأمثاله ليس راجعاً إلى جمود من يحاورهم ولكنه راجع إلى جموده هو ورفقاؤه ، ووقوفهم عند مرحلة من الفكر والثقافة الأوروبية نبذها الأوربيون أنفسهم ، وجعلوها دبر آذانهم بعد أن تخلصوا بثورتهم من سلطان رجال الكنيسة وهيمنتهم باسم الدين على أمور الحياة ـــ وليست الدولة فحسب ـــ لصالحهم وصالح من يرضون عنه !

ولا أدل على ذلك مما نعلمه جميعا من قيام أحزاب سياسية ذات منزع مسيحى ـــ على اختلاف المذاهب المسيحية ـــ فى مقابل الأحزاب ذات المنزع العلمانى ... بل كيف يغيب عنا وعنكم أصول الدولة التى تواطأ الأوربيون جميعا على إنهاضها ـــ بعد تمكينها من أرض فلسطين ـــ على أساس دينى عنصرى متعصب إلى أبلغ حدود التعصب ؟!

إن ما ترمى به ـــ ياسيادة الدكتور ـــ جموع الإسلاميين من جمود وحرص على إخماد الحس النقدى ليس من الاسلام فى شىء ، وليس منه الاسلاميون فى شىء كما ترى .. ولكن مرضكم أنتم الذين تخفون السم فى العسل ، وتحاولون أن تقهروا الناس على تجرعه قهرا ، فإذا لم تتمكنوا من ذلك ، لجأتم إلى الالتفاف بالتباكى والتحسر على فشلكم ، وكَيْل الألقاب والنعوت المنفرة لتلصقوها بهم ، أملا فى أن تنجح تلك فى صرف بعض الناس عن التوجه الاسلامى !

الإرهاب الفكرى سلاح العاجز

ومن هنا .. يستشعر الدكتور أن الفرصة أصبحت مواتية للانقضاض بالقوة الجبرية على الإسلاميين ، تعويضا لفشل الحوار الفكرى والمنطقى المزعوم ، فلا يكتفى بتزييف السمات الثقافية للإسلاميين والعلمانيين ، ولكنه يعمد إلى محاولة الحجر على الإسلاميين ، والسعى إلى إغلاق منافذ البيان والتعبير دونهم ، حتى تخلو الساحة للثقافة العلمانية ، حرصا على إنقاذ شباب الأمة من إفساد الإسلاميين وعبثهم بتفكيرهم !

ولا يكتفى الدكتور باستيلائه الفعلى هو والفرقاء العلمانيون على منافذ البيان المكتوب من صحف ومجلات ، وسيطرتهم على ميادين التعبير المنطوق ، من مؤتمرات وندوات .. فيغرى المسئولين الرسميين بتمكينهم — يعنى العلمانيين — التمكين الكامل من أجهزة الاعلام الأخرى ، من إذاعة وتليفزيون ، حتى يتلافوا الخطر المحدق بالأمة من وراء ذيوع الفكر الاسلامى — أو الفكر غير العلمانى — مغلفا إغراءه ذلك بغلاف التنسيق بين الثقافة والإعلام ، لعلمه أن الإعلام قادر على أهم الأدوار فى المعركة التى يخوضها من أجل الحفاظ على البقية الباقية من عقل مصر « هكذا نص عبارته » .

يقول الدكتور هذا سترا لضعف تأثيرهم — كما يصرح بذلك — على الرغم من علمه بأن كل الوسائل الإعلامية مسخرة للصوت العلمانى ، ولايكاد يتاح منها للصوت الاسلامى إلا مالا يتجاوز القشرة السطحية ، وفى أضيق الحدود !

وهكذا ... نرى أن الدكتور فؤاد زكريا إنما قصد بذلك أن يستل سيف الإرهاب الفكرى من غمده ، مهدداً المتمسكين بالثقافة الأسلامية ، بنعتهم بأشنع النعوت وأقبحها ، متوعدا إياهم بالحجر والاعتقال بعيدا عما قد يكون متاحا لهم من منافذ التعبير المحدودة ، حتى يخنق آراءهم فى صدورهم ، ويحبس أنفاسهم فى حلوقهم ، حماية للأمة — كما يزعم — من جمودهم الفكرى ، وانغلاقهم الثقافى ، وظلام تفكيرهم الذى يهدد التنويريين — من أمثاله — بإفساد مساعيهم فى تنوير المجتمع ، وتذويبه فى المجتمع الأوربى ، كما أعلن ذلك منذ أكثر من نصف قرن رائد التنويريين الدكتور طه حسين !

وهكذا ... تتراءى أنياب الإرهاب الفكرى ، تنفث سمومها الناقعة ، من خلف تلك الستر التعبيرية المنمقة ، التى نسجت من دموع التباكى على الثقافة المنفتحة ، والفكر المتنور ، والمنطق العاقل ، اشمئزازا من الإسلام والثقافة الإسلامية ، وخوفا من آثارها الفعالة على الأمة وعملا على تمكين الثقافة العلمانية !

فلا أملك إلا أن أذكر قول الحق تبارك وتعالى فى وصف مثل هذا الواقع :

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة الزمر

ولا أستطيع ألا أن أرجو الله تعالى أن يبصرنا ويبصر هؤلاء العلمانيين بالحق ، وأن يهدينا جميعا سواء السبيل .

علاقة مصر بالجزيرة العربية

م د. محمد محمد زيتون [*]

كيف تم فتح مصر ؟

وقد سار عمرو بجيشه الذى لم يتجاوز أربعة آلاف جندى إلى (العريش) حيث استولى عليها بدون مقاومة لتصدع حصونها وعدم وجود حامية رومانية بها ، ومن العريش توجه عمرو الى (الفرما)[1] وكانت محصنة وبها حامية رومانية فضرب عليها الحصار شهرا ودار قتال بين المسلمين وبين الحامية انتصر فيه المسلمون واستولوا على الفرما التى تعتبر المدخل الطبيعى لمصر من الشرق ، وتؤمن للمسلمين وصول المدد أو العودة عند الهزيمة ، وقد تم للمسلمين فتحها أول المحرم سنة ١٩هـ — ٦٤٠ م ثم واصل المسلمون السير مارين بمدينة (مجدل) (فالصالحية) (فوادى الطليمات) بقرب (التل الكبير) حتى وصلوا إلى (بلبيس) وكان بها الأرطبون الفار من بيت المقدس ، فأدار بها القتال شهراً ضد المسلمين انتهى بهزيمته وإستيلاء المسلمين على المدينة .

توجه عمرو بالمسلمين بعد ذلك إلى (أم دنين) حيث دار القتال بين المسلمين والبيزنطيين واشتد القتال وأبطأ الفتح فكف عمرو عن القتال وأرسل إلى الخليفة يطلب المدد فأمده الخليفة بأثنى عشر ألفاً من المسلمين على رأسهم الزبير بن العوام وعبادة ابن الصامت ومسلمة بن مخلد والمقداد بن

(*) الكاتب رئيس قسم التاريخ ـ جامعة الأزهر .

(١) الفرما : مدينة على نهر من الأرض تبعد نحو ميل ونصف ميل من البحر شرق بورسعيد يصب قربها فرع النيل البلوزى وهى قوية الحصون بها كنائس وأديرة . تبلر فتح العرب لمصر ص ١٨١ .

الأسود الذى يعد الواحد منهم بألف رجل[٢] .

وقد تمكن عمرو قبل وصول المدد من الاستيلاء على (أم دنين) ثم عبر النيل قاصدا (الفيوم) حيث استولى على (البهنسا) واستاق ما كان يقابله من الأنعام ، وقبل أن يستولى على الفيوم علم بوصول المدد فعاد أدراجه واستقبل المدد وعسكر به فى هليوبولس (عين شمس) .

الاستيلاء على حصن بابليون :

اعتصمت قوات الروم بقيادة تيودور ورئاسة المقوقس فى حصن بابليون ، وقد استدرجهم عمرو إلى القتال خارج الحصن حيث التقى بهم فى (العباسية) وقد أعد كمينا لهم فى الجبل شرق العباسية وآخر قريبا من (أم دنين) ثم هاجمهم ببقية الجيش وعندما حمى وطيس القتال خرج الكمين فى الجبل فاجتاح مؤخرة جيش الروم وأحدث بها خللاً فمالوا إلى (أم دنين) فخرج عليهم الكمين الثانى ، وصاروا بين ثلاثة جيوش إسلامية فأختل نظامهم وحلت بهم الهزيمة وفروا طالبين النجاة ، وعادوا إلى الحصن برا وبعضهم ركبوا السفن ولاذوا بالحصن وقتل منهم عدد كبير فى تلك المعركة .

مهدت هذه المعركة السبيل للمسلمين ليحاصروا حصن بابليون ، وكان وقت فيضان النيل فطال الحصار إلى سبعة أشهر لقوة أسوار الحصن وقلة معدات الحصار عند المسلمين .

أيقن الروم بتصميم المسلمين على فتح الحصن فتداولوا فى مفاوضة المسلمين فوافق البعض ورفض البعض الآخر . فخرج المقوقس فى نفر إلى جزيرة الروضة وأرسل إلى عمرو بن العاص يطلب الصلح . فخيرهم عمرو بين الاسلام ، أو الجزية ، أو القتال ، وعاد الرسل فسألهم المقوقس عن المسلمين فقالوا : « رأينا قوما الموت أحب إلى احدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليه من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون فى صلاتهم . فقال المقوقس : « والذى يتحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ، لئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم[٣] .

ترددت الرسل بين المقوقس وعمرو فى شأن الصلح على دفع الجزية على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ الحلم منهم ، ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ، ولا النساء شىء ، وكأن فى الصلح ستة

(٢) الكندى كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٨ .

(٣) ابن عبدالحكم فتوح ص ٩٧ .

شروط لا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ولا أرضهم ، ولا يزاد عليهم ، ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم (٤).

وتم الصلح بالنسبة للقبط . أما بالنسبة للروم فمن أراد منهم البقاء كان كالقبط ومن أراد منهم الخروج إلى أرض الروم خرج ، وأرجأ الموافقة بالنسبة للروم إلى أن يوافق امبراطورهم على ذلك ، ولكن هرقل رفض الصلح ، وقلل من شأن المسلمين ولام المقوقس على تصرفه .. واستؤنف القتال الذى انتهى بأن تسلق الزبير بن العوام أسوار الحصن مع بعض المسلمين وعجز الروم عن مقاومته وطلبوا إجراء الصلح معهم فوافق عمرو ، وخرج الروم من الحصن حاملين ما يكفيهم من القوت تاركين أسلحتهم وذخائرهم للمسلمين وتم ذلك فى المحرم سنة ٢٠ هـ الموافق أبريل سنة ٦٤١ م بعد أن مات هرقل أمبراطور الروم فى مارس سنة ٦٤١ م .

فتح الاسكندرية :

بعد الاستيلاء على حصن بابليون توجه الجيش الإسلامى إلى الاسكندرية التى كانت عاصمة مصر آنذاك وذات أهمية كبرى تجارية وحربية ولا يتم فتح مصر الا بالاستيلاء عليها فوصل إليها الجيش الاسلامى بعد أن خاض بعض المعارك فى الطريق مع حاميات الروم ومصالحهم فى (طرنوط) (ونقيوس) ، (وسلطيس) (والكربون) .

وعند الاسكندرية دار القتال بين المسلمين والروم المتحصنين فى مدينتهم واستمر الحصار والقتال أربعة أشهر اضطربت خلالها أمور الدولة البيزنطية فأرسلت المقوقس إلى الاسكندرية حيث عقد صلحا مع المسلمين كان من نصوصه :

المهادنة بين الطرفين أحد عشر شهرا ، وأن يحتفظ المسلمون بمركزهم مدة الهدنة ، وألا يباشروا أعمالا حربية ضد الاسكندرية ، وأن يكف جند الروم عن الأعمال العدائية ، وألا يتعرض المسلمون للكنائس بسوء ، وألا يتدخلوا فى شئون المسيحيين ، وان ترحل الحامية التى بها بأمتعتهم وأموالهم من دفع الجزية عن شهر عند رحيلهم ، وبقاء اليهود بالاسكندرية . وألا يعود الرومان أو يحاول جيش رومى استرداد مصر ، وأن يدفع كل من فرضت عليه الجزية دينارين كل سنة ، وأن يكون عند المسلمين مائة وخمسون جنديا روميا وخمسون مدنيا رهينة لتنفيذ هذه المعاهدة وكان ذلك فى سنة عشرين هجرية ــ نوفمبر سنة ٦٤١ م .

وتم جلاء جنود الروم آخر سنة ٢١ هـ الموافق سبتمبر سنة ٦٤٢ م حيث دخلها المسلمون واستطاع المسلمون بعد ذلك بسط سلطانهم على جميع الجهات فى مصر شمالها وجنوبها وصار المصريون بذلك أهل ذمة فى حماية المسلمين .

---

(٤) ابن عبدالحكم فتوح ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

موقف القبط من المسلمين أثناء الفتح :

تضاربت أقوال المؤرخين بالنسبة لموقف القبط أثناء الفتح بين مثبت لمساعدة القبط للمسلمين وبين ناف لها . وقد يبالغون فى مدى تأثير ذلك بالنسبة لسير الفتح ، وأرى أن القبط كانوا محايدين أو سلبيين بالنسبة للمسلمين والروم أى عن مساعدة أحدى الطائفتين (الروم والمسلمين) على الأخرى ، ولكن عندما كان يبسط المسلمون سلطانهم على قرية أو مدينة ويستولون عليها فلا شك أن أهلها بحكم سلطة المسلمين عليهم سينفذون ما يطلب منهم من أمور تساعد المسلمين فى تحركاتهم وسير جيوشهم ، وتنفيذ أغراضهم فى بسط سلطانهم على هذه البلاد ، والأمر كذلك بالنسبة لمن هم تحت سلطان الروم من القبط أثناء فتح مصر لا يستطيعون أن يمتنعوا عن تنفيذ ما يطلب إليهم .

إدارة مصر بعد فتحها :

وقد اهتم المسلمون بشئون مصر بعد فتحها فعملوا على تنظيم إدارتها وعهد بولايتها إلى قائد فتحها « عمر بن العاص « فهو أول ولاتها حيث أسس الفسطاط وكانت مصر أول عاصمة إسلامية فى افريقيا . وقد اتبع عمرو مع اهل مصر سياسة الرفق المقرون بالحزم فأحصى موارد مصر وثرواتها بدقة وفرض على شعبها الجزية بطريق الصلح كما سبق .

وكانت مصر تتمتع آنذاك بموارد وثروات عظيمة وكانت تزخر بالسكان وقراها عامرة رغم ما أصابها من عسف الادارة الرومانية ، وكانت قرى مصر أكثر من عشرة آلاف قرية وكان صلح القبط على أن يدفع كل رجل منهم جزية قدرها ديناران[٥] . وقد بلغ من وجبت عليهم الجزية السنوية ستة آلاف الف نفس وفى رواية أخرى ثمانية آلاف الف ليس فيهم امراة ولا شيخ ولا صبى فكان الدخل من الجزية اثنى عشر مليونا أو ستة عشر مليون دينار فى العام ولعل فى ذلك مبالغة كبيرة ولكنه يبين لنا جانبا من الدخل الذى يحصل فى الولاية .

ويذكر ابن عبد الحكم أن أهل (سلطيس) (ومصيل) (وبلهيب) ظاهروا الروم على المسلمين فى جمع كان لهم . فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا : هؤلاء لنا فىء مع الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر بن الخطاب بأن تجعل الاسكندرية وهذه القريات الثلاث ذمة للمسلمين على عددهم ولا يجعلون فيئا ولا عبيدا . ففعلوا ذلك[٦] . وهذا يدل على التسامح الكبير الذى سار عليه المسلمون بالنسبة لأهل مصر وحرصهم على حسن علاقتهم بهم .

وكان عمرو يبعث إلى عمر بن الخطاب بالجزية بعد أن يحجز منها ما كان يحتاج إليه فى إدارة شئون مصر والقيام بالإصلاحات فيها وكانت فريضة مصر لحفر خلجها وإقامة جسورها ، وبناء

(٥) ابن عبدالحكم فتوح ص ١٢٢ ، محمد عبدالله عنان مصر الإسلامية ص ٧٩ .

(٦) ابن عبدالحكم فتوح ص ١٢٣ .

قناطرها ، وقطع جزاؤها مائة وعشرين الفا معهم الطور والساحى والأداة يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا [٧] .

وقد جرت مكاتبات عمر بن الخطاب وعمربن العاص بالنسبة لخراج مصر وأبطاء وروده إلى الخليفة والنقص الذى حدث فى الجزية بالنسبة لما قبل الفتح أيام المقوقس ، لأن المقوقس جباها قبل عمرو بستة عشر مليون دينار .

فأرسل عمر بن الخطاب إلى عمرو عدة كتب بالنسبة للخراج يقول فى الأخير منها قد عجبت من كثرة كتبى إليك فى ابطائك بالخراج وكتابك إلى ببينات الطرق ، وقد علمت أنى لست أرضى منك الا بالحق البين ولم اقدمك إلى مصر أجعلها لك طعمة ولا لقومك ، ولكنى وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج ، وحسن سياستك فإذا أتاك كتابى هذا فاحمل الخراج فأنما هو فىء للمسلمين وعندى من قد تعلم قوم محصورون والسلام .

فاجابه عمرو بن العاص « سلام عليك فأنى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فقد اتانى كتاب امير المؤمنين يستبطئنى فى الخراج ويزعم أنى اعند على الحق وأنكب عن الطريق ، وأنى والله ما ارغب عن صالح ما تعلم ولكن أهل الأرض استنظرونى إلى أن تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق بهم خيرا من أن يخرق بهم فيصيروا إلى بيع ما لا غنى بهم عنه .

وهذا يبين حرص عمرو بن العاص على عدم الإضرار بأهل مصر وحملهم على فعل ما يلحق بهم العنت والمشقة ويبين سياسة عمرو الحكيمة والمعتدلة المتسامحة مع أهل مصر فى إرجائهم إلى أن يحين وقت الحصاد .

كما نجد عمر بن الخطاب يهتم بشئون مصر ويعمل على تقدمها فيبحث عن الوسائل التى تتبع لاعمار مصر وازدهارها ، كما يسأل عن الأشياء التى قد تؤدى إلى خرابها وضعفها فيكتب إلى عمرو بن العاص ان يسأل المقوقس عن مصر : اين تأتى عمارتها وخرابها فسأله عمرو ، فقال له المقوقس : تأتى عمارتها وخرابها من وجوه خمسة ، أن يستخرج خراجها فى إبان واحد عند فراغ أهلها من زرعهم ، ورفع خراجها فى ابان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومهم ، وتحفز من كل سنة خلجها ، وتسد ترعها وجسورها ، ولا يقبل محل أهلها — أى البغى عليهم من عامل ظالم يلى أمرهم — فإذا فُعِلَ هذا فيها عمرت ، وأن عمل فيها بخلافة خربت » وعرف عمر بن الخطاب من ذلك ما كان يعتذر به عمرو ابن العاص »[٨] .

كما يفهم ان المسلمين ما قصدوا بفتح مصر الاستيلاء على خيراتها وانما ايضا الاهتمام بما يؤدى إلى عمارها وازدهارها وتقدمها .

وقد أبقى عمرو بعض عمال الروم فى وظائفهم ، ومن رحل منهم جعل مكانه عمالا من القبط ولم يمض وقت طويل حتى صار معظم عمال

---

(٧) المرجع السابق ص ٢٠٤ .

(٨) ابن عبدالحكم فتوح ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

الدولة من القبط . وكان المسلمون أخف وطأة فى جباية الأموال من الروم . وكان خراج الأرض يتغير بحسب عمار القرى وخرابها وحال الزراعة وكانت لجنة خاصة من عرفاء كل قرية ورؤساء أهلها تجتمع لتقدر ما يجبى من الأموال حسب حالة الزرع وقد خفف ذلك وطأة الضرائب على المصريين ، وكان يحدد فى كل بلد فدادين يخصص ريعها لإصلاح الأبنية العامة وصيانتها كالكنائس والحمامات والمعديات ، وحقق المسلمون المساواة بين الناس فى جباية الضرائب ، لأن الروم كانوا يعفون بعض الأفراد والطوائف الممتازة من الضرائب .

ولم يتح للمسلمين فى أول الأمر أن يملكوا الأرض وكان الرأى أن يبقى العرب على رباطهم لا يشتغلون بالزرع ولا يحلون بالبلاد كأهلها فلما اطمأنوا فى البلاد أبيح الخراج إذا ملكها مسلم من قبطى بل عليه ان يدفع ما كان يدفعه القبطى ، ولذلك كان القبطى إذا دخل فى الإسلام لا يرفع عنه خراج أرضه . ولكن الجزية كانت ترفع عن القبطى إذا أسلم ، إذ بإسلامه ترفع عنه صفة الذمة واختلاف الدين . ولذلك كان مقدار الجزية فى أيام عمرو اثنى عشر ألف دينار ، وفى أيام عبد الله بن أبى السرح أربعة عشر ألف ألف وفى أيام معاوية خمسة آلاف ألف بعد أن أسلم عدد عظيم من القبط ، وفى أيام الرشيد اربعة آلاف ألف ثم ثبتت الجزية على ثلاثة آلاف الف إلى أواخر القرن العاشر

كما قام عمرو بإعادة حفر الخليج الذى كان يصل النيل بالبحر الأحمر عند القلزم (السويس) وجرت فيه السفن تحمل الطعام من مصر إلى مكة والمدينة ( ) وكان شريانا حيوياً للتجارة والتنقل .

الإســلام والتأثير الروحى فى الحياة اليومية

لفضيلة الشيخ السيد عبد المقصود عسكر

الحمد لله والصلاة والسلام على جميع رسل الله وعلى خاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله وعلى من اقتدى به واهتدى بهداه .

« وبعــد » ..

أصــل الإنســان :

معلوم أن الإنسان مخلوق من جسد وروح . وبينهما تعاون وتكامل . وأصل الجسد من طين هذه الأرض فهو إليها يشتاق وإلى ما خرج منها يشتهى .

أما الروح فهى من الملأ الأعلى أتت وإلى هذا الملأ تشتاق وإلى الاتصال به تهفو يقول الله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

الإسراء ـ ٨٥

من الطين والروح خُلق الإنسان .

يقول الله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

سورة ص

(*) محاضرة ألقيت على طلبة الدراسات الدينية العليا بجامعة سانت ادوارد الكاثوليكية بمدينة أوستن فى ولاية تكساس الأمريكية . بدعوة من الدكتور روبرت فاستيجى والدكتور إد شيرلى عقب الظهر يوم الأربعاء ٢٨ من رمضان سنة ١٤١٢هـ .

مطالب الإنسان : ولكل عنصر من هذين العنصرين مطالبه وحاجاته التى لابد من إشباعها كى يتحقق للإنسان توازنه النفسى والعاطفى والعقلى ولكى يكون إنساناً سوياً ينفع نفسه وينفع الآخرين .

وإهمال مطالب أحد العنصرين يؤدى لا محالة إلى الخلل والاضطراب فى سلوك الفرد تجاه نفسه وتجاه الجماعة .

مطالب الروح : ومطالب الروح تتلخص فى أنها تشتاق إلى عالمها العلوى فهى تعمل على الصعود بالإنسان وتحقيق السمو له والارتقاء به .

وإشباع حاجة الروح ، وغذاؤها يكون بالاتصال المتكرر بالله عن طريق الصلاة فى مواقيتها ، وعن طريق الصيام بشروطه وضوابطه . وعن طريق القيام فى خشوع بين يدى الله فى جوف الليل والناس نيام . وعن طريق الاعتكاف أى : التفرغ للعبادة فى المسجد أحياناً بعيداً عن شواغل الدنيا ، وهذا الاعتكاف ليس له صبغة الدوام فى الإسلام ، إذ لا رهبانية فى الإسلام ، ثم عن طريق بقية العبادات المشروعة .

مطالب الجسد : ولما كانت مطالب الروح لا يمكن أن تتحقق إلا بواسطة الجسد كان لابد من إعطاء الجسد حقه فى الطعام والشراب والكساء ، والعلاج من الأمراض والوقاية منها عن طريق الرياضة البدنية وغيرها . كما لابد من المحافظة عليه بالامتناع عن تعاطى ما يضره من أطعمة أو أشربة أو غيرها مما حرمه . وكان لابد من إشباع الغريزة الجنسية عن طريق الزواج المشروع ولا يتم – فى الإسلام – إلا بين رجل وامرأة ، وعلى أن يتم ذلك كله وفق الضوابط والقواعد التى نظمها الإسلام بكل دقة . وذلك من أجل الحفاظ على الجسد فى نفس الوقت لأنه أداة تحقيق السمو الروحى والخلقى إذ بواسطته تؤدى العبادات وتشبع الروح حاجاتها وتلبى أشواقها .

يقول الله تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[3]

ويقول الرسول ﷺ : « ..وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم . وقال : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون »[4] .

ويقول الرسول – ﷺ – : « تداووا فإن الله

(٣) الأعراف ٣١ ؛ ٣٣ .

(٤) رواه مسلم والترمذى .

لم ينزل داء إلا وقد أنزل له شفاء إلا السام والهرم »[٥] .

ويقول الله تعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[٦] .

ويقول الرسول ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »[٧] .

العبادات وسائل تربية :

ومعلوم أن العبادات والشعائر هى الوسائل التى شرعها الإسلام لكى تهذب سلوك الإنسان فى حياته الخاصة والعامة فيتصرف فى كل الأحوال وفق ما يرضى الله عز وجل . ويصبح مهيئاً لتنفيذ كل أوامر الله واجتناب نواهيه .

فالصلاة مثلا تعوّد الإنسان على الانضباط والحرص على المواعيد وتمنعه من ارتكاب المعاصى والمنكرات . يقول الله تعالى :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ .. ﴾[٨] .

فهى بهذا المعنى وقاية من المعاصى والذنوب . وهى ـ أيضا ـ علاج تمحو الذنوب وتطهر النفوس من أدرانها .

يقول الرسول ـ ﷺ ـ : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ . قالوا لايبقى من درنه شىء . قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا »[٩] .

فإذا كانت الصلاة فى جماعة ـ وهو أمر حث عليه الإسلام ـ فإنها تعود الإنسان على النظام وتقضى على الإحساس بالفردية والأنانية وتنمى فى الإنسان روح الانتماء للجماعة والارتباط بها . حتى يصير الفرد مع الجماعة كالعضو من الجسد كما وصف الرسول ﷺ فى قوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[١٠] .

والصلاة مع ذلك تقوى البدن .

والصيام يعود الإنسان على مراقبة الله والخوف منه . ومن خاف الله وراقبه فعل الخير كله وتجنب الشر كله وصار من المتقين يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١١] .

والمتقون أناس ذوو أخلاق نبيلة وصفات

---

(٥) رواه ابن حبان .
(٦) النور ٣٢ ، ٣٣ .
(٧) رواه مسلم .
(٨) العنكبوت ٤٥
(٩) متفق عليه .
(١٠) متفق عليه .
(١١) البقرة ١٨٣ .

عالية . يقول الله ــ تعالى ــ فى وصف المتقين :

﴿ .. ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾(١٢) .

ويقول الرسول ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »(١٣) .

وجاء فى حديث آخر . قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به . والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل . فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم مرتين .. »(١٤) .

وللصيام فوق ذلك فوائد فى الحفاظ على صحة البدن وسلامته .

وقيام الليل والاعتكاف والتسبيح وذكر الله وما يتصل بذلك من شأنها أن تربى فى الإنسان الشعور بأن الله هو الغنى وهو القادر القوى ، وأن كل الخلق فقراء عاجزون محتاجون إلى الله . وبهذا الشعور يصبح المؤمن قانعاً راضياً بما وهبه الله ويصبح صابراً قوياً لا يضعف أمام المغريات يقول الحق ولا يخشى فى الله لومة لائم ولا يذل بين يدى الطغاة والجبابرة لأنه تعود الاعتماد على الله وحده وعدم الخوف من المخلوقين فمن ذاق طعم السجود لله والخضوع بين يديه لم يعد يطيق الخضوع لغير الله . يقول الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾(١٥)

ويقول الله سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾(١٦)

التوازن والاعتدال :

من العرض السابق يتضح أن مطالب الجسد لابد أن تلبى ولا يجوز أن تكبت وتمنع . وأن مطالب الروح لابد وأن تلبى ولا يجوز أن تنسى وتهمل .

وكما أنه لا يجوز الانقطاع للعبادة بحجة الوصول إلى السمو الروحى فكذلك لا يجوز المسارعة فى تحقيق كل مطالب الجسد بلا حدود أو ضوابط ؛

---

(١٢) آل عمران ١٣٤ ، ١٣٦ .

(١٣) رواه البخارى وغيره .

(١٤) رواه أحمد ومسلم والنسائى .

(١٥) المزمل ١ ، ١٠ .

(١٦) الحجر ٩٧ ، ٩٩ .

لأن الجسد لو أطلق له العنان فلن يقف عند حد وقد يدمر نفسه ويخرب المجتمع .

وهذا ما نراه فى الدول التى اطلقت العنان للشهوات . ومصير هذه الدول محتوم ومؤكد . إنه مصير الأمم التى سبقتها على هذا الدرب بادت واندثرت .

ونفس الشيء يمكن أن يقال فى حال الانقطاع للعبادة ؛ ذلك لأن الاعتكاف – مثلا – يعتبر بالنسبة للمسلم زداً ودواء والزاد عادة يكون وفق مقادير محددة والدواء كذلك يجب أن يكون وفق مقادير محددة فإذا زاد هذا أو ذاك عن الحد أفسد وأضر وربما قتل .

ونستطيع أن نؤكد – بكل الصدق – أن الإسلام حقق هذا التوازن والاعتدال بين مطالب الروح ومطالب الجسد .

ونكتفى للتدليل على هذا بذكر هذا الحديث الشريف : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها . فقالوا أين نحن من رسول الله ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أما أنا فأصلى الليل أبداً أما الثالث فقال : أما أنا فلا أقرب النساء أبداً . فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ قالوا : نعم . قال : أما والله إنى لأتقاكم لله وأخشاكم له . ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى »(١٧) .

العادة والعبادة :

ومما يتميز به الإسلام فى هذا الجانب – وهو من فضل الله على عباده – أن كل النشاط الذى يقوم به المسلم حتى ما يعتبر من الأعمال الدنيوية أو العادية : كالأكل والشرب ومعاشرة الزوجة والزراعة والتجارة والصناعة وغيرها يمكن أن يصبح بالنية الطيبة عبادة يثاب عليها الإنسان من الله تبارك وتعالى . دليل ذلك أن ناسا قالوا : يا رسول الله ذهب أهل الدثور(١٨) بالأجور . يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم(١٩) . قال : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به . إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة . وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة وفى بضع أحدكم صدقة »(٢٠) . قالوا : يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى حلال يكون له أجر »(٢١)

وأيضا قول رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »(٢٢) .

وبذلك زال التناقض الموهوم بين العمل للدنيا والعمل للآخرة وبين مطالب الروح ومطالب الجسد . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

---

(١٧) رواه البخارى .
(١٨) أى الأغنياء .
(١٩) أى ما فاض عن كفايتهم .
(٢٠) أى الجماع .
(٢١) رواه مسلم .
(٢٢) متفق عليه .

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

١ ــ أقوم بصلاة بعض الركعات أو صيام بعض الأيام ، أو عمل أى قربة من القربات خالصة لله ــ تعالى ــ وأهــدى ثوابها الى أصحاب الحقوق علىَّ ممن أسأت إليهم أو نلت منهم ، لاسيما وقد ورد فى أحاديث صحيحة كحديث « أتدرون من المفلس » ما يدل على أن الظالم يؤخذ من حسناته بقدر مظالمه وتعطى للمظلومين ، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم وطرحت عليه ، ثم يطرح فى النار فما حكم الدين فى ذلك ؟

٢ ــ وما حكم الدين فى عمل شىء من هذه الطاعات وإهداء ثوابها الى سيدنا رسول الله ﷺ من باب الشكر على ما قدَّم لنا ؟

الجــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد بأن ما يقوم به من القربات واهداء ثوابها الى أصحاب الحقوق عليه هو عمل طيب وله ثوابه ، غير أن هذا لا يغنى عن رد الحقوق الى أربابها مادام مستطيعا لذلك . فإن عجز فعليه أن يتوب الى الله تعالى من هذه المظالم

توبة نصوحا وما يعمله من هذه الأعمال نرجو أن يفيده فى هذا الشأن وعلى الله القبول ، والله الهادى الى سواء السبيل والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/م.م.ع من طهطا سوهاج

ما حكم الشرع فى الآتى :

توفيت بنت عن أب ، أم ، أخ شقيق ، أخت شقيقة ، أخوات لأب ، وزوجة أب أفيدونا أفادكم الله .

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .. للأم السدس لأنها حجبت عن الثلث الى السدس بسبب الجمع من الأخوة قال الله تعالى : « فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ » اما باقى التركة فإنه يكون للأب ولا شىء للاخوة والأخوات الأشقاء أو الأب لحجب الأخوات لأب بالأخ الشقيق ولحجب الأخ والأخت الشقيقين بالأب لأنهما يتقربان الى الميتة بواسطة الأب فلا برثان مع وجوده وقد قال النبى ﷺ : ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى رجل ذكر وأقرب رجل للميتة هنا هو الأب فلا ميراث للأخوة والأخوات مع وجوده .. أما زوجة الأب فهى أجنبية من الميتة فلا يتصور أن ترث منها شيئا

والله تعالى أعلم

السؤال : من السيد/طلعت مصطفى عبدالقادر
الأقصر ـ الكرنك القديم ـ نجع الحلقطة

ما حكم بناء المساجد داخل المقابر ؟

بسم الله الرحمن الرحيم : المقبرة حبس على من فيها لا يجوز التصرف فيها الا بدفن الموتى ولا يجوز اتخاذ جزء منها لبناء مسجد وفى بقاع الأرض ما يغنى عن بناء المسجد فى المقبرة .
والله تعالى أعلم

السؤال : من السيد/أ.د./ ر.م ـ مصر

أنا انسان مسلم أحافظ على صلاتى والحمد لله ، لكن عندى مشكلة وهى أنى عندما أصلى ينفر أحد المصلين من جانبى لأن رائحة فمى كريهه وذلك يحرجنى كثيرا لأن المصلى الذى بجانبى يتقدم أو يتأخر :
فهل أصلى فى المنزل أو ما الحل وكذلك ما العلاج لهذا المرض فأنتم أهل علم ودين ؟
وما ذا على أن أفعله لتكون رائحة فمى طيبة ، وما العلاج لذلك ؟

وجزاكم الله خيرا على الاهتمام بهذا الخطاب .

الجـواب

ليست رائحة الفم الكريهة عذرا للصلاة فى غير المسجد ويمكن أن يصلى السائل خلف

الصفوف ، ثم إن رائحة الفم الكريهة لا تصيب الذى يكون بجانبه ـ وعلى أى حال عليه الصلاة فى المسجد بقدر ما يستطيع .

* يمكنك مصارحة طبيب متخصص فى هذا الشأن ـــ مجلة الأزهر .

السؤال من السيد م. م. س ـ من السويس :

رجل ذهب ومعه زوجته لزيارة أخ له فى الله فلم يجده ووجد زوجته فقط . فهل يجوز له الدخول والاقامة عنده يومين مع ان المحرم غائب بحجة أن معه زوجته ؟ أفيدونا أفادكم الله .

الجـواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . أما بعد : فإن الشريعة الإسلامية اهتمت بشرف المرأة المسلمة أيما اهتمام ، وحرصت كل الحرص على المحافظة على عرضها ، والبعد عن كل ما يشين سمعتها ويمس كرامتها . ولما كان موضوع السؤال أن صاحب الدار غير موجود ولا يوجد إلا زوجته وأن الزائر له أخ فى الله ومعه زوجته ويريد الدخول والاستضافة فى غيبة الزوج ولا تربط الزائر بالزوج أو الزوجة قرابة محرمية ، فإنه والحالة هذه لا يجوز شرعاً أن تسمح الزوجة بالدخول لهذا الرجل وزوجته فى غيبة زوجها .

جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : (إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أفرأيت الحمو . قال : الحمو الموت) .

والحمو هو أحد أقارب الزوج أو أقارب الزوجة من غير المحارم .

فإذا كان رسول الله ﷺ حذر من دخول هؤلاء أو أحد منهم فى غيبة الزوج فإنه يكون من باب أولى عدم جواز دخول هذا الأخ فى الله وزوجته دار أخيه فى الله فى غيبته حفظاً وتكريماً للمرأة المسلمة من أن تنال شبهة أو يمس عرضها أحد « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » ، و« دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وهكذا تكون الشريعة الإسلامية قد حرصت على صيانة الأسر واستقرارها . والله أعلم .

السؤال من السيد/ محمود راشد :

يدعى بعض المنتفعين بأن السيدة : سلطانة حمودى أوقفت جميع أملاكها حال حياتها على نفسها ، ثم من بعدها تكون لجهات الخير كمسجد وغيره .

فهل توافق الشريعة الإسلامية الغراء على مثل هذا التصرف علماً بأن لها زوج فقط ويدعى السيد/ راشد محمد غالب وهو يعتبر الوريث الوحيد فما الحكم ؟

الجـــــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه إذا ثبت هذا الادعاء من أن السيدة : سلطانة حمودى أوقفت جميع أملاكها على نفسها مدة حياتها ثم من بعدها لجهات الخير كمسجد وغيره لا ينفذ إلا فى الثلث فقط . والباقى وهو الثلثان يكونان ميراثاً لورثتها الشرعيين . وحيث أنه لم يوجد إلا زوجها السيد/ راشد محمد غالب فانه يستحق الباقى وهو الثلثان فرضاً ورداً عملاً بمذهب سيدنا عثمان بن عفان فى الرد على أحد الزوجين والله تعالى أعلم .

الشعر والشعراء

يحرره الأستاذ/ رشاد يوسف

الحج هجرة إلى الله

للشاعر : أحمد فهمى خطاب

الحج .. هجــــرةُ مسلـــــم للهْ ... وتَجَـــرُدٌ للمـــــرءِ منْ دينـــــاهْ
يَدَعُ الديـــــارَ وراءَه وعِيَالَـــــهُ ... ومتاعَـــــه ونعيمَــــــه وهـــــواه
ويسير .. وهـــــو مجرَّدٌ من زيِّــــــهِ ... مُتجـــــرِّدٌ منْ زَهـــــوه وحُـــــلَاه
وبقلبـــه زَادُ التُقَـــــى .. وبكفـــــه ... زادٌ .. يُقَدِّمُـــــــه لمنْ يلقـــــــاه

●●●

يسعـــى إلى البـــيت الحرام مُلَبِّيًـــا ... لنـــداءِ ربِّ البـــيت حين دعـــــاه
ليطـــوف بالبـــيت العتيـــق مُسَبِّحًـــا ... مُسْتَغْفِـــــــرا ومكبـــــرًا مولاه
الله أكبر بالفــــــؤاد هتافـــــــه ... وأجـــــل ما هتـــــفت به شفتـــــاه

●●●

الحج .. مؤتمر يُوَحِّــــــد أُمَّـــــــةً ... لتقـــــومَ صفًـــــا واحـــــدًا للهْ
عرفـــاتُ يجمعهـــا .. لتعـــرفَ أنها ... هى أمـــــــةُ الإسلام .. تحت لواه
جاءتْ لتشهـــد نَفْعَهـــا فى مَوْقِـــفٍ ... جمَـــــع الرَّعِيـــــةَ والرعـــــاة حماه
عَرَفـــات يقصده الحجيـــج جميعهُـــم ... لا حج إلا للــــــــذى يَرْقـــــــاه

●●●

يا سعَـــد منْ أدَّى الفـــريضةَ راجيًـــا ... أنْ يقبـــــل الرحمْـــــــنُ ما أدَّاه
لا يقبـــل الرحمْـــــنُ إلا طيبًـــــا ... منْ قاصِدٍ لله دون سواه
يا عزَّ من بالحج أكمـــل خمْسَـــهُ ... وعـــن الهدايـــة لم تنـــم عينـــاه
وبِدَرْبِـــهِ .. يُمسى ويُصبـــح هاجـــرًا ... لضلالــــــه .. ومُهاجـــــرًا لهداه

حنين إلى البيت العتيق

للشاعر/ رشاد محمد يوسف

يا أرض مكــــة يا ربـــــوع حراء ... يا مهبـــــــط الآيات والأضواء
تيهى على الدنيــا بأكــــرم دعــــوة ... وأجــــل مبعـــوث وخير بنــــاء
وخـــذى بأسبـــاب الفخـــار وإنما ... خلـــق الفخـــار لهذه الآلاء
الله ضوأهـــا شعـــاع جلالــــه ... لتشع فى الإصبـــــاح والإمساء

•••

هذى ضيـــوف الله يسبـــق خطوهـــا ... شوق المحب بلهفــــة ورجــــاء
من كلِّ فج قادمين قوافــــــلا ... سدت مدار الأفـــق والأرجـــاء
تتشوف الآفاق نشوى لا ترى ... غير النبـــى بركبـــه الـــوضاء

•••

فى كل عام نستجـــيب لدعــــوة ... نادى الخليـــل بها أجـــل نداء
نسترجــع الذكـــرى لأول مسجـــد ... لله قام على ثرى البطحـــــاء
بركات رب البـــيت تملأ ساحـــه ... والأمــــــن فى الأركان والأنحاء
مذ قام إبـــراهيم يرفـــع ركنـــه ... ويـــقيم صرح شريعــــة غراء
ويطهـــر البـــيت العتيـــق مسبحـــا ... لله فى الفلـــوات والبيــــداء
وَمُؤَذِّنــــــاً بالحج كل مواكب ... فى الأرض تسكـــن رقعـــة الـــغبراء
يأتين من كل البـــلاد ضراعــــة ... ويسبحـــون الله فى استـــرضاء

•••

يا أرض مكــــة يا ربـــوع حراء ... من لى بهذى المنحـــة السمحـــاء
فلكـــم تمنـــيت الحيـــاة ملبيـــاً ... أدعـــو جوار الكعبــة الشَّمـــاء
وأرى جلال الحق يملأ خاطـــــرى ... فى كل شىء يجتليـــه الـــرائى
فى البـــيت فى الأركان بين مناســـ ... ـــك لله فى التطـــواف فى الإفضاء
فى الذكـر فى النور الجلى وفى الـرؤى ... فى الصمت فى التسبيـــح فى الإغضاء

•••

كم ذا أمنـــى النـــفس أشعلهـــا الهوى ... والقـــلب يسعـــده أجـــل دعــــاء
تهفـــو تعانـــق بالخواطـــر ترتجى ... تتـــــرقب الآتين بالأنبـــــاء
والله أسأل أن يجيب رجاءهـــــا ... فهـــو المؤمـــل عنـــد كل رجـــاء

مائدة الرحمن والفرحتان

للأستاذ الدكتور/ أبو ياسر الوزير

يا كلَّ والدةٍ بالبابِ أو ولدِ   طال الحصار ، ولم أفتحْ لكم بلدى
لا تُخطئوا القصْدَ . لا تستسلموا كمدًا   إنى أقاتلُ عنكم يا بَنِى كَبِدِى
لا تُتْلفوا الهمَّ ؛ إن السَّهْمَ مشتركٌ   وسوف أحملُ عنكم قِسمةَ الكمَدِ
فإنَّ مائدةَ الرحمنِ داعيةٌ   لكلِّ ذى كَبِدٍ حرَّى وذى كَبَدِ
وإنَّ مَنْ أدهشوا النجوى شفافيةً   قد أفرغوها من الحاسوبِ والعددِ
فمنذُ أن بَسَطَ الرحمن نعمتَه   وفطرةُ الله أشواقٌ إلى الأبد
زادُ السمواتِ لا تفنى عجائبُه   ولا تزحزحُها ريح عن العَمد

• • •

أنعمةُ الشوقِ لى أم مِيتةُ العدد   وآيةُ الروحِ أمْ أقصوصةُ الصَّفَدِ
هنا الوظائفُ أقواها كأجوعِها   سبَّابةُ اليد أو سبَّابة النَّضَد
إن الملوك أتوْا ، والصَّوْمُ مملكةٌ   سيَّانِ فى الصومِ إن تفقد ، وإن تجد
فمن لجنسيَّة المستضعفين إذا   لم يُصروا كلَّ عامٍ توبةَ الرَّمد
هل يُطلقون لحرِّياتِهم سُفُنًا   أم يربطون حُداءَ العيسِ بالوتِد
أم يسمحون لنا بالحُلْمِ فى أُذُنٍ   تبارك الله لم يولدْ ولم يلد
ففارسُ الغابِ مزهُوٌّ بزينتِه   أغْفَى أسودَ ضحاياه من اللُّبَد
ولو دعا حيواناتِ الدعايةِ فى   فجرِ المُصلّين لم تعثُرْ على أحد
لكنَّ أمَّةَ صدقِ الشَّوْقِ ما دُعيتْ   إلى دُعاءِ رسول الله تحتشد
فاقتاتَ بالصَّوْمِ مَنْ يختارُ وجهتَه   نحو السمواتِ والإبداعِ والأبد
يخشوْن لو بيعَ فى الأسواقِ لم يجدوا   دنيا تُدانى سُمُوَّ الجوعِ والمدد
هل صوَّر الطينُ فنًّا غير آنيةٍ   من الرياحِ كعصفِ الموجِ بالزَّبَد

ما كان يخُفــى رسولُ الله مكرمــةً أو نسلَ مكرمــةٍ من رائــح لغــد
والجاهليَّــةُ تُعْــرِى كلَّ مقتــدرٍ أن يستبــدَّ بما يحظَــى من الأود
لا يعــرفُ البـيتُ عنوانًـا لساكنِـه أو يطمئــنُّ فطــامُ الأم للولــد

• • •

يا كلَّ مكتــئب أو كلَّ مُفْتَقِــد لِلاندهــاشِ بما فى الحسِّ من رَغَــد
أبـو البنــاتِ يُهـادى جُوعَهــنَّ ندًى لكـى يُجمِّلْــن ما يُهديــن للصَّمــد
لأجــل هذا هَدَاياهُــنَّ عاطــرةٌ والحُسْـنُ يُذهِبُ ما بالحزنِ من كبَــد
أشواقُ فاطمــةَ الزهــراءِ حاليــةٌ من حُبِّ قَوْلِ رسولِ الله والسنــد
تعلَّــمتْ من أبيها ـ وهْــى تُطلعُنــا على السرائــرِ ـ رحمانيَّــةَ الكبــد
هديَــةٌ فى يدِ الــرحمنِ واقعــةٌ يا لَلْــوضوءِ وللقُربــىَ بكــلِّ يد !
هلْ تستطيعون ـ يا أطفالُ ـ أن تجدوا كالأنبيــاءِ لبــرِّ الأمِّ والولــدِ !
مِمَّــن فَزِعْتُــم : بيــوتُ اللهِ قائمــةٌ بالذِّكْــرِ والشُّكــرِ والآفاقِ والعَمــدَ
فمــا يُخرِّبْــهُ جبَّــارُ العنــادِ بها يَعْمرْ ويعبُــرْ على البــغضاءِ واللَّــدَد
لم يُغلقــوا غيْــرَ أخشابٍ مسنَّــدةٍ لكــنْ منــاضدُكم مُلْكٌ من الرغــد

• • •

يا حُسْــن بضِعــةِ أفــراحٍ على نَضَدٍ تكــادُ تأكُلهــم من فرحــةِ الــنضدِ
للابتسامــة فيهم وهْــى زاحِفــةٌ على العيونِ استراحــاتٌ من الوُسُــد
تنــداحُ نظرتُهــم ضعِــفَ ابتسامتِهــم لرهْــن يوم غَداءِ عِنْــد صَوْمِ غد
يٰــأيها الــنَّضُد المحسودُ من فرحٍ لمثــلِ ذلك يرضى عنكمــا حسدى
عيْــنُ القلــوبِ ومعلوماتهُــا اتَّسَعَتْ يا ليت عِلــمَكَ بالآمالِ لم يزد
مازلتَ تُنْقَــلُ من قلبٍ إلى شفــة حتى وصلتَ لعيد السَّــادة الجُــدُد
يا نافــذَ الأمْر ـ لمَّــا فاض بى طربى دخلتُ فى ملكوتِ الله ـ خُذْ بيــدى

صناعة الكلام

للشاعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

تكلم بين ناديه فصيح	له فى صنعة الأقوال خُبْرُ
وراح يشنِّف الأسماع منه	أحاديث لها وقع ونَبْر
وينشىء من خيال عبقرى	عوالم أرضها مسك وتِبْرُ
ويُطلِع فوق صَلْدِ الصخر روضا	له ظل ، وأثمار ، وزهر
ومن سَيْلِ الكلام ، بكل لون	يفيض بقاحل البيداء نهر
وتشرق فى ظلام الليل شمس	ويرسخ فوق عاتى الموج قصر
ويلمع فى صدور الغيد عقد	يؤلفه من الألفاظ دُرُّ

•••

وراح السامع النشوان يهذى	بما أوحى به نظم ، ونثر
وصدَّق أن أصل الناس قرد	وأن الغول وحش مستسر
وأن الأرض جِرْم مستقر	ويحملها على قرنيه ثور
وأيقن بعد صحو من خُمَار	بأن مشاهد الأقوال شعر
وأن لريشة البلغاء رسما	على الأنسام ، فتانا يَغُرُّ
فولى وجهه ، ومضى كئيبا	يُخامِره بكل القول كفر
وبين فؤاده اليقظان جرح	يؤرقه .. وفى الإحساس جمر
وكم ذهب الكلام برشد واعٍ	وكم أوْدَى به فى الناس غِرُّ
وكم يغدو به حرًا رقيقٌ	ويصبح فى قيود الرِّق حُرُّ
وكم سكرت أحاسيس العذارى	وبعض القول أنغام ، وخمر

•••

ألا .. فليتَّقِ الجَبَّارَ مرءٌ	لعذب حديثه البراق سحر
فتنقلب الحقائق فى عقول	ويهتز الرصين المستقر
فإن القول يَهْمِى من شفاه	كما يهمى من الوطفاء قطر
وإن يك بعضُه حِكَما ، وريا	فإن الجُلَّ ملهاة ، وهُجر
فيكتبه رقيب أو عتيد	كما نطق اللسان ، وباح صدر
فكيف لمن أساء القول مَنْجًى	وأين ـ إذا أحيط به ـ يفر ؟

رثاء فضيلة الشيخ العالم الفقيه

فرج محمد غنيم

أحد علماء الأزهر الشريف

للأستاذ الدكتور/ ربيع محمد مصطفى صادومه

لا تنبئونى قد علـمت لدى السحـــر   نبــأ الفجيعـة واختيــارات القـــدر

نبــأ الرحيــل لزهــرة العلمــاء مَنْ   هز المنابــر صوتُــهُ منــذ الصغـــر

فرج غنيم من إذا استنبأتـــــــه   فاحت ورود العلم من فمــه العطـــر

هو عبقــرى الفقـــه دون منـــازع   حبر البلاغـــة والفتـــاوى والسير

نجوى الأئمـــة بيننــا بحديثـــه   عذب المقاطـــع والمصادر والصور

لا يعــرف اللحــنُ السبيــل لنطقــه   وبيانــه الصافى البديـــع المنهمـــر

لله درك أيها الغـــــــواص فى   بحر العلــوم تصيــد أصداف الـــدرر

تستخـــرج الـــذهب الــدفين بحكمــة   وتزيــل عنـــه ما علاه من الكـــدر

كسفت عن الدنيـــا شموسُ عظاتــــه   لا النجم يغنى عن سناهُ ولا القمـــر

ونضارة الـــروض البهيـــج تجهـــمت   لا النهر يحييها ولا ماء المطـــــــر

حَظِـــىَ الثرى إذ ضم بين تُرابِـــهِ   رجــلا نقــى الثــوب نفــاذ الــبصر

يا قبر كن فرجـــــا على فرج ولا   تك ضَيِّقًــا رفقــا بأعــلام الـــبشر

كم فرجت فتيـــــاه من كرب وكم   صاغت مواهبــه مفاريـــد الـــعبر

أرثــــيك أم أرثى المعـــارف إنما   أخشى عليها من ثعـــابين الحفـــر

فمتـــى تجود الوالـــدات بمثلــــه ؟   ومتـــى غنيم آخــرٌ يقفـــو الأثـــر ؟

---

* الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

التطور وأصل الإنسان

من منظور إسلامى

(٣)

عرض وتحليل

أ.د. أحمد فؤاد باشا

عرضنا فى العددين السابقين أهم فصول كتاب « التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى »(*) تلك الفصول التى حاولت تفنيد مزاعم « دارون » فيما يتعلق بالفروض الرئيسية لنظريته البيولوجية فى التطور . والحق ــ فيما نرى ــ أن المؤلف قدم كثيرا من الحقائق العلمية والرؤى المنهجية التى تسهم فى كشف نقاط الضعف والغموض فى نظرية « أصل الأنواع » التى جاء بها « دارون » فى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، ولكن الكتاب ــ فيما نرى أيضا ــ ترك الباب مفتوحا فى أماكن كثيرة لمزيد من الشكوك والبلبلة ، وأظهرت بعض تحليلاته ــ ربما عن غير قصد ــ أنه يميل الى الأخذ ببعض مقولات نظرية دارون ، والانتصار لها ، ونحن من جانبنا لا ننكر عليه حقه فى الاعتقاد بما يشاء من آراء ونظريات ، لكننا نناقشه فيما نرى أنه تأويل مغلوط لحقائق الأشياء .

ويمكن إيجاز أهم ملاحظاتنا فى النقاط التالية :

أولا : يشتمل الكتاب على فقرات مطولة تنعى الحظ السىء لنظرية دارون فى التطور ، وما تعرضت له بعد انتقالها إلى العالم الإسلامى من رفض وارتياب . فقد جاء فى صفحة ٥٨ ما نصه : « لم يكن أمراً مقبولا عند المؤمنين كافة ــ مسلمين وغير مسلمين ــ أن يتفقوا مع دارون فى التغير المستمر للكائنات من الأدنى إلى الأرقى ، وأن تكون جميع الأنواع قد نبعت منذ عصور سحيقة من سلف مشترك وأن الطبيعة كانت هى المهندس الأول وراء هذا التحول والتطور نحو المزيد من الارتقاء والكمال ، ومما زاد الطين بلّة أن طريقة عرض دارون وأتباعه كانت فى بعض الأحيان استفزازية لمشاعر المتدينين مما تسبب فى اختلاط الحقائق بالأوهام ورفض النظرية كاملة بما فيها من حق وباطل ، وأصبح دارون عدوًّا للدين ، وتحول قوله عن الأصل المشترك لجميع الكائنات بما فيهم القردة والإنسان إلى قرية تقول : ان الإنسان أصله قرد « وبذلك اشتعلت حملة المعارضة والاستنكار من عامة الناس ــ وخاصة ــ من أشباه المتعلمين الذين لا يمارسون التفكير العقلانى ولا يناقشون الحجة ولا يقبلون الجدل العلمى السليم كوسيلة لإظهار الحقائق » .

ثانيا : يتباكى الكتاب على ماتعرضت له نظرية التطور من ظلم جعلها كاليتيم الذى يتبناه أى عابر سبيل « ص ٧٨ » فكيف يحدث لها هذا مع أنها ــ كأىّ نظرية علمية أخرى ــ « بنيت على

(*) د. محمد فوزى جاب الله المطبعة العالمية القاهرة ١٩٩٢ م

مشاهدات علمية حقيقية لامراء فيها ولكن نتائجها جاءت بعدد من الفروض والآراء الفلسفية التى تعد من قبيل المزاعم التى تحتمل التصديق والتكذيب » « ص ٧٨ » ويحمّل الكتاب تبعة الإساءة إلى نظرية التطور كل من اتخذ منها ستارا لدعم مواقف مذهبية وشعارات ثورية . وضرب المثال على ذلك بما حدث مع « هتلر » زعيم النازية الذى أساء فهم نظرية ومعنى البقاء للأصلح ونادى بتمييز الجنس الأرى على باقى الأجناس . كما ضرب مثالا آخر بسلامة موسى الذى أخذ على نفسه عهدا بمحاربة الغيبيات واقتلاع الأفكار السلفية والتقاليد الموروثة من الشرق العربى بنشر نظرية التطور حتى تأخذ بيّنة العلم مكان عقيدة الايمان « ص ٧٥ — ٧٦ » ويشير الكتاب فى تحليله لهذه الجزئية إلى أن نظرية التطور أخذت بجريرة سلامة موسى وأمثاله وأصبح من يتحدث عنها متهما بالكفر والإلحاد والخروج عن الدين فقد جاء فى صفحة ٨٠ ما نصه : « لقد عرض الأستاذ سلامة موسى نظرية التطور بأسلوب واضح وجذاب واستعمل كثيرا من الأمثلة التى تؤيد فكرة الأصل المشترك للكائنات الحية ، ولكنه بالغ فى تلك الأمثلة الى حد ما ، كما اختار ألفاظا منفرة للمشاعر الإنسانية فى بعض المناسبات كتشبيه الإنسان بالخنزير أو الفأر وهذا من شأنه أن يثير القارىء العادى غير المتخصص .. ومن هنا كانت خطورة تناول القضايا العلمية الجادة بدون إحاطة بدقائق الموضوع وخطورة عدم استخدام الأسلوب العلمى الذى يتحرى الدقة ويأتى باللفظ على قدر المعنى وكذلك بالموضوعية التامة » .

وجاء فى صفحة ٨٢ ما نصُّه : « لقد ظلم سلامة موسى نظرية التطور أكثر من مرة : مرة عندما شرحها بطريقة مسطحة انتقائية وضرب بعض الأمثلة المضللة لتأكيد حيوانية الإنسان وبهذا وضعها فى تصادم مع الدين ، ومرة أخرى عندما أقحمها فى معترك الصراع الاجتماعى والسياسى بأن ربطها بالتفسير المادى للتاريخ والمادية الجدلية » .

ونحن من جانبنا نختلف مع المؤلف فى تفسيره لفشل نظرية التطور وعدم انتشارها وذيوعها وإرجاع ذلك إلى تبنّى أصحاب المذاهب الإلحادية والتعصبية لها . فهناك نظريات علمية أخرى تبنّاها هؤلاء أيضا ولكنها ظلت محتفظة بمحتواها المعرفى وقيمتها العلمية ، ولم يتحقق أملهم فى جعلها بمثابة دين اجتماعى أو دستور حياة للمستقبل مثال ذلك نظرية الجاذبية وقوانين الحركة التى وضعها العالم الانجليزى اسحق نيوتن ، واتخذ منها الماديون أساسا لمبدأ « الحتمية » Determinism الذى قام عليه مذهبهم الإلحادى ومع تطور العلم سقط مبدأ الحتمية ولم تسقط قوانين نيوتن بعكس الحال مع نظرية دارون التى سقطت فروضها الإلحادية وانفض من حولها العلماء والحكماء على حد سواء .

ثالثا : يلتمس الكتاب العذر للذين لم يقتنعوا فيما مضى بمقولة « تحول الأنواع بعضها من بعض » إذ لم يتوفر للإنسان خلال حياته على الأرض أن شاهد تحوّل أى من الكائنات بطريقة طبيعية ، ومن المألوف أن كل جنس ينتج ذرية من نفس جنسه ، وكل ما يحدث من تغير إنما يرجع الى اختلاف فى الحجم والهيئة والوزن بسبب النمو أو الضمور وليس إلى اختلاف فى النوع أو

الفصيلة .. كيف للمرء إذن أن يقتنع بتحول الأنواع بعضها من بعض ؟!

أما الآن فلم يعد هناك عذر لإنكار تحول الأنواع بعد أن وجد المؤلف ضالته فى انجازات العلم الحديث ، حيث ذكر فى صفحة ٥٩ ما نصه : « ولكن التقدم العلمى الهائل فى الهندسة الوراثية قد مكن العلماء من « الجينات » و« الكروموسومات » ، وقدم دليلا على إمكانية التلاعب بالمادة العضوية واستغلال قدراتها الفطرية فى انتاج أنواع جديدة وسلالات ذات مواصفات خاصة .. ثم يقول مستدركا : « وهذا لايعنى خلقا جديدا ولكنه صياغة جديدة » .

ولم يُجْد الاستدراك بطبيعة الحال فى إزالة اللبس والغموض اللذين يغلّفان هذه الفقرة من الكتاب ، ومن حق القارىء أن نعرض له الحقائق واضحة جلية ولا نقدمها له منغمسة فى الشبهات .

رابعا : لا يجد الكتاب حرجا فى مشايعة نظرية التطور وتأييد فروضها الى أبعد مدى حتى ولو كان ذلك على حساب الثوابت والمسلمات الايمانية . فهو يعول على العلم مستقبلا فى إثبات الأصل المشترك لكل من الإنسان والقردة ، ويرى أن هذا لو تم لن يدعو إلى الحط من قدر الإنسان والتقليل من شأنه كخليفة لله فى الأرض . ثم يسرد من الأسباب « فى صفحتى ٣٠ و٣١ » ما يرجح توقعه لاحتمال ثبوت صحة هذا الغرض مستقبلا بدعوى أن الإنسان يمتلك نفس الأجهزة والأعضاء التى يمتلكها الحيوان عموما وتقوم بنفس الوظائف البيولوجية مع اختلاف الدرجة . فالإنسان يتغذى كما يتغذى الحيوان ، ويستخدم نفس المواد الغذائية من خضروات وفاكهة ولحوم ، ويخرج الفضلات كما يخرجها الحيوان بواسطة أجهزته البولية والهضمية ويتناسل الذكر والأنثى كما يتناسل الحيوان ، وتتم عملية الاخصاب بنفس الطريقة الشائعة فى المملكة الحيوانية ، وغير ذلك مما لايعد ولايحصى من أوجه التشابه . فلماذا إذن نتصور — فيما يزعم المؤلف — أن للانسان منشأ مختلفا عن منشأ الحيوان والله — سبحانه وتعالى — ذكر خلق الإنسان والحيوان من ماء وأيضا من طين .

وهنا يقع المؤلف فى مغالطة واضحة يخلط فيها بين مفهوم الأصل المشترك للأحياء ، وهو الماء كما أخبر به القرآن الكريم ، وبين مفهوم السلف المشترك للأحياء عن طريق تحول الأنواع بالانتقاء الطبيعى الذى قالت به نظرية دارون .

وليس هناك من شك فى أن مثل هذه المغالطات تجعل القارىء العادى غير المتخصص فى حيرة من أمره عندما يقرأ لعالم متخصص فى نظرية التطور وأصل الانسان ، خاصة وأن الموضوع يتم عرضه — طبقا لعنوان الكتاب — من منظور إسلامى . على أن هذا لا يعنى بأى حال من الأحوال أن المؤلف قصد هذه المفارقات قصدا ، فحسن النية متوفر والحمد لله ، والتواصى بالحق مطلب إسلامى ليعلم من يعلم عن بينة . فبقدر مافى مسألة خلق الإنسان من الأسرار والألغاز التى تتطلب البحث ، وبقدر ماوقع عليه العلم فى هذه المسألة من بدائع وروائع ، نجد فى كتاب الحق — تبارك وتعالى — اهتماما كبيرا وتذكيرا مستمرا بها ، كما نجد حثا للنظر فيها ، وذلك لما تنطوى عليه من آيات للموقنين الناظرين بأبصارهم وبصيرتهم . قال تعالى :

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ « **سورة العنكبوت ٢٠** » ، وقال عز من قائل :

﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ ﴾ سورة الطارق

والقول الفصل فى خلق الانسان هو ما أخبر به القرآن الكريم فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ « **سورة النساء : من الآية ١** » ، **وقوله سبحانه** : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ سورة ص

وقوله جل شأنه

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة الروم

وقوله عز من قائل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ سورة الفرقان ﴿٥٤﴾ ، **وقوله** ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين** ﴾ « **سورة المؤمنون** » ، **وقوله** ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ « **سورة الأنبياء ٣٠** » .

وما الطين سوى مزيج من التراب والماء ، أى أن أصل الانسان ومعدنه الأساسى هو من طينة هذه الأرض ومن معدنها ، وقد أثبت العلم أن العناصر التى يتكون منها جسم الإنسان موجودة فى تراب الأرض ، ولا يشترط أن تكون كل مكونات التراب داخلة فى تركيب جسم الإنسان ، وقد أشار القرآن الكريم بإعجاز علمى بليغ إلى خلاصة الطين المتنقاة لخلق الانسان حيث قال : ﴿ **من سلالة من طين** ﴾

ولكن لما كان هناك بون شاسع بين الانسان والطين أظهرها أن الطين جماد لا حياة فيه والإنسان حى كائن يتمتع بكل مظاهر الحياة ، وجب علينا التصديق بحدوث هذا الخلق بالقدرة الإلهية دون التفكير فى كيفية الخلق ؛ إذ أنه حدث بطريقة لا نفهمها وهى فوق عقولنا . كما يجب ألا نفهم الآيات على ظاهرها ، وأن نتصور أن الله — تعالى علوا كبيرا — قد خلق الإنسان من صلصال على نحو ما نعرفه فى حياتنا العملية من تشكيل للطين على هيئة أوانى مثلا ، إنما هذه الآيات تقريب للأذهان ومثال لما يفهمه الناس بطريق الحس والخيال(*) .

وخلاصة القول أن قضية الخلق من الأمور الغيبية التى استأثر بعلمها الله وحده حيث يقول :

﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ « **سورة الكهف : ٥١** » ، **وبهذا تستقيم النظرية القرآنية لوجود العلّة . حيث تنسب خلق الحياة الى الله تعالى ، وليس الى مسميات من قبيل المصادفة أو الانتقاء الطبيعى أو غير ذلك** ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سورة القصص

(*) عبدالمنعم السيد العشرى تفسير الآيات الكونية فى القران الكريم الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م

حول سرعة الضوء

حقيقة علمية لابد من التأكد عليها

بقلم أ . د . منصور محمد حسب النبى(*)

أولًا : زمن اليوم الأرضى :

ورد بالعدد الماضى(١) من مجلة الأزهر مقال تناول فيه كاتبه تعقيباً لبحثى(٢) بعنوان « المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية » ذهب فيه إلى صياغة سماها تدقيقاً لحساباتى السابقة عن سرعة الضوء من النص القرآنى لآية السجدة (٥) وبدأ (داخل برواز مشار إليه فى صفحة ١٧٢١ بسهم واضح) فى التعويض فى السطر الخامس داخل البرواز عن اليوم الأرضى بمقدار (٦٥٥,٧١٩٨٦) ساعة بدلا من حقيقته المعروفة للكافة بزمن قدره ٢٤ ساعة فقط (وعند أولى العلم ٢٣ ساعة ، ٥٦ دقيقة ، ٤,٠٩٠٦ ثانية) .

وطبقاً لهذا التدقيق حصل على سرعة الأمر الكونى بمقدار أقل بكثير جداً من سرعة الضوء ! فهل هذا التدقيق يتفق والحقيقة العلمية المعروفة

(*) أستاذ الفيزياء المتفرغ بجامعة عين شمس .

(١) عدد ذى القعدة من مجلة الأزهر ١٤١٤ هـ ص ١٧٢٠ - ١٧٢١ .

(٢) الذى نشر بالأعداد جمادى الآخرة ورجب وشعبان ١٤١٣ هـ .

عن زمن اليوم الأرضى .

هذا علماً بأن المقدار ٦٥٥,٧١٩٨٦ ساعة الذى ذكر فى المقال هو زمن الشهر القمرى النجمى وليس زمن اليوم الأرضى علماً بأن نص آية السجدة (٥) فى قياس زمن عروج الأمر تنص على أن عروج الأمر فى يوم أرضى واحد وليس فى شهر طبقاً لقوله تعالى :

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

سورة السجدة

ثانياً : اكتشاف سرعة تفوق سرعة الضوء :

لست أتفق مع ما جاء بمقال « اكتشاف سرعة أكبر من سرعة الضوء » وما وصل إليه العالمان المذكوران فى حاجة إلى بسط يوضح المراد أكثر وأكثر . وقد جاء على لسان (د/لانداو) الحاصل على جائزة نوبل فى كتاب له بعنوان : ما (هى) نظرية النسبية ما ترجمته[٣] .

« **إن الإقرار بأن السرعة لايمكن أن تزيد عن حد معين هو قانون طبيعى ، وأن سرعة الضوء ليست مجرد سرعة انتشار إحدى ظواهر الطبيعة بل إنها تلعب دوراً هاماً كسرعة كونية قصوى ، وأن اكتشاف ثباتها فى جميع المختبرات هو من أهم انتصارات الفكر الإنسانى فى القرن العشرين . وإن هذا المبدأ الأساسى للنسبية ـ أى سرعة الضوء كحد أقصى ـ يكمن فى طبيعة هذا الكون . وإن الظن بأن تقدم التكنولوجيا سيمكننا من بلوغ سرعات تزيد عن سرعة الضوء أمر مضحك تماماً** » .

ويفترض بعض العلماء رياضياً وليس عملياً وجود جسيمات تدعى « تاكيون Tachyon » قد تخرق المألوف وتجتاز سرعة الضوء وعندئذ فكتلتها (**تخيلية**) تتصف بالسفر فى الزمن الماضى فلو افترضنا أنها سافرت اليوم تعود القهقرى بالأمس[٤] ، وليس بالمستقبل ولعل هذه الجسيمات بعالم الغيب ، لاعالم الشهادة وقد ألهمنى ذلك أن أقول[٥] .

وفتاةٍ جامحة ... فى فضاء جانحه
بجسيمات ل(تَاكْيُونْ) ... طىَّ كون سابحه
تسبق الضوء خيالا ... غادرتنا سارحة
تركتنا اليوم كيما ... نراها البارحة !!
ليس فى رؤيا مداها ... لاَوَّلاً فى سانحه
لا بمقياس صحيح ... أو بدعوى جامحه
وإذا متنا نراها ... فى عذو.. رائحه
حدة الإبصار فينا ... سوف تغدو راجحه

(٣) دار مير للطباعة والنشر ١٩٧٤ صفحة ٤٢ .

(٤) أى أن من يسافر اليوم إلى مكان ما يعود إلى نفس مكان أمس .. وهذا لايكون .

(٥) أوجه شكرى للأستاذ أحمد مصطفى حافظ بقيامه بمراجعة المادة الشعرية .

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد
د/ نجوى السيد أحمد *

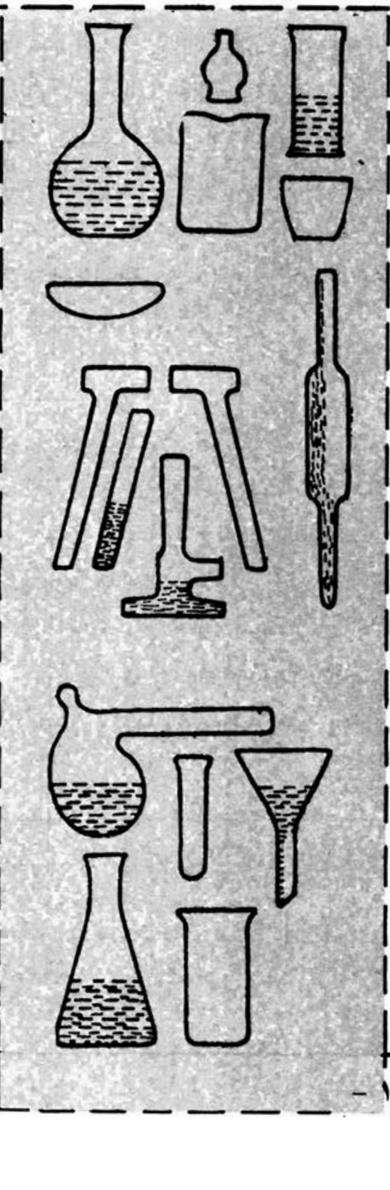

دراسة علمية تؤكد أهمية وجبة الإفطار

أكدت إحدى الدراسات العلمية التى أجريت فى أمريكا ـ حديثا ـ على أهمية وجبة الإفطار باعتبارها الوجبة الأساسية التى تمد الجسم بما يلزمه من طاقة فى بداية كل يوم ، كما أنها تؤدى الى تخفيض نسبة الكولسترول فى الدم . فقد أوضحت الدراسة التى أجريت على ٥٠٠ تلميذ ممن لا يتناولون الإفطار أن نسبة الكولسترول فى الدم ترتفع عن المعدل المتوسط وأن الأطعمة ذات النسب العالية من الألياف والتى تستمد عناصرها من حبوب القمح والذرة ولا تحتوى على الدهون فى وجبة الأفطار تؤدى إلى خفض نسبة الكولسترول إلى أدنى مستوياته فى الدم .

(*) باحثة بالمركز القومى للبحوث

جهاز جديد لعلاج الأزمات القلبية

قامت هيئة طبية دانماركية بتصنيع جهاز متطور لإنعاش القلب - أثناء الأزمات القلبية - من خلال توجيه الصدمات الكهربائية للمريض حيث يتم وضع الجهاز فوق صدر المريض المصاب بأزمة قلبية ويتولى الطبيب الضغط عليه ثم يجذبه إلى أعلى؛ فينتج عن هذه الحركة تدفق الدم من الجسم إلى القلب ودخول الهواء فى الرئتين .

أصغر حاسوب على شكل محفظة

تم إنتاج حاسوب صغير للاستخدامات المتنقلة يسمح بنقل المعلومات وتبديل مواضعها من حاسوب الى آخر عبر شبكة رئيسية . وقد صمم هذا الحاسوب على شكل محفظة صغيرة وزود بلوحة مفاتيح إلكترونية ويمكنه الإجابة عن كل اسئلة المستثمر التى تبدأ بحروف ضمن مجموعة الحروف التى يحتويها .

مضاد حيوى من سمك القرش

اكتشف مجموعة من العلماء الأمريكيين أن سمك القرش يتمتع بدرجة عالية من المناعة ضد الأورام السرطانية والالتهابات بالرغم من أن جهاز المناعة فى سمك القرش يعتبر جهازا بدائيا ضعيفا ويرجع السبب إلى احتواء جسمه على مضاد حيوى قوى وفعال فى كل خلية من خلايا الجسم ، وهذا المضاد الحيوى لا يشبه أى مضادات حيوية معروفة وله فاعلية كبيرة ضد البكتريا والفطريات والطفيليات ويتم - حاليا - استخلاصه وانتاجه بكميات كافية لإجراء التجارب عليه التى تختبر فاعليته ضد عدد كبير من الأمراض البشرية .

تقنية جديدة فى عالم الطباعة المكتبية

التقنية الجديدة فى عالم الطباعة المكتبية تعنى طباعة دقيقة وسريعة وبأقل تكلفة ممكنة ، حيث تقوم آلات النسخ الرقمية التى انتجتها بعض الشركات اليابانية المتخصصة فى مجال الطباعة والنسخ المكتبى بتحويل صورة النسخة الأصلية إلى بيانات بواسطة ماسمح إلكترونى متطور ، ويقوم معالج خاص بمعالجة هذه البيانات وتحويلها إلى معلومات ترسل إلى رأس الطابعة الحرارى حيث يقوم بإعادة هذه المعلومات إلى شكل النسخة الأصلية وطباعتها بشكل ثقوب دقيقة على « ماستر » خاص يلف آليا على أسطوانة معدنية تحتوى بداخلها على حبر لزج وعند دوران الأسطوانة تتم الطباعة على الورق بسهولة ودقة متناهية .

تصوير التحركات الأرضية بالأقمار الصناعية

تقوم الأقمار الصناعية ـ حاليا ـ بتصوير التحركات الأرضية من خلال متابعة حركة الفوالق التى تسبب حدوث الزلازل . فقد قامت وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » بتطوير الجهاز الذى يستخدم فى رصد تحركات السحب فى النشرات الجوية لاستخدامه فى انتاج فيلم تصويرى يوضح التحركات الأرضية أثناء حدوث الزلازل وبذلك يمكن متابعة حركة الفوالق الأرضية لمعرفة المزيد عن أسباب حدوث الزلازل .

بلور صناعى لعلاج ضعف البصر

تمكن طبيب صينى بالمستشفى المركزى فى « شنغهاى » من تطوير أسلوب جديد لعلاج إعتام عدسة العين بواسطة نوع جديد من البلور تم تصنيعه من صمغ التكثيف المائى . فقد أثبتت التجارب أن المصابين باعتام عدسة العين يمكن أن يعود إليهم البصر تدريجيا بعد ثلاثة أيام من زراعة هذا البلور الجديد فى مقلة العين وأن نسبة نجاح العلاج بهذه الطريقة بلغت ٩٠ ٪ .

جهاز آلى لدراسة أعماق البراكين

توصل بعض العلماء الأمريكيين إلى تصنيع جهاز آلى يمكن أن يصل إلى قلب البراكين وهو عبارة عن مركبة وله ثمانى أرجل تمكنه من النزول إلى حوالى مترين داخل البركان كما تمكنه من إزالة أى عقبات تعترض سبيله ويستطيع ـ أيضا ـ أن يعلق نفسه على حبل خاص به ويحتوى على أجهزة حساسة لدراسة أنواع وتركيزات الغازات داخل البركان قبل أن تنطلق من باطن الأرض وتختلط مع الهواء وسوف يساعد هذا الجهاز فى الاكتشافات التى يقوم بها الإنسان فى الفضاء ومعرفة المزيد عن الكواكب ذات النشاط البركانى .

نجاح زراعة أذن صناعية داخل الجمجمة

نجح أحد العلماء الاستراليين فى تطوير أذن صناعية تزرع داخل الجمجمة تمكن الصم من فهم الكلام وتعلمه . وهى عبارة عن جهاز استقبال صغير يسمح لمستخدمه بسماع طبقات الأصوات على أوسع نطاق . ويعمل الجهاز عن طريق تنبيه أعصاب السمع مما يسمح للأصم بفهم الكلام الذى يقال أمامه . وقد زرعت الأذن الصناعية لطفلة استرالية فقدت السمع وبعد زراعة الأذن بعامين أصبحت تسمع وتتكلم وتكونت لديها حصيلة لغوية .

رائحة البرتقال والليمونلعلاج الاكتئاب

أدت الدراسات العلمية الحديثة فى عدد من دول العالم إلى الاستفادة من النباتات ذات الرائحة الذكية لاحتوائها على زيوت طيارة فى علاج بعض الأمراض . فقد قام فريق بحثى فى اليابان بدراسة أثبتت أن رائحة الليمون أو البرتقال علاج فعال للاكتئاب وقد تغلب عشرة من المصابين بالاكتئاب على أعراض المرض بعد علاجهم برائحة البرتقال والليمون فى أقل من ثلاثة شهور كما أن هذه الرائحة أدت إلى تحسين توازن الهرمونات ومناعة الجسم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« رحماك ... يا رب »

من كان يملك درهمين تعلمت
شفتاه أنواع الكلام فغالا
وتقدم الاخوان فاستمعوا له
ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى يزهو بها
لوجدته فى الناس أسوأ حالا
إن الغنى إذا تكلم مخطئاً
قالوا : صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير إذا تكلم صادقاً
قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
إن الدراهم فى المواطن كلها
تكسوا الرجال مهابة وجمالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة
وهى السلاح لمن أراد قتالا

« حقاً »

ثوب الرياء يشف عما تحته
فإذا التحفت به فإنك عار

« ندم ... ورجاء »

يا رب إن ذنوبى فى الورى عظمت
وليس لى من عمل فى الحشر ينجينى
وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه
حب النبى وهذا القدر يكفينى

« أنت حر لوجه الله »

قال بخيل لغلامه : هات الطعام وأغلق الباب ؛ فقال يا مولاى : ليس هذا بحزم ؛ وإنما أغلق الباب وأقدم الطعام .

فقال له : أنت حر لوجه الله .

« حقيقة »

نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ؛ ثم بكى وقال : والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ؛ ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى .

« أضحكنى ثلاث .. وأبكانى ثلاث »

رحم الله أبا الدرداء فقد قال :

أضحكنى تأمل الدنيا ، وغافل ليس بمغفول عنه ، وضاحك ملء فيه لا يدرى أرضى عنه ربه أم غضب عليه . وأبكانى : فراق الأحبة ، وخروج الروح من الجسد ، وكلما ذكرت الوقوف بين يدى الله .

« لا أبكى على دنياكم »

قال سعيد بن أبى سعيد المقبرى :

دخل مروان على أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ فى شكواه الذى مات فيه ، فقال : شفاك الله فقال أبو هريرة : « اللهم إنى أحب لقاءك فأحب لقائى » .

فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى مات .

● ● ●

وقال سالم بن بشر بن جحل : إن أبا هريرة بكى فى مرضه ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : إنى لا أبكى على دنياكم هذه ، ولكنى أبكى على بُعد سفرى ، وقلة زادى ، وأنى أصْبحت فى صعود مهبط على جنة ونار ، ولا أدرى أيهما يؤخذنى .

« مثله لا يعدم العلة »

حضر أعرابى مأدبة معاوية ومعه ولده ، فرآه يلتقم لقماً شديداً ، فلما كان بالعشى ذهب إليه الأعرابى .

فقال له معاوية : ما فعل ابنك التلقامة ؟ قال : اعتل قال : مثله لا يعدم العلة .

« نصيحـــــة »

لحمل الصخر من قمم الجبال
أحب إلىّ من منن الرجال

« كم فقار ظهرك ؟ »

قال بعض العمال لأحد الأعراب ، ما أحسبك تدرى كم تصلى فى كل يوم وليلة ؟

فقال : أرأيت إن أنبأتك بذلك تجعل لى عليك مسألة .

قال : نعم ، فقال الأعرابى :

إن الصلاة أربع وأربع
ثم ثلاث بعدهن أربع
ثم صلاة الفجر لا تضيع

قال : قد صدقت ؛ فسل ، فقال : كم فقار ظهرك ؟ قال : لا أدرى ؛ قال : أفتحكم بين الناس ، وأنت تجهل هذا من نفسك .

« عبـــدك ببابك »

رئى أعرابى ماسكاً بحلقة باب الكعبة وهو يقول : عبدك ببابك ، ذهبت أيامه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهواته ، وبقيت تبعاته ، فارض عنه ، فإن لم ترض عنه فاعف عنه ، فقد يعفو المولى عن عبده ، وهو غير راض .

« دعـــــاء »

« اللهم ارزقنا الإخلاص فى القول والعمل وأدخلنا برحمتك فى عبادك الصالحين ، وقنا خزى الدنيا وعذاب الآخرة » .

من أعلام الأزهر

الأستاذ الدكتور

على محمد العمارى

مدَّ الله فى عمره

أستاذ عالم أديب مطّلع على مفردات اللغة وغريبها . عالم بمواطن استعمالها متمكن من قواعدها ، جائل فى كل فن من فنونها ، حافظ لغريبها حفظ الباحث المستقصى مع وفور فضله وثبوت قدمه وتفرده عن قرنائه وعلو كعبه .

كان همه أن يستعيد الأزهر ماضيه المجيد فوقف يؤازره وقوف الوطنى المخلص والأزهرى المحنك والعاقل البصير ..

منهجه فى إصلاح الأزهر :

١ - ينبغى أن لا يقبل فى الأعوام المقبلة فى المعاهد الأزهرية إلا من يؤدون امتحانا فى حفظ القرآن الكريم كله .

٢ - فيما يتعلق بهذه الآلاف المؤلفة التى قبلت فى الأعوام السابقة الأخيرة ينبغى أن نكون جادين ومخلصين لديننا ولأزهرنا فى التدريس لهؤلاء .

٣ - أن يَجدّ زملاؤنا وأبناؤنا المدرسون فى الامتحانات النهائية آخر العام بحيث لا ينجح إلا الذين يستحقون النجاح ثم نتعهد الناجحين حتى يصبحوا صالحين لأن يدخلوا جامعة الأزهر ونتعهدهم فيها كذلك بجد وإخلاص وحزم ، وحينئذ نطمئن بعض الاطمئنان إلى أنهم سيكونون

بقلم فضيلة الشيخ /
محمود عبدالرازق عقباوى

جديرين لحمل اسم الأزهر .

وأول ما تجب العناية به هو تحفيظهم القرآن الكريم ، وإن فى المرحلتين الإعدادية والثانوية .

ولا أظن أن طريقة ذلك تعيى القائمين على شئون الأزهر الآن ومع ذلك أعرض هذه الخطة مبتدئا بأول الطريق .

المرحلة الابتدائية وهى أهم المراحل فى هذا الشأن فهى التى يعد فيها النشء للالتحاق بالأزهر ولما كان فيما أرى أنه لابد من حفظ القرآن كله لمن يريد أن يلتحق بالأزهر وجب أن نهيىء كل

الأسباب لهذا ، وهو أمر ممكن ـ ولا شك ـ إذ أن ست سنوات مع السن المبكرة كافية لحفظ القرآن إذا خففت مناهج المواد الأخرى ، فليس من الضرورى أن تكون متفقة كل الاتفاق مع مناهج وزارة التربية والتعليم . وعلى الدولة أن تضع الحوافِزَ الأدبية والمادية لترغيب الناشئة فى التعليم الأزهرى ، وفى حفظ القرآن ، وعليها ـ فى سبيل ذلك ـ أن ترعى (الكتاتيب) أو (مدارس تحفيظ القرآن) وتقدم لها المعلومات الكافية وتعمل على الإكثار منها ومقتضى ذلك ألا يقبل فى المعاهد الإعدادية من لم يكن حافظا للقرآن الكريم كله .

٤ ـ كذلك ينبغى أن يكون الهدف أولا وأخيرا هو (الكيف) لا (الكم) فلأن يتخرج فى الأزهر ألف فى كل عام يحفظون القرآن ، وعلى دراية واسعة بالعلوم الإسلامية والعربية خير من أن يتخرج آلاف من هذه الأنماط التى التحقت بالأزهر فى السنوات الأخيرة غير حافظين للقرآن وبعضهم لا يحفظ منه إلا أقل القليل ـ على أنه لا مناص من الأخذ بالوسائل التى تؤدى إلى حفظ هذه المجموعات للكتاب الكريم ، وإن على مراحل .. لكن لا بد من حفظه ولو دخل الطالب الجامعة فى أى من كلياتها .

٥ ـ ومن الظلم البين للتعليم الدينى أن يتخرج هؤلاء وهم على هذا الحال فلا مناص من تحفيظهم القرآن الكريم كله ، ثم إذا تخرج الطالب فى إحدى الكليات الحديثة ورغب فى العمل بالأزهر يُلزم بحفظ القرآن كله ، كذلك يكون حفظ القرآن الكريم شرطا فى الترقية من درجة إلى درجة .

٦ ـ كذلك ينبغى أن نعيد النظر فى نظام التخصص وأبادر فأقول : إنه لا يصح بحال من الأحوال أن يبدأ التخصص فى مرحلة الكلية بل ينبغى أن نبدأ هذا التخصص فى الدراسات العليا مع إعادة النظر فى مناهج الدراسات العليا . بحيث نُبْقى ـ مع التخصص على الصبغة العامة للعالم الأزهرى .

٧ ـ بقيت قضية ـ كما يقول أستاذنا ـ قد يظنها كثير من الناس أمرا شكليا وأراها أمرا ضروريا .. تلك مسألة الزى ، إنى أدعو أن يعود الأزهريون إلى زيهم التقليدى ولا سيما المسئولون فى الأزهر والمدرسون ، نعم لم يحدد الإسلام زياً خاصا ولكن العرف من أزمان حدد للأزهرى زيا يعرف به فى كل مكان يحل فيه وهو زى جميل رائع يعطى صاحبه المهابة والوقار والتمييز ، ولا يقال إن بعض طوائف ترتدى هذا الزى فإن ذلك لا ينهض دفاعا عن ترك الأزهرى زيه ، والنظرة العابرة تستطيع أن تفرق بين الأزهرى وغيره ممن يرتدون هذا الزى .

أسأل الله ـ تعالى ـ أن يبقى هذا الأزهر حصنا حصينا للشريعة واللغة العربية وعلى الله قصد السبيل .

هذه آراء مقتضبة من آراء الإصلاح عند الدكتور / على العمارى فى الأزهر الشريف بمجلة منبر الإسلام (عدد تاريخى خاص بمناسبة العيد

الألفـــى للأزهـــر الشريـــف جمادى الآخرة ١٤٠٣ هـ ، مارس ١٩٨٣ م) .

الأزهر كما يراه العمارى

ومن خلال رؤية مترويه ومعايشة أصيلة يحدثنا فضيلة الأستاذ الدكتور على العمارى عن دور الأزهر عبر مسيرته الممتدة قائلا :

منذ أنشىء الجامع الأزهر فى أوائل النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وهو يحقق الغاية التى أنشىء من أجل تحقيقها : مسجدا للصلاة ، ومعهدا للتعليم .

وقد كان الهدف التعليمى الأول من إنشائه نشر المذهب الشيعى ، والدعوة له ، ولكن ما لبث هذا الهدف ان أمحى عندما أفل نجم الدولة الفاطمية ، وحلت محله دراسة مذهب أهل السنة والجماعة .

ومضت مئات السنين على الأزهر ، وهو منارة علم ، ومبعث هداية ، يحفظ العقيدة الصحيحة ، وينشر الشريعة السمحة ، ويدرس علوم اللغة .

ولا يستطيع ـــ إلا مكابر ـــ أن ينكر على الأزهر دوره فى تكوين الشخصيـة الإسلاميـة لمصر ، وأثـره فى جميـع الشعـوب الإسلاميـة الأخرى .

ففـى المدن ، وفى القـرى ، وفى الكفـــور والنجوع ، نجد إمام المسجد ، وقاضى المحكمة ، ومأذون الشرع ، ومفتى العامة ، والعالم الواعظ ، والخطيب المفوه ، نجدهم كلهم من المتخرجين فى الأزهر . كما نجد فى الأقطار الإسلامية الأخرى من تلقوا علومهم فى الأزهر ، ومن تلقى العلوم على هؤلاء الأزهريين ، وقد كانوا فى بلادهم أئمة يقتدى بهم ، ومعالم هداية ، ومصادر إرشاد ، أسهموا بنصيب وافر فى شرح تعـاليم الإسلام لأقوامهم ، وفى بناء نهضات أوطانهم .

وكانت حكمة رجال الأزهر عاملا أساسيا فى البعد بالأزهر عن الأخطار السياسية ، فى عصور الظلام ، فبقى الأزهر سالما من جبروت أولئك الحكام ، بل نكاد نقول : أنه لم يسلم من جبروتهم كائن فى مصر إلا الأزهر .

وحين وطئت أقدام المستعمرين الغربيين أرض مصر كان رجال الأزهر فى طليعة المجاهدين ، وفى مقدمة الثائرين ، بل هم الذين كانوا يشعلون نار الثورة على المستعمرين ، ويضحون بكل مرتخص وغال فى سبيل إنقاذ مصر والإسلام من طغيانهم ، ولايزال الأزهر يؤدى دوره التعليمى والوطنى والاجتماعى كاملا بأمانة وصدق .

ســيرته ونشـاطه العلمى :

ولـــد الأستاذ على العمارى عام ١٩١٣ م بقرية بنى عمار من قرى محافظة سوهاج وتعلم فى كتاب القرية ، ثم تخرج من معهد الإسكندرية ، ودخل كلية اللغة العربية وتخرج فيها ١٩٤١ م العالمية مع إجازة التدريس ١٩٤٣ م ، ثم حصل على الدكتوراه فى البلاغة ١٩٦٧ م .

وظائفــه : مدرس ، فمدرس أول فعضو فنى فى إدارة المعاهد ، ثم عضو فى تحرير مجلة الأزهر ، فموجـه ، فمـدرس بالجامعـة (كليـة البنـات الإسلامية) فأستاذ بجامعة أم درمان ثم الجامعة الإسلامية بمكة ، فجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

مؤلفـــاته : تجاوزت العشرين كتابا منها :

١ ـ القرآن والطبائع النفسية (ترجم للفرنسية عن طريق المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .

٢ ـ الإمام فخر الدين الرازى وفيه أثبت فضيلته أن الفخر قد أتم التفسير ولم يكمله أحد غيره فبعض المؤلفين يذكر أنه فسر إلى سورة الأنبياء ثم أتمه تلامذته .

٣ ـ ديوان شعر (الفجر الضاحك) نشر وهو فى المرحلة الثانوية .

وله فى البلاغة :

٤ ـ توضيح المعانى .

٥ ـ أسرار البيان ـ مقرر رابعة ثانوى . د .

٦ ـ حول إعجاز القرآن .

٧ ـ تيارات منحرفة فى التفكير الدينى المعاصر .

٨ ـ فقهاء بغير فقه .

٩ ـ المؤمن بين الخوف والرجاء .

١٠ ـ مع الرسول ﷺ .

١١ ـ الزكاة (مترجم إلى الفرنسية) .

١٢ ـ الزكاة وفلسفتها .

١٣ ـ من حديث القرآن عن الإنسان .

وله كتب فى مناهج المعاهد الأزهرية :

١٤ ـ الأدب العربى وتاريخه مع الأستاذ زكى على سويلم للعصرين الأموى والعباسى للصف الثالث الثانوى .

١٥ ـ التاريخ الأدبى للعصرين العثمانى والحديث للصف الرابع .

وله بمجلة الرسالة بحوث « ضافية » ، فكان بينه وبين صهره الأستاذ / كامل شاهين وكذا مع الأستاذ / أمين الخولى معارك بيانية فى الأدب والبلاغة فقد احتدم الجدال واشتد النقاش على صفحاتها ، وكان له باب فى الرسالة بعنوان « الشعر فى السودان » وقت أن كان مبعوث الأزهر فى أم درمان .

أمدَّ مجلة الأزهر منذ قديم بمقالاته المتنوعة وبحوثه المفيدة العديدة مثل : مع البلاغيين فى اللفظ والمعنى ، وشىء من النقد .

وقد اخترت فقرة له بمجلة الأزهر (عدد ربيع الآخر ١٣٨١ هـ / سبتمبر ١٩٦١ م) بعنوان (حيرة الأوهام) يقول :

« منذ فجر التاريخ والأوهام حائرة وستظل الأوهام بل العقول حائرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وما دام الغيب سرا مجهولا ، فقال أحمد بن يحيى بن اسحق المشهور بابن الراوندى :

سبحان من وضع الأشياء موضعها
وفرق العزَّ والإذلال تفريقا
كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقا

وأشار أبو العلاء المعرى إلى هذه القضية بما حمل الناس على رميه بالكفر والإلحاد . والحق أن هذه الظاهرة شغلت بال الكثير من الفلاسفة والحكماء

والشعراء . حتى العوام خبطوا فى شأنها ويقل أن تجد كتابا من كتب الأدب القديمة خَلَا من الإشارة إليها ، ويقل أن تجد مجلسا يتعرض لحياة الناس وحظوظهم لم يَخُضْ فيها .

نظـرة فى مؤلفـاته :

تآليفه الثمينة لا غنى عنها لطلاب الأزهـر وغيرهم وقد شملت جميع نواحى التدريس المتطورة مع الأزهر الحديث وتشتمل على بحوث مستفيضة وآراء طريفة ، وفيها معالجة العلوم بطريقة سهلة وافية ؛ فترى قلمه يجرى مجرى المعلم المتقن الذى لا يخطو خطوة إلا وقد أحكم الأولى ، فلا ترى الاسداد تزجية وحسن إبانة وفضلا على الصناعة وَمتَناً فى عنق التأليف ورواجا للكتب والتصنيف وإعانة على الفصاحة واضطلاعا بقدسية العلم وأمانة للبحث واستكناها لهدى الجدل الوئيد .

وما دام الغد حجابا مضروبا والحياة لغزا مبهما فسيظل أصحاب العقول يتهمون عقـولهم أو يخاطرون بعقائدهم أو يعتصمون بالإيمان ، أو يقفون حائرين مبهوتين تسمع منهم همهمة لا تبين أو تلمح فى عيونهم أطيافا لا تفصح عن شك أو يقين ، وسر الحيرة أن العقل يريد ــ دائما ــ أن يحلل ويعلل ويدلل ويظن أنه يستطيع أن يصل إلى كل سر ، وأن يكشف عن كل مخبأ ، وهو وإن أراد الفضاء وتطلع إلى سكنى الكواكب لا يزال يحبو فى مهده إذا ذكرنا حقائق الكوْن الكبرى ، ولن يزيده كشفه لهذه المجاهل من أسرار الكون إلا إيمانا بالجهل ويقينا لأن بينه وبين المعرفة الكاملة آمادا واسعة وكل يوم يطلع يأتى بجديد يَدُلُّنا على أن البشرية عاشت قرونا طويلة ترسف فى أغلال الجهل ، وعقيدتى أن الغد المجهول سيجيؤنا فى كل مطلع شمس بما يجعلنا نسخر عقولنا ونكل العالم كله لله وحده . وفى الحياة قضايا كثيرة ومشاكل ذوات عدد حيرت الأوهام فى الماضى ولا تزال تحيرها . ومن هذه القضايا ما عبّرت عنه هذه القصة القصيرة :

سأل معاوية بن أبى سفيان جلساءه يوما ما أعجب الأشياء ؟ .

فقال بعضهم : **إكداء العاقل وحظ الجاهل** .

وإذا كان جليس معاويـة قد وصف هذه الظاهرة بأنها أعجب الأشياء فإن قوما من الشعراء والمارقين **قد عرضوها** فى معرض كريه ينكره المؤمنون .

وهكذا كان أستاذنا يستمتع بوقته ويشتغل بالأدب والبلاغة واللغويات (النحو والصرف) ويقرأ مَا طابتْ له القراءة ويكتب ما رغب فى الكتابة ، ويؤلف ما مال إلى التأليف ، فتخرج الحقائق العلمية والأدبية رائعة الجمـال شديـدة العمق فيها ملاحة النكته وطلاوة الخبر وسلامة النقد ورفاهة الحس ومتعة العين وصقل الذوق .

ولقد تجشم المتاعب وأفنى الليـل والصحـة والجهد فى القراءة والمقابلة والمطالعة والاستقراء والفرى والتقصى فى سبيل إحقاق الحق فله الثناء على ذلك بما أفاد وأجاد .

جزاه الله خيرا على ما قدم ومدَّ له فى سِنِى عمره وأطال فى حبل حياته .. والله أسأل أن يوفقنا لخدمة الدين والعلم إنه سميع مجيب .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

الأزهر فكرة إسلامية

لفضيلة الشيخ رياض هلال

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

شر ما تبتلى به أمة أن يكثر فيها الأدعياء ويفشو المدعون ، ففى هذه الأيام ظهرت خفافيش الظلام والإظلام تحوم حول فكرة الأزهر وحدوده ، وأصبحت لها أوكار ترسل منها هذا الهراء المزعج والطنين المنفر .

وجهل هؤلاء أن الأزهر قيمة وقمة . رأى وكلمة . فكرة ، ورسالة يرشد الضال ، ويرد الآبق بالحكمة والموعظة الحسنة . هذه رسالته منذ أن وجد على هذه الأرض لا ينازعه فيها منازع ، أو يزاحمه مزاحم عن إيمان ويقين .

نقول هذا للذين يخلطون الأوراق فى هذه الأيام من أصحاب الأقلام (الحرة) ودعاة (التنوير) الذين يريدون شيئاً محدداً ولكنهم لا يجرؤون أن يفصحوا عنه ، ولكنهم للأسف مفضوحون فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً

كثر حديث الناس فى هذه الأيام عن الأزهر والأزهريين ، وتناولوه فى كثير من المناسبات بألسن حداد ، وكلمات شداد ، تصوره أمام الناس بصوره المتخلف عن القافلة ، والمنقطع فى الطريق .

ولكنى أحب لهم ألا يظلموا الأزهر ، أو يحكموا عليه حكماً جائراً لا يستهدف الخير . وهؤلاء كان جديراً بهم أن يقتصدوا فى نقدهم ، حتى لا يقال فيهم :

غَيْرى جنى وأنا المعذب فيكم   فكأننى سبابة المتندم

فأما أن يؤخذ البرىء بالمذنب ، والمقيم بالظاعن ، والولى بالمولى ، فتلك سياسة من جار ولم يعدل .

ولست أعرف العلة التى انبعث من أجلها هؤلاء يصيحون ويجأرون بالشكوى من الأزهر ، كأنه اعترض طريقهم ، فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . أو كأنهم ضاقوا به ، وأحسوا أنه يرصدهم ، ويكشف أمرهم حين تطوع لهم

نفوسهم أن يقتحموا صرح الفضيلة ، ويصلوا إلى ما يريدون .

وقد نسى هؤلاء أن العواصف التى تتآمر على الأزهر اصطلحت عليه منذ القدم ، فهى لا تفتأ تناوئه الفينة بعد الفينة ، ولكنها تنحسر عنه دائماً كليلة وكأنها لا شيء . وما أسرع أن يحنى لها الأزهر هامته الفارعة حتى تمر به ، ثم يرفع تلك الهامة شامخاً فى كبر وسخرية .

لست أقول ذلك تعصباً للأزهر ، فقد أكون أقل الأزهريين تعصباً ، ولكنى أقوله ؛ لأنه الحقيقة السافرة التى لا معدى لأى مخلوق عن أن يقولها ويعترف بها . إن الذى يظن أن الأزهر مدرسة يتخرج فيها الموظفون وطلاب الحاجات مخطىء كل الخطأ ؛ لأن الأزهر لو كان كذلك لكانت حجته فى بقائه واهية ، بل معدومة ؛ لأن مصر بحمد الله ، فيها العدد الوفير من المدارس المدنية والدينية ، وتستطيع أن تسد الحاجة للوظائف والموظفين . وكأنى بكثير من الناس يتساءلون فى عجب بالغ : وماذا يكون الأزهر إن لم يكن مدرسة ؟

إن الأزهر فكرة إسلامية يرنو إليه المسلمون من جميع أقطار الأرض ، وتشرئب إليه نفوسهم ، وتظمأ إليه أرواحهم ، يعرف ذلك ويلمسه من أمكنته ظروفه أن يتصل بأى بلد شرقى ، وقد لمست هذا بنفسى الحب وتلك اللهفة فى الحجاز والكويت والعراق ، وقد كنت أحد مبعوثى الأزهر فى الحجاز والكويت ، وكان معنا كثير من رجال وزارة المعارف المصرية ، ومع ذلك فقد كان تطلع الناس إلى مبعوثى الأزهر ، وإلى السؤال عن الأزهر أشد وأقوى من تطلعهم إلى غيرهم ، مما يؤكد أن المعنى الماثل فى أذهان الناس هناك ، الراسخ عندهم عن الأزهر أنه كما قلت فكرة وليس مدرسة ، وتربية خاصة وليس معهداً ، وأحب أن أكون صريحاً أكثر فأقرر أن سياسة التعليم فى مصر التى كان للمستعمر أثره الواضح فيها قد حاولت جاهدة أن تجعل من الأزهر ـ وقد كان معنى كبيراً ملء القلوب والأسماع ـ مدرسة صغيرة ذات برامج ومناهج يتخرج فيها الموظفون دون أن ينعموا بالتربية الإسلامية الاستقلالية التى كان يعدهم لها الأزهر فى القديم ، وقد بلغ المستعمر من ذلك مبلغاً عظيماً أو كاد .

فهل لى أن أدعو الأزهريين من كل قلبى أن يفهموا ما يحيط بهم ، وأن يتعمقوا الأشياء ، ويتدبروا الأمور ، ويتكاشفوا حتى لا يتدافنوا ، وحتى تعود إليهم الثقة بأنفسهم وأزهرهم ، قبل أن يكرهنا الزمن على شيء قد لا نحبه ولا نرضاه . ألا قد بلغت ، اللهم فاشهد .

رياض هلال
المدرس فى كلية اللغة العربية

محمد بن على الخروبى و منهجة فى التفسير

بقلم د./ عبد الفتاح أبو سنة

الإمام الخـــروبى

هو الولى النقى ، والعارف التقى ، عالم زمانه ، وفقيه عصره وأوانه ، محمد بن على الخروبى الطرابلسى أو الصفاقسى الجزائرى المالكى ، أبو عبد الله ، عالم الجزائر الكبير ، وإمامها الشهير ، كان من أهل الحديث والفقه والتصوف إلى جانب إمامته فى التفسير بيته بيت علم من لدن أسلافه ، ولد بقرية « قارة قوش » ثم رحل إلى الجزائر حيث أتم تحصيله العلمى ؛ فبرع فى علم الشريعة والتصوف ومعرفة أحوال الدول والممالك ، كما اشتهر بالبلاغة والخطابة والشجاعة الأدبية ؛ حيث كان جريئاً فى الحق ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، شديد النكير على أهل البدع والضلالات ، توفى بالجزائر عام (٩٦٣ هـ ـ ١٥٥٦ م) تاركاً وراءه العديد من المؤلفات[١] .

مولـــده :

لم تذكر كتب التراجم ، تاريخ مولده بالتحديد ، ولكنها نوهت بأنه قد تربى وهو غلام فى أحضان التصوف بين يدى أبيه وأسرته التى كان من أهم سماتها العلم والدين إلى جانب الثراء الواسع والجاه الدنيوى حيث جمع الله لها بين شرف الدنيا وكرامـــة الآخرة[٢] .

كما تربى تحت أنظار شيخه أحمد رزوق ذلك الصوفى السنى صاحب التجارب المثيرة ، والذى لا يقل شأناً عن أبى حامد الغزالى فى منهجه مع اختلاف فى التفصيلات والظروف[٣] .

---

(١) شجرة النور الزكية . (٢) تاريخ ليبيا الإسلامى . (٣) الطريقة الشاذلية وأعلامها .

ولد الخروبى الصغير ، الفقيه الشهير فى بيئة تتمتع بإحساس دينى عميق ، وتوقير للمتدينين والعلماء ، وأهل التصوف ، ولم تكن البلاد تخلو من الزهاد الذين لا تزال أسماؤهم عالقة بالأذهان ، وأضرحتهم مزارات للمؤمنين(٤) .

رحلته إلى الجزائر :

التنقل والترحال جزء لا يتجزأ من حياة الصوفى ؛ فهو بالنسبة للمريد يقصد به طلب المعرفة على يد عارف يتولى تربيته حتى يبلغ به مقامات الرجال ، وبالنسبة للمربى يقصد به محاربة الفساد المتغلغل فى جسم الأمة ، وتربية المريدين الصالحين للنهوض بها ، وأهم شىء فى الرحلة هو اختيار المكان الملائم الصالح للدعوة والإرشاد ، وقد انتقل العلامة محمد بن على الخروبى من « مصراتة » بليبيا إلى الجزائر ، وأقام بها ، وكون مدرسة للحديث النبوى والفقه والتصوف ، وكان شيخه رزوق قد مهد له فيها قبل مقدمه إليها حين زار العاصمة وتوجه منها إلى موقع هناك يدعى « تموقر » وهو موقع عند « بنى عبدل » فى أنحاء « بجاية » حيث ألف زروق هناك كتابه « الجامع لجمل من الفوائد والمنافع » بمسجد سيدى يحيى بن محمد العبدلى ، وكانت « بجاية » مركزاً للزروقية ، يدعو فيها الشيخ والمريد محمد بن على الخروبى إلى طريقته حين دخلها عام (٨٩٢ هـ ــ ١٤٨٧ م)(٥) .

مؤلفاته وآثاره العلمية :

ترك العلامة الخروبى تراثاً طيباً يكشف عن ثقافة واسعة قوامها التفسير والحديث والفقه والتصوف مما جعل له أثراً علمياً أثرى المكتبة الإسلامية ، وله على سبيل المثال لا الحصر :

ــ « رياض الأزهار وكنز الأسرار » كتاب تفسير ذو مجلدات ثمانية/ مخطوط بالهيئة العامة للكتاب تحت رقم ١٩٠١٦ « ميكروفيلم » .

ــ شرح على نظم شيخه أحمد زروق فى أصول الطريقة الشاذلية .

ــ كفاية المريد وحلية العبيد (تصوف) .

ــ شرح صلوات ابن مشيش .

ــ الحكم الكبرى (مخطوط) .

ــ شرح الحكم الكبرى (مخطوط) .

وفاته رحمه الله تعالى :

ومع إشراقة شمس معارف العلامة الخروبى على تلاميذه ونشر خيوطها على ربوع الجزائر إذ بها تميل نحو الأصيل استعداداً للرحيل لتؤذن بالمغيب بوفاة نجم الهداية صاحب الترجمة وذلك مطلع عام (٩٦٣ هـ ــ ١٥٥٥ م) ودفن وقبر حيث مات ــ رحمه الله تعالى ــ ولا تسأل عما أصاب الناس ممن تتلمذ له من الألم والدهش لهذا المصاب الجلل والخطب العظيم الذى فجع به الإرشاد الصحيح فإنا لله وإنا إليه راجعون(٦) .

المنهـــج :

قال محمد بن على الخروبى الجزيرى الطرابلسى المتوفى عام (٩٦٣ هـ) رحمه الله تعالى :

(٤) راجع نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتى : ٨٣/القاهرة ١٣٥١ هـ .

(٥) الزروق والزروقية/١٥ دار مكتبة الفكر/ طرابلس/ ليبيا .

(٦) المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب/ الزواوى/ بيروت ١٩٨٤ ــ نفحات النسرين والريحان/ تحقيق على مصطفى المصراتى/ بيروت ١٩٦٣ .

أشار عليّ بعض الإخوان أن أضع فى التفسير تأليفاً يحتوى على نكت علمية وحقائق وأسرار صوفية يكون تكملة لما تقدمه من ـ التواليف ـ وكالحاشية لما سبقه من التصانيف ، فاستخرت الله فى ذلك ، وانشرح له الصدر ، وإن لم أكن صالحاً أن أسلك تلك المسالك ، ولما كان من تقدم من الأئمة القدماء ومن بعدهم من الشيوخ العلماء مقاصدهم مختلفة ، وأنحاؤهم وآراؤهم متباينة فى تفاسيرهم ، فمنهم من اشتغل بالكلام على ظاهر القرآن ، واقتصر على علومه الظاهرة كاللغة والنحو والقراءات ، والمعانى والبيان وفقهه وناسخه ومنسوخه وتفصيل أحكامه ، وبيان حلاله وحرامه ، وغير ذلك من العلوم المتعلقة بظاهره كالإمام ابن عطية والزمخشرى وابن العربى وغيرهم ممن يكثر تعدادهم ، ومنهم من تكلم على ما يتعلق بباطنه من الحقائق والأسرار كالسلمى ومن نحا نحوه ؛ فهؤلاء وإن قصدوا الحقائق وعثروا على اللباب لم يسلموا من الملامة ، وأولئك لم يشتغلوا بذلك لكنهم سلكوا مسلك السلامة .

ونحن قصدنا فى كتابنا هذا أن نجمع فيه بين الطريقين ليكون جامعاً بين الشريعة والحقيقة ، فنأتى من علوم ظاهرة بعلم التفسير إذ هو العلم المراد لذاته ، وباقى العلوم الظاهرة دالة معينة عليه ، ولنأت معه بما أمكن من أسباب النزول للفوائد المتعلقة به ، ومهما دعا الحال إلى التعرض إلى بعض المسائل من نحو ولغة وقراءات وغير ذلك من العلوم الظاهرة فلنتكلم عليها باختصار .

ويقول ـ رضى الله عنه :

وأعتمد فى التفسير على كتاب الإمام ابن عطية ـ رحمه الله تعالى ـ وعلى الجواهر الحسان للشيخ « أبى زيد سيدى عبد الرحمن الثعالبى ـ رحمه الله تعالى .

والقاعدة فى كتابنا هذا أن أجعل حرف « العين المهملة » رمزاً للإمام ابن عطية ، والثاء المثلثة رمزاً للشيخ الثعالبى وإن أتيت بكلام غيرهما فى كل فن أنسبه إلى قائله ، وإن أطلقت الكلام أو أسندت القول إلى ضمير المتكلم فهو لنا هكذا فى الكتاب كله .

ثم ينوه العلامة الخروبى باستنباطاته وأفهامه التى أوتيهافى كتاب الله بعد سلوكه طريق القوم قدماً ونهاية ، فكان العلماء من حوله يستحسنونها غاية الاستحسان ، وتحل فى قلوبهم بمكان فيقول :

ولنأت من علوم باطنة بالحقائق البادية من آياته ، وبالأسرار التى تضمنتها تراكيب جملة وألفاظه مما سبق الغير إليها أو مما لم يعثر عليه أحد غيرى ؛ فإن دلت الآية على تعلق أو تخلق أو تحل أو تحل أنبه على ذلك بلفظ موجز ؛ فكان كتابنا والحمد لله جامعاً بين العلم والعمل وسميته « برياض الأزهار وكنز الأسرار » وأعيذه بالله ـ سبحانه ـ من معترض متعسف ، ومنتقد لا ينصف .

والله ـ سبحانه ـ أسأل أن ينفع به الإسلام ، وأن يجعله سبباً لهداية الخاص والعام بمنه وفضله ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم آمين .

الإسلام بين الشرق والغرب

للرئيس علي عزت بيجوفيتش

الجزء الأخير

عرض وتقديم الأستاذ/ عادل خفاجة

التسـليم لله تعــالى

كلما توصل الإنسان إلى اكتشاف أو حقيقة علمية ما ـ أدرك أن هناك سلسلة من الاكتشافات والحقائق التى لم يتوصل إليها بعد ، وسيظل الإنسان يلهث وراء كل جديد وسيبقى إلى الأبد يجهل الكثير ويعلم القليل .

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء .

وأمام هذا ، فالإنسان إما أن يغتر بما حقق واكتشف فيُرْديه غروره فى ظلمات الجهل .

وإما أن يرضى ويسلم لله ، فيظفر بسلام متكامل .

ولعل خلاصة هذا الكتاب ، وفكر مؤلفه الرئيس : أن التسليم لله هو المخرج أمام كل هذا الذى نجهله ؛ فالتسليم لله هو الحكمة التى تخفف شعور الإنسان بالألم .

قال تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

سورة البقرة

القسم الثانى :

الإسلام ـ الوحدة ثنائية القطب :

بعد أن قدم المؤلف فى القسم الأول العديد من القضايا الفكرية ومدى إخفاق الفكر الأوروبى فى تناولها لكونه أحادى النظرة ـ يقدم فى هذا القسم ما يسميه (الوحدة ثنائية القطب) التى يراها فى الإسلام .

يستهل المؤلف هذا القسم بالتركيز على أن الفهم الكامل لتاريخ الإسلام لا يتم إلا بالفهم الجيد لتاريخ الفترة اليهودية والمسيحية .

لذلك يقدم بعض آراء المفكرين التى تُلْقِى بعض الضوء على ذلك التاريخ ومنها :

رأى « ورنر سومبارت » الذى يقول : إن تاريخ اليهودية هو تاريخ التطور التجارى للعالم . وأول ما ظهرت العلوم الذرية كانت معروفة بالعلم اليهودى . ويمكن أن يوصف علم

الاقتصاد السياسى بالصفة نفسها . وليس من قبيل المصادفة أن تكون ألمع الأسماء فى علوم الطبيعة النووية والاقتصاد السياسى والاشتراكية جميعاً من اليهود .

إن اليهود لم يسهموا أبداً فى الثقافة ، ولكنهم كانوا دائماً يساهمون فى الحضارة . ويبدو وكأنهم فى هجرة دائمة من حضارة آفلة إلى حضارة وليدة .

إن المادية اليهودية هى التى لفتت العقل الإنسانى ـ خلال التاريخ اليهودى ـ إلى العالم ، وأثارت الاهتمام بالواقع الخارجى .

. ثم يعرض المؤلف عدة آراء عن الإسلام لعلماء الغرب أمثال : « هيجل » و « شبنجلر » و « مرسيا إليادى » .

وخلص إلى أن النبى محمداً ﷺ يقف فى النقطة البؤرية للتوازن التاريخى .

لعل النظر فى الظروف التى أحاطت بظهور الإسلام تساعدنا على فهم الإسلام فهماً أفضل ، باعتباره دعوة للتوحيد بين العقيدة والسياسة .

- فقد كان لدى العرب تجارة تتسم بالعناء .
- ولم تكن بلاد العرب الصحراوية مثل مدينة « الجليل » الخصبة ، مهد المسيحية ، حيث يستطيع الإنسان أن يعول نفسه بقليل من الجهد .
- لم تكن الكعبة ـ لدى العرب ـ مركزاً دينياً فقط ، بل كانت مركزاً تجارياً أيضاً .

هكذا كانت هذه الظروف تشكل عبقرية العرب ، وتعدهم لاستقبال الإسلام الذى

يقول : « وجعلنا النهار معاشا » النبأ ـ ١١ .

الإسلام يقرر محاربة الشر ودفع الظلم ، وهو بذلك يضع قواعد سياسية واجتماعية .

يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

سورة الشورى

الإسلام يحرم الخمر وهو بذلك يسلك مسلك العلم لا مسلك الدين المجرد .

من هنا يذهب المؤلف إلى أن الذين يشطرون وحدة الإسلام ويتمسكون بجانبه الدينى فقط ، اختزلوا الإسلام إلى دين مجرد ، وأهدروا وحدته وخاصيته التى يتفرد بها عن سائر الأديان ؛ فتدهورت لذلك أحوال المسلمين .

الفصل الثامن : الإسلام والدين :

يندرج تحت هذا العنوان ثلاثة عناوين فرعية يعالج فيها المؤلف القضايا التالية :

ثنائية أعمدة الإسلام الخمسة .

دين يتجه نحو الطبيعة .

الإسلام والحياة .

فى الموضوع الأول : يتناول أعمدة الإسلام ويتأملها ، ويبرهن على ظهور ووضوح صفة الثنائية فى أركان الإسلام مما يجعله ديناً شاملاً متميزاً عما سواه من الأديان .

الصلاة :

يقول المؤلف :

« إن الصلاة أكمل تصوير لما نطلق عليه

(الوحدة ثنائية القطب)[1] فى الإسلام » ويشكل الوضوء والحركات فى الصلاة الجانب العقلى فيها .

والصلاة فى الإسلام باطلة بدون وضوء ، بينما فى الدين المجرد يمكن أداء الصلاة مع وجود (القذارة المقدسة) التى عرفتها بعض نظم الرهبنة فى كل من النصرانية والهندوسية . فالرهبان الذين يتجنبون النظافة يشعرون شعوراً دينياً أصلًا إغفال البدن والاهمال المتعمد لنظافته يقوى العنصر الروحى فى الصلاة . ومن هذا ما ذكره (برتراند رسل) Bertrand Russell فى كتابه :

The History of Western Philosophy (london:n.p.,1946) P. 371.

هكذا نلاحظ أن الوضوء لايجعل الصلاة قاصرة على جانبها الروحى المجرد ، وإنما يضيف إليها النظام والصحة معاً . فهى ليست تأملًا صوفياً فحسب بل نشاطاً عملياً أيضاً . خلافاً لما فى الأديان الأخرى التى تعتبر البدن خارج الاعتبار . أما فى الإسلام نجد أن الله « يحب المتطهرين » .

الزكاة :

إن التحول من الدين المجرد إلى الإسلام ظاهر بوضوح فى مسألة الزكاة . إن المنطق الإسلامى هو الذى حوَّل الصدقة التطوعية إلى زكاة ملزمة[1] ، والنتيجة النهائية أنه حوَّل الدين المجرد إلى إسلام .

النطق بالشهادتين :

إن النطق بالشهادتين الذى يعلن به الشخص اعتناقه للإسلام يؤدى أمام الشهود ؛ لما ينطوى عليه هذا العمل من معنيين :

الأول : هو الانضمام إلى جماعة لها جوانبها الاجتماعية والسياسية ، وتتضمن التزامات قانونية وليس فقط التزامات أخلاقية .

الثانى : أنْ يلحق إنسان بدين « ما » لا يستلزم وجود شهود وإنما تكفى النية فى هذا الخصوص . أما الالتحاق بدين به عنصر الإعلان فهو ليس ديناً عادياً أو ديناً مجرداً ، إنه الإسلام .

الصـــوم :

كما أن الصوم ليس مجرد مسألة شخصية تخص الفرد وحده ، إنما هو التزام اجتماعى ، إن الصيام الإسلامى وحدةٌ تجمع بين التنسك والسعادة بل والمتعة .

فالصوم يمارس فى قصور الملوك وفى أكواخ الفلاحين على السواء .. فى بيت الفيلسوف وفى بيت العامل .. وأعظم ميزة فيه أنه يمارس ممارسة حقيقية .

الحج :

ولعل نفس الشىء يظهر بوضوح فى الحج خامس أعمدة الإسلام ، فهل هو شعيرة دينية ؟

---

(١) نحن ملتزمون بعرض فكر المؤلف بناء على أمانة العرض ، وليس يمنع ذلك توجيه النقد لما يستحق النقد من كتابته .. والمجلة ترحب بذلك .. وتعنى الثنائية – عند المؤلف أن كل عمل إسلامى له جانبان : أحدهما مادى والاخر روحى ، أو لأحدهما نفع مادى والثانى نفع روحى .

(١) ذلك ما لا نقر الباحث عليه ، ذلك أن الصدقة التطوعية لا تزال قائمة فى الاسلام بجانب الصدقة الفرض التى أخذت مصطلح (الزكاة) وصارت معلوما من أمور الدين الخمسة .

أم معرض تجارى ؟ أم تجمع سياسى ؟ إنه شعيرة دينية تجمع كل هذا فى صيغة إسلامية . ويستطرد المؤلف فى عرض الكثير من الأمثلة التى تميز بها الإسلام .

دين يتجه نحو الطبيعة :

تحت هذا العنوان يوضح المؤلف أن الإسلام دين وعلم ، ولكنه لا يقدم حقائق علمية جاهزة ، لكنه يتضمن موقفاً جوهرياً ؛ اهتماماً بالعالم الخارجى ، وهو أمر غير مألوف فى الأديان ، فيشير القرآن إلى حقائق كثيرة فى الطبيعة ، ويدعو الإنسان للاستجابة إليها .

يقول الله تعالى :

إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

سورة البقرة

ففى هذه الآية وغيرها كثير لا يظهر أى أثر للصراع مع الطبيعة ، فالإسلام يبرز ما فى المادة من جمال ونبل كما هو الحال بالنسبة للجسم فى موقف الصلاة .

الإسلام والحياة :

يؤكد المؤلف إن هذه الثنائية فى الإسلام ليست فلسفة سامية ، وإنما هى نوع من الحياة الإنسانية السامية .

ويقول : إن العقاب ينطوى على فكرة الثنائية أيضاً . فالعقاب وإن كان إجراء قمعياً ، إلا أنه من الممكن أن يكون حافزاً أخلاقياً قوياً ، فإذا كان العقاب (عادلًا) كانت له قيمة تعليمية للمذنب ولغيره من الناس ، فالخوف هنا بداية للأخلاق ، كما أن الخوف من الله بداية لحب الله – تعالى – .

الفصل التاسع : الطبيعة الإسلامية للقانون :

يعرض المؤلف الطبيعة الإسلامية للقانون من خلال إلقاء الضوء على (جانبين للقانون : العقاب وحماية المجتمع) .

بعد أن قدم المؤلف تعريفاً للنظام القانونى ، وساق العديد من الآراء حول حقوق الإنسان ، ومراحل نشوء النظم القانونية الشهيرة فى التاريخ . يقول :

« فى الإسلام نجد نوعاً من (وحدة الهويَّة) بين القانون والدين ، ونرى غالبية رجال الفكر الدينى فى الإسلام قد ألفوا كتباً فى الفقه وأصوله ، وإنه ليصعب على الأوروبيين أن يميزوا بين القانون وبين الدين فى هذه المؤلفات ، كما أن الإسلام لا يعترف بهذا الانفصال . بمعنى أن القانون إنما هو نتاج طبيعى للإسلام » .

وكما يقولون « الفضل ما شهدت به الأعداء » يقدم المؤلف رأياً لأحد مفكرى الغرب (الفريد كرامر Alfred Kramer) حيث يقول : « إن العرب (يقصد المسلمين) هم الأمة الوحيدة خلال القرون الوسطى الأولى التى استطاعت فى تطويرها للقانون أن تحقق إنجازات باهرة . هذه الإنجازات تقف بعظمتها مباشرة مع الأعمال التى حققها الرومان ، صناع القانون فى العالم » .

العقاب وحماية المجتمع :
ناقش المؤلف فى هذا المبحث قضية العقوبة : أهى مبررة أم غير مبررة ؟ وقضية المسئولية ، والمحاكمة ، والهدف من العقوبة ، الحركة الحديثة لحماية المجتمع ..الخ .

الفصل العاشر : الأفكار والواقعية :
وفى هذا الفصل قدم ملاحظات تمهيدية عن الدين المجرد والطوبيا يخلص فيها إلى أن الدين المجرد والطوبيا كليهما لايوجدان إلا على مستوى الأفكار فقط ، أما فى الحياة العملية فمانشاهده إنما هو مزيج من عناصر مؤلفة منهما معاً ، وفى بعض الحالات يستحيل التفريق بينهما .

عيسى والمسيحية :
ولذلك فهو يرى أن مناقشة إمكانية تطبيق الدين المجرد فى هذه الدنيا أمر محكوم عليه بالإخفاق ، وأن المثل الحاسم فى ذلك هو الإخفاق التاريخى للمسيحية . وأنه لكى نفهم المسيحية وندرك تطورها التاريخى لابد أن نميز بين أمرين مختلفين : حياة عيسى – عليه السلام – وتاريخ المسيحية ، فمن البداية الأولى كان عيسى – عليه السلام – فى ناحية والمسيحية فى ناحية أخرى . وتحول هذا الاختلاف بمرور الوقت إلى خلاف بين الإلهى والإنسانى .

ماركس والماركسية :
وأما عن الماركسية فيقول : إن الماركسية تتسق مع نفسها نظرياً ، ولكنها لاتتسق مع نفسها بالضرورة فى الممارسة العملية ؟

الزواج :
يقدم المؤلف الزواج كنموذج للصراع بين الأفكار والواقع ، ففى حين يتطلب أصحاب الدين المجرد العفة المطلقة ، نجد المادية تسمح بالحرية الجنسية الكاملة . إلا أن كلًا من المذهبين واجهته المشاكل فى التطبيق ، فتحركا فى اتجاه « الزواج » كحل وسط .

من هنا جاء الزواج الإسلامى ، فوحد هذين النوعين من الزواج . فالزواج الإسلامى فيه صفة العقد ؛ لذلك يمكن حله ، فالطلاق مسموح به لأسباب تقتضيه ، والطلاق أبغض الحلال عند الله ، وهذا تفكير دينى وأخلاقى معا .

ومن هنا فالزواج الإسلامى يستهدف الإجابة عن مشكلة جوهرية : كيف يوفق الإنسان بين تطلعاته وأشواقه الروحية وبين حاجاته المادية ؟

الفصل الحادى عشر :
« الطريق الثالث » خارج الإسلام :

بعد أن قدم المؤلف الطريقين اللتين يسير فيهما الغرب ودلل على عدم صلاحية أى منهما للإنسان ، أشار إلى أن جزءًا من هذا العالم العربى يبحث عن طريق ثالث .. طريق وسط بين هذا وذاك .

يقول المؤلف :

« لقد بنت أوربا أفكارها الأساسية خلال المدرسة البدائية فى العصور الوسطى ، ورغم نضوجها فإن هذه الخبرات الطفولية ماتزال حية فى العقل الأوربى – سواء فى الدين أو فى غيره – وستظل أوربا تفكر فى إطار الاختيارات

النصرانية : إما مملكة الرب وإما مملكة الأرض .

.. ولكن يوجد جزء من العالم الغربى ــ بسبب موقعة الجغرافى التاريخى ــ بقى متحررا من التأثيرات المباشرة لنصرانية القرون الوسطى ، متحررا من العقد المستعصية لهذا العصر . هذا الجزء من العالم كان دائم البحث عن طريق ثالث ، وقد اهتدى إليه ، .. والدولة التى أعنيها هى إنجلترا وإلى حد ما أيضا العالم الأنجلوسكسونى بصفة عامة » .

ثم يوضح عدم فعالية هذه الطريق الثالثة ويناقش مابها من أفكار وتوجهات ، وينتهى إلى قوله : « جميع هذه الظواهر التى ناقشناها ذات دلالة على توجهاتها . ولكنها ليست إسلامية ولاتؤدى إلى الإسلام ؛ لأنها قسرية متكلفة وليست متسقة مع نفسها وقاصرة .

أما الإسلام ، فإنه يتضمن رفضا واعيا لِلْمُسَلَّمات الدينية والاشتراكية أحادية الجانب ، وينطوى على تسليم إرادى بمبدأ الثنائية . ومهما يكن فإن الأمر مارأيناه من تأرجح وانحرافات وتسويات قهرية ، إنما يمثل انتصارا للحياة والواقع الإنسانى على جميع الأيدولوجيات القاصرة على جانب واحد ، وهذا فى حد ذاته يعد انتصارا للمفهوم الإسلامى .

وبعد ، فالكتاب يعد موسوعة صغيرة ، بما احتواه من أفكار وما حُشِد فيه من آراء لكثير من مفكرى الغرب .

وعلى قدر ما بالكتاب من آراء الغربيين بقدر ما نجد به من ردود وملاحظات وتأملات من المؤلف تتسم بنور الهداية وجلال الإيمان . والكتاب بحق إضافة حقيقية لهذا الرجل إلى المكتبة الإسلامية العربية ، وإن كنا قد تجاوزنا عما جاء بالكتاب وليس من كلام المؤلف إلا أن لنا ملاحظة هى بالقطع لا تضاف إلى المؤلف بل إلى مترجم الكتاب الذى استخدم الاختصار (ص) بعد ذكر النبى محمد ﷺ وكم كنا نأمل أن يكتب صيغة الصلاة على النبى كاملة غير مختصرة .

ويُنهى المؤلف كتابه بالتسليم لله ــ سبحانه وتعالى ــ ، فيقدم نظرة أخيرة هى فى مجملها تسبيح لله وتعظيم واعتراف بقدرة الله الخالق المدبر لهذا الكون واعتراف بأنه ــ سبحانه وتعالى ــ هو وحده العليم الخبير .

وإنه لمن المناسب أن نقدمها كاملة غير مختصرة . يقول :

« للطبيعة حتمية تحكُمها ، وللإنسان قَدَرُه » . والتسليم بهذا القدر هو الفكرة النهائية العليا للإسلام .

فهل القدر موجود .. وأى شكل يتخذ ؟ دعنا ننظر فى حياتنا لنرى ماذا تبقى من خططنا العزيزة على أنفسنا وما بقى من أحلام شبابنا ؟ ألم نأت إلى هذا العالم بلا حول لنا ولا قوة فى ذلك ، ثم واجهنا تركيبتنا الشخصية ، ومنحنا قدرا من الذكاء قل أو كثر ، وملامح جذابة أو منفرة وتركيبة بدنية رياضية أو قزمية ، ونشأنا فى قصر ملك أو كوخ شحاذ ، فى أوقات عصيبة أو زمن سلام ، تحت سلطان طاغية جبار أو أمير نبيل ، وفى ظروف جغرافية وتاريخية لم يتم استشارتنا بشأنها ؟ كم هى محدودة تلك التى نسميها إرادتنا .. وكم هو هائل وغير محدود قدرنا !

لقد وضع الإنسان فى هذا العالم وقدر له أن يعتمد فى وجوده على كثير من الحقائق التى لا يملك عليها سلطانا . وتتأثر حياته بعوامل قريبة منه وعوامل أخرى نائية عنه أكثر مما يتخيل . فى أثناء اقتحام الحلفاء لأوروبا سنة ١٩٤٤ م « خلال الحرب العالمية الثانية » حدث للحظات قليلة اضطراب شمل جميع الاتصالات اللاسلكية ،

وكان من الممكن أن يسبب هذا كارثة تقضى على العمليات العسكرية التى كانت قد بدأت تشق طريقها . ولم يعرف أحد سبب هذا الاضطراب إلا بعد عدة سنوات ، حيث عزى هذا الاضطراب إلى انفجار حدث فى مجموعة نجمية يطلق عليها مجموعة « أندروميدا » Andromeda ، علما بأن هذه المجموعة تبعد عن كوكبنا عدة ملايين من السنوات الضوئية . ويوجد على الأرض نوع من الزلازل الفاجعة يرجع إلى تغيرات معينة تحدث على سطح الشمس . وكلما نمت معرفتنا عن العالم تزايد إدراكنا بأننا لا يمكن أن نكون أسياد مصائرنا . حتى مع افتراض أعظم تقدم ممكن للعلم ، فإن مقدار ما سيكون تحت سيطرتنا من عوامل لا يساوى شيئا إذا قورن بالكم الهائل من العوامل الخارجة عن هذه السيطرة . إن حجم الإنسان لا يتناسب مع حجم هذا الكون الفسيح ، وعمر الإنسانية كلها ليس وحدة قياس لما يجرى فى هذا الكون من أحداث . وهذا هو سبب ما يعترى الإنسان من شعور دائم بالخطر ، وما ينعكس على نفسيته من حالات التشاؤم والتمرد واليأس واللامبالاة ، أو التسليم لله .

إن الإسلام يجتهد فى تنظيم هذا العالم عن طريق التنشئة والتعليم والقوانين التى شرعها ، وهذا هو مجاله المحدود أما مجاله الرحيب فهو التسليم لله .

إن العدالة الفردية لا يمكن أن تكون كافية فى إطار هذا الوجود المحدود . إننا قد نتبع جميع القواعد والتعاليم الإسلامية والتى من شأنها أن تمنحنا السعادة فى الدارين « الدنيا والآخرة » ، وقد نضيف إلى ذلك اتخاذ جميع الإجراءات الطبية والاجتماعية والأخلاقية ، بسبب التشابك الرهيب للأقدار والرغبات والحوادث ، فإننا سنظل نُصاب فى أجسامنا وفى نفوسنا بكثير من المعاناة . فما الذى يمكن أن يُعزّى أما فقدت ابنها الوحيد ؟! وأى سلوى ممكنة لرجل أصيب فى حادثة فأصبح قعيدا معوقا ؟!

لابد أن نكون على وعى بظروفنا الإنسانية ، فنحن منغمسون فى أوضاع معينة . وقد أستطيع أن أعمل على تغيير هذا الوضع ، ولكن تبقى هناك أوضاع لا تقبل بطبيعتها التغيير . قد تتخذ هذه الأوضاع أشكالا مختلفة وقد تنحجب عنا قوتها الغالبة ، ولكن تبقى أمامنا هذه الحقائق : إننى لا مفر من أن أموت ، ولابد أن أعانى ، وأن أناضل ، إننى ضحية الحظ ، إننى أتعثر دون رغبة منى فى مشاعر الذنب . هذه الظروف الأساسية فى حياة الانسان يُطلق عليها « الأوضاع الحدية » من المؤكد أن واجب الإنسان هو أن يبذل جهده لتحسين كل شىء فى هذا العالم بمقدروه أن يُحَسِّنَه . ومع ذلك ، فسيظل أطفال يموتون بطريقة مأساوية حتى فى أكثر المجتمعات

كمالا . والانسان على أحسن الفروض قد يستطيع أن يقلل من كم المعاناة فى هذا العالم . ومع ذلك سيبقى الظلم والألم مستمرين ، ومهما كانا محدودين ، فلن يتوقفا عن أن يكونا سببا للتجديف والانحراف .

التسليم لله أو التمرد ـ إجابتان مختلفتان للسؤال نفسه .

فى التسليم لله يوجد شيء من كل حكمة إنسانية فيما عدا واحدة : تلك هى التفاؤل السطحى ، فإن التسليم هو قصة المصير الإنسانى ولذا ، فإن التشاؤم نافذ إليه ؛ لأن كل مصير هو مصير تراجيدى مأساوى إذا نحن قمنا بتحليله الى أعمق أعماقه .

الاعتراف بالقدر ، استجابة مثيرة للقضية الانسانية الكبيرة التى تنطوى فى جوهرها على المعاناة التى لامردّ لها . إنه اعتراف بالحياة على ماهى عليه ، وقرار واع بالتحمل والصمود والتجمل بالصبر . وفى هذه النقطة يختلف الإسلام اختلافا حادا عن المثالية المصطنعة وعن الفلسفة الأوربية التفاؤلية وحكاياتها الساذجة عن « الأفضل من كل ماهو ممكن فى العالمين » . ذلك لأن التسليم لله هو ضوء يانع يخترق التشاؤم ويتجاوزه .

كنتيجة لاعتراف الإنسان بعجزه وشعوره بالخطر وعدم الأمن يجد ان التسليم لله فى حد ذاته قوة جديدة وطمأنينة جديدة . إن الإيمان بالله والإيمان بعنايته يمنحنا الشعور بالأمن الذى لا يمكن تعويضه بأى شيء آخر . ولا يعنى التسليم لله سلبية فى موقف الإنسان كما يظن كثير من الناس خاطئين . فى الحقيقة « كل السلالات البطولية كانوا من المؤمنين بالقدر » إن طاعة الله تستبعد طاعة البشر والخضوع لهم . إنها صلة جديدة بين الإنسان وبين الله ، ومن ثم بين الإنسان والإنسان .

إنها أيضا حرية يكسبها الإنسان بمواصلة الإيمان بقدره . والكدح والجهاد سمتان إنسانيتان معقولتان ، وفيهما يتحقق الاعتدال والصفاء إذا نحن آمنا بأن النتيجة النهائية ليست بأيدينا ، إنما علينا أن نسعى ونعمل ، أما الباقى فبين يدى الله .

فلكى ندرك حقيقة وضعنا فى هذا العالم يعنى أن نستسلم لله ، وأن نتنفس السلام ، وألا يحملنا الوهم على أن نبدد جهودنا فى الإحاطة بكل شيء والتغلب عليه . علينا أن نتقبل المكان والزمان اللذين أحاطا بميلادنا ، فالزمان والمكان قدر الله وإرادته . إن التسليم لله هو الطريقة الإنسانية الوحيدة للخروج من ظروف الحياة المأساوية التى لا حل لها ولا معنى .. إنه طريق للخروج بدون تمرد ولا قنوط ولا عدمية ولا انتحار . أنه شعور بطولى « لا شعور بطل » ، بل شعور إنسان عادى قام بأداء واجبه وتقبل قدره .

إن الإسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا نظامه ولا محرماته ولا من جهود النفس والبدن التى يطالب الإنسان بها ، وإنما من شيء يشمل هذا كله ويسمو عليه : من لحظة فارقة تنقدح فيها شرارة وعى باطنى .. من قوة النفس فى مواجهة محن الزمان .. من التهيؤ لاحتمال كل ما يأتى به الوجود .. من حقيقة التسليم لله إنه استسلام لله .. والاسم إسلام !

ولاية الشرطة فى الإسلام

دراسة فقهية وتطبيقية

تأليف العميد الدكتور / نمر بن محمد الحميدانى
تعليق الفريق / يحيى بن عبد الله المعلمى

عرفت العميد الدكتور نمر بن محمد الحميدانى منذ كان طالباً بكلية الشرطة ، وقد شهدت حفل تخرج دفعته فسمعت اسمه ينادى عليه عدة مرات فيدعى مرة لأخذ جائزة من الجوائز التى تقدمها الكلية للمتفوقين ثم ينادى اسمه بصفته أول دفعته .

ورأيته بعد الاحتفال فحييته وشددت على يده مهنئاً ومباركاً ومعبراً عن تطلعى إلى مستقبل باهر ينتظره ؛ آملًا أن يكون أحد رجال الأمن الذين يعتمد عليهم لما يتصف به من استيعاب ، وما يبدو عليه من سمات التدين والوقار .

واتصلت بعد ذلك معرفتى به فى أثناء العمل وفى خارج العمل ، إذ كنا نلتقى فى بعض الزيارات فكنت ، كلما رأيته ازددت اعجاباً بثقافته وحبه للمعرفة وسعيه للمزيد من استقاء العلوم وبخاصة العلوم الشرعية ومزجها بعلوم الشرطة ، ووجدت فيه صورة الضابط الفقيه الذى كنت أتمنى أن يكون جميع رجال الأمن منهم ، وقد عملت على تحقيق ذلك باتصالى بعميد كلية الشريعة وأساتذتها الكرام للتعاون على حض الخريجين على الالتحاق بكلية الشرطة والتنسيق مع الكلية بعقد دورة خاصة فى زمن قصير (ستة أشهر) لتخريج ضباط يحملون شهادة كلية الشريعة ، فيمتزج العلم بالعمل والفقه بالتجربة .

والكتاب الذى نتكلم عنه هو رسالته العلمية التى قدمها إلى المعهد العالى للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تكملة لمتطلبات شهادة الدكتوراه فى (السياسة الشرعية) ويقع

فى حوالى ٥٩٠ صفحة مشتملاً على فهرس للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة والآثار الواردة فيه ، وفهرس للأعلام وبيان بأهم المصادر والمراجع التى رجع إليها المؤلف ، وفهرساً بالموضوعات التى تناولها الكتاب .

وينقسم الكتاب إلى مقدمة وأربعة أبواب :

الباب الأول : نظرة تاريخية للشرطة ، ويشتمل على ثلاثة فصول :

- **الفصل الأول** : وفيه بحثان : الأول عن الشرطة عند بعض الأمم القديمة وبه مطلبان : أحدهما عن الشرطة عند قدماء المصريين ، والآخر عن الشرطة عند الرومان .

والآخر عن الشرطة فى جزيرة العرب وفيه مطلبان : الأول عن الشرطة فى ظل النظام البدوى ، والآخر عن الشرطة فى ظل نظام الحكومة .

- **الفصل الثانى** : الشرطة فى صدر الإسلام ، ويشتمل على تمهيد ، ثم مبحث عن الشرطة فى عهد النبى ﷺ وأعمالها فى العهد النبوى ، وآخر عن الشرطة فى عهد الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم .

- **الفصل الثالث** : عن الشرطة فى بعض العصور الإسلامية : العصر الأموى والعصر العباسى .

الباب الثانى : ويشتمل على مقدمة وثلاثة فصول :

- **الفصل الأول** : عن الشرطة وولاية الأمصار .

- **الفصل الثانى** : عن الشرطة وولاية القضاء .

- **الفصل الثالث** : عن الشرطة وولاية الحسبة .

الباب الثالث : ويشتمل على شروط رجل الشرطة وآدابه ، وينقسم إلى ثلاثة فصول :

- **الفصل الأول** : عن شروط رجل الشرطة .

- **الفصل الثانى** : عن آداب رجل الشرطة وهو أكبر الفصول فى الكتاب ، ويبين أن من آداب رجل الشرطة . الإخلاص ، ثم حسن الخلق ومنه : التواضع ، والرحمة ، والرفق ، وحسن التعامل والسلوك ، والحلم والأناة ، وصيانة اللسان ، والشجاعة ، وأداء الأمانة ، والطاعة ، والاهتمام بالمظهر ، والحزم .

وفى هذا الفصل أدخل المؤلف الاهتمام بالمظهر ضمن صفات حسن الخلق ، وهو لا يمكن أن يعد منها ؛ مع أنه ضرورى لرجل الأمن كما أنه تحدث عما سماه (فقه الطاعة) ، وقد أشار إلى أنه لا مكان لما يسمى (بالطاعة العمياء) فى الشريعة الإسلامية ، وإنما تأمر الشريعة بالطاعة المبصرة المميزة التى تفرق بين الحلال والحرام ، والمعروف والمنكر ، استناداً إلى الحديث الشريف الذى رواه البخارى وهو : **(لا طاعة فى معصية الله ، إنما الطاعة فى المعروف)** .

وقال المؤلف : إن الطاعة العمياء محرمة وممقوتة فى الإسلام ، وأهاب بالرؤساء أن يتفهموا هذا ولا يغتروا بعلو مكانتهم ، وجلال أمرهم ظناً منهم

أن أمرهم مقدس لا يقبل النقاش أو الأخذ والرد .

وما ذهب إليه حق تؤيده الأدلة الفعلية والعقلية ، ولكن ينبغى أن لا يكون ذريعة إلى التخاذل والتردد فى تنفيذ الأوامر التى يصدرها الرؤساء ، لا سيما إذا كان الآمر معروفاً بالتعقل والرزانة وحسن التصرف والالتزام بالأنظمة المرعية والقواعد الشرعية ، ولم يكن أمره صادراً عن نزوة طيش ، أو جموح غضب .

الباب الرابع : ويشتمل على وظائف الشرطة وسلطاتها وفيه فصلان :

- **الفصل الأول** : عن سلطات الشرطة وعن وظائف الشرطة فى منع الجريمة وتقسيمها إلى وظائف رئيسية هى : استتباب الأمن ، ومنع الفساد فى الأرض بمنع وقوع الجريمة وقمعها ، ووظائف فرعية هى : الوظيفة القضائية ، ووظيفة تنفيذ العقوبة .

ويرى المؤلف أن الوظيفة القضائية للشرطة لا تقتصر على دعاوى التهم والجرائم ، وإنما تشتمل الدعاوى المتعلقة بعقود البيع والقرض والرهن والضمان والصداق ودية الخطأ وغيره مما يسمى بالدعاوى المدنية .

وتحدث المؤلف عن وظائف متنوعة للشرطة منها :

قيام صاحب الشرطة بالنيابة عن الوالى فى إقامة الصلاة وتحديد شئون الإقليم ، وإصدار البطاقات الشخصية والجوازات ، وإطفاء الحرائق وأعمال الإنقاذ ، والكشف عن القنابل والمفرقعات وإبطال مفعولها ، ومراقبة بيع المتفجرات ، وتنظيم أعمال المرور فى الطرق وإصدار رخص السائقين والمركبات ، ومراقبة الجواسيس والمنفيين أهل الشر والفساد ، وتحقيق السكينة العامة للمواطنين والإسهام فى المحافظة على الصحة العامة ، وحفظ البصمات وتنظيمها ، وتقديم خدمات الاستعلامات عن مواقع الشرطة والأمن العام ، ومساعدة المتعطلين فى الطرق .

ومع أهمية الوظائف المتنوعة وتعدد أنواعها وأشكالها فإن حظها من عناية المؤلف كان قليلًا إذ أجملها كلها فى أقل من ثلاث صفحات من كتابه الضخم ، كما أنه لم يتحدث عن الوظيفة الاجتماعية للشرطة .

- **الفصل الثانى** : من هذا الباب وفيه يتحدث المؤلف عن سلطات الشرطة فى المحافظة على الدين والأفراد والنظام العام والأمن العام ، ولكنه أوجز القول فى ذلك بما لا يزيد على ثمان صفحات .

وبعد :

فهذا الكتاب يعد دراسة فقهية كما سماه مؤلفه لجانب كبير من أعمال الشرطة فى العصر الحاضر ، وسجلًا لبعض تاريخ الشرطة فى الإسلام وهو جهد مشكور يستحق ما ناله مؤلفه من تقدير علمى ويستحق أن يكون بين يدى كل مهتم بالأمن والفقه ودور الشرطة فى خدمة المجتمع الإسلامى .

فجزى الله المؤلف خيراً على ما دونه فى كتابه النفيس ونفع به .

والله الموفق .

الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية

من عصر الدويلات الإسلامية إلى مشارف العصر الحديث

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

استمرت فترة العصر العباسى لمدة زادت على خمسة قرون من الزمان ، حفلت بالأحداث الجسام ، من تقلبات سياسية ، وتغيرات اجتماعية ، انعكس تأثيرها على الحياة الأدبية ، بصفة خاصة ، عبر القرون الخمسة ، فى شتى أنحاء الأمة العربية .

ويذهب بعض المؤرخين[1] إلى تقسيم العصر العباسى إلى عصور أربعة :

أولها : يبدأ من ظهور الدولة العباسية ، إلى أول عهد خلافة المتوكل (١٣٢ هـ ـ ٢٣٢ هـ) .

وثانيها : يبدأ من عهد المتوكل ، إلى تولى البويهيين الفُرس حكم البلاد بالسلطة الفعلية (٢٣٢ هـ ـ ٣٣٤ هـ) .

وثالثها : يبدأ من حكم البويهيين حتى استيلاء السلاجقة الأتراك على بغداد (٣٣٤ هـ ـ ٤٤٧ هـ) .

---

(١) انظر كتاب (الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى) للدكتور محمد كامل الفقى ص ٤ .

ورابعها : يبدأ من قيام دولة السلاجقة إلى سقوط بغداد فى أيدى التتار (٤٤٧ هـ ـ ٦٥٦ هـ) .

★ ★ ★

بينما يذهب باحث آخر[٢] إلى تقسيم العصر العباسى إلى ثلاثة عصور :

أولها : من قيام الدولة العباسية ، إلى استيلاء بنى بويه على بغداد (١٣٢ هـ ـ ٣٣٤ هـ) .

وثانيها : من تولى البويهيين السلطة الفعلية إلى استيلاء السلاجقة على الحكم (٣٣٤ هـ ـ ٤٤٧ هـ) .

وثالثها : من حكم السلاجقة إلى اجتياح التتار لبغداد (٤٤٧ هـ ـ ٦٥٦ هـ) .

★ ★ ★

ويذهب باحث ثالث[٣] إلى جعل العصر العباسى عصرين اثنين فقط « تقليلا للأقسام من جهة ، ومن جهة أخرى ؛ لأن المؤثرات التى تعترى الأمم ، وتعطى فى النهاية حصادا متنوع السمات والخصائص ، لابد لها من زمن تستقر فيه بذورها فى أعماق الأمة ، وتتفاعل معها ، لتستوى بعد ذلك على سوقها » .

فيكون العصر الأول عصر نشوء الدولة االعباسية المُوَحَّدة ـ ويُعدُّ العصر الذهبى الذى بلغت فيه اللغة شأوها ، شعراً ونثراً ـ (من ١٣٢ هـ ـ إلى ٣٣٤ هـ) .

ويكون العصر الثانى هو عصر الدويلات الكثيرة ، بعد انفراط عقد الخلافة الإسلامية ، والانقسام السياسى الذى أصبح طابعاً عاماً : (من ٣٣٤ هـ ـ ٦٥٦ هـ) .

وصفوة القول أن الخلافة العباسية بدأ الضعف يدب فى أوصالها (٣٢٣ هـ ـ ٣٥٨ هـ) فأصبحت فارس فى يد ابن بويه ، والموصل و « ديار بكر » فى أيدى بنى حمدان[٤] ، وسوريا وقسم من جزيرة العرب فى يد القرامطة ، والأندلس فى يد عبدالرحمن الأموى ، وأفريقيا الشمالية فى يد الفاطميين . ولم يبق فى يد الخليفة العباسى (الراضى بالله) سوى بغداد وما والاها ..

★ ★ ★

---

(٢) انظر كتاب (الأدب العربى وتاريخه) للدكتور محمود مصطفى جـ٢ ص ١٤ ـ ١٨ .

(٣) انظر كتاب (ملامح الحياة الأدبية فى عصر الدويلات الإسلامية) الذى استوعب هذه التقسيمات : للدكتور جلال صابر حجارى ط ١٤٠٧ هـ ص ٤ .

(٤) تم لسيف الدولة الحمدانى فتح (حلب) بمؤازرة أخيه ووطد بها مُلكا كبيرا وسلطانا عظيما . (انظر كتاب ملامح الحياة الأدبية فى عصر الدويلات الإسلامية) للدكتور جلال صابر حجازى ط ١٩٨٧ ص ٢١٦ .

وبعد سقوط الدولة العباسية سنة ٦٥٦ هـ على يد التتار ، بدأ (العصر الإسلامى الوسيط) ، فى الظهور ، بقيام عصر المماليك ، فالعصر العثمانى ، إلى بداية عصر النهضة الحديثة ، الذى يؤرخونه بالحملة الفرنسية على مصر سنة ١٢١٣ هـ(٥) .

وإنما يعنينا هذا السرد التاريخى الذى لابد منه ، للوقوف على تطور دراستنا عن (مسيرة الوحدة الموضوعية فى أدبنا العربى) ، عَبْرَ عصوره المختلفة .

وإن لجأ الشعراء إبان (العصر الإسلامى الوسيط) إلى الإفْراط فى استخدام المحسنات البديعية فى محاولة منهم للإجادة ، وذاك أمر ـ من قضيتنا : الوحدة الموضوعية ـ على جانب ليس من صميم قضيتنا وإن كانت له أهمية يعلل لها (العقاد) باعتبارها ظاهرة بارزة ، بقوله فى تقديمه للجزء الأول من ديوان المازنى :

« تمر على صفحة الزمن عصور خالية ، لا تسمع لها حِسًّا ، ولا تختلج العين من جانبها بِقبس ، ويكاد يكون الفلَكُ قد قذف بها من جوفه مَيِّتة ، فهى من لَحْدها فى مهد ، ومن مهدها فى لحد » .

إلى أن يقول بُحسْن إدْراكٍ وتبصُّر :

« هذه عصور لا ترى لِأَحَدِها ملامحَ ينحاز بها عما قبله ، أو ما بعده ؛ وهى عصور الغَفْلة التى تعْقُب إدْبارَ الدول ، تنعدم فيها ملكة الابتكار ، وينشر التقليد رُواقَه على كل مُزاولات الحياة ، فلا ترى عالماً ولا أديباً ولا حاكماً ، ولا تاجراً ولا صانعاً ، إلا وهو : مُقلِّدٌ فى عمله » .

ونعود إلى قضيتنا فنقول :

إن الظلام لم يضرب أطْنابه تماماً على شعراء هذا العصر ، فمنهم من أُبَتْ موهبته إلا أن تبدو ظاهرة متألقة ـ رغم ما يحيط بها من مؤثرات ومثبطات ـ وظفر شعر الوحدة الموضوعية من قرائحهم ونبوغهم بحصاد وفير ..

مثال ذلك قصيدة الوزير جمال الدين يحيى بن مطروح الشهيرة ، التى يصف فيها انتصار الجيش المصرى على الصليبيين ، بعد واقعة (فارسكور) التى أُسر فيها ملكهم لويس التاسع مع بعض الأمراء .. يقول ابن مطروح مخاطباً الملك لويس(٦) :

قُل للفرنسيس إذا جِئْتَه ... مقال نُصْح من قؤول فصيح :
آجَرَكَ الله على ما جرى ... من قَبْلِ عُبَّاد يسوع المسيح
أتَيْتَ مصرَ تبتغى مُلْكها ... تحسب أن الزَّمْرَ يا طَبْلُ ريح
فساقك الحينُ إلى أدْهم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أوْدعتهم ... بِحُسْنِ تدبيرك ـ بَطْنَ الضريح !

(٥) انظر مقدمة كتاب (الكوثر العذب) للدكتور محمد السعدى فرهود ط ١ ـ ١٩٧٦ (٦) النجوم الزاهرة لأبى المحاسن جـ ٦ ص ٣٧١ .

خمسون ألفـــاً لا يُرى منهمـــو	إلا قتيـــــل أو أسير أو جريح
قل لهم ـ إن أضْمَـــــروا عودةً	لأخــذ ثأرٍ [أو] لنقْـدٍ صحيـــح :
دار ابـــــن لقمـــان على حالها	والقيــدُ باقٍ .. والطــواشى صبيـــح !

كما نظفر لدى معاصره (البهاء زهير) بقصائد الوحدة الموضوعية ، كتلك التى يقول فيها :

١ ـ على لسان مُؤَذِّن :

ألا يا أيها النـــــــــا	ئِمُ إنَّ الصُّبْـــحَ قد أصبـــــحْ
وهـــــذا الشرق قد أعْـــــ	ـلَــنَ بالنُّـــور وقـــد صرَّح :
أَلَـــمْ يُوقِـــظْك مَنْ ذَكَّــــ	ــرَ باللهِ ، ومَـــن سبَّـــح
فمـــا بال دواعـــــيك	إلى الخيرات لا تجنـــــــح
إذا حرَّكك الذِّكْـــــــــ	ــرُ تثاقَـــلْتَ ولم تبْـــرح
أضَعْتَ العُمْـــر خُسْرانـــا	فبـــاللهِ .. متـــى تربـــح ؟
لقـــد أفْلـــحَ مَنْ فيـــهِ	يقـــول الله : (قد أفْلَـــح[٧]

٢ ـ وقوله على لسان صديق بغدادى ـ مُداعباً ـ (وكان هذا الصديق قد جاء إلى مصر للتجارة ، إلا أنه لم يوفق فى تجارته ونفد جميع ما معه) :

دخـــلْتُ مِصْـــرَ غنيـــاً	ولـــــيس حالى بخافى
عشرون حِمْـــل حريــــرٍ	ومثـــــل ذاك نصافى
وجُمْلـــــةٌ من لآلٍ	وجَوْهـــــرٍ شفَّـــاف
ولى ممالـــــيك خوُدٍ	من المِـــلاح النظـــاف
.. فرُحْتُ أبسط كفِّـــــى	وبالجزيـــــل أُكافى
وصرت أجمع شملى	بسالـــــف .. وسُلافِ
ولا أزال أُوَاخِـــــى	ولا أزال أصُـــافى
وصار لى حُرفـــــاء	كانـــــوا تمام حرافى
وكل يوم خُوانٌ	من الجِــــدْى والخراف
فبِـــغْتُ كُلَّ ثمـــينٍ	معــــى من الأَصْنـــاف
أستهلك البيـــعَ حتـــى	طرَّاحَتِـــى ولِحـــافى
صرفْتُ ذاك جميعـــاً	بمصر قبـــــل انْصرافى

(٧) يعنى قوله تعالى فى سورة (المؤمنون) : قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشعون .

وصــــرتُ فيهـــا فقـــيراً | مِن ثروتى وعفــــــافى
وذا خرُوجِـــــــــــىَ منها : | (جَيْعــانَ) عُرْيــانَ حافِــى !

وكذلك قول أبى الحسين الجزَّار المصرى فى وصف داره الآيلة للسقوط :

ودار خراب بها قد نزلْتُ | ولكــن نزلتُ .. إلى السابعــه[8]
طريــق من الطُّــرْقِ مسلوكــة | محَّــجتها فى الــورى شاسعــه
فلا فرق ما بين أنِّــى أكــون | بها .. أو أكــون على القارعــه[9]
تساورهـــا هفــوات النســيم | فتُصغــى بلا أُذن سامعــه
وأخشى بها أن أُقيم الصلاةَ | فتسجــد حيطــانها الراكعــه !
إذا ما قرأت (إذا زُلــــزلت) | خشيت بأنْ تقــرأ : (الواقعــة)[10] !

★ ★ ★

وحينما خيم ظلام العصر العثمانى الكثيف على مصر طوال الفترة من عام ٩٢٣ هـ ـ ١٢١٣ هـ ، ظل الأزهر الشريف ـ وحده ـ مركز الثقافة الإسلامية ، والمنارة العالية المتبقية فى تدريس العلوم الدينية واللغوية ، وأصبح بمثابة الحصن الحصين للغة العربية ـ وخاصة وقد أصبحت اللغة التركية هى لغة البلاد الرسمية ، بعد أن فرضها العثمانيون فرضا على المصريين ..

وشاء الله ـ تعالى ـ أن ينبثق فجر عصر الإحياء الأدبى فى مصر ، بأحد أبناء الأزهر الشريف الثقات ، وهو السيد/حسين المرصفى (١٨١٥ ـ ١٨٩٠م) الذى حفظ القرآن الكريم ، وتعلم فى الأزهر ، وأحاط بعلومه المختلفة ، وبرع فى علوم اللغة العربية وآدابها ، وعرف (منطق أرسطو) وفلسفته من خلال الملخصات التى كانت تدرس حينذاك فى الأزهر . وكان شخصيَّةً متفتحة ، كما كان مرهف الحس شديد الطموح ، فتعلم ـ وهو المكفوف ـ اللغة الفرنسية ، قراءة وكتابة فى مدرسة العميان ، على طريقة « بريل »[11] وقد تتلمذ على كتابه (الوسيلة الأدبية) العديد من رُوَّاد النهضة الأدبية فى مصر ، سواء مَنْ أقام هذه النهضة على أساس بعث التراث العربى القديم ، والرجوع إليه ، بدلا من الزخرفة الخاوية ، التى آل إليها الأدب العربى فى عصوره الأخيرة[12] أو من كان يرى أن يقيم الشعر على أسس غربية ويقول البارودى عن أستاذه المرصفى :

---

(٨) لعله يعنى أنه هوى إلى (سابع أرض) ! كما يقولون !

(٩) قارعة الطريق ..

(١٠) خزانة الأدب لابن حجة الحموى ص ٢٥١ .

(١١) انظر كتاب (روضة المدارس) للأستاذ محمد عبدالغنى حسن والدكتور عبدالعزيز الدسوقى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ ص ٣٥٢ .

(١٢) انظر كتاب (النقد والنقاد المعاصرون) للدكتور محمد مندور ط دار نهضة مصر للطبع والنشر سنة ١٩٨١ ص ١٠ ـ ١١ .

بَلوْتُ ضروب الناس طرا ، فلم أجد ... سوى المرصفىِّ الحَبرْ فى الناس كاملُ
همام أرانى الدهــــــر فى طىِّ بُرْدَةٍ ... وفقَّهنــى حتــى اتَّقــانى الأماثـــل

وقد التفت المرصفى فى الجزء الثانى من (الوسيلة الأدبية)[١٣] ـ قبل العقاد بنصف قرن تقريباً ـ إلى الوحدة الموضوعية فى القصيدة العربية ، بقوله فى معرض الموازنة بين قصيدة لأبى نواس ، وأخرى معارضةٍ لها للبارودى : « انظر ـ هداك الله ـ لأبيات هذه القصيدة ، فأفردها بيتاً بيتاً ، تجد ظروف جواهر أُفردتْ كل جوهرة لنفاستها بظرف ، ثم اجْمَعْها وانظر جمال السياق وحُسْن النسق ، فإنك لا تجد بيتاً يصح أن يقدم أو يُؤَخَّر ، ولا بيتين يمكن أن يكون بينهما ثالث ، وأُكِلُك إلى سلامة ذوقك وعُلُوِّ همتك ، إن كنت من أهل الرغبة فى الاستكمال ، لتتبُّع هذه الطريقة المُثلى » .

ويبدو أن البارودى قد أفاد من هذا الكلام ، والتفت ـ بصورة ما ـ إلى (الوحدة الموضوعية) حينما قال فى مقدمة ديوانه عن الشعر الجيد : « وخير الكلام ما ائْتلفتْ ألفاظه ، وائتلفت معانيه ، وكان قريب المأخذ ، بعيد المرمى ، بريئاً من وصمة التكلف ، بريئاً من عسرة التعسف ، غنياً عن مراجعة الفكرة » .

ونستطيع أن نعثر على الوحدة الموضوعية فى بعض قصائد البارودى ، مهما تعددت الأغراض فيها ـ حين تَنْساب من ذات نفسه ، لتصور ما مر به من أحداث وتجاريب ومحن ، وخاصة فى قصيدته (طيف سميرة) ـ ابنته ـ وقصيدته (وهو بسرنديب يتشوق إلى مصر ، ويرثى صديقيه : حسين المرصفى ، وعبدالله فكرى) التى يقول فيها :

أيـــن أيـــام لذَّتى وشبـــابى ... أتُراهـا تعـود بعـــد الذهـــاب ؟
ذاك عهـد مضى ، وأبْعَـدُ عنــى : ... أن يَرُدَّ الزمـانُ عهـد التصابى
فأديـــرا علـــىَّ ذكــــراه ، إنى ... منــذ فارقْتُـــه شديـــدُ المصاب
كل شىء يسلـــوه ذو اللـــبِّ إلا ... ماضِىَ اللهـو فى زمـان الشبـــاب
ليت شعرى ، متى أرى روضة المنيــ ... ـل ذات النخيـل والأعنـــاب
حيث تجرى السفين مستبقــــات ... فوق نهرٍ مثـــل اللــجين المذاب
قد أحـــاطت بشاطئيْـــه قصور ... مشرقـات يلُحْـن مثـل القبـــاب
مَلْــعبٌ تسرح النواظـــرُ منـــه ... بين أفنـــان جنـــة وشعـــاب
كلمـــا شافَـــه النسيـــمُ ثراهُ ... عاد مِنــهُ بنفحـــةٍ كالملاب
ذاك مرعـى أُنسِى وملـعب لهْـوى ... وَجَنَـى صبْـوتى ومغنـى صحـابى
لست أنساه ما حييـتُ ، وحـاشا ... أن ترانى لعهـــده غيـــرُ صابى

---

(١٣) ص ٤٧٠ .

ليس يرْعَى حقَّ الـوداد ، ولا يذْ ... كُرُ عهـدا .. إلا كريم النصاب
فلئن زال ، فاشتياق إليـه ... ـ مثل قولى ـ باقٍ على الأحقاب
يا نديمىَّ من « سرنديب » كُفَّا ... عن مَلامِى ، وخلِّيانى لما بى
كيف لا أندب الشباب ؛ وقد أصْـ ... ـبحت كهلا ، فى محنة واغتراب
أخلَقَ الشَّيْبُ جدَّتى ، وكسانى ... خلعةً منه رَثَّة الجلباب
ولوَى شَعَر حاجبىَّ على عَيْـ ... ـنَىَّ ، حتى أطَلَّ كالهُدَّابِ
لا أرى الشىءَ حين يسنح إلا ... كخيالٍ ، كأننى فى صباب
وإذا ما دُعيتُ ، حِرْتُ ، كأنى ... أسمع الصوت من وراء حجاب
كلما رُمْت نهضةً .. أقعدتْنى ... وَنْيَةٌ لا تُقِلُّها أعصابى
لم تَدَعْ صولةُ الحوادث منى ... غير أشلاءِ همةٍ فى ثياب
فجعتنى بوالدىَّ وأهلى ... ثم أنحتْ تكرُّ فى أترابى
كل يوم يزول عنى حبيبٌ ... يا لقلبى من فُرْقة الأحباب !
أين منى (حسين) بل أين (عبد ... الله) ؟ رب الكمال والآداب
مَضَيَا غير ذُكْرةٍ ، وبقاءُ الذكـ ... ـرِ فخرٌ يدوم للأعقاب
لم أجد منهما بديلا لنفسى ... غير حُزنى عليهما واكتئابى
قد لعمرى عرفتُ دهرى ، فأنكـ ... ـرتُ أموراً ما كنَّ لى فى حساب
وتجنَّبْتُ صُحْبَةَ الناس حتى ... كان عونا على التُّقاة اجتنابى
لا أُبالى بما يُقال وإنْ كنـ ... ـتُ مليئا بردِّ كلِّ جواب
.. قد كفانى بُعْدِى عن الناس أنى ... فى أمانٍ من غَيْبة المُغتاب
فَلْيقُل حاسدى علىَّ كما شا ... ءَ ، فسَمْعِى عن الخنا فى احتجاب
ليس يخفَى علىَّ شىءٌ ، ولكنْ ... أتغابَى ، والحزم إلْفُ التغابى
وكفى بالمشيب وَهْوَ أخو الحزْ ... مِ دليلا على طريق الصواب
إنما المرء صورةٌ ، سوف تَبْلَى ... وانتهاءُ العُمْران بدءُ الخراب(١٤)

ولا يخفى تآلف أجزاء هذه القصيدة وتسلسل معانيها بتداع حر منساب برِيْث ، إذ يأخذ كل معنى فيها بحجز المعنى الذى يُفْضى إليه ، بتدفق أشبه بفيْض موْجات البحر الزاخر ، موجة فى إثْر أخرى ، دون توقف أو تعثر متصل بعضها ببعض بلا فاصل ؛ لامتلاء نَفْس الشاعر بما يقوله ، أو ما لابُدَّ له من قوله ، لينفِّس عما يعتمل فى أعماقه .

(١٤) انظر (ديوان البارودى) جـ ١ ص ٤٨ ـ ٥١ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم : د . محمد عبد الحكيم محمد

فضـــل الإخــــلاص

الإخلاص كلمة تدل فى أصل معناها على التنقية والتصفية والتهذيب ، والإخلاص فى العبادة : جعلها لله وحده خالصة لوجهه ـ تعالى ـ دون سواه ، وترك الغش والخيانة فيها ، والإخلاص فى العمل هو أداؤه متقنا بأمانة وصدق ، مع مراقبة للحق أثناء العمل ، فإن لم يكن العبد يرى ربه فإن ربه يراه . يقول تعالى .

﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ .

وقد تلقت المجلة بهذا الشأن رسالة ـ إيمان عبد الوهاب سالم ـ الطالبة المثالية بمعهد فتيات طنطا .

لقد تحدث القران عن الإخلاص حديثاً يوحى بجلاله وجماله وعظيم شأنه ، كما يوحى بأن المتحلى بصفة الإخلاص يكون فى مقام الصدق مع الحق والخلق ، وتصبح شخصيته مكرمة ممجدة ، ويأمر الحق ـ جل وعلا ـ نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يتمثل فيه الإخلاص الكامل ؛ ليكون على الدوام المثل الأعلى والقدوة الحسنة لكل عامل مخلص فيقول :

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين﴾ . (الزمر ـ ٢)

ثم يأمر عباده بعد هذا بأن ينهجوا منهج رسولهم ويسيروا على هديه حتى يكونوا صادقين فى اتباعه فيقول لهم :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ .

(آل عمران ـ ٣١)

وبعد ذلك ينتقل القرآن الكريم من الأمر بالإخلاص والحض عليه إلى عرض صور رائعة من أعمال المخلصين ، فمثلا يحدثنا عن المخلصين فى اتفاقهم ومعاونتهم لغيرهم وابتغائهم بذلك وجه ربهم لا للشهرة والسمعة ، فيقول عن عباده الأخيار :

﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا﴾ .

(سورة الإنسان ـ ٩)

ويصف ـ سبحانه ـ الصالح من عباده بأنه :

﴿ الذى يؤتى ماله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ .

(سورة الليل ـ ٢١)

وفى الصور التى يقدمها القرآن للإخلاص نجد عماد هذا الإخلاص هو ربط الأسباب بموجدها ـ جل جلاله ـ وهو الإيمان بربوبيته ، ووحدانيته وشامل قدرته ومتى صح هذا الإيمان فى قلب المؤمن وعقله ونفسه ؛ فقد صار عليه رقيب لا يغفل ، واستقام طريقه فلا ينحرف ، لأن من راقب ربه خاف ذنبه ومن أيقن بوحدانيته ـ عز وجل ـ صار عزيزا كريما لا يذل ولا يخدع ، وما دام الصدق بوحدانية الله هو عماد الإخلاص فلا عجب إذن أن تأتى فى القرآن سورة جليلة معجزة موجزة تسمى باسم سورة الإخلاص . وهى قوله تعالى :

﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد﴾ .

● **ردود خاصة باشتراكات المجلة :**

على كل من يرغب فى الاشتراك الشهرى بمجلة الأزهر ، مراسلة « إدارة الاشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء بالقاهرة » لتحديد بداية العدد المطلوب ، ومدة الاشتراك ، علماً بأن أسعار الاشتراكات عن سنة كاملة « ١٢ » عدد ، تكون على النحو التالى :

ـ ٩ جنيهات داخل جمهورية مصر العربية .

ـ ٥٠ دولار داخل دول اتحاد البريد العربى .

ـ ٧٥ دولار خارج دول اتحاد البريد العربى .

بأقلام القراء

كشـــمير ...
والأقليـــات المسلمـــة

فى كشمير ملحمة جهاد جديدة .. وانتفاضة شعب مسلم فى وجه قوة باغية متجبرة .. إنها وقفة شعب أعزل فى وجه الاستعمار الهندوسى الذى راح يعيث فى أرض كشمير فسادا ، ويهلك الحرث والنسل .

ولكنه الإيمان الذى تنزوى إلى جواره كل الأسلحة . لقد قدم هذا الشعب الضعيف الفقير الآلاف من الشهداء والجرحى وأيضا عشرات الآلاف من السجناء ، ومعظمهم من الشباب والصبية .

لقد أصبح من الأمور المألوفة أن يشاهد الباكستانيون جثث إخوانهم من مسلمى كشمير القتلى الطافية فوق مياه الأنهار ، والقادمة من كشمير ، وما هى فى الحقيقة إلا رسالة يومية ترسلها الهند إلى المسلـمين .. فمـاذا هم فاعلون ؟ .

إن جراح المسلمين متعددة ليس فى كشمير فقط ، إنما لدى كثير من الأقليات الإسلامية ، وعلى المسلمين فى سائر أنحاء الأرض المسارعة إلى نجدة إخوانهم المعرضين للفنـاء ، إن الأمم الإسلامية تؤلف اليوم فى المجتمع الدولى كتلة كبرى لها أهميتها وخطرها وتأثيرها إذا ما نسقت خططها ، ومن ثم عليها أن تتذرع بنفوذها الأدبى والدولى ، وأن تبذل كل ما تستطيع من الوسائل لرفع الاضطهاد والظلم عن هذه الأقليات .

محمود السباعى عبدالله ـ المثلث بالسويس

أنـــــواع النفـــــاق

١ ـ نفاق الكفر : وهو أن يظهر الإنسان الإسلام ، ويستبطن الكفر مثل المنافقين الذين كانوا على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلنون تمسكهم بالإسلام وأحكامه ، وهم مصرون على الكفر فى باطنهم وقد فضحهم الله تعالى فى قوله سبحانه :

﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ .

سورة المنافقون ـ آية : ١

٢ ـ نفاق العمل : وهو أن يكون عمل الإنسان بخلاف قوله ، كأن يحدث فيكذب ويعاهد فيغدر ، ويخاصم فيفجر .

٣ ـ نفاق اجتماعى : وهو أن يصف الإنسان شخصا ذا رياسة أو جاهٍ بما ليس فيه ، كأن يمدحه بالكرم وهو بخيل ، أو بالشجاعة وهو جبان ، أو بالصلاح وهو فاسق ، أو بالسماحة وهو لئيم وهذه مداهنة ، وهى مذمومة شرعا وعرفا .

عماد ميزار عبدالعظيم جابر
محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام

الأزهـــــر الشـــريف

وتلكَ قصيدة من إبداع الشاعر / أحمد عبدالجواد ـ المدرس بمدرس الشواشنة الثانوية ، يبرز فيها دور الأزهر الشريف .

عطـر الأزاهـر فى ربـوع الأزهـر … حصن العلـوم وذى السراج الأنـور
سحـقت محافلـه ضلالات العـدا … ورمت بشهب الحق ليـل الكافـر
شهـد الزمـان أئمـة كانـوا له … تيجـان عـزٍ شامخ ومفاخـر
لم يخضعـوا الحق الجليـل لمطمـع … كلا ولا باعـوا القـرار لتاجـر
قادوا الشعـوب إلى المعـالى كلهـا … بالحق والعلـم الجلى الظاهـر
هذا هو الـدور المنـوط بأزهـر … سكـنت محبتـه فؤاد الشاعـر
والمسلـمين العـارفين بفضلـه … أبـدا فلا تعبـأ بقـول مكابـر
قومـوا إلى الـدور العـظيم وحققـوا … آمـال أمتكـم بعلـم باهـر
يعطيكمـو حَقَّ الريـادة إنما … تعطـى الريـادة للعـليم القـادر

ردود وتعليقات

● **القارىء / مجدى محمد السيد عنـان ـ بمدرسة العريش الثانوية بشمال سيناء :**

والقارىء / مهندس هشام محمود عبيه ـ رئيس فرع نقابة المهن الزراعية بدمياط :

نرجو أن تتاح لنا ـ مستقبلا ـ فرصة تزويدكم ببعض مطبوعات المجلة مجانا . لأن القدر المطبوع منها ـ حاليا ـ لا يفى بهذا الغرض ، ويمكن الاشتراك فى مجلة الأزهر ـ ولو بنسخة واحدة شهريا بمقر الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ـ إلى أن يتسنى لنا إجابة مطلبكم بإذن الله ـ تعالى ـ .

● **القارىء / محمد غريب شمس الدين ـ بمعهد رشيد الأزهرى :**

نقدر رجاءكم ـ وكثير من القراء ـ فى عودة باب « الإمام والخطيب » ، والحقيقة أننا عزفنا عن نشره حتى لا نتسبب فى تجميد عقل الخطيب وانغلاقه بحفظ خطبة بعينها ، ولأمر آخر له أهمية أولى ، كانت هى السبب عند فتح هذا الباب إذا كان المراد تقديم (الإسلام) فى واقعه العلمى الذى يبين أثر الإسلام التطبيقى فى المجتمع المسلم كله ـ أو على حد تعبير طالب أمريكى توجه بهذا

السؤال إلى أحد العلماء المسلمين ، فقال له : ماذا أكسب عندما أصير مسلما .. ؟ .

إن الخطبة ينبغى أن تقدم للمسلمين منهج الإسلام لكى تتميز حياتهم به تقدما ورفعة ، وعلما وبصيرة .

● **القارىء / عصام مزيون ـ نجع مركب ـ ملوى ـ المنيا :**

نرحب بك صديقا دائما وفى انتظار رسائلك واستفساراتك .

● **القارىء / وليد محمد التطاوى ـ الطالب الأزهرى برشيد :**

اقتراحكم بتخصيص بابين ثابتين فى مجلة الأزهر ، أحدهما للسيرة النبوية ، والآخر للشخصيات الإسلامية كالصحابة والتابعين ؛ اقتراح له وجاهته وستدرسه إدارة المجلة . كما نضم صوتنا إليكم فى مناشدة القائمين فى الأزهر على إعادة طبع « التفسير الوسيط » ، مرة أخرى ، خدمة لمن لم يحالفهم حظ الحصول عليه .

● **القارىء / السيد السيد على خليل ـ الطالب بجامعة الأزهر ـ فرع الزقازيق :**

يمكنكم الاطلاع على هذه الوثيقة بمكتبة الأزهر أو تكليف من يقوم بتصويرها لكم .

●**وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى يتلقاها تباعاً ، ويحيط الباب قراءه الأعزاء علماً بأن مساحة الباب لها دخل مباشر فى اختصار الكلمات المنشورة .**

● **رجاء خاص بالسادة الكتّاب :**

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكُتّاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية ووظائفهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها ، وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ، ويحتفظوا بصورة منه ، حيث إن المجلة ليست ملزمة برده ، كما نرجو مراعاة حداثة الإنتاج ، وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الإنتاج مسندا إسنادا علميا ، بما فى ذلك تخريج ما ورد به من الأحاديث النبوية وبيان مواقع الآيات القرآنية ـ كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يفتتح المؤتمر الدولى للعمل الإسلامى

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ـ بمركز صالح كامل بجامعة الأزهر بالقاهرة ـ المؤتمر الدولى للعمل الإسلامى الذى نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع جامعة الأزهر فى الفترة من ١٦ ـ ١٨ أبريل ١٩٩٤ .

طالب فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته بضرورة التخصص فى العلوم الإسلامية لمن يتصدى للعمل الإسلامى ، والتوقف عن العصبية المذهبية ، والتقريب بين المناهج الدراسية فى الجامعات الإسلامية .

كما أكد فضيلته على ضرورة الكف عن تصدير المذهبية حتى يعلم المسلمون أن مصدر الإسلام هو القرآن والسنة وأن العلوم التى نشأت حولهما إنما تهدف إلى شرحهما ، وناشد فضيلته ـ فى ختام كلمته ـ الشعوب الإسلامية وحكامها أن يوحدوا كلمتهم ليكونوا كما وصفهم نبيهم ﷺ كالجسد الواحد .

ناقش المؤتمر على مدى ثلاثة أيام العديد من الأبحاث فى مجالات العمل الإسلامى وركائزه ومعوقاته وترشيده .

افتتاح أقسام الرعاية المركزة والتعقيم بمستشفى الحسين الجامعى

كذلك افتتح فضيلته وبصحبته الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء أقسام

الرعاية المركزة والتعقيم المركزى وتفتيت الحصوات بمستشفى الحسين الجامعى ، بلغت تكاليف الانشاءات (١٨) مليون جنيه منحة من وزارة التعاون الدولى والموازنة العامة ووزارة الصحة .

أعلن الأستاذ الدكتور رئيس الوزراء أن تقديم المساعدات لتحسين الخدمات الطبية إنما يستهدف توفير العلاج الذى يحتاج إليه أى شخص فى أى وقت .

الإمام الأكبر يعود من سويسرا

عاد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر من سويسرا بعد رحلة علاج ، وكان فضيلته قد غادر القاهرة صباح يوم الأحد السادس من ذى القعدة ١٤١٤هـ الموافق ١٧ ابريل متوجها الى سويسرا لاستكمال علاجه .

وكان الرئيس محمد حسنى مبارك قد أمر بسفر فضيلته لاستكمال علاجه بعد العملية التى أجراها فى ركبته اليمنى فى جمادى الآخرة ـ ديسمبر الماضى بمستشفى مصر للطيران ، يرافق فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد ابراهيم حنفى استاذ ورئيس قسم الطب الطبيعى ، والدكتور رأفت حافظ أستاذ ورئيس قسم العظام بطب الأزهر .

ندعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يمن على فضيلته بالشفاء العاجل .

فضيلته يضع حجر الأساس لمعهد أزهرى بحلوان

قام فضيلته يرافقه الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف بوضع حجر الأساس لمعهد « العوضى » الأزهرى فى حلوان .

بلغت تكاليف إنشاء هذا المعهد (٧٠٠) ألف جنيه .

تبدأ الدراسة به فى العام القادم إن شاء الله .

بعثة الحج الأزهرية

أصدر فضيلة الإمام الأكبر القرار رقم ٢١٢ لسنة ١٩٩٤ بشأن بعثة الحج الأزهرية لهذا العام ١٤١٤ هـ ، وذلك للمشاركة فى توعية الحجاج والارشاد الدينى ، والإسهام فى نشاط بعثة الحج الرسمية لهذا العام تضمن القرار اختيار فضيلة الشيخ فؤاد محمد البرعى ـــ وكيل الوزارة لشئون التعليم بالإدارة المركزية للمعاهد الأزهرية ـــ رئيسا للبعثة . بلغ عدد أعضاء البعثة ثلاثين عضوا وقد تحددت المأمورية اعتبارا من تاريخ السفر لمدة لاتتجاوز ثلاثة أسابيع .

بدء الدورة التدريبية الخامسة والعشرين للدعاة الوافدين من العالم الإسلامى

صدر قرار فضيلة الامام الأكبر رقم ١٧٥ لسنة ١٩٩٤ بالموافقة على إقامة الدورة الخامسة والعشرين لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف لمدة ثلاثة أشهر تبدأ من (٩٤/٥/١ وتنتهى فى ٩٤/٧/٣١) ، وتجدر الإشارة إلى أن أعضاء الدورة من دول أوزباكستان ، وزائير ، وأندونيسيا ، وبنجلاديش وموسكو وليبيريا وجنوب أفريقيا ، هذا ويتحمل الأزهر الشريف نفقات الدراسة سفرا وإقامة وإعاشة .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد شير

اعتراف حكومة مصر رسميا بالمجلس الاسلامي العالمي للدعوة والاغاثة

اعترفت حكومة جمهورية مصر العربية رسميا بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة .

صدر بذلك القرار الجمهوري رقم ٢٩٣ لسنة ١٩٩٣ م بتاريخ ١٩٩٣/٧/٢٨ ثم عرض على مجلس الشعب فوافق على القرار بتاريخ ١٩٩٤/١/٨ وتم تصديق السيد رئيس الجمهورية على موافقة مجلس الشعب بتاريخ ١٩٩٤/١/١١ .

وقد عرض الموضوع في اجتماع هيئة الرئاسة العشرين بجدة في المدة من ٣٠ يناير إلى الأول من فبراير ١٩٩٤ ، وتجري الأمانة العامة اتصالاتها — حاليا — مع منظمة الأمم المتحدة للحصول على العضوية للمجلس كمنظمة عالمية دولية .

نتمنى للمجلس التوفيق والسداد في أداء رسالته .

قبرص

قامت منظمة العواصم والمدن الإسلامية بتقديم قرض حسن يبلغ نصف مليون دولار لتحسين وحماية منطقة « عرب أحمد » بالمدينة المسوّرة في « لَاكْفُوشَا » عاصمة القطاع المسلم من جزيرة قبرص . ويستخدم القرض المذكور في ترميم مبنى تاريخي في المدينة المسورة . وتُعد منطقة « عرب أحمد » من المناطق القليلة في المدينة المسوَّرة التي يلاحظ بها شكل الشارع وطابعه التاريخي والنسيج الحضاري والملامح المعمارية والبيئية التي تشكل المساحات والمباني . ويهدف مشروع الترميم إلى إعادة الحيوية وحماية الجزء التاريخي للمدينة المسوّرة كمنطقة جذب سكاني وسياحي .

المغـــرب

أعدت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب مشروعاً لبناء ٣٠٠٠ كُتَّاب جديد فى جميع أنحاء المملكة ، وذلك تشجيعاً على حفظ القرآن الكريم ، وَحَضًّا على قراءته وترتيله وتجويده وتلاوته . كما نظمت مؤسسة التعاون الوطنى هناك مسابقة فى حفظ وتلاوة القرآن الكريم . أجريت بين نزلاء الجمعيات الخيرية ومراكز التربية والتشغيل . ورصدت المؤسسة لحفظة القرآن جوائز سخية .

إصدار هام :

أصدرت «الإيسيسكو» كتاباً توثيقياً عن سياسة الاستيطان الصهيونى فى فلسطين خلال مائة عام وقدّم للكتاب الدكتور عبد العزيز التويجرى المدير العام للمنظمة المذكورة .

السـعودية

(ميـاه زمـزم)

قررت الخطوط الجوية السعودية منح كل راكب خلال موسم الحج الحالى عَبْوة مياه من ماء زمزم . هذا ومن المزمع إدخال مياه زمزم المباركة فى صالات السفر فى أثناء موسم الحج الحالى تلبية لرغبة مختلف الجاليات والمراكز الإسلامية .

مكة المكرمة

أهابت رابطة العالم الإسلامى بالمسلمين والمنظمات الإسلامية أن يتقيدوا بالرسم العثمانى للمصحف الشريف ووجوب التقيد ببقائه على ما هو عليه ليكون حجة خالدة تمنع تسرُب أى تغيير أو تحريف أو تبديل فى النص القرآنى .

الأردن

يُعقد فى بداية يوليو القادم بالأردن المخيم الكشفى الإسلامى الذى ينظمه مجلس المنظمات والجمعيات الإسلامية بالتعاون مع مكتب رابطة العالم الإسلامى بعمان ، ويشارك فيه (١٧٥) كشافاً من شتى أنحاء العالم الإسلامى حيث يتم تدريبهم على الاعتماد على النفس والقيادة السليمة ، وتزويدهم بالمهارات والخبرات فى عدد من المجالات الحيوية ، هذا بالإضافة إلى عقد الندوات الدينية والثقافية .

السـويد

يبدأ فى يونيو المقبل المعسكر الإسلامى لتدريب القيادات الشبابية الأوروبية المسلمة فى جنوب السويد تحت إشراف الرابطة الأوروبية للشباب الإسلامى . يأتى المعسكر فى إطار الأنشطة المتعددة للرابطة فى مجالات الدعوة الإسلامية .

ليبيا

لأول مرة أصدرت اللجنة الشعبية العامة فى الجماهيرية الليبية قراراً بإنشاء مجمع اللغة العربية فى ليبيا . ويتألف مجلس المجمع من عشرين عضواً منهم (١٥) عالماً ليبيا ، و(٥) من علماء العالم العربى .

سـوريا

احتفلت وزارة الأوقاف السورية فى ابريل الماضى بيوم الدعاة حيث كرمت القيادة السورية ٥٠ داعية وإماماً وخطيباً وذلك خلال الاحتفال الذى أقامته الوزارة بالعاصمة السورية دمشق .

"Omar avait l'habitude de faire une tournée pendant la nuit et parfois seul-pour veiller à la sécurité de Médine. Une nuit il entendit une femme qui de l'intérieur de sa maison disait : "cette nuit a trop duré, et elle n'est qu'obscurité, l'insomnie me ronge, car je n'ai pas de compagnon auprès duquel me délasser". Quand Omar entendit cela, il s'en inquiéta et se renseigna sur sa situation : on l'informa que son mari était parti depuis longtemps avec l'armée musulmane. Réoccupé par ce problème, il alla touver sa fille Hafsa, qui était l'une des veuves du prophète et lui demanda de lui dire, sans fausse pudeur, pendant combien de temps une femme pouvait supporter l'absence de son mari. Hafsa lui répondit pudiquement : "Trois ou quatre mois". ALors le calife "Omar prit la décision de rappeler les soldats auprès de leur famille tous les quatre mois.

Une autre nuit il sortit de la ville vers minuit quand il vit un feu. Il s'approcha du feu et il aperçut une femme en compagnie de deux ou trois enfants qui pleuraient. La femme était occupée à faire du feu sous un pot, et disait aux enfants : "ne pleurez pas; dormez jusqu'à ce que la nourriture soit prête, alors vous mangerez. Qu'Allah nous rende justice de "Omar, qui, lui, dort rassasié, alors que moi et mes enfants, nous souffrons de la faim".

En entendant ces paroles, Omar eut les larmes aux yeux. Il salua la femme et se renseigna sur sa situation, puis lui demanda ce qu'il y avait dans le pot. "Rien, dit-elle, que de l'eau, mais j'ai allumé le feu pour apaiser mes petits, pour qu'ils dorment jusqu'à demain matin". Alors "Omar s'éloigna, alla vite à la ville, acheta des provisions, emporta le tout sur ses épaules, se dirigea vers le camp de la femme et déposa la charge devant elle. Il encouragea la femme à faire la pâte et ne reprit le chemin du retour que lorsque la femme et ses enfants eurent mangé.

En matière de politique sociale, à l'égard des non-musulmans le calife Omar octroya aux vieux et aux nécessiteux d'entre eux une pension prélevée dans le Trésor public. Un jour comme Omar passait devant des gens, il vit un vieil homme aveugle qui mendiait; Omar s'approcha de lui, lui tapa sur l'épaule et lui demanda : "De quels gens du Livre fais-tu partie?" Le vieil homme répondit : "Je suis juif". Le calife Omar lui demanda : "qu'est-ce qui t'a poussé à la mendicité"? Le vieil homme répondit : "Je cherche à avoir de quoi payer l'impôt guizya car je suis vieux et dans le besoin." Alors le calife Omar ordonna au trésorier de prendre en charge cet homme ainsi que tous ceux qui pouvaient se trouver dans une situation analogue. Qu'Allah bénisse le calife Omar Ebn Al Khattab et le récompense pour son oeuvre. Il était véritablement un vrai père pour les musulmans.

Hoda Hussein Charaoui

La personnalité de "Omar Ibn Al Khattab

Quelques anecdotes concernant la personnalité de "Omar Ibn Al Khattab".

par Hoda Hussein Charaoui

Nombreux sont ceux qui se trompent sur la personnalité de "Omar" Ebn Al Khattab qu'Allah soit satisfait de lui-et n'ont gardé de lui que l'image d'un homme fort sévère et sans pitié. C'est vrai que Omar était ainsi envers les injustes; cependant l'homme était d'une indulgence remarquable plein de patience et de bonté.

On raconte qu'un aveugle se présenta auprès de "Omar Ebn Al Khattab pour se plaindre du mauvais caractère de son épouse. Devant la porte de celui-ci, il attendait qu'il sort, lorsqu'il entendit la femme de "Omar" crier après son mari, alors que Omar se taisait et ne répondait pas ! Alors l'homme s'en alla en disant : "Si telle est la vie de "Omar", lui qui est connu pour sa rudesse et sa sévérité et qui en plus, est le chef des croyants, alors que dire de mon cas !" à ce moment-là, Omar sortit et apercut l'homme qui s'éloignait de sa porte. Il l'appela et lui demanda ce qu'il voulait. L'ayant informé de sa plainte et de sa surprise du caractère de l'épouse de Omar ce dernier lui dit : "Mon frère, si je la supporte, c'est qu'elle a des droits sur moi : c'est elle qui prépare ma nourriture, qui fait mon pain, qui lave mes vêtements et qui allaite mes enfants... alors qu'elle n'est pas obligée de le faire ! Auprès d'elle mon coeur s'apaise et s'abstient de la fornication, c'est pour toutes ces raisons que je la supporte. L'homme dit alors : "c'est vrai ! c'est la même chose pour ma femme". Omar lui dit : "Alors supporte-la mon frère et la vie n'est qu'un court moment".

De plus, Omar insistait sur le bien qu'il y a à s'amuser avec les siens et à les chérir. Il était un très bon père de famille, plein de compassion envers ses enfants, et s'il était strict envers eux c'est parce qu'il mesurait l'ampleur de la responsabilité qu'il assumait et qu'il estimait que sa famille devait être la première à lui venir en aide, en s'offrant en bon exemple au reste de la communauté.

me répondra : Tu n'es pas au courant des invocations qu'ils ont introduites après ton départ". "Hadith rapporté par Ebn Magah".

Selon "Aïcha" que Allah soit satisfait d'elle), le Messager d'Allah (b.s.) a dit : «Il n'y a pas un jour meilleur que le jour de "Arafa", celui où Allah-qu'Il soit glorifié et magnifié-affranchira du Feu un plus grand nombre de Ses serviteurs-mâles ou femelles. Il se rapprochera d'eux en se glorifiant d'eux devant les Anges et dira : "Que désirent ceux-là?" Hadith rapporté par Al Nisaï".

L'invocation du Prophète (b.s.) en faveur de sa communauté, le jour de "Arafa", au cours du sermon fait le jour de la fête du Sacrifice "Id Al Adha"

Selon "Abdallah ebn Kinana ebn "Abbas ebn Mirdas Al Soulamy, son père lui a rapporté d'après le père de ce dernier que le prophète (b.s.) invoqua Allah pour sa communauté la veille du jour de "Arafah, et son invocation fut exaucée par cette réponse : «Je leur ai tous accordé Mon pardon, à l'exception de l'injuste, car Je prends de lui le droit de l'opprime. Le prophète (b.s.) dit alors : "Ô mon Seigneur, si Tu le veux, Tu accordes le Paradis à l'opprimé et Tu pardonnes à l'injuste"? Mais il ne reçut pas de réponse la veille de "Arafa. Le lendemain à l'aube, à Mozdalifa, il réitéra son invocation et elle fut exaucée. Alors le Messager d'Allah se mit à rire ou-suivant une variante-à **sourire. Alors "Abou Bakr" et "Omar" lui dirent : "Nous sacrifieront père et mère !** C'est là une heure où tu ne riais pas; qu'est-ce donc qui te fait rire? Qu'Allah te fasse toujours rire ! "Le Prophète leur expliqua : "C'est que l'ennemi d'Allah-qu'Il soit glorifié et magnifié — lorsqu'il apprit que mon Seigneur a exaucé ma prière et a pardonné à ma communauté, prit du sable et se mit à le verser sur sa tête en criant : "Ô malheur ! Ô désespoir ! "C'est sa rage qui m'a fait rire". Hadith rapporté par "Ebn Magah".

C'est ainsi que le prophète annonça à sa communauté qu'Allah, le jour de Arafa" exauce les invocations de ceux qui sont sincères et dont le repentir est vrai.

article par :
Dr. Rokeya Gabr

dieu à implorer, aucun créateur à craindre; il n'y a ni ministre à contacter ni chambellan à soudoyer.

Ô Toi, qui n'exauce les multiples prières qu'avec plus de générosité et de libéralités.

Ô Toi vers qui montent les multiples voix exprimant en divers langues les besoins des humains dont les larmes se mêlent aux invocations qu'ils T'adressent avec insistance.

Ma requête, Ô Seigneur, est d'obtenir l'absolution de mes péchés, Ta grâce et jamais plus Ta colère, d'être guidé sans m'égarer après cela, de posséder une science qui ne sera plus effacée par l'ignorance. Je Te demande, Ô Seigneur, un bon couronnement de ma vie, une préservation de l'Enfer, l'accès au Paradis, une pensée compâtissante de Toi dans les moments difficiles lorsque les habitants de ce monde m'oublieront, que mon corps sera enfoui sous terre, que ceux que j'aime m'auront délaissé et que j'aurai perdu toute attache avec cette vie Ô Majestueux ! Ô Dispensateur par excellence, Ô le plus Miséricordieux des miséricordieux !

Ô Allah, je t'implore de me mettre sur le Droit Chemin, de m'accorder piété, chasteté et richesse.

Ô Allah ! A Toi la louange telle que nous la faisons, et mieux encore.

Ô Allah, je sollicite Ton approbation et le Paradis. Je cherche auprès de Toi un refuge contre Ton courroux et l'Enfer, et contre toute parole ou tout acte qui pourrait m'y conduire.

Ô Allah ! Fais que mon Hadj soit bien agréé, que mes fautes soient pardonnées, que mes actions soient vertueuses et agréées.

Ô Allah ! accorde-nous un bienfait dans ce monde, un bienfait dans celui de l'au-delà et préserve-nous du supplice de l'Enfer.

Ô Allah ! fais que mes derniers jours soient les meilleurs que mes dernières actions soient les plus louables, et que le meilleur de mes jours soit celui où je Te rencontrerai".

Les invocations du Prophète (b.s.) le jour de "Arafâte"

Abdallah ebn Mass'oud (qu'Allah soit satisfait de lui) a rapporté que le Messager d'Allah (b.s.) étant à Arafat sur chamelle a demandé : "Savez-vous quel jour est celui-ci? Quel mois est celui-ci? Quel pays est celui-ci? C'est un pays sacré, un mois sacré et un jour sacré, répondirent-ils-Eh bien, reprit-il, votre fortune et votre sang doivent vous être aussi sacrés que ce mois-ci, dans ce pays-ci, en ce jour-ci. Eh bien ! je vous devancerai au Bassin et je me rejouirai de votre multitude devant les autres communautés, ne me discréditez donc pas. Je sauverai quelques-uns (par mon intercession), mais d'autres y échapperont. Alors je m'écrierai : "Ô mon Seigneur ! Et mes compagnons? et Allah

«La station de "Arafâte"

par Dr. Rokeya Gabr

Arafah (au singulier) ou "Arafâte" (au pluriel) est la vallée située à 21 kilomètres à l'Est de la Mecque. La colline de granit est appelée "Djabal Arafah", connue également sous le nom de "Djabal Al Rahma" (Mont de la Miséricorde).

On accède à cette vallée, située à l'extérieur du "Haram", en venant de "Minâ" et "Mouzdalifa". Le territoire de "Arafate" commence à partir de la mosquée" Namira". Tous les pélerins doivent y stationner le 9 du mois de Dzoul Hiddjah. Ce jour est considéré comme le fondement même du grand pélerinage ou "Id Al Adha". Ce jour-là Allah montre fièrement aux habitants du ciel les humains qui viennent des quatre coins de la terre solliciter Sa grâce. Le prophète (b.s.) a dit : "nul jour ne voit autant d'hommes affranchis de l'Enfer, que celui de "Arafah".

Les invocations à prononcer le jour de "Arafah

Ces invocations sont récitées après les prières de midi (Al Dzohr) et de l'après-midi (Al Asr) et jusqu'au moment de quitter "Arafate" (peu après le coucher du soleil) :

"Il n'y a point d'autre dieu qu'Allah, l'Unique. Il n'a point d'associé. Toute la souveraineté est à Lui et toutes les louanges Lui sont destinées. C'est Lui qui donne la vie et impose la mort. Il est le Vivant et l'Immortel. Il détient tout le bien entre Ses mains. Il est Omnipotent". Seigneur, nous sommes venus vers Toi et nous avons campé dans Ta cour. Nous avons mis en Toi notre espoir et c'est Toi qui possèdes ce que nous sollicitions. Nous venons implorer Ta générosité, aspirer à Toi miséricorde et exprimer notre effroi de Ton châtiment en nous rendant en pélerinage à Ta Maison Sacrée. Ô Toi qui détiens ce dont les implorateurs ont besoin. Tu connais ce que les silencieux cachent au fond de leur coeur. En dehors de Toi, il n'y a aucun autre seigneur à invoquer, aucun

REVUE
AL AZHAR

Vol. 66, Part XII
Zil Hijah, 1414 Hijrah

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

He sometimes entitles his work The Glorious Kuran or The Meaning of the Glorions Kuran. In either case, he over emphasis the semantic accuracy and the translation of the lexical meaning of words. Arberry, on the other hand, prefers to entitle his work The Koran Interpreted, conceding with the ancient doctrive that the Qur'an is untranslatable. Khatib, however, choses the title The Bounteous Koran, which is a literal translation of the Arabic title of the Quran.

Regarding the translations rendered by Pickthall, Y. Ali and Asad we find that their emphasis on the semantic accuracy and the translation of the lexical meaning of words has often led them to neglect the contextual meaning of words as well as the communicative value of the original text. Arberry's translation however, derives its merit from the success ont he semantic and more important on the communicative level. Regarding Khatib's translation, we find that in most cases he aptly conveys the meaning and the words and in some instances the communicative effect as well.

As to the rhythmic qualities of the original, none of the translators, save Arberry, attempts to reproduce the literary and communicative effect of the original. Arberry sacrifices the original division of the verses which is not acceptable. Similarly, Y. Ali's division of Surah Maryam" into sections which discord with the original is agains unacceptable.

One of the merits of the translations of Pickthall, Arberry and Khatib is their brevity of expression and abscence of redundancy. For while they avoided adding inter pretative sentencess or phrases in the translated text, Y. Ali and Asad frequently use brackets and add explanatory phrases and sentences which affect the flow of the discourse and interrupt the Target language reader.

Regarding the style used in each translation, we find that Asad and Khatib are more reader oriented. They use modern style to suit the reader. Pickthall, however, is rather text oriented; he uses archaic and absolescent language to reflect the antiquity of the source text. Arberry though also uses archaic language, he has avoided the Biblical style favoured by some of his predecessors, on the other hand, Y. Ali uses in his translation a mixture of styles and registers which affect the communicative effect of the text as a whole.

Translation Difficulties and the Translators compared

By Mona Abdel Ghaffar Salem M.A.

Concise Expression

The Arabs regard the language of the Quran as the perfect model of stylistic and literary excellence. The Quranic language is distinct from all other modes of writing and it is easily recognizable. What distinguisres this language is mainly the choice of words and concise expression. The brevity of the Quranic expression is achieved through the utilization of subtle grammatical devices such as intricate syntax and ellipsis. The use of elliptical sturctures in the Quran are among the most effective. Their power lies in the deletion of certain grammatical items, leaving the meaning intact. Most translators have felt the need to supply the terms which the original deletes. This added information is usually presented in italics or between brackets, a method which may disrupt the flow of the discourse, but it is sometimes needed to clarify the meaning. In the following verse, for instance: 19 : 2

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ

Five nouns are interlinked by genitive and accusative relations to produce a succinct expression. Such succinctress cannot be transferred in English without change in structure. The following are among the briefest literal translations. The lexical items, "unto" or "to" are added to clarify the meaning :

Pickthall : A mention of the mercy of thy lord unto His servant Zachariah.

Arbery : Then mention of thy lord's mercy unto His servant Zachariah.

Khatib : A mention of your lord's mercy to his servant Zachariah.

To conclude here, I find it relevant to quote Arberry (1953 : 24) who aptly states that : the rhetoric and rhythm of the Arabic of the Koran are so characteristic, so powerful, so highly emotive, that any version what sover is bound in the nature of things to be but a poor copy of the glittering splendour of the original.

THE TRANSLATORS COMPARED

To begin with, we find that each translator selected a different title for his translations. Pickthall concentrating on the "meaning" of the Qur'an, enititles his work the Meaning of the Glorious Koran — Sinilar to Pickthall, Asad is also concerned with the "message" of the Quran where he attempts to render an idiomatic explanatory translation of the Quran. He thus entitles his translation The Message of the Quran. Regarding Y. Ali, we find that the title of his translation varies from one edition to another.

Ancient obligation

The Qur'an states that the Prophet Abraham was commanded to proclaim piigrimage to mankind who, by Allah's will, would respond to the Divine call and make their journeys from every direction to Mecca by various means of transportation. There, they would perform the rites of pilgrimage, practise prayer, feed the poor and pay their vows :

> **"When we prepared for Abraham the site of the Sacred House, we said : Worship none beside me. Keep my house clean for those who circumambulate the Ka'bah, who stand to pray, and who bow and prostrate themselves.**
>
> **Proclaim to mankind the performance of pilgrimage. They will come to you on foot and the backs of the swift camels from every distant place : They will come to avail themselves of many a benefit and to pronounce on the appointed days the name of Allah over the neasts of cattle that he bestowed upon them. Then let the pilgrims spruce themselves, pay their vows and circumambulate the Ancient House.**

After the revelation of the Latest Message of Islam, the rites of pilgrimage which comprised the present rules and regulations, were instituted in the seventh year after Hijrah. When Mecca was opened to Muslims in the following year, Muhammad headed to the Ka'bah and circumambulated it, pointing to the idols and declaring :

"Truth has been fulfilled and falsehood has gone."

As commanded by the Prophet, all the idols that had been placed in the Ka'bah for worship or otherwise have been immediately broken to pieces. Thus the Ka'bah was purified again for the worship of Allah in both prayer and pilgrimage.

Pilgrimage is, therefore, a faithful response to the Divine Call of Allah proclaimed by Abraham, the father of the prophets and by Muhammad the Latest of the Prophets. Peace be upon them.

Pilgrimage is an annual form of congregational worship in which those Muslims who are able to make the trip assemble from all over the world at Mecca, the home of revelation to the Prophet Muhammad, peace be upon him.

It is a public worship expressing the full equality among the Muslims gathering together from all the corners of the world with a common objective — all performing the same actions, all seeking to gain Allah's favours and forgiveness.

At Mecca, and in particular, at Mount Arafat, all pilgrims stand on equal footing, be they poor or rich, rulers or ordinary people, scholars or labourers. There, all of them, wearing similar white, seamless robes and shorn of class distinctions, assemble on one ground which inspires them with a strong sense of unity.

There, their views are unified and their resolution is strengthened to work cooperatively for the fulfilment of the good of all mankind.

On Mount Arafat all distinctions of nationality, dress and languages disappear. All pilgrims look dishevelled to the extent that you cannot distinguish one from the other. It is not a normal life with a normal routine. All nationalities are one, all dresses are one and all languages are one. Their nationality is Islam, their dress is the Ihram their language is Arabic. On "Arafat" all cry in Arabic, fluently or otherwise :

"Labbayka Allahumma labbayk. Labbayka laa Sharika laka labbayk."

THE OBJECTIVE OF PILGRIMAGE

BY : MOHAMMAD HIGAB

Pilgrimage, as one of the Five fundamental principles of Islam, is an ancient physical and external worship of Allah. The meaning of pilgrimage in Arabic is Hajj i.e. to set out towards a definite objective. In Islamic Law, Hajj means to set out for the Ka'bah, the sacred House in Mecca, and fulfil the pilgrimage rites.

The story of the Ka'bah goes back to the time of Abraham and his son Ismael. Mecca, in which the Ka'bah is situated, is one of the most renowned towns in the world, both in ancient and modern times. Islamic tradition ascribes its foundation to the Prophet Abraham and his son Ismael.

The tradition goes that Abraham placed his baby son, Ismael, together with his mother, Hajar, in the valley where Mecca now lies. It was then an isolated place. He left with them some dates and some water, and although this action was according to Divine instructions, he prayed to Allah that He might give them company and provide for them in that barren land.

By that time, Sarah, Abraham's senior wife, had not begotten any children, but subsequently, she gave birth to Abraham's second son, Isaac.

The well of Zamzam

Hajar and Ismael lived on dates and water for some days, but when the water was finished, Hajar began to search for water in the surrounding area, climbing up and down the hills of Safa and Marwah. When she failed to find water, she came back. To her surprise she noticed the water springing underneath the feet of her own son. The water sprang from a well that later became known as Zamzam.

The Sacrifice

From time to time, Abraham travelled and visited his son, Ismael and his mother, Hajar. During one of these visits Abraham dreamt that he was commanded to sacrifice his own son, Ismael. When the dream was repeated, Abraham believed that it was a true command. Abraham, in spite of his parental sentiments, was about to slaughter his son when the revelation came commanding him to offer a sheep instead, The Qur'an refers to the story of Sacrifice in Surah "Al-Safaat" (37) verses (99-113).

Such a sacrifice is a remarkable example of strong faith in Allah. It shows that Allah never deals unjustly with people, but He may put their faith to the test, and he who proves to have a pure faith becomes an object of Allah's mercy and guidance.

The hastening between the hills of Safa and Marwah carried out by Hajar, Ismael's mother, when she was searching for water for her son, and the sacrifice of Ismael that had been ransomed with a noble sacrifice have since become included among the rites of pilgrimage.

So it is permitted in Islam that a Moslem (individual or group) join any of the political parties that enjoy a legal status in the country of his residence and to be able to run as a candidate in municipal or parliamentary assembles. It is permitted to all Moslems in any country to go to the polls, aligned or not to a political party, to help fulfill the interests of Moslems, protect it truely and honestly. Moslems in south Africa — and other countries — are to follow these legal avenues, within the framework of the laws of these lands to have a vote that protects their intersts. They can on the other hand, join one party or another as they will vote so long as that is of interest to their homelands provided this does not harm Islam, its creed and Sharia.

If a Moslem is a member of a municipal or a parliamentary assembly, he should not approve a matter that is against the Islamic creed or against the interests of Moslems. He should not approve a matter that is forbidden in Islam or against the Islamic creed.

He should be a model Moslem in his straightforwardness fulfilling his obligations and committments as Allah has ordered in the holy Quran — this is a reason of success in these tasks.

Hopefully there are Moslems in south Africa and other countries that will nurture their future generations, that they would raise their children on Islam, learn spoken and written Arabic, read, memorize and comprehend parts of the Quran, fulfill their duties and obligations — this can only be realized through attention to education, as a major responsibility.

Moslems — in south Africa — or other countries should reach agreement on joining one or more parties, so that their votes bear their weight in preserving there interests, Following the words of Allah

﴿١٠٣﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا
وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا
وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا
حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

103. And hold fast,
All together, by the Rope
Which Allah (stretches out
For you), and be not divided
Among yourselves;
And remember with gratitude
Allah's favour on you;
For ye were enemies
And He joined your hearts
In love, so that by His Grace,
Ye became brethren;
And ye were on the brink
Of the Pit of Fire,
And He saved you from it.
Thus doth Allah make
His Signs clear to you:
That ye may be guided.

And following the words of Allah in (*Al Anfāl*)

﴿٤٦﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟
فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ
وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ

46. And obey Allah and His
Messenger;
And fall into no disputes,
Lest ye lose heart
And your power depart;
And be patient and persevering:
For Allah is with those
Who patiently persevere.

This proves the permissibility of dealing in other worldly matters between Moslems and non Moslems, without cousing Harm to Islam, or Moslems and Sharia.

The rules referred to in these verses complement with the preceding verses from(*Al Mumtaḥinah*) which would read as : that it is Halal to deal, cooperate contract with christians and jews in matters of common living — it is Halal to marry their women, eat their food, as indicated in the quranic verses (*Al Mā'idah*), to do business, industry and other deals in issues of life. Legal exchanges and renewable profits are permitted by these verses from (*Al Mumtaḥinah* *Al Mā'idah*)

We add to that the practical implementation of what the prophet did — concluding an alignment and committment — after migrating to medina "Yatherb" between Moslems from "Qoraysh" tribe and the people of Yathreb.

The second article stipulates that they are all "one "Umma" (nation), and after counting Ansari Moslem tribes, up to item 23, He, in item 24, stipulates, that jews share spending with fidels so long as they fight together. Article 25 stipulates that the jews belonging to the tribe of beni ouf constitute an "Umma" with fidels, "Jews have their religion, and Moslems have theirs". Then the accord counted the rest of the jewish tribes, included in the accord together with their dependents. Article 37 stipulates that Moslems and jews, each has his expenses, and that they share victory, over those who fight partners to this accord. They also share advice, help, without indulging into sin.

The accord includes 47 items, that organize rules, committments, support between the contracting parties.

Accordingly :

As living with non Moslems, and in their countries, requires preserving the rights of Moslems, and because political and adminstrative systems vary, being different from one countey to another, and because these systems as a whole are not permament or stable, meaning that they are Liable to Change, so they would be included within the framework of dealings that are not detailed restrictions stated in the holy Quran or sunna but are referred to in a general way as indicated in the verses.

If political parties however have emerged in modern times to compete and attain government in most countries, so are societies and other cooperative institutions, syndicates, that serve social, groups or political ends, all of which reflect the general and private interests of its groups within the framework of the state.

If this is the case, a Moslem or more than one may join any of the recognized parties by the state even if it is secular or christian provided it does not prejudice against the Islamic creed or the basic interests of Moslems, as referred to in surat (*Al Mumtaḥinah*) as follows :

8 Allah forbids you not, With regard to those who Fight you not for (your) Faith Nor drive you out Of your homes, From dealing kindly and justly With them: For Allah loveth Those who are just.	﴿٨﴾ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

9. Allah only forbids you,
With regard to those who
Fight you for (your) Faith,
And drive you out,
Of your homes, and support
(Others) in driving you out,
From turning to them
(For friendship and protection).
It is such as turn to them
(In these circumstances),
That do wrong.

(٩) إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ
ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ
وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ
وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ

These verses have indicated, the permissibility of coliving with non Moslems in one homeland. cooperation, with them is permitted providid they do not attack Moslems in their religious practices or homelands. As in the last verse, the prohibition of extending solace to non Moslems or mixing with them would only occur if they fight Moslems or drive them out of their homelands or help aggression against them.

Allah has permitted as in the fifth verse of "Surat Al Maeda" matrimony with christian or jewish women, eating their food (buying — donating — hospitality) and in general exchanging food with them except for those kinds forbidden for Moslems.

5. This day are (all) things
Good and pure made lawful
Unto you. The food
Of the People of the Book
Is lawful unto you
And yours is lawful
Unto them.
(Lawful unto you in marriage)
Are (not only) chaste women
Who are believers, but
Chaste women among
The People of the Book,
Revealed before your time —
When ye give them
Their due dowers, and desire
Chastity, not lewdness,

Nor secret intrigues.
If anyone rejects faith,
Fruitless is his work,
And in the Hereafter
He will be in the ranks
Of those who have lost
(All spiritual good).

(٥) ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ
وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ
وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ
وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ
مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ

وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ
وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ
وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ

This aya has permitted Moslem men to marry christian and jewish women :

To have a family, raise children extend kinship, even if the non Moslem women do not change their original religions.

SHARIA'S POSITION AS TO PARTICIPATION IN ELECTION IN SOUTH AFRICA

by : His Eminece Grand Imam Jad El Haq Ali Jad El Haq.
Translated by : His excellency Ambassador Nabil Muhammad Badr.

The office of the grand Imam Sheikh Al Azhar has received from Mr. Ismail Kala, deputy of the Islamic conference of south Africa a letter which included :

What is Sharia's position as to : participation in the coming elections? does it permit participation in secular, political, and democratic councils?

The Answer

Verses from the Quran[(1)]

5 "Our Lord! Make us not
A (test and) trial
For the Unbelievers,
But forgive us, our Lord!
For Thou are the Exalted
In Might, the Wise."

(٥) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا
إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

6. There was indeed in them
An excellent example for you
To follow—for those
Whose hope is in Allah
And in the Last Day.
But if any turn away,
Truly Allah is Free of all
Wants, Worthy of all Praise.

(٦) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

7. It may be that Allah
Will grant love (and friendship)
Between you and those whom
Ye (now) hold as enemies.
For Allah has power
(Over all things); And Allah is
Oft-Forgiving, Most Merciful.

(٧) عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً
وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

8 Allah forbids you not,
With regard to those who
Fight you not for (your) Faith
Nor drive you out
Of your homes,
From dealing kindly and justly
With them: For Allah loveth
Those who are just.

(٨) لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ
الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ
وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ
أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ

(1) The Meaning of the Holy Qur'an by : A. Yusuf Ali

AL AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Vol. 66 Part XII
Zil Hijah, 1414 Higrah — May 1994

EDITOR : Dr Trandil Hussein El Rakhawy Ph.D.

Contents

1. Sharia's position as to participation in election in South Africa. Translated by : His Excellency Ambassador Nabil Muhammad Badr

2. The objective of pilgrimage
by : Muhammad Higab.

Translation Difficulties
by : Mona Abdel Ghaffar Salem.

"Nothing would be of greater benefit to Muslims and to Humanity than educated and committed Muslims who are conscious of and faithful to the high ideals of Islam".

الفهـــرس السنـــوى

للمجلــد السادس والستيـن

١٤١٤هـ ١٩٩٤م

« إعـــداد »

الشيخ : أبى القاسم عبد الكريم عبد الموجود

والأستاذ : عبد السلام إبراهيم ناصف

حــرف الألـف

		الصفحة
إبراهيم الدسوقى	ـ الرحمن على العرش استوى ، وآراء العلماء فى المتشابه ..	٢٨
(الشيخ)		١٨٩
إبراهيم سليمان عيسى	ـ الأسرار بين الحفظ والإفشاء وموقف الشريعة الإسلامية .	٣٦٣
(الدكتور)		٨٥٢
إبراهيم عوضين	ـ نعم يا أستاذ عشماوى .. حتى لا تكون فتنة	٥٢٣
(الدكتور)	ـ حول فوائد البنوك وحكم الدين بعيداً عن التعصب والمراء	١٠٣٠
	ـ نعم يا دكتور زكريا	١٨٣٥
إبراهيم عيسى	ـ الطائر الظمآن (قصيدة)	١٠٤٩
(الشاعر)	ـ ذبيح الشوق (قصيدة)	١٢٠٢
	ـ ليالينا (قصيدة)	١٦٩٥
	ـ عاشق بالباب (قصيدة)	٨٦٨
	ـ رحلة الإنسان (قصيدة)	١٥١٦
أبو اليسر الوزير	ـ صراع المعادلات .. الجميلات والجمال (قصيدة)	٧٠٧
(الدكتور)		
أحمد بن محمد طاحون	الله أكبر خير من الدنيا وما فيها	٢١١
(الشيخ)	ـ الحلف لا يكون إلا بالله	٨٣٥
	ـ من سورة البقرة .. لكل أمر باب	١٦٣٩
	ـ ومَا يُبدِى الباطل ومَا يُعيد	١٧٩٥
أحمد الشنوانى	ـ حوار مع فضيلة الإمام الأكبر	٤٩٣
(الأستاذ)		

أحمد رجائى عبد الحميد	ـ السقوط المهبلى وسقوط الرحم	٢٥٣
(الدكتور)	ـ الحمل والولادة	١٠٦٧
	ـ الولادة الطبيعية	١٢١٤
أحمد رجب محمد على	ـ مآذن مصر الإسلامية	٩٧
(الأستاذ)		
أحمد عبد الله أحمد العبلينى	الخلاف الفقهى بين الأساليب اللغوية والنظائر الأصولية ...	٣٥٤
(الشيخ)		٥١٢
		٦٥٢
أحمد عمر هاشم	ـ وسطية الإسلام	١٠١٦
(الدكتور)	ـ القرآن فى مجال التربية الأخلاقية	١٦٤٣
أحمد فهمى خطاب	ـ الحج هجرة إلى الله	١٨٥٦
(الشاعر)		
أحمد فؤاد باشا	ـ من مآثر المسلمين فى العلوم الهندسية	٨٤
(الدكتور)	ـ الهندسة الوراثية والأخلاق	٢٤٨
		٣٩٩
	ـ أبو الريحان البيرونى ومآثره فى العلوم الكونية	٥٦٤
	ـ العلوم الكونية بين الأصالة والمعاصرة	٧٣٤
	ـ رسائل الإنسان إلى الكوكب الأحمر	٨٨٧
	ـ العربية لغة العلوم والتقنية	١٠٦٢
	ـ الأسس المنهجية لتعريف العلوم الكونية	١٢١٠
	ـ قراءة إسلامية فى كتاب الكون	١٣٧٢
	ـ التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى	١٥٢٢
	١٧١٠ ـ ١٨٦٢	
أحمد مصطفى حافظ	ـ مدى تلازم الوحدة الموضوعية مع القصيدة العربية	١٠٤
(الأستاذ)		٢٧٣
	ـ القصيدة العربية والوحدة الموضوعية	٤٣٣
		٥٩٢
	ـ الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية فى عصر صدر الإسلام	٧٥٩
	٩٢١ ـ ١٠٩٢	

ـ مسيرة الوحدة الموضوعية فى العصرين : الأموى والعباسى : الأول والثانى والعصر الأندلسى «أربع مقالات» ١٢٣٩

١٤٠١ ـ ١٥٦٥ ـ ١٧٣٨ ـ ١٧٩٥

أحمد محمود أبو زيد (الأستاذ) ـ المؤمن والنخلة ٨٢٤

أحمد محمود مبارك (الشاعر) ـ لفحات من نار البوسنه (قصيدة) ١٠٥٠

أسامة كامل الخريبى (الأستاذ) ـ لله الأمر (قصيدة) ١٥١٨

ـ لله الأمر (قصيدة) ١٦٩٤

إسمت غنيم (الدكتورة) ـ المرأة فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى ٤٢٩

ـ نظرة المجتمع الغربى للمرأة ٤٣٢

٥٢٧ ـ ٦٨٨ ـ ١٠٧٤

البسيونى قنعان سليمان (الشاعر) ـ يا إلهى (قصيدة) ٢٣٩

السيد الصديق حافظ (الشاعر) ـ حديث مع ديدات (قصيدة) ٧١٢

ـ رمضان ربيع الروح (قصيدة) ١٣٦٤

السيد تقى الدين السيد (الدكتور) النظرة الأدبية فى ضوء القرآن الكريم ١٢٨

السيد خلف محمد (المستشار) ـ المخدرات بين التحريم والتجريم فى الشريعة الإسلامية والقانون المصرى ١٤٧٨

١٦٥٩

السيد عبد المقصود عسكر (الشيخ) ـ الحل الإسلامى لمواجهة العنف وإقرار السلام ٢١٤

ـ إدارة الإعلام الدينى فى مؤتمر عام ١٤٢٣

ـ الإسلام والتأثير الروحى ١٨٤٧

انشراح الشال (الدكتورة) ـ مشكلات مسلمى آسيا الصغرى الحل .. فى الأقمار الصناعية ٦٦٤

ـ صور التقاط برامج التليفزيون عبر الأقمار الصناعية ٧٣٨

حـــرف التـاء

تمام مخلوف (الشاعر) ـ صرخة معلم (قصيدة) ٨٧١

توفيق محمد شاهين (الدكتور) ـ حروف العربية بين التوزيع التوظيف عند ابن القيم ١١٨

حـــرف الجيم

جاد الحق على جاد الحق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

ـ دروس فى ذكرى الهجرة ٦

ـ عيد الأضحى يوم بر وعطاء ووفاء ١٢

ـ فتوى فى شأن أطفال النساء المغتصبات فى البوسنه والهرسك ١٦

ـ بين فضيلة الإمام الأكبر ورئيس مجلس إدارة دار التحرير . ٢١

ـ حوار مع الإمام الأكبر حول قضايا الساعة ١٦٤

ـ فتوى فى جناية قتل ١٧٢

ـ فتوى فى ملاحظات سلوكيات فئة تتصدى للدعوة إلى الله ١٧٦

ـ رسالة الإمام الأكبر إلى السيد رئيس مجلس الشعب (ما سمى بكتب التنوير لم تعرض على الأزهر) ١٨٢

ـ فى ذكرى مولد الرسول ﷺ أمانة الكلمة ومسئوليتها من سمات الإسلام ٣٢٥

ـ فتوى فى بيان بعض أحكام المضاربة وفى حكم التعامل بالفائدة مع بعض البنوك وحكم التعامل مع البنوك الإسلامية ٣٣٠

ـ فتوى فى أحكام الذبح فى الإسلام ٣٣٤

ـ إقامة المسجد شكر وحسن ذكر ٤٥٥

ـ كلمة الإمام الأكبر فى احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف ٤٨٨

ـ كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى مؤتمر العطاء الحضارى للإسلام ٤٩٢

ـ فتوى فى حكم زواج الحامل من زنا بمن زنا بها أو غيره ، وحكم الدخول بها ٥٠٠

ـ أدب الاختلاف فى الإسلام ٦٢٨

ـ فتوى فيما يقدمه غير المسلم لصديقه المسلم بعد وفاته من صلة ، وهل يؤجر على ذلك ؟ ٦٣٨

	ـ رسالة الإمام الأكبر إلى مؤتمر برلمان أديان العالم	٨٠٨
	ـ كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى حفل افتتاح الدورة الثالثة والعشرين لتدريب الأئمة والوعاظ	٨١٥
	ـ فتوى فى تحويل مقبرة قديمة إلى حديقة	٨١٧
	ـ فى ذكرى الإسراء والمعراج	٩٧٢
	ـ فتوى بشأن العمل بشركات الطيران التى تقدم الخمور ..	٩٧٥
	ـ احتجاج الإمام الأكبر على فيلم هندى يسىء إلى الإسلام	٩٧٧
	ـ هدفان من الإسراء والمعراج	١١٣٢
	ـ ليلة النصف من شعبان	١١٣٤
	ـ الصيام وآثاره	١٢٨٤
	ـ فتوى فى حكم اختلاط الخنثى المشكل بالرجال والنساء .	١٢٨٨
	ـ جوائز الصوم فى يوم عيد الفطر	١٤٤٤
	ـ فتوى فى حكم زواج الدرزى من مسلمة	١٤٥٠
	ـ القرآن فى مجال التربية الأخلاقية	١٦١٨
	ـ فتوى فى حكم صرف الزكاة أو جزء منها إلى الأجير الخاص وإلى الجمعيات	١٦٢٥
	ـ شيخ الأزهر يحذر من رفع المقاطعة العربية لإسرائيل	١٦٢٧
	ـ الحجاج وفد الله عز وجل	١٧٧٤
	ـ القدس الشريف	١٧٩١
جعفر عبد السلام	ـ تركيا والاتجاه شرقاً	٥٣٦
(الدكتور)	ـ ألبانيا بين هموم الماضى وتوجهات المستقبل	١٠٢٢
جليلة رضا (الشاعرة)	ـ رشفات الحكمة فى ديوان .. الإنسان فى الميزان	١٧٣٣
جمال عبد العزيز أحمد (الأستاذ)	ـ رواية الحديث وعلاقته بالنحو	١٣٠٤
جميل أحمد ظفر (الدكتور)	ـ النحو القرآنى قواعد وشواهد	١٢٥

حــرف الحـاء

حسن بيومى حسن سليمان (الشيخ)	ـ أم القرآن والمجتمع	٣٣

حسن عبد الله القرشى ـ موكب النور (قصيدة) ٤١٩
(الشاعر)
حسنى عبد الحافظ ـ فضل المسلمين فى تقدم علم الخرائط ١٥٠١
(الأستاذ)
حسين أحمد إسماعيل ـ جراح المسلمين (قصيدة) ٨٦٤
(الأستاذ)

حــرف الخاء

خالد محمود إبراهيم سالم ـ أم الملاحم غزوة بدر الكبرى ١٣٦٧
(الشاعر)
خليل فواز ـ ابتهال (قصيدة) ١٣٦٣
(الشاعر)

حــرف الراء

ربيع محمد مصطفى ـ رثاء فضيلة الشيخ فرج غنيم ١٨٦١
رجب محمد على فضلون ـ الشيخ مصطفى الغاياتى من أعلام الأزهر ٣٨٩
رشاد محمد يوسف ـ على عتبات الغار (شعر) ١١٣
(الشاعر) ـ الخداع والحرية (شعر) ٢٤١
ـ مذبحة المآذن (شعر) ٤١٢
ـ مأساة كشمير (شعر) ٨٦٣
ـ لابد يا قدس (شعر) ١٠٤٧
ـ أحزان القبلة الأولى (شعر) ١١٩٩
ـ الشعر وزامر الحى (شعر) ١٥٢٠
ـ زيفوا وجه الحضارة (شعر) ١٦٩٧
ـ حنين إلى البيت العتيق ١٨٥٧
رفعت محمد مرسى طاحون ـ حرمان المرأة من الميراث إثم خطير ١٦٥٦
(الأستاذ)

حــرف الزاى

زكريا أحمد نور ـ أنانية الإنسان مع نعم الله ٨٥٦
(الشيخ)

زكريا حامد ورشل — خلفية تاريخية عن الإسلام والمسلمين فى زيمبابوى ٦٦٧
(الشيخ)
زكى المحاسنى — سيرة النبى ﷺ (قصيدة) ٤١٥
(الشاعر)
زينب الأشوح — العالم الإسلامى المعاصر تعريفة وأهم خصائصه ١٣٣٦
(الدكتورة) ١٤٨٥
زينب عبد العزيز — فليغضب جاك بيرك ١٩٥
(الدكتورة)

حـــرق الســـين

سراج الدين معزوز قلبى لمصر فدى (قصيدة) ٨٧٢
(الشيخ)
سليمان عبد الحميد الفقى — شعارات خبيثة ١٨٣٣
(الشيخ)
سهير حسن عبد العال — معالجة مشكلة البطالة من منظور الفكر الإسلامى والفكر
(الدكتورة) الوضعى ١١٦٩
١٣٤١ — ١٦٦٨
سيد أحمد محمد خليل — أضواء على تاريخ طب المجتمع ٨٩١
(الدكتور)
سيف النصر عبد العزيز المجلى— الصيام فى الإسلام وفى الملل الأخرى ١٣٢٧
(الشيخ)

حـــرف الشـــين

شوق محمود أبو ناجى — اعتراف (قصيدة) ١٢٠٤
(الشاعر) — صرخة (قصيدة) ١٣٦٩

حـــرف الصـــاد

صابر تعلب — نافذة على اللغة العربية ٤٤٥
(الأستاذ) — أوربا بلا مسلمين أمنية الغرب عام ٢٠٠٠ .... ٨٤٥

حـــرف العـين

عائشة التيمورية (الشاعرة) — سناء الرشد والكرم (قصيدة) ٤١٢

عادل رفاعى خفاجة (الأستاذ) — البوسنه والهرسك فى إطار المؤامرة الغربية لمؤلفه د. فوزى محمد طايل (عرض وتقديم) ١٢٤٦
— أطفال البوسنه الأبرياء يستغيثون لمؤلفه الأستاذ توفيق إسلام (عرض وتقديم) ١٤٠٧
— الإسلام بين الشرق والغرب لمؤلفه الرئيس على عزت بيحوفيتش (عرض وتقديم) ١٥٦٠
١٧٢٨ — ١٨٨٣

عبد الجليل شلبى (الدكتور) — مع سورة الأنفال ٢٤
١٨٤
٣٣٨ — ٥٠٥ — ٦٤٦ — ٨٢٠ — ٩٨٥ — ١١٣٧ — ١٢٩١
١٤٦٣ — ١٦٣٤ — ١٨٠٦

عبد الحفيظ فرغلى القرنى (الأستاذ) — مولودون فى ظلال الهجرة ٥٦
— وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ١٤٧٢
— المبشرون بالجنة ١٦٥١
— العشرة المبشرون بالجنة ١٨٢٤

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم (الأستاذ) — طرائف ومواقف ٨٢
٢٧٠ — ٣٩٢ — ٥٥٦ — ٧٢٦ — ٨٨٥ — ١٠٨١ — ١٢٢٠
١٣٥٨ — ١٥٠٩ — ١٧٠٨ — ١٨٧١

عبد الحكيم الصعيدى (الدكتور) — الحشرات والحديث عنها فى القرآن الكريم — والسنة النبوية — والعلم الحديث ٥٦٨
٧٤٢ — ٨٩٦
— طبعة مشوهة من تفسير النسفى (تحذير) ١٧٢٦

عبد الحكيم عبد الرءوف (الدكتور) فضيلة الشيخ محمد حسام الدين بدر الدين من أعلام الأزهر ٧٢٣

عبد الحليم المصرى (الشاعر) — حكاية والٍ (قصيدة) ٢٤٥

عبد الرءوف محمد عثمان ـ الالتزام النحوى والجرس الموسيقى للشعر ٤٣٦
(الدكتور)
عبد الرحمن السمان ـ حول مقالى : المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية
(الدكتور) أمر الله لا تحده سرعة الضوء ٨٨
ـ اكتشاف سرعة أكبر من سرعة الضوء ١٧١٥
عبدالعاطى موسى عبدالعاطى ـ آيات وذكرى (قصيدة) ١٠٤٦
(الشاعر) ـ شهر الفتوحات (قصيدة) ١٣٦٥
عبد العزيز غنيم ـ تهنئة (قصيدة) ٧٠٦
(الدكتور) ـ تهنئة بشفاء الإمام (قصيدة) ١١٩٧
عبد الغفار الدلاش ـ فى مولده ﷺ موكب النور (قصيدة) ٤١٦
(الشاعر) ـ إنه المصرى فى آياته (قصبدة) ٨٦٩
عبد الفتاح أبو سنة ـ محمد بن على الخروبى ومنهجه فى التفسير ١٨٨٠
(الدكتور ٠
عبد الفتاح أحمد الفاوى ـ عبقرية التراث بين النفى والإثبات ٥٩٦
(الدكتور) ٧٧٢
١٢٣٥
عبد الفتاح حسين الزيات من روائع الماضى :
ـ الأمانة الثانية لفضيلة الشيخ محب الدين الخطيب ٧٧
ـ خصب العقول وجدبها لفضيلة الشيخ محمد عرفة ٢٦٤
ـ اشاعات السوء لفضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج ٣٩٤
ـ مشاكل العالم الإسلامى لفضيلة الشيخ عبدالحميد المسلوت ٥٥٨
ـ لمن يكون تنفيذ الحدود لفضيلة الشيخ أحمد الشرباصى .. ٧٢٨
ـ نظام الإسلام السياسى لفضيلة الشيخ محمود النواوى ... ٨٧٨
ـ موقف الإسلام من التغيرات
لفضيلة الشيخ عبد الرحمن تاج ١٠٨٣
ـ يا رب .. للدكتور محمد خليفة ١٢٢٢
ـ رمضان هجرة إلى الله لفضيلة الشيخ أبوالوفا المراغى ١٣٥٤
ـ كيف ينهض المسلمون لفضيلة الشيخ عبدالحميد المسلوت ١٥٤٨
ـ لو رضى الناس لفضيلة الشيخ على العمارى ١٦٩٩
ـ الأزهر فكرة إسلامية للشيخ رياض هلال ١٨٧٨

عبد الفتاح عمرو شعيب		
(الدكتور)	ـ شمس الوجود « محمد » ﷺ (قصيدة)	١١٩٨
عبد الله نجيب محمد	ـ انبعاث الحياة الإسلامية فى جمهورية آسيا الوسطى	٢١٩
(الدكتور)	ـ خزائن المخطوطات بجمهورية أوزبكستان الإسلامية(١)	٩١٧
	ـ خزائن المخطوطات بجمهورية أوزبكستان الإسلامية(٢) .	١٢٤٣
	ـ أزمة الحضارة العالمية والبديل الإسلامى	١٦٨٠
عبد المنعم سليمان مسلم	ـ فى ذكرى المولد النبوى الشريف	
(الشيخ)	صلاة الله تعالى وصلاة العباد	٣٥٩
عبد المنعم فودة	ـ الفتاوى	٦٧
	٢٣٤ ـ ٣٨٧ ـ ٥٥٤ ـ ٧٠٤ ـ ٨٦٠ ـ ١٠٤٣ ـ	
	١١٨٧ ـ ١٣٤٨ ـ ١٥٠٧ ـ ١٦٩١ ـ ١٨٥٢	
عبد الوهاب المرصفى (الشاعر) .	ـ على براق النور (قصيدة)	١٠٤٨
عبير محمد عبد الواحد	ـ الأدب الأفريقى (عرض)	١٣٣
(الأستاذة)	ـ الموارد المالية للمرأة فى الإسلام	٥٣٢
	ـ حقوق الزوجة فى الإسلام .. الحقوق المعنوية	١٣٣١
عدنان مردم بك	ـ ذكرى المولد (قصيدة)	٤١٣
(الشاعر)		
عزيز أباظة	ـ وحى المدينة المنورة (قصيدة)	٤١٤
(الشاعر)		
عطية صـــقر	ـ صلاة الجماعة بين الوجوب والندب	٦٤١
(الشيخ)	ـ السياحة ما لها وما عليها	١١٥٧
على أحمد الخطيب	ـ هجرة الأنبياء	١
(الدكتور)	ـ هجرة النبى محمد ـ ﷺ ـ	١٦١
(رئيس تحرير المجلة)	ـ مطلع ربيـع	٣٢١
	ـ هل أعلنت العلمانية الحرب على الإسلام ؟	٤٨١
	ـ واحذرهم أن يفتنوك	٦٢٥
	ـ فاسجدوا لله واعبدوا	٨٠١
	ـ أشـق البـلاء	٩٦٩
	ـ الإسلام والأزهر والثقافة الجنسية	١١٢٩
	ـ الأزهر والفحص والنقـد	١٢٨١

	ـ العزة بالإسلام خلاص المسلمين	١٤٤١
	ـ حفظ الله ــ عز وجل ــ مصر	١٦٠٩
	ـ الإيمان فى حماية الله وحده	١٧٦٩
على أحمد السالوس	أثر تغير قيمة النقود فى الحقوق والالتزامات	٢٢٣
(الدكتور)		٨٣٩
على الجـــارم	محمد رسول الله (شعر)	١١٥
(الشاعر)		
على حامد عبد الرحيم	قبس من أنوار النبوة :	
(مدير التحرير)	ـ أين نحن من القرآن ؟	١٩٩
	ـ من أخلاق الرسول ــ ﷺ ــ	٣٤٨
	ـ نعمة الأمن فى الإسلام	٥٠٩
	ـ سعادة الدنيا وشقاء الآخرة	٦٥٠
	ـ الإسلام يجب ما قبله	٩٩٦
	ـ أحب الأعمال إلى الله أدومها	١١٤١
	ـ الرياء يمحق العبادة	١٢٩٦
	ـ الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا	١٤٦٩
	ـ الرسول ــ ﷺ ــ يتعوذ من عذاب القبر	١٦٤٨
	ـ الجزاء بين العدل والفضل	١٨٠٩
على محمد نجيب المطيعى	ـ تبيان وايضاح	٩٢٥
(الدكتور)		
على محمود طه	ـ يوم فلسطين (قصيدة)	٢٤٤
(الشاعر)		
عمر البسطويسى	ـ أنباء مكتب الامام الأكبر	٩٣٤
(الأستاذ)	١١٠٩ ـ ١٢٦٠ ـ ١٤٢٠ ـ ١٥٨٥ ـ ١٧٥٠	

حرف الفـــاء

فوزى محمد طايل	ـ الربا .. الحزن الممتد للمقرضين	١٣٠٩
(الدكتور)		

حرف القـــاف

قسم التحرير بالمجلة	ـ المرأة فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى	٤٢٩٠
	ـ دراسة تاريخية موثقة « هيئة كبار العلماء »	٦٩٢

	– قبل أن يسدل الستار على مأساة البوسنة المسلمة	٨٤٤
	– ماذا يجرى فى كشمير	٩٧٨
	– تصحيح	٩٨٩

حــرف الكاف

كارم السيد غنيم (الدكتور)	الإنسان والشيطان	١٣٢١

حــرف الميم

ما شاء الله حسن حسنى (الدكتورة)	– التلوث البيئى فى مصر أسبابه ونتائجه	٩٠٤
مجدى عبد الحميد بشير (الأستاذ)	– أنباء العالم الإسلامى	١٤٧
	٢٩٩ – ٤٥٩ – ٦٠٩ – ٧٨٤ – ٩٣٨ – ١١١١ – ١٢٦٢ – ١٤٢٦ – ١٥٨٧ – ١٧٥٤ – ١٩٠٩	
المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة	– بيان بشأن منح كتاب آيات شيطانية جائزة الأدب العربى	١٦١٦
مجمع البحوث الإسلامية بالأزهــر	– بيان بشأن الأصوات النشاز والأقلام الملتوية التى تنكر حق الأزهر فى أداء واجبه	١٦١٣
مجلس الدولة	– فتوى بشأن منح تراخيص المصنفات الاسلامية	١٤٥٦
محمد أحمد الصواف (الأستاذ)	– مغالطات عن مسلمى تركيا	٥٣٩
محمد الأخضر السائحى (الشاعر)	– حديث إلى هلال المولد (قصيدة)	٤١٨
محمد الأسمر (الشاعر)	– مملكة العجائب (قصيدة)	٤٢١
محمد البشير نافع (الأستاذ)	– صحيح .. صفة صلاة النبى – ﷺ – من التكبير إلى التسليم .. كأنك تنظر إليها (عرض وتقديم)	٤٢٣
	– نظرة فى تحقيق صحفى نشرته جريدة الأهرام	٥٠٣
	– أضواء على كتاب عقائد وتيارات فكرية معاصرة (عرض وتقديم)	١٠٩٩

محمد برهام	ـ الله عز وجل (قصيدة)	١٥١٥
(الشاعر)		
محمد تامالت	ـ طفل من البوسنة (قصيدة)	١٥١٩
(الشاعر الجزائرى)		
محمد جمال الدين محفوظ	ـ زيادة الإنتاج وضبط الاستهلاك فى توجيهات الإسلام ...	١١٧٦
(اللواء)	ـ إمام القادة ـ ﷺ ـ	١٣٠٠
محمد حافظ سليمان	ـ وحدة الرسالات الالهية ـ منزلة الإنسان	
(الشيخ)	فى القرآن	٤٢
	ـ أعظم نبى وأكرم مولود فى الوجود ـ ﷺ ـ	٣٤٢
	ـ أولئك هم المؤمنون حقا	٨٢٧
	ـ عناية الاسلام بالأطفال والأمهات	١١٦٣
	ـ شهر عظيم وكتاب كريم	١٣١٥
	ـ السلام العالمى	١٨٢٨
محمد حسنى مبارك	ـ كلمة الرئيس محمد حسنى مبارك فى احتفال مصر	
(رئيس الجمهورية)	بذكرى المولد النبوى الشريف بالاسكندرية	٤٨٤
	ـ كلمة السيد رئيس الجمهورية فى مؤتمر العطاء الحضارى	
	للإسلام	٤٨٩
	ـ نص خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك فى المؤتمر	
	ال « ٢٧ » لمنظمة اليونسكو بمناسبة تكريمه	٨٠٣
محمد حلمى ابراهيم	ـ الأزهر الشريف والرقابة على المصنفات الفنية	١٤٥٢
(المستشار)		
محمد رجب البيومى	ـ القرآن صالح لكل زمان ومكان	٥١٨
(الدكتور)	ـ مستقبل الثقافة فى مصر	٦٨٠
		١٢٢٦
		١٣٩٣
	ـ من علمائنا المعاصرين محمد زاهد الكوثرى	٨٧٣
		١٠٥٦
	ـ من أعلام الأزهر .. إبراهيم الجبالى	١٥٤٣
		١٧٠٢
	ـ الإمام الأكبر فى فتاويه الفقهية	١٦٢٨

١٨٠٠

محمد زين العابدين العزازى ـ من الأدب الإسلامى الرفيع .. حق الجار على جاره ٢٣١
(الأستاذ) ـ قيمة الزهد فى الإسلام ١٠٣٥
ـ إياكم ومُحدثات الأمور ١٨١٨

محمد سيد خفاجى ـ أسمى الحب فى الإسلام ٣٨٤
(الأستاذ)

محمد شامة ـ الحسد فى الأحاديث النبوية ٢٠٢
(الدكتور) ٣٧٦

محمد صابر البرديسى ـ ارتباط الهجرة بالجهاد ٤٩
(الشيخ)

محمد عبد الحكيم محمد ـ بين المجلة والقارىء ١٤٠
(الدكتور) ٢٩١ ـ ٤٤٨ ـ ٦٠١ ـ ٧٧٩ ـ ٩٢٨ ـ ١١٠٥ ١٢٥٣
١٩٠٢ ـ ١٤١٣ ـ ١٥٧٩ ـ ١٧٤٣ ـ ١٩٠٢

محمد عبدالرحمن صان الدين ـ تحفة الذكرى العاطرة (قصيدة) ١٠٨
(الشاعر) ـ العزف على الوتر الأخير (قصيدة) ٨٦٧
أبالموت تذكرنى (قصيدة) ١٢٠٠
ـ ذلك هو الصوم (قصيدة) ١٣٦١
ـ الله جل جلاله ١٥١٢
ـ وقفة مع ديوان الانسان فى الميزان ١٥٦٩
ـ الخير يبتلى (قصيدة) ١٦٩٦
ـ صناعة الكلام ١٨٦٠

محمد عبدالعليم العدوى ـ أثر صلح الحديبية فى الدعوة الإسلامية ٣٥٠
(الدكتور) ٦٥٨

محمد عبد الغنى عليان ـ المؤمن بين الخوف والرجاء ١٠١٢
(الأستاذ)

محمد عبدالقادر هنادى ـ البحث النحوى عند الإمام النووى فى ضوء كتابه
« صحيح مسلم بشرح النووى » ٥٨٢
(الدكتور) ٧٥٢ ٩١١
١٥٥٢
١٣٨٦

محمد عبد الله آل ناجى	ـ القيادة الإدارية بين منهج الإسلام والنظريات المعاصرة ..	٣٦٨
(الدكتور)		٥٤٣
		٨٤٦
		١٠٣٨
		١١٨١
محمد عبد الوهاب	ـ من أدب الحرمان .. الفقر والفقير	٧٦٣
(الأستاذ)	ـ مع ديوان « على أعتاب الرضا »	١٠٨٧
	ـ وقفة مع ديوان الإنسان فى الميزان	١٥٦٩
محمد عزت الطهطاوى	ـ صاحب الهجرات الثلاث الصحابى الجليل الخليفة الراشد	
(المستشار)	عثمان بن عفان (رضى الله عنه)	٦١
	ـ من أعلام الأزهر :	
	الشيخ/عبد الهادى رضوان نجا الابيارى	٢٦٠
	الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى	
	شيخ الأزهر الأسبق	٧١٥
	الإمام محمد الخضر حسين	
	شيخ الأزهر الأسبق	١١٨٩
	الشيخ/ سعد الدين العلمى	١٣٥٠
محمد محمد زيتون	ـ القرآن الكريم والبحر	٩٩٠
(الدكتور)		١١٤٤
	ـ علاقة مصر بالجزيرة العربية	١٦٨٥
		١٨٤١
محمد عتريس	ـ أحكام العدد وتمييزه من القرآن الكريم	٢٧٨
(الأستاذ)	ـ دراسة موضوعية فى محاضرة عن الإسلام والغرب	١٠٠٢
محمد محمد مسعود	ـ مع ذكرى الهجرة (قصيدة)	١١١
(الشاعر)		
محمد مصطفى الغمرى	ـ عبرة وفاء :	
(الأستاذ)	على الصديق المرحوم المستشار عبد العزيز هندى	٧١٣
محمد محمود الماحى	ـ هجرة المصطفى ـ ﷺ ـ (قصيدة)	١١٠
(الشاعر)		

محمد محمود حسانين — تحديات المسلمين فى جنوب أفريقيا ١١٨٥
(الأستاذ)
محمود حسن اسماعيل — صلاة الله وسلامه عليه (قصيدة) ٤٢٠
(الشاعر)
محمود حمدى زقزوق — الأزهر والحوار مع المؤسسات الدينية العالمية ١٤٩١
محمود سامى البارودى — الهجرة (قصيدة) ١١٢
(الشاعر)
محمود صالح العدل — العلمانية والخلط بين الأوراق ٦٧٧
(الدكتور)
محمود عبدالرازق عقبارى — من أعلام الأزهر
(الأستاذ) — الدكتور/أحمد محمد الشعراوى ٥٦٢
— الدكتور/على محمد العمارى ١٨٧٣
محمود عبدالمتجلى خليفة — تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ١١٥١
(الدكتور)
محمودْ محمد بكر هلال — فى ذكرى الإسراء والمعراج (قصيدة) ١٠٤٥
(الشاعر)
مصطفى عبد المجيد — أنباء مكتب الإمام الأكبر ١٤٥
(الأستاذ) ٢٩٧ — ٤٥٧ — ٦٠٦ — ٧٨٢ — ٩٣٤ — ١١٠٩ ١٢٦٠
١٤٢٠ — ١٥٨٥ — ١٧٥٠ — ١٩٠٧
معوض عوض ابراهيم — خذوا الأولاد بمنهج الإسلام ٢٠٨
(الشيخ) — أسرار وأنوار من آيتى الإسراء والمعراج ٩٩٨
منذر محمد عبد الرحمن — وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
(الأستاذ) سر خلف الأسوار ١٥٣٤
منصور محمد حسب النبى — الحد الأقصى للسرعة الكونية فى عالم سرعة الضوء
(الدكتور) فى الفراغ والهواء ٤٠٤
— المعجزة القرآنية فى حساب السرعة الضوئية ١٣٧٧
١٥٢٧
— حقيقة علمية حول سرعة الضوء ١٨٦٦

حـــرف النـون

نجوى السيد أحمد (الدكتورة)
- الجديد فى العلم والتقنية ٩٥
٢٥٧ - ٤٠٩ - ٥٧٨ - ٧٤٩ - ٩٠٨ - ١٠٧١ ١٢١٧
١٣٨٣ - ١٥٤٠ - ١٧٢٢ - ١٨٦٦

حرف اليـــاء

يحيى عبدالله المعلمى (الفريق)
- النحو القرآنى قواعد وشواهد ١٢٥
- أبو العتاهية (قصيدة) ١٠٥٢
- ولاية الشرطة فى الإسلام ١٨٩٢

هـدايا صـدرت مـع المجلـة عام ١٤١٤ هـ

	عنـوان الهـدية	المـؤلف	شهر الإصدار
١	ـ نقض الفريضة الغائبة	فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والشيخ عطية صقر	المحـرم
٢	ـ كتاب الإسلام وأصول الحكم في الميزان	الدكتور محمد رجب البيومى	صـفر
٣	ـ رد هيئة كبار العلماء على كتاب الإسلام وأصول الحكم	هيئة كبار العلماء	ربيع الأول
٤	ـ قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر للإمام جلال الدين السيوطى	إعداد : الدكتور السيد الجميلى	ربيع الآخر
٥	ـ الغزو الفكرى فى التصور الإسلامى	الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح	جمادى الأولى
٦	ـ المسلمون فى آسيا الصغرى والقوقاز	الأستاذ مصطفى دسوقى كسبة ج١	جمادى الآخرة
٧	ـ المسلمون فى آسيا الصغرى والقوقاز	الأستاذ مصطفى دسوقى كسبة ج٢	رجـب
٨	ـ المسلمون فى آسيا الصغرى والقوقاز	الأستاذ مصطفى دسوقى كسبة ج٣	شعبان
٩	ـ البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجـة والبيـان ج١ للإمـام برهـان الديـن أبى القـاسم الكرمـانى	إعداد : د. السيد الجميلى	رمضـان
١٠	ـ البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ج٢ للإمام برهان الدين ابو القاسم الكرمانى	إعداد : د. السيد الجميلى	شـوال
١١	ـ البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ج٣ للإمام برهان الدين ابى القاسم الكرمانى	إعداد : د. السيد الجميلى	ذو القعدة
١٢	ـ البرهان فى توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ج٤	إعداد : د. السيد الجميلى	ذو الحجة

الفهـــرس

الافتتاحيـة

الإيمان فى حماية الله وحده

د . على أحمد الخطيب ١٧٦٩

مع الإمام الأكبر

ـ الحجاج وفد الله ـ عز وجل ـ ١٧٧٤

ـ فتوى الإمام الأكبر ١٧٨٨

ـ القدس الشريف ١٧٩١

ـ من سورة سبأ

للشيخ أحمد بن محمد طاحون ١٧٩٥

الإمام الأكبر فى فتاويه الفقهية

للدكتور محمد رجب البيومى ١٨٠٠

مع سورة الأنفال

للدكتور عبدالجليل شلبى ١٨٠٦

التعريف بشىء مما جاءت به سورة النور

أ . د . حسن إليك ١٨٠٩

قبس من أنوار النبوة (الجزاء بين العدل والفضل)

للشيخ على حامد عبدالرحيم ١٨٠٥

إياكم ومحدثات الأمور

للشيخ محمد زين العابدين العزازى ١٨١٨

العشرة المبشرون بالجنة

للشيخ عبدالحفيظ فرغلى القرنى ١٨٢٤

الســلام العالمى

للشيخ محمد حافظ سليمان ١٨٢٨

شــعارات خبيثة

للشيخ سليمان عبدالحميد الفقى ١٨٣٣

نعم يا دكتور زكريا

للدكتور إبراهيم عوضين ١٨٣٥

علاقة مصر بالجزيرة العربية

للدكتور محمد محمد زيتون ١٨٤١

الإسلام والتأثير الروحى

للشيخ السيد عبدالمقصود عسكر ١٨٤٧

الفتــاوى

إعداد الأستاذ عبدالمنعم فودة ١٨٥٢

ـ الحج هجرة إلى الله

للشاعر : أحمد فهمى خطاب ١٨٥٦

ـ حنين إلى البيت العتيق

للشاعر : رشاد محمد يوسف ١٨٥٧

ـ مائدة الرحمن والفرحتان

للشاعر : أ . د . أبوياسر الوزير ١٨٥٨

ـ صناعة الكلام

للشاعر : محمد عبدالرحمن صان الدين ١٨٦٠

ـ رثاء فضيلة الشيخ فرج غنيم

للشاعر : ربيع محمد مصطفى ١٨٦١

التطور وأصل الإنسان أ . د . أحمد فؤاد باشا .. ١٨٦٢

حقيقـة علميـة أ . د . منصور حسب النبى ١٨٦٦

الجديد فى العلم والتقنية د . نجوى السيد أحمد ١٨٦٨

طـرائف ومواقف

للأستاذ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ١٨٧١

من أعلام الأزهر أ . د . العمارى

للشيخ محمود عبدالرازق عقباوى ١٨٧٣

من روائع الماضى (الأزهر فكرة إسلامية)

للأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات ١٨٧٨

محمد بن على الخروبى ومنهجه فى التفسير

د / عبدالفتاح أبو سنة ١٨٨٠

الإسلام بين الشرق والغرب

عرض وتقديم الأستاذ عادل خفاجة ١٨٨٣

ولاية الشرطة فى الإسلام

تعليق الفريق يحيى المعلمى ١٨٩٢

الوحدة الموضوعية للقصيدة العربية

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ١٨٩٥

بين المجلة والقارىء د . محمد عبدالحكيم محمد... ١٩٠٢

أنباء مكتب الإمام الأكبر

إعداد عمر البسطويسى ، مصطفى عبدالمجيد .. ١٩٠٧

أنباء العالم الإسلامى للأستاذ مجدى عبدالحميد بشير ١٩٠٩

القسم الفرنسى ١٩١٦

القسم الانجليزى ١٩٢٥

الفهرس السنوى العام ١٩٢٦